ﭑ ﭒ ﭓ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ آل عمران: ١٠٢.

ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼالنساء: ١.

ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ الأحزاب: 70-٧١.

أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ح، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار(1).

فإن التوحيدَ هو الأساسُ الذي يقوم عليه بنيانُ الأمم، فصلاحُ كلِّ أمة وعزِّها واستقرارُها، مربوطٌ بسلامةِ توحيدِها وعقيدتها، ومِن ثمّ جاءت رسالاتُ الأنبياءِ -عليهم الصلاة والسلام- تنادي بالدعوة إلى التوحيد. فكلُّ رسولٍ يقول لقومِه أوّلَ مايدعوهم: ﭽ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻﭼ النحل: ٣٦.

وقد خلق الله تعالى عبادَه مفطورينَ على توحيدِه، ولكنّ الشياطينَ اجْتالَتْهم عن الصراطِ السويّ، وأوقعتهم فيما يناقضه ويُضَادُّه من شركٍ، وخرافةٍ، وبدعةٍ، وغيرِها مِن الانحرافات العقدية؛ وعانتِ البشريةُ جَرّاءَ ذلك أزماتٍ مختلفة، ورُزِئَت بمحنٍ ونكساتٍ متعددة.

فكان من واجبِ الدعاة -اقتداءً بالأنبياء والمرسلينَ عليهم الصلاة والسلام- أن يَهُبُّوا لمعالجةِ تلك الظواهرِ والأمراضِ المتفشيةِ في المجتمعاتِ الإسلامية، بشتى الوسائل المشروعةِ الممكنة، لعل الله ﻷ أن يهدي بهم، ويبارك في جهودِهم، ويرفعَ عن البشريةِ تلك المصائبَ والمحن، ويكتبَ للأمة الإسلامية العزّ والتمكين.

ولمّا كان المسلمون في إندونيسيا، يشكلون جزءاً كبيراً من تلك المجتمعات الإسلامية، وفيهم الكثيرُ من تلك الأمراضِ المشارِ إليها آنفا؛ كان مِن حقّهِم الواجبِ عليّ -وأنا بِمَنّ الله وكرمِه أنهلُ مِن المنهلِ الصافي في هذه الجامعة المباركة- أن أساهمَ في تصحيح تلك الانحرافاتِ التي يعيشها المجتمعُ الإندونيسي، فاخترت الكتابةَ -لنيل درجة العالِمية $الماجستير# مِن قسم العقيدة- في موضوع: **$مظاهرُ الانحرافِ في توحيدِ العبادة، لدى**

---

(1) رواه مسلم في صحيحه بهذا اللفظ، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (592/2 رقم 867) وزاد النسائي جملة $وكل ضلالة في النار# في سننه، كتاب صلاة العيدين، باب كيف الخطبة (210/3 رقم 1577)، وقد صحح الشيخ الألباني هذه الزيادة في رسالته $خطبة الحاجة# (ص 26).

بعض مسلمي إندونيسيا، وموقفُ الإسلامِ منها#.
وفيما يلي تعريف بموضوع الرسالة:

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تتلخص أهمية هذا الموضوع وأسباب اختياري له في نقاط عديدة منها:

1- إنه موضوع حول توحيد العبادة وهو أهم ما كُلِف به الإنسان في حياته الدنيوية، والذي لم يخلق إلا من أجله.
2- إن الخطأ في توحيد العبادة شأنه خطير، إذ أنه خطأ في حق الباري ، فيكون البحث في سبيل تصحيح ما وقع فيه من أخطاء و التصدي لما ابتدع فيه، من أولويات الأمور لدى الدعاة المسلمين.
3- إن للشركيات والبدع في إندونيسيا مؤيديها ممن انتسبوا إلى العلم ومن غيرهم من أصحاب الشهوات(1)، وهم معتمدون في ذلك على شبه واهية يلبِّسون بها على عوام الناس، فهذه الرسالة -بإذن الله- ستكشف تلك التلبيسات، وترد على تلك الافتراءات.
4- إنه لم يكتب -فيما أعلم- رسالة علمية جُمعت فيها الانحرافات في توحيد العبادة الواقعة في المجتمع الإندونيسي وتقويمها، مع أن إندونيسيا أكثر بلاد المسلمين سكاناً في العالم وقد كثرت فيها تلك الانحرافات، ففي هذا البحث مساهمة -بإذن الله- في علاج تلك الأ مراض الخطيرة.

ولهذه النقاط وغيرها عزمت على الكتابة في هذا الموضوع، خاصة بعد أن استحسنه جملة من مشايخي الكرام.

(1) وما أكثر هؤلاء! ومن أبرزهم: سدنة الأضرحة المعبودة من دون الله، السحرة و الكهنة بجميع أنواعهم، وأصحاب المجلات والجرائد المتخصصة في موضوع الكهانة، وأصحاب القنوات الفضائية التي شحنوا برامجها بالخرافات والخزعبلات، وأصحاب المطابع التي تصدر كتب الشرك والسحر، وغيرهم كثير. والله المستعان وعليه التكلان...

- دراسات سابقة لها تعلق بموضوع الرسالة:

لقد وقفت على رسالتين علميتين لهما تعلق بموضوع الرسالة التي قدمتها، وفيما يلي بيان موجز عنهما:

الرسالة الأولى: $الصوفية في إندونيسيا، نشأتها وتطورها وآثارها، عرض وتقويم#، إعداد الباحث: فرحان ضيفرو جهري، إشراف: د. علي بن محمد الدخيل الله، قدمها الباحث لنيل درجة العالمية (الماجستير) من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، عام: 1418هـ، وهي تقع في حدود 520 صفحة مع الفهارس، وتوجد نسخة منها مصورة في المكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية.

أما محتواها فإنه ظاهر من عنوانها؛ فقد بيّن الباحث -جزاه الله تعالى خيراً- تاريخ نشأة الصوفية في إندونيسيا مع ذكر أهم فرقها ومبادئها وآثارها في المجتمع، ثم ختمها بذكر موقف أهل السنة من الصوفية.

ووجه تعلقها بموضوع رسالتي: أنه قد ذكر فيها بعض الانحرافات التي وقع فيها صوفية إندونيسيا سواء كانت انحرافات عقدية أم انحرافات في مجال العبادة.

أما ما يتعلق بالانحرافات في توحيد العبادة فقد ذكر الباحث الأمور التالية:

1- دعاء غير الله.
2- التوسل بذات النبي ح أو بمشايخهم.
3- الغلو في الشيوخ.
4- التمسح بالقبور واتخاذها مساجد.

وقد ذكر فيها انحرافات أخرى:

1- اعتقاد الصوفية بالقطب والغوث.
2- وحدة الوجود.
3- التلقي من رسول الله ح بعد وفاته يقظة، ومن الخضر، ومن الميت المقبور.
4- اعتقاد انشقاق جميع الأنوار وجميع الخلق من نور الرسول ح.
5- زعمهم أن الصالحين والأولياء عندهم العلم بالغيب.
6- الضمان بالجنة من شيوخهم.
7- الخلوة والأوراد الصوفية.
8- الاحتفال بمولد النبي ح.

الرسالة الثانية بعنوان $الباطنيون في إندونيسيا#، إعداد الباحث: محمد هداية نور وحيد، إشراف: الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان، قدمها الباحث لنيل درجة العالمية (الماجستير) من الجامعة الإسلامية، عام: 1407 هـ. وهي تقع في 369 صفحة مع الفهارس.

احتوت هذه الرسالة على بيان نشأة الباطنية في إندونيسيا، وأهم فرقها ومبادئها، مع بيان موقف مسلمي إندونيسيا من الباطنيين.

وقد ذكر الباحث أثناء بحثه انحرافات وقع فيها الباطنيون في إندونيسيا سواء كانت في مجال العقيدة أو في مجال العبادة. ومن أهم تلك الانحرافات ما يلي:

1- اعتقاد حلول الرب في خلقه.
2- اعتقاد أن الانسان شرر من شعلة الإله وأنه سوف يعود إليه بالاتحاد.
3- اختراعهم أنواعاً من العبادات، وتسميتهم لها بأسماء العبادات المعروفة في الإسلام كالصلاة والصيام وغير ذلك.

فهاتان الرسالتان وإن تطرقتا إلى ذكر مظاهر الانحراف في توحيد العبادة لدى بعض مسلمي إندونيسيا، إلا أنهما لم تعنيا بذكر جميع الانحرافات، إذ أن ذلك ليس من صلب موضوعهما، أما هذا البحث فقد حاولت فيه -قدر الإمكان- ذكر جُلّ الانحرافات، مع تقويمها -بإذن الله- على ضوء الكتاب والسنة.

- خطة الرسالة:

وقد قسمت الرسالة إلى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة.

المقدمة:

وذكرت فيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياري له، والدراسات السابقة حول الموضوع، وخطة الرسالة، والمنهج الذي سرت عليه في رسالتي.

التمهيد:

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: معنى التوحيد لغة وشرعاً وأنواعه.

المطلب الثاني: معنى العبادة لغة وشرعاً وأنواعها.

المطلب الثالث: خطورة الانحراف في توحيد العبادة وشناعته.

المطلب الرابع : حماية المصطفى ح جناب التوحيد(1).

المطلب الخامس: تاريخ دخول الإسلام في إندونيسيا.

الفصل الأول: عوامل الانحراف عن توحيد العبادة في إندونيسيا.

ويتكون من سبعة مباحث:

المبحث الأول: الجهل، وتلقي بعض المسلمين لكثير من المبادئ الإسلا

---

(1) ذكرت هذا المطلب من أجل إبراز عناية المصطفى ح بتقويم الانحرافات الواقعة في أمته، لاسيما المتعلقة بجناب التوحيد، فيستفاد منها: أن على الدعاة الاقتداء به ح في ذلك، سواء كان ذلك التقويم باللسان أو الكتابة أو الوسائل الأخرى المشروعة.

امية على غير صورتها الصحيحة.
المبحث الثاني: تأثر بعض المسلمين بالأديان الأخرى.
المبحث الثالث: الاستعمار والغزو الفكري الغربي لإندونسيا.
المبحث الرابع: تقليد الآباء والأجداد.
المبحث الخامس: انتشار فكرة التصوف ونشاط دعاته.
المبحث السادس: إهمال بعض الدعاة الدعوة إلى التوحيد وتحقيقه.

الفصل الثاني: مظاهر الانحراف في التوحيد المتعلقة بالقلب في إندونيسيا.

ويتكون من أربعة مباحث:
المبحث الأول: **الطاعة**، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: معنى الطاعة وأنواعها.
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في الطاعة.
المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر.
المبحث الثاني: **المحبة**، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: معنى المحبة وأنواعها.
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في المحبة.
المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر.
المبحث الثالث: **الخوف**، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: معنى الخوف وأنواعه.
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في الخوف.
المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر.
المبحث الرابع: **التطير والتشاؤم**، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: معنى التطير والتشاؤم وأنواع التطير.
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف بالتطير والتشاؤم.
المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر.

الفصل الثالث: مظاهر الانحراف في التوحيد المتعلقة باللسان في إندونيسيا.

ويتكون من ثمانية مباحث:
المبحث الأول: **الدعاء والاستعانة والاستغاثة والاستعاذة**، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: معنى الدعاء والاستعانة والاستغاثة والا ستعاذة وأنواعها.
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في الدعاء والاستعانة وا لاستغاثة والاستعاذة.
المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر.

(1) الغلو قد يكون إما بالاعتقادات أو بالأقوال أو بأعمال الجوارح، وسوف أبرز هنا نوعاً من ظاهرة الغلو المنتشر جداً في المجتمع الإندونيسي؛ هو قراءة بعض كتب السيرة المشتملة على الغلو في مدح الرسول ح ككتاب البرزنجي، وكذلك قراءة مناقب الصالحين، كمناقب عبد القادر الجيلاني. وأما الغلو بالاعتقادات وأفعال الجوارح، فأذكرها في مباحث مستقلة ضمن الفصل الثاني والفصل الرابع، والله أعلم.

المبحث الأول: **الذبح وتقديم القرابين**، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: معنى الذبح وتقديم القرابين وأنواعها.
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في الذبح وتقديم القرابين.
المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر.
المبحث الثاني: **السجود والركوع**، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: معنى السجود والركوع وأنواعها.
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في السجود والركوع.
المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر.
المبحث الثالث: **الطواف**، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: معنى الطواف وأنواعه.
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في الطواف.
المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر.
المبحث الرابع: **السحر**، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: معنى السحر.
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف بممارسة السحر وإتيان السحرة.
المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر.
المبحث الخامس: **الكهانة والعرافة والتنجيم**، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: معنى الكهانة والعرافة والتنجيم.
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف المتعلقة بالكهانة و العرافة والتنجيم وإتيان الكهان والعرافين والمنجمين.
المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر.
المبحث السادس: **بعض الأمور غير الشرعية التي تفعل لجلب نفع ودفع ضر**[1]، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: مفهوم جلب النفع ودفع الضر وأنواع ذلك.
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف بفعل بعض الأمور غير الشرعية من أجل جلب نفع أو دفع ضر.
المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر.
المبحث السابع: **التمائم**، وفيه ثلاثة مطالب:

---

(1) عقدت هذا المبحث بهذا العنوان لإدراج انحرافات لم تندرج تحت مباحث أخرى وهي موجودة بكثرة في المجتمع الإندونيسي، منها: عمل طقوس معينة طلباً لإ نزال المطر أو دفعه بزعامة رجل متخصص في ذلك، الغسل بماء الورود في أوقات معينة -قبل الزواج مثلا ً- من أجل دفع البلاء، عمل وليمة في الشهر السابع من حمل المرأة لأجل سلامة الجنين، وغير ذلك.

المطلب الأول: معنى التمائم وأنواعها.
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف بتعليق التمائم.
المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر.
المبحث الثامن: **التبرك**، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: معنى التبرك وأنواعه.
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في التبرك.
المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر.
المبحث التاسع: **زيارة القبور، والأماكن المزعوم أنها مقدسة، ومعابد غير المسلمين**، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: مفهوم زيارة القبور والأماكن المزعوم أنها مقدسة ومعابد غير المسلمين، وأنواعها.
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في زيارة القبور والأماكن المزعوم أنها مقدسة ومعابد غير المسلمين.
المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر.
المبحث العاشر: **الاعتكاف**، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: معنى الاعتكاف وأنواعه.
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في الاعتكاف.
المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر.
المبحث الحادي عشر: **صناعة التماثيل واقتناؤها**، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: مفهوم صناعة التماثيل واقتنائها وأنواعها.
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في صناعة التماثيل واقتنائها.
المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر.
الخاتمة: ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الرسالة و التوصيات والاقتراحات.
الفهارس: أ- فهرس الآيات القرآنية مرتبة حسب ترتيب السور في المصحف الشريف.
ب- فهرس الأحاديث النبوية مرتبة على الحروف الهجائية.
ج- فهرس الآثار.
د- فهرس الأعلام.
هـ- فهرس الأبيات الشعرية.
و- فهرس الأماكن والبلدان.
ز- فهرس المصطلحات العلمية والكلمات الغريبة.
ح- فهرس المصادر والمراجع.

- منهج الرسالة وخطة العمل:

1- خصصت هذه الرسالة بذكر الانحرافات القادحة في إخلاص العبادة لله أو ما كان وسيلة إليها؛ إذ إن موضوع هذه الرسالة هو: مظاهر الانحراف في توحيد العبادة لدى بعض مسلمي إندونيسيا، وموقف الإسلام منها.

2- هذه الانحرافات ذكرتها في مباحث تحت فصول. وجعلت تحت كل مبحث ثلاثةَ مطالب:

1- المطلب الأول: قمت فيه بشرح عنوان كل مبحث شرحاً وافياً.

2- المطلب الثاني: جمعت فيه ما يتيسر لي جمعه من أمثلة الانحرافات، وذلك عن طريق الدراسة الميدانية، والمقابلة الشخصية، وقراءة الكتب والرسائل والدوريات التي تتطرق إلى هذا الموضوع، ووضع الإعلانات عن موجز الرسالة في بعض المواقع الإسلامية في الشبكة العالمية العنكبوتية (الإنترنت) مع استقبال ما يرسله المتصفحون لها من أمثلة لمظاهر الانحراف.

وبعض تلك الأمثلة قد تدخل في أكثر من مبحث؛ فأضطر إلى تكرار ذكره في مواطن عدة من الرسالة -مع محاولة اجتناب ذلك قدر المستطاع-؛ دفعاً للحشو.

3- وفي المطلب الثالث الذي هو بيان موقف الإسلام من تلك المظاهر؛

- ذكرت الأدلة من الكتاب والسنة التي تبين بطلان تلك المظاهر وتلك الانحرافات.
- ثم أردفتها بكلام أهل العلم بدءاً من أصحاب القرون المفضلة -إن وُجِد-، ثم أهل العلم من بعدهم، واهتممت بإيراد أقوال علماء الشافعية حتى يكون أدعى للقبول لدى الناس في المجتمع الإندونيسي الذين ينتسبون إلى المذهب الشافعي.
- ثم استخرجت معظم الشبه التي اعتمد عليها مؤيدوا تلك الانحرافات من كتبهم مع الرد عليها.

3- عزوت الآيات القرآنية الواردة في البحث إلى مواضعها من القرآن، بذكر اسم السورة ورقم الآية، مع كتابتها بالرسم العثماني، وذكرت اسم السورة ورقم الآية مع نص الآية في صلب الموضوع لا في الحاشية.

4- خرّجت الأحاديث النبوية الواردة في صلب البحث من مصادرها، فإن كان الحديث في أحد الصحيحين أو فيهما خرّجته منه أو

منهما واكتفيت -غالباً- بذلك، وإن لم يكن في الصحيحين أو أحدهما خرّجته من كتب السنة المعتمدة الأخرى التي ورد فيها ذلك الحديث، وما التزمت بذكر جميع المصادر التي ورد فيها، ثم أتبعت ذلك بأقوال العلماء المتخصصين في هذا الشأن للحكم على الحديث.

5- شرحت الألفاظ الغريبة والتعريفات اللغوية معتمداً في ذلك على المعاجم اللغوية، إلا إن كانت تلك الألفاظ الغريبة وردت في الأ حاديث فاعتمدت على كتب غريب الحديث وكتب الشروح.

6- استخدمت اللغة الوطنية الإندونيسية في تسمية الأشياء الواردة في البحث، إلا إذا دعت الضرورة إلى تسميتها بلغة الإقليم الذي وُجدت فيه، فأسميها بها.

7- التزمت بعدم التصرف في النصوص عند نقلها إلا عند الحاجة إلى ذلك. وإن وجد خطأ فيها، أثبتّ ذلك الخطأ، وأشرت في الحاشية إلى ما رأيته صواباً، وجعلت النص بين قوسين تفريقاً بينه وبين ما نقلته بالمعنى، ثم أحلت القارئ إلى مصدره في الحاشية.

8- أما المعلومات والنصوص المستقاة من مراجع غير عربية فقمت بترجمتها إلى العربية عند كتابتها في المتن أو الحاشية، سوى ما كان اسماً لشيء معين، فهذا أثبتّ تسميته بلغته الأصلية، ووضعت بجانبه ترجمة للفظ بالعربية، وذلك تيسيراً على القارئ الذي لا يتقن التلفظ بالألفاظ الأعجمية، وحتى أحافظ على سلامة التسمية. وعند الإحالة إلى تلك المراجع غير العربية في الحاشية، أثبتّ أسماءها بلغتها، مع ترجمة العنوان بين قوسين.

9- ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في البحث ترجمة مختصرة، إلا إذا دعت الحاجة إلى قليل من البسط فإني أتوسع في ذلك.

10- التزمت بعلامات الترقيم، وضبطت ما يحتاج إلى ضبط.

11- وضعت قائمة محتويات البحث، والفهارس اللازمة.

- <u>الصعوبات التي واجهتني:</u>

تعتبر هذه الرسالة -بخطتها السابقة- الأولى من نوعها -على حسب علمي- في أوساط المجتمع الإندونيسي، وشأن السابق في هذا المضمار أن تعترضه بعض الصعوبات، أذكر من ذلك:

1. كثرة أنواع الانحرافات في توحيد العبادة وجزئياتها في المجتمع الإ ندونيسي، حتى أنها تكاد تغطي جميع أبواب الشرك المعروفة، بل لربما تجاوزتها حتى أضطر إلى إحداث مبحث مستقل يجمع تلك الجزئيات، كما في مبحث $بعض الأمور غير الشرعية التي تفعل لجلب نفع ودفع بلاء#.

2. سعة أرض إندونيسيا وكثرة جزرها الهائلة والتباعد بينها[1]، وهذا يؤدي إلى صعوبة الرحلة -بل وتعذرها- إلى جميع تلك الجزر للمّ جميع الانحرافات المنتشرة فيها؛ مما جعلني أعتمد كثيرا في ذكر تلك الانحرافات على مراجع مكتوبة، ومقابلات شخصية، مع عدم ا لإغفال عن الرحلة العلمية -حسب ما يسر الله لي؛ وذلك ما بين شهر جمادى الأولى إلى شهر رمضان المبارك لعام 1427 هـ-، فما لا يدرك كله لا يترك جله.
3. كثرة وتنوع الشبهات التي يبثها المخالفون لتأييد تلك الانحرافات، وقد ذكرت في خطة العمل أني سأورد جل الشبهات التي وقفت عليها؛ مما يؤدي إلى كبر حجم الرسالة؛ إذ تفنيد تلك الشبهات يحتاج إلى قوة علمية لإقناع المخالفين، ومما أدى أيضاً إلى تفاوت الحجم بين مباحث الرسالة تبعاً لتفاوت كثرة الشبهات من قلتها في كل مبحث.
4. ما عزمت عليه من عدم الاقتصار في تقرير مباحث الرسالة على النقولات عن بعض العلماء المحققين -كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم- والعلماء المتأخرين -خصوصاً أئمة الدعوة-، وما عزمت عليه من الاهتمام بالنقولات عن السلف وعلماء الشافعية[2]؛ مما يأخذ كثيراً من وقتي وجهدي، وإن كان وجود بعض الرسائل العلمية التي تعنى بهذا الجانب[3] قد ساعدني كثيراً في إنجاز ذلك، فجزى الله أصحابها عني خير الجزاء.

• <u>شكر وتقدير:</u>

استجابة لأمر الله سبحانه وتعالى في قوله: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ لقمان: ١٤، ولقول النبي ح: $لا يشكر الله من لا يشكر الناس#[4]؛ أشكر الله

---

(1) يبلغ عدد الجزر التي تضمها الدولة الإندونيسية: (17،508) جزيرة، وتنتشر هذه الجزر على مساحة واسعة تزيد عن (5،176،800) كيلو متر مربع، بين بر وبحر. انظر ما سيأتي في (ص 57).

(2) انظر النقطة الثانية/ج من منهج الرسالة (ص 10) لمعرفة سبب اهتمامي بذلك.

(3) من تلك الرسائل العلمية: $جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة# للدكتور عبد الله بن عبد العزيز العنقري، و$أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان# لعبد العزيز بن عبد الله المبدل.

(4) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف (102/5 رقم 4811)، والترمذي في سننه، كتاب البر والصلة عن رسول الله ح، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك (ص 445 رقم 1954) من حديث أبي هريرة ط. وقال الترمذي: $صحيح#، وذكر السخاوي في المقاصد الحسنة (ص 670 رقم 1179) أن الدمياطي أفرد طرقه في جزء. والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (1114/2 رقم 6541).

تعالى على ما أولاني به من نِعم عظيمة لا أحصي عدّها ولا أبلغ شكرها، وأعظمها نعمة الإسلام، ثم نعمة سلوك طريق العلم وتيسيره لي، ومن ذلك إنجاز هذه الرسالة من غير حول مني ولا قوة، بل بمحض توفيقه وفضله ومنته.

كما أتوجه بالشكر بعد ذلك للوالدين الكريمين[1] على حسن التربية و التوجيه منذ سن الطفولة، مساندين ذلك بالدعاء لي، مما كان له أكبر الأثر في التوفيق في الحياة العلمية والاجتماعية، وتيسير الأمور في كل ذلك، فجزاهما الله خير الجزاء، وأعانني على برهما ورد شيء من معروفهما، إنه سميع مجيب.

والشكر والتقدير موصول لزوجتي وأبنائي الذين صبروا على تحمل ألم الفراق خلال هذه السنين الطويلة التي قضيتها لطلب العلم في بلد الرسول ح؛ من أجل القيام -محتسبين- بواجبي في بر والدي الكريمين؛ ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ الفرقان: ٧٤.

ثم إني أتوجه بالشكر الجزيل للقائمين على الجامعة الإسلامية بـ المدينة النبوية -حرسها الله- على ما شرفوني من الانتساب لهذه الجامعة المباركة، ولقسم العقيدة على وجه الخصوص، وتلقي العلم النافع في رحاب هذا الصرح العلمي على أيدي مشايخ أجلاء، ابتداءً من المرحلة الجامعية إلى هذه المرحلة؛ فشكر الله لهم ذلك، وجزاهم عني وعن طلاب العلم خير الجزاء.

كما إني أتوجه بخالص الشكر والتقدير لشيخي الفاضل: الدكتور محمود بن عبد الرحمن قدح -حفظه الله- الأستاذ المشارك في قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين؛ الذي أشرف على هذه الرسالة فأفادني من علمه ، وبذل لي من النصح والتوجيه الشيءَ الكثير، وقوّم لساني وقلمي، ورباني على الانضباط في الوقت -كل ذلك في تواضع جم- ما كان له أكبر الأثر -بعد توفيق الله- في إنجاز هذه الرسالة، فجزاه الله عني خير الجزاء وكتب له أعظم الأجر والمثوبة، إنه سميع قريب مجيب الدعوات.

كما أتقدم بالشكر الجزيل والثناء العطر إلى لجنة المناقشة التي قبلت مناقشة هذه الرسالة، وأمضت من وقتها الكثير في قرائتها وتصويبها، وأضنت نفسها في سبيل ذلك، وهم أصحاب الفضيلة: الأستاذ الدكتور عبدُ الله بن سليمانَ الغفيليّ، والدكتور عبيد بن عبد العزيز السّلميّ -حفظهما الله تعالى-.

ولا يفوتني أن أشكر كل من قدم إلي عوناً أو أسدى إلي معروفاً، من

(1) بعد مناقشة هذه الرسالة بعشرة أيام تقريباً توفي الوالد الكريم -رحمه الله- بين يديّ، فأسأل الله جل وعلا أن يتغمده بواسع رحمته ومغفرته، إنه سميع قريب مجيب الدعوات.

كافة المشايخ الأفاضل، والإخوة الكرام، سواء كانوا من داخل المملكة أو خارجها[1]، فجزى الله الجميع خير الجزاء وشكر لهم سعيهم.

وبعد، فإني أحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، فبفضله لأ سَهُل أمر هذه الرسالة، وبفضله تعالى تجاوزتُ عقباتها حتى أتممتها، وبفضله جَلَت قدرته أفدتُ منها علماً نافعاً، أسأله سبحانه أن يجعل عاقبته عملاً صالحاً متقبلاً.

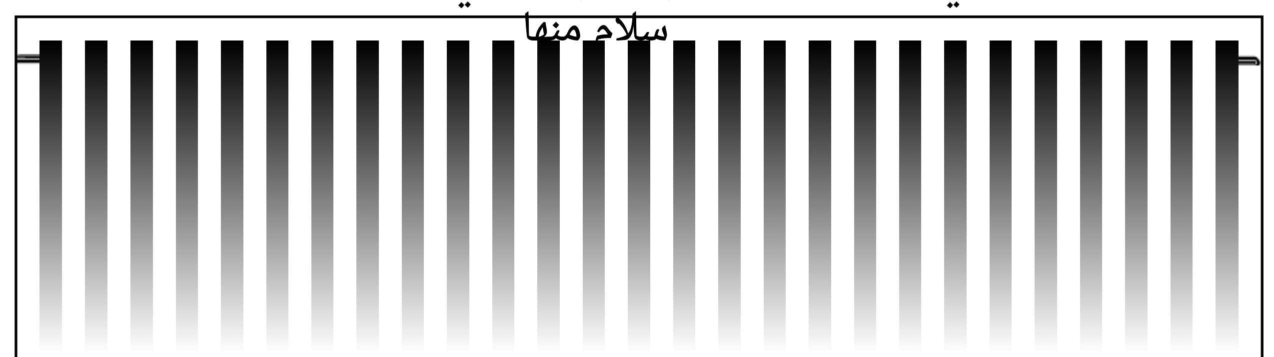
فيا مُطّلعاً على رقيم أخيك لا تبخل بملحظ تراه أو خطأ -لقصور علمه- أتاه، أو وهم مِن جُرّاء غفلته دهاه، وإن راقم هذه الأسطر ليرى أنه أولى بأن يقول في بضاعته المزجاة ما قاله الناظم في طيِّبته المنتقاة:

أخي أيها المُجْتَاز نظمي ببابه	يُنادَى عليه كاسدَ السُّوقِ أجْمِلا
وظُنّ به خيراً وسامحْ نَسِيْجَه	بالإ ِغْضاء والحُسْنى وإن كان هلْهَلا
وسَلِّم لإحدى الحسنيين إصابةٌ	والأخرى اجتهادٌ رَام صَوْباً فأمْحَلا
وإن كان خَرْقٌ فادّركه بِفَضْلَةٍ	مِن الحِلم وليُصْلحْه مَن جادَ مِقْولا[2]

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(1) أخص بالذكر منهم: أخي في الله الذي تفضل محتسباً بمراجعة الرسالة من أولها إلى آخرها، فأفادني من تقويماته وتوجيهاته السديدة -زاده الله توفيقاً إلى توفيق-، والأخ أيمن بن أحمد الرحيلي -حفظه الله- الذي تفضل مشكوراً بمراجعة ما يخص الصناعة الحديثية من الرسالة. ولا أنسى الأخ محمد ياسر الإندونيسي -حفظه الله- إذ هو نِعم الزميل في المناقشات والمساجلات العلمية، والأخ محمد نزول ذكرى الإندونيسي -حفظه الله- الذي لم يدخر وسعاً في إعانتي للبحث عن المراجع الإندونيسية التي احتجت إليها -بدون أي ملل ولا تذمر-؛ حتى إنني خجلت منه لكثرة طلباتي، والأخوين الإندونيسيين الفاضلين: أحمد قاضي مصلحين ولالو أحمد ياني اللذان ساعداني في وضع بعض فهارس الرسالة، فجزاهم الله -وكلّ من أعانني مما لم أذكره هنا- خيرَ الجزاء، وجعل ذلك في ميزان حسناتهم ﭼﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸﭽالشعراء: 88-٨٩.

(2) متن الشاطبية المسمى $حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع# للقاسم بن فِيُرَة الشاطبي (ص 7).



التمهيـــــــــــــــد

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: معنى التوحيد لغة وشرعاً وأنواعه

المطلب الثاني: معنى العبادة لغة وشرعاً وأنواعها

المطلب الثالث: خطورة الانحراف في توحيد العبادة وشناعته

المطلب الرابع: حماية المصطفى ح جناب التوحيد

المطلب الخامس: تاريخ دخول الإسلام في إندونيسيا

المطلب الأول: معنى التوحيد لغة وشرعاً وأنواعه

توطئة(1):

لا يخفى أن بيان معنى التوحيد أمر له أهميته البالغة، بسبب الخلط الكبير الذي وقع في تعريفه، ولعل من الأمور الغريبة أن تنشأ الحاجة إلى تعريف هذا الباب العظيم الذي لا مدخل إلى دين الإسلام إلا من خلاله، غير أن هذه الغرابة ما تلبث أن تتضح أسبابها للناقد البصير المطّلع على ما وقع في الأمة من ألوان الانحراف العقدي الذي أدّى في أحيان إلى خفاء جملة من الحقائق الشرعية، وأدّى في أحيان أخرى إلى قلب تلك الحقائق، وكان من ذلك المعنى الشرعي المحدد للتوحيد الذي بعث اللّه به رسله لإ وأنزل به كتبه.

والحق أن معنى التوحيد لم يكن ملتبساً على سلف الأمة الذين كان دأبهم الاتباع وترك الابتداع، بل كان أوضح لدينهم من نار على عَلَم، وإنما التبس على كثيرين حين ظهرت طرائق الابتداع وفشا في الناس الإحداث في دين اللّه.

ولعل مما يجلِي حقيقة التوحيد ذلك الإجماع الذي حكاه الإمام ابن المنذر(2) : فقال: $أجمع كل من نحفظ عنه أن الكافر إذا قال: أشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً عبده ورسوله، وأن كل ما جاء به محمد حق، وأبرأ من كل دين خالف دين الإسلام -وهو بالغ صحيح يعقل- أنه مسلم#(3).

وكان هذا الإجماعُ الذي حكاه إجماعَ السلف الصالح ومن اقتفى أثرهم ، وهو الذي لا تُحصى أدلته ولا تُستقصى حُجَجه إلا بكلفة ومشقة.

أشرع الآن في بيان فروع هذا المطلب:

الفرع الأول: معنى التوحيد لغة:

أصل الكلمة: التوحيد مشتق من أصل لغوي ثلاثي هو $وَحَدَ#(4).

تصريفها: التوحيد على وزن $تفْعِيْل# وهو مصدر قياسي للفعل الثلا ثي المزيد $وَحّدَ# وهو مزيد بتضعيف العين فيه، ومادته وَحِدَ، مثال واوي معتل الفاء كوَرِثَ، أو وَحَدَ كوَعَدَ، يقال: $وَحَدَ ووَحِدَ يَحِدُ وَحْداً#(5).

---

(1) هذه التوطئة مستفادة من جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة للدكتور عبد اللّه بن عبد العزيز العنقري (ص 29) بتصرف يسير.

(2) هو: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر (ولد في عام 242 هـ وتوفي عام 319 هـ)، له تصانيف جليلة كالإجماع، والإشراف في اختلاف العلماء، والمبسوط، والأوسط وغيرها، وكان لا يتقيد في اختياره بمذهب بعينه بل يدور مع ظهور الدليل. انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (3/102-108)، والسير (14/490-492).

(3) الإجماع (ص 154).

(4) مقاييس اللغة لابن فارس (6/90).

(5) ينظر تصريف الكلمة في: تاج العروس للزبيدي (9/264)، ومعجم تصريف الأ

معناها لغة: أصل هذه الكلمة يدل على الانفراد، كما قال ابن فارس[1]: في مادة $وحد#: $أصل واحد يدل على الانفراد، من ذلك الوَحْدَة، وهو واحدُ قبيلتِه: إذا لم يكن فيهم مثله#[2].

و$الوَحَدُ: كل شيء انفرد فهو وحد#. وهذا قول جمع من أهل اللغة[3].

وقال الحافظ أبو القاسم التيمي[4] :: $ومعنى وحّدته جعلته منفرداً عما يشاركه أو يشبهه في ذاته وصفاته#[5].

يتبين مما سبق أن مادة $وحد# تدور حول **انفراد الشيء وعدم وجود المثيل له.**

الفرع الثاني: معنى التوحيد شرعاً.

جاء عن جابر بن عبد الله[6] ط في ذكره لحجة النبي ح: $...ورسول الله ح بين أظهرنا، وعليه ين-زل القرآن، وهو يعرف تأويله، وماعمل به من شيء عملنا به، فأهلّ **بالتوحيد**: لبيك اللّهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك...#[7].

وعنه ط قال: قال رسول الله ح: $يعذّب ناس من **أهل التوحيد** في النار حتى يكونوا حُمَماً[8] فيها، ثم تدركهم الرحمة، فَيُخرَجون فيُلقون على باب الجنة، فيَرُش عليهم أهل الجنة الماء، فينبتون كما ينبت الغثاء[9] في

أفعال العربية، للدحداح (ص 250، 515)، وتصريف الأسماء للطنطاوي (ص 51).

(1) هو: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت 395 هـ)، إمام لغوي، من تصنيفاته: مقاييس اللغة، وكتاب المجمل في اللغة. انظر: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، لابن النجار البغدادي (ص 65-66)، والسير (103/17-106).

(2) مقاييس اللغة (90/6).

(3) ينظر: الصحاح للجوهري (548/2)، والكليات لأبي البقاء الكفوي (ص 931).

(4) هو: أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل القرشي التيمي ثم الطلحي الأصبهاني الملقب بقوام السنة، (457-535 هـ)، إمام حافظ، من مؤلفاته: كتاب الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، وكتاب دلائل النبوة. انظر: السير (80/30-88)، تذكرة الحفاظ للذهبي (1277/4-1282).

(5) الحجة في بيان المحجة (322/1).

(6) هو: جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرَام الأنصاري ثم السلمي (ت بعد 70 هـ)، صحابي ابن صحابي، غزا تسع عشرة غزوة. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر (رقم 879).

(7) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي ح (887/2 رقم 1218).

(8) الحمم جمع الحممة أي الفحمة. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (ص 234).

(9) الغثاء في الأصل: كل ما حمله السيل من عيدان وورق وبذور وغيرها، والمراد به هنا: ما حمله من البزور خاصة. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لأبي العلاء المباركفوري (273/7).

حِمَالة السَّيْل[1]، ثم يدخلون الجنة#[2].

نظراً لأهمية هذا المصطلح عند أهل السنة والجماعة، وكونه من الأ سس الكبار وأصول الإسلام العظام؛ تعددت وتضافرت أقوالهم في شرح هذا المصطلح، ومع كثرتها؛ فإن اتفاقهم في معناها يبدو ظاهراً، وإن اختلفت عباراتهم. وسأذكر كلام هؤلاء الأعلام مرتبا حسب التسلسل الزمني؛ الأقدم وفاة فالأقدم:

من أوائل من بيّن المعنى الشرعي للتوحيد **الإمام الشافعي**[3] : (المتوفى سنة 204 هـ) فيما كتبه بيده وفيما نقله عنه تلامذته، فمن ذلك ما رواه عنه تلميذه المزني[4] :؛ فقد جاء رجل إلى المزني يسأله عن شيء من الكلام والتوحيد فقال: $إني أكره هذا، بل أنهى عنه كما نهى عنه الشافعي، ولقد سمعت الشافعي يقول: سألت مالكاً[5] عن الكلام في التوحيد، فقال م الك: مُحال أن نظن بالنبي ح أنه علم أمته الاستنجاء، ولم يعلمهم التوحيد، والتوحيد ما قاله النبي ح: $أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم، وحسابهم على الله #[6] فما

(1) حمالة السيل: ما يحمله السيل من غثاء أو طين، والمراد: أن الغثاء الذي يجيء به السيل يكون فيه الحبة فيقع في جانب الوادي فتصبح من يومها نابتة، قال النووي: $والمراد التشبيه في سرعة النبات وحسنه وطراوته#. شرح صحيح مسلم (24/3).

(2) رواه أحمد في مسنده (374/23 رقم 15198)، والترمذي في سننه، كتاب صفة جهنم، (ص 585 رقم 2597) وقال: $حسن صحيح#، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (37/3 رقم 2597)، وكذا صححه محققوا المسند.

(3) هو: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس الشافعي (150-204 هـ)، الإمام المشهور، أحد أئمة أهل السنة الأربعة، كان ذكيّاً فطناً برع في الأدب واللغة ثم أقبل على الحديث والفقه، وله مصنفات عدة من أشهرها: الأم، والرسالة. انظر: تاريخ بغداد للخطيب (56/2)، وطبقات الشافعية لابن كثير (1/17-110). وللتوسع في معرفة عقيدة الإمام : راجع: منهج الإمام الشافعي : في إثبات العقيدة لشيخنا د. محمد بن عبد الوهاب العقيل.

(4) هو: أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن عمرو بن إسحاق المزني المصري الشافعي (175-264 هـ)، إمام فقيه، قال الشافعي: $المزني ناصر مذهبي#، من مؤلفاته: الجامع الكبير، والجامع الصغير. انظر: طبقات ابن كثير (1/129-132)، والسير (492-497/12).

(5) هو: الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي (93-179 هـ)، إمام دار الهجرة، أحد أئمة أهل السنة الأربعة، من مؤلفاته: الموطأ. انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (204/8-206)، وتهذيب الكمال للمزي (91/27-120). وللتوسع في معرفة عقيدة الإمام : راجع: منهج الإمام مالك : في إثبات العقيدة، للدكتور سعود بن عبد العزيز الدعجان.

(6) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ﭼ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ﭽ التوبة: ٥ (75/1 رقم 25 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال

عُصم به الدم والمال فهو حقيقة التوحيد#[1].

وعن **عثمان بن سعيد الدارمي** [2] : (المتوفى سنة 280 هـ) قال: $تفسير التوحيد عند الأمة وصوابه قول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، التي قال رسول الله ح: $من جاء بها مخلصاً دخل الجنة#[3] و$أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله#[4] من قالها فقد وحّد الله. وكذلك روى جابر بن عبد الله ط عن النبي ح: $أنه أهل بالتوحيد في حجته، فقال: لبيك اللّهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك#[5]... فهذا تأويل التوحيد وصوابه عند الأمة#[6]. وهذا منه : بمثابة نقل الإجماع[7].

تفسير الأئمة السابق ذكرهم للتوحيد بـ $لا إله إلا الله# يدلنا على عمق فهم السلف للتوحيد الذي بعث الله به الرسل لإ، فقد رأى هؤلاء -رحمهم الله- أن توحيد الألوهية -وهو إفراد الله بالعبادة- هو حقيقة التوحيد ، فمن أتى به فقد أدى حق الله تبارك وتعالى عليه، لأنه متضمن للإقرار بربوبية الله على خلقه وللإيمان بأسمائه وصفاته، وأن هذا النوع هو الذي قاتل النبي ح الناس من أجله وهم يقرون بربوبية الله سبحانه وتعالى على خلقه[8].

الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (51/1-53 رقم20-23).

(1) السير (26/10).

(2) هو: أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي التميمي الشافعي (ت 280 هـ)، إمام حافظ ناقد، أخذ الفقه عن البويطي صاحب الشافعي، وتصدر للرد على المبتدعة من الجهمية وغيرهم، من مؤلفاته: نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد. انظر: طبقات السبكي (302/2-306)، والسير (319/13-326). وللتوسع في معرفة عقيدة الإمام : راجع: الإمام عثمان بن سعيد الدارمي ودفاعه عن عقيدة السلف، لمحمد محمود أبو رحيم.

(3) أخرجه أحمد في مسنده (381/36-382 رقم22060) بلفظ: $من شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه أو يقيناً من قلبه لم يدخل النار أو دخل الجنة#، وصححه محققوا المسند. وروى ابن حبان في صحيحه (429/1-430 رقم 200 -الإحسان)، بلفظ: $من شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة# وصحح إسناده شعيب الأرنؤوط، وانظر: صحيح الجامع الصغير (1083/2 الأرقام 6318، 6319، 6320).

(4) مضى تخريجه قريباً.

(5) مضى تخريجه قريباً في الصفحة السابقة.

(6) نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد (ص 7-8).

(7) جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة (ص 38).

(8) انظر: منهج الإمام الشافعي : في إثبات العقيدة، للشيخ د. محمد بن عبد الوهاب

وعن **أبي جعفر الطحاوي**[1] : (المتوفى سنة 321 هـ) قال: $نقول في توحيد اللّه، معتقدين بتوفيق اللّه: إن اللّه واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره#[2].

وقال **شيخ الإسلام ابن تيمية**[3] : (المتوفى سنة 728 هـ): $وهذا حقيقة التوحيد وهو أن لا يشركه شيء من الأشياء فيما هو من خصائصه#[4].

وعن **الحافظ ابن حجر**[5] : (المتوفى سنة 852 هـ) قال: $المراد بتوحيد اللّه تعالى الشهادة بأنه إله واحد#[6]. $وهذا التعريف هو في معنى شهادة أن لا إله إلا اللّه#[7]. وعلى هذا، يُوَجّه تعريف الحافظ كما يُوَجّه تعريف الإمام مالك والإمام المزني -رحمهم اللّه-.

وقال **العلامة السفاريني**[8] : (المتوفى سنة 1188 هـ): $وهو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفات وأفعالا ً#[9].

العقيل (ص 241-242).

(1) هو: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي (239-321 هـ)، قد عاصر الأئمة الحفاظ من أصحاب الكتب الستة ومن كان في طبقتهم، من مؤلفاته: بيان السنة (العقيدة الطحاوية)، وشرح مشكل الآثار. انظر: السير (15/27-33)، وتذكرة الحفاظ (3/808-811).

(2) العقيدة الطحاوية (ص 18-19).

(3) هو: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الشهير بابن تيمية (661-728 هـ)، الشيخ الإمام العلم المجتهد المجاهد الرباني، ناصرالسنن وقامع البدع. من مصنفاته الكثيرة: منهاج السنة، ودرء تعارض العقل والنقل. خُصّت تصانيف في سيرته منها: العقود الدرية لتلميذه ابن عبدالهادي.

(4) مجموع الفتاوى (3/74).

(5) هو: أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد الكناني العسقلاني الشافعي، ويعرف بابن حجر (773-852 هـ)، مرجع المحدثين ممن جاء بعده، صاحب فتح الباري أشهر وأفضل شروح البخاري المطبوعة. انظر: الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، للسخاوي. وللتوسع في معرفة عقيدته راجع: منهج الحافظ ابن حجر في تقرير العقيدة من خلال كتاب فتح الباري، لمحمد إسحاق كندو.

(6) فتح الباري (13/348).

(7) منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة من خلال كتابه $فتح الباري#، لمحمد إسحاق كندو (1/224).

(8) هو: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني شمس الدين أبو العون (1114-1188 هـ) ، عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق، من مؤلفاته: لوامع الأنوار البهية. انظر: ا لأعلام للزركلي (6/14).

(9) لوامع الأنوار البهية (1/57).

وقال الشيخ ابن عثيمين[1] : (المتوفى سنة 1421 هـ): $وفي الشرع هو إفراد الله بما يختص به علماً وعقيدة سواء كان مما يتعلق بأسمائه وصفاته وأفعاله أو عبادته#[2].

وهكذا يلاحظ التشابه بين هذه التعاريف التي مرت، ولعل من أوضحها هو تعريف الشيخ ابن عثيمين :.

الفرع الثالث: أنواع التوحيد.

التوحيد -كما سبق بيانه- هو: إفراد الله سبحانه بما يختص به، وهذا الفرع الثالث إنما يبحث عن الجزء الثاني من هذا التعريف -أي بما يختص الله سبحانه به-.

ينقسم التوحيد باعتبار تعلقه بالله سبحانه إلى ثلاثة أقسام:

1. توحيد الربوبية.
2. توحيد العبادة أو الألوهية.
3. توحيد الأسماء والصفات.

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي :: $نقول في توحيد الله، معتقدين بتوفيق الله: أن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره#[3].

وقال الحافظ ابن حبان البستي[4] : (المتوفى سنة 354 هـ) في مقدمة كتابه $روضة العقلاء ونزهة الفضلاء#: $الحمد لله المتفرد بوحدانية الألوهية، المتعزز بعظمة الربوبية، القائم على نفوس العالم بآجالها، والعالِم بتقلبها وأحوالها، المانّ عليهم بتواتر آلائه، المتفضل عليهم بسوابغ نعْمَائه، الذي أنشأ الخلق حين أراد بلا معين ولا مشير، وخلق البشر كما أراد بـ لا شبيه ولا نظير، فمضت فيهم بقدرته مشيئتُه، ونفذت فيهم بعزته إرادتُه...#[5].

ويقول الإمام ابن بطة العكبري[6] : (المتوفى سنة 387 هـ): $إن

(1) هو: أبو عبد الله محمد بن صالح بن عثيمين الوهيبي التميمي (1347-1421 هـ)، العلامة الفقيه، نافح عن عقيدة السلف، من مؤلفاته الكثيرة: الشرح الممتع على زاد المستقنع، وتقريب التدمرية. انظر: الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين العلمية والعملية وما قيل فيه من المراثي، لوليد بن أحمد الحسين.
(2) التعليقات على كشف الشبهات (ص 15).
(3) العقيدة الطحاوية (ص 18-19).
(4) هو: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي البستي (ت 354 هـ)، من فقهاء الدين وحفاظ الآثار، صنف صحيحه وكتاب الضعفاء وغيرهما. انظر: تذكرة الحفاظ (3/920-924).
(5) روضة العقلاء (ص 14).
(6) هو: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي ابن بطة (304-387 هـ)، إمام محدث، شيخ العراق، صاحب الإبانة الكبرى والصغرى.

أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلا ثة أشياء:

أحدها: أن يعتقد العبد ربّانيته، ليكون بذلك مبايناً لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعاً.

والثاني: أن يعتقد وحدانيته، ليكون مبايناً بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

والثالث: أن يعتقده موصوفاً بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفاً بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه#[1].

تقسيم التوحيد إلى هذه الأقسام الثلاثة استنبطه العلماء بعد استقراء تام لنصوص الكتاب والسنة، فقد دل الكتاب والسنة -بأنواع من الأدلة- على هذه الأقسام الثلاثة منطوقاً ومفهوماً، وذكرها العلماء في تصنيفاتهم تصريحاً وتلويحاً، بعبارات متنوعة وبألفاظ مختلفة[2].

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[3] :: $وقد دل استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام: ... ثم ذكر : تلك الأ قسام الثلاثة#[4].

ويقول الشيخ بكر أبو زيد :: $هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن مندة[5]، وابن جرير الطبري[6]، وغيرهما، وقرره

انظر: طبقات الحنابلة لأبي يعلى (3/256-273)، والسير (16/529).

(1) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (الكبرى)، الكتاب الثالث (2/172-173).

(2) وانظر النصوص الأخرى عن الأئمة التي تبين هذه الأقسام الثلاثة للتوحيد في: المختصر المفيد في بيان دلائل أقسام التوحيد لشيخنا أ. د. عبد الرزاق بن شيخنا عبد المحسن العباد البدر (ص 32-47)، والشرك في القديم والحديث، لأبي بكر محمد زكريا (1/81-97).

(3) هو: الشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر محمد أحمد الجكني الشنقيطي (1325-1393 هـ)، مفسر أصولي، من مؤلفاته: أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، والمنهج والدراسات في آيات الأسماء والصفات. انظر ما كتبه الشيخ عطية محمد سالم : عن الشيخ : في نهاية كتاب أضواء البيان، وللتوسع أنظر: جهود الشيخ الإمام محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيد السلف ، د. عبد العزيز بن صالح الطويان.

(4) أضواء البيان (3/410-411).

(5) في كتابه التوحيد وإثبات صفات الرب (3/304-306). وابن مندة هو: الإمام الحافظ الجوال أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة العبدي الأصبهاني (383-470 هـ)، من تصانيفه النافعة: كتاب الإيمان وكتاب التوحيد. انظر: طبقات الحنابلة (2/167)، والسير (17/28-43).

(6) في تفسيره (13/371-372)، عند تفسير الآيتين 105و 106 من سورة يوسف.

شيخ الإسلام ابن تيمية[1]، وابن القيم[2]، وقرره الزبيدي[3] في $تاج العروس#[4]، وشيخنا الشنقيطي في $أضواء البيان#[5]، في آخرين -رحم الله الجميع-. وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كل فن، كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم، وفعل، وحرف، العرب لم تفُه بهذا ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء#[6] فهذه حقيقة شرعية قررها العلماء بالتتبع والفهم الكامل لنصوص الوحي.

ثم أشرع الآن في بيان كل نوع من أنواع هذا التوحيد:

والطبري هو: الإمام محمد بن جرير بن يزيد الطبري، (224-310هـ)، شيخ المفسرين وعمدتهم، صاحب التصانيف البديعة أشهرها: تفسيره المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن. انظر: تاريخ بغداد (2/162-169)، والسير (14/267-282).

(1) في عدة مواضع، منها في مجموع الفتاوى (1/367-368، 22/447-448)، ودرء تعارض العقل والنقل (1/224-226).

(2) في عدة مواضع، منها في مدارج السالكين (1/24-25)، وبدائع الفوائد (1/243-244). وابن القيم هو: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ثم الدمشقي الشهير بابن قيم الجوزية (691-751 هـ)، العلامة الفقيه، المفسر، النحوي، الأصولي، لازم شيخ الإسلام، ومن مصنفاته الكثيرة: تهذيب السنن ، وزاد المعاد. انظر: الوافي بالوفيات للصفدي (2/195-197 –ط. دار إحياء التراث العربي)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد (6/168-171).

(3) هو: محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي (1145-1205 هـ)، لغوي نحوي محدث، من مؤلفاته: تاج العروس، وإتحاف السادة المتقين. انظر: معجم المؤلفين، لكحالة (3/681).

(4) لم أجده فيه.

(5) (3/373-374).

(6) التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير (ص 30).

النوع الأول: توحيد الربوبية:

الرب يطلق في اللغة على المالك والسيد والمدبر والمربي والقيم و المصلح والمنعم[1].

فتوحيد الربوبية هو: $**توحيد الله بأفعاله.** وأفعال الله كثيرة، منها: الخلق، والرّزق،والإحياء، والإماتة، وتدبير الملك، والنفع، والضّر، والشفاء، ... ونحو ذلك من أفراد الربوبية، فالمتفرد بذلك على الكمال هو الله جل وعلا #[2].

من أدلة هذا النوع قوله تعالى: ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙﭼ الفاتحة: 2.

$وهذا النوع من أقر به وحده لا يكون مسلماً؛ لأنه قد أقر به الكفار، كما ذكر الله في القرآن في آيات كثيرة: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚﯛ ﯜ ﯝ ﯞﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤﭼ لقمان: 25، ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸﭼ يونس: 31، ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢﭼ النمل:64، إلى غير ذلك من الآيات التي أخبر الله أن المشركين يقرون بأن الله هو الخالق، والرازق، والمحيي، والمميت، ومع هذا لا يكونون مسلمين، لماذا؟ لأنهم لم يأتوا بالنوع الثاني، الذي هو مدار المطلوب#[3].

يقول الإمام ابن قتيبة[4] : مبيناً كون المشركين مقرين بربوبية الله: $فلست واجداً أحداً إلا وهو مقر بأن له صانعاً ومدبراً، وإن سماه بغير اسمه ، أو عبد شيئاً دونه ليقربه منه عند نفسه، أو وصفه بغير صفته، أو أضاف إليه ما تعالى عنه علواً كبيراً، قال تعالى: ﭽ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ الزخرف: ٨٧#[5][6].

(1) انظر المعاني اللغوية في: النهاية في غريب الحديث (ص 338)، وتهذيب اللغة لأزهري (176/15)، ومفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني (ص 336-338).

(2) التمهيد لشرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، للشيخ صالح آل الشيخ (ص 6).

(3) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، للشيخ د. صالح بن فوزان الفوزان (ص 20).

(4) هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد (276-213 هـ)، الإمام العالم الكاتب الأديب اللغوي، من مصنفاته: تأويل مختلف الحديث، والشعر والشعراء. انظر: تاريخ بغداد (170/10)، والسير (296/13 وما بعدها)._

(5) تأويل مختلف الحديث (ص 261).

(6) وهناك أقول أخرى للعلماء -المتقدمين منهم والمتأخرين- تصرّح بكون المشركين يعترفون بتوحيد الربوبية. راجع: الدعاء ومنـزلته من العقيدة الإسلامية، لجيلان بن خضر العروسي (869-863/2).

النوع الثاني: توحيد العبادة أو الألوهية.

ويقال أيضاً توحيد الإلهية، والإله هو المألوه الذي تأله القلوب وتعبده، مأخوذ من أله يأله بمعنى عبد يعبد[1].

وتوحيد العبادة هو: $إفراد الله تعالى بالعبادة#[2]. وهذا غير إفراده بالخلق والرزق والتدبير، بل إفراد الله بالعبادة؛ بأن لا يُعبَد إلا الله ، لا يُصلى، ولا يُدعى، ولا يُذبح، ولا يُنذر، ولا يُحج، ولا يُعتمر، ولا يُتصدق، ولا ... إلى آخره؛ إلا لله ، يبتغى بذلك وجه الله .

من أدلة هذا النوع من التوحيد قول الله تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ البينة: 5، وقوله سبحانه: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ الإسراء: 23.

وهذا التوحيد هو الذي وقعت الخصومة فيه بين الرسل والأمم. أما النوع الأول فما وقعت فيه خصومة، لأن الأمم مقرة بربوبية الله كما سبق قريباً ذكر الأدلة من القرآن الكريم على ذلك.

أما توحيد العبادة والألوهية، فهذا قلّ من الخلق من أقرّ به، ما أقرّ به إلا المؤمنون أتباعُ الرسل لا. أما عموم الكفار، فإنهم ينكرون توحيد الألوهية، بمعنى: أنهم لا يفردون الله بالعبادة، حتى وإن أقروا بالنوع الأول وهو توحيد الربوبية، حتى وإن عبدوا الله ببعض أنواع العبادة.

ولهذا لما قال لهم النبي ح: $قولوا لا إله إلا الله تفلحوا#[3]، قالوا: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ [ص: 5-9]. فهم أبوا أن يقولوا $لا إله إلا الله# -الذي مقتضاه إفراد الله بالعبادة وترك عبودية ما سواه، وهذا هو توحيد الألوهية-، مع اعترافهم بتوحيد الربوبية.

ولذلك لما كان إيمان أكثر الكفار بربوبية الله مسألةً مفروغاً منها، حَسُن الاحتجاج عليهم بهذا الإيمان الذي أقروا به؛ ليكون نقطة البدء بدعوتهم إلى توحيد العبادة الذي تنكبوه.

يقول أبو المظفر السمعاني[4] : في تفسير قوله تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ

---

(1) انظر: مقاييس اللغة (127/1)، وتفسير الأسماء الحسنى للزجاج (ص 26)، وقال :: $ومعنى قولنا إله: إنما هو الذي يستحق العبادة، وهو تعالى المستحق لها دون من سواه#، ومجموع الفتاوى (136/1، 249/10).

(2) إعانة المستفيد (20/1).

(3) رواه ابن خزيمة في صحيحه (82/1 رقم 159)، والحاكم في المستدرك (611-612/2) وصححه، ووافقه الذهبي.

(4) هو: العلامة منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي الحنفي ثم الشافعي (426-489 هـ)، برع في مذهب أبي حنيفة واستمر عليه ثلاثين عاماً ثم تركه وتحول شافعياً فاضطربت لذلك بلدة مَرْو، وشُدِّد عليه، ومال إلى طريقة السلف ونصرها، له تفسير متوسط، وكتاب الانتصار، وكتاب المنهاج لأهل السنة وغيرها. انظر:

ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ[الزخرف: ٩]: $أي: ولئن سألت المشركين مَن خالق السماوات والأرض؟ ﭽﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼوهذا على طريق التعجب من حالهم، أي كيف يعبدون الأصنام ويزعمون أن لله شريكاً، وقد أقروا أن الله تعالى خالق السماوات والأرض#[1].

وهذا من الاستدلال على التوحيد الذي جحدوه بالتوحيد الذي أقروا به، مع بيان تناقضهم في الإيمان بأحدهما دون الآخر.

كما بين الزركشي[2] : أن قوله تعالى: ﭽﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ[يونس: ٣١] إنما سِيق $للاحتجاج عليهم بما أقروا به، من كونه تعالى هو رازقهم، ومالك أسماعهم وأبصارهم، ومدبر أمورهم، بأن يُخرِج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي؛ فلما كانوا مقرين بهذا كله؛ حَسُنَ الاحتجاج به عليهم، إذ فاعل هذا هو الله الذي لا إله غيره، فكيف تعبدون معه غيره؟ ولهذا قال بعده: ﭽ ﯻ ﯼ ﭼ أي هم يقرون به ولا يجحدونه#[3].

والآيات مع كلام العلماء عليها في بيان ما تقدّم كثيرة[4]، وفيما سبق ذكره كفاية -إن شاء الله- لبيان المقصود.

والحاصل: أن النوع الثاني -وهو توحيد العبادة- هو الذي بعث الله به الرسل، وأنزل به الكتب، كما قال سبحانه: ﭽﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ النحل: 36، ما قال: أن أقروا بأن الله هو الخالق الرازق؛ لأن هذا موجود، وهو وحده لا يكفي.

النوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات:

لم يكن هذا النوع من التوحيد منفصلاً عند القدماء عن توحيد الربوبية؛ إذ كانوا -رحمهم الله- يرون أن التوحيد نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتوحيد في الطلب و القصد وهو توحيد الألوهية والعبادة[5].

طبقات ابن كثير (489/1-490)، وطبقات السبكي (335/5-346)، والسير (119/19-114).

(1) تفسير القرآن له (92/5).

(2) هو: محمد بن بهادر بن عبد الله التركي الأصل المصري بدر الدين الزركشي الشافعي (745-794 هـ)، عني بالفقه والأصول والحديث، له: البحر المحيط في أصول الفقه، وشرح الأربعين النووية وغيرها. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني (397/3-398)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (167/3-168)، وشذرات الذهب (335/6).

(3) البرهان في علوم القرآن (9/4).

(4) للاستزادة راجع: جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة (ص 173-184).

(5) انظر: فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن حسن (ص 24).

إلا أنه بعد ظهور المذاهب الكلامية[1] وكثرة التأويل والتعطيل، وكذلك التشبيه والتمثيل، اضطر علماء أهل السنة والجماعة إلى إفراد الأ سماء والصفات وجعلها نوعاً مستقلا ً من أنواع التوحيد.

الأسماء اصطلاحاً هي: $التي يدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها#[2].

والصفات اصطلاحاً هي: $ما قام بالذات الإلهية مما يميزها عن غيرها، ووردت به نصوص الكتاب والسنة#[3].

أما تعريف توحيد الأسماء والصفات فهو: إفراد الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى الواردة في القرآن والسنة والإيمان بمعانيها وأحكامها[4] من غير تحريف[5] ولا تعطيل[6]

(1) وأولهم ظهوراً: الجهمية -نسبة إلى جهم بن صفوان (ت 128 هـ)-، ثم المعتزلة، فا لأشعرية والماتريدية. للاستزادة راجع: منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل، لجابر إدريس علي (1/49-56).

(2) شرح الأصبهانية (ص 9).

(3) $الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها# لشيخنا أ. د. محمد بن خليفة التميمي (ص 12).

(4) $معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات# لشيخنا أ. د. محمد بن خليفة التميمي (ص 31).

(5) التحريف هو: تغيير ألفاظ نصوص الأسماء والصفات أو معانيها عن مراد الله تعالى، مثل تحريف إعراب قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ النساء: 164 من الرفع إلى النصب، ومثل تحريف معنى $استوى# بـ $استولى# في قوله تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ طه: 5. انظر: الصواعق المرسلة لابن القيم (1/218).

(6) التعطيل مراده: نفي الأسماء والصفات أو بعضها وسلبها عن الله.

والفرق بين التحريف والتعطيل: أن التعطيل نفي للمعنى الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة، وأما التحريف فهو تفسير النصوص بالمعاني الباطلة التي لا تدل عليها. والنسبة بينهما العموم والخصوص المطلق؛ فإن التعطيل أعم مطلقا من التحريف، بمعنى أنه كلما وجد التحريف وجد التعطيل دون العكس، وبذلك يوجدان معا فيمن أثبت المعنى الباطل ونفى المعنى الحق، ويوجد التعطيل بدون التحريف فيمن نفى الصفات الواردة في الكتاب والسنة وزعم أن ظاهرها غير مراد ولكنه لم يعين لها معنى آخر وهو ما يسمونه بالتفويض. انظر: شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص 21-22).

ومن غير تكييف[1] ولا تمثيل[2].

يقول الإمام الشافعي :: $نثبت هذه الصفات التي جاء بها القرآن ووردت بها السنة، وننفي التشبيه عنه كما نفى عن نفسه، قال: ﭽ ﭡ ﭢ ﭣﭤ [الشورى:11]#[3].

ويقول الإمام ابن كثير[4] :: $ وقد روى عنه [أي: الشافعيّ] الربيعُ[5] وغيرِ واحد من رؤوس أصحابه ما يدل على أنه كان يُمِرُّ آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت، من غير تكييف، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تحريف، على طريقة السلف#[6].

من أدلة هذا النوع من التوحيد، قوله تعالى: ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼالأعراف:180، وقوله: ﭽ ﭡ ﭢ ﭣﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼ الشورى:11.

فيجب علينا الوقوفُ في أسماء الله وصفاته على ما جاءت به نصوص

---

(1) التكييف: هو جعل الشيء على حقيقة معينة من غير أن يقيدها بمماثل، مثال ذلك: قول بعض الفرق عن الله: $طوله كعرضه#. ومعنى قول أهل السنة: $من غير تكييف#: أي من غير كيف يعقله البشر وليس المراد من قولهم: $من غير تكييف# أنهم ينفون الكيف مطلقاً، فإن كل شيء لابد أن يكون على كيفية ما، ولكن المراد أنهم ينفون علمهم بالكيف إذ لا يعلم كيفية ذاته إلا هو سبحانه. انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للشيخ العثيمين (ص 65)، وشرح العقيدة الواسطية للهراس (ص 23).

(2) التمثيل معناه: الاعتقاد في صفات الخالق أنها مثل صفات المخلوقين.

والفرق بين التكييف والتمثيل هو: أن التكييف أن يعتقد أن صفاته تعالى على كيفية كذا، أو يسأل عنها بكيف. وأما التمثيل فهو اعتقاد أنها مثل صفات المخلوقين. انظر: شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص 23).

فتوحيد الأسماء والصفات هو ما خلت فيه الأسماء والصفات الثابتة عن الله ورسوله ح عن هذه المحاذير الأربعة؛ التعطيل والتحريف والتكييف والتمثيل. فمن نفى صفات الرب جل وعلا وعطلها، فقد كذب تعطيلُه توحيدَه، ومن شبّهه بخلقه ومثّله بهم فقد كذّب تشبيهُه وتمثيلُه توحيدَه. انظر:اجتماع الجيوش الإسلامية لا بن القيم (ص 94).

(3) السير (341/20).

(4) هو: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي (700-774 هـ)، محدث، مؤرخ، مفسر، صاحب تفسير القرآن العظيم الذي قال فيه الشوكاني: $وهو من أحسن التفاسير إن لم يكن أحسنها#. انظر: تذكرة الحفاظ (1508/4)، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني (153/1).

(5) هو: الربيع بن سليمان بن عبد الجبار أبو محمد المصري المؤذن المرادي مولاهم (174-270 هـ)، صاحب الإمام الشافعي وناقل علمه وراوي كتبه، إمام محدث فقيه ثقة. انظر: الجرح والتعديل (464/3)، والسير (587/12-591).

(6) البداية والنهاية (138/14-139).

القرآن والسنة الثابتة، لا نزيد على ذلك ولا ننقص منه. فلا نُسَمِّي أو نَصِف الله بما لم يسمِّ أو يَصِف به نفسَه في كتابه أو على لسان رسوله ح. وذلك لأ نه لا طريق إلى معرفة أسماء الله وصفاته إلا من طريق واحد هو طريق الخبر -أي الكتاب والسنة الثابتة-.

يقول الإمام أحمد بن حنبل[1] :: $لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ح لا نتجاوز القرآن والسنة#[2].

ويقول البيهقي[3] :: $لا يجوز وصفه إلا بما دل عليه كتاب الله تعالى أو سنة رسول الله ح أو أجمع عليه سلف هذه الأمة#[4].

ويقول الخطابي[5] :: $ومن علم هذا الباب -أعني الأسماء والصفات- ومما يدخل في أحكامه ويتعلق به من شرائط أنه لا يتجاوز فيها التوقيف، ولا يستعمل فيها القياس#[6].

$وهذا النوع من التوحيد أيضاً لا يكفي في حصول الإسلام، بل لا بد مع ذلك من الإتيان بلازمه، من توحيد الربوبية والإلهية. والكفار يقرون بجنس هذا النوع، وإن كان بعضهم قد ينكر بعض ذلك، إما جهلا ً وإما

---

(1) هو: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (164-241هـ)، كان آية في العلم والحفظ والعبادة، نصر السنة ورد المبتدعة وصبر في المحنة، وله عدة مصنفات. انظر: طبقات الحنابلة (8/1 وما بعدها)، والسير (177/11-358). وللتوسع في معرفة عقيدة الإمام : راجع: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، للدكتور عبد الإله بن سليمان الأحمدي.

(2) الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية (ص 61).

(3) هو: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي الشافعي (384-458 هـ)، علامة، ألف كتباً لعلها تقارب ألف جزء، جمع فيها بين علم الفقه والحديث، منها: السنن الكبرى ودلا ئل النبوة. وكان : ذا مكانة كبيرة في المذهب الشافعي، حتى قال أبو المعالي الجويني :: $ما من شافعي إلا وللشافعي في عنقه منة، إلا البيهقي؛ فإن له على الشافعي منة؛ لتصانيفه في نصرة مذهبه#. انظر: طبقات ابن الصلاح (332/1-336)، وطبقات السبكي (8/4-16)، والسير (163/18-170). وللتوسع في معرفة عقيدته راجع: البيهقي وموقفه من الإلهيات، للدكتور أحمد بن عطية الغامدي.

(4) الأسماء والصفات (276/1)، كما نقله عنه أيضاً الحافظ في فتح الباري (373/8).

(5) هو: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي الخطابي الشافعي (319-388 هـ)، الإمام الشهير، له كتاب معالم السنن، وغريب الحديث وغيرها. انظر: السير (24/17 وما بعدها)، وطبقات ابن كثير (301/1 وما بعدها)، وطبقات السبكي (282/3 وما بعدها). وللتوسع في معرفة عقيدته راجع: الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة للحسن بن عبد الرحمن العلوي.

(6) شأن الدعاء (ص 111).

عناداً#[1].

هذه هي أقسام التوحيد الثلاثة، وهناك تقسيمات أخرى لعلماء أهل السنة للتوحيد باعتبارات مختلفة[2]، وهي في الحقيقة $عبارة عن تفسير وتوضيح وشرح لنصوص كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله ح، والخلاف الذي بينهم في تقسيم التوحيد وبيان أنواعه خلاف لفظي، لأنهم جميعاً يتفقون على أن أنواع التوحيد لا تخرج عن هذه الأنواع الثلاثة السابقة#[3]، والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(1) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الله (ص 27).

(2) انظر: التقسيمات المتعلقة بأنواع التوحيد الثلاثة، لمحمد عارف عبد الحكيم (ص 39-51)، والمصطلحات المستعملة في توحيد الألوهية عند السلف، لمحمد بن عبد الله باجسير (ص 62-73).

(3) ابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح عقيدة السلف، للدكتور عبد الله بن سليمان الغفيلي (ص 147).

المطلب الثاني: معنى العبادة لغة وشرعاً وأنواعها

توطئة:

إن الله خلق الخلق لعبادته الجامعة لكمال الحب بغاية الذل و الخضوع والانقياد لأمره، فقال تبارك وتعالى: ﭽ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭼ الذاريات: 56.

والعبودية[1] هي سبب إنزال الكتب، فقد قال سبحانه: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ النحل: 2. وهي أيضاً سبب إرسال الرسل لإ، فقال عز وجل: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ الأنبياء: 25.

ولذلك؛ فإن العبادة هي أعظم ما يحصِّله العبد في حياته الدنيا؛ لتكون وسيلة نجاته في الدار الأخرى. وعلى قدر اجتهاد العبد في تحقيق العبادة وتكميلها، تكتمل محبة العبد لربه، وتتحقق محبة الرب لعبده[2].

ولما كانت العبادة بهذه المكانة العظيمة في دين الإسلام، وجب على كل مسلم معرفة حقيقتها وأقسامها وشروطها وغير ذلك مما يتصل بها. فهذا المطلب -بإذن الله- محاولة لبيان بعض تلك الأمور المتعلقة بهذا الأمر العظيم ألا وهو العبادة.

- الفرع الأول: معنى العبادة لغة:

أصل الكلمة: العبادة مشتقة من أصل لغوي ثلاثي هو (عَبَدَ)[3].

تصريفها: العبادة على وزن (فِعَالَة)، وهي مصدر قياسي للفعل الثلاثي (عَبَدَ)، ومضارعه (يَعْبُدُ)، من باب نصر[4].

معناها لغةً: لقد تعددت المعاني اللغوية لمادة (عبد) وإليكم أهمها:

1. الخضوع والذلة: يقال: طريق معبّد، وهو المذلل الموطوء.
2. القوة والصلابة: يقال: هذا ثوب له عَبَدَة إذا كان صفيقاً قوياً.
3. الأنفة والكراهة: يقال: عَبِدَ عَبَداً فهو عَبَدٌ وعابِدٌ: غضب وأنف، والاسم العَبَدَةُ.
4. الطاعة.

---

(1) قال الراغب: $العبودية: إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها؛ لأنها غاية التذلل ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله تعالى#. مفردات ألفاظ القرآن (ص 542).

(2) انظر: مدارج العبودية من هدي خير البرية، للشيخ سليم بن عيد الهلالي (ص 6-7) بتصرف يسير.

(3) مقاييس اللغة (4/205-206).

(4) ينظر تصريف الكلمة في: معجم تصريف الأفعال العربية (ص 126، 498)، تصريف الأسماء (ص 51).

5. التنسك[1].

هذه أهم المعاني اللغوية لمادة عبد، والمتأمل فيها يجدها ترجع إلى أصلين اثنين: الخضوع والذلة، والقوة والصلابة، وأقربهما إلى المعنى الشرعي للعبادة هو الأصل الأول، وهو الخضوع والذلة، والله اعلم[2].

- **الفرع الثاني: معنى العبادة شرعاً:**

قال الله تعالى: ﭽ ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تمتى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج ﭼ الكهف: 110.

العبادة في الشرع أصلها مأخوذة من معناها اللغوي الذي هو الذل و الخضوع[3].

وأما الإطلاق الشرعي للعبادة: فقد قال ابن حبان : في تعريفها: $عبادة الله: إقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالأركان#[4].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :: $العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة#[5].

وعرفها الحافظ ابن كثير : بقوله: $عبارة عما يجمع كمال المحبة، و الخضوع والخوف#[6]، لأن الحب الكامل مع الذل التام يتضمن طاعة المحبوب والانقياد له، فالعبد هو الذي ذلّلـه الحب والخضوع لمحبوبه، فطاعة العبد لربه تكون بحسب محبته وذله له[7].

وعرفها الحافظ ابن حجر : بأنها: $عمل الطاعات واجتناب المعاصي#[8].

ولعل الأصل في اختلاف العبارات بين السلف في تعريف العبادة يرجع إلى أمرين هما: أن العبادة تطلق مصدراً ويعنى بها التعبد، بمعنى فعل العبد[9]، وتطلق اسماً ويعنى بها: المتعبد به[10].

(1) ينظر معنى الكلمة في: مقاييس اللغة (4/205-206)، والصحاح (2/502-504)، ولسان العرب لابن منظور (9/10-15).
(2) المصطلحات المستعملة في توحيد الألوهية عند السلف (ص 536).
(3) وهذا المعنى اتفقت عليه كتب اللغة الآتية: تهذيب اللغة للأزهري (2/234)، و الصحاح (2/503)، ولسان العرب (9/11-12).
(4) صحيح ابن حبان (1/442)، كما نقله عنه ابن حجر في الفتح (11/339)، وهذا التعريف هو عين تعريف الإيمان عند السلف.
(5) العبودية (ص 4)، وفي مجموع الفتاوى (10/149).
(6) تفسير ابن كثير (1/134).
(7) الشرك في القديم والحديث (1/149).
(8) فتح الباري (11/339).
(9) ينظر: تقريب التدمرية للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ص 113).

فالعبادة تعريفها على المعنى الأول: $التذلل لله محبة وتعظيماً بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه#[2]، وعليه يحمل قول ابن كثير :: $عبارة عما يجمع كمال المحبة، والخضوع و الخوف#[3]، وقول غيره كابن القيم :: $عبادة الله وحده التي هي: كمال محبته والخضوع والذل له#[4].

فإذا كانت العبادة (بمعنى التعبد أي فعل العباد) هي: الطاعة المصحوبة بأقصى الخضوع الممزوج بغاية الحب، ففي أي شيء تكون هذه الطاعة؟. هذا ما يذهب بنا إلى أن نتعرف على معنى العبادة على الاسمية، أعني بحسب المتعبد به، فأقول:

أما العبادة باعتبارها اسماً -أي باعتبار المتعبد به-، فتعريفها: $العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة و الظاهرة#[5]. وهو المقصود بتعريف الحافظ ابن حجر : وتعريف ابن حبان : اللذين تقدم ذكرهما.

فعُلِم بهذا أن جميع أمر الدين من الاعتقادات والإرادات والأقوال والأ عمال داخلة في مسمى العبادة، فمفهوم العبادة في الإسلام شامل وواسع جداً؛ فهي تشمل الحياة كلها، وكيان الإنسان كله.

بهذا نخلص بنتيجة: أن **العبادة شرعاً** لها إطلاقان:

إطلاق باعتبارها فعل العبد، وتعريفها حينئذ: **$التذلل لله محبة وتعظيماً بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه#**[6].

وأما باعتبارها المتعبّد به، فهي: $اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة#[7]، والله تعالى أعلى وأعلم.

- **الفرع الثالث: أنواع العبادة:**

تقدم أن معنى العبادة معنى شامل للأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، وعلى هذا فإن حصر أنواع العبادات وعدها والجزم بذلك أمر فيه صعوبة؛

---

(1) ينظر: المصدر السابق.
(2) وهو تعريف الشيخ محمد بن صالح العثيمين، كما في مجموع فتاوى ورسائله (88/1).
(3) تفسير ابن كثير (134/1).
(4) روضة المحبين (ص 64)، وانظر أيضاً كلام ابن القيم في: الوابل الصيب (ص 12)، ومدارج السالكين (74/1)، وإغاثة اللهفان (840/2).
(5) العبودية (ص 4)، وفي مجموع الفتاوى (149/10).
(6) المجموع الثمين من فتاوى ابن عثيمين (25/2).
(7) العبودية (ص 4)، وفي مجموع الفتاوى (149/10).

لكثرة ما يقع عليه اسم العبادة من الأعمال إذا اقترنت بـالله، إلا أنها في الجملة لا تخرج عن كونها عمل قلب، أو عمل جوارح، أو قول لسان، أو مشتركة فيما بين ذلك[1]. وقد دلت على ذلك أقوال أئمة الإسلام:

يقول الإمام الشافعي : مبيّناً ما ابتَلى الله به خلقه من التكاليف: $وابتلى طاعتَهم بأن تعَبّدهم بقول وعمل وإمساك عن محارم حَمَاهُمُوها#[2]. قوله : قول وعمل تدخل فيه العبادات القلبية إذ هي إما قول القلب كاعتقاد أسماء الله وصفاته، وإما عمل القلب كالمحبة والتوكل.

وقال ابن حبان :: $عبادة الله: إقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بـ الجوارح#[3].

عرّف الماوردي[4] : العبادة بأنها: $ما ورد التعبد به قربة لله#[5]، ثم أوضحها : حين ذكر الأقسام التي كلف الله بها عباده: $وجعل ما كلفهم به ث لاثة أقسام: قسماً أمرهم باعتقاده، وقسماً أمرهم بفعله، وقسماً أمرهم بالكف عنه#[6]. العبادات القولية داخلة في القسم الذي أمر العباد بفعله، لأنها من المأمورات.

وقال ابن القيم :: $فصل، ورحى العبودية تدور على خمسة عشر قاعدة، من كملها كمل مراتب العبودية، وبيانها: أن العبودية منقسمة على القلب، واللسان، والجوارح، وعلى كل منها عبودية تخصه، وهي لكل واحد من القلب، واللسان، والجوارح#[7].

وقال السويدي الشافعي[8] :: $العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله

---

(1) جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح توحيد العبادة، للدكتور أحمد بن عبد الله الغنيمان (ص 408).
(2) الرسالة (ص 17).
(3) نقله عنه ابن حجر في الفتح (399/11).
(4) هو: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت450 هـ)، من كبار الشافعية، وأحد أصحاب الوجوه في المذهب، من أشهر كتبه: كتاب الحاوي وهو شرح لمختصر المزني، وله أدب الدنيا والدين والأحكام السلطانية، وغيرها. انظر: طبقات السبكي (267/5-285)، والسير (64/18-68).
(5) الحاوي الكبير (89/1).
(6) أدب الدنيا والدين (ص 95).
(7) مدارج السالكين (109/1).
(8) هو: ناصر الدين علي بن محمد سعيد بن عبد الله السويدي العباسي (ت 1237)، أحد أئمة القرن 13، برع في علم الحديث فشرح المناوي الصغير، واشتهر كتابه العقد الثمين في بيان مسائل الدين. انظر ترجمته في: جلاء العينين في محاكمة ا لأحمدين، لابن الآلوسي (ص 42).

ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة#[1].

من هذا العرض يتضح لنا أن العبادة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: العبادات القلبية:

ويعرف هذا النوع بـ$العبادات الاعتقادية#، ويشمل الاعتقاد بانفراد الله بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وكل ما ينطوي عليه القلب من الإيمان والإقرار لله بأن له الخلق والأمر، بيده النفع والضر، والتصديق بما أخبر به النبي ح من الأمور الغيبية، والإخلاص لله بمحبته، والخوف و الرجاء منه، والتوكل عليه، والاستعانة به، والخضوع والتذلل له، والاستكانة والإنابة إليه، والصبر وإخلاص النية في عبادته، ونحو ذلك[2].

الثاني: العبادات اللسانية:

ويعرف بـ$العبادات اللفظية أو القولية#، وهي ما يختص باللسان تعبيراً عما في القلب من اعتقادات. ومن أنواعها: النطق بكلمة التوحيد وهو أعلاها، وتلاوة القرآن، والأذكار بكل أنواعها، والدعاء، والاستعاذة، والاستغاثة، والشكر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله بالقول، و النصح في الدين، وبيان بطلان البدع، ونشر العلم، والذب عن الله وعن رسوله ح باللسان، ورد السلام، وصدق الحديث، وإرشاد الضالين، ونحو ذلك[3].

الثالث: العبادات العملية:

وهي المعروفة بـ$العبادات البدنية#، وهي أعمال الجوارح، وتأتي في مرحلة تنفيذ ما وقر في القلب ونطق به اللسان، وتطبيق ذلك في جميع أعمال المرء وتصرفاته.

ويدخل في ذلك جميع الأعمال المتعلقة بالصلاة، من وضوء، ومشي إلى المساجد، وقيام، وركوع، وسجود، وكذلك الصيام، والذبح، والجهاد العملي، والسعي في طلب العلم، وجميع أعمال الحج، ومساعدة العاجز، والإ حسان إلى الخلق، ونحو ذلك[4].

(1) العقد الثمين (ص 69)، وهو في الأصل تعريف لشيخ الإسلام ابن تيمية :، كما في العبودية (ص 4)، وإنما نقلته عن السويدي لكون من علماء الشافعية. راجع (ص 10) من هذه الرسالة.

(2) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (10/149-150)، مدارج السالكين (1/110-111)، وتطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد للصنعاني (ص 78)، ومجموعة التوحيد النجدية (ص 400-401)، والجامع الفريد لعبد الله الجار الله (ص 9-10)، وعقيدة التوحيد في القرآن الكريم لمحمد ملكاوي (ص 106-107).

(3) انظر: المراجع السابقة.

(4) انظر: مجموع الفتاوى (10/149-150)، مدارج السالكين (1/114-116)، وتطهير الاعتقاد (ص 78)، ومجموعة التوحيد النجدية (ص 400-401)، والجامع الفريد (ص 9-10)، وعقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص 106-107).

وكذلك كل ما يقوم به المسلم من جميع الأعمال المباحة إذا اقترنت بـ النية الصالحة، فإنها تنقلب عبادات عملية يثاب عليها صاحبها، كالبيع و الشراء، والسعي في كسب الرزق الحلال وأعمال الصناعة والزراعة إذا قصد به الاستغناء عن التكفف، وكذلك الأكل إذا قصد به التقوي على طاعة الله [(1)].

ولا يعني هذا التقسيم أن كل نوع مستقل عن الآخر، بل هذه الأقسام مترابطة لا ينفك بعضها عن بعض، إلا أن هذا التقسيم لتقريب الفهوم وتسهيل إدراك تلك الأنواع أو جلها.

ومن أوضح الأمثلة على ترابطها وتداخلها: الركن الأول من أركان الإسـ لام، حيث إن متعلقه باللسان، وهو من أعمال الجوارح، ولا يقبل قول اللسان ما لم يصحبه الاعتقاد والإيمان القلبي[(2)]، ومما يبين هذا: أن المنافقين لا ينفعهم نطقهم للشهادتين؛ لكون الإيمان لم يدخل في قلوبهم.

وهذا يدل على أن عبادة القلب هي الأصل لقول النبي ح: $إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب#[(3)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :: $والقلب هو الأصل، كما قال أبو هريرة ط: القلب ملك الأعضاء، والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث خبثت جنوده، وهذا كما في حديث النعمان بن بشير المتفق عليه، أن النبي ح قال: $وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب#، فصلاحه وفساده يستلزم صلاح الجسد وفساده...

وكلما أوجبه الله على العباد لابد أن يجب على القلب، فإنه الأصل، وإن وجب على غيره تبعاً. فالعبد المأمور المنهي إنما يعلم بالأمر والنهي قلبُه. وإنما يقصد الطاعة والامتثال القلب. والعلم بالمأمور والامتثال يكون قبل وجود الفعل المأمور به، كالصلاة، والزكاة، والصيام. وإذا كان العبد قد أعرض عن معرفة الأمر وقصد الامتثال، كان أول المعصية منه، بل كان هو العاصي وغيره تبع له في ذلك؛ ولهذا قال في حق الشقي: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ [القيامة:31-32]، وقال في حق السعداء: ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟﭼ [البقرة: 277]، في غير موضع#[(4)].

---

(1) انظر: الفتح (275/12)، والإحياء للغزالي (323/4 وما بعدها).
(2) انظر: مجموع الفتاوى (272/10-273).
(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (126/1 رقم52 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (1219/3 رقم 1599).
(4) مجموع الفتاوى (113/14-114).

والمقصود: بيان أن هذه الأقسام مترابطة، وإن كانت مختلفة الأنواع، والتقسيم إنما يراد به تقريبه للأفهام، لا أن هذه الأقسام من باب تقسيم التضاد، والله أعلم[1].

وسيكون تصنيف الانحرافات في الفصول القادمة على هذه الأنواع الث لاثة، أعني القلب واللسان والجوارح. وإن كان بعض الانحرافات يشترك فيها أكثر من نوع، فسيصنف إلى النوع الأقرب والأقوى صلة به، والله ولي التوفيق.

(1) انظر: جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح توحيد العبادة (ص 408-410).

المطلب الثالث: خطورة الانحراف في توحيد العبادة وشناعته

قبل الحديث عن خطورة الانحراف في توحيد العبادة وشناعته، يجدر بنا معرفة معنى كلمة $الانحراف#، فأقول مستعيناً باللّٰه،
أصل الكلمة: الانحراف مصدر الفعل $انْحَرَفَ#.
تصريفها: اِنْحَرَفَ عنه يَنْحَرِفُ انْحِرَافاً.
معناها لغة: يدور المعنى اللغوي للانحراف على حرف الحاء والراء و الفاء، وهي $ثلاثة أصول: حد الشيء، والعدول، وتقدير الشيء، فأما الحد فحرفُ كل شيء حدُّه، كالسيف وغيره... والأصل الثاني: الانحراف عن الشيء، يقال انحرف عنه ينحرف انحرافاً، وحرّفتُه أنا عنه، أي عدلت به عنه... والأصل الثالث: المحراف، حديدة يقدر بها الجراحات عند العلاج... #[1].

ويطلق الفعل $انحرف# على الميل اليسير؛ فالسهم الذي يميل عن هدفه قليلا ً يقال له انحرف[2]. ويطلق أيضاً على الميل الشديد؛ ومن ذلك ما جاء في حديث جابر قال: $كان معاذ[3] ط يصلي مع رسول اللّٰه ح ثم يرجع إلى قومه فيصلي بهم، فأخر النبي ح الصلاة ذات ليلة فرجع معاذ فأمهم فقرأ بسورة البقرة، فلما رأى ذلك رجل من القوم انحرف إلى ناحية المسجد فصلى وحده#[4].
والمعنى المناسب هنا في هذا الصدد هو المعنى الأخير؛ وهو الميل و العدول عن الشيء، واللّٰه تعالى أعلم.
وإليكم الآن صلب هذا المطلب:
توحيد العبادة أو توحيد الألوهية يتضمن النوعين الآخرين -أعنى توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات- $لأن الألوهية -التي هي صفة- تعم أوصاف الكمال وجميع أوصاف الربوبية والعظمة، فإنه المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال، ولما أسداه إلى خلقه من الفواضل والأ فضال، فتوحده تعالى بصفات الكمال، وتفرده بالربوبية يلزم منه أنه لا يستحق العبادة أحد سواه#[5].

(1) مقاييس اللغة (2/42-43).
(2) انظر: المصباح المنير للفيومي (ص 50).
(3) هو: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن (ت 18هـ)، من أعيان الصحابة، وكان إليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن. انظر: التقريب (رقم 6771).
(4) أخرجه ابن حبان في صحيحه (5/148 رقم 1840-الإحسان)، وأصله في الصحيحين بألفاظ مختلفة.
(5) القول السديد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن السعدي (ص 43).

ومن هنا يدرك المرء خطورة الانحراف في توحيد العبادة وشناعته، كيف لا؟، إذ هو انحراف عن مقصود خلق الخلق وعدول عن الغاية العظمى من إرسال الرسل -عليهم الصلاة والسلام-.

وتظهر خطورة هذا الانحراف من عدة أوجه، منها[1]:

الوجه الأول: أنه أعظم الموانع من دخول الجنة وأعظم أسباب الخلود في النار، قال تعالى: ﭽﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ المائدة: 72.

قال محمد رشيد رضا[2] :: $أمرهم إلا بالتوحيد الخالص وقفى عليه بالتحذير من الشرك والوعيد عليه ببيان أن الحال والشأن الثابت عند الله تعالى هو أن كل من يشرك بالله شيئا ما من ملك أو بشر أو كوكب أو حجر أو غير ذلك، بأن يجعله نداً له أو متحداً به أو يدعوه لجلب نفع أو دفع ضر، أو يزعم أنه يقربه إلى الله زلفى فيتخذه شفيعاً زاعماً أنه يؤثر في إرادة الله أو علمه، فيحمله على شيء غير ما سبق به علمه وخصصته إرادته في الأزل -من يشرك هذا الشرك ونحوه- فإن الله يحرم عليه الجنة في الآخرة، بل هو قد حرمها عليه في سابق علمه وبمقتضى دينه الذي أوحاه إلى جميع رسله، فلا يكون له مأوى ولا ملجأ يأوي إليه إلا النار، دار العذاب والهوان وما لهؤلاء الظالمين لأنفسهم بالشرك من نصير ينصرهم ولا شفيع ينقذهم، ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙﭼ [البقرة: 255]، ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ الأنبياء: 28، فالنافع رضاه ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊﭼ [الزمر: 7]، وشر أنواعه الشرك#[3].

الوجه الثاني: أنه يحبط الأعمال، قال تعالى: ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ الأنعام: 88. لقد جاءت هذه الآية في سياق ذكر الأنبياء والرسل الذين اجتباهم الله واصطفاهم، فبين أن تلك الهداية وذلك الاصطفاء إنما هو بتوفيق الله ولولم يصاحبهم ذلك التوفيق فوقعوا في الشرك لحبطت أعمالهم.

قال الإمام ابن كثير :: $ثم قال تعالى: ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ أي إنما حصل لهم ذلك بتوفيق الله وهدايته إياهم، ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ:

(1) الأوجه الستة الأولى منقولة بتصرف من $القبورية في اليمن نشأتها آثارها وموقف العلماء منها - اليمن نموذجاً# لأحمد بن حسن المعلم (ص 32-37).

(2) هو: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد القلموني البغدادي الأصل الحسيني (1282-1354 هـ)، له عدة مصنفات وهو صاحب المنار، كان قد تتلمذ على محمد عبده ومدرسته، ثم خرج من هذه المدرسة إلى مدرسة السلف، ولكن لم يزل به أثر بعض ما عقله في عنفوان شبابه من العقلنة في بعض الجوانب. انظر ترجمته في: معجم المؤلفين (3/293-294)، وللتوسع في معرفة عقيدة الشيخ : راجع: منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة لتامر محمد محمود متولي.

(3) تفسير المنار (6/483).

تشديد لأمر الشرك وتغليظ لشأنه وتعظيم لملابسته#[1].

وقال تعالى مخاطباً نبيه محمداً ح: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ الزمر: 65.

قال العلامة أبو الثناء الآلوسي[2] :: $وأياً ما كان فهو كلام على سبيل الفرض؛ لتهييج المخاطب المعصوم وإقناط الكفرة، والإيذان بغاية شناعة الإ شراك وقبحه، وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يباشره، فكيف بمن عداه#[3].

الوجه الثالث: أنه يحول دون المغفرة، قال تعالى: ﭽ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ النساء: 48.

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي[4] :: $يخبر تعالى أنه لا يغفر لمن أشرك به أحداً من المخلوقين ويغفر ما دون ذلك من الذنوب صغائرها وكبائرها، وذلك عند مشيئته مغفرةَ ذلك إذا اقتضت حكمتُه مغفرته ؛ فالذنوب التي دون الشرك قد جعل اللّه لمغفرتها أسباباً كثيرة؛ كالحسنات الماحية والمصائب المكفرة في الدنيا والبرزخ ويوم القيامة، كدعاء المؤمنين بعضهم لبعض وبشفاعة الشافعين، ومن فوق ذلك كله رحمته التي أحق بها أهل الإيمان والتوحيد، وهذا بخلاف الشرك؛ فإن المشرك قد سد على نفسه أبواب المغفرة وأغلق دونه أبواب الرحمة؛ فلا تنفعه الطاعة من دون التوحيد ولا تفيده المصائب شيئاً، وما لهم يوم القيامة من شافعين ولا صديق حميم#[5].

الوجه الرابع: أنه يحرم العبد من الاستفادة من شفاعة الشافعين يوم القيامة؛ الشفاعة الموجبة للجنة والمنجية من النار، قال أبو هريرة[6] ط أنه قال: قلت: يا رسول اللّه من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟، قال: $لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا

---

(1) تفسير ابن كثير (299/3).
(2) هو: أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد اللّه الألوسي البغدادي (1217-1270 هـ)، مفتي بغداد في وقته، صاحب التفسير الشهير روح المعاني. انظر ترجمته في جلاء العينين، لابنه نعمان خير الدين الألوسي، (ص 43-45)، والأعلام (176/7).
(3) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (278/12).
(4) هو: عبد الرحمن بن ناصر السعدي التميمي (1307-1376 هـ)، من كبار علماء النجد المعاصرين، اشتغل بالتدريس، وله مؤلفات كثيرة، منها تفسيره المسمى تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، لعبد اللّه بن عبد الرحمن آل بسام (218/3 وما بعدها)، والأعلام (340/3).
(5) تفسير السعدي (ص 146).
(6) هو: أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي (ت 59 هـ)، صحابي جليل، حافظ الصحابة. انظر: التقريب (رقم 8493).

الله خالصاً من قبل نفسه#[1].
قال الحافظ ابن حجر :: $قوله: $من قال لا إله إلا الله# احتراز من الشرك#[2].
قال الملا علي القاري[3] :: $أي لا يشوبه شك ولا شرك ولا يخلطه نفاق وسمعة ورياء ... وقيل $أسعد# هنا بمعنى أصل الفعل، وقيل بل على بابه وأن كل أحد يحصل له سعادة شفاعته، لكن المؤمن المخلص أكثر سعادة، فإنه ح يشفع في إراحة الخلق من هول الموقف ويشفع في بعض الكفار كأبي طالب في تخفيف عذاب النار#[4]. وهو يفيد ما عنوتا له من أن المشرك محروم من الشفاعة المنجية من النار والموجبة للجنة.
الوجه الخامس: أنه سبب هلاك كثير من الأمم في الدنيا، كما قال تعالى:ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ الروم: 42، فقد ختمت الآية بقوله تعالى: ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ لبيان السبب الذي أورد تلك الأمم هذه العاقبة السيئة، وذلك السبب هو انحرافهم عن توحيد العبادة بشركهم بالله سبحانه، قال الإمام ابن جرير الطبري :: $ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢﭼ، يقول: فعلنا ذلك بهم لأن أكثرهم كانوا مشركين بالله مثلهم#[5].
وقال ابن الجوزي[6] :: $ ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢﭼ، المعنى فأهلكوا بشركهم#[7].
الوجه السادس: أنه السبب في تردي الإنسان من منـزلة التكريم إلى منـزلة الإهانة والتحقير وإلى الاتصاف بأخبث الأوصاف؛ وهو وصف النجس[8]، قال تعالى:ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ

(1) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، (418/11 رقم 6570 - الفتح).
(2) الفتح (194/1).
(3) هو: علي بن محمد بن سلطان الهروي المكي نور الدين المعروف بملا علي القاري (ت 1014 هـ)، من كبار علماء الحنفية الجامعين بين الفقه والحديث، من مؤلفاته: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. انظر: البدر الطالع (445/1)، والأعلام (12-13/5).
(4) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (237/10).
(5) تفسير الطبري (514/18).
(6) هو: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد التيمي البغدادي الحنبلي المعروف بابن الجوزي (510/509-597 هـ)، صاحب تصانيف من مؤلفاته: تلبيس إبليس وزاد المسير في علم التفسير. انظر: الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (399-433/1)، والسير (384-365/21).
(7) زاد المسير في علم التفسير (306/6).
(8) هو في الأصل $القذر# كما في مقاييس اللغة (393/5)، وإنما وصفوا بذلك مبالغة في تحقيرهم، قال الشوكاني :: $والمشركون مبتدأ وخبره المصدر، مبالغة في وصفهم بذلك حتى كأنهم عين النجاسة، أو على تقدير مضاف أي ذوو نجس.

ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ التوبة: 28.

$أي ليس المشركون كما تعرفون من حالهم إلا أنجاساً فاسدي الاعتقاد ، يشركون بـالله ما لا ينفع ولا يضر؛ فيعبدون الرجس من الأوثان والأصنام، ويدينون بالخرافات والأوهام، ولا يتن ـزهون عن النجاسات ولا الآثام، ويأكلون الميتة والدم من الأقذار الحسية، ويستحلون القمار والزنا من الأ رجاس المعنوية، ويستبيحون الأشهر الحرم. وقد تمكنت صفات النجس فيهم حساً ومعنىً حتى كأنهم عينه وحقيقته؛ فلا تمكنوهم بعد العام أن يقربوا المسجد الحرام#[1].

الوجه السابع: أنه يؤدي إلى وقوع الخوف والرعب في نفوس مرتكبيه. يقول الله تبارك وتعالى: ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ آل عمران: ١٥١.

قال الرازي[2] :: $أما قوله: ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ فاعلم أن $ما# مصدرية، و المعنى: بسبب إشراكهم بـالله.

واعلم أن تقرير هذا بالوجه المعقول هو: أن الدعاء إنما يصير في محل الاجابة عند الاضطرار، كما قال: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ [النحل: 62]، ومن اعتقد أن لله شريكا ً لم يحصل له الاضطرار، لأنه يقول: إن كان هذا المعبود لا ينصرني، فذاك الآخر ينصرني، وإن لم يحصل في قلبه الاضطرار لم تحصل الاجابة ولا النصرة، وإذا لم يحصل ذلك وجب أن يحصل الرعب و الخوف في قلبه، فثبت أن الاشراك بـالله يوجب الرعب#[3].

فالشرك هو مصدر الخوف، والقلق، والهم بكل أنواعه، والكفر بـالله تعالى هو القلق والهم والغم والصعاب النفسية، وهو أهم أسباب الخوف والا ضطراب والرعب.

وعكس ذلك: أن أساس الأمن، ومنبعه هو التوحيد والإيمان الخالص لله تعالى، فمن أخلص قلبه من شوائب الشرك فهو الذي يحصل له الأمن، كما قال الله تبارك وتعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ الأنعام:82، و

لأن معهم الشرك وهو بمن ـزلة النجس#. فتح القدير (872/1).

(1) تفسير المنار (275/10).

(2) هو: محمد بن عمر بن الحسين أبو عبد الله المشهور بفخر الدين الرازي الشافعي (544-606 هـ)، متكلم مفسر فقيه أصولي، قال الذهبي: $وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة، والله يعفو عنه، فإنه توفي على طريقة حميدة#. وقال الرازي: $لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلا ً ولا تروي غليلا ً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن#. من أشهر كتبه: تفسيره المسمى التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. انظر: طبقات الشافعية للأسنوي (123/2 رقم874)، والسير (500-501/21).

(3) تفسير الرازي (34/9).

الظلم هنا قد فسره النبي ح، في حديث ابن مسعود[1] ط حيث قال: $لَمَّا نَزَلَتْ چاَ ٻ ٻ ڀ ڀ ٻ پچ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ح وَقَالُوا: أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ح: لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴﭼ[لقمان: ١٣]#[2].

فالذي لم يلبس إيمانه بظلم -أي: بشرك- له الأمن، وعكسه له الرعب و الخوف، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الوجه الثامن[3]: أنه يؤدي إلى إساءة سمعة الإسلام عند من لا علم له بتعاليمه.

إن مما يمتاز به دين الإسلام أنه دين الفطرة التي فطر الله ُ الناسَ عليها، ودعوته إلى التوحيد الخالص والبعد عن الشرك وذرائعه إنما هي في حقيقة الأمر دعوة إلى إبقاء تلك الفطرة والمحافظة عليها، وهذا هو السر الكامن وراء سرعة انتشار الإسلام إذا عرض في صورته الصحيحة أمام أصحاب الفطر غير الملوثة. وأما إذا ما عرض في غير صورته ومُثل على غير مثاله، فإنه لا يمكن أن يلقى ذلك الإقبال من قبل القلوب الطاهرة و الفطر الصافية.

ومن هنا تظهر جناية هؤلاء المنحرفين عن توحيد العبادة من القبوريين وغيرهم على الإسلام وخطورة انحرافاتهم العقدية؛ لأن انحرافهم عن العقيدة وسيرهم على غير الجادة مع الدعوة إلى ذلك بكل وسيلة، يمثل تحريفاً خطيراً لأهم مبادئ الإسلام العقدية وهو: إفراد الله تعالى بالعبادة. وذلك يمثل حاجزاً منيعاً وحجر عثرة في سبيل الباحثين عن الحق المتعطشين إلى منقذ يأخذ بأيديهم إلى الصراط المستقيم، حيث إن هؤلاء المساكين الهاربين من عبادة الأوثان المتمثلة في الأحجار والأشجار والأنهار ونحوها، سرعان ما يصابون بصدمة عندما يجدون كثيراً من المنتسبين إلى الإسلام يعيشون كعيشهم، ويعكفون على عبادة مراقد الموتى، ويتبركون بجدرانها ويقدسون القباب والستور التي أقاموها على تلك القبور، وأنهم يقدمون لتلك المشاهد من القرابين وينفقون عليها من الأموال ما لا يخطر ب البال.

وماذا ننتظر من هؤلاء أن يكون عليه موقفهم تجاه هذا الواقع؟ إنهم

(1) هو: عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي أبو عبد الرحمن (ت 32 هـ)، من السابقين الأولين، ومن كبار العلماء من الصحابة. انظر: التقريب (رقم 3638).

(2) رواه البخاري في مواضع من صحيحه، منها: كتاب الإيمان، باب ظلم دون ظلم (87/1 رقم 32 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه (114/1-115 رقم 197)، واللفظ لمسلم.

(3) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، لمحمد أحمد لوح (83/2-84) بتصرف يسير.

سيقولون: ما دمنا نحن والمسلمون سواء في عبادة الحجارة وتقديس غير الله، فلماذا نترك معبوداتنا لمعبوداتهم، ولماذا لا نكون نحن على الحق وهم على الباطل؟

فهل هناك إساءة وتلويث لسمعة الإسلام أفدح وأشنع من إساءة هؤلاء الناس؟ كلا وألف كلا!

الوجه التاسع[1]: إنه يتيح فرصة لأعداء الإسلام للطعن في هذا الدين الحنيف.

لقد فطن أعداء الإسلام -وبخاصة الصليبيون- لهذا الأمر الخطير -ألا وهو انحراف بعض المسلمين عن توحيد العبادة-، فاعتبروه نقطة ضعف تمكنوا بواسطتها من الوقوف أمام الزحف الإسلامي الجارف الذي يهدد بـ القضاء على دينهم المنحرف. فحرصوا لذلك على إشاعة هذه الفضائح الصوفية القبورية، وتقديمها للجماهير على أنها صورة الإسلام، وكأن لسان حالهم يقول للمسلمين: كفوا عن انتقاداتكم لنا فإن عندكم مثل ما عندنا، ويقول للصليبيين: لا تتركوا معتقدكم لأجل هؤلاء الدعاة المسلمين، فإن عبادتنا وعبادتهم سواء ولا فرق بين معبوداتنا ومعبوداتهم. وهذه الحجة بـ التحديد هي ما واجه به الصليبيون شيخَ الإسلام ابن تيمية في القاهرة حين أزعجهم بمناظراته التي لا تطاق، فلنستمع إليه : يحكي طرفاً من ذلك حيث يقول:

$وكان من أواخر ما خاطبت به النصراني أن قلت له: أنتم مشركون، وبينت من شركهم ما هم عليه من العكوف على التماثيل والقبور وعبادتها وا لاستغاثة بها. قال لي: نحن ما نشرك بهم ولا نعبدهم، وإنما نتوسل بهم، كما يفعل المسلمون إذا جاءوا إلى قبر الرجل الصالح، فيتعلقون بالشباك الذي عليه ونحو ذلك. فقلت له: وهذا أيضاً من الشرك، ليس هذا من دين المسلمين وإن فعله الجهال، فأقر أنه شرك، حتى إن قسيساً كان حاضراً في هذه المسألة، فلما سمعها قال: نعم، على هذا التقدير نحن مشركون. وكان بعض النصارى يقول لبعض المسلمين: لنا سيد وسيدة، ولكم سيد وسيدة. لنا السيد المسيح والسيدة مريم، ولكم السيد الحسين والسيدة نفيسة. فـ النصارى يفرحون بما يفعله أهل البدع والجهل من المسلمين مما يوافق دينهم ويشابهونهم فيه ويحبون أن يقوى ذلك ويكثر#[2].

نعم، هكذا ظلم المنحرفون عن توحيد العبادة الإسلامَ ودعوته وأساءوا سمعته إساءة بالغة، ففقدت رسالة الإسلام تأثيرها وقوتها في قلوب غير المسلمين وضعفت ثقتهم به، لأنهم لا يعلمون تعاليم الإسلام الحقيقية، إنما يعرفون الصورة الظاهرة المتمثلة في واقع حياة المسلمين

---

(1) تقديس الأشخاص (2/83-84) بتصرف يسير.
(2) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (27/461-462).

وممارساتهم. والله المستعان وعليه التكلان.

المطلب الرابع: حماية المصطفى ح جناب التوحيد[1]

توطئة:

لقد كانت دعوة المصطفى ح كلها تدور حول التوحيد وتحقيقه وترسيخه في النفوس؛ لأنه أول واجب على العبد وأساس إيمانه، وفي الوقت نفسه بيّن ح الشرك المضاد لهذا التوحيد وحذر منه ونهى عنه وبيّن أنواعه وخطورته على الناس وعواقبه الوخيمة في الدنيا والآخرة[2].

فقام صرح عقيدة التوحيد واشتد، ورسول الله ح قائم على حمايته خير قيام وأعظمه وأكمله، وسطع نور التوحيد وظهر في أنصع صوره وأجملها وأنقاها، وما ترك عليه الصلاة والسلام شيئاً يخل بهذه الصورة إلا حذر منه ونهى عنه وإن لم يكن في نفسه شركاً، سداً للذريعة وحماية لجناب هذا التوحيد وحراسة لحماه بكافة أنواعه.

وكان لتوحيد الألوهية والعبادة الاهتمام الأول في العناية والحماية، وجاهد الرسول ح في ذلك أعظم جهاد، وقام في حمايته وصيانة حماه حتى أتاه اليقين. كما ربى أصحابه -رضي الله عنهم- على ذلك ليكونوا جنوداً وحماةً لهذا التوحيد ويسلموا هذه الأمانة لمن بعدهم، وقد كانوا كذلك، رضي الله عنهم وأرضاهم.

وفيما يلي بعض الأمثلة من حماية رسول الله ح لهذا النوع من التوحيد وبيانه، والنهي عن كل ما يضاده من شرك أو بدعة أو أمر يكون وسيلة وذريعة إلى ذلك، وإن لم يكن في نفسه شركاً.

أولا ً: النهي عن الغلو والإطراء.

الغلو أصل كل شر وبلاء في الدين، فهو أصل الشرك والانحراف، الذي صار طريق كل هالك وسبيل كل ضال. والإطراء[3] باب من أبوابه ووسيلة من أعظم وسائله، فالغلو هو الذي كان سبباً في وقوع الشرك في الأرض بعد أن لم يكن[4]، ثم صار بعدُ أساس كل شرك يقع في كل زمان ومكان، فهو سبب كفر النصارى وشركهم، الذين قال الله عنهم: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭼ النساء: 171.

ولهذا حذر النبي ح أمته من ذلك، ومن كل وسيلة قد توصل إليه،

---

(1) مختصر من كتاب حماية الرسول ح حمى التوحيد، للدكتور محمد بن عبد الله زربان الغامدي (ص 283-371).

(2) انظر المطلب السابق.

(3) قال ابن حجر: $الإطراء: المدح بالباطل، تقول أطريت فلاناً: مدحته فأفرطت في مدحه#. الفتح (490/6).

(4) انظر: تفسير الطبري (303/23) عند تفسير الآية 23 من سورة نوح، وفتح الباري (667/8-669).

خوفاً على أمته وحمايةً لجناب التوحيد، فنهاهم عن الغلو في الدين وحذرهم منه، فقال ح: $إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بـ الغلو في الدين#[1]. وسد الذرائع الموصلة إليه فنهى عن الإطراء وقال: $لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله#[2].

وقد أنكر ح على أصحابه المبالغة في المدح والثناء عليه خوفاً عليهم من مجاوزة الحد إلى المنهي عنه، وحماية لعقيدة التوحيد من أن يمسها دنس، واحتياطاً في الحفاظ عليها، حتى من الأمور التي قد لا تكون في الواقع شركاً أو بدعةً، روى عبد الله بن الشخير[3] ط قال: $جاء رجل إلى النبي ح فقال: أنت سيد قريش، فقال النبي ح: السيد الله، قال: أنت أفضلها فيها قولا ً وأعظمها فيها طولا ً. فقال رسول الله ح: ليقل أحدكم بقوله ولا يستجره الشيطان#[4].

وروى أنس بن مالك[5] ط أن رجلا ً قال: يا محمد، يا سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله ح: $يا أيها الناس عليكم بتقواكم، لا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، و الله ما أحب أن ترفعوني فوق منـزلتي التي أنزلني الله#[6].

فالنبي ح لما أكمل الله له مقام العبودية صار يكره أن يمدح، صيانةً لهذا المقام، وأرشد أمته إلى ترك ذلك نصحاً لهم وحماية لمقام التوحيد أن

---

(1) رواه أحمد في مسنده (350/3 رقم 1851)، وصححه الحاكم (466/1)، وقال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (328/1): $وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم#، وكذا قال محققوا المسند، وذكره الشيخ الألباني في سلسلة الأ حاديث الصحيحة (278/3 رقم 1283).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﭽ ﭼ ﭽ (478/6 رقم 3445 -الفتح).

(3) هو: عبد الله بن الشخِّير، بكسر السين وتشديد الخاء المعجمتين، ابن عوف العامري، صحابي، من مسلمة الفتح. انظر: التقريب (رقم 3401).

(4) رواه أحمد في مسنده (234/26 رقم 16307)، وأبو داود في سننه، كتاب الأدب ، باب كراهية التمادح، (100/5 رقم 4806)، والبخاري في الأدب المفرد (110/1 رقم 211)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (181/3 رقم 4806)، وقال محققوا المسند: $إسناده صحيح على شرط مسلم#.

(5) هو: أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي (ت 92 هـ)، خادم رسول الله ح، خدمه عشر سنين، صحابي مشهور، لقبه ذو الأذنين. انظر: التقريب (رقم 570).

(6) رواه أحمد في مسنده (23/20 رقم 12551)، والضياء المقدسي في المختارة (25/5 رقم 1627)، وابن حبان في صحيحه (133/14 رقم 6240 -الإحسان)، وقال محققوا المسند: $إسناده صحيح على شرط مسلم#.

يدخله ما يفسده أو يضعفه من الشرك ووسائله[1].

والنهي عن الغلو عام في كل أمر من أمور الدين، وأول ذلك أمر التوحيد الذي هو أساس الدين وأصله.

والنهي عن الإطراء ومجاوزة الحد يكون في شخصه عليه الصلاة و السلام، وغيره من باب الأولى أياً كان ذلك الغير؛ ملكاً أو نبياً أو صالحاً أو غير ذلك. وما أكثر من استزلهم الشيطان، فوقعوا فيما نهى الله عنه ورسوله ح، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وأضلهم عن الهدى، بدعوى المحبة والوسيلة والتقرب إلى الله تعالى...

ثانياً: النهي عن اتخاذ القبور مساجد[2].

قد وردت عدة أحاديث عن رسول الله ح في التحذير والنهي عن هذا الانحراف، ومما ورد في ذلك:

ما روته أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر[3] ك قالت: لما اشتكى النبي ح ذكرَتْ بعض نسائه كنيسة رأينها بأرض الحبشة، -يقال لها مارية- وكانت أم سلمة[4] وأم حبيبة[5] م أتتا أرض الحبشة فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها، فرفع رأسه فقال: $أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصورة، أولئك شرار الخلق عند الله#[6]. قال الحافظ ابن حجر :: $وفائدة التنصيص على زمن النهي، الإشارة إلى أنه من الأمر المحكم الذي لم ينسخ لكونه صدر في آخر حياته ح#[7].

---

(1) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص 631).

(2) للتوسع انظر: بدع القبور أنواعها وأحكامها، لصالح بن مقبل التميمي (ص 167-283)، وتحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد للشيخ الألباني، ومجانبة أهل الثبور المصلين في المشاهد وعند القبور - رد على من أجاز الصلاة في المقابر، وعند القبور، لعبد العزيز بن فيصل الراجحي، وسيأتي الكلام عن هذه المسألة بإذن الله في مبحث زيارة القبور (ص 998 وما بعدها).

(3) هي: عائشة بنت أبي بكر الصديق (ت 57 هـ)، أم المؤمنين (الحميراء)، أفقه النساء مطلقاً، وأفضل أزواج النبي ح إلا خديجة، ففيه خلاف شهير. انظر: التقريب (رقم 8732).

(4) هي: هند بنت أبي أمية واسمه سهيل، (ت 59 هـ) من أمهات المؤمنين، تزوجها رسول الله ح في ليال بقين من شوال سنة أربع، وتوفيت في ذي القعدة سنة 59، رضي الله عنها وأرضاها. انظر: طبقات ابن سعد (8/86-96).

(5) هي: أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب القرشية (ت 44 هـ)، من أمهات المؤمنين، رضي الله عنها وأرضاها. انظر: طبقات ابن سعد (8/96-100).

(6) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب بناء المسجد على القبر (3/208 رقم 1341 -الفتح)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور (1/375 رقم 528).

(7) الفتح (1/525).

وعن عائشة وابن عباس[1] ن قالا: لما نزل برسول الله ح طَفِقَ[2] يطرح خميصة[3] على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: $لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد# يحذّر ما صنعوا[4].

وعن جندب بن عبد الله[5] ط قال: سمعت النبي ح قبل أن يموت بخمس وهو يقول: $إني أبرأ إلى الله من أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلا ً كما اتخذ إبراهيم خليلا ً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلا ً لاتخذت أبا بكر خليلا ً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك#[6].

واتخاذ القبور مساجد يشمل ثلاثة معان:

الأول: السجود إليها واستقبالها عند الصلاة والدعاء.

الثاني: بناء المساجد على القبور وقصد الصلاة فيها.

الثالث: الصلاة على القبور والسجود عليها[7].

قال الإمام الشافعي :: $وأكره أن يبنى على القبر مسجد، وأن يسوى، أو يصلى عليه وهو غير مسوى، أو يصلى إليه، وإن صلى إليه أجزأه وقد أساء#[8].

والأحاديث الواردة في النهي عن ذلك تشمل هذه المعاني الثلاثة لأنها مما ورد النهي عنه، وهي إما شرك أو ذريعة إليه.

وتخصيص قبور الأنبياء في كثير من الأحاديث، لأن اتخاذها مساجد وقصد الصلاة والدعاء عندها أكثر من غيره، وتعلق الناس بها أعظم.

---

(1) هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم رسول الله ح (ت 68 هـ)، دعا له رسول الله ح بالفهم في القرآن، فكان يسمى البحر والحبر لسعة علمه، وهو من فقهاء الصحابة. انظر: التقريب (رقم 3431).

(2) أي جعل. الفتح (532/1).

(3) الخميصة: كساء له أعلام. المصدر السابق.

(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (532/1 رقم 435، 436 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور (377/1 رقم 531).

(5) هو: جندب بضم أوله والدال تفتح وتضم، ابن عبد الله بن سفيان البجلي ثم العلقي، أبو عبد الله، (ت بعد 60 هـ)، له صحبة. انظر: التقريب (رقم 982).

(6) رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور (378/1 رقم 532).

(7) سيأتي مزيد بيان لهذه المسألة، مع ذكر أدلتها وأقوال الأئمة عنها، في مبحث زيارة القبور (ص 998).

(8) الأم (632/2 -تحقيق رفعت فوزي).

$فلو كان الدعاء عند القبور والصلاة عندها والتبرك بها فضيلةً أو سنة أو مباحاً لنصب المهاجرون والأنصار علماً لذلك، ودعوا عنده، وسنوا ذلك لمن بعدهم، ولكن كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من الخلوف التي خلفت بعدهم، وكذلك التابعون لهم بإحسان راحوا على هذا السبيل، وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله ح بالأمصار عدد كثير، وهم متوافرون، فما منهم من استغاث عند قبر صاحب، ولا دعاه ولا دعا به، ولا دعا عنده ولا استشفى به، ولا استسقى به ولا استنصر به، ومن المعلوم أن مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله، بل على نقل ما هو دونه#[1].

بل الثابت ضد ذلك أنهم كانوا ينهون عن أقل من ذلك، كما ثبت أن عمر بن الخطاب[2] ط قطع الشجرة التي بايع تحتها أصحاب رسول الله ح [3]، وكما أنكر ط على أنس ط صلاته عند القبر، وقال له: $القبرَ، القبرَ#[4]. قال ابن حجر: $بالنصب فيهما على التحذير#[5].

وكما فعل الصحابة ن بقبر دانيال[6] لما فتحوا تستر[7]؛ فعن خالد بن دينار[8] قال: حدثنا أبو العالية[9]: $لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان[10] سريراً عليه رجل ميت، عند رأسه مصحف له، فأخذنا المصحف،

---

(1) إغاثة اللهفان (378/1).
(2) هو: عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي (ت 23 هـ)، أمير المؤمنين، صاحب المناقب الجمة. انظر: التقريب (رقم 4922).
(3) الحوادث والبدع للطرطوشي (ص 148، 160)، والبدع لمحمد بن وضاح (ص79 رقم 107)، ورواه ابن سعد في الطبقات (100/2) وصحح سنده ابن حجر في الفتح (448/7).
(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد؟ (523/1 -الفتح).
(5) الفتح (524/1).
(6) دانيال: تذكر الروايات التي ذكرها ابن كثير وغيره أنه نبي من أنبياء بني إسرائيل ، أو رجل صالح من صالحيهم، كان في الأرض المقدسة، وبعضها جاء في حديث مرسل. انظر: البداية والنهاية (375/2 وما بعدها).
(7) تستر: بضم التاء الأولى وفتح الثالث وبينهما سين ساكنة: مدينة بإقليم خوزستان فتحها أبو موسى الأشعري ط في خلافة عمر بن الخطاب ط. معجم البلدان لياقوت الحموي (29/2).
(8) هو: خالد بن دينار التميمي السعدي أبو خَلَدة البصري الخياط، تابعي صدوق. انظر: التقريب (رقم 1637).
(9) هو: رُفَيع بن مهران أبو العالية الرياحي (ت 90 أو 93 هـ)، تابعي ثقة. انظر: التقريب (رقم 1964).
(10) الهرمزان: من قواد الفرس الذين حاربوا جيوش الفتح في العراق، وهو ملك الأ هواز، هزمه المسلمون حين فتحوا تستر، فأرسله أبو موسى إلى عمر بن الخطاب.

فحملناه إلى عمر بن الخطاب، فدعا له كعباً، فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل من العرب قرأه، قرأته مثلما أقرأ القرآن هذا، فقلت: ما كان فيه؟ فقال: سيرتكم وأموركم، ولحون كلامكم، وما هو كائن بعد، قلت: فما صنعتم بـ الرجل؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة، فلما كان الليل دفناه، وسوينا القبور كلها، لنعميه على الناس لا ينبشونه، قلت: وما يرجون منه؟ قـ ال: $كانت السماء إذا حبست عليهم، برزوا بسريره فيمطرون، قلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجل يقال له دانيال...#[1].

وهذه ثمرة تربية رسول الله ح لهؤلاء الأخيار الذين صاروا جنوداً أقوياء لهذه العقيدة، وحراساً أوفياء لها، يحبون ويعظمون ما أحبه الله ورسوله ح وعظّمه، ويكرهون ويحرّمون ما كرهه الله ورسوله ح وحرّمه.

ثالثاً: النهي عن التبرك الممنوع[2].

التبرك هو: اعتقاد البركة في شيء من الأشياء والتماسها منه سواء كان ذلك الشيء شخصاً، أو غيره من شجر وحجر، وبقعة، وقبر وغير ذلك.

وهو باب خطير، دخلت منه على الإسلام والمسلمين شرور كثيرة لبست ثوب الحق والخير والاتباع، فزلت أقدام كثير من الناس، ووقع في الشرك كثير منهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

وقد تنبه إلى هذا الباب الخطير الناصحُ الأمين ح وحذر أمته من ذلك، كما هو ظاهر من القصة التالية:

عن أبي واقد الليثي[3] ط: $أن رسول الله ح لما خرج إلى حنين، مر بشجرة للمشركين، يقال لها $ذات أنواط#، يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ح: سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم#[4].

فأعلن إسلامه، وبقي في المدينة حتى قتله عبيد الله بن عمر متهماً إياه بـ التحريض على قتل عمر ن. انظر: البداية والنهاية (64/10).

(1) القصة رواها ابن إسحاق في سيرته، رواية يونس بن بكير (ص 49)، وذكرها ابن كثير في البداية والنهاية وقال: إسناده صحيح إلى أبي العالية، وذكر لها طرقاً أخرى تؤكد أن القصة واقعة صحيحة. انظر: البداية والنهاية (376/2-379)، واقتضاء الصراط المستقيم (199/2-200)، وإغاثة اللهفان (377/1).

(2) انظر للتوسع: التبرك أنواعه وأحكامه، للدكتور ناصر بن عبد الرحمن الجديع (ص 315-506).

(3) هو: أبو واقد الليثي، قيل اسمه الحارث بن مالك، وقيل ابن عوف، وقيل اسمه عوف بن الحارث (ت 68 هـ)، صحابي. انظر: التقريب (رقم 8500).

(4) رواه الترمذي في سننه، كتاب الفتن عن رسول الله ح، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم (ص 493 رقم 2180)، وغيره، وقال الترمذي: $هذا حديث حسن صحيح#، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (465/2).

فقد شبه عليه الصلاة والسلام قول أصحابه $اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط# بقول بني إسرائيل لموسى ؛ بعد خروجهم من البحر، وقد مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم، فطلبوا من موسى ؛ أن يجعل لهم آلهة مثل أولئك، كما قال اللّه تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ الأعراف: 138-140.

$فأنكر النبي ح مجرد مشابهتهم للكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها ، معلقين عليها سلاحهم، فكيف بما هو أعظم من ذلك من مشابهتهم المشركين، أو هو الشرك بعينه؟#[1].

وقد لا يكون الدافع أول الأمر شركاً، ولا يقصد به ذلك، ولكن الشيطان ما يلبث أن يزين للناس تلك المخالفة ويحببها إلى قلوبهم، وإن لم يجد لها أهلا في جيل وجد في الجيل الآخر، حتى يصل بأهلها إلى الشرك باللّه تعالى، ثم يتبرأ منهم كما أخبر اللّه عنه، ولأجل ذلك كان رسول اللّه ح شديد الحرص على حماية هذه العقيدة، وسد كل ثغرة مهما كانت صغيرة لئلا تكون مدخلا للشيطان وهو ح يعلم أن الصحابة ن لم يقصدوا بطلبهم ذات أنواط أن يفعلوا شركاً بعد ما أنعم اللّه عليهم بنعمة التوحيد، ولم يقصدوا ما قصد غيرهم، بل ظنوا ذلك أمراً محبوباً أرادوا التقرب به، وهم أجل من أن يقصدوا مخالفته ح، ولكنه مع ذلك استعظم طلبهم ذلك وشبهه بطلب بني إسرائيل من موسى ؛، وسمى تعظيم هذه الشجرة والعكوف عندها تألهاً، خوفا عليهم من الشرك وذرائعه. $فإذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف حولها اتخاذ إله مع اللّه، مع أنهم لا يعبدونها ولا يسألونها، فما الظن بالعكوف حول القبر والدعاء به ودعائه، والدعاء عنده، فأي نسبة للفتنة بشجرة إلى الفتنة بالقبر؟ لو كان أهل الشرك والبدعة يعلمون. قال بعض أهل العلم من أصحاب مالك: فانظروا -رحمكم اللّه- أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون البرء والشفاء من قبلها، ويضربون المسامير والخرق، فهي ذات أنواط فاقطعوها#[2].

فاعتقاد حصول البركة من غير اللّه تعالى من قبر أو صنم أو شجرة، أو غيرها شركٌ حذر منه رسول اللّه ح، وكذا تحري الدعاء في هذه الأماكن لأجل القبول والبركة.

رابعاً: النهي عن فعل شيء من القربات لله في مكان كان يتقرب فيه لغير اللّه.

ومن حرصه ح وحمايته لجناب التوحيد، أنه كان يعلم أصحابه أن لا يفعلوا شيئا من القربات لله تعالى في مكان كان يتقرب فيه لغير اللّه ، أو

---

(1) اقتضاء الصراط المستقيم (158/2).
(2) إغاثة اللّهفان (205/1).

يعتاده المشركون في أعمالهم الجاهلية، سداً لذريعة الشرك ووسائله، و التذكير بأهله وأعمالهم، وإن كان العمل في نفسه ليس شركاً.

فقد جاء في الحديث عن ثابت بن الضحاك[1] ط قال: $نذر رجل أن ينحر إبلا ً ببُوانة[2] فسأل النبي ح فقال: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟ قالوا: لا، قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا، فقال رسول الله ح: أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم#[3].

فقد سأل رسول الله ح ذلك الرجل الذي نذر أن يذبح لله في ذلك المكان سأله تلك الأسئلة، سداً للذريعة، وخوفاً من مشابهة المشركين أياً كانت تلك المشابهة، ولو كانت تلك الأوثان أو الأعياد قد زالت واندثرت، كل ذلك حماية منه ح لحمى التوحيد أن يصل إليه شرك أو مشابهة لأهله، ولذلك لما علم بخلو ذلك المكان من هذه الأمور قال للرجل: $أوف بنذرك# ثم عقب على ذلك بقوله $فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم#.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :: $وهذا يدل على أن الذبح بمكان عيدهم ومحل أوثانهم معصية لله من وجوه:

أحدها: أن قوله $فأوف بنذرك# تعقيب للوصف بالحكم بحرف الفاء، وذلك يدل على أن الوصف هو سبب الحكم؛ فيكون سبب الأمر بالوفاء: وجود النذر خالياً من هذين الوصفين، فيكون الوصفان مانعين من الوفاء، ولو لم يكن معصية لجاز الوفاء به.

الثاني: أنه عقب ذلك بقوله: $لا وفاء لنذر في معصية الله# ولو لا اندراج الصورة المسؤول عنها في هذا اللفظ العام، وإلا لم يكن في الكلام ارتباط.

والمنذور في نفسه -وإن لم يكن معصية- لكن لما سأله النبي ح عن الصورتين قال له: $فأوف بنذرك# يعني: حيث ليس هناك ما يوجب تحريم الذبح هناك، فكان جوابه ح فيه أمراً بالوفاء عند الخلو من هذا، ونهى عنه عند وجود هذا، وأصل الوفاء بالنذر معلوم، فبين ما لا وفاء فيه. واللفظ العام إذا ورد عل سبب، فلا بد أن يكون السبب مندرجاً فيه.

---

(1) هو: ثابت بن الضحاك بن خليفة بن الأشهلي (ت 64 هـ)، صحابي مشهور. انظر: التقريب (رقم 827).

(2) بُوانة: بضم الباء: هضبة من وراء ينبع. انظر: النهاية في غريب الحديث (ص 94).

(3) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأيمان والنذور، باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر (394/3 رقم 3313)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (328/2).

الثالث: أنه لو كان الذبح في موضع العيد جائزاً لسوغ النبي ح للناذر الوفاء به كما سوغ لمن نذرت الضرب بالدف أن تضرب به، بل لأوجب الوفاء به؛ إذ كان الذبح بالمكان المنذور واجباً. وإذا كان الذبح بمكان عيدهم منهيا عنه، فكيف بالموافقة في نفس العيد، بفعل بعض الأعمال التي تعمل بسبب عيدهم؟.

إلى أن قال :: فإن كان من أجل تخصيص البقعة -وهو الظاهر- فإنما نهى عن تخصيص البقعة لأجل كونها موضع عيدهم. ولهذا لما خلت من ذلك أذن في الذبح فيها، وقصد التخصيص باق، فعلم أن المحذور تخصيص بقعة عيدهم، وإذا كان تخصيص بقعة عيدهم محذوراً، فكيف نفس عيدهم؟

هذا كما أنه لما كرهها لكونها موضع شركهم بعبادة الأوثان كان ذلك أدل على النهي عن الشرك وعبادة الأوثان ... ثم قال :: فليس بعد حرصه ح على أمته ونصحه لهم غاية -بأبي هو وأمي- وكل ذلك من فضل الله عليه وعلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يعلمون#[1].

خامساً: النهي عن قول عبدي وأمتي:

هذا اللفظ نهى عنه رسول الله ح، لما فيه من اشتراك في اللفظ، احتراساً من الشرك ولو في اللفظ، وأدباً مع الله، وابتعاداً بالمؤمنين عن الشرك وما يشابهه من ألفاظ وإن لم تكن في نفسها شركاً.

جاء في الحديث عن أبي هريرة ط أن رسول الله ح قال: $لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضىء ربك، وليقل سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي#[2].

ففي إطلاق هاتين الكلمتين على غير الله تشريك في اللفظ، فنهاهم عن ذلك تعظيماً لله تعالى، وأدباً وبعداً عن الشرك، وتحقيقاً للتوحيد، وأرشدهم إلى أن يقولوا: $فتاي وفتاتي وغلامي#، وهذا من باب حماية المصطفى جناب التوحيد، فقد بلغ ح أمته كل ما فيه نفع لهم، ونهاهم عن كل ما فيه نقص في الدين، فلا خير إلا دلهم عليه، وأوله تحقيق التوحيد، و لا شر إلا حذرهم منه، وأوله ما يقرب من الشرك لفظا ًوإن لم يقصد به[3].

فإرشاده ح بأن يقولوا: سيدي ومولاي، وفتاي وفتاتي وغلامي، مِن باب سد ذرائع الشرك ووسائله اللفظية، وإن لم يقصد القائل به شركاً.

(1) اقتضاء الصراط المستقيم (1/440-446).
(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق وقوله عبدي وأمتي... (5/177 رقم 2552 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى والسيد (4/1764-1765 رقم 2249).
(3) فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ص 570).

سادساً: التحذير من الرياء:

لم يقف حرص رسول الله ح على حماية جناب التوحيد من الشرك وذرائعه في الأقوال والأفعال فحسْب -كما تقدمت الأمثلة على ذلك فيما سبق- بل كان حرص رسول الله ح كذلك على المقاصد والنيات أن تكون خالصة لله ، وحمايتها من كل ما يصرفها عنه من شرك أو بدعة أو شبهة أوذريعة للشرك، إذ النية أساس صحة العمل أو بطلانه، وأمرها عظيم، فهي سر بين العبد وبين ربه، كما في حديث عمر بن الخطاب ط أن رسول الله ح قال: $إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو مرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه#[1].

ومن الأمثلة على حرصه ح على سلامة النيات وخلوها لله : ما جاء في الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة ط مرفوعاً: $أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه#[2].

وعن محمود بن لبيد[3] ط أن رسول الله ح قال: $أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فسئل عنه، فقال: الرياء#[4].

هذه الأحاديث وغيرها تبين خطر الرياء على الأعمال، فهو ينقص ثواب العمل، وقد يحبطه بحسَب نية فاعله، وقد سماه رسول الله ح الشرك الأصغر، وحذر منه أمته تحذيراً شديداً حماية لحمى التوحيد من الشرك أياً كان نوعه، وحرصاً على قول المؤمن وعمله ونيته وقصده من كل ما لا يحبه الله -تعالى-، وأول ذلك الشرك به جل شأنه.

$فإذا كان الشرك الأصغر مخوفاً على أصحاب رسول الله ح مع كمال علمهم وقوة إيمانهم، فكيف لا يخافه وما فوقه من هو دونهم في العلم والإيمان بمراتب؟ خصوصاً إذا عُرف أن أكثر علماء الأمصار اليوم لا يعرفون من التوحيد إلا ما أقرّ به المشركون، وما عرفوا معنى الإلهية التي نفتها كلمة الإخلاص عن كل ما سوى الله#[5].

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ح (9/1 رقم 5401 -الفتح).

(2) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله (2289/4 رقم2985).

(3) هو: أبو نعيم محمود بن لبيد بن عقبة بن رافع الأوسي الأشهلي المدني (ت 96 هـ)، صحابي صغير وجُلّ روايته عن الصحابة. انظر: التقريب (رقم 6560).

(4) رواه أحمد في مسنده (39/39 رقم 23630)، والبغوي في شرح السنة (323/14، 423)، وجوّد إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (رقم 47)، وحسنه محققوا المسند.

(5) فتح المجيد (ص 95).

هذه بعض الأمثلة على بيان رسول الله ح لتوحيد العبادة وبيان مايضاده وينافيه، وحمايته ح لهذا النوع من التوحيد، الذي هو لبّ التوحيد والغاية التي لأحلها خلق الله الناس، وبعث فيهم الأنبياء والرسل لإ، وأنزل فيهم الكتب، وهو حق الله على عباده، وأول فرض على المكلف، وأول ما دعا إليه الأنبياء والرسل لإ أممهم.

لذا كان جديراً أن يكون له هذا الاهتمام من رسول الله ح، والبيان الواضح، والحماية العظيمة من كل ما يضاده أو يدنسه ويشوبه من شرك أو بدعة أو شك أو شهوة أو شبهة، فحقق ح هذا التوحيد، وحسم عنهم مواد الشرك، وربى أصحابه ن، فكانوا بعد الأنبياء والرسل لإ خير من عرف توحيد الله تعالى ودعا إليه وحماه، ومن بعدهم التابعون ومن تبعهم بإحسان في كل زمان ومكان.

المطلب الخامس: تاريخ دخول الإسلام في إندونيسيا

وتحته فروع:

- الفرع الأول: التعريف الموجز بإندونيسا، وموقعها الجغرافي، وتاريخ قيامها، وعدد سكانها

إن كلمة $إندونيسيا# مكو ّن من كلمتين هما: $إندو# بمعنى الهند، و$نيسوس# بمعنى الجزر في اللغة الإغريقية. فمن هاتين الكلمتين يتكون اسم إندونيسيا، ومعناه إذن: جزر الهند. وهذا البلد عبارة عن مجموعة من الجزر، أو ما يسمى بالأرخبيل. وهي تعتبر أكبر أرخبيل في العالم[1].

وهناك أسماء أخرى قد أطلقت في قديم الزمان على إندونيسيا، جدير ة أن أشير إليها لعله تمر بنا في أثناء هذا البحث. من هذه الأسماء: Nusantara(نُوْسَنْتَرَا) بمعنى الجزر الواقعة بين المحيطين ، وJawa (جَاوَا)، وجزائر الهند، وجزائر الملايو[2]. واسم إندونيسيا ذكر لأ ول مرة عام 1850م، ثم أصبح اسماً ثابتاً لجمهورية إندونيسيا منذ استقلا لها.

أما **موقعها الجغرافي**: فإنها تقع في الجنوب الشرقي من آسيا، فهي بين آسيا وأستراليا من جهة، وبين المحيطين الهندي والهادي من جهة ثانية. وأقرب البلاد إليها: سنغافورا وماليزيا في شمالها، والفلبين في الشمال الشرقي منها، وأوستراليا إلى الجنوب الشرقي[3].

وتتكون إندونيسيا من جزر كثيرة، منها الكبيرة منها الصغيرة، وتبلغ: (17،504) جزيرة[4]. منها: (6044) جزيرة مأهولة بالسكان، والباقي منها غير مأهولة. وتنتشر هذه الجزر على مساحة واسعة تزيد عن (5،176،800) كيلو متر مربع، بين بر وبحر.

وأما عن **تاريخ قيام جمهورية إندونيسيا**: فإن جمهورية إندونيسيا - التي نعرفها الآن- قد تأسست في 17 أغسطس عام 1945م. ففي هذا اليوم أعلن عن استقلالها بعد أن عاشت تحت وطأة الاستعمار عدة قرون، وبعد النضال الطويل للحصول على ذلك الاستقلال وتلك الحرية. فقد سجل التاريخ أن البرتغال استعمرت إندونيسيا منذ عام 1511 م، ثم جاءت هولندا

---

(1) ينظر: Ensiklopedi Nasional Indonesia (الموسوعة الوطنية الإندونيسية)، رئيس التحرير: الدكتور. أ. نوغروهو (74/7).

(2) ينظر: إندونيسيا، محمود شاكر (ص 13)، ورحلة ابن بطوطة (ص 617).

(3) ينظر: Ensiklopedi Nasional Indonesia (الموسوعة الوطنية الإندونيسية) (74/7).

(4) هذا هو نتيجة الإحصاء الأخيرة من قبل وزارة الداخلية بجاكرتا عام 2004 م، كذا في موقع wikipedia.

عام 1595م وحلت محل البرتغال، فاستعمرت هذه الجزر لمدة ثلاثة قرون ونصف قرن، إلى أن جاءت اليابان عام 1942م، وفعلت مثل ما فعلت سابقتها من الدول المستعمرة مع زيادة القسوة والاستهتار، وفي ظل الا ستعمار الياباني الذي بطش بالإندونيسيين وأذاقهم ألواناً وصنوفاً من العذاب والإهانة، نشطت حركة الجهاد وطرد المستعمر من البلاد واستشهد الكثير من أبناء إندونيسيا في سبيل ذلك، إلى أن ألقيت القنبلة الذرية على اليابان في 15 أغسطس عام 1945 م، وأعلنت اليابان استقلالها عن الحلفاء ، فانتهز الإندونيسيون تلك الفرصة، وأعلنوا استقلال إندونيسيا يومين بعد إلقاء القنبلة[1]. هذا هو تاريخ قيام جمهورية إندونيسيا بإيجاز شديد.

أما عدد سكانها -حسب الإحصاء الخامس الذي أجري في عام 2000م - يبلغ (206،264،595) نسمة[2]، وهي بذلك مع كونها أكبر دولة إسلامية، فإنها تعد رابع أكبر دولة في العالم من حيث عدد السكان بعد الصين والهند والولايات المتحدة الأمريكية. يعيش 60 % من سكان إندونيسيا في جزيرة (جَاوَا) التي تتركز فيها أيضاً السلطة السياسية والاقتصادية للبلاد. ويمثل المسلمون حوالي 87 % من سكان إندونيسيا[3]، فيما تضم النسبة الباقية أقليات مسيحية وهندوسية وبوذية ووثنية.

- الفرع الثاني: الأوضاع الدينية في إندونيسيا قبل مجيء الإسلام.

تعود أصول الإندونيسيين القدماء إلى أعراق بدائية كانوا يعيشون في منطقة يونان في الصين الجنوبية، فهاجروا إلى جزر إندونيسيا في فترات متعاقبة، وذلك في حوالي القرن 3 أو 4 قبل الميلاد[4].

وكانوا يهاجرون إلى هذه المناطق ومعهم معتقداتهم السابقة، وكانوا -بسبب انحرافهم عن جادة الفطرة التوحيدية- يعبدون كل ما وجدوا من

(1) انظر: Ensiklopedi Nasional Indonesia (الموسوعة الوطنية الإندونيسية) (810/2) نقلا ً عن الصوفية في إندونيسيا نشأتها وتطورها وآثارها عرض وتقويم، لفرحان ضيفور جهري (ص 17).

(2) انظر: تقرير رسمي لجنة إحصاء السكان رقم 3/5/26 يونيو 2003 م كما في موقع اللجنة. ولا يزال العدد يزداد من تلك السنة إلى اليوم، حتى قيل إنه بلغ 220 مليون نسمة.

(3) هذه هي نتيجة الإحصاء من عام 1900م، وقد اعترض على هذا الإحصاء كثير من النصارى حيث رأوا أن فيه تضخيماً لعدد المسلمين. أما المسلمون فقد رأوا عكس ذلك، وأن نسبة المسلمين فيهم أكثر من 90 % حيث تتفاوت التقديرات بين 88 % و95 %، وهذا التفاوت ناتج عن محاولة تضخيم عدد النصارى الذين يقدرون بـ 7 %، وقد نقصت نسبتهم كثيراً بعد انفصال تيمور الشرقية. من مستندات إنترنت "إندونيسيا بين أمل الصعود وخطر التفكك".

(4) Kebudayaan Jawa (حضارة جَاوَا)، لكونتجارا نينجرات (ص 37) نقلا ً عن الباطنيون في إندونيسيا (ص 78).

قوى المظاهر الطبيعية. ثم إنهم بعد توزعهم في هذه الجزر الإندونيسية، بدأوا يطلقون على تلك المعبودات أسامي محلية خاصة بها، فأهل Batak (بَ تَ كْ) القدماء -ساكنوا منطقة سُوْمَطْرَا الشمالية- أطلقوا على معبودهم اسم Mahatala (مَ هَ تَ لَا)، وقبيلة Dayak (دَ يَ كْ) البدائية -ساكنوا جزيرة كَ لِ مَ نْ تَ نْ- سمت إلهها بـ Maharaja Kolong Rahun (مَ هَ رَ جَ ا كُ وْ لُ وْ نْ جْ رَ هُ وْ نْ)، والذين نزلوا جزيرة سُ وْ لَ وِ يْ سِ يْ أطلقوا على معبودهم اسم Puanang Mantua (فُ وَ نَ نْ جْ مَ نْ تُ وَ ا)، كما أن لكل الذين نزلوا أي جزيرة من جزر إندونيسيا إله سموه بلغتهم المحلية الخاصة[1]، ومع ذلك فظاهرة عبادتهم للإله الواحد الأحد ظاهرة في بعض القبائل؛ فقد ظهرت فيهم ملامح عبادة الله الأحد أيضاً، فالجاويون القدامى لهم إله سموه بـ Hyang (هِ يَ نْ جْ)، الذي وصفوه بأنه الإله الخالق رب العالمين Hyang Murbeng Dumadi (هِ يَ نْ جْ مُوْرْبِيْنْجْ)، ولـ لِ بْ اِلْ يِ يّين سكان جزيرة Bali (بَ لِ ي) إله سموه بـ Hyang Tunggal (هِ يَ نْ جْ تُ وْ نْ جَ لْ) أي الإله الواحد الأحد، كما أن لسكان ساوو إلهاً يدعى Ti Tau Wulu Tau (تِ يْ تَ ا وُ وُ لُ وْ تَ وْ)، أي الإله الواحد الأحد، كما أن لهم آلهة متفرقة أخرى من القوى الطبيعية[2].

وكانوا مستمرين على هذا الوضع إلى أن جاء إليهم التجار الهنود الذين نشروا ديانتهم **الهندوكية**[3]، وكان ذلك في **القرن الأول الميلادي**، ثم جاء البوذيون لينشروا ديانتهم **البوذية**[4] وسط أهالي الجزر الإندونيسية،

---

(1) Agama Asli Indonesia (الديانة الأصلية لإندونيسيا)، لرحمت سوباغيا (ص 66-68).

(2) المرجع السابق (ص 64، 66، 67، 68).

(3) الهندوكية أو الهندوسية: هي أقدم الديانات الهندية المشهورة، ويرجع تاريخ نشأتها إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد على الراجح، وذلك من زمن غزو الأري للهند. والديانة الهندوسية ليس لها مؤسس يمكن الرجوع إليه كمصدر لتعاليمها وأحكامها، وإنما هي دين متغير ومتزايد على العصور، ومجموعة من التقاليد والأوضاع التي تولدت من تنظيم الآريين لحياتهم عبر الأجيال، بعد ما وفدوا على الهند وتغلبوا على سكانها الأصليين. وفي القرن الثامن قبل الميلاد أطلق على الهندوسية $البراهمة# نسبة إلى براهما، وهو أكبر الآلهة عند الهندوس. انظر: أديان الهند الكبرى، للدكتور أحمد شلبي (ص 43 وما بعدها).

(4) البوذية: هم أتباع بوذا (560-480 ق م)، ولها انتشار بين عدد من الشعوب الآسيوية، وتتباين عقائد الأتباع حول هذه النحلة، فتجعل البوذية اليابانية $بوذا# جوهراً إلهاً حالاً في الكون، وبوذية الهند -وهي الأصل- لا إله لها، وبوذية الصين مالت إلى الاعتقاد بفكرة كائن مطلق يتمثل في شخصيات مختلفة، وبوذا واحد

وكان مجيئهم في القرن الرابع الميلادي، وكان الهندوكيون والبوذيون جادين في دعوتهم، حتى استطاعوا أن ينشؤوا ممالكهم في سُومَطْرَا وجَاوَا وكاليمانتان. كما أنهم اهتموا ببناء وتشييد معابدهم[1].

وكانت السلطات الحاكمة قد فرضت على الشعب اعتناق ديانتهم الهندوكية، غير أن التعاليم الهندوكية الأصلية لم تطبق إلا في الأسرة الملكية الحاكمة، بسبب أن تعاليم الديانة الهندوكية الطبقية كانت تعطي للملك وأسرته قداسة الآلهة ويحتفظون بها على بقاء ملكهم، أما الشعب فوجدوا أن النظام الطبقي المعمول له في الديانة الهندوكية نظام غير مألوف لديهم وغير مقبول في مداركهم البسيطة، بينما أمامهم تعاليم ديانة بوذية تمنيهم بالخلاص من آلام الدنيا بممارسة تعاليمها، فلجَأو ا إلى تلفيق الديانة المفروضة عليهم بالمعتقدات البدائية المحلية التي ألفوها، فنشأت عن هذا التلفيق ديانة هِنْدُوبُوذِيّة[2].

هذه هي الحالة السائدة لدى الإندونيسيين قبل مجيء الإسلام، فهم قد ألفوا انتهاج المنهج التلفيقي، بل ويعدونه من مفاخرهم، حيث يحتفظون به على معتقداتهم الأصلية، فوجد الدعاة المسلمون الأوائل مجتمعاً خاصاً له خلفياته الحضارية وقوته السياسية وديانته التلفيقية[3].

- الفرع الثالث: تاريخ دخول الإسلام في إندونيسيا.

هناك شيء عن دخول الإسلام إلى إندونيسيا قد أجمع الباحثون عليه ولا أعلم فيه خلافاً؛ وهو أن الإسلام دخل تلك الجزر بطريق السلام، لا بـ الحرب والقتال. فلا نجد عندما نقرأ الكتب التاريخية -إندونيسية كانت أم عربية أو غيرهما- ما يدل على أن موقعة عسكرية وقعت هناك تبشر بالإسلا م. وهذه الحقيقة تعتبر -بدون أدنى شك- ميزة طيبة، ولها من الجوانب المفيدة ما لا يخفى على أحد؛ الأمر الذي $جعل السكان يقبلون على الإسلام بشكل واسع لا نظير له إلا في أيامه الأولى، فقد اعتنق الإسلام في إندونيسيا عشرات الملايين في مدة لا تتجاوز القرن من الزمان#[4].

منها. انظر: المرجع السابق (ص 141 وما بعدها).

(1) Kebudayaan Jawa (حضارة جَاوَا) (ص 43-38) نقلا ً عن الباطنيون في إندونيسيا (ص 49).

(2) Perkembangan Kebatinan di Indonesia (تطور الباطنية في إندونيسيا)، لـ أ. د. حَمْكا (ص 1)، وKebudayaan Jawa (حضارة جَاوَا) (ص 44)، و Sejarah Kebangkitan Islam dan Perkembangannya di Indonesia (تاريخ نهضة الإسلام ونشأته في إندونيسيا)، لسيف الدين زهري (ص 224).

(3) Kebudayaan Jawa (حضارة جَاوَا) (ص 38)، و Sejarah Perkembangan Islam di Indonesia (تاريخ تطور الإسلام في إندونيسيا)، للدكتور رسلان عبد الغني (ص 22-20) نقلا ً عن الباطنيون في إندونيسيا (ص 80).

(4) إندونيسيا، لمحمود شاكر (ص 29).

ويبقى بعد هذه المقدمة الوجيزة بعض الأسئلة التي تحتاج إلى جواب ، وهي: متى دخل الإسلام إندونيسيا؟، ومن أين جاء؟، ومن القائمون بحمله إليها؟.

من الصعب ضبط وتحديد بداية وصول الدعاة المسلمين، وبالتالي انتشار تعاليم الإسلام بين أوساط المجتمع الإندونيسي؛ وذلك لعدم اعتياد ا لإندونيسيين -في تلك الأزمان القديمة- على تسجيل الأحداث الجارية بينهم[1]، كما أن انتشار الإسلام المبني على الأساليب السلمية لم يكن يلفت انتباه المؤرخين.

ويزداد هذا الأمر عسراً وصعوبةً إذا انضم إلى ذلك بُعد هذه الجزر من مركز الدعوة الإسلامية في البلاد الإسلامية، ومحاولة تشويه الأجانب لحركة الدعوة الإسلامية في هذه الجزر[2].

ولكن هناك محاولات لمعرفة هذه الأمور، فيجمل بي أن أورد هنا بعض تلك النظريات المطروحة، وهي ثلاث نظريات مشهورة تحاول الإجابة على تلك الأمور المذكورة، وفيما يلي بيان لتلك النظريات الثلاث[3]:

أولا ً: نظرية غوجارات[4].

تقول هذه النظرية بأن دخول الإسلام أرض إندونيسيا كان **في القرن (13م / 7هـ)**، كما أكدت أنه وصل هناك منطلقاً من غوجارات، وليس من الجزيرة العربية.

$والعديد من المفكرين[5] الهولنديين، مالوا إلى هذه النظرية وأيدوها#[6].

---

(1) انظر: Menemukan Sejarah (العثور على التاريخ)، لأحمد منصور سوريانيكارا (ص 73).

(2) ينظر: الإسلام في أرخبيل الملايو ومنهج الدعوة إليه، د. رؤوف شلبي (ص 34).

(3) انظر: Menemukan Sejarah (العثور على التاريخ) (ص 94-75)، و Jaringan Ulama Timur Tengah dan Kepulauan Nusantara Abad XVII dan XVIII (شبكة علماء الشرق الأوسط وجزر نُوْسَانْتَارَا في القرنين 17 و18 الميلاميين)، أ. د. أزيوماردي أزرا (ص 2-1)، وSejarah Umat Islam Indonesia (تاريخ الأمة الإ سلامية الإندونيسية)، د. توفيق عبد الله وآخرون (ص 47-33).

(4) غوجارات أو كوجارات: هي ولاية في الجزء الغربي من الهند تقع على البحر العربي. انظر: موسوعة المورد، لمنير البعلبكي (46/5) نقلا ً عن الصوفية في إندونيسيا (ص 23).

(5) أو بالأصح: المستشرقين، وعلى رأسهم: Snouck Hurgronje (سنوك هورجرونجه). انظر: Menemukan Sejarah (العثور على التاريخ) (ص 75).

(6) Jaringan Ulama Timur Tengah dan Kepulauan Nusantara (شبكة علماء الشرق الأوسط وجزر نُوْسَانْتَارَا) (ص 2).

وإضافة إلى ذلك تقول هذه النظرية: إن القائمين بحمل الإسلام إلى إندونيسيا هم التجار الهنود الذين أسلموا.

من حجج القائلين بهذه النظرية:

1. سيطرة الممالك الهندوكية والبوذية في القرن الثاني عشر أو الثالث عشر الميلاديين[1] مما لا يسمح للدعاة المسلمين أن ينشروا دعوتهم.
2. إن أول مملكة إسلامية قامت في إندونيسيا هي مملكة Pasai (فَ سَي) الإسلامية، وكان أول ملوك المملكة فاسي: الملك الصالح[2] المتوفى سنة 1297م الموافق لعام 696هـ.
3. فتور النشاط الدعوي بعد القرن الثاني الهجري في جنوب شرق آسيا[3]، وقلة الأدلة التي تثبت وجود نشاط دعوي للعرب في تلك البلا د.
4. وجود الصلة التجارية بين إندونيسيا والهند منذ عهد بعيد[4].

ثانياً: نظرية فارس[5].

هذه النظرية مثل نظرية غوجارات السابقة الذكر؛ ترى أن الإسلام وصل إلى إندونيسيا في القرن (13م / 7هـ)[6].

والفرق بينهما أن هذه النظرية تؤكد أن الإسلام وصل إلى إندونيسيا من فارس، حيث مرّ دعاة الإسلام على غوجارات. فغوجارات ليست منطلق الإسلام وإنما هي محطة توقف فقط، حيث وقف فيها دعاة الإسلام القاصدون إلى إندونيسيا.

وسبب هذا القول: التشابه في بعض التقاليد والعادات في إندونيسيا وبلاد فارس، كالاحتفال بمقتل الحسين في يوم عاشوراء وكاللون الصوفي، ومن ثم الاستنباط بأن الإسلام وصل إلى إندونيسيا من فارس أصلا ً، لا

---

(1) Kerajaan-Kerajaan Islam Pertama di Jawa (الممالك الإسلامية الأولى في جَاوَا)، ها. جي. دي كراف (ص 18).

(2) هو: السلطان الملك الصالح (1270-1297 م)، أحد ملوك مملكة سَمُودْرَ فَسَيْ بمنطقة أتشِيْهْ، كما في اللوحة الإرشادية بضريحه :.

(3) انظر: Sejarah Perkembangan Islam di Indonesia (تاريخ تطور الإسلام في إندونيسيا) (ص 2) نقلا ً عن الباطنيون في إندونيسيا (ص 82)، و Beberapa Aspek tentang Islam di Indonesia Abad XIX (جوانب عدة عن الإسلام في إندونيسيا في القرن التاسع عشر)، د. كاريل ستنينبرينك (ص 173).

(4) انظر: Menemukan Sejarah (العثور على التاريخ) (ص 75).

(5) فارس: ولاية واسعة وإقليم فسيح، أول حدودها من جهة العراق أرّجان، ومن جهة كرمان السيرجان، ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف، ومن جهة السند مكران. انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي (226/4).

(6) منشىء هذه النظرية هو: P.A. Hoesein Djajaningrat (ب. أ. حسين جايانينجرات). انظر: Menemukan Sejarah (العثور على التاريخ) (ص 90).

من غوجارات أو غيرها من الأماكن[1].

ثالثاً: النظرية العربية.

ملخص هذه النظرية: أنها ترى أن الإسلام إنما دخل إندونيسيا في القرن 1 هـ / 7 م. والقائمون بحمله إليها هم تجار العرب المسلمون الذين أتوا من الجزيرة العربية مباشرة إلى إندونيسيا، ثم تبعهم المسلمون من فارس وغوجارات. واختلف مؤيدوا هذه النظرية فيما بينهم؛ من أي بلد من الجزيرة العربية انطلق منه الإسلام إلى إندونيسيا؟ فبعضهم قال: من مكة المكرمة[2]، ورأى الآخرون أنه من مصر لتساوي المذهب الفقهي بين البلدين[3]، وبينما رأى البعض الآخر أنه من حضرموت[4].

وقد استندت هذه النظرية إلى أمور منها:

1. ما ورد في مذكرة سائح صيني[5] في وجود بعثة ملكية عربية إلى مملكة Holing (هـ ُو ْل ِيْن ْج ْ) بجَاوَا الشرقية[6]، وذلك عام 674 م (52 هـ).
2. ما أورده Sir Thomas W Arnold (السِّيْرْ تُوْمَسْ أَرْنُوْلْدْ)[7] في كتابه $الدعوة إلى الإسلام# من وجود زعيم عربي للمستعمرة العربية على ساحل سُوْمَطْرَا الغربي، وذلك عام 684م (62 هـ)[8].

(1) المصدر السابق.

(2) ممن ذهب إلى هذا الرأي: أ. د. حَمْكا، ويرى أن غوجارات مجرد مكان يمر تجار عرب عليه، والعرب هو المصدر. انظر كتابه: Sejarah Umat Islam (تاريخ الأمة الإسلامية) (19/7).

(3) ممن يرى هذا الرأي: Keizjer (كـ ِيـ ْز ْجـ ِيْر ْ). انظر: Jaringan Ulama Timur Tengah dan Kepulauan Nusantara (شبكة علماء الشرق الأوسط وجزر نُوْسَانْتَارَا) (ص 7).

(4) ممن يرى هذا الرأي: Niemann (نـ ِيـ ْمـ َان ْ)، وDe Hollander (د ِي ْ هـ ُو ْل َنـ ْد ِيـ ْر ْ)، انظر: المصدر السابق (ص 8-7).

(5) وذلك في زمان Dinasti Tang (عصر تـ َنـ ْج ْ).

(6) رأى حَمْكا أن المقصود بمملكة هـ ُو ْل ِيْن ْج ْ هو مملكة Kalingga (كـ َا ل ِيـ ْنـ ْجـ َا) بجَاوَا الشرقية، بينما رأى محمد سعيد أن المقصود بهولنج هو الزابج أو Sriwijaya (سـ ْر ِيـ ْو ِيـ ْجـ َيـ َا) في سُوْمَطْرَا الشمالية. انظر:Sejarah Umat Islam (تاريخ الأمة الإسلامية) (17/7)، و Menemukan Sejarah (العثور على التاريخ) (ص89).

(7) مستشرق إنكليزي، (1864-1930م)، تعلم في كامبريدج، وعمل عدة سنوات في الهند أستاذا في جامعة عليكرة، له مؤلفات كثيرة في الدراسات الإسلامية، وكان معجباً بالإسلام متضلعاً من علومه منصفاً له في أبحاثه عنه. انظر: المستشرقون (504-505/2).

(8) Risalah Seminar Sedjarah Masuknya Islam ke Indonesia (مذكرة ندوة تاريخ دخول الإسلام في إندونيسيا) (ص 78-77) نقلا ً عن الباطنيون في

3. ما أشار إليه برزك بن شهريار الناخذاه الرامهرمزي[1] في كتابه $عجائب الهند# الذي كُتب في سنة 390 هـ تقريباً عن وجود المسلمين من سكان مملكة Sriwijaya (سْ رِ وِ جَ يَ ا)[2].
4. ما وجد في وثيقة تاريخية[3] من أن أولى مملكة إسلامية في إندونيسيا هي مملكة Perlak (فِ يْر لَ كْ) الإسلامية، التي أنشئت في غرة محرم سنة 255 هـ، الموافق للسنة 840 م[4].
5. تم العثور على نقش حجري لقبر إحدى السيدات المسلمات تدعى فاطمة بنت ميمون بن هبة الله، وتنص على وفاة تلك المسلمة في 7 رجب سنة 475 هـ / 1082 م. ووجد النقش الحجري في قرية Leran (لِ يْ رَ نْ) قُرْبَ مدينة Gresik (كْ رِ يْ سِ يْ كْ) الساحلية بجَاوَا الشرقية[5].
6. وجود مراسلة بين ملك[6] مملكة Sriwijaya (سْ رِ وِ جَ يَ ا) البوذية بسُوْمَطْرَا الشمالية مع الخليفة معاوية بن أبي سفيان[7]، وكذا مع الخليفة عمر بن عبد العزيز[8]، يطلب الملك منهما

إندونيسيا (ص 81).

(1) هو: برزك بن شهريار ملاح من رامهرمز، عاش في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، وألف كتاب $عجائب الهند#. انظر: دائرة المعارف الإسلامية (617/3)، ولم أجد له ترجمة في غير المصدر المذكور.
(2) عجائب الهند (ص 146-147).
(3) هذه الوثيقة هي كتاب بعنوان: $إظهار الحق في مملكلي فرلك وفاسي# لأبي إسحاق ماكاراني فاسي. انظر: Sejarah Umat Islam Indonesia (تاريخ الأمة الإ سلامية الإندونيسية) (ص 46).
(4) Syi'ah dan Ahlus Sunnah Saling Rebut Pengaruh dan Kekuasaan Sejak Awal Sejarah Islam di Kepulauan Nusantara (الشيعة وأهل السنة تخاطفوا النفوذ والسلطة منذ أوائل تاريخ الإسلام في نُوْسَانْتَارَا)، أ. أحمد هاشمي (ص 71).
(5) Risalah Seminar Sedjarah Masuknya Islam ke Indonesia (مذكرة ندوة تاريخ دخول الإسلام في إندونيسيا) (ص 193-194)، وهناك إكتشافات أثرية إسـ لامية أخرى تعود إلى القرن الأول الهجري، انظر: Sejarah Perkembangan Islam di Indonesia (تاريخ تطور الإسلام في إندونيسيا) (ص 20) نقلاً عن الباطنيون في إندونيسيا (ص 84)، و Kerajaan-Kerajaan Islam Pertama di Jawa (الممالك الإسلامية الأولى في جَاوَا) (ص 21).
(6) اسمه: Sri Indravarman (سْ رِ يْ إِ نْ دْ رَ ا فَ ا رْ مَ ا نْ). انظر: Jaringan Ulama Timur Tengah dan Kepulauan Nusantara (شبكة علماء الشرق الأوسط وجزر نُوْسَانْتَارَا) (ص 29).
(7) هو: معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي أبو عبد الرحمن الخليفة (ت 60 هـ) صحابي من كتبة الوحي. انظر: التقريب (رقم 6806).
(8) هو: عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الأموي (61-101 هـ)، أمير المؤمنين. انظر:

أن يرسلا إليه داعياً يعلمهم تعاليم دين الإسلام[1].

7. أن المذهب الشافعي هو المذهب المتميز في مكة[2].

ولا تخلو نظرية من هذه النظريات من مؤاخذات، ولست هنا بصدد مناقشة هذه النظريات، وبسط تلك المؤاخذات[3]، فإن المقام لا يسع لذلك، ولكن النفس تميل إلى أن **الإسلام إنما دخل إندونيسيا في وقت مبكر**، لقوة بعض الأدلة التي أوردها مؤيدوا النظرية الثالثة، وإن كان الجزم بقرن معين من الصعب بمكان، إذ كل هذه الوثائق يصعب القطع بأصالتها والجزم بصحتها، وكثير من المسائل التاريخية إنما تكون مبنية على ظنون واحتمالا ت، لا على نصوص وقطعيات.

هذا ما يتعلق بوقت دخول الإسلام إلى إندونيسيا، وأما وقت انتشاره فيمكن أن يقال أن **الإسلام انتشر في القرن 13 م / 7 هـ**، وعلى هذا يحمل قول معظم الكتاب الغربيين.

أما قضية **منطلق الإسلام**: فإني أميل إلى رأي الأمير شكيب أرسلان [4]:، فإنه حاول أن يجمع بين هذه النظريات الثلاث قائلاً: $ومن هذا القبيل تخبط مؤرخي الإفرنج في الدعاة الذين أسلم على أيديهم الجاويون، فتارة يقولون إنهم: كجراتيون، وتارة يقولون إنهم: فارسيون، ولهم في هذا الباب جولات لا تخلو عن تجاهل. وقد يُعتذر عنهم بأنهم رأوا أن هؤلاء

التقريب (رقم 4974).

(1) انظر: Jaringan Ulama Timur Tengah dan Kepulauan Nusantara (شبكة علماء الشرق الأوسط وجزر نُوْسَانْتَارَا) (ص 26). ذَكَرَ مقدمةَ هذه الرسالة الجاحظُ (150-255 هـ) في كتاب الحيوان (113/7) وذكر أن تلك الرسالة جاءت من ملك الصين. وذكرها كاملة ابن عبد ربه (246-328هـ) في العقد الفريد (255/2) وسماها من ملك الهند. وزاد ابن تغري بِرْدِي (813-874 هـ) في $النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة# (307/1) زيادة مهمة في آخر الرسالة، قول الملك: $لأني أخوك في الإسلام#، وقد عُرف ابن تغري بردي بالدقة في نقل الرسائل. والملك Sri Indravarman (سَرِي إِنْدْرَافَارْمَان) سمّته المصادر الصينية بـ Shih-li-t'o-pa-mo (صِيحْ لِي طَافَا مُو)، وهذا الاسم يشير إلى أنه لم يسلم بعد. انظر: Jaringan Ulama Timur Tengah dan Kepulauan Nusantara (شبكة علماء الشرق الأوسط وجزر نُوْسَانْتَارَا) (ص 29).

(2) Menemukan Sejarah (العثور على التاريخ) (ص 82).

(3) وقد جمعت تلك المؤاخذات من مصادر شتى، أسأل الله تيسير نشرها مستقبلاً في بحث مستقل.

(4) هو: شكيب بن حمود بن حسن أرسلان (1286-1366 هـ)، من سلالة التنوخيين ملوك الحيرة، عالم بالأدب والسياسة، مؤرخ من أكابر الكتاب، يُنعت بأمير البيان، من أعضاء المجمع العلمي والعربي. انظر: الأعلام (173/3-175)، ومعجم المؤلفين (304/4).

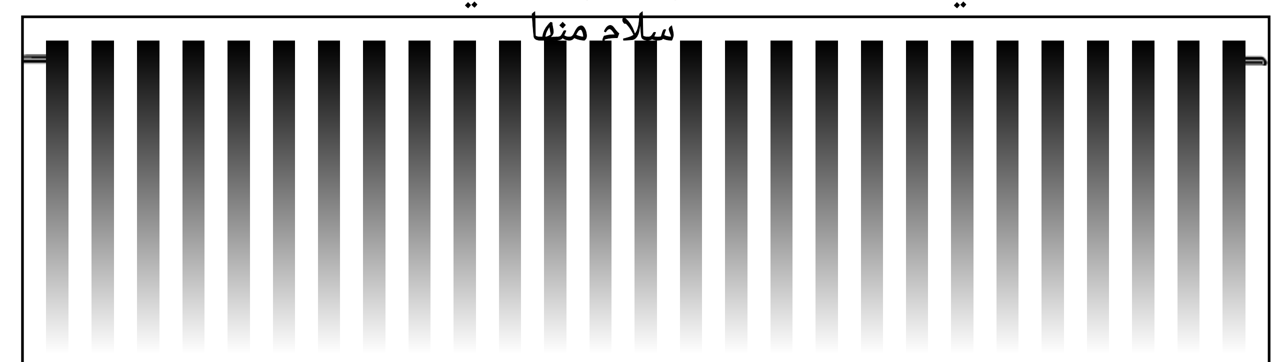
الدعاة يأتون من ناحية تلك البلاد ولا يعرفون حقيقتهم. وقد كان العرب الحضارمة وفي مقدمتهم السادة العلويون لهم ترداد إلى مليبار وكجرات وكاليكوت وغيرها من البلاد الهندية، ولهم بها مراكز تجارية ودينية، وقد كان لكثير من العلويين رباطات مفتوحة لطالبي العلم، وكانت السفن تذهب من ساحل حضرموت قاصدة إلى مليبار ثم تأخذ شرقاً على السواحل الهندية، ومنها إلى سُوْمَطْرَا وبلاد آشي منها وفـ ـَـا ـيـ ـْـه ـْـبـ ـِـاغ، فجَاوَا#.

وقال أيضاً: $ومن دواعي الوهم لأولئك المؤرخين: الذي يستعمله العلويون، فإنه أشبه شيء بزي علماء فارس، وفي كلامهم توهمات وظنون لا تخفى على المتأمل#[1].

هذا ما تيسر لي عرضه عن هذه المسألة، فمن أراد التوسع فليرجع إلى الكتب المختصة بذلك. والله تعالى أعلم[2].

(1) انظر: حاضر العالم الإسلامي، وثروب ستارداد الأمريكي، ترجمه إلى العربية عجاج نويهض، وعلق عليه الأمير شكيب أرسلان (3/177-175).

(2) ينظر مثلا ً: Menemukan Sejarah (العثور على التاريخ) (ص 73-102)، وإندونيسيا، لمحمود شاكر (ص 21-35).



الفصل الأول: عوامل الانحراف عن توحيد العبادة فى إندونيسيا

ويتكون من ستة مباحث:

المبحث الأول: الجهل وتلقي بعض المسلمين لكثير من المبادئ الإسلامية
على غير صورتها الصحيحة

المبحث الثاني: تأثر بعض المسلمين بالأديان الأخرى

المبحث الثالث: الاستعمار والغزو الفكري الغربي لإندونسيا

المبحث الرابع: تقليد الآباء والأجداد

المبحث الخامس: انتشار فكرة التصوف ونشاط دعاته

المبحث السادس: إهمال بعض الدعاة الدعوة إلى التوحيد وتحقيقه

توطئة:

للانحراف عن الصراط المستقيم والبعد عن المنهج القويم -الذي جاء به الرسول ح وسار عليه الصحابة ن والتابعون من بعدهم- عومل وأسباب كثيرة. ومن المهم معرفة تلك العوامل، لاسيما العوامل المؤدية إلى الانحراف عن توحيد العبادة، وذلك لتُحذَر وتُجتنب، ويُعرّف الناس خطَرها وضررها عليهم في العاجل والآجل، فيبتعدوا عنها. ولا شك أن ذلك من أنجع سبل الحفاظ على صفاء عقيدة الأمة، والوقاية من الوقوع في ظلمات الشرك وضلالات البدع.

وبناءً على ذلك، سوف أسوق في هذا الفصل أهم عوامل الانحراف عن توحيد العبادة في إندونيسيا، حتى يجتنبها المسلمون، ويقلع عنها من كان واقعاً فيها؛ فإنه $لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين#[1].

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين (529/1 رقم 6133 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب لا يلدغ من حجر مرتين (2295/4 رقم 2998).

المبحث الأول: الجهل وتلقى بعض المسلمين لكثير من المبادئ الإسلامية على غير صورتها الصحيحة

من الأمور المسلّم بها: أهمية العلم ولا سيما العلم الشرعي، أي معرفة أمور الدين وشرائعه، ومن ثم العمل بذلك، حتى يعبد الله على بصيرة ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ الزمر: 9.

ومن هنا فإن الجهل بالدين وبأحكامه آفة خطيرة، وداء عظيم، فهو يحجب عن معرفة الحق، ويُبعد عن سنن الهدى، ويؤدي إلى الضلال، ويوقع في الانحرافات المتعددة.

والجهل أصل كل شر وفساد، وبه يكون الضلال والشقاء، وهو -أي الجهل- نوعان[1]:

1- عدم العلم بالحق النافع.

2- عدم العمل بموجبه ومقتضاه. كما قال الله عن يوسف ؛: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ يوسف: 33. أي: مرتكبي ما حرّمت عليهم.

والجهل عرّفه علماء اللغة بأنه نقيض العلم[2].

وأما اصطلاحاً: فعُرّف بأنه: عدم العلم عمّا من شأنه أن يُعلم[3]، وهناك تعاريف أخرى[4] وهي متقاربة المعنى.

والجهل تارة يرد في سياق الذم -وهو الغالب- وتارة لغير الذم، نحو قوله تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ البقرة: 273، أي من لا يعرف حالهم[5].

والأصل في بني آدم هو الجهل والظلم، كما قال تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ الأحزاب: 72، $فالأصل فيه [أي: الإنسان] عدم العلم، وميله إلى ما يهواه من الشر، فيحتاج دائماً إلى علمٍ مفصّل يزول به جهله، وعدلٍ في محبته وبغضه، وفعله وتركه، وإعطائه ومنعه، وأكله وشربه، ونومه ويقظته؛ فكل ما يقوله ويعمله يحتاج فيه إلى علم ينافي جهله، وعدل ينافي ظلمَه، فإن لم يمن الله عليه بالعلم المفصل والعدل المفصل؛ وإلا كان فيه من الجهل والظلم ما يخرج به عن الصراط المستقيم#[6].

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى (7/539-540)، ومدارج السالكين (1/469).
(2) انظر: كتاب العين للخليل (3/390)، ولسان العرب (2/402)، والقاموس المحيط للفيرزآبادي (ص 980).
(3) انظر: التعريفات للجرجاني (ص 113)، والكليات (ص 350).
(4) انظر مثلا ً: مفردات ألفاظ القرآن (ص 209)، والحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة لزكريا الأنصاري (ص 67).
(5) مفردات ألفاظ القرآن (ص 209)
(6) مجموع الفتاوى (14/38)، وانظر نفس المصدر (15/357، 22/401)، وإغاثة اللهفان (2/847-851).

وللجهل أثر عظيم في ضلال العبد وانحرافه عن الحق وبعده عنه وردّه إياه، وقد بيّن لنا ربنا تبارك وتعالى ذلك في كتابه المبين أتم بيان، وذكر سبحانه فيه جوانب وأنواعاً من ضلال البشر، كان السبب الرئيس فيها جميعاً هو الجهل، ومن ذلك:

1. إن أعظم الأعمال جرماً وإثماً، وأشدها تحريماً هو الشرك بالله ، والكفر به، وأصل الشرك والكفر وأعظم أسبابهما هو الجهل والقول على الله بغير علم، وقد أخبر الله عن المشركين أنهم يعبدون من دونه ما لا علم لهم به ولا حجة ولا برهان[1]، فقال تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ الحج: 71.
2. وكان الجهل هو السبب في طلب بني إسرائيل من موسى ؛ أن يجعل لهم آلهة من دون الله ، قال تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ الأعراف: 138.
3. وأدّى الجهل ببعض البشر إلى أن يعتدوا ويتجاوزوا فيسبّوا الله سبحانه على جهالة منهم به سبحانه وبما يجب أن يذكر به[2]، فقال تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ الأنعام: 108.
4. وتطاول أقوام على مقام التشريع فأخذوا يحلون ما لم يحله الله، ويحرّمون ما لم يحرّمه بدون دليل ولا علم ولا وحي من الله[3]، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ الأنعام: 143-144.

فهذه بعض آثار الجهل وعواقبه التي ذكرها الله سبحانه في كتابه الكريم، وهي بحق آثار خطيرة، وعواقب وخيمة، لا يخص ضررها الأفراد، بل يعم المجتمعات، ولا يكون شرها قاصراً على الجاهل نفسه، وإنما يتعداه إلى غيره، ولا ينحصر فسادها في جانب دون آخر، بل يشمل الدين والأخلا ق والفطرة[4].

وإذا انتقلنا إلى السنة النبوية، وجدنا إخبار النبي ح أن من أشراط الساعة قبض العلم وظهور الجهل، فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ح: $إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل#[5].

---

(1) تفسير ابن كثير المسمى تفسير القرآن العظيم (317/6).
(2) تفسير الطبري (480/9)، وتفسير البيضاوي المسمى أنوار التن-زيل وأسرار التأويل (319/1).
(3) انظر: تفسير الطبري (629/9-630)، وتفسير القرطبي (115/4).
(4) انظر: المباحث العقدية في حديث افتراق الأمم، لأحمد سردار (ص 322-328).
(5) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل (178/1 رقم 80 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور

وعن أبي وائل[1] : قال: كنت جالساً مع عبد الله -يعني ابن مسعود- ط وأبي موسى[2] ط فقالا: قال رسول الله ح: $إن بين يدي الساعة أياماً يرفع فيها العلم وينـزل فيها الجهل ويكثر فيها الهرج، والهرج القتل#[3].

وعن أبي هريرة ط قال: قال رسول الله ح: $يتقارب الزمان ويقبض العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج، قالوا وما الهرج؟ قال: القتل#[4].

قال الحافظ ابن حجر :: $والمراد من الحديث استحكام ذلك حتى لا يبقى مما يقابله إلا النادر، وإليه الإشارة بالتعبير بقبض العلم فلا يبقى إلا الجهل الصرف، ولا يمنع من ذلك وجود طائفة من أهل العلم، لأنهم يكونون حينئذ مغمورين في أولئك#[5].

ومن صور الجهل الموجود في إندونيسيا المؤدي إلى انحراف كثير من سكانها عن توحيد العبادة، هو جهلهم بأمر التوحيد، حيث جهل كثير من المسلمين هناك ما جاء به الرسول ح من الدعوة إلى التوحيد الخالص، وظنوا أن النطق بالشهادتين كاف في التوحيد، دون النظر فيما تعنيه هذه الشهادة من عبادة الله وحده، وتجريد المتابعة لرسول الله ح، ودون معرفة ما يناقضها من الاعتقادات والأعمال. وحسبوا أن الإقرار لله بالوحدانية وأنه الخالق الرازق المحيي المميت، هو معنى لا إله إلا الله، وأن الإيمان برسالة محمد ح للناس كافة هو تفسير شهادة أن محمداً رسول الله؛ فعبدوا الله حسب أهوائهم وما توافقه عواطفهم، وزعموا أن أعمالهم صالحة مقبولة عند الله.

مع أن العمل لا يكون صالحاً مقبولاً ً عند الله ولا يثاب صاحبه عليه إلا إذا توفر فيه شرطان أساسيان:

أحدهما: أن يكون خالصاً لله، سالماً من أية شائبة من شوائب الشرك، كما قال تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ البينة: 5.

الثاني: أن يكون مطابقاً لهدي رسول الله ح، كما ثبت في الصحيح:

الجهل والفتن في آخر الزمان (2056/4 رقم 2671).

(1) هو: شقيق بن سلمة الأسدي أبو وائل الكوفي، ثقة مخضرم، مات في خلافة عمر بن عبد العزيز. انظر: التقريب (رقم 2832).

(2) هو: عبد الله بن قيس بن مخرمة أبو موسى الأشعري (ت 50 هـ)، صحابي مشهور. انظر: التقريب (رقم 3566).

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، (13/13 رقم 7064 - الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل و الفتن في آخر الزمان (2056/4 رقم 2672).

(4) رواه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان (2057/4).

(5) فتح الباري (16/13).

$من عمل عملا ً ليس عليه أمرنا فهو رد#[1].[2]

فعبد كثير منهم الله سبحانه على غير هدى وحاربوا من أراد نصحهم وقذفوه بشتى الألقاب، ولم يسلم من شرهم حتى الأموات من العلماء العاملين والدعاة المخلصين الذين تعرضوا في كتبهم وتآليفهم لمثل أعمالهم وبينوا مناقضتها للإسلام ومنافاتها للتوحيد.

ومن فروع الجهل المنتشر في إندونيسيا: الجهل بعلم الحديث، فلا يميز الكثير منهم صحيحه من ضعيفه، ومن ثم يستدل البعض على عقيدة اعتقدها أو عمل يعمله بحديث ضعيف بل موضوع.

ومن ذلك: استدلال عالمهم على مشروعية التوسل بالذات بالحديث الذي أخرجه ابن ماجه[3] وغيره عن أبي سعيد الخدري[4] ط عن النبي ح ق ال: $من خرج إلى الصلاة فيدعو اللهم إني أسألك بحق السائلين إليك...#[5]، وزعم أن إسناده صحيح[6].

هكذا قال، مع أن هذا الحديث مسلسل بالضعفاء، وقد ضعفه جمع من أهل العلم[7].

ومن فروع الجهل في إندونيسيا: **تلقي بعض المسلمين لكثير من المبادئ الإسلامية على غير صورتها الصحيحة**، وهذا الجهل يكون من الجانبين؛ جانب الملقي، وجانب الملقى إليه.

أما من جانب الملقي: بحيث أنه يلقي ما يظنه من المبادئ الإسلامية وهو ليس كذلك، وصدور ذلك منه إما عن جهل، وإما عن علم، إلا أنه يجاري العادة المسيطرة على المجتمع الذي يدعو فيه، ولا شك أن هذا جرمه أعظم.

وأما من جانب الملقى إليه: بحيث أنه جَهل حقيقةَ ما يلقّن له مِن قبل مَن يدعوه، فيظنه من الإسلام، وليس الأمر كما ظنه. وهذا إن كان تصديقه

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (1343/3 رقم 1718).

(2) سيأتي -بإذن الله تعالى- الكلام الموسع عن هذين الشرطين لقبول العمل في (ص 395).

(3) هو: محمد بن يزيد الرَبَعي القزويني أبو عبد الله ابن ماجه (209-273 هـ)، صاحب السنن، أحد الأئمة الحفاظ. انظر: التقريب (رقم 6449).

(4) هو: سعد بن مالك بن سنان الأنصاري أبو سعيد الخدري (ت 63 هـ)، له ولأبيه صحبة، ممن أكثر في رواية الحديث. انظر: التقريب (رقم 2266).

(5) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب المساجد والجماعات، باب المشي إلى الصلاة (ص 147 رقم 778).

(6) انظر: Empat Puluh Masalah Agama (أربعون مسألة دينية)، لسراج الدين عباس (147/1).

(7) سيأتي -بإذن الله تعالى- الكلام الموسع على هذا الحديث في مبحث التوسل (ص 447-458).

صادراً عن اعتقاده بأن الذي يدعوه من أهل العلم المؤهلين لذلك، ولم يجد غيره؛ فإنه معذور إن شاء الله؛ لأنه قد عمل حينئذ بقوله تعالى: ﭽﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ النحل: ٤٣، والأنبياء: 7.

وصور هذا النوع من الجهل كثيرة: منها تلقي بعض المسلمين ما هو شرك على أنه أمر مشروع؛ كتلقيهم بأن دعاء المقبورين الصالحين من التوسل المشروع، وأن التبرك بالتمسح بالقبور وذوات الصالحين الأحياء من التبرك المشروع، وتعليق التمائم من بذل الأسباب المشروعة، وهكذا.

ومن صوره أيضاً: تلقي بعض المسلمين ما هو بدعة على أنه سنة؛ كتلقيهم أن الاحتفال بالمولد النبوي من علامة محبة الرسول ح، وأن الجهر بـ النية قبل الصلاة من السنة، والتوسل بالجاه من التوسل المشروع، إلى غير ذلك مما يشبه ما سبق ذكره.

وهذه الأمور كلها في الحقيقة مصدرها: الجهل.

فالواجب على كل مسلم: أن يتعلم من أمر دينه ما هو مكلف به، وما يتعين في حقه من أمور الإسلام، وأن يتحرى الحق في ذلك ولا يقبل كل ما يلقى له حتى يرى أن له برهاناً ودليلاً ً، كي يعبد الله على بصيرة.

فقد جاء عن عمر بن عبد العزيز :: $من عبد الله بجهل، أفسد أكثر مما يصلح#[1].

وأكثر المسلمين اليوم يعتنون أشد العناية بأمور الدنيا وعلومها، ويغفلون عن الآخرة وما يوصل إليها من علم نافع، وقد ذم الله تعالى من هذه حاله، فقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ الروم: 6-7.

(1) مجموع الفتاوى (281/25).

وعن أبي هريرة ط قال: قال رسول الله ح: $إن الله تعالى يبغض كل عالم بالدنيا جاهل بالآخرة#[1]. وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

(1) أخرجه الحاكم في تاريخه، كما ذكر ذلك السيوطي في الجامع الصغير (284/1 رقم 1856)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (382/1 رقم 1879).

المبحث الثاني: تأثر بعض المسلمين بالأديان الأخرى

يعد هذا الأمر من العوامل الخارجية لانحراف المجتمع الإندونيسي عن توحيد العبادة، إلا أنه يجدر التنبيه هنا إلي أن بين العوامل الداخلية و العوامل الخارجية علاقة وثيقة، ورابطة وطيدة.

ومما يبين ذلك: أن العوامل الخارجية لا يتم تأثيرها إلا بوجود العوامل الداخلية؛ لأن انخداع الناس وتأثرهم بالشبهات والأهواء إنما يكون بواحد من العوامل الداخلية[1]. فلولا الجهل بحقيقة الدين وبما يخالفه ويضاده، واتباع الأهواء الدينية، والحرص على الشهوات الدنيوية، وغير ذلك من العوامل الداخلية؛ لولا ذلك لبقيت الأمة محافظة على دينها الحنيف وعقيدتها الصافية، ولكنها $بيدها لا بيد عمرو#[2] مهّدَت لعدوّها السبل، ومكنته من إفساد دعائمها الوتيدة، وزعزعة عقائدها القويمة، والله المستعان...

والتأثر في اللغة: مصدر الفعل (تأثر)، وهو مطاوع الفعل (أثّرَ)، تقول: (أثّرتُ فيه تأثيراً)؛ أي جعلت فيه أثراً وعلامة، فتأثر؛ أي قبل ذلك الأثر وتطبع به[3].

أما الأديان فواحدها: دين، وأعني بالأديان هنا: ما يعم جميع المعتقدات التي يعتنقها الإنسان ويؤمن بها ويخضع لها وتؤثر على سلوكه وتصرفاته فردياً واجتماعياً[4]، وذلك يشمل جميع الأديان الباطلة، سواء أكانت من وضع البشر وافترائهم، كالهندوسية، والبوذية، والشيوعية[5] ونحوها، أو كان أصلها صحيحاً لكن وقع فيها التحريف أو نسخت، كـ اليهودية[6]، والنصرانية[7].

---

(1) انظر: وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق، جمال بن أحمد بادي (ص 138).
(2) اقتباس من المثل المشهور $بيدي لا بيد عمرو# الذي قالته الزّبّاء ملكة الجزيرة و الشام، حينما احتست سمّاً لتقتل نفسها، قبل أن تقتل بيد عدوها عمرو بن عدي. انظر: جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (185/1، 191-190)، ومجمع الأمثال لأحمد بن محمد الميداني (236/1-237).
(3) انظر: المصباح المنير (ص 2)، ولسان العرب (69/1)، والمعجم الوسيط (ص 5).
(4) انظر: علم دراسة الأديان عند المسلمين، لشيخنا د. محمود بن عبد الرحمن قدح (ص 12).
(5) الشيوعية: مذهب فكري يقوم على الإلحاد، وأن المادة هي أساس كل شيء، ويفسر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الإقتصادي. ظهرت في ألمانيا على يد ماركس وإنجلز، وتجسدت في الثورة البلشفية التي ظهرت في روسيا سنة 1917 م. وضع أسسها الفكرية النظرية كارل ماركس اليهودي الألماني وفريدريك إنجلز، وتوسعت على حساب غيرها بالحديد والنار. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (919/2).
(6) اليهودية: ديانة اليهود الذين يزعمون الانتساب إلى بني إسرائيل، وقد زعموا زوراً وبهتاناً أن ديانتهم هي ديانة موسى ؛. انظر: دراسات في الأديان اليهودية و النصرانية، د. سعود بن عبدالعزيز الخلف (ص 45).
(7) النصرانية: نسبة إلى نصرانة وهي قرية المسيح ؛ من أرض الجليل، وتسمى ناصرة، والنسبة إليه نصراني، وجمعه نصارى، ويفهم من كلمة النصرانية دين

فمعنى عنوان المبحث إذاً: قبول بعض مسلمي إندونيسيا لمعتقدات باطلة وأفكار فاسدة من الديانات الأخرى، وأخصص هذا المبحث بذكر تأثر المسلمين بالأديان الموجودة قبل دخول الإسلام إلى إندونيسيا.

والعوامل المؤدية إلى تأثر الأمة بمعتقدات غيرها عديدة، يجمعها: التشبه بالكفار. وقد عقد الإمام البخاري[1] : في كتاب الاعتصام بالكتاب و السنة من صحيحه باباً، فقال: $باب قول النبي ح: $لتتبعن سنن من كان قبلكم#[2]#، وفي إيراد البخاري هذا في كتاب الاعتصام إشارة إلى أن اتباع هدي الكفار في أخلاقهم وأحوالهم ووقوع بعض المسلمين فيما يقع فيه الكفار خرم للاعتصام، وبعد عن التمسك بالكتاب والسنة الموجب لاجتماع المسلمين على الخير.

والتشبه بالكفار من أصل دروس دين الله وشرائعه، وظهور الكفر و المعاصي، كما أن من أصل كل خير: المحافظة على سنن الأنبياء وشرائعهم[3].

وتتفرع عن هذا الأصل الجامع عوامل عديدة، من أبرزها:

1- أن طوائف من أهل الديانات الباطلة دخلوا في الإسلام رغبة فيه، لكنهم لم يبذلوا جهدهم فيما يجب عليهم معرفته من حقيقته وتفاصيله، ولا تخلصوا من جميع المعتقدات والأفكار التي كانوا يعتنقونها في دياناتهم السابقة، بل بقيت عندهم شوائب ورواسب منها، ثم إن هؤلاء أرادوا فهم الإ سلام بحسب ما في نفوسهم من تلك المعتقدات والأفكار، فأدى ذلك إلى إدخال علوم فاسدة، وأفكار باطلة على المسلمين، وإلى إثارة الشبهات بينهم.

وقد روي في هذا المعنى عن النبي ح قوله: $لم يزل أمر بني إسرائيل معتدلا ً[4] حتى نشأ فيهم المولدون[5] وأبناء سبايا الأمم التي كانت بنو إسرائيل تسبيها، فقالوا بالرأي، فضلوا وأضلوا#[6].

النصارى، وهم الذين يزعمون أنهم يتبعون المسيح ؛ وكتابهم الإنجيل. انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، (ص 163).

(1) هو: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري (194-256 هـ)، جبل الحفظ وإمام الدنيا في فقه الحديث، من مصنفاته: الجامع الصحيح، الأدب المفرد، وخلق أفعال العباد. انظر: التقريب (رقم 5764).

(2) صحيح البخاري (300/13 -الفتح). والحديث سيأتي تخريجه في (ص 319).

(3) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (352/1).

(4) أي متساوياً منتظماً لا اعوجاج فيه ولا خلل يعتريه. فيض القدير للمناوي (295/5).

(5) جمع $مولد#، بالفتح وهو الذي ولد ونشأ بينهم وليس منهم. المصدر السابق.

(6) هذا الحديث روي مرفوعاً من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند ابن ماجه في سننه، كتاب السنة، باب اجتناب الرأي والقياس (ص 24 رقم 56)، وعند البزار في مسنده (402/6 رقم 2424)، قال البوصيري في مصباح الزجاجة -كما في

2- مجاورة المسلمين لأهل الأديان الأخرى المتعددة، ومخالطتهم إياهم واحتكاكهم بهم، وسماعهم لأقوالهم وأفكارهم وآرائهم، مع أن الواجب هو مفاصلتهم عقديا، ومجانبة آرائهم، والحذر من الانبساط إليهم.

وأدى ذلك إلى الإعجاب بما عليه أولئك إما كله أو بعضه، ومن ثم الأ خذ به واعتقاده ونشره بين المسلمين.

3- مجادلة بعض المسلمين -ممن لا علم عنده ولا بصيرة- لأهل الديانات الباطلة، مما يؤدي: إما إلى تأثر أولئك المسلمين بما يبثه أهل الباطل من شبه وشكوك ومعتقدات، ومن ثم نشرهم إياها بين المسلمين، وإما يؤدي إلى انحرافهم -أثناء المجادلة أو بعدها- إلى سبل مبتدعة، ثم دعوتهم غير المسلمين إليها، وإما يؤدي إلى فتح الباب لأولئك المبطلين لنشر بدعهم وضلالهم بين المسلمين تحت ستار المناظرة والمجادلة[1].

وبعد، هذه بعض عوامل تأثر المسلمين بالأديان الأخرى، أما شواهد ذلك التأثر في المجتمع الإندونيسي فستتضح -بإذن الله- من خلال البيان التالي:

سبق أن ذكرت في التمهيد من هذه الرسالة، أن هناك ديانتين وجدتا في إندونيسيا قبل دخول الإسلام فيها، وقبلهما سادت الوثنية بين الإ ندونيسيين القدامى.

وعندما دخل معظم الشعب الإندونيسي في دين الله أفواجاً، دخلوا فيه ولم تزل العادات والعقائد الماضية -كآثار لتلك الديانات- باقيةً في حياتهم خصوصاً عند الجاويين، وبالأخص جَاوَا الوسطى وجَاوَا الشرقية؛ لأ ن مركز الهندوكية والبوذية كان في هذه المنطقة، ولا تزال معابدها موجودة ومحمية إلى اليوم. $فهم قبلوا الإسلام بدون أن ينبذوا العقائد والعادات القديمة#[2] المأخوذة من الوثنية والهندوسية والبوذية. ويبدو $أن من نتيجة دخول الإسلام هناك بالسلم؛ عدم تغير دين المجتمع سريعاً، وينتج من ذلك بقاء آثار تعاليم الديانة السابقة، وإن كان الإسلام قد دخل هناك. بل الذي حصل هو ظهور منهج التلفيق بين الديانتين [يعني الديانات القديمة و

حاشية سنن ابن ماجه (42/1 -ط. دار المعرفة)-: "إسناده ضعيف"، وضعفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (320/9-322). وروي أيضاً مقطوعاً من كلام عروة بن الزبير عند الدارمي في سننه (241/1 رقم 122) وقال محققه حسين سليم أسد: $إسناده جيد#. وروي أيضاً موقوفاً على عبد الله بن عمرو بن العاص في مصنف ابن أبي شيبة (163/14 رقم 38588)، وظاهر إسناده الصحة.

(1) من أول المبحث إلى هذا الموضع مختصر من $المباحث العقدية في حديث افتراق الأمم# (ص 443-448) بالتصرف.

(2) Tasawuf dan Kebatinan di Indonesia (التصوف والباطنية في إندونيسيا)، للدكتور سيمُوْه، محاضرة ألقاها في مناسبة تعيينه محاضرا في علم التصوف في الجامعة الإسلامية الحكومية $سُوْنَنْ كلِيْ جُوْغُوْ# يجُوْكجَاكَرْتَا.

الدين الإسلامي]#[1].

ويزداد الأمر سوءاً اذا انتهج هذا المنهج ولاةُ الأمور، كما حصل في بعض ملوك مملكة Demak (دِ مَ كْ) الإسلامية، وهو السلطان Hadiwijaya (هَدِيْوِيْجَيَا)[2]؛ فإنه كان ينتمي إلى سلالة ملكية هندوكية من أسرة Majapahit (مَجَبَهِيْتْ) المنقرضة، فلذلك -ومع إبقائه الطابع الإسلامي لمملكته- فإنه لم يكن متحمساً في مواصلة عمل الدعوة الإسلامية بإزالة المعتقدات الهندوسية أو البوذية أو المعتقدات المحلية الأخرى المتبقية في نفوس المسلمين الجدد، بل إنه كان يميل إلى إبقاء تراث أجداده ملوك ما جاباهيت الهندوبوذية[3].

وقد انتهج Sutawijaya (سُوْتَوِيْجَيَا)[4] -مؤسس مملكة Mataram (مَتَرَمْ) الإسلامية- سياسة هَدِيْوِيْجَيَا في إبقاء الطابع الإسلامي على مملكته[5]، مع إحيائه التقاليد والآثار الماجاباهيتية.

والآن أسوق لكم بعض صور انحراف مسلمي إندونيسيا عن توحيد العبادة، سببها التأثر بالديانات الأخرى السابقة للإسلام هناك:

من المعتقدات السائدة لدى الإندونيسيين القدماء قبل مجيء الديانة الهندوسية والبوذية: اعتقاد أن كل شيء في الكون له روح، هذا المعتقد يسمى بـ Dinamisme (دِيْنَمِيْسْمِيْ)[6]. فيعتقدون أن للجبل روحاً وللنهر

---

(1) Perkembangan Kebatinan di Indonesia (تطور الباطنية في إندونيسيا) أ. د. حَمْكا (ص 15).

(2) اسمه الأصلي Jaka Tingkir (جَاكَا تِيْنْجْكِيْرْ)، وهو من قرية تِيْنْجْكِيْرْ قرب مدينة Salatiga (سَلَتِيْكَا)، وهو أحد أصهار السلطان Trenggana (تِرِيْنْجَانَا) أحد ملوك مملكة دِ مَ كْ. انظر: Sejarah Kebangkitan Islam dan Perkembangannya di Indonesia (تاريخ نهضة الإسلام ونشأته في إندونيسيا) (ص 357).

(3) انظر: Kebudayaan Jawa (حضارة جَاوَا) (ص 59)، و Perkembangan Kebatinan di Indonesia (تطور الباطنية في إندونيسيا) (ص 70، 72).

(4) كان يلقب بـ Senopati ing Alogo Ngabdurrahman Sayidin Panotogomo (السيد عبدالرحمن قائد القوى الحربية ومنظم تنفيذ الأحكام الشرعية)، وقد حظي بشهرة عظيمة من قبل الجاويين باعتباره المؤسس الناجح للمملكة الجاوية المتبقية إلى اليوم، وكانت فترة حكمه ما بين عام (1582-1601م). انظر: Wedhotomo, Menyingkap Serat Wedhotomo (وِ دْ هُ تُ وْ مُ وْ، كشف رسالة وِ دْ هُ تُ وْ مُ وْ)، لأَ نْ جَ ارْ آنْ ي (ص 34-35)، نقلاً عن الباطنيون في إندونيسيا، لمحمد هداية نور وحيد (ص 95-96).

(5) انظر: Perkembangan Kebatinan di Indonesia (تطور الباطنية في إندونيسيا) (ص 72-73).

(6) Perkembangan Kebatinan di Indonesia (تطور الباطنية في إندونيسيا) (ص

روحاً وللبحر روحاً وللشجر روحاً وهكذا. هذا الاعتقاد أو ما يشبهه للأسف تسرب إلى بعض الإندونيسيين المنتسبين إلى الدين الإسلامي.

ومن شواهد ذلك: اعتقاد كثير من الناس أن لبُرْكان Merapi (مِيْرَاپِيْ) الواقع بين Jogjakarta (جُوْكْجَكَرْتَا) وجَاوَا الوسطى، أن عليه سلطانين من الجن سموهما بـ Kanjeng Ratu Sekar Kedaton (كَنْجِيْنْجْ رَتُوْ سِيْكَرْ كِيْدَتُوْنْ) وKiai Sapujagad (كِياهِيْ سَفُوْ جَغَدْ). ومن أجل دفع غضب هذين السلطانين -المتمثل غضبهما بإخراج البركان ما فيه من المقذوفات و الغازات والأبخرة الحارة والزلازل-، من أجل دفع هذه الأضرار لابد من عقد طقوس معينة تسمى بمراسيم Labuhan (لَبُوْهَنْ)، وهي عبارة عن دفن رأس جاموس في قمة هذا البركان[1].

ومن هذا القبيل اعتقاد سكان سفح جبل Kelud (كِيْلُوْدْ) في مدينة Blitar (بِيْلِيْتَارْ) بجَاوَا الشرقية، أن لهذا الجبل جن يرعاه ويحفظه، فما حصل من حوادث حول هذا الجبل إنما هي بسبب ذلك الجن -بزعمهم- . ومن تلك الحوادث: أنه عند انهيار بعض سفح هذا الجبل، مات إثر تلك الحادثة اثنان من العمال المشتغلين في عمل شق طريق هناك، عللوا تلك الحادثة بأن هذا العمل قد أزعج الجن فهوّر الصخور على المشتغلين[2].

ومن هذا الباب اعتقاد كثير من التجار في سوق Pakupatan (فَكُوْفَتَنْ) في مدينة Serang (سِيْرَنْجْ) بجَاوَا الغربية، أن خسران كثير من التجار هناك إنما هو بسبب عدم تقديمهم القرابين للجن الذي يملك ذلك السوق المدعو بـ Mbah Gimbal (إمْبَاهْ جِيْمْبَلْ)[3].

بلا شك أن مثل هذه المعتقدات الخرافية ليست من الإسلام بشيء، إذ أن النافع والضار هو الله وحده كما قال سبحانه: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼ الأنعام: 17، وأن المصائب كلها بتقدير الله كما قال عز وجل: ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭼ التغابن: 11.

وأما تأثر مسلمي إندونيسيا بالديانة الهندوسية والبوذية فيظهر من المثال التالي: من الأصول المقررة في الديانة الهندوسية والبوذية: عقيدة تناسخ الأرواح، وهي $من العقائد الفاسدة التي يقصد بها انتقال الروح من

.(14

(1) انظر: جريدة Posmo (فُوْسْمُوْ)، العدد 328، السنة السادسة، تاريخ 3 أغسطس 2005 (ص 6-7).

(2) انظر: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 375، تاريخ 5-19 يونيو 2005 (ص 124-126).

(3) انظر: مجلة Wahana Mistis (وَهَنَا مِيْسْتِيْسْ)، العدد111، السنة السادسة، تاريخ 2-17 أغسطس 2005 (ص 30-32).

بدن قد مات صاحبه إلى بدن آخر لمخلوق حي، إنساناً كان أم حيواناً، وذلك لمنح الروح الفرصة بعد الفرصة لكي تتطهر من أدرانها على أساس أن الحياة قصيرة ولابد من إعطاء الروح وقتاً كافياً لكي تتحرر من أخطائها. ويعرف التناسخ بتجوال الروح، أو تكرار المولد#[1].

وقد سَرَتْ فكرةُ التناسخ أو جزء منها وهو فكرة أن بعض الأرواح تبقى في الدنيا -وللأسف- إلى بعض المسلمين الإندونيسيين، ولدينا شواهد عدة على هذه الظاهرة:

من ذلك اعتقاد بعض الناس أن روح Sukarno (سُوْكَرْنُوْ) الرئيس الأ ول لجمهورية إندونيسيا، ما زالت تتجول في الدنيا إلى الآن باحثة عن شخص طاهر يناسبها كي تستقر فيه، وسيرأس ذلك الشخص جمهورية إندونيسيا[2]. ويقدمون لروحه القرابين إذا ما أرادوا ظهورها عليهم[3]. وتقديم القرابين لأرواح الموتى من عبادات الهندوسية[4].

وساد في المجتمع الإندونيسي اعتقاد أن روح الإنسان الذي مات بسبب حادثة أو انتحار أو بسبب أمور أخرى غير طبيعية، لا تذهب إلى الآ خرة وإنما هي تتجول في الدنيا تخوّف وتروّع الناس. وقد أدى هذا المعتقد إلى مخالفات أخرى عقدية، منها: تسلح بعض الناس بالتمائم من أجل دفع وساوس تلك الروح، وتقديم القرابين في موضع الحادثة، بعد ثلاثة أيام، ثم في اليوم السابع، والأربعين، والمائة، والألف، كي لا تبقى الروح في الدنيا، بل تذهب إلى البرزخ[5].

مع أن ديننا الإسلام يرفض فكرة تناسخ الأرواح، ويقرر أن الإنسان يحيا حياة أرضية واحدة، ثم يكون بعدها البعث والحساب الذي يترتب عليه دخول الشخص الجنة أو النار، على حسب عمله في الدنيا، فلا تكرر حياة الإنسان الدنيوية على أية صورة من صور التجسد.

إن الإسلام لا يقر بأن الأرواح تستأنف عملها بعد الموت، لأن الدنيا هي دار العمل، والآخرة هي دار الجزاء.

فالموتى ليست لهم رجعة إلى الحياة الدنيا، على أية صورة من صور

(1) الموسوعة الميسرة في الأديان (1022/2)، وانظر للتوسع: الهندوسية وتأثر بعض الفرق الإسلامية بها، لأبي بكر محمد زكريا (904/2-955)، والبوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها، للدكتور عبد الله مصطفى نومسوك (ص 218-249).

(2)انظر: مجلة Wahana Mistis (وَهَنَا مِيْسْتِيْس)، العدد 108، السنة الخامسة، تاريخ 25 مايو - 25 يونيو 2005 (ص 17).

(3) جريدة Posmo (فُوْسْمُوْ)، العدد 328، السنة السادسة، تاريخ 3 أغسطس 2005 (ص 10).

(4) انظر: الهندوسية وتأثر بعض الفرق الإسلامية بها (1039/2-1041).

(5) مجلة La Tansa (لا تنس)، العدد الأول (ص 18-20).

التجسد، وأن جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر للحساب يوم القيامة بين يدي الله، فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرها وشرها.

ومن عقيدة الإسلام: الإيمان ببقاء الأرواح بعد الموت، وأنها في مستقرها، غير أن العلماء اختلفوا فيه اختلافاً واسعاً، وخلاصة ما يميل إلية ابن القيم : في كتابه $الروح#[1] أن الأرواح متفاوتة في مستقرها، بحسب من-زلتها ودرجتها، فهي إما في نعيم أو في جحيم إلى يوم قيام الساعة، فإما إلى جنة وإما إلى النار[2].

(1) (374-434/1).
(2) البوذية تاريخها وعقائدها (ص 242-243) بتصرف.

المبحث الثالث: الاستعمار والغزو الفكري الغربي لإندونيسيا

الأمن نعمة عظيمة، بل يكاد يكون من أعظم النعم؛ لأن مقتضاه: الأمن النفسي والطمأنينة والسكينة التي يستشعرها الإنسان، فيزول عنه هاجس الخوف ويحس بالرضا والسعادة.

ولكون الأمن أمراً ضرورياً في الحياة، قرنه الله بالطعام والأموال وا لأولاد في أكثر من موضع، بل قدمه عليها في مثل قوله جل ذكره: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼ البقرة: 155. فتأمل كيف بدأ بضد الأمن وهو الخوف؛ لأن الحياة بدون أمن وأمان قاسية مرة، بل شديدة المرارة، يصعب أن تطاق(1).

والشعور بالأمن غاية في الأهمية، إذ بالأمن يستطيع العبد أن يعبد ربه على الوجه الأكمل، بخلاف من كانت حياته في خوف، فإن هذا الخوف سيجعله يستخفي بدينه، ويفر به أحياناً، ويقوم بشؤونه الدينية سراً لا جهراً وفي خفية من العيون المتربصة والأعداء المترقبين.

ونظراً لأهمية الأمن في تحقيق الإيمان في حياة المؤمن ، فقد سأل النبي ح ربه إياه مقترناً به مع الإيمان، كما جاء في الذكر عند رؤية الهلال: $الله أكبر، اللهم أهِلَهُ علينا **بالأمن والإيمان**، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما يحب ربنا ويرضى، ربُّنا وربُّك الله#(2).

لقد أدرك أعداء الإسلام من الكفرة والمشركين وغيرهم منذ قديم الزمان ضرورة الأمن في حياة الفرد والمجتمع وأثره البالغ في استقامتهم على دينهم، فلذلك فإنهم حاولوا وما زالوا يحاولون زعزعة الأمن في البلاد ا لإسلامية، وإلقاء الخوف والروع في قلوب المسلمين، كي يصدهم ذلك عن أداء شعائرهم ويثنيهم عن الدفاع عن معتقداتهم.

وقد سلك أعداء الإسلام -للوصول إلى تلك الأغراض الخبيثة- وسائل عدة ومتنوعة، من أبرزها: الغزو العسكري كالاستعمار والغزو الفكري. وبما أن

---

(1) انظر: قضايا منهجية ودعوية، للدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود (ص 6-5).

(2) أخرجه عن ابن عمر الدارمي في سننه، كتاب الصوم، باب ما يقال عند رؤية الهلا ل (1050/2 رقم 1729)، والطبراني في المعجم الكبير (356/12 رقم 13330)، وابن حبان في صحيحه (171/3 رقم 888 -الإحسان). وأخرجه عن طلحة بن عبيد الله ط، الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب ما يقول عند رؤية الهلال (ص 784 رقم 3451)، وأحمد (17/3 رقم 1397)، والحاكم في المستدرك (385/4)، والضياء في المختارة (22/3). لا تخلو كل هذه الطرق من ضعف. قال الترمذي: $هذا حديث حسن غريب#، وحسنه ابن حجر في $نتائج الأفكار# كما نقله عنه ابن علان في $الفتوحات الربانية# (329/4) وقال: $إنما حسنه الترمذي لشواهده وقوله غريب أي بهذا السند#. وحسنه كذلك الشيخ الألباني في $ظلال الجنة# (ص 165 رقم 376). فالحديث حسن لشواهده.

إندونيسيا دولة إسلامية، بل أكبر دولة إسلامية في العالم، بالتالي فهي لم تسلم من كيد أولئك الأشرار. والتاريخ خير شاهد على ذلك. والحديث عن هذا الأمر الهام سيكون في مطلبين:

المطلب الأول: الاستعمار وأثره في انحراف مسلمي إندونيسيا عن توحيد العبادة(1)

بدأت قصة استعمار الكفرة لإندونيسيا بهجوم البرتغاليين الصليبيين لمملكة Malaka (مالاَ كَ ا) الإسلامية الواقعة في أقصى سُوْمَطْرَا، وسيطرتهم عليها عام 1511 م، وكانوا يأتون إلى هذه المناطق الشرقية النائية لغرض مد دائرة الحروب الصليبية وقمع انتشار الإسلام ونشر تعاليم المسيحية وخنق موارد الممالك الإسلامية في أعمال تجارة التوابل من مصادرها في جزر إندونيسيا(2).

وبعد استيلائهم على مملكة ملاكا، بدأ البرتغاليون يغيرون على السفن التجارية التابعة لمملكة Demak (د ِي ْم َك ْ) الإسلامية الواقعة في جَاوَا الوسطى، والتي كانت توصل بين المملكتين الإسلاميتين في أعمال التجارة وأعمال الدعوة الإسلامية، وذلك بأن السفن التجارية التابعة لمملكة د ِي ْم َك ْ الإسلامية كانت تحمل في متنها دعاة إسلاميين يقومون بنشر التعاليم الإسلامية بين أهالي مملكة م َا كَ ا الإسلامية. وهذه الغارات البرتغالية تقلق الفاتح يونس -ثاني ملوك مملكة د ِي ْم َك ْ الإ سلامية-، فأرسل سفناً حربيةً لحماية الأساطيل التجارية ولتأمين طرق الدعوة الإسلامية ولمساعدة السلطان محمود شاه -ملك مملكة م َا كَ ا الإسلامية- لإعادة سلطته المغصوبة، وباشر الفاتح يونس قيادة السفن البحرية بنفسه وذلك عام 1512 م، وفشلت حملته الأولى لقلة عدد سفنها ولقلة تجربتها في الخوض في الحروب البحرية. ثم أعاد الفاتح يونس حملته مرة ثانية، وذلك عام 1521 واستشهد في هذه المعركة(3).

ولما نجح البرتغاليون في صد هجوم جيوش مملكة د ِي ْم َك ْ الإسلامية -وهي أقوى الممالك الإسلامية الإندونيسية حينئذ- بل ونجحوا في قتل ملكها الفاتح يونس، تقدموا ليوسعوا سلطتهم وسيطرتهم على جزر

---

(1) هذا المطلب مختصر من $الباطنيون في إندونيسيا# لمحمد هداية نور وحيد (ص 92-107)، بتصرف وإضافة.

(2) Sejarah Kebangkitan Islam dan Perkembangannya di Indonesia (تاريخ نهضة الإسلام ونشأته في إندونيسيا) (ص200-201)، وKebudayaan Jawa (حضارة جَاوَا) (ص 44)، وPolitik Islam Hindia Belanda (سياسة هولندا ضد ا لإسلام)، لِعَ قِ يِ بْ سْ وُ مْ نِ طْ وُ ْ (ص 16-17).

(3) Sejarah Kebangkitan Islam dan Perkembangannya di Indonesia (تاريخ نهضة الإسلام ونشأته في إندونيسيا) (ص200-201)، و Kerajaan-Kerajaan Islam Pertama di Jawa (الممالك الإسلامية الأولى في جَاوَا) (ص 63). كانت مملكة د ِي ْم َك ْ الإسلامية تمتلك في عهد الفاتح يونس أربعين سفينة حربية، انظر: نفس المصدر (ص 47).

إندونيسيا بالقضاء على منافِسَتِها وهي مملكة دِ يْ مَ كْ الإسلامية، فوافقوا على استنجاد ملك Girandra Wardana (غِ يْ رَ نْ دْ رَ ا وَ رْ دَ نَ ا) الهندوكي -ملك مملكة Panarukan (فَ نَ رُ وْ كَ نْ) بجَاوَا الشرقية- لإيقاف التيارات الإسلامية التى أوسع السلطان Trenggono (تَ رَ نْ جْ وُ نُ وْ) -ثالث ملوك مملكة دِ يْ مَ كْ الإسلامية- دائرتها(1).

ثم إن الأساطيل البرتغالية الحربية والتجارية والتنصيرية بدأت تتطلع إلى السيطرة على الموارد الخصيبة لمادة التوابل المجتمعة في جزر Maluku (مَ ا لُ وْ كُ وْ) في إندونيسيا الشرقية، فلما وصلوا إليها عام (1516-1515 م)، شرعوا في مهاجمة السكان الأصليين المسلمين وإ جبارهم على الارتداد عن دينهم واعتناق النصرانية، كما طردوا القاضي المسلم الذي كان يعلم الناس أمور دينهم الإسلامي(2).

وفي تلك الآونة كان الدعاة الإسلاميون ما زالوا يجاهدون في سبيل توطيد دعائم التعاليم الإسلامية في نفوس المسلمين الجدد حتى يقضوا على رواسب معتقداتهم المنحرفة السابقة. فالغارات البرتغالية واضطهاداتهم المسلمين ومساهمتها في إسقاط مملكة دِ يْ مَ كْ الساحلية الإسلا مية، لها دور كبير في عرقلة سير جهود الدعاة المسلمين في ترسيخ المفاهيم العقدية الإسلامية الصحيحة في نفوس المسلمين الجدد، وبخاصة في مسلمي جَاوَا الوسطى، حيث كان مقر مملكة دِ يْ مَ كْ الإسلا مية.

وذلك لأن رسوخ التعاليم الإسلامية كان منحصراً في أهل المناطق الساحلية، حيث يتمركز فيها الدعاة والتجار المسلمون، ولم يكن للممالك الهندوكية المتمركزة وسط جزيرة جَاوَا تأثير كبير على عادات الناس ومعتقداتهم. بخلاف المسلمين الذين يسكنون وسط جزيرة جَاوَا، فمفاهيمهم للإسلام مازالت تشوبها خلفيات معتقداتهم السابقة من الهندوكية أو البوذية أو الوثنية، وذلك لصعوبة المواصلات بين هذه المناطق النائية وبين المناطق الساحلية الإسلامية، إذ أن الدعاة كانوا يصلون إلى تلك المناطق عن طريق الأنهار التي تصل المناطق الساحلية بالمناطق الأ

(1) المصدر السابق (ص63). غير أن انتصارات البرتغاليين عجلت في إسلام عدد من ملوك الممالك الإندونيسية، لاعتبارهم أن الإسلام هو الرمز الموحد للصد على حملا ت البرتغاليين الاستعمارية التنصيرية، انظر: Bulan Sabit dan Matahari Terbit, Islam Indonesia Pada Masa Pendudukan Jepang (الهلال وشروق الشمس، الإسلام في إندونيسيا في عهد الاستعمار الياباني)، لهاري جي بيندا (ص 29).

(2) Sejarah Kebangkitan Islam dan Perkembangannya di Indonesia (تاريخ نهضة الإسلام ونشأته في إندونيسيا) (ص 351، 371-372)، والدعوة إلى الإسلا م لسير توماس و. أرنولد (ص 428).

أخرى داخل جزيرة جَاوَا. وبما أن الأنهار ليست كلها صالحة للملاحة، فإن هؤ
لاء المسلمين الجدد ليسوا كلهم يسكنون مناطق قريبة من الأنهار، فوقع
كثير منهم في تلفيق المفاهيم الإسلامية الجديدة بمعتقداتهم السابقة[1].

وفي فترة حكم الملك Sutawijaya (سُوتَوِيجَيَا) -
مؤسس مملكة Mataram (مَتَرَمْ) الإسلامية بجَاوَا الوسطى- وصل الأ
سطول التجاري الحربي التنصيري الهولندي لأول مرة، حيث أرست بواخره
في ميناء Banten (بَنْتَيْن) في جَاوَا الغربية وذلك عام
(1596م). ومن مهمة هذا الأسطول الأولى: الاستيلاء على موارد تجارة
التوابل والسيطرة على طرق تجارتها وحفاظها من غارات البرتغاليين أو
التجار المحليين[2]. فهم لا يهتمون -في بداية الأمر- بالقضايا الدينية إلا إذا
كانوا يجنون من ورائها تحقيق مكاسبهم المالية التجارية والاستعمارية[3].

غير أن المطامع الاستعمارية بدأت تسيطر على اتجاهات أفراد الأ
سطول الهولندي، وذلك عندما تدخلوا في شؤون مملكة مَتَرَمْ الداخلية،
فأوقعوا الخلاف بين الملك Amangkurat (أَمَنْكُورَتْ) -
رابع ملوك مملكة مَتَرَمْ- وبين المسلمين، بل إن الهولنديين نجحوا في إقناع
الملك على ضرورة القبض على علماء المسلمين ثم إبادتهم[4].

ولما استقر أمر الهولنديين بانفراد السيطرة على تجارة التوابل والاستي
لاء على مناطق استيراتيجية واخضاعهم بعض الممالك الإندونيسية، بدأوا
يظهرون نواياهم في القيام بأعمال التنصير والتضييق على المسلمين، فإنهم
لما أحكموا القبض على ملك أَمَنْكُورَتْ، عزلوا مملكة
مَتَرَمْ من الاتصال بالممالك الإسلامية الساحلية، كمملكة بَنْتَيْن
ومملكة Aceh (أَتْشِيْه) الإسلامية، كما حرموه من الاتصال بخلفاء الدولة

(1) انظر: الدعوة إلى الإسلام (ص 423)، أيضاً: Perkembangan Kebatinan di Indonesia (تطور الباطنية في إندونيسيا) (ص 70).

(2) Kebudayaan Jawa (حضارة جَاوَا) (ص 62)، و Sejarah Kebangkitan Islam dan Perkembangannya di Indonesia (تاريخ نهضة الإسلام ونشأته في إندونيسيا) (ص 375).

(3) Bulan Sabit dan Matahari Terbit, Islam Indonesia pada Masa Pendudukan Jepang (الهلال وشروق الشمس، الإسلام في إندونيسيا في عهد الاستعمار الياباني) (ص 31). عن عدم اهتمام الهولنديين في أول أمرهم بالتنصير، انظر: الدعوة إلى الإسلام (ص 437).

(4) Perkembangan Kebatinan di Indonesia (تطور الباطنية في إندونيسيا) (ص 70)، وBeberapa Aspek tentang Islam di Indonesia Abad XIX (جوانب عدة عن الإسلام في إندونيسيا في القرن التاسع عشر) (ص 30). تكررت عملية القتل الجماعي في الفترة بين عام (1648-1663 م)، انظر: Kebudayaan Jawa (حضارة جَاوَا) (ص 61).

العثمانية، وذلك بمنعه من القيام بأعمال السياحة البحرية إلا باستخدام السفن الهولندية[1]. وبهذه السياسة مُنِعَ المسلمون من الاتصال بالمنابع الإسلامية الصافية، وهم في حاجة إلى مثل هذا الاتصال حتى تتم عملية ترسيخ التعاليم الإسلامية الصحيحة في نفوسهم. وبهذا الانعزال -بخاصة في المناطق البعيدة عن المناطق الساحلية ومنها مقر مملكة مَاتارَامْ- بقي المسلمون الجدد يعتنقون بعض المفاهيم العقدية القديمة المخالفة للعقيدة الإسلامية الصحيحة[2].

وزاد الهولنديون إحكامَ قبضتهم على المسلمين الإندونيسيين وعزلهم عن المسلمين في العالم الإسلامي، بمنعهم -في عام 1661 م- من أداء فريضة الحج والاتصال بعلماء المسلمين في مكة المكرمة[3]، ولقيت الحكومة الهولندية ثناء على عزلها المسلمين، واعتبرت أنها سياسة حيوية مُثلى[4].

وعلى ضوء سياسة عزل المسلمين عن مصادر التعاليم الإسلامية الصحيحة وإبقائهم يعتنقون تلك المفاهيم الباطنية الملفقة، بدأ المنصرون الهولنديون يعملون بكل نشاط، ويزعمون أن رجاحة التعاليم المسيحية وبقاء هؤلاء المسلمين الجدد على معتقداتهم الباطنية الملفقة تمكنهم من القضاء على وجود المسلمين وعلى ديانتهم الإسلامية، ثم تحويلهم إلى اعتناق الديانة النصرانية. كما يعتقدون أن عملية التنصير هي من العوامل المهمة في إنجاح الأعمال الاستعمارية والحفاظ على بقائها[5].

---

(1) Perkembangan Kebatinan di Indonesia (تطور الباطنية في إندونيسيا) (ص 77). وسياسة عزل المسلمين والممالك الإسلامية عن المناطق الساحلية هي من السياسة التي مارستها الهيئات التنصيرية والدول المستعمرة، انظر: التبشير والاستعمار في البلاد العربية، للدكتور مصطفى خالدي والدكتور عمر فروخ (ص 130-131).

(2) Bulan Sabit dan Matahari Terbit, Islam Indonesia pada Masa Pendudukan Jepang (الهلال وشروق الشمس، الإسلام في إندونيسيا في عهد الاستعمار الياباني) (ص 31)، وHimpunan Mahasiswa Islam (اتحاد طلبة الجامعة المسلمين)، لِفِيكْتُورْ إِمَانُوِيلْ تَاْنْجَا (ص 22).

(3) وكان من علماء المسلمين هناك في فترة المنع: الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي (1115-1206هـ / 1703-1792م). انظر: الأعلام (257/6).

(4) Politik Islam Hindia Belanda (سياسة هولندا ضد الإسلام) (ص 17).

(5) المصدر السابق (ص 19، 26)، و Bulan Sabit dan Matahari Terbit, Islam Indonesia pada Masa Pendudukan Jepang (الهلال وشروق الشمس، الإسلام في إندونيسيا في عهد الاستعمار الياباني) (ص 39).

وبذلك أسهم الهولنديون المستعمرون في عرقلة جهود الدعاة المسلمين من أجل تأصيل المفاهيم العقدية الإسلامية الصحيحة، كما أسهموا في الحفاظ والإبقاء على التراث الهندوكي الجاوي وإحياء النـزعة التلفيقية الجديدة، ولا سيما عندما تبنت الحكومة الهولندية فكرة التنصير واعتبرتها حيوية في الحفاظ على تحقيق مصالحها وفي التقليل من شأن عدوها الأول؛ الإسلام والمسلمين، وفي إنجاح برامجها الاستعمارية.

ثم إنه في عام 1799 م أصدرت مملكة هولندا المستعمرة قراراً يقضي بحظر إيفاد أي موظف حكومي مسلم إلى أي مناطق خارج جزيرة جَاوَا التي لم تصل إليها الدعوة الإسلامية، كما لا يُسم حَ لأي مملكة من الممالك الإسلامية في إندونيسيا بتوظيف أي مسلم في تلك المناطق، وأن الشعائر الإسلامية لا تسمح ممارستها في تلك المناطق أيضاً[1].

ثم أصدرت الحكومة الهولندية عام 1859 م قراراً آخر يسمح للمسلمين الإندونيسيين أداء فريضة الحج مع مراقبة مشددة من قبل موظفي الحكومة الهولندية[2]. وكان صدور هذا القرار في لزوم تشديد مراقبة المسلمين الحجاج، بسبب تخوف الحكومة الهولندية من معارضات المسلمين لسياستها بعد عودتهم من أداء فريضة الحج والتقائهم في مكة المكرمة بالمسلمين الآخرين أو جلوسهم مع العلماء وأخذهم العلوم الشرعية الصحيحة من هؤلاء العلماء. كما أن الحكومة الهولندية خشيت من نشاطات الحجاج بعد عودتهم من مكة المكرمة، وقيامهم بالدعوة الإسلامية بمفاهيمها الصحيحة وسط جماهير الإندونيسيين الذين ما زالوا يلفقون التعاليم الإسلامية بتلك المعتقدات السابقة المنحرفة[3].

ومن أبرز من قام بالدعوة إلى التوحيد الخالص ومحاربة الشرك و البدع -إثر العودة من الحج- Tuanku Imam Bonjol (تُ وَ نْ كُ وْ إمام بُ وْ نْ جُ وْ لْ)، حيث قام : -وغيره من العلماء المتأثرين بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب[4] السلفية- ما بين عام (1803-1845

(1) Politik Islam Hindia Belanda (سياسة هولندا ضد الإسلام) (ص 26)، و Gerakan Modern Islam di Indonesia (الحركات المعاصرة الإسلامية في إندونيسيا)، لديليار نور (ص 30-29).

(2) Politik Islam Hindia Belanda (سياسة هولندا ضد الإسلام) (ص 28).

(3) نفس المصدر، وHimpunan Mahasiswa Islam (اتحاد طلبة الجامعة المسلمين) (ص 25).

(4) هو: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (1115-1206 هـ)، إمام التوحيد وحامل لواء التجديد على نهج السلف الصالح، وقد تأثر بدعوته كثير من الدعاة والمصلحين وسائر المسلمين في أصقاع الأرض، من مؤلفاته: مختصر سيرة الرسول ح، وكتاب التوحيد وغيرهما. انظر: تاريخ نجد لحسين بن غنام (ص 81-91)، ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية، لبعض علماء نجد الأعلام (378/3-

م تقريباً) بنشر العقيدة الصحيحة بين أوساط مجتمع Minangkabau (مِيْنَنْجْكَبَوْ) بسُوْمَطْرَا الغربية مع نبذ كل ما يخالفها من الشركيات والبدع المحدثة والمعاصي. فتكاتف الهولنديون الصليبيون مع أهل البدع من أصحاب الطرق الصوفية لإخماد شعاع تلك الدعوة النقية، فقضوا عليها بعد حرب ضروس دامت أكثر من أربعين سنة [(1)].

نجحت هولندا -تدريجياً- بقوتها العسكرية المتطورة وبخداعاتها الماكرة في تحقيق أهدافها السياسية والتجارية. وأما في الناحية التنصيرية ، فإن جهودها لم تلق قبولا ً إلا في المناطق النائية التي لم تصل إليها الدعوة الإسلامية، وأما في المناطق التي يقطنها المسلمون سواء أكانت مناطق ساحلية أو مناطق بعيدة عن الساحل، فإن الأعمال التنصيرية الا ستعمارية توقظ مشاعر المسلمين الدينية وتنبههم إلى ضرورة اتخاذ الموقف الموحد للدفاع عن عقيدتهم وعن مجتمعهم المسلم، فشرعوا يعملون بكل جد لإحباط تلك المؤامرات الاستعمارية والتنصيرية بأعمال دعوية سلمية حيناً، وباستخدام القوة حيناً آخر[(2)]، فصار الإسلام عنصراً أساسياً في حماية وجودهم الديني والاجتماعي والسياسي، وهذا الشعور يعم جميع طبقة الشعب الإندونيسي المسلم. فلذا وجدنا أن المقاومات ضد الأهداف الا ستعمارية من عهد Sultan Agung (السُّلْطَانُ أَكُوْنْجْ) -ثالث ملوك مملكة مَتَرَمْ الإسلامية- إلى عهد جهاد مسلمي Aceh (أَتْشِيْهْ) تكون من المسلمين وتتصل بمحاولة محافظتهم على تعاليم دينهم[(3)].

ثم إن الحكومة الهولندية المستعمرة -من أجل تكثيف أعمالها التنصيرية- لجأت إلى التحبب والتقرب إلى أفراد الأسرة الملكية في

.(389

(1) انظر: مقالة Melongok Gerakan Pemurnian Spiritual Kaum Padri (الاطلاع على حركة قبيلة فادري الروحية التجديدة) التي نشرت في جريدة Republika (رِيْفُوْبْلِيْكَا)، الجمعة 9 أغسطس 2002 (ص 13) من ملحق Dialog Jum'at (حوار يوم الجمعة). وانظر أيضاً: Sejarah Umat Islam Indonesia (تاريخ الأمة الإسلامية الإندونيسية) (ص 154-169). وسأتطرق بمزيد من البيان -إن شاء الله- في تاريخ نواة هذه الدعوة السلفية في مباحث قادمة (ص 130-131).

(2) كانت أولى اصطدامات عسكرية بين المسلمين والهولنديين وقعت بين جيوش Sultan Agung (السلطان أكونج) -ثالث ملوك مملكة مَتَرَمْ-، وذلك عام (1628 م) وعام (1629 م)، وآخرها هي التي حصلت بمسلمي Aceh (أَتْشِيْهْ) من عام (1873 م) إلى عام (1903 م). انظر: Bulan Sabit dan Matahari Terbit, (الهلال وشروق الشمس، Islam Indonesia pada Masa Pendudukan Jepang الإسلام في إندونيسيا في عهد الاستعمار الياباني) (ص 32).

(3) Politik Islam Hindia Belanda (سياسة هولندا ضد الإسلام) (ص 32).

إندونيسيا، وزعماء القبائل فيها. وذلك بتقديم المساعدات المالية والعسكرية ، وبتشجيعهم على ضرورة إحياء تقاليدهم القديمة وديانات أجدادهم الملفقة، وذلك لأن الحكومة الهولندية وجدت أن الأسر الملكية هي من أقدر الفئات الاجتماعية للتصدي دون انتشار الإسلام، لما لهذه الأسرة الملكية من مصالح ذاتية للحفاظ على ملكها، ولا يتم ذلك -بزعمهم- إلا بمحافظتها على تقاليد أجدادهم وحمايتها ضد اتساع نفوذ المسلمين الذين يطالبون بإزالة العادات والطقوس التقليدية المخالفة لتعاليم الإسلام(1).

وعندما وقعت اصطدامات بين الأسرة الملكية وبين المسلمين، فإن الحكومة الهولندية شرعت في إرسال مساعداتها العسكرية لتساند بها الأ سرة الملكية(2)، كما لجأت الحكومة الهولندية منذ عام 1880 م إلى فتح مدارس خاصة لأبناء الأسرة الملكية، حتى تطمئن هولندا على ولائات أفراد ا لأسرة الملكية، حيث يثقفون فيها ثقافة غربية علمانية مسيحية، تجعلهم يتحمسون للدفاع عن مصالحهم ضد متطلبات المسلمين(3).

كما توافقت جهود مملكة هولندا لقمع انتشار تعاليم الإسلام الصحيحة بجهود الأسرة الملكية، وبخاصة أسرة مملكة مَ تَ رَ م ْ، حيث أن الحكومة الهولندية رأت ضرورة إحياء النـزعة الصوفية الحلولية، وإفساح المجال أمام الطرق الصوفية لنشر تعاليمها(4)، إذ أن النـزعة الصوفية لا

---

(1) Perkembangan Kebatinan di Indonesia (تطور الباطنية في إندونيسيا) (ص 28)، وPolitik Islam Hindia Belanda (سياسة هولندا ضد الإسلام) (ص 43-44)، و الدعوة إلى الإسلام (ص 415).

(2) ففي الخلافات التي وقعت بين Hamengku Buwono IV (هَام ـِي ـْ ن ـْ ك ـُ و ـْ بـ ـُ و ـْ و ـُ ن ـْ و ـُ الرابع) -ملك مملكة ماتَ ارَ ام ـْ- وبين Pangeran Diponegoro (الأمير د ـِي ف ـُ و ـْ ن ـِي ك ـُ و ـْ ر ـُ و ـْ) الذي يسانده المسلمون، أرسلة مملكة هولندا المستعمرة جيوشها بقيادة De Kock (د ـِ ي ـْ ك ـُ و ـْ ك ـْ). وهكذا عملت ضد المسلمين في Minangkabau (م ـِي ـْ نـَ ن ـْ ج ـْ ك ـَ ب ـَ و ـْ)، وAceh (أتشيه). انظر: Beberapa Aspek tentang Islam di Indonesia Abad XIX (جوانب عدة عن الإسلام في إندونيسيا في القرن التاسع عشر) (ص 17، 32-33، 65-69).

(3) Politik Islam Hindia Belanda (سياسة هولندا ضد الإسلام) (ص 58).

(4) ذكر Dr. Karel Steenbrink (د. كا ـَ ر ـِي ـْ ل ـْ س ـْ ت ـِي ـْ ن ـْ ب ـْ ر ـِي ـْ ن ـْ ك ـْ): أن الطرق الصوفية الحلولية انتشرت في إندونيسيا في القرن التاسع عشر الميلادي، وبخاصة بعد دخول الطريقة الشاطرية حوالي عام (1665 م)، ثم جاءت الطريقة النقشبندية القادرية حوالي عام (1850 أو 1855 م). انظر: Beberapa Aspek tentang Islam di Indonesia Abad XIX (جوانب عدة عن الإ سلام في إندونيسيا في القرن التاسع عشر)، ص174-175، وأيضاً: مجلة Zaman (زمان)، تاريخ 1983/12/24 (ص 9-10)، والمرجع الثاني نقلاً عن الباطنيون في إندونيسيا (ص 104).

تشكل خطراً -من الناحية السياسية- على مصالح هولندا، كما أنها -في نظر هولندا المستعمرة- أشد تسامحاً من التعاليم الإسلامية الصحيحة(1).

وأما الملوك، وبخاصة ملوك مملكة مَتَرَم، فإنهم لما افتقدوا السيطرة على مجريات الأمور السياسية بانتشار التعاليم الإسلامية الصحيحة وازدياد نفوذ علماء المسلمين وبسبب سيطرة هولندا المستعمرة عليهم، بدأوا يتطلعون إلى إعادة مجدهم وهيبتهم بإفشاء فكرة قداسة وامتياز الأسرة الملكية، وبخاصة قداسة شخصية الملك. وذلك عن طريق تكليف بعض الأدباء الموهوبين المؤثرين بإعادة كتابة المؤلفات الجاوية الباطنية، وبتأليف الكتب الباطنية بالاستفادة من المفاهيم الصوفية الحلولية، حتى أن الملك أخذ الفكرة الحلولية الصوفية فحوّلها إلى فكرة لزوم اتحاد إرادة العبد بإرادة الملك، لتتوافق سعادة الناس الأخروية بسعادتهم الدنيوية(2).

وكثرت هذه الكتابات الجاوية الباطنية، حتى اعتبرت فترة ما بين النصف الأخير من القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر الميلاديين عصر نهضة الكتابات الجاوية الباطنية(3).

ومن أشهر الأدباء القائمين بتنفيذ أوامر الملك هو Kyai Yoso Dipuro I (كِياهِيْ يُوسُوْ دِيْفُوْرُوْ الأول)، وابنه Kyai Yoso Dipuro II (كِياهِيْ يُوسُوْ دِيْفُوْرُوْ الثاني)(4)، ثم تقدم R. Ng. Ronggowarsito (رُوْنْجُوْوَرْ

والكتب الصوفية الحلولية كالفتوحات المكية لابن عربي، وكتاب التحفة المرسلة إلى روح النبي ح لمحمد بن فضل الله، وكتاب الإنسان الكامل لعبد الكريم الجلي، قد درست في بعض المعاهد الدينية في القرن التاسع عشر الميلادي. انظر: نفس المصدر (ص 158).

(1) Beberapa Aspek tentang Islam di Indonesia Abad XIX (جوانب عدة عن الإسلام في إندونيسيا في القرن التاسع عشر) (ص 176).
وهذه من السياسة التي اقترحها المستشرق Snouck Horgronye (سْنَوُكْ هُوْرْجَرُوْنْجْ)، وله سياسة علمانية أخرى تجاه المسلمين الإندونيسيين؛ تتمثل في إعطائهم الحرية في ممارسة شعائر العبادة المحضة، وقطع كل بادرة في اتخاذ الإسلام كعقيدة سياسية، وتشجيع الإندونيسيين للتقرب إلى هولندا، ومساعدتهم في تحقيق هذا الغرض، وتشجيع الأسرة الملكية لإحياء تقاليدهم المحلية. وطبقت هذه السياسة إلى أواخر عهد الاستعمار الهولندي. انظر: Politik Islam Hindia Belanda (سياسة هولندا ضد الإسلام) (ص 12-13).

(2) مجلة Studia Islamica (ستوديا إسلاميكا)، العدد 21 (ص 51) ، نقلاً عن الباطنيون في إندونيسيا (ص 105).

(3) History of Java (قصة جَاوَا)، لتيودوري جي فيجيود (99/1)، نقلاً عن الباطنيون في إندونيسيا (ص 105).

(4) Kapustakan Djawi (تراث جَاوَا)، أ. د. فُوْرْبَاتْشَارَاكَا (ص

ْس ِيِ ْتَ ُو ْ) -حفيد كِياْهِيْ يِ ُو ْس ُو ْ د ِيِ ْفَ ُو ْ ر ُ
و ْ الثاني (1803-1875 م)- بكتابات باطنية جاوية مع انتحال وإدراج التعاليم الصوفية الحلولية فيها(1).

وكان دور الحكومة الملكية الهولندية المستعمرة طبع الكتب الباطنية الجاوية، وتهيئة عدد من المستشرقين للقيام بدراسة تلك المؤلفات الباطنية وإخراجها على الوجه العلمي -حسب منهج المستشرقين- حتى يلفت اهتمام الناس، ويكون لتلك المؤلفات أهمية تستحق الدراسة والبقاء(2).

هذه بعض آثار الاستعمار البرتغالي والهولندي في انحراف مسلمي إندونيسيا عن العقيدة الصحيحة.

133، 134، 137)، وKebudayaan Jawa (حضارة جَاوَا) (ص 317). قام كِياْهِيْ يِ ُو ْس ُو ْ د ِيِ ْفَ ُو ْ ر ُو ْ الثاني بتنفيذ أوامر Pakubuwono III (فَكُوْبُوْوُوْنُوْ الثالث)، ومن إنجازاته: تأليف كتاب Sasansunu (سَ َاسَ َنَ ْ سُ ْنُ ُو ْ) ويحتوي على تعاليم إسلامية ملفقة بتعاليم جاوية، انظر: Kapustakan Djawi (تراث جَاوَا)، ص151-152. واعتُبِر كِياْهِيْ يِ ُو ْس ُو ْ د ِيِ ْفَ ُو ْ ر ُو ْ الثاني بكتاباته التلفيقية مؤسساً لتعاليم الحركات الباطنية الحديثة، حيث أنه كان يحث الجاويين على قبول تعاليم الإسلام في الظاهر، أما في الباطن فعليهم أن يمارسوا تقاليد وتعاليم أجدادهم. انظر: Kebudayaan Jawa (حضارة جَاوَا) (ص 318).

(1) من مؤلفاته Wirid Hidayat Jati (ورد هداية النفس)، تكلم فيه عن تعاليم جاوية باطنية مع تلفيقها بتعاليم صوفية حلولية، وضع الكتاب لأول مرة خصيصاً للأسرة الملكية، ثم سمح للناس العاديين ممارسة تعاليم هذا الكتاب، ووصف .Prof. Dr Purbatjaroko (أ. د. فُ ُو ْ ر ْبَ َاتْ ْشَ َار ُو ْ كَ ُو ْ) بعض كتابات هذا الأديب بأنها لا تحتوي إلا على الخيالات الذاتية الفارغة، كما وصفه بعدم الإ حاطة باللغة الجاوية القديمة حيث بنى عليها كتاباته. انظر: Kapustakan Djawi (تراث جَاوَا) (ص 160)، أيضاً: Islam dan Kebatinan (الإسلام والباطنية)، أ. د. محمد رَ َشِ ْيِ ْد ِيِ (ص 55-54).

(2) انظر: Perkembangan Kebatinan di Indonesia (تطور الباطنية في إندونيسيا) (ص 114-113). وإحياء التراث الصوفي المنحرف هو النـزعة العامة للمستشرقين، حتى إنه حظي بأعلى نسبة مجموع عدد الكتب التي أخرجها المستشرقون. انظر: المستشرقون والتراث (ص 15) نقلاً عن الباطنيون في إندونيسيا (ص 106).

المطلب الثاني: الغزو الفكري وأثره في انحراف مسلمي إندونيسيا عن توحيد العبادة

تعريف الغزو الفكري لغة واصطلاحاً:

الغزو الفكري مصطلح مركب من كلمتين هما:

1. الغزو: يقال: غزاه غزواً: أراده وطلبه وقصده[1]. وغزا العدو غزواً وغزوانا، أي: سار إلى قتالهم وانتهابهم في ديارهم. ويقال: عرفت ما يغزى من هذا الكلام، أي: ما يراد، وأغزاه جهزه للغزو[2]. ويتبين من هذا أن معنى الغزو في اللغة: قصد الشيء وإرادته وطلبه.
2. الفكري: الفكر إعمال النظر أو إعمال الخاطر في الشيء، والتفكر التأمل[3]. والفكر: تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني، ولي في ا لأمر فكر، أي: نظر وروية[4] وجمعه أفكار[5].

ومن هذا يتبين أن معنى الغزو الفكري لغة: قصد الشيء وإرادته وطلبه مع تردد القلب وإعمال النظر بروية[6].

أما تعريفه **اصطلاحا** ً فهو: $مصطلح حديث يعني مجموعة الجهود التي تقوم بها أمة من الأمم للاستيلاء على أمة أخرى أو التأثير عليها حتى تتجه وجهة معينة#[7]. وأعني بالأمة التي يراد استيلاؤها: الأمة الإسلامية، والأمة أو الأمم المخططة للاستيلاء على الأمة الإسلامية هم: أعداؤها بشتى أصنافها.

متى بدأ الغزو الفكري؟

يرى بعض الكتاب أن بداية التفكير في الغزو الفكري تعود إلى زمن الحروب الصليبية في القرنين الخامس والسادس الهجريين (الحادي عشر و الثاني عشر الميلاديين)، وذلك عندما وقع لويس التاسع ملك فرنسا[8] في ا

---

(1) القاموس المحيط (ص 1317).
(2) المعجم الوسيط (ص 652).
(3) لسان العرب (307/10)، والقاموس المحيط (ص 458).
(4) المصباح المنير (ص 182).
(5) القاموس المحيط (ص 458).
(6) تحصين المجتمع المسلم ضد الغزو الفكري، أ.د. حمود بن أحمد الرحيلي (ص 15).
(7) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، للعلامة الشيخ عبد العزيز بن باز (438/3).
(8) لويس التاسع ملك فرنسا في فترة ما بين (1226-1270 م)، قاد الحملة الصليبية السابعة عام 1249م، التي توجهت إلى مصر والتي باءت بالفشل، وأسر فيها لويس، وسجن في المنصورة بمصر، وأطلق سراحه بفدية كبيرة. ثم قاد في آخر حكمه حملة أخرى سنة 1270م، توجهت إلى تونس حيث فشلت أيضاً ومات فيها لويس. انظر: أوربا العصور الوسطى، التاريخ السياسي، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (272-277/1)._

لأسر بعد هزيمة حملته الصليبية، وبقي سجينا في المنصورة حتى افتداه قومه وأطلق من أسره.

وفي أثناء سجنه أخذ يتفكر فيما حل به وبقومه، ثم عاد يقول لقومه: إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده، ولكن حاربوهم في عقيدتهم، فهي مـ ـكـ ـمـ ـن القوة فيهم. ووعى قومه نصيحته، فلما عادوا لغزو العالم الإسلامي مرة أخرى لم يكتفوا بالسلاح وحده، ولكنهم استصحبوا معهم تلك الوسائل الخبيثة التي نطلق عليها اسم $الغزو الفكري#[1].

الفرق بين الغزو الفكري والغزو العسكري (الاستعمار) وخطورة الغزو الفكري:

الفرق بين الغزو الفكري والغزو العسكري هو أن الغزو العسكري يأتي عن طريق قهر الشعوب لتحقيق أهداف استعمارية دون رغبة الشعوب المستعمرة. أما الغزو الفكري فهو لتصفية العقول والأفهام لتكون تابعة للغازي[2].

ولعل الغزو الفكري يكون أشد وأخطر من الغزو العسكري؛ لأن الغزو الفكري ينحو إلى السرية وسلوك المآرب الخفية في بادئ الأمر، فلا تحس به الأمة المغزوة ولا تستعد لصده والوقوف في وجهه حتى تقع فريسة له، وتكون نتيجته أن هذه الأمة تصبح مريضة الفكر والإحساس تحب ما يريده لها عدوها أن تحبه، وتكره ما يريد منها أن تكرهه[3]، فتلك الأمة المهزومة فكريا تسير إلى غازيها طواعية، وإلى جزارها عن رضا واقتناع وحب؛ لا تحاول التمرد أو الخلاص.

ويتميز الغزو الفكري بالشمول والامتداد، فهو حرب دائبة، وميادينها متعددة تمتد إلى شعَب الحياة الإنسانية كلها، وهو يسبق الغزو العسكري ويواكبه، ثم يخلفه ليكسب ما عجز السلاح عن تحقيقه، فتشل إرادة المهزوم وعزيمته حتى يلين ويستكين ويضعف تماسكه النفسي، ويذوب كيانه، فيقبل التلاشي والذوبان في بـ ـوتقة أعدائه، أو يصبح امتداداً ذليلا ً لهم، بل ربما بلغ الأمر إلى حد الإتقان ويصل به إلى أغوار النفس، فتقلب معاييرها ومفاهيمها وتشكل لها أنماطا جديدة للمعتقدات والأفكار والأخلاق. إلى الدرجة التي تجعل المهزوم يفتخر بتبعيته للغالب، ويرى ذلك شرفاً وتقدماً جديراً بالرضا والإعجاب[4].

(1) انظر: واقعنا المعاصر، لمحمد قطب (ص 196)._
(2) انظر: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، للدكتور توفيق يوسف الواعي (ص 680-681).
(3) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (438/3).
(4) انظر: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، للدكتور عبد الستار فتح الله

سعيد (ص 8-7) بتصرف.

وسائل الغزو الفكري:

سأشير إشارة سريعة إلى أهم تلك الوسائل، فمن أراد الاستزادة فليرجع إلى الكتب المتخصصة في هذا الباب[1].

لقد سلك الغزو الفكري عدة وسائل للنفوذ من خلالها، ولعل أعظم وسيلتين اعتمد عليهما من تلك الوسائل هما مناهج التعليم ووسائل الإعلام. فإن تلكما الوسيلتين تمثلان البوابتين العظيمتين اللتين ولج منهما الغزو الفكري[2].

أثر الغزو الفكري في انحراف مسلمي إندونيسيا عن توحيد العبادة:

قبل ذكري للآثار العقدية الناتجة عن الغزو الفكري، أحب أن أتطرق إلى أمر في غاية الأهمية يغفل عنه الكثير؛ ألا وهو وجود تناسب طردي بين قدر تأثير الغزو الفكري وبين قدر بعد المسلمين عن كتاب ربهم وسنة نبيهم ح وانحرافهم عنهما؛ فبمقدار ما توغلت وانتشرت هذه الانحرافات في حياة المسلمين، فقد جاء الغزو الفكري بعد ذلك وتوغل فيها بنفس حجم الانتشار أو أشد.

وهذا التنبيه أراه مهماً؛ لأن كثيراً من الكتاب والمفكرين يلقي باللائمة الكبرى على الغزو الفكري في كل ما يعانيه المسلمون اليوم من فساد وتأخر، ويعدونه العقبة العظمى في طريق النهوض بالأمة الإسلامية، ويعتقدون أن العمل على إزالته واجتثاث جذوره هو المهمة الأولى التي يجب أن يعنى بها الدعاة وكل العاملين في الحقل الإسلامي.

والذي جعلهم يذهبون هذا المذهب هو فداحة الآثار التي نجمت عن هذا الغزو الفكري، وخطورة التغيرات التي أحدثها.

ولكن مع ذلك يظل الغزو الفكري أثراً بارزاً نتج عن الانحرافات العقدية والعلمية وانحرافات أخرى لدى المسلمين، فلولا هذه الانحرافات التي وقعت في حياة الأمة واتسع مداها مع الأيام، لما كان للغزو الفكري أي دور يذكر.

فيوم كانت العقيدة سليمة، والإيمان قويا، والتمسك بما أمر الله به من حيطة وحذر، وإعداد للقوة والتمكن قائماً؛ لم يكن يمكن أن يجد الغزو الفكري منفذاً ينفذ منه، وإن وجد منفذاً فلن يجد مكاناً يؤثر فيه، وإن وجد مكاناً ففي أندر الأحوال يقع ذلك، وسرعان ما يقاوم ويعالج . هذا كله يحدث في حال يقظة الأمة ووعيها، وفي حال هيمنة العقيدة ونبضها.

(1) انظر على سبيل المثال: المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، لمحمد محمود الصواف (ص 26-19)، والغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد (ص 40-39)، وانظر أيضاً مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (441-446/3).

(2) الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، لعلي بن بخيت الزهراني (250/2)، بتصرف يسير.

أما بعد أن غشت الانحرافات على حياة الأمة، وأصاب الضعف عقيدتها ، فكان أمراً متوقعاً أن تصبح هدفاً لحملات الغزو الفكري، وأن تسقط فريسة لها من أول وهلة تصطدم بها.

لقد كان هذا الواقع الديني المنحرف سبباً جوهرياً في كل ما جنته الأمة وقاسته من آثار داخلية وخارجية، لا زالت تعاني منها إلى اليوم. ومن هذه الآثار الغزو الفكري الذي يعد أخطر أثر خارجي أحدق بالأمة، وكان له في واقعها الأثر الفعال والدور الكبير في إفساد الحياة الإسلامية بالكلية، ومطاردة كل ما له علاقة بالإسلام والقضاء عليه.

لقد كان الواقع بانحرافاته تربة خصبة وملائمة لإلقاء بذور الغزو الفكري التي أخذت تنبت وتنمو بسرعة في الأرض الإسلامية بصورة لم تكن متوقعة، إذا لم نأخذ في حسابنا الأبعاد الحقيقية لتلك الانحرافات العقدية و العلمية.

وهكذا يتبين أن الغزو الفكري كان من أخطر الآثار التي ترتبت على الانحرافات العقدية والعلمية كما رأيت[1]. فهذه الحقيقة تعطينا درساً مهماً نستفيد منه في نشاطنا الدعوي، ألا وهو: الاهتمام بإصلاح عقيدة المسلمين قبل كل شيء وتصفيتها من كل شائبة تدنسها، ثم نربي الأمة تربية ميمونة على شريعة الإسلام، مع الحذر الشديد من مكايد أعدائنا.

بعد هذا العرض نشير إلى بعض آثار الغزو الفكري في انحراف بعض مسلمي إندونيسيا عن توحيد العبادة:

قد سبق أن بيـ ـّنت أن وسائل الإعلام من أهم الأساليب والوسائل التي استخدمها أعداء الإسلام لإنجاح برنامجهم الخبيث، سواء كانت هذه الوسائل مرئية، أو مكتوبة، أو مسموعة، ولقد استخدم هؤلاء المفسدون هذه الوسائل للوصول إلى مآربهم استعمالا ً بشعاً، ومن أشد هذه الوسائل: التلفزيون؛ فقد شحنوا هذا الجهاز بسموم قاتلة تحت ستار التسلية، والفن، و الرياضة.

ومن تلك السموم: تلكم الأفلام التي أوردوها إلى بلاد المسلمين، إلى جانب اشتمال تلك الأفلام لانحرافات عقدية، فإنها تهدف إلى إثارة غرائز الشباب والشابات، وإشغالهم بالتفكير في إشباع غرائزهم -بطرق غير شرعية- عن التفكير في مصالح أمتهم ومستقبل دينهم وعقيدتهم، ونصرة أوطانهم وأمتهم. وسأركز هنا على ذكر ما تحمله بعض تلك الأفلام الواردة من إنحرافات عقدية، إذ هي موضوع بحثي:

لما كنت دارساً في المدرسة الابتدائية أذكر أن من الأفلام المشتهرة جدا آنذاك: الفلم المرعب The Friday The Thertinth (يوم الجمعة اليوم

---

(1) الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (250/2-246، 307) بتصرف واختصار.

الثالث عشر). لقد اشتمل هذا الفلم على مخالفات عقدية عديدة، منها: أولاً: لقد أدى عنوان هذا الفلم إلى نشر التشاؤم في المجتمع باليوم الثالث عشر، وبليلة الجمعة. لذا لما كنّا أطفالاً فإننا كنا نخاف جداً من الخروج في ليلة الجمعة، لِما رسخ في أذهاننا من أن تلك الليلة ليلة مشؤومة، حيث تظهر فيها الشياطين والغُول. ثانياً: روّج هذا الفلم استخدام التمائم، و الرجوع إلى كتب السحرة والمشعوذين، ورد السحر بالسحر.

ومن تلكم الأفلام المشتهرة كذلك في هذه الأيام بين الأطفال خاصة، الفلم الياباني Doraemon (دُوْرَئِيْمُوْنْ). هذا الفلم يحكي عن ممثل اسمه دُوْرَئِيْمُوْنْ، له جِرَاب عَجِيب. ومن أعجوبته: إذا أردت شيئاً أو متاعاً، ما عليك إلا أن تطلب من هذا الجراب وتدعوه، فسوف يستجيب لك ذلك الجراب لطلبك، أياً كان طلبك. فهذا بلا شك يُعوّد الأطفال الاعتماد على غير الله وطلب الحاجات من غيره سبحانه.

أضف إلى ذلك: ما في هذا الفلم وغيره من الأفلام اليابانية كـ Satria Baja Hitam (سَتْرِيَا بَجَا هِيْتَم)، من أغاني تذكر فيها الشمس دائماً، والسر في ذلك -والله أعلم- يرجع إلى اعتقاد اليابانيين ألوهيةَ الشمس، فإن بلاد اليابان من مواقع نفوذ الديانة الكونفوشيوسية(1).

ومن الوسائل المكتوبة: الكتب والمجلات. ولقد انتشر بين أوساط الإ ندونيسيين في هذه الأيام كتاب قصص بعنوان Herry Pooter (هِيْرِيْ فُوْتِيْرْ). هذا الكتاب يروي لنا عن قصة شاب اسمه هيري فوتير. وقد درس هذا الشاب في مدرسة السحرة حتى يصبح ساحراً عبقرياً يفوق غيره من السحرة الكبار. فهذا الكتاب بلا شك يَطبع في أذهان الناس أن فتح مدارس للسحر ليس فيه بأس، وأنه لا بأس بتعلم السحر، وأنه علم نافع لا محذور فيه!

ومن المجلات: مجلة الأطفال Bobo (بُوْبُوْ). هذه المجلة تحتوي في آخر صفحة من كل عددها على قصة أسطورية صوَرية تحكي عن شابة اسمها Nirmala (نِيْرْمَلَا)، هذه الشابة عندها عصا صغيرة، بمجرد أن تشير بها وتتمتم بكلمة Abrakadabra (أَبْرَكَدَبْرَا) سيكون أمامها كل ما تريده. فهذه القصص تجعل الأطفال تصدّق

(1) الكونفوشيوسية هي ديانة أهل الصين، وهي ترجع إلى الفيلسوف كونفوشيوس الذي ظهر في القرن السادس قبل الميلاد داعياً إلى إحياء الطقوس والعادات و التقاليد الدينية التي ورثها الصينيون عن أجدادهم، مضيفا إليها جانباً من فلسفته وآرائه في الأخلاق والمعاملات والسلوك القويم. وهي تقوم على عبادة إله السماء أو الإله الأعظم، وتقديس الملائكة، وعبادة أرواح الآباء والأجداد. أنظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (2/748-757).

التمائم والعزائم.

هذه بعض ما يحمله الغزو الفكري من انحرافات عن توحيد العبادة، ولا زال هناك انحرافات كثيرة جداً مماثلة لتلك الانحرافات السابق ذكرها، فلعلي سأتطرق إليها أثناء الفصول المتقدمة، بإذن الله تعالى.

المبحث الرابع: تقليد الآباء والأجداد

تعريف التقليد لغة واصطلاحاً:

التقليد لغة: هو جعل القلادة في العنق[1].

أما اصطلاحاً فهو: التزام المكلف في حكم شرعي مذهبَ من ليس قوله حجةً في ذاته[2].

هل هناك فرق بين التقليد والاتباع؟

أكثر العلماء على أن هناك فرقاً بين التقليد والاتباع. فالتقليد هو كما سبق تعريفه.

وأما الاتباع: فهو سلوك التابع طرق المتبوع، وأخذ الحكم من الدليل بـ الطريق التي أخذ بها متبوعه، فهو اتباع للقائل على أساس ما اتضح له من دليل على صحة قوله، وهذا بخلاف التقليد[3].

ومعلوم أن التقليد المذموم إنما هو التقليد في الباطل، وأما التقليد في الحق فهو في الحقيقة اتباع لا تقليد، لذلك نجد أن من أصول أهل السنة

---

(1) انظر: الصحاح (527/2).

(2) بيان المحترزات:

$التزام#: جنس في التعريف.

$المكلف#: ليشمل الرجال والنساء، وغير المكلف لا عبرة به في الأحكام التكليفية، والتقليد يحكم عليه بها.

$في حكم شرعي#: لإخراج حكم القاضي بشهادة الشهود، وكذا التقليد في الأمور الدنيوية.

$مذهب#: ليشمل القول والعمل والاعتقاد، ويخرج عمل القاضي بقول الشهود.

$مِن#: اسم موصول.

$مَن ليس قوله حجة#: لإخراج اتباع النبي ح وقول الصحابي إن كان حجة.

$في ذاته#: لإدخال اتباع قول المجتهد في حق العامي؛ لأنه حجة لا في ذاته ولكن بالنصوص من الكتاب والسنة الآمرة باتباعه، ولإخراج اتباع الإجماع لأنه حجة في ذاته.

وهناك تعريفات أخرى للتقليد اصطلاحاً، انظر على سبيل المثال: البرهان في أصول الفقه لأبي المعالي الجويني (1357/2)، والمستصفى لأبي حامد الغزالي (139/4)، الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (269/4)، وشرح الكوكب المنير للفتوحي (529/4)، ميزان الأصول لعلاء الدين السمرقندي (ص 675)، ونشر البنود على مراقي السعود لعبد الله الشنقيطي (335/2-336). وانظر مناقشة هذه التعريفات في: التقليد وأحكامه، للدكتور سعد بن ناصر الشثري (ص 16-30).

(3) انظر: الرد على من أخلد إلى الأرض للسيوطي (ص120)، إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (448/3-450)، جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (173/2)، الوسيط في أصول الفقه الإسلامي، د. عمر مولود عبد الحميد (ص 492)، وبدعة التعصب المذهبي لمحمد عيد عباسي (ص 33 وما بعدها).

والجماعة قولهم $نتبع ما كان عليه سلفنا الصالح# وهو ما يعبرون عنه بصيغة أخرى بقولهم $نتبع ولا نبتدع#. فالسلف الصالح إنما كانوا على اتباع الكتاب والسنة، والمتبع لهم ولمنهجهم إنما هو متبع لهدي الكتاب و السنة.

قال ابن درباس[1] : فيما ذكره عنه أبو عبد الله القرطبي[2] :: $وقد أكثر أهل الزيغ القول على من تمسك بالكتاب والسنة أنهم مقلدون، وهذا خطأ منهم، بل هو بهم أليق وبمذهبهم أخلق، إذ قبلوا قول سادتهم وكبرائهم فيما خالفوا فيه كتاب الله وسنة رسوله ح وإجماع الصحابة رضي الله عنهم#[3].

وقال أبو عبد الله القرطبي :: $وليس قول أهل الأثر في عقائدهم: إنا وجدنا أئمتنا وآباءنا والناس على الأخذ بالكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح من الأمة مِن قولهم: إنا وجدنا آباءنا وأطعنا سادتنا وكبراءنا بسبيل، لأن هؤلاء نسبوا إلى التن-زيل وإلى متابعة الرسول، وأولئك نسبوا إفكهم إلى أهل الأباطيل، فازدادوا بذلك في التضليل#[4].

قال أبو المظفر السمعاني :: $قد دللنا فيما سبق أن الدين هو الاتباع، وقد ذكرنا في بيانه ودلائله ما يجد به المؤمن شفاء الصدر، وطمأنينة القلب بحمد الله ومنِّه.

وأما لفظ التقليد فلا نعرفه جاء في شيء من الأحاديث، وأقوال السلف فيما يرجع إلى الدين، وإنما ورد الكتاب والسنة بالاتباع.

وقد قالوا: إن التقليد إنما هو قبول قول الغير من غير حجة، وأهل السنة إنما اتبعوا قول رسول الله ح وقوله نفس الحجة فكيف يكون هذا قبول قول الغير من غير حجة#[5].

---

(1) هو: جلال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن عيسى بن درباس الماراني الكردي المصري (ت 622 هـ)، إمام محدث، كان عارفاً بالمذهب الشافعي. انظر: السير (290/22)._

(2) هو: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي (ت 671 هـ)، من كبار المفسرين، من مؤلفته: تفسيره المسمى الجامع لأحكام القرآن، والكتاب الأ سنى في شرح أسماء الله الحسنى. انظر: طبقات المفسرين للداودي (69/2-70)._

(3) تفسير القرطبي (17/3).

(4) المرجع السابق (18/3).

(5) فصول من كتاب الانتصار لأصحاب الحديث، لأبي المظفر السمعاني (ص 59-60) ، الحجة في بيان المحجة (119/2)، وصون المنطق والكلام عن فن المنطق والك لام للسيوطي (ص 171)._

متى ظهر التقليد؟

لم يظهر التقليد إلا في أوائل القرن الرابع الهجري -على ما قرره الشوكاني[1] :- حيث قال: $إن التقليد لم يحدث إلا بعد انقراض خير القرون، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وإن حدوث التمذهب بمذاهب الأئمة الأربعة إنما كان بعد انقراض الأئمة الأربعة، وأنهم كانوا على نمط من تقدمهم من السلف في هجر التقليد وعدم الاعتداد به#[2].

أقسام التقليد[3]:

يمكن تقسيم التقليد إلى قسمين رئيسيين:

1. تقليد محمود: وهو تقليد العاجز عن الاجتهاد، لأنه لم يقدر على التوصل إلى الحكم الشرعي بنفسه، فلم يبق أمامه إلا اتباع من يرشده من أهل النظر والاجتهاد. وقد سماه بعض أهل العلم بالاتباع، ولا مشاحة في الاصطلاح.
2. تقليد مذموم: وهو يشمل ثلاثة أنواع:
   1. التقليد الذي يتضمن الإعراض عما أنزل الله تعالى، كتقليد الآباء والرؤساء.
   2. التقليد بعد ظهور الحجة وقيام الدليل عند شخص على خلاف رأي من قلده.
   3. تقليد من لا يعلم المقلد أنه أهل لأن يؤخذ قوله.

ولعل هذه الأنواع الثلاثة هي التي يحمل عليها ما ورد من آيات[4] وأحاديث في ذم التقليد، كما يحمل عليها نهي الأئمة الأربعة في تقليدهم.

الأدلة على النهي عن التقليد[5]:

هناك آيات وأحاديث وآثار عن سلفنا الصالح تدل على النهي عن التقليد وذمه. **فمن تلكم الآيات:** قوله تبارك وتعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼ البقرة:170. فقد ذم الله تعالى في هذه الآية الذين يعرضون عن اتباع الحق والانقياد له بحجة تقليد الآباء والأجداد.

---

(1) هو: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (1173-1250 هـ)، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من مصنفاته الكثيرة: فتح القدير، ونيل الأوطار. انظر: الأعلام (298/6).

(2) القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد (ص 52).

(3) انظر لهذا التقسيم: مقدمة تحقيق د. شعبان محمد لكتاب القول المفيد في حكم التقليد للشوكاني (ص 43).

(4) انظر: إعلام الموقعين (447/3).

(5) انظر: ظاهرة الغلو في الدين، لِعبود بن علي بن درع (ص 167-179) بتصرف واختصار. من هنا وما بعده أعني بلفظ التقليد هنا وفيما يأتي: التقليد المذموم.

قال الإمام أبو عبد الله القرطبي :: $قال علماؤنا: وقوة ألفاظ هذه الآ
ية تعطي إبطال التقليد#[1].
وقال العلامة الشوكاني :: $وفي هذه الآية من الذم للمقلدين والنداء بجهلهم الفاحش واعتقادهم الفاسد ما لا يقادر قدره#[2].
وقال العلامة السعدي :: $وهذه شبهة لرد الحق واهية، فهذا دليل على إعراضهم عن الحق ورغبتهم عنه وعدم إنصافهم، فلو هدوا لرشدهم وحسن قصدهم لكان الحق هو القصد، ومن جعل الحق قصده ووَازَن بينه وبين غيره تبين له الحق قطعاً، واتبعه إن كان منصفاً#[3].
ومن الآيات التي جاءت في ذم التقليد وأهله قوله تبارك وتعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼالمائدة: 104.
قال الإمام ابن كثير : في تفسير هذه الآية الكريمة: $أي إذا دعوا إلى دين الله وشرعه وما أوجبه وترك ما حرمه، قالوا: يكفينا ما وجدنا عليه الآ
باء والأجداد من الطرائق والمسالك#[4].
فالتقليد الأعمى والتعصب يؤديان إلى مهاوي الردى ويقودان صاحبهما إلى مسالك الغواية والضلال، ويصدان عن اتباع النور والهدى، فتكون النتيجة تخبطاً وانعكاساً في الدنيا، وهلاكاً وخسراناً في الآخرة.
أما الاستنكار في قوله تعالى: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ، فهو لبيان واقع هؤلاء المعاندين المخالفين، وواقع آبائهم من قبلهم، فآباؤهم كذلك كانوا يتبعون ما شرعه لهم آباؤهم، أو ما شرعوه هم لأنفسهم، وليس معنى ا
لاستنكار أن لوكان آباؤهم يعلمون شيئاً لجاز لهم اتباعهم وترك ما أنزل الله تعالى وترك بيان الرسول ح $فإنه لا يركن أحد إلى شرع نفسه، أو شرع أبيه ، وبين يديه شرع الله وسنة رسوله ح، إلا وهو لايعلم شيئاً ولا يهتدي#[5].
وقد أخبر الله لأ عن حال من أعرض عن هديه، واتباع ما جاءت به أنبياؤه لإ، وأطاعوا سادتهم وكبراءهم، فقال سبحانه في وصف حالهم يوم القيامة: ﭽﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼالأ
حزاب: 66-67.
قال ابن كثير :: $قال طاووس[6]: سادتنا يعني الأشراف، وكبراءنا

(1) تفسير القرطبي (15/3)._
(2) فتح القدير (164/1)._
(3) تفسير السعدي (ص 64).
(4) تفسير ابن كثير (211/3).
(5) في ظلال القرآن (991/2)._
(6) هو: طاووس بن كيسان اليماني الجندي، بفتح الجيم والنون (ت 106 هـ)، الإمام العلم، أدرك خمسين من الصحابة، وكان مستجاب الدعوة. انظر: خلاصة تهذيب

يعني العلماء. رواه ابن أبي حاتم[1] :. أي: اتبعنا السادة وهم الأمراء والكبراء من المشيخة، وخالفنا الرسل، واعتقدنا أن عندهم شيئاً وأنهم على شيء، فإذا هم ليسوا على شيء#[2].

قال الشوكاني :: $وفي هذا زجر عن التقليد شديد، وكم في الكتاب العزيز من التنبيه على هذا والتحذير منه والتنفير عنه#[3].

ووجه الاحتجاج بهذه الآيات إنما هو في إبطال التقليد بغير حجة ولا دليل، وهذه الآيات وإن نزلت في الكفار، إلا أنها فيها عبرة للمؤمنين، لأن التقليد يشبه بعضه بعضاً وإن اختلفت الآثام فيه.

قال الحافظ ابن عبد البر[4] :: $وقد احتج العلماء بهذه الآيات في إبطال التقليد، ولم يمنعهم كفر أولئك من الاحتجاج بها، لأن التشبيه لم يقع من جهة كفر أحدهما وإيمان الآخر، وإنما وقع التشبيه بين المقلدين بغير حجة للمقلد، كما لو قلد رجلا فكفر، وقلد آخر فأذنب، وقلد آخر في مسألة فأخطأ وجهها، كان كل واحد ملوماً على التقليد بغير حجة، لأن كل ذلك تقليد يشبه بعضه بعضاً، وإن اختلفت الآثام فيه#[5].

أما الأحاديث التي احتج بها العلماء في بيان فساد التقليد والمنع منه، منها: حديث عدي بن حاتم[6] ط قال: $أتيت النبي ح وفي عنقي صليب من ذهب، فقال لي: اطرح هذا الوثن من عنقك، قال: فطرحته. قال: وانتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة، وقرأ هذه الآية ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ [التوبة:31]. قال: قلت: يا رسول الله، إنا لسنا نعبدهم!، فقال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتستحلونه؟ قال: قلت: بلى، قال: فتلك

الكمال للخزرجي (ص 181).

(1) هو: أبو محمد عبد الرحمن بن الحافظ الكبير أبي حاتم بن إدريس الحنظلي الرازي (240-327 هـ)، الإمام الحافظ الناقد، سمع خلائق بالأقاليم، صنف الجرح و التعديل، والعلل، والمراسيل وغيرها. انظر: تذكرة الحفاظ (829/3-832).

(2) تفسير ابن كثير (484/6).

(3) فتح القدير (531/2).

(4) هو: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (368-463 هـ)، إمام حافظ، صاحب تصانيف، منها: التمهيد لما في الموطأ من المعاني وا لأسانيد، وجامع بيان العلم وفضله. انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض (127/8-130)، والسير (153/18 وما بعدها)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (64/7 وما بعدها). وللتوسع في معرفة عقيدته راجع: عقيدة الإمام ابن عبدالبر في التوحيد والإيمان، لسليمان بن صالح الغصن.

(5) جامع بيان العلم وفضله (160/2).

(6) هو: عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحَشرج الطائي (ت 68 هـ)، صحابي شهير، وكان ممن ثبت على الإسلام في الردة، وحضر فتوح العراق وحروب علي. انظر: التقريب (رقم 4572).

عبادتهم#[1].

قال المباركفوري[2] :: $قال في $فتح البيان#: في هذه الآية ما يزجر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عن التقليد في دين الله وتأثير ما يقوله الأسلاف على ما في الكتاب العزيز والسنة المطهرة#[3].

أما الآثار الواردة في هذا الباب عن السلف الصالح فكثيرة جداً.

منها: قول ابن عباس م: $أراهم سيهلكون؛ أقول: قال رسول الله ح ويقولون: قال أبو بكر وعمر؟!#[4].

يقول ابن القيم : معقباً على قول ابن عباس م هذا: $رحم الله ابن عباس، كيف لو رأى قوماً يعارضون قول رسول الله ح بقول أرسطو[5]، وأفلاطون[6]، وابن سينا[7]، والفارابي[8]، وجهم بن صفوان[9]، وبشر

(1) رواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة التوبة (ص 694 رقم 3096)، وقال: $حديث غريب#. وقد حسنه شيخ الإسلام كما في كتاب الإ يمان (ص 58)، الشيخ الألباني كما في السلسلة الصحيحة (865/7 رقم 3293) وفي غاية المرام (ص 19-20 رقم 6).

(2) هو: أبو العلاء محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم بهادر المباركفوري (1283-1353 هـ)، محدث، أسس عدة مدارس، درس فيها بنفسه، ثم اعتزل في بيته وانقطع للتأليف، وانتفع به خلق كثير، من آثاره: تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي. انظر: معجم المؤلفين (394/3).

(3) تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي (391/8).

(4) جامع بيان العلم وفضله (344/2 رقم 2378).

(5) هو: أرسطو طاليس بن نيقوماخوس الفيثاغوري، ويطلق عليه أرسطو اختصاراً (322-384 ق م)، تتلمذ على أفلاطون، وإليه انتهت فلسفة اليونانيين، وهو سيد علمائهم، وفيلسوف الروم، وعالمها، وخطيبها، وطبيبها، وكان يلقب بالمعلم الأول، كان وزير الإسكندر المقدوني الكافر، وكان يعبد الأصنام. انظر: طبقات الأطباء و الحكماء لابن جُلجُل (ص 25-30)، وتاريخ الحكماء للزّوْزَني (ص 27 وما بعدها)، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (ص86-105)، وإغاثة اللهفان (1002/2 وما بعدها)._

(6) هو: أفلاطون بن أرستون (348/347-428/427 ق م)، الفيلسوف الطبيب اليوناني، تتلمذ على سقراط وتأثر به في تنشئته الفلسفية، وكان يعلم أتباعه وهو ماش، فسموا بالمشائين، وذهب في كتبه الفلسفية إلى الرمز والإغلاق. انظر: عيون الأنباء (ص 79-86)._

(7) هو: الحسين بن عبد الله بن سينا أبو علي شرف الملك (370-428 هـ)، الفيلسوف الشهير الملقب بالشيخ الرئيس، أشهر أطباء العرب وفلاسفتهم. قال فيه الذهبي في التاريخ (232/28): $وقد كان ابن سينا آية في الذكاء، وهو رأس الف لاسفة الإسلاميين الذين مشوا خلف العقول وخالفوا الرسول#. انظر: تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي (ص 65-81)، وتاريخ الحكماء (ص 413 وما بعدها).

المريسي[3]، وأبي هذيل العلاف[4]، وأضرابهم؟#[5].
قال الإمام أحمد :: $عجباً لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يدَعونه ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره. قال تعالى: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ [النور: 63]، الفتنة: الكفر#[6].
وقال الإمام الشافعي :: $أجمع الناس على أن من استبانت له سنة عن رسول الله ح لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس#[7].
ويتضح لنا من استعراض الأدلة السابقة أن التقليد والتعصب ينافيان تجريد المتابعة للنبي ح ويمنعان قبول الهدى والحق. وكفى بذلك إثماً وبعداً عن الصراط المستقيم، وفي ذلك عبرة لكل معتبر لنبذها ومجانبتها.

بيان أن التقليد من الأسباب المؤدية إلى الانحراف عن التوحيد:

يعتبر التقليد من أعظم أسباب الانحراف عن الصراط المستقيم، ومن

---

(1) هو: محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان أبو نصر الفارابي (260-339 هـ)، درس ببغداد المنطق والفلسفة والنحو والصرف والرياضيات، وقد تميز بفهمه لفلسفة أرسطو وعنايته بها، مما جعله يشرح كتبه ويضبط مقالاته حتى لقب بالمعلم الثاني كما لقب أرسطو بالمعلم الأول. انظر: تاريخ حكماء الإسلام (ص 41-45)، وتاريخ الحكماء (ص 277-280).
(2) جهم بن صفوان السمرقندي أبو محرز الراسبي مولاهم (ت 128 هـ)، رأس الجهمية وأس الضلالة. قال فيه الذهبي: $الضال المبتدع رأس الجهمية هلك في زمن أصغر التابعين، وما علمته روى شيئاً، ولكنه زرع شراً عظيماً#. انظر: ميزان الا عتدال للذهبي (426/1)، والخطط للمقريزي (349/2)، ولسان الميزان لابن حجر (500-501/2).
(3) هو: بشر بن غياث بن أبي كريمة عبد الرحمن المريسي أبو عبد الرحمن العدوي مولاهم البغدادي (ت 218 هـ)، شيخ الطائفة المريسية من المرجئة. قال فيه الذهبي: $المتكلم المناظر البارع ... ونظر في الكلام فغلب عليه، وانسلخ من الورع والتقوى، وجرد القول بخلق القرآن ودعا إليه، حتى كان عين الجهمية في عصره وعالمهم، فمقته أهل العلم وكفره عدة، ولم يدرك جهم بن صفوان بل تلقف مقالاته من أتباعه#. انظر: السير (199/10-202)، والوافي بالوفيات (151/10-152)، ولسان الميزان (306/2 وما بعدها).
(4) هو: محمد بن الهذيل بن عبد الله الهذيل العلاف البصري (135-226 هـ)، شيخ المعتزلة وزعيم الفرقة الهذلية، وقد أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل تلميذ واصل بن عطاء الغزال، كان ينكر جميع الصفات حتى العلم والقدرة، وقال: هما الله. انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص 121-130)، والسير (542/10-543 هـ)، طبقات المعتزلة للمترضى (ص 44-49)، ولسان الميزان (561/5 وما بعدها).
(5) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (1063/3).
(6) ذكره ابن النجار في شرح الكوكب المنير (590/4).
(7) إعلام الموقعين (40/4)، وإيقاظ الهمم للفلاني (ص 261).

أهم العوامل التي أدت إلى انتشار الشرك والبدع.

بعض الناس يقلدون آباءهم وأجدادهم وشيوخهم تقليدا1 أعمى، سواء كان ذلك في الأصول أو في الفروع، ويقدمون أقوالهم وأفعالهم ولو خالفت قول الله وقول رسوله ح، ويأخذون أحوالهم التي يسمعونها ويشاهدونها مأخذ التسليم، ويعتبرونها الطريق الوحيد الذي يقربهم إلى الله تعالى حتى وإن خالفت هدي الكتاب والسنة.

بسبب هذا التقليد انتشرت الشركيات والبدع بين الناس وفشت في أوساطهم، وحالت بينهم وبين من سمع الحق والهدى، وتركوا بسببها المنهج الرباني العظيم والهدي النبوي القويم(1).

أمثلة وقوع الانحراف عن توحيد العبادة بسبب تقليد الآباء والأ جداد.

لقد وقعت انحرافات كثيرة عن توحيد العبادة لدى بعض مسلمي إندونيسيا، جراء تقليد آبائهم وأجدادهم واتباع العوائد المخالفة لهدي الكتاب والسنة. ومن هذه الانحرافات:

ما يسمونه بـ Ruwatan (رُوَتَنْ)؛ وهو عبارة عن تطهير الإنسان من ذرات الشر الموجودة فيه لكي لا تصيبه الأقدار السيئة -بزعمهم-. وطريقة التطهير: أن يُصَبّ على الشخص المراد تطهيره ماء أُخِذَ من سبع بحيرات متنوعة، وغالبا يتبعه تقديم القرابين(2). وقد ورثوا هذه العادة السيئة عن أجدادهم حتى سادت بين أوساط مجتمع جزيرة جَاوَا، وبالأخص في جَاوَا الوسطى.

ومن تلك الانحرافات: ما يسميه بعض الإندونيسيين بـ Cowongan (تْشُوْوُوْنْجَنْ). وهو عبارة عن طقوس عقدوها للاستسقاء. صورتها: أولا: يصنعون دمية أو لعبة على صورة إنسان ويُلْبِّسونها لباس رجل، ثم يقدمون تحتها القرابين لإحضار روح Dewi Sri (دِيْوِيْ سَرِيْ) وهي رمز للغذاء، وروح Dewi Larasati (دِيْوِيْ لَرَسَتِيْ) وهي رمز للرخاء، وبعد ذلك ينشدون أبياتا تتضمن استغاثة بتلك الأرواح، ومن تلك الأبيات الشركية:

"Midondangi jaluk pitulung marang Nyi Ratu kanggo njaluk udan"

معناها: $نستعين بالمَلِكة -يعنون بها الأرواح السابقة ذكرها- كي نستسقيه#.

وقد عقدت هذه الطقوس في قرية Pesawahan (فِيْسَوَهَنْ) بمنطقة Banyumas (بَنْيُوْمَسْ) بجَاوَا الوسطى، وقد أصبحت هذه الطقوس عادة

(1) انظر: تنبيه أولي الأبصار إلى كما الدين وما في البدع من الأخطار، لشيخنا د. صالح بن سعد السحيمي (ص 142-143).

(2) انظر: جريدة Suara Merdeka (سُوَارَا مِيْرْدِيْكا)، يوم الجمعة، 13 من أغسطس 2004.

سائدة في هذه القرية وغيرها من القرى التي تعاني من قلة نزول الأ
مطار[1].

ومن تلك الانحرافات ما انتشر منذ مئات السنين في محافظة Sulawesi Selatan (سُوْلَوِيْسِيْ الجنوبية) من وجود كهنة يسميهم أهلها بـ Bissu (بِيْسُوْ). في الغالب أن هؤلاء الكهنة من جنس المخنثين، يأتيهم أناس يسألونهم عن المغيبات. ولهم طقوس يعقدونها سنويا لإظهار ما عندهم من خوارق العادات؛ كأن يُطعَنوا بالسيوف فلا تجرحهم. وقد قلّ عددهم -ولله الحمد والمنة- بعد دخول الإسلام في هذه المحافظة وانتشاره فيها، ولكن للأسف ما زالوا موجودين -وإن كانوا قلة معدودة بالأصابع- إلى يومنا هذا بين أوساط المنتسبين إلى الدين الإسلامي[2].

هذا بعض أمثلة تلك الانحرافات العقدية التي من أسبابها تقليد الآباء والأجداد واتباع العوائد السيئة، نسأل الله بكرمه وجوده أن يزيلها عن بلادنا ، والله ولي ذلك والقادر عليه.

---

(1) انظر: المرجع السابق، يوم السبت، 15 من مايو 2004.
(2) انظر: جريدة Kompas (كُوْمْفَسْ)، يوم الثلاثاء، 12 من يوليو 2005 (ص 14)، ويوم الأربعاء، 13 من يوليو 2005 (ص 14).

المبحث الخامس: انتشار فكرة التصوف ونشاط دعاته

تعريف موجز بالتصوف:

التصوف أصل تسميته من الصوف، وهذا ما ذهب إليه غالب المتصوفة المتقدمين[1] والمتأخرين[2]، وقد رجح[3] هذه النسبة كثيرون؛ منهم ابن خلدون[4] وابن تيمية[5] وغيرهما[6].

أما التصوف في اصطلاح المتصوفة، فقد وجد لديهم عبارات تفوق المئات بل الآلاف[7] في تحديد هذا المصطلح. ولعل أصح ما قيل في تعريف التصوف قول أحد متأخريهم: $إنه لم ينته الرأي فيه إلى نتيجة حاسمة بعد#[8].

ولا شك أن هذا دليل على بطلان وفساد حال أهله بحيث أنه لم يضبط بضابط، ولم يجتمع أهله على حقيقة واحدة فيه، بل كل يسلك مسلكاً ويلتزم فيه منهجاً، وذلك لا شك في كونه مجانباً لمنهج الدين الواحد الذي قال الله : ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊﭼ الأنعام: 153[9].

ولكن، نظراً لبعض معالم التصوف، يمكن تعريف التصوف أو الصوفية: بأنها: طريقة زهدية في التربية النفسية يعتمد على جملة من العقائد الغيبية (الميتافيزيكية) مما لم يقم على صحة أغلبها دليل في الشرع ولا في

---

(1) انظر: اللمع، لأبي نصر الطوسي (ص 41)._

(2) انظر على سبيل المثال: عوارف المعارف للسهروردي (ص 45)._

(3) لأسباب عدة، انظر: في التصوف الإسلامي وتاريخه، نيكلسون (ص 67)، التصوف وتأثره بالنصرانية والفلسفات القديمة، د. إبراهيم بن خلف التركي (ص 15)._

(4) مقدمة ابن خلدون (ص 381). وابن خلدون هو: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المالكي (732-808 هـ)، عالم، مؤرخ، اجتماعي، من مصنفاته: العبر وديوان المبتدأ والخبر، لباب المحصل في أصول الدين. انظر: شذرات الذهب (7/76-77)، والأعلام (330/3).

(5) مجموع الفتاوى (6/11، 16، و195).

(6) مثل أبي العلاء العفيفي في: التصوف الثورة الروحية في الإسلام (ص 34)، وياسين رشدي في: التصوف ما له وما عليه (ص 12) كلاهما نقلا ً عن الهندوسية وتأثر بعض الفرق الإسلامية بها (1228/2)._

(7) راجع مثل هذا القول في: عوارف المعارف (ص 44) وانظر: التصوف المنشأ و المصدر للشيخ إحسان إلهي ظهير (ص 36).

(8) أبحاث في التصوف، للدكتور عبد الحليم محمود (ص 153) نقلا عن الهندوسية وتأثر بعض الفرق الإسلامية بها (1228/2)._

(9) الهندوسية وتأثر بعض الفرق الإسلامية بها (1229/2).

العقل[1].

موجز عن نشأة الصوفية وتطورها[2]:

إن أول بوادر ظهور الصوفية كفرقة لها تعاليم ومدرسة وتلاميذ كان في القرن الثاني للهجرة[3]، وذلك حينما فشا الإقبال على الدنيا، وجنح الناس إلى مخالطتها والانشغال فيها، اختفى المقبلون على الزهادة والعبادة باسم الصوفية والمتصوفة[4].

من ذلك الحين غلبت هذه التسمية على هذه الطائفة من الزهاد، وروي أن أول رجل لقب بالصوفي هو أبو هاشم الكوفي (المتوفى سنة 150 هـ)[5]، وأنه بنى أول خانقاة[6] للصوفية في الرملة من بلاد الشام، وقيل غير ذلك[7].

ولم تكن هذه الجماعات في هذه الفترة تؤلف وحدة كالرهبانيات، ولم تتخذ لها رئيساً واحداً، أو نظاماً واضح المعالم في التصوف، فقد تميزت بـ الزهد المبالغ، والتشدد في العبادة ومخالفة

(1) انظر: التصوف بين الحق والخلق لمحمد فهر شقفة (ص 7).

(2) هذا المبحث مستفاد من: الهندوسية وتأثر بعض الفرق الإسلامية بها (2/1229-1238)، والبوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها (ص384-395) بتصرف.

(3) وممن يرى هذا الرأي: القشيري كما في الرسالة القشيرية (ص 389)، وابن الجوزي كما في تلبيس إبليس (938/3)، وابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (29/11، 7-5)، وابن خلدون كما في مقدمته (ص 381)، ومن المستشرقين: L. Massignon لويس ماسنيون وNicholson (نيكلسون) كما في كتابه الصوفية في الإسلام (ص 11)، وانظر: دائرة المعارف الإسلامية (266/5).

(4) انظر: مقدمة ابن خلدون (ص 381)، وتلبيس إبليس لابن الجوزي (921/3).

(5) هو: عثمان بن شريك أبو هاشم الزاهد، ذكر عبد الرحمن الجامي أنه أول من سمي بالصوفي، وما سمي بهذا الاسم قبله، اختلف المترجمون هل كان كوفياً أم بغدادياً أم شامياً. وذكر بعضهم أن أبا هشم اتهم بالزندقة. انظر: تاريخ بغداد (397/14)، وحلية الأولياء لأبي نعيم (225/10)، والتصوف المنشأ والمصدر (ص 41).

(6) الخانقاة: كلمة فارسية، معناها بيت، وقيل أصلها خونقاه، أي الموضع الذي يأكل فيه الملك، وجعلت لتخلي الصوفية فيها لعبادة الله تعالى. انظر: الخطط للمقريزي (414/2).

(7) انظر: الصلة بين التصوف والتشيع، للدكتور كامل مصطفى الشيبي (ص 269).

السنة في بعض الأمور[1]. وكانت البصرة مركزاً لهذه الجماعات[2].
ومن أشهر الزهاد في هذه الفترة: إبراهيم بن أدهم (المتوفى سنة 161 هـ)[3]، ورابعة العدوية (المتوفاة سنة 135 هـ)[4].
وظهرت في نهاية القرن الثـاني فكرة جديدة كانت لها أثرها في التصوف، متمثلة في أقوال معروف الكرخي (المتوفى سنة 200 هـ)[5] الذي عرّف التصوف بأنه الأخذ بالحقائق، واليأس مما في أيدي الخلائق[6]. وذلك لأنهم سموا أنفسهم أرباب الحقائق وغيرهم أهل الرسوم والظاهر.
ثم في القرن الثالث والرابع الهجريين ظهر التصوف في صورة جديدة، تختلف تمام الاختلاف عن سابقتها، حيث لا يقف التصوف في هذه الفترة عند حد الزهد والرياضة والمجاهدة، وإنما تجاوز هذا كله إلى ما يسمونه: فناء الإنسان عن نفسه واتحاده بربه، وحصوله على المعرفة العليا التي تتجلى فيها الحقائق عن طريق الكشف[7]

(1) انظر: الفلسفة الصوفية في الإسلام، للدكتور عبد القادر محمود (ص 60-58)، و دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، للدكتور ناصر عبد الكريم العقل (ص 184-185).
(2) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (6/11، 7).
(3) هو: إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي أبو إسحاق (ت 161 هـ)، كان أبوه من أهل الغنى في بلخ، فتفقه ورحل إلى بغداد، وجال في العراق، وكان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين والحمل والطحن، ويشترك مع الغزاة في قتال الروم، كان زاهداً إلى درجة التخلي عن ملكه وأمواله، ولبس الصوف، وهامْ على وجهه في البلاد، منقشفاً منصرفاً إلى العبادة ودعوة الناس إلى الزهد في الدنيا وخيراتها.وكان يلبس في الشتاء فرواً -أي الجلد- لا قميص تحته، ولا يتعمم في الصيف ولا يحتذي، يصوم في السفر والإقامة. انظر: السير (387/7-396)، والأعلام (31/1).
(4) هي: رابعة بنت إسماعيل العدوية أم الخير البصرية (ت 135 هـ)، صالحة مشهورة، كانت تدعو إلى حب الله حباً مطلقاً مجرداً عن الخوف والرغبة، وجعلت هذا الحب من أسس الصوفية، وركزت عليه طريقها، ولها أخبار في العبادة و النسك. انظر: صفة الصفوة لابن الجوزي (27/4-31).
(5) هو: أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي (ت 200 هـ)، من كبار الصوفية المتقدمين، ولد في كرخ بغداد وتوفي بها. انظر: طبقات الصوفية للسلمي (ص 83-90)، والحلية (360/8 وما بعدها)، والأعلام (269/7).
(6) انظر: الرسالة القشيرية (ص 280).
(7) الكشف في المصطلح الصوفي تعني: رفع الحجب عن قلب الصوفي وبصره بعد اتحاده مع الله، ليعلم صاحب الكشف بعد ذلك كل ما يجري في الكون، أو أن ينكشف للصوفي عن معان جديدة في القرآن والسنة والآثار فيما يعرف بعلم الحقيقة والتي لا يعلمها علماء الشريعة أو علماء الظاهر. الموسوعة الميسرة في الأ ديان والمذاهب (1140/2).

والشهود[1][2]. وبدأ وضع الأنظمة الخاصة بالرهبنة، كالأربطة، وحدودها، و السياحة وطرقها، والتزام الشيخ وآدابه. والصوفية في هذه الفترة تعتبر أكثرها تأثراً بالمذاهب الفلسفية الوافدة[3].

وقد ظهر في هذه الفترة كثير من كبار الصوفية، وكان معظمهم من غير العرب وخاصة الفرس. ومن أشهرهم: الحارث المحاسبي (المتوفى سنة 243 هـ)[4]، وذو النون المصري (المتوفى سنة 245هـ)[5]، وأبو يزيد البسطامي (المتوفى سنة 261 هـ)[6]، والجنيد (المتوفى سنة 297 هـ) وهو فارسي من نهاوند[7]،

---

(1) الشهود هي جمع شاهد، وهو في الاصطلاح الصوفي: ما تعطيه المشاهدة من الأ ثر في قلب المشاهد، وهو على حقيقة ما يضبطه صورة المشهود. المعجم الصوفي ، د. محمود عبد الرزاق (785/2).

(2) انظر: في التصوف الإسلامي وتاريخه (ص 4، 5، 70، 74).ـ

(3) ظهر الإسلام لأحمد أمين (150/4-151).ـ

(4) هو: أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، من أكابر الصوفية، عمل كتاباً في أصول التصوف اسمه $الرعاية لحقوق الله# ويعتبر أقدم الكتب في التصوف. من أقواله $العلم بحركات القلوب في مطالعة الغيوب أشرف من العمل بحركات الجوارح#. انظر: طبقات الصوفية للسلمي (ص 56-60)، والرسالة القشيرية (ص 429-430)، والحلية (73/10 وما بعدها)، والأعلام (153/2)، ومقدمة تحقيق أبي غدة لكتاب رسالة المسترشدين للمحاسبي (ص 16-32).ـ

(5) هو: أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم الإخميصي المصري (ت 245 هـ)، أحد الزهاد العباد المشهورين من أهل مصر، كان له أكبر الأثر في تشكيل الفكرة الصوفية كما ق اله المستشرق نيكلسون، فيعزى إليه أنه أول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية، فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم، وهو أول من بحث في المعرفة بحثاً نظرياً دقيقاً. انظر: طبقات الصوفية للسلمي (ص 15-26)، والرسالة القشيرية (ص 434-433)، والحلية (331/9 وما بعدها)، والأعلام (102/2).

(6) هو: طيفور بن عيسى البسطامي (261-188 هـ)، فارسي، كان جده مجوسياً، يعد من كبار أئمة التصوف، كان ظهوره سبباً في تطور الأفكار الصوفية تطوراً كبيراً؛ لأ نه أدخل في التصوف فكرة الفناء، وفكرة وحدة الوجود. من أخباره الكثيرة: ادعاؤه لنفسه المعراج كما كان للرسول ح المعراج، فأخرجوه من بسطام ورموه بالإ لحاد . انظر: طبقات الصوفية للسلمي (ص 67-74)، والرسالة القشيرية (ص 395-397)، كشف المحجوب للهجويري (317/1)، والحلية (33/10 وما بعدها)، صفة الصفوة (107/4-114)، والأعلام (235/3)، وفي التصوف الإسلامي وتاريخه (24-22).

(7) هو: أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، مولده ومنشؤه بـ العراق، وعده العلماء شيخ مذهب التصوف، من أقواله المشهورة: $ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات و المستحسنات#. انظر: الرسالة القشيرية (ص 431-430)، وكشف المحجوب (340/1)، وصفة الصفوة (416/2-424)، والأعلام (141/2).

والحلاج (المتوفى سنة 309 هـ)[1].

وفي القرن الخامس والسادس: توجه التصوف إلى التنظيم والتنسيق والتقعيد وتصنيف الكتب للدفاع عنه. وقد ظهرت في هذين القرنين الطرق الصوفية الكبرى[2]، وتحول التصوف إلى التفلسف.

من أهم الأشخاص في هذين القرنين: أبو القاسم القشيري (المتوفى عام 465هـ)[3]، والهجويري (المتوفى سنة 492هـ)[4]، وأبو حامد الغزالي (المتوفى عام 505هـ)[5].

في القرن السابع والثامن وما بعده دخل التصوف في تطور خطير، حيث ظهر الطوائف الفلسفية المحضة للتصوف، وبرز الملحدون ظاهرين واستمر ظهور الطرق الصوفية[6].

(1) هو: الحسين بن منصور الحلاج أبو مغيث، فارسي الأصل، كان قد اتصل بالجنيد وتتلمذ عليه، وظهر تطرفه وقوله بالحلول، كان محتالا مشعوذا، مرتكبا للعظائم، يروم إقلاب الدولة، يدعي أن الإلهية حلت فيه، وأنه هو هو، فلما شاع أمره وعرف السلطان خبره، أمر بضربه ألف سوط، وقطع يديه، ثم أحرق بالنار في آخر سنة 309 هـ. انظر: طبقات الصوفية للسلمي (ص 307-311)، وكشف المحجوب (362/1)، والأعلام (260/2).

(2) وهي الطريقة القادرية (نسبة إلى عبد القادر الجيلاني المتوفى سنة 561 هـ)، و الطريقة الرفاعية (نسبة إلى أحمد الرفاعي المتوفى سنة 578 هـ)، وغيرهما.

(3) هو: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري (376-465 هـ)، شيخ خرسان في عصره، صوفي مفسر. من أهم كتبه: الرسالة القشيرية. انظر: السير (227/18-233)، والأعلام (57/4).

(4) هو: أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري، عاصر القشيري، وسمع منه بعض آرائه، له كتاب كشف المحجوب في التصوف ألفه بالفارسية وترجمه نيكولسون إلى الا نجليزية، كما ترجمه د. إسعاد عبد الهادي قنديل إلى العربية. انظر: كشف المحجوب (39/1 وما بعدها).

(5) هو: محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي الطوسي (450-505 هـ)، طلب العلم في طوس وجرجان ثم اتجه إلى نيسابور، فاتصل بأبي المعالي الجويني، وهو أكبر شيوخه وأعظمهم أثرا عليه. ثم دخل بغداد، وفيها ظهر علمه وذاع صيته ، ثم رجح طريقة الصوفية ودخل في سلكها، وألف كتبه العديدة في التصوف، منها: الإحياء، والمنقذ من الضلال وغيرهما. وفي آخر عمره أقبل على طلب الحديث، ومجالسة أهله حتى توفي. انظر: السير (322/19-346)، والعبر في خبر من غبر للذهبي (387/2)، والبداية والنهاية (215/16-213)، والأعلام (22-23/7).

(6) كالطريقة الشاذلية (نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي المغربي المتوفى سنة 656 هـ) والبدوية (نسبة إلى أحمد بن علي البدوي المتوفى سنة 675 هـ)، والنقشبندية (نسبة إلى محمد بهاء الدين البخاري النقشبندي المتوفى سنة 791 هـ)، وغيرها.

من أهم شخصيات هذين القرنين: السهروردي عمر بن محمد (المتوفى سنة 632 هـ)[1]، وابن الفارض (المتوفى سنة 632 هـ)[2]، وابن عربي (المتوفى سنة 638 هـ)[3]، وابن سبعين (المتوفى سنة 669هـ)[4]، وعبد الكريم الجيلي (المتوفى سنة 805 هـ)[5].

وخلاصة القول: بالنظر إلى تاريخ التصوف ونشأته وتطوره، يمكن الجزم بأن التصوف من أول ظهوره كفرقة من الفرق، ما هو إلا استيراد أجنبي من خارج الإسلام، وليس من صميمه، وأن المتصوفة لم يظهروا بعلمهم هذا، ولا عرفوا بهذه الصفة إلا بعد أن تأثروا بعوامل خارجية متعددة المصادر، ومنها الهندوسية، والبوذية، والأديان الأخرى.

(1) هو: عمر بن محمد بن عبد الله القرشي التيمي البكري السهروردي (539-632 هـ) ، من كبار الصوفية، أخذ الطريقة السهروردية عن مؤسسها عمه أبي النجيب السهروردي، وانتهت إليه مشيخة الصوفية في العراق، من مؤلفاته: عوارف المعارف. أنظر: العبر (213/3)، والأعلام (62/5)، ومعجم المؤلفين (575/2).

(2) هو: عمر بن علي بن مرشد الحموي (576-632 هـ)، اشتغل في أول حياته بطلب العلم ثم سلك مسلك التصوف، وأقام بمكة خمسة عشر عاماً، وكان سائحاً في شعاب مكة، وكان يبقى أياماً لا يأكل ولا ينام، وبلغ في زعمهم إلى درجة الكمال الصوفي الذي هو وحدة الوجود، لقِب بسلطان العاشقين، أشهر قصائده الميمية الكبرى والتائية. انظر: البداية والنهاية (222/17)، والسير (368/22-369)، و العبر (213/3)، ولسان الميزان (126/6-123)، والأعلام (55/5).

(3) هو: محمد بن علي بن محمد بن عربي المعروف بمحيي الدين بن عربي الملقب بـ الشيخ الأكبر (560-638 هـ)، بدأ بطلب العلم فدرس القرآن والحديث والفقه، ثم سلك مسلك التصوف، وقد صدرت عنه شطحات كثيرة، وهو كما يقول الذهبي $قدوة القائلين بوحدة الوجود#، له نحو أربعمائة كتاب ورسالة. انظر: السير (48/23-49)، وميزان الاعتدال (659/3-660)، والبداية والنهاية (252/17-253)، والأعلام (281/6-282)، وجمهرة الأولياء لأبي الفيض المنوفي (201/2).

(4) هو: عبد الحق بن إبراهيم بن محمد ابن سبعين المُرسي الأندلسي (613-669 هـ) ، تعلم في الأندلس مبادئ العلوم الشرعية والعربية، وتعمق في علوم الفلسفة و المنطق والسحر، وسلك في طريق المتصوفة على يد كبار متصوفة الأندلس، وفي 630 هـ نفي ابن سبعين لسوء معتقده، فانتقل إلى المغرب وألف رسائله هناك، ونشر طريقته السبعينية، ولما انكشف مذهبه وتبين انحرافه أنكر عليه العلماء فخرج إلى مصر، ثم خرج منها إلى مكة، وبقي فيها حتى وفاته. انظر: البداية والنهاية (497/17-498)، ولسان الميزان (64/5-63).

(5) هو: عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي أو الجيلاني (767-805 هـ)، تنقل في بلدان كثيرة كالهند وفارس ومصر وفلسطين والحجاز، ثم اتجه إلى مدينة زبيد باليمن، فأقام فيها حتى وفاته. انظر: الأعلام (50/4).

تاريخ دخول الصوفية في إندونيسيا ونشأتها[1]:
من الصعب بمكان تحديد الوقت الذي دخلت فيه الصوفية أرض إندونيسيا، بل هو أصعب من تحديد وقت دخول الإسلام، وذلك لسببين:
أولاً: عدم توفر الوثائق أو الكتابات التي تساعدنا لمعرفة ذلك[2].
ثانياً: بُعد الفترة الزمنية بين ما يظن من وقت دخولها إندونيسيا إلى زماننا.
والعجيب في الأمر أن أغلب الباحثين يميلون إلى أنها وصلت إليها قديماً قِدَم وصول الإسلام إليها، وبالتالي قالوا إن الإسلام الذي وصل إلى إندونيسيا في أول مرة هو الإسلام الممزوج بالتصوف. ومن يميل إلى هذا الرأي يلزمه القول بأن وصول الإسلام إلى هناك كان في القرن (13 م / 7 هـ)، أو قبل ذلك بقليل.
وهناك رأي آخر يقول بأن الصوفية وصلت إلى إندونيسيا مع دخول الإسلام فيها في القرن 7 م / 1 هـ. وهذا ما جاء في تقرير مؤتمر الصوفية الذي عقد في Pekalongan (بِكَالُونْجَن) بجَاوَا الوسطى سنة 1960 م، والذي هدف إلى تقوية الأخوة بين الطرق الصوفية الموجودة، وإلى حماية واحترام أصول الطرق الحسنة والدفاع عن التصوف في العرض العام، وتطوير الإسلام في إندونيسيا[3].
وضعف كل من هذين الرأيين ظاهر، لكن قبل أن أناقش ذلك نحتاج إلى أن نقف هنا وقفة تأمل فيما كتبه معظم الباحثين، إن لم أقل جميعهم، عن أثر الصوفيين في انتشار الإسلام في إندونيسيا.
الشيء الذي يبدو أنه لا يمكن إنكاره، للواقع الذي نشاهده حتى الآن، وهو $أن الإسلام في إندونيسيا إلى يومنا هذا لا يزال محاطاً بالمواقف الصوفية والرغبات في الأمور الخارقة للعادة#[4].
قال بعض المستشرقين: $إن العرب وغيرهم من التجار المسلمين بدؤوا بزيارات منتظمة لإندونيسيا منذ القرن الثامن الميلادي، ولكن المجتمعات

(1) هذا المبحث منقول عن الصوفية في إندونيسيا (ص 58-38) بتصرف واختصار.
(2) ولهذا تساءل الباحثون عن هذه الظاهرة، لماذا قلت الكتابات الإندونيسية عن الطرق الصوفية في إندونيسيا مع كثرة وكثافة الصوفية فيها. ينظر: Tarekat Naqsyabandiyah di Indonesia (الطريقة النقشبندية في إندونيسيا)، لمارتين فان بروينسنت (ص 16)، نقلاً عن الصوفية في إندونيسيا (ص 38).
(3) ينظر: Pengantar Ilmu Tarekat (المدخل إلى علم الطريقة)، دراسة تاريخية عن التصوف، أ.د. أبو بكر أتشِيْه (ص 415)، نقلاً عن الصوفية في إندونيسيا (ص 39).
(4) Kitab Kuning Pesantren dan Tarekat Tradisi-Tradisi Islam di Indonesia (الكتب الصفراء، المعهد والطريقة، عادات الإسلام في إندونيسيا)، لمارتين فان بروينيسين (ص 189).

الإسلامية هناك لم تظهر للوجود بوضوح إلا في القرن الثالث عشر، ومردّ ذلك إلى أن الصوفية لم تلعب دورها الهام المسيطر إلا بعد سقوط بغداد بأيدي المغول في أواسط القرن الثالث عشر#[1].

وقد أكد الباحثون، بأن الدعاة الذين جاؤوا إلى إندونيسيا في القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين معظمهم من الهند والفرس بجانب العرب[2]، فذلك يقوي الظن بأن الإسلام الذي وصل هناك في ذلك الوقت، أي بعد سقوط بغداد على أيدي المغول عام 656 هـ، هو الإسلام المتأثر بالتصوف[3].

وقال أ.د. حَمْكا[4]، وهو يُعتبر من الذين لا يعطون التصوف الانطلاقة القيمة في كونه عاملاً سلوكياً يدير شؤون الحياة، قال عن دخول الإسلام إلى جزيرة جَاوَا، إحدى جزر إندونيسيا وأهمها: $إنه دخل وانتشر في هذه المنطقة على أيدي تسعة رجال من الصوفية يسمون في التاريخ الإندونيسي بـ Wali Songo (الأولياء التسعة)#[5]. وسوف أتطرق إلى الكلام عن هؤلاء الدعاة التسعة إن شاء الله تعالى.

وعند تصفحنا لكتب التاريخ وقراءتنا عن انتشار الإسلام في إندونيسيا سوف نجد مثل هذا الكلام، ويبدو أنه شيء مسلّم عند الجميع، ولم أجد فعلاً من الوثائق والبراهين ما يعارض ذلك.

وأعود الآن إلى بيان ضعف كل من الرأيين السابقين، فأقول: إن الرأي الأول يزعم أن الإسلام وصل إلى إندونيسيا في القرن (13 م / 7 هـ) حتى ينسجم مع ما يُعتقد من أن الإسلام كان ممزوجاً بالتصوف.

---

(1) الإسلام في الشرق الأقصى، وصوله وانتشاره وواقعه، د. قيصر أديب مخول، تعريب د. نبيل صبحي (ص 78-77)، وقد نقل د. قيصر هذا الكلام عن المستشرق Jones (جونز).ـ

(2) انظر: Tasawuf Perkembangan dan Pemurniannya (التصوف تطوره وتهذيبه)، أ.د. حَمْكا (ص 213) نقلاً عن الصوفية في إندونيسيا (ص 48).ـ

(3) انظر: Tasawuf Sebagai Inti Keberagamaan (التصوف كلب التدين)، مقال للدكتور نور خالص ماجد في مجلة Pesantren (فيسانترين) العدد 3، السنة 1995م، (ص 4) نقلاً عن الصوفية في إندونيسيا (ص 48)، و Beberapa Aspek tentang Islam di Indonesia Abad XIX (جوانب عدة عن الإسلام في إندونيسيا في القرن التاسع عشر)، (ص 173).

(4) هذا اسم مختصر من: الحاج عبد الملك كريم أمر الله (1908-1981 م)، الرئيس الأسبق لمجلس العلماء الإندونيسي، حصل على الدكتوراة الفخرية من الأزهر عام 1976م، ومن الجامعة الوطنية ماليزيا عام 1976م. ألف أكثر من مائة كتاب منها: تفسير الأزهر، والتصوف العصري، والتصوف تطوره وتهذيبه. انظر: دائرة المعارف الإندونيسية (1217/2-1218) نقلاً عن الصوفية في إندونيسيا (ص 40).

(5) نقلا عن كتاب الإسلام في أرخبيل الملايو (ص 83).

وهذا مردود بما تقدم من أن الأرجح والأصح أن الإسلام قد وصل إلى إندونيسيا في وقت مبكر، قبل ذلك الوقت بقرون. ومجرد القول بكون الإسلام في إندونيسيا مخلوطاً بالتصوف لا ينهضّ دليلا ً يصرفنا عن هذه الحقيقة المبرهنة إلى الميل إلى القول المرجوح.

وأما الرأي الثاني ففيه غلو شديد ومغالطة واضحة، إذ كيف دخل التصوف إندونيسيا في القرن الأول الهجري مع دخول الإسلام فيها لأول مرة، علماً بأن التصوف لم يعرف بعد في ذلك الوقت؟.

والظاهر أن أصحاب هذا الرأي مقرّون بأن الإسلام وصل إلى إندونيسيا في القرن الأول الهجري، وفي نفس الوقت أرادوا تبرير صحة الاتجاه الصوفي، فقالوا بذلك الرأي، ولكن الدليل لا يدل على ذلك، وهو أن اسم التصوف إنما ظهر في القرن الثاني الهجري واشتهر بعد القرن الثالث الهجري كما مضى.

ومن هنا توصلتُ -استنباطاً من المقولات المطروحة- إلى النتيجة التي أراها معقولة، وهي أن **الصوفية وصلت إلى إندونيسيا في القرن الذي انتشر فيه الإسلام وازدهر، وذلك في القرن السادس أو السابع الهجريين.**

وأقدم وثيقة تم العثور عليها تدل على ذلك هو: ما ذكره اليافعي[1] شيخ الصوفية من أنه كان تلميذاً للشيخ الصوفي الجاوي المسمى مسعود، فإن في كلامه ما يفيد ذلك، فقد قال: $والشيخ مسعود هو أول من ألبسني الخرقة، جاءني وأنا منعزل في مكان، وقال لي: وقع لي الإشارة الليلة أتّي ألبسك الخرقة، وألبَسَني، وكان يجتمع هو وشيخنا جمال الدين المذكور ونحن وجماعة من أصحابهما معهما في أوقات مباركات في عدن...#[2]. وهذا بعد كلامه عن شيخه جمال الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهيبي[3]، ومما قال في حقه: $... وجالس ذا الأنفاس الصادقة والكرامات

(1) هو: عبد الله بن أسعد بن علي أبو محمد عفيف الدين اليافعي (698-768 هـ)، مؤرخ متصوف، أخذ عن الذهيبي المعروف بالبصال وغيره، وكان يتعصب للأشعري. واليافعي نسبة إلى يافع قبيلة من قبائل اليمن من حمير. من كتبه: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان. انظر: الدرر الكامنة (247-249/2)، وشذرات الذهب (210/6-212).

(2) مرآة الجنان (309/4).

(3) هو: جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذ ُهـ َيـ ْبـ ِي المشهور بـ البصال (ت 748 هـ)، صحب الشيخ عمر المعروف بابن الصغار، وتفقه على يد الفقيه الصوفي عبد الرحمن المعروف بابن سفيان. والذهيبي من شيوخ اليافعي في التصوف حيث لبس منه الخرقة. انظر: مرآة الجنان (308/4)، وشذرات

الخارقة والمواهب السنية والمقامات العلية شيخنا المشكور الولي المشهور مسعود الجاوي#[1].

وقال حَمْكا معلقاً على كلام اليافعي: $والجاوي اسم كان يطلق -وإلى اليوم- علينا الإندونيسيين والماليزيين في البلاد الإسلامية#[2]، ومن هنا تقع المشكلة، وهي أن اليافعي لم يذكر ترجمة حياة شيخه أكثر من ذلك، فلم يعرف بالضبط متى عاش الشيخ مسعود ومتى توفي، وقد بحثت عن ترجمته في كتب التراجم فلم أجدها كذلك.

إلا أن عصر اليافعي معروف، فقد ولد سنة 698 هـ وتوفي سنة 768هـ ، كما أن سنة وفاة شيخ اليافعي المذكور جمال الدين أبي عبد الله، الذي ذكر أنه جالس الشيخ مسعود الجاوي معروفة كذلك، وهي سنة 748 هـ. فـ الشيخ مسعود إذاً كان يعيش في حدود تلك السنوات.

والشاهد من هذا كله، كما قال حَمْكا في معرض حديثه عن قدم وجود الصوفية في إندونيسيا، أن ذلك الوقت هو وقت ازدهار مملكة Pasai (فَ سَ يْ) الإسلامية، قد وُجد وظهر الشيخ الصوفي الإندونيسي الكبير و المعترف ليس في بلده فحسب، بل في بلد العرب كذلك، وله تلاميذ كبار في التصوف منهم اليافعي[3].

وقيل أن هناك شيخاً صوفياً آخر أقدم من الشيخ مسعود بقرن واحد تقريباً، قد وصل إلى إندونيسيا، وساهم في نشر الإسلام هناك، لكن لم يعرف من سيرته إلا اسمه والكتاب الذي يظن من تأليفه، فاسم هذا الشيخ عبد الله عارف، جاء إلى إندونيسيا مع شيخ آخر اسمه إسماعيل زَقّي، والكتاب المذكور هو كتاب في التصوف بعنوان $بحر اللاهوت#، فيه بحث عن نور محمد أو الحقيقة المحمدية.

ويُعتَقد أنه عاش في أواخر القرن 12 م / 6 هـ، لما عثر على قبر عالم قيل إنه من تلاميذه، مكتوب عليه سنة 1214 م / 610 هـ[4]. و المعلومات عن هذا الشيخ محدودة جداً، لم أجد إلا ما ذَكرت.

هذا أقدم ما يمكن القول به من وقت دخول التصوف إلى أرض

الذهب (157/6).

(1) مرآة الجنان (309/4).
(2) Tasawuf Perkembangan dan Pemurniannya (التصوف تطوره وتهذيبه) (ص 212)، نقلاً عن الصوفية في إندونيسيا (ص 42).
(3) انظر:المرجع السابق.
(4) انظر: Perkembangan Ilmu Tasawuf dan Tokoh-tokohnya di Nusantara (تطور علم التصوف وأعلامه في نُوْسَانْتَارَا)، لحواص عبد الله (ص 10 وما بعدها).

إندونيسيا، يعني أواخر القرن السادس الهجري تقريباً، إذا قبلنا الرواية عن الشيخ عبد الله عارف مع قلة البيانات والمعلومات عنه.

وإذا كان عدم العلم لا يدل على العدم كما يقولون، وبالتالي فإن عدم العلم بالبراهين لا يدل على عدم وصول الصوفية قبل ذلك الوقت، فإن $ظهور الصوفية في القرنين الثالث والرابع الهجريين لم يكن مقصوراً على البصرة والكوفة، كما كان ذلك شأن الزهاد والعباد في القرنين الأولين، وإنما هو يتجاوز الكوفة والبصرة إلى بغداد وغيرها من بلاد المملكة الإسلامية، كفارس ومصر والشام وجزيرة العرب#[1]، الأمر الذي ينم عن إمكان وصولها إلى إندونيسيا حينذاك أيضاً. لكن البحث لابد أن يكون معضوداً بالدليل و البرهان، فالقول مع الدليل حتى يأتي دليل آخر يخالفه، أولى من القول بعدم الدليل. ولم أر في الكتب التي كتبت عن تاريخ التصوف في إندونيسيا أقدم مما ذكرت، وذلك حسب علمي القاصر واطلاعي القليل، والله أعلم.

بعد القرن (12 م / 6 هـ) بدأ التصوف ينتشر شيئا فشيئاً في أرض إندونيسيا، مع انتشار الإسلام فيها. **ومما ساعد انتشار التصوف فيها وجود بقايا آثار الديانات السابقة للإسلام**، التي كانت بعض عقائدها تتوافق مع عقائد الصوفية، كتعليم (ميتافيسيكا) الذي هو نفس معنى وحدة الوجود التي يؤمن بها الصوفية الغلاة[2].

ومما ساعد كذلك انتشار َ فكرة التصوف في إندونيسيا: **نشاط ُ دعاتها** في قديم الزمان وحديثه. وسأقسم الكلام عن نشاط دعاة الصوفية في قديم الزمان إلى فرعين: الفرع الأول نشاطهم في جزيرة جَاوَا، والثاني نشاطهم خارجها.

أما **نشاط قدمائهم في جزيرة جَاوَا** فهو: ما اشتهر في تاريخ الإسلام في إندونيسيا من ظهور الصوفي الكبير القائل بوحدة الوجود على غرار ح ال الحلاج، واسمه Syekh Siti Jenar (الشيخ سِيْتِيْ جِيْنَرْ)[3]، وقيل إنه قبل أن ينكشف أمره كان معدوداً من الدعاة الأوائل الذين قاموا بنشر الإسلا م في جزيرة جَاوَا، والذين اشتهرت تسميتهم في المجتمع الإندونيسي بالأ

---

(1) الفلسفة الروحية في الإسلام (ص 100-99)، نقلا ً عن الصوفية في إندونيسيا (ص 44).

(2) وهناك تعاليم أخرى للتصوف الفلسفي، هي مأخوذة من الهندوكية والبوذية. انظر: الصوفية في إندونيسيا (ص 52-49).

(3) قيل اسمه عبد الجليل بن سونان غونونج جاتي، الحلاج الجاوي، لا يعرف تاريخ ولادته، لكنه قتل بعد قيام مملكة Demak (د ِ يِ م ْ ك ْ) الإسلامية بجَاوَا فيما بين سنة (1478-1546 م)، وقيل هو شخصية أسطورية لا حقيقة لها، والله أعلم. انظر: Mengislamkan Tanah Jawa (أسلمة جَاوَا)، ويجي ساكسونو (ص 46-47)، و Misteri Syekh Siti Jenar (السيرة الغامضة للشيخ سِيْتِيْ جِيْنَرْ)، أ.د. حَسَنُو سيمون (ص 363 وما بعدها).

أولياء التسعة، فلما ظهر أمره حكموا عليه بالإعدام. وهؤلاء الأولياء التسعة هم: مولانا ملك إبراهيم[1]، وSunanAmpel (سُوْنَنْ أ َم ْبِ يِ لْ ْ)[2]، وSunan Bonang (سُوْنَنْ بِ ُو ْن َن ْج ْ)[3]،

(1) هو: ملك إبراهيم بن بركات زين العالم جمال الدين، ويعرف كذلك بالشيخ المغربي ، لا يعرف تاريخ ولادته بل ولايعرف أصله على وجه التحديد، قيل هو فارسي، وقيل عربي، وقيل تركي، وقيل غوجاراتي. قيل إنه وصل إلى جَاوَا في عام (867 هـ / 1404 م)، وبدأ يدعو الناس إلى الإسلام، وكانت إقامته في Gresik (غريسيك) بجَاوَا الشرقية إلى أن توفي هناك سنة (882هـ/1419م)، ودفن بها. انظر: Sekitar Wali Songo (حول الأولياء التسعة)، لصالحين سلام (ص 24-26)، و Misteri Syekh Siti Jenar (السيرة الغامضة للشيخ سِيْتِي جِيْنَرْ) (ص 165-172).

(2) هو أحمد رحمة الله بن إبراهيم بن جمال الدين الحسين المعروف بسونان أمبيل، قيل أنه ولد سنة 1401 م، وعرف بأنه المخطط لقيام مملكة د ِي ْم َك ْ؛ المملكة الإسلامية الأولى في جَاوَا، وكان ملكها الأول Raden Patah (رادين فتاح) ، وهو أحد تلاميذ سونان أمبيل المترجم له، توفي في Surabaya (سُوْرَبَيَا) بجَاوَا الشرقية سنة 1478 م وقيل سنة 1467 م، ودفن غرب مسجد سونان أمبيل بسُوْرَبَيَا، وكان في حياته معروفاً بالاستقامة في تعليم الإسلام، ولا يساير التقاليد والعادات المخالفة للإسلام. انظر: Sekitar Wali Songo (حول الأولياء التسعة) (ص 28-30)، وMengislamkan Tanah Jawa (أسلمة جَاوَا) (ص 26-29)، ومجلة Sabili (سبيلي) العدد 9 سنة 2003 (ص 24).

(3) قيل اسمه: مخدوم إبراهيم بن رحمة الله بن إبراهيم، المعروف بسونان بونانج، فهو ابن سونان أمبيل المذكور قبله. قيل أنه ولد سنة 1465م. و(بونانج) في الأ صل اسم لنوع من آلة الموسيقى التقليدية، وقد استخدمها هذا الرجل للدعوة، لما رأى أن أهل المنطقة مولعون بالغناء. وكانت منطقة دعوته في جَاوَا الشرقية كذلك. توفي سنة 1525م، ودفن في Tuban (توبان) بجَاوَا الشرقية. انظر: Sekitar Wali Songo (حول الأولياء التسعة) (ص 31-34)، و Mengislamkan Tanah Jawa (أسلمة جَاوَا) (ص 29-30).

وSunan Giri (سُوْنَنْ غ ِي ْر ِي ْ)[1]، وSunan Drajat (سُوْنَنْ د َر َجَات ْ)[2]، وSunan Kalijogo (سُوْنَنْ ك َا ِي ج و ْغ ُو ْ)[3]، وSunan Kudus (سُوْنَنْ ق ُد ُس ْ)[4]، وSunan Muria (سُوْنَنْ م ُو ْر ِي َا)[5]،

---

(1) هو: محمد عين اليقين بن إسحاق بن إبراهيم، المعروف بسونان غيري، ويعرف أيضاً باسم Raden Paku (رادين باكو)، لم يعرف بالضبط متى ولد. وقد لقب بمفتي أرض جَاوَا لعلو منزلته وسمو علمه، يحكى أنه هو الذي أصدر الحكم -باعتباره قاضياً- بإعدام الشيخ سِيْتِيْ جِيْنَرْ صاحب عقيدة وحدة الوجود. توفي سنة (1035م/1506م)، ودفن في Gresik (كر َس ِي ْك ْ) بجَاوَا الشرقية. انظر: Sekitar Wali Songo (حول الأولياء التسعة) (ص 35-40)، و Mengislamkan Tanah Jawa (أسلمة جَاوَا) (ص 38-42)، و Misteri Syekh Siti Jenar (السيرة الغامضة للشيخ سِيْتِيْ جِيْنَرْ) (ص 203-223).

(2) هو: هاشم بن أحمد رحمة الله، وقيل اسمه شريف الدين، وقيل رادين قاسم، فهو ابن سونان أمبيل، لم يعرف متى ولد. كان مركز دعوته في جَاوَا الشرقية. توفي في عام 1586 م، ودفن في مدينة لامونجان بجَاوَا الشرقية. انظر: Wali Songo Hidup dan Perjuangannya (الأولياء التسعة حياتهم وكفاحهم)، لمحمد عبده وأحنان (ص 37-38) نقلاً عن الصوفية في إندونيسيا (ص 54)، و Sekitar Wali Songo (حول الأولياء التسعة) (ص 41).

(3) اسمه: Raden Syahid bin Tumenggung Wilatikta (ر َد ِي ْن ْ شهيد بن ت ُو ْم ِيْن ْجُو ْن ج ْو ِي ْل َت ِي ْك ْت َا)، المعروف بسونان كالي جوغو، لم يعرف متى ولد ومتى توفي، كان ممن يحاول أن يسبغ العادات الشركية والبدعية بصبغة الإسلام، وقد استخدم في دعوته آلات المعازف التقليدية، والقصص التي اشتهرت باسم Wayang (و َي َن ْج ْ)، من مؤلفاته: Serat Dewa Ruci (رسالة د ِي ْو َا ر ُو ْت ْش ِي ْ) و Suluk Linglung (س ُو ْل ُو ْك ْ ل ِي ْن ْج ْل ُو ْن ْج ْ). وقبره في Demak (د ِي ْم َك ْ) جَاوَا الوسطى. انظر: Sekitar Wali Songo (حول الأولياء التسعة) (ص 42-46)، وMengislamkan Tanah Jawa (أسلمة جَاوَا) (ص 30-34)، وMisteri Syekh Siti Jenar (السيرة الغامضة للشيخ سِيْتِيْ جِيْنَرْ) (ص 281-362).

(4) هو: جعفر الصادق بن أحمد رحمة الله أخو إبراهيم وهاشم، المعروف بسونان قدس، كان يلقب بأمير الحج لكونه أميراً لجماعة الحجاج في زمانه، توفي ودفن في قدس جَاوَا الوسطى سنة 1628 م. انظر: Wali Songo Hidup dan Perjuangannya (الأولياء التسعة حياتهم وكفاحهم) (ص 48) نقلاً عن الصوفية في إندونيسيا (ص 54)، وSekitar Wali Songo (حول الأولياء التسعة) (ص 47-50)، وMengislamkan Tanah Jawa (أسلمة جَاوَا) (ص 42-46).

(5) هو رادين عمر سعيد بن سونان كاليجوغو، الملقب بسونان موريا، لا يعرف متى ولد ومتى توفي، وقد استخدم الفنون التقليدية كالموسيقى والغناء وسيلة من وسائل دعوته التي تمركزت في قدس جَاوَا الوسطى، توفي فيها ودفن في جبل

وSunan Gunung Jati (سُوْنَنْ غ ُو ْن ُو ْن ْج ْج َت ِي)[1].

ولفظ $س ُو ْن َن ْ# هو لقب شرف يطلق على بعض الملوك وكبار العلماء[2]، وللأسف أن هؤلاء الدعاة مع شهرتهم في أوساط المجتمع ا لإندونيسي، لا نكاد نجد تراجم موثقة لحياتهم، والحكايات التي تحكى عنهم مفعمة بالخيالات والخزعبلات.

وقد اشتهرت جهودهم في نشر الإسلام في إندونيسيا وجزيرة جَاوَا على وجه الخصوص، ولكن الشيء المؤكد أنهم كانوا من علماء التصوف و من ناشري أفكارها[3]، وإن كان الناس يضعونهم في عداد الزهاد. فقد استمد هؤلاء التسعة في نشر تعاليم الإسلام هناك من كتاب $إحياء علوم الدين# لأبي حامد الغزالي[4]. ولم يعرف منهم إنكار على التيار الصوفي عموماً إلا من اعترف علناً بعقيدة وحدة الوجود، حيث قاموا بإعدام الشيخ سِيْتِيْ جِيْنَرْ كما سبق.

ويمكن تصنيف هؤلاء الأولياء التسعة إلى صنفين: صنف اهتم بنشر الإ سلام بتعاليمه المستمدة من الكتاب والسنة -المشوبة بفكرة التصوف- مع محاولة تصفية المجتمع من العادات الشركية والتقاليد البدعية، وهم: مولانا ملك إبراهيم، وسُوْنَنْ أ َم ْب ِي ْل ْ، وسُوْنَنْ غ ِي ْر ِي ْ، وسُوْنَنْ د َر َج َت ْ. وقد لقبوا بصنف Putihan (فُوْتِيْحَن ْ). و الصنف الثاني -بحجة جلب قلوب العوام- يهتمون بإبقاء التقاليد البدعية مع صبغها بصبغة الإسلام، كإبقاء عادة الاجتماع عند أهل الميت بعد 3 أيام، ثم في اليوم السابع، ثم في اليوم المائة، ثم في اليوم الألف، مع إضافة قراءة ورد التهليل بعدد معين. ومن هذا الصنف: سُوْنَنْ ب ُو ْن َن ْج ْ، وسُوْنَنْ ك َل ِي ْج ُو ْغ ُو ْ، وسُوْنَنْ ق ُد ُس ْ، وسُوْنَنْ م

موريا. انظر: Wali Songo Hidup dan Perjuangannya (الأولياء التسعة حياتهم وكفاحهم) (ص 54 وما بعدها) نقلا ً عن الصوفية في إندونيسيا (ص 54)، Sekitar Wali Songo (حول الأولياء التسعة) (ص 54)، و Misteri Syekh Siti Jenar (السيرة الغامضة للشيخ سِيْتِيْ جِيْنَرْ) (ص 257-262).

(1) اسمه: الشريف هداية الله الملقب بسونان غونونج جاتي، لم يعرف متى ولد، أما وفاته فكانت في سنة 1570 م، وقبره يزار إلى اليوم في Cirebon (ت ِش ِي ْر ِي ْب ُو ْن ْ) بجَاوَا الغربية، وهو من ناشري الإسلام في جَاوَا الغربية. انظر: Sekitar Wali Songo (حول الأولياء التسعة) (ص 56-59)، و Mengislamkan Tanah Jawa (أسلمة جَاوَا) (ص 36-38)._

(2) انظر: Kamus Besar Indonesia (المعجم الكبير للغة الإندونيسية)، مركز حماية وتطوير اللغة (ص 1104).

(3) انظر: Pengantar Sejarah Sufi dan Tasawwuf (مدخل إلى تاريخ الصوفية و التصوف)، أ. د. أبو بكر أتشيْهْ (ص 370).

(4) انظر: Mengislamkan Tanah Jawa (أسلمة جَاوَا) (ص 196).

ُو ْر ِي َا، وسُوْتِنْ غ ُو ْن ُو ْن ْج ْ ج ْ ج َت ِي ْ. وقد لقِبوا بصنف Abangan (أبَنْجَن ْ). وهذا الصنف لهم دورهم الكبير في إبقاء البدع والخرافات لدى مجتمع جَاوَا[1].

أما نشاط قدماء دعاة الصوفية خارج جَاوَا؛

فأولا ً: نشاطهم في جزيرة س ُو ْم َط ْر َا. فقد انقسم دعاة الصوفية فيها إلى قسمين: قسم يروّج الطرق الصوفية وعقيدة وحدة الوجود، قسم يروّج الطرق الصوفية مع محاربتهم لعقيدة وحدة الوجود. من أبرز أعلام الصنف الأول: Hamzah Fanshuri (حمزة فنصوري)[2]، و Syamsuddin Sumathrani (شمس الدين سومطراني)[3]. ويكاد يتفق جميع علماء التاريخ على أن حمزة فنصوري -وتلميذه شمس الدين سومطراني- من الصوفية الذين اتجهوا منحى الحلاج، فإن أفكاره عن الحلول والاتحاد والمحبة ونحو ذلك هي نفس أفكار الحلاج[4].

---

(1) انظر: Misteri Syekh Siti Jenar (السيرة الغامضة للشيخ سِيْتِيْ جِيْنَرْ) (ص 217 ، 308-313).

(2) هو: حمزة فنصوري، لا يعرف نسبه، ولم يعرف بالضبط متى وأين ولد، فنصوري نسبة إلى فنصور، وفنصور اسم آخر لباروس، وهي الآن مدينة صغيرة في الساحل الغربي من سومطرا بين مدينة سيبولغا وسنكل، كانت فنصور إلى القرن السادس عشر الميلادي ميناء التجارة الحيوي. وحمزة أول مؤلف في الطائفة الصوفية في إندونيسيا كا أنه أكبر شعرائهم. انتسب إلى الطريقة القادرية، كان يعيش في عهد علاء الدين رعاية شاه الرابع السيد المكمل الذي تولى السلطة في أتشيِهْ، قيل أنه توفي في العقد الأول من القرن السابع عشر الميلادي. انظر: Hamzah Fansuri , Risalah Tasawuf dan Puisi-Puisinya(حمزة فنصوري، رسالته في التصوف وأشعاره)، لعبد الهادي و. م. (ص 14 وما بعدها)، و Syi'ah dan Ahlus Sunnah Saling Rebut Pengaruh dan Kekuasaan (الشيعة وأهل السنة تخاطفوا النفوذ والسلطة) (ص 71-84)، وEnsiklopedi Islam Indonesia (الموسوعة الإسلامية ا لإندونيسية) لمجموعة من الكتاب تحت إشراف هارون ناسوتيون (ص 296).

(3) هو: شمس الدين بن عبد الله سومطراني، ولد في العقد الأخير من القرن الثاني عشر الميلادي، وهو أكبر تلاميذ حمزة فنصوري. عيّن مفتياً للسلطنة في عهد علاء الدين رعاية شاه الرابع الذي تولى السلطة في أتشيِهْ عام 997 هـ إلى عام 1011 هـ، رغم أن عقيدته الوجودية غير متّبعة لدى السلطنة. واستمر على منصبه كمفتي السلطنة إلى أن توفي في عهد السلطان إسكندر مودا الذي حكم من عام 1016 هـ إلى عام 1045 هـ. وقد توفي شمس الدين عام 1039 هـ / 1630 م. انظر: Syi'ah dan Ahlus Sunnah Saling Rebut Pengaruh dan Kekuasaan (الشيعة وأهل السنة تخاطفوا النفوذ والسلطة) (ص 85-93)، وEnsiklopedi Islam Indonesia (الموسوعة الإسلامية الإندونيسية) (ص 890-892).

(4) انظر: Jaringan Ulama Timur Tengah dan Kepulauan Nusantara (شبكة علماء الشرق الأوسط وجزر نُوْسَانْتَارَا) (ص 200)، وانظر: Ensiklopedi Islam

وأما أعلام الصنف الثاني فأبرزهم: Nuruddin ar-Raniri (نور الدين الرنيري)[1]،
وAbdur Rauf Singkel (عبد الرؤوف السِّيِنْكِلِي)[2]، وAbdus Samad al-Palimbani (عبد الصمد الفَالِيمْبَنِي)[3].

Indonesia (الموسوعة الإسلامية الإندونيسية) (ص 296، 890).

(1) هو: نور الدين محمد بن علي بن محمد حميد الرنيري القرشي الشافعي، ولد في رنير قرب غوجارات بالهند، لكن لا تعرف سنة ولادته، وصل إلى إندونيسيا وبالتحديد إلى أتشِيْهْ عام 1630 م، انتسب إلى عدد من الطرق الصوفية وهي الرفاعية والقادرية والعيدروسية، بل هو الذي جاء بالطريقة الرفاعية -التي أخذها عن عمر بن عبد الله با شيبان التريمي الحضرمي في الهند- إلى إندونيسيا، وفي عهد السلطان إسكندر مودا الثاني أصبح مفتياً للسلطنة، وقد نجح نجاحاً بالغا في محاربة عقيدة وحدة الوجود، لدرجة أن السلطان إسكندر مودا الثاني أصدر الأمر بإحراق مؤلفات شمس الدين سومطراني وحمزة فنصوري. من مؤلفاته: اللمعان في تكفير من قال بخلق القرآن، ورحيق المحمدية في طريق الصوفية. توفي الرنيري في الهند سنة 1069 هـ / 1660 م. انظر: Syi'ah dan Ahlus Sunnah Saling Rebut Pengaruh dan Kekuasaan (الشيعة وأهل السنة تخاطفوا النفوذ والسلطة) (ص 94-110)، Ensiklopedi Islam Indonesia (الموسوعة الإسلامية الإندونيسية) (ص 745-746) و Jaringan Ulama Timur Tengah dan Kepulauan Nusantara (شبكة علماء الشرق الأوسط وجزر نُوْسَانْتَارَا) (ص 197-228).

(2) هو: عبد الرؤوف بن علي الجاوي السنكلي، والسنكلي نسبة إلى (سنكل المنطقة الواقعة في الطرف الجنوبي من ساحل أتشِيْهْ الغربي)، قيل أنه ولد عام 1024هـ/1615م، انتسب إلى الطريقة الشطارية والقادرية، بل هو أول من جاء إلى إندونيسيا بالطريقة الشطارية التي أخذها عن أحمد القشاشي بالمدينة النبوية، وقد نَهَجَ نَهْج الرنيري في محاربة عقيدة وحدة الوجود، توفي : في أتشِيْهْ عام 1105 هـ / 1696 م. انظر: Jaringan Ulama Timur Tengah dan Kepulauan Nusantara (شبكة علماء الشرق الأوسط وجزر نُوْسَانْتَارَا) (ص 228-259)، و Ensiklopedi Islam Indonesia (الموسوعة الإسلامية الإندونيسية) (ص 31-33)، وPengantar Ilmu Tashawuf (مدخل إلى علم التصوف) ليونسريل علي (ص 96) والصوفية في إندونيسيا (ص 72-75).

(3) هو: عبد الصمد بن عبد الرحمن الجاوي الفاليمباني، ولد سنة 1116 هـ / 1604 م في Palembang (فَالِيمْبَنْج) مدينة مشهورة في سُوْمَطْرَا الجنوبية، أول من جاء بالطريقة السمانية إلى إندونيسيا، من مؤلفاته: زهرة المريد في بيان كلمة التوحيد. توفي : بعد سنة 1203 هـ / 1794 م بقليل. انظر: Jaringan Ulama Timur Tengah dan Kepulauan Nusantara (شبكة علماء الشرق الأوسط وجزر نُوْسَانْتَارَا) (ص 306-314)، وMengenal Allah, Suatu Studi Mengenai Ajaran Tasawuf Syaikh Abdus Samad al-Palimbani (معرفة الله، دراسة عن تصوف الشيخ عبدالصمد الفاليمباني)، للدكتور محمد خطيب قوزوين (ص 7-31)، و Perkembangan Ilmu Tasawuf dan

ثانيا: دورهم في جزيرة سُوْلَاوِيْسِي وجزيرة كَلِيْمَنْتَنْ، وقد انقسم دعاة الصوفية فيها أيضاً إلى قسمين: قسم يروِّج الطرق الصوفية وعقيدة وحدة الوجود، قسم يروّج الطرق الصوفية مع محاربتهم لعقيدة وحدة الوجود. من أبرز أعلام الصنف الأول: Yusuf al-Makassari(يوسف المقسّرِي)[1]، وMuhammad Nafis al-Banjari (محمد نفيس البَنْجَرِي)[2].

وأما أعلام الصنف الثاني فأبرزهم: Muhammad Arsyad al-Banjari (محمد أرشد البَنْجَرِي)[3].

على هذه الحالة -أعني حالة سيادة الفكر الصوفي- جرت الحياة الإسلامية التي عاشها المسلمون هناك طوال القرون العديدة. ولقد أفزعني ما وصل إليه أ. د. حَمْكا من نتيجة بحثه عن التصوف حيث قال: $حسب ما وصلت إليه في البحث، إن أول من قال ببطلان الطرق الصوفية وخصوصاً النقشبندية هو شيخ المشايخ أحمد خطيب بن عبد اللطيف المِيْنَنْجْكَبَوِي[4]#[5]؛ لأن هذا الشيخ من مواليد هذا القرن، في أوائل القرن

Tokoh-tokohnya di Nusantara (تطور علم التصوف وأعلامه في نُوْسَانْتَارَا) (ص 85-107).

(1) هو: محمد يوسف بن عبد الله أبو المحاسن التاج الخلوتي المقسري، ولد في عائلة متدينة سنة 1037 هـ / 1627 م، والمقسري نسبة إلى مقسر؛ اسم منطقة في جزيرة سولاويسي. أخذ الطريقة القادرية عن نور الدين الرنيري، وأخذ الطريقة النقشبندية والطريقة الباعلوية من متصوفة اليمن، وأخذ الطريقة الشطارية عن متصوفة المدينة النبوية، وأول من جاء بالطريقة الخلوتية إلى بلده، فأصبح شيخاً لتلك الطرق الصوفية الخمسة. وكان يحاول أن يوفق بين عقيدة وحدة الوجود وبين معتقد الأشاعرة في مطلق الوجود. وهو متعاون مع السلطان في محاربة الاستعمار الهولندي يومئذ. توفي في منفاه، إفريقيا الجنوبية عام 1699م. انظر: Syaikh Yusuf, Seorang Ulama, Sufi dan Pejuang (الشيخ يوسف، عالم، صوفي ومجاهد) لأبي حامد.

(2) هو: محمد نفيس بن إدريس بن حسين البنجري القادري الشاطري النقشبندي السماني، نصر مذهب وحدة الوجود وألف في سبيل ذلك كتابه: الدر النفيس. انظر: Perkembangan Ilmu Tasawuf dan Tokoh-tokohnya di Nusantara (تطور علم التصوف ورجاله في نوسانتارا) لحوص عبد الله (ص 107-122).

(3) هو: محمد أرشد البنجري (1122-1227هـ)، والبنجري نسبة إلى Banjarmasin (بَنْجَرْمَسِيْنْ) مدينة في كلِيْمَنْتَنْ الجنوبية، له عناية بالفقه الشافعي، من كتبه: سبيل المهتدين. انظر: Pengantar Ilmu Tashawuf (مدخل إلى علم التصوف) (ص 98).

(4) هو: أحمد خطيب بن عبد اللطيف المِيْنَنْجْكَبَوِيْ، ولد في 6 من ذي الحجة 1276هـ في Koto Tuo (كوتو توْوُوْ) بـ Bukit Tinggi (بوكيت تينجي) سُوْمَطْرَا. درس بمكة المكرمة، من مؤلفاته: إظهار زَغَل الكاذبين، والآيات البينات، والسيف البتار

العشرين الميلادي. فكم قرناً إذاً استقرت الصوفية هناك بدون كاره لها، فضلا ً عن معارض؟، فهذا أمر -إن ثبت- في غاية الأهمية حيث يساعدنا في فهم عمق تأثير الصوفية في المجتمع الإندونيسي.

ومن نشاط دعاة التصوف في العصر الحديث: ما قام به جمعية نهضة العلماء[2]، أكبر الجمعيات الموجودة في إندونيسيا، من حماية ورعاية الحياة الصوفية التي تتبع الطرق الصوفية المعتبرة على ما يعتقدون، كالقادرية والنقشبندية والشاذلية وغيرها. ولا أدلّ على ذلك من تأسيسها جمعية أهل الطريقة المعتبرة النهضية (Jam'iyyah Ahli Tariqah Mu'tabarah)[3]، كما أنها تُطوّر هذا التوجه الصوفي بتدريس طلابها الكتب الصوفية في معاهدها التقليدية[4]. وفعلا ً أن المتصوفة هناك في الواقع ينتمون إلى هذه الجمعية أو التي على شاكلتها[5]. وقد بلغ نشاط هذه الجمعية الصوفية ذروته لما عُيِّنَ رئيسها السابق عبد الرحمن وحيد رئيساً للجمهورية الإندونيسية في عام 1999 م.

أثر انتشار التصوف ونشاط دعاته في انحراف بعض الإندونيسيين عن توحيد العبادة:

قد علم في أول هذا المبحث أن المتصوفة لم يستمدوا عقائدهم من الكتاب والسنة، فبالتالي لا غرابة من وقوع كثير منهم في مخالفات شرعية، وأعظمها المخالفات العقدية. والمشكلة أن تلك المخالفات لم تقتصر على المتصوفة أنفسهم، ولكنها تتعدى إلى غيرهم من عوام المسلمين الذين

توفي : بمكة في 8 جمادى الأولى 1334 هـ (1916 م)، وكان له جهود ملموسة في نصرة التوحيد ومحاربة الشرك، ويتمثل ذلك أكثر في مؤلفاته التي رد فيها على الطريقة النقشبندية. انظر: Pengantar Ilmu Tashawuf (المدخل إلى علم التصوف) (ص 100).

(1) انظر: Tasawuf Perkembangan dan Pemurniannya (التصوف تطوره وتهذيبه) (ص 222)، نقلا ً عن التصوف في إندونيسيا (ص 57). ثم جاء بعد الشيخ أحمد خطيب تلاميذه ينكرون على الطرق الصوفية، ومن هؤلاء الدعاة: الشيخ محمد جميل جامبيك (1860-1947 م)، والشيخ الدكتور عبد الله أحمد (1878-1933 م)، والشيخ الدكتور عبد الكريم أمر الله (1879-1945 م)، و الشيخ عبد الرؤوف الكورينشي وغيرهم.

(2) تأسست جمعية نهضة العلماء في 16 رجب 1344 هـ، الموافق لـ 31 يناير 1926 م. أسسها كِياهِيْ الحاج هاشم أشعري (1871-1947 م) في Surabaya (سُوْرَبَيَا) جَاوَا الشرقية. انظر: موقع الجمعية http://www.nu.or.id_.

(3) هذه الجمعية أسست في 10 أكتوبر 1957 م. انظر: Tasawuf Belitan Iblis (التصوف عُقد إبليس)، هارتونو أحمد جائز (ص 121).

(4) انظر أمثلة تلك الكتب الصوفية في Kitab Kuning (الكتب الصفراء) (ص 163).

(5) من نتائج حوار صاحب كتاب الصوفية في إندونيسيا مع أ. د. أزيوماردي أزرا.

يستمعون إلى أقوالهم، ويقرؤون كتبهم. وهنا أذكر نماذج من تلك المخالفات:

من تلك المخالفات: ترويجهم للتمائم والسحر في المجلات؛ كما عملوا في دعاية إحدى الجمعيات التي تحمل اسم رئيس الطريقة النقشبندية الخالدية، واسم رئيس الطريقة الخلوتية النقشبندية[1].

منها: تلبيسهم على العوام واستدلالهم بأدلة التبرك المشروع ليصلوا بها إلى بيان جواز التبرك الممنوع[2].

منها: ترويجهم لشد الرحال إلى أضرحة من يسـمونه أولياء[3].

منها: تسميتهم دعاء الأموات توسلاً، ثم يستدلون على صحة فعلهم هذا بالأدلة التي تدل على صحة التوسل المشروع.

منها: محاولتهم الإبقاء على عادات آبائهم المشتملة على انحرافات عقدية، كقراءة قصيدة البردة[4]، وقصيدة برزنجية.

منها: تشييد القبور ببناء القباب عليها، والرد على من حاول أن يهدمها[5].

وهناك مخالفات أخرى سترد -بإذن الله تعالى- بين طيات هذا البحث...

(1) انظر: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 375، تاريخ 5-19 يونيو 2005 (ص72-62).
(2) انظر: مجلة Al-Kisah (القصة)، العدد 16، تاريخ 1-14 أغسطس 2005 (ص 37).
(3) انظر: المصدر السابق (ص 43).
(4) انظر: Bila Kyai Dipertuhankan (إذا أُلِه كِياهِيْ)، لهرتونو أحمد جائز (ص 146).
(5) المصدر السابق.

المبحث السادس: إهمال بعض الدعاة الدعوة إلى التوحيد

من معالم المنهج الصحيح في الدعوة إلى الله أن يدعو الداعية إلى إصلاح العقيدة بالأمر بإخلاص العبادة لله والنهي عن الشرك، ثم الأمر بإقامة الصلاة وفعل الواجبات وترك المحرمات؛ فيبدأ بالأهم فالأهم.

والدعوة إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله تعالى هي منطلق دعوة الرسل وأساسها وأصلها الأصيل الذي به البداية وإليه المنتهى.

يقول الله: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼالنحل: 36[1].

وقد بين الله جل في علاه أن مقولة الرسول لأمته أول ما يبعث إليهم هي ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼالأعراف: ٥٩[2]، قال الشهرستاني[3] :: $اعْتَبِرِ حالَ جميع الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم، أما آدم أبو البشر فقد ثبت صدقه بإخبار الله تعالى ملائكته ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭼ[البقرة: ٣٠]، فلم يكن في أول زمانه من كان مشركا فيدعوه إلى التوحيد ... وأما نوح عليه السلام فأول كلامه مع قومه: ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ[4] فأثبت التوحيد ثم النبوة فقال: ﭽﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ[الأعراف: ٦٣]، وأما هود بعده فقال: ﭽﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ [الأعراف: ٦٥]، ثم قال: ﭽ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃﭼ [الأعراف: ٦٧] أثبت التوحيد ثم النبوة، وأما صالح بعده قال: ﭽﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ [الأعراف: ٧٣]، ثم قال: ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ [الأعراف: ٧٣] ... فمن كان منكراً للتوحيد وجبت البداية معه بإثباته، ومن كان مقراً به وجبت البداية معه بإثبات النبوة#[5].

فتلك هي دعوة الأنبياء جميعاً وعلى رأسهم أولو العزم، يسيرون في دعوتهم على منهج واحد، وينطلقون من منطلق واحد هو التوحيد؛ أعظم

---

(1) أسس منهج السلف في الدعوة إلى الله، فواز بن هليل بن رباح السحيمي (ص 85) باختصار.

(2) ذكر الله هذه المقولة عن نوح وهود وصالح وشعيب عليهم الصلاة والسلام في غير موضع من القرآن، وأول هذه المواضع في سورة الأعراف: 59، 65، 73، 85.

(3) هو: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني الشافعي (479-548 هـ)، شيخ أهل الكلام، له كتاب الملل والنحل وكتاب مصارعة الفلاسفة وكتاب نهاية الإقدام الذي صرح فيه بِحَيْرة أهل الكلام والفلاسفة. انظر: طبقات ابن الصلاح (212-213/1)، وطبقات السبكي (128-130/6)، والسير (286-288/20).

(4) الذي ورد عن نوح ؛ قوله: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼكما في سورة الأعراف: 59 والمؤمنون: ٢٣، وورد في سورة نوح: 3 قوله: ﭽﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ ووردت الآية التي ذكرها الشهرستاني في قول صالح أو هود -على خلاف بين المفسرين كما في تفسير البيضاوي (ص 454)، وتفسير البغوي (416/5- في سورة المؤمنون: 32. ولا ريب أن المعنى واحد، وإنما نبهت إلى هذا رعاية للفظ الآية.

(5) نهاية الإقدام في علم الكلام (ص 430-431).

القضايا والمبادئ التي حملوها إلى بني آدم جميعاً في جميع أجيالهم ومختلف بيئاتهم وبلدانهم وزمانهم؛ مما يدل على أنه هو الطريق الوحيد الذي يجب أن يسلك في دعوة الناس إلى الله، وسنة من سننه التي رسمها لأ نبيائه وأتباعهم الصادقين، لا يجوز تبديلها ولا العدول عنها(1).

ومما يدل على أهمية الدعوة إلى هذا الأصل وانطلاق الدعوة منه وإليه، ما رواه ابن عباس ط أن رسول الله ح لما بعث معاذا ً إلى اليمن قال: $إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ#، وفي رواية: $إلى أن يوحدوا الله تعالى#(2)، $فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ...#(3).

قال الخطابي :: $في هذا الحديث من العلم أنه رتّب واجبات الشريعة، فقدم كلمة التوحيد، ثم أتبعها فريضة الصلاة، وأخّر ذكر الصدقة؛ لأنها إنما تجب على قوم من الناس دون آخرين#(4).

فالواجب على دعاة الإسلام أن يكونوا على بينة برأس الإسلام وأساسه الذي هو التوحيد دعوةً وتعليماً؛ إذ لا قبول لعمل إلا بهذا الأساس والأصل، إذ $كان رأس الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وهي متضمنة عبادة الله وحده وترك عبادة سواه؛ وهو الإسلام العام الذي لا يقبل الله من الأولين ديناً سواه#(5).

لذا، فقد مكث نوح ؛ ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعو قومه إلى التوحيد ويقول لهم: ﭽﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼالأعراف: ٥٩. إنها دعوة جادة إلى توحيد الله وعبادته وحده في جهد دائب؛ ما ترك ؛ وسيلة تمكّنه منها إلا استخدمها لإقناعهم، بدعوته سراً وجهراً، وترغيباً وترهيباً، ووعداً ووعيداً، واحتجاجاً واستدلالا ً بالأدلة العقلية والحسية؛ وسبب ذلك كله أن دعوة التوحيد والقضاء على الشرك وتطهير أرض الله منه يستحق كل هذا؛ وهو عين الحكمة، ومقتضى الفطرة والعقل.

فالواجب على كل الدعاة إلى الله أن يفهموا هذا المنهج، وهذه الدعوة

(1) منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، للشيخ د. ربيع بن هادي المدخلي (ص 43) بتصرف.
(2) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ح أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (347/13 رقم 7372).
(3) رواه البخاري في مواضع من صحيحه، منها: كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد على في الفقراء حيث كانوا (357/3 رقم 1496 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (146/1 رقم 121)، واللفظ للبخاري.
(4) أعلام الحديث (726/1).
(5) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (15/10).

الإلهية العظيمة والمطلب الكبير، $ويجب أن نعتقد أنه لو كان هناك منهج أفضلَ وأقومَ من هذا المنهج لاختاره الله لرسله وآثرهم به؛ فهل يليق بمؤمن أن يرغب عنه ويختار لنفسه منهجاً سواه، ويتطاول على هذا المنهج الرباني وعلى دعاته؟#(1).

ومن المناسب هنا أن أشير إلى بعض الجهود المبذولة من قبل بعض الدعاة الإندونيسيين الذين سلكوا مسلك الأنبياء في نشر التوحيد -خاصة توحيد العبادة- ومحاربة الشرك.

وسأقسم الحديث هنا إلى نقطتين؛ الأولى: الجهود المبذولة من قبل الحركات أو الجمعيات، الثانية: الجهود المبذولة من قبل الأفراد. ولا يعني أن هؤلاء الذين سأذكرهم كلهم على الجادة في تفاصيل عقيدة السلف الصالح، إ لا أن لهم قدم سبق في نشر التوحيد -خاصة توحيد الألوهية- ومحاربة الشرك في أرض إندونيسيا، وهذا شيء جميل، وإنكار الجميل ليس بجميل. وأما الجوانب الأخرى للعقيدة كتوحيد الأسماء والصفات وباب معاملة الحكام وغيرها فقد وقع بعض هؤلاء في مخالفات لمنهج أهل السنة و الجماعة، وليس هنا مكان بسطها.

النقطة الأولى: الجهود المبذولة من قبل الحركات أو الجمعيات:

أ- حركة إصلاحية في مملكة Mataram (مَ تَ رَ مْ) بأرض جَاوَا.

في عام 1788م توفي أحد ملوك مَتَرَمْ وهو Pakubuwono III (فَكُوْبُوْوُنُوْ الثالث)، فخلف من بعده ابنه Sunan Bagus (سُ نَ نْ بَ غُ سْ) الملقب بـ Pakubuwono IV (فَكُوْبُوْوُنُوْ الرابع).

ففي فترة سلطته في حدود عام 1790 م جاءهم علماء من أرض العرب يدعون إلى تصفية العقيدة والعبادة من الخرافات والبدع، وكان رائد هذه الحركة: الشيخ محمد بن عبد الوهاب :.

وكانوا يدعون إلى ترك تقديس القبور، وسؤال الأموات، وتعظيم التمائم والأشجار، ويدعون إلى أن لا يُخاف إلا الله ولا يُتوكَّل إلا عليه سبحانه، وأن لا تُشَدَّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد؛ المسجد الحرام و المسجد النبوي والمسجد الأقصى، وأنه لابد من تنقية الإسلام من آثار الديانة الهندوسية والبوذية، وأنه يجوز التعاون مع الكفار ما لم يضروا الإس لام، ويجب الجهاد لطردهم إذا عمدوا إلى محاربة الدين. والهولنديون المستعمرون -بلا شك- كفار محاربون للإسلام.

وقد قام بعض العلماء الجاويين بترجمة هذه التعاليم للملك، وبدون توقع لبَّى الملك هذه الدعوة الإصلاحية، وأحبَّها. فمن بوادر هذا القبول: أنهم بدؤوا يحاولون تهذيب عادة المراسيم التي ورثوها من عهد

(1) منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله (ص 54).

مملكة ماجاباهيت الهندوسية، ويحاولون تقليل السجود للملك. حصل هذا كله، مع سيطرة الهولنديين لمملكة مَاتارَامْ.

فلما رأى الهولنديون زيادة نفوذ تلك الدعوة الإصلاحية، خشوا على سلطتهم في أرض جَاوَا، فطلبوا من الملك تسليم هؤلاء العرب إليهم، لكن الملك رفض ذلك. فأرسلت هولندا جيوشها العظيمة إلى تلك المملكة. فأشار مستشارو الملك بتسليم أولئك العلماء للهولنديين؛ لعدم قدرتهم على مواجهة أولئك الكفرة. فبادر العلماء بتسليم أنفسهم، درءاً لأعظم المفسدتين وحقنا لدماء المسلمين. وبهذا انتهت سيرة الدعوة السلفية، دعوة أهل السنة، في أرض جَاوَا في تلك القرون، ورجع الناس إلى التلفيق بين تعاليم الإسلام وتعاليم الهندوسية والبوذية، وألفوا أفكار التصوف الحلولية.

فمن ذلك الحين مُنع دخول أي تأثير من العرب إلى Surakarta (سُوْرَكَرْتَا)، لا سيما أن الخلافة العثمانية كانت تكره غاية الكره دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فنشروا في أرض جَاوَا الكتب والرسائل التي تحذر من دعوته :[1].

ب- حركة Padri (بَدْرِي) في إقليم Minangkabau (مِيْنَنْجْكَبَوْ) في وسط غرب جزيرة سُوْمَطْرَا:

كانت نقطة بداية هذه الحركة في عام 1803 م حيث عادت في هذه السنة ثلاثة حجاج قد تلقوا العلم في المسجد الحرام، وعرفوا تعاليم الشيخ محمد بن عبد الوهاب، إذ كانت مكة قد فتحت في عهد الدولة السعودية الأولى، وهؤلاء الحجاج هم: الحاج Miskin (م ِس ْك ِي ْن)، والحاج Sumanik (س ُو ْم َن ِي ْك ْ)، والحاج Piobang (ب ِي ُو ْب َ ن ْج ْ)[2]. فبدؤوا بنشر العقيدة الصحيحة ومحاربة الشركيات المنتشرة بين أوساط مجتمعهم. فأيّدهم كثير من العلماء الموجودين هناك، أمثال: Tuanku Nan Renceh (ت ُو َن ْك ُو ْ ن َن ْ ر ِي ْن ْت ْج ِي ْه ْ)، وTuanku Kubu Sanang (ت ُو َن ْك ُو ْ ك ُو ْب ُو ْ س َن َن ْج ْ)، وTuanku Padang Lawas (ت ُو َن ْك ُو ْ ف َد َن ْج ْ ل َو َس ْ)، وغيرهم، واشتهروا بلقب Harimau Nan Salapan (الأسُود الثمانية).

إلا أن حركة بدري هذه قد ظهرت أكبر ما ظهرت في الناحية الشمالية من مِيْنَنْجْكَبَوْ، حيث يتزعمها Tuanku Imam Bonjol (ت ُو َن ْك ُو ْ إمام ب ُو ْن ْج ُو ْل ْ). فبنى هو وجنوده في تلك المنطقة قلعة

(1) مختصر من كتاب Perkembangan Kebatinan di Indonesia (تطور الباطنية في إندونيسيا) (ص 96-88).

(2) انظر: Sejarah Umat Islam Indonesia (تاريخ الأمة الإسلامية الإندونيسية) (ص 155).

سميت بقلعة بونجول، حتى أصبحت مركز قوتهم، يبعثون منها الحملات المتكررة إلى كل النواحي، ويدعون إليها المتعاطفين معهم، وأخذ يعلم جنوده التعاليم الإسلامية الصحيحة، ويتبع سنة الرسول ح حتى إنه ألبس جنوده ملابس بيضاء حتى في ساحة المعركة، فسمى جنوده $الجيش الأ بيض#.

لا تخلو أي دعوة إصلاحية من عقبات، فقد قام ضد هذه الدعوة التجديدية طوائف شتى من أصحاب الشهوات ويتمثلون في زعماء القوم (Pemuka Adat)، وأهل البدع المتمثلين في رؤساء الطرق الصوفية، منهم رئيس الطريقة الشاطرية Tuanku Kota Tuo (تُوَنْكُو كُوْتَا تُوْوَا)[1]، والمستعمرون الهولنديون. فتكاتفوا وتعاونوا لإ خماد الدعوة السلفية دعوة أهل السنة والجماعة في مِيْنَنْجْكَبَوْ. فاستمرت الحروب التي سميت باسم حروب بدري ما لا يقل عن خمسة عشر عاماً، ولكن الهولنديين تغلبوا في النهاية، ودُمرت قلعة بُوْنْجُوْلْ عام 1837 م، ونُفِي تُوَنْكُوْ إمام بُوْنْجُوْلْ من البلاد. وبهذا انتهت سيرة الدعوة السلفية دعوة أهل السنة في أرض سُوْمَطْرَا في هذه الفترة، والله المستعان...

وفي العصر الحديث ظهرت بعض الجمعيات التي تنادي بالدعوة إلى التوحيد -خاصة توحيد الألوهية- ومحاربة الشرك، ومن تلك الجمعيات:

ج- الجمعية المحمدية:

نسبة إلى محمد ح، والجمعية المحمدية تعني الحركة الإسلامية التي أنشأها كِيَاهِيْ الحاج أحمد دحلان[2] : في 8 ذي الحجة 1330 هـ، الموافق لـ 18 نوفمبر 1912 م.

بعد أن أنهى أحمد دحلان دراسته الأولية في النحو والفقه والتفسير في جُوْكْجَكَرْتَا، وما حولها رحل إلى مكة المكرّمة، وذلك سنة 1899 م، حيث مكث فيها سنة واحدة. وفي سنة 1903 م ذهب إلى مكة مرة أخرى،

---

(1) Perang Sabil di Ranah Minang (حرب السبيل في أرض مينانجكابو)، مقالة كتبها أبو زكي بن مختار الأثري ونشرت في مجلة Salafy (سلفي)، العدد 38، عام 1422 هـ / 2001م ، (ص 45).

(2) هو: أحمد دحلان بن أبي بكر بن سليمان، كان يدعى وهو صغير محمد درويش (1869-1923 م)، رجل أعمال وداعية في بلد كومان جوكجاكرتا، زار الأراضي المقدسة مرتين لأداء فريضة الحج، ثم مكث هناك قرابة ثلاثة أعوام لتلقي العلم من علماء الحجاز. انظر: Ensiklopedi Islam Indonesia (الموسوعة الإسلامية الإ ندونيسية) لمجموعة من الكتاب تحت إشراف هارون ناسوتيون (ص 675) ، ومقالة بعنوان KH. Ahmad Dahlan Ulama Pemurni Tauhid (كِيَاهِيْ الحاج أحمد دحلان عالم ينقي التوحيد)، منشورة في جريدة Republika (رِيْفُوْبْلِيْكَا)، يوم الخميس 31 يناير 2002 (ص 15).

وأقام فيها في هذه المرة سنتين، وكان يتتلمذ على يد الشيخ أحمد خطيب المِيْنَنْجْكبَوِيْ، وقد تأثر بحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في ضرورة التمسك بالتوحيد الصحيح ومحاربة كل الشركيات والبدع[1]، كما أنه كان متأثراً إلى حد كبير بأفكار محمد عبده[2]، وتلميذه رشيد رضا، وكان يلتقي مباشرة بمحمد رشيد رضا في أثناء مكثه في مكة للمرة الثانية[3].

ومن أبرز أهداف إنشاء هذه الجمعية: إقامة التوحيد الخالص الذي جاء به رسل الله لإ من لدن نوح ؛ إلى محمد ح على وفق ما شرعه الله تعالى.

د- جمعية الإرشاد الإسلامية:

أسست هذه الجمعية سنة 1913 م على يد الشيخ أحمد السـ ُو ْر ْكـ َتـ ِي[4] :، ونالت الاعتراف الرسمي من حكومة الاستعمار الهولندي في الحادي عشر من أغسطس سنة 1915 م.

بعد أن حفظ القرآن الكريم ودرس الفقه والتوحيد بالمعاهد الدينية في السودان، رحل الشيخ أحمد السوركتي إلى الحجاز وأقام بالمدينة النبوية أربع سنوات مجداً في طلب العلوم الشرعية والعربية، ومن ثم اختار مكة، ونال بها الشهادة العالمية، وأنشأ فيها مدرسة أهلية وقام بالتدريس فيها، كما أنه درّس في الحرم المكي[5].

والشيخ أحمد السوركاتي -كما صرح بذلك مقدِم كتابه $المسائل الثلا ث#- أحد علماء أهل السنة، الذين لهم أثر كبير في نشر عقيدة السلف في

---

(1) انظر: Gerakan Modern Islam (الحركات المعاصرة الإسلامية) (ص 85-84)، ومجلة Tempo (تـ ِيـ ْمـ ْفـ ُو ْ)، تاريخ 22 يونيو/14 ديسمبير 1985 (ص 60، 66، 67).

(2) هو: محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني (1266-1323 هـ)، متكلم أديب، وكان في آخر حياته مفتيا ً للديار المصرية. من تصانيفه: تفسير القرآن الكريم لم يتمه، ورسالة التوحيد. انظر: الأعلام (361/6)، ومعجم المؤلفين (272/1).

(3) هو: المدخل إلى المحمدية (ص 26).

(4) هو الشيخ أحمد محمد السوركتي الأنصاري، ولد سنة 1292هـ بصعيد مصر. ينتمي إلى قبيلة الجبابرة نسبة إلى جابر بن عبد الله الأنصاري. انتقل مع قبيلته إلى السودان أيام السلطان سليم، ثم جاء إلى إندونيسيا فقضى نيفاً وثلاثين سنة في الدعوة والتعليم فيها، حتى وفته المنية بجاكرتا عام 1362 هـ. انظر:Ensiklopedi Islam Indonesia (الموسوعة الإسلامية الإندونيسية) (ص 90). وللتوسع راجع: $جهود الشيخ أحمد السوركاتي في نشر العقيدة في إندونيسيا# إعداد الأخ شفيق ريزا حسن (ص 56 وما بعدها).

(5) انظر : تاريخ حركة الإصلاح والإرشاد وشيخ الإرشاديين، لمحمد نور الأنصاري (ص 29-35) نقلا ً عن المرجع السابق.

جَاوَا بصفة خاصة، والدعوة إلى الله بصفة عامة[1]. وكتابه المذكور الذي يبحث عن الاجتهاد والتقليد، والسنة والبدعة، وزيارة القبور والتوسل و الشفاعة، لخير دليل على ذلك، فإن الشيخ تكلم على تلك المسائل من منطلق مفهوم العقيدة الصحيحة التي كان عليها سلفنا الصالح.

وأغلب أعضاء هذه الجمعية من العرب الذين هاجروا إلى إندونيسيا. وقد أثار قيامها غضب ذوي السلطة الروحية من العلويين، لأنهم يعلمون أن انتشار مبادئها سيقضي على الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها؛ $فكان الفرد منهم سواء كان صغيراً أو كبيراً، عالماً أو جاهلاً، صالحاً أو طالحاً، يجب أن يحترم، ويجب أن تقبل يده عند المصافحة، وأن تضاف إلى اسمه لفظة سيد أو حبيب، وكانت القرابين والنذر تقدم لبعض الموتى منهم لدفع الكربات وجلب الرزق وإطالة العمر، وما إلى ذلك من الخرافات والخزعبلات التي يمقتها العقل والدين#[2].

هـ- جمعية الاتحاد الإسلامي:

تأسست هذه الجمعية في مدينة Bandung (بَنْدُوْنْجْ) بجَاوَا الغربية سنة 1927 م، أسسها كِيَاهِيْ الحاج زمزم[3]، وهي جمعية تحاول العودة بالمسلمين إلى هدي القرآن والسنة، وإحياء الجهاد والاجتهاد، و القضاء على البدع والخرافات، والتقليد والشرك[4].

وقد أقام مؤسس هذه الجمعية وقت شبابه بمكة ثلاث سنوات، وبعد عودته من مكة المكرمة عمل مدرساً بمدرسة دار المتعلمين ببَنْدُوْنْجْ، وكان له علاقة بالشيخ أحمد السوركاتي[5].

النقطة الثانية: الجهود المبذولة من قبل الأفراد:

أ- الشيخ أحمد خطيب بن عبد اللطيف المِيْنَنْجْكَبَوِي:

حينما استولى آل سعود على مكة في المرة الأولى وغرسوا فيها العقيدة الإسلامية ونشروا كتب السلف، هاجر بعض الحجازيين إلى إندونيسيا بقصد التجارة ونشر العقيدة السلفية، وكان من جملة من هاجر إليها رجل اسمه عبد الله، فاستوطن بلدة Koto Gadang (كُوْتُوْ غَدَنْجْ)

(1) نفس المرجع (ص 5).
(2) حضرموت وعدن، لصلاح البكري (ص 221-223، 238).
(3) هو: كِيَاهِيْ الحاج زمزم، ولد عام 1894 م بسُوْمَطْرَا، رجل أعمال وداعية إسلامي معروف، درس بدار العلوم بمكة المكرمة لمدة ثلاثة أعوام، ثم لازم السوركتي مدة عامين في جاكرتا، وبعدها عاد إلى بَنْدُوْنْجْ. انظر: Gerakan Modern Islam di Indonesia (الحركات المعاصرة الإسلامية في إندونيسيا) (ص 95) نقلاً عن الصوفية في إندونيسيا (ص 438)، وEnsiklopedi Islam Indonesia (الموسوعة الإسلامية الإندونيسية) (ص 764).
(4) انظر: Ensiklopedi Islam (الموسوعة الإسلامية) (95/4).
(5) الحركة التجديدية الإسلامية (ص 96).

فعيّن إماماً وخطيباً وصار يطلق عليه لقب Khatib Negeri أي $خطيب البلدة#. وهذا الرجل هو جد الشيخ أحمد بن عبد اللطيف الخطيب. ولد الشيخ أحمد في عام 1276 هـ، ونشأ تحت رعاية والديه، فحفظ جانباً من القرآن وتلقى بعض العلوم من والده، ثم سافر جده عبد الله إلى الحجاز بقصد الحج، واستصحب أسرته، فوصل مكة عام 1287 هـ.

وانصرف الشيخ أحمد الخطيب إلى حفظ القرآن، واجتهد في دراسة العلوم الإسلامية، فلما تمكن منها عقد حلقة درس في رحبة باب الزيارة، وكان يقصدها مئات من طلاب العلم في إندونيسيا، ثم يعودون إلى بلادهم بعد أن يعاهدوه على القيام بالدعوة إلى الله والتفرغ لنشر العلم في تلك الأ صقاع(1).

وكان من ثمرة تعليمه: قيام تلاميذه بدعوة الإصلاح ومقاومة البدع و الخرافات، أمثال: الدكتور عبد الكريم أمر الله زعيم حركة الإصلاح بسومطرا الوسطى، وكِياهِيْ الحاج أحمد دحلان مؤسس الجمعية المحمدية في جَاوَا الوسطى. وقد بلغت مؤلفاته 46 كتاباً، لا تخلو منها مكتبة في إندونيسيا(2)، ومن مؤلفاته: $حسن الدفاع في النهي عن الابتداع# باللغة الجاوية، و$الآيات البينات في رفع الخرافات# كذلك باللغة الجاوية(3).

ب- الشيخ محمد نور فطاني:

عاش الشيخ : في فترة ما بين عام (1290-1363 هـ)، وكان : سلفي العقيدة، قد تلقى العلم أولا ً عن أستاذه محمد عبد ُه، ثم عكف على دراسة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى أينعت دعوته، لكنها لم تؤت ثمارها إلا بعد قيام الدولة السعودية الثالثة، حيث وجدت لها جواً صالحاً، وعقولا ً مستعدةً لقبولها، وأمعاءً قابلة لهضمها، فانكب على $الهدية السنية في العقيدة السلفية# تأليف الشيخ سليمان بن سحمان(4)، فترجمها إلى اللغة الملاوية، وقامت الدولة السعودية بطبعها وتوزيعها تشجيعاً له واعترافاً بكفاءته. فانتشرت مؤلفاته في إندونيسيا وملايو، وأقبل عليها طلاب تلك الجهات المقيمون

(1) انظر: Syekh Ahmad Khatib, Ilmuwan Islam di Permulaan Abad Ini (الشيخ أحمد خطيب، عالم في مطلع هذا القرن) لأ َخْريَا تزْوَرْ (ص 14-15).
(2) انظر: دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام، لعمر عبد الجبار (ص 38-42).
(3) انظر: انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية، لمحمد كمال جمعة (ص 202).
(4) هو: سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان النجدي (1266-1349 هـ)، كان إماما ً، أصوليا ً، مجتهداً. من مصنفاته: الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحض الشامية، ومنهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع. انظر: الأعلام (3/826).

بمكة لطلب العلم، وكان : يعقد حلقة دروسه في دكّة باب الزيارة[1].

ج- عبد الكريم أمر الله:

ولد : في سُوْمَطْرَا الغربية عام 1296 هـ / 1879 م وقد تلقى العلم في مكة على يد شيوخ من أصل إندونيسي مثل الشيخ أحمد خطيب بن عبد اللطيف، بل هو من أكابر تلامذة الشيخ[2]. وكانت ما تزال تتردد في مكة أصداء دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على إثر الفتح السعودي لها في الدولة السعودية الأولى، واستمع عبد الكريم هناك من مشايخه إلى الصيحة إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع والخرافات. وقد تأثر أيضاً بمدرسة محمد رشيد رضا.

فلما رجع إلى إندونيسيا، أسس مدرسة ط وَ الِ يِ بْ ْ في مدينة Padang Panjang (فَ دَ نْ جْ ْ فَ نْ جَ نَج) في غرب جزيرة سُوْمَطْرَا، وكان يحاول أن يجمع بين التعليم الديني وتعليم العلوم الحديثة[3].

د- دعاة أهل السنة متخرجون من الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية وغيرها من الجامعات الإسلامية بالمملكة، ومركز الشيخ محمد بن صالح العثيمين : بعنيزة، ومركز الشيخ مقبل بن هادي الوادعي[4] : باليمن.

تأسست الجامعة الإسلامية بالمرسوم الملكي رقم 11 بتاريخ 1381/3/25 هـ، الذي وقع عليه الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود[5]:[6]، وعيّن سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ[7] : رئيساً للجامعة ا

(1) انظر: دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام، (ص245-246).

(2) انظر: Syekh Ahmad Khatib, Ilmuwan Islam di Permulaan Abad Ini (الشيخ أحمد خطيب، عالم في مطلع هذا القرن) (ص 68-69).

(3) انظر: انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية، (ص 205).

(4) هو: مقبل بن هادي الوادعي (1352-1422 هـ)، العلامة محدث الديار اليمنية، من مؤلفاته الكثيرة: الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين، وتحفة المجيب عن أسئلة الحاضر والغريب. انظر: ترجمة أبي عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي للشيخ نفسه (17 وما بعدها).

(5) هو: سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود (1319 - 1388 هـ)، الملك الثاني للدولة السعودية الثالثة. انظر: الأعلام (90/3).

(6) جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله تعالى في الخارج من خلال الجامعة الإسلامية، لعبد الله بن صالح العبود (242/1، 254).

(7) هو: محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (1311-1389 هـ)، العلامة الفهّامة، مفتي المملكة العربية السعودية الأسبق، من مؤلفاته: تحكيم القوانين. انظر: الأعلام (306/5-307).

لإسلامية، وخلفه من بعده سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله بن باز[1] :، فكانت هذه الجامعة هدية غالية من هذه الدولة المباركة لأبناء العالم الإسلا
مي.

ومن أهم أهداف إنشاء هذه الجامعة: تثقيف من يلتحق بها من طلاب العلم في المملكة العربية السعودية ومن المسلمين في شتى الأنحاء، وتكوين علماء متخصصين في العلوم الإسلامية والعربية وفقهاء في الدين، متزودين من العلوم والمعارف بما يؤهلهم للدعوة إلى الإسلام، وحل ما يعرض للمسلمين من مشكلات في شؤون دينهم ودنياهم، على هدي الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح[2].

وقد التحق كثير من الأبناء الإندونيسيين بهذه الجامعة الإسلامية المباركة ورجعوا إلى بلادهم، ونشر بعضهم ما تعلموه من العقيدة الصحيحة بين أوساط مجتمعهم.

ومن لم يستطع الالتحاق بها، يلتحق بمركز الشيخ محمد بن صالح العثيمين : بعنيزة، أو بمركز الشيخ مقبل بن هادي الوادعي : باليمن، ومن ثم يعودون إلى بلادهم داعين إلى العقيدة الصافية، ومحذرين من الشركيات و البدع المحدثة. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات...

هذه -أعني الاهتمام بالتوحيد- هي الطريق التي ينبغي أن يسلكها كل من يدعو إلى الله ، لكن قد حاد عن هذا الصراط المستقيم أناس يحملون راية الدعوة الإسلامية، فسلكوا سبلا أخرى غير السبيل الذي رسمه الرسول الكريم ح. وقد أخبرنا النبي الأمين ح بوقوع هذا الأمر المرير قبل أربعة عشر قرنا. فعن حذيفة بن اليمان[3] ط قال: $كان الناس يسألون رسول الله ح عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: $نعم#. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: $نعم، وفيه دخن#. قلت: وما دخنه؟ قال: $قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر#. قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: $نعم، **دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها**#. قلت: يا رسول الله، صِفْهُم لنا. قال: $هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا#. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: $تلزم جماعة المسلمين وإمامهم#. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال:

(1) هو: عبد العزيز بن عبد الله آل باز (1330-1420 هـ)، العلامة القدوة المجدد، مفتي المملكة العربية السعودية، من مؤلفاته العديدة: التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة، ونقد القومية العربية. انظر للتوسع: عبد العزيز بن باز عالم فقدته الأمة - مقتطفات من سيرته ومكانته العلمية، للدكتور محمد بن سعد الشويعر.

(2) المصدر السابق (258/1).

(3) هو: حذيفة بن اليمان العَبسي (ت 36 هـ)، صحابي جليل ابن صحابي، من السابقين. التقريب (رقم 1165).

$فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك#[1].

فقد وصف الرسول ح تلك الطائفة بأنهم دعاة، لكنهم دعاة على أبواب جهنم أي أنهم $يدعون الناس إلى العمل بما يولج فيها#[2]. فأعظم الأعمال التي تولج الناس في النار هو: عدم إفراد الله بتوحيده.

فكم من داعية لا يهتم بإصلاح العقيدة في مجتمعه، وكم من داعية استغرق جل وقته في دعوة الناس إلى نوافل العبادات ونسي تعليمهم أعظم الواجبات. والأدهى من ذلك من الناس من يلبس لباس الداعية ثم يروج للناس الشركيات والبدع، والعياذ بالله...

فكم ضل الناس بسببهم، وكم هلكت من أمة جراء فعلهم! ألا يتذكر هؤ لاء قول الجبار جل وعلا: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ الأحزاب: 66-68.

وفي مقدمة الدعاة الذين لا يهتمون بنشر عقيدة التوحيد وتصفية عقائد الناس من شوائب الشرك: دعاة الصوفية، وقد مضى الحديث عنهم بشتى أصنافهم في المبحث الخامس[3].

ومنهم: الدعاة الذين اشتغلوا بالسياسة غير الشرعية، أو بتوجيه الناس لفضائل الأعمال، أو بإشغال الناس بفقه الواقع- على حساب الدعوة إلى التوحيد ومحاربة الشرك.

وأفراد أولئكم الدعاة متفاوتون في عدم الاهتمام بالتوحيد، وليسوا على درجة واحدة، إلا أنه تكاد تكون السمة البارزة لهؤلاء: عدم إعطاء التوحيد حقه الذي ينبغي له.

ولا أقصد بالإشارة إلى أصحاب تلك الدعوات: التعيير والتشهير بهم، وإنما الغرض منها: النصح لهم؛ رجاء أن يعودوا إلى الحق، وكذلك تحذير المسلمين من الوقوع في مثل تلك الأخطاء؛ إذ إن تحذير الناس من الخطأ و المخطئين من منهج أهل السنة والجماعة[4].

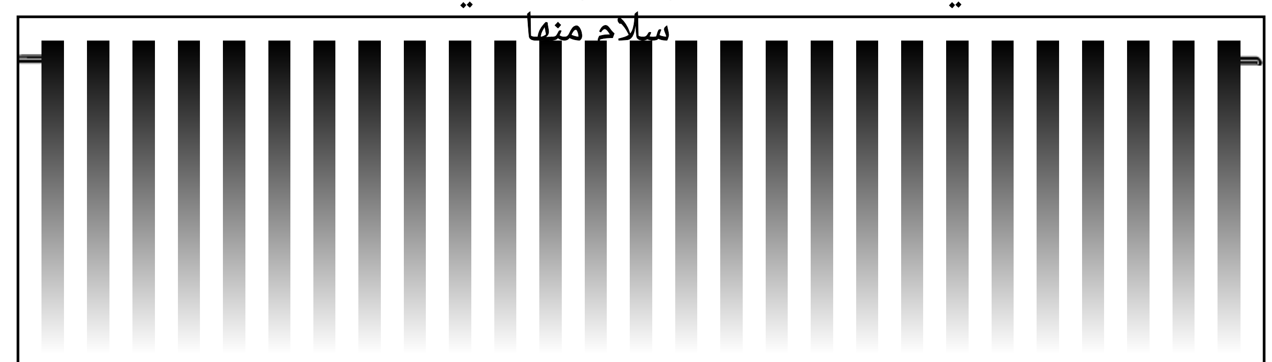
---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة (36/13 رقم 6673 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب ملا زمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة (1475/3 رقم 1847).

(2) فتح الباري (117/1).

(3) راجع (ص 118-126).

(4) انظر الأدلة على ذلك في كتاب: موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء و البدع، لشيخنا د. إبراهيم بن عامر الرحيلي (482/2-493).



الفصل الثانى: مظاهر الانحراف فى التوحيد المتعلقة بالقلب فى إندونيسيا

ويتكون من أربعة مباحث:

المبحث الأول: الطاعة

المبحث الثاني: المحبة

المبحث الثالث: الخوف

المبحث الرابع: التطير والتشاؤم

تمهيد

المقصود بكلمة $المظاهر#:

أصل الكلمة: المظاهر جمع على صيغة منتهى الجموع لكلمة $مَظْهَر#، والمظهر مصدر فعل ثلاثي $ظَهَرَ#.

تصريفها: ظَهَرَ الشيءُ يَظْهَرُ ظُهُوْراً ومَظْهَراً فهو ظاهِرٌ[1].

معناها لغة: أصل هذه الكلمة يدل على القوة والبروز، كما قال ابن فارس : في مادة $ظهر#: $والظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد يدل على قوة وبروز؛ من ذلك ظهر الشيء يظهر ظهوراً فهو ظاهر، إذا انكشف وبرز، ولذلك سمي وقت الظهر والظهيرة، وهو أظهر أوقات النهار وأضوؤها؛ والأصل فيه كلمة ظهر الإنسان، وهو خلاف بطنه، وهو يجمع البروز و القوة#[2].

والمظهر هو المصعد، سمي بذلك لظهوره وبروزه، قال النابغة الجعدي[3]:

بلغنا السماء مجدُنا وجُدُودُنا وإنا نرجو فوق ذلك مظهرا[4]

أي مصعدا[5]، وسمي المصعد مظهراً لبروزه وظهوره؛ لأن الذي يكون على المصعد والدرج يكون بارزاً وظاهراً.

واستخدام لفظة مظاهر في المصادر القديمة قليل، وإنما شاع استخدامها في العصر الحديث وخصوصاً في عناوين الكتب والرسائل العلمية[6].

---

(1) انظر: مقاييس اللغة (471/3)، وكتاب العين (37/4).
(2) مقاييس اللغة (471/3).
(3) هو: النابغة الجعدي الشاعر المشهور المعمر، أحد الصحابة، اختلف في اسمه، فقيل هو قيس بن عبد الله، وقيل حنان بن قيس، وقيل حبان بن قيس، مات بأصبهان في خلافة معاوية ط. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (ص 736 رقم 2646)، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (5/11 وما بعدها -ط. دار هجر).
(4) انظر: المصدرين السابقين.
(5) غريب الحديث لابن الجوزي (59/2)، والنهاية في غريب الحديث (167/3).
(6) مظاهر الإيمان في شعائر الحج ومشاعره، وظواهر الانحراف فيها، د. محمد بن حمود الفوزان (ص 17).

المبحث الأول: الطاعة

وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: معنى الطاعة وأنواعها
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في الطاعة
المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

المطلب الأول: معنى الطاعة وأنواعها

- **معنى الطاعة:**

أصل الكلمة: الطاعة مشتقة من أصل لغوي ثلاثي هو $طَوَعَ#[1].

تصريفها: الطاعة اسمٌ من $أطاعَه يُطيعُه طاعَةً#، وقيل: طاعَ له وأطاعَه سواء. وطاعَ يَطوعُ طَوْعاً وأطاع يُطيعُ إطاعةً وطاعَةً [2].

معناها لغة: طاع: إذا انقاد، وأطاع: اتبَع الأمْرَ ولم يُخَالفه[3]. قال السمعاني :: $الطاعة مأخوذ من الطوع والانقياد ومعناه تلقي الأمر بالقبول#[4].

معناها شرعاً: $هي موافقة الأمر الديني الشرعي#[5].

- **أنواع الطاعة:**

يمكن تقسيم الطاعة إلى قسمين:

أولاً: طاعة مشروعة: وهي الطاعة التي أمر بها الشرع، وقد قسم الله الطاعة في الآية: 59 من سورة النساء إلى ثلاث مراتب:

1. طاعة الله سبحانه.
2. طاعة الرسول ح.
3. طاعة ولي الأمر.

حيث قال فيها: ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﭼ.

ثانياً: طاعة ممنوعة: وهي الطاعة التي جاء الشرع بالنهي عنها، وهي على ثلاثة أضرب[6]:

1. طاعة كفرية، وهي طاعة أحد في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله تديّناً، وهو يعلم بأن الآمر قد خالف أمر الله في ذلك ولكنه تعمد طاعته واستباح هذا. قال تعالى في وصف النصارى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ التوبة: 31؛ أي اتبَعوهم فيما حللوا وحرموا وشرعوا لهم خلاف ما شرعه الله لهم[7].

قال الإمام اللالكائي[8] : مفسراً الآية السابقة: $لم يعبدوهم،

---

(1) مقاييس اللغة (431/3).
(2) لسان العرب (219/8)، وتاج العروس (461/21)، مقاييس اللغة (431/3).
(3) النهاية في غريب الحديث (142/3)، القاموس المحيط (ص 744-745).
(4) قواطع الأدلة (23/1).
(5) شرح العقيدة الطحاوية (395/1).
(6) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (157/2-158)، وإعانة المستفيد (107/2)، والتقسيمات المتعلقة بأنواع التوحيد الثلاثة (ص435) بتصرف.
(7) انظر: تفسير ابن كثير (135/4)، وتفسير السعدي (ص 295).
(8) هو: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي الشافعي

ولكنهم كانوا إذا حرموا شيئاً حرموه وإذا أحلوا أحلوه، لا أنهم اتخذوهم أرباباً، ولكن أطاعوهم فسموا بذلك#[1].

2. طاعة محرمة لا تصل إلى حد الكفر، وهي طاعة أحد في معصية الله مع اعتقاده أنها معصية لله ، ولكنه أطاعه لهوى في نفسه، فهذا لا شك وإن لم يبلغ درجة الكفر بالله ، إلا أنه من كبائر الذنوب، وعده بعض العلماء من الشرك الأصغر[2]، لأن طاعة العلماء والرؤساء إنما تجب ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فهي داخلة في طاعة الله وطاعة رسوله ح كما قال : ﭽ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼالنساء: ٥٩. فإن أمروا بما يخالف الكتاب والسنة فلا طاعة لهم في ذلك الأمر، ولهذا حذف الفعل في الآية السابقة عند الأمر بطاعتهم[3]، وقال ح: $لا طاعة في المعصية، إنما الطاعة في المعروف#[4].

ولو قلنا بكفر الصنف الثاني هذا للزم من ذلك تكفير كل صاحب معصية يعرف أنه عاص لله ويعلم حكم الله.

3. الطاعة الممنوعة التي سببها جهل المطيع، فيظن أن ذلك حكم الله، وهذا ينقسم إلى قسمين:

1. أن يمكنه معرفة الحق بنفسه؛ فهو مفرط أو مقصر، فهو آثم؛ لأن الله أمر بسؤال أهل العلم عند عدم العلم.
2. أن لا يكون عالماً ولا يمكنه التعلم فيطيعهم تقليداً ويظن أن هذا هو الحق؛ فهذا لا شيء عليه لأنه فعل ما أُمر به وكان معذوراً بذلك، ولذلك ورد عن رسول الله ح أنه قال: $مَنْ أُفْتِيَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كانَ إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاه#[5]، ولو قلنا بإثمه بخطأ غيره؛ للزم من ذلك الحرج والمشقة، ولم يثق الناس

(ت 418 هـ)، الفقيه المحدث، وقد عُرف بلزوم السنة والذب عنها، ولو لم يكن منه في هذا السبيل إلا كتابه العظيم "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" لكفى. انظر: طبقات ابن كثير (363/1)، وطبقات ابن قاضي شهبة (197/1-198)، والسير (420/17-419).

(1) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (778/2).
(2) انظر: إعانة المستفيد (107/2).
(3) انظر: تفسير السعدي (ص 148)
(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أخبار الآحاد (233/13 رقم 7257 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية (1469/3 رقم 1840).
(5) رواه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب التوقي في الفتيا (44/4 رقم 3657)، والحاكم في المستدرك، كتاب العلم (126/1) وقال: $صحيح على شرط الشيخين، ولا أعرف له علة#، ووافقه الذهبي.

بأحد لاحتمال خطئه.

قال شيخ الإسلام :: $وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا ً حيث أطاعوهم فى تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، يكونون على وجهين:

أحدهما أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، اتباعا ً لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل؛ فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركا ً - وان لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم- فكان من اتبع غيره فى خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركا ً مثل هؤلاء.

والثانى أن يكون اعتقادهم وايمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتا ً، لكنهم أطاعوهم فى معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصى التى يعتقد أنها معاص، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب#[1].

وسيأتي البيان والتوضيح أكثر -بإذن الله- في المطلب الثالث[2].

(1) مجموع الفتاوى (70/7).
(2) انظر: (ص 149-151).

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في الطاعة

فيما يلي أسوق أمثلة انحراف بعض مسلمي إندونيسيا في باب الطاعة:

المثال الأول: طاعة أتباع حركة Lembaga Kerasulan (مؤسسة الرسالة) لرئيسهم في اعتقادهم بعدم وجوب الصلاة والزكاة والحج وحل الخمر وغيره من المعاصي، بزعمهم أنهم لا يزالون يعيشون في العهد المكي، ولم يأت العهد المدني بعدُ[1].

المثال الثاني: طاعة أتباع جماعة Al-Qiyadah Al-Islamiyah (القيادة الإسلامية) لرئيسهم في اعتقادهم بعدم وجوب الصلاة، والصوم، والزكاة، و الحج، وكون رسول الله ح ليس هو خاتم الأنبياء والرسل[2].

المثال الثالث: طاعة تلاميذ الحبيب فوزي بن محمد حنيفة العيدروس -مدرس في إحدى الجامعات بمدينة Pontianak (فُوْنْتِيَنَكْ) بكلِيْمَنْتَنْ الغربية- له في تقريره على عدم وجوب الصلاة والصوم[3].

المثال الرابع: الطاعة لرجال Jaringan Islam Liberal (شبكة إسلام الليبرالية) في آرائهم الشاذة: كجواز زواج المسلمة بالكافر -سواء كان من أهل الكتاب، أو من أتباع الأديان الأخرى غير السماوية-[4]، وجواز الإرث بين المسلم والكافر سواء بسواء[5].

المثال الخامس: ما يفعله بعض المريدين من طاعة شيخهم في تحريم ما أحله الله تعالى من الطيبات، من ذلك: تأديتهم لما يسمونه بالصوم الأبيض (puasa mutih)، ففي صومهم هذا يحرمون على أنفسهم كل شيء إلا الأرز الأبيض طاعةً للشيخ، وهدفـهم هو الحصول على القوى الخارقة للعادة، بزعمهم[6].

المثال السادس: ما اعترف به أحد من تاب من الكهانة -واسمه غُوْسْ

---

(1) انظر: Aliran dan Paham Sesat di Indonesia (حركات وأفكار ضالة في إندونيسيا) لهرتونو أحمد جائز (ص44).

(2) انظر: Kontroversi al-Qiyadah (جَدَل حول القيادة) نشرة Topik Minggu Ini (موضوع هذا الأسبوع) قناة SCTV الإندونيسية، وفتوى صادرة من Majelis Ulama Indonesia (مجلس العلماء الإندونيسي) رقم 4 تاريخ 3 أكتوبر 2007 م.

(3) انظر: جريدة Posmo (فُوسْمُوْ)، العدد 327، تاريخ 27 يوليو 2005 (ص 45).

(4) انظر: Fiqih Lintas Agama (فقه التعامل بين الأديان) لنور خالص ماجد وآخرين (ص 163-165).

(5) انظر: المرجع السابق (ص 167).

(6) انظر: Bid’ah-Bid’ah di Indonesia (البدع في إندونيسيا) لبدر الدين حسوبكي (ص 181).

وحيد- أنه كان قد أطاع شيخه بمنطقة Lamongan (لَمُوْنْجَنْ) بجَاوَا الشرقية في تحريم أكل الموز، وغرضه هو الحصول على ما يسمى بعلم Cor Wojo (تجُوْرْ وُوْجُوْ)، وهو علم من أتقنه يكون مُحصّناً فلا يؤثر في جسده أي ضربة سواء أ كان بالسيف أو بالمسدس وغير ذلك، بزعمهم[1].

المثال السابع: ما حصل لأحد المدرسين بمعهد $دار السعادة الإسلامي# بمنطقة Tangerang (تنْجيْرَنْج) بجاوا الغربية واسمه رسلان عبد الغني، من طاعته لـ 37 جنياً في تحريم أكل ذوات الأرواح وبعض الثمار على نفسه[2].

المثال الثامن: ما يفعله أصحاب Pesugihan (فِيْسُوْجِيْهَنْ)[3] من طاعتهم للشيطان في تضحيتهم بأحب الناس إليهم -من ابن أو أم أو أخ أو غيرهم- في مقابل حصولهم على أموال طائلة من قبل الشيطان. ولهم في ذلك طقوس متنوعة يؤدونها في أماكن مخصصة لذلك، ومن تلك الأماكن المعروفة: جزيرة Seprapat (سِيْفْرَفَتْ) الواقع في بحر الخليج الجاوي[4]، و Pancuran Emas (عين الذهب) بسفح جبل Batu Gardu (بَتُوْ غَرْدُوْ) في مدينة Karawang (كرَوَنْجْ) بجاوى الغربية[5].

---

(1) انظر: مجلة Ghoib (غيب) عدد خاص بعنوان التائبون من الكهان (ص 37).
(2) انظر: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِي) العدد 375، تاريخ 5-19 يونيو 2005 (ص 23).
(3) وهو عبارة عن البحث عن المال بالاستعانة بالشياطين.
(4) انظر: جريدة Wawasan (وَوَسَنْ)، يوم الأحد، تاريخ 17 أكتوبر 2004 (ص 12).
(5) انظر: مجلة Wahana Mistis (وَهَنَا مِيْسْتِيْس) العدد 111، السنة السادسة، تاريخ 2-17 أغسطس 2005 (ص 14-17).

المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

لا ريب أن طاعة الله تعالى هي الأمر الذي لأجله ذَرِئ الخلق؛ ولهذا لزم العبد أن ينبذ كل أمر عارض هذه الطاعة ولا يخضع له؛ لكونه مصادِماً للحكمة التي من أجلها خُلق.

جاءت نصوص كثيرة في الأمر بطاعة الله ورسوله ح، من ذلك:

قوله سبحانه: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ آل عمران: ٣٢.

وقوله تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ الأنفال: ٢٠.

ومن حِكم وجوب إفراد الله تعالى بالطاعة المطلقة: ما وضحه العز بن عبد السلام[1]: في قوله: $وانفرد الإله بالطاعة لاختصاصه بنعم الإنشاء والإبقاء والتغذية والإصلاح الديني والدنيوي. فما مِن خير إلا هو جالبه، وما مِن ضُرّ إلا هو سالبه، وليس بعض العباد بأن يكون مطاعاً بأولى من البعض، إذ ليس لأحد منهم إنعام بشيء مما ذكرته في حق الإله#[2].

ثم ليُعلَم أن التحليل والتحريم حقٌ لله لا يشاركه فيه أحد، فمن حلّل أو حرّم من غير دليلٍ من كتاب الله أو سنة رسول الله ح فقد جعل نفسه شريكاً لله، ومن أطاعه فقد أشركه مع الله في التشريع، وهذا ما يسمى بشرك الطاعة.

لأن العبادة معناها: طاعة الله بفعل أوامره وترك نواهيه، ومن ذلك: مسألة التحليل والتحريم، فهي داخلة في العبادة، بدليل قوله تعالى لمّا ذكر ما يفعله المشركون من استباحة ما حرّمه الله من الميتة التي حرّمها وهم يستحلّونها ويقولون: هي أولى بالأكل من المُذكّاة، لأن المذكّاة أنتم ذبحتموها، وأمّا الميتة فإنّ الله هو الذي ذبحها، وكانوا تلقوا هذه المقالة من المشركين[3]، فأنزل الله تعالى: ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼ الأنعام: ١١٨، إلى قوله تعالى: ﭽ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ الأنعام: ١٢١، أي: إنْ أطعتموهم في استباحة الميتة وخالفتم أمرَ الله سبحانه وتعالى بتركها، ﭽ ﮄ ﮅ ﭼ مع الله في التحليل والتحريم[4].

قال الحليمي[5] : عقب إيراده الآية السابقة وسبب نزولها: $أي: إن

---

(1) هو: أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الشافعي المشهور بسلطان العلماء (577-660 هـ)، له تفسير مختصر، وكتاب قواعد الأحكام، ومختصر صحيح مسلم. انظر: طبقات ابن كثير (799/2-800)، وطبقات السبكي (209/8-255).

(2) قواعد الأحكام في إصلاح الأنام (273/2-274).

(3) انظر روايات سبب نزول هذه الآية في: تفسير الطبري (520/9-527)، وتفسير ابن كثير (329/3)، وقد حكم ابن كثير على أحد أسانيدها بالصحة.

(4) إعانة المستفيد (107/2) بتصرف يسير.

(5) هو: أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد الحليمي البخاري الشافعي (338-403 هـ)، محدث متكلم، من أشهر مؤلفاته: المنهاج في شعب الإيمان. انظر:

استسلمتم لما يقولون ورأيتموه حجة فأنتم مشركون؛ لأن الله تعالى حرّم عليكم الميتة نصّاً، فإذا قبلتم تحليلها من غيره فقد أشركتم#[1]، أي شرك الطاعة.

وقال ابن كثير : في بيان معنى الآية: $ ﭼ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘﭼ أي: حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره، فقدمتم عليه غيره فهذا هو الشرك، كما قال تعالى: ﭼﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ#[2].

ومن نصوص السنة النبوية التي تنهى عن طاعة غير الله تعالى في التحليل والتحريم: ما حكاه عدي بن حاتم ط قال: $أتيت النبي ح وفي عنقي صليب من ذهب، فقال لي: اطرح هذا الوثن من عنقك، قال: فطرحته. قال: وانتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة، وقرأ هذه الآية: ﭼﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ [التوبة:31]. قال: قلت: يا رسول الله، إنا لسنا نعبدهم!، فقال: أليس يحرّمون ما أحلّ الله فتحرّمونه، ويحلّون ما حرّم الله فتستحلّونه؟ قال: قلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم#[3].

قال السمعاني : موضحاً الحديث السابق: $فإن قال قائل: إنهم لم يعبدوا الأحبار والرهبان فأيش معنى قوله: ﭼﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝﭼ؟ قلنا: معناه أنهم استحلّوا ما أحلّوا وحرّموا ما حرّموا، فهذا معنى عبادتهم لهم#[4].

فليخش أولئك العلماء المضللون الذين استحلّوا ما حرّم الله أو العكس ، وشرعوا لأتباعهم

طبقات السبكي (4/333-343)، والسير (17/231-234).

(1) المنهاج في شعب الإيمان (3/51).

(2) تفسير ابن كثير (3/329-330).

(3) سبق تخريجه في (ص 104).

(4) تفسير السمعاني (2/303).

شرائع ما أنزل الله بها من سلطان! فإن أبا شامة المقدسي[1] : لما ذكر ما يعتقده أهل البدع في مشايخ الضلال الذين يتركون الصوم والصلاة، ويخامرون النجاسات، غير مكترثين لذلك، قال: $فهم داخلون تحت قوله تعالى: ﭽ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ [الشورى: ٢١]!#[2].

هذه بعض نصوص الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة تدل دلالة واضحة على أن طاعة غير الله في التحليل والتحريم **شرك أكبر** مخرج من الملة، إذا ما صحبها **علم المطيع** بأن الآمرين له قد خالفوا أمر الله تعالى في ذلك ولكنه **تعمد طاعتهم واستباحها**.

أما إذا أطاعهم في ذلك وهو **يعلم أنه عاص لله** تعالى فهذا معصية لا تصل إلى حد الكفر المخرج من الملة.

يقول شيخ الإسلام : في معرض ذكره للنوعين من الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا ً حيث أطاعوهم فى تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله: $أحدهما أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل ، فيعتقدون تحليل ما حر ّم الله وتحريم ما أحل ّ الله، اتباعا ً لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل؛ فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركا ً.

والثانى أن يكون اعتقادهم وايمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتا ً، لكنهم أطاعوهم فى معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصى التى يعتقد أنها معاص، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب#[3].

ومراد قوله :: $أن يكون اعتقادهم وايمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتا ً# أي ثابتاً على الوجه الحق الذي أنزله الله تعالى، ومعنى ذلك أنهم لا يتبعون الأحبار والرهبان في تحريم الحلال أو تحليل الحرام، وإنما يحللون ما أحل الله ويحرمون ما حرم الله، ثم إن هؤلاء الأتباع - المعتقدين لهذا الاعتقاد الحق- قد يخالفون ما يعتقدون في العمل فقط، فيطيعون الأحبار والرهبان في معصية الله، فهؤلاء لا يكفرون لأنهم مثل من يفعل المعاصي كالزنا أو شرب الخمر أو أكل الربا مع اعتقاده أنها معاص محرمة، فهذا حكمه حكم مرتكب الكبيرة وحكمها معروف عند أهل السنة و الجماعة؛ فهو تحت مشيئة الله تعالى؛ إن شاء غفر له وإن شاء عذبه.

---

(1) هو: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الشافعي الشهير بأبي شامة (599-655 هـ)، الحافظ العلامة المجتهد، صنف كتباً عدة من أشهرها كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، وكتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث. انظر: تذكرة الحفاظ (1460/4-1461)، وطبقات ابن كثير (811/2-812).

(2) الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص 23).

(3) مجموع الفتاوى (70/7).

فقوله : $أطاعوهم في معصية الله# فسّرها بأنها كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص#، إذاً هي طاعة في المعصية فقط، وليست طاعة في اعتقاد تحريم الحلال أو تحليل الحرام، وبين الأ مرين فرق كبير.

فالنوع الأول اتبعوا الأحبار والرهبان فيما بدلوه من دين الله وقبلوا ما جاؤوا به فصار حكمهم كحكمهم.

أما النوع الثاني: فلم يتبعوهم في ذلك ولم يقبلوا التغيير والتبديل الذي ابتدعوه، لكن أطاعوهم في ذلك بالوقوع في المخالفة والمعصية فصاروا كمن عصى بارتكاب الذنوب فيما دون الشرك[1].

وأما إن كان المطيع جاهلا ً لما صنعه، ولم يمكنه التعلم، وظن أن ذلك الأمر من الدين، فيطيع هؤلاء تقليداً ويظن أن هذا هو الحق؛ فهذا قد يُعذَر؛ لعموم النصوص الدالة على العذر بالجهل، ومن ذلك قوله تعالى مخبراً عن المؤمنين: ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫﭼ البقرة: ٢٨٦، وقوله ح: $إن الله وضع عن أمتي: الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه#[2].

يقول ابن العربي[3] :: $فالجاهل والمخطئ من هذه الأمة ولو عمل من الكفر والشرك ما يكون صاحبه مشركاً أو كافراً، فإنه يعذر بالجهل و الخطأ، حتى يتبين له الحجة التي يكفر تاركها بياناً واضحاً، ما يلتبس على مثله، وينكر ما هو معلوم بالضرورة من دين الإسلام، مما أجمعوا عليه إجماعاً قطعياً يعرفه كل من المسلمين من غير نظر وتأمل#[4].

وإن كان ذلك الجاهل يمكنه معرفة الحق بنفسه إلا أنه فرّط وقصّر؛ فهو آثم؛ لتفريطه في سؤال أهل العلم، لأن الله جل وعلا أمر بسؤال أهل العلم عند عدم العلم، حيث قال سبحانه: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠﭼ النحل: ٤٣.

---

(1) الحكم بغير ما أنزل الله أحواله وأحكامه، للدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود (ص 110-111).

(2) رواه عن ابن عباس ابنُ ماجه في سننه، كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي (ص 353 رقم 2045)، والحاكم في المستدرك (198/2) وقال: $صحيح على شرط الشيخين# ووافقه الذهبي، وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (361/2): $هذا إسناد صحيح في ظاهر الأمر، ورواته كلهم محتج بهم في الصحيحين#، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (178/1 رقم 1677).

(3) هو: محمد بن عبد الله بن محمد أبو بكر المعروف بابن العربي الإشبيلي المالكي (468-543 هـ)، الحافظ القاضي كان فقيهاً عالماً زاهداً عابداً، له تصانيف منها: أحكام القرآن وعارضة الأحوذي في شرح جامع الترمذي. انظر: وفيات الأعيان (296-297/4)، والسير (197/20-204)، وشذرات الذهب (141/4-142).

(4) نقلا ً عن تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل (1307/5-1308).

يقول الإمام المقريزي[1] : موضحاً الفرق بين نوعي الجاهل: $وكل من قدّم قولَ غيرِ الله على قولِ الله، أو حكم به، أو حاكم إليه، فليس ممن أحبه.

لكن قد يشتبه الأمر على من يقدّم قول أحد أو حكمه أو طاعته على قوله ؛ ظناً منه أنه لا يأمر ولا يحكم ولا يقول إلا ما قال الرسول ح؛ فيطيعه ويحاكم إليه ويتلقى أقواله كذلك، فهذا معذور إذا لم يقدر على غير ذلك.

وأما إذا قدر على الوصول إلى الرسول ح وعرف أن غير من اتبعه أولى به مطلقاً، أو في بعض الأمور، كمسألة معينة، ولم يلتفت إلى قول الرسول ح ولا إلى قول من هو أولى به: فهذا يخاف منه. وكل ما يتعلل له من عدم العلم، أو عدم الفهم، أو عدم إعطاء آلة الفقه في الدين، أو الا حتجاج بالأشباه والنظائر، أو بأن ذلك المتقدم كان أعلم مني بمراده ح؛ فهي كلها تعلّلات لا تفيد#[2].

الخلاصة في الحكم على المظاهر:

بناء على ما سبق تقريره، وعند النظر في ما ذُكر من مظاهر الانحراف في المطلب الثاني[3]، يمكن الوصول إلى ما يلي:

أما الأمثلة الثلاثة الأولى: فأقول: إن هؤلاء المذكورين قد وقعوا في الطاعة الشركية؛ لأنهم قد وقعوا في إنكار ما هو معلوم من الدين بـ الضرورة[4]، من وجوب الصلاة والزكاة والصيام، فهي من المسائل الظاهرة المتواترة وهي في الجملة معلومة للناس من الدين بالضرورة.

وهو ما عبر عنه الإمام الشافعي : بقوله $علم العامة#، ثم عرفه بأنه:

---

(1) هو أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني البعلي المصري الحنفي ثم الشافعي، المعروف بالمقريزي، تقي الدين شهاب الدين (769-845 هـ)، الإمام العالم، عمدة المؤرخين، وعين المحدثين، من كتبه: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. انظر: شذرات الذهب (254/7-255).

(2) تجريد التوحيد المفيد (ص 102).

(3) انظر: (ص 145-146).

(4) إن المعلوم من الدين بالضرورة منه ما هو مشترك بين جميع أفراد الأمة، علماء وعامة، ومنه ما هو مختص بالعلماء فقط، بحيث يكون معلوماً لهم بالضرورة، ولا يكون كذلك لمن هم دونهم في العلم كالعامّة مثلا ً. إلا أن ما درج عليه الا ستعمال الاصطلاحي هو النوع الأول، وهو ما لا يسع أحداً جهله، بحيث يعلمه العالم والعاميّ على حد سواء.

فالمعلوم من الدين بالضرورة يتنوع بتنوع متعلقه من المسائل، والأشخاص، والأ زمنة، والأمكنة؛ ولذلك يختلف حكم جاحده أو جاهله باختلاف ذلك وتنوعه. للتوسع في المسألة مع ذكر أدلتها وكلام الأئمة فيها راجع: الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه، لعبد الرزاق بن طاهر أحمد معاش (ص 491 وما بعدها).

$مثل الصلوات الخمس، وأن لله على الناس صومَ شهر رمضان، وحجّ البيت إذا استطاعوه، وزكاةَ أموالهم، وأنه حرّم عليهم الزنا والقتل والسرقة والخمر، وما كان في معنى هذا مما كُلِّف العباد أن يعقلوه ويعملوه، ويعطوه من أنفسهم وأموالهم، وأن يكفّوا عنه ما حرّم عليهم منه.

وهذا الصنف كله من العلم موجود نصاً في كتاب الله، موجوداً عاماً عند أهل الإسلام، ينقله عوامّهم عن من مضى من عوامّهم، يحكونه عن رسول الله ح، ولا يتنازعون في حكايته، ولا وجوبه عليهم. وهذا العلم العام الذي لا يمكن فيه الغلط من الخبر ولا التأويل، ولا يجوز فيه التنازع#[1].

وقال ابن تيمية : -حاكياً اتفاق الصحابة على قتل من استحلّ الخمر-: $وهذا الذي اتفق عليه الصحابة هو متفق عليه بين أئمة الإسلام لا يتنازعون في ذلك، ومن جحد وجوب بعض الواجبات الظاهرة المتواترة؛ كالصلوات الخمس، وصيام شهر رمضان، وحج البيت العتيق، أو جحد تحريم بعض المحرمات الظاهرة المتواترة كالفواحش والظلم والخمر و الميسر والزنا وغير ذلك، أو جحد حلّ بعض المباحات الظاهرة المتواترة كالخبز، واللحم، والنكاح؛ فهو كافر مرتدّ#[2].

وقال ابن حجر الهيتمي : في حديثه عن الأمور التي إذا فعلها الإنسان يصير بذلك مرتداً: $"أو حلل محرما بالإجماع" وعلم تحريمه من الدين بالضرورة ولم يجز أن يخفى عليه "كالزنا" واللواط وشرب الخمر والمكس وسبب التكفير بهذا كالآتي سواء في ذلك ما فيه نص وما لا نص فيه أن إنكار ما ثبت ضرورة أنه من دين محمد صلى الله عليه وسلم فيه تكذيب له صلى الله عليه وسلم "وعكسه" أي حرم حلالا مجمعا عليه وإن كره كذلك كالبيع والنكاح "أو نفى وجوب مجمع عليه" معلوما كذلك كسجدة من الخمس "أو عكسه" أي أوجب مجمعا على عدم وجوبه معلوما كذلك كصلاة سادسة أو نفى مشروعية مجمع على مشروعيته معلوم كذلك كالرواتب وكالعيد كما صرح به

(1) الرسالة (ص 357-359).
(2) مجموع الفتاوى (405/11).

البغوي[1]#[2].

وقد بنى أهل العلم على كون المعلوم من الدين بالضرورة عند الإطلاق ظاهراً ومشتهراً، والناس في العلم به سواء، بنوا على هذا قولهم في تكفير جاحده، وفي منع التقليد فيه[3].

يقول الزركشي : عند حديثه عما يجوز فيه التقليد وما لا يجوز: $العلم نوعان: نوع يشترك في معرفته الخاصة والعامة، ويُعلم من الدين بـ الضرورة كالمتواتر، فلا يجوز التقليد فيه لأحد، كعدد الركعات، وتعيين الصلا ة، وتحريم الأمهات والبنات، والزنا، واللواط؛ فإن هذا مما لا يشق على العامي معرفته ولا يشغله عن أعماله#[4]. هذا ما يتعلق بالأمثلة الثلاثة الأ ولى.

وأما الأمثلة: الرابعة، والخامسة، والسادسة: فإن كان أصحابها يطيعون غير الله في تحليل الحرام أو تحريم الحلال، مع علمهم بأن ذلك الغير قد خالف شرع الله إلا أنهم رضوا بذلك واعتقدوا تحليل الحرام وتحريم الحلال؛ ففي هذه الصورة فقد وقعوا في شرك الطاعة. أما إذا كانوا لا يتبعون ذلك الغير في تحليل الحرام أو تحريم الحلال، وإنما يحللون ما أحل الله ويحرمون ما حرم الله، إلا أنهم مع اعتقادهم لهذا الاعتقاد الحق، يخالفون ما اعتقدوه في الفعل؛ فهذا كبيرة من كبائر الذنوب لا يصل إلى حد الكفر.

وبهذا أكون قد انتهيت من بيان تفاصيل مبحث الطاعة، وأرجو أني قد وُفِّقت لبيان الحق فيه، وأسأل الله تعالى أن يلهمني الرشد والصواب فيما سأتعرض له من مباحث قادمة، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والله تعالى أعلى وأعلم...

(1) هو: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي الشافعي (436-510 هـ)، العلامة المعروف بمحيي السنة، بورك في تصانيفه وتنافس العلماء في تحصيلها، ومنها: شرح السنة، وتفسيره المسمى معالم التن-زيل، وكان : يمليل إلى طريقة السلف ومنهجهم. انظر: طبقات ابن كثير (522/2-523)، والسير (439/19-443). وللتوسع في معرفة عقيدته راجع: أصول الاعتقاد عند الإمام البغوي للدكتور عبد الله شاكر الجنيدي.

(2) تحفة المحتاج (109/4-110)، وانظر بنحوه في: الإعلام بقواطع الإسلام (ص 28)، والفتح المبين بشرح الأربعين (ص 157).

(3) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (283/6)، وشرح اللمع للشيرازي (1009/2)، وحاشية العطار على جمع الجوامع (238/2).

(4) البحر المحيط في أصول الفقه (283/6).

المبحث الثاني: المحبة

وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: معنى المحبة وأنواعها
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في المحبة
المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

المطلب الأول: معنى المحبة وأنواعها

- معنى المحبة:

أصل الكلمة: المَحَبّةُ مشتقة من أصل لغوي ثلاثي وهو $حَبَبَ#[1].

تصريفها: المَحَبّةُ على وزن $المَفْعَلَةُ#، وهي اسم للحُبِّ، من $حَبَبَ يَحْبِبُ#، فنقلت حركة الباء إلى الساكن قبلها، ثم أدغمت الباء في الباء، فصارت $يَحِبُّ# بكسر العين، وهذا شاذ، لأنه لا يأتي في المضاعف المتعدي $يَفْعِلُ# بالكسر، إلا ويَشْرَكُهُ $يَفْعُلُ# بالضم إذا كان متعدياً، ما خلا هذا الحرف، وهي لغة نادرة، والكثير فيها أحبّه يُحِبُّه، ومن هذه صيغ المُحِبُّ اسم فاعل كثيراً، وقلّ منها $المُحَبُّ# اسم مفعول، واللغة القليلة على العكس، فقد كثر منها المحبوب اسم مفعول، وقلّ حابّ اسم فاعل.

و$أحَبّ# الشيء، و$حبّه# بمعنى واحد، إلا أنهم اختاروا أن بنوا الفاعل من لفظة $أحَبّ# والمفعول من لفظة $حَبّ#، فقالوا للفاعل $مُحِبّ#، وللمفعول $مَحْبُوب# ليعادلوا بين اللفظين في الاشتقاق، على أنه قد سُمع في المفعول $مُحَبّ# كما سبق.

كما ذكر في المصدر: $حُبـًّا وحِبـًّا وحُباباً ومَحَبّةً#، وكلها على غير القياس؛ لأن $حَبَبَ# على وزن $فَعَلَ#، وهو متعدي فقياسه على وزن $فَعْل#[2].

معناها لغة: مادة "حبب" في اللغة تدور على خمسة أشياء[3]:

1. الصفا والبياض: ومنه: قولهم لصفاء بياض الأسنان ونضارتها: حَبَبُ الأسنان.
2. العلو والظهور: ومنه: حَبَب الماء وحُبابه: وهو ما يعلوه عند المطر الشديد.
3. اللب: ومنه: حبة القلب: أي لبه وداخله.
4. الحفظ والإمساك: ومنه حِبٌّ الماء للوعاء الذي يحفظ فيه ويمسكه.
5. اللزوم والثبات: ومنه: حبّ البعير وأحب، إذا برك ولم يقم. ومنه الحب والمحبة، وذلك

(1) مقاييس اللغة (26/2)، ولسان العرب (7/3).
(2) ينظر تصريف الكلمة في: الصحاح (105/1-106)، ولسان العرب (7/3)، وتاج العروس (214/2)، وتصريف الأفعال لعبد الحميد عنتر (ص 151)، وتصريف الأ سماء (ص 51)، والمغني في تصريف الأفعال لمحمد عضيمة (ص 145).
(3) مستفاد من موارد الظمآن في محبة الرحمن، لسيد بن حسين العفاني (ص 14).

لأن المُحِبّ يلازم محبوبه[1].

ويبدو أن ألصق المعاني اللغوية بمعنى المحبة الشرعي هو المعنى الأخير، كما سيأتي بيانه.

معناها شرعاً:

قال الله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼالبقرة: ١٦٥.

المحبة من أعظم أعمال القلوب وأشرفها، وعلى كثرة أقوال العلماء في بيانها وشرحها، إلا أن أقوالهم قد خرجت في الغالب عن بيان المضمون و الحقيقة إلى أمور أخرى تتعلق بها من أسباب، وموجبات، وعلامات، وثمرات وأحكام[2].

فلذلك يرى بعض العلماء أن المحبة لا تُحَدّ بحد أوضح ولا أقرب إلى الفهم من لفظها.

يقول الحافظ ابن حجر :: $وحقيقة المحبة عند أهل المعرفة من المعلومات التي لا تحد، وإنما يعرفها من قامت به وجداناً لا يمكن التعبير عنه#[3].

ولكن لا مانع من ذكر أحد تلك التعريفات في هذا المقام تقريبا للفهم.

قال الشيخ السعدي :: $ومعنى المحبة: تعلق القلب بالمحبوب، ولزوم الحب للقلب، فلا تنفك عنه، وتقتضي من صاحبه الانكفاف عمّا يكره الحبيب، و المبادرة إلى ما يرضيه، بقلب منشرح وصدر رحيب، فإن تكلم تكلم بالله، وإن سكت سكت لله، وإن تحرك فلله، وإن سكن فله#[4].

فأنت تلاحظ أخي القارئ، أننا في هذا الصدد لا نتكلم عن المحبة عموماً، وإنما عن محبة مخصوصة تتعلق بالرب تبارك وتعالى.

ولذلك يقول ابن القيم :: $وأما المحبة الخاصة التي لا تصلح إلا لله وحده، ومتى أحب العبد بها غيره كان شركاً لا يغفره الله، فهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة وإيثاره على غيره، فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله أصلا ً#[5].

(1) انظر: لسان العرب (7/3 وما بعدها) وغيره.

(2) انظر بعض هذه التعريفات في: المصطلحات المستعملة في توحيد الألوهية عند السلف (ص 240-243).

(3) فتح الباري (462/10-463). وانظر كلام ابن القيم في هذا المعنى في طريق الهجرتين (640/2، 674).

(4) المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (173/1/4).

(5) طريق الهجرتين (642/2).

- أنواع المحبة:

المحبة نوعان[1]:

النوع الأول: محبة العبادة:

وهي التي يكون معها ذل وخضوع وتعظيم وكمال الطاعة للمحبوب. هذا النوع من المحبة لا يصلح إلا لله، ومتى أحب العبد بها غيره كان شركاً لا يغفره اللّه تعالى إن مات على ذلك.

قال المقريزي :: $فأصل العبادة محبة اللّه، بل إفراده تعالى بالمحبة، فلا يحب معه سواه#[2].

هذه المحبة هي التي أشرك فيها المشركون مع اللّه آلهتهم، كما قال سبحانه: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ البقرة: 165. فجعل تسوية غيره به في هذه المحبة شركاً به سبحانه[3].

النوع الثاني: المحبة الطبيعية.

وهي ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه، وهي محبة طبيعية جعلها اللّه في قلوب العباد وحبّب بعضهم إلى بعض وجعل بينهم مودة، كما قال سبحانه: ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ الروم: 21.

هذا النوع من المحبة على أربعة أقسام:

القسم الأول: محبة فطرية، كمحبة الإنسان للطعام والشراب و المشتهيات المباحة، كالزوجة والملذات.

القسم الثاني: محبة إجلال، كمحبة الولد لوالده غير المشرك والكافر، فالولد يحب والده محبة إجلال وتكريم واحترام، لأنه والده المحسن إليه و المربي له. وهذه محمودة ومأمور بها.

القسم الثالث: محبة رحمة وإشفاق، كمحبة الوالد لولده.

القسم الرابع: محبة مصاحبة، كأن تحب شخصاً من أجل مصاحبتك له ، إما لكونه زميلاً لك في العمل، أو شريكاً في تجارة، أو صاحباً في سفر، فأحببته من أجل المشاركة في شيء من الأشياء.

فهذه الأقسام الأربعة لا تذم شرعاً بشروط:

1. ألا تشغله عن طاعة اللّه الواجبة.
2. ألا تكون داعية إلى معصية اللّه.
3. ألا يكون حبه على درجة التتيم[4]، المتضمن للذل والخضوع و

---

(1) انظر لهذا التقسيم: طريق الهجرتين (2/641-642)، تيسير العزيز الحميد (ص 467)، إعانة المستفيد (2/36)، والشرك في القديم والحديث (2/1063).
(2) تجريد التوحيد المفيد (ص 101).
(3) انظر: تفسير البغوي (1/178).
(4) التتيم هو أعلى مراتب المحبة، وهو تعبد المحب لمحبوبه. انظر: الداء والدواء لابن القيم (ص 203).

التعظيم والإجلال والخوف.

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في المحبة

سبق أن عرفنا في المطلب السابق أن المحبة التي لايجوز صرفها لغير اللّه، هي التي يكون معها ذل وخضوع وتعظيم وكمال الطاعة للمحبوب. ومتى أحب العبد بها غيره سبحانه كان شركاً، والعياذ باللّه.

والمحبة عمل قلبي، ولكن له شواهده من العمل الظاهر، ومنه: الطاعة الكاملة. فـ$المحبة حالة شعورية محضة لا تظهر إلا آثارها#[1]؛ فلذلك فإني أذكر هنا نماذج من تلك الآثار والمظاهر التي تدل على وجود صرف المحبة العبودية لغير اللّه سبحانه.

المثال الأول: ما ذكره لي[2] أحد المرشدين للطريقة النقشبندية[3] التائبين بمنطقة Aceh (أتشِيْه)؛ من وجود تلك الظاهرة -أعني الغلو في محبة المريدين لشيخ الطريقة-. وبرهان ذلك: أن تلك المحبة مصحوبة بذل وخضوع وتعظيم وكمال الطاعة للشيخ؛ فلابد على المريد من قبول أوامر الشيخ دون أي اعتراض أو مداخلة.

قلت: ويشهد لما سبق قول محمد أمين الكردي[4]: $ومنها [يعني: من آداب المريد لشيخه]: أن لا يعترض عليه فيما فعله، ولو كان ظاهره حراماً! و لا يقول: لِمَ فعل كذا؟؛ لأن من قال لشيخه لم، لا يفلح أبداً. فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن#[5].

المثال الثاني: شهادة من أحد مريدي الطريقة التيجانية التائبين في مدينة Banjarmasin (بَنْجَرْمَسِيْنْ) بكلِيْمَنْتَنْ الجنوبية. يقر هذا الأخ[6]

---

(1) تقديس الأشخاص (203/2).

(2) وقد أجريت معه الحوار ليلة الإثنين 7 ربيع الأول 1428 هـ في المسجد النبوي. وكان هذا الأخ قد التزم الطريقة النقشبندية مدة أربع سنوات. وهي مدة قصيرة بـ النسبة إلى منـزلته الرفيعة في الطريقة وهي المرشد. وهي منـزلة تحت منـزلة شيخ الطريقة مباشرة، بحيث إذا غاب الشيخ -مثلا ً- في يوم من الأيام؛ يَحُلُّ محله المرشد. وقد استشكل الأخ والمريدون الآخرون -الذين بلغت مدة التزام بعضهم للطريقة عشرين سنة- اختيار الشيخ له مرشداً، فأجاب الشيخ بملء فمه: هذا اختيار من اللّه!!

(3) النقشبندية: نسبة إلى محمد بهاء الدين البخاري النقشبندي المتوفى سنة 791هـ. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (260/1).

(4) هو: محمد أو محمود الكردي المصري (ت 1208 هـ)، أصله من العراق ولد ونشأ فيها، ثم سافر إلى مصر وسكن بها. انظر: بغية المستفيد لمحمد العربي السائح (ص 163) نقلا ً عن تقديس الأشخاص (76/1).

(5) تنوير القلوب (ص 528) عن $الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ# لمحمود عبد الرؤوف القاسم (ص 323).

(6) وقد أجريت معه الحوار -عن طريق الهاتف- يوم الثلاثاء 8 ربيع الأول 1428 هـ

بوجود ظاهرة ذلك الانحراف في المحبة عند المريدين الصوفيين لشيوخهم.

بل إن شيخ الطريقة يحث مريديه على ذلك في دروسه، وأن المريد ينبغي أن يكون مع شيخه كالميت بين يدي مُغَسِّله؛ أي: أن عليه الاستسلام الكامل والطاعة الكاملة والذل والخضوع، ولا يحق له أن يسأل لما نفعل كذا ولماذا نقول كذا؛ فما بالك بالاعتراض عليه! نسأل الله السلامة والعافية، وعدم الضلالة بعد الهداية.

قلت: ويؤيد شهادة هذا الأخ العبارة المأثورة عن أحد كبار الصوفية، وهو علي وفا[1]، حيث يقول: $المريد الصادق مع شيخه كالميت مع مغسله؛ لا كلام ولا حركة، ولا يقدر ينطق بين يديه من هيبته، ولا يدخل ولا يخرج، ولا يخالط أحداً، ولا يشتغل بعلم ولا قرآن ولا ذكر، إلا بإذنه#[2].

المثال الثالث: ظاهرة محبة بعض مسلمي إندونيسيا للمدعو عبد الرحمن وحيد المشتهر بلقب Gus Dur (غُوْسْ دُوْرْ). فقد أحبوه محبة غير طبيعية، إلى درجة أنهم قد عظموه تعظيماً مفرطاً، وأطاعوه في كل ما يأمر وينهى، وصوّبوا جميع تصرفاته -حسنة كانت أم قبيحة-، من حيث شعروا بذلك أم لم يشعروا.

وقد ظهرت أمارات تلك المحبة العبودية لما كان غُوْسْ دُوْرْ رئيساً للدولة الإندونيسية وأراد مجلس البرلمان الإندونيسي عزله -لكونه لم يتول ذلك المنصب على الوجه المرضي-، فقامت قيامة أتباعه؛ فأقاموا مظاهرات عامة في مدن شتى، وكوّنوا كتائب مستعدين للموت دفاعاً عنه، ورفعوا شعارات منها: $نحن مستعدون للموت من أجل غُوْسْ دُوْرْ#، و$نطيع كل ما يقوله غُوْسْ دُوْرْ#، و$نموت ونحيا مع غُوْسْ دُوْرْ#، و$إذا عُزِل غُوْسْ دُوْرْ فإن الدولة ستنهدم#، وغير ذلك من الشعارات الجاهلية التي تعبر عن تلك المحبة الغالية.

ومن شدة غلوهم في شخصية غُوْسْ دُوْرْ، صرّح أحدهم بأن في صدر غُوْسْ دُوْرْ ملائكة!؛ فلذلك حقه ليس فقط أن تُقبّل يده، بل لابد أن يضم صدره.

ولم يكتفوا بذلك، بل خربوا مساجد ومدارس ودور الأيتام، ومكاتب

وكان هذا الأخ قد التزم الطريقة التيجانية لمدة أربع سنوات تقريباً.

(1) هو: علي بن محمد بن وفا السكندري الشاذلي (759-807 هـ)، صوفي من أهل الطرق، رأس الوفائية، مالكي المذهب، وسلك الطريقة الشاذلية قبل استقلاله وتأسيسه طريقته، ومن آثاره: الباحث على الخلاص في أحوال الخواص. انظر: الطبقات الكبرى للشعراني (19/2) عن تقديس الأشخاص (85/1)، ومعجم المؤلفين (525/2).

(2) الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية لعبد الوهاب الشعراني (189/1) نقلاً عن الكشف عن حقيقة الصوفية (ص 319).

الجمعية المحمدية التي يرأسها رئيس البرلمان الإندونيسي الذي حاول عَزْل غُوْسْ دُوْرْ. وقطعوا الأشجار ووضعوها في الشوارع، والله المستعان.

وقد حاولوا تبرير أفعالهم هذا بالتستر بلباس الشرع؛ بقولهم: لم ندافع عن غُوْسْ دُوْرْ إلا من أجل الدفاع عن الشريعة الإسلامية، وهذا الزعم فيه نظر؛ إذ أنهم يرون بل يصرحون بأن الدولة لا ينبغي تأسيسها على الشريعة ا لإسلامية، بل حزبهم السياسي أُسِّس على غير المبادئ الإسلامية، فكيف يزعمون أن فعلهم هذا من أجل الدفاع عن الشريعة الإسلامية؟[1].

(1) انظر: Bila Kyai Dipertuhankan (إذا ألِه كِياهِيْ) (ص 75، 84، 92، 98-99، 203-204، 280-285، 287).

المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

إن $محبة الله سبحانه هي أصل دين الإسلام، الذي يدور عليه قطب رحاها، فبكمالها يكمل الإيمان، وبنقصانها ينقص توحيد الإنسان#[1].

قال المقريزي :: $فأصل العبادة محبة الله، بل إفراده تعالى بالمحبة، فلا يحب معه سواه#[2].

وقد قرر الإمام المروزي[3] : بأن الإيمان لا يكون إلا مع محبة الله، ومحال أن يفارق الإيمانُ الحبَّ[4]؛ $فكلما ازداد القلب حبًّا لله ازداد له عبودية وحرية عما سواه، وكلما ازداد له عبودية ازداد له حبًّا وحرية عما سواه#[5].

هذه هي من-زلة محبة الله في الإسلام، والمحبة التي يجب صرفها لله وحده -كما سبق بيانه- هي محبة العبادة وهي $التي توجب التذلل و التعظيم، وأن يقوم بقلب الإنسان من إجلال المحبوب وتعظيمه ما يقتضي أن يمتثل أمره ويجتنب نهيه، وهذه خاصة بالله، فمن أحب مع الله غيره محبة عبادة؛ فهو مشرك شركاً أكبر#[6].

وقد دلت أدلة كثيرة من الكتاب والسنة وكذا أقوال العلماء على وجوب صرف هذا النوع من المحبة لله وحده، وأن من صرفها لغيره سبحانه فقد أشرك به. أذكر منها:_

قوله تعالى: ﭽﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌﮍ ﭼ البقرة: ١٦٥.

قال الحافظ ابن كثير :: $يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا وما لهم في الدار الآخرة، حيث جعلوا له أندادًا، أي: أمثالا ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه، وهو الله لا إله إلا هو، ولا ضد له ولا ندّ له، ولا شريك معه.

(1) تيسير العزيز الحميد (ص 388).
(2) تجريد التوحيد المفيد (ص 101).
(3) هو: أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي الشافعي (202-294 هـ)، إمام حافظ، وكان من أعلم أهل زمنه باختلاف الصحابة والتابعين. من مؤلفاته: كتاب السنة. انظر: طبقات ابن الصلاح (277/1-282)،_وطبقات ابن كثير (181/1-184)، و السير (33/14-40). وللتوسع في معرفة عقيدة الإمام : راجع: الإمام محمد بن نصر المروزي وجهوده في بيان عقيدة السلف والدفاع عنها، لموسم بن منير النفيعي.
(4) انظر: تعظيم قدر الصلاة (728/2-729).
(5) العبودية (ص 29).
(6) القول المفيد على كتاب التوحيد (44/2).

وفي $الصحيحين#[1] عن عبد الله بن مسعود قال: قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: $أن تجعل لله ندًا وهو خلقك#، وقوله: ﭼﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄﮅﭽ ولحبهم لله وتمام معرفتهم به، وتوقيرهم وتوحيدهم له، لا يشركون به شيئًا ، بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه، ويلجؤون في جميع أمورهم إليه#[2].

وقد استنبط الحليمي : من قوله تعالى: ﭼﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄﮅﭽ الصلة الوثيقة بين الإيمان والمحبة، حيث قال: $فدل ذلك على أن حب الله جل جلاله من الإيمان؛ لأن قوله: ﭼﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄﮅﭽ إشارة إلى أن الإيمان يُحرِّك على حب الله جل جلاله ويدعو إليه، قال الله جل ثناؤه: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼﭽ [آل عمران: ٣١]#[3].

وقد عَقب الحافظ البيهقي : على الآية السابقة بعبارة الحليمي هذه[4].

ومما يستفاد من قوله تعالى: ﭽﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ: أن من أحب من دون الله شيئا ً كما يحب الله تعالى؛ فهو ممن اتخذ من دون الله أندادا ً. قال ابن القيم :: $أخبر أن من أحب من دون الله شيئا ً كما يحب الله تعالى؛ فهو ممن اتخذ من دون الله أندادا ً. فهذا ند ٌ في المحبة، لا في الخلق والربوبية، فإن أحدا ً من أهل الأرض لم يثبت هذا الند في الربوبية، بخلاف ند المحبة؛ فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أندادا ً في الحب والتعظيم#[5].

ومن الأدلة قوله :ﭽﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ التوبة: ٢٤.

قال الحافظ البيهقي : مفسِّراً الآية السابقة: $فأبان بهذا أن حب الله وحب رسوله ح والجهاد في سبيله فرض، وأنه لا ينبغي أن يكون شيء سواه أحب إليهم منه#[6]. ثم ذكر : بعضَ نصوص السنة للدلالة على $أن حب الله وحب رسوله من الإيمان# وللدلالة $على وجوب المحبة#[7].

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ البقرة: ٢٢ (163/8 رقم 4477 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده (90/1 رقم 141).
(2) تفسير ابن كثير (476/1).
(3) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (496/1)، وقد نقلت كلام الحليمي هذا من الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (5/2)؛ لأن العبارة التي في الشعب للحليمي مبتورة ، وهي: $فدل ذلك على أن حب الله تعالى، ويدعو إليه#.
(4) انظر: الجامع لشعب الإيمان (5/2).
(5) مدارج السالكين (20/3).
(6) الجامع لشعب الإيمان (5/2).
(7) انظر: المرجع السابق (5/2-9).

وقال ابن خفيف[1] :: $سألنا يوماً أبا العباس بن سريج[2] بشيراز[3] نحن نحضُر مجلسَه للفقه فقال: أمحبة الله فرض أو لا؟ فقلنا: فرض، قال: ما الدليل؟ فما فينا من أجاب بشيء، فسألناه، فقال: قوله تعالى: [فتلى : الآ ية السابقة؛ (التوبة: 24)]، قال: فتوعدهم الله على تفضيل محبتهم لغيره على محبته، والوعيد لا يقع إلا على فرض لازم[4]#[5].

ومن الأدلة قول المصطفى ح: $ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإ يمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار#[6].

وقد كان السلف الصالح يجعلون ما أرشد إليه النبي ح في الحديث السابق -وغيره- نصب أعينهم.

كان ابن عمر[7] م يقول في سجوده: $اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إلي، وخوفك أخوف الأشياء عندي#[8].

ومن وصايا طاووس : قوله: $وأحبب الله حتى لا يكون شيء أحب

---

(1) هو: أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي الشافعي الصوفي (276-371 هـ)، تفقه على أبي العباس بن سريج، وكان يُحرّض على تعلم العلم واطّراح كلام من يزهد فيه من الصوفية، وكان جامعاً بين العلم والعمل كما يقول الذهبي في ترجمته في السير (342/16-347). وانظر لترجمته: طبقات ابن الصلاح (154/1-157)، وطبقات السبكي (149/3-163).

(2) هو: أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج القاضي الشافعي (249 - 306 هـ)، تفقه على أبي القاسم الأنماطي صاحب المزني، وبه انتشر المذهب الشافعي ببغداد، وقد عده بعض أهل العلم المجدد لأمر الدين على رأس المائة الثالثة. انظر ترجمته في: طبقات السبكي (21/3-39)، وطبقات ابن كثير (188/1-190)، والسير (201-204/14).

(3) شِيرَازُ: بالكسر وآخره زاي، بلد عظيم مشهور وهو قصبة بلاد فارس. معجم البلدان (380/3).

(4) قوله: $والوعيد لا يقع إلا على فرض لازم# أي: على تركه، كما في الرواية التي رواها البيهقي في شعب الإيمان (9/2) فيها: $والوعيد لا يكون إلا على ترك فرض#.

(5) انظر: طبقات ابن الصلاح (155/1-156)، والسير (345/16-346).

(6) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان (60/1 رقم 16-الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب خصال من اتصف بهن وجد حلا وة الإيمان (66/1 رقم 67).

(7) هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي أبو عبد الرحمن (ت 73 هـ)، أحد المكثرين في الحديث من الصحابة، وكان من أشد الناس اتباعاً للأثر. انظر: التقريب (رقم 3514).

(8) تاريخ دمشق لابن عساكر (158/31)، والحلية (304/1).

إليك من الله#[1].

قارن أخي القارئ الكريم، بين هذه النصوص الربانية والآثار السلفية مع تلك الانحرافات التي وقعت من بعض المسلمين؛ تجد مدى بُعْدِ هؤلاء عن تحقيق ما أوجبه الله ورسوله وأرشد إليه العلماء الربانيون؛ من إخلاص المحبة لله وحده لا شريك له.

فهؤلاء المذكورون في المطلب الثاني قد تبلغ درجة محبتهم لمعظميهم محبة العبادة؛ لأنهم قد أحبوهم محبة يكون معها ذل وخضوع وتعظيم وكمال الطاعة، وإن كانوا متفاوتين في صرف ذلك كله لهؤلاء المعظّمين.

ولكن قبل أن ينصبّ اللوم على أولئك الأتباع -لعدم بحث كثير منهم عن الحق من الكتاب والسنة-؛ فإن اللوم الأكبر مُنْصَبٌ على أساطين الصوفية الذين ضللوا أتباعَهم، وجاهروا بتوجيه مريديهم لإخلاص محبتهم لشيوخهم، بل وعدم تقديم أحد من الخلق مطلقاً على شيوخهم! نسأل الله السلامة والعافية ونعوذ بالله من الضلالة والغواية...

وأسوق طرفاً من أقوالهم التي تدل على ذلك:

يقول الشعراني[2]: $أُخِذَ علينا العهد أن لا نأخذ العهد على فقير بالسمع والطاعة لما نأمره من الخير إلا إن كنا نعلم منه يقيناً أنه لا يقدم علينا في المحبة أحداً من الخلق مطلقاً#[3].

---

(1) تاريخ دمشق (44/21، و407/23).

(2) هو: عبد الوهاب بن أحمد الحنفي -نسبة إلى محمد ابن الحنفية- الشعراني (898-973 هـ). مصري المولود، ونشأ بساقية أبي شعرة (من قرى المنوفية) وإليه نسبته (الشعراني)، من المتصوفة الغلاة، ومن مؤلفاته: لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، ويعرف بطبقات الشعراني الكبرى. انظر: الأعلام (180/4-181).

(3) البحر المورود للشعراني بواسطة: رماح حزب الرحيم لعمر الفوتي (118/1 - بهامش جواهر المعاني).

ويقول أحمد التجاني[1]: $من أكبر الشروط الجامعة بين الشيخ ومريده هو أن لا يشارك في محبته غيره ولا في تعظيمه ولا في الاستمداد منه ولا في الانقطاع إليه، ويتأمل ذلك في شريعة نبينا ح، فإن من سوى رتبة نبيه محمد ح برتبة غيره من النبيين والمرسلين في المحبة والتعظيم و الاستمداد والانقطاع إليه بالقلب والتشريع، فهو عنوان على أنه يموت كافراً إلا أن تدركه عناية ربانية بسبق محبة إلهية. فإذا عرفت هذا، فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيه ح في التعظيم والمحبة والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب، فلا يعادل غيره في هذه الأمور ولا يشارك غيره به#[2].

ويقول علي وفا: $اعلم أن قلوب الرجال أمثال الجبال، فكما أن الجبال لا يزيلها عن أماكنها إلا الشرك بالله، كما قال عز وجل: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ [مريم: 90-٩٢]، وكذلك قلوب الرجال لا سيما الولي لا يزيل قلبه إلا الشرك الواقع من تلامذته معه، من إشراك أحد معه في المحبة، لا يزيله إلا ذلك، لا تقصير في الخدمة ولا غير ذلك#[3].

فالواجب على علماء الإسلام: توجيه الأمة إلى الحنيفية، وإنقاذهم من حبائل الشرك المضلة، بيان تلبيسات علماء السوء الذين لا همّ لهم إلا أكل أموال الناس بالباطل.

ومن يحبهم أتباعهم محبة العبودية، لا يغرّتهم متاع هذه الدنيا وزخرفها، ﭽﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗﭼ النساء: ٧٧.

ما قيمة متاع هذه الدنيا الفانية أمام ما أعده الله لعباده المؤمنين المتقين الموحدين الصالحين، مما $لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر#[4]؟!

عليهم أن يتقوا الله ويرهبوه، ألم يسمعوا قوله سبحانه: ﭽﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍﭼالأحزاب: 67-٦٨.

علبهم أن يصدقوا مع الله، ويعودوا إلى رشدهم، قبل أن يأتي ﭽ ﭬ

(1) هو: أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار التجاني (1150-1230 هـ)، جزائري الأ صل، شيخ الطريقة التجانية ومؤسسها. ومن آثاره: السر الأبهر في أوراد القطب الأ كبر، وجوهرة الحقائق في الصلاة على خير الخلائق. وقد جمع علي حرازم برادة سيرة التجاني ومناقبه في كتاب سماه: جواهر المعاني، ويعتبر هذا الكتاب حالياً أشهر كتب الطريقة التجانية وأكبرها. انظر ترجمته في: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد مخلوف (ص 378-379)، والأعلام (245/1)، ومعجم المؤلفين (288/1-289).

(2) الرماح (117/1 -بهامش جواهر المعاني).

(3) المرجع السابق (118/1-119 -بهامش جواهر المعاني).

(4) رواه البخاري في مواضع من صحيحه، منها: في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (318/6 رقم 3072 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (2174/4 رقم 2824).

ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽﭼالشعراء: 88-٨٩.

ومن ابتلي بصرف محبة العبودية لغير الله، عليهم أن يعلموا أن نعم الله عليهم كثيرة لا تحصى، ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼالنحل: ١٨ .

أليست تلك النعم المتتالية تحتاج إلى شكرها؟ وهل أدوا شكرها حق ا لأداء؟ فليتذكروا قوله تعالى: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼإبراهيم: ٧ .

وأعظم ما تُشكر به نعم الله : إخلاصُ العبادة لله وحده لا شريك له. فليخلصوا محبتهم لله وحده، ولا يشركون معه أحداً غيره فيها، لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مُرسَلا ً ولا ولياً صالحاً؛ فهؤلاء كلهم عباد الله أمثالنا، لا يستحقون أن يُعبَدوا من دون الله .

بهذا تدوم النِعَم، وبضده تحُلّ النقم، ونسأل الله السلامة والعافية...

- شبهة والجواب عنها:

مما يردده كثير من أهل البدع[1] إذا ما بيّن أهل السنة وجوب إفراد محبة العبودية لله دون ما سواه، قولهم: أنتم تبغضون أولياء الله الصالحين، ولا تحبونهم، مع أن الحبيب المصطفى ح قد قال: $من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب#[2].

الجواب على هذه الشبهة من وجهين:

الوجه الأول: تحرير القول فيمن يعتبر وليا من أولياء الله أو صالحاً من الصالحين؟

ندع القرآن يحكم بيننا في هذه المسألة:

يقول الله تبارك وتعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ يونس: 62-٦٣.

قال إمام المفسرين الطبري :: $ولي الله: هو من كان بالصفة التي وصفه الله بها، وهو الذي آمن واتقى، كما قال الله: ﭽ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ [يونس: ٦٣]#[3].

وقد ورد في $تفسير الخازن# ما نصه: $ولي الله: من كان آتياً بالا عتقاد الصحيح المبني على الدليل، ويكون آتياً بالأعمال الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة، وإليه الإشارة بقوله: ﭽ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟﭼ؛ وهو أن الإيمان مبني على جميع الاعتقاد والعمل، ومقام التقوى هو أن يتقي العبد كل ما نهى الله عنه#[4].

وقال العلامة الشوكاني :: $والمراد بأولياء الله: خ ُ ا ّص المؤمنين،

(1) انظر على سبيل المثال: I'tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 380).
(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع (34/11 رقم 6502 - الفتح).
(3) تفسير الطبري (213-212/12).
(4) (254/3).

كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتناب معصيته. وقد فسر سبحانه هؤلاء الأولياء بقوله: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛﭼ أي يؤمنون بما يجب الإيمان به ويتقون ما يجب عليهم اتقاؤه من معاصي الله سبحانه#[1].

تبيّن مما سبق أن أولياء الله تعالى حقاً هم المتقون المؤمنون بالله وبرسوله ح، والمتبعون للرسول ح ظاهراً وباطناً، قال تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳﭼآل عمران: ٣١.

قال الحسن البصري[2] :: $جعل سبحانه اتباعه ح علماً للمحبة وأكذب من خالف ذلك#[3]؛ $وقد بين الله فيها أن من اتبع الرسول ح فإن الله يحبه، ومن ادعى محبة الله ولم يتبع الرسول ح فليس من أولياء الله، وإن كان كثير من الناس يظنون في أنفسهم أو غيرهم أنهم من أولياء الله ولا يكونون من أولياء الله. فاليهود والنصارى يدعون أنهم أولياء الله، وأنه لا يدخل الجنة إلا من كان معهم، بل يدعون أنهم أبناؤه وأحباؤه. وكان مشركو العرب يدعون أنهم أهل الله لسكناهم مكة ومجاورتهم البيت، وكانوا يستكبرون على غيرهم#[4].

فتلخص مما سبق، أن الميزان الذي يوزن به الرجل هل هو من أولياء الله الصالحين أم ليس منهم هو: تقوى الله جل وعلا بإخلاص العبادة لله وحده، ومتابعة رسوله ح. أما من يصرف عباداته لغير الله ، ويتقرب إلى الله بالبدع المحدثات التي ما أنزل الله بها من سلطان، ويحب أن يغلو فيه أتباعه، ويأكل أموال الناس بالباطل؛ فليس هو من أولياء الله لا من قريب ولا من بعيد!؛ حتى وإن زعم أنه يصلي الجمعة أسبوعيا في مكة المكرمة، أو زعم أنه يطير في الهواء، أو يمشي على الماء، أو يأتي بأشياء أخرى خارقة للعادة!

قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي[5] :: قلت للشافعي: كان الليث بن سعد[6] يقول: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة، فقال الشافعي :: $قصّر الليث :، بل إذا رأيتم

---

(1) فتح القدير (977-976/1).

(2) هو: الحسن بن أبي الحسن البصري (ت 110 هـ)، ثقة فقيه مشهور. انظر: التقريب (رقم 1237).

(3) التابعي الجليل الحسن البصري لابن الجوزي (ص 75)، ورواه بنحوه ابن جرير الطبري في تفسيره (325/5)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (633/2 رقم 3402).

(4) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لشيخ الإسلام (ص 57-58).

(5) هو: يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة الصدفي أبو موسى المصري (168-264 هـ)، ثقة. انظر: التقريب (رقم 7964).

(6) هو: الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي أبو الحارث المصري (ت 175 هـ)، ثقة ثبت فقيه إمام مشهور. انظر: التقريب (رقم 5720).

الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة!#[1].

ويقول أبو يزيد البسطامي :: $لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء، فلا تغتروا به، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود وأداء الشريعة#[2].

ولست أنكر -هنا- ما قد يحصل لأولياء الله الصاحين من الكرامات، إذ إن الكرامة ثابتة بالكتاب والسنة، والإيمان بها من أصول معتقد أهل السنة و الجماعة.

قال النووي[3] :: $اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات كرامات الأولياء وأنها واقعة موجودة مستمرة في الأعصار، ويدل عليه دلائل العقول وصرائح النقول.

أما دلائل العقل فهي أمر يمكن حدوثه ولا يؤدي وقوعه إلى رفع أصلٍ من أصول الدين، فيجب وصف الله تعالى بالقدرة عليه وما كان مقدورا كان جائز الوقوع.

وأما النقول فآيات في القرآن العظيم وأحاديث مستفيضة.

أما الآيات فقوله تعالى في قصة مريم: ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﭼمريم: ٢٥.

قال إمام الحرمين أبو المعالي الجويني[4] ::

(1) تفسير ابن كثير (233/1)، وانظر: مناقب الشافعي للبيهقي (453/1)، وآداب الشافعي لابن أبي حاتم الرازي (ص 184).
(2) الرسالة القشيرية (ص 396).
(3) هو: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (631-676هـ)، محرر المذهب الشافعي وضابطه ومرتبه، صنف المصنفات المشهورة كالمجموع شرح المهذب، والأربعين، و الأذكار. انظر: طبقات ابن كثير (824/2 وما بعدها)، وطبقات السبكي (395/8 وما بعدها).
(4) هو: أبو المعالي عبد الملك ابن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري المشهور بإمام الحرمين (419-478 هـ)، من كبار الشافعية، ظل أشهَرَ متكلميهم دهراً، ثم إنه ندم على ذلك كله، وتمنى أنه لم يشتغل بالكلام، ونصح أصحابه أن لا يشتغلوا به. انظر: طبقات ابن كثير (446/1-450)، وطبقات السبكي (165/5-222)، والسير (468/18-477).

$ولم تكن مريم بنبية بإجماع العلماء[1]# وكذا قاله غيره بل كانت ولية صديقة كما أخبر الله تعالى عنها ...

وأما الأحاديث فكثيرة منها: حديث أنس: $أن رجلين من أصحاب النبي ح خرجا من عند النبي ح في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما، فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحداً حتى أتى أهله#[2] ...

والأحاديث والآثار وأقوال السلف والخلف في هذا الباب أكثر من أن تحصر فيُكتفى بما أشرنا إليه#[3].

ولكن الأسئلة التي تطرح نفسها: ما هي الكرامة؟ وهل كل أمر خارق للعادة يقال له كرامة؟ أم قد تكون تلك الأمور من باب الأحوال الشيطانية؟ وما الفرق بينها وبين الأحوال الشيطانية؟ وهل هناك أمور نستطيع بها التفريق بين الكرامات وبين الأحوال الشيطانية؟ وغير ذلك من الأسئلة التي قد تدور في بال كثير من الناس...

فأقول -وبالله التوفيق-: **الكرامة** هي: أمر خارق للعادة يجريها الله على يد ولي من أوليائه قاصر عن النبوة في الرتبة، معونة له على أمر ديني أو دنيوي[4].

أما الفرق بينها وبين الأحوال الشيطانية فيتبين بأمور[5]:

1. النظر في مدى متابعة صاحب الخوارق للرسول ح؛ فمتى كان الرجل متابعاً للرسول ح ظاهراً وباطناً، كان ما يصدر منه من خوارق العادة كرامة، أما إن كان الرجل مخالفاً للشرع متلبساً بالبدع، فإن ما يصدر منه من خوارق العادات يعتبر استدراجاً، وأحوالاً شيطانية.

يقول الحافظ ابن حجر :: $إن الذي استقر عند العامة، أن خرق العادة يدل على أن من وقع له ذلك من أولياء الله تعالى، وهو غلط ممن يقوله. فإ ن الخارق قد يظهر على يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب، فيحتاج من يستدل بذلك على ولاية أولياء الله تعالى إلى فارق. وأولى ما ذكروه: أن

(1) وخالف في ذلك ابن حزم : في كتابه $الفِصَل في الملل والنحل# (120-121/5) ، وزعم أنها نبية. وللاستزادة راجع: ابن حزم والمسائل التي خالف فيها الجمهور في العقائد والأصول والعبادات، لمحمد صالح موسى حسين (ص 30-31).
(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب إدخال البعير في المسجد للعلة (557/1 رقم 465 -الفتح).
(3) بستان العارفين (ص 108-112).
(4) انظر: التعريفات (ص 234)، والكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية للمناوي (56/1)، وشرح العقيدة الواسطية للهراس (ص 211 –ط الجامعة الإسلامية)، وتقديس الأشخاص (279/2).
(5) انظر لهذه الأمور: تقديس الأشخاص (282-282/2).

يختبر حال من وقع له ذلك؛ فإن كان متمسكا ً بالأوامر الشرعية والنواهي، كان ذلك علامة ولايته، ومن لا فلا، وبالله التوفيق#[1].

وقال السبكي[2] :: $إن أهل القبلة متفقون على أن الكرامات لا تظهر على الفسقة الفجرة، وإنما تظهر على المتمسكين بطاعة الله لأ#[3].

إذا تقرر ذلك فمن أين أتت تلك الخوارق الشيطانية إذا؟ إن صاحب الأ حوال الشيطانية لما أعرض عن ذكر الله ومتابعة رسوله ح؛ وافقته الشياطين؛ فصاروا من حزبه، قال تعالى: ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ الزخرف: ٣٦، وهؤلاء القرناء هم الذين يفعلون لهم تلك الأفاعيل[4]، ويوحون إليهم تلك الأقاويل، كما قال تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ الأنعام: ١٢١.

2. إن الكرامات لا يجدي فيها التعلم والتعليم، ولا تكون بمزاولة أعمال مخصوصة يتقنها صاحبها[5]، بخلاف الشعوذة والكهانة والخوارق الشيطانية، فإن المشتغلين بهذه الأمور يكتسبونها بالتعلم والرياضة بـ الخلوات الطويلة، مع الجوع وذكر أسماء الجن والشياطين. وترك كثير من أوامر الشرع، كالطهارة والصلاة مع الجماعة، مع التلبس بالنجاسات و الفواحش.

قال في $الفهرست#: $فأما السحرة، فزعمت أنها تستعبد الشياطين بـ القرابين والمعاصي وارتكاب المحظورات، مما لله جل اسمه في تركها رضا، وللشياطين في استعمالها رضا، مثل ترك الصلاة والصوم، وإباحات الدماء، ونكاح ذوات المحارم، وغير ذلك من الأفعال الشريرة. وهذا الشأن ببلاد مصر وما والاها ظاهر، والكتب فيه مؤلفة كثيرة موجودة.

إلى أن قال: قال لي من أثق بفضله: إنهم يعملون عجائب، من هزائم الجيوش، وقتل الأعداء، وعبور المياه، وقطع المسافات البعيدة في المدة القريبة#[6].

3. من السمات التي تعرف بها الخوارق الشيطانية، ما يحصل بين هذه الخوارق من معارضة بعضها لبعض؛ ذلك لأنها ليست خاضعة لتوجيه شرعي، ولم تستعمل لتحقيق هدف موحد سليم، فصارت تحت تصرف الأهواء و

(1) فتح الباري (383/7).
(2) هو: أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي تاج الدين السبكي الشافعي (727-771 هـ)، من أئمة الأشعرية، من مصنفاته: طبقات الشافعية الكبرى، وجمع الجوامع. انظر: الدرر الكامنة (425/2-428)، وشذرات الذهب (221/6-222).
(3) طبقات السبكي (320/2)، وانظر: الكواكب الدرية (59/1).
(4) انظر: مجموع الفتاوى (82/1-85).
(5) انظر: الكواكب الدرية (59/1)، والدين الخالص لصديق حسن (580/3).
(6) الفهرست لمحمد بن إسحاق النديم (ص 369-370).

التوجيهات الشيطانية. فتجد بعضهم يعارض البعض؛ لغرض إبراز المهارات في المكر والخديعة. وهذا يخالف حال أولياء الله تعالى، فإنه لا يمكن أن يقوم ولي لله بمعارضة أولياء الله تعالى وإبطال ما أكرمهم الله به من الكرامات[1].

4. إن أصحاب الخوارق الشيطانية يمتازون بكثرة الكذب والدعاوى للكرامات، لأن قصدهم استمالة الجهلة والبسطاء ومن ربوا على تقديس الأشخاص لأتفه الأسباب. بخلاف أصحاب الكرامات، فإن إيمانهم وتقواهم الذي نالوا به درجة الولاية لله، تمنعهم من التلبس بالكذب واختلاق الأساطير والمكر والدهاء ومحاولة إظهار تلك الكرامات طلباً لمدح العوام و البسطاء[2].

5. إن أهل الأحوال الشيطانية تنصرف عنهم شياطينهم وتبطل أعمالهم وشعوذتهم إذا ذكر عندهم ما يطردها، مثل آية الكرسي، لحديث أبي هريرة ط: $وكلني رسول الله ح بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام[3] فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ح - فذكر الحديث[4] فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي؛ لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فقال النبي ح: $صدقك وهو كذوب، ذاك شيطان#[5].

وعلى هذا يمكننا أن نتحدى صاحب الأحوال الشيطانية أن يقرأ آية الكرسي وهو يباشر تلك الأفعال، أو أن يبقى لمفعول أعماله أثرٌ إذا قرئ عليها آية الكرسي بصدق وعزيمة.

قال شيخ الإسلام :: $ولهذا إذا قرأها -يعني آية الكرسي- الإنسان عند الأحوال الشيطانية بصدق، أبطلها#[6]. وذلك بخلاف كرامات أولياء الله، فإن القرآن لا يبطلها، بل يزيدها قوة على قوة' ونوراً على نور.

الوجه الثاني: إذا ثبت أن رَجلا ً ما كان من أولياء الله الصالحين، لِما ظهر لنا من تقواه لله جل وعلا ومتابعته للرسول ح؛ فإنه يجب علينا محبته؛

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى (295/11).
(2) انظر: المصدر السابق.
(3) يقال: حثا إذا رفع بيديه. انظر: لسان العرب (50/3).
(4) ورد مطولا عند البخاري في صحيحه، كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلا ً فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل فهو جائز وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز (487/4 رقم 2311 –الفتح).
(5) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (335/6 رقم 3275).
(6) الفرقان بين أولياء الرحمن أولياء الشيطان (ص 326)، وانظر: مجموع الفتاوى (286/11، 293).

لأن محبته من الإيمان، إذ هو من أولياء الرحمن.
يقول تعالى: ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ البقرة: ٢٥٧.
ويقول رسول الله ح: $ثلاث من كُنّ فيه وَجَدَ حلاوة الإيمان، وذكر منها: أن يحب المرء لا يحبه إلا لله#(1).
وقال ح في حديث آخر: $من أعطى لله تعالى، ومنع لله تعالى، وأحب لله تعالى، وأبغض لله تعالى، وأنكح لله تعالى؛ فقد استكمل إيمانه#(2).
فنحن نحب الصالحين -أحياء وأمواتاً-؛ لأن حبهم قربة إلى الله . ولهذا نحن نتقرب إلى الله بحب جميع أنبيائه ورسله، الذين هدوا الناس إلى الله تعالى وأخرجوهم من الظلمات إلى النور بإذنه. كما نحب أصحاب رسول الله ح؛ لأنهم الذين نقلوا إلينا القرآن الكريم والسنة النبوية. ونحب من تبعهم بإحسان من العلماء الربانيين والدعاة المصلحين وأولياء الله الصالحين.
فمحبتهم تؤدي إلى رفع منـزلة العبد يوم القيامة، يدل على هذا ما أخرجه الشيخان عن عبد الله بن مسعود ط قال: $جاء رجل إلى رسول الله ح فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله ح: $المرء مع من أحب#(3).
قال أنس ط: فما فرحنا بشيء فر َح َنا بقول النبي ح: $أنت مع من أحببت#. قال أنس: $فأنا أحب النبي ح وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم#(4).
ولكن كيف تكون محبتنا لهم؟ إنها تكون باحترامهم، ومعرفة فضلهم، و الثناء عليهم بما هم له أهل، وبمجالستهم، و$اتباع ما دعوا إليه من العلم النافع والعمل الصالح، واقتفاء آثارهم، وسلوك طريقتهم ... فإن من اقتفى آثارهم كان متسبباً في تكثير أجورهم باتباعه لهم، ودعوته الناس إلى اتباعهم#(5)، والدعاء لهم، وغير ذلك من الأمور المشروعة في حقهم.

---

(1) تقدم تخريجه (ص 164).
(2) رواه أحمد في مسنده (383/24 رقم 15617)، والترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ح (ص 568 رقم 2521). وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (1 القسم الثاني/728 رقم 380)، وقال محققوا المسند: $صحيح لغيره#.
(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب علامة الحب في الله لقوله تعالى: ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱﭼ [آل عمران: ٣١] (557/10 رقم 6169)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب (2034/4 رقم 2640).
(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب (42/7 رقم 3688 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب (2032/4-2033 رقم 2639).
(5) إغاثة اللهفان (392/1).

وليس بإنزالهم من-زلة لا يستحقونها، بالغلو فيهم؛ كالذل والخضوع التام والطاعة الكاملة لهم؛ إذ أن هذه الأمور من مستلزمات محبة العبودية التي لا يجوز صرفها إلا لله.

فالغلو، وهو: مجاوزة الحد[1]، من أعظم الأسباب التي أدت إلى وقوع الناس في حبائل الشرك. وقد جاء النهي صريحاً في القرآن عن الغلو، قال تعالى: ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛﭼالنساء: ١٧١.

قال الحافظ ابن كثير :: $ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا حد التصديق بعيسى، حتى رفعوه فوق المن-زلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها ً من دون الله؛ يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه - ممن زعم أنه على دينه- فادّعوْا فيهم العصمة، واتبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقا ً أو باطلا ً، أو ضلالا ً أو رشادًا، أو صحيحًا أو كذبًا؛ ولهذا قال تعالى: ﭽﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰﭼ[التوبة: ٣١]#[2].

فإن أول شرك وقع على وجه الأرض، كان بسبب الغلو في الصالحين[3]، وهو ما وقع في قوم نوح ؛[4]. قال الله تعالى: ﭽﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼنوح: 21-٢٤.

فعن ابن عباس م أنه قال: إن هذه $أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا ً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تـ ُعبـ َد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عـ ُبد َت#[5].

فبهذين الوجهين يظهر -بإذن الله- بطلان شبهة من اتهم دعاة التوحيد بعدم محبتهم لأولياء الله الصالحين، ولله الحمد والمنة...

(1) مفردات ألفاظ القرآن (ص613).
(2) تفسير ابن كثير (477/2).
(3) انظر: فتح الباري (669/8)، وتفسير القرطبي (265-261/21)، وإغاثة اللهفان (348-349/1)، وتطهير الجنان والأركان عن درك الشرك والكفران، للعلامة أحمد بن حجر آل بوطامي الشافعي (ص30).
(4) اختلف العلماء في مسألة $متى وقع أول شرك في بني آدم# إلى أقوال، ويبدو أن أقربها إلى الأدلة الصحيحة هو القول بأن أول شرك وقع في بني آدم كان في قوم نوح ؛. راجع: الشرك في القديم والحديث (225-205/1).
(5) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﭽﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ (667/8 رقم 4920 -الفتح).

المبحث الثالث: الخوف

وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: معنى الخوف، أنواعه وأحكامه
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في الخوف
المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

المطلب الأول: معنى الخوف، أنواعه وأحكامه

- معنى الخوف:

أصل الكلمة: الخوف مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ هو $خَوِفَ#[1].

تصريفها: الخوف على وزن $الفَعْل#، وهو مصدر قياسي للفعل الثلاثي $خاف#، من $خَوِفَ# على وزن $فَعِلَ#، ومضارعه $يَخَاف#، وأصله $يَخْوَف# على وزن $يَفْعَل#، فنقلت حركة العين إلى الساكن قبلها، ثم قلبت الواو ألفاً لتحركها في الأصل وانفتاح ما قبلها، ومن مصادره: $خِيْفَة وإخَافَة ومَخَافَة#[2].

معناها لغة: لمادة خوف عدد من المعاني منها:

- الفزع والذعر[3] والظنّ[4].

هذه من أهم المعاني تحت مادة خوف، ولعلّ أقربها إلى المعنى الشرعي هو الأول؛ لأنه من أعمال القلوب[5].

معناها شرعاً:

الخوف عبادة قلبية أمر بها الله تعالى[6]، وندب إليها، فهو دليل الإيمان، وقرين الخشية، ودأب أهل الإيمان والصلاح. ولقد كثر ذكر الخوف في القرآن أمراً وحثاً وترغيباً، ومن ذلك: قول الله تعالى: ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ آل عمران: 175.

ولقد تنوعت أقوال العلماء في بيان المعنى الشرعي للخوف، فمنهم من عرفه بلازمه، وعرفه بعضهم بآثاره وثمراته، وآخر بأسبابه، ورابع نظر إلى الأصل اللغوي[7]، ويمكن إجمال القول فيه، فيقال: $هو حالة نفسانية، تتضمن اضطراباً وحذراً، مقرونة بالتعظيم والمهابة، تدعو صاحبها إلى طاعة باطنة، تحجبه عن المخالفة والتقصير، وتحثه على القيام بالحقوق، مع ملازمة نية التقرب والتعبد#[8].

- أنواع الخوف:

---

(1) مقاييس اللغة (230/2)، والصحاح (1358/4)، ولسان العرب (248/4).
(2) ينظر تصريف الكلمة في: الصحاح (1358/4)، ولسان العرب (248/4)، وأساس البلاغة للزمخشري (ص 119)، ومعجم تصريف الأفعال العربية للدحداح (ص 224).
(3) انظر: مقاييس اللغة (230/2)، ولسان العرب (248/4).
(4) انظر: معاني القرآن للفراء (146/1).
(5) ينظر معاني مادة خوف في: لسان العرب (248/4)، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف، لموسى الأحمدي (ص93)، وغراس الأساس لابن حجر (ص 131).
(6) انظر: طريق الهجرتين (613/2-614).
(7) انظر هذه التعريفات في: المصطلحات المستعملة في توحيد الألوهية عند السلف (ص 215-218)، والتعريفات الاعتقادية (ص 167-168).
(8) انظر: المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (34/3).

ينقسم الخوف من حيث الحكم إلى أربعة أقسام[1]:

القسم الأول: خوف السر، وهو أن يخاف من ذات ما أن يصيبه بما يشاء متى يشاء من مرض أو فقر أو موت، ونحو ذلك بقدرته ومشيئته.

فمن اتخذ مع الله نداً يخافه هذا الخوف فقد وقع في الشرك؛ إذ ليس هناك من يصيب من يشاء بما يشاء متى يشاء بقدرته ومشيئته غير الله تعالى. فمن اعتقد أن غير الله من نبي أو ولي أو شيخ أو مقبور أو مقدس -سواء كان حياً أو ميتاً- يملك البطش به متى أراد بقدرته فقد خصه بأعظم لوازم الألوهية؛ ذلك لأن هذا النوع من الخوف قد أمر الله تعالى عباده أن يخافوه به، بل أن يختصوه به ويخلصوه له. ومعلوم أن الله تعالى لا يأمر عباده بأمر ويحثهم عليه إلا إذا كان عبادة من العبادات، وما كان عبادة لله فلا يجوز صرفها لغير الله. قال تعالى في الأمر بهذا الخوف: ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ آل عمران: 175.

عن مجاهد[2] : في تفسير قوله تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍﮎﭼ النور: 55، قال :: $لا يخافون غيري#[3].

القسم الثاني: الخوف من الناس خوفاً ظاهرياً يؤدي إلى ترك الإقدام على فعل الواجبات الثقيلة كالجهاد، ويعرف هذا النوع من الخوف بالجبن وبالخوف الوهمي.

هذا النوع من الخوف يحول بين المسلم وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فضلا ً عن الجهاد في سبيل الله. وهذا مذموم شرعاً، وقد ثبت في الأحاديث النبوية أنه ح كان يتعوذ بالله من الجبن[4]. وهذا القسم من الخوف ناتج عن ضعف الإيمان وقلة اليقين، فلا يذهبه إلا قوة الإيمان و اليقين، والتوكل على الله تعالى[5].

القسم الثالث: الخوف من وعيد الله الذي توعد به العصاة.

هذا النوع من الخوف مقام عظيم من مقامات الصالحين الأبرار، وهو محبوب لدى الله، ومطلوب من عباده له. قال تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ

---

(1) انظر لهذا التقسيم: تيسير العزيز الحميد (ص 406-408)، والقول السديد (ص 207-208)، ومدارج السالكين (1/511-517)، والإحياء للغزالي (4/135).

(2) هو: مجاهد بن جَبْر أبو الحجاج المخزومي مولاهم (ت 101 أو 102 أو 103 أو 104هـ)، تابعي ثقة إمام في التفسير والعلم. انظر: التقريب (رقم 6523).

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (17/350)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (11/100)، وعزاه إلى الفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(4) كما رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما يتعوذ من الجبن (6/35 رقم 2822 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والا ستغفار، باب التعوذ من العجز والكسل وغيره (4/2079 رقم 2706).

(5) انظر: القول السديد (ص 208).

ﭽ إبراهيم: 14، وقال سبحانه: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ الرحمن: 46. وهذا الخوف من الله يكون محموداً إذا لم يوقع في القنوط واليأس من روح الله [(1)].

القسم الرابع: الخوف الطبيعي، كالخوف من عدو يترصده، أو سبع، أو هدم، أو غرق.

فهذا لا يذم المتصف به، لأنه أمر جبلي، ولذا وقع مثل هذا الخوف من خير خلق الله تعالى، وهم رسله وأنبياؤه، يقول أبو عبد الله القرطبي :: $قال العلماء: لما لحقهما -أي موسى وهارون- ما يلحق البشر من الخوف على أنفسهما، عرفهما الله سبحانه أن فرعون لا يصل إليهما ولا قومه، وهذه الآية ترد على من قال إنه لا يخاف، والخوف من الأعداء سنة الله في أنبيائه وأوليائه، مع معرفتهم به وثقتهم، ولقد أحسن البصري : حين قال للمخبر عن عامر بن عبد الله[(2)] -أنه نزل مع أصحابه في طريق الشام على ماء فحال الأسد بينهم وبين الماء، فجاء عامر إلى الماء فأخذ منه حاجته فقيل له: فقد خاطرت بنفسك، فقال: لأن تختلف الأسنة في جوفي أحب إلي من أن يعلم الله أني أخاف شيئا ً سواه-: قد خاف من كان خيراً ً من عامر: موسى ح حين قال له: ﭽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﭼ [القصص: 20-21]، وقال: ﭽ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ[القصص: 18]، وقال حين ألقى السحرة حبالهم وعصيهم: ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ [طه: 67-68]#[(3)].

(1) انظر: المصدر السابق ومدارج السالكين (514/1).
(2) أظنه: هو الذي يقال له ابن عبد قيس يكنى أبا عمرو العنبري المصري. وقيل أبا عبد الله، من بني تميم، أحد الزهاد، قيل توفي في زمن معاوية. انظر: صفة الصفوة (201/3-211)، والسير (15/4-19).
(3) تفسير القرطبي (67/14-68).

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في الخوف

بما أنني قد تطرقت في المطلب السابق إلى ذكر أنواع الخوف وحكم كل منها، وتبيّن أن الانحراف العقدي في باب الخوف يكون بخوف العبد من غير اللّه أن يصيبه بما يشاء متى يشاء من مرض أو فقر أو موت، ونحو ذلك بقدرته ومشيئته؛ ففي هذا المطلب إذاً سأذكر نماذج من هذا الانحراف من واقع المجتمع المسلم الإندونيسي. واللّه المستعان وعليه التكلان.

المثال الأول: بعض الناس إذا أتى إلى شاطئ البحر الجنوبي من جزيرة جاَوَا -لأي غرض كان- ابتعد عن لبس الأحمر من الثياب -وقيل الأ خضر-؛ خوفاً من Nyai Roro Kidul (إِنْجَاِئِيْ رَارَا كِيْدُوْلْ) مَلِكَةٌ البحر الجنوبي -وهي من الخرافات التي يزعم الجاويون أنها من الجن- أن تصيبه بضرّ كأن تسلط عليه أمواج البحر فتبتلعه أو غير ذلك. وسبب ذلك أن هذا اللون من الثياب تحبّه هذه الملكة، فبالتالي لا يحق لأحد أن يلبسه وهو قريب من مملكتها[1].

المثال الثاني: شبيه بالمثال الأول تماماً: ما يعتقده بعض الناس في إحدى جزر Maluku (م َا ُو ْك ُو ْ)؛ بالتحديد في جزيرة Jin (جِن) بمحافظة Kepulauan Aru (جزر أَرُوْ). وهو أنهم يجتنبون لبس الأ حمر من الثياب إذا دخلوا جزيرة جن، خوفاً من Robecca (رُوْبِيْكَا) -وهي جنية ساكنة في هذه الجزيرة بزعمهم- أن تصيبه بضر. وإذا كان الداخل رجـ لا ً محباً للزنا فإنه سيفقد -أكرمكم اللّه- ذكره، أو يتقيأ وحَلا ً[2].

المثال الثالث: خوف بعض سكان القطاع حول بحيرة Pening (فِيْنِينْج) -الواقع في مدينة Ambarawa (أَمْبَرَوَا) بجاَوَا الوسطى- من سلطان هذه البحيرة الذي يسمونه: Mbah Baru Klinting (إِمْبَاهْ بَرُوْ كِلِيْنْتِيْنْجْ). وزعموا أن تناقص الأسماك التي يصيدونها من هذه البحيرة سنة بعد الأخرى؛ إنما هو بسبب عدم تقديمهم القرابين لهذا السلطان. فبالتالي، اتفقوا على إحياء عادة تقديم القرابين له -التي أغفلوها برهة من الزمن-، وهذه القرابين تتكون من دجاج وأرز وغيرها من الأطعمة. يعملونها سنوياً في اليوم العشرين من شهر اللّه المحرم. وذكر بعضهم أن أثر إحياء هذه العادة مجرّب؛ بحيث ازداد عدد الأسماك التي يصطادونها من هذه البحيرة؛ من خمسة أو سبعة كيلو جرام ارتفع إلى ثمانية كيلو جرام[3].

المثال الرابع: خوف بعض رجال الحكومة من زيارة ضريح Sunan

---

(1) مجلة Ghoib (غيب) عدد خاص بعنوان Para Pemuja Syetan (عبدة الشياطين) (ص 110).
(2) المصدر السابق.
(3) جريدة Wawasan (وَوَسَنْ)، يوم الأحد، تاريخ 26 مارس 2006 م (ص 12).

Kudus (سُوْنَنْ قُدُسْ) الواقع في مدينة Kudus (قُدُسْ) بجَاوَا الوسطى. يقال أن سبب خوفهم منه: أن من زار الضريح من أصحاب المناصب فإنه سيُقْصَل من منصبه، وحكي وقوع هذا الشيئ لعدد من أصحاب المناصب الذين زاروا هذا الضريح. حاول بعض الناس ربط هذه الظاهرة بقصة قيل أنها وقعت في حياة سونان قدس. وهذه القصة هي: أن أحد تلاميذه -وهو المدعو Arya Penangsang (أَرْيَا فِيْنَنْجْسَنْج)- جلس في كرسي عليه طلسم Kolo Cokro (كُوْلُوْ تْجُوْكْرُوْ)، ومن جلس في كرسي هذا شأنه فإنه سيصاب بمكروه ويكون عمره قصيراً[1].

المثال الخامس: خوف بعض الناس من شجرة المطّاط الواقعة أمام مكتب محطة القطار بمدينة Bandung (بَنْدُوْنْج) بجَاوَا الغربية. حيث اعتقد بعض الناس بأن من حاول قطع هذه الشجرة -التي يقال بأن عمرها بلغ حـ الياً ثلاثمائة وخمسين سنة- فإنه سيصاب بمكروه. حُكِي أنه قبل سنوات أمَرَ مديرُ المحطة أحداً من الناس قطع تلك الشجرة، لكن لما بدأ الرجل بقطعها؛ أصيب ذلك الرجل بمرض لا يُعلَم سببه، وبعد أسبوع توفي .: والأدهى من ذلك -حَسَب زعمهم-؛ بعد محاولة قطع تلك الشجرة بأشهر، حصلت حوادث قطارية متتالية في بعض مدن إندونيسيا[2].

وعدم إقدام الناس على التعرض لبعض الأشجار القديمة بسبب خوفهم من أن يصابوا بضرر؛ ظاهرة منتشرة -وللأسف- في كثير من أنحاء إندونيسيا. ومن ذلك ما حصل بشجرة Sawo (سَوُوْ) في قرية Cikangkung (تجِيْكَنْكُوْنْج) بمنطقة Karawang (كَرَوَنْج) بجَاوَا الغربية[3]، وشجرة Jatisiwur (جَتِيْ سِيْوُوْرْ) بمدينة Madiun (مَدِيُوْنْ) بجَاوَا الشرقية[4]، وغيرها كثير.

المثال السادس: خوف بعض الناس من ساحل Laweung (لَوِيُوْنْجْ) بمحافظة Aceh (أَتْشِيْه) بجزيرة سُوْمَطْرَا. وذلك لاعتقادهم أن هذا الساحل يطلب سنويا رجلا ً واحداً كأضحية له، لذلك يمنع كثير من الناس أولادَهم من الاقتراب إلى هذا الساحل لكي لا يقع أحد منهم ضحية لهذا الساحل في ذلك العام.

ويترتب جراء هذا الاعتقاد ذبح الملاحين جاموساً عند الساحل وتقديم رأسه له، ثم يطبخون لحمه ويأكلونه ويذكرون الله ويهللون جماعة ويدعونه سبحانه في نهاية تلك الطقوس. وزعموا أنه بعد إقامة هذه

(1) جريدة Wawasan (وَوَسَنْ)، يوم الأحد، تاريخ 26 مارس 2006 م (ص 12).
(2) جريدة Posmo (فُوسْمُوْ)، العدد 391، تاريخ 1 نوفمبير 2006 (ص 27).
(3) انظر: مجلة Wahana Mistis (وَهَنَا مِيْسْتِيْس)، العدد 111، تاريخ 17-2 أغسطس 2005 (ص48-50).
(4) انظر: المصدر السابق (ص 98-99).

الطقوس صار هذا الساحل آمنا ولا يطالب بضحية بشرية مرة أخرى[1].

المثال السابع: خوف بعض الناس من بئر Tamtu (تمْتُوْ) بقرية Kedungwungu (كِيْدُوْنْجْ وُونْجُوْ) بمدينة Indramayu (إِيْنْدَرَمَيُوْ) بجَاوَا الغربية. اعتقد بعض الناس أن كل سيارة تمر في طريق هذا البئر لابد أن يرمي سائقها إليه نقوداً، وإلا ستقف السيارة بنفسها أو تنقلب.

وحُكي أن أحداً من الناس عكر ماء هذا البئر، فبعد ذلك بوقت قليل مات ذلك الرجل وفي عنقه أثر الخنق.

وبسبب هذا الخوف يعقد الناس طقوساً من أغاني جماعية حول هذا البئر ويقدمون للجان الذين يتولون عليه قرابين من أرز وأدُم شتى[2].

المثال الثامن: خوف بعض الإندونيسيين من أن يشير بأصبعه إلى المقابر؛ لأنه يؤدي إلى نوع من الشلل فيه -باعتقاده-، ومن أشار إليها عليه أن يلقم ذلك الأصبع بفمه ثم يشير به إلى السماء حتى يجف أثر البصاق الذي علق به، ولا يجوز له تجفيفه بغير هذه الطريقة[3].

هذه بعض الأمثلة لمظاهر الانحراف في مسألة الخوف لدى المجتمع ا لإندونيسي، ونلاحظ أن الانحراف في هذا الباب يؤدي إلى انحرافات عقدية أخرى، أو يؤدي إلى البدع، والخرافات، وما يخالف صريح المعقول، واللّه المستعان...

---

(1) انظر: مجلة HAM (هَامْ)، العدد 11، سيبتمبير-أكتوبر 2005 (ص 22-23).
(2) انظر: المرجع السابق (ص 32-34).
(3) انظر: مجلة Ghoib (غيب)، العدد 20، تاريخ 2 جمادى الأول 1425 هـ / 12 يوليو 2004 م (ص 56).

المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

لقد جاء دين الإسلام بالتوحيد الخالص لله سبحانه؛ وهو إخلاص العبادة له تعالى وحده ونبذ ما سواه من المعبودات. قال الله تعالى في أول أمر ورد في القرآن الكريم: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼالبقرة: ٢١. ثم بعد هذا الأمر مباشرة نهى تعالى عما يضاد إخلاص العبادة لله وحده، ألا وهو الشرك؛ وذلك قوله سبحانه: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ البقرة: ٢٢.

وهذه فائدة جليلة؛ إذ أن الله لم يأمرنا بعبادته فَحَسْب، بل ونهانا أيضاً عمّا ينقض ذلك، ألا وهو عبادة غيره. فإذا قلبنا النظر في كتاب ربنا نجده حكماً مطرداً، فمن ذلك قوله : ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﭼ البقرة: ١٦٣، وقوله: ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾﭿ ﭼ النحل: ٣٦، وقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ الأنبياء: ٢٥، وقوله: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘﮙ ﭼ النساء: ٣٦[1]. وهذا هو حقيقة معنى كلمة التوحيد $لا إله إلا الله#.

وقد أشار إلى هذا المعنى الحافظ البيهقي :، ودلل على ذلك بالأحاديث النبوية؛ حيث عقد : باباً في أول كتاب $الأربعين الصغرى#[2] قال فيه: $الباب الأول في توحيد الله في عبادته دون ما سواه# ثم ساق -بياناً لهذه الترجمة الدقيقة- حديثين يبينان معنى $لا إله إلا الله# على وجه التفصيل، الأول: حديث $من وحّد الله وكفر بما يعبد من دون الله حَرُمَ ماله ودمه#[3] وهذا الحديث قد ذُكِر فيه رُكنَا $لا إله إلا الله#، وهما الإثبات في قوله: $من وحّد الله# والنفي في قوله: $وكفر بما يعبد من دون الله#، ثم روى : حديثَ معاذٍ ط الشهير، وفيه: $أن النبي ح سأله: ما حق الله تعالى على العباد؟ قال ط: الله ورسوله أعلم. فقال ح: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً#[4]، وهو أيضاً نصٌ في تفسير كلمة التوحيد، إذ فيه بيان معنى $لا إله# بقوله: $ولا يشركوا به شيئاً# و$إلا الله# بقوله: $أن يعبدوه#.

فظهر فقهه : في لفظ ترجمة الباب، حيث نصّ فيها على أن التوحيد الذي ترشد إليه $لا إله إلا الله# هو إفراد الله بالعبادة دون شريك، كما ظهر

---

(1) انظر: ست درر من أصول أهل الأثر، للشيخ عبد المالك رمضاني (ص 15).
(2) الأربعون الصغرى المخرجة في أحوال عباد الله تعالى وأخلاقهم (ص 75-79)، وقد بيّن في مقدمة كتابه هذا أنّه أخرجه في أربعين باباً؛ ليكون بُلغة فيما لابد من معرفته في عبادة الله تعالى.
(3) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله (53/1 رقم 37).
(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ح أمته إلى التوحيد (347/13 رقم 7373 –الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (59/1 رقم 50).

فقهه في اختيار النصوص المُبيّنة للترجمة[1].

وإذا تبيّن هذا -أعني كون إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له هو أصل هذا الدين الحنيف وأسّه-؛ فلابد إذاً على كل عبد إخلاص جميع عباداتِه لله سبحانه، ومن تلك العبادات الخوف من الله . لأنه سبحانه قد أمر عباده بأن يخافوا منه وحده في آيات كثيرة من كتابه الحكيم.

ومن ذلك قوله : ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ آل عمران: ١٧٥، قال الحسن البصري :: $إنما كان ذلك تخويف الشيطان، ولا يخاف الشيطان إلا ولي الشيطان#[2].

وقوله سبحانه: ﭽ ﭛ ﭜ ﭼالبقرة: ٤٠، قال أبو العالية :: $فاخشون#[3].

وقوله : ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼالمائدة: ٤٤.

وقوله: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼالنحل: ٥١.

وقال تعالى في ثنائه على عباده الصالحين من الأنبياء والملائكة و المؤمنين لتحقيقهم هذا الخوف لله وحده: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ النحل: ٥٠، وقال تعالى: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﭼالأنبياء: ٢٨، وقال : ﭽ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ المؤمنون: ٥٧، وقال سبحانه: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼالأ حزاب: ٣٩.

إن من تدبر هذه الآيات وما فيها من الأمر بإفراد الله تعالى بالخوف و الرهبة، إما تصريحاً بنفيها عن غيره، وإما قصراً وحصراً بتقديم المعمول على العامل، وإما بثنائه على عباده الصالحين من الأنبياء والملائكة و المؤمنين لتحقيقهم هذا الخوف؛ من تدبرها ظهر له جلياً أن هذا الخوف من خصائص الإله التي لا يجوز التوجه بها إلى غير الله سبحانه[4]، $فمن اتخذ مع الله نداً يخافه هذا الخوف فهو مشرك#[5] ولا يغفره الله إن مات على ذلك.

ومما يدل على أن صرف خوف العبادة لغير الله شرك؛ تفسير ابن عباس م لقوله تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼالنور: 55، قال م: $لا يخافون غيري#[6]. ووجه الدلالة من هذا الأثر ظاهر؛ وهو أن ابن عباس فسر الشرك

(1) انظر: جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة (ص 68).
(2) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (821/3)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (150/4).
(3) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (96/1)، وابن جرير الطبري في تفسيره أيضاً (599/1).
(4) انظر: الشرك في القديم والحديث (1086/2-1087).
(5) تيسير العزيز الحميد (ص 406).
(6) أورده السيوطي في الدر المنثور (100/11) وعزاه إلى عبد بن حميد. وروى مثل هذا التفسير عن مجاهد / كما في تفسير الطبري (350/17)، والدر المنثور (100/11)، وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن

بالخوف من غير اللّه.

فلا نخاف إلا اللّه و لا نخشى[1] ولا نرهب[2] إلا إياه؛ إذ إنه سبحانه هو المتفرد بالخلق والملك والضرّ والنفع، وكل هذه الأشياء بيده سبحانه.

قال : ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﭼ الأنعام: ١٧، وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ يونس: ١٠٧، وقال: ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ فاطر: ٢، وقال: ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ الزمر: ٣٨ .

قال الحافظ البيهقي : مبيناً ما سبق تقريره: $وكما لا ينبغي أن يكون الخوف إلا من اللّه ؛ كذلك لا ينبغي أن يكون الرجاء إلا منه؛ لأنه لا يملك أحد من دونه ضراً ولا نفعاً، فمن رجا ممن لا يملك ما لا يملك فهو من الجاهلين#[3].

إن الشيطان لحريص غاية الحرص على إغواء بني آدم، بل إن رأسهم إبليس قد أقسم على اللّه تبارك وتعالى بذلك ﭽ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﭼ ص: ٨٢، وحاول الشيطان -لعنه اللّه- سلوكَ جميع السبل الممكنة لتحقيق تلك المهمة الشريرة ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ الأعراف: 16- ١٧.

ومن تلك السبل التي سلكها: تخويف بني آدم بأوليائه -أعني أولياء الشيطان-؛ قال تعالى: ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ آل عمران: ١٧٥. قال الحافظ ابن كثير :: $أي يخوفكم أولياءه#[4].

وإذا نظرنا إلى مظاهر الانحراف التي سبق ذكرها في المطلب الثاني وجدنا أن هذه الانحرافات في الحقيقة مصدرها تخويف من الشيطان لبني آدم، وإن تظاهر في صورة ملكة بحر، أو سلطان جزيرة، أو صاحب شجرة كبيرة قديمة، أو دفين ضريح، أو غير ذلك من الصور؛ فإنها في الحقيقة شيطان لَعِيْن استدرج الإنس كي يعبدوه. لذلك إذا قدّموا له القرابين أوقف تشويشه عنهم وتخويفه إياهم، لأنه وجد بغيته؛ وهو إضلالهم بجعلهم يصرفون العبادات له؛ مِن خوف، وذبح، وتقديم قرابين، وصرف غيرها من

المنذر.

(1) الخشية هي: الخوف المشوب بالتعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه. انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص 283)، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (544/2)، والقول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن صالح العثيمين (72-73/2).

(2) الرهبة هي: الخوف مع التحرز والاضطراب، ومقرون بالعمل. انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص 366)، وتفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (127/1)، وشرح ثلاثة الأصول للشيخ العثيمين (ص 59).

(3) الجامع لشعب الإيمان (350/2)، وانظر: المنهاج في شعب الإيمان (520/1).

(4) تفسير ابن كثير (172/2).

العبادات لغير الله سبحانه وتعالى.
فخوف هؤلاء المذكورين في المطلب الثاني لأولئك المخوفين، قد يدخل في الخوف السر؛ لأنهم يخافون منهم أن يصيبوهم بما يشاؤون متى يشاؤون بصنوف من الأذى بقدرتهم ومشيئتهم.
فعليهم أن يفيقوا من سباتهم، ويقلعوا عن غيهم، وليدركوا سفينة النجاة قبل أن يدركهم الموت، وليخلصوا عباداتهم لله الواحد القهار. قال عمر بن عبد العزيز :: $من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله خاف من كل شيء#[1].
وقال الفضيل بن عياض[2] :: $من خاف الله خاف منه كل شيء، ومن خاف غير الله خاف من كل شيء#[3].
ثم ليعلموا أنه بطاعة الله تعالى وتوحيده تنـزل الرحمات، وتعم الأرزاق والبركات، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ الأعراف: ٩٦.
وعلى علماء الإسلام القيام بواجبهم الذي كلفهم الله به؛ ليجعلوا شغلهم الشاغل توعية الأمة في توحيد ربها، وتحذيرهم من ضده وهو الشرك بالله، وأسبابه، ووسائله، ودعاته الذين لا هم لهم إلا أكل أموال الناس بالباطل! ولا يثنينهم عن ذلك لومة لائم، ولا تثبيط المثبطين؛ فحق الله أعظم الحقوق، وأولى بالاهتمام!
وعلى حكام المسلمين أن يعلموا أن ما أصابنا، وبلادَنا الحبيبة الغالية من مصائب متتابعة، إنما هو بسبب ذنوبنا، قال جل في علاه: ﭽ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﭼالشورى: ٣٠، وأعظم الذنوب يعصى بها الله هو الشرك به . فلا ترفع تلك المصائب إلا بالعودة إلى ربنا، بإخلاص العبادة له سبحانه وتطهير الأرض من الشرك والبدع والمعاصي. فليسخروا كل الإمكانيات التي وهبهم الله إياها لمحاربة دعاة الشرك، وإزالة الأماكن التي تعبد من دون الله ، وتوعية الناس بكل الوسائل الممكنة، من نشرات توجيهية، ولوحات إرشادية، وغيرها.
بهذا تنال ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ سبأ: ١٥، وبه تدوم خلافتهم ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼالنور: ٥٥.
والله الموفق إلى سواء السبيل...

---

(1) الجامع لشعب الإيمان (304/2).
(2) هو: فضيل بن عياض بن مسعود التميمي (ت 187 هـ)، زاهد مشهور وثقة عابد. انظر: التقريب (رقم 5466).
(3) الجامع لشعب الإيمان (305/2).

المبحث الرابع: التطير والتشاؤم

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى التطير والتشاؤم وأنواع التطير

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف بالتطير

المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

المطلب الأول: معنى التطير والتشاؤم وأنواع التطير

- معنى الطِّيَرَة والتَطيُّر:

أصل الكلمة: الطيرة والتطير مشتقة من أصل لغوي ثلاثي هو $طَيَرَ#[1].

تصريفها: الطِّيَرَة على وزن $فِعَلَةٌ# كعِنَبَة، وهي اسم مصدر من الفعل الخماسي $تطيّرَ#، والمصدر القياسي $تطيُّراً#، والأصل الثلاثي من ذلك $طار# معتل العين، يقال فيه: $طار يَطِيرُ طَيْراً وطَيْرَاناً وطَيَرَاناً وطَيْرُورَةً#[2].

معناها لغة: بعض معاني مادة $طير#:

1. الطيران: حركة ذي الجناح في الهواء بجناحه.
2. الطَيْر: اسم لجماعة ما يطير، والواحد: طائر، وأرض مطارة: كثيرة الطير.
3. التطاير: التفرق والذهاب، وتطاير الشعر: إذا تفرق وطال.
4. والطائر: قيل هو الحظ من الخير والشر، وقيل: العمل، وطائر الإ نسان عمله الذي قلّده، وقيل: رزقه، وقيل طائر الإنسان: ما حصل له في علم اللّه مما قُدِّر له[3].

وكل هذه المعاني لها تعلق بالمعنى الشرعي للطيرة، فإنها قد تكون في طيران الطائر، وتفرّقه يَمْنَة ويَسْرَة ثم يبنون على ذلك الحظ من الخير أو الشر، والتشاؤم أو التفاؤل، كما سيأتي الآن بيانه في المعنى الشرعي.

أما التشاؤم لغة: فهو من الشؤم وهو ضد اليمن[4].

معنى التطير شرعاً: هي: التشاؤم بمرئي، أو مسموع، أو معلوم، وأثّر ذلك في صاحبها إقداماً أو إحجاماً[5].

يظهر من هذا التعريف شمول التطير لكل شيء يُتشاءم به، وإن كان $أصل التطير أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير، فإذا خرج أحدهم لأمر فإن رأى الطير طار يمنة تيمّن به واستمر، وإن رآه طار يسرَة تشاءم به ورجع#[6]، ولكنه عمّ فيما بعد $وصاروا يتطيرون بكل شيء فيتطيرون بالبقاع، ويتطيرون بالآدميين، ويتطيرون بالبهائم، ويتطيرون

---

(1) لسان العرب (237/8)، ومقاييس اللغة (435/3).
(2) ينظر تصريف الكلمة في: مقاييس اللغة (436/3)، ولسان العرب (237/8-239)، ومعجم تصريف الأفعال العربية (ص 299).
(3) انظر: النهاية في غريب الحديث (150/3-152)، ومقاييس اللغة (436/3)، ولسان العرب (237/8).
(4) انظر: لسان العرب (314/12)، وترتيب القاموس المحيط (662/2)، وتاج العروس (354/8).
(5) انظر: المصطلحات المستعملة في توحيد الألوهية عند السلف (ص 705).
(6) فتح الباري (212/10).

بكل شيء#[1].

قال الراغب الأصفهاني[2] :: $وتطير فلان، واطّيّر أصله التفاؤل بـ الطير، ثم يستعمل في كل ما يتفاءل ويتشاءم#[3].

وقال ابن عبد البر :: $أصل التطير واشتقاقه عند أهل العلم باللغة و السير والأخبار: هو مأخوذ من زجر الطير ومروره سانحاً أو بارحاً[4]، منه اشتقوا التطير، ثم استعملوا ذلك في كل شيء من الحيوان وغير الحيوان#[5].

وعرف ابن القيم : التطير بقوله: $التطير: هو التشاؤم من الشيء المرئي أو المسموع#[6].

والتشاؤم في الاصطلاح:

قال ابن عاشور[7] :: $الشؤم مقارنة بين بعض الموجودات وبين ضر ليس من طبع نوعه، وضده اليمن# [8].

(1) إعانة المستفيد (5/2).
(2) هو: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني أو الأصفهاني (ت 502 هـ)، إمام في اللغة، وينسب إلى الأشعرية، ويقال إنه معتزلي -وهو بعيد-، من تصانيفه: الذريعة إلى مكارم الشريعة، ومفردات ألفاظ القرآن. انظر: السير (120-121/18)، والأعلام (255/2)
(3) مفردات ألفاظ القرآن (ص 528).
(4) قد اختلف في معنى السانح والبارح؛ فقيل: البارح ما مر من الطير والوحش من يمينك إلى يسارك، والسانح بضد ذلك، وقيل العكس، واختلف أيضاً في الذي تتشاءم به العرب والذي تتيمن به منهما، والظاهر -والعلم عند اللّه- أن العرب تختلف في هذا، فمنهم من يتشاءم بالسانح ويتيمن بالبارح، ومنهم من يعكس، وأشعارهم تدل على ذلك، كما بينه ابن منظور في لسان العرب (363/1) وكذا (385/6). واللّه أعلم.
(5) التمهيد (282/9).
(6) مفتاح دار السعادة (311/3).
(7) هو: محمد الطاهر بن عاشور (ت 1393 هـ)، رئيس المفتين المالكيين بتونس، من تصانيفه: مقاصد الشريعة الإسلامية، وتفسير التحرير والتنوير. انظر: الأعلام (173/6).
(8) كشف المغطى (ص 379-380).

وقال الأزهري[1] :: $وقيل للشؤم طائر وطير وطيرة، لأن العرب كان من شأنها عيافة الطير[2] وزجرها، والتطير ببارحها، وبنعيق غربانها، وأخذها ذات اليسار إذا أثروها، فسموا الشؤم طيراً وطائراً وطيرة، لتشاؤمهم بها وبأفعالها#[3].

فَيُفهم مما سبق أن التشاؤم هو التطير، وبه قال الخطابي[4] وابن حجر[5] والشوكاني[6]، وهو ضد التفاؤل[7]. والله أعلم.

- أنواع التطير[8]:

يمكن تقسيم التطير من حيث الحكم إلى قسمين:

1. ما كان من قبيل الشرك الأصغر.
2. وما كان من قبيل الشرك الأكبر.

أما ما كان من قبيل الشرك الأصغر: فهو إن آمن المتطير بأن التدبير بيد الله تعالى، لكنه اعتمد ما رآه أو سمعه من حال الطير ووطّن نفسه عليه، ولم يصرف المتطير لما تطير به أيّ ضرب من ضروب العبادة، والقاعدة تقول: $إن كل إنسان اعتمد على سبب لم يجعله الشرع سبباً؛ فإنه مشرك شركاً أصغر#[9].

وأما ما كان من قبيل الشرك الأكبر: فهو إذا اعتقد المتطير تأثير ما تطير به، بحيث يستقل بالتدبير أو يكون شريكاً مع الله فيه.

قال المناوي[10] : مبينا معنى حديث $الطيرة شرك#[11]: $أي من

---

(1) هو: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي الشافعي (282-370 هـ)، أحد أهم علماء اللغة، له كتاب التهذيب في اللغة وهو خير عمدة في هذا الفن، وكتاب الزاهر في غرائب ألفاظ الإمام الشافعي. انظر: طبقات ابن الصلاح (83/1-84)، وطبقات ابن كثير (276/1)، والسير (315/16-317). وللتوسع في معرفة عقيدة الإمام : راجع: عقيدة الإمام الأزهري، للدكتور علي بن نفيع العلياني.

(2) قال ابن الأثير: $العيافة: زجر الطير، والتفاؤل بأسمائها وأصواتها، وممرها، وهو من عادة العرب كثيراً#. النهاية (330/3). وانظر نحو هذا الكلام في: عون المعبود (286/10-287)، وفيض القدير (395/4).

(3) تهذيب اللغة (12/14).

(4) كما في معالم السنن (235/4).

(5) كما في فتح الباري (213/10).

(6) كما في نيل الأوطار (223/9).

(7) سيأتي -بإذن الله- بيان معنى التفاؤل في (ص 201-202).

(8) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص 364، 365)، والقول المفيد على كتاب التوحيد (575/1)، وجهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة (ص 574).

(9) القول المفيد على كتاب التوحيد (575/1).

(10) هو: محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (952-1031 هـ)، من مؤلفاته: كنوز الحقائق، وفيض القدير شرح

الشرك لأن العرب كانوا يعتقدون أن ما يتشاءمون به سبب يؤثر في حصول المكروه وملاحظة الأسباب في الجملة شرك خفي، فكيف إذا انضم إليها جهالة فاحشة وسوء اعتقاد، ومن اعتقد أن غير الله ينفع أو يضر استقلالا فقد أشرك#[2].

فجعل : اتخاذ ما يتشاءم به سبباً نوعاً من الشرك الخفي، وجعل اعتقاد حصول النفع أو الضر من غير الله استقلالا رتبة أخرى تجلّ عن الوصف بذلك؛ لأنها ضرب من الشرك الأكبر الجلي[3].

الجامع الصغير، والكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، وغيرها. انظر: الأعلا
م (204/6).

(1) الحديث رواه أحمد في المسند (213/6 رقم 3687)، وأبو داود في سننه، كتاب الطب، باب في الطيرة (148/4 رقم 3910)، والترمذي في سننه، كتاب السير، باب ما جاء في الطيرة (ص 380 رقم 1614) وقال: $حسن صحيح#، ورواه أيضاً الحاكم في المستدرك (17/1-18) وصححه، وابن حبان في صحيحه (491/13 رقم 6122 -الإحسان). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (791/1 رقم 429).

(2) فيض القدير (294/4).

(3) انظر: جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة (ص 578).

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف بالتطير

التطير أو التشاؤم -كما سبق أن بيناه في المطلب الأول- هو: التشاؤم بمرئي، أو مسموع، أو معلوم، وأثر في صاحبها إقداماً أو إحجاماً.
وقد تنوعت صور التطير أو التشاؤم وكثرت في إندونيسيا، وفيما يلي أذكر أمثلة من الانحرافات الواقعة في هذا الباب:
المثال الأول: التشاؤم برقم $13#، يزعم بعض الناس أن هذا الرقم مما يأتي بالسوء والمكروه؛ ومن ثم ابتعد بعض لا عبي الكرة عن لبس فانلة تحمل هذا الرقم، ويبتعد بعض التجار عن استخدام محل تجاري يحمل هذا الرقم، ويبتعد بعض الناس عن إقامة أي برنامج يومَ $13# من كل شهر. بل يسري هذا التشاؤم حتى إلى بعض المتعلمين؛ ومن ذلك ما شاهدته بأم عيني لما كنت متنقلا ً بالطائرة بين جزر إندونيسيا -من أجل الدراسة الميدانية-، رأيت عدداً من شركات الطيران يحذفون رقم (13) من مقاعد الطائرة!!. ومن تلك الشركات: شركة Batavia (بَتَفِيَا) للطيران، وشركة Lion (لايَنْ) للطيران، وشركة Mandala (مَنْدَلا َ) للطيران.
المثال الثاني: التشاؤم بربط المنشفة حول العنق لزوج المرأة الحامل قبل أو بعد دخول الحمام -وهو عادة إندونيسية-؛ وأن من يفعل ذلك فإنه سيسبب -بزعمهم- ربط حبل السرة للجنين الذي في بطن أمه[1].
المثال الثالث: تشاؤم بعض الناس بجلوس البكر في عتبة باب البيت؛ وأن من يفعل ذلك من الأبكار فإن ذلك سيسبب -بزعمهم- تأخر زواجها وصعوبة حصولها على زوج. وقد شاع هذا الاعتقاد في عدة جزر منها: سُوْلَوِيْسِيْ، وكَلِيْمَنْتَنْ، وجَاوَا، وسُوْمَطْرَا[2].
المثال الرابع: تطير الناس بالغربان، يقولون إذا رأينا الغراب يتحلق في السماء فهذا علامة وفاة أحد من أهل القرية أو أحد من أهل المدينة. وقد كنت معتقداً لهذا الشيء لما كنت صغيراً –وهو منتشر في المدينة التي نشأت فيها وهي: مدينة Banyumas (بَنْيُوْمَسْ) بجَاوَا الوسطى، حتى هداني الله لدعوة التوحيد، ولله الحمد والمنة. وشاع مثل هذا التطير عند بعض سكان مدينة Jombang (جُوْمْبَنْج) بجَاوَا الشرقية، إلا أنهم يعتقدون ذلك في البومة.
المثال الخامس: تطير الناس بن-زول الرذاذ من السماء إذا نزل مع بزوغ الشمس. فبعض أهل مدينة Jombang (جُوْمْبَنْج) بجَاوَا الشرقية يزعمون أن هذا النوع من الرذاذ يدل على أن هناك من الشياطين من يلد ابناً. أما بعض السكان الأصليين لمدينة Jakarta (جَاكَرْتَا) فيزعمون أن هذا

(1) انظر: مجلة Ghoib (غَيْبْ)، العدد 18، عام 1425 هـ / 2004 م (ص 56).
(2) انظر: المرجع السابق، العدد 16، عام 1425 هـ / 2004 م (ص 56).

النوع من الرذاذ دال على وجود وفاة[1].

المثال السادس: تشاؤم بعض سكان مدينة Wonogiri (وُوْنُوْكِيْرِي) بجاَوَا الوسطى بولادة المولود مع آذان المغرب؛ فيزعمون أن هذه علامة على أن هذا المولود سيموت بهجوم الأسد عليه. فمن أجل اتقاء ذلك الشر لا بد من إقامة طقوس يسمونها Ruwatan (رُوَتَنْ)؛ وهي عبارة عن تطهير الإ نسان من ذرات الشر الموجودة فيه لكي لا تصيبه الأقدار السيئة -بزعمهم-[2].

وبجانب إقامة هذه الطقوس؛ يزعمون أنه لابد من غسل حبل سرة المولود قبل دفنه، ولابد من خلطه بالتمر الهندي، والسكر الأحمر، وقلم الرصاص، والمصاص وأدوات أخرى. ثم يدفن بجانب باب البيت. ولم يكتفوا بهذا، بل لابد من حراسة هذا المُدْفَن مدةَ أربعين ليلة!

ويشبه هذا الاعتقاد ما شاع عند بعض سكان مدينة Pacitan (فَتْجِيْتَنْ) بجاَوَا الشرقية[3].

المثال السابع: تطير بعض الناس من تقبيل يد الصبي؛ يزعمون أن هذا يؤدي إلى أن يجعله سَوّالا ً إذا كبُر. ومن ثم منعوا من تقبيل يد الصبي، وإن كان ولابد من تقبيله، فتُقبّل المواطن الأخرى من جسده؛ كالخدين مثلا ً[4].

المثال الثامن: تطير بعض سكان مدينة Cirebon (تشِيْرِيْبُوْنْ) بجاَوَا الغربية، من حال الوفاة إذا كانت في يوم السبت؛ فيزعمون أن هذا يؤدي إلى حال وفاة أخرى لأحد أقارب ذلك المتوفى أو أحد جيرانه[5].

المثال التاسع: التشاؤم بيوم ميلاد الابن إن كان مساوياً ليوم ميلاد الوالدين؛ فيزعمون أن هذا التساوي سيؤدي إلى نشأة التشاجر والتباغض في تلك الأسرة! فما الحل إذا؟ يقولون: هذا الصبي لابد أن يرمى، حتى إذا طال بكاؤه، يأخذه أي واحد -غير والديه- يمر به، ثم يربيه في بيته. وبعد أن يمضي أيام، يأتي والدا ذلك الصبي إلى بيت الواجد ثم يشترى ابنه منه!

(1) انظر: مجلة Ghoib (غَيْبْ)، العدد 43، تاريخ 20 جمادى الأولى 1426 هـ / 27 يونيو 2005 م (ص 56).

(2) سيأتي الكلام الموسع على هذه الطقوس وبيان مدى انحرافها عن التوحيد، وذلك في مبحث $بعض الأمور غير الشرعية التي تفعل لجلب نفع ودفع ضر# (ص 857-858، 862-864).

(3) انظر: مجلة Ghoib (غَيْبْ)، العدد 42، تاريخ 6 جمادى الأولى 1426هـ / 13 يونيو 2005 م (ص 56).

(4) انظر: المرجع السابق، العدد 34، تاريخ 12 محرم 1426 هـ / 21 فبراير 2005 م (ص 56).

(5) انظر: المرجع السابق، العدد 36، تاريخ 11 صفر 1426 هـ / 21 مارس 2005 م (ص 56).

وبهذا سيذهب ذلك الشر الذي يتوقعون حصوله بسبب التساوي في يوم الميلاد بين الابن ووالديه! وقد انتشر هذا الاعتقاد لدى كثير من سكان جزيرة جَاوَا، والله المستعان.. [1].

المثال العاشر: تشاؤم بعض سكان مدينة Semarang (سِيمَرَنْجْ) بجَاوَا الوسطى بأكل البنت البكر لجناح الدجاج، يزعمون أن ذلك يؤدي إلى أن يذهب بها زوجها -لاحقاً- إلى مكان بعيد عن بيتها الأصلي[2].

(1) انظر: مجلة Ghoib (غَيْبْ)، العدد 40، تاريخ 7 ربيع الثاني 1426 هـ / 16 مايو 2005 م (ص 56).

(2) انظر: المرجع السابق، العدد 27، تاريخ 18 رمضان 1425 هـ / 1 نوفمبر 2004 م (ص 56).

المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر[1]

الشؤم والطيرة من الأمور التي نفاها الإسلام وأبطلها ونهى عنها ح أمته، وأخبر بعدم نفعها وتأثيرها في جلب نفع أو دفع ضر.
كما أخبر ح أن الاعتقاد بأنها تنفع أو تضر، والعمل بمقتضاها، شرك ب الله ؛ إذ أن صاحبها قد جعل لها أثراً في الفعل والإيجاد، واعتقد بأن لفلان أو للشيء الفلاني دوراً في جلب نفع أو دفع ضر.
ولا شك أن ذلك يتعارض مع الإيمان بالقدر والمكتوب على العباد. فلذلك حذر الإسلام منها، وأرشد إلى أن كل شيء إنما هو بيد الله تبارك وتعالى. قال مبينا ذلك: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢﭼالأعراف: ١٣١.
جاء في تفسير الجلالين: $ﭽﭙ ﭚ ﭛﭼ شؤمهم ﭽﭜ ﭝﭼ يأتيهم به ﭽﭞ ﭟ ﭠﭼ أن ما يصيبهم من عنده#[2].
وقد تنوعت الأحاديث النبوية في التحذير من هذا الانحراف، أورد منها ها هنا ما تيسر لي:
أولا ً: إخباره ح بعدم كون المتطير على طريقتنا الإسلامية:
عن عمران بن حصين[3] ط قال: قال رسول الله ح: $ليس منا من تطير أو تطير له#[4].
ثانياً: إخباره ح بأن التطير من الشرك:
عن ابن مسعود ط أن النبي ح قال: $الطيرة شرك، الطيرة شرك ثلا ثاً#[5].
والحديث صريح في إثبات شركية الطيرة[6]، وقد ردده النبي ح ليبين عظم خطره على الأمة.

---

(1) نقلا ً عن مظاهر الانحراف في توحيد العبادة لدى بعض مسلمي أوغندا (ص 108-123) بتصرف وزيادة واختصار.
(2) تفسير الجلالين (ص 166).
(3) هو: عمران بن حُصين بن عبيد بن خلف الخزاعي أبو نجيد (ت 52 هـ)، أسلم عام خيبر وصحب رسول الله ح وكان فاضلا ً. انظر: التقريب (رقم 5185).
(4) رواه البزار في مسنده (52/9 رقم 3578)، والطبراني في الكبير (162/18 رقم 355) واللفظ للبزار. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (117/5): $رجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة#، وذكر المنذري في الترغيب والترهيب (1111/3 رقم 4384) بأن إسناده جيد، ووافقه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد (ص 51). وقال الشيخ الألباني في غاية المرام (ص 183رقم 300): $حسن لغيره#، وصححه بشواهده في السلسلة الصحيحة (228/5 رقم 2195).
(5) مضى تخريجه في (ص 192).
(6) انظر: فتح الباري (213/10)، وشرح النووي على صحيح مسلم (439/14).

والمراد بالشرك هنا: الشرك الأصغر[1]، إلا إذا اعتقد أن ما تطير به يجلب نفعاً أو يدفع ضراً، أو اعتقد أن التأثير في الأمر الذي خرج لأجله موكول إلى ما تطير به، من دون الله؛ فحينئذ يكون شركاً أكبر منافياً لأصل التوحيد[2]، والله أعلم.

وإنما عُدّت الطيرة من الشرك المنافي لكمال التوحيد لا المنافي لأصله؛ لأن الغالب على الواقعين في هذا الداء من المسلمين عدم الاعتقاد الكفري الذي يوجب جعل تطيرهم ضرباً من ضروب الشرك الأكبر؛ لِما أن الغالب عليهم عدم اعتقاد تأثير ما تطيروا به، بحيث يستقلّ بالتدبير أو يكون شريكاً مع الله فيه، كما أنهم لا يصرفون لما تطيروا به أيّ ضَرْب من ضروب العبادة[3].

فالطيرة إنما كانت شركاً منافياً لكمال التوحيد لأمور منها:

1. إن المتطير قطع توكله على الله تعالى، واعتمد على غيره.
2. إن المتطير علق قلبه بأمر لا حقيقة له، وهذا وتخويف الشيطان ووسوسته.
3. إن الطيرة من أمر الجاهلية، وما ذكرها الله تعالى إلا عن أعدائه، وقد نهى الإسلام عن التشبه بالكفار.
4. في الطيرة سوء ظن بالله تعالى، وذلك أنه إذا سمع أو شاهد ما يتطير به وقع في قلبه أنه أريد به شرّ، وذلك غاية سوء الظن برب العالمين[4].

ثالثاً: نهيه ح لأمته عن اعتماد الطيرة:

عن معاوية بن الحكم[5] ط أنه قال: $يا رسول الله، أموراً كنا نصنعها

(1) انظر: تعظيم قدر الصلاة (527/2)، والنهاية في غريب الحديث (467/2).
(2) انظر: فيض القدير (294/4 عند ح5352). وانظر أيضاً لهذا التفصيل في حكم التطير: شرح السنة للبغوي (170/12)، والتمهيد (195/24)، وشرح النووي لصحيح مسلم (392/14)، ومفتاح دار السعادة (280/3 وما بعدها)، وفتح الباري (213/10)، وتيسير العزيز الحميد (ص 364)، وفتح المجيد (ص 379)، والنبذة الشريفة النفيسة للشيخ حمد ابن معمر (ص 69-70)، والدين الخالص (142/2-143)، والقول السديد (ص 192)، والقول المفيد على كتاب التوحيد (93/2-94).
(3) جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة (ص 574).
(4) انظر للتوسع: مفتاح دار السعادة (279/3-وما بعدها)، وفتح الباري (215/10)، وتيسير العزيز الحميد (ص 348-366)، والقول السديد (ص 192-193)، وأقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان، لعبد العزيز بن عبد الله المبدل (761/2 - الحاشية).
(5) هو: معاوية بن الحكم السلمي، صحابي نزل المدينة. انظر: التقريب (رقم 6801).

في الجاهلية، كنا نأتي الكهان#، قال: $فلا تأتوا الكهان#، قال: $كنا نتطير# ، قال: $ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه، فلا يصدنكم#[1].

أي: إن ذلك شيء يقع في نفوسكم في العادة، ولكن لا تلتفتوا إليه ولا ترجعوا عما كنتم عزمتم عليه قبله[2]، إذ أن ذلك مجرد وساوس شيطانية وظنون وتخيلات يجدها المرء في نفسه من غير أن يكون لها ضرر ولا تأثير في مجريات الأمور.

قال الإمام البغوي :: $إن ذلك شيء يوجد في النفوس من البشرية[3]، وما يعتري الإنسان من قبل الظنون من غير أن يكون له تأثير من جهة الطباع أو يكون فيه ضرر#[4].

رابعاً: إخباره ح بعدم تأثير الطيرة:

عن أبي هريرة ط قال: سمعت رسول الله ح يقول: $لا طيرة، وخيرها الفأل# قالوا: $وما الفأل؟# قال: $الكلمة الصالحة يَسمعها أحدُكم#[5].

يثبت الحديث أنه لا معنى للطيرة، حيث إن الأمور تجري بقدرة الله [6]، وأبطل ح أن يكون لشيئ منها تأثير في اجتلاب نفع أو ضر. وأخبر ح عن حسن الفأل وحقيقته، وأنه: كلمة حسنة يسمعها الشخص، فيتفاءل بها ويتأولها على المعنى الذي يطابق حاله[7]. وسيأتي مزيد بيان عن الفأل، في نهاية هذا المطلب[8]، إن شاء الله تعالى...

خامسا: إخباره ح بكفارة الطيرة، وما ينبغي قوله لمن وقع في نفسه شيء من ذلك:

عن عبد الله بن عمرو[9] م قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: $من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك# قالوا: يا رسول الله، ما

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان (1748/4 رقم 2227).

(2) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (443/14).

(3) لعله يريد: بسبب كونها نفوساً بشرية ضعيفة، أي بالطبيعة البشرية، والله أعلم.

(4) شرح السنة (181/12).

(5) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الفأل (214/10 رقم 5755 - الفتح)، ومسلم في صحيحه،كتاب السلام، باب في الطيرة (1745/4 رقم 2223).

(6) انظر:شرح السنة للبغوي (170/12)، وبهجة النفوس وتحليلها بمعرفة ما لها وما عليها - شرح لمختصر صحيح البخاري المسمى $جمع النهاية في بدء الخير و الغاية# كلاهما لابن أبي جمرة الأندلسي (131/4).

(7) انظر: معالم السنن (235/4).

(8) انظر: (ص 201-202).

(9) هو: عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي (ت 63 هـ)، أحد السابقين المكثرين من الصحابة، وأحد العبادلة الفقهاء. انظر: التقريب (رقم 3523).

كفارة ذلك؟ قال: $أن يقول أحدهم: اللهم لا خير الا خيرك ولا طير الا طيرك ولا إله غيرك#[1].

فالحديث يحذرنا أولا ً من ولوج باب الشرك، وذلك أن من تشاءم بشيء فرجع عن مقصده وامتنع عن الإقدام على ما عزم عليه فقد أشرك، إذ علق قلبه بغير الله ونبذ التوكل عليه، وهذا مما يعكر عليه صفو إيمانه، ويؤدي إلى خسارة دنياه وآخرته، لذلك كان كفارة ذلك، أن يذكر هذا الذكر، ويمضي متوكلا ً على الله [2].

وبعد ذكر الأدلة التي تصرح بالنهي عن التطير والتشاؤم، يحسن بي أن أذكر أموراً يُعالجَ بها التطير والشاؤم:

أولهـا: أن نعلم أن ما سيقع في المستقبل أمر اختص الله بعلمه، فلا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل، إلا بإذنه . قال تعالى: ﭽ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﭼالجن: 26-٢٧.

فإذا كان خيرة الخلق لا يعلمونه، فبقية المخلوقات كالحيوانات و الطيور والجمادات من باب الأولى، فهي لا تعلم الظاهر المرئي، فكيف بـ الغائب المخفي؟!

ثانيـاً: أن نعلم أن الحيوانات والطيور تتحرك تحركاً عادياً إما خوفاً ممن تراه أو ذهاباً إلى رزق تبحث عنه، أو بحثاً عن مكان تأوي إليه، وهذه هي دوافعها للحركة والسير، فهي كسائر مخلوقات الله لا تعلم الغيب، ولا يتصور منها أن تخبر إنساناً بما سيكون له، ولا بأمر خفي عليه، ومن ادعى ذلك من البشر فقد جاء بالكذب المكشوف.

ثالثـاً: أن نعلم أن ربط الإنسان أموره بحيوانات عجم أو طيور خرس أو أعداد بكم، وهو الإنسان العاقل المكرم من رب العزة والجلال؛ فإن ذلك حط من كرامته وإنقاص من قيمته. فالتطير والتشاؤم بمخلوقات الله تعالى التي لا حول لها ولا قوة، لا يقدم ولا يؤخر، ولا يغير شيئاً من المقادير، وليس له دخل فيما يصيب الإنسان من خير أو شر، يكفي أن يكون هذا الا عتقاد برهاناً على هبوط العقل البشري وانحطاطه عندما يضعف إيمانه ب الله ، ويقل علمه بالقدر، الأمر الذي يجعله موضعاً لتلاعب الشيطان حتى يبعده نهائياً عن الله . والله المستعان...

رابعـاً: أن نعلم أن الأحداث الكونية -سواء كانت متعلقة بالإنسان أم

---

(1) رواه أحمد في مسنده (623/11 رقم 7045)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (105/5): $رواه أحمد والطبراني، وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات#. وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (53/3 رقم 1065)، وحسنه محققوا المسند.

(2) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص 365).

بغيره من المخلوقات- إن ذلك من فعل الله وحده، وتقديره، لا يشركه فيه أحد غيره . قال تعالى: ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼالحديد: ٢٢، وقال جل في علاه: ﭽ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﭼ النساء: ٧٨.

فالاعتقاد بأن ذلك من فعل الله وحده، وأن الأمور بيد الله ، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ركن ركين في عقيدة المسلم، ومن اعتقد أن أحداً يشارك الله في خلقه أو ملكه أو فعله؛ فقد نقض إيمانه. قال تعالى: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﭼ المؤمنون: 88-٨٩.

وقال تعالى: ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼالحديد: ٢.

يقول الحافظ ابن كثير :: $أي هو المالك المتصرف في خلقه، فيحيي ويميت ويعطي من يشاء ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ أي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن#(١).

خامساً: أن ندعو بالدعاء أو الذكر الذي أرشد إليه رسولنا ح، وهو أن نقول: $اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك#(2)، أي لا أحد يجلب الخير إلا الله . $ولا طير إلا طيرك# لا يصيبك شيء إلا بإذن الله وقدره ومشيئته، وبسبب ذنوبك. $ولا إله غيرك# لا معبود بحق سواك، وهذا اعتراف بالتوحيد ونفي الشرك(3).

سادساً: أن نمضي في حاجاتنا التي أردناها، ولا نرجع عنها بسبب الطيرة، كما تقدم عند ذكر حديث معاوية بن الحكم ط(4).

وأما إذا أحجمنا عن المضي بسبب هذه الطيرة، فقد وقعنا في الشرك.

عن عبد الله بن عمرو م قال: قال رسول الله ح: $من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك#(5).

فإذا وقع في قلبنا شيء من الشؤم، ولم نلتفت إليه فعزمنا على المضي، ثم حدثت لنا بعض المصائب، فهنا علينا أن نتذكر أن ذلك من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته لنا في محاولته القضاء على عزمنا. فحينئذ يجب علينا أن نصبر ونسلم أمرنا إلى مدبر الأمور، فهذا أضمن لتجنب أخطار الشرك والطيرة، التي يزينها الشيطان لأصحابها، حسب ما سولته لهم أنفسهم.

قال أبو عبد الله القرطبي: $ولا شيء أضر بالرأي ولا أفسد للتدبير من

---

(1) تفسير ابن كثير (5/8).
(2) مضى تخريجه في الصفحة السابقة.
(3) إعانة المستفيد (14/2-15).
(4) أنظر: (ص 198).
(5) مضى تخريجه في (ص 199).

اعتقاد الطيرة#[1].

سابعا ً: التفاؤل بالأشياء، لأن النبي ح كان يحب الفأل الحسن[2]، إذ أنه من حسن الظن بالله . قال الحافظ ابن حجر : نقلا ً عن الحليمي :: $وإنما كان النبي ح يعجبه الفأل؛ لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال#[3].

ولقد دلت بعض الأحاديث على أن الفأل من جملة الطيرة إلا أنه مستثنى من المنع[4].

ومن تلك الأحاديث: قول النبي ح: $لا طيرة، وخيرها الفأل# قالوا: $وما الفأل؟# قال: $الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم#[5]. وما روي عنه ح: $أصدق الطيرة الفأل، والعين حق#[6].

فالفأل كما فسره النبي ح هو: $الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم#.

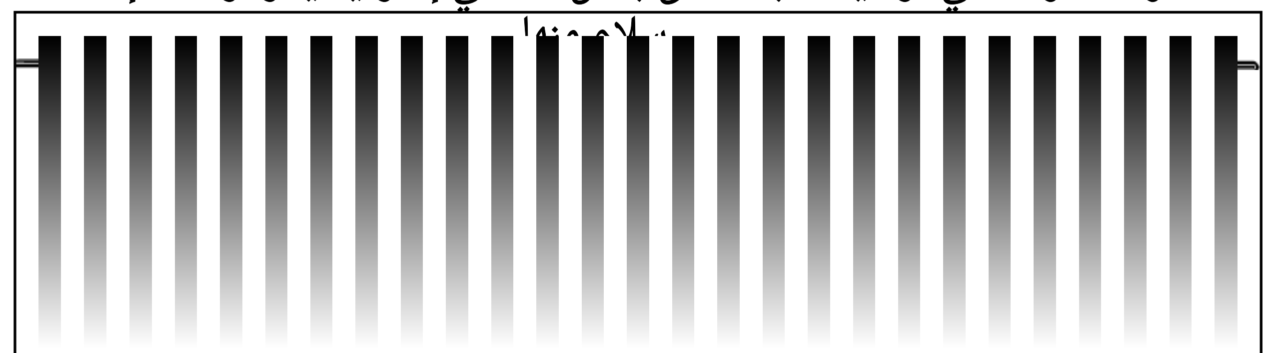
أما الفرق بينه وبين الطيرة، فقد بينه الحافظ ابن حجر في مقدمة $الفتح# بقوله: $قال أهل المعاني: الفأل فيما يحسن وفيما يسوء، والطيرة فيما يسوء فقط. وقال بعضهم: الفأل فيما يحسن فقط، والفأل ما وقع من غير قصد، بخلاف الطيرة#[7]، ونقل في $الفتح# نحو هذا الكلام عن النووي : ثم قال: $وكأن ذلك بحسب الواقع، وأما الشرع فخص الطيرة بما يسوء، والفأل بما يسر، ومن شرطه: أن لا يقصد إليه فيصير من الطيرة#[8].

ثامنا: -وهو الأصل-: أن نتوكل على الله ، وأنه لا يأتي بالخير ولا يدفع الشر إلا هو ، وهو الذي يأتي بالخير ويدفع الشر، وهو الذي يضر وينفع، وهو الذي يتصرف في الكون، فإذا توكلنا على الله فإن الطيرة لا تضر[9].

بهذا، قد انتهيت من مباحث الفصل الثاني الذي هو: $مظاهر الا نحراف في التوحيد المتعلقة بالقلب في إندونيسيا#، ويليه: الفصل الثالث

(1) تفسير القرطبي (181/16).
(2) قال ح: $لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح، الكلمة الطيبة# رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الفأل (214/10 رقم 5756)._
(3) فتح الباري (215/10).
(4) انظر: المصدر نفسه (214/10)._
(5) مضى تخريجه في (ص 198)._
(6) رواه أحمد في مسنده (265/13 رقم 7883) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (1248/2 رقم 7503).
(7) هدي الساري (ص 283)._
(8) فتح الباري (215/10)._
(9) إعانة المستفيد (14/2)._

الذي هو: $مظاهر الانحراف في التوحيد المتعلقة باللسان في إندونيسيا#، فأسأل الله تعالى الإعانة والتوفيق...



الفصل الثالث: مظاهر الانحراف فى التوحيد المتعلقة باللسان فى إندونيسيا

ويتكون من ثمانية مباحث:
المبحث الأول: الدعاء والاستعانة والاستغاثة والاستعاذة
المبحث الثاني: النذر
المبحث الثالث: التوسل
المبحث الرابع: الشفاعة
المبحث الخامس: الغلو في المدح
المبحث السادس: الرقى
المبحث السابع: التعبيد لغير الله في الأسماء

المبحث الأول: الدعاء والاستعانة والاستغاثة والاستعاذة

وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: معنى الدعاء والاستعانة والاستغاثة والاستعاذة وأنواعها
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في الدعاء والاستعانة والاستغاثة والا
ستعاذة
المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

المطلب الأول: معنى الدعاء والاستعانة والاستغاثة والاستعاذة وأنواعها

وفيه أربعة فروع: الفرع الأول: يتضمن الكلام على معنى الدعاء وأنواعه. وأما الفروع الثلاثة الأخرى فتتضمن ذكرَ بعض المصطلحات التي لها تعلق بمصطلح الدعاء، واشتراك معه في المفهوم أو الدلالة على معناه. ومن تلك المصطلحات: الاستعانة، والاستغاثة، والاستعاذة. وفيما يلي تفصيل تلكم الفروع:

الفرع الأول: معنى الدعاء وأنواعه:

- معنى الدعاء:

أصل الكلمة: الدعاء مشتق من أصل لغوي ثلاثي هو $دَعَوَ#[1].

تصريفها: الدعاء على وزن $فُعَال#، وهو مصدر سماعي للفعل دَعَا يَدْعُو، من باب نَصَرَ، أبدلت فيه الواو همزة، وهكذا شأنها، ومن المصادر دَعْوٌ ودِعوة ودعوى[2].

معناها في اللغة: لكلمة الدعاء عدة معان، منها:

1. الطلب والسؤال، يقال: دعا له، طلب له الخير[3].
2. العبادة[4]، منها قول الله تعالى: ﭼ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ الأنعام: 71، أي: أنعبد[5].

وللدعاء معان أخرى -غير متعلق بموضوع بحثي- ذكرها أهل اللغة وأصحاب الوجوه والنظائر[6].

معنى الدعاء شرعاً: $التوجه إلى الله وقصده والرغبة إليه بالسـؤال في فعل خير أو دفع شر وإظهـار الافتقار والخضوع والتذلل إليه، يصاحب كل ذلك الحب والرجاء والخوف والطمع#[7].

قال الخطابي :: $ومعنى الدعاء: استدعاء العبد ربه عز وجل العناية واستمداده إياه المعونة، وحقيقته إظهار الافتقار إليه والتبرؤ من الحول و

---

(1) مقاييس اللغة (2/279).
(2) انظر: معجم الأفعال المتعدية بحرف (ص 100)، ومعجم تصريف الأفعال العربية (ص 141).
(3) انظر: الصحاح (6/2336-2337)، ولسان العرب (4/359-363)، ومقاييس اللغة (2/279-280)، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف (ص 100-101).
(4) الوجوه والنظائر للدامغاني (1/335)، ونزهة الأعين النواظر لابن الجوزي (ص 293)، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي (2/16)، وبصائر ذوي التمييز (2/601).
(5) الوجوه والنظائر للدامغاني (1/335).
(6) انظر: المراجع السابقة.
(7) المصطلحات المستعملة في توحيد الألوهية عند السلف (ص 287). وانظر: الدعاء ومنـزلته (1/48) وقال صاحب الكتاب: $الرغبة إلى الله تعالى والتوجه إليه، في تحقيق المطلوب، أو دفع المكروه، والابتهال إليه في ذلك، إما بالسؤال، أو بالخضوع والتذلل، والرجاء والخوف والطمع#.

القوة، وهو سمة العبودية واستشعار الذلة البشرية#[1].

وقد جمع : بين تلفظ الداعي بالسؤال، وبين الحال القلبية التي يجب أن يكون عليها الداعي[2].

- أنواع الدعاء:

الدعاء باعتبار معناه ينقسم إلى قسمين:

1. دعاء عبادة وثناء.
2. دعاء مسألة وطلب[3].

وإليكم بيان كل نوع من هذين القسمين[4]:

الأول: دعاء عبادة، ومعناه: الطلب والمسألة بامتثال الأمر واجتناب النهي. مثاله: الصوم، والصلاة، وغير ذلك من العبادات، فإذا صلى الإنسان أو صام؛ فقد دعا ربه بلسان الحال أن يغفر له، وأن يجيره من عذابه، وأن يعطيه من نواله، وهذا في أصل الصلاة، كما أنها تتضمن الدعاء بلسان المقال. ويدل لهذا القسم قوله تعالى: ﭽ ﭏ ﭐ ﭑ ﭒ ﭓﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼغافر: 60؛ فجعل الدعاء عبادة. عن السدي[5] :: ﭽ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼ قال: $عن دعائي#[6].

وهذا القسم إذا صُرِف شيء منه لغير الله فإنه يكون شركاً، فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله فقد كفر كفراً مخرجاً له عن الملة، فلو ركع لإ نسان أو سجد لشيء يعظمه كتعظيم الله في هذا الركوع أو السجود؛ لكان مشركاً[7]، ولهذا منع النبي ح من الانحناء عند الملاقاة؛ لما سئل ح عن

---

(1) شأن الدعاء (ص 4).

(2) وفي ذلك رد على بعض المتصوفة؛ الذين يرون أن معرفة الله بحال العبد تغني عن سؤاله وطلبه. ولهم في ذلك المقولة المشهورة $علمه بحالي يغني عن سؤالي# وجهلوا أن ذلك من أعظم العبادات والمحبوبات لله تعالى.

(3) مجموع فتاوى ابن تيمية (237/10-238)، وبدائع الفوائد (835/3). وانظر: تفسير الطبري (226/3-227)، ومعاني القرآن للزجاج (255/1)، ولسان العرب (359/4)، وفتح الباري لابن رجب الحنبلي (20/1)، والدعاء ومنـزلته (107/1 وما بعدها).

(4) القول المفيد على كتاب التوحيد (120/1-121) بتصرف يسير، وانظر نفس المصدر (159/1-160، 261)، وفتح المنان (ص443)، وغاية الأماني في الرد على النبهاني لمحمود شكري الألوسي (332/2، 335، 337)، وجهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (1397/3-1398).

(5) هو: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السُدِّي، أبو محمد الكوفي (ت127هـ) ، صدوق يهم، ورمي بالتشيع. انظر: التقريب (رقم 467).

(6) تفسير الطبري (354/20).

(7) سيأتي الكلام الموسع عن حكم السجود والركوع لغير الله في (ص 705-721).

الرجل يلقى أخاه أينحني له؟ قال: $لا#[1]، ونهي معاذَ بن جبل ط عن السجود له ح لما قدم من الشام، وقال ح: $لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللهِ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا#[2].

الثاني: دعاء المسألة، وهو: المسألة والطلب بالصيغة القولية. فهذا إن صرف لغير الله لا يكون شركاً على الإطلاق، بل فيه تفصيل، فإن كان المخلوق قادراً على ذلك؛ فليس بشرك؛ كقولك: اسقني ماء لمن يستطيع ذلك. قال ح: $من سألكم بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه#[3]، وقال تعالى: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪﭼ النساء: 8. فإذا مد الفقير يده، وقال: ارزقني، أي: أعطني؛ فهذا ليس شركاً، كما قال تعالى: ﭽ ﭨ ﭩﭼ، وأما إن دعا المخلوق بما لا يقدر عليه إلا الله؛ فإن هذا شرك مخرج عن الملة. مثال ذلك: أن تدعو إنساناً أن ين-زل الغيث معتقداً أنه قادر على ذلك، أو تدعو مقبوراً أن يرزقك ولداً.

والمراد بقول الرسول ح: $من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار#[4]، المراد: الند في العبادة، أما الند في المسألة؛ ففيه التفصيل السابق.

الفرع الثاني: معنى الاستعانة وأنواعها:

- معنى الاستعانة:

أصل الكلمة: الاستعانة مشتقة من أصل لغوي ثلاثي هو $عَوَنَ#[5].

تصريفها: الاستعانة إما على وزن $اسْتِفَالة# أو $اسْتِفْعَلَة#، وتصريف الكلمة: $اسْتَعانَ-يَسْتَعِيْن-اسْتِعَانَة#. والأصل الثلاثي هو $عان# وأصله من $عَوَن-يعُون-عوناً#[6].

معناها لغة: لها عدة معان في اللغة، منها:

1. الظهير على الأمر، يقال له: العَوْن، ورجل مِعْوان: أي كثير المعونة للناس.
2. النّصَف في سنّها من كل شيء، يقال: بقرة عَوَان: أي لا فارض مسنّة ، ولا بكر صغيرة.

---

(1) سيأتي تخريجه في (ص 716).
(2) سيأتي تخريجه في (ص 714-715).
(3) رواه أحمد في المسند (266/9 رقم 5365)، والحاكم في المستدرك (412/1) وصححه، وصححه كذلك الحافظ ابن حجر في تخريج الأذكار، كما في الفتوحات الربانية (250/5).
(4) رواه البخاري في صحيحه،كتاب التفسير، باب ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﭼ (176/8 رقم 4497 -الفتح).
(5) انظر: معجم تصريف الأفعال العربية (ص 138-139).
(6) انظر: تصريف الأسماء (ص 51، 59، 60)، والمغني في تصريف الأفعال (ص 148)، ولسان العرب (484/9)، ومعجم تصريف الأفعال العربية (ص 138-139).

ويظهر أن المعنى الشرعي مشتق من العَوْن، والسين والتاء للطلب، فـ المعنى إذاً طلب العون وهو الظهير، قال البيضاوي[1] :: $والاستعانة طلب المعونة#[2].

معناها شرعاً: هي $طلب ما يتمكن به العبد من الفعل، ويوجب اليسر عليه#[3].

أو يقال: $هي الاعتماد على الله تعالى مع الثقة به#[4].

وهذا التعريف الأخير يشتمل على أمرين أساسيين للاستعانة الشرعية، وهما ركنا التعريف؛ لأن الاستعانة الشرعية تتضمن أصلين، كما قال ابن القيم :: $الثقة بالله، والإعتماد عليه. فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس ولا يعتمد عليه في أموره -مع ثقته به- لإستغنائه عنه، وقد يعتمد عليه -مع عدم ثقته به- لحاجته إليه، ولعدم من يقوم مقامه، فيحتاج إلى اعتماده عليه، مع أنه غير واثق به#[5].

وقال المقريزي :: $فإن قيل ما حقيقة الاستعانة عملا ً؟ قلنا: هي التي يعبر عنها بالتوكل، وهي حالة للقلب تنشأ عن معرفة الله تعالى وتفردة بالخلق والأمر والتدبير والضُرّ والنفع، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فتوجب اعتماداً عليه وتفويضاً إليه وثقة به#[6].

وقال السعدي :: $والاستعانة هي الاعتماد على الله في جلب المنافع، ودفع المضار، مع الثقة به في تحصيل ذلك#[7].

---

(1) هو: ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي الشافعي (ت 685 هـ)، اشتهر كتابه المنهاج في أصول الفقه، وتفسيره أنوار التن-زيل. انظر: طبقات السبكي (8/157-158)، وشذرات الذهب (5/392-393).
(2) تفسير البيضاوي (ص 4).
(3) روح المعاني (1/84 –ط. المنيرية).
(4) هذا التعريف مأخوذ من كلام ابن القيم الآتي.
(5) مدارج السالكين (1/75).
(6) تجريد التوحيد المفيد (ص 77).
(7) تفسير السعدي (ص 22).

أما العلاقة بين الدعاء والاستعانة[1]: فتتبين من التعريف الشرعي للا ستعانة؛ إذ أن الاستعانة ودعاء المسألة مترادفان[2]، فلهذا كثيراً ما يعبر عن دعاء المسألة بالاستعانة.

أما إذا نظرنا إلى الدعاء بنوعيه -المسألة والدعاء-، تكون النسبة بينهما العموم والخصوص المطلق؛ لأن الدعاء أعم مطلقاً، لكن ذكر شيخ الإسلام : في الفرق بين التوكل والاستعانة، أن $التوكل يتناول التوكل عليه ليعينه على فعل ما أمر والتوكل عليه ليعطيه مالا يقدر العبد عليه. فالاستعانه تكون على الأعمال، وأما التوكل فأعم من ذلك ويكون التوكل عليه لجلب المنفعة ودفع المضرة#[3]. وعلى هذا فالدعاء أعم؛ لأنه مثل التوكل تماماً، و الله أعلم.

- **أقسام الاستعانة**

تنقسم الاستعانة -باعتبار المستعان به- إلى قسمين:

1. الاستعانة بالله.
2. الاستعانة بالمخلوق.

وتوضيح ذلك كالتالي:

أولا: الاستعانة بالله، وهي كما سبق في التعريف الشرعي للاستعانة: $طلب العون من الله مع ملازمة القلب لحال التوكل على الله جل وعلا، فهي مشتملة على قول اللسان وعمل القلب، فلا تصح الاستعانة باللسان بدون عمل القلب، وجماع عمله التوكل على الله تعالى#. فهذه من أعظم العبادات التي يتقرب بها العبد إلى الله سبحانه.

قال تعالى: ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ الفاتحة: 5. وقال النبي ح: $إذا استعنت فاستعن بالله#[4].

ثانياً: الاستعانة بالمخلوق، وهي على نوعين:

النوع الأول: الاستعانة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله ، فهذه شرك أكبر، لأنها صرف العبادة لغير الله .

النوع الثاني: الاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه المخلوق، كاستعانة ا لإنسان بغيره في أمر من الأمور المقدورة لديه ليعين عليه؛ فهذه جائزة، كما

---

(1) انظر: تفسير السعدي (ص 22).
(2) انظر: الدعاء ومنزلته (86/1).
(3) مجموع الفتاوى (177/8).
(4) رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ح (ص 566-567 رقم 2516) وقال: $حديث حسن صحيح#، وأحمد في المسند (409/4 رقم 2669)، والحاكم في المستدرك (541/3-542) وقال: $هذا حديث كبير عال#، وصححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح (1409/3 رقم 5302).

قال الله تعالى عن ذي القرنين: ﭽﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ الكهف: 95.

الفرع الثالث: معنى الاستغاثة وأنواعها:

- معنى الاستغاثة:

أصل الكلمة: الاستغاثة مشتقة من أصل لغوي ثلاثي هو $غَوَثَ#[1].

تصريفها: الاستغاثة إما على وزن $اسْتِفَالَة# أو $اسْتِفْعَلَة#، وتصريف الكلمة: $اسْتَغَاثَ-يَسْتَغِيْث-اسْتِغَاثة#[2].

معناها لغة: لمادة غَوَثَ عدد من المعاني وهي:

- النصرة والإعانة، يقال: استغثته: طلبت الغوث، فأغاثني.
- المطر، يقال: واستغثته: طلبت الغَيْث، فغاثني.

والمعنى الأول هو الأقرب، وعلى هذا فمعنى الاستغاثة إذاً: طلب النصرة والإعانة، لأن السين والتاء للطلب[3].

معناها شرعاً: هي $طلب العبد من ربه النصرة والعون في كشف الضر، وإزالة الكرب، مع التجائه واضطراره وتوجه قلبه لربه، وملازمته لحالي الإ نابة والتوكل#[4].

قال ابن تيمية :: $والاستغاثة طلب الغوث، وهو إزالة الشدة#[5].

وفي $تاج العروس#[6]: $الاستغاثة: طلب الغوث؛ وهو التخليص من الشدة والنقمة والعون على الفكاك من الشدائد#.

قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-: $والاستغاثة طلب الغوث، ولا تكون إلا في وقت الشدة، وأما الدعاء فهو عام في وقت الشدة وفي غيرها#[7].

ومن هنا تظهر **العلاقة بين الدعاء والاستغاثة**: أن الاستغاثة خاصة بما إذا كان المطلوب رفع الشدة الواقعة، وأما الدعاء فيشمل ما إذا كان المطلوب حصول منفعة أو دفع شدة، كما أنه يشمل طلب منع الشدة التي لم تقع ويشمل أوقات الشدة والرخاء، فهو أعم. فعلى هذا $فبينهما عموم

---

(1) مقاييس اللغة (400/4)، ولسان العرب (139/10)._
(2) انظر: تصريف الأسماء (ص 51، 59، 60)، ولسان العرب (139/10)، والاشتقاق لابن دريد (ص 96، 153)، ومعجم تصريف الأفعال العربية (ص 138، 368)، و المعجم الوسيط (ص 665).
(3) انظر معنى هذه الكلمة في: الصحاح (289/1)، ولسان العرب (139/10)، ومفردات ألفاظ القرآن (ص617)، والنهاية في غريب الحديث (392/3).
(4) المصطلحات المستعملة في توحيد الألوهية عند السلف (ص 268).
(5) مجموع الفتاوى (103/1)، وانظر: تلخيص كتاب الاستغاثة (185/1، 196).
(6) (314/5).
(7) إعانة المستفيد (193/1).

وخصوص مطلق؛ يجتمعان في مادة، وينفرد الدعاء عنها في مادة، فكل استغاثة دعاء، وليس كل دعاء استغاثة#[1].

- **أقسام الاستغاثة:**

يمكن تقسيم الاستغاثة إلى قسمين:

1. الاستغاثة بالله.
2. الاستغاثة بالمخلوق.

وتوضيح ذلك كالتالي:

أولا: الاستغاثة بالله، وهي كما سبق في التعريف الشرعي للاستغاثة: $طلب العبد من ربه النصرة والعون في كشف الضر، وإزالة الكرب، مع التجائه واضطراره وتوجه قلبه لربه، وملازمته لحالي الإنابة والتوكل#. فهذه من أعظم العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه سبحانه.

قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ الأنفال: 9. ومن دعاء النبي ح: $يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث#[2].

ثانياً: الاستغاثة بالمخلوق، وهي على نوعين[3]:

النوع الأول: الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله ، فهذه شرك أكبر، لأنها صرف العبادة لغير الله .

وضابط كون الاستغاثة شركاً أكبر هو: أن يستغيث الإنسان بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، وأما من ضبطها من أهل العلم بقولهم: تكون شركاً أكبر، إذا استغاث بالمخلوق فيما لا يقدر عليه ذلك المخلوق، فإن هذا يَرِد عليه: أن ثمّت أشياء قد يكون المخلوق في ظاهر الأمر قادراً عليها، ولكنه في الحقيقة لا يقدر عليها، إذن هذا الضابط غير منضبط؛ لأن من وقع في شدة، كغرق -مثلا ً- وتوجّه لرجل يراه بأن يغيثه فقال مخاطباً إياه: (أستغيث بك، أستغيث بك، أستغيث بك!) وذاك لا يحسن السباحة، ولا يحسن الإنجاء من الغرق، فهذا يكون قد استغاث بالمخلوق فيما لا يقدر عليه المخلوق، فهل يكون شركاً أكبر؟! الجواب: لا يكون شركاً، لأن الإغاثة من الغرق ونحوه، يصلح -في الغالب- أن يكون المخلوق قادراً عليها، فيكون الضابط الأول هو الصحيح، وهو أن يقال: الاستغاثة بغير الله شرك أكبر إذا

---

(1) الدين الخالص (270/2) وانظر: الدعاء ومن-زلته (90/1).

(2) رواه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات (ص 800 رقم 3524) عن أنس بن مالك ط، وأخرجه الحاكم في المستدرك (509/1) عن ابن مسعود ط، وقال: $صحيح ا لإسناد ولم يخرجاه#، وأورده السيوطي في الجامع الصغير (ص 422 رقم 6809 -ط. دار الكتب العلمية) ورمز لصحته، وقال الشيخ الألباني في صحيح الجامع (868/2 رقم 4777): $حديث حسن#.

(3) انظر: إعانة المستفيد (193/1)، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص 178-179)، وانظر: تلخيص كتاب الاستغاثة (472/2).

كان قد استغاث به فيما لا يقدر عليه إلا الله، أما إذا استغاث به فيما يقدر عليه غير الله من المخلوقين، ولكن هذا المخلوق المعين لم يقدر على هذا الشيء المعين: فإنه لا يكون شركاً؛ لأنه لم يعتقد في المخلوق شيئاً لا يصلح إلا لله .

فالاستغاثة بغير الله إذا كانت فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهي: شرك أكبر.

النوع الثاني: الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه المخلوق، كاستغاثة الإنسان بغيره في الحرب ليساعده ويناصره على عدوه؛ فهذه جائزة، كما قال الله تعالى عن موسى ؛: ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ القصص: 15.

الفرع الرابع: معنى الاستعاذة وأنواعها:

- معنى الاستعاذة:

أصل الكلمة: الاستعاذة مشتقة من أصل لغوي ثلاثي هو $عَوَذَ#[1].

تصريفها: الاستعاذة إما على وزن $اسْتِفَالَة# أو $اسْتِفْعَلَة#، وتصريف الكلمة: $اسْتَعَاذَ-يَسْتَعِيْذ-اسْتِعَادَة#. والأصل الثلاثي هو $عاذ# وأصله من $عَوَذ-يعُوْذ-عوذاً وعياذا#[2].

معناها لغة: من معاني مادة $عَوَذَ# اللغوية:

1. الاعتصام والالتجاء، يقال: عاذ به يعوذ عوذاً، إذا لجأ إليه واعتصم ولاذ به.
2. ما لصق من اللحم بالعظم ولزمه فلم يتخلص منه، يقال له: العُوّذ.

وقد تجتمع هذه المعاني في معنى الالتجاء إلى الشيء وملازمته، ولذا يقول ابن فارس :: $العين والواو والذال أصل صحيح يدل على معنى واحد وهو الالتجاء إلى الشيء، ثم يحمل عليه كل شيء لصق بشيء أو لازمه#[3].

وهذه المعاني لها علاقة وارتباط بالمعنى الشرعي؛ فإن العائذ معتصم وملتجئ بغيره، وأما معنى اللصوق والملازمة؛ فإن العائذ قد استمسك بالمستعاذ به واعتصم به ولزمه، فصار كالملاصق به.

معناها شرعاً: هي $الاعتصام والالتجاء إلى الله في دفع المكروه والشرور#[4].

قال ابن كثير :: $هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شر كل

---

(1) مقاييس اللغة (183/4).
(2) انظر: تصريف الأسماء (ص 51، 59، 60)، والمغني في تصريف الأفعال (ص 142)، ومعجم تصريف الأفعال العربية (ص 368).
(3) مقاييس اللغة (183/4).
(4) إعانة المستفيد (186/1).

ذي شر، والعياذة تكون لدفع الشر، واللياذ يكون لطلب جلب الخير#[1].
وعرفها الماوردي :: هي $استدفاع الأذى بالأعلى من[2] وجه الخضوع والتذلل#[3].
وبين ابن القيم : حقيقتها بقوله: $وحقيقة معناها: الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه#[4].
والحاصل أن الاستعاذة تحصل بفعل اللسان، بأن يتلفظ المسلم بها، ولكنها لا تكون نافعة ما لم يقارنها عمل القلب، من الافتقار إليه سبحانه، والا عتصام به، واعتقاد كفايته وتمام حمايته من كل شيء حاضر أو مستقبل، صغير أو كبير، بشر أو بغير بشر[5]، فهي عبادة لسانية تكتمل بالحالة القلبية التي يكون عليها قلب الإنسان، ولذا يقول المناوي :: $وليستعذ بـالله: بجمع همة، وحضور قلب، وصفاء باطن، وصحة توجه، فلا يكفي إمرار الاستعاذة بـ اللسان كما أشار إليه بعض الأعيان#[6].
أما **العلاقة بين الاستعاذة والدعاء**: فالاستعاذة خاصة بما إذا كان المطلوب منع الشدة، أو رفعها، وذلك أن المستعاذ منه إذا كان يخاف وقوعه في المستقبل فإنه يطلب منعه، نحو: أعوذ بـالله من عذاب جهنم أو عذاب القبر. وإن كان حاضراً فإنه يطلب رفعه، نحو ما ورد في الحديث: $أعوذ بـ الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر#[7]. فمن هنا يعلم أن الاستعاذة خاصة بدفع الضرر الحاصل أو المتوقع، وأما الدعاء فإنه يعم ما كان لمنع الشدة ورفعها، كما أنه يعم ما كان يعم لحصول منفعة وطلب خير[8].
فتبين بهذا، أن بينهما عموم وخصوص مطلق؛ فالدعاء أعم مطلقاً، والا ستعاذة نوع من أنواع الدعاء، وقسم من أقسامه[9].

- **أقسام الاستعاذة:**

يمكن تقسيم الاستعاذة إلى قسمين:

1- الاستعاذة بـالله.

---

(1) تفسير ابن كثير (114/1).
(2) هكذا في المطبوع، ولعل الصواب: $على وجه الخضوع والتذلل#، والله أعلم.
(3) النكت والعيون تفسير الماوردي (213/3)، وقال في موضع آخر من تفسيره (41/1): $وفي الاستعاذة وجهان: أحدهما الاستجارة بذي منعة، والثاني: أنها الا ستعانة عن خضوع#.
(4) بدائع الفوائد (703/2).
(5) شرح ثلاثة الأصول للشيخ ابن عثيمين (ص 59).
(6) فيض القدير (349/1 تحت حديث 619).
(7) سيأتي تخريجه في (ص 637).
(8) انظر: الاستغاثة في الرد على البكري (ص 296-297).
(9) الدعاء ومنـزلته (88/1).

2- الاستعاذة بالمخلوق.
وتوضيح ذلك كالتالي:
أولا: الاستعاذة بالله، وهي كما سبق في التعريف الشرعي للاستعاذة: $الاعتصام والالتجاء إلى الله في دفع المكروه والشرور#. وقد أمر الله سبحانه عباده بالاستعاذة به في كثير من الآيات القرآنية، فهي إذاً من أجلّ العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه جل وعلا.
قال تعالى آمراً عباده: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ الأعراف: 200. وبين سبحانه في آية أخرى خطورة الاستعاذة بغيره: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ الجن: 6.
ثانياً: الاستعاذة بالمخلوق، وهي على نوعين[1]:
النوع الأول: الاستعاذة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله ، كالاستعاذة بأصحاب القبور، سواء كان ذلك عند قبورهم أو بعيداً عنهم؛ فهذه شرك أكبر، لأنها صرف العبادة لغير الله . وفي هذا يقول الخطابي :: $والاستعاذة بالمخلوق شرك مناف لتوحيد الخالق؛ لما فيه من تعطيل معاملته تعالى الواجبة له على عبيده#[2].
ويقول أبو عبد الله القرطبي :: $ولا خفاء أن الاستعاذة بالجن دون الاستعاذة بالله كفر وشرك#[3].
النوع الثاني: الاستعاذة بالمخلوق فيما يقدر عليه المخلوق، كما إذا اعترضك قطّاع طريق، فعذت بإنسان يستطيع أن يخلصك منهم؛ فلا شيء فيه. وهذا هو مقتضى الأحاديث الواردة في $صحيح مسلم# لما ذكر النبي ح الفتن، قال: $فمن وجد ملجأً أو معاذاً فليستعذ#[4]. وكذلك قصة المرأة التي عاذت بأم سلمة ك[5]، والغلام الذي عاذ بالنبي ح[6]، وكذلك قصة الذين يستعيذون بالحرم والكعبة[7] ، وما أشبه ذلك.

(1) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (255-256/1)، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص 169-170).
(2) نقله السويدي في العقد الثمين (ص225) عن جهود الشافعية (ص 450).
(3) تفسير القرطبي (284/21-285).
(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (612/6 رقم 3601 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر (2212/4 رقم 1659) واللفظ له.
(5) رواها مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب حد السرقة (1316/3 رقم 1689).
(6) رواه مسلم في بعض ألفاظه، كتاب الأيمان، باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده (1281/3 رقم 1659).
(7) رواها مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت

ولكن مع ذلك كله، لابد من التنبيه هنا على أن هذه الاستعاذة الجائزة لا تكون شركاً ما لم تُعلِق قلبَك ورجاءك وخوفك وجميع أمورك بذلك المخلوق وتجعله ملجأ، أما إذا وجّهت قلبَك وسكينتك، واضطرارك، وحاجتك إلى هذا المستعاذ به، واعتصامك بهذا المستعاذ به، وتفويض أمر نجاتك إليه؛ فقد وقعت في الشرك.

إذاً نستطيع أن نقول -كما سبق بيانه في المعنى الشرعي للاستعاذة- ونخلص بنتيجة: أن الاستعاذة فيها عمل ظاهر، وفيها عمل باطن، فالعمل الظاهر أن يطلب العوذ، وأن يطلب العياذ، وهو أن يُعصم من هذا الشر، أو أن ينجو منه، وفيها أيضاً عمل باطن، وهو: توجه القلب وسكينته، واضطراره، وحاجته إلى هذا المستعاذ به، واعتصامه بهذا المستعاذ به، وتفويض أمر نجاته إليه.

فإذا كانت الاستعاذة تجمع هذين النوعين فيصح أن يُقال: إن الا ستعاذة لا تصلح إلا بالله، لأن منهما ما هو عمل قلبي وهو -بالإجماع- لا يصلح التوجه به إلا لله. وإن قصد بالاستعاذة العمل الظاهر فقط وهو طلب العياذ والملجأ، فيجوز أن يتوجه بها إلى المخلوق -إن كان قادراً على ذلك-، وعلى هذا يحمل الدليل الوارد في جوازها[1]، والله تعالى أعلى وأعلم.

(2209/4 رقم 2882).

(1) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص 169-170).

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف فى الدعاء والاستعانة والاستغاثة والا ستعاذة

فيما يلي أذكر نماذج من صور انحراف بعض مسلمي إندونيسيا في باب الدعاء والاستعانة والاستغاثة والاستعاذة:

- من أمثلة الانحراف في باب الدعاء:

المثال الأول: قصيدة شركية -فيها دعاء لأصحاب القبور- وُجِدت في معظم الأضرحة المعظمة التي زرتها، وهي لا تقل عن عشرين ضريحا؛ كضريح السلطان محمود بدر الدين في مدينة Palembang (فَلِيْمْبَنْجْ) بسُوْمَطْرَا الشمالية، وضريح سُوْنَنْ مُوْرِيَا بمدينة Kudus (قَدُسْ) بجَاوَا الوسطى، وضريح سونان أمبيل بمدينة Surabaya (سُوْرَبَيَا) بجَاوَا الشرقية، وضريح محمد زيني بن عبد الغني البنجري في مدينة Martapura (مَرْتَبُوْرَا) بكلِيْمَنْتَنْ الجنوبية، وضريح محمد أرشد البنجري في Kalampayan (كلَمْبَيَنْ) بكلِيْمَنْتَنْ الجنوبية، وضريح أوتوه أموت في Babirik (بَبِيْرِيْكْ) بكلِيْمَنْتَنْ الجنوبية، وفي هذا الضريح الأخير توجد لائحة بالأمر بقراءة هذه القصيدة قبل أن يجلس الزائر أمام القبر، والله المستعان.

ونص القصيدة كالآتي:

سلام الله يا سادة	*	من الرحمن يغشاكم
عباد الله جئناكم	*	قصدناكم طلبناكم
تغيثونا تعينونا	*	بهمتكم وجدواكم
فأحيونا وأعطونا	*	عطاياكم هداياكم
فلا خيبتموا ظني	*	فحاشاكم وحاشاكم
سعدنا إذ أتيناكم	*	وفُزْنا حين زرناكم
فقوموا واشفعوا فينا	*	إلى الرحمن مولاكم
عسى تُحظى عسى تُعطى	*	مزايا من مزاياكم
عسى نظرَة عسى رحمة	*	فتغشانا وتغشاكم
سلام الله حياكم	*	وعين الله ترعاكم
وصلى الله مولانا	*	وسلَّم ما أتيناكم
على المختار شافعنا	*	ومنقذنا وإياكم(1)

في هذه القصائد صرف كثير من أنواع العبادات -ومنها الدعاء- لغير الله كما لا يخفى على كل مُوَحِّد، فإلى الله المشتكى...

(1) Petunjuk Praktis Ziarah Wali Songo (البيان الموجز لزيارة الأولياء التسعة) لبخاري دحلان (ص 70-71)، و Manaqib Datu Sanggul, Dilengkapi Tata Krama Ziarah Kubur (مناقب داتو سانجول، ومعها آداب زيارة القبور)، تأليف فريق بمطبعة صحابة (ص 86).

وقد رأى أحدُ التائبين مِن الأعمال الشركية بعينيه -في قبر أمام مسجد بمدينة Pasuruan (فَسُوْرُوَنْ) بجَاوَا الشرقية- أحدَ الحبائب يتلو هذه القصائد الشركية[1].

المثال الثاني: ما صرّح به لي سدنةُ ضريح عبد الوهاب ركان الخالدي النقشبندي في Besilam (بِيْسِيْلَا مْ) سُوْمَطْرَا الشمالية في يوم السبت، 18 رجب 1427 / 12 أغسطس 2006 من أن كثيراً من زوار هذا الضريح ما زالوا يطلبون حوائجهم من صاحب الضريح لا من الله تعالى.

المثال الثالث: ما سمعته بأذناي قبل ست سنين تقريباً. فقد مرضت في ذاك الوقت حتى مكثت عدة أيام في مستشفى مدينة Banyumas (بَنْيُوْمَسْ) بجَاوَا الوسطى. وكنت أسكن في غرفة ذات سريرين، وعلى السرير الثاني رجل في سن الكهولة، يقوم بشؤونه زوجه. فذات يوم، لما اشتد المرض على ذلك الرجل وبدأ يئنُّ، سلّته زوجه ولقّنَته بكلمة: $يا الله، يا رسول الله#!.

المثال الرابع: ما صرّح به أحد كبار الدعاة إلى البدع في إندونيسيا، عندما ذكر أمثلة للتوسل الجائز، قال: $ثانياً: أن نزور النبي ح في حياته أو بعد مماته، ثم ندعو هناك، ونرجو أن يدعو الله َ لنا النبيُّ محمد ح. وهذا ما يسمى بالتوسل بالحي أو الميت في الدعاء#[2].

المثال الخامس: ما يسميه أحد المخالفين بـ$قصيدة تقرأ عند الا نصراف من الضريح#:

$يا آل طه عليكم حملتي حُسبت * إن الضعيف على الأجواد محمولُ

وجئتكم بانكسار نحوَ حيّكم * أرجو القبول فقولوا أنت مقبولُ

كم من كثير أتاكم يرتجي مددًا * نال المنى وانقضت عنه الأقاويلُ#[3].

المثال السادس: ما يقوله زعيم طقوس Labuhan (لَبُوْهَنْ) بشاطئ بحر Parangkusumo (فَرَنْجْ كُوْسُوْمُوْ) من دعاء Nyi Roro Kidul (إِنْجَائِيْ رَارَا كِيْدُوْلْ) ملكة البحر الجنوبي -بزعمهم-، وهذا نص دعائه:

---

(1) انظر: Mantan Kyai NU Menggugat Sholawat dan Dzikir Syirik (أحد علماء جمعية نهضة العلماء سابقاً، ينكر الصلوات والأذكار الشركية)، لمحروس علي (ص 7-11).

(2) I'tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة)، تأليف سراج الدين عباس (ص 326).

(3) Tuntunan Ziarah Wali Songo (كيفية زيارة الأولياء التسعة) لعبد المهيمن (ص 48-49).

"Kawulo nuwun Gusti Kanjeng Ratu Kidul, kawulo nyaosaken labuhanipun wayah dalem ingkang siniwun kanjeng selatan ingkang kaping … Ing Ngayogyakarta Hadiningrat.

Wayah dalem nuwun pangestu dalem sange ipun sila dalem panjenenganipun yuswa dalem. Leluhuripun keprabon dalem, wilujengipun nagari dalem ing Ngayogyakarta Hadiningrat".

$أستأذن من سماحتكِ لأقدم لابوهان لحفيدكِ: السلطان المكرم … بيوغياكرتا. وحفيدكِ يرجو رضاكِ من أجل سلامة السلطان، وطول عمره، ورخاء مملكته، وسلامة دولته التي بيوغياكرتا#[1].

- من أمثلة الانحراف في باب الاستعانة:

المثال الأول: ما ذُكِر في مناقب أحد الذين يُعتَقد فيه أنه من الأولياء:

$ثامناً: ذات يوم ركب رجل البحرَ مُتّجهاً إلى مدينة Bagan Siapi-api (بَكَنْ سِيْأَفِي أَفِي) من مدينة Tanjung Balai (تَنْجُونْجْ بَلَيْ). فلما اقترب إلى الشاطئ انخرقت السفينة وكادت أن تغرق، فاستعان بالشيخ عبد الوهاب الذي كان حينئذ في قرية باب السلام؛ فنجت السفينة حتى وصلت إلى الشاطئ، ولم يخسر الرجل شيئاً.

يُحكى أن في ذلك الوقت كان الشيخ عبد الوهاب -في غرفته بقرية باب السلام- رُئِي وهو يرفع وعاءه الخشبي مرارا، كالذي يجتهد في إفراغ الماء من السفينة#[2].

المثال الثاني: ما ذُكر في فيلم بعنوان Bidadari (الحور العين)، من الحث -عن طريق غير مباشر- على الاستعانة بالجنّـيّة إذا كنا في ضائقة[3].

المثال الثالث: ما ذكر في فيلم بعنوان Putri duyung (حورية البحر) من الحث -عن طريق غير المباشر- على الاستعانة بحورية البحر إذا كنا في ضائقة[4].

المثال الرابع: ما ذُكر في فيلم بعنوان Gadis Korek Api (فتاة علبةِ الكبريت)، من الحث -عن طريق غير المباشر- على الاستعانة بالكبريت إذا كنا في ضائقة[5].

---

(1) Upacara Tradisional Labuhan Keraton Yogyakarta (طقوس تقليدية لا بوهان بمملكة يوغياكرتا) لسري سومرسيه وآخرين (ص 56)، نقلا ً عن $نظرية كوسمولغيا عن حفلة لابوهان بممبكة يوغياكرتا في البحر الجنوبي# إعداد فوزي رحمن (ص 27-28).

(2) Syekh Abdul Wahab, Tuan Guru Babussalam (الشيخ عبد الوهاب، شيخ باب السلام)، تأليف أحمد فؤاد سعيد (ص 155).

(3) انظر مقالة بعنوان Kemusyrikan di Televisi (الشركيات في برامج التلفزيون)، كتبها فيفين واردانا، نُشِرت في موقع Dudung.net.

(4) انظر المرجع السابق.

(5) انظر مقالة بعنوان Ngakunya Sinetron Islami (يدّعون أنها أفلام إسلامية).

المثال الخامس: ما سبق ذكره من القصيدة الشركية التي عُلِّقت في عدة أضرحة بإندونيسيا[1]، ومن أبياتها:

عباد الله جئناكم * قصدناكم طلبناكم
تغيثونا تعينونا * بهمتكم وجدواكم

المثال السادس: ما جاء في إجازة أعطاها أحد مرشدي الطريقة الصوفية لمريده: $الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، ضاقت حيلتي، أدركني يا رسول الله#. يقول أحد الأحباب: $إن هذا النوع من الصلوات مستجابة عند الله، فمن قرأها وهو في ضيق، فإن الله سيفرج عنه عاجلاً #. وسئل مدير أحد المعاهد الإسلامية بمدينة Malang (مَلَنْجْ) عن الكلمات السابقة فقال: $ليست بشرك، فاعمل بها!#[2].

المثال السابع: ما في نهاية كتاب $مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني[3]# وهو كتاب تكثر قراءته بالطريقة الجماعية في قرى جزيرة جَاوَا:

$يا أيتها الأرواح المقدسة، يا ختم، يا قطب، يا إمامان، يا أوتاد، يا أبدال، يا رقباء، يا نُجباء، يا نقباء، يا أهل الغيرة، يا أهل الأخلاق، يا أهل السلامة، يا أهل العلم، يا أهل البسط، يا أهل الجنان والعطف، يا أهل الضّيفان، يا أيها الشخص الجامع، يا أهل الأنفاس، يا أهل الغيب منكم والشهادة، يا أهل القوة والعزم، يا أهل الهيبة والجلال، يا أهل الفتح، يا أهل معارج العُلى، يا أهل النفْس، يا أهل الإمداد، يا أهل صلصلة الجرس، يا قطب القاهر، يا قطب الرقائق، يا قطب سقيط الرفرف ابن ساقط العرش، يا أهل الغنى بالله، يا قطب الخشية، يا أهل عين التحكيم والزوائد، يا أهل البُدلاء، يا أهل الجهات الست، يا مُلامتية، يا فقراء، يا صوفية، يا عُبّاد، يا زهاد، يا رجال الماء، يا أفراد، يا أُمَناء، يا قُرّاء، يا أحباب، يا أجلاء، يا محدِّثون، يا سمراء، يا ورثة الظالم لنفسه منكم، والمقتصد والسابق بالخيرات، أيها الأرواح الطاهرة من رجال الغيب والشهادة - كونوا عوناً لنا في نجاح الطلبات، وتيسير المرادات، وإنهاض العزمات، وتأمين الروعات، وستر العورات، وقضاء الديون، وتحقيق الظنون، وإزالة الحجُب الغياهب، وحسن الخواتم والعواقب،

كتبها إيميل، نُشِرت في موقع Pesantren UGM.

(1) انظر نص القصيدة بكاملها في (ص 216-217).

(2) انظر: Mantan Kyai NU Menggugat Sholawat dan Dzikir Syirik (أحد علماء جمعية نهضة العلماء سابقاً، ينكر الصلوات والأذكار الشركية) (ص 59-61).

(3) هو: عبد القادر بن موسى بن عبد الله الكيلاني أو الجيلاني الحنبلي (471-561 هـ)، عالم صوفي تنسب إليه الطريقة القادرية، دخل بغداد فسمع الحديث وتفقه، له: الفتح الرباني والفيض الرحماني، والغنية لطالبي طريق الحق وغيرهما. انظر: و السير (439/20)، والأعلام (47/4).

وكشف الكروب، وغفران الذنوب#[1].

وسيأتي الكشف عن الانحرافات الموجودة في هذا الكتاب أكثر في مبحث الغلو في المدح إن شاء الله ...

- من أمثلة الانحراف في باب الاستغاثة:

المثال الأول: ما سبق ذكرها من القصيدة الشركية التي عُلِقت في عدة أضرحة بإندونيسيا[2]، ومن أبياتها:

عباد الله جئناكم * قصدناكم طلبناكم
تغيثونا تعينونا * بهمتكم وجدواكم

المثال الثاني: قول أحد الشباب المؤيدين للبدع والمنظّرين لها في هذا الزمان في إندونيسيا: $الاستغاثة بالأموات. لعلنا سمعنا أو نظرنا أحداً زار قبر رجل صالح من أولياء الله، فقال: "يا شيخ فلان، أدع لنا كي نكون من المسلمين الجادين المربين لأبنائهم تربية حسنة"، وأمثال هذا. والسؤال: هل هذا يجوز فعله؟ وهل هذا من الاستغاثة [يعني: الشرعية]؟. أخي، الجملة التي مثلنا بها سابقاً من الاستغاثة بالأموات، وهذا النوع من الاستغاثة أذِنَ بها الشرع، لأنه لا فرق بين الاستغاثة بالأحياء وبين الاستغاثة بالأموات#[3]!

المثال الثالث: ما سمعته من القرص المدمج (سي دي) الذي عُنون بـ Kompilasi Sya'ir Maulid (مجموعة أشعار المولد)، في الغناء رقم (7) بعنوان $عباد الله#، حيث تضمن بعض أبياته إستغاثةً بغير الله من الأولياء والصالحين.

وهذا نص القصيدة كاملة:

عبـاد الله رجـال الله * أغيثـونـا لأجـل الله
وكـونـوا عـونـا لله * عسـى نحظى بفضل الله
على الكـافي صـلاة الله * على الشـافي سـلام الله
بمـحيى الديـن * مـن البـلواء يـا

---

(1) النور البرهاني في ترجمة الجين الداني في ذكر نبذة من مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي عنه ربه الغني المغني، لأبي لطف الحكيم مصلح بن عبد الرحمن المراقي (ص 108-113).

(2) انظر نص القصيدة بكاملها في (ص 216-217).

(3) Mana Dalilnya, Seputar Permasalahan Ziarah Kubur, Tawassul, Tahlil (أين الدليل؟ مسائل حول زيارة القبور، التوسل، التهليل)، تأليف نوفل بن محمد العيدروس (ص 131).

خلصن ـا ... اللّه
وي ـا أقطاب وي ـا أنجاب ... وي ـا سادات ويا أحباب
وأنتم ي ـا أولي الأ لب ـاب ... تع ـال ـوا وانص ـروا لله
س ـألن ـاكم س ـألن ـاكم ... ولل ـزّلفى رج ـون ـاكم
وفي أم ـر قص ـدن ـاك ـم ... فش ـُدّوا ع ـزمَك ـم لله
في ـا ربي بس ـادات ـي ... ت ـح ـقق لي إش ـاراتي
عس ـى ت ـأتي بش ـاراتي ... ويص ـف ـو وقتن ـا لله
بكش ـف الحجب عن عيني ... ورفع الب ـين من ب ـيني
وطم ـس الكي ـف و الأين ... بن ـور الوج ـه ي ـا اللّه
ص ـلاة اللّه مولان ـا ... على من باله ـدى ج ـانا
وم ـن ب ـالحق أولا ن ـا ... ش ـفيع الخلق عند اللّه[1]

كما أن هذه الأناشيد يقرأها كثيراً أتباعُ الطريقة القادرية، والطريقة النقشبندية. وبعض الناس يقرؤونه أسبوعياً بعد صلاة مغرب يوم الجمعة[2].

المثال الرابع: ما ذُكِر في إحدى مجلات الصوفية: $يجوز الاستغاثة بـ الأموات، كأن يقول زائر قبر ولي: "يا الشيخ الفلاني، ادع اللّه أن يجعلني مسلماً صالحاً مربّياً لأبنائي تربية حسنة"#[3].

المثال الخامس: ما في بعض أشرطة الأناشيد المنتشرة في أنحاء إندونيسيا:

---

(1) Tuntunan Ziarah Wali Songo (كيفية زيارة الأولياء التسعة) (ص 43-47).
(2) انظر: Mantan Kyai NU Menggugat Sholawat dan Dzikir Syirik (أحد علماء جمعية نهضة العلماء سابقاً، ينكر الصلوات والأذكار الشركية) (ص 54).
(3) مجلة Alkisah (القصة)، العدد 16، تاريخ 1-14 أغسطس 2005 م (ص 37).

يا إمام الرُسْلِ يا سَنَدي	أنت باب الله معتَمَدي
فبِدُنْيَايَ وآخرتي	يا رسول الله خُذْ بيَدي
سيِّد السادات من مُضَرْ	غوث أهل البدْو و الحضَرْ.[1]

- من أمثلة الانحراف في باب الاستعاذة:

المثال الأول: ما في بعض أبيات البردة[2] -التي انتشرت قراءتها في مناسبات شتى[3] في أوساط المجتمع الإندونيسي- مِن استغاثة واستجارة واستعانة برسول الله ح، ومن تلك الأبيات الشركية:

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته	لكل هول من الأهوال مقتحم
ما سامني الدهر ضيماً واستجرت به	إلا ونلت جواراً منه لم يَضُمِ
ومن تكن برسول الله نصرته	إن تلقه الأ ُسْد في أجامها تجِم
يا أكرم الخلق ما لي مَن ألوذ به	سواك عند حلول الحادث العمَمِ[4]

المثال الثاني: ما سمعته والدتي ليلة الإثنين، 16 من يوليو 2006 م، من أن أحد الفنانين المتخصصين في لعب الدمية، قبل بدء الاستعراض قال: $أيتها أرواح أجداد سكان قرية Kedungwuluh (كِيْدُوْنْجُوْوُلُوْهْ) إني وسائر إخواني نستعيذ بكم#.

(1) Mantan Kyai NU Menggugat Sholawat dan Dzikir Syirik (أحد علماء جمعية نهضة العلماء سابقاً، ينكر الصلوات والأذكار الشركية) (ص 127، 129).

(2) سأفرد رداً خاصاً على ما تضمنته أبيات البردة من شركيات وبدع في مبحث الغلو في المدح (ص 529-531، 537 وما بعدها).

(3) ومن تلك المناسبات: بدعة حفل توديع الحجاج قبل ذهابهم إلى أرض الحرمين الشريفين. انظر: Mantan Kyai NU Menggugat Sholawat dan Dzikir Syirik (أحد علماء جمعية نهضة العلماء سابقاً، ينكر الصلوات والأذكار الشركية) (ص 44).

(4) قصيدة البردة، ضمن مجموعة الموالد (ص 136، 142، 150، 152)، وانظر: Mantan Kyai NU Menggugat Sholawat dan Dzikir Syirik (أحد علماء جمعية نهضة العلماء سابقاً، ينكر الصلوات والأذكار الشركية) (ص 39، 43).

المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

مراتب الدعاء غير المشروع[1]:

إن الدعاء والاستعانة والاستغاثة والاستعاذة غير المشروعة تتفاوت مراتبها ودرجاتها، فليست كلها على مرتبة واحدة، فمنها ما هو في أعلى مراتب الشرك يخرج صاحبها من الملة، ومنها ما هو قريب من ذلك، ومنها ما هو بدعة.

ولابد من بيان كل مرتبة على حدة، حتى تتميز تلك المراتب بعضها عن بعض ولا يحصل التداخل بينها، فيحصل لَبْسٌ وشبهة لبعض الناس الذين لا يميزون بين تلك المراتب، فيظنونها مرتبة واحدة.

ومن هنا صار هذا البيان أمراً ضرورياً؛ لأن الإنسان ربما يقع في مرتبة من تلك المراتب فيظنها معصية صغيرة، بينما هي في الحقيقة كفر محض وشرك واضح، بل قد يظن بعض المسلمين ما هو من الشرك الواضح قربةً وطاعة وعبادة. وذلك لغلبة الجهل بضروريات الإسلام وأساسه الذي هو كلمة الإخلاص وما تقتضيه وما يناقضها أو يناقض كمالها.

ثم إن هذه المراتب قد تدرج الشيطان في تزيينها لابن آدم؛ فيزين له أخفّها وأسهلها أولا ً، ثم ينقله إلى درجة أخرى حتى يصل به إلى مرتبة متناهية في البعد عن الإسلام، فيخرجه عن الملة الحنيفية السمحة إلى ملة الكفر والشرك. وذلك أن الشيطان -بكيده الخفي- يُحَسّن أولا ً الدعاء عند القبر وأنه أرجح منه في بيته ومسجده، فإذا تقرر هذا عنده نقله إلى درجة أخرى من الدعاء عنده إلى الدعاء به والإقسام على الله به، ثم إذا تقرر هذا عنده نقله إلى دعائه نفسه، ثم ينقله إلى أن يتخذ قبره وثناً، يعكف عليه ويسجد له ويطوف به، وحتى يرى الصلاة إليه أفضل من الصلاة إلى القبلة، ويقول: هذه قبلة الخواص، والكعبة قبلة العوام، ثم ينقله حتى يعتقد أن الزيارة إليه أفضل من حج البيت مرات متعددة، ثم ينقله إلى دعاء الناس إلى عبادته، واتخاذه عيداً ومنسكاً[2].

وسأذكر هذه المراتب بالإجمال، وهي كالآتي:

1. سؤال الميت حاجة.
2. سؤال الحي الغائب.
3. سؤال الحي الحاضر ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى.
4. سؤال غير الله تعالى مع الله تعالى بالعطف والمشاركة.
5. سؤال غير الله بنية الشفاعة.

---

(1) نقلا عن الدعاء ومنـزلته (516-483/2) بتصرف وزيادة واختصار.
(2) انظر: إغاثة اللهفان (396/1، 398)، وقاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص 316)، ومنهاج السنة (440-439/2).

6. سؤال الميت أن يدعو الله له.
7. سؤال الحي الغائب أن يدعو الله له.
8. سؤال الله تعالى بغير أسمائه الحسنى وصفاته العليا.
9. سؤال الله تعالى عند قبر نبي، أو ولي، أو من يعتقد أنه نبي أو ولي.

ويليها تفصيل ما سبق:

المرتبة الأولى[1]:

وهي أن يسأل الميت حاجة أو يستغيث به فيها:

وذلك بأن يسأل الميت تفريح الكربات، ونيل المرادات، والحصول على الطلبات، والوصول إلى الرغبات، مثل أن يسأله أن يزيل مرضه، أو مرض ابنه، أو يقضي دينه، أو يعطي له منصباً، أو يُنَجّح ابنه في الاختبارات، أو يرزق له ولداً، أو ييسر له التجارة وحصول الأرباح، أو غير ذلك.

كأن يقول أحدهم: يا أيها الولي الفلاني أغثني، أو أستغيث بك، أو أستجير بك، أو أعوذ بك، أو أستعين بك، أو انصرني على عدوي، أو ارزقني ولداً، أو وسع عليّ رزقي، أو غير ذلك.

وهذه المرتبة لها صورتان:

الصورة الأولى: أن يسأل الميت وقد حضر عند قبره ووقف عليه أو قدام شباكه أو أمام باب القبة. وهذا كالذي يقع من الزائرين عند الأضرحة و القباب والمشاهد، حيث ينادون ويستغيثون بصاحب القبر، ويقولون: يا أيها الولي الفلاني أنا ببابك أرجو منك أن تفعل لي كذا وكذا أو تعيذني من شر كذا.

الصورة الثانية: أن يسأل الميت ويستغيث به ويناديه من مكان بعيد، ومسافات شاسعة بينه وبين المستغاث به الصحاري والفيافي والجبال بل البحار، مما لم يُجْرِ الله العادة على سماع الرجل الحي للنداء والاستغاثة من مثل تلك الأمكنة، فضلا ً عن المقبور الساكن تحت الأجداث والتراب، و الذي هو في شغل شاغل، إما بالنعيم أو بالجحيم؛ إذ القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار.

حكم هذه المرتبة: هذه المرتبة أبعد هذه المراتب عن الشرع، وهي شرك صريح وكفر بواح[2]. ويتضح السبب في كون هذه المرتبة شركاً -في الصورة الأولى- من وجهين[3] في الصورة الثانية من ثلاثة أوجه.

---

(1) انظر عن هذه المرتبة: تلخيص كتاب الاستغاثة (145/1)، وقاعدة جليلة (ص 316)، ومجموع الفتاوى (72/27)، ومنهاج السنة (482/1)، وإغاثة اللهفان (398/1)، وزاد المعاد (527/1).

(2) انظر: مجموع الفتاوى (72/27)، وتلخيص كتاب الاستغاثة (145/1).

(3) انظر في ذكر الوجه الأول والثالث: صيانة الإنسان للسهوسواني (ص 212، 373) ، ومجموع فتاوى عبد الحي اللكنوي (264/1) بواسطة تعليق أبي الحسن الندوي

الوجه الأول: أن الداعي في هذه المرتبة نادى غير الله تعالى، ووَجّه طلبه وقلبه إلى غير الله تعالى، واستعاذ واستغاث به طلباً لكشف ضره، أو جلب نفع له مما لا يقدر عليه غير الله تعالى.

وهذا هو الدعاء الذي هو العبادة ولبها ومخها وقطب رحاها، فصرف هذا لله عبادة وطاعة وإخلاص وتوحيد، وصرفه لغير الله تعالى شرك وضلا ل وكفر وتنديد.

قال الله تبارك وتعالى في شأن الدعاء: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫﭼ غافر: ٦٠.

وقال سبحانه في شأن الاستعانة: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥﭼ الفاتحة: ٥.

وفي شأن الاستغاثة: كان النبي ح إذا نزل به همّ أو غمّ قال: $يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث#[1].

قال أبو يزيد البسطامي :: $استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق#[2].

وقال أبو عبد الله القرشي[3] :: $استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون#[4].

أما الاستعاذة، فقد قال تعالى عنها: ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘﭼ الجن: ٦.

قال الإمام الخطابي :: $لا يستعاذ بغير الله أو صفاته، إذ كل ما سواه تعالى وصفاته مخلوق؛ ولذلك وُصِفَت كلماته تعالى بالتمام وهو الكمال، وما من مخلوق إلا وفيه نقص، والاستعاذة بالمخلوق شرك منافٍ لتوحيد الخالق؛ لما فيه من تعطيل معاملته تعالى الواجبة له على عبيده#[5].

فصرّح : بأن دعاء غير الله تعالى شرك أكبر؛ لقوله في وصفه $شرك مناف لتوحيد الخالق#، ومنافاة التوحيد شرك أكبر بلا ريب؛ ولذلك أوضح أن هذا الصنيع يترتب عليه تعطيل معاملة الرب الواجبة، وهي العبادة التي لم يُخْلَق الجن والإنس إلا لها[6].

على رسالة التوحيد (ص 140-141)، وحكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت المدد، لمحمد سلطان المعصومي - ضمن المجموع المفيد في نقض القبورية ونصرة التوحيد، جمع وتأليف د. محمد بن عبد الرحمن الخميس (ص 314-315).

(1) سبق تخريجه (ص 211).
(2) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص 288).
(3) هو: أبو عبد الله محمد بن سعيد القرشي الصوفي (ت 995 هـ)، له كلمات وجمل في آداب المعاملات وطرائق أهل الرياضات. انظر: الحلية (337/10).
(4) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص 288).
(5) نقله السويدي في العقد الثمين (ص 225) عن جهود الشافعية (ص 450).
(6) الصارم المنكي في الرد على السبكي لابن عبد الهادي (ص 515).

وقد نقل الإمام ابن عبد الهادي[1] : إجماعَ العلماء على شركية وتحريم دعاء غير اللّه، حيث قال: $لو جاء إنسان إلى سرير الميت يدعوه من دون اللّه، ويستغيث به، كان هذا شركاً محرماً بإجماع المسلمين#[2].

الوجه الثاني: أن هذا الداعي اعتقد في المدعو قوة غيبية، وسلطاناً غيبياً وتأثيراً، بالقوة الغيبية التي ليست من جنس قوة البشر، ولا من صفاتهم؛ لأنه اعتقد في المدعو أنه يقدر على إيصال النفع، أو دفع الضر عنه بقوة غيبية لا ترَى ولا تلامِس الأشياء الملامسة المعروفة لدى البشر. وهذه صفة خاصة باللّه تعالى، لا تليق بغيره، سبحانه وتعالى عما يشركون.

فاعتقادها لله وإفراده بالاتصاف بها توحيد وإخلاص وعبادة، واعتقاد اتصاف الغير بها شرك وضلال.

قال تعالى: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ النمل: ٦٢.

وهذان الوجهان موجودان في الصورتين جميعاً، ويضاف إلى الصورة الثانية وجه ثالث:

الوجه الثالث: أن الداعي اعتقد لغير اللّه تعالى علمَ الغيب، والسمعَ و البصرَ المحيطَيْن، حيث ناداه من مكان بعيد، وهذا الاعتقاد صرف لصفات الجلال والجمال -التي لا تليق بغير اللّه تعالى ولا يمكن أن يتصف بها أحد إ لا إياه[3]- إلى المدعو الضعيف الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم الغيب، وهذا هو الشرك بعينه.

وقد أثبت اللّه في كتابه في عدة آيات، أن علمَ الغيب من خصائص الربوبية، ومن هذه الآيات: قوله تعالى: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ النمل: ٦٥[4].

قال الإمام الشاطبي[5] :: $وقد تعاضدت الآيات والأخبار وتكررت في

---

(1) هو: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي (744-705 هـ)، فقيه محدث نحوي، من مصنفاته: الصارم المنكي في الرد على السبكي، والمحرر في أحاديث الأحكام. انظر: الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (115/5 رقم 582) ، والدرر الكامنة (332-331/3).

(2) الصارم المنكي (ص 543)، وانظر: صيانة الإنسان (ص 234).

(3) انظر: رسالة التوحيد للدهلوي (66-67)، وصيانة الإنسان (ص 230).

(4) والآيات القرآنية في معنى هذه الآية كثيرة منها: الآية 38 من سورة فاطر، والآية 18 من سورة الحجرات، والآية 123 من سورة هود، والآية 20 من سورة يونس، والآية 59 من سورة الأنعام، والآية 34 من سورة لقمان، والآيتين 8 و9 من سورة الرعد، والآية 26 من سورة الكهف، والآية 33 من سورة البقرة، والآية 59 من سورة الأنعام، وغيرها كثير.

(5) هو: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي المالكي (ت 790 هـ)، الحافظ المشهور الأصولي. من تصانيفه: الموافقات، والاعتصام، والمقاصد الشافية في

أنه لا يعلم الغيب إلا الله#[1].

ثم إن الله تعالى قد بينّ في كتابه العزيز أن مَا يُدعَى مِن دونه سبحانه لا يسمع ذلك الدعاء، ولو سمع لما استطاع الاستجابة وتحقيق الرغبة؛ إذ إنه لا يملك شيئاً! قال تعالى: ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠﭼفاطر: 13-١٤[2].

وقد ذكر البيضاوي وأبو السعود[3] -رحمهما الله- أن في قوله تعالى ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊﭼ $دلالة على تفرده بالألوهية والربوبية#[4].

وفي الآية الأخرى وضّح الله تبارك وتعالى عجزَ أولئك المدعوين من دون الله بقوله: ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻﭼالحج: 73-٧٤.

وهذا الوجه الثالث لا يلزم في الصورة الأولى لأن العلماء اختلفوا في سماع الأموات عند قبورهم[5]، والمسائل الاجتهادية[6] يعذر فيها المخالف إذا اختار أحد الأوجه المختلف فيها[7]؛ فلهذا لا يمكن أن يعترض بالوجه الثالث عليهم، وإنما يلزمهم الوجهان الأولان فقط. مع التنبيه أن العلماء وإن اختلفوا في سماع الأموات عند قبورهم، إلا أنهم اتفقوا على عدم جواز دعائهم من دون الله.

والحاصل أن أهل هذه المرتبة لهم شَبَه بعباد الأوثان، ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت المستغاث به، كما كان يتمثل لعباد الأصنام وأهل الكتاب من أصناف المشركين، وقد يدعو أحدهم ويستغيث بمن يعظمه فيأتيه الشيطان على صورته أحياناً، وقد يخاطبهم ببعض الأمور

شرح خلاصة الكافية. انظر: شجرة النور الزكية (ص 231)، والفتح المبين في طبقات الأصوليين للمراغي (204/2-205)، والأعلام (75/1).

(1) الموافقات (472/4).

(2) وفي معنى هذه الآية: الآيتان 20 و21 من سورة النحل، والآية 5 من سورة الأ حقاف.

(3) هو: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود (898-982 هـ)، مفسر، شاعر، من علماء الترك المستعربين. وهو صاحب التفسير المعروف باسمه وقد سماه: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. انظر: شذرات الذهب (398/8-400)، والأعلام (59/7).

(4) تفسير البيضاوي (ص 576)، وتفسير أبي السعود (148/7-ط. دار إحياء التراث العربي).

(5) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (492/12)، ومقدمة تحقيق كتاب الروح لابن القيم (130/1-144).

(6) المسائل الاجتهادية هي: المسائل التي ليس فيها دليل يجب العمل به وجوباً ظاهرا، فيسوغ فيها الاجتهاد لتعارض الأدلة أو لخفاء الأدلة فيها. انظر: إعلام الموقعين (243/5).

(7) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (383/10).

الغائبة.

المرتبة الثانية:

أن يسأل الحي الغائب ويناديه ويستغيث به من مسافات بعيدة. وهذه المرتبة لها صورتان:

الصورة الأولى: أن يسأله ما يقدر عليه لو كان حاضراً غير بعيد، مثل: أن يسأله مساعدته في ضائقة مالية أو يطعمه من جوع، أو يكسوه من عري، أو ينقذه من بئر وقع فيه. هذا كله فيما إذا كان المدعو المستغاث به يستطيع أن يغيث الداعي بقوته البشرية العادية. وأما إذا كان الداعي يريد من المدعو أن يغيثه بقوة فوق قوى البشر وطاقاتهم؛ فهو من الصورة الثانية.

فهذه الصورة الأولى يوجد فيها من المحاذير: اعتقاد علم الغيب لغير الله تعالى، واعتقاد سماع المدعو لنداء الغائب وصراخه وغواثه، وهذا يقتضي أن له سمعاً محيطاً شاملا ً للداعي وأحواله بل ربما للكون كله.

كما أن فيه من المحذور: تعلق القلب بغير الله تعالى في السر والعلن، وتوجيه النيات والإرادات إلى من لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلا ً عن غيره.

الصورة الثانية: أن يسأله ما لا يقدر عليه لو كان حاضراً، مثل: أن يسأله شفاء المريض، وإزالة موت نزل به، وإهلاك عدو، وتوسعة الرزق، وقد يصل الأمر إلى أن يطلب منه هداية القلوب وغفران الذنوب.

فهذه الأمور يعتقد الداعي فيها أن المدعو يستطيع التأثير فيها بقوة هي فوق مستوى قوى البشر، سواء اعتقد أن تلك القوة مستقلة في التأثير أو هي سبب وشافعة وواسطة له[1]. كما كان يعتقده كفار قريش في الأصنام حيث يعتقدون فيها الوساطة. قال تعالى: ﭽ ڈ ڎ ۀ ۀ ہ ^ ۂ ۃ ھ ھ ھ ھ ھ ے ۓ ﭼيونس: ١٨.

حكم هذه المرتبة: هذه المرتبة هي أيضاً من الشرك، بل مِن أعظم الشرك[2]؛ وذلك لوجهين[3] في الصورة الثانية، ولوجه واحد في الأولى.

ففي الصورة الثانية يوجد صرف لب العبادة -الذي هو الدعاء- لغير الله تعالى، وصرف العبادة لغير الله شرك، هذا هو الوجه الأول. والوجه الثاني أن الداعي اعتقد علم الغيب وصفات الجلال والجمال المختصة بالله تعالى لغيره سبحانه، ومن اعتقد ذلك لغيره تعالى فقد أشرك، وهذا الوجه الثاني هو السبب نفسه في الحكم على الصورة الأولى بالشرك.

وهذه المرتبة قد وقعت صورها في كثير ممن ينتسب إلى الإسلام

---

(1) انظر: كلام رشيد رضا بهامش صيانة الإنسان (ص 202) ط. مطابع القصيم.
(2) مجموع الفتاوى (27/81-82).
(3) انظر: صيانة الإنسان (ص 373).

ومن مشركي الجاهلية الأولى ومن أهل الكتاب.

والحكايات والأساطير كثيرة جداً في الاستغاثة بالغائبين الذين يُعتَقد فيهم، وقد تُقضَى حوائجهم ويغاثون ويرون الشيخ الذي استغاثوا به، وذلك أن الشياطين يفعلون معهم مثل ما كانوا يفعلون مع مشركي الجاهلية و النصارى وغيرهم، حيث يرى أحدهم شيخاً يحسن الظن به ويقول له: أنا الشيخ فلان، ويتسمى باسم المستغاث به، وربما يغيث من استغاث به ويقضي حاجته، وهذا واقع موجود اعترف به كبار المحققين.

وقد ذكر شيخ الإسلام : هذا الأمر ثم قال: $وأعرف من ذلك وقائع كثيرة في أقوام استغاثوا بي وبغيري في حال غيبتنا عنهم، فرأوني أو ذاك ا لآخر الذي استغاثوا به قد جئنا في الهواء ورفعنا عنهم. ولما حدثوني بذلك، بينت لهم أن ذلك إنما هو شيطان تصوّر بصورتي وصورة غيري من الشيوخ الذين استغاثوا بهم؛ ليظنوا أن ذلك كرامات للشيخ، فتقوى عزائمهم في الا ستغاثة بالشيوخ الغائبين والميتين. وهذا من أكبر الأسباب التي بها أشرك المشركون وعبدة الأوثان، وكذلك المستغيثون من النصارى بشيوخهم...#[1].

(1) قاعدة جليلة (ص 327)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن القيم (321-322/2)، والاستغاثة في الرد على البكري (ص 246)، والصفدية (292/2) ، ومجموع الفتاوى (458/17).

المرتبة الثالثة:
أن يسأل الحي الحاضر ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى؛ مثل شفاء المريض، وكشف الكروب، ودفع المرهوب، ونيل المرغوب، مما لا يقدر عليه إنسان بقوته البشرية، بل يحتاج إلى قوة غيبية وسلطان غيبي، بأن يكون تأثيره بدون مباشرة الأسباب العادية، سواء اعتقد تأثير تلك القوة تأثيراً مستقلا ً أو بالتوسط لدى المؤثر الحقيقي، وهذه الصورة كثيراً ما تقع عند المريدين في شيوخهم، فيطلب المريد من شيخه إزالة مرض وكشف ضر وإيصال نفع، بل ربما يطلب منه ستر العيوب وغفران الذنوب والخطايا و النجاة من النار، والمساعدة في سؤال المقبور وغير ذلك.
وربما يحبذ بعض شيوخ الضلال لمريديه دعاءه والاستغاثة به في حياته ومماته وحضوره ومغيبه[1].
حكم هذه المرتبة: أنها من الشرك المبين، لأن الدعاء عبادة، وقد صرفها الداعي لهذا المدعو العاجز. ووجه كون هذا الدعاء عبادة هو: أن الداعي اعتقد فيه التأثير بقوة غيبية حيث طلب منه ما هو فوق طاقة البشر، ولأجل هذا طلب منه جلب نفع أو دفع ضر، فاعتقد فيه خاصية من خصائص الربوبية من التأثير الغيبي، ثم صرفه له خاصية من خصائص الألوهية، ألا وهي توجه القلب والقالب إلى دعائه وندائه والاستغاثة به، ورجائه لقضاء حوائجه، وخوفه من عدم الاستجابة له، إلى غير ذلك من أنواع العبادات التي يتضمنها الدعاء.
قال الأمير الصنعاني[2] :: $ومن نادى الله ليلا ً ونهاراً، وسراً وجهاراً، وخوفاً وطمعاً، ثم نادى معه غيره، فقد أشرك في العبادة، فإن الدعاء من العبادة#. وقال أيضاً: $فهذا الذي يفعلونه لأوليائهم هو عين ما فعله المشركون، وصاروا به مشركين، ولا ينفعهم قولهم: نحن لا نشرك بالله شيئاً ، لأن فعلهم أكذَبَ قولَهم#[3].
قال الله آمراً عباده بإخلاص جميع عباداتهم له وحده: ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﭼ البينة: ٥.

(1) انظر: الاستغاثة في الرد على البكري (ص 348)، ومجموع الفتاوى (457/17).
(2) هو: الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني (1099-1182 هـ)، إمام مجتهد وتفرد برئاسة العلم في صنعاء. من تصانيفه: سبل السلام شرح بلوغ المرام، وقصب السكر نظم نخبة الفكر، وتطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد. انظر: البدر الطالع (133/2 وما بعدها)، وعنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر (106/1-112).
(3) تطهير الاعتقاد (ص 66، 65).

المرتبة الرابعة:

سؤال غير الله تعالى مع الله سبحانه. وهذه المرتبة تحصل بتشريك غير الله مع الله تعالى، إما بالعطف أو الإتيان بما يدل على المشاركة.

وهذه المرتبة كانت كثيرة الوقوع في المشركين الأوائل، ولهذا نجد الله تعالى قد كرر التحذير من دعاء غير الله مع الله تعالى في آيات محكمات، منها قوله تعالى: ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈﭼ الشعراء: ٢١٣، وقوله: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ القصص: ٨٨، وقوله: ﭽﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ الجن: ١٨.

ولكن الشيطان لما عرف بُعد المسلمين ونفرتهم عن إقرَان غير الله وإشراكه مع الله في اللفظ وعِظَمَ ذلك عندهم، زيّن لهم مراتب أخرى تكون أخفى من هذه المرتبة، قد لا يظنون أنها تصل إلى الشرك فيقعون فيها.

ومع وضوح كون هذه المرتبة شركاً صريحاً، وقع فيها بعض من ينتسب إلى الإسلام، فتجد بعضهم يقول: $يا الله ويا رسول الله#، وتجد البعض الآخر يقول: $يا الله ويا سيدي فلان#، فإنا لله وإنا إليه راجعون...

فهم يدعون مشايخهم وأولياءهم ويعدون أسماءهم مستغيثين بهم ومستنجدين ويذكرون الله في جملتهم $كأنه واحد من تلك الأعداد#[1].

فعند هؤلاء دعاء الله تعالى ودعاء الشيخ أو الولي من باب واحد، فالكل يُدعَى، ومن هنا يَذْكُر الكلّ لقضاء حاجته، بل ربما وصل -عند بعضهم- أن باب الولي أسرع في الإجابة![2]

حكم هذه المرتبة: إن هذه المرتبة شرك واضح وكفر بواح، بنص قول الله تعالى: ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﭼ المؤمنون: ١١٧.

قال الإمام الطبري : عند تفسير هذه الآية: $ومن يدع مع المعبود -الذي لا تصلح العبادة إلا له- معبودا ً آخر، لا حجة له بما يقول، ويعمل من ذلك ولا بينة ... فإنما حساب عمله السّيّئ عند ربه، وهو مُوَفِّيه جزاءه إذا قدم عليه ... إنه لا ينجح أهل الكفر بالله عنده، ولا يدركون الخلود والبقاء في النعيم#[3].

(1) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب، للنعمي (263/1).
(2) انظر: الدعاء ومنـزلته (510/2).
(3) تفسير الطبري (135-134/17).

المرتبة الخامسة:

سؤال غير اللّه بنية الشفاعة. وهذا سيأتي الكلام عنها مفصلا ً في مبحث الشفاعة لاحقاً بإذن اللّه(1). وخلاصة حكم هذه المرتبة: هي شرك إذا أريد بالشفاعة الشفاعة الدنيوية أو إذا صرف طالبها شيئاً من العبادات للأموات بنية طلب شفاعتهم الأخروية.

وهي بدعة إن قُصَد به صاحبه: مجردَ سؤالِ الأموات -عند قبورهم لا بعيداً عنها- أن يدعوا اللّه بأن يعطي السائلَ الشفاعة يوم القيامة.

المرتبة السادسة:

أن يسأل الميت أن يدعو اللّه له. وهذه لها صورتان:

إحداها: أن يسأل ميتاً عند قبره وباب قبته ومشهده أن يدعو اللّه له، كالذي يفعله زوار القباب والأضرحة. يقول أحدهم: يا أيها الولي الفلاني ادع اللّه لي أن يفعل بي كذا وكذا. وقد يظن أحدهم أن هذا مثل أن يسأل أحدهم في حياته فلا فرق عنده بين الحياة والموت(2).

فهذه الصورة **حكمها** أنها من البدع المنكرة الشنيعة(3)، وأنها من وسائل الشرك، وأنها الباب الموصل إلى دعاء الميت نفسه فيما بعد. وقد اتفق المسلمون على أنها بدعة(4).

وقد يصل الحكم في هذه الصورة إلى الشرك الأكبر؛ إذا أراد السائل من صاحب القبر الشفاعة والواسطة الشركية التي يعتقدها الذين قالوا: ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖﭼالزمر: ٣(5). وسيأتي بحث الشفاعة الشركية في مبحث مستقل(6).

ففي هذه الصورة مفاسد عظيمة، من صرف القلوب إلى غير باريها وفاطرها، والافتقار إلى غيره ، وإيذاء المقبور بتكليف سؤال اللّه ، إن قُدِّر أنه يسأل اللّه .

ثم فيها الجزم بأن الولي الفلاني يستطيع السؤال، ومن يدري ما هو فيه من النعيم أو الجحيم؟ لأن مذهب أهل السنة أنه لا يجزم بذلك إلا في الوارد(7).

---

(1) انظر: (ص 500 وما بعدها).

(2) وسيأتي الرد على هذا الزعم الخاطئ قريباً في (ص 233، 304-309).

(3) انظر: مجموع الفتاوى (76/27)، وصيانة الإنسان (ص 212)، واللمعة في الأجوبة السبعة، لشيخ الإسلام (ص 37)، وقواعد ومسائل في توحيد الإلهية، للشيخ عبد العزيز الريس (ص 49).

(4) تلخيص كتاب الاستغاثة (146/1).

(5) انظر: تصحيح الدعاء، للشيخ بكر أبو زيد (ص 250-251).

(6) انظر (ص 500 وما بعدها).

(7) انظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للإمام أبي عثمان الصابوني (ص 286)، والشرح والإبانة (الإبانة الصغرى) للإمام ابن بطة (ص 289)، وشرح العقيدة الطحاوية (573/2).

وكذلك فيها فتح لِباب الشرك ولذرائعه التي يتدرج منها الشيطان إلى الشرك الأكبر، وقد قال السلف: إن البدعة باب للشرك[1].

ثم إن الظن بأنه لا فرق بين الحياة والموت وقياس أحدهما على الآخر ظنٌ سيئ وقياس مع الفارق، وهو فاسد الاعتبار؛ لأن طلب الدعاء منه في حـ
ال حياته ليس فيه محذور ولا مفسدة، فإن أحداً من الأنبياء عليهم السلام لم يُعبد في حياته بحضوره، فإنه ينهى من يعبده ويشرك به ولو كان شركاً صغيراً، كما قال ح: $لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان#[2]، ونهى من قال $وفينا نبي يعلم ما في غد#[3].

وأما بعد موته فيخاف الفتنة والإشراك به كما أُشْرِك بالمسيح والعزير وغيرهما عند قبورهم وغير قبورهم[4].

تنبيه[5]: قد يقول قائل: لماذا لا تكون هذه الصورة شركاً في ذاتها؟ الجواب: السبب في ذلك أن طلب الدعاء من الآخرين ليس خاصاً بالله، فلذا يجوز طلبه من الحي، ولو كان خاصاً بالله لما جاز طلبه من الحي لكونه خاصاً بالله. علماً أن بعض أهل العلم ذهب إلى كونه شركاً أكبر[6]، و القول ببدعيتها هو الأظهر -إن شاء الله-، وهو ترجيح شيخ الإسلام[7]،

(1) انظر: بدائع الفوائد (799/2).
(2) أخرجه أحمد في مسنده (299/38-300 رقم 23265)، وأبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب لا يقال خبثت نفسي (259/5 رقم 4980)، وصحح إسناده الإ مام النووي في الأذكار (ص 513). والشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (263/1-265 رقم 137) ومحققوا المسند صححوا الحديث.
(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب ضرب الدف في النكاح والوليمة (202/9 رقم 5147).
(4) قاعدة جليلة (ص 291-292)، وانظر كلاماً نفيساً حول الفرق بين الحياة والموت في مجموع الفتاوى (80/27-81).
(5) انظر: قواعد ومسائل في توحيد الإلهية (ص50-51).
(6) كالشيخ عبد الرحمن بن حسن : في كتابه: كشف ما ألقاه إبليس (ص 131، 213)، وابنه الشيخ عبد اللطيف في كتابه مصباح الظلام (ص 259)، والشيخ صالح آل الشيخ في كتابه هذه مفاهيمنا (ص162، 178).
(7) انظر: مجموع الفتاوى (76/27). ولشيخ الإسلام كلام في $اقتضاء الصراط المستقيم# (304/2-305) ظاهره يخالف هذا الترجيح، وهو قوله: $فكيف إذا وجد ما هو نوع الشرك من الرغبة إليهم، سواء طلب منهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، أو طلب منهم أن يطلبوا ذلك من الله تعالى؟...#. وعند النظر في كلامه هذا يتضح أنه لا يخالف كلامه الذي في $مجموع الفتاوى#؛ ووجه ذلك أنه علق الطلب هنا على الرغبة إليهم، بخلاف الكلام الذي في $مجموع الفتاوى#. وهو : يرى أن الرغبة خاصة لله لا تصرف لغيره، وصرفها لغير الله شرك، فبسبب وجود الرغبة وُصف هذا الدعاء بالشرك. انظر: منهاج السنة (205/7)، واللمعة في الأ جوبة السبعة (ص 84). وهناك كلمات أخرى لشيخ الإسلام تمسك بها بعضهم في

واختيار أبي الثناء الآلوسي[1]، والسهسواني[2]، والشيخ عبد العزيز بن باز[3]، والشيخ بكر أبو زيد[4]، والشيخ صالح الفوزان[5] -رحمم الله تعالى من مات منهم وحفظ من بقي-.

الصورة الثانية: وهي ما إذا سأل الميت أن يدعو الله له بعيداً عن قبره - فهذه الصورة كثيراً ما تقع ممن يدعون الأموات، فقد يقع أحدهم في شدة أو كرب فينادي صاحبه الولي ويستغيث به ويشتكي إليه هذه الشدة ويطلب منه الوساطة عند الله تعالى، فيقول : يا ولي الله فلان ادع الله لي أن يزيل عني كذا وكذا، أو يعطني كذا وكذا.

والسبب في وقوع هذه الصورة من كثير ممن ينتسب إلى الإسلام، ظنُّهم أنهم لم يشركوا حيث أنهم لم يدعوا الولي لمباشرة قضاء الحوائج بنفسه، بل طلبوا منه سؤال الله فقط، وهذا مثل ما يطلب منه وهو حي أن يدعو لمن طلب منه هذا الدعاء، فلا فرق عندهم بين الحياة والموت، وهكذا ظنوا ولا ينفعهم ظنهم لأمرين:

الأول: أنهم -وإن لم يطلب الدعاء منهم- لكنهم أشركوا من جهة أنهم ظنوا أنه يعلم الغيب ويسمع النداء[6].

الأمر الثاني: أن ظنهم أنه ليس هناك فرق بين الحياة والموت ظن سيئ، وقد تقدم ما في ذلك من المفسدة وخوف الفتنة في حال الموت دون الحياة.

والحكم في هذه الصورة أنها شرك، لأن صاحبها قد زعم أن الولي المدعو يعلم الغيب ويسمع كلامه في كل زمان ومكان، ويشفع له في كل حين وأوان، فهذا شرك صريح، فإن علم الغيب من الصفات المختصة بالله

إثبات أن شيخ الإسلام يحكم على هذا النوع بأنه شرك أكبر. وعلى كل حال، سواء ثبت أن هذا قول شيخ الإسلام أو لم يثبت، فالعبرة بالدليل. والله تعالى أعلم. انظر: قواعد ومسائل في توحيد الإلهية (ص 51).

(1) انظر: روح المعاني (294/3).

(2) انظر: صيانة الإنسان (ص 212). والسهسواني هو: محمد بشير بن بدر الدين العمري الهندي (1250-1326 هـ)، محدث فقيه من كبار علماء الحنفية. من كتبه: صيانة الإنسان من وسوسة الشيخ دحلان. انظر: الأعلام (53/6)، ومعجم المؤلفين (162/3-163).

(3) انظر: تعليق الشيخ على فتح الباري (495/2).

(4) انظر: تصحيح الدعاء (ص250 -251).

(5) انظر: البيان لأخطاء بعض الكتاب (ص 148).

(6) انظر: رسالة التوحيد للدهلوي (ص 66-67)، وصيانة الإنسان (ص 212). وانظر: الدعاء ومنـزلته (497/2-501) لتوجيه ما نُقِلَ عن شيخ الإسلام في بعض كتبه، من عباراته التي ظاهرها أنه يرى بدعية هذه الصورة لا شركيته.

تعالى[1].

المرتبة السابعة:

أن يسأل الحي الغائب أن يدعو الله له. وهذا كالذي يقع من المريدين في شيوخهم، فقد يغلو بعضهم في تعظيم شيخه، حتى يظن أن شيخه يعلم به وبأحواله وبمراده. فإذا وقع في شدة ينادي شيخه فيطلب منه أن يدعو الله له حتى يكشف الله عنه شدته بدعاء شيخه.

فهذه المرتبة حكمها كالصورة الثانية من المرتبة السابقة -أعني: المرتبة السادسة-.

المرتبة الثامنة:

أن يسأل الله تعالى بغير أسمائه الحسنى وصفاته العلى، سواء كان ذلك السؤال توسلا ً بالشخص وبجاهه وحرمته، أو إقساماً به، وسواء كان ذلك الشخص ميتاً، أو غائباً، أو حاضراً.

فهذه الصور يأتي الكلام عليها مفصلا ً في مبحث التوسل إن شاء الله تعالى[2]. وحكم هذه المرتبة في الجملة أنها من البدع المحدثة التي ما أنزل الله بها من سلطان.

المرتبة التاسعة [3]:

أن يدعو الله تعالى عند قبر نبي، أو ولي، أو من يعتقد أنه نبي أو ولي، أو مطلق المقابر.

فهذه المرتبة لها ثلاث صور:

الأولى: أن يقصد القبر ويتحراه للدعاء عنده وليس له غرض آخر، معتقداً أن الدعاء هناك أحرى بالإجابة وأسرع، وأن لذلك المكان خصوصيةً في إجابة الدعاء، وأن الدعاء في المقابر والمشاهد أفضل من الدعاء في المساجد والبيت والسجود والأسحار.

والثانية: أن يقصد القبر للزيارة والدعاء عنده معتقداً لما تقدم، وذلك كالذي يحصل من الذين يزورون القبر الزيارة البدعية حيث كانوا يجمَعون بين النِّيّتَين: نية الزيارة ونية الدعاء عنده.

والثالثة: أن يحصل الدعاء عند القبر بحكم الاتفاق بدون قصدٍ سابق وتحرٍّ، كمن يدعو الله في طريقه ويتفق أن يمر بالقبور، أو من يزورها فيسلم عليها، ويسأل الله العافية له وللموتى كما جاءت به السنة[4].

---

(1) انظر: رسالة التوحيد للدهلوي (ص 67)، وصيانة الإنسان (ص 212)، وحكم الله الواحد (ص 314)._

(2) انظر (ص 383 وما بعدها).

(3) انظر: إغاثة اللهفان (1/378-379)، وزاد المعاد (1/527)، ومنهاج السنة (1/482)، ومجموع الفتاوى (24/335).

(4) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (2/195).

وهذه المرتبة سيأتي الكلام عليها مفصلا ً إن شاء الله في الكلام على مبحث زيارة القبور[1].

وحكم هذه المرتبة في الجملة أنها من البدع المحدثة في الدين، إلا الصورة الأخيرة فهي جائزة بشروط سيأتي التنبيه عليها إن شاء الله تعالى[2].

- شبهات والرد عليها:

تمهيد[3]:

إن الشيطان لـبّس على كثير من الناس فأوقع في قلوبهم الشبهات التي أظهر لهم أنها تدل على جواز دعاء الموتى والغائبين والاستغاثة بهم من دون الله تعالى.

وقد سعى بعض أهل البدع بترويج تلك الشبه، فألفوا فيها رسائل تدافع عن صنيع القبوريين وأعمالهم الشركية، وتبحث لهم عن الشبهات ولو كانت أوهى من بيت العنكبوت.

فاغتر بتلك الرسائل بعض الناس، وظن أن فيها حججاً وبراهين، وإنما هي في الحقيقة أوهام وظنون وخيالات، في مقابلة ومعارضة الآيات البينات والحجج القاطعات المانعة من الدعاء غير المشروع.

وقد ظهر لي أنه لا يوجد لديهم دليل صحيح صريح، وإنما يوجد لديهم دليل صحيح غير صريح، أو صريح ضعيف.

وهذه الشبهات قد لا يدرك مدى الحاجة إلى بيانها وكشف زيفها من يعيش في مجتمع انتشرت فيه العقيدة السلفية الصحيحة، وإنما يدرك ذلك من يعيش في بعض البلاد التي يوجد فيها من يدعو إلى دعاء الموتى و الغائبين، ويلبّس على العوام بتلك الشبه ويعارض بها الداعين إلى إخلاص العبادة لله سبحانه.

فالدعاة إلى التوحيد الخالص في مثل تلك البلاد يحتاجون إلى معرفة هذه الشبه وكيفية مناقشتها، حتى يستطيعوا دحضها وإبطالها، فبذلك تقوم الحجة وتبرأ الذمة، ويهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة.

ومما ينبغي أن يعلم أن أصحاب هذه الشبه يتبع بعضهم بعضاً في الا حتجاج بها -صرحوا بذلك أم لم يصرحوا-، ويقلد لاحقُهم سابقهم بدون تبصر ولا بحث عن أدلة، حتى إن بعض معاصريهم كان ينتحل كلام من سبقه من أهل مشربه بحروفه. وهذا هو الذي اقتضى تتبع من احتج بهذه الشبه حتى يتضح تقليدهم الأعمى.

أنواع الشبهات التي احتجوا بها:

---

(1) انظر: (ص 987-993).
(2) انظر: (ص 992-993).
(3) الدعاء ومنـزلته (2/677-679) باختصار.

يمكن حصر تلك الشبه في نوعين:

النوع الأول[1]: نصوص صحيحة مجملة غير صريحة لم يفهموها فهماً صحيحاً ولم يفقهوا ما دلت عليه، ويحتجون بها من غير فهم لمعناها، إما لعدم رجوعهم إلى فهم السلف لها، أو لجهلهم الحاصل لهم من قصورهم في أدوات الفهم أو في مقاصد الشريعة، أو للهوى الذي يعميهم عن معناها الحقيقي الذي يوافق المُحكم.

النوع الثاني: أدلة غير صحيحة، وقد تكون صريحة فيما يحتجون به، وربما تكون غير صريحة، فهم يحتجون بها مع عدم صحتها، لأنه لا يهمهم صحتها ما دامت توافق أهواءهم ورغباتهم ومألوفاتهم.

مقدمات مهمة في الجواب الإجمالي عن هذه الشبهات:

المقدمة الأولى[2]: الواجب على المسلم فهم الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح من هذه الأمة، وهم الصحابة والتابعون وتابعو التابعين ومن تبعهم بإحسان.

إن الذي لم يختلف فيه المسلمون قديماً وحديثاً هو: أن الطريق الذي ارتضاه لنا ربنا هو طريق الكتاب والسنة، فإليه يَردون ومنه يصدرون، وإن اختلفوا في وجوه الاستدلال بهما.

ذلك؛ لأن الله ضَمِن الاستقامة لمتّبع الكتاب، فقال على لسان مؤمني الجن: ﭽﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷﭼالأحقاف: ٣٠. كما ضَمِنها لمتبع الرسول ح الذي قال له ربه: ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ الشورى: ٥٢.

لكن الذي جعل الفرق الإسلامية تنحرف عن الصراط هو: إغفالها ركناً ثالثاً جاء التنويه به في الوحيين جميعاً، ألا وهو فهم السلف الصالح للكتاب والسنة.

يقول الحافظ ابن رجب[3] :: $فالعلم النافع من هذه العلوم كلها: ضبط نصوص الكتاب والسنة وفهم معانيها، والتقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث، وفيما ورد عنهم

---

(1) انظر عن النوع الأول والثاني: الجواب الصحيح (137/1-138)، ومصباح الظلام (ص 305)، والدعاء ومن-زلته (446/1).

(2) استفدت في صياغة هذه المقدمة من مراجع، أهمها: ست درر (ص 65-74)، و المقدمات العشر في نقض صوفية العصر، للشيخ عبد العزيز الريس (ص 83-90).

(3) هو: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الدمشقي الحنبلي (736-795 هـ)، محدث حافظ فقيه أصولي مؤرخ. من مؤلفاته العديدة: فتح الباري شرح صحيح البخاري، وتقرير القواعد، وجامع العلوم والحكم. انظر: شذرات الذهب (339/6-340)، و البدر الطالع (328/1). وللتوسع في معرفة عقيدة الإمام : راجع: ابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح عقيدة السلف، للدكتور عبد الله بن سليمان الغفيلي، ومنهج الحافظ ابن رجب الحنبلي في العقيدة، للدكتور علي بن عبد العزيز الشبل.

من الكلام على مسائل الحلال والحرام والزهد والرقائق وغير ذلك#[1].
والصحابة هم أفضل من أنعم الله عليهم بالعلم والعمل؛ لأنهم شهدوا التن-زيل، وشاهدوا من هدي الرسول الكريم ح ما فهموا به التأويل السليم، كما قال ابن مسعود ط: $من كان منكم متأسياً فليأتس بأصحاب محمد ح، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالا ً، قوماً اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ح، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم على الهدي المستقيم#[2].
فقد دل الكتاب والسنة -اللذان هما المرجع عند التنازع- أن **فهم السلف الصالح لنصوص الكتاب والسنة حجة يجب الرجوع إليه**، والأدلة على ذلك كثيرة أذكر بعضها[3] طلباً للاختصار:
1- قوله تعالى: ﭽ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼالفاتحة: 6-٧، فقد اشتملت هاتان الآيتان على هذه الأركان الثلاثة -أعني: الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح لهما- في أكمل بيان:
فقوله: ﭽ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ اشتمل على ركني الكتاب والسنة، كما سبق.
وقوله: ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ، اشتمل على فهم السلف لهذا الصراط.
مع أنه لا يشك أحد في أن من التزم بالكتاب والسنة فقد اهتدى إلى الصراط المستقيم، إلا أنه لما كان فهم الناس للكتاب والسنة منه الصحيح ومنه السقيم، اقتضى الأمر ركناً ثالثاً لرفع الخلاف، ألا وهو تقييد فهم الأخلا ف بفهم الأسلاف الصالحين.
2- قوله تعالى: ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼالنساء: ١١٥.
والشاهد هنا في ضم مجانبة سبيل المؤمنين -وأول المؤمنين دخولا ً في هذه الآية هم الصحابة- إلى مشاقة الرسول ح لاستحقاق هذا الوعيد الشديد، مع أن مشاقة الرسول ح وحده كفيلة بذلك، كما قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼمحمد: ٣٢[4].
فالمأثور عن الصحابة الكرام هو الحق الذي يجب اتباعه، فلا يصح لأ حد من التابعين مخالفته، ومن وافقهم من التابعين فهو سائر على سبيل المؤمنين الممتدح، وهكذا ...
أما إذا لم ينقل عن الصحابة الكرام شيء، ونقل عن التابعين الأخيار، فإن السبيل سبيلهم، وهكذا ...؛ لأن الله تعالى بحكمته وعدله لم يكن ليخفي

(1) فضل علم السلف على الخلف (ص 46).
(2) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (134/2 رقم1810)، ورواه أبو نعيم في الحلية (305/1-306) عن ابن عمر م.
(3) من أراد التوسع فليراجع: إعلام الموقعين (556/5-581).
(4) انظر: مجموع الفتاوى (194/19).

الحق ويظهر الباطل، وقد قال نبيه ح: $لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك#[1].

3- قول رسول الله ح: $خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم#[2]. وجه الدلالة: أن الرسول ح أثبت الخيرية لأصحاب أولئك القرون على من بعدهم، فلا يكون من بعدهم ظافراً بخير ليس عندهم، وإلا لصار من بعدهم خيراً منهم من هذا الوجه، والرسول ح أثبت لهم الخيرية المطلقة من كل وجه على من بعدهم، فدل هذا أن فهمهم للنصوص متعين[3].

فاتباع منهج السلف الصالح هو أصل من أصول أهل السنة والجماعة، فلذلك يقول الإمام أحمد :: $أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ح والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلا لة#[4].

وهو الحق الذي لا محيص عنه، كما قال أبو حامد الغزالي :: $واعلم أن الحق الذي لا مراء فيه عند أهل البصائر هو مذهب السلف#[5].

ولن تحقق الأمة الإسلامية وحدتها -مع اختلاف أزمانهم وأمكنتهم- إلا بهذا الأمر، يقول أبو المظفر السمعاني :: $ومما يدل على أن أهل الحديث هم أهل الحق: إنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم، -مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطراً من الأقطار- وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد، يجرون على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد لا ترى بينهم اختلافاً ولا تفرقاً في شيء ما، وإن قلّ. بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم،

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قوله ح $لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم# (1523/3 رقم 1920).

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد (259/5 رقم 2652) ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (1962/4 رقم 2533)، ومن ارتاب في عدد القرون فليرجع إلى السلسلة الصحيحة (313/2 وما بعدها رقم 700).

(3) انظر: إعلام الموقعين (574/5-575)، وانظر ما ذكره شيخ الإسلام في مقدمة الفتوى الحموية الكبرى.

(4) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (176/2 رقم 317)، وابن الجوزي في مناقب أحمد (ص 222) في كلام طويل، وساق الخلال إسناده في السنة (172/1 رقم 168) واختصره.

(5) إلجام العوام عن علم الكلام (ص 3) نقلا ً عن منهج السلف والمتلكمين، لجابر إدريس (36/1).

وجدته كأنه جاء عن قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟#[1].

ولا يزال أهل العلم يردِّدون كلمة إمام دار الهجرة مالك بن أنس : الذهبية: $لا يُصلح آخرَ هذا الأمر إلا ما أصلح أوّله#[2].

المقدمة الثانية[3]: لا يحتج في دين الله -ولا سيما في باب العقيدة- من سنة رسوله ح إلا بما ثبت عنه ح، دون الضعاف منها والمنكرات والأباطيل والموضوعات.

وقد كان الحديث الضعيف مثاراً لاختلاف كبير بين العلماء في قبوله ورده، وهذا الاختلاف، وإن تناول الأحكام والفضائل والتفسير والمغازي و السير وغيرها، فإنه لا يتناول العقيدة الإسلامية، إذ لا قائل به في ذلك.

---

(1) الحجة في بيان المحجة (225-224/2)، ومختصر الصواعق المرسلة للموصلي (1594-1595/4).

(2) هذه الكلمة أخذها مالك من شيخه وهب بن كيسان، روى هذا الأثر ابن عبد البر في التمهيد (10/23).

(3) استفدت في صياغة هذه المقدمة من مراجع، أهمها: الحديث الضعيف وحكم الا حتجاج به، للدكتور عبد الكريم الخضير (ص 247-300)، والمقدمات العشر (ص 142-158)، وأسباب الخطأ في التفسير للدكتور طاهر محمود (127-133/1).

قال الحافظ العراقي[1] :: $أما غير الموضوع فجوزوا التساهل في إسناده وروايته من غير بيان لضعفه، **إذا كان في غير الأحكام والعقائد**، بل في الترغيب والترهيب من المواعظ والقصص وفضائل الأعمال ونحوها، أما إذا كان في الأحكام الشرعية من الحلال والحرام وغيرهما، أو في العقائد كصفات الله تعالى وما يجوز وما يستحيل عليه ونحو ذلك، فلم يروا التساهل في ذلك. وممن نص على ذلك من الأئمة: عبد الرحمن بن مهدي[2]، وأحمد بن حنبل، وابن المبارك[3]، وغيرهم#[4].

وممن نص على ذلك أيضاً ابن الصلاح[5]، والنووي[6]، والزركشي[7]، و الشريف الجرجاني[8]، والسخاوي[9]، والسيوطي[10]،

---

(1) هو: عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن المهراني العراقي الشافعي زين الدين (725-806 هـ)، حافظ العصر، من كتبه الكثيرة: تخريج أحاديث الإحياء، ونظم علوم الحديث لابن الصلاح في ألفية. أنظر: الضوء اللامع (171/4 وما بعدها)، و البدر الطالع (354/1-356).

(2) هو: عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري مولاهم أبو سعيد البصري (125-198 هـ)، ثقة ثبت حافظ عارف بالرجال والحديث قال ابن المديني: $ما رأيت أعلم منه#. انظر: التقريب (رقم 4044).

(3) هو: عبد الله بن المبارك المروزي (118-181 هـ)، ثقة ثبت، فقيه عالم، جواد مجاهد، جُمعت فيه خصال الخير. أنظر: التقريب (رقم 3595).

(4) التبصرة والتذكرة (291/1).

(5) كما في مقدمته (ص 286). وابن الصلاح هو: عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الشهرزوري الشافعي أبو عمرو (577-643 هـ)، أحد فضلاء عصره في التفسير و الحديث والفقه وأسماء الرجال، من مؤلفاته: علوم الرجال، والفتاوى. أنظر: وفيات الأعيان (243/3-244)، وتذكرة الحفاظ (1430/4).

(6) كما في التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير (ص 48).

(7) كما في النكت على مقدمة ابن الصلاح (308/2 فقرة 232).

(8) كما في فن أصول مصطلح الحديث (ص 85). والشريف الجرجاني هو: علي بن محمد (740-816 هـ)، فيلسوف متصوف من كبار علماء العربية، من مؤلفاته: التعريفات وشرح مواقف الإيجي. انظر: الضوء اللامع (328/5)، والأعلام (7/5).

(9) كما في فتح المغيث (332/1). والسخاوي هو: محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين السخاوي الشافعي (831-902 هـ)، مؤرخ محدث مفسر، صنّف المصنفات الكثيرة النافعة منها: الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، وفتح المغيث شرح ألفية الحديث. أنظر: الضوء اللامع له (2/8-32)، وشذرات الذهب (15/8-17).

(10) كما في تدريب الراوي (350/1). والسيوطي هو: أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري السيوطي الشافعي جلال الدين (849-911 هـ)، صاحب المؤلفات التي تزيد على خمسمائة مؤلف، منها: الإتقان في علوم القرآن، وا لأمر بالاتباع. انظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (335/1-344)، و الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للغزي (227/1-232)، وشذرات الذهب (51/8-55).

وزكريا الأنصاري[1] رحمهم الله.

فلذلك نجد ابن القيم : يقسم الأخبار المقبولة في باب الأمور الخبرية العلمية -أي: العقائدية- إلى أربعة أقسام[2]:

أحدها: متواتر[3] لفظاً ومعنى.

الثاني: أخبار متواترة معنى، وإن لم تتواتر بلفظ واحد.

الثالث: أخبار مستفيضة متلقاة بالقبول بين الأمة.

الرابع: أخبار آحاد مروية بنقل العدل الضابط عن مثله حتى ينتهي إلى النبي ح[4].

إذاً فالحديث الضعيف لا مدخل له في مجال العقائد، ولله الحمد و المنة.

وإتماماً للفائدة، وإغلاقاً لجميع منافذ المبتدعة؛ نذكر الآن -باختصار- **اختلاف العلماء في حكم الاحتجاج بالحديث الضعيف في الفضائل والأ حكام مع بيان القول الراجح من تلك الأقوال.**

أقول: لا خلاف بين العلماء في عدم جواز العمل بالحديث الضعيف، إذا كان ضعفه لا ينجبر ولا يتقوى ويتعسر إزالة ضعفه، وقد نقل الاتفاق على ذلك[5] الحافظ العلائي [6] :.

أما إذا كان الضعف يمكن رفعه وتقويته بتعدد طرق الحديث الأخرى السليمة من أسباب الضعف، فقد اختلف العلماء في جواز الأخذ والعمل بهذا

---

(1) كما في فتح الباقي على ألفية العراقي، بذيل شرح العراقي لألفيته (291/1). وزكريا الأنصاري هو: أبو يحيى زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري المصري الشافعي (826-926 هـ)، تصدر وأفتى وصنّف التصانيف المنوعة، منها شرح للبخاري وآخر لمسلم. انظر: الضوء اللامع (234/3-238)، والبدر الطالع (252/1-253)، وشذرات الذهب (134/8-136).

(2) مختصر الصواعق المرسلة (1459/4).

(3) الحديث المتواتر هو: ما رواه قوم لا يحصى عددهم ولا يتوهم توافقهم على الكذب. انظر: معجم مصطلحات الحديث للدكتور محمد الأعظمي (ص 348).

(4) هذا هو القول الحق في مسألة حجية أخبار الآحاد في باب العقائد، ولا يشترط التواتر في الأحاديث التي يستدل بها في أبواب العقيدة، بل يشترط فيها ثبوتها فقط. وقد ذكر الإمام ابن عبد البر : أن أكثر العلماء على قبول خبر الواحد في العقائد، كما في التمهيد (8/1). وانظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة (432/2-433)، وشرح العقيدة الطحاوية (541/2-542)، وصون المنطق للسيوطي (ص 160-161)، والمسودة لآل تيمية (476/1-477، 496)، ولوامع الأنوار البهية (19/1)، والصفات الإلهية للشيخ محمد أمان الجامي (ص 37 وما بعدها)، وخبر الواحد وحجيته، للدكتور أحمد الشنقيطي (ص 221 وما بعدها).

(5) انظر: تدريب الراوي (351/1).

(6) هو: خليل بن كيكلدى بن عبد الله العلائي الشافعي (694-761 هـ)، كان إماماً في الفقه والأصول والنحو وغيرها، وألف في فنون مختلفة. انظر: الدرر الكامنة (90/2)، وشذرات الذهب (190/6-191).

النوع من الحديث في الأحكام وفضائل الأعمال على على ثلاثة أقوال، خلا
صتها ما يلي:

القول الأول: جواز العمل بالحديث الضعيف مطلقاً، أي: في الحلال و
الحرام، والفرض الواجب، والفضائل، والترغيب والترهيب وغيرها، وذلك بشرطين:

1. أن يكون ضعفه غير شديد، لأن ما كان ضعفه شديداً، فهو متروك بالا
تفاق، كما تقدم.
2. أن لا يوجد في الباب غيره، وأن لا يكون ثمة ما يعارضه[1].

القول الثاني: منع العمل بالحديث الضعيف مطلقاً. وهو عكس القول ا
لأول[2].

القول الثالث: جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال وكرائم الأخلاق والترغيب والترهيب، ولا يجوز العمل به في الأحكام من الحلال والحرام، وإلى ذلك ذهب كثير من المحدثين[3]،

---

(1) ممن روي عنه هذا الرأي: الأئمة الأربعة، وأبو داود السجستاني، وغيرهم -رحمهم الله-. انظر لتحقيق هذه النسبة إليهم والمناقشة فيها: مقدمة ابن الصلاح (ص 286)، وفتح المغيث (1/332-333)، وإعلام الموقعين (2/55-56، 145-146)، والأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة لعبد الحي اللكهنوي (ص 51 وما بعدها)، والمدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل لابن بدران (ص 116-119، 213)، و الوضع في الحديث للدكتور عمر فلاته (1/69-70 مع الحاشية، والحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به (ص 249-259، 291-292).

(2) وممن قال بهذا القول أو ظهر بصنيعه وتعامله مع الحديث وأصوله: الإمام يحيى بن معين، والبخاري، ومسلم، وأبو حاتم، وأبو زرعة الرازيان، والخطابي، وابن حزم، وأبو شامة المقدسي، وشيخ الإسلام، والشوكاني، والشيخ أحمد شاكر، والشيخ الأ لباني، وغيرهم -رحمهم الله-. انظر في ذلك: المراسيل لابن أبي حاتم (ص 7)، وشرح علل الترمذي لابن رجب (1/74)، والكفاية في معرفة أصول علم الرواية للخطيب البغدادي (1/93)، ومعالم السنن (2/3-4)، وقاعدة جليلة (ص162)، و الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني (ص 254)، ونيل الأوطار (1/37-38)، والباعث الحثيث لأحمد شاكر (1/278)، ومقدمة تحقيق صحيح الجامع (1/50، 56)، والحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به (ص 259-271).

(3) من هؤلاء: الإمام سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل -في رواية راجحة عنه-، أبو زكريا العنبري، وابن عبد البر، وابن قدامة، والنووي، واللكهنوي، وغيرهم. انظر في ذلك: الكفاية في معرفة أصول علم الرواية (1/398-399)، شرح علل الترمذي (1/73)، والأ ذكار (ص 28، 249)، وفتح المغيث (1/332)، والأجوبة الفاضلة (ص 36)، ومنهج النقد في علوم الحديث للدكتور عتر (ص 294)، والحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به (ص 276-284).

بل نقل بعض أهل العلم الاتفاق على ذلك[1].

وقيّد المحققون منهم[2] هذا القول بشروط ثلاثة:

أحدها: أن يكون الضعف غيرَ شديد، فيَخرُج مَن انفرد مِن الكذابين و المتهمين بالكذب ومن فحش غلطه.

الثاني: أن يندرج تحت أصل معمول به، فيخرج ما يُخترع، بحيث لا يكون له أصل أصلا ً. والمراد بهذا الشرط: إما أن تكثر طرق الحديث التي تصلح للاعتبار بها فلا يكفي مجيئه من طريق أو من طريقين، وإما أن يعضده اتصال للعمل به، وإما أن يوافقه شاهد صحيح من السنة، وإما أن يوافقه ظاهر القرآن الكريم[3].

الثالث: أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته، بل يعتقد الاحتياط؛ لئلا ينسب إلى رسول الله ح ما لم يقله[4].

القول الراجح: بالنظر إلى الأقوال الثلاثة ومن قال بها وما احتج به كل فريق، يبدو أن القول الأقرب إلى الصواب في هذه المسألة هو: القول الثاني وهو عدم الأخذ بالحديث الضعيف مطلقاً، لا في الأحكام ولا في غيرها، وبه تسكن وإليه تطمئن نفسي، وذلك بمرجحات وأسباب متعددة، إيجازها ما يلي:

1- وجود ثروة عظيمة مما صح من الفضائل والترغيب والترهيب من جوامع كلم المصطفى ح وهي تغني عن رواية الأحاديث الضعيفة في هذا الباب، وخاصة أن الفضائل ومكارم الأخلاق من دعائم الدين، ولا فرق بينها وبين الأحكام من حيث ثبوتها بالحديث الصحيح أو الحسن. فمن الواجب أن يكون مصدرها جميعاً الأخبار المقبولة.

يقول ابن المبارك :: $في صحيح الحديث شغل عن سقيمه#[5].

---

(1) منهم: الإمام النووي كما في مقدمة كتاب الأربعين (ص 14)، وملا القاري كما في الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (ص 315).

(2) من هؤلاء: العز بن عبد السلام، وابن دقيق العيد، والحافظ ابن حجر. انظر: تدريب الراوي (351/1).

(3) مقاصد الحديث (138/2) نقلا ً عن أسباب الخطأ في التفسير (129/1)، وأصول الحديث علومه ومصطلحه للدكتور محمد عجاج الخطيب (ص 351)، وانظر أيضاً: نزل الأبرار لصديق حسن خان (ص 7-8).

(4) انظر: تدريب الراوي (351/1)، والقول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع للسخاوي (ص 473).

(5) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب (226/2 رقم 1524)، وشرح علل الترمذي (207/1).

وقال ابن حبان :: $ولأن فيما يصح من الأخبار بحمد الله ومنه يغني عنا عن الاحتجاج في الدين بما لا يصح منها#[1].

2- في الأخذ بالحديث الضعيف مخالفة صريحة لمفهوم بعض الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة التي تحذر من التحديث إلا بعد التثبت و التيقن من صحة الحديث، منها قولة تعالى: ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ الحجرات: ٦، ومن الأحاديث قول المصطفى ح: $من حدّث عني بحديث يرى[2] أنه كذب فهو أحد الكاذبين#[3].

3- الضعيف مفاده الظن المرجوح، والظن لا يغني من الحق شيئاً[4].

4- اتفاق العلماء على تسمية الضعيف بالمردود.

5- لما ترتب على تجويز الاحتجاج به من ترك البحث عن الأحاديث الصحيحة، والاكتفاء بالضعيفة منها.

6- لما ترتب عليه من نشوء البدع والخرافات، والبعد عن المنهج الصحيح، لما تتصف به الأحاديث الضعيفة -غالباً- من أساليب التهويل و التشديد، بحيث صارت مرتعاً خصباً للمتصوفة، فصدتهم عن دين الله الوسط[5].

7- في ترك العمل به منجاة من الوقوع في الكذب على رسول الله ح، لأننا نعرف بالتجربة أن الذين يخالفون في هذا، وقعوا فيما ذكرنا من الكذب ؛ لأنهم يعملون بكل ما هب ودب من الحديث[6].

8- العمل بالحديث الضعيف اُتّخذ ولا يزال يُتّخذ سُلّماً لحشو بعض المصنفين كتبَهم بالأخبار العجيبة والأمور الغريبة والقصص الوهمية

(1) كتاب المجروحين (25/1).
(2) روي (يَرى) بفتح الياء وهو حسن، و(يُرى) بضمها وهو جائز أيضاً.
(3) رواه مسلم في مقدمة صحيحه، باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين و التحذير من الكذب على رسول الله ح (9/1) من حديث المغيرة بن شعبة ط، وأحمد في مسنده (374/33 رقم 20221)، وابن حبان في صحيحه (212/1-213 رقم 29 -الإحسان) من حديث سمرة بن جندب. ورمز له السيوطي في الجامع الصغير (ص 524 رقم 8631 –ط. دار الكتب العلمية) بالصحة. و $الكاذبين# بكسر الباء على الجمع وفتحها على التثنية كلاهما جائز.
(4) يراجع: إرشاد الفحول للشوكاني (249/1).
(5) الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به (ص 299)، وهناك رسالة علمية لنيل درجة العالمية الماجستير في قسم علوم الحديث بالجامعة الإسلامية بعنوان: $الأ حاديث الضعيفة والموضوعة التي يستدل بها على بدع في العبادات#، للباحث: رامز خالد حاج حسين. وهناك كتاب بعنوان: $الأحاديث الموضوعة التي تنـافي توحيد العبادة جمعاً ودراسة#، إعداد الأخ أسامة بن عطايا بن عثمان، وأصله: رسالة علمية قُدّمت لقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية لنيل درجة العالمية الماجستير.
(6) مقدمة تحقيق صحيح الجامع (56/1).

المحيرة للعقول والمدهشة للأفهام، وهذا يتسبب في إنكار العقول والطبائع حقيقة الدين، وتنفير الناس عن قبول الحقائق المسلمة الصحيحة؛ فلذلك يجب اجتناب الأحاديث الضعيفة سداً للذريعة.

9- وأما ما حكاه النووي وتبعه الملا علي القاري -رحمهما الله- من الا تفاق على قبول وأخذ الحديث الضعيف في فضائل الأعمال دون الأحكام، ففيه نظر لأمرين:

أحدهما: أن السخاوي والسيوطي -رحمهما الله- لم يذكرا الاتفاق على ما ذكره النووي، بل ذكرا خلاف العلماء فيه[1]. وإذا نقل عالم الإجماع، ونقل آخر النـزاع، قُدِّم ناقل النـزاع؛ لأنه مثبت له، وناف الإجماع ناف للنـزاع، و المثبت مقدم على النافي[2].

ثانيهما: أن الإمام النووي : معروف بتساهله في نقل الإجماع؛ فلا سبيل إلى التسليم بهذا الإجماع بمجرد نقله إياه. وهناك أمثلة كثيرة من كتبه تنقض دعواه للإجماع في المسائل المتعددة، وليس هذا مقام سردها[3].

10- في الشرطين الأولين للعمل بالحديث الضعيف إشعار بأن هذا التفريق لا يخلو من تحصيل حاصل، وليس الخلاف بين العلماء إلا اختلافاً لفظياً؛ $لأن المانعين للعمل بالحديث الضعيف وكذلك المجوزين متفقون على أنه لا يجوز العمل بالحديث الضعيف الشديد الضعف، وقد حكى العلا ئي الاتفاق على ذلك ... أما إذا كان المراد بالاندراج تحت أصل معمول به هو تعدد الطرق، أو وجود شاهد له من القرآن أو السنة ونحو ذلك، فإنه بمجموع طرقه ونحوها يرتقي إلى درجة الحسن لغيره ويصير حجة يعمل به ... ولا يسمى ضعيفاً ... فيكون الخلاف حينئذ لفظياً#[4].

فهذه عشرة كاملة في بيان المقصود كافية -إن شاء الله-، فلا تغرنك الكثرة الكاثرة، في حكم الاحتجاج بالضعاف وهي من الصحة عارية، ومن الصواب خالية.

المقدمة الثالثة[5]: إن هؤلاء الذين يحتجون بهذه الشبهات لا يقبلون في باب العقائد -حسب زعمهم- إلا القطعي من الأدلة، إذ من أصولهم[6]

(1) انظر: فتح المغيث (332/1-333)، وتدريب الراوي (351/1).
(2) انظر: مجموع الفتاوى (271/19)، والحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به (ص 294).
(3) انظر على سبيل المثال لا الحصر: المجموع شرح المهذب (305/3)، وشرح النووي على صحيح مسلم (315/4، 351/6، 354، 15/7).
(4) الوضع في الحديث (73/1 -الهامش).
(5) انظر: الدعاء ومنـزلته (683/2-684).
(6) انظر شروطهم العشرة لإفادة الدليل النقلي لليقين، والخلاف في إفادته اليقين أو عدم الإفادة في: المواقف في علم الكلام للإيجي (ص 40)، وأصول الدين

المقررة لديهم أن غير قطعي الثبوت والدلالة -يريدون بذلك ما لم يكن متواتراً صريح الدلالة- لا يقبل، فهم يردّون الأحاديث المشهورة الصحيحة الثابتة الصريحة الدلالة في باب العقائد بهذه القاعدة المقررة لديهم، ولكنهم تناقضوا -في هذه المسألة التي معنا-، لاحتجاجهم بما هو ليس صريح الدلا لة أو بما هو غير ثابت أصلاً، وهكذا شأن من لم يعتصم بالكتاب والسنة، فلابد أن يتناقض.

قال الحافظ ابن عبد البر : في معرض رده على من احتج بحديث ضعيف في مسألة الاستواء: $وهم لا يقبلون أخبار الآحاد العدول، فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا من الحديث، ولو عقلوا أو أنصفوا؟#[1].

المقدمة الرابعة[2]: إن هذه الشبهات التي احتجوا بها، ما صح منها يُعدّ من المتشابه، والواجب في مثل هذا رد المتشابهات إلى المحكمات، وهذا هو شأن الراسخين في العلم.

قال تعالى: ﭽﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ[3]

للبغدادي (ص 35-40)، ويراجع شرح المقاصد للتفتزاني (6/1)، وشرح العقائد النسفية له أيضاً نقلاً عن الدعاء ومنـزلته (683/2).

(1) التمهيد (132/7-133).

(2) انظر: الدعاء ومنـزلته (682/2-683).

(3) القرآن الكريم كله محكم باعتبار، وكله متشابه باعتبار، وبعضه محكم وبعضه متشابه -كما في الآية السابقة- باعتبار ثالث.

أما الإحكام الذي يعمه فهو كما قال تعالى: ﭽﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼهود: ١؛ فالقرآن الكريم كله محكم بمعنى أنه متقن مصون من الباطل والفساد، محفوظ من التحريف والتبديل، صدق في أخباره، حق في أحكامه، عدل في أوامره ونواهيه، لا تناقض فيه ولا اختلاف، ولا تعارض فيه ولا تضاد، ليس فيه عبث ولا هزل. انظر: تفسير الطبري (310/12)، وتفسير القرطبي (65/11)، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان (260/5)، والتفسير الصحيح للدكتور حكمت بشير (39/3)، ومجموع الفتاوى (60/3)، وأسباب الخطأ في التفسير (473/1-474).

أما التشابه الذي يعم القرآن فمذكور في مثل قوله تعالى: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ الزمر: ٢٣؛ فالتشابه الذي يعم القرآن هو تماثل الكلام وتناسبه، بحيث يصدق بعضه بعضاً، فإذا أمر بأمر لم يأمر بنقيضه في موضع آخر، بل يأمر به أو بنظيره أو بملزوماته، وإذا نهى عن شيء لم يأمر به في موضع آخر، بل ينهى عنه أو عن نظيره أو عن ملزوماته -إذا لم يكن هناك نسخ- ومثله يقال في الأخبار والقصص.

وهذا التشابه العام لا ينافي الإحكام العام، بل هو مصدق له، فالكلام المتقن يصدق بعضه بعضاً، ويشبه بعضه بعضاً في الحق والصدق والعدل. انظر: تفسير الطبري (190/20)، والتفسير المنسوب إلى مجاهد (ص 36)، وتفسير ابن كثير (93/7-94)، وتفسير البغوي (115/7)، ومجموع الفتاوى (60/3-61)، والتفسير الصحيح (237/4)، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد لعثمان بن علي حسن

آل عمران: ٧.
قال الحافظ ابن كثير : مبيناً معنى الآية السابقة: $يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب، أي: بينات واضحات الدلالة، لا التباس فيها على أحد من الناس، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن ردّ ما اشتبه عليه إلى الواضح منه، وحكّم محكَمه على متشابهه عنده، فقد اهتدى. ومن عكس انعكس#[1].
ويوضح : أن من مسالك أهل البدع كونهم $يحتجون على بدعتهم بمتشابه من القرآن، ويتركون ما يكون فيه صريحاً في الرد عليهم، وهذا حال أهل الضلال والغي، وقد ورد في الحديث الصحيح: $إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم#[2]. يعني في قوله تعالى: ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ آل عمران: ٧، فليس -بحمد الله- لمبتدع في القرآن حجة صحيحة؛ لأن القرآن جاء ليفصل الحق من الباطل، مفرّقاً بين الهدى والضلال، وليس فيه تناقض ولا اختلاف؛ لأنه من عند الله، تنـزيل من حكيم حميد#[3].
ثم يكشف : مغزى أهل البدع في أخذهم لمتشابه القرآن وتركهم محكماته: $إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرّفوه إلى مقاصدهم الفاسدة، وينـزلوه عليها، لاحتمال لفظه لما يصرفونه، فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه؛ لأنه دامغ لهم وحجة عليهم، ولهذا قال: ﭽ ﮯ ﮰ ﭼ أي: الإضلال لأتباعهم، إيهامًا لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن، وهذا حجة عليهم لا لهم#[4].
فالآيات والأحاديث الدالة على منع الدعاء غير المشروع محكمات، فهي صريحة في دلالتها، قطعية الثبوت وقطعية الدلالة، وذلك أن القرآن

(479/2)، وأسباب الخطأ في التفسير (474/1-475).
وأما وصف بعض القرآن بالإحكام والبعض الآخر بالتشابه فهو مذكور في قوله تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ آل عمران: ٧. فالمراد بالمحكم هنا هو: الواضح المعنى الظاهر الدلالة، إما باعتبار نفسه أو باعتبار غيره. والمراد بالمتشابه: ما لا يتضح معناه أو لا تظهر دلالته لا باعتبار نفسه ولا باعتبار غيره. والإحكام الخاص ضد التشابه الخاص. انظر: فتح القدير (308/1)، والحجة في بيان المحجة (189/2-190)، والموافقات (305/3)، وتفسير القرطبي (17/5)، وإعلام الموقعين (58/4-59)، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص 86، 101-102)، وأسباب الخطأ في التفسير (471/1-472، 475).
(1) تفسير ابن كثير (6/2).
(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب منه آيات محكمات (209/8 رقم 4547)، ومسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعه والنهي عن الاختلاف في القرآن (2053/4 رقم 2665).
(3) تفسير ابن كثير (144/1).
(4) المرجع السابق (8/2).

الكريم كله في التوحيد وبيان ما يناقضه أو يناقض كماله من الذرائع و الوسائل، وبيان جزاء أهل التوحيد وأهل من اتصف بضده في الدنيا والآ خرة[1].

ولم يرد في القرآن الكريم في نوع من أنواع الشرك والكفر -مثل ما ورد في الدعاء بنوعيه-[2] مما يدل على التحذير منه وكفر من ارتكبه، ومِثلُ القرآن السنة النبوية التي تشرح القرآن وتبيّنه. فإذا كان الأمر كذلك، ف الواجب أن يُردّ ما يُشتَبَه أنه يخالف هذا المحكم البين إليه، لا أن يؤخذ ب المتشابهات ويتعسف في تأويل المحكمات، كما هو صفة الذين في قلوبهم زيغ.

هذه بعض المقدمات المهمة النافعة -بإذن الله- في الرد الإجمالي على شبهات من يجوّز الممنوع من الدعاء والاستغاثة والاستعانة والاستعاذة، والآ ن أوان الشروع في الرد التفصيلي على تلك الشبهات، وبالله التوفيق وهو الهادي إلى أقوم الطريق...

- <u>النوع الأول: نصوص صحيحة مجملة غير صريحة لم يفهموها فهماً صحيحاً:</u>

لقد تعلق المجيزون للدعاء غير المشروع بعدة آيات وأحاديث صحيحة، زعموا أنها أدلة لهم، فنحن نورد هنا تلك الأدلة التي استدلوا بها مبينين وجهة نظرهم، ثم نناقش حسب ما يسره الله تعالى.

قد استدل القوم بأدلة عديدة من القرآن والسنة على أن الأنبياء و الشهداء والصالحين أحياءٌ في قبورهم، ويسمعون من ناداهم، ولهم قدرة على نفع الأحياء؛ ليتوصلوا بهذه المقدمات إلى: تجويز دعائهم والاستغاثة بهم، والتسوية بين الاستغاثة بالأموات وبين الاستغاثة بالأحياء.

من الأدلة التي استدلوا بها على حياة الأنبياء:

1- قوله تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ آل عمران: ١٦٩.

استدل بعضهم بهذه الآية على أن $الشهداء أحياء في قبورهم. وإذا كانوا أحياء ويُنعَمون عند الله، فالأنبياء والرسل والصحابة والصالحون -الذين كانت منـزلتهم أعلى من هؤلاء- أحياء مثلهم أيضاً. وإذا كان الشرع جاء بجواز الاستعانة بالأصحاب والشيوخ والصالحين والملائكة في حياتهم؛ فالاستعانة بهم -بعد وفاتهم- جائز كذلك؛ لأنهم إخواننا ولو بعد مماتهم#[3].

---

(1) انظر: مدارج السالكين (450/3)، وشرح العقيدة الطحاوية (142/1)، وتيسير العزيز الحميد (ص 30)، وفتح المجيد (ص 24-25).
(2) انظر: الدعاء ومنـزلته (413/1-423).
(3) Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 131-132).

2- حديث $الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون. رواه البيهقي[1]#[2].
3- حديث $مررت على موسى عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره. رواه أحمد مسلم والنسائي[3]#[4].

(1) رواه أبو يعلى في المسند (147/6 رقم 3425)، ومن طريقه البيهقي في حياة ا لأنبياء (ص 71-72 رقم 2)، والبزار (299/13 رقم 6888). قال الحافظ في فتح الباري (487/6): $صححه البيهقي#. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (211/8): $رواه أبو يعلى والبزار ورجال أبي يعلى ثقات#، وصححه المناوي في فيض القدير (184/3 رقم 3089)، وضعفه ابن القيم في الكافية الشافية (663/2 رقم البيت 2939)، واختلف قول الصنعاني فيه فصححه في جمع الشتيت شرح أبيات التثبيت (ص 158) وضعفه في الإنصاف في حقيقة الأولياء (ص 80)، وصححه الشيخ الألباني في التوسل أنواعه وأحكامه (ص 58-59) والسلسلة الصحيحة (190/2 وما بعدها رقم 621) في بحث قوي ومفيد ونافع.

(2) ممن استدل به: سراج الدين عباس في كتابه I'tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة)، (ص 368)، ومحمد شعراني أحمد في كتابه: الفرائد السنية والدرر البهية (ص 15).

(3) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ؛ (1845/4 رقم 2375)، والنسائي في سننه، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب ذكر صلاة نبي الله موسى ؛ (237/3 رقم 1631)، وأحمد في مسنده (243/19 رقم 12210).

(4) ممن استدل به: سراج الدين عباس في كتابه I'tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة)، (ص 368)، ومحمد شعراني أحمد في كتابه: الفرائد السنية والدرر البهية (ص 15).

4- $ذُكر في قصة الإسراء والمعراج أن موسى -ع.س-[1] اقترح للنبي محمد -صلعم- أن يطلب التخفيف من الله في فرضية الصلاة. فاستجاب الله طلب رسول الله -صلعم-، فبعد أن كان عدد الصلوات في بداية فرضها خمسين صلاة، أصبحت خمس صلوات بأجر خمسين صلاة. انظروا كيف أن موسى -ع.س- استطاع أن ينفع، حتى في مماته[2]#[3].

من الأدلة التي استدلوا بها على حياة رسول الله ح:

5- قول الله تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ النساء: ٦٤.

يقول أحدهم: $دلت الآية على أن المذنب إذا جاء إلى الرسول واستغفر الله أمام الرسول واستغفر له الرسول فإن الله سيقبل توبته؛ لأن الله رحيم تواب ... فكذلك المجيء إلى قبر رسول الله واستغفار الله أمام رسول الله [يعني فإن الله سيقبل توبته]. لأن النبي محمداً وإن كان قد توفي إلا أن منـزلة الرسالة لم تنته بوفاته. لاسيما أن مِن معتقد أهل السنة والجماعة: أن النبي -صلعم- حي في قبره ويسمع سلام من يسلم عليه#[4].

6- حديث $"فإذا صلى أحدكم فليقل: التحيات لله والصلوات و الطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. رواه البخاري ومسلم"[5]. دل الحديث على أن المسلم في صلواته الخمس يسلم على النبي -صلعم- بأن يوجه إليه هذا الكلام مباشرة، فهذا يدل على أن النبي -صلعم- حي في قبره، ويجوز لنا مخاطبته#[6].

---

(1) هكذا في الأصل، و$ع.س# اختصار من $عليه السلام#. إنما تركته كما هو: أولاً من أجل الدقة في النقل، وثانياً للدلالة على بخل هؤلاء حتى في الصلاة والسلام على الأنبياء، مع أنهم يدّعون محبتهم. وستأتي الرموز الأخرى، مثل $صلعم# اختصار من $صلى الله عليه وسلم#، و$ر.ض# اختصار من $رضي الله عنه أو عنها#.

(2) قصة الإسراء والمعراج رواها البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء (458/1 رقم 349 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ح (145/1 رقم 162).

(3) Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 133).

(4) Empat Puluh Masalah Agama (أربعون مسألة دينية) (142/1)، ونقل صاحب كتاب Fiqh Tradisionalis (فقه المتقدمين) في (ص 243) هذا الاستدلالَ. وممن استدل بهذه الآية صاحب كتاب Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 88).

(5) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب التشهد في الآخرة (311/2 رقم 831 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة (301/1 رقم 402).

(6) I'tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 366).

7- وحديث $"ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام. رواه أبو داود"[1]. وقال الإمام الزرقاني[2] في $شرح المواهب# 335/5 مفسراً هذا الحديث: أن النبي حي باستمرار في قبره؛ لأ ن الناس على وجه الأرض يسلِمون عليه في كل وقت وحين#[3].

من الأدلة التي استدلوا بها على حياة عموم الأموات في قبورهم:

8- قوله تعالى: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠﭼ التوبة: ١٠٥.

استدل بعضهم بهذه الآية على أن الأموات ما زالوا قادرين على نفع الأ حياء، ومن ثم يجوز الاستغاثة بهم. ثم نقل قولَ ابن كثير :[4]: $وقد ورد: أن أعمال الأحياء تُعرَض على الأموات من الأقرباء والعشائر في البرزخ، كما قال أبو داود الطيالسي: حدثنا الصلت بن دينار، عن الحسن، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ح: "إن أعمالكم تعرض على أقربائكم وعشائركم في قبورهم، فإن كان خيرًا استبشروا به، وإن كان غير ذلك قالوا: "اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك"[5]#[6].

9- وحديث $أنس ط أنه قال: سمع المسلمون من الليل ببئر بدر ورسول الله قائم ينادي: يا أبا جهل بن هشام، ويا شيبة ابن ربيعة ويا أمية ابن خلف! هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً، فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً. قالوا: يا رسول الله، أو تنادي قوماً قد جيفوا. فقال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا. رواه النسائي[7].

---

(1) رواه أبو داود في سننه، كتاب المناسك، باب زيارة القبور (366/2 رقم 2041) عن أبي هريرة ط، وجوّد إسناده الحافظ العراقي كما في تخريج الإحياء (281/1)، وشيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (233/1)، وصحح إسناده النووي في رياض الصالحين (ص 470 رقم 1410)، وابن قيم الجوزية في جلاء ا لأفهام (ص 108)، وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (338/5 رقم 2266).

(2) هو: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري المالكي (1055-1122 هـ)، محدث، من كتبه: شرح المواهب اللدنية، وشرح موطأ الإمام مالك. انظر: الرسالة المستطرفة للكتاني (ص 191)، والأعلام (184/6).

(3) I'tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 369).

(4) تفسير ابن كثير (209/4).

(5) مسند الطيالسي (340/3 رقم 1904)، وإسناده ضعيف جداً؛ لأن فيه الصلت بن دينار، وهو متروك، كما في التقريب (رقم 2963).

(6) Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 132).

(7) رواه بهذا اللفظ النسائي في سننه، كتاب الجنائز، باب أرواح المؤمنين وغيرهم (416/3 رقم 2074) وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن النسائي (80/2 رقم 2074). وأصل القصة رواه البخاري في مواضع من صحيحه، منها في كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر (232/3 رقم 1370)، وفي كتاب المغازي،

[قال المخالف]: يستفاد من الحديث:
1. نداء النبي للأموات ومخاطبتهم.
2. أولئك الأموات، وإن كانوا قد ماتوا ودُفنوا، إلا أنهم أعيدت حياتهم حياة برزخية، حتى يسمعوا نداء من يناديهم من الأحياء.

ج. نداء الميت ليس بمنهي عنه. فإذا كان الكفار يجوز مناداتهم، فكيف بالأنبياء وعلماء الإسلام#[1].

10- وحديث $أنس ط عن النبي ح قال: "العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب أصحابه إنه يسمع قرع نعالهم". رواه البخاري[2]. [قال المخالف]: فالحديث دال على سماع الميت لقرع النعال، فكيف بالنداء.

11- وفي الحديث الذي رواه مسلم "أن النبي ح علّم أمته عند زيارة القبور أن يقولوا: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، وأسأل الله لنا ولكم العافية". رواه مسلم[3]. [قال المخالف]: الحديث واضح في بيان جواز مخاطبة الميت، كمخاطبة الأحياء.

12- في الحديث: "كان ح إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل. رواه أبو داود[4]. [قال

باب قتل أبي جهل (300/7 رقم 3976)، وباب شهود الملائكة بدراً (324/7 رقم 4026). ورواه أيضاً مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (2202/4 رقم 2873).

(1) I'tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 363-364).

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال (205/3 رقم 1338)، وباب ما جاء في عذاب القبر (232/3 رقم 1372)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (2200/4 رقم 2870)، وأبو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب المشي في النعل بين القبور (360/3 رقم 3231)، وفي كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر (75/5 رقم 4752)، والنسائي في سننه، كتاب الجنائز، باب التسهيل في غير السبتية (402/3 رقم 2048)، وباب المسألة في القبر (رقم 2050)، وباب مسألة الكافر (403/3 رقم 2050)، و البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الجنائز، باب المشي بين القبور في النعل (80/4)._

(3) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبر والدعاء لأ هلها (671/2 رقم 975) من حديث بريدة بن الحصيب.

(4) رواه أبو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب الاستغفار عند القبر للميت في وقت الا نصراف (357/3 رقم 3221)، وقال الحاكم في المستدرك (370/1-371): $صحيح الاسناد#، وصححه الذهبي، والشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (305/2 رقم 3221).

المخالف]: دل الحديث على أن الميت أعيدت له حياته في قبره ويسأل عن أشياء.

[وقال]: نستخلص من هذه الأدلة:

1. جواز مناداة الميت ومخاطبته. فيجوز لنا أن نقول: يا رسول الله أمام قبره في المدينة أو في أي مكان آخر.
2. أن الله يعيد للميت حاسة السمع والحس، فيسمعون أقوالنا وقرع نعالنا على قبورهم#[1].

13- $قصة النبي موسى مع الخضر -ع.س- الذي أقام جداراً ليتيمين الذي كاد أن ينقض؛ من أجل حماية كنـز أبويهما. وقد فَعَل الخضر هذه الأعمال كلها من أجل أنّ جدّهما السابع من الصالحين. فتنبه، حتى وإن كان ذلك الجد قد توفي، إلا أنه ما زال ينفع الحي، وذلك أن بعث الله النبي موسى مع الخضر -ع.س- لحراسة ذلك الكنـز#[2]، وهذا -بزعمه- مما يدل على جواز الاستغاثة بالأموات؛ لأنهم قادرون على نفع الأحياء، كما في هذه القصة[3].

وقاسوا جواز الاستعانة بالرسول ح بعد وفاته بمشروعية الاستعانة بـ الصبر والصلاة، كما في قول الله تعالى:

14- ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ البقرة: ٤٥[4].

وقاسوا ذلك أيضاً بالتعاون المشروع بين الناس، كما في قوله الله تعالى:

15- ﭽ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦﯧ ﭼ المائدة: ٢، وقوله سبحانه:

16- ﭽ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﭼ الكهف: ٩٥[5].

واستدلوا على جواز الاستغاثة بالأموات بحديث استشفاع أهل الموقف بالأنبياء، فقال أحدهم:

17- $ذُكِر في صحيح البخاري في حديث طويل أن الناس في المحشر جاؤوا أفواجاً إلى الأنبياء يستغيثون بهم، ويستعينون بهم كي يسألوا من الله أن يعجل الحساب. وأول هذا الحديث: قال رسول الله ح: يجمع الناس يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من

(1) I'tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 365-367).
(2) هذه القصة مذكورة في الآيتين 77، و82 من سورة الكهف.
(3) انظر: Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 131-132).
(4) انظر: I'tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 371).
(5) انظر: I'tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 371-372).

مكاننا فيأتون آدم ... الحديث. رواه البخاري (98/4)[1] صرّح الحديث بأن الناس في الآخرة يستغيثون بالأنبياء، يستغيثون بالنبي آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، حتى آخرهم النبي محمداً -صلعم-. فالناس يستغيثون بالأنبياء حتى في الآخرة#[2].

وبعد سرد المخالفين لتلك الأدلة، فالنتيجة النهائية التي يريدون الوصول إليها هي أنه: $لا فرق بين الاستغاثة بالأحياء وبين الاستغاثة بالأموات#[3]، فـ$يجوز الاستعانة برسول الله بعد وفاته، لأنه حي في قبره يصلي ويدعو#[4]. وتعليلهم أن $أهل السنة يعتقدون جواز الاستعانة بغير الله، بشرط الاعتقاد بأن المعين في الحقيقة هو الله، أما في الظاهر فإن الذي طلبنا منه العون فهو ذلك الإنسان#[5].

و$الذي يعد شركاً وكفراً هو: عبادة المخلوق، أو الاعتقاد بأن المخلوق هو الرب المعبود، أو الاعتقاد بأن الإنسان له قدرة على الخلق مثل الله.

هذا هو معتقد أهل السنة، وهذا مخالف لعقيدة ابن تيمية والوهابيين الذين يرون أن الاستعانة بغير الله شرك، والاستغاثة بالنبي بعد وفاته شرك#[6].

قلت: هذه هي بضاعة القوم، وقد حاولت ذكرَ جلّها -من خلال مصادرهم الموثوقة لديهم، بحسب ما تيسر لي- وراعيت الدقة في نقل استدلالاتهم منها، حتى لا أظلمهم بالافتراء على ما لم يقولوه -كما هو شأنهم مع مخالفيهم-[7].

والجواب عن استدلالهم بهذه الأدلة على ما يزعمونه من تسعة أوجه، هي:

الوجه الأول: أنهم فسروا تلك النصوص الصحيحة بتفسيرات من

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله عز وجل "ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه" [هود: 25] (371/6 رقم 3340)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإ يمان (180/1 رقم 193).

(2) I’tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama’ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 369-370).

(3) Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 131).

(4) I’tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama’ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 372).

(5) المرجع السابق (ص 371).

(6) المرجع السابق (ص 372-373).

(7) انظر من أمثلة افترائهم على مخالفيهم في: I’tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama’ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 306-346، 351، 356-373، 375)، وEmpat Puluh Masalah Agama (أربعون مسألة دينية) (130/1)، و Tujuh Puluh Dua Bukti Kekeliruan Paham Wahabi (اثنان وسبعون برهاناً على خطأ الفكر الوهابي) تأليف سعيد علي (ص 1-4، 6، 9، 10، 14، 17، 18).

عند أنفسهم -إلا ما ورد في دليلهم "الثامن"-، ووجهوا تلك الأدلة وفق ما تهواه أنفسهم، ولم يلتزموا بفهم السلف الصالح لتلك النصوص، وقد مضى بيان شيء من أوجه ضرورة الرجوع إلى فهم السلف الصالح في فهم نصوص الكتاب والسنة[1].

الوجه الثاني: أنهم أرادوا من خلال النصوص السابقة -التي كانت أكثرها من المتشابه- التغافل عن النصوص الأخرى المحكمة الواضحة الدلالة على تحريم صرف الدعاء والاستغاثة والاستعانة والاستعاذة لغير الله سبحانه، وليس هذا شأن الراسخين في العلم، إذ الواجب في مثل هذه الحالة رد متشابه النصوص إلى محكمها[2].

الوجه الثالث: دلت الأدلة التي ذكرتم وغيرها على أن الأنبياء أحياء في قبورهم، مع أن هناك آيات صريحة تدل على خلاف ذلك، منها: قول الله ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼآل عمران: ١٤٤، وقوله: ﭽ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﭼالزمر: ٣٠، وقوله: ﭽ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﭼالأنبياء: ٣٤، وقوله: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﭼالعنكبوت: ٥٧، وقد استدل أبو بكر الصديق ط ببعض هذه الآيات البينات على موت رسول الله ح، كما في $صحيح البخاري#[3].

إذاً مجموع هذه الأدلة تدل على حياة وموت، والحياة والموت متضادان في المعنى، فلا يمكن الجمع بينهما على تفسير أن الموت المعني به هو حقيقي وزوال كلي، والحياة حياة حقيقية بكل الوجوه، فهذا يتطلب أن يكون $الموت المثبت غير الموت المنفي#[4]، وتكون الحياة المثبتة غير الحياة المنفية ضرورة، لأن عدم ذلك يلزم منه الجمع بين المتناقضين.

فقد أفلح أهل السنة والجماعة الحقيقيون إذ عملوا بكل تلك النصوص الثابتة، فقالوا: إن الأنبياء -وعلى رأسهم نبينا محمد ح- أحياء في قبورهم حياة برزخية[5]، أكمل وأعظم من حياة الشهداء[6]، ولنبينا ح فيها من الخصائص ما ليس لغيره[7]، وهي حياة ليست من جنس حياتهم في الدنيا، اختص بالعلم بكيفية هذه الحياة رب العزة والجلال.

---

(1) انظر: (ص 237-240).
(2) انظر (ص 247-249).
(3) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ح ووفاته (145/8 رقم 4454 -الفتح).
(4) فتح المنان في نقض شبه الضال دحلان، للشيخ زيد بن محد آل سليمان (ص 95).
(5) إن هذا القول الحق قد صرح به بعض المبتدعة أنفسهم. انظر على سبيل المثال: I'tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 364).
(6) انظر: الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات لأبي البركات الآلوسي (ص 109).
(7) انظر بعض تلك الخصائص في: الآيات البينات (ص 111 وما بعدها)، والمباحث العقدية المتعلقة بقبر النبي ح، لبدر بن مقبل الظفيري (ص 844 وما بعدها).

ولا مدخل للقياس والاجتهاد فيه[1]؛ لأن أمر البرزخ أمر غيبي، بل لا بد فيه من التسليم لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، ولا نتعدى تلك النصوص بـ$ضرب الأمثال لتلك الحياة البرزخية ومحاولة تكييفها وتشبيهها بما هو المعروف عندنا في حياة الدنيا#[2].

قال الإمام الذهبي[3] :: $وهو ح حي في لحده حياة مثله في البرزخ، التي هي أكمل من حياة سائر النبيين، وحياتهم بلا ريب أتم وأشرف من حياة الشهداء الذين هم بنص الكتاب ﭼ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ[آل عمران: ١٦٩]. وهؤلاء حياتهم الآن التي في عالم البرزخ حق، ولكن **ليست هي حياة الدنيا من كل وجه**، ولا حياة أهل الجنة من كل وجه ...#[4].

$ومما يقرب هذا للذهن: حياة النائم فإنه يخالف الحي في جميع التصرفات مع أنه يدرك الرؤيا ويعقل المعاني والله تعالى أعلم#[5].

فالحياة البرزخية لا تُحسّ ولا تدرك بمشاعر الأحياء، ولا يعرف حقيقتها أهل الدنيا، وإلى ذلك أشار الله تعالى في قوله: ﭼﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼالبقرة: ١٥٤.

يقول النسفي[6] : مفسراً قوله تعالى: ﭼ ﯜ ﯝ ﭼ: $لا تعلمون ذلك، لأن حياة الشهيد لا تعلم حساً#[7].

وقال البيضاوي :: $ﭼ ﯜ ﯝ ﭼ ما حالهم، وهو تنبيه على أن حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات، وإنما هي أمر لا يدرك بالعقل بل وبالوحي#[8].

وبنحو ذلك وضّح الخطيب الشربيني[9] :، وصاحب $التفسير الوسيط#[10].

---

(1) انظر: تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران (ص 70).
(2) السلسلة الصحيحة (190/2) بتصرف يسير.
(3) هو: محمد بن أحمد بن عثمان التركماني ثم الدمشقي الشافعي أبو عبد الله الذهبي (673-748 هـ)، المحدث الحافظ المؤرخ، له: تاريخ الإسلام، وسير أعلام النبلاء، وميزان الاعتدال وغيرها. انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي (ص 517-519).
(4) السير (161/9).
(5) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ص 35).
(6) هو: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات (ت 710 هـ)، فقيه حنفي، مفسر، من مصنفاته: مدارك التنـزيل (في تفسير القرآن)، وكنـز الدقائق (في الفقه). انظر: الدرر الكامنة (247/2)، والأعلام (67/4).
(7) تفسير النسفي المسمى مدارك التنـزيل وحقائق التأويل (143/1).
(8) تفسير البيضاوي (ص 32).
(9) انظر: السراج المنير (166/1). والخطيب الشربيني هو: محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين (ت 977 هـ)، فقيه شافعي، مفسر، من أهل القاهرة. من تصانيفه: السراج المنير (في التفسير)، والاقناع في حل ألفاظ أبي شجاع. انظر: شذرات الذهب (384/8)، والكواكب السائرة (72/3-73)، والأعلام (6/6).
(10) (313/1) لمؤلفه محمد سيد طنطاوي.

ويؤيد البيانَ السابق دليلُهم الأول وهو قوله تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡﭼ آل عمران: ١٦٩.

يقول المناوي : مبيّناً الآية السابقة: $وفائدة التقييد بالعندية: الإشارة إلى أن حياتهم ليست بظاهرة عندنا#[1].

ثم إن هذه العندية إما أن تكون عندية حقيقية حسية، أو معنوية مجازية.

فإن كان الأول وهو الحق -والمعنى: أنهم موجودون بحياتهم حياة برزخية عند الله فوق الخلائق- فهو رد واضح على هؤلاء. وذلك أن مسلماً من المسلمين لن يبيح لنفسه ولدينه أن يدعو مخلوقاً نائياً غائباً عنه واقعاً في أقصى مكان: في السماوات أو في الأرض. والمسلمون يعتقدون بأن عيسى بن مريم مرفوع إلى الله[2]، ولا يرى أحد منهم أن دعوته جائزة أو ممكنة.

ولو أن نبياً من الأنبياء: محمداً أو إبراهيم أو موسى أو عيسى لإ أو غير هؤلاء كان اليوم موجوداً حياً سوياً، فراح الناس يدعونهم من كل مكان أو في كل مكان، بكل حاجة، في الحضرة والمغيب، مع البعد والقرب -كما يفعل بعض هؤلاء في المشايخ الميتين- لكانوا ضالين جاهلين فاعلين ما لا تجيزه العقول ولا الشرائع الصحيحة.

وقد كان الأنبياء أحياءً موجودين بين أظهر أقوامهم، ومع ذلك ما كانوا يدعونهم من كل مكان، بل كانوا لا يدعونهم إلا حاضرين شاهدين، وما حاول أحد منهم من أهل الفضل والعلم والبصر بالدين شيئاً من هذا.

ولا يدعو مخلوق مخلوقاً من كل مكان وفي كل مكان، إلا إذا زعم وآمن بما زعم أن ذلك المخلوق المدعو عالم بكل شيء، محيط بالغيوب، عارف بما قرب وما بعد. ومن زعم هذا واعتقده في إنسان أو في مخلوق، فقد شبهه بالخالق وسوّاه به في صفة علم الغائبات والإحاطة بالكائنات. ومن اعتقد هذه العقيدة في مخلوق: في نبي أو ولي أو صالح، فقد ضل الضلال البعيد وكفر بإجماع المسلمين[3]. هذا إذا اخترنا أن هذه $العندية# في قوله تعالى ﭽ ﮜ ﭼ عندية حسية حقيقية.

أما إذا اخترنا أنها عندية مجازية معنوية، على معنى: أنهم أحياء في حكم ربهم وشهادته وجزائه ومثوبته، وإن لم يكونوا أحياء في الواقع ولا عند الخلق ولا في المشاهدة، -كقوله ح: $لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك#[4]؛ يعني أن هذه الرائحة المرغوب عنها المنبعثة من فم

(1) فيض القدير (184/3 عند حديث 3089)._
(2) بنص الآية (55) من سورة آل عمران.
(3) وقد مضى شرح هذا الحكم بأدلته في (ص 226-228).
(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب فضل الصوم (103/4 رقم 1894

الصائم عند اشتداد جوعه، حكمُها عند الله أنها طيبة، وأنها أطيب من ريح المسك، وإن كانت في الواقع والمشاهدة كريهة مرغوباً عنها - فإذا اخترنا هذا المذهب في معنى ﭽ ﮞ ﮟﭼ في الآية الكريمة، فلا شك أن الآية خارجة عما نحن فيه، بعيدة كل البعد عن استدلال القوم، بل تكون رداً عليهم نقضاً لمذهبهم وزعمهم؛ وذلك لأن المعنى حينئذ أن الشهداء في الواقع أموات حقيقة، ولكن حكمهم عند الله حكم الأحياء، بل هم أفضل منهم؛ لأنهم باعوا أنفسَهم لله تعالى، وباعوا كل شيء لدينهم ونصرةِ شريعته ، فنالوا من الثواب ما لا ينقطع وما لا يموت، فكأنهم ما ماتوا، وكأنهم ما ز الوا يعملون في رضا الله، وذلك أيضاً لأن أثر جهادهم لا يزال باقياً، ولا يزال حياً مشهوداً، فكأن الجهاد كذلك باق مشهود، وكأنهم لا يزالون باقين أحياء مشهودين.

ولكنهم أموات في الحقيقة، والأموات لا يسعون، فلا يُدعَون ولا يُرجَون لشيء يُرجَى له الأحياء، إذ قد أفضوا إلى دار الجزاء والثواب. فالآ ية على الاحتمالين نقض صريح على دعاة الأموات والمؤيدين لدعائهم احتجاجاً بالآية الكريمة. والحمد لله...

وإننا نختار الاحتمال الأول، وهو أن يكون معنى الآية الكريمة أن الشهداء أحياء بأرواحهم حياة حقيقية برزخية غيبية روحية، وأن الأنبياء أولى بالحياة منهم، ولكن هذه الحياة لا تدل على جواز دعوتهم والاستغاثة بهم؛ وذلك لأنهم أحياء عند ربهم لا عندك ولا عند دعاتهم الهاتفين بأسمائهم(1).

عن مسروق بن الأجدع(2) قال: سألنا عبد الله -يعني: ابن مسعود- عن هذه الآية ﭽﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥﭼ آل عمران: ١٦٩؟ قال: أما إنا سألنا عن ذلك فقال ح: $أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شيء نشتهي؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ً. ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى. فلما رأى أن ليس لهم حاجة تـ ُركوا#(3).

-الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب فضل الصيام (806/2 رقم 1151) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(1) الصراع بين الإسلام والوثنية، لعبد الله بن علي القصيمي (392/2-395) باختصار.

(2) هو:مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي أبو عائشة الكوفي (ت 63 هـ)، ثقة فقيه عابد مخضرم. انظر: التقريب (رقم 6645).

(3) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة

وقد ترجم النووي : لهذا الحديث بـ$باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون#[1].

ويقول إمام المفسرين ابن جرير الطبري : في تفسيره لهذه الآية: $وقوله: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗﭼ يعني: الذين قتلوا بأحد من أصحاب رسول الله ح، يقول الله: ولا تحسبنهم يا محمد ﭽﮘﭼ لا يحسُّون شيئًا، ولا يلتذُّون ولا يتنعمون، فإنهم أحياء عندي، متنعمون في رزقي، فرحون مسرورون بما آتيتهم من كرامتي وفضلي، وحبَوْتهم به من جزيل ثوابي وعطائي#. ثم ساق : نحواً

وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون (1502/3 رقم 1887).

(1) شرح النووي على صحيح مسلم (34/13).

من عشرين حديثاً وأثراً، منها: ما سبق ذكره من سؤال مسروق لعبد الله بن مسعود ط[1][2].

ويقول الحافظ ابن كثير : في تفسير الآية نفسها: **$**يخبر تعالى عن الشهداء بأنهم وإن قتلوا في هذه الدار فإن أرواحَهم حية مرزوقة في دار القرار**#**[3].

هذا تفسير من إمام الحنفاء ح وتوضيح من أساطين العلماء، يؤيد ما ذكرنا، فهل بعد هذا البيان بيان؟؟

تنبيه مهم[4]: لا تلازم بين الحياة وبين طلب شيء منهم، فمثلا ً: هؤلاء شهداء أحُد معروف مكانتهم وفضلهم، ومعروفة قبورهم، ومع ذلك لم يذهب إليهم أحد من المسلمين من صحابة الرسول ح في حياته ح ولا بعد مماته ح يستغيثون بهم أو يسألونهم الدعاء والشفاعة ولا توسلوا بهم. وهم أحياء حياة برزخية بنص القرآن، لأنهم من الشهداء.

فلماذا ترك أولئك طلبَ الدعاء من هؤلاء الشهداء؟ بل الثابت عنهم أنهم كانوا يدعون لهم، لا أنهم يستغيثون بهم أو يسألونهم الدعاء، لأنهم وإن كانوا أحياء إلا أن حياتهم حياة برزخية لا نعلم حقيقتها، فهي مختلفة في ما يقدرون عليه عن حياتهم في الدنيا.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن عمر ط قال: إني سمعت رسول الله ح يقول: **$**إن خير التابعين رجل يقال له أويس[5]، وله والدة، وكان به بياض، فمروه فليستغفر لكم**#**[6].

وفقه هذا الحديث الصحيح: أن الرسول ح أرشد عمر أن يطلب الدعاء من أويس وهو تابعي[7]، وأين من-زلته من من-زلة رسول الله ح؟ فأرشد الرسول ح عمرَ إلى أن يطلب الدعاء من المفضول ويترك طلب الدعاء من خير الخلق في قبره، وهذا دليل واضح على أن الفرق هو تغير نوع الحياة، وقدرة الحي على الدعاء للمعيّن، بخلاف مَن حياته حياة برزخية.

---

(1) انظر ذلك في الصفحة السابقة (ص260).
(2) تفسير الطبري (228-227/6).
(3) تفسير ابن كثير (161/2).
(4) هذه مفاهيمنا (ص 163)، والشرك في القديم والحديث (1214-1212/3) بتصرف يسير.
(5) هو: أويس بن عامر القرَني، سيد التابعين، توفي في موقعة الصفين. انظر: التقريب (رقم 586).
(6) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أويس القرني ط (1968/4 رقم 2542).
(7) التابعي هو من لقي واحداً من الصحابة فأكثر. انظر: معرفة علوم الحديث للحاكم (ص203)، وتدريب الراوي (700-699/2)، والتقييد والإيضاح للعراقي (ص 274)، ومعجم مصطلحات الحديث (ص 75).

فإذا كان هذا في حق الرسول ح، وهو أحسن حالا ً في القبر على الإ طلاق، فكيف بمن يستغيث ويطلب الدعاء من الأموات الآخرين؟

ثم إن في الآية نفسها -أعني قوله تعالى ﭽﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣﭼ- إشارة إلى الرد على من استدل بها على جواز الاستغاثة بالأ موات، وهي ما ختمت به الآية ﭽ ﮣﭼ أي أنهم مرزوقون، وليسوا رازقين، إذ لم يقل الله : ﭽيَرزُقونﭼ بالفتح؛ فالمرزوق لا يطلب منه الرزق ولا يستغاث به، إنما يطلب الرزق من الرازق، وهو الله جل وعلا.

قال الشيخ زيد بن محمد آل سليمان[1] :: $حُكي لنا أن رجلا ً من أهل مكة المشرّفة يُنسَب إلى علم قال لرجل عاميّ من أهل نجد: $أنتم ما لأولياء عندكم قدر، والله يقول في الشهداء: ﭽﮕ ﮖ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣﭼ#، فقال العامي: $هل قال ﭽيَرزُقونﭼ بفتح الياء أو قال: ﭽ ﮣﭼ بالضم، فإن كان يعني بالفتح فأنا أطلب منهم، فإن كان يعني بالضم فأنا أطلب من الذي يرزقهم#، فقال المكيّ: $حجاجكم كثير!# وسكت#[2].

هذا هو الجواب عن أدلتهم: الأول والثاني والثالث والرابع.

الوجه الرابع[3]: في الجواب عن دليلهم الخامس، وهو قوله تعالى: ﭽﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙﭼ النساء: ٦٤.

زعموا أن الآية تدل على جواز طلب الاستغفار من النبي ح حتى بعد وفاته. والجواب: إن هذه الآية لا تدل على ما ادعوه لوجوه:

1- أن الآية خاصة بحياة النبي ح لأسباب:

أولها: أن الآية نزلت فيمن ترك الرسول ح وذهب إلى الطاغوت وتحاكم إليه، فهذا قد أساء إلى الرسول ح وترك حقاً من حقوقه واعتدى على حقه ح وهو التحاكم إليه.

قال الرازي :: $لقائل أن يقول: أليس لو استغفروا الله وتابوا على وجه صحيح لكانت توبتهم مقبولة؟ فما الفائدة في ضم استغفار الرسول إلى استغفارهم؟ قلنا الجواب عنه من وجوه:

الأول: أن ذلك التحاكم إلى الطاغوت كان مخالفة لحكم الله، وكان أيضاً إساءة إلى الرسول ح وإدخالا ً للغم في قلبه، ومن كان ذنبه كذلك وجب عليه الاعتذار عن ذلك الذنب لغيره، فلهذا المعنى وجب عليهم أن يطلبوا من الرسول ح أن يستغفر لهم إلخ#[4].

---

(1) هو: زيد بن محمد بن سليمان بن مهنا العائذي (ت 1307 هـ)، أحد كبار علماء نجد في زمانه. انظر ترجمته المجمّعة في مقدمة تحقيق كتاب فتح المنان في نقض شبه الضال دحلان (ص 17 وما بعدها).

(2) المرجع السابق (ص 95-96).

(3) استفدت في صياغة هذا الوجه من مراجع، أهمها: الدعاء ومنزلته (2/700-702)، والشرك في القديم والحديث (3/1215-1218).

(4) تفسير الرازي (10/167).

فالذنب الذي هذا شأنه لا تتحقق توبته إلا بالمجيء إلى الرسول ح والاعتراف بالخطأ بترك التحاكم إليه.

ويدل على ذلك أن $لو# من حروف الشرط. وحرف الشرط يدل على أن وجود الجواب يتوقف على وجود الشرط، ففي هذه الآية قد اشترط لحصول التوبة مجيئهم إلى الرسول ح واستغفارهم الله واستغفار الرسول لهم، ومثل هذا الشرط لم يأت في الكتاب والسنة لغير هذا الذنب، فدل ذلك على أن ذنب التحاكم إلى غير الرسول ح مع وجوده ليس إساءة إلى الله فقط، بل فيه اعتداء على حقوق الرسول ح، ولذا اشترط مجيئهم إلى الرسول ح[1].

ثانيها: ليس هناك لفظ عام في الآية حتى يقال: إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، بل الألفاظ الدالة الواقعة في هذه الآية كلها ضمائر، وقد ثبت أن الضمائر لا عموم لها[2]، $إذ الضمائر ليست من صيغ العموم#[3].

ثالثها: الخطاب في $جاؤوك# يدل على حال الحياة؛ لأنه لا يقال لمن جاء إلى قبر رسول الله ح إنه جاء إلى الرسول ح، وإنما يقال جاء قبر الرسول ح.

فاللفظ العام لا يتناول إلا ما كان من أفراده، والمجيء إلى قبر الرجل ليس من أفراد المجيء إلى عين الرجل، لا لغة، ولا شرعاً، ولا عرفاً، فإن المجيء إلى الرجل ليس معناه إلا المجيء إلى عين الرجل، ولا يفهم منه أصلاً أمر زائد على هذا[4].

رابعها: $إذ# في قوله تعالى: ﴿ ﴾ ظرف لما مضى، وليست ظرفاً للمستقبل؛ لم يقل الله: $ولو أنهم إذا ظلموا#، بل قال: $إذ ظلموا#. فالآية تتحدث عن أمر وقع في حياة الرسول ح، واستغفار الرسول ح بعد مماته للمعيّن أمر متعذر؛ لأنه إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث -كما قال الرسول ح-: $صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له#[5]. فلا يمكن لإنسان بعد موته أن يستغفر لأحد؛ بل ولا يستغفر لنفسه أيضاً؛ لأن العمل انقطع[6].

---

(1) انظر: تفسير المنار (5/234-235).
(2) انظر: صيانة الإنسان (ص 16)، والبروق النجدية في اكتساح الظلمات الدجوية للقصيمي (ص 37).
(3) الصواعق المرسلة (3/999).
(4) انظر: صيانة الإنسان (ص 29).
(5) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (3/1255 رقم 1631).
(6) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمن (2/345). وقد اعترض بعض أهل البدع المعاصرين على هذا التوجيه، فللاطلاع على ذلك الاعتراض مع الرد عليه، راجع:

خامسها: قوله تعالى: ﭽﮀ ﮁ ﮂﭼ يدل على حال الحياة، لأن استغفاره ح لمن أتاه إنما يتحقق في حياته ح، وأما أنه يستغفر بعد بعد موته لمن أتاه فهذا يحتاج إلى نص صحيح صريح، وهو غير موجود، وسيأتي مناقشة حديث عرض الأعمال الذي يدل على الاستغفار، مع أن حديث العرض لو صح إنما يدل على عرض جميع أعمال الأمة، وليس لمن جاءه فقط[1].

2- إن الصحابة ن لم يفهموا من الآية العموم، مع أنهم أعلم الناس بمعاني القرآن ومراد الله تعالى به، كما نبّه على ذلك الإمام ابن عبد الهادي : حيث قال: إن $أعلم الأمة بالقرآن ومعانيه هم سلف الأمة ومن سلك سبيلهم، فلم يفهم منها أحد من السلف والخلف إلا المجيء إليه في حياته، ليستغفر لهم ... فلما استأثر الله بنبيه ح ونقله من بين أظهرهم إلى دار كرامته، لم يكن أحد منهم قط يأتي إلى قبره ويقول: يا رسول الله، فعلت كذا وكذا، فاستغفر لي، ومن نقل هذا عن أحد منهم فقد جاهر بالكذب و البهت#[2]. وأما قصة العتبي فهي ضعيفة سنداً ومتناً، وسيأتي مناقشتها في النوع الثاني من أنواع الشبهات[3].

فلو فهم الصحابة من الآية عمومَها لحالتي الحياة والموت، لطلبوا من النبي ح بعد موته الاستغفار لهم وحل مشكلاتهم؛ فقد اختلفوا بعد لحوقه ح بالرفيق الأعلى -مباشرة- في أمور مهمة للغاية، مثل: اختلافهم في محل دفنه[4]،

هدم المنارة لمن صحح أحاديث التوسل والزيارة لعمرو عبد المنعم سليم (ص 356-358).

(1) انظر ما سيأتي (ص 320-330).

(2) الصارم المنكي (ص 503-504)، وانظر: مجموع الفتاوى (159/1)، والكشف المبدي لتمويه أبي الحسن السبكي - تكملة الصارم المنكي، لمحمد بن حسين الفقيه (ص 125).

(3) انظر ما سيأتي (ص 351-356).

(4) كما في سنن الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في دفن النبي ح حيث قبض (رقم 1018)، وقال: $هذا حديث غريب#. وصححه الشيخ الألباني لشواهده في صحيح سنن الترمذي (518/1 رقم 1018)،_وقال محققوا المسند (207/1): $حديث قوي بطرقه#.

وفي ميراثه[1]، وفي الخلافة[2]، وحصلت لهم كروب وحروب مثل وقعة الجمل[3] وصفين[4]، وفي هذا ظلم بعضهم لنفسه، مع هذا كله لم يأتوا إلى قبره ح ولم يطلبوا منه لا استغفاراً ولا غيره.

وقد كانوا في حياته يراجعونه ح فيما هو أقل من هذا بكثير، فكان الرجل منهم يراجعه ح فيما يقع بينه وبين أهله[5]، فلو فهموا العموم لأتوه، ولو أتوه لنقل إلينا، لأنه مما تتوافر الهمم على نقله؛ فدل تركهم الدائم على أنهم لم يفهموا من الآية العموم.

والقاعدة الأصولية تقول: $الترك الراتب سنة، كما أن الفعل الراتب سنة. بخلاف ما كان تركه لعدم مقتض، أو فوات شرط، أو وجود مانع، وحدث بعده ح من المقتضيات والشروط وزوال الموانع ما دلت الشريعة على فعله حينئذ، كجمع القرآن في مصحف، وجمع الناس على التراويح على إمام واحد، وتعلم العربية ... مما يحتاج إليه في الدين، بحيث لا تتم الواجبات أو المستحبات الشرعية إلا به، وإنما تركه ح بفوات شرطه، أو وجود مانع. فأما ما تركه من جنس العبادات -مع أنه لو كان مشروعاً لفعله أو أذن فيه ولفعله الخلفاء بعده والصحابة- فيجب القطع بأن فعله بدعة وض لالة، ويمتنع القياس في مثله#[6].

وقد حصل هنا المقتضي وهو ظلم بعض الصحابة لأنفسهم، ولا مانع من الإتيان إلى قبره ح، فلما لم يفعلوا دل ذلك على عدم مشروعية إتيان قبره ح وطلب الاستغفار منه ح.

3- لو قلنا: إن الآية عامة، لزم منه أن خير القرون قد عطلوا هذا الواجب وأغفلوه حتى جاء المتأخرون وعملوا به. وهذا لا يقول به من

---

(1) انظر: صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب فرض الخمس (196/6 رقم 3092)، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ح $لا نورث ما تركنا فهو صدقة# (1380/3 رقم 1759).

(2) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت (144-145/12 رقم 6830 -الفتح).

(3) انظر: صحيح ابن حبان، كتاب التاريخ، باب ذكر الإخبار عن قضاء الله جل وعلا وقعة الجمل بين أصحاب رسول الله ح (128/15 رقم 6734 -الإحسان).

(4) انظر: صحيح ابن حبان، كتاب التاريخ، باب ذكر الإخبار عن قضاء الله جل وعلا وقعة صفين بين المسلمين (129/15 رقم 6735 وما بعده -الإحسان).

(5) انظر على سبيل المثال: قصة الصحابي الذي وقع على أهله في نهار رمضان، التي رواها البخاري في صحيحه، كتاب النفقات، باب نفقة المعسر على أهله (513/9 رقم 5368 -الفتح).

(6) القواعد النورانية لشيخ الإسلام (ص 150)، وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم (93-98/2)، وإعلام الموقعين (264/4-265). وانظر هذه القاعدة أيضاً في الا عتصام (273/2)، والموافقات (156/3-163).

يعرف البون الشاسع بين السلف والمتأخرين في الحرص على الخير. ومن المعلوم $أنه لا يجوز إحداث تأويل في آية، أو سنة، لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بيّنوه للأمة؛ فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا وضلوا عنه#[1].

وقد صدّر الله هذه الآية بقوله: ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ، $وهذا يدل على أن مجيئهم إليه ح ليستغفر لهم إذ ظلموا أنفسهم طاعة له ح، ولهذا ذم من تخلف عن هذه الطاعة. ولم يقل مسلم قط إن على من ظلم نفسه بعد موته ح أن يذهب إلى قبره ح، ويسأله أن يستغفر له، ولو كان هذا طاعة له ح لكان خير القرون قد عصوا هذه الطاعة وعطلوها#[2].

قال الحافظ ابن عبد الهادي :: $أفَتَرى عطّل الصحابة والتابعون وتابعوهم -وهم خير القرون على الإطلاق- هذا الواجب الذي ذم الله -سبحانه- من تخلف عنه، وجعل التخلف عنه من أمارات النفاق، ووفق له من لا توبة له من الناس ولا يعد في أهل العلم؟! وكيف أغفل هذا الأمر أئمة الإ سلام وهداة الأنام من أهل الحديث والفقه والتفسير ومن لهم لسان صدق في الأمة؛ فلم يدعوا إليه، ولم يحضوا عليه، ولم يرشدوا إليه، ولم يفعله أحد منهم البتة، بل المنقول الثابت عنه ما قد عرف مما يسوء الغلاة فيما يكرهه وينهى عنه من الغلو والشرك، الجفاة عما يحبه ويأمر به من التوحيد والعبودية#[3].

وبهذا اتضح أن من قال: إنها تدل على العموم، فقد خالف بذلك $إجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر المسلمين، فإن أحداً منهم لم يطلب من النبي ح بعد موته أن يشفع له، ولا سأله شيئاً ولا ذكر ذلك أحد من أئمة المسلمين في كتبهم#[4].

4- على هذا التفسير الذي ذكروه في الآية بأن المراد منها حث الناس على طلب الاستغفار منه ح، $مِن أن الآية حكمها مستمر، فكما أن مجيء من ظلم نفسه إليه ح في حياته واستغفاره عنده ح شرط لقبول توبته، فهو شرط أيضاً في قبول توبة من ظلم نفسه بعد وفاته ح، فلابد من مجيئه إلى قبره ح واستغفاره عنده، واستغفار الرسول ح له. ولا يخفى ما في هذا من المناقضة لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ح وما عليه المسلمون#[5]، ولـ حَـ صَـلَ الحرج العظيم للأمة، ولقيل بلزوم سكنى المدينة، ولما سافر الصحابة إلى الأمصار، وهذا لا قائل به ...

(1) الصارم المنكي (ص 505).
(2) المرجع السابق (ص 506).
(3) المرجع السابق (ص 504-505).
(4) قاعدة جليلة (ص 24).
(5) الكشف المبدي (ص 132) وانظر نفس المصدر (ص 212).

الوجه الخامس: في الجواب عن دليلهم "السادس" و"السابع".

أما الجواب عن دليلهم السادس -وهو: الحديث المتفق عليه في تعليم النبي ح أمته السلام عليه ح في التشهد في الصلوات الخمس واستدلالهم به على حياة النبي ح في قبره وجواز مخاطبته- فيكون الجواب كالآتي:

أما كون النبي ح حياً حياة برزخية فقد اتفقنا على ثبوت ذلك للنبي ح [1]، لكن أن يُستدل بهذا الحديث على جواز مخاطبة النبي ح في كل وقت، فهذا هو موضع الإشكال عندكم.

أيكون قولكم وقول المسلمين في التشهد: $السلام عليك أيها النبي# نداءً للنبي ح بعد مماته؟ أينادي المسلمون النبي في كل صلاة، أم أن لفظ النداء هنا لاستحضار من-زلة الرسول ح؛ ليكون أمكن في القلب لما يجب في حقه من تعزيره وتوقيره ونصرته؟ لا شك أن المراد هو الثاني[2].

مما يؤيد ذلك: أن الكاف في جملة $السلام عليك أيها النبي# $ليست خطاب حاضر يكلم، بل كان الصحابة يقولون ذلك والنبي ح غير حاضر عندهم، فقد كانوا يقولونها وهم في بلد والنبي ح في بلد، وإذا قالوها في حضرته في الصلاة فلم يكونوا يـ ُسمـ ِعونها إياه ح، ولو أسمعوها إياه ح وكانت خطاب حاضر يكلم لأمكن أن يقال بوجوب الرد عليهم، وهذا دليل على أن الكاف هنا لتن-زيل الغائب من-زلة الحاضر لقوة استحضار القلب له#[3].

يقول أبو حامد الغزالي : ضمن كلامه حول ما سماه (أسرار التشهد): $وأحضر في قلبك النبي ح وشخصه الكريم وقل: $سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته# وليصدق أملك في أنه يَبْلُغُه ويرد عليك ما هو أوفى منه#[4].

ظاهر كلام أبي حامد هذا يدل على أن لفظ النداء هنا لاستحضار من-زلة الرسول ح؛ ليكون أمكن في القلب، لا لأجل نداءه ح بعد مماته.

---

(1) انظر ما سبق (ص 257).
(2) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (319/2).
(3) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين (225/13).
(4) الإحياء (155/1).

فلذلك لم يستدل أحد من العلماء المهتدين بهذا السلام على دعوى جواز مناداة النبي ح ومخاطبته بعد موته، وهذا إجماع لا خلاف فيه[1].

برهان ذلك أن أئمة الحديث الذين أخرجوا هذا الحديث في مصنفاتهم ، لم يستنبط أحد منهم -فيما أعلم- من هذا الحديث ذاك الاستنباط الغريب الذي استنبطتم منه.

وفيما يلي أذكر تراجمَ العلماء في تبويبهم لهذا الحديث -إذ تلك التراجم هي فقههم وفهمهم للأحاديث التي أوردوها في مصنفاتهم-.

ممن روى مطلق حديث السلام على النبي ح في التشهد من الأئمة المصنفين:

1. الإمام البخاري : الذي أخرج ذلك الحديث في ستة مواضع من صحيحه[2].
2. الإمام مسلم[3] : الذي أخرجه في ثلاثة مواضع من صحيحه[4].
3. الإمام أبو داود[5] : الذي أورده في أربعة مواضع من سننه[6].
4. الإمام الترمذي[7] : الذي أورده في موضعين من سننه[8].

---

(1) هذه مفاهيمنا، للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (ص 48).

(2) الموضع الأول في كتاب الأذان، باب التشهد في الآخرة (311/2 رقم831 - الفتح)، والثاني في كتاب الأذان، باب ما يُتخير من الدعاء بعد التشهد وليس بواجب (320/2 رقم 835 -الفتح)، والثالث في كتاب العمل في الصلاة، باب من سمى قوماً أو سلم في الصلاة على غيره مواجهة وهو لا يعلم (76/3 رقم 1202) ، والرابع في كتاب الاستئذان، باب السلام اسم من أسماء الله تعالى (13/11 رقم 6230 –الفتح)، والخامس في كتاب الاستئذان، باب الأخذ باليدين (56/11 رقم 6265 -الفتح)، والسادس في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﭼ ﯗ ﯘﭽ الحشر: ٢٣ (365/13 رقم 7381 -الفتح).

(3) هو: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (204-261 هـ)، حافظ إمام مصنف عالم بالفقه، صاحب الصحيح. انظر: التقريب (رقم 6667).

(4) كل هذه المواضع الثلاثة في كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة (301-303/1 رقم 402-404).

(5) هو: سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني أبو داود (202- 275 هـ)، إمام حافظ مصنف السنن وغيرها من كبار العلماء. انظر: التقريب (رقم 2548).

(6) هذه المواضع الأربعة في كتاب الصلاة، باب التشهد (413/1-417 الأرقام 968، 971، 972، 974).

(7) هو: محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي أبو عيسى (209-279 هـ)، صاحب الجامع، أحد الأئمة الحفاظ. انظر: التقريب (رقم 6246).

(8) الموضع الأول في كتاب الصلاة، باب التشهد (ص80 رقم289)، والثاني في كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح (ص261 رقم 1105).

5. الإمام النسائي[1] : الذي أورده في ثمانية عشر موطناً من سننه[2].
6. الإمام ابن ماجه : الذي أورده في خمسة مواضع من سننه[3].
7. الإمام مالك : الذي أورده في ثلاثة مواضع من موطئه[4].
8. الإمام ابن أبي شيبة[5] : الذي أورده في اثني عشر موضعاً من مصنّفه[6].
9. الإمام الدارمي[7] : الذي أورده في موضعين من مسنده[8].
10. الإمام ابن خزيمة[9] : الذي أورده في أربعة مواضع من صحيحه[10].

---

(1) هو: أحمد بن شعيب بن علي النسائي أبو عبد الرحمن (215-303 هـ)، صاحب السنن، أحد الأئمة الحفاظ. انظر: التقريب (رقم 47).
(2) تسعة مواضع تحت كتاب التطبيق، باب كيف التشهد الأول (588/1-592 الأرقام 1162، 1163، 1165، 1166، 1167، 1168، 1169، 1170)، وأربعة مواضع في كتاب التطبيق، باب نوع آخر من التشهد (592/1-595 الأرقام 1171، 1172 ، 1173، 1174)، وموضع واحد في كتاب السهو، باب إيجاب التشهد (47/2-48 رقم 1276)، وواحد في كتاب السهو، باب كيف التشهد (48/2 رقم 1278)، وموضعان في كتاب السهو، باب نوع آخر من التشهد (49/2-50 رقم 1279، 1280)، وواحد في كتاب صفة الصلاة، باب تخيير الدعاء بعد الصلاة على النبي ح (59/2-58 رقم 1297).
(3) أربعة مواضع في كتاب الصلاة والسنة فيها، باب التشهد في الصلاة (410/1-413 الأرقام 213-216)،_وموضع واحد في كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (ص 329 رقم 1892 –ط. مشهور سلمان).
(4) هذه المواضع الثلاثة في كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة (90/1-91 الأ رقام 203، 205، 206).
(5) هو: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة أبو بكر (195-235 هـ)، إمام حافظ، صاحب التصانيف الكبار مثل المصنف والمسند. انظر: السير (122/11 وما بعدها).
(6) هذه المواضع الإثنتي عشر تحت كتاب الصلاة، باب في التشهد في الصلاة كيف هو (161/2-165 الأرقام 2996، 2997، 2999، 3000، 3001، 3002، 3003، 3004، 3005، 3006، 3007، 3009).
(7) هو: عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل السمرقندي أبو محمد الدارمي (181-255 هـ)، صاحب المسند، احد أئمة الحفاظ المتقنين. انظر: التقريب (رقم 3456).
(8) هذان الموضعان في كتاب الصلاة، باب في التشهد (845/2-846 الأرقام 1379، 1380).
(9) هو: محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري الشافعي (223-311 هـ)، إمام الأئمة صاحب التصانيف التي بلغت أكثر من مائة وأربعين كتاباً، منها: كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل. انظر: طبقات السبكي (109/3 وما بعدها)، والسير (365/14 وما بعدها).
(10) الموضع الأول في كتاب الصلاة، باب السنة في الجلوس في الركعة التي يسلم

11. الإمام أبو عوانة[1] : الذي أورده في ستة مواضع من مستخرجه[2].
12. الإمام الدارقطني[3] : الذي أورده في عشرة مواضع من سننه[4].
13. الإمام البيهقي : الذي أورده في أحد عشر موضعاً من سننه الكبرى[5].

ولا أحد مِن أولئكم الأعلام الجهابذة المحديثن الفقهاء مَن استنبط من ذلك الحديث مثلَ استنباطكم الغريب العجيب، أيخفى ذلك على هؤلاء الأع

فيها (348/1 رقم 702)، والثاني في كتاب الصلاة، باب التشهد في الركعتين في الجلسة الأخيرة (348/1 رقم 703)، والثالث في كتاب الصلاة، باب الاقتصار في الجلسة الأولى على التشهد وترك الدعاء بعد التشهد الأول (350/1 رقم 708)، و الرابع في كتاب الصلاة، باب إباحة الدعاء بعد التشهد (356/1 رقم 720).

(1) هو: يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري ثم الاسفراييني الشافعي أبو عوانة (ت 316 هـ)، من أكابر حفاظ الحديث، صاحب المستخرج على صحيح مسلم. انظر: طبقات السبكي (487/3)، والسير (417/14).

(2) موضع واحد في كتاب الصلاة، باب ذكر الأخبار التي تبين أن الإمام والمأموم تجب عليهم قراءة الفاتحة (رقم 1329)، وثلاثة مواضع في كتاب الصلاة، باب إيجاب قراءة التشهد عند القعدة وافتتاحه بالتحيات والدليل على أنه ليس فيه بسم الله (الأرقام 1597، 1599، 1602)، وموضع واحد في كتاب الصلاة، باب إيجاب اختيار الدعاء بعد الفراغ من التشهد وحكم السلام على عباد الله وإيجاب السلام على نفسه وعلى الصالحين، والدليل على أن السلام اسم من أسماء الله (رقم 1603)، وموضع واحد في مبتدأ كتاب النكاح وما يشاكله، باب بيان تثبيت وجوب الخطبة عند التزويج، وما يجب أن يخطب به الخطبة للنكاح (رقم 3365).

(3) هو: علي بن عمر بن أحمد البغدادي الدارقطني أبو الحسن (306-385 هـ)، صاحب السنن والعلل، أحد أئمة الحفاظ الخبيرين بعلل الأحاديث. انظر: تذكرة الحفاظ (991/3 وما بعدها).

(4) عشرة مواضع في كتاب الصلاة، باب صفة التشهد ووجوبه واختلاف الروايات فيه (159/2-167 الأرقام 1325، 1326، 1327، 1329، 1330، 1332، 1333، 1335، 1336، 1337)، وموضع واحدً في كتاب الصلاة، باب ذكر وجوب الصلاة على النبي ح في التشهد واختلاف الروايات في ذلك (167/2 -168 رقم 1338).

(5) موضع واحد في كتاب الحيض، باب الدليل على أنه لا يبدأ بشيء قبل كلمة التحية (141/2)، وموضعان في نفس الكتاب، باب من استحب أو أباح التسمية قبل التحية (141/2-142)، وموضعان في نفس الكتاب، باب من قدم كلمتي الشهادة على كلمتي التسليم (144/2)، وموضع في نفس الكتاب، باب الصلاة على النبي ح في التشهد (148/2)، وموضع في نفس الكتاب، باب الدعاء في الصلاة (153/2)، وموضعان في نفس الكتاب، باب وجوب التشهد الآخر (377/2)، وموضع في كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح (146/7)._

لام؟ إن أجبتم بـ$نعم#، فتعالوا نمتثل قوله تعالى: ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﭼالبقرة: ١٥٦.

أم أنكم توجهون النصوص بحسب ما تهواه أنفسكم؟ وبدون استنارة بأفهام علمائنا الأجلاء من أئمة السلف الصالح؟ قال تعالى: ﭽ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﭼ الإسراء: ٣٦.

وأما **الجواب عن دليلهم السابع** -وهو: حديث $ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام#- واستدلالهم به على جواز مخاطبة النبي ح في كل وقت وحين، فيكون من عدة نواحي:

أولاها: أن هذا الحديث يدل على أن النبي ح حي في قبره -وقد اتفقنا على ذلك لثبوت الأدلة- ولكن $تلك الحياة أيضاً لا يعقل حقيقتها أهل الدنيا، لأنها ثابتة له ح مع أن روحه الكريمة في أعلى عليين مع الرفيق الأعلى فوق أرواح الشهداء، فتعلق هذه الروح الطاهرة -التي هي في أعلى عليين- بهذا البدن الشريف الذي لا تأكله الأرض، يعلم الله حقيقته ولا يعلمها الخلق، كما قال في جنس ذلك ﭽ ﯿ ﰀ ﰁ ﭼ [البقرة: 154].

ولو كانت كالحياة التي يعرفها أهل الدنيا، لما قال الصديق ط إنه ح مات، ولما جاز دفنه، ولا نصب خليفة غيره، ولا قتل عثمان، ولا اختلف أصحابه، ولا جرى على عائشة ما جرى، ولسألوه عن الأحكام التي اختلفوا فيها بعده، كالعول، وميراث الجد والاخوة، ونحو ذلك#[1].

ثانيتها: أن هذا الحديث نص صريح في عدم استقرار روح النبي ح في جسده، وإنما تعود عند رد السلام للجسد، ودليل من الأدلة الواضحة الجلية على أن حياة النبي ح في قبره ليست من جنس حياته في الدنيا كما هو نص الحديث[2] وهذا الحديث لا يدل على استمرار حياة النبي ح في قبره، إذ إن هذا المعنى ليس $[3]مذكوراً في الحديث ولا هو ظاهره، بل هو مخالف لظاهره[4]؛ فإن قوله ح: $إلا رد الله علي روحي# بعد قوله: $ما من أحد يسلم علي# يقتضي رد الروح بعد السلام، ولا يقتضي استمرارها في الجسد.

وليعلم أن رد الروح في البدن وعودها إلى الجسد بعد الموت لا يقتضي استمرارها فيه ولا يستلزم حياة أخرى قبل يوم النشور نظير الحياة المعهودة، بل إعادة الروح الى الجسد في البرزخ إعادة برزخية لا تزيل عن الميت اسم الموت.

---

(1) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص 34-35).
(2) المباحث العقدية المتعلقة بقبر النبي ح (ص 835) بتصرف يسير.
(3) من هذا الموطن إلى (ص 274) نقلاً عن الصارم المنكي (ص 362-364).
(4) يقول الخفاجي في نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض (79/5): $وجواب البيهقي خلاف الظاهر كما لا يخفى#.

وقد ثبت في حديث البراء بن عازب[1] ط الطويل المشهور في عذاب القبر ونعيمه وفي بيان الميت وحاله أن روحه تعاد الى جسده، مع العلم بأنها غير مستمرة فيه، وأن هذه الإعادة ليست مستلزمة لإثبات حياة مزيلة لاسم الميت، بل هي نوع حياة برزخية، والحياة جنس تحتها أنواع وكذلك الموت. فإثبات بعض أنواع الموت لايزيل اسم الموت كالحياة البرزخية، وإثبات بعض أنواع الموت لا ينافي الحياة، كما في الحديث الصحيح عن النبي ح أنه كان إذا استيقظ من النوم قال: $الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور#[2].

وتعلق الروح بالبدن واتصالها به له عدة أنواع:

أحدها: تعلقها به في هذا العالم يقظة ً ومناما ً.

الثاني: تعلقها به في البرزخ، والأموات متفاوتون في ذلك فالذي للرسل والأنبياء أكمل مما للشهداء، ولهذا لا تبلى أجسادهم، والذي للشهداء أكمل مما لغيرهم من المؤمنين الذين ليسوا بشهداء.

والثالث: تعلقها به يوم البعث والنشور في اليوم الآخر. ورد ّ الروح إ لى البدن في البرزخ لا يستلزم الحياة المعهودة، ومن زعم استلزامه لها لزمه ارتكاب أمور باطلة مخالفة للحس والشرع والعقل.

وهذا المعنى المذكور في حديث أبي هريرة من رده ح على من يسلم عليه قد ورد نحوه في الرجل يمر بقبر أخيه.

قال شيخ الإسلام في كتاب $اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم#: وقد روي حديث صححه ابن عبد البر أنه ح قال: $ما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه، إلا رد اللّه عليه روحه حتى يرد عليه السلام#[3]. ولم يقل أحد أن هذا الرد يقتضي استمرار

---

(1) رواه أحمد في مواضع من مسنده، منها: (30/499-503 رقم 18533)، وقال البيهقي في الجامع لشعب الإيمان (1/612 رقم 390): $صحيح الإسناد#، وقال الحاكم في المستدرك (1/39): $هذا حديث صحيح على شرط الشيخين# وأقره الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (3/50): $رجاله رجال الصحيح#، وصححه الشيخ الألباني في أحكام الجنائز (ص 159)، وصحح إسناده محققوا المسند.

(2) رواه البخاري في مواضع من صحيحه، منها في كتاب التوحيد، باب السؤال بأسماء اللّه بها والاستعاذة بها (13/378 رقم 7394 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (4/2083 رقم 2711).

(3) أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (2/912-911 رقم 1523 –ط. دار الكتب العلمية)، وقال: $هذا حديث لا يصح وقد أجمعوا على تضعيف عبد الرحمن بن زيد، قال ابن حبان: كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته مع رفع المراسيل وإسناد الموقوف فاستحق الترك#. ذكره السيوطي في الجامع

الروح في الجسد، ولا قال أنه يستلزم إثبات حياة نظير الحياة المعهودة#[1].

يقول الخفاجي[2] : شارحاً الحديث الوارد في رد الروح: $الذي يظهر في تفسير الحديث من غير تكلف أن الأنبياء والشهداء أحياء، وحياة الأنبياء أقوى، وإذا لم يسلط عليهم الأرض، فهم كالنائمين، والنائم لا يسمع ولا ينطق حتى يتنبه كما قال تعالى: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧﭨ ﭼ[الزمر: ٤٢]، فالمراد بالرد الإ رسال الذي في الآية، وحينئذ فمعناه أنه إذا سمع الصلاة والسلام بواسطة أو بدونها تيقظ ورد، لا أن روحه تقبض قبض الممات، ثم تنفخ وتعاد كموت الدنيا وحياتها؛ لأن روحه ح مجردة نورانية، وهذا لمن زاره ومن بَعُد عنه يُبلِغه الملك سلامَه ... فلا إشكال أصلا ً إلا لمن لم يتدبر#[3].

ثالثتها: إن هذا الحديث $ليس بصريح أنه ح يسمع سلام المسلم، بل يحتمل أنه يرد عليه إذا بلغته الملائكة ذلك، ولو فرضنا سماعه سلام المسل ّم، لم يلزم منه أن يلحق به غيره من الدعاء والنداء#[4].

$وبالجملة فمن قال أنه يسلم سلام التحية الذي يقصد به الرد فلا بد له من أن يحد مكان ذلك، يقال: إلى أين يسمع ويرد السلام؟ فإن حد ذلك ذراعاً أو ذراعين، أو عشرة أذرع، أو قال: أن ذلك في المسجد كله، أو خارج المسجد فلا بد له من دليل، والأحاديث الثابتة عنه فيها: إن الملائكة تبلغه

الصغير (518/2 رقم 7062)، وقال: $للخطيب في التاريخ وابن عساكر عن أبي هريرة#. قال المناوي في فيض القدير (487/5): $قال ابن الجوزي: حديث لا يصح، وقد أجمعوا على تضعيف عبد الرحمن بن زيد، أي أحد رواته، وقال ابن حبان: يقلب الأخبار ولا يعلم حتى كثر ذلك في روايته واستحق الترك# ثم قال: $أفاد الحافظ العراقي أن ابن عبد البر خرجه في التمهيد والاستذكار بإسناد صحيح من حديث ابن عباس، وممن صححه عبد الحق#. وأخرجه ابن عبد البر في الاستذكار (165/2) وصححه، وقال الحافظ عبد الحق الإشبيلي: $هو صحيح الإسناد#، انظر: الصارم المنكي (ص 364). وقال ابن رجب في أهوال القبور (ص 82 رقم 278): $قال عبد الحق الإشبيلي: "إسناده صحيح" يشير إلى أن رواته كلهم ثقات، وهو كذلك، إلا أنه غريب بل منكر#، وضعفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (473/9 رقم 4493).

(1) الصارم المنكي (362-364). وانظر: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، لأحمد بن إبراهيم بن عيسى (170/2).

(2) هو: أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري (977-1069 هـ)، قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة. من أشهر كتبه: شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل، ونسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض. انظر: الأعلام (238/1).

(3) نسيم الرياض (79/5)، وقال صاحب $غاية المقصود في شرح سنن أبي داود#: $تقرير الخفاجي من أحسن التقارير#. انظر: عون المعبود (21/6).

(4) فتاوى اللجنة الدائمة (315/1 و170/3).

صلاة من يصلي عليه، وسلام من يسلم عليه، ليس فيها شيء أنه يسمع بنفسه ح ذلك، فمن زعم أنه يسمع ويرد من خارج الحجرة من مكان دون مكان فلا بد له من حد، ومعلوم أنه ليس في ذلك حد شرعي، ولا أحد يحد في ذلك حداً إلا عورض بمن يزيده، أو ينقصه ولا فرق...#[1].

ويقول ابن القيم محققاً ومبيناً اتصال الروح بالجسد وعدم استقرارها فيه: $فالأنبياء إنما استقرت أرواحهم هناك بعد مفارقة الأبدان وروح رسول الله ح حال الحياة ثم عادت، وبعد وفاته استقرت في الرفيق الأعلى مع أرواح الأنبياء لإ، ومع هذا فلها إشراف على البدن وإشراق وتعلق به بحيث يرد السلام على من سلم عليه. وبهذا التعلق رأى موسى قائماً يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة. ومعلوم أنه لم يُعرَج بموسى من قبره ثم رد إليه، وإنما ذلك مقام روحه واستقرارها، وقبرُه مقام بدنه واستقرارُه إلى يوم معاد الأرواح إلى أجسادها. فرآه يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة، كما أنه ح في أرفع مكان في الرفيق الأعلى مستقراً هناك وبدنه في ضريحه غير مفقود، وإذا سلم عليه المسلم ردّ الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام، ولم يفارق الملأ الأعلى.

ومن كثُف إدراكه وغلظت طباعه عن إدراك هذا فلينظر إلى الشمس في علوّ محلّها وتعلقها وتأثيرها في الأرض وحياة النبات والحيوان بها. هذا وشأن الروح فوق هذا، فلها شأن وللأبدان شأن.

وهذه النار تكون في محلها وحرارتها تؤثر في الجسم البعيد عنها، مع أن الارتباط والتعلق الذي بين الروح والبدن أقوى وأكمل من ذلك وأتم، فشأن الروح أعلى من ذلك وألطف.

فَقُلْ لِلعُيُونِ الرّمْدِ إيّاكِ أَنْ تري ... سَنَا الشّمْسِ فَاسْتَغْشِي ظَلَامَ اللّيَالِيَا#[2].

ويزيد : هذه المسألة وضوحاً وبياناً فيقول:

$وسر ذلك أن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأ حكام

أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنينا ً.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

الثالث: تعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه.

الرابع: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقا ً كليا ً بحيث لا يبقى لها التفات إليه البتة ... ما يدل على ردها إليه وقت سلام المسلم، وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن

(1) الرد على الأخنائي (ص 129).
(2) زاد المعاد (3/40-41).

قبل يوم القيامة.
الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن و لا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ولا فساداً ... ثم قال مبيناً النوع الرابع: ومعلوم بالضرورة أن جسده ح في الأرض طري مطري، وقد سأله الصحابة: كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ فقال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء[1]. ولو لم يكن جسده في ضريحه لما أجاب بهذا الجواب، وقد صح عنه أن الله وكل بقبره ملائكة يبلغونه عن أمته السلام[2]، وصح عنه أنه خرج بين أبي بكر وعمر وقال هكذا نبعث[3]، هذا مع القطع بأن روحه الكريمة في الرفيق ا لأعلى في أعلى عليين مع أرواح الأنبياء. وقد صح عنه ح أنه رأى موسى قائماً يصلى في قبره ليلة الاسراء، ورآه في السماء السادسة أو السابعة[4]، فالروح كانت هناك ولها اتصال بالبدن في القبر وإشراف عليه وتعلق به بحيث يصلي في قبره ويرد سلام من سلم عليه وهي في الرفيق ا لأعلى، ولا تنافي بين الأمرين، فإن شأن الأرواح غير شأن الأبدان ...#[5].
ويقول الحافظ ابن حجر : في بيان النوع الرابع الذي ذكره ابن القيم :: $والذي تقتضيه ظواهر الأحاديث الصحيحة أن أرواح المؤمنين في عليين، وأرواح الكفار في سجين، ولكن لكل منها اتصال بجسدها، **وذلك الاتصال معنوي لا يشبه الاتصال الذي بالحياة الدنيا**، وأقرب ما يشبه به النوم، فإن روح النائم قد فارقت جسده، ولكن ليس فراقاً كلياً بحيث تنفصل عنها ألبتة، بل أيضاً لها بالجسد اتصال قوي جداً، وأما روح الميت ففارقت جسده فراقاً كلياً، لكن يبقى لها به اتصال ما، وبه يقع إدراك بدن المؤمن التنعم، وإدراك الكافر التعذيب؛ لأن النعيم يقع لروح هذا والعذاب لروح هذا، ويدرك ذلك البدن على ما هو المرجح عند أهل السنة، فهو أن النعيم أو العذاب في البرزخ يقع على الروح والجسد ...#[6].

(1) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في فضل الجمعة (ص 195رقم 1085) من حديث أوس بن أوس ط، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (440/1 رقم 2212).
(2) رواه عبد الرزاق في مصنفه (215/2 رقم 3116)، والطبراني في المعجم الكبير (270/10 رقم 10528) من حديث ابن مسعود ط.
(3) رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب عن رسول الله ح، باب في مناقب أبي بكر وعمر م كليهما (ص 833 رقم 3668) من حديث ابن عمر م. قال الترمذي: $حديث غريب#، وتكلم فيه الشيخ الألباني في تعليقه مشكاة المصابيح (1710/3 رقم 6054).
(4) سبق تخريجه في (ص 250).
(5) الروح (ص 263-267).
(6) الأجوبة المهمة للحافظ ابن حجر (ص 7-8)، وانظر: الأجوبة المرضية للسخاوي

رابعتها: هذا الحديث لا يخلو إما أن يكون $عاما ً في سلام البعيد والقريب، وإما أن يكون خاصا ً بالقريب. فإن كان الثاني؛ فلا حجة فيه على سماع خطاب البعيد بغير واسطة تبليغ الملائكة، وإن كان الأول؛ ف الحجة فيه أضعف من وجهين:

أحدهما: أنه حينئذ لا يبقى للسلام عليه ح عند قبره بخصوصه مزية، بل لا يبقى فرق بين السلام عليه من القريب والبعيد، كما لم يفرق بين الصلا ة من القريب والبعيد. لكن هذا خلاف ما عرف من السنة وخلاف ما عليه الأ ئمة من استحباب السلام عليه عند قبره ...

الثاني: إن الذي في الحديث: أن الله يرد عليه روحه ليرد السلام، وهذا قد يكون بتوسط تبليغ الملائكة، وقد يكون بمباشرته هو سماع المسلم. وإذا احتمل الأمرين؛ فتعيين أحدهما مما يفتقر إلى دليل، والأ حاديث المتقدمة تدل على أن صلاة البعيد وسلامه معروض عليه مبلّ غ إليه بواسطة الملائكة، وذلك ينفي السماع مباشرة من غير تبليغ، فإن كان يسمع كلام المخاطب بنفسه لم يحتج إلى واسطة#[1].

الوجه السادس: الجواب عن دليلهم "الثامن"؛ وهو قوله تعالى: ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡﯢ ﭼ التوبة: ١٠٥.

لنا مع استدلالهم بهذه الآية[2] عدة وقفات:

الوقفة الأولى: ما التفسير الصحيح لهذه الآية؟

هذه الآية تحتمل معنى الترغيب، وتحتمل معنى الترهيب، وتحتمل الأ مرين جميعاً.

(1157، 1115/3).

(1) تلخيص كتاب الاستغاثة (254/1-257).

(2) انظر وجه استدلالهم من هذه الآية في: (ص 252).

فعلى الاحتمال الأول، فالمخاطبون في هذه الآية هم المنافقون[1] المذكورون في قوله تعالى: ﭽﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼالتوبة: 101.

قال الحافظ ابن كثير : مفسراً قوله تعالى: ﭽﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞﭼ: $قال مجاهد: $هذا وَعيد#، يعني: من الله تعالى للمخالفين أوامره بأن أعمالهم ستعرَضُ عليه تبارك وتعالى، وعلى الرسول، وعلى المؤمنين. وهذا كائن لا محالة يوم القيامة، كما قال: ﭽﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼالحاقة: ١٨، وقال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﭼﭽالطارق: ٩، وقال: ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔﭼالعاديات: ١٠#[2].

وعلى الاحتمال الثاني -أعني الترغيب-، فالمخاطبون هم المعتذرون التائبون من المتخلفين -وهو الذي استظهره أبو حيان[3] : في $تفسيره#[4] - وهم المذكورون في قوله تعالى: ﭽﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖﭼالتوبة: 102 .

فعلى هذا الاحتمال يكون معنى الآية -كما قال أبو السعود :-: $زيادة ترغيب لهم في العمل الصالح الذي من جملته التوبة وللأولين في الثبات على ما هم عليه#[5].

وعلى الاحتمال الثالث -أعنى شمول الآية للترغيب والترهيب-، فيكون المخاطبون هم جميع الخلق[6]، ويكون معنى الآية حينئذ -كما قال الرازي :-: $ترغيب عظيم للمطيعين، وترهيب عظيم للمذنبين، فكأنه تعالى قال: اجتهدوا في المستقبل، فإن لعملكم في الدنيا حكماً وفي الآخرة حكماً. أما حكمه في الدنيا: فهو أنه يراه الله ويراه الرسول ويراه المسلمون، فإن كان طاعة حصل منه الثناء العظيم والثواب العظيم في الدنيا والآخرة، وإن كان معصية حصل منه الذم العظيم في الدنيا والعقاب الشديد في الآخرة. فثبت أن هذه اللفظة الواحدة جامعة لجميع ما يحتاج المرء إليه في دينه ودنياه ومعاشه ومعاده#[7].

الوقفة الثانية: ما المقصود برؤية الله والرسول ح والمؤمنين في هذه الآية؟

أما رؤية الله فأمرها ظاهر، وهي الرؤية المطلقة: لجميع أعمال

---

(1) انظر: تفسير السعدي (ص 309).
(2) تفسير ابن كثير (209/4)، وانظر: تفسير الطبري (668/11).
(3) هو: محمد بن يوسف بن علي الأندلسي الغرناطي أثير الدين أبو حيان (654-745 هـ)، أديب نحوي لغوي مفسر. انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي (280/1 وما بعدها)، والأعلام (152/7).
(4) تفسير البحر المحيط (127/5).
(5) تفسير أبي السعود (189/3).
(6) انظر: تفسير القرطبي (368/10).
(7) تفسير الرازي (187/16-188)، وانظر: فتح القدير (921/1) وروح المعاني (16/6).

وأحوال العباد بلا استثناء، لأنه عالم الغيب والشهادة، فلا يخفى عليه شيء ظاهراً كان أم باطناً، خيرا ً كان أم شرا ً[1].

ولذلك ختم الله الآية بقوله ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ التوبة: 105؛ فـ$في تقديم الغيب على الشهادة إشعار بسعة علمه -عز وجل - وأنه لا يخفى عليه شيء، ويستوي عنده كل معلوم#[2].

وأما رؤية الرسول ح فهي محمولة على حال حياته ح؛ وهي رؤيته لأ عمال أمته التي يراها، أو ما غابت عنه من أعمالهم وأحوالهم ولكن الله قد أطلعه ح على ذلك عن طريق الوحي.

وقد بيّن الأئمة كون رؤية النبي ح إنما هي بإطلاع الله له ح؛ فقد جاء في $تفسير البغوي#: $رؤية النبي ح بإعلام الله تعالى إياه#[3]، ويقول أبو عبد الله القرطبي :: $ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ أي بإطلاعه إياهم على أعمالكم#[4]، ويقول الشربيني :: $أما رؤية النبيّ ح فبإطلاع الله إياه على أعمالكم#[5]، ويقول أبو الثناء الآلوسي :: $ونسبة ذلك -يعني الرؤية- للرسول ح و المؤمنين، باعتبار أن الله تعالى لا يخفي عنهم ويُ طْ لعهم عليه إما بـ الوحي أو بغيره#[6].

فلا تشمل تلك الرؤية -إذاً- ما كان بعد وفاته ح، وذلك لأمور ثلاثة؛

الأول: أن الوحي قد انقطع بعد وفاته ح. روى مسلم في صحيحه عن أنس ط قال: $قال أبو بكر ط بعد وفاة رسول الله ح لـ عِ ـمَ ـرَ: انطلق بنا إلى أم أيمن[7] نزورها كما كان رسول الله ح يزورها! فلما انتهينا إليها بكت فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله ح، فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ح، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء! فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها#[8].

الثاني[9]: أن النبي ح لما كان في الحياة الدنيوية لم يكن يعلم بأحوال من غاب عنه إلا عند ما يوحى إليه. وقد أمره الله تعالى أن يبين للناس أنه

(1) انظر: تفسير الطبري (667/11)، وأسرار التأويل للبيضاوي (ص 267)، والسراج المنير (449/2).
(2) فتح القدير (921/1).
(3) تفسير البغوي (92/4).
(4) تفسير القرطبي (368/10).
(5) السراج المنير (449/2).
(6) روح المعاني (16/6).
(7) هي: أم أيمن حاضنة النبي ح، يقال: اسمها بركة، وهي والدة أسامة بن زيد، ماتت في خلافة عثمان. انظر: التقريب (رقم 8801).
(8) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أم أيمن ك (1907/4 رقم 2454).
(9) الدعاء ومنـزلته (772/2-773) بتصرف يسير واختصار.

لا يعلم الغيب إلا في الأمور التي أوحي إليه فيها، وأما العلم بكل الأشياء من جميع المغيبات وجميع ما غاب عنه من أصحابه -فهذا هو الذي أمره الله أن يبين للناس أنه لا يعلمه-، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼﭽ ﭼالأعراف: ١٨٨.

والأحاديث الدالة على هذا كثيرة، منها: قصة الإفك، فلم يعلم النبي ح براءة عائشة ك إلا بعد نزول القرآن، وكذلك قصة ضياع عِقد عائشة حيث أمر ح أصحابه بطلبه، مع أن العِقد موجود تحت البعير الذي تركبه عائشة ك [1].

والحاصل أنه إذا كان ح لا يعلم الغيب إلا ما علمه الله في الدنيا، فكيف نقول بعلمه ورؤيته لأمته في البرزخ؟ لذلك يقول الإمام الطبري : في تفسير قوله تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﭼ: $فسيرى الله إن عملتم عملكم، ويراه رسوله ح والمؤمنون، في الدنيا#[2].

الثالث: قد دل الدليل على عدم علم النبي ح ببعض الأمور التي وقعت بعده؛ فإن النبي ح يوم القيامة لما يرى رجالاً من أمته يؤخذ بهم ذات الشمال فيقول: $يا رب أصحابي#، فيقال: $إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك#[3].

فيعلم بذلك مدى التفاوت بين رؤية الله لأعمال العباد وبين رؤية النبي ح والمؤمنين لها، وليست هي على درجة واحدة. وقد أشار إلى هذا المعنى أبو السعود وأبو الثناء الآلوسي -رحمها الله- حيث قالا: $ﭽ ﯜ ﭼ عطف على الاسم الجليل، وتأخيره عن المفعول للإشعار بما بين الرؤيتين من التفاوت#[4].

وإن قيل: إنه قد ورد عن النبي ح مرفوعاً: $حياتي خير لكم ومماتي خير لكم، تعرض علي أعمالكم، فإن رأيت خيراً حمدت الله، وإن رأيت غير ذلك استغفرت لكم#؛ فهذا الحديث يدل على رؤية رسول الله ح لأعمال أمته على كل حال.

فالجواب: أن هذا الحديث ضعيف، فلا يصح الاحتجاج به، وسيأتي البيان التفصيلي لضعف هذا الحديث -إن شاء الله تعالى- في النوع الثاني من أنواع الشبهات[5].

---

(1) القصة رواها البخاري في صحيحه، كتاب التيمم، الباب الأول (431/1 رقم 334) ، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب التيمم (279/1 رقم 367).
(2) تفسير الطبري (667/11).
(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى: $إنا أعطيناك الكوثر# (463/11 رقم 6576 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ح (1796/4 رقم 2297)، من حديث ابن مسعود ط واللفظ للبخاري.
(4) تفسير أبي السعود (189/3)، وروح المعاني (16/6).
(5) انظر ما سيأتي في: (ص 320-330).

وهناك تفسير آخر لرؤية النبي ح وهي شهادته ح لأمته يوم القيامة، قال الرازي :: $والرسول شهيد الأمة، كما قال :ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ [النساء: ٤١]؛ فثبت أن الرسول ح والمؤمنين[1] شهداء الله يوم القيامة، والشهادة لا تصح إلا بعد الرؤية، فذكر الله أن الرسول ح والمؤمنين يرون أعمالهم. والمقصود: التنبيه على أنهم يشهدون يوم القيامة عند حضور الأولين والآخرين، بأنهم أهل الصدق والسداد والعفاف والرشاد#[2].

وأما رؤية المؤمنين فقد فسرها الإمام ابن المبارك : بقوله: $رؤية المؤمنين هي شهادتهم على المرء بعد موته وهي ثناؤهم عند الجنائز#[3].

وقد ورد ما يدل على هذا التفسير مرفوعاً إلى النبي ح؛ عن سلمة بن الأكوع[4] ط قال: $كنا مع النبي ح فمُرّ بجنازة عليه، فأُثنِيَ عليها ثناء حَسن، فقال: وجبت! ومُرّ عليه بجنازة أخرى، فأُثنِيَ عليها دون ذلك، فقال: وجبت! قالوا: يا رسول الله، ما وجبت؟ قال: الملائكة شُهداء الله في السماء، وأنتم شهداء الله في الأرض، فما شهدتم عليه من شيء وجبت. ثم قرأ: ﭽ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼالتوبة: ١٠٥#[5].

وقيل: أن المقصود برؤية المؤمنين هي $إيقاع المحبة في قلوبهم لأهل الصلاح، والبغضة لأهل الفساد#[6].

وقيل: إظهار تلك الأعمال للمؤمنين وإن كانت خفية، وذلك لما روي عن أبي سعيد ط مرفوعاً $لو أن أحدكم يعمل في صخرة صَماء ليس لها باب ولا كُوّة، لأخرج الله عمله للناس كائنًا ما كان#. إلا أن هذا الحديث ضعيف[7].

---

(1) أما المؤمنون فلقوله :ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼالبقرة: ١٤٣.
(2) تفسير الرازي (189/16).
(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (269/8).
(4) هو: سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي أبو مسلم وأبو إياس (ت 74 هـ)، صحابي شهد بيعة الرضوان. انظر: التقريب (رقم 2516).
(5) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (632/2-633)، وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري (149/3-150): $وهذا إسناد صحيح، على شرط مسلم ... والحديث ذكره السيوطي (145/1)، باختصار في آخره. ونسبه لابن أبي شيبة، وهناد، وابن جرير، والطبراني. ونقله الهيثمي في مجمع الزوائد (4-5/3)، عن إسنادين للطبراني في الكبير، في كل منهما رجل ضعيف. فيستفاد تصحح الحديث بهذا الإسناد الصحيح عند ابن جرير#.
(6) تفسير البغوي (92/4)، والسراج المنير (449/2).
(7) رواه أحمد في مسنده (329/17 رقم 11230)، وفي سنده دراج أبو السمح عن أبي الهيثم، وقد ضعّف جماعة دراجاً هذا، منهم: الإمام أحمد، والنسائي، وفضلك الرازي، وأبو حاتم. انظر: ميزان الاعتدال (24/2)، وقال الحافظ ابن حجر في التقريب (رقم 1833): $صدوق، في حديثه عن أبي الهيثم ضعف#. لذا فالحديث قد ضعفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (288/4 رقم 1807)، وضعفه

وهناك تفسير آخر لرؤية المؤمنين لأعمال غبرهم؛ وهو عرض أعمال الأ حياء منهم على الأموات، إلا أن هذا التفسير متوقف على صحة الحديث الوارد فيه من عدمها. وذلكم الحديث هو ما روي مرفوعاً عن النبي ح من قوله: $إن أعمالكم تعرض على عشائركم وأقربائكم في قبورهم، فإن كان خيرًا استبشروا به، وإن كان غير ً ذلك قالوا: "اللّهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك"#[1].

الوقفة الثالثة: لو سلمنا جدلا ً بأن رؤية الأموات لأعمال الأحياء ثابتة، فهذا كذلك لا يبرر جواز الاستغاثة بالأموات، لأمرين:

أولا ً: لم يستنبط أحد من الصحابة وأئمة السلف المفسرين -فيما أعلم- من الآية جواز الاستغاثة بالأموات، وقد ذكرت لكم تفسيرات السلف لها، فهل يخفى ذلك الاستنباط الغريب العجيب عليهم، ثم استدركتم أنتم عليهم بعد أربعة عشر قرناً؟!

إسناده محققوا المسند.

(1) بتمام هذا اللفظ رواه الطيالسي في مسنده (340/3 رقم 1904) وفي إسناده الصلت بن دينار وهو متروك كما في التقريب (رقم 2963)، وأما الشطر الأول منه فقد رواه أيضاً أحمد في مسنده (114/20 رقم 12683)، وقال الهيثمي في المجمع (329/2): $فيه رجل لم يسم#، وضعّف إسناده محققوا المسند، وكذا ضعفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (254/2 رقم 863 و864)، وفي ضعيف الجامع (ص 201 رقم 1396)، ثم تراجع عن تضعيفه في السلسلة الصحيحة (604-605/1/6 رقم 2758) لوجود شواهد له.

ثانيا[1]: أن الاستغاثة عبادة، فلا يجوز صرفها لغير الله سبحانه[2]، ولذلك حذر الله من دعاء الملائكة والأنبياء في قوله: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ
ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ
ﯻ ﯼ ﭼالإسراء: 56-٥٧.

نهى سبحانه عن دعاء الملائكة والأنبياء مع إخباره لنا أن الملائكة يدعون لنا ويستغفرون، ومع هذا فليس لنا أن نطلب ذلك منهم، وكذلك الأ نبياء والصالحون وإن كانوا أحياء في قبورهم، وإن قُدِّر أنه تعرض عليهم أعمال الأحياء وأنهم يُدْعَون لذلك، فليس لأحد أن يطلب منهم ذلك، ولم يفعل ذلك أحد من السلف؛ لأن ذلك ذريعة إلى الشرك بهم وعبادتهم من دون الله تعالى، بخلاف الطلب من أحدهم في حياته، فإنه لا يفضي إلى الشرك لأ نهم لا يقرون أحدا على الشرك.

ولأن ما تفعله الملائكة ويفعله الأنبياء والصالحون بعد الموت هو بالأ مر الكوني، فلا يؤثر فيه سؤال السائلين، بخلاف سؤال أحدهم في حياته، فإنه يشرع إجابة السائل، وبعد الموت انقطع التكليف عنهم، فما يفعلونه بعد الموت فهو أمر محدود يفعلون منه ما أمر الله به، لا يزداد بسؤال السائلين؛ فليس في سؤالهم إياه منفعة بل مضرة[3].

الوجه السابع: الجواب عن دليلهم "التاسع" و"العاشر" و"الحادي عشر"، و"الثاني عشر"، و"الثالث عشر"[4]:

لنا مع استدلالهم بهذه الأدلة على ما زعموه من الأباطيل عدة وقفات:

الوقفة الأولى: الجواب الإجمالي على استدلالهم بهذه الأحاديث كلها بأن نقول: هذه الأحاديث ثابتة بلا شك، لكن الشأن ليس فقط في ثبوت الدليل، وإنما الشأن في الاستدلال؛ فأنا لا أنازعكم في ثبوت هذة الأدلة، وإنما أنازعكم في استدلالكم بهذه الأدلة على أباطيلكم.

الوقفة الثانية[5]: دل دليلاهم "التاسع: وهو حديث أصحاب القليب" و "العاشر: وهو حديث سماع قرع النعال" على أن الموتى يسمعون في الحالتين المذكورتين، لا غير، مع أن الأصل فيهم عدم السماع، وبيان ذلك كا لآتي:

من المقرر عند أهل التحقيق: $أن كون الموتى يسمعون أو لا يسمعون

---

(1) انظر: الدعاء ومنـزلته (776/2-777).

(2) قد سبق تقرير هذا الأمر في (ص 211-212)، وسيأتي كذلك في (ص 548، 580).

(3) تلخيص كتاب الاستغاثة (245/1)، وقاعدة جليلة (ص 289) وانظر المصدر نفسه (320-321)، ومجموع الفتاوى (81/27).

(4) أنظر نصوص تلك الأدلة مع أوجه استدلالاتهم منها في (ص 252-254).

(5) استفدت في صياغة هذه الوقفة من مراجع أهمها: المباحث العقدية المتعلقة بقبر النبي ح (ص 958-959).

إنما هو أمر غيبي من أمور البرزخ التي لا يعلمها إلا الله ، فلا يجوز الخوض فيه بالأقيسة والآراء، وإنما يوقف مع النص إثباتا ونفيا#[1].

وقد اتفق العلماء على أن الميت لا يسمع كل كلام، بل يسمع إما كلام القريب، أو يسمع في وقت دون وقت، أو لا يسمع مطلقا[2]، والقول الصحيح في ذلك أن الميت يسمع في بعض الأوقات، وقد جاء ذكر هذه الأ وقات في السنة النبوية الصحيحة؛ مثل ما ورد من سماع الميت قرع النعال عند الانصراف من دفنه، وهذه الأوقات مستثناة من الأصل العام الثابت في حق الموتى من عدم سماعهم، كما قال الله : ﭽ ٺ ٻ ٺ ٿ ٽ ٿ ٹ ٺ ٹ ڀ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ﭼ فاطر: ٢٢، وقال سبحانه: ﭽ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ﭼ النمل: ٨٠، وقال : ﭽ ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ں ڻ ڻ ڈ ﭼ فاطر: ١٤[3].

وقد بيّن العلماء أن تلك الأحوال مستثناة من الأصل العام الثابت في حق الموتى من عدم سماعهم، واقتصروا في ذكر الأحوال المستثناة على ما ورد به دليل صحيح.

قال ابن حجر :: $وقال ابن التين[4]: لا معارضة بين حديث ابن عمر[5] والآية[6]؛ لأن

---

(1) مقدمة تحقيق الشيخ الألباني لكتاب الآيات البينات (ص 37)، وانظر المنتقى من فتاوى الشيخ صالح بن فوزان الفوزان (171/2).

(2) انظر: تلخيص كتاب الاستغاثة (253/1).

(3) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (3/320-321)، وفتاوى اللجنة الدائمة (1/318-319)، والسلسلة الضعيفة (3/285-286 رقم 1147)، والقول المفيد على كتاب التوحيد (290/1)، والمنتقى من فتاوى الشيخ الفوزان (171/2).

(4) هو: عبد الواحد بن التين أبو محمد الصفافسي المغربي المالكي الشهير بابن التين (ت 611هـ)، فقيه محدث مفسر، له اعتناء زائد في الفقه ممزوج بكثير من كلام المدونة وشراحها اعتمده الحافظ ابن حجر في الفتح وكذلك ابن رشد وغيرهما. من تصانيفه: المخبر الفصيح في شرح البخاري الصحيح. انظر: شجرة النور الزكية (168)، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج للتنبكتي بهامش الديباج المذهب لابن فرحون (ص 188)، وهدية العارفين لإسماعيل باشا (630/1).

(5) يعني به: حديث القليب.

(6) يعني بها: قوله تعالى: ﭽ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ﭼ النمل: ٨٠.

الموتى لا يسمعون بلا شك، لكن إذا أراد الله تعالى إسماع ما ليس من شأنه السماع لم يمتنع#[1].

وقال أبو عبد الله القرطبي : بعد أن ذكر حديث القليب: $اعلم رحمك الله أن عائشة ك قد أنكرت هذا المعنى، واستدلت بقوله تعالى: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼ[النمل: ٨٠]، وقوله: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ[فاطر: ٢٢]. ولا تعارض بينهما لأنه جائز أن يكونوا يسمعون في وقت ما أو في حال ما؛ فإن تخصيص العموم ممكن وصحيح إذا و ُجد المخص ِّص، وقد و ُجد هنا بدليل ما ذكرناه - وقد تقدم[2]- وبقوله -عليه الصلاة والسلام-: $إنه ليسمع قرع نعالهم#، وبالمعلوم من سؤال الملكين للميت في قبره وجوابه لهما و غير ذلك مما لا ينكر#[3].

وقد كان من المقرر عند الصحابة ن عدمُ سماع الموتى؛ ولهذا قالوا للنبي ح عندما خاطب وكلم صرعى المشركين أهل القليب قائلا ً لهم: $هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟#، قال الصحابة ن: $يا رسول الله، كيف تخاطب قوماً قد جيفوا؟#، وفي لفظ[4]: فقال عمر بن الخطاب ط: $يا رسول الله، ما تكلمُ من أجساد لا أرواح لها؟#، فقال رسول الله ح: $والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم#[5]، وعن ابن عمر م عنه ح أنه قال: $إنهم الآن يسمعون ما أقول#[6].

فرسول الله ح أقر عمر وغيره من الصحابة على هذا السؤال ولم ينكر عليهم، ويبين لهم أن الموتى الآن يسمعون وما تأصّل عندكم في عدم سماعهم خطأ.

وغاية ما في الحديث أن أهل القليب سمعوا نداء الرسول ح في ذلك الوقت، وقد قال العلامة أبو الثناء الآلوسي : عن رواية $الآن يسمعون# أن فيها دليلا ً قوياً على أن الأصل في الموتى أنهم لا يسمعون، ولكن أهل القليب في ذلك الوقت قد سمعوا نداء النبي ح، وبإسماع الله تعالى إياهم خرقاً للعادة ومعجزة للنبي ح[7].

---

(1) فتح الباري (235/3).
(2) انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (409/1).
(3) المرجع السابق (410/1).
(4) عند البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل (301/7 رقم 3976 -الفتح) من حديث أبي طلحة ط.
(5) سبق تخريجه في (ص 253).
(6) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل (301/7 رقم 3980، 3981 -الفتح).
(7) انظر: روح المعاني (56/21 –ط. المنيرية). وانظر مقدمة تحقيق الشيخ الألباني للآيات البينات (ص 48).

قال الحافظ ابن حجر :: $وقال السهيلي[1] ما محصله: إن في نفس الخبر ما يدل على خرق العادة بذلك للنبي ح لقول الصحابة له: $أتخاطب أقواما ً قد جيفوا؟#، فأجابهم[2]. قال: وإذا جاز أن يكونوا في تلك الحالة عالمين جاز أن يكونوا سامعين، وذلك إما بآذان رؤوسهم على قول الأكثر، أو بآذان قلوبهم#[3].

وقال ابن عطية[4] :: $فيشبه أن قصة بدر خ َر ْق ُ عادة ٍ لمحمد ح في أن رد َّ الله إليهم إدراكا ً سمعوا به مقال َه، ولولا إخبار ُ رسول الله ح بسماعهم لحَ َم َلْ ْنا نداءه إياهم على معنى التوبيخ لمن بقي من الكفرة، وعلى معنى شفاء صدور المؤمنين#[5].

ولهذا أورد بعض أهل العلم هذا الحديث في معجزات النبي ح[6].

وبما مضى يتبين أن الأصل هو عدم سماع الموتى، إلا في أوقات مخصوصة، بيّنتها السنة الصحيحة، فبالتالي يتبيّن بطلان قول من أطلق وتوسع بقوله: $أن الله يعيد للميت حاسة السمع والحس، فيسمعون أقوالنا وقرع نعالنا على قبورهم#[7]، وقال بعضهم: $فالحديث دال على سماع الميت لقرع النعال، فكيف بالنداء#؛ ويتبين بطلان ذلك بأمرين اثنين:

أولا ً: لا دليل يدل على ذلك الزعم ألبتة. بل قد صرح بعض أهل العلم على أن سماع الأموات لقرع النعال إنما هو في وقت مخصوص، ولا يتعداه، يقول المناوي : في الكلام على قوله ح: $إن الميت إذا دفن سمع خفق نعالهم إذا ولوا عنه منصرفين# ما نصه: $وعورض بقوله تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ

---

(1) هو: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الأندلسي السهيلي (508-581 هـ)، حافظ، عالم باللغة والسير، وصاحب الروض الأنف في السيرة النبوية، والإعلام بما أبهم في القرآن من الأعلام وغيرهما. انظر: تذكرة الحفاظ (1348/4-1349).

(2) أي بقول الرسول ح: $ما أنتم بأسمع لما أقول منهم# وهو بهذا السياق عند النسائي في سننه، كتاب الجنائز، باب أرواح المؤمنين وغيرهم (416/4 رقم 2073).

(3) فتح الباري (304/7).

(4) هو: عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي (481-542 هـ)، مفسر فقيه عارف بالأحكام والحديث، له: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. انظر: نفح الطيب (526/2)، وبغية الوعاة (73/2 رقم 1470).

(5) تفسير ابن عطية (270/4 –ط. دار الكتب العلمية)، وانظر: تفسير القرطبي (205/16).

(6) انظر على سبيل المثال: الخصائص الكبرى للسيوطي، باب ما وقع في غزوة بدر من الآيات والمعجزات (511/1)، ودلائل النبوة للبيهقي (92/3)، ومشكاة المصابيح للتبريزي، باب في المعجزات (1670/3-1671 رقم 5938).

(7) I'tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 365-367).

ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ [فاطر: ٢٢]، وأجيب بأن السماع في حديثنا مخصوص بأول الوضع في القبر مقدمة للسؤال فيه#[1].

والإمام البخاري : في ترجمته لهذا الحديث لم يزد على قوله: $باب الميت يسمع خفق النعال#[2]، ولم يتوسع : التوسعَ غير المرضي ولم يقس سماعَ قرع النعال على غيره[3]، أفهؤلاء أفقه بالحديث من أمير المؤمنين في الحديث؟

ثانياً: لا يجوز إعمال الأقيسة في مثل هذه الأمور، لأن حال الموتى في قبورهم من أمور البرزخ وهي أمور غيبية لا نعلم كيفيتها إلا بما نطقت به النصوص الثابتة.

يقول الحافظ ابن حجر :: $إن أمور الآخرة لا تدرك بالعقل، وأحوال البرزخ أشبه بأحوال الآخرة، والله أعلم#[4].

ويقول العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ[5] :: $وأمر البرزخ لا يعلمه ولا يحيط به إلا الله تعالى، الذي خلقه وقدره؛ والواجب علينا الإيمان بما جاءت به الرسل، ولا نتكلف ولا نقول بغير علم#[6].

وبهذا أيضاً يظهر بطلان من قاس جواز نداء غير أهل القليب من الأ موات على نداء أهل القليب[7]، ويظهر ذلك من وجهين:

أولهما: إسماع أهل القليب من معجزات الرسول ح -كما سبق بيانه قريباً- التي هي من خصائصه ح، ولا يقاس عليه نداء غيره ح في غير أهل القليب[8].

ثانيهما: أن الحكمة في نداء النبي ح لأهل القليب إنما هي من أجل توبيخ وتصغير أهل القليب، كما قال قتادة[9] :: $أحياهم الله -يعني أهل

(1) فيض القدير (398/2 عند حديث 2135).

(2) انظر: صحيح البخاري (205/3 -الفتح).

(3) انظر: I'tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 367).

(4) فتح الباري (488/6).

(5) هو: عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (1225-1293 هـ)، الإمام العلامة، من سلالة الشيخ محمد بن عبد اولهاب، من مؤلفاته: تحفة الطالب و الجليس في كشف شبه داود بن جرجيس، ومصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام. انظر: مقدمة كتابه مصباح الظلام (ص 10-11)، وعلماء الدعوة لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ (ص 47-58).

(6) عيون الرسائل والأجوبة على المسائل (305/1).

(7) انظر: I'tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 363-364).

(8) انظر: تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران (ص 68).

(9) هو: قتادة بن دِعَامَة بن قتادة السدوسي أبو الخطاب البصري (توفي سنة بضعة

القليب- حتى أسمعهم قوله؛ توبيخا ً وتصغيرا ً وذ ِقمة، وحسرة، وندما ً#[1].

إذا عُلِمَت حكمة مناداة النبي ح لأهل القليب هذه، فكيف يسوغ أن يقاس هذه المناداة مناداةَ[2] $الأنبياء وعلماء الإسلام#[3]؟؟! إن هذا لشيء عجاب!، ولكن إذا عرفت السبب بَطُل العجب؛ وهو أن هؤلاء يستدلون بأدلة هي في ظنهم تدل على ما اعتقدوه، ثم يوجهونها بحسب ما تهواه أنفسهم دون الرجوع إلى فهم السلف الصالح والعلماء، فلذلك يأتون بعجائب وغرائب يندى لها الجبين، والله المستعان...

تتمة هامة: ولو فرضنا أن أولئك الأموات يسمعون مناداة أولئك المخالفين، فإن هؤلاء الأموات لن يستطيعوا أن يجيبوهم، كما قال الرسول ح في نهاية حديث القليب: $ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا#، فإذا كان مجرد الإجابة لا يقدرون عليها، فمن باب الأولى أن لا يقدروا على استجابة طلبات الأحياء! وعلى هذا صريح القرآن؛ إذ قال الله : ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ فاطر: 13- ١٤.

هذه الآية جاءت بصيغة الموصول وهي من صيغ العموم[4] فهي تتناول $كل من يدعوه المشركون من دون الله. ومعلوم أنهم يدعون الملا ئكة والمسيح وأمه وعزيرا ً والجن واللات وغيرهم، وبعض من يدعونه ميِّت ٌ يدخل في العموم#[5].

الوقفة الثالثة: دل دليلهم (الحادي عشر) و(الثاني عشر) على

عشر ومائة)، ثقة ثبت. انظر: التقريب (رقم 5553).

(1) الدر المنثور (611/11).

(2) كثيراً ما يستعملون لفظ (المناداة) في كتاباتهم، ويريدون بذلك في الحقيقة -و الله أعلم-: الاستغاثة بالأنبياء والصالحين أو طلب الدعاء منهم بعد وفاتهم؛ وذلك لأنهم استعملوا لفظ (المناداة) في ثنايا ردودهم على دعاة أهل السنة الذين يعدون الاستغاثة بالنبي ح والصالحين بعد وفاتهم شرك. انظر: I'tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 362)، و Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 131).

(3) I'tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 363-364).

(4) انظر في صيغ العموم: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (243/2-244)، وجمع الجوامع في أصول الفقه للسبكي (45/1)، وإرشاد الفحول (518/1). فقد ذكروا أن أسماء الشرط والاستفهام والموصولات من صيغ العموم.

(5) تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين (ص 102). وانظر: الدعاء ومنـزلته (889/2-896) في نقض شبهة من قال إن النصوص الناهية عن عبادة غير الله إنما وردت في الأصنام فقط وليست في الأولياء والصالحين.

مشروعية الدعاء للميت، هذا هو أقصى ما يدلان عليه، ولم يدلا ألبتة على جواز الاستغاثة بالأموات أو طلب الدعاء منهم! فمن أين لكم هذا الشرح؟ $إن هذا الشرح خارج عما قاله الشراح من أهل العلم، وما كان كذلك فهو من الهوى إن لم يُقِم صاحبه عليه دليلا ً صحيحاً نقلا ً ونظراً، وهو مما ليس في كتب هؤلاء، وأنى لهم ذلك!#[1].

ودونكم أقوال الأئمة في شرح هذين الحديثين:

- شروح العلماء لحديث تعليم النبي ح السلام لمن زار القبور:

بوّب النووي : لهذا الحديث بقوله: **$باب ما يقال عند دخول القبور و الدعاء لأهلها#**[2]، ولم يقل : **$ودعاء أهلها#!**.

كما بوّب الإمام النسائي : له بقوله: **$باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين#**[3].

وقال الحافظ ابن عبد الهادي : مبيناً الزيارة الشرعية للقبور: $المقصود بها السلام على الميت، والدعاء له، كما يقصد بالصلاة على جنازته ، فزيارته بعد موته من جنس الصلاة عليه، **فالسنة فيها أن يسلم على الميت ويدعو له** سواء كان نبياً أو غير نبي، كما كان النبي ح يأمر أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول أحدهم: $السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون[4]، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم و المستأخرين[5]، نسأل الله لنا ولكم العافية[6]، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم[7]، واغفر لنا ولهم[8]#[9]#[10].

وقال العلامة أبو الثناء الآلوسي :: $نعم، السلام على أهل القبور

(1) هذه مفاهيمنا (ص 173) بتصرف يسير.
(2) انظر: صحيح مسلم (669/2).
(3) انظر: سنن النسائي كتاب الجنائز، باب الأمر بالاستغفار (396/4).
(4) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأ هلها (675/2 رقم 974) من حديث عائشة ك، ولفظه: "وإنا إن شاء الله للا حقون".
(5) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأ هلها (671/2 رقم 974) من حديث عائشة ك.
(6) سبق تخريجه (ص 253-254).
(7) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء فيما يقال إذا دخل المقابر (ص 272 رقم 1546)، وضعفه الشيخ الألباني في الإرواء (237/3).
(8) رواه الطبراني في الكبير (56/4 رقم 3537) عن علي ط، وقال في مجمع الزوائد (299/9): "فيه معلى بن عبد الرحمن الواسطي وهو كذاب".
(9) الحديث لم أقف على من أخرجه بهذه السياقة مطولاً ً، والذي يظهر أن ابن عبد الهادي قد ضم بعض متون الأحاديث إلى بعضها لتعم الفائدة، والله أعلم.
(10) الصارم المنكي (ص 91).

مشروع ... ولم يَـ ـرِ ـدِ عن أحد من الصحابة ن -وهم أحرص الخلق على كل خير- أنه طلب من ميت شيئا ً. بل قد صح عن ابن عمر م أنه كان يقول إذا دخل الحجرة النبوية زائرا ً: $السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبت# ثم ينصرف ولايزيد على ذلك(1)، ولا يطلب من سيد العالمين ح أو من ضجيعيه المكرمين م شيئا ً، وهم أكرم من ضمتهم البسيطة، وأرفع قدرا ً من سائر من أحاطت به الأفلاك المحيطة#(2).

ويقول العلامة الشوكاني : وهو يتحدث عن وصول دعاء الحي إلى الميت: $ولـِما ثبت من الدعاء للميت عند الزيارة، كحديث بريدة(3) عند مسلم وأحمد وابن ماجه قال: "كان رسول الله ح يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية"#(4).

وجاء في كتاب $البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد من عقائد التوحيد#(5) ما نصه: $وزيارتنا القبور دعاء للموتى، وادكار للآخرة، وحسبنا أن نلقي عليهم ما كان النبي ح يعلمه أصحابه ليقولوه إذا زاروا القبور: $السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم#.

- شروح العلماء لحديث $استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت، فإنه ا لآن يسأل#:

---

(1) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب ما جاء في الصلاة على النبي ح (58/2 رقم 433)، والقاضي إسماعيل في فضل الصلاة (ص 83 رقم 101-98)، وعبد الرزاق في مصنفه (576/3 رقم 6724) واللفظ للقاضي إسماعيل، وصححه الشيخ الألباني في تعليقه على فضل الصلاة (ص 83).
(2) روح المعاني (125/6 –ط. المنيرية).
(3) هو: بريدة بن الحُصَيب أبو سهل الأسلمي (ت 63 هـ)، صحابي أسلم قبل بدر. انظر: التقريب (رقم 666).
(4) نيل الأوطار (786/2).
(5) (ص 13). هذا البيان في الأصل قرار كتبه علماء مكة في بيان عقيدتهم، وقد وقّع عليه جمع من علماء مكة في ذلك الوقت، وهم: الشيخ محمد المرزوقي، و الشيخ محمد سعيد أبو الخير، والشيخ عباس المالكي، والشيخ عبدالله ابن إبراهيم حمدوه، والشيخ أبو بكر بن محمد خوقير، والشيخ محمد أمين فوده، والشيخ سعد وقاص، والشيخ حسين عبد الغني، والشيخ محمد جمال المالكي، والشيخ حسين مكي الكتبي، والشيخ محمد نور محد الفطاني، والشيخ محمد عبد الهادي كتبي، والشيخ عيسى دهان، والشيخ عبد القادر أبو الخير مرداد، والشيخ محمد عربي سجيني، والشيخ درويش عجيمي. انظر المرجع نفسه (ص 19).

بوب الإمام أبو داود السجستاني : للحديث بقوله: $باب الاستغفار عند القبر للميت في وقت الانصراف#[1].

وقال الشيخ زكريا الأنصاري : في ذكر آداب دفن الميت: $يستحب لمن حضر دفن الميت أو عقبه أن يقف على القبر بعد الدفن ويستغفر الله ويدعو لأنه ح كان إذا فرغ من دفن الرجل يقف عليه ويقول: استغفروا لأ خيكم واسألوا الله له التثبيت، فإنه الآن يسأل#[2].

وقال المناوي :شارحاً الحديث: $$استغفروا لأخيكم# في الإسلام $وسلوا له التثبيت# أي: اطلبوا له من الله تعالى أن يثبت لسانه وجنانه لجواب الملكين. قال الطيبي[3]:: ضم ّن $سلوا# معنى الدعاء، كما في قوله تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﭼ[المعارج: ١]، أي: ادعوا الله له بدعاء التثبيت، أي: قولوا ثبته الله بالقول الثابت ... $فهو الآن يسأل# أي يسأله الملكان منكر ونكير؛ فهو أحوج ما كان إلى الاستغفار. وذلك لكمال رحمته ح بأمته ونظره إلى الإ حسان إلى ميتهم ومعاملته بما ينفعه في قبره ويوم معاده.

قال الحكيم[4]: الوقوف على القبر وسؤال التثبيت للميت المؤمن في وقت دفنه مدد للميت بعد الصلاة، لأن الصلاة بجماعة المؤمنين كالعسكر له اجتمعوا بباب الملك يشفعون له، والوقوف على القبر بسؤال التثبيت مدد العسكر، وتلك ساعة شغل المؤمن لأنه يستقبله هول المطلع والسؤال وفتنته ، فيأتيه منكر ونكير ... وليس في خلقهما أنس للناظرين. جعلهما الله مكرمة للمؤمن لتثبته ونصرته وهتكا ً لستر المنافق في البرزخ من قبل أن يبعث حتى يحل عليه العذاب...#[5].

وبنحوه شَرَح الملا ّ علي القاري : الحديث[6].

واستنبط الأمير الصنعاني : من الحديث قائلا ً: $فيه دلالة على انتفاع الميت باستغفار الحي له وعليه#[7].

---

(1) سنن أبي داود (357/3).
(2) أسنى المطالب شرح روض الطالب (338/2-339).
(3) هو: الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي (ت 743 هـ)، من علماء الحديث و التفسير والبيان، من مصنفاته: شرح الكشاف للزمخشري، وشرح مشكاة المصابيح. انظر: البدر الطالع (229/1-230)، والأعلام (256/2).
(4) هو: محمد بن علي بن حسن الترمذي أبو عبد الله الحكيم (ت نحو 320 هـ)، من أهل ترمذ، نفي منها بسبب تأليفه كتاب $ختم الولاية# وحكموا عليه بالكفر، باحث صوفي، له مشاركة في الحديث، من أشهر كتبه: نوادر الأصول في أحاديث الرسول. انظر: طبقات الصوفية للسلمي (ص 217-220)، والسير (439/13-442) والأعلام (272/6).
(5) فيض القدير (151/5 عند حديث 6757).
(6) انظر: مرقاة المفاتيح (327/1).
(7) سبل السلام، كتاب الجنائز (322/2 رقم 546).

هذه هي شروح العلماء لهذين الحديثين، فأين استنباط العلماء منهما على جواز الاستغاثة بالأموات وسؤالهم؟؟ وأين قولهم بأن $الحديث واضح في بيان جواز مخاطبة الميت، كمخاطبة الأحياء#[1]؟؟ نعم، ليس الشأن في الدليل، وإنما الشأن في الاستدلال! فمن لم يستضئ بفهم السلف الصالح والعلماء في فهم النصوص؛ فإنه لابد أن يأتي بعجب عجيب وأمر مريج! و الله المستعان ...

وبالجملة أقول: فـ$الذي أمر به النبي ح أمته وشرعه لهم عند زيارة القبور، حجة عليهم كافية في إبطال مذهبهم، هل فيما شرعه النبي ح حرف واحد يتضمن دعاءهم والطلب منهم والاستغاثة بهم؟! بل ليس فيها ما يتضمن سؤاله بهم.

فليتأمل طالب الحق جميع ما جاء عن النبي ح مما كان يقول إذا زارها ، وما أمر به أمته عند زيارتها، هل يجد فيها حرفا ً واحدا ً مما يعتمده أهل الشرك والبدع أم يجدها مخالفة لما هم عليه من جميع الوجوه؟ فمضمون الزيارة التي شرعها ح تذكّر الآخرة، والإحسان إلى المزور بالدعاء له والترحم عليه والاستغفار له وسؤال العافية له، فبدّل هؤلاء المخالفون قولا ً غير الذي قيل لهم، وغيّروا الدين، وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك َ بالميت؛ بالاستغاثة به، وسؤال قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، والنصر على الأعداء، واستنـزال البركات ...

وهل في خطاب النبي ح للأموات طلب حاجة منهم أو طلب الدعاء منهم؟ أو المخاطب الزائر المسلم هو الذي يدعو لهم ويستغفر لهم ويترحم عليهم ويسأل الله لهم العافية؟ فهل في ذلك إلا ما هو حجة عليهم؟ ...

هذا هدي رسول الله ح وسنته مع الأموات في دعائه لهم في الصلاة على جنائزهم، وعند دفنهم وعند زيارتهم، هل يجدون فيها حرفا ً واحدا ً يوافق دعواهم في طلب الحاجات من الأموات والغائبين؟#[2].

الوقفة الرابعة: وأما قولهم بجواز مناداة[3] الميت ومخاطبته؛ فهذا قول باطل ظاهر البطلان، وقد فصّلت القول في بيان حكم هذا الفعل بأدلته

---

(1) I’tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama’ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 366).

(2) تأسيس التقديس (ص 136-137) بتصرف يسير.

(3) أعيد فأكرر وأذكّر القراء بأن هؤلاء كثيراً ما يستعملون لفظ $المناداة# في كتاباتهم، ويريدون بذلك في الحقيقة -والله أعلم-: الاستغاثة بالأنبياء والصالحين، أو طلب الشفاعة منهم، أو طلب الدعاء منهم بعد وفاتهم؛ وذلك لأنهم استعملوا لفظ $المناداة# في ثنايا ردودهم على دعاة أهل السنة الذين يعدّون الاستغاثة بالنبي ح والصالحين بعد وفاتهم شرك. انظر: I’tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama’ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 362)، و Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 131).

في المطلب السابق[1]، وخلاصته: إن أريد بقوله $يا رسول الله# الاستغاثة بالرسول ح فهذا شرك أكبر، سواء نادى بذلك أمام قبره أو بعيداً عنه. وأما إن أريد بقوله: $يا رسول الله# طلبَ الدعاء من الرسول ح ففيه التفصيل؛ إن كان ذلك أمام قبره فهو بدعة منكرة قبيحة وذريعة إلى الشرك، وإن كان ذلك بعيداً عن قبره ح فهو شرك أكبر، كما سبق بيان ذلك مفصلا ً، والله أعلم...

الوقفة الخامسة: الذي دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة هو: إثبات حياة الأنبياء والشهداء في قبورهم حياة برزخية، أما غيرهم من ا لأموات -ومنهم الصالحون- فلم يدل دليل صحيح على حياتهم في قبورهم حياة برزخية[2].

يقول محمد الحوت الشافعي[3] :: $حياة المؤذنين والأولياء والعلماء ذكرها كثير من أهل العلم بغير دليل، وكأنهم قاسوها على حياة الشهداء، لكن هذا لا يثبت بالقياس بل بالنص. وحديث $إن العلماء تحشر في زمرة الشهداء#[4] لا يلزم منه حياتهم، ومع ذلك فالحديث ضعيف باتفاق أهل العلم. تقدم الكلام على حديث $يوزن دم الشهداء ومداد العلماء فيرجح مداد العلماء#[5] وأنه لا يصح. ولا مانع أن الله يكرمهم بالحياة المذكورة؛ إذ كل مزية غير النبوة جائزة في حق العباد، ولكن ثبوتها يحتاج نص خاص#[6].

ولا يجوز قياس غير الأنبياء والشهداء عليهم في إثبات الحياة البرزخية؛ لأن هذا الأمر لا مجال للقياس فيه، بل الحَكم فيه هو النصوص الثابتة وحدها؛ إذ هو من الأمور الغيبية التي لا يعلم حقيقتها إلا الله جل وع

---

(1) يراجع (ص 224-228، 232-235) لمن شاء.

(2) انظر: تأسيس التقديس (ص 88، 136).

(3) هو: محمد بن محمد درويش أبو عبد الرحمن الحوت (1203- 1277 هـ)، شافعي عارف بالحديث، اشتهر وتوفي في بيروت. له كتب منها: أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، وحسن الأثر فيما فيه ضعف واختلاف من حديث وخبر وأثر، والدرة الوضية في توحيد رب البرية. أنظر: الأعلام (74/7).

(4) لم أقف على هذا اللفظ، لعله يريد حديث $من نقل عني الى من لم يلحقني من أ متي أربعين حديثا ً كتب في زمرة العلماء وحشر من جملة الشهداء#. وهذا الحديث ذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (117/1 رقم 177)، وذكر بأن إسناده مظلم وفيه جماعة مجاهيل. وأورده الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (100/10 تحت رقم 4589).

(5) رواه السهمي في تاريخ جرجان (ص 51-52 رقم 52، ص 189 رقم 355)، ونقل مرعي الكرمي في كتابه الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة (ص 107 رقم 99) عن الخطيب حكمه في الحديث بأنه $موضوع# وأورده الغزي العامري في كتابه الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث (ص 204 رقم 441). وقال الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (382/10 رقم 4832): $موضوع#.

(6) أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب (ص 382).

لا.

وقد تكلف بعض المبتدعة وقاس الصالحين على الشهداء في إثبات الحياة البرزخية لهم [1]، وهذا الكلام باطل ظاهر البطلان من أوجه:

أولا ً: أنه أثبت الحياة البرزخية للصالحين بالقياس لا بالنص، ولا دخل للقياس في الأمور الغيبية، كما تقدم بيانه.

ثانياً: أنه مخالف للنص القرآني: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐﭼ النساء: ٦٩؛ فقد رتّب الله في هذه الآية أصنافَ الذين أنعم عليهم بحسب تفاضلهم [2]، فأفضلهم النبيون، ثم الصديقون، ثم الشهداء، ثم الصالحون؛ فهذا ظاهر في أن الشهداء أفضل من الصالحين وليس العكس!

قال القشيري :: $قال الله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ؛ فالصديقون هم الذين يتلون الأنبياء، والشهداء هم الذين يتلون الصديقين، والصالحون يتلون الشهداء# [3].

وقال الإمام ابن القيم :: $إن أفضل الدرجات النبوة، وبعدها الصديقية، وبعدها الشهادة، وبعدها الصلاح. وهذه الدرجات الأربع التي ذكرها الله تعالى في كتابه في قوله: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐﭼ# [4].

فإن قيل: أنتم كذلك أثبتم حياة الأنبياء البرزخية بقياسكم على حياة الشهداء! فالجواب: جل اعتمادنا الأول في إثبات حياة الأنبياء إنما على نص ثابت عن رسول الله ح وهو قوله: $الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون# [5]، ولم نعتمد على القياس المحض. ثم القياس الذي استعملناه هو قياس الأ ولى، وهو قياس الفاضل على المفضول؛ إذ الأنبياء أفضل من الشهداء، فبالتالي هم أحق بالحياة البرزخية من الشهداء. بخلاف قياسكم، فإنه لا النص يسعفكم، ولا قياس الأولى طبّقتم!

ثالثاً: تترتب على هذا القول مفاسد منها: أن لا يبقى للأنبياء والشهداء فضل على الآخرين من الأموات؛ إذ ما فائدة التنصيص على حياة الأنبياء في حديث $الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون# وحياة الشهداء في آية ﭽﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠﭼ، إذا كان غيرهم من الأموات أحياء مثلهم في قبورهم حياة برزخية؟؟ وهذا يؤدي إلى أن تخصيص ذكر هؤلاء لغو من القول! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فمن شدة توسعهم في هذا الباب؛ أنهم لم يقتصروا على مجرد إثبات

(1) انظر: Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 131).
(2) انظر: التعبير القرآن للدكتور فاضل السامرائي (ص 54).ـ
(3) تفسير القرطبي (257/20).
(4) مفتاح دار السعادة (396/1).ـ
(5) مضى تخريجه في (ص 250).ـ

حياة الصالحين فحسب، بل غلوا حتى أثبتوا حياة الأموات الكفار في قبورهم حياة برزخية!

يقول أحدهم مستنبطاً الحكم من حديث القليب: $إن أولئك الأموات، وإن كانوا قد ماتوا ودُفنوا، إلا أنهم أعيدت حياتهم حياة برزخية، حتى يسمعوا نداء من يناديهم من الأحياء#[1]![2].

الوقفة السادسة: في الجواب عن دليلهم (الثاني عشر) وهو قصة الخضر حين أقام جدار اليتيمين لصلاح أبيهما، واستدلالهم بها على قدرة الميت على نفع الحي، ومن ثم جواز الاستغاثة بالأموات.

وهذا من أغرب ما يكون من الاستدلال، ويوضح جلياً تشبثهم بالأدلة التي يزعمون أنها تؤيد أباطلهم، وهي في الحقيقة لا تمُت لها بصلة. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هؤلاء المبتدعة يعتقدون عقائد ويحدِثون آراء غير مستمدة من الوحي، ثم يبحثون عن النصوص من الكتاب والسنة لتعضيد تلك المسبقات العقدية، والموروثات الفكرية، وتأييدها، أما أهل السنة والجماعة بحق، فهم الذين يبنون من البداية عقائدهم وقواعدهم على نصوص الكتاب والسنة الصحيحة، ويدورون مع النصوص حيث دارت[3].

وقد نبّه الإمام ابن قتيبة : على تلك الظاهرة السيئة عندما أشار إلى منهج أهل البدع والأهواء في التفسير قائلا ً: $وفسروا القرآن بأعجب تفسير يريدون أن يردّوه إلى مذاهبهم، ويحملون التأويل على نحلهم#[4].

أما الجواب عن استدلالهم بهذا الحديث فأقول: نعم، لقد ذكر المفسرون[5] أن قصة اليتيمين تدل على أن الله سيحفظ ذرية الرجل لصلا

---

(1) I'tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 364).

(2) وقد سبق ذكر المعنى الصحيح لحديث القليب وما يدل عليه في (ص 282-285).

(3) انظر: مجموع الفتاوى (17/355-356، 444)، ومقدمة في أصول التفسير (ص 72-83).

(4) تأويل مختلف الحديث (ص 150).

(5) انظر: تفسير الطبري (15/366)، وتفسير السمرقندي المسمى $بحر العلوم# (2/310)، وتفسير الماوردي المسمى $النكت والعيون# (3/336)، وتفسير البغوي (5/196)، وزاد المسير لابن الجوزي (5/182)، وتفسير القرطبي (13/356)، وتفسير النيسابوري المسمى $تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان# (4/455)، وتفسير الخازن المسمى $لباب التأويل في معاني التنـزيل# (4/192)، وتفسير ابن كثير (5/186-187)، وتفسير البيضاوي (ص 399)، وتفسير الثعالبي المسمى $الجواهر الحسان في تفسير القرآن# (3/539)، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل (12/548)، وتفسير الجلالين (ص 302-303)، والسراج المنير (4/75)، وفتح القدير (2/41-42)، وروح المعاني (16/13 –ط. المنيرية).

احه، ولكن أن يُستدل بهذه القصة على جواز الاستغاثة بالأموات فلم يقل به أحد -فيما أعلم- من المفسرين! ولن يقولوه؛ لأن ذلك مناقض لأصل الدين الإسلامي من وجوب إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له! ولأن سياق القصة يأبى ذلك الاستدلال! فهل الخضر بنى جدار اليتيمين لكونهما استغاثا بأبيهما ؟!

والله، إن هذا لمن أغرب استدلالات ذلك المخالف[1]، ولم أر أحداً من سابقيه من أساطين منظري المخالفين في هذا الزمان[2] من استدل بهذه القصة على باطله، وذلك -والله أعلم- لكون هؤلاء -ربما- أعقل من هذا المخالف من جهة، وخشية تشنيع أهل السنة عليهم جراء ذلك التكلف البيّن من جهة أخرى.

وأعجب من هذا كله، هو كون كتاب ذلك المخالف[3] قد أعيد طبعه إحدى عشرة طبعة في مدة لا تتجاوز السنتين[4]! مما يدل -وللأسف- على انتشار الجهل المطبق وذيوعه في المجتمع الإندونيسي، فهكذا الشأن إذا كانت $أعلام الدين عادت إلى الدروس، وغلب على أهل الزمان هوى النفوس، فلم يبق من الدين إلا الرسم، ولا من العلم إلا الاسم، حتى تصور الباطل عند أكثر أهل الزمان بصورة الحق، والجهل بصورة العلم...#[5]. فأسأل الله تعالى أن يرد بالمسلمين إلى دينهم رداً جميلا ً.

الوقفة السابعة: أما قول أحدهم بـ$جواز مناداة الأموات ومخاطبتهم، لأنه قد عمل بها النبي والصحابة والمسلمون في جميع أنحاء الدنيا#[6]، فهذا قول لا قيمة له؛ إذ لا دليل لهم ثابت عن النبي ح وعن الصحابة ن يدل على هذا الزعم، بل هو زعم باطل يتقول به قائله تمويهاً وتلبيساً على العامة والجهال.

فقوله: $وقد عمل بها المسلمون في جميع أنحاء الدنيا#، إن أريد بـ المسلمين: الجهال منهم؛ فلا نعتدّ بفعل الجهال، وإن أريد بهم علماؤهم الحقيقيون -وأستبعد ثبوت ذلك عنهم-؛ فلا حجة في فعل عالم يخالف

وتفسير السعدي (ص 435).

(1) أعني به المدعو نوفل بن محمد العيدروس.

(2) أمثال الجرجيس، والنبهاني، ومحمد زيني دحلان، ومحمد علوي المالكي وأضرابهم.

(3) وهو كتابه الذي بعنوان: Mana Dalilnya, Seputar Permasalahan Ziarah Kubur, Tawassul, Tahlil (أين الدليل؟ مسائل حول زيارة القبور، التوسل، التهليل)، تأليف نوفل بن محمد العيدروس (ص 131).

(4) بحسب ما هو مكتوب في الغلاف الداخلي لهذا الكتاب.

(5) من مقدمة الإمام البغوي : لكتابه النفيس شرح السنة (3/1).

(6) I'tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 362).

صريح نصوص القرآن والسنة.

يقول الإمام مالك والإمام أحمد -رحمهما الله-: $ليس أحد من خلق الله إلا وهو يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ح#[1].

ويقول الإمام الشافعي :: $أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله ح لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس#[2].

الوجه الثامن: الجواب عن أدلتهم "الرابع عشر"، و"الخامس عشر"، و"السادس عشر"، و"السابع عشر"[3]:

فأقول رداً عليهم -والله المستعان وعليه التكلان-:

الجواب الإجمالي على استدلالهم بهذه الأدلة بأن يقال: هذه الأدلة ليست في محل النـزاع وليس لها تعلق ألبتة بما نحن فيه، من مسألة دعاء الأموات والاستعانة والاستغاثة بهم، بل هي تتكلم عن الاستعانة والاستغاثة بين الأحياء في الأمور التي تحت قدراتهم، ونحن معشر أهل السنة بحق -ولله الحمد- لا ننازعهم في جواز ذلك أو مشروعيته.

يلاحظ أن دأب هؤلاء المبتدعة إيراد نصوص المباح في الممنوع، والاستدلال بدلائل المشروع على غير المشروع.

ولعل بعضهم -لجهله- لم يتصور محل النـزاع، فإن مناصرة بعض الناس بعضاً واستغاثة بعضهم ببعض فيما يقدرون عليه مسألة، ونداء غير الله تعالى أمواتاً وأحياء بما هو من خصائص الألوهية مسألة أخرى، وبين المسألتين بون بعيد، وفرق ما عليه من مزيد[4]. وفرقٌ بين ما يُعرف بالأسباب الظاهرة للعيان مما جاءت الشريعة بإقراره بين الناس؛ فهو لا حرج فيه - وبين ما يُعرف بالأسباب الخفية كسؤال الأموات؛ فهذه قد جاءت الشريعة بردها، ونهي الناس عنها، وقتال المشركين من العرب وغيرهم عليها[5].

وأما الجواب التفصيلي فهو كالتالي:

أولاً[6]: قوله تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ البقرة: ٤٥، لا علاقة للآية بجواز الاستعانة بالأموات عند الكربات، والاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله رب العالمين. بل هذه الآية من أقوى الأدلة على وجوب الالتجاء إلى الله

---

(1) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (118/2-119 الأرقام 1761-1765) وابن حزم في الإحكام (145/6، 179) عن الحكم بن عتيبة ومجاهد. وانظر: وفتاوى السبكي (138/1).

(2) مضى عزوه في (ص 106).

(3) انظر تلك الأدلة وأوجه استدلالاتهم في (ص 254-255).

(4) انظر: جهود علماء الحنفية (1257/3-1258).

(5) هذه مفاهيمنا (ص 180).

(6) الشرك في القديم والحديث (1254/3) بزيادات.

تعالى والتوكل علييه والاستغاثة به عند الملمات.
قال البيضاوي : مفسراً الآية السابقة: $استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا ً على الله#[1].
ومن ناحية أخرى: دلت الآية على التوسل إلى الله بالأعمال الصالحات، إذ الصلاة والصبر من أعظم الأعمال الصالحات التي يتوسل بها إلى الله عند الكربات، فقد كان ح إذا حزبه أمر توسل إلى الله بالصلاة؛ فعن حذيفة ط قال: $كان النبي ح إذا حزبه أمر صلى#[2].
فالآية من قبيل قوله تعالى: ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ المائدة: ٣٥؛ فكما أن المراد منها الأعمال الصالحة على تفسير السلف[3]، فكذلك المراد هنا من هذه الآية: التوسل بالأعمال الصالحة.
يقول الجصاص[4] :: $وقوله تعالى: ﭽ ﮱ ﯓ ﯔﯕ ﭼ ينصرف الأمر بالصبر على أداء الفرائض التي فرضها الله واجتناب معاصيه وفعل الصلاة المفروضة#[5].
ثاني ـاً: قوله تعالى: ﭽﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯﯰ ﭼ**المائدة:** ٢، إنما تدل هذه الآية على جواز مناصرة بعض الناس بعضاً، واستعانة بعضهم ببعض فيما يقدرون عليه، وهو المعني بما تحت الأسباب، ولا تدل إطلاقاً بحال من الأحوال على جواز استعانة الناس بعضهم ببعض فيما لا يقدر عليه إلا لله، وهو المعني بما فوق الأسباب[6].
يقول الإمام الطبري :: $يعني جل ثناؤه بقوله: ﭽﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯﯰﭼ؛ وليعن بعضكم بعضاً أيها المؤمنون ﭽﯭ ﯮ ﭼ، وهو العمل بما أمر الله بالعمل به ﭽﯬﯯﯰ ﭼ، هو اتقاء ما أمر الله باتقائه واجتنابه من معاصيه#[7].
فالتعاون المأمور به في الآية إنما هو تعاون بين الأحياء في الأمور

(1) تفسير البيضاوي (ص 9)، وانظر: تفسير أبي السعود (98/1 –ط. دار إحياء التراث العربي).
(2) رواه أبو داود في سننه، أبواب قيام الليل، باب وقت قيام النبي ح من الليل (54/2 رقم 1319)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (361/1 رقم 1319).
(3) انظر ما سيأتي (ص 378-380).
(4) هو: أحمد بن علي الرازي أبو بكر الجصاص (305-370 هـ)، انتهت إليه رئاسة الحنفية في زمانه. له: أحكام القرآن، وشرح مختصر الكرخي، وغيرها. انظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية لعبد القادر القرشي (220/1-224)، و الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي (412/1-415).
(5) أحكام القرآن (39/1).
(6) جهود علماء الحنفية (1257/3) بتصرف يسير.
(7) تفسير الطبري (52/8)، وانظر بنحوه: تفسير ابن كثير (12/3-13)، وتفسير القرطبي (268/7).

التي تحت قدراتهم، ولا تتناول ألبتة استعانة الأحياء بالأموات أو استعانتهم بغيرهم من الأحياء في الأمور التي ليست تحت قدراتهم، وهذا هو الذي تعنيه الآية الكريمة، ويؤيد هذا الفهم: أن المسائل التي استنبطها العلماء من الآية الكريمة كلها تدور حول التعاون بين الناس في الأمور المقدورة لديهم.

فمثلا ً نجد أن الماوردي : قد استدل بهذه الآية على مسائل منها: مشروعية استسقاء أهل الناحية الخصبة لأهل الناحية الجدبة، إذا وجدت ناحية من البلاد خصبة وأخرى جدبة[1]، وعلى مشروعية العارية[2]، و الهبات[3]، والتقاط المنبوذ -وهو الطفل المُلقى-[4]، ومشروعية قبول الوصايا والتعاون عليها[5]، ومشروعية استيداع الودائع[6]، وغيرها من الأمور التي كلها تعاون بين الأحياء في الأمور التي تحت قدراتهم.

ونجد أبا حامد الغزالي : قد استدل بهذه الآية وغيرها على وجوب الأ مر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث قال: $وقال تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞﯟ ﭼوهو أمر جزم، ومعنى التعاون: الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب الإمكان#[7].

ونجد النووي : قد استدل بها على: مشروعية إيقاظ النائم للصلاة لا سيما إن ضاق وقتها[8]،

(1) الحاوي الكبير شرح مختصر المزني (520/2).
(2) المصدر السابق (115/7)، والعارية هي: $عَقدُ مَعُونَةٍ وَإِرْفَاقٍ جَاءَ الشّرْعُ بِهَا وَنَدَبَ النّاسَ إِلَيْهَا#، انظر: المصدر السابق.
(3) المصدر السابق (534/7)، والهبات هي: العَطَايَا الجَائِزَةِ، انظر: المصدر السابق.
(4) المصدر السابق (34/8).
(5) المصدر السابق (328/8).
(6) المصدر السابق (355/8).
(7) الإحياء (266/2).
(8) المجموع شرح المهذب (80/3).

وإقراض المحتاج[1]، واستحباب قبول الوديعة لمن قدر على حفظها وأداء ا لأمانة فيها[2]، ومشروعية الإعارة[3]، والتقاط المنبوذ[4].

وكما نجد محمد شطا الدمياطي[5] : قد استدل بها على: مشروعية إيقاظ الرجل أخاه لقيام الليل[6]، ومشروعية أمر الإمام لمن خلفه من المأمومين على تسوية الصفوف[7]، ومشروعية العارية[8]، والهبة[9]، ولقط اللقطة لحفظها على مالكها وردها عليه[10].

هذه بعض النقولات عن أجلة العلماء التي تؤيد ما ذكرته سابقاً، وهي عبارة عن غيض من فيض، فلعل فيما ذكرت كفاية لتبصير من أراد الله له الهداية.

وأعود فأؤكد أنه لا دخل للاستعانة بالأموات في هذه الآية الكريمة، بل هي أحرى بأن تُصنّف في باب التعاون على الإثم والعدوان المنهي عنه في قوله تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼالمائدة: ٢؛ إذ إن أعظم الإثم هو الإ شراك بالله سبحانه، والله المستعان.

ثالثـاً: استدلالهم بقوله تعالى: ﭽ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﭼ الكهف: ٩٥، على جواز الاستعانة بالأموات، هذا أيضاً من باب الاستدلال على الممنوع بالمشروع؛ فما ذُكر في الآية -من استعانة ذي القرنين بقومه ليبنوا معه سداً- أمر جائز بلا نزاع، أما الاستعانة بالأموات فهو شرك بالله متضمن لعبادة غير الله سبحانه.

ولننظر أقوال المفسرين في هذه الآية وما فهموه من أي أنواع الا ستعانة، كانت استعانةُ ذي القرنين بقومه:

قال الإمام الطبري : مفسراً قوله تعالى:ﭽ ﯾ ﯿ ﭼ: $أعدوا إليّ الصخور و الحديد والنحاس حتى أرتاد بلادهم، وأعلم علمهم، وأقيس ما بين جبليهم#[11].

وقال الحافظ ابن كثير :: $ولكن ساعدوني ﭽ ﯿ ﭼ أي: بعملكم وآلات

(1) المجموع شرح المهذب (253/12).
(2) المصدر السابق (3/15).
(3) المصدر السابق (39/15).
(4) المصدر السابق (203/16).
(5) هو: عثمان بن محمد شطا الدمياطي الشافعي أبو بكر البكري (ت بعد 1302 هـ)، فقيه متصوف، وله كتب منها: إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، والدرر البهية فما يلزم المكلف من العلوم الشرعية. انظر: الأعلام (214/4).
(6) حاشية إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (456/1).
(7) المصدر السابق (38/2).
(8) المصدر السابق (219/3).
(9) المصدر السابق (244/3).
(10) المصدر السابق (289/3).
(11) تفسير الطبري (394/15).

البناء#[1]، وبنحوه فسر البيضاوي[2] والنسفي[3] -رحمهما الله-.
وقال أبو عبد الله القرطبي :: $ﭼﯾ ﯿ ﭼ أي: اخدموا بأنفسكم معي، فإن الأموال عندي والرجال عندكم#[4].
وقال الماوردي :: $ﭼ ﯾ ﯿ ﭼ فيه وجهان :
أحدهما : بآلة ، قاله الكلبي[5].
الثاني : برجال ، قاله مقاتل[6]#[7]. وبنحوه وضّح ابن الجوزي :[8].
وقال البغوي :: $ﭼ ﯾ ﯿ ﭼ معناه: إني لا أريد المال، بل أعينوني بأبدانكم وقوتكم ﭼ ﺋﺞ ﺋﺢ ﺋﻢ ﺋﻰ ﭼ أي: سدا ً، قالوا: وما تلك القوة؟ قال: ﻓ ﻌ ﻠ ﺔ ٌ وص ﻨ ﺎع يحسنون البناء والعمل والآلة#[9]، وبنحوه فسر الزمخشري[10] والرازي[11] والخطيب الشربيني[12] -رحم الله الجميع-.
تلكم الفهوم التي فهمها فطاحلة المفسرين من الآية الكريمة، ولا أحد منهم فهم غير التعاون بين الأحياء في الأمور المقدورة، ولا قاس أحد منهم ذلك على الاستعانة بالأموات، فمن أين لكم إذاً ذلك الفهم الغريب؟ أأنتم محرفون الكلم عن مواضعه؟! ومتلاعبون بنصوص الكتاب والسنة لتأييد ضلالكم؟ ﭼ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ فصلت: ٢٢.

رابعـا: الجواب عن استدلالهم باستشفاع أهل الموقف بالأنبياء على جواز الاستغاثة بالرسول ح والاستشفاع به بعد وفاته، وذلك في

(1) تفسير ابن كثير (196/5).
(2) تفسير البيضاوي (ص 400).
(3) تفسير النسفي (320/2).
(4) تفسير القرطبي (385/13).
(5) هو: محمد بن السائب بن بشر الكلبي أبو النضر الكوفي (ت 46 هـ)، النسابة المفسر، متهم بالكذب ورمي بالرفض. انظر: التقريب (رقم 5938).
(6) هو: مقاتل بن حيان النّبطي أبو بسطام البلخي (ت بعد 150 هـ)، صدوق فاضل. انظر: التقريب (رقم 6915).
(7) النكت والعيون (342/3).
(8) انظر: زاد المسير (192/5).
(9) تفسير البغوي (204/5).
(10) الكشاف (615/3). والزمخشري هو: محمود بن عمر بن محمد أبو القاسم الزمخشري الحنفي المعتزلي (467-538 هـ)، نحوي لغوي أديب، قال فيه الذهبي: $صالح، لكنه داعية إلى الاعتزال أجارنا الله، فكن حَذِراً من كشافه#. انظر: ميزان الاعتدال (78/4)، والجواهر المضية (447/3-448)، ولسان الميزان (8/8-9).
(11) تفسير الرازي (172/21).
(12) السراج المنير (84/4).

وقفتين[1]:

الوقفة الأولى: إن استشفاع الخلائق يوم القيامة بالأنبياء من الا ستشفاع بالأحياء، ونحن معشر أهل السنة لم نقل: إن الاستشفاع بالحي ممنوع باطل، ولم نقل: إن طلب الشفاعة من كل أحد محرم محظور. ولكن قلنا: إن الاستشفاع بالموتى ودعاءهم مما نهى عنه الدين: كتابه وسنته. و الخلائق حينما يطلبون الشفاعة من الأنبياء لا يطلبونها منهم إلا وهم أحياء بين أيديهم، فأين هذا من ذاك؟! وأين الأموات من الأحياء؟![2]

الوقفة الثانية: إن هذا الحديث دليل عليهم لا لهم؛ وذلك لأن الثابت في هذا الحديث، أن الناس عندما يشتد بهم الهول وعندما يلح عليهم الكرب والبلاء، وعندما يتوجهون إلى التماس الشفعاء وتطلب الشفاعات، لا يطلبون من نبي الله آدم ؛ ولا ممن بعده من الأنبياء الشفاعةَ إلا بعد أن يأتوهم ويروهم، ولا يطلبون ذلك من أحد منهم وهو عنهم غائب ناء، ولا هم عنهم محتجب في قبورهم قصي. فلا يقولون أينما كانوا: يا نوح اشفع لنا، أو يا إبرهيم، أو يا محمد اشفع من أجلنا لنراح من هذا البلاء والكرب العظيم، لا يفعلون شيئاً من ذلك ألبتة!

ولكنهم يذهبون إلى آدم، وإلى نوح، وإلى إبراهيم، وإلى موسى، وعيسى، ومحمد لإ، فيطلبون منهم جميعاً الشفاعة إلى ربهم وخالقهم ليريحهم مما هم فيه من الشقاء والبلاء، فيحيلهم كلُّ نبي على النبي الآخر، حتى يصلوا إلى محمد خاتمهم -عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأزكى السلام-، فيذهب إلى ربه، فيضرع إليه ويتوسل إلى ذاته تعالى بأنواع الوسائل من دعاء وحمد وسجود ورغب ورهب حتى يأذن له ربه بالشفاعة الكبرى للناس كافة؛ فيُشَفّع ويَشْفَع.

وما جاء في رواية واحدة من روايات أحاديث الشفاعة: أن الناس يطلبون من الأنبياء الشفاعة قبل أن يذهبوا إليهم، وقبل أن يأتوهم فيسمعوهم ويروهم، بل اتفقت تلك الأخبار جميعاً على أنهم أولا ً يذهبون إليهم، ويأتونهم، ثم يطلبون منهم أن يشفعوا لهم، وأن يدعوا ربهم من أجلهم. وهذا يدل على أن الفطر كلها مفطورة على أنه لا يصلح الاستشفاع بـ الغائبين والموتى، ولا يصح دعاؤهم، ولا الاستغاثة بهم، ولا التوجه إليهم، و لا سؤالهم شيئاً من الأشياء، وهذا لا شك فيه بين ذوي الألباب الصحيحة السليمة.

وهذا يرد على المخالفين رداً صريحاً، وينقض ما ذهبوا إليه -من الا ستشفاع بالأموات ودعاء الغائبين والغابرين- نقضاً قوياً جلياً. فإن المخالفين

(1) انظر: الصراع بين الإسلام والوثنية (2/565-570).

(2) سيأتي بإذن الله مبحث مستقل عن الشفاعة والحديث عنها بالتفصيل في (ص 499 وما بعدها)._

يدعون الأموات ويناودنهم من كل مكان[1]، ويستشفعون بهم[2]، ويلهجون بأسمائهم ودعائهم من كل مكان. والأموات الذين يدعونهم ويستغيثون بهم غائبون عنهم إذ يدعونهم وإذ يهتفون بأسمائهم؛ غائبون عنهم لأنهم إن كانوا أنبياء وشهداء فهم عند ربهم يرزقون ويحبرون ويفرحون كما قال تعالى في كتابه العزيز: ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼآل عمران: ١٦٩، وإن كانوا من الأشقياء وأصحاب الجحيم فهم غائبون أيضاً في أطباق النيران، يعذبون، ويشقون، ويتجرعون ألوان العذاب وألوان النكال.

فالأموات -مؤمنين وكافرين وصالحين وطالحين- غائبون عن أهل الدنيا وعمن دعوهم وخاطبوهم وراموا الاتصال بهم من أهلها، قصيون عنهم لا يسمعونهم إن دعوهم سراً وجهراً، ولا يعلمونهم إن رغبوا فيهم وفي سلطانهم. ولكن هؤلاء المخالفين يدعونهم ويستغيثون بهم مع بعدهم وغيبتهم، ومع انقطاع الصلات والأسباب بينهم وبينهم. وأهل الموقف الذين يستشفعون بالأنبياء، لا يستشفعون بهم إلا في حضرتهم وبين أيديهم في حياتهم الأخرى. وبهذا يتضح للجميع أن حديث استشفاع أهل الموقف بالأنبياء دليل على المخالفين لا لهم، ولله الحمد على توفيقه ...

الوجه التاسع: الجواب عن نتائجهم النهائية[3]:

رداً على تلك النتائج الباطلة أقول -وبالله التوفيق والإعانة-:

أولا ً: بيان بطلان قولهم $لا فرق بين الاستغاثة بالأحياء وبين الاستغاثة بالأموات#[4]، وذلك من سبعة أوجه:

1- هذا القول مبني على قياس حال الموت على حال الحياة، وهو قياس فاسد لأنه قياس مع

(1) انظر على سبيل المثال: I'tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 367).

(2) انظر على سبيل المثال: المصدر السابق (ص 362).

(3) انظر تلك النتائج في (ص 255).

(4) Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 131).

الفارق، إذ الفرق بين الحياة والموت واضح وضوح الشمس في رابعة النهار[1]، فذو الفطرة السليمة -وإن كان جاهلا ً- يفرق بين الطلب من الحي الحاضر مما في يده وبين الطلب من الميت والغائب، ولا يسوي بين الحي والميت إلا من اجتالته الشياطين عن الفطرة السوية التي فطره الله عليها أو إنسان أعماه الهوى والتقليد[2].

2- هذا القول مصادم للقرآن مصادمة صريحة؛ لأن الله يقول: ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼفاطر: ٢٢[3]. معنى ذلك: أنه لايستوي المؤمن والكافر كما لا يستوي الحي والميت، شبه المسلم بالحي والميت بالكافر؛ فلما كان معلوما ً من المخاطبين أن الحي والميت لا يستويان؛ يقول سبحانه: فكذلك المؤمن والكافر، فمن سوّى بين الحي و الميت بقوله: يُطلَب من الميت ما يُطلَب من الحي، فقد سوّى بين ما فرّق الله ُ والناس ُ بينهما. حتى المجانين يفرقون بين الحي و الميت، فلو قصد مجنون بيت إنسان ليطعمه فوجده ميتا ً وأهله عنده، لعدل إلى الطلب من أهله الأحياء الحاضرين عنده، ولم يلتفت إلى الميت[4].

3- مما يبين الفرق بين الأمرين: أن الصحابة ن قد فرقوا بين حالة الحياة وحالة الموت في طلب الدعاء من النبي ح والتوسل به ح؛ فهم كانوا يطلبون من النبي ح أن يدعو لهم في الحياة، ولم يطلبوا ذلك منه بعد وفاته ، والدليل على هذا الفرق عندهم ماعُرِف من حالهم وتوَاتر عنهم من عدم إتيان القبر النبوي لطلب الدعاء ولا لغيره من الأمور، لا توسلا ً، ولا استغاثة، ولا استشفاعاً، ولا غير ذلك، وغاية ما روي عنهم في ذلك وصحّت: زيارة عبد الله بن عمر م لقبره ح[5].

ولو كان النبي ح يَجُوز عندهم أن يُطلب منه بعد موته ما كان يَجُوز في حياته، لتسابقوا إلى ذلك الطلب، ولا سيما عند حلول المصائب العظام و المحن الكبيرة والهموم العظيمة. وقد أصيبوا بقحط وجفاف، وكان الوقت وقت حاجة شديدة، ينظر فيها المضطر إلى كل سبب يوصله إلى تفريج كربته وحل أزمته، ومع ذلك لا يطلبون من النبي ح أن يدعو لهم، بل يطلبون غيره ح أن يدعو الله لهم بأن يسقيهم ويفرج ما هم فيه؛ وما ذلك إلا لأن

(1) انظر: الدعاء ومن-زلته (850/2) والمباحث العقدية المتعلقة بقبر النبي ح (ص 541).
(2) تأسيس التقديس (ص 82).
(3) تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران (ص 69).
(4) تأسيس التقديس (ص 82).
(5) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب ما جاء في الصلاة على النبي ح (58/2 رقم 433)، والقاضي إسماعيل في فضل الصلاة (ص 83 رقم 101-98)، وعبد الرزاق في مصنفه (576/3 رقم 6724)

النبي ح لا يُطلَب ذلك منه بعد موته، وإلا لم يعدلوا إلى غيره في هذا الوقت العصيب، كما حصل ذلك في استسقاء الناس بعم النبي ح العباس[1] ط لما قحطوا، إذ قال عمر ط:

$اللّٰهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ح فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون#[2]. وكان دعاء العباس ط يومئذ: $اللّٰهم إنه لم ين-زل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث#[3].

كما استسقى أهل الشام في عهد معاوية بن أبي سفيان م بيزيد بن ا لأسود الجرشي[4] :[5]، ولم يستسقوا بالنبي ح.

فلو كان طلب الدعاء من النبي ح -حياً وميتاً- سواءً، لم يعدل الصحابة عن طلب الدعاء منه -وهو ح أفضل الخلق وأكرمهم وأقربهم إلى ربهم وسيلة- إلى أن يطلبوا الدعاء من غيره[6].

4- ومما يوضح بطلان هذه الشبهة: أن الله سبحانه أمر عباده بالا ستعاذة به كما في المعوذتين ومواضع من القرآن معلومة، وكذلك في السنة عن النبي ح من ذلك كثير، وفعل العبد ما أمره به ربه أمر َ إيجاب ٍ أواستحباب ٍ عبادة ٌ له بإجماع العلماء، فإذا امتثل العبد أمر ربه فاستعاذ به أو بصفاته فقد عبده، والاستعاذة نوع من الدعاء؛ لأن المستعيذ يلتجئ إلى الله ليدفع عنه ما يحذر وصوله إليه مما يكره، أو ليرفع ما قد وصل إليه

(1) هو: العباس بن عبد المطلب بن هشام (ت 32 هـ وهو ابن ثمان وثمانين)، عم النبي ح. انظر: التقريب (رقم 3194).

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا (494/2 رقم 1010 -الفتح).

(3) ذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار (303/2)، وابن عساكر في تاريخه (359/26) ، ونقله الحافظ ابن حجر في فتح الباري (497/2) عن الزبير بن بكار في الأ نساب.

(4) هو: يزيد بن الأسود الجرشي، من سادات التابعين بالشام، أسلم في حياة النبي ح. انظر: التاريخ الكبير للبخاري (318/8)، والإصابة (464/11-466 –ط. دار هجر).

(5) القصة وقعت في زمن معاوية بن أبي سفيان، رواها ابن سعد في الطبقات (448/9 رقم 4654)، وابن عساكر في تاريخه (111/65) وصحح إسنادها الشيخ الألباني في التوسل أنواعه وأحكامه (ص 41). وعزا ابن حجر هذه القصة في الإصابة (465/11 –ط. دار هجر) لأبي زرعة الدمشقي ويعقوب بن سفيان في تاريخهما عن سليم بن عامر، وصحح سنده.

(6) انظر: النبذة الشريفة النفيسة (ص 89-90)، والضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق للشيخ سليمان بن سحمان (ص 552).

من ذلك، كما في الحديث $أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر#[1] وهذا حقيقة الدعاء.

فلما كان مستقرا ً عند العلماء أن الاستعاذة بالله عبادة له، قالوا: لا تجوز الاستعاذة بمخلوق، فلما كان هذا الأصل مستقرا ً عندهم؛ استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق لأنه ثبت عن النبي ح الاستعاذة بكلمات الله التامات فعلا ً منه وقولا ً، وهذا من حجة أهل السنة على الجهمية[2] القائلين بخلق القرآن، قالوا: لو كان القرآن مخلوقا ً لامتنعت الاستعاذة به، فعلى ما ذكرنا من أن الاستعاذة نوع من الدعاء[3] -وهو واضح- فالعلماء

---

(1) سيأتي تخريجه في (ص 637).

(2) الجهمية: هي فرقة كلامية عارضت صحيح المنقول بالشبهات العقلية، وعطلت الله تعالى عن أسمائه الحسنى وصفاته العلى. سموا بذلك نسبة إلى جهم بن صفوان الذي تتلمذ على الجعد بن درهم ونشر أفكاره. وقد أصبح لقب الجهمية جنساً يطلق على الفرق الكلامية التي جاءت من بعدهم وتبنت أفكارهم، وعلى رأسها المعتزلة. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (ص 86)، ومنهاج السنة (309/1)، والبداية والنهاية (199/13).

(3) راجع (ص 213-214).

وقد سميت الاستعاذة دعاء في أحاديث كثيرة منها:

أن رجلا قال: يا رسول الله علمني دعاء أدعوا به، قال: $قل اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري ومن شر لساني ومن شر قلبي ومن شر منيي# أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة (130/2 رقم 1551)، والترمذي في سنه، كتاب الدعوات، باب 75 (ص 793 رقم 3492) وقال: $حسن غريب#، والنسائي في سننه، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من شر السمع و البصر (652-653/8 رقم 5471).

وعن أبي هريرة ط قال: $كان رسول الله ح يدعو فيقول: $اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة# أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة (129/2 رقم 1547)، والنسائي في سننه، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من الخيانة (656-657/8 رقم 5484)، وابن ماجه في سننه، كتاب الأطعمة، باب التعوذ من الجوع (ص 563 رقم 3354)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (138/3 رقم 2723).

وعن عائشة ك $أن رسول الله ح كان يدعوا بهؤلاء الكلمات: اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار، وعذاب النار، وعذاب القبر، وفتنة القبر، ومن شر فتنة الغنى، ومن شر فتنة الفقر...# أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب 77 (ص 793 رقم 3495) وقال حسن صحيح#، والنسائي في سننه، كتاب الاستعاذة، باب الا ستعاذة من شر فتنة القبر (655-656/8 رقم 5481).

وفي صحيح مسلم: $كان من دعاء النبي ح: $اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك# صحيح مسلم، كتاب الذكر و الدعاء، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء (2097/4 رقم

القائلون بامتناع الاستعاذة بالمخلوق يقولون: لا يجوز دعاء المخلوق، لأن الا ستعاذة دعاء حقيقة إذ المستعيذ بربه يطلب منه دفع مكروه أو رفعه وهذا حقيقة الدعاء.

فلهذا قال العلماء إن الاستعاذة لا تجوز بمخلوق، بل هي مختصة ب الله سبحانه، لأنها دعاء؛ وهكذا سائر أنواع الدعاء؛ إذا تقرر هذا فمن المعلوم بالضرورة أنه لو خاف إنسان من عدو له فالتجأ إلى حي حاضر ليجيره من عدوه لم يكن بهذا بأس عند جميع المسلمين، وليس بداخل تحت قول العلماء: إن الاستعاذة لا تجوز بمخلوق، فهذا شيء واحد اختلف حكمه باخت لاف متعلقه، فبالنسبة للحي الحاضر جائز وبالنسبة لغيره ممتنع، فكذلك دعاء غير الله بطلب قضاء الحاجات لا يجوز لقوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ الجن: ١٨. ولا يدخل في هذا النهي طلب الإنسان حاجة من حي حاضر مما يدخل تحت قدرة البشر.

5- ماذا يقول من قال بأنه $لا فرق بين الاستغاثة بالأحياء وبين الا ستغاثة بالأموات# لو قال قائل: إنه لا فرق بين الجماد والحيوان، فلا فرق بين الحجر والشجر والإنسان في هذه الأحكام كما قالوا هم سواء، ثم قال مثل ما قالوا: إذا ثبتت الاستغاثة بالميت وثبتت أن الاستغاثة به ليست شركاً ولا كفراً؛ فالاستغاثة بالحجر والشجر والجماد كذلك، إذ لا يُعقل الفرق بين الأمرين؛

فإن جواز الاستغاثة بالميت إن كان لمكانته عند الله، فالمكانة ثابتة للجماد والأحجار، كأحجار البيت العتيق وأحجار قبور الصالحين وآثارهم -عند المخالف-.

وإن كان لأجل أن الميت يدعو الله، فالجماد يدعو أيضاً كما قال تعالى: ﭽﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼالإسراء: ٤٤، وكما قال: ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼالرعد: ١٥، وكما قال: ﭽﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼالنور: ٤١، وكما قال: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼالرحمن: ٦، وكما قال في وصف الحجارة: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼالبقرة: ٧٤، وقد عزا كتاب الله أشياء كثيرة من هذا النوع إلى الجماد، وقد جاء في الصحيح أن النبي ح قال: $إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أُبعث، إني لأعرفه الآن#[1]، وقد حنّ الجذع الذي كان يخطب عليه النبي ح لما اتخذ منبراً وخطب عليه[2][3].

(2739).

والمقصود من إيراد هذه الأحاديث بيان أن الاستعاذة تسمى دعاء في كلام النبي ح وأصحابه.

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ح وتسليم الحجر عليه قبل النبوة (1782/4 رقم 2277) من حديث جابر بن سمرة.

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (601/6 رقم 3583 -الفتح).

وهذا لازم باطل من قولهم -ولا أظنهم سيلتزمون به-؛ فدل على بطلان ذلك القول.

6- من الدلائل العقلية في التفريق بين الحي والميت: لو أعطى إنسان آخر مالا ً وقال أود ِع ه عند ثقة، فذهب به الوكيل وأودعه عند قبر رجل صالح كالشيخ عبد القادر -مثلا ً- وقال: هذا وديعة عندك لفلان، واستحف َظ َه إياه فضاع لعد ّه الناس مجنونا ً جنونا ً لا يرفع التكليف وألزموه بالضمان، ويلزم هذا الذي ساوى بين الحي والميت أن يقول: هو مصيب فيما فعله ولا ضمان عليه، وربما أنه لا يلتزم هذا خوفا ً من الفضيحة عند الناس، وحينئذ يقول له الوكيل في الإيداع: أنا ما فرطت على مذهبك في التسوية بين الحي والميت، لأنك تقول ما جاز طلبه من الحي جاز طلبه من الميت، وأنا طلبت من الشيخ عبد القادر حفظ هذه الوديعة وهي حاجتي عنده، وأنت تجو ّز طلب َ الحاجات من الأموات فكيف تخط ّئني؟

7- وأيضاً: لو خرج شخصان من بيتهما وقصد أحدهما رجلا ً حيا ً غنيا ً وقال: أشكو إليك الجوع، وقصد الآخر ميتاً وقال: يا أيها الولي الفلاني أشكو إليك الجوع، هل يستوي الشخصان عند جاهل فضلا ً عن العالم ؟! فهذا شيء واحد يختلف حكمه باختلاف النسبة، فالنسبة إلى الميت شرك والنسبة إلى الرجل الحي الحاضر الغني جائز، لا يتوقف في هذا عاقل.

ثاني اً: بيان بطلان قولهم $يجوز الاستعانة برسول الله بعد وفاته، لأنه حي في قبره يصلي ويدعو#[2]، وذلك من وجهين:

1- سبق ذكر الأدلة على شركية الاستعانة بالرسول ح بعد وفاته، ولا داعي للتكرار[3].

2- تعليلهم جواز الاستعانة برسول الله ح على كون الرسول ح يصلي في قبره ويدعو مبني على حديث $الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون#[4] وغيره من الأحاديث الثابتة[5].

فأقول: لقد اختلف العلماء في معنى هذه الصلاة على قولين: فقيل إنها بمعنى الدعاء، وقيل بل بمعنى الصلاة الشرعية، والأول ذهب إليه ابن حبان، والمناوي -رحمهم الله-، والثاني قال به القرطبي : لظاهر الحديث[6]،

---

(1) انظر: الصراع بين الإسلام والوثنية (260/2).
(2) I'tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 372).
(3) راجع (ص 209، 224-228)_.
(4) سبق تخريجه في (ص 250).
(5) انظر بعض تلك الأحاديث في: المباحث العقدية المتعلقة بقبر النبي ح (ص 894-895).
(6) انظر: صحيح ابن حبان (243/1 -الإحسان)، وجلاء العينين (ص 530)، وفيض

وليس هناك كبير فرق بين القولين في هذا الباب.

وهذه الصلاة حق يجب قبوله والإيمان به، فكل ما جاء عن النبي ح يجب التسليم به والانقياد إليه. ولما كانت هذه الصلاة متعلقة بأمر البرزخ، وهو من أمور الغيب التي لا تدرك بالعقل ولا الحس ولا القياس، وجب أن تمر كما جاءت من غير تكييف؛ إذ لا مجال للعقل في أمور الغيبيات، ويطبّق على هذه الصلاة البرزخية قول الإمام مالك : في الاستواء: $الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة#[1]؛ لتشابه الأمرين، فكلاهما غيبان بالنسبة لنا، لا سيما بعد موت النبي ح.

ولما كان من الأمور الثابتة في الإسلام أن التكليف قد انقطع بعد الموت لقول النبي ح: $إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له#[2]؛ تكون هذه الصلاة البرزخية ليست من باب التكليف، لأن التكليف انقطع بالموت، وإنما هذه الصلاة من باب التلذذ والتمتع بالصلاة كما يتمتع أهل الجنة بالتسبيح، فالبرزخ طور ثان ، وله حكم ثان يخالف حكم حياة الدنيا[3].

أما جواز الاستعانة بالرسول ح بعد وفاته استنباطاً من الحديث الثابت الدال على أنه ح يصلي في قبره ويدعو، فلم يقل به -فيما أعلم- أحد من السلف الصالح والأئمة الـمتّبِعون لهم من بعدهم؛ لأن نص الحديث لا يدل على ذلك ولا يستلزمه، ولأن هذا الاستنباط مناقض لأصل دين الإسلام الذي هو وجوب صرف جميع العبادات -ومنها الاستعانة[4]- لله وحده لا شريك له.

ولا يلزم من كون النبي ح يدعو ويصلي في قبره أن نطلب منه ح الدعاء بعد وفاته أو أن نستعين به، وبرهان ذلك قوله سبحانه: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﭼ الإسراء: 56-٥٧.

نهى الله في هاتين الآيتين عن دعاء الملائكة والأنبياء، مع أنه

القدير (519/5).

(1) أخرجه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات (306/2)، وجوّد إسنادَ هذه المقالة الحافظ ابن حجر في فتح الباري (407/13)، وقال الإمام الذهبي في العلو (954/2 رقم 344-1): $هذا ثابت عن مالك ... وهو قول أهل السنة قاطبة#. وقال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (167/3) عن هذه المقالة بأنها: $المقالة التي تلقاها العلماء بالقبول#.

(2) سبق تخريجه (ص 264).

(3) هاتان الفقرتان الأخيرتان مجمّعة من المصادر التالية: الدرر السنية (548/1-550)، والسراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم للشيخ د. محمد تقي الدين الهلالي (ص 26)، والسلسلة الصحيحة (190/2)، والتعليق المختصر على القصيدة النونية للشيخ د. صالح الفوزان (695/2).

(4) راجع (ص 206-207).

سبحانه أخبر لنا بأن الملائكة يدعون لنا ويستغفرون، وذلك في قوله سبحانه: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ الشورى: ٥، وأخبر أن الأنبياء يصلون في قبورهم كما تقدم في الحديث الثابت.

فهذا يدل دلالة واضحة على أن كون الأنبياء يصلون ويدعون في قبورهم لا يتلزم منه، بل ولا يجوّز لنا دعاءهم والاستعانة بهم من دون اللّه بعد وفاتهم.

فإن قيل: إن المعبودين من دون الله المذكورين في آيتي الإسراء إنما هم الأصنام وليسوا أنبياء ولا ملائكة؛ فالجواب ما قاله الرازي : في تفسير تلك الآية، حيث قال: $اعلم أن المقصود من هذه الآية الرد على المشركين، وقد ذكرنا أن المشركين كانوا يقولون: ليس لنا أهلية أن نشتغل بعبادة اللّه تعالى، فنحن نعبد بعض المقر ّبين من عباد اللّه وهم الملائكة، ثم إنهم اتخذوا لذلك الملك الذي عبدوه تمثالا ً وصورة واشتغلوا بعبادته على هذا التأويل. واللّه تعالى احتج على بطلان قولهم في هذه الآية فقال: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ وليس المراد الأصنام؛ لأنه تعالى قال في صفتهم: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ وابتغاء الوسيلة إلى اللّه تعالى لا يليق بالأصنام ألبتة.

إذا ثبت هذا فنقول: إن قوماً عبدوا الملائكة فنـزلت هذه الآية فيهم، وقيل: إنها نزلت في الذين عبدوا المسيح وعزيراً، وقيل: إن قوماً عبدوا نفراً من الجن فأسلم النفر من الجن، وبقي أولئك الناس متمسكين بعبادتهم، فنـزلت هذه الآية#[1].

ففي تقرير الرازي السابق رد قوي واضح -عند كل ذي بصيرة- على هؤلاء المشككين[2]، ولله الحمد والمنة...

ثالثـاً: الرد على قولهم: بأن $أهل السنة يعتقدون جواز الاستعانة بغير اللّه، بشرط الاعتقاد بأن المعين في الحقيقة هو اللّه، أما في الظاهر فإن الذي طلبنا منه العون فهو ذلك

(1) تفسير الرازي (232/20).

(2) سيأتي -بإذن الله- الرد الموسع على هذه الشبهة في (ص 406-411).

الإنسان#[1]، وذلك من ثلاثة أوجه، فأقول -وبالله وحده التوفيق والعون-:
1- قولهم: $أهل السنة يعتقدون جواز الاستعانة بغير الله# يحتمل أمرين:
الأمر الأول: الاستعانة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله ، فهذه شرك أكبر، لأنها صرف العبادة لغير الله .
الأمر الثاني: الاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه المخلوق، كاستعانة ا لإنسان بغيره في أمر من الأمور المقدورة لديه ليعينه؛ فهذا جائز، كما قال الله تعالى عن ذي القرنين: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ الكهف: 95.
2- إن أراد بالاستعانة بالمخلوق الاستعانة بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله -كالاستعانة بالأموات على تفريج الكربات أو طلب الشفاعة منهم[2]-؛ فهذا شرك محض ولا ينفع -في مثل هذه الحالة- اعتقاده $بأن المعين في الحقيقة هو الله#، وذلك لأنه حينئذ -بتلك الاستعانة- قد أشرك بالله في توحيد الإلهية ونقض إسلامه، حتى وإن لم يشرك به في توحيد الربوبية لاعتقاده أن المعين الحقيقي هو الله سبحانه.
ثم إن الاستعانة والاستغاثة بالأموات عند إلمام الملمات -على أن هؤلا ء الأموات سبب في دفع المضرات وأنهم من الأسباب لجلب المنافع و الخيرات- هي بعينها عقيدة المشركين السابقين، فإن المشركين من كل أمة في كل قرن ما قصدوا من معبوداتهم وآلهتهم التي عبدوها مع الله إلا التسبب والتوسل والتشفع، ليس إلا، ولم يدّعوا الاستقلال والتصرف لأحد دون الله، ولا قاله أحد منهم سوى فرعون الذي حاج إبراهيم في ربه؛ وقد قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ النمل: ١٤.
فهم في الباطن يعلمون أن ذلك لله وحده، قال تعالى في بيان قصدهم ومرادهم بدعاء غيره: ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ يونس: ١٨، وقال تعالى: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ الزمر: ٣؛ فأخبرهم بأنهم تعلقوا على آلهتهم، ودعوهم مع الله للشفاعة والتقريب إلى الله بالجاه والمنـزلة، ولم يريدوا منهم تدبيراً، ولا تأثيراً، ولا شركة، ولا استقلالا [3].
جاء في $تفسير البحر المحيط#[4] عند توضيح آية الزمر: $أجمع كل الأنبياء عليهم السلام على أن عبادة غير الله كفر؛ سواء اعتقد كونه إلهاً للعالم، أو أن عبادته تقرب إلى الله#.

(1) انظر: I'tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 371).
(2) كما في المصدر السابق (ص 362).
(3) انظر: فتح المنان تتمة منهاج التأسيس ردُ صلح الإخوان (ص 285-286).
(4) (377/4) -ط. دار الكتب العلمية)._

3- فإن قيل: الاستعانة بالرسول ح بعد وفاته بطلب الدعاء منه مما يقدر عليه الرسول ح فلا يعد شركاً!

فالجواب بأن يقال: الأمر ليس كما ذكرتم، والدليل: أن أعلم الأمة وأحرصهم على الخير -وهم الصحابة-لم يفهموا ذلك. إذا كان طلب الدعاء من النبي ح بعد وفاته جائزاً وهو قادر على الدعاء، فلأي معنى لم يطلب صحابة رسول اللّه ح منه أن يدعو لهم بعد موته وعدلوا إلى العباس ط[1] ويزيد الجرشي :[2]؟

ولو كان الميت يملك الدعاء، والرسول ح يملك بعد موته أن يدعو لمن سأله، ويقدر على الدعاء كما يقدر عليه حياً، فلأي معنى نهى الرسول ح عن اتخاذ قبره مسجداً[3]؟!

والمسجد إنما يقصد للدعاء وأعلى أنواع الدعاء الصلاة، والصلاة دعاء في اللغة[4]، وقد قالت عائشة ك في قوله تعالى: ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼالإسراء: ١١٠؛ $أنزل ذلك في الدعاء#[5]، فيكون معنى بصلاتك: بدعائك.

وقال ح: $إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب، فإن كان صائماً فليصل، وإن كان مفطراً فليطعم#[6] أي فليدع لهم بالبركة والمغفرة[7]، وكل داع فهو مصل.

(1) القصة وقعت في زمن عمر ط، وقد مضى تخريجها في (ص 305).
(2) القصة وقعت في زمن معاوية بن أبي سفيان م، وقد مضى تخريجها في (ص 305).
(3) مضى تخريجه في (ص 49).
(4) الصحاح (2402/6)، والمخصص لابن سيده (85/13 –ط. دار الكتب العلمية)، ومعاني القرآن للزجاج (466/2)، ولسان العرب (397/7)، ومفردات ألفاظ القرآن (490)، وجلاء الأفهام (253-وما بعدها)، ومجموع الفتاوى (238/10)، وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (452/2-453)._
(5) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب $ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها# (405/8 رقم 4723 -الفتح)._
(6) رواه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة (1054/2 رقم 1431) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه._
(7) انظر: الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج للسيوطي (43/4)، وغريب الحديث لابن الجوزي (602/1)._

وقال الأعشى[1]:

وَقَابَلَهَا الرّيْحُ في دَنّهَا   وصلى على دَنّها وارْتَسَمْ[2]

أي دعا لها: ألا تحْمَضَ ولا تفْسُدَ[3].

فالمسلمون كانوا يطلبون من النبي ح أن يدعو لهم في حياته، فلو كان دعاؤه لهم مقدوراً مستديماً بعد وفاته ح لما نهى عن اتخاذ القبور مساجد، وهي الذريعة الكبرى والوسيلة العظمى للإشراك الأكبر برب الأرباب، ولِطلب الدعاء من الأموات، والاستغاثة بهم، ونحو ذلك.

فانظر إلى فهم الخليفة الراشد عمر ط فيما علقه البخاري في صحيحه ، وقد رأى أنس بن مالك ط يصلي عند قبر فقال: $القبرَ، القبرَ#[4] يحذر أنساً[5]، ويعلمه أن بقرب مكان صلاته قبراً.

ثم هؤلاء شهداء أحُد معروف مكانتهم وفضلهم، ومعروفة قبورهم، ومع ذلك لم يذهب إليهم أحد من المسلمين من صحابة الرسول ح في حياته ح ولا بعد مماته ح؛ يسألونهم الدعاء، وهم أحياء حياة برزخية بنص القرآن، لأنهم من الشهداء.

فلِمَ ترك أولئك طلبَ الدعاء من هؤلاء الشهداء؟ بل كانوا يدعون لهم، ولا يسألونهم الدعاء، وهم أحياء بنص كريم، ولكن حياتهم ليست كحياتنا على الأرض!

نعلم منه أنهم وإن كانوا أحياء إلا أن حياتهم حياة برزخية لا نعلم حقيقتها، فهي مختلفة في ما يقدرون عليه عن حياتهم في الدنيا، وهذا تقرير نافع لمن تأمله وتدبره.

وتقدم حديث إرشاد النبي ح لعمر ط بأن يأمر أويساً القرَني : أن يستغفر له، وما فيه من الفقه العظيم[6].

فإذا كان هذا في حق الرسول ح، وهو أحسن حالا ً في القبر على الإ طلاق، فكيف بمن يستغيث ويطلب الدعاء من الأموات الآخرين!؟

رابعـا ً: الجواب عن قولهم: $الذي يعد شركاً وكفراً هو: عبادة المخلوق، أو اعتقاد بأن المخلوق هو الرب المعبود، أو الاعتقاد بأن الإنسان

---

(1) هو: ميمون بن قيس بن جندل أبو بصير الملقب بالأعشى لسوء بصره (ت 7 هـ)، من أصحاب المعلقات وأحد شعراء الطبقة الأولى من الجاهلين، أدرك الإسلام لكنه لم يسلم. انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة (1/263-266).

(2) ديوان الأعشى (ص 196)، ارتسم الرجل: كبّر ودعا، والارتسام: التكبير والتعوذ. انظر: لسان العرب (5/216).

(3) تهذيب اللغة (12/237).

(4) سبق تخريجه في (ص 50).

(5) الفتح (1/524).

(6) انظر: (ص 261-262).

له قدرة على الخلق مثل اللّه#[1]، وذلك من وجهين:

1- قوله: $الذي يعد شركاً وكفراً هو: عبادة المخلوق#، فهذا رد منهم عليهم، والحمد لله، وبيان ذلك: أن من استغاث بالأموات أو استغاث بالأحياء فيما لا يقدر عليه إلا اللّه فقد عبد المخلوقين وأشرك باللّه وكفر به؛ لأنه صَرَف عبادة لغير اللّه سبحانه[2].

2- قوله: $أو اعتقاد بأن المخلوق هو الرب المعبود، أو الاعتقاد بأن الإ نسان له قدرة على الخلق مثل اللّه#، فهذا لا ننازعه في كفريتهما وشركيتهما؛ لأنهما مضاهاة لله سبحانه في ربوبيته، ولكن لا يجوز حصر الشرك في هذين الأمرين؛ إذ الشرك أنواع، منها ما يكون في ألوهية اللّه، ومنها ما يكون في ربوبيته، ومنها ما يكون في أسماءه وصفاته.

خامس_1: الجواب عن قولهم: $هذا هو معتقد أهل السنة، وهذا مخالف لعقيدة ابن تيمية والوهابيين الذين يرون أن الاستعانة بغير اللّه شرك والاستغاثة بالنبي بعد وفاته شرك#[3].

فبعد هذه الجولة الطويلة مع شبهاتهم والردود عليها، أدَع الحُكم للقراء ؛ هل الحق مع هؤلاء المبتدعة الذين يدّعون -كذباً وزوراً- بأنهم أهل السنة وهم مخالفون لنصوص الكتاب والسنة، أم الحق مع من يدور مع الكتاب و السنة وفهم السلف الصالح حيث دارت؟ فالحق أبلج والباطل لجلج!

هذا ما يسر اللّه لي تدوينه رداً على النوع الأول من شبهاتهم وهي استدلالهم بالنصوص الصحيحة على أباطيلهم، والحد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ويليه الرد على النوع الثاني من شبهاتهم:

- <u>النوع الثاني: أدلة غير صحيحة تدل على أباطيلهم، صريحة كانت أم غير صريحة:</u>

هذه الأدلة تتكون من أحاديث موضوعة أو واهية، ومن قصص غير ثابتة؛ ومن ثمّ سأجعل مناقشتها في نقطتين: أولاهما: ما يتعلق بالأحاديث الموضوعة أو الواهية، ثانيتهما: ما يتعلق بالقصص غير الثابتة.

وقبل الشروع في المناقشة التفصيلية، أذكِر القراء الكرام بالمقدمة الثانية من المقدمات المهمة في الجواب الإجمالي عن هذه الشبهات، ألا وهي: عدم جواز الاحتجاج في دين اللّه -لاسيما في باب العقيدة- بالأ

---

(1) انظر: I’tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama’ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 372).

(2) انظر: (ص 211-212).

(3) انظر: I’tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama’ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 373).

أحاديث الضعيفة، وقد بينت هنالك أنه لا أحد من العلماء المعتبرين مَن يجيز الاحتجاج بالأحاديث الضعيفة في باب العقيدة، فما بالكم بالأحاديث الواهية الموضوعة[1].

وأذكّر القراء الأعزاء أيضاً بالمقدمة الثالثة من تلك المقدمات، ألا وهي تناقض هؤلاء في هذه المسألة؛ إذ إنهم لا يقبلون في باب العقائد -حسب زعمهم- إلا القطعي من الأدلة، إذ من أصولهم المقررة لديهم أن غير قطعي الثبوت والدلالة -يريدون بذلك ما لم يكن متواتراً صريح الدلالة- لا يُقبل؛ فهم يردون الأحاديث المشهورة الصحيحة الثابتة الصريحة الدلالة في باب العقائد بهذه القاعدة المقررة لديهم، ولكنهم تناقضوا -في هذه المسألة التي معنا-، لاحتجاجهم بما هو ليس صريحاً في الدلالة على المراد، أو بما هو غير ثابت أصلا ً من الأحاديث الضعيفة أو الواهية أو الموضوعة، والقصص الواهية[2].

ويُعَدّ هذان الأمران من الردود الإجمالية النافعة -بإذن اللّه- على هذا النوع الثاني من أدلتهم. والآن أوان الشروع في المناقشة التفصيلية:

النقطة الأولى: الأحاديث الضعيفة أو الواهية أو الموضوعة:

الحديث الأول:

ن-ص الحديث: $إذا تضايقت الأمور فتوسلوا بأهل القبور#[3]. وذكر بعضهم لفظاً آخر: $إذا تحيرتم في الأمور فاسألوا من أهل القبور. رواه أبو بكر الصديق#[4]، وتشبث إسناداً لهذا الحديث فقال: $رواه محمد بن عبد اللّه الخاني، عن الشيخ خالد العثماني، عن الشيخ محمد البخاري، عن الشيخ محمد الأويسي البخاري، عن سيدنا جعفر الصادق، عن قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، عن سلمان الفارسي، عن أبي بكر الصديق عن النبي ح. البهجة السنية[5] للشيخ محمد بن عبد اللّه الخاني ص41#[6].

تخريج-ه:لم أقف عليه مسنداً في شيء من الكتب الحديثية أو التفسيرية أو التاريخية.

وأما السند الذي ذُكر في الأعلى فلم يذكره -فيما أعلم- إلا هذا الخاني، وأجزم بأنه سند مختلق موضوع؛ إذ هو غير معروف في شيء من دواوين

---

(1) راجع (ص 240-242).
(2) راجع (ص 247).
(3) هذه الجملة مكتوبة على جدران أضرحة Troloyo (تْرُوْلُوْيُوْ) بمدينة Mojokerto (مُوْجُوْكِيْرْتُوْ) جَاوَا الشرقية، وقد رأيت ذلك بنفسي أثناء زيارتي لها.
(4) الفرائد السنية والدرر البهية، تأليف محمد شعراني أحمدي الإندونيسي (ص 12).
(5) أحد كتب الطريقة النقشبندية، وعنوانه كاملا ً: البهجة السنية في آداب الطريقة النقشبندية، انظر: الأعلام (242/6)، ومعجم المؤلفين (460/3).
(6) الفرائد السنية والدرر البهية (ص 12).

السنة المعتمدة، وبين رجاله مفاوز تنقطع فيها أعناق الإبل؛ فمحمد بن عبد الله الخاني الخالدي النقشبندي هذا عاش ما بين (1213-1279 هـ)[1]، وخالد العثماني أظنه: ضياء الدين خالد العثماني النقشبندي من رجال قبيلة الجاف في العراق[2]ولم أتوصل إلى معرفة سنة ولادته ووفاته، ومحمد البخاري لم أتوصل إلى معرفته -وقطعاً ليس هو محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح-، ومحمد الخاني البخاري هو: خواجه بهاء الدين محمد بن محمد الأويسي البخاري المعروف بشاه نقشبند: إمام الطريقة النقشبندية قاطبة (ت 791 هـ)[3]، وجعفر هو: ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو عبد الله المعروف بالصادق (ت 148 هـ)[4]، و القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي (ت 106 هـ)[5]، وسلمان الفارسي أبو عبد الله ط الصحابي المعروف (ت 34 هـ)[6]، وأبو بكر الصديق عبد الله ابن عثمان أبي قحافة التيمي ط الخليفة الراشد (ت 13 هـ)[7].

فبالنظر إلى وفيات كل من رجال السند، أجزم بوجود الانقطاع الجلي بين محمد الأويسي البخاري (ت 791 هـ) وبين جعفر الصادق (ت 148 هـ)؛ إذ بينهما ستة قرون من الزمان!!

ويغلب على ظني وجود انقطاع ثانٍ في هذا السند، وهو ما بين محمد البخاري (ت ؟ هـ) ومحمد الأويسي البخاري (ت 791 هـ)؛ لأنه وإن لم أتوصل إلى معرفة من هو محمد البخاري، إلا أننا نستطيع أن نقدّر بأنه كان يعيش فيما بين قرني العاشر والحادي عشر الهجريين، إذ هو شيخُ شيخِ محمد الخاني الذي عاش في القرن الثالث عشر الهجري، فبالتالي يكون بين محمد البخاري ومحمد الأويسي البخاري قرنان من الزمان!

إذاً الانقطاع في هذا السند يكون في موطنين، وكفى بذلك بياناً لكذب هذا السند.

وإن من له أدنى مسكة من علم الحديث -بدون أن يبحث في وفيات رجال هذا السند- يدرك استحالة وجود هذا السند، ويجزم بأنه سند مختلق مصنوع لا حقيقة له في الواقع؛ إذ كيف يروي رجل يعيش في القرن الثالث

(1) الأعلام (242/6)، ومعجم المؤلفين (460/3).
(2) عشائر العراق لعباس العزاوي (66/2).
(3) انظر ترجمته في: الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية للسنهوتي (126-141) نقلا ً عن جهود علماء الحنفية (753/2-754)، والحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية للخاني (ص125-144)، والمواهب السرمدية في مناقب النقشبندية للكردي (ص 108-143).
(4) انظر: التقريب (رقم 958).
(5) انظر: المصدر السابق (رقم 5524).
(6) انظر: المصدر السابق (رقم 2490).
(7) انظر: المصدر السابق (رقم 3490).

عشر حديثاً بسنده، وبينه وبين الرسول ح سبعة أشخاص فقط؟! مَن كان يروي الحديث بالسند السباعي -على الأقل- لابد أن يعيش تقريباً في القرن السادس الهجري![1] أما أن يعيش رجل في القرن الثالث عشر وسنده سُباعي فهذا لا يقوله عاقل فضلاً عن عالم! ولْـيُعلَم أن السند العالي في هذا الزمان هو ما يكون فيه بين الرجل وبين النبي ح -على الأكثر- تسعة وعشرون شخصاً تقريباً[2]، فهل يُعقل أن يكون السند سُباعياً لرجل عاش في هذا الزمان؟ ولكن صدق رسول اللّه ح إذ قال: $إذا لم تستح فاصنع ما شئت#[3]!

الحكم عليه: الحديث موضوع باطل لا أصل له، حكم بذلك شيخ الإسلام، والإمام ابن القيم، والعلامة الشوكاني، والعلامة أبو الثناء الآلوسي -رحمهم اللّه-.

ودونكم نصوص أولئك الأعلام:

قال شيخ الإسلام :: $ويروون حديثاً هو كذب باتفاق أهل المعرفة، وهو: $إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور#، وإنما هذا وضع من فتح باب الشرك#[4].

وقال :: $وما يرويه بعض الناس من أنه ح قال: $إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا بأهل القبور#، أو نحو هذا، فهو كلام موضوع مكذوب باتفاق العلماء#[5].

وقال :: $وان كان بعض الناس من المشايخ المتبوعين يحتج بما يرويه عن النبى ح أنه قال: $إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور# أو $فاستعينوا بأهل القبور# فهذا الحديث كذب مفترى على النبى ح بإجماع العارفين بحديثه، لم يروه أحد من العلماء بذلك، ولا يوجد فى شىء من كتب الحديث المعتمدة#[6].

---

(1) انظر على سبيل المثال: أسانيد الحافظ أبي القاسم التيمي الأصبهاني (457-535 هـ) الذي روى الأحاديث بسنده في كتابه الحجة في بيان المحجة.

(2) كما في سند المقرئ محمد تميم بن مصطفى الزعبي (عضو اللجنة العلمية لمراجعة مصحف المدينة المنورة وعضو لجنة الإشراف على التسجيلات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف) -مثلاً- لإجازته في تجويد القرآن الكريم وفق رواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية. أعلم أن هناك فرقاً بين سند القراء وسند المحدثين؛ إنما أوردت سند هذا المقرئ للمقارنة فقط وإعطاء التصور عن المسألة.

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب $إذا لم تستح فاصنع ما شئت# (523/10) رقم 6120 -الفتح).

(4) مجموع الفتاوى (293/11).

(5) اقتضاء الصراط المستقيم (196/2).

(6) مجموع الفتاوى (356/1) ومجموعة الرسائل والمسائل (31/1).

وقال :: $وقد قدم بعض الشيوخ المشرق وتكلم معي في هذا، فبينت له فساد هذا، فقال: أليس قد قال النبي ح: $إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور# فقلت: هذا مكذوب باتفاق أهل العلم، لم يروه عن النبي ح أحد من علماء الحديث، وبسبب هذا وأمثاله ظهر مصداق قول النبي ح في الحديث الصحيح: $لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟#[1]. وفي الحديث الآخر الصحيح: $لتسلكن أمتي مسالك الأمم قبلها شبرا ً بشبر وذراعا ً بذراع، قالوا: يا رسول الله، فارس والروم؟ قال: ومن الناس إلا هؤلاء؟#[2]. فاتخاذ القبور مساجد هو من فعل اليهود و النصارى#[3].

وقال ابن القيم :: $ومنها: أحاديث مكذوبة مختلقة وضعها أشباه عباد الأصنام، من المقابرية على رسول الله ح تناقض دينه وما جاء به، كحديث: $إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور# ... وأمثال هذه الأحاديث التي هي مناقضة لدين الإسلام، وضعها المشركون وراجت على أشباههم من الجهال الضلال. والله بعث رسوله بقتل من حسن ظنه بالأحجار، وجنّب أمته الفتنة بالقبور بكل طريق#[4].

وقال أبو الثناء الآلوسي :: $وتوحي إليهم شياطينهم خبر $إذا أعيتكم الأمور إلخ# وهو حديث مفترى على رسول الله ح بإجماع العارفين بحديثه ، لم يروه أحد من العلماء، ولايوجد فى شىء من كتب الحديث المعتمدة، وقد نهى النبى ح عن اتخاذ القبور مساجد ولعن على ذلك، فكيف يتصور منه -عليه الصلاة والسلام- الأمر بالاستغاثة والطلب من أصحابها! سبحانك هذا بهتان عظيم#[5].

تنبيه: مع كون هذا الحديث مكذوباً على رسول الله ح فهو مناقض لدين الإسلام، ومخالف لنصوصه الدالة على الأمر باللجوء إلى الله -لا إلى أصحاب القبور- في جميع أحوال العبد؛ قال الله تبارك وتعالى: ﭽ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﭼالبقرة: ١٨٦، وقال جل في علا

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذُكِر عن بني إسرائيل (495/6 رقم 3456 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى (2054/4 رقم 2669) من حديث أبي سعيد ط بنحوه.

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ح: $لتتبعن سنن من كان قبلكم# (300/13 رقم 7319 -الفتح) من حديث أبي هريرة ط بنحوه.

(3) تلخيص كتاب الاستغاثة (577/2-578).

(4) إغاثة اللهفان (394/1-395).

(5) روح المعاني (127/6-128 –ط. المنيرية).

اه: ﭽﭤ ﭥ ﭦ ﭧﭼالفاتحة: ٥ وقال سبحانه: ﭽﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚﭼالأنعام: 40-٤١،
وقال سيدنا محمد ح في وصيته لابن عباس م: $إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله#[1].

هذه هي نصوص الحنيفية السمحة، فأين هي من انتحال ضلال القبورية؟!

الحديث الثاني:

نص الحديث: $حياتي خير لكم ومماتي خير لكم، تعرض علي أعمالكم، فإن رأيت خيراً حمدت الله، وإن رأيت غير ذلك استغفرت لكم. نصائح. رواه القاضي إسماعيل#[2].

تخريجه[3]: أخرج هذا الحديث البزار[4] في مسنده (308/5-309 رقم 1925)، فقال: حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، عن سفيان عن عبد الله بن السائب، عن زادان، عن عبد الله، عن النبي ح قال: $إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام#، قال: وقال رسول الله ح: $حياتي خير لكم تحدثون ونحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه وما رأيت من شر استغفرت الله لكم#. وقال البزار: $وهذا الحديث آخره لا نعلمه يروى عن عبد الله إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد#.

الحكم عليه: هذا الحديث فيه علل منها:

العلة الأولى: تفرد بهذا اللفظ عن سفيان الثوري[5] عبدُ المجيد بن أبي رواد، وبيان ذلك كالآتي:

هذا الحديث يشتمل على شطرين وقد رواه كثيرون فاقتصروا على الشطر الأول، وخالفهم عبد المجيد بن أبي رواد فزاد الشطر الثاني.

فالشطر الأول قد روي عن سفيان -وهو الثوري- بهذا الإسناد من طرق

---

(1) رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ح، باب 59 (ص 566 رقم 2514)، وقال: $حسن صحيح#، وقال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم (462/1): $طريق حنش التي أخرجها الترمذي حسنة جيدة#، وصحح الحديثَ الشيخُ الألباني في ظلال الجنة (ص 138 رقم 315).

(2) الفرائد السنية والدرر البهية (لمؤلف إندونيسي) (ص 15).

(3) استفدت في تخريج هذا الحديث والحكم عليه مع بيان ما فيه من المراجع التالية: السلسلة الضعيفة (404/2-406 رقم 975)، والدعاء ومنـزلته (761/2-781)، وهذه مفاهيمنا (ص 90-93)، وهدم المنارة (ص 135-139).

(4) هو: أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري أبو بكر البزار (ت 292 هـ)، الحافظ العلامة، صاحب المسند الكبير المعلل. انظر: تذكرة الحفاظ (654/2-653).

(5) هو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي (97-161 هـ)، ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة. انظر: التقريب (رقم 2458).

متعددة، فهو مشهور مستفيض عن الثوري، قد رواه عنه عدد كثير، اطلعت على رواية نحو عشرة منهم، وهم: عبد الرحمن بن مهدي[1]، ويحيى بن سعيد القطان[2]، ووكيع بن الجراح[3]، وعبد الله بن المبارك[4]، ومعاذ بن معاذ[5]، وعبد الرزاق بن همام[6]،

(1) كما أخرجه أحمد في مسنده (260/7 رقم 4210).

(2) كما أخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ح (ص 36 رقم 21). و القطان هو: يحيى بن سعيد بن فرُوخ التميمي أبو سعيد القطان البصري (120-198 هـ)، ثقة متقن حافظ إمام قدوة. انظر: التقريب (رقم 7607).

(3) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (44/6 رقم 8797 –تحقيق محمد عوامة)، وأحمد في مسنده (260/7 رقم 4210). ووكيع هو: وكيع بن الجراح بن مليح الرُؤاسي أبو سفيان الكوفي (127-197 هـ)، ثقة حافظ عابد. انظر: التقريب (رقم 7464).

(4) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (ص 167 رقم 66).

(5) أخرجه أحمد في مسنده (343/7 رقم 4320). ومعاذ هو: معاذ بن معاذ بن نصر بن حسّان العنبري أبو المثنى القاضي (ت 196 هـ)، ثقة متقن. انظر: التقريب (رقم 6787).

(6) أخرجه هو في مصنفه (215/2 رقم 3116). وعبد الرزاق هو: عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم أبو بكر الصنعاني (126-211 هـ)، ثقة حافظ مصنف كبير عمي في آخر عمره فتغيّر. انظر: التقريب (رقم 4092).

وعبد الله بن نمير[1]، ومحمد بن يوسف الفريابي[2]، وأبو إسحاق الفزاري[3]، وفضيل بن عياض[4].

والحاصل أن الذين عرفنا أسماءهم ممن روى هذا الحديث عن الثوري مقتصرين على الشطر الأول، عشرة ثقات أثبات، وهم أوثق أصحاب الثوري، بل أوثق تلك الطبقة على الإطلاق، وخالفهم عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، فزاد الشطر الثاني: $حياتي خير لكم ...#، وتفرد به.

وقد أشار إلى هذه العلة البزار : حيث قال: $وهذا الحديث آخره لا نعمله يروى عن عبد الله إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد#[5].

وقد نقل ابن كثير كلام البزار السابق مقررا له، وذكر أن أوله يروى من طرق متعددة[6].

فهذه الزيادة شاذة قول من وثق عبد المجيد، ومنكرة على قول من ضعفه؛ وذلك لتفرده بها ومخالفته بذلك الثقات.

العلة الثانية: ضعف عبد المجيد بن أبي رواد -على القول الراجح-؛ فقد اختلفت أقوال النقاد فيه؛ وثقه بعضهم وضعفه بعضهم وهم كثيرون، وقد أشار إلى هذا الخلاف الحافظ العراقي عندما تكلم على هذا الحديث حيث ق ال: $الحديث أخرجه البزار من حديث عبدالله بن مسعود ورجاله رجال الصحيح، إلا أن عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي دواد، وإن أخرج له مسلم[7] ووثقه ابن معين[8] والنسائي، فقد ضعفه كثيرون#[9].

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده (183/6 رقم 3666). وعبد الله هو: عبد الله بن نُمَير الهمداني أبو هشام الكوفي (115-199 هـ)، ثقة صاحب حديث. انظر: التقريب (رقم 3692).

(2) أخرجه الدارمي في مسنده (1826/3 رقم 2816). والفريابي هو: محمد بن يوسف بن واقد ابن عثمان الضبي مولاهم الفريابي (ت 212 هـ)، ثقة فاضل. انظر: التقريب (رقم 6455).

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك (421/2). والفزاري هو: إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء الفزاري الإمام أبو إسحاق (ت 185 هـ)، ثقة حافظ له تصانيف. انظر: التقريب (رقم 232).

(4) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (271/10 رقم 10530).

(5) مسند البزار المسمى بالبحر الزخار (309/5).

(6) انظر: البداية والنهاية (162/8).

(7)لم يرو له مسلمٌ إلا حديثا ً واحدًا في كتاب الحج، باب بيان أن القارن لا يتحلل إلا في وقت تحلل الحاج المفرد (902/2 رقم 2163) مقرونًا بهشام بن سليمان المخزومي. انظر: الفتاوى الحديثية لأبي إسحاق الحويني (14/2).

(8) هو: يحيى بن معين بن عون الغطفاني مولاهم أبو زكريا البغدادي (ت 233 هـ)، حافظ مشهور إمام الجرح والتعديل. انظر: التقريب (رقم 7701).

(9) المغني عن حمل الأسفار، بحاشية الإحياء (126/4).

فممن وثقه: أحمد، وابن معين، وأبو داود، ومع توثيقهم له، فقد بينوا أنه مبتدع داعية إلى الإرجاء.

وممن ضعفه: الحميدي[1]، وأبو حاتم الرازي[2]، وعبد الرزاق، و الدارقطني، والذهلي[3]، وابن سعد[4]، والساجي[5]، وابن حبان، وبيّنوا أنه روى أحاديث عن ابن جريج ولم يتابع عليها، وروى عن مالك أحاديث أخطأ فيها، وقال ابن حبان: $كان يقلب الأخبار ويروي المناكير عن المشاهير فاستحق الترك#[6].

وهذا الجرح المفسر مقدم على التوثيق، مع أن الذين وثقوه بينوا أنه داعية إلى الإرجاء.

العلة الثالثة: أن هذا الحديث يؤيد مذهب عبد المجيد في الإرجاء، وقد سبقت الإشارة إلى كون عبد المجيد داعية إلى الإرجاء وأنه غال في ذلك.

إذ أن هذا الحديث يدل على أن النبي ح يستغفر لأمته، ومن يستغفر له الرسول ح دائماً لا يخاف عليه من المعاصي ما دام يشهد بالإسلام، وهذا المعنى يقوي مذهب الإرجاء.

وقد ذهب علماء الجرح والتعديل إلى أن الداعية إلى البدع لا يقبل حديثه فيما يؤيد مذهبه، لا سيما إذا كان غالياً في هواه، وهذا المذهب هو

---

(1) هو: عبد الله بن الزبير بن عيسى القرشي الأسدي الحميدي المكي أبو بكر (ت 219 هـ)، ثقة حافظ فقيه. انظر: التقريب (رقم 3340).

(2) هو: محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي أبو حاتم الرازي (195-277 هـ)، أحد الحفاظ. انظر: التقريب (رقم 5755).

(3) هو: محمد بن يحيى بن عبد الله الذهلي النيسابوري (172-258 هـ)، ثقة حافظ جليل. انظر: التقريب (رقم 6427).

(4) هو: محمد بن سعد بن منيع الهاشمي مولاهم البصري (168-230 هـ)، الحافظ العلامة، المعروف بكاتب الواقدي، مصنف الطبقات الكبرى والصغرى والتاريخ. انظر: تذكرة الحفاظ (425/2).

(5) هو: أبو يحيى زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن البصري المعروف بالساجي (220-307 هـ)، أحد الأئمة من الفقهاء الحفاظ الثقات، صنف: كتاب اختلاف الفقهاء، وعلل الحديث، وغيرهما. انظر: طبقات الشافعية لابن هداية الله (ص 44).

(6) انظر: العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد (19/3 رقم 3958)، وتاريخ ابن معين رواية الدوري (51/1 رقم 235)، والضعفاء الصغير للبخاري (ص 82 رقم 239)، وكتاب المجروحين لابن حبان (160/2-161)، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (344/5)، والجرح والتعديل (65/6)، وميزان الاعتدال (648/2)، والمغني في الضعفاء للذهبي (570/1-571 رقم 3793)، وتهذيب التهذيب (605/2-606). وانظر ما ذكره المروذي في العلل ومعرفة الرجال (ص 124 رقم 213) عن الإمام أحمد في ترجمة عبد المجيد: $أن أبا عبد الله يحدث عن المرجئ إذا لم يكن داعية أو مخاصماً#.

الصحيح في رواية المبتدع[1].

العلة الرابعة[2]: الحديث من هذا الوجه بهذه الزيادة قد تفرد به البزار :، وهو وإن كان من الحفاظ العارفين بالعلل والرجال، إلا أنه متكلم في حفظه وضبطه بما لا يجوز رده، وقد حدّث بالمسند بمصر من حفظه فأخطأ في أحاديث كثيرة.

قال أبو أحمد الحاكم[3]: $يخطئ في الإسناد والمتن#[4].

وقال الدارقطني: $يخطئ في الإسناد والمتن، حد ّث بالمسند بمصر حفظا ً، ينظر في كتب الناس، ويحد ّث من حفظه، ولم يكن منه كتب؛ فأخطأ في أحاديث كثيرة، جرحه النسائي، وهو ثقة يخطئ كثيراً#[5].

هذا وللحديث طريقان آخران، إلا أن في أحدهما[6] رواة ضعفاء منهم كذاب ومنهم منكر
الحديث[7]،

(1) انظر في هذه المسألة المراجع التالية: الكفاية في معرفة أصول الرواية (367/1) ، ومقدمة ابن الصلاح (ص 299-300)، وشرح علل الترمذي (53/1-56)، ونزهة النظر في توضيح نخبة الفكر (ص 127)، وتدريب الراوي (383/1-388)، وتوضيح الأفكار للصنعاني (234/2-236)، ومالَ المعلمي في التنكيل (234/1-235) إلى القبول.

(2) هدم المنارة لمن صحح أحاديث التوسل والزيارة، لعمرو عبد المنعم سليم (ص 137).

(3) هو: محمد بن محمد بن أحمد أبو أحمد النيسابوري الكرابيسي، ويعرف بالحاكم الكبير (285-378 هـ)، محدث خراسان في عصره، من كتبه: العلل، والشيوخ والأ بواب. انظر: نكت الهميان في نكت العميان للصفدي (ص270-721)، والرسالة المستطرفة (ص 121)، والوافي بالوفيات (107/1 –ط. دار إحياء التراث العربي).

(4) ميزان الاعتدال (124/1).

(5) نفس المصدر.

(6) أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (75/3-76)، وأبو طاهر المخلص في الثاني من العاشر من حديثه (ق 2/212) كما في السلسلة الضعيفة (406/2).

(7) أولئك الضعفاء هم: الحسن بن علي العدوي، وخراش بن عبد الله، وأبو سلمة الأ نصاري. انظر: الكامل في الضعفاء (76/3)، وكتاب المجروحين (241/1، 288، 266/2)، وسؤالات السهمي (ص 211 رقم 284)، وكتاب الضعفاء للعقيلي (1252/4 رقم 1656)، وميزان الاعتدال (598/3)، وديوان الضعفاء والمتروكين للذهبي (311/1 رقم 3803).

والطريق الآخر[1] مرسل بكر بن عبد الله المزني، ومن المعروف أن المرسل من أقسام الضعيف فلا يحتج به، ولا يقوي حديثَ ابن مسعود من رواية عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد لأن ضعفه غير محتمل، بل ضعفه شديد، إذ هو حديث شاذ أو منكر، ومن شروط التقوية التي وضعها الترمذي وتبعه عليها أكثر أهل العلم: أن لا يكون الحديث شاذاً ولا معللا [2]؛ فيعلم بهذا أن هذه الطرق لا يفرح بها ولا يتقوى الحديث بوجودها، والله أعلم.

فخلاصة ما سبق: أن الحديث ضعيف. فقد ضعفه العلامة الألباني[3]، والعلامة مقبل بن هادي الوادعي -رحمهما الله-.

قال العلامة الألباني :: $فاتفاق جماعة من الثقات على رواية الحديث عن سفيان دون آخر الحديث $حياتي...#، ثم متابعة الأعمش[4] له على ذلك مما يدل عندي على شذوذ هذه الزيادة#[5].

وقال العلامة مقبل بن هادي الوادعي :: $ألا إن عبد المجيد بن رواد وإن أخرج له مسلم ووثقه ابن معين والنسائي فقد ضعفه بعضهم. وهذا الحديث من مناكيره حيث أسنده وبقية الرواة يرسلونه#[6].

تنبـيه:

مع ضعف هذا الحديث سنداً، فمتنه فيه نكارة، وبيان ذلك كالآتي:

1- إنه ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الأعمال تعرض على الله يوم الإثنين والخميس، فقد روى أبو هريرة ط مرفوعاً: $تعرض الأعمال في كل يوم خميس واثنين، فيغفر الله في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئاً، إلا امرءاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: اركوا[7] هذين حتى يصطلحا#[8].

---

(1) رواه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ح (ص 38-39 رقم 25، 26) وغيره.
(2) انظر: مقدمة ابن الصلاح (ص 178).
(3) هو: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن نوح الألباني (1333-1420 هـ)، العلامة المحدث السلفي، من أشهر مصنفاته: سلسلة الأحاديث الصحيحة والضعيفة، وإرواء الغليل. انظر للتوسع: حياة الألباني وآثاره لمحمد الشيباني.
(4) هو: سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي أبو محمد الكوفي الأعمش (61-147 هـ)، ثقة حافظ عارف بالقراءة ورع، لكنه يدلس. انظر: التقريب (رقم 2630).
(5) السلسلة الضعيفة: (404/2 رقم 975).
(6) نقل عنه هذا الكلام محقق الصارم المنكي (ص 320 نسخة في المكتبة الشاملة).
(7) اركوا: أي أخروا، يقال: ركاه يركوه إذا أخره. انظر: النهاية في غريب الحديث (261/2).
(8) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الشحناء و التهاجر (1987/4 رقم 2565).

وفي حديث أسامة بن زيد م: $ذانك يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين، وأحب أن يعرض عملي وأنا صائم#[1].

فإذا ثبت بهذا عرض الأعمال على الله كل خميس واثنين، يكون القول بثبوت هذا العرض على النبي ح تشريكاً للمخلوق بالخالق، وتشبيهاً للمخلوق بالخالق، مع أن النبي ح نفسه في حياته كان يحب أن تعرض أعماله على الله وهو صائم، فكيف يقال: إن الأعمال تعرض عليه ح؟

وعلى هذا، فيحتمل أن بعض الرواة جعل للنبي ح ما ورد في حق الله تعالى، ويقوي هذا الاحتمال أن حديث ابن مسعود ط في عرض الأعمال على النبي ح ورد في بعض ألفاظه عرض الأعمال على الله[2]، وإن كانت هذه الرواية ضعيفة[3]، لكن يمكن أن يعل بها الحديث، إذ هذا اللفظ وارد في حق الله تعالى، واللفظ الآخر في حق الرسول ح.

2- إن العرض إنما ثبت في الصلاة على النبي ح خاصة دون سائر الأ عمال، كما في حديث أوس بن أبي أوس ط قال: قال النبي ح: $من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قُبِض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي. فقالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض عليك صلاتنا عليك وقد أرمت؟ -يعني وقد بَلِيْت؟-، قال: إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء#[4].

وإذا ثبت عرض الصلاة على النبي ح، فيقال: لماذا خص الصلاة إذا كانت كل الأعمال تعرض عليه، فيكون التخصيص بدون فائدة؟

ومما يقوي هذا الاحتمال أن حديث ابن مسعود ط السابق اتفق فيه أغلب الرواة على رواية عرض الصلاة خاصة، وانفرد عبد المجيد بن عبد العزيز برواية عرض الأعمال عامة.

3- إن هذا الحديث يخالف الأحاديث الصحيحة الثابتة، منها: حديث

(1) رواه أحمد في مسنده (85/36 رقم 21753)، وصححه الشيخ الألباني في الإ رواء (103/4 رقم 948).
(2) رواه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (325/4).
(3) لأن فيها عبيد الله بن زحر، وثقه بعضهم وضعفه بعضهم، حتى قال عنه ابن حبان $يروي الموضوعات عن الأثبات...#. انظر: كتاب المجروحين (62/2)، وميزان الا عتدال (6/3-7).
(4) أخرجه أحمد في مسنده (84/26 رقم 16162) وغيره، وقال الحاكم في المستدرك (278/1): $صحيح على شرط البخاري# ووافقه الذهبي، وقال ابن عبد الهادي في الصارم المنكي (ص 342): $رواته كلهم مشهورون بالصدق والأ مانة والثقة والعدالة، ولذلك صححه جماعة من الحفاظ كأبي حاتم ابن حبان، و الحافظ عبد الغني المقدسي، وابن دحية، ولم يأت من تكلم فيه وعلله بحجة بينة#.

الحوض المتواتر[1]، حيث ورد فيه: $ليرِدَنّ علي ناس من أصحابي الحوضَ حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: أصحابي، فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن غيّر بعدي#[2]. وفي رواية أبي هريرة ط عند البخاري: $إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك#[3].

فهذا الحديث يدل دلالة واضحة على عدم علم النبي ح بما أحدثه هؤ لاء بعده ح، فيناقض حديث عرض الأعمال الذي يدل على علمه بأعمال أمته ، فهذا ضعيف وذاك متواتر، ومن المعروف أن القطعي لا يعارَض بالضعيف، وإنما يُرَدّ الضعيف ويطّرح.

4- ثم إنه لو ثبت عرض الأعمال على النبي ح، فلا يصح الاستدلال به على جواز الدعاء بالرسول ح أو دعائه، وذلك لأمور:

أ- إنه ح كان يستغفر لأمته في حياته، فلم يكن الصحابة يسألون الله تعالى بذلك الاستغفار، ولم يدعوا الله به، مع أنه أبلغ وأقطع من استغفاره بعد موته -إن ثبت-، وهذا السبب الذي كان موجوداً في حياته هو عين السبب الذي عُلِّق الحكم به بعد مماته، فلما لم يشرع هذا العمل -وهو التوسل بالاستغفار العام- مع قيام المقتضي له في حياة الرسول ح عُلِم أن إحداثه بدعة.

ب- الدعاء عبادة، ولم يشرع لنا هذا النوع من الدعاء، لأنه لو شرع لسبقنا إليه خير القرون، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ومن قال بمشروعيته فقد جهلهم[4].

ج- إن عرض الأعمال على فرض ثبوته يكون مثل ما كان يقع في حياة النبي ح من الأخبار التي تصله عن بعض الصحابة الذين غابوا عنه، إما في سرية أو تجارة أو الذين هاجروا إلى الحبشة أو المدينة وهو في مكة،

---

(1) ممن أشار إلى تواتره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (467/11) حيث قال: $إن الله قد خص نبيه محمدا ح بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة، التي يحصل بمجموعها العلم القطعي؛ إذ روى ذلك عن النبي ح من الصحابة نيف على الثلاثين منهم في الصحيحين ما ينيف على العشرين، وفي غيرهما بقية ذلك مما صح نقله واشتهرت رواته، ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين أمثالهم، ومن بعدهم أضعاف أضعافهم وهلم جرا#.

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى: $إنا أعطيناك الكوثر# (464/11 رقم 6582 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ح وصفاته (1793/4 رقم 2290)، واللفظ للبخاري.

(3) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى: $إنا أعطيناك الكوثر# (464/11 رقم 6585 -الفتح).

(4) مصباح الظلام (ص 209)، وهذه مفاهيمنا (ص 88).

ولم يثبت أن أحداً من هؤلاء الصحابة ممن وقعوا في الشدة والكرب، أنهم استغاثوا بالنبي ح، فقد وقع كثير منهم في الشدة كما في قصة خبيب بن عدي[1][2]، وأصحاب بئر معونة[3]، والمهاجرين إلى الحبشة الذين طال مكثهم هناك أكثر من عشر سنوات ومرت عليهم ظروف قاسية[4]. لم ينقل أنهم استغاثوا بالنبي ح، وقد قال خبيب بن عدي عندما أرادوا قتله:

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا قبائلهم واستجمعوا كلّ مَجْمَعِ

إلى أن قال:

إلى الله أشكو غربتي ثم كربتي وما أرْصَدَ الأحزابُ لي عند مَصْرَعِي

فذا العرش صبرني على ما يراد بي فقد بضّعوا لَحْمِي وقد ياسَ مَطْمَعي[5].

ولم يقل خبيب: إلى رسول الله أشكو، بل قال: إلى الله أشكو، بصيغة الحصر بتقديم الجار والمجرور. وقد أُقِرُّوا على هذا من الرسول الكريم ح.

ولو تتبعنا ما وقع للصحابة من الشدائد في حياة النبي ح وبعد وفاته لطال البحث. والمقصود أنهم لم يدعوا باستغفار الرسول ح ولا توسلوا بذلك.

4- ثم إن الله حذر من دعاء الملائكة والأنبياء في قوله: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﭼ الإسراء: 56-٥٧.

فنهى سبحانه عن دعاء الملائكة والأنبياء مع إخباره لنا أن الملائكة يدعون لنا ويستغفرون، ومع هذا فليس لنا أن نطلب ذلك منهم، وكذلك الأنبياء والصالحون وإن كانوا أحياء في قبورهم، وإن قُدِّر أنهم تعرض عليهم أعمال الأحياء وأنهم يدعون لذلك، فليس لأحد أن يطلب منهم ذلك، ولم يفعل ذلك أحد من السلف؛ لأن ذلك ذريعة إلى الشرك بهم وعبادتهم من دون الله تعالى، بخلاف الطلب من أحدهم في حياته، فإنه لا يفضي إلى الشرك لأ

---

(1) هو: خبيب بن عدي بن مالك الأنصاري الأوسي، شهد بدراً واستشهد في عهد النبي ح. انظر: الإصابة (2/189-192 –ط. دار هجر).

(2) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع (7/378-379 رقم 4086 -الفتح).

(3) المصدر السابق (7/385 رقم 4088 -الفتح).

(4) صحيح البخاري، كتاب المغازي، غزوة خيبر (7/484-485 رقم 4230 -الفتح).

(5) سيرة ابن هشام (2/176)، وقال ابن هشام: "وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها". ولكن قد ثبت بعض الأبيات في الصحيح، انظر: صحيح البخاري (7/379 رقم 4086 -الفتح)، وقد ذكر الحافظ أن عند أبي الأسود عن عروة زيادة في البيت فذكر البيتين الأولين. انظر: الفتح (7/384).

أنهم لا يقرون أحداً على الشرك.
ولأن ما تفعله الملائكة ويفعله الأنبياء والصالحون بعد الموت هو بالأ مر الكوني، فلا يؤثّر فيه سؤال السائلين، بخلاف سؤال أحدهم في حياته، فإنه يشرع إجابة السائل، وبعد الموت انقطع التكليف عنهم، فما يفعلونه بعد الموت فهو أمر محدود يفعلون منه ما أمر اللّه به، لا يزداد بسؤال السائلين؛ فليس في سؤالهم إياه منفعة بل مضرة[1].
ثم إنهم إذا شفعوا لعبد بعد إذن اللّه لهم - شفعوا رغبة في رضا اللّه وطاعة له فقط[2].
5- في الحديث عرض الأعمال على النبي ح، واستدل بعض المبتدعة بهذا الحديث على جواز طلب الشفاعة من النبي ح بعد وفاته[3]، ويا له من فقه غاب عن الأمة بضعة عشر قرناً، حتى ظهر هؤلاء المبتدعة فأدركوه! فعرض العمل عليه ح شيء وتجويزه طلب الشفاعة أمر آخر بعيد، فإن عرضت على النبي ح أعماله فلن يرضى ح بالشرك الذي فيها، ومنه: طلب الشفاعة من الموتى، ولن يستغفر ح لمشرك يستغيث بالأموات، ﭽﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻﭼالتوبة: ١١٣. إن طلبه الشفاعة من ا لأموات سيء من العمل وشرك، ورسول اللّه ح لا يستغفر لمن ترك دينه واتبع هواه فأشرك.
إن استغفار الرسول ح وشفاعته إنما تكون في حياته وفي يوم القيامة، وله أنواع من الشفاعات ليس فيها نصيب لمشرك.
فمن طلب الشفاعة منه ح بعد وفاته، فحري أن يكون قد فوّت على نفسه شفاعته ح في الآخرة. فالشفاعة حق لله وحده، ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠﭼالزمر: ٤٤. فتطلب منه وحده، كما يدعو المخلصون بقولهم: اللّهم، شفع فينا نبيك محمداً ح[4].
الحديث الثالث والرابع:
نص الحديث الثالث: $روى ابن السني عن ابن مسعود ط قال: قال رسول اللّه ح: إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: عباد اللّه احبسوا، فإن لله عباداً يجيبونه، وإذا أضل شيئاً وأراد عوناً فليقل: يا عباد اللّه أغيثوني أغيثوني. رواه الطبراني[5]#[6].

---

(1) تلخيص كتاب الاستغاثة (245/1)، وقاعدة جليلة (ص 289) وانظر المصدر نفسه (320-321)، ومجموع الفتاوى (81/27).
(2) القائد إلى تصحيح العقائد للعلامة عبد الرحمن المعلمي (ص 118).
(3) مفاهيم يجب أن تصحح، لمحمد علوي المالكي (ص 173).
(4) سيأتي مزيد بيان عن مبحث الشفاعة في (ص 490 وما بعدها).
(5) هو: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم الطبَراني (260-360 هـ)، من كبار المحدثين، من مصنفاته: المعاجم الثلاثة الصغير والأ

قال أحدهم مستدلا ً بالحديث السابق: $ففي هذا المذكور دليل ظاهر على جواز التوسل بالأولياء والصالحين، حيث كان عليه الصلاة والسلا م يفعل ذلك بنفسه ويأمر به أصحابه#[2].

تخريجه[3]: الحديث رواه الطبراني في $الكبير# (267/10 رقم 10518)، وأبو يعلى في $مسنده# (177/9 رقم 5269)، وابن السني في $عمل اليوم والليلة# (ص 239-240 رقم 508) من طريق معروف بن حسان أبي معاذ السمرقندي، عن سعيد، عن قتادة، عن عبد الله بن بريدة، عن عبد الله بن مسعود ط أنه قال: قال رسول الله ح: $إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله احبسوا علي، فإن لله في الأرض حاضراً سيحبسه عليكم#، واللفظ للطبراني.

الحكم عليه: الحديث فيه آفات عديدة:

الآفة الأولى: معروف بن حسان أبو معاذ السمرقندي: واه، منكر الحديث.

قال أبو حاتم: $مجهول#[4]، وقال ابن عدي[5]: $منكر ... قد روى عن عمر بن ذر نسخة طويلة كلها غير محفوظة#[6]، وقال الخليلي[7]: $روى عن عمر بن ذر الكوفي الهمداني نسخة لا يتابعه أحد#[8]، وقال عبد الله بن أبي زرعة الحافظ: $لا يعتمد عليه#[9]، وقال الذهبي: $معروف: واه#[10].

الآفة الثانية: تفرد معروف بن حسان بهذا الحديث عن سعيد بن أبي

أوسط والكبير. انظر: وفيات الأعيان (407/2)، والنجوم الزاهرة (62/4).

(1) حجة أهل السنة والجماعة (لمؤلف إندونيسي) (ص 104-105).

(2) حجة أهل السنة والجماعة (لمؤلف إندونيسي) (ص 104-105)، وانظر: Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 130).

(3) استفدت في تخريج هذا الحديث من المراجع التالية: السلسلة الضعيفة (108/2-109 رقم 655)، والأحاديث الموضوعة التي تنافي توحيد العبادة (348/1-351)، هدم المنارة (ص 177-190)، هذه مفاهيمنا (ص 53-59).

(4) الجرح والتعديل (323/8).

(5) هو: أبو أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله الجرجاني (277-365 هـ)، الحافظ المتقن، له: الانتصار على أبواب مختصر المزني، والكامل في ضعفاء الرجال وغيرهما. انظر: تذكرة الحفاظ (940/3-942).

(6) الكامل في الضعفاء (325/6)، وأقره البيهقي في السنن الكبرى (20/1) على قوله منكر الحديث.

(7) هو: الخليل بن عبد الله بن أحمد القزويني أبو يعلى الخليلي (367-446 هـ)، أحد أئمة الحديث الحفاظ، له: كتاب الإرشاد في معرفة المحدثين وغيره. انظر: تذكرة الحفاظ (1123/3-1124).

(8) الإرشاد (976/3-977).

(9) المصدر السابق (977/3).

(10) تذكرة الحفاظ (1064/3).

عروبة؛ فإنه لم يروه عن سعيد غيره. وتفرد من هذا حاله يعدّ غاية في النكارة. ولا يخفى أن نسخة سعيد عن قتادة نسخة مشهورة؛ اعتنى الحفاظ بجمعها، فإذا انفرد راو ضعيف مثل معروف بحديث من هذه الطريق دون أصحاب سعيد؛ كان ذلك كافيا ً في إسقاط الحديث الذي يرويه.

لذلك يقول الحافظ ابن حجر :: $حديث غريب، ومعروف قالوا: منكر الحديث، وقد تفرد به#[1].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ[2]: $هو باطل؛ إذ كيف يكون عند سعيد عن قتادة ثم يغيب عن أصحاب سعيد الحفاظ الأثبات مثل: يحيى القطان، وإسماعيل بن عليّة، وأبي أسامة، وخالد بن الحارث، وأبي خالد الأحمر، وسفيان، وشعبة، وعبد الوارث، وابن المبارك، والأنصاري، وغندر، وابن أبي عدي ونحوهم، حتى يأتي به هذا الشيخ المجهول المنكر الحديث؛ فهذا من أقوى الأدلة على وضعه#[3].

الآفة الثالثة: اختلاط سعيد بن أبي عروبة[4].

فقد ذكر يحيى بن معين : بأن من سمع منه بعد الاختلاط فليس بشيء [5].

ولم يسمع منه قبل الاختلاط إلا الكبار -ومعروف بن حسان من الصغار -، وسمع من سعيد قبل استحكام اختلاطه جماعةٌ، وسمع منه بعد استحكام الاختلاط كثير. وكان بدأ اختلاطه سنة 132 هـ، واستحكم 148 هـ، أفاده البزار.

الآفة الرابعة: تدليس سعيد بن أبي عروبة.

قال عنه الحافظ ابن حجر :: $كثير التدليس#[6]. وقد روى هذا الحديث معنعناً عن ابن بريدة فلا يقبل.

الآفة الخامسة: الانقطاع بين عبد الله بن بريدة وعبد الله بن مسعود ط.

قال الحافظ ابن حجر :: $في السند انقطاع بين ابن بريدة وابن مسعود#[7].

---

(1) كما في فيض القدير (307/1).
(2) هو: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (1200-1233 هـ)، كان بارعاً في التفسير والحديث والفقه، من أهم كتبه: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد وأوثق عرى الإيمان. انظر: الأعلام (129/3).
(3) تيسير العزيز الحميد (ص 197).
(4) انظر: تهذيب الكمال (11/10-11).
(5) انظر: مقدمة ابن الصلاح (ص 661).
(6) تقريب التهذيب (رقم 2378).
(7) راجع: الفتوحات الربانية (150/5)، وفيض القدير (307/1).

فخلاصة ما سبق: أن الحديث ضعيف جداً. فقد ضعفه جمع من العلماء المتقدمين والمتأخرين؛ منهم: الهيثمي[1]، والسخاوي، وسليمان آل الشيخ، ومحمد بن درويش الحوت، والألباني.

قال الهيثمي :: $فيه معروف بن حسان وهو ضعيف#[2].

وقال السخاوي :: $سنده ضعيف#[3].

وقال الشيخ سليمان آل الشيخ :: $هو باطل#[4].

وقال الشيخ محمد الحوت :: $فيه معروف بن حسان منكر الحديث#[5].

---

(1) هو: علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي أبو الحسن المصري (735-807 هـ)، المحدث الحافظ، من مؤلفاته: مجمع الزوائد. انظر: الضوء اللامع (200/5)، والأعلام (266/4).

(2) مجمع الزوائد (132/10).

(3) الابتهاج بأذكار المسافر والحاج (ص 37).

(4) تيسير العزيز الحميد (ص 197).

(5) أسنى المطالب في أحاديث مختلف المراتب (ص 42 رقم 111).

وقال الشيخ الألباني :: $وهذا سند ضعيف#[1].

نص الحديث الرابع: $إذا أضل أحدكم شيئاً، أو أراد أحدكم عوناً وهو بأرض ليس بها أنيس؛ فليقل: يا عباد الله أغيثوني، يا عباد الله أغيثوني، فإن لله عباداً لا نراهم#[2].

تخريجه[3]: الحديث رواه الطبراني في $المعجم الكبير# (117/17 رقم 290) من طريق أحمد ابن يحيى الصوفي ثنا عبد الرحمن بن سهل حدثني أبي عن عبد الله بن عيسى عن زيد بن علي عن عتبة ابن غزوان ط به. وقد جُرِّب ذلك.

الحكم عليه: الحديث فيه انقطاع بين زيد بن علي بن الحسين وبين عتبة بن غزوان؛ فإنه لم يدرك عتبة؛ بل بينه وبين عتبة مفاوز، فمولد زيد بن علي سنة 80 هـ، وتوفي عتبة ط سنة 17 هـ[4]، وهذا معضل بلا شك.

قال الهيثمي :: $رواه الطبراني ورجاله وثقوه على ضعف في بعضهم إلا أن زيد بن علي لم يدرك عتبة#[5].

وقال ابن حجر :: $أخرجه الطبراني بسند منقطع عن عتبة بن غزوان#[6].

فخلاصة ما سبق: أن الحديث ضعيف. فقد ضعفه الشيخ الألباني[7].

وهناك أحاديث أخرى في معنى الحديثين السابقين، إلا أنها لا تخلو من ضعف شديد[8] فلا تقويهما ولا ترفعهما من الضعف إلى الحسن.

تنبيهان:

التنبيه الأول: الرد على قول من قال -استدلالاً بالحديث الثالث-: $ففي هذا المذكور دليل ظاهر على جواز التوسل بالأولياء والصالحين، حيث كان عليه الصلاة والسلام يفعل ذلك بنفسه

(1) السلسلة الضعيفة (108/2 رقم 655).
(2) Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص130).
(3) استفدت في تخريج هذا الحديث من: الأحاديث الموضوعة التي تنافي توحيد العبادة (352-353/1).
(4) راجع: تهذيب الكمال (96/10)، والتقريب (ص 658 رقم 4470).
(5) مجمع الزوائد (132/10).
(6) نتائج الأفكار للحافظ كما في السلسلة الضعيفة (110/2).
(7) انظر: السلسلة الضعيفة (110/2رقم 656).
(8) لمعرفة تلك الأحاديث وما فيها من آفات راجع: هذه مفاهيمنا (ص 53-57)، وهدم المنارة (ص 179-185)، والأحاديث الموضوعة في توحيد العبادة (رقم 61 وما بعده).

ويأمر به أصحابه#[1]. والرد يكون من أوجه:

أولا ً: الحديث المذكور ضعيف جداً، فلا يجوز نسبته إلى النبي ح، فضلا ً أن يقال بأن النبي ح قد أمر به أصحابه. أثبت العرش ثم انقش! و ما أحسن ما روى الهروي[2] : في $ذم الكلام#[3] أن عبد الله بن المبارك ضل في بعض أسفاره في طريق، وكان قد بلغه أن من ضل في مفازة فنادى: عباد الله أعينوني! أ ُع ِين، قال: $فجعلت أطلب الجزء أنظر إسناده#. قال الهروي: $فلم يستجز أن يدعو بدعاء لا يرى إسناده#.

$فهذه طريق السلف وأتباعهم: البحث في الأسانيد، وصنيع بعض الخلف وأتباعهم: الفرح بكل ما يؤيد رأيهم ولو بالموضوعات المكذوبات، ولا يغارون على سنة المصطفى محمد ح#[4].

ثانياً: قوله بأن الحديث دليل ظاهر على جواز التوسل بالأولياء و الصالحين؛ إنما هو صادر عن عدم تدبر الحديث وفهمه كما فهمه أئمة العلماء ، إذ لم يقل عالم من المتقديمين إنه دليل على التوسل بالأولياء والصالحين.

ثالثاً: على فرض ثبوت الحديث، ففيه نداء للأحياء وطلب منهم ما يقدرون عليه وهذا مما لا نزاع في جوازه[5].

يقول الشيخ الألباني :: $ومع أن هذا الحديث ضعيف كالذي قبله، فليس فيه دليل على جواز الاستغاثة بالموتى من الأولياء و الصالحين، لأ نهما صريحان بأن المقصود بـ$عباد الله# فيهما خلق من غير البشر، بدليل قوله في الحديث الأول: $فإن لله في الأرض حاضرا ً سيحبسه عليهم#. وقوله في هذا الحديث: $فإن لله عبادا ً لا نراهم#. وهذا الوصف إنما ينطبق على الملائكة أو الجن، لأنهم الذين لا نراهم عادة#[6].

وقد جاء في حديث آخر تعيين أنهم طائفة من الملائكة. أخرجه البزار : عن ابن عباس م مرفوعا ً بلفظ: $إن لله تعالى ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يتساقط من ورق الشجر. فإذا أصابت أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله أعينوني#[7]. وقد رواه

(1) حجة أهل السنة والجماعة (لمؤلف إندونيسي) (ص 104-105).
(2) هو: عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي (396-481 هـ)، شيخ الإسلام. من مؤلفاته: ذم الكلام وأهله، والأربعين في دلائل التوحيد. انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (113/1)، والسير (503/18).
(3) (1/68/4) نقلا ً عن السلسلة الضعيفة (108/2 رقم 655).
(4) هذه مفاهيمنا (ص 59).
(5) انظر: صيانة الإنسان (ص 392-393).
(6) السلسلة الضعيفة (110/2-111).
(7) مسند البزار (181/2 رقم 4922). قال الحافظ: $هذا حديث حسن الإسناد غريب جدا ً، أخرجه البزار وقال: لا نعلمه يروى عن النبي ح بهذا اللفظ إلا من

البيهقي في $الشعب#[1] موقوفاً على ابن عباس م[2].

فهذا الحديث يعيّن أن المراد بقوله في الحديث الأول $يا عباد الله# أنهم: الملائكة، فلا يجوز أن يلحق بهم المسلمون من الجن أو الإنس ممن يسمونهم برجال الغيب من الأولياء والصالحين، سواء كانوا أحياء أم أمواتاً، فإن الاستغاثة بهم فيما لا يقدرون عليه شرك بيّن؛ لأنهم لا يسمعون الدعاء، ولو سمعوا ما استطاعوا الاستجابة وتحقيق الرغبة، وهذا صريح في آيات كثيرة، منها قول الله تعالى: ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼفاطر: 13-١٤.

التنبيه الثاني[3]: وقع بعد الحديث عند الطبراني عبارة: $وقد جُرِّب ذلك#.

وهذه عبارة لا يُعلم قائلها، فقد يكون صاحب المعجم، وقد يكون الراوي عنه، وربما أحد النساخ. ثم هي مبنية للمجهول، فإن كانت عن الغير فأين سندها؟ وعلى كل الأحوال فلا حجة فيها، لأن قائلها ليس من مصادر التشريع! وكذلك التجربة ليست من مصادر التشريع. فالسنة لا تثبت بـ التجربة وإنما بالسند.

وكذا ما يمكن أن يوجد من عبارة تشبهها عن أيٍّ من العلماء كائناً من كان، ولا سيما أن الحديث في العقيدة، والصنف الذي يحتج بأمور كهذه، من عادته اشتراط التواتر و.. و.. فكيف يحتج بالعادات والتجارب الفردية!

وهل ستتجدد عندهم أمور في الدين كل ما جاء أحد وقال: جربت كذا فصار كذا؟! ثم ألم

هذا الوجه بهذا الإسناد# الفتوحات الربانية (151/5). وحسن إسناده السخاوي كما في الابتهاج (ص 38).وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (132/10): $رجالة ثقات#.

(1) الجامع لشعب الإيمان (325/1 رقم 165).

(2) قال الشيخ الألباني :: $الأرجح أنه موقوف، وليس هو من الأحاديث التي يمكن القطع بأنها في حكم المرفوع، لاحتمال أن يكون ابن عباس تلقاها من مسلمة أهل الكتاب، والله أعلم#. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة (112/2 رقم 656).

(3) أحاديث يحتج بها الشيعة، عبد الرحمن دمشقية (ص 17).

يجربوا قول النبي ح: $إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله# ؟[1] أم أن هذا النوع من التجربة النبوية لا يعنيهم؟

يقول العلامة الشوكاني :: $السنة لا تثبت بمجرد التجربة، ولا يخرج الفاعل للشيء معتقدا ً أنه سنة عن كونه مبتدعا ً. وقبول الدعاء لا يدل على أن سبب القبول ثابت عن رسول الله ح، فقد يجيب الله الدعاء من غير توسل بسنة وهو أرحم الراحمين، وقد تكون الاستجابة استدراجا ً#[2].

النقطة الثانية: الحكايات غير الصحيحة:

الجواب الإجمالي[3]:

مما لا شك فيه أن الحكايات لها أثر كبير في انتشار الشركيات في العالم الإسلامي، وقد كان كثير من الناس يصدق تلك الحكايات ويحتج بها على صحة تلك الأفعال الشركية، والمقصود هنا مناقشة احتجاجهم بتلك الحكايات وبيان عدم حجيتها.

فقبل الخوض في ذكر بعض تلك الحكايات أذكر الجواب الإجمالي عن الاحتجاج بالحكايات والمنامات، فأقول وبالله التوفيق:

أولا ً: أن الله قد أكمل دينه وأتم شرعه، قال سبحانه: ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ المائدة: ٣. فلا يقبل في دين الله تعالى إلا ما دل عليه الكتاب والسنة أو أجمعت عليه الأمة.

وأما الحكايات والمنامات فليست من الأدلة الشرعية عند أهل العلم. يقول الإمام الشافعي :: $فقد جعل الله الحق في كتابه ثم سنة نبيه ح#[4].

وقد بيّن العلماء -رحمهم الله تعالى- حكمَ مثل هذه الحكايات و المنامات، وأنه لا يجوز إثبات حكم شرعي بها، حتى في رؤية النبي ح الذي لا يتمثل به الشيطان، كما ورد في الحديث[5]. وعللوا ذلك بأن حالة النوم ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي[6].

ثانياً: إن أغلب هذه الحكايات والمنامات لا تصح عمن نقلت عنه، كما سيتبين للقارئ في الجواب التفصيلي، وإنما نُقِلت إلينا بأسانيد ضعيفة أو واهية.

---

(1) مضى تخريجه في (ص 319).

(2) تحفة الذاكرين (ص140).

(3) هذا الجواب الإجمالي منقول من الدعاء ومنـزلته (810/2-815) بتصرف واختصار.

(4) الأم (493/7 -ط. دار الكتب العلمية).

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب من رأى النبي ح في المنام (383/12 الأرقام 6993-6997 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الرؤيا، باب قول النبي ح "من رآني في المنام فقد رآني" (1775/4 رقم 2266-2268).

(6) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (75/1).

ثالثاً: ثم إن هذه الحكايات لو صحت إلى أصحابها فلا يمكن أن تكون حجة أيضاً لعدة أمور:

أ- يحتمل أنها فُهِمَت عنهم فهماً غير صحيح، فآفة الأخبار رواتها، فيمكن أن تلك الحكايات دخل فيها زيادة ونقصان أو تأويل على وجه لم يرده أصحابها. فيحتمل أن صاحب الحكاية قالها أو فعلها $بقيود وشروط كثيرة على وجه لا محذور فيه، فحُرّف النقل عنه#[1].

ب- كما يحتمل أن صاحبها قد اجتهد وأخطأ، لأنها محكية عن غير معصوم، والحكايات كما قال الإمام ابن كثير :: $قصاراها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم من صحابي أو غيره لأنه يجوز عليه الخطأ#[2]. وقال شيخ الإسلام : في معرض بيان حجج هؤلاء: إن $ع ُم ْدته َم إما أحاديث ضعيفة أو موضوعة أو منقولات عمن لا يحتج بقوله، إما أن يكون كذبا ً عليه، وإما أن يكون غلطا ً منه، إذا هي نقل غير مصدق عن قائل غير معصوم، وإن اعتصموا بشيء مما ثبت عن الرسول ح حرفوا الكلم عن مواضعه وتمسكوا بمتشابهه وتركوا محكمه#[3].

والحاصل أن تلك الحكايات إن صحت عن أصحابها فلا يستقيم الا حتجاج بها، بل ينبغي الرد عليهم وبيان الحق في ذلك بدون محاباة لهم. يقول ابن الجوزي : في معرض رده على حكايات الصوفية: $وإذ قد ثبت هذا من أقوال شيوخهم وقعت من بعض أشياخهم غلطات لبعدهم عن العلم. فان كان ذلك صحيحا ً عنهم توجه الرد عليهم إذ لا محاباة في الحق، وإن لم يصح عنهم حذ ّرنا من مثل هذا القول وذلك المذهب، من أي شخص صدر#[4].

ج- ثم إن مثل هذه الحكايات موجود عند اليهود والنصارى والمشركين بكثرة، فهل يمكن أن نقبل منهم هذا في صحة مذهبهم؟ فكذلك فيما نحن بصدده لا يمكن أن نقبل الاحتجاج بمثل هذا.

رابعاً: إن أغلب تلك الحكايات تدور على أن الله قد استجاب لفلان عندما استغاث بالنبي أو بالولي، أو عندما دعا عند القبر، إلى مثل هذه الحكايات. فهي تدور على الاستدلال بوقائع أجاب الله فيها الدعاء مع مخالفتها للشرع، وهذا لا يستقيم الاحتجاج به لأمور:

أ- إن إجابة الدعاء من مقتضى ربوبية الله تعالى؛ وهي شاملة للخلق مؤمنهم وكافرهم، فهو يربيهم بالنعم ومنها: إجابة الدعاء وإغاثة الملهوف وإعانة المكروب وإزالة الشدائد وكشف الكربات. قال تعالى: ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞﮟ

(1) اقتضاء الصراط المستقيم (207/2).
(2) البداية والنهاية (264/2).
(3) تلخيص كتاب الاستغاثة (680/2).
(4) تلبيس إبليس (998/3).

ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘﭼالرحمن: ٢٩.

ولهذا، فإن الله قد يجيب الدعاء غير المشروع، فيجيب الله تعالى أحياناً دعاء المشركين، بل قد أجاب الله دعاء شر خلقه إبليس: ﭽﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼالأعراف: 14-١٥ . قال سفيان بن عيينة[1] :: $لا تتركوا الدعاء ولا يمنعكم منه ما تعلمون من أنفسكم؛ فقد الستجاب الله تعالى لإبليس وهو شر الخلق#[2].

ب- إن الاستجابة التي تحصل في الدعاء غير المشروع قد يكون سببها اضطرار صاحبها واشتداد حاجته، فيكشف الله عنه كربته لأن الله يجيب دعوة المضطر ولو كان كافراً قال تعالى: ﭽﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ الإسراء: ٢٠.

وقد يكون سببها حسنة تقدمت منه جعل الله إجابة دعوته شكراً لحسنته، وقد يكون سببها أن صاحبها دعا بحرقة وانكسار وذلة وصدق لجأ فيجيب الله دعوته لما قام بقلبه لا لكون دعائه مشروعاً، أو أن الله يجيبه لمحض فضله ورحمته، أو أن الله يجيبه لكونه وافق ما قدره الله تعالى أو وافق وقت الإجابة، لا لأجل مشروعية دعائه[3].

ج- وقد يكون استدراجاً له، وفي ذلك هلاكه، فكم من عبد دعا دعاء غير مباح فقضيت حاجته في ذلك الدعاء، وكانت سبب هلاكه في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﭽﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﭼالأنعام: ٤٤[4].

د- إن تأثير الدعاء غير المشروع لا يدل على إباحته فضلاً عن مشروعيته، فنحن نعلم أن السحر يؤثر حقيقة كما هو المذهب الصحيح[5]، وهو كفر؛ فلا ملازمة بين التأثير وبين المشروعية كما هو واضح[6].

هـ- إن فساد هذه الأدعية يربو على مصلحتها، ونفعها قليل وإنما يستجاب لأصحابها في النادر، ولا يبارك لهم حتى في نفس ذلك المطلوب،

(1) هو: سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي ثم المكي (107-198 هـ)، ثقة حافظ فقيه إمام حجة، إلا أنه تغير حفظه بآخره، وكان ربما دلس ولكن عن الثقات. انظر: التقريب (رقم 2464).

(2) أخرجه البيهقي في الجامع لشعب الإيمان (385/2 رقم 1107) وذكره القرطبي في تفسيره (184/3).

(3) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (215/2، 314-316)، وإغاثة اللهفان (395/1) ، والداء والدواء (ص 14)، وتحفة الذاكرين للشوكاني (ص 46).

(4) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (316/2)، وإغاثة اللهفان (396/1)، وروح المعاني (129/6 –ط. المنيرية)، وعنه في جلاء العينين (ص 574).

(5) انظر: تفسير ابن كثير (371/1)، وفتح الباري (222/10)، وتيسير العزيز الحميد (ص 314).

(6) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (214/2).

فهي فتنة في حق من لم يهده الله ولم يفرق بين الأمر الشرعي والأمر الكوني[1].

وبعد هذا الجواب الإجمالي، أشرع -بعون الله وتوفيقه- في الجواب التفصيلي:

الجواب التفصيلي لبعض تلك الحكايات:

فمن تلك الحكايات التي يحتجون بها ويدّعون فيها وقوع الاستغاثة با لأموات:

الحكاية الأولى: حكاية فتح الكوة

نص الحكاية: $رُوي عن أبي الجوزاء أنه قال: قُحط أهل المدينة قحطاً شديداً، فشكوا إلى عائشة ك، فقالت: فانظروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، فمُطروا حتى بلت العشب وسمنت الإبل، حتى تفتقت من الشحم، فسمي عام الفتق#[2].

يقول أحد المخالفين: $ذَكرَ هذا الأثرُ: أن الصحابة كانوا يستغيثون برسول الله ح بعد وفاته. أخي، لا زالت هناك أدلة أخرى كثيرة التي تدل على أن الاستغاثة بالأموات من دين الإسلام وفاعل ذلك مؤمن طائع#[3].

---

(1) انظر: قاعدة جليلة (ص 289)، أو مجموع الفتاوى (1/264-265).

(2) النور المبين في محبة سيد المرسلين لمحمد هاشم أشعري (إندونيسي) (ص 73) ضمن Kumpulan Kitab-Kitab Klasik KH. Hasyim Asy'ari (مجموع كتب كِياهِيْ الحاج هاشم أشعري القديمة)، وانظر: Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 134).

(3) Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 134).

تخريج الحكاية[1]: أخرج هذا الأثر الإمام الدارمي : في $سننه# (227/1 رقم 93) قال: حدثنا أبو النعمان، ثنا سعيد بن زيد، ثنا عمرو بن م الك النكري، حدثنا أبو الجوزاء أوس بن عبد الله قال: قحط أهل المدينة ... إلخ.

الحكم على الحكاية: هذا الإسناد فيه عدة علل:

1. سعيد بن زيد أبو الحسن البصري فيه ضعف. فقد ضعفه يحيى القطان، والسعدي الجوزجاني[2]، والدارقطني، وقال النسائي وغيره: $ليس بالقوي#، وقال أحمد: $ليس به بأس كان يحيى بن سعيد لا يستمرئه#[3].

2. إن أبا النعمان محمد بن الفضل -وهو الملقب بعارم- قد اختلط في آخر عمره، نص على اختلاطه البخاري وأبو حاتم وابن حبان وغيرهم[4]، ولا يعرف أهذا الحديث مما حدث به قبل اختلاطه أم بعده.

3. إن عمرو بن مالك النكري قال فيه ابن عدي في ترجمة أبي الجوزاء: أنه حدث عنه عمرو ابن مالك قدر عشرة أحاديث غير محفوظة[5]، وهذا الأثر من روايته عنه، فيكون غير محفوظ.

4. الانقطاع بين أبي الجوزاء وعائشة؛ لأنه لم يسمع منها. كذا ذكر البخاري، وابن عدي، وابن عبد البر، والعراقي[6].

فخلاصة ما سبق: أن إسناد هذه الحكاية ضعيف جداً لاجتماع هذه العلل فيه.

تنبيه: ومع ضعف هذه الحكاية إسناداً، فهي أيضاً منتقدة متناً، وذلك

---

(1) استفدت في صياغة هذا المبحث من المراجع الآتية: الصراع بين الإسلام و الوثنية (254-252/2)، وفصل المقال (ص 102-104)، والتوسل أنواعه وأحكامه (ص 126-127)، وتحفة القاري في الرد على الغماري للشيخ حماد الأ نصاري (ص 212-213)، والدعاء ومن-زلته (824/2-828).

(2) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب السعدي الجوزجاني (ت 256 هـ)، إمام حافظ ، نزيل دمشق ومحدثها، قال الدارقطني: $كان من الحفاظ الثقات المصنفين، وفيه انحراف عن علي#. انظر: تذكرة الحفاظ (549/2)_وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر لابن بدران (311/2-310).

(3) انظر: أحوال الرجال (ص 192 رقم 186)، والكامل في الضعفاء (376/3)، وميزان الاعتدال (138/2)، وتهذيب التهذيب (19/2).

(4) انظر: التاريخ الكبير (208/1)، والجرح والتعديل (59/8)، وكتاب المجروحين (294/2)، والكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات لابن الكيال (ص 382-392 رقم 52).

(5) الكامل في الضعفاء (411/1)، وتهذيب التهذيب (194/1)، وفي الكامل المطبوع تصحيف، والتصويب من التهذيب.

(6) انظر: الكامل في الضعفاء (411/1)، وهدي الساري (ص 616)، وتهذيب التهذيب (194/1).

من وجوه:

أولا ً[1]: إن هذه الحكاية تخالف ما ثبت من الصحابة باتفاق أهل العلم من استسقائهم بالدعاء المشروع، إما في المسجد في خطبة الجمعة ونحوها، وإما بالخروج إلى الصحراء، وهذا ثابت عنهم قطعاً.

ومن المعلوم أن من علامة وضع الحديث مخالفته للقطعي. يقول ابن الجوزي :: $ما أحسن قول القائل: إذا رأيت الحديث يباين المعقول أو يخالف المنقول أو يناقض الأصول؛ فاعلم أنه موضوع#[2].

فالرسول ح وأصحابه والمسلمون كانوا إذا اشتد عليهم القحط وامتنع الغيث والمطر فزعوا إلى صلاة الاستسقاء، وصلاة الاستسقاء معلومة في الإ سلام، وقد أقرّ بها جميع المذاهب الإسلامية. وقد قحطوا في عهد الرسول ح وطلبوا منه أن يستسقي لهم مرات عدة، ولكنه لم يقل مرة واحدة حينما طلبوا منه السقيا: إنه يكفيكم أن أبرز بدني إلى السماء أو يبرز قبري، كما زعم في هذه القصة الضعيفة، بل ولم يفهم أحد من أصحابه هذا المعنى، ولهذا علموا أنه لابد من الاستسقاء. وقد مضى ذكر شيء من أمثلة ذلك[3].

ثانياً[4]: مما يبين كذب هذه الرواية أنه لم يكن في حياة عائشة ك للبيت كوة، بل كان بعضه باقياً على ما كان على عهد النبي ح، بعضه مسقوف وبعضه مكشوف، وكانت الشمس تن-زل فيه، كما ثبت في الصحيحين عن عائشة أن النبي ح كان يصلي العصر والشمس في حجرتها لم يظهر الفيء بعد[5]، ولم تزل الحجرة كذلك حتى زاد الوليد بن عبد الملك[6] في المسجد وأدخلت الحجرة في المسجد، ثم بني حول حجرة عائشة التي فيها القبر جداراً عالياً، وبعد ذلك جعلت الكوة لين-زل منها إذا احتيج إلى ذلك لأجل كنس أو تنظيف، وأما وجود الكوة في حياة عائشة فكذب بيّن.

ثالثاً: لا يدرى للخبر معنى ولا يمكن أن يصح له وجه من الوجوه، فأي معنى في إبراز القبر إلى السماء؟ وأي عبادة فيه يستن-زل بها المطر

(1) انظر: تلخيص كتاب الاستغاثة (90/1).

(2) تدريب الراوي (327/1)، وفتح المغيث (249/1-250 –تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان).

(3) انظر: (ص 305) وما سيأتي (ص 429-433).

(4) انظر: تلخيص كتاب الاستغاثة (93/1).

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب مواقيت الصلاة وفضلها (6/2 رقم 522 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب أوقات الصلوات الخمس (426/1 رقم 611).

(6) هو: الخليفة، أبو العباس بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي (45-96 هـ)، هو الذي أنشأ جامع بني أمية. انظر: السير (347/4-348).

ويستدفع بها القحط والضر؟ وأية حكمة في هذا وأي أصل من أصول الشريعة يوافقه أو يدل عليه أو يقبله؟ إنه لو كان لهذا معنى ووجه لكان إبراز المصحف أولى من إبراز القبر وأقرب إلى أن ينـزل الله به الغيث على عباده، ولكن كلا، لا شيء من ذلك يتقرب به إلى الله وتستنـزل به رحمته.

وإنما تستنـزل رحمة الله وغياثه بالدعاء والصلاة والتوبة والعبادة والاستقامة على الطريقة والفزع إلى الله بالآمال والأعمال، كما قال تعالى: ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼنوح: 10-١٤، وقال: ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼالمائدة: ٦٦، وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼالأعراف: ٩٦، وقال: ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ الجن: ١٦، إلى غير ذلك من آي الكتاب الدالة على أن الغيث والخير يستنـزلان بالطاعات والأعمال الصالحة وبالدعاء والاستغفار، لا بإظهار القبور إلى السماء أو غيرها، هذا كله مما يدل على ضعف القصة وعلى بطلانها وكذبها.

رابعاً: على فرض ثبوت هذه القصة، فإنها لا تدل على ما قاله المخالفون من $أن الصحابة كانوا يستغيثون برسول الله ح بعد وفاته#[1]، و$أن الاستغاثة بالأموات من دين الإسلام وفاعل ذلك مؤمن طائع#[2].

إذ ليس في القصة طلب ولا استغاثة بالنبي ح ولا بغيره، وإنما فيها مجرد إبراز القبر وفتح كوة منه إلى السماء، وفيها أنهم لما صنعوا هذا أغيثوا، فأين هذا من ذاك؟! فالقصة ولو كانت صحيحة -وليست كذلك- لا تشهد لما ذهب إليه المخالفون من الاستغاثة بالأموات أبداً.

---

(1) Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 134).
(2) المرجع السابق.

الحكاية الثانية: حكاية مالك الدار

نص الحكاية: $روى مالك قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر رضي اللّه عنه، فجاء رجل إلى قبر النبي صلى اللّه عليه وسلم فقال: يا رسول اللّه استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتاه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في المنام، فقال: ائت عمر فاقرئه مني السلام، وأخبره أنهم مُسقون، وقل له: عليك بالكيس الكيس، فبكى عمر رضي اللّه عنه فقال: ما آلوا إلا ما عجزت عنه#[1]. $ذكر ابن حجر العسقلاني أن سند هذا الحديث صحيح، و العلماء الذين رووا هذا الحديث لم يطعنوا في متنه#[2].

وذكر في بعض كتب القوم الأخرى[3] تسمية الرجل بأنه بلال بن الحارث ط.

ثم يقول أحدهم: $يستفاد من هذا الحديث: أن أحداً من أصحاب النبي المعروفين -وهو بلال ابن الحارث- زار قبر النبي وطلب من النبي أن يستسقي اللّه، وهذا ما يسمى توسلا ً، وهو الدعاء إلى اللّه مع الاستعانة بـ النبي كي يدعو اللّه#[4]، $وقد علم عمر ما فعله بلال هذا فلم ينكر عليه، وكذلك ليس هناك أحد من الصحابة من ينكر عليه#[5].

ويقول الآخر: $واستدلالنا هذا ليس بالرؤيا للنبي ح، فإن -رؤياه وإن كانت حقاً- لا تثبت بها الأحكام، لإمكان اشتباه الكلام على الرائي، وإنما استدلالنا بفعل أحد أصحابه ح في اليقظة وهو بلال بن الحرث، فإنه أتى قبر النبي ح وناداه وطلب منه أن يستسقي لأمته#[6] $ويستغيث به ح #[7].

تخريج الحكاية: هذه الحكاية رواها ابن أبي شيبة في $مصنفه# (63-65/17) رقم 32665 -تحقيق محمد عوامة)، والبيهقي في $دلائل النبوة# (47/7)، والخليلي في $الإرشاد في معرفة علماء الحديث#

---

(1) النور المبين في محبة سيد المرسلين (ص 73)، وانظر: I'tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 370).

(2) Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 134).

(3) Empat Puluh Masalah Agama (أربعون مسألة دينية) (154-153/1)، و الفرائد السنية (لمؤلف إندونيسي) (ص 13-14)، وحجة أهل السنة (لمؤلف إندونيسي) (ص 99).

(4) Empat Puluh Masalah Agama (أربعون مسألة دينية) (154-153/1).

(5) Tujuh Puluh Dua Bukti Kekeliruan Paham Wahabi (إثنان وسبعون برهاناً على خطأ الفكر الوهابي) (ص 20-21)، وانظر: Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 134).

(6) الفرائد السنية (لمؤلف إندونيسي) (ص 13-14).

(7) I'tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 371).

(313-314/1 رقم 153) عن محمد بن خازم، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن مالك خازن عمر قال: $أصاب الناس قحط ... إلخ# بنفس السياق.

الحكم عليها[1]: هذا الخبر فيه عدة علل، منها علل في الإسناد، وعلل في المتن:

1- إن فيه الأعمش وقد عنعن، ولا يرد علينا أن عنعنة الأعمش عن أبي صالح محمولة على السماع لأنه من كبار شيوخه؛ فإن هذا في الغالب الأعم وليس في كل حديث، وخصوصاً أن في المتن ما ينكر -كما سيأتي إن شاء الله- فعنعنته هنا على بابها، والله أعلم.

2- إن هناك إرسالاً بين أبي صالح ومالك الدار، كما نص على ذلك الخليلي : حيث قال بعد رواية الحديث: $يقال: إن أبا صالح سمع مالك الدار هذا الحديث، والباقون أرسلوه#[2]. فانظر إلى قوله $يقال# إذ هي من صيغ التضعيف، وإلى قوله $الباقون أرسلوه# مما يدل على أن ادعاء الا تصال مخالفة لجمهور الرواة، وهو شذوذ، والشاذ والمنقطع من أنواع الضعيف، ولا يؤخذ به في الأحكام، فكيف في العقائد؟

3- إن الرجل الذي طلب من القبر مجهول لا يعرف اسمه فضلاً عن حاله، والمدينة في ذلك الزمان يردها أهل الآفاق من العرب والعجم و الحاضرة والبادية، وفعله مخالف لما عليه الصحابة رضي الله عنهم.

وليس هو بلال بن الحارث، والذي سماه بلالاً هو سيف بن عمر الضبي في $الفتوح#[3] وهو متروك متفق على ضعفه[4]، ثم ليس في خبره أنه ذهب للقبر. حتى ولو ثبت أنه بلال ط؛ فلا حجة في فعل آحاد الصحابة إذا خالف السنة[5]. وبهذا يتبين بطلان من قال بأن هذا الفعل إنما هو فعل أحد أصحاب النبي ح المعروفين، فهو حجة[6].

ثم إنه لا يقال بأن عمر قد أقره على فعله؛ لأنه ربما لم يخبره بـ المجيء إلى القبر، وإنما أخبره بالرؤيا فقط، وليس في الرواية أنه أخبره بـ المجيء إلى القبر. وبهذا يتبين بطلان من قال بأن عمر $قد علم ما فعله بلا

(1) استفدت في صياغة هذا المبحث وما بعده من مراجع منها: فصل المقال (ص 106-108)، والدعاء ومنزلته (816/2-823)، وهذه مفاهيمنا (ص 65-69)، و هدم المنارة (ص 225-228). وللتوسع في تخريج هذه القصة، راجع: تحفة الأبرار في تحقيق أثر مالك الدار، لأبي حمزة سيد بن محمد المنياوي.
(2) الإرشاد في معرفة علماء الحديث (316/1).
(3) كما في تاريخ الطبري (98/4-99)، والبداية والنهاية (71/10-72)، وفتح الباري (496/2).
(4) انظر: الجرح والتعديل (278/4)، وميزان الاعتدال (255/2-256).
(5) انظر: قاعدة جليلة (ص 217).
(6) كما زعم بذلك كل من أصحاب الكتب التالية: Empat Puluh Masalah Agama (أربعون مسألة دينية) (153/1-154)، والفرائد السنية (لمؤلف إندونيسي) (ص 13-14)، وI’tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama’ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 371).

ال فلم ينكر عليه#[1].

4- إن المشهور عن عمر ط، الثابت في $الصحيح# ليس فيه هذه القصة. فقد رويت قصة الاستسقاء من وجوه عدة، وليس فيها قصة مالك هذه. فمن أهم تلك الروايات: ما أخرجه البخاري[2] وغيره من طريق ثمامة بن عبد الله بن أنس عن أنس، وأخرجها عبد الرزاق عن ابن عباس[3]، و أخرجها ابن أبي حاتم من طريق الزهري[4]، وأخرجها ابن أبي الدنيا عن خوات بن جبير[5]، وأخرجها عبد الرزاق[6] وابن أبي الدنيا[7] وغيرهما عن الشعبي، وهناك مخارج أخرى ليس في شيء منها قصة القبر والذهاب إليه؛ فدل هذا على مخالفة كبيرة تبين ضعف هذه القصة. فلو كانت القصة معروفة لما خفيت على أنس بن مالك وغيره الذين رووا حديث الاستسقاء، ولو كانت ثابتة لما عدل عنها من أخرج حديث الاستسقاء.

فالذي يظهر -والعلم عند الله- أنه قد حصل زيادة في القصة وتغيير، ومما زيد فيها قصة مجيء الرجل إلى القبر، وهذه الزيادة ضعيفة منكرة، ويدل على هذا عدة أمور:

أ- ما سبق بيانه من أن المشهور عن عمر، الثابت في الصحيح ليس فيه هذه القصة.

ب- أن الإمام البخاري : ذكر هذه القصة، فاقتصر على قول عمر ط: $يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه#[8]، ولم يذكر مجيء الرجل إلى القبر، فهذا مما يدل على أن ذلك مما زيد في الرواية.

ج- ما رواه عبد الرزاق في مصنفه عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: $أصاب الناس سنة، وكان رجل في بادية فخرج فصلى بأصحابه ركعتين واستسقى ثم نام، فرأى في المنام أن رسول الله ح أتاه وقال: اقرئ عمر السلام وأخبره أن الله قد استجاب لكم وكان عمر قد خرج فاستسقى أيضاً، وأمره فليوف العهد وليشد العقد. قال: فانطلق الرجل حتى أتى عمر فقال: استأذنوا لرسول رسول ح، قال: فسمعه عمر فقال: من هذا المفتري على

(1) Tujuh Puluh Dua Bukti Kekeliruan Paham Wahabi (إثنان وسبعون برهاناً على خطأ الفكر الوهابي) (ص 20-21)، وانظر: Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 134).
(2) كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا (494/2 رقم 1010 -الفتح).
(3) مصنف عبد الرزاق (92/3 رقم 4913).
(4) الجرح والتعديل (192/1).
(5) كتاب مجابي الدعوة (41/4 رقم 43 –موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا).
(6) في المصنف (87/3 رقم 4902).
(7) في كتاب المطر والرعد (ص 106 رقم 84).
(8) التاريخ الكبير (304/7 رقم 1295).

رسول الله ح؟ فقال الرجل: لا تعجل علي يا أمير المؤمنين فأخبره الخبر، فبكى عمر#[1].

فهذا الأثر يبين أن الرجل فعل المشروع، وهو الخروج إلى الصحراء ثم الصلاة وطلب السقيا من الله تعالى، ولم يأت القبر، والذي رآه في المنام بعد المشروع لا مانع منه من ناحية الشرع.

وهذا يدل على أن الرواية التي فيها أنه أتى القبر غير صحيحة، ولا يقال: إن هذه القصة غير تلك القصة؛ وذلك لأن الحمل على التعدد شأن غير المحققين من المحدثين، الذين كلما رأوا اختلافاً في ألفاظ الحديث أو نوع اختلاف في المعنى حملوه على التعدد، وأما المحققون فلا يرون ذلك[2].

5- أنه ذكِرت عدة روايات في سبب الاستسقاء غير ذهاب الرجل إلى القبر.

أ- ما ذكره ابن عبد البر في $الاستيعاب#[3]: $فقال كعب: يا أمير المؤمنين، إن بني إسرائيل كانوا إذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الأ نبياء، فقال عمر: هذا عم رسول الله ح وصنو أبيه#.

ب- ما ذكره سيف بن عمر في $الفتوح#[4]، فقد روى روايتين لقصة ا لاستسقاء، وليس فيهما أن الرجل ذهب إلى القبر.

ج- ما أخرجه عمر بن شبة في $تاريخ المدينة#[5] أن أبا موسى كتب لِعمر بعد ما طلب عمر منه المعونة: $يا أمير المؤمنين، إن الخلق لا يسعهم إ لا الخالق، فلو أنك كتبت في الأمصار وواعدتهم يوماً فخرجوا واستسقوا ودعوا، فلما أتاه كتابه قال: والله ما أرى أبا موسى إلا قد أشار برأي، فكتب فخرج الناس فاستسقوا فسقوا#.

د- أثر عبد الله بن عبيد بن عمير المتقدم[6].

فهذه أربعة أسباب دعت عمر للاستسقاء تخالف ما روي من ذهاب الرجل للقبر.

(1) المصنف (3/93-94 رقم 4914). سند هذا الأثر رجاله ثقات وابن عمير ثقة من أوساط التابعين من الثالثة. (التقريب رقم 3478). ويمكن ادعاء عدم لقائه عمر وأن فيه انقطاعاً، والله أعلم. وفي سنده إسماعيل أبو المقدام وفيه كلام لا يضر؛ لأن معمراً عندما سئل عنه أشار إلى أنه لم يكثر من الرواية عنه لعدم إتيانه بالكلام على وجهه، وهنا من رواية معمر، فكأنه انتقى من أحاديثه ما أتى به على وجهه. انظر: لسان الميزان (2/133-134).
(2) انظر: زاد المعاد (3/42).
(3) (ص 557 رقم 1890).
(4) كما في تاريخ الطبري (4/98-99)، وفي البداية والنهاية (10/71-73)، وفتح الباري (2/496).
(5) (2/743).
(6) انظر الصفحة السابقة.

فخلاصة ما سبق: أن قصة مجيء الرجل إلى قبر النبي ح وطلبه منه ح أن يستسقي ربه غير ثابتة، بل هي ضعيفة جداً. وقد ألمح شيخ الإسلام إلى تضعيفها بقوله: $يروى#[1]، وضعفها الشيخ الألباني[2].

تنبيهات:

أولاً[3]: ساق الحافظ ابن كثير في $البداية والنهاية#[4] روايتين لهذه القصة؛ رواية سيف ورواية البيهقي، وقدّم رواية سيف على رواية البيهقي. وفي رواية سيف أن عمر ط صعد المنبر فقال للناس: $أنشدكم الله الذي هداكم للإسلام هل رأيتم مني شيئاً تكرهون؟#. فقالوا: $اللهم لا#. $وعم ذلك؟# فأخبرهم بقول المزني وهو بلال بن حارث. $ففطنوا ولم يفطن#. فقالوا: $إنما استبطأك في الاستسقاء فاستسق بنا# انتهى المقصود.

وهذه الرواية مبينة أن قول نبي الله ح لعمر في رواية سيف: $عهدي بك وفي العهد شديد العقد، فالكيس الكيس يا عمر# هو ما فسرها صحابة رسول الله ح $ففطنوا ولم يفطن عمر# كما جاء صريحاً؛ وهو إرشاده للإ ستسقاء.

وفي هذا سرّ لطيف وهو أن قول القائل: $يا رسول الله، استسق الله لأمتك# منكر، جره تباطؤ عمر عن طلب السقيا. وعدم الفزع إلى المشروع يجر إلى وجود غير المشروع، فلذا قال نبي الله ح: $عهدي بك، وفي العهد شديد العقد فالكيس الكيس#.

أقول هذا مع ضعف الرواية، لأبين مقصد ابن كثير حين ساق الروايتين الضعيفتين.

إذا تبين هذا عُلم فضل علم ابن كثير : حيث جعل رواية البيهقي هي الثانية، ورواية سيف المفصّلة معنى الكيس هي الأولى، فليتأمل هذا، حتماً تتبين مقاصد الحفاظ في أحكامهم.

ويقال: تأخر عمر عن الاستسقاء وهو العبادة المشروعة التي يحبها الله ، لما فيها من الذل بين يديه، والانكسار له، وتوجه القلوب بصدقٍ وإخلاص نحو ربها لكشف ضرها، إن تأخر عمر عن الاستغاثة المشروعة سبّب هذا الأمر غير المشروع.

ولذا؛ لم يفعل أحد من صحابة رسول الله ح مثل ما فعل هذا الرجل الذي جاء إلى قبر النبي ح وقال ما قال، وهم إنما سقوا باستسقائهم، لا بقول الرجل غير المشروع. فلتينبه لهذا.

(1) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (254/2).
(2) كما في التوسل أنواعه وأحكامه (ص 117-121).
(3) هذه مفاهيمنا (65-66).
(4) (73/10).

ثانياً[1]: الرد على قول أحدهم $ذكر ابن حجر العسقلاني أن سند هذا الحديث صحيح#[2]. يتبيّن بطلان هذا الافتراء إذا أمعنّا النظر في نص كلا م الحافظ حيث قال: $روى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي ص الح السمان عن مالك الدار#[3].

فالحافظ الجهْبذ لم يصحح إسناده مطلقاً كما زعمه هذا المخالف، و إنما قال: $بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدار#. ومعنى هذا أن الحافظ صحح سنده إلى أبي صالح السمان، وما ذكر من رجال إسناده لم يقل بصحته كما هو ظاهر لأهل العلم، ففرق بين قوله هذا وبين ما لو قال: $بإسناد صحيح أن مالك الدار قال...#، فتبين أن كلام الحافظ هذا لا يمنع من وجود بعض العلل التي سبق تعليلُ الحديث بها، منها:

الأولى: الانقطاع بين أبي صالح ذكوان وبين مالك الدار.

الثانية: جهالة الرجل الذي أتى القبر.

ثالثاً: أما قول أحدهم أن $العلماء الذين رووا هذا الحديث لم يطعنوا في متنه#[4] فيجاب:

لا يُستنكر إيراد بعض العلماء لمثل هذه الحكايات الواهية دون الطعن في متنها؛ لأنهم قد اكتفوا بذكر أسانيد تلك الحكايات، جريا ً على المبدأ المعروف عند المحدثين أن $من أسند فقد أحالك#[5]، أي: أحالك على إسناده والنظر في أحوال رواته والبحث عنهم[6]، وبذلك فقد برئوا من العهدة. يقول الإمام ابن جرير الطبري : في مقدمة $تاريخه#[7]: $فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارؤه، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنى في الحقيقة: فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا، وأنّا إنما أدينا ذلك على نحو ما أُدّي إلينا#.

وقد ثبت لنا -فيما سبق بيانه- أن أسانيد تلك الحكايات ضعيفة، فلا حجة في متنها.

ولا يعني عدم طعنهم لمتن ما رووا، إقرارهم على ما فيه من ضلالات،

(1) هذه مفاهيمنا (ص 68).
(2) Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 134).
(3) فتح الباري (495/2).
(4) Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 134).
(5) تدريب الراوي (223/1)، وانظر: النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (863/2).
(6) فتح المغيث (133/1 -تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان).
(7) تاريخ الطبري (8/1).

فهم أنزه من أن ينسب إليهم هذا الشيء. ولربما لم يتصوروا أن أقواماً من أهل البدع في آخر الزمان سيستدلون بها على ضلالاتهم وشركياتهم، فزمان أولئك الأعلام زمان لم ينتشر فيه الشرك في توحيد العبادة.

لذلك يقول ابن خزيمة :: $هل سمعتم عالماً يجيز أن يقول الداعي: أعوذ بالكعبة من شر خلق الله؟ أو يجيز أن يقول: أعوذ بالصفا والمروة؟ أو أعوذ بعرفات ومنى من شر ما خلق الله؟ هذا لا يقوله ولا يجيز القول به مسلم يعرف دين الله، محال أن يستعيذ مسلم بخلق الله من شر خلقه#[1].

تأمل هذه الكلمات القوية؛ لتعلم أن شرك الدعاء مما لم يكن معروفاً عند المتقدمين، فقد جزم ابن خزيمة : باستحالة وقوع هذا من مسلم يعي حقيقة دينه، الذي أقيم على إسلام الوجه لله وصرف سائر العبادات له وحده دونما شريك[2].

ثم ليعلم هؤلاء أن الروايات التاريخية فيها الغث والسمين؛ لذلك فقد نبّه كثير من العلماء على ما تضمنته بعض الروايات التاريخية من الأخبار الواهية وحذروا منها ونادوا بضرورة تنقيحها، وإخضاعها إلى معايير النقد، وموازين الجرح والتعديل عند أهل الحديث، فيثبت ما كان مقبولا ً لدى المحدثين، وينفى ما عداه من ضعيف أو موضوع[3].

قال الكافيجي[4] :: $ينبغي أن يشترط في المؤرخ ما يشترط في راوي الحديث من أربعة أمور؛ العقل والضبط والإسلام والعدالة، ليكون كل واحد منهما معتمَداً في أمر الدين، وأميناً فيه، ولتزداد الرغبة في تاريخه، ول لاحتراز عن المجازفة والافتيات، فيحصل له الأمن من الوقوع في الضلالة والإضلال ... ولا بد له -يعني: المؤرخ- من مستند في تاريخه، فإن قلت: فما المستند؟ قلت: هو ما يصح له من أجله أن يروى ما رواه، ويقبل منه، فإن لم يحصل له ما فيه مستند لم يجز له شيء من ذلك شرعاً#[5].

وقال ابن خلدون :: $وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سمينا ً، لم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار،

---

(1) كتاب التوحيد (1/400-402).
(2) جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة (ص 447).
(3) انظر: الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به (ص 314).
(4) هو: محيى الدين محمد بن سليمان بن سعد الكافيجي (788-879 هـ)، الإمام المحقق، أستاذ الدنيا في المعقولات، وصاحب المصنفات. انظر: حسن المحاضرة للسيوطي (1/549)، والضوء اللامع (7/259).
(5) المختصر في علم التاريخ، ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين لفرانز روزنثال (ص 336-337).

فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط ... فلابد من ردها إلى الأ
صول وعرضها على القواعد#[1].

ثم $ما عهدت مسائل العقيدة والتوحيد، بل ولا غيرها من أحكام الشريعة، تؤخذ من كتب التاريخ، وإنما تروى قصص التأريخ للعبرة والعظة، والتصديق بمجموعها، لا تفاصيلها#[2]، يقول العلامة القرافي[3] : بأن التاريخ لا يجوز أن يبنى عليه شيء من أمر الدين، وإنما هي حكايات في المجالس[4]. وقد قال الإمام أحمد :: $ثلاث كتب ليس لها أصول: المغازي و الملاحم والتفسير#[5]، ومراده من قوله هذا -كما قال المحققون من أصحابه-: $أن الغالب أنها ليس لها أسانيد صحاح متصلة، وإلا فقد صح من ذلك كثير#[6].

رابعاً[7]: أن في القصة دليلا ً على المخالف، وهو أنه ح لم يقل: $أنا أستسقي لكم# بل أمر عمر أن يستسقي بالناس. ثم إن عمر بن الخطاب ط لم يذهب إلى القبر ويطلب منه ح، ولو كان مشروعاً لذهب، بل استسقى ربه ودعا، وفِعْل عمر هو الحجة الشرعية الدامغة، إذ لو كان مشروعاً -أي: الذهاب إلى قبر النبي ح والاستسقاء عنده-، لم يترك الناس يهلكون جوعاً و لا يذهب إليه، بل طلب من العباس أن يدعو الله لهم.

الحكاية الثالثة: رواية العتبي

نص الحكاية: $ذُكر في تفسير ابن كثير أن أعرابياً جاء إلى قبر النبي ح فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﭽﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ النساء: ٦٤، والآن قد جئتك مستغفرا ً لذنبي مستشفعا ً بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول:

يا خيرَ من دُفِنَتْ بالقاع أعظُمُه   فطاب منْ طيبهنّ القاعُ والأكمُ

نفْسي الفداءُ لقبرٍ أنت ساكنُه   فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرمُ

ثم انصرف الأعرابي. قال العتبي الذي كان عند القبر: فغلبتني عيني،

---

(1) مقدمة ابن خلدون (ص 8).
(2) هذه مفاهيمنا (ص 70).
(3) هو: شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي المعروف بالقرافي (ت 682 هـ)، علامة فقيه أصولي، له: شرح المحصول، والفروق وغيرها. انظر: المنهل الصافي لابن تغري بردي (232/1-234).
(4) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على اليهود والنصارى (ص 51).
(5) مقدمة الكامل في الضعفاء (119/1)، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (178/4).
(6) البرهان في علوم القرآن (156/2)، والتفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي (37/1).
(7) فصل المقال (ص 108).

فرأيت النبي ح في النوم فقال: يا عُتْبى، الحقْ الأعرابيّ فبشره أن اللّه قد غفر له#[1].

تخريج الحكاية: هذه الحكاية رويت بصيغ متعددة سنداً ومتناً[2]:

1- رويت عن العتبي عن الأعرابي بلا إسناد. وممن ذكرها كذلك الحافظ ابن كثير : في $تفسيره# (347-348/2) حيث قال: $وقد ذكر جماعة منهم: الشيخ أبو نصر الصباغ[3] في كتابه $الشامل# الحكاية المشهورة عن العتبي قال: كنت جالسًا عند قبر النبي ح ..." ثم ذكر القصة التي سبق سردها.

2- ورويت عن محمد بن حرب عن أبي الحسن الزعفراني عن الأعرابي ، كذا قال الحافظ ابن عبد الهادي في $الصارم المنكي# (ص 406).

3- ورويت عن أبي حرب الهلالي عن الأعرابي. رواها كذلك الإمام البيهقي : في $شعب الإيمان# (60/6 رقم 3880) قال: أخبرنا أبو علي الروذباري، حدثنا عمرو بن محمد بن عمرو بن الحسين بن بقية، إملاء، حدثنا شكر الهروي، حدثنا يزيد الرقاشي، عن محمد بن روح بن يزيد البصري، حدثني أبو حرب الهلالي، قال: فذكر القصة بكاملها.

4- ورُويت عن محمد بن حرب الهلالي عن الأعرابي. ممن رواها كذلك: ابن النجار[4] في $الدرة الثمينة في تاريخ المدينة# (ص 365 رقم 482) قال: أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الحسن في كتابه، أخبرنا أبو الفرج ابن أحمد، أخبرنا أحمد بن أبي نصير، أخبرنا محمد بن القاسم الفارسي، سمعت غالب بن غالب الصوفي يقول: سمعت إبراهيم بن محمد المزكي يقول: سمعت أبا الحسن الفقيه يحكي عن الحسن ابن محمد عن ابن فضيل النحوي، عن محمد بن روح، عن محمد بن حرب الهلالي قال: $دخلت المدينة فأتيت قبر النبي ح فجاء أعرابي فزاره، وذكر القصة بتمامها#[5].

5- ورويت عن علي بن أبي طالب ط عن الأعرابي، بلفظ مغاير للفظ الروايات السابقة في بعض المواطن. رواها كذلك أبو الحسن علي ابن

---

(1) Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 88-89).
(2) انظر: الصارم المنكي (ص 406).
(3) هو: أبو نصر عبد السيد بن محمد بن أحمد ابن الصباغ البغدادي (400-477 هـ)، من أكابر أصحاب الوجوه في المذهب الشافعي، له: تذكرة العالم، والعدة وغيرها. انظر: طبقات ابن كثير (444/1-445)، والسير (464/18-465).
(4) هو: محمد بن محمود بن الحسن محب الدين ابن النجار (578-643 هـ)، له: القمر المنير في المسند الكبير، والدرة الثمينة في تاريخ المدينة. انظر: طبقات الحفاظ (ص 499)، وفوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي (36/4-37).
(5) وممن رواها عن محمد بن حرب الهلالي عن الأعرابي: ابن الجوزي في مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن (301/2 رقم 477).

إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الكرخي، عن علي بن محمد بن علي، حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الطائي، قال: حدثني أبي عن سلمة بن كهيل، عن أبي صادق، عن علي بن أبي طالب ط قال: $قدم علينا أعرابي بعدما توفي رسول الله ح بثلاثة أيام، فرمى بنفسه إلى قبر النبي ح، وحثى على رأسه من ترابه، وقال: $يا رسول الله، قلت ٍ فسمعنا قولك، ووعيت ِ عن الله عز وجل فوعينا عنك، وكان فيما أنزل الله عز وجل عليك: ﭽھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗﭼالنساء: ٦٤، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي، فنودي من القبر أنه قد غفر لك#[1].

الحكم عليها: روايات هذه الحكاية منتقدة سنداً ومتناً، ومن هذه الا نتقادات:

1- في الرواية الأولى: انقطاع بين العتبي والأعرابي؛ فالعتبي هو: محمد بن عبد الله بن عمر بن معاوية بن عمر بن عتبة ابن أبي سفيان صخر بن حرب الذي توفي سنة 228 هـ[2]، فهل يمكن للذي توفي في عام 228 هـ أن يحضر حادثة وقعت بعدما دفن الرسول ح بثلاثة أيام؟! فهب أنه عاش مائة سنة، فيبقى بينه وبين الحادثة انقطاع مائة وعشرين سنة فهل يمكن أن يحضر واقعة حدثت قبل أن يخلقه الله بمائة وعشرين سنة؟![3]

2- في الرواية الثانية: وهي رواية الزعفراني عن الأعرابي، انقطاع بين الزعفراني والأعرابي. قال الشيخ محمد بن نسيب الرفاعي : في شأن الزعفراني: $والزعفراني هذا من أجلة أصحاب الشافعي وأعيانهم توفي سنة 249 هـ :؛ فكيف يمكنه الرواية عن الأعرابي الذي تقدمه كل هذا الزمن؟!#[4].

3- أما الرواية الثالثة، فقد قال عن إسنادها الحافظ ابن عبد الهادي :: $إسناد مظلم#[5]. وقال عنها الشيخ الألباني: $وهذا إسناد ضعيف مظلم،

---

(1) كذا في الصارم المنكى (ص 508-509)، وأوردها القرطبي في $تفسيره# (439/6).

(2) انظر: تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، لزين الدين المراغي (ص 111)، واللباب في تهذيب الأنساب لأبي الحسن ابن الأثير (320/2)، ووفيات الأعيان (411/4). وقد صرح السبكي في كتابه شفاء السقام (ص 62) بأن المراد بالعتبي في هذه الحكاية هو: محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمر بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب. وفي الأنساب للسمعاني (149/4) والسير (96/11): محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب.

(3) التوصل إلى حقيقة التوسل (ص 274-275).

(4) المرجع السابق (ص 279).

(5) الصارم المنكي (ص 406).

لم أعرف أيوب الهلالي ولا من دونه. وأبو يزيد الرقاشي[1]، أورده الذهبي في $المقتنى في سرد الكنى# (2/ 155) ولم يسمه، وأشار إلى أنه لا يعرف بقوله: $حكى شيئا ً#. و أرى أنه يشير إلى هذه الحكاية. وهي منكرة ظاهرة النكارة، وحسبك أنها تعود إلى أعرابي مجهول الهوية!#[2].

4- وأما الرواية الرابعة، فقد قال عن سندها الشيخ حماد الأنصاري[3] :: $وأما سند ابن النجار فهو أيضاً مجاهيل غير معروفين ابتداء من شيخه إلى محمد بن حرب الهلالي#[4].

5- وأما الرواية الخامسة، ففي سندها هيثم بن عدي الطائي. قال في $المغني#: $متروك#[5] $تركوه#[6]، وقال البخاري: $سكتوا عنه#[7]، وأنه ليس بثقة[8]. وقال أبو داود: $كذاب#، وقال يحيى بن معين: $كان يكذب#[9]، وقال النسائي والرازي والأزدي: $متروك الحديث#[10].

وفي سندها أيضاً انقطاع بين أبي صادق وعلي بن أبي طالب ط؛ فأبو صادق أورده الإمام الذهبي : في $الميزان#[11] وقال: $أبو صادق الأزدي عن علي بن أبي طالب ط ... قال محمد بن سعد: يتكلمون فيه، وقال آخر لم يسمع من علي#.

ولذلك قال الحافظ المزي[12] : بأنه إذا روى عن $علي بن أبي طالب

---

(1) بل المنصوص في المطبوع من $الجامع لشعب الإيمان# (60/6): يزيد الرقاشي، وليس أبا يزيد الرقاشي. ويزيد هو: يزيد بن أبان الرقاشي البصري، ضعفه غير واحد، وقال عنه النسائي: $متروك الحديث#. انظر: الكامل في الضعفاء (257/7).

(2) السلسلة الصحيحة (1035/6 رقم 2928).

(3) هو: حماد بن محمد الأنصاري الخزرجي السعدي -نسبة إلى الصحابي سعد بن عبادة ط- (1343-1418 هـ)، محدث المدينة النبوية في عصره، من مؤلفاته: كشف الستر عما ورد في السفر إلى القبر، وتحفة القاري في الرد على الغماري. انظر للتوسع: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد الأنصاري لعبد الأول بن حماد الأنصاري.

(4) المفهوم الصحيح للتوسل، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية (العدد 42).

(5) كما حكاه في كن-ز العمال (259/4).

(6) المغني في الضعفاء (377/2 رقم 6807).

(7) التاريخ الكبير (218/8)، والضعفاء الصغير (ص 122 رقم 390).

(8) ميزان الاعتدال (324/4).

(9) لسان الميزان (361/8).

(10) كتاب الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (179/3 رقم 3622).

(11) (538/4).

(12) هو: جمال الدين يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزي أبو الحجاج (654-742 هـ)، العالم الحبر الحافظ محدث الديار الشامية، من مصنفاته: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، وتحفة الأشراف بمعرفة الأطراف. انظر: تذكرة الحفاظ (1498-1500/4).

يقال: مرسل#[1]. وأقره الحافظ ابن حجر : حيث ذكر أن أبا صادق أرسل عن علي بن أبي طالب[2].

فلا يُستغرَب إذاً أن يقول الحافظ ابن عبد الهادي : عن هذه الرواية: $هذا خبر منكر موضوع، وأثر مختلق مصنوع، لا يصلح الاعتماد عليه، لا يحسن المصير إليه، وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض#[3].

الخلاصة: إن هذه الحكاية ضعيفة جداً؛ اختلفت رواياتها اختلافًا لا يمكن الجمع بينها، وطرقها واهية مظلمة لا يمكن ترجيح رواية على أخرى.

تنبيه: هذه الحكاية على تسليم صحتها ليس فيها دليل شرعي يجب المصير إليه عند أهل العلم والإيمان، فقد ذكر العلماء الأدلة الشرعية وحصروها، وليس أحد منهم استدل على الأحكام برؤيا آحاد الأمة، لا سيما إذا تجردت عما يعضدها من الكتاب والسنة والإجماع والقياس. ولم يأت عن أحد من الأئمة من عهد الصحابة إلى آخر القرون المفضلة في هذا الباب ما يثبت، لا طلب الاستغفار ولا غيره.

ما دام أن هذه الحكاية ليست من سنة الرسول ح ولا فعل خلفائه الراشدين، وصحابته المكرمين، ولا من فعل التابعين، والقرون المفضلة، وإنما هي مجرد حكاية عن مجهول نقلت بسند ضعيف، فكيف يحتج بها في عقيدة التوحيد، الذي هو أصل الأصول؟! وكيف يحتج بها وهي تعارض الأحاديث الصحيحة التي نهي فيها عن الغلو في القبور، والغلو في الصالحين عموما ً، وعن الغلو في قبره، والغلو فيه ح خصوصا ً؟!

وأما من نقلها من العلماء أو استحسنها فليس ذلك بحجة تعارض بها النصوص الصحيحة وتخالف من أجلها عقيدة السلف، فقد يخفى على بعض العلماء ما هو واضح لغيرهم، وقد يخطئون في نقلهم ورأيهم، وتكون الحجة مع من خالفهم.

ثم كيف يتجاسر أحد أن يعارض نصوص كتاب الله وسنة رسوله ح بقول حكاه حاك مستحسنا ً له، والله سبحانه يقول: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼالنور: ٦٣.

قال الإمام أحمد: $عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓﭼ أتدري ما الفتنة؟. الفتنة: الشرك لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك#[4].

---

(1) تهذيب الكمال (412/33).
(2) تهذيب التهذيب (538/4).
(3) الصارم المنكي (ص 509).
(4) قال الشيخ صالح آل الشيخ في هذه مفاهيمنا (ص 82): $رواه عن أحمد ـ الفضل ـ بن زياد وأبو طالب، ولعله في كتاب $طاعة الرسول ح# لأحمد :#.

فطاعة رسول الله ح مقدمة على طاعة كل أحد، وإن كان خير هذه الأ
مة أبا بكر ط وعمر ط، كما قال ابن عباس م: $يوشك أن تن-زل عليكم حجارة من السماء أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون: قال أبو بكر وعمر#[1].

فكيف لو رأى ابن عباس هؤلاء الناس الذين يعارضون السنة الثابتة و الحجة الواضحة بقول أعرابي في قصة العتبى الضعيفة المنكرة.

إن السنة في قلوب محبيها أعظم وأغلى من تلك الحجج المتهافتة![2]

الحكاية الرابعة:

نص الحكاية: $جاء في كتاب $فتح الباري في شرح صحيح البخاري# تأليف ابن حجر العسقلاني الجزء الثالث الصفحة 148: عن أنس قال: جاء أعرابي إلى النبي ص م فقال: يا رسول الله أتيناك وما لنا بعير يئط وصبي يغط، ثم أنشد يقول: وليس لنا إلا إليك فرارنا * وأين فرار الناس إلا إلى الرسل. فقام يجر رداءه حتى صعد المنبر فقال: اللّهم اسقنا غيثاً. (رواه البيهقي في الدلائل)#[3].

قال سراج الدين عباس[4]: $يستفاد من هذا الحديث: جواز الاستغاثة بالإنسان عند حصول الضيق، كأن يقول: يا زميلي افرج عني هذا الضيق، أعِنِّي، وغيرها من الألفاظ المماثلة لها. إذاً لا يُمنع لمسلم في يوميته -إذا حصلت له مشكلة- أن يقول: يا الله، يا رسول الله! بشرط عدم اعتقاد كون النبي محمد مساوياً للرب#[5]، $وأن يعتقد أن المعطي في الحقيقة هو الله، وطلبنا للبشر مجرد فعل الأسباب#[6].

$لم يغضب النبي عندما سمع ذلك الشعر، إذ قال فيه ذلك الأعرابي: لا ملجأ عند حصول الكربات إلا إلى رسول الله. طبعاً مجيء الأعرابي إلى

---

(1) أخرجه بنحوه أحمد في مسنده (228/5 رقم 3121)، والخطيب في الفقيه و المتفقه (377/1 رقم 379)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضلة (344/2 رقم 2378، 2381) بلفظ "أراهم سيهلكون..."، وابن حزم في حجة الوداع (ص 268). وانظر: الصواعق المرسلة (1063/3)، وإعلام الموقعين (539/3)، وصحح إسناده محقق كتاب الفقيه والمتفقه.

(2) هذه مفاهيمنا (ص 81-83).

(3) Empat Puluh Masalah Agama (أربعون مسألة دينية) (144/1).

(4) هو: سراج الدين عباس بن عباس بن عبد الوهاب (1905-1980 م)، من ألد أعداء الدعوة السلفية، صنف مصنفات في محاربة أصولها. انظر ترجمته في نهاية كتابه Sejarah dan Keagungan Madzhab Syafi'i (تاريخ المذهب الشافعي وعظمته).

(5) المرجع السابق (ص 145).

(6) I'tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 332).

النبي هو من فعل الأسباب، ومن-زل الغيث في الحقيقة هو الله#[1].

$ويختص الرسول بجواز الاستغاثة به، بأن يقال عنده هذا الشعر:
وليس لنا إلا إليك فرارنا . وأين فرار الناس إلا إلى رسول الله#[2].

تخريج الحكاية: هذه الحكاية رواها الطبراني في $كتاب الدعاء# (1775-1777/3 رقم 2180)، والبيهقي في $دلائل النبوة# (141/6) بأسانيدهم عن أحمد بن رشد بن خثيم، ثنا أبو معمر سعيد بن خثيم عمي، عن مسلم الملائي، عن أنس بن مالك ط قال جاء أعرابي إلى النبي ح، ثم ذكر الحكاية بطولها.

الحكم عليها: في سند هذه الحكاية آفات منها:

الآفة الأولى: فيه مسلم الملائي -وهو مسلم بن كيسان الضبي المُلائي البرّاد الأعور أبو عبدالله الكوفي- وقد ضعفه علماء الجرح والتعديل.

قال الفلاس[3]: $متروك الحديث#، وقال أحمد: $لا يكتب حديثه#، وقال ابن معين: $ليس بثقه#، وقال أيضا ً: $زعموا أنه اختلط#، وقال البخاري: $يتكلمون فيه#، وقال النسائي وغيره: $متروك#، وقال الذهبي: $روى حديث الطائر الذي أهدته أم أيمن لرسول الله ح، وحديث الطائر موضوع عند أهل الحديث#[4]، وقال ابن حجر: $ضعيف#[5].

الآفة الثانية: هذه الحكاية مما تفرد به مسلم الملائي عن أنس بن م الك ط. وقد أشار إلى هذا التفرد الإمام ابن عبد البر والحافظ ابن كثير -رحمهما الله-.

قال ابن عبد البر :: $وقد روي حديث أنس هذا عنه ثابت البناني[6]، وحميد الطويل، وإسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، ليس في حديث واحد شيء من الشعر#[7].

وقال الحافظ ابن كثير : بعد أن ساق هذه الحكاية: $وهذا السياق فيه غرابة، ولا يشبه ما قد ّمنا من الروايات الصحيحة المتواترة عن أنس#[8].

---

(1) المرجع السابق.
(2) المرجع السابق.
(3) هو: عمرو بن علي بن بحر أبو حفص البصري الفلاس (ت 249 هـ)، من حفاظ الحديث الثقات. انظر: تهذيب التهذيب (293/3).
(4) انظر: ميزان الاعتدال (106-107/4)، والتاريخ الكبير (271/7)، والضعفاء الصغير (ص 111 رقم 343).
(5) التقريب (رقم 6685).
(6) هو: ثابت بن أسلم البُناني أبو محمد البصري (ت سنة بضع وعشرين ومائة)، ثقة. انظر: التقريب (رقم 818).
(7) الاستذكار (434/2 -ط. دار الكتب العلمية).
(8) البداية والنهاية (598/8).

فالخلاصة: أن هذه الحكاية ضعيفة جداً، وقد أشار إلى ضعفها الحافظ ابن عدي : في ترجمة سعيد بن خثيم[1] -أحد رواة سند هذه الحكاية- حيث قال: $وقد روى سعيد هذا الحديث الذي ذكرته[2] وغير ما ذكرت أحاديث ليست بمحفوظة من رواية أحمد بن رشد عنه. ثم ذكر : عقب هذا الكلام الحكاية التي معنا#[3].

تنبيهان:

أولا ً: مع ضعف هذه الحكاية سنداً فهي لا تدل على ما زعمه بعض المخالفين من جواز الاستغاثة بالرسول ح بعد وفاته.

واستدلالهم بالقصة على ذلك من أغرب ما يكون من الاستدلالات؛ إذ لفظ الحكاية ومعناها -مع ضعفها- لا يدل عليه البتة. فهي لا تدل إلا على طلب الدعاء من الرجل الصالح الحي الحاضر، وهنا طلبُ الأعرابي من النبي ح أن يستسقي ربه ، وهذا الفعل من التوسل الشرعي الذي دلت عليه الأدلة الصحيحة[4]، فلا إشكال فيه!

فإن العلماء الذين أوردوا هذه الحكاية في كتبهم، لم يوردوها إلا في باب الاستسقاء، مما يدل دلالة واضحة على أن هذه الحكاية لا تدل إلا على ذلك. وزيادة في التوضيح على ما ذكرت؛ أذكر بعضَ العلماء الذين أوردوا هذه القصة في مصنفاتهم مع ما استنبطوه منها:

- الإمام الطبراني واستنباطه: $باب أمر الإمام الناس في الخروج إلى ا لاستسقاء في يوم بعينه#[5].
- العلامة الماوردي الشافعي واستنباطه: $باب صلاة الاستسقاء#[6].
- الحافظ ابن عبد البر المالكي واستنباطه: $باب ما جاء في الا ستسقاء#[7].
- العلامة علاء الدين الكاساني الحنفي[8] واستنباطه: $فصل في صلاة

---

(1) قال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب (رقم 2308): $صدوق رمي بالتشيع، له أغاليط#.

(2) أي حديث $النبي في الجنة، والصديق في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة، والنفساء في الجنة، والرجل يزور أخاه في جانب المصر في الله في الجنة#.

(3) انظر: الكامل في الضعفاء (408/3).

(4) انظر ما سيأتي في مبحث التوسل (ص 379 وما بعدها).

(5) الدعاء (1769/3 رقم 2170).

(6) الحاوي الكبير (513/2).

(7) الاستذكار (434/2).

(8) هو: أبو بكر بن مسعود بن أحمد علاء الدين الكاساني (ت 587 هـ)، فقيه حنفي، من أهل حلب، له: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، وغيره. انظر: الجواهر المضية

الاستسقاء#[1].

- الحافظ ابن حجر[2] وكذا العيني[3] وإيرادهما القصة تحت تبويب الإمام البخاري $باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا#.
- محمد بن يوسف الشامي[4] واستنباطه: $الباب السادس: في استسقائه ح ربه لأمته حين تأخر عنهم المطر وكذلك استصحاؤه#[5].
- المتقي الهندي[6] واستنباطه: $صلاة الاستسقاء#[7].

هذا غيض من فيض فهوم أولئك الأعلام مع اختلاف عصورهم؛ فلم يستنبط أحد منهم من هذه القصة جوازَ الاستغاثة بالنبي ح بعد وفاته! يا له من فقه غاب عن الأمة بضعة عشر قرناً، حتى ظهر هؤلاء المبتدعة فأدركوه!

أما اشتراط المخالف لجواز الاستغاثة بالرسول $عدم اعتقاد كون النبي محمد مساوياً للرب# فهو غلط واضح وخطأ فاضح! إذ فعل الاستغاثة بالميت وحده شرك[8]، وإن لم يصحبه اعتقاد تساوي المخلوق للرب، أما إذا صحبه ذلك الاعتقاد فهو كفر إلى كفر، وظلمات بعضها فوق بعض!

ثانيا: الرد على قول بعض المخالفين: $لم يغضب النبي عندما سمع ذلك الشعر، إذ قال فيه ذلك الأعرابي: لا ملجأ عند حصول الكربات إلا إلى

(25-28/4)، وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء للشيخ محمد راغب الطباخ (305/4).

(1) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (713/2).

(2) انظر: فتح الباري (494/2-495).

(3) انظر: عمدة القاري (43/7). والعيني هو: محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد أبو محمد بدر الدين العينى الحنفي (762-855 هـ)، مؤرخ من كبار المحدثين. من مصنفاته: عمدة القاري، والبناية في شرح الهداية. انظر: التبر المسبوك في ذيل السلوك للسخاوي (ص 375)، والضوء اللامع (131/10-135).

(4) هو: شمس الدين محمد بن يوسف بن علي الشامي الشافعي (ت 942 هـ)، عالم متفنن في العلوم، صاحب المؤلفات الكثيرة منها: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، وعقود الجمان في مناقب أبي حنيفة. انظر: شذرات الذهب (250/8-251)، والأعلام (155/7).

(5) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (612/9).

(6) هو: علي بن عبد الملك الهندي ثم المدني فالمكي علاء الدين الشهير بالمتقي (888-975 هـ)، فقيه، من علماء الحديث، له مؤلفات في الحديث وغيره منها: كنـز العمال في سنن الأقوال والأفعال، و المواهب العلية في الجمع بين الحكم القرآنية والحديثية. انظر: الأعلام (309/4).

(7) كنـز العمال (431/8).

(8) مضى تقرير هذا الحكم بأدلته في (ص 224 وما بعدها).

رسول اللّه#[1].

قبل الجواب عن هذا الكلام، لا بد من معرفة معنى قول الأعرابي $وليس لنا إلا إليك فرارنا * وأين فرار الناس إلا إلى الرسل#؟ هل المقصود بالفرار إلى الرسل هو: أن يلجأ الناس ويستغيثون في ملماتهم بالرسل حتى بعد وفاتهم، أم المقصود بالفرار إلى الرسل: طلب الدعاء منهم في حياتهم عند حصول الملمات حتى يرفع اللّه عنهم ذلك؟

فالذي يدل عليه سياق القصة هو المعنى الثاني، إذ النبي ح لم يفهم من قول الأعرابي إلا ذلك؛ حيث قام ح يجر رداءه حتى صعد المنبر وقال: اللّهم اسقنا غيثاً، فور سماعه لقول الأعرابي.

فلذلك بوّب الحافظ البيهقي : هذه القصة بقوله: $جماع أبواب **دعوات نبينا** ح#[2]. فدل على أن الأعرابي إنما قصد بأشعاره: طلب الدعاء من الرسول ح لا غير.

وقال الحافظ ابن حجر :: $وقد علم من بقية الأحاديث أنه صلى اللّه عليه وسلم إنما **استسقى إجابة لسؤال من سأله** في ذلك، كما في حديث ا بن مسعود ط الماضي[3] وفي حديث أنس ط الآتي[4] وغيرهما من الأ حاديث، وأوضح من ذلك ما أخرجه البيهقي في $الدلائل# من رواية مسلم الملائي عن أنس قال جاء رجل أعرابي إلى النبي ح، ثم ذكر القصة التي معنا#[5].

أوضح الحافظ : أن أشعار الأعرابي هي سؤال للرسول ح أن يستسقي لأمته.

إذا تبين من هذا العرض أن المراد من كلام الأعرابي بالفرار إلى الرسول إنما هو طلب الدعاء منه ح حال حياته؛ فلا داعي للنبي ح أن يغضب حين سماعه لقول ذلك الأعرابي؛ لأنه لم يقل منكراً من القول، بل

---

(1) I'tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 332).

(2) دلائل النبوة (83/6، 139).

(3) وهو حديث (رقم 1007) من صحيح البخاري (492/2 -الفتح): عن مسروق ق ال: كنا عند عبد اللّه ط فقال: إن النبي ح لما رأى من الناس إدبارا ً قال: $اللّهم س ْبع كسبع يوسف#. فأخذتهم سنة حص ّت كل ّ شيء حتى أكلوا الجلود و الميتة والجيف وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع. فأتاه أبو سفيان فقال: يا محمد إنك تأمر بطاعة اللّه وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا فادع اللّه لهم... إلخ.

(4) وهو حديث (رقم 1010) من صحيح البخاري (494/2 -الفتح): عن أنس ط: $أن عمر بن الخطاب ط كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب. فقال: اللّهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال: فيسقون#.

(5) فتح الباري (495/2).

تكلم بأمر مشروع؛ وهو طلب الدعاء من القادر الحي الحاضر. فقول هذا المخالف إنما هو صادر ممن لم يستضئ بفهم الأعلام في معالجة النصوص، كما هو شأن المبتدعة في كتبهم، وإلى الله المشتكى...

المبحث الثالث: النذر

وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: معنى النذر وأنواعه
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في النذر
المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

المطلب الأول: معنى النذر وأنواعه

- **معنى النذر:**

أصل الكلمة: النذر مشتق من أصل لغوي ثلاثي هو $نَذَرَ#[1].

تصريفها: النذر على وزن $فَعْل#، وهو مصدر قياسي للفعل $نَذَرَ#، ومضارعه: $يَنْذُرُ# أو $يَنْذِرُ# من باب $نصر وضرب#، والجمع نُذُور[2].

معناها لغة: من معاني مادة $نَذَرَ# اللغوية:

- النَّحْبُ، يقال: نذر فلان على نفسه نذر، أي جعل على نفسه نَحْباً واجباً.
- التحذير والتخويف والإعلام بالأمر، يقال: أنذره يُنْذِرُه إنذاراً، إذا خَوّفه وحذّره، وتناذر القوم، أي خوّف بعضهم بعضاً[3].

والمعنى الأول ألصق بالمعنى الشرعي، كما سيأتي.

معناها شرعاً: للنذر في الشرع إطلاقان[4]:

أحدهما: إطلاق عام: وهو القيام بجميع العبادات الواجبة.

بيّن قتادة : قوله تعالى: ﭼ ﭙ ﭚ ﭼالإنسان: ٧ بقوله: $بما فرض الله عليهم؛ من الصلاة والزكاة، والصوم، والحج والعمرة، وغيره من الواجبات#[5].

قال الشيخ ابن عثيمين :: $واعلم أن النذر الذي امتدح الله هؤلاء القائمين به، هو جميع العبادات التي فرضها الله ، فإن العبادات الواجبة إذا شرع فيها الإنسان فقد التزم بها، ودليل ذلك قوله تعالى: ﭼ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﭼالحج: ٢٩ #[6].

ثانيهما: إطلاق خاص -وهو الذي يعنينا في هذا المطلب- وتعريفه: **$أن يُوجِب [المرء] على نفسه قُرْبَةً لم يوجبها الشرع عليه#**[7].

قال الإمام الطبري :: $يعني بالنذر: ما أوجبه المرء على نفسه تبـرُّراً في طاعة الله، وتقرُّباً به إليه من صدقة أو عمل خير#[8].

---

(1) مقاييس اللغة (414/5).
(2) انظر: تصريف الأسماء (ص 51)، والمغني في تصريف الأفعال (ص 142، 148)، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف (ص 374)، ومعجم تصريف الأفعال العربية (ص 125، 144).
(3) انظر: الصحاح (825-826/2)، ولسان العرب (100-102/14)، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف (ص 374).
(4) انظر: المصطلحات المستعملة في توحيد الألوهية عند السلف (ص 305).
(5) تفسير القرطبي (457/21).
(6) شرح ثلاثة الأصول (ص 63).
(7) التهذيب في فقه الإمام الشافعي للبغوي (150/8).
(8) تفسير الطبري (13/5).

وقال النووي :: $هو: أن يلتزم قربة في مقابلة حدوث نعمة أو اندفاع بلية#[1].

وقال الجرجاني :: $النذر: إيجاب عين الفعل المباح على نفسه تعظيماً لله تعالى#[2].

- أقسام النذر:

ينقسم النذر باعتبار المنذور له إلى قسمين:

أولا ً: نذر لله، وهو نوعان:

النوع الأول: نذر طاعة، وهو أن يوجب العبد على نفسه فعل طاعة من الطاعات المستحبة والمندوبة، فيجب عليه الوفاء به، فيصبح المستحب والمندوب في حقه واجباً، أو يوجب على نفسه ترك المكروهات فتكون محرمة عليه، كما قال ح: $من نذر أن يطيع الله فليطعه#[3].

النوع الثاني: نذر معصية، وهو أن يوجب العبد على نفسه فعل معصية -من ترك مأمور أو فعل محظور-؛ فهذا لا يجوز الوفاء له لكونه نذر به؛ إذ النذر لا يجعل المحرم جائزاً، فضلا ً عن كونه واجباً، فالمحرّم محرّم وإن نذر به وأوجبه على نفسه، كما قال رسول الله ح: $ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه#[4].

ثانياً: نذر لغير الله، مثل أن يقول: لفلان عليّ نذر، أو لهذا القبر عليّ نذر، أو لجبريل عليّ نذر، يريد بذلك التقرب إليهم وما أشبه ذلك. وحكم النذر لغير الله باطل وهو شرك؛ لأنه عبادة للمنذور له. وليُعلَم أن النذر قربة و القُرَب إنما يُتَقرّب بها إلى الله تعالى، لا إلى خلقه[5].

والفرق بين النذر لغير الله وبين نذر المعصية:

أولا ً: أن النذر لغير الله ليس لله أصلا ً، ونذر المعصية لله، ولكنه على معصية من معاصيه، مثل أن يقول: لله علي نذر أن أفعل كذا وكذا من معصية الله؛ فيكون النذر لله والمنذور معصية، ونظير هذا: الحلف بالله على شيء محرم، والحلف بغير الله؛ فالحلف بغير الله مثل: والنبي، لأفعلن كذا وكذا، ونظيره النذر لغير الله،، والحلف بالله على محرم، مثل: والله لأ سرقن، ونذيره نذر المعصية. وحكم النذر لغير الله شرك؛ لأنه عبادة للمنذور له، وإذا كان عبادة فقد صرفها لغير الله؛ فيكون مشركاً.

والفرق الثاني: هذا النذر لغير الله لا ينعقد إطلاقاً، ولا تجب فيه كفارة،

---

(1) روضة الطالبين (560/2).
(2) التعريفات (ص 295).
(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية (585/11 رقم 6700 -الفتح) من حديث عائشة ك.
(4) الحديث جزء من الحديث السابق تخريجه من حديث عائشة ك.
(5) انظر: الفتاوى الكبرى الفقهية، لابن حجر الهيتمي (256/4، 278، 282، 284).

بل هو شرك تجب التوبة منه؛ كالحلف بغير اللّٰه، فلا ينعقد وليس فيه كفارة.
وأما نذر المعصية؛ فينعقد، لكن لا يجوز الوفاء به، وعليه كفارة يمين على الصحيح؛ كالحلف باللّٰه على المحرّم ينعقد، وفيه كفارة[1].

(1) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (245/1).

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في النذر

سبق أن بينت في المطلب الأول أن النذر هو: $أن يُوجِب المرء على نفسه قُربَةً لم يوجبها الشرع عليه#، وأنه عبادة لا يجوز صرفها إلا لله؛ وأن من صرفها لغيره سبحانه فقد وقع في الشرك الأكبر، والعياذ بالله.

وفيما يلي أذكر أمثلة واقعية لانحراف بعض مسلمي إندونيسيا في باب النذر:

المثال الأول: ما رأيته في فيلم وثائقي عن برنامج سنوي لزيارة بعض المسلمين لقبر الشيخ برهان الدين[1] في قرية Ulakan (أُوْلَكَنْ) بمنطقة Pariaman (فَرِيَمَنْ) بسُوْمَطْرَا الغربية، وذلك في شهر صفر من كل سنة؛ فقد رأيت فيه ازدحام المسلمين في تقديم النذور لقبر المذكور، وهي متنوعة ما بين أرز وغنم ومبالغ ماليّة، وصرّح بعض القائمين على ذلك البرنامج بأن المبالغ المجمّعة في مثل ذلك الوقت تبلغ ما يقارب 32 مليون روبية!

المثال الثاني: ما أخبرني به بعض سدنة ضريح الملك الصالح بمنطقة Aceh Utara (أتشيْهْ الشمالية) -لما زرت هذا الضريح في 10 من أغسطس 2007 م- من إيفاء بعض الناس نذورهم بمكان قُربَ هذا الضريح في مواسم معيّنة.

المثال الثالث: نذر بعض المسلمين إذا ما قبل الله تعالى طلباتهم، بتقديم بعض أنواع الأطعمة لمقبرة الأبطال الثمانية بقرية Blang Tambue (بلَنْج تمْبُوْئِي) بمنطقة Aceh Utara (أتشِيْهْ الشمالية).

المثال الرابع: ما ذُكر في أحد الكتب التي تعنى بذكر مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني[2] المنتشرة في بعض مناطق إندونيسيا: $مَن ذكر اسمه الشريف بغير وضوء يضيق عليه رزقه. ومن نذر هدية إلى حضرته فلا بد من الوفاء لئلا يقع في الجفاء. ومن أهدى ليلة الجمعة حلواً إلى حضرة روحه وقرأ الفاتحة وقسمه على الفقراء واستمد من حضرته يمد بإمدادات كثيرة. ومن قرأ الفاتحة لحضرته في بعض الأحيان على طعامه من ماله فتح له عقد الدارين#[3].

فالكلمة الثانية $ومن نذر إهداء شيء لعبد القادر فعليه الوفاء؛ وإلا

---

(1) هو: برهان الدين أولكن (1606-1691 م)، من كبار رجال الدين بمييننجكابو، مؤسس الطريقة الشطرية، تتلمذ على عبد الرؤوف السنكلي. انظر: Riwayat Hidup Ulama Sumatera Barat dan Perjuangannya (سير علماء سومطرة الغربية وكفاحهم) لفريق بالمركز الإسلامي بسومكرة الغربية (ص 25-45).

(2) وهو كتاب $تفريج الخاطر في مناقب عبد القادر# لمحيى الدين اليابلي (ص 15).

(3) Bid'ah-Bid'ah di Indonesia (البدع في إندونيسيا) (ص 205).

سيقع في ضلالة# جمعت بين شرّين: شر نذر شيء لغير اللّه، وشر اعتقاد حصول الضرر على من لم يف بذلك النذر الشركي. والعياذ باللّه!

المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

النذر في أصله -عند أكثر أهل العلم- مكروه قبل عقد النية[1]، ولكنه عند عقدها أصبح ملزماً بها وأصبحت عبادة واجبة بحقه، وعندما يلتزم الإ نسان بأداء ما أوجبه على نفسه فإنه يحمد ويشكر، وأدلة كونه عبادة كثيرة[2]:

قال تعالى: ﭽﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢﭼالإنسان: ٧، وهنا نجد الله قد مدح هؤلاء الذين وفوا بالنذر؛ فدل على أنه بعدما أوجبه الإنسان على نفسه أصبح عبادة واجبة.

قال ابن العربي :: $يوفون بما اعتقدوه بما عقدوه على أنفسهم، ولا ثناء أبلغ من هذا، كما أنه لا فعل أفضل منه؛ فإن الله قد ألزم عبده وظائف، وربما جهل العبد عجزه عن القيام بما فرض الله عليه، فنذر على نفسه نذراً، فيتعين عليه الوفاء به أيضاً، فإذا قام بحق الأمرين، وخرج عن واجب النذرين، كان له من الجزاء ما وصف الله في آخر السورة#[3].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ :: $ ﭽﭙ ﭚ ﭼ وجه الدلالة من الآية على الترجمة[4]: أن الله تعالى مدح الموفين بالنذر، والله تعالى لا يمدح إلا على فعل واجب أو مستحب، أو ترك محرم، لا يمدح فعل المباح المجرد، وذلك هو العبادة، فمن فعل ذلك لغير الله متقرباً إليه فقد أشرك#[5].

من الأدلة على كون النذر عبادة قوله تعالى: ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡﭼالبقرة: ٢٧٠ .

قال ابن كثير :: $يخبر تعالى بأنه عالم بجميع ما يفعله العاملون من الخيرات، من النفقات والمنذورات، وتضَمّن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين لذلك ابتغاء وجهه ورجاء موعوده. وتوعد من لا يعمل بطاعته، بل خالف أمره وكذب خبره وعبد معه غيره، فقال: ﭽﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠﭼ أي: يوم القيامة ينقذونهم من عذاب الله ونقمته#[6].

---

(1) انظر: المغني لابن قدامة (621/13)، والمحلى لابن حزم (329/8)، ومغني المحتاج للشربيني (474/4)، ودليل الطالب لنيل المطالب لمرعي الكرمي (ص 540)، وسبل السلام، كتاب الأيمان والنذور (364/4)، وكتاب الأيمان والنذور، للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس (ص 132).
(2) استفدت في سياقة هذه الأدلة من كتاب بدع القبور (ص 465-466).
(3) أحكام القرآن (353/4).
(4) ترجمة الباب هي: $باب من الشرك النذر لغير الله#.
(5) تيسير العزيز الحميد (ص 161).
(6) تفسير ابن كثير (701/1).

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله :: $وجه الدلالة من الآية على الترجمة أن الله تعالى أخبر بأن ما أنفقناه من نفقة أو نذرناه من نذر متقربين بذلك إليه أنه يعلمه ويجازينا عليه؛ فدل ذلك أنه عبادة، وبالضرورة يدري كل مسلم أن من صرف شيئا ً من أنواع العبادة لغير الله فقد أشرك#[1].

ومن الأدلة من السنة النبوية: ما رواه الإمام أحمد وغيره عن كرْدَم بن سفيان[2] ط أنه سأل رسول الله ح عن نَذْرٍ نَذِرَ في الجاهلية، فقال له النبي ح: $أَلِوَثَنٍ أو لِنُصُب؟ قال: لا، ولكن لله تبارك وتعالى، قال: فأوف لله تبارك وتعالى ما جعلتَ له#[3].

فقد استفسر ح من السائل: لمن كان نذره؟ فإن كان لله تعالى يجب عليه الوفاء وإن كان لغيره فلا يجوز الوفاء به.

وأكد ح وجوبَ إخلاص النذر لله وحده في حديث آخر بقوله: $إنما النذر ما ابتُغِي به وجه الله عز وجل#[4].

هذه طائفة من أدلة الكتاب والسنة جاءت مصرحة بأن النذر عبادة فلا يجوز صرفها إلا لله سبحانه وتعالى وحده.

ثم ليُعلم أن النذر لا يقع من العبد إلا في حال من الذلة والخضوع وتلمّسٍ للسبل التي يحسب أنها مقربة للمنذور له، وهذه المعاني العظام لا يُرتاب في كونها من صميم العبادة[5]، ومن ثم فإن علماء الإسلام قد صرحوا بمنع صرف النذر لأحد غير الله ، وفيما يلي أسوق لكم نبذة من أقوالهم[6]:

يقول الأذرعي[7] :: $وأما النذر للمشاهد التي بنيت على قبر ولي أو

---

(1) تيسير العزيز الحميد (ص 161).

(2) هو: كردم بن سفيان بن أبان الثقفي، قال البخاري وابن السكن وابن حبان: "له صحبة". انظر: الإصابة (253/9-254 –ط. دار هجر).

(3) رواه أحمد في مسنده (195/24 رقم 15456)، وابن ماجه في سننه، كتاب الكفارات، باب الوفاء بالنذر (ص 367 رقم 2131) واللفظ لأحمد. وقواه الشيخ الألباني كما في التعليقات الرضية على الروضة الندية لصديق حسن خان (17/3).

(4) رواه أحمد في مسنده (324/11 رقم 6714)، وأبو داود في سننه، كتاب الأيمان والنذور، باب اليمين في قطيعة الرحم (446/2 رقم 2192) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، واللفظ لأحمد. وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (318/2 رقم 3273)، وحسنه محققوا المسند.

(5) انظر: جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة (ص 373-374).

(6) استفدت في جمع تلك الأقوال مع التعليق عليها من المرجع السابق (ص 497-502).

(7) هو: أبو العباس أحمد بن حمدان بن أحمد الأذرعي الشافعي (708 - 783 هـ)، شيخ البلاد الشامية، وقد شرح منهاج النووي في كتابين حجمهما متقارب، أحدهما

شيخ، أو على اسم من حـ ـلَّ ـهَا من الأولياء، أو تـ ـرَدَّد في تلك البقعة من الأولياء والصالحين، فإن قـ ـصَـ ـدَ الناذر بذلك -وهو الغالب أو الواقع من قصود العامة- تعظيم البقعة والمشهد والزاوية، أو تعظيم من دُفن بها أو نُسبت إليه، أو بُنيت على اسمه، فهذا النذر باطل غير منعقد، فإن معتقـ ـدَهم أن لهذه الأماكن خصوصيات لأنفسها، ويرون أنها مما يُدفَع به البلاء ويُستجلب به النعماء، ويُستشفى بـ النذر لها من الأدواء، حتى إنهم ينذرون لبعض الأحجار لما قيل لهم: إنه جلس إليها أو استند إليها عبد صالح، وينذرون لبعض القبور السُّرُج والشموع والزيت، ويقولون: القبر الفلاني أو المكان الفلاني يقبل النذر، يعنون بذلك أنه يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريض، أو قدوم غائب وسلامة مال، وغير ذلك من أنواع نذر المجازاة[1]، فهذا النذر على هذا الوجه باطل لا شك فيه#[2].

فأبان : أن مقصد الناذرين للبقاع مقصد شركي سيئ؛ لأنه مرتبط عندهم باعتقاد وجود خواص مركوزة فيها، بها يُستَدفع الضر ويُستَجْلب النفع، وهذا ما أرادوه بقولهم: إن موضع كذا يقبل النذر.

فمن أجل ذلك قطع الأذرعي : ببطلان هذه النذور؛ لما تضمنته من الا عتقاد الفاسد الذي لا يُرتاب في أنه شرك وضلال، كما صرّح بذلك ابن النحاس[3] : أثناء كلامه على البدع والمحدثات فقال: $ومنها إيقادهم السُّرج عند الأحجار والأشجار والعيون والآبار، ويقولون أنها تقبل النذر،

غنية المحتاج، والثاني قوت المحتاج، وفي كل منهما ما ليس في الآخر. انظر: الدرر الكامنة (125/1-128)، وطبقات ابن هداية الله (ص 237).

(1) قسّم بعض العلماء النذر إلى نوعين: أولاً- نذر المجازاة ويسمى النذر المعلق ونذر المعاوضة، لأن الناذر يُعَلِّق فعل الطاعة على تحقق أمر يريده، فهو كالمعَاوض بطاعته، مثاله أن يقول: إن شفى الله مريضي فلله علي أن أعتق رقبة. ثانياً- نذر المُنجَز وهو الذي ينشئه الناذر ابتداءً ولا يُعلِّقه على شيئ، ويسمى النذر المطلق، مثاله أن يقول: لله علي أن أتصدق. انظر لمزيد من التفصيل: الحاوي الكبير (464/15-467)، والتهذيب للبغوي (150/8-151)، والمجموع (444/8-445)، وإحكام الأحكام لابن دقيق العيد (154/4).

(2) نقله الشيخ سليمان بن عبد الله في كتاب تيسير العزيز الحميد (ص 162-163) عن شرح المنهاج. وقد تقدم في ترجمة الأذرعي أن له على المنهاج شرحين هما قوت المحتاج وغنية المحتاج، وكلاهما لا يزال مخطوطاً كما أشار الزركلي في الأع لام (119/1)، وقد أشار ابن حجر الهيتمي في فتاواه (280/4، 282) إلى كلام ا لأذرعي هذا. وإنما نقلته من كتاب تيسير العزيز الحميد، مع تأخر زمن مؤلفه عن الهيتمي؛ لأن صاحب التيسير ساقه بتمامه.

(3) هو: محي الدين أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن النحاس الدمشقي ثم الدمياطي الشافعي (ت 814 هـ)، برز في عدد من الفنون، وصنف جملة من المصنفات منها: تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين، ومشارع الأسواق إلى مصارع العشاق. انظر: الضوء اللامع (203/1-204)، شذرات الذهب (105/7).

وهذه كلها بدع شنيعة ومنكرات قبيحة يجب إزالتها ومحو أثرها، **فإن أكثر الجهال يعتقدون أنها تضر وتنفع وتجلب وتدفع وتشفي المرض وترد الغايب إذا ثُذر لها، وهذا شرك ومُحادّة لله ولرسوله** ح#[1].

ونظيره قول الحافظ ابن كثير : في سياق ذكر أحداث سنة أربع وسبعمائة $راح الشيخ تقي الدين ابن تيمية إلى مسجد التّارَنْج[2] وأمر أصحابه ومعهم حجّارون بقطع صخرة كانت هناك بنهر قلوط[3]، تُزار ويُنذر لها، فقطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك بها، فأزاح عن المسلمين شبهة كان شرها عظيماً#[4].

فوصف النذر الذي يفعله زُوّار هذه الصخرة بأنه شرك، وما ذاك إلا لما علمه من حال أولئك الغلاة الذين لبِّس عليهم، حتى أضحت هذه الصخرة الصمّاء أحد مصادر الشر التي قطعُها حفظٌ لاعتقاد الناس من الضلال.

ولما فرغ السويدي : من الكلام على أحكام النذر المعروفة قال: $بقي عندنا صورة أخرى عليها مدار الناس في هذا الزمان، **وهو النذر لغير الله، كـ النذر لإبراهيم الخليل أو النبي ح أو النذر للأموات الصالحين**، فقد جرَت هذه العادة الخبيثة في هذا الوقت من نذر الطعام والزيت والشموع و القرابين لأهل القبور من الأموات...# ثم ساق كلام العلماء في ذلك، ناقلاً عن غير واحد منهم التشديد والإنكار على من فعل هذا الصنيع، ثم نقل قولاً لم يسمِّ قائلَه، ختم به الكلام في المسألة مقرًّا له، وذلك المنقول هو: $لو نذر للأنبياء أو للأولياء أو للملائكة **فلا خلاف بين من يعلم ذلك ويتنبه أنه من شرك الاعتقاد**؛ لأن الناذر لم ينذر هذا النذر إلا لاعتقاده في المنذور له أنه يضر وينفع ويعطي ويمنع، إما بطبعه وإما بقوة السببية فيه#[5].

ولا ريب أن هذا هو واقع أولئك الناذرين، فإن نذرهم المذكور ناشئ عن أصل وهو الغلو، فإن الغلو حين أداهم إلى الاعتقاد الفاسد تفرع عنه صور من الشرك، منها هذه النذور المبتدعة.

وجاء في $فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية#[6]: $النذر نوع من أنواع العبادة التي هي حق لله وحده، لا يجوز صرف شيء منها لغيره، فمن نذر لغيره فقد صرف نوعًا من العبادة التي هي حق الله تعالى لمن نذر له، ومن صرف نوعًا من أنواع العبادة نذرًا

---

(1) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين (ص 522).
(2) النارنج ثمر، مُعرّب نارنك، كما في القاموس المحيط (ص 207).
(3) القلوص: نهر جار تنصب إليه الأقذار والأوساخ، وأهل الشام يسمونه القلوط. انظر: تاج العروس (124/18).
(4) البداية والنهاية (46/18).
(5) العقد الثمين (ص 218-220) نقلاً عن جهود الشافعية (ص 500-501).
(6) (110/1).

أو ذبحًا أو غير ذلك لغير الله يعتبر مشركًا مع الله غيره، داخلا ً تحت عموم قول الله سبحانه وتعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ[المائدة: ٧٢]#.

وجاء في $فتاوى الأزهر الشريف#[1]: $النذر لأصحاب الأضرحة والأ ولياء والصالحين باطل بالإجماع؛ لأنه نذر لمخلوق وهو غير جائز لأن النذر عبادة وهى لا تكون لمخلوق أبدا ً، ولأن المنذور له ميت والميت لا يملك#.

هذا في حكم من نذر لغير الله ، أما من نذر لله لكن يقوم بتوزيع نذره عند القبور والأضرحة؛ فهذا بدعة في الدين محدثة، وقد يكون وسيلة من وسائل الشرك، يخشى على صاحبه[2].

فإن النبي ح قد نهى عن الوفاء بالنذر لله في مكان فيه عيد من أعياد الجاهلية، أو فيه وثن من أوثانهم؛ سداً للذريعة، وتركاً لمشابهة المشركين، ومنعاً مما هو وسيلة إلى ذلك[3]. عن ثابت بن الضحاك ط قال: $نذر رجل أن ينحر إبلا ً ببوانة، فسأل النبي ح، فقال: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟ قالوا: لا، قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا، فقال رسول الله ح: أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم#[4].

يقول ابن النحاس :: $وأما الذبح على القبر؛ فإن سلم من المقاصد الفاسدة فهو بدعة مكروهة من أعمال الجاهلية#[5].

بعض الشبه والجواب عنها:

هناك بعض الشبه يثيرها دعاة السوء وبعض الجهلة لتبرير هذه الأ عمال الشركية، ومن تلك الشبه:

الشبهة الأولى:

قولهم: نحن إذا نذرنا للأولياء فإن نذرنا في الحقيقة لله تعالى، وإنما قصدنا إيصال ثواب نذرنا للأولياء.

والرد عليها من وجهين[6]:

الوجه الأول: هذه من الشبه التي يحتالون بها على البسطاء، وهي واهية؛ لأن الواقع يكذبهم، والحقيقة تخالفهم، فهو عندما ينذر يقول للولي: مني كذا وكذا إذا شفي مريضي أو حصلت حاجتي، ولو كان لله تعالى لقال:

---

(1) فتاوى الأزهر الشريف (198/6).
(2) انظر: بدع القبور (ص 470)، والمنتقى من فتاوى الشيخ الفوزان (190/1).
(3) فتح المجيد (ص 187).
(4) مضى تخريجه في (ص 53).
(5) تنبيه الغافلين (ص 489).
(6) بدع القبور (ص 470-471) بتصرف وزيادة.

لله علي كذا وكذا؛ ولكن جعل هذا الولي وغيره شريكاً لله ينذر له كما ينذر لله تعالى.

يقول العلامة أبو الثناء الآلوسي : مبيناً بطلان الشبهة السابقة لكون واقع أولئك يكذبها: وفي قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭼ الحج: ٧٣: $إشارة إلى ذم الغالين في أولياء الله تعالى، حيث يستغيثون بهم في الشدة غافلين عن الله تعالى، وينذرون لهم النذور. والعقلاء منهم يقولون: إنهم وسائلنا إلى الله تعالى، وإنما ننذر لله لأ ونجعل ثوابه للولي. ولا يخفى أنهم في دعواهم الأ ولى أشبه الناس بعبدة الأصنام القائلين ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ[الزمر: ٣]، ودعواهم الثانية لا بأس بها لو لم يطلبوا منهم بذلك شفاء مريضهم أو رد غائبهم أو نحو ذلك، والظاهر من حالهم الطلب، ويرشد إلى ذلك، أنه لو قيل: انذروا لله تعالى واجعلوا ثوابه لوالديكم فإنهم أحوج من أولئك الأ ولياء لم يفعلوا#[1].

الوجه الثاني: لو كان قصده إيصال الأجر للمنذور له لكان يكفيه أن يتصدق عنه في أي مكان يصل إليه، فلماذا اختار ضريحه؟ فهذا دليل واضح على أنه لغير الله سبحانه.

وقد أوضح السيوطي : أن سبب وقوع المبتدعة في هذا الداء القبيح هو تعظيم بعض المواضع، ظناً منهم أن في تعظيمها قربة لله تعالى. قال : في معرض بيان بدع تعظيم الأماكن والقبور: $ومن البدع أيضاً: ما قد عم ا لابتلاء به تزيين الشيطان للعامة تخليق[2] الحيطان والعمد بالزعفران المجبول بماء الورد، وإسراج مواضع مخصوصة في كل بلد بما ليس عليهم، فيفعلون ذلك، ويظنون أنهم متقربون بذلك؛ ثم يتجاوزون في ذلك إلى تعظيم تلك الأماكن في قلوبهم؛ فيعظمونها، ويرجون الشفاء، وقضاء الحوائج بالنذر لها، وتلك الأماكن من بين عيون وشجر وحائط وطاقة وعامود، وما أشبه ذلك بذات أنواط الواردة في الحديث الذي رواه الترمذي وصححه، عن أبي واقد الليثي[3]#[4].

وهذا وصف دقيق، يبين أن ابتداع تعظيم المواضع يوقع في صرف العبادة لها، من النذر وغيره، وما ذاك إلا أنه تعظيم لا أصل له في الشرع؛ فلذلك لم يوجد له ضابط يَزُمّه ويضع له حداً يقف عنده، فمِن ثمّ تمادى بأهله إلى أن صرفوا العبادة لغير الله تعالى.

---

(1) روح المعاني (212/17-213 –ط. المنيرية).
(2) أي تطييبها، انظر: القاموس المحيط (ص 881).
(3) مر تخريجه في (ص 51).
(4) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع (ص 115)، وانظر نحو هذا الكلام كلام أبي شامة الدمشقي في الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص 23-24).

وفي تشبيه السيوطي تلك الأماكن بالشجرة التي كان المشركون ينوطون بها أسلحتهم تنبيه إلى أن مقاصد الناذرين لتلك الأماكن مقاصد شركية، وإلا لما كان للتشبيه أي معنى.

الشبهة الثانية:

قولهم: إننا عندما ننذر للأضرحة، فهمّنا الصدقة للفقراء الذين يعيشون حول تلك الأضرحة والزائرين لها، وهذه النذور التي تقدم مبالغ بسيطة يسيرة لا تضر الدافع وتنفع المحتاج.

والرد على هذه الشبهة من وجوه[1]:

الوجه الأول: لقد ثبت بأن النذر عبادة، والعبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى.

الوجه الثاني: كون الشيء يحصل به الإنسان على الخير ليس مبرراً لحـله وإباحتته لجوازه، فكون الفقراء ينالون من هذه النذور ما يغنيهم ليس دليلا ً على الجواز، وإلا لأبحنا للسارق أن يسرق لكي يغني الفقراء، وللزاني أن يزني كي يغني البغي، وهكذا تهتك محارم الله وتستباح حرماته بحجة أن الفقراء يحصلون من جرائها على النفع، فالغاية لا تبرر الوسائل!

الوجه الثالث: إن الزائرين للقبور لا يحتاجون إلى الصدقة عندها إلا إذا كانوا عاكفين عليها مطيلين للمكث بها، فيحتاجون إلى الأكل والشرب وإنارة المزار لهم ليلا ً، وهذا العكوف منكر لا يصح أن يُقرُّوا عليه، فضلا ً عن أن يُعَانُوا عليه بالنذر.

إن دعوى الصدقة على الفقراء عند القبر لا معنى لها عند التأمل والنظر السديد، فإن الفقراء يمكن وِجْدانهم في غير القبور، وفي جعل النذور والأوقاف للفقراء عند القبور خاصة دعوة لهم إلى العكوف بها[2]، والمقابر ليست محلا ً للسكنى، وإن كان كثير من الناس قد اعتادوا السكن بها، فإن ذلك ليس وضعاً سوياً بلا ريب.

ومع ذلك فإن من أراد إيصال صدقته إلى الفقراء في المقابر يمكنه أن يتصدق عليهم دون أن ينذر للميت، فإن الصدقة هنا على أحياء، فأيّ معنى لعقد نذر للميت، والمقصود بذلك النذر الأحياءُ المقيمون عنده؟!

الوجه الرابع: كون المبالغ التي تقدم بسيطة، لا يعني حلها. عن سلمان الفارسي ط قال: $دخل رجل الجنة في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب# قالوا: وكيف ذلك؟ قال: مر ّ رجلان على قوم لهم صنم لا يَ جُ وِ زُ هُ أحد حتى يقر ِّب له شيئا ً، فقالوا لأحدهما: قر ِّب! قال: ليس عندي شيء، فقالوا له: قر ِّب ولو ذبابا ً! فقر ّب ذبابا ً، فخلوا سبيله،

(1) بدع القبور (ص 470-471)، وجهود الشافعية (ص 503 -الحاشية) بتصرف.
(2) سيأتي مبحث مستقل في بيان بطلان هذا النوع من العكوف في (ص 1029 وما بعدها).

قال: فدخل النار. وقالوا للآخر: قر ِّب ولو ذبابا ً! قال: ما كنت لأقر ِّب لأحد شيئا ً دون الله عز وجل، قال: فضربوا عنقه، قال: فدخل الجنة#[1].

هذا الذباب الذي يُحصل على الملايين منه بالمجان، ومع حقارته ومجانيته، دخل النارَ بسببه رجلٌ، وهذا رد واضح على أن حقارة الشيء وقلته إذا صُرِف لغير وجه الله لا يقتضي حله وإباحته.

(1) رواه الإمام أحمد في الزهد (ص 22)، وأبو نعيم في الحلية (203/1)، وابن أبي شيبة في المصنف (537/17 رقم 33709 –تحقيق محمد عوامة). وانظر تخريجه في تخريج أحاديث منتقدة في كتاب التوحيد لفريح بن صالح البهلال (ص 37-39).

المبحث الرابع: التوسل

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى التوسل وأنواعه

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في التوسل

المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

المطلب الأول: معنى التوسل وأنواعه

- معنى التوسل:

أصل الكلمة: التوسل مشتق من أصل لغوي ثلاثي هو $وَسَلَ#[1].

تصريفها: التوسل على وزن $التفعُّل#، وهو مصدر قياسي للفعل $توسّل# على وزن $تفعّل#، مضارعه: $يتوسّل#[2].

معناها لغة: لمادة $وسل# عدد من المعاني منها:

1. التقرب إلى الشيء بشيء، يقال: توسل إليه بوسيلة: إذا تقرب إليه بعمل.
2. الرغبة، يقال: وسل إذا رغب، والواسل الراغب إلى الله .
3. الطلب.

هذه بعض معاني مادة $وسل#، ولعلها تتفق في أنها وصول إلى المطلوب بسبب[3].

والتوسل مصدر من باب التفعيل، وباب التفعيل له عدة معان، منها الا تخاذ نحو: تردى فلان الثوب، وتوسد الحجر؛ أي اتخذ الثوب رداء والحجر وسادة. فمعنى التوسل إذن: **اتخاذ الوسيلة إلى الشخص لحصول المطلوب منه.**

وقبل الشروع في بيان المعنى الشرعي للتوسل، يحسن بنا التطرق بشيء من التفصيل لمعنى الوسيلة في اللغة والشرع؛ ليكتمل بعد ذلك معنى التوسل ويتضح مفهومه:

معنى الوسيلة لغة: لقد ذكر أهل اللغة عدة معان لكلمة $الوسيلة# منها:

1. التوصل إلى الشيء برغبة، وهي أخص من الوصلة لتضمنها لمعنى الرغبة[4].
2. ما يتقرب به إلى الغير.
3. المن-زلة عند الملك.
4. الدرجة.
5. القربى.

(1) مقاييس اللغة (110/6).
(2) انظر: معجم تصريف الأفعال العربية (ص 287)، وتصريف الأفعال (ص 96).
(3) انظر: مقاييس اللغة (110/6)، والصحاح (1841/5)، ولسان العرب (301/15).
(4) هذا التعريف ذكره الراغب في المفردات (ص 871)، ويبدو أنه أليق بأن يكون تعريفاً لـ$التوسل# من كونه تعريفاً للوسيلة، ولو قال: $ما يتوصل به إلى الشيء برغبة#، لكان أجود؛ لأن الوسيلة فَعيلة بمعنى مفعولة. والله تعالى أعلم...

6. الوصلة[1].

هذا بعض ما ذكرته كتب اللغة عن معنى الوسيلة، ويظهر أنها لا تخرج عن ثلاثة معان: الرغبة، والقربى، والتوصل، وعلى هذا أقول بأن الوسيلة لغة: $هي قربة موصلة لأمر مرغوب فيه#.

معنى الوسيلة شرعاً: جاءت أقوال العلماء في معنى الوسيلة الشرعية متوافقة إلى حد كبير في المضمون والمعنى، وإن اختلفت في ألفاظها، وهي كما يلي:

1. القربة، كما عرفها بذلك: ابن عباس م[2]، وأبو وائل[3]، وعطاء[4]، و السدي[5] ومجاهد[6]، والحسن البصري[7]، والطبري[8]، وأبو عبد الله القرطبي[9]، والراغب الأصفهاني[10]، وابن تيمية[11]، وابن كثير[12]، والشوكاني[13]، والشنقيطي[14] -رحمة الله على الجميع-. وقال ابن كثير :: $وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه#[15].
2. الطاعة والعمل بما يرضي الله، كما في تعريف قتادة[16]، و البيضاوي[17]، وابن الأثير[18]، وأبي السعود[19]، وأبي الثناء الآ

(1) انظر: الصحاح (1841/5)، ومفردات ألفاظ القرآن (ص 871)، ولسان العرب (301/15)، والتعريفات (ص 307).
(2) كما في تفسير ابن كثير (103/3).
(3) كما في تفسير الطبري (403/8)، وأبو وائل هو: شقيق بن سلمة الأسدي أبو وائل الكوفي (توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز وله مائة سنة)، ثقة مخضرم. انظر: التقريب (رقم 2832).
(4) كما في تفسير الطبري (404/8)، وعطاء هو: عطاء بن أبي رباح القرشي مولاهم المكي (ت 114 هـ)، تابعي ثقة فقيه فاضل. انظر: التقريب (رقم4623).
(5) كما في تفسير الطبري (404/8).
(6) كما في المصدر السابق.
(7) كما في المصدر السابق.
(8)كما في المصدر السابق (403/8).
(9) كما في: تفسير القرطبي (159/3).
(10) كما في مفردات ألفاظ القرآن (ص 871).
(11) كما في قاعدة جليلة (ص 87).
(12) كما في تفسير ابن كثير (103/3).
(13) كما في نيل الأوطار (553/1).
(14) كما في أضواء البيان (116/2).
(15) تفسير ابن كثير (103/3).
(16) كما في تفسير الطبري (404/8).
(17) كما في تفسير البيضاوي (ص 148).
(18) كما في جامع الأصول (380/9)، وابن الأثير هو: أبو السعدات المبارك بن محمد بن محمد الجزري ثم الموصلي الشافعي (544-606 هـ)، ولي ديوان الإنشاء ب الموصل، وصنف كتبا كثيرة، من أهمها كتاب النهاية في غريب الحديث، وجامع أ

آلوسي[2] -رحمهم الله-.
3. الحاجة، كما عرفها بذلك ابن عباس م [3]، والسيوطي :[4].
4. القرب من الله تبارك وتعالى، كما عرفها بذلك ابن الأثير[5]، والخطيب الشربيني[6]، وصديق حسن خان[7]، والمباركفوري [8] -رحمهم الله جميعاً-.
5. الشفاعة، ذكره ابن الأثير :[9].
6. أعلى درجة في الجنة، كما عرفها بذلك أبو عبد الله القرطبي[10]، وابن كثير[11]، وابن حجر[12] -رحمهم الله-.

وكل هذه التفاسير -عدا الأخير منها- متواردة على معنى واحد وهو القربة، وذلك لأن طاعة الله تعالى، والعمل بما يرضيه قربة، والقرب منه من آثار القربات، والحاجة إلى الله من أجلّ القربات. بهذا يمكن أن نقول بأن الوسيلة شرعاً هي: $قربة مشروعة توصل إلى مرغوب فيه#[13].

التوسل شرعاً: تقدم أن التوسل من باب التفعيل بمعنى الاتخاذ، أي اتخاذ الوسيلة التي توصل إلى مرغوب فيه، فهو توصل بشيء، فمَن توسل بطاعة الله وطاعة رسوله ح على مرغوب؛ فقد اتخذ هذه الطاعة وسيلة إلى ذلك المرغوب، وكما مر معنا أن الوسيلة هي قربة مشروعة توصل إلى مرغوب فيه، وعلى ضوء هذا عرّفه العلماء:

فعرفه الشيخ محمد الحجي بقوله: $التوسل: هو طلب القرب و

لأصول وغيرهما. انظر: السير (488-491/21)، وطبقات ابن كثير (714-715/2)، وطبقات السبكي (366-367/8).

(1) كما في تفسير أبي السعود (32/3).
(2) كما في روح المعاني (124/6 و126/15 –ط. المنيرية).
(3) كما في الدر المنثور(292/5).
(4) كما في الإتقان (348/1).
(5) كما في النهاية (185/5).
(6) كما في مغني المحتاج (220/1).
(7) كما في قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر (ص 111). وصديق حسن هو: أبو الطيب صديق بن حسن ابن علي بن لطف الله القنوجي البخاري (1248-1307هـ)، العلامة محيي السنة وقامع البدعة، كان أشعرياً ثم اهتدى إلى عقيدة السلف، من مؤلفاته الكثيرة: الدين الخالص، الحطة في ذكر الصحاح الستة، والروضة الندية. انظر: أبجد العلوم له (271/3-282)، ومشاهير علماء نجد وغيرهم لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ (ص 451-457).
(8) كما في تحفة الأحوذي (57/10).
(9) انظر: النهاية (185/5).
(10) كما في تفسيره (159/3).
(11) كما في تفسير ابن كثير (159/3).
(12) كما في فتح الباري (95/2).
(13) الشرك ومظاهره، للشيخ مبارك الميلي (ص 293).

الوصول إلى المقصود#[1].

وقيل: $هو التقرب إلى الله عز وجل بفعل الطاعات وترك المنكرات#[2].

ويمكن تعريفه بما يلي: **$هو اتخاذ القرَب الشرعية سواءً كانت بالقلب أو اللسان أو الجوارح، لتحقيق أمر ديني أو دنيوي#**[3].

ولا شك أن التقرب إلى الله تعالى بطاعة رسوله ح والإيمان به داخل في تعريف التوسل الشرعي، كما أن دعاءه ح لمن دعا له من القربات العظيمة التي يتوسل بها إلى الله تعالى، ولذا أشار شيخ الإسلام : إلى هذا المعنى بقوله: $ولفظ التوسل يراد به ثلاثة أمور، يراد به أمران متفق عليهما بين المسلمين:

أحدهما: هو أصل الإيمان والإسلام، وهو التوسل بالإيمان وبطاعته ح.

والثاني: دعاؤه وشفاعته، وهذا أيضاً نافع يتوسل به من دعا له وشفع فيه باتفاق المسلمين#[4].

- أنواع التوسل:

ينقسم التوسل من حيث الحكم عليه إلى قسمين[5]:

القسم الأول: هو التوسل المشروع: وهو كل توسل شرعه الله تعالى في كتابه وحثنا عليه، وبيّنه لنا رسوله الأمين ح. وهو أنواع ثلاثة:

أولا: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا.

مثل قول المسلم في دعائه: $يا رحيم ارحمني، يا حكيم احكم لي، يا رزاق ارزقني، يا هادي اهدني#[6].

والدليل على مشروعية هذا النوع من التوسل قوله : ﭽﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ الأعراف: 180، والمعنى: $ادعوا الله تعالى متوسلين إليه بأسمائه الحسنى، ولا شك أن صفاته العليا عز وجل داخلة في هذا الطلب؛ لأن أسماءه الحسنى سبحانه صفات له خصت به تبارك وتعالى#[7].

(1) إلفات النظر إلى وجوب تصحيح العقيدة لرب البشر (ص 36).
(2) جهود علماء الحنفية (1447/3).
(3) المصطلحات المستعملة في توحيد الألوهية عند السلف (ص 282).
(4) مجموع الفتاوى (153/1)، وانظر: قاعدة جليلة (ص 86).
(5) انظر لهذا التقسيم: تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران (ص 55 وما بعدها)، وتحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين (ص 156-161) كلاهما لابن حجر آل بوطامي الشافعي، ومحاضرات في العقيدة والدعوة (32/1)، و التوصل إلى حقيقة التوسل (ص 14)، والمشروع والممنوع من التوسل، للدكتور عبد السلام بن برجس العبد الكريم (ص 31-48).
(6) انظر: تفسير القرطبي (327/4).
(7) التوسل أنواعه وأحكامه (ص 30).

ومن السنة قوله ح في دعاء الاستخارة: $اللّهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم#[1]، وغيره من الأحاديث الثابتة.

ثانياً: التوسل إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة.

وذلك في الأعمال الصالحة التي توافرت شروطها، وذلك كأن يقول الداعي: $اللّهمّ بإيماني بك ومحبتي لك واتباعي لرسولك إغفر لي#، ونحو ذلك من الأدعية المشروعة.

ويدل لذلك من القرآن قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ آل عمران: 53، ومن السنة حديث ابن عمر م في قصة الثلاثة الذين دخلوا في غار، فانحدرت صخرة، فسدت عليهم ذلك الغار، فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله بصالح أعمالكم، فتوسل أحدهم ببره لوالديه، وتوسل الثاني بعزوفه عن المعصية خوفاً من الله تعالى حينما ذكرته ابنة عمه باللّه بعد أن قدر عليها، وتوسل الثالث بأمانته وصدقه حيث نـمّى أجر ذلك الرجل الذي تركه حتى أصبح مالا ً كثيراً، وجاءه بعد حين فأخذه ولم يترك منه شيئاً[2]، هذا ملخص القصة، وهي تدل على مشروعية التوسل بالعمل الذي أخلص فيه المسلم لربه.

وهذا النوع الثاني تحته صورتان:

إحداهما: التوسل بالأعمال الصالحة إلى طلب حصول ثواب الله تعالى ورحمته ورضوانه، فإن الأعمال الصالحة هي الوسيلة التامة إلى سعادة الدارين. ومن هذه الصورة: آية آل عمران السابقة[3].

وثانيتهما: التوسل بالأعمال الصالحة التي سبق للمتوسل أن عملها - إلى طلب إجابة دعائه وإعطاء سؤاله وقضاء حوائجه ونيل مراميه في الدنيا[4].

ويظهر من تتبع الأدعية المأثورة الواردة في الكتاب والسنة - كثرة الصورة الأولى التي الهدف الأكبر منها الأمر الأخروي. وأما الصورة الثانية فأقل من الأولى، فهي ليست بكثيرة بالنسبة إلى الأولى ، ولكنها مشروعة،

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة (183/11 رقم 6382) من حديث جابر ط.

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب إجابة دعاء من برّ والدَيه (404/10 رقم 5974)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال (2099/4 رقم 2743) من حديث ابن عمر م.

(3) ومن أمثلة هذه الصورة: الآيتان 16 و193 من سورة آل عمران، والآية 83 من سورة المائدة، والآية 109 من سورة المؤمنون.

(4) انظر الإشارة إلى الصورتين في قاعدة جليلة (ص 103-104).

ثبتت بأدلة صحيحة منها: حديث الغار السابق[1].
ثالثاً: التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح الحي الحاضر القادر.
كأن يقع المسلم في ضيق شديد، أو تحل به مصيبة، فيلجأ إلى الله ب الدعاء، ويذهب إلى رجل يعتقد فيه الصلاح والتقوى، أو الفضل والعلم ب الكتاب والسنة، فيطلب منه أن يدعو له ربه، ليفرج عنه كربه ويزيل عنه همه.
وأدلة ذلك كثيرة في الكتاب والسنة، أما من الكتاب فمنها: قوله تعالى عن إخوة يوسف ؛: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ يوسف: 97-98.
ومن السنة: ما رواه أنس ط: أن رجلا ً دخل يوم الجمعة من باب كان نحو دار القضاء وجاء المنبر ورسول الله ح قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ح قائما ً ثم قال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا. قال: فرفع رسول الله ح يديه ثم قال: $اللّهم أغثنا، اللّهم أغثنا، اللّهم أغثنا#. قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة[2] وما بيننا وبين س َـلْ ْع[3] من بيت ولا دار. قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس[4] فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت... الخ#[5].
القسم الثاني: هو التوسل الممنوع: وهو كل توسل لم يقم عليه دليل من كتاب الله أو سنة رسوله ح الثابتة.
وهو على نوعين:
أولا: التوسل الشركي.
وهو: بأن يدعو الإنسانُ الشخصَ المتوسّل به ويستغيث به، سواء أكان ذلك المتوسّل به النبي ح أو غيره[6]. وهذا النوع من التوسل هو من الشرك

(1) الدعاء ومنـزلته (633/2).
(2) أي قطعة من الغيم وجمعها قزَع. النهاية في غريب الحديث (59/4).
(3) سَلع هو جبل معروف بالمدينة، كما في $وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى# للسمهودي (324/4). ومعنى الجملة: أي ليس بيننا وبينه من حائل يمنعنا من رؤية سبب المطر، فنحن مشاهدون له وللسماء. انظر تعليق محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم (613/2).
(4) الترس هو ما يتقى به السيف. ووجه الشبه الاستدارة والكثافة، لا القدر. انظر: فتح الباري (503/2).
(5) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في المسجد الجامع (501/2 رقم 1013 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء (612/2 رقم 897)، واللفظ لمسلم.
(6) انظر: مفاهيم يجب أن تصحح (ص 54).

الأكبر؛ لأنه دعاء غير الله تعالى، والتجاء إليه في المهمات، وهو من صرف العبادة لغير الله، كما قال تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼالمؤمنون: 117.

وهو مناف لإخلاص العبادة لله ، قال السمعاني : عند قوله تعالى: ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼغافر: 65، قال :: $والدعاء على الإخلاص أن لا يدعو معه سواه#[1].

ثانياً: التوسل البدعي: وهو أنواع شتى منها:

- التوسل بالذات في دعاء الله، وهو أن يجعل ذات النبي ح أو غيره وسيلةً في دعاء الله كأن يقول في دعائه: $اللهم إني أسألك بنبيك محمد ح#.
- التوسل إلى الله تعالى بحق فلان أو جاهه أو بركته ونحو ذلك[2].

فكل هذه الصور محرمة شرعاً؛ وهي من البدع المحدثة؛ إذ لم يقم دليل من الكتاب والسنة الصحيحة على مشروعيتة شيء منها.

وقد أنكر أهل العلم التوسل بالذات والتوسل بحق المتوسّل به:

فالإمام أبو حنيفة[3] : يقول: $لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به#[4]. وقال أيضاً: $يكره أن يقول الداعي أسألك بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام، والمشعر الحرام#[5].

وقال الإمام أبو يوسف[6] :: $أكره أن يقول بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام#[7].

وقال العلامة القدوري[8] :: $المسألة بخلقه لا تجوز؛ لأنه لا حق

(1) تفسير السمعاني (30/5).
(2) انظر: I'tiqad Ahlussunnah wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 326)، و Empat Puluh Masalah Agama (أربعون مسألة دينية) (134/1).
(3) هو: النعمان بن ثابت الفارسي أبو حنيفة (80-150هـ)، إمام العراق وفقيه الأمة وهو من أئمة السنة. انظر: السير (390/6-403)، تاريخ بغداد (323/13 وما بعدها). وللتوسع في معرفة عقيدة الإمام : راجع: أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس.
(4) قاعدة جليلة (ص 88)، وشرح الفقه الأكبر للقاري (ص 198).
(5) شرح العقيدة الطحاوية (362/1)، وإتحاف السادة المتقين (285/2)، وشرح الفقه الأكبر (ص 198).
(6) هو: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري القاضي أبو يوسف الكوفي (113-182 هـ)، الإمام المجتهد العلامة المحدث، قال ابن معين: $ما رأيت في أصحاب الرأي أثبت في الحديث، ولا أحفظ ولا أصح رواية من أبي يوسف#. انظر: أخبار أبي حنيفة وأصحابه للصيمري (ص 90-102)، والسير (535/8-539).
(7) إتحاف السادة المتقين (285/2)، وشرح العقيدة الطحاوية (362/1).
(8) هو: أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر البغدادي (362-428 هـ)، أحد

للمخلوق على الخالق، فلا تجوز وفاقا#[1].

وسيأتي المزيد من ذكر كلام العلماء في هذه المسألة في المطلب الثالث بإذن الله[2].

فعلى المسلم ألا يتوسل إلى الله بشيء إلا ما جعله الله وسيلة فيه، ك التوسل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وسائر أنواع التوسل المشروع؛ ف العبادات مبناها على اتباع هدي النبي ح ووفق شرعه، والإخلاص بالنية و القصد، لا على الهوى والابتداع. فالواجب على المسلم أن يَثْبُتَ على هذا؛ ف لا يعبد الله إلا بما شرع وأمر به وأذن فيه. والله تعالى أعلم.

كبار أئمة الحنفية، صاحب $المختصر# المشهور في فقه الحنفية. انظر: الجواهر المضية (247/1-250)، والطبقات السنية (19/2-31).

(1) مجموع الفتاوى (203/1)، والفتاوى الكبرى لابن تيمية (44/3).

(2) انظر ما سيأتي في (ص 416-418).

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في التوسل

مما سبق بيانه في المطلب الأول يظهر لنا أن الانحراف في باب التوسل لا يخرج عن كونه انحرافاً شركياً أو انحرافاً بدعياً. ولكل من هذين النوعين نصيب في المجتمعات الإندونيسية. وفيما يلي أسوق لكم بعض تلك المظاهر:

أولا ً: أمثلة التوسل الشركي الذي هو دعاء الإنسانِ الشخصَ المتوسّل به واستغاثته به:

ما سبق ذكره من أمثلة مظاهر الانحراف في الدعاء والاستعانة والا ستغاثة والاستعاذة[1] يمكن أن يجعل أمثلة لمظاهر الانحراف في التوسل الشركي؛ إذ أغلب تلك الأمثلة إذا سألتَ أصحابها عن حجتهم فيها، لقالوا: إنما نريد منها التوسل إلى الله بهؤلاء المدعوّين!

وأزيد هنا بعض الأمثلة الأخرى:

المثال الأول: ما سماه أحد المخالفين بـ$دعاء صلوات التوسل# وهو في الحقيقة استغاثة بالأموات: $الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا شيخ عبد القادر الجيلاني محبوب الله، أنت صاحب الإجازة إجازة محمدٍ محمدٌ إجازة الله، أنت صاحب الكرامة كرامة محمدٍ محمدٌ كرامة الله، أنت صاحب الشفاعة شفاعة محمدٍ محمدٌ شفاعة الله، يا شيخ عبد القادر الجيلاني أغثني أغثني أغثني سريعاً بعزة الله#[2].

المثال الثاني: ما سماه بعض المخالفين بـ$قصيدة تقرأ عند زيارة الولي#[3] وفيها من صريح الشركيات ما يندى له الجبين وتشمئز له قلوب الموحدين! وإليكم نص القصيدة بكاملها:

سـلام الله و الـرحمة	عليـكم يـا ولي الله
أتينـاكم وزرنـاكم	وقفنـا يـا ولي الله
سـعدنا إذ لقينـاكم	
توسـلنا بكـم لله	قصـدنا يـا ولي الله
رجـونا من مزايـاكم	
إلى الرحمـن مـا يـُ رام	أجيبـوا يـا ولي الله

(1) انظر: (ص 216-222).

(2) Tuntunan Ziarah Wali Songo (كيفية زيارة الأولياء التسعة) (ص 142-143).

(3) ذكرتُ في مظاهر الانحراف في الدعاء (ص 216-217) قصيدة بنحو هذه القصيدة، إلا أن هذه القصيدة التي معنا تختلف في بعض ألفاظها عن تلك القصيدة ، فاقتضى التنبيه على ذلك.

طلبنـا وسـعة الرزق لتدعو يـا ولي الله
وحج البيـت في الحرام لدينـا يـا ولي الله
وحسـنا في اختتـامنـا حـلالا يـا ولي الله
عسـى ترضى عسى تعطى فـلا مـراراً يـا ولي الله
خيبتمـوا ظنـي لـكراماً يـا ولي الله
سـعدنا إذ أتينـاكم بقـرب يـا ولي الله
فقومـوا واشـفعوا فينـا فحاشـاكم وحاشـاكم
عسـى تحظى عسى تعطى عسـى نظرة وفزنـا حين زرنـاكم
عسى رحمة إلى الرحمـن مـولاكم
سـلام الله حيـاكـم مزايـا مـن مزايـاكم
وصـلى الله مـولانـا فتغشـانا وتغشـاكـم
على المختـار شـافعنـا وعيـن الله ترعـاكـم
وسـلم مـا أتينـاكم
ومنقذنـا وإيـاكم[1]

يقول أحدهم وهو يذكر آداب زيارة قبور أولياء الله، منها: $سلموا على ولي الله المتوفى بالقصائد -التي مرت- بصوت جماعي كي يؤثر في القلوب ويبكي العيون#[2].

(1) Tuntunan Ziarah Wali Songo (كيفية زيارة الأولياء التسعة) (ص 35-42)، وانظر: Petunjuk Praktis Ziarah Wali Songo (البيان الموجز لزيارة الأولياء التسعة) (ص 7-8).
(2) Petunjuk Praktis Ziarah Wali Songo (البيان الموجز لزيارة الأولياء التسعة)

المثال الثالث: ما في بعض أبيات $البردة# مِن استغاثة واستجارة واستعانة برسول الله ح، ومن تلك الأبيات الشركية:

- يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادِث العَمِمِ
- ما سامني الدهرُ ضيماً واستجرت به إلا ونِلتُ جواراً منه لمْ يُضَمِ
- ومَن تكن برسول الله نصرته إنْ تلقهُ الأ ُسْدُ في آجامها تجِمُ[1].

المثال الرابع: قراءة طلاب أحد المعاهد الإسلامية أبيات البردة يومياً بعد صلاة المغرب -وهي مشتملة على استغاثة واستجارة واستعانة برسول الله ح- لأجل الحفاظ على أرض مدير المعهد

(ص 7).

(1) انظر: Mantan Kyai NU Menggugat Sholawat dan Dzikir Syirik (أحد علماء جمعية نهضة العلماء سابقاً، ينكر الصلوات والأذكار الشركية) (ص 39، 43).

الواقعة بشاطئ نهر Bengawan Solo (بِيْنْجَوَنْ سُوْلُوْ) من فيضان النهر[1].
المثال الخامس: ما يُنشَد في بعض المعاهد الإسلامية بمدينة Pasuruan (فَسُوْرُوَنْ) ومدينة Bangil (بَنْجِيْلْ) بجَاوَا الشرقية يومياً بعد صلاة الفجر، وينشد أيضاً في بعض الإذاعات والتليفزيونات:

يا سيدي يا رسول اللّه	يا من له الجاه عند اللّه
إن المسيئين قد جاؤوك	للذنب يستغفرون اللّه
يا سيد الرُسْل هادِيْنا	هيّا بِعَارَةَ إلينا الآن
يا همّة السادات الأقطاب	معادِن الصدق والسِرّ
نادِ المهاجر صفيّ اللّه	ذاك ابن عيسى أبا السادات
ثم المقدّم ولي اللّه	غوث الورى قدوة القادات
ثم الوجيه لدين اللّه	سقّافنا خارق العادات
السيد الكامل الأواب	العيدروس مَظهَرَ القُطُر
قوموا بنا واكشفوا عنا	يا سادتي هذه الأ َسْوَى
واحْمُوا مدينتَكم الغنّا	من جملة السِرّ والبلوى
يا أهل الحَسَب والنسب الأسنى	والعلم والحلم والتقوى
بجَدِّكم وبكم تنجاب	سُحْب البليّات والضُر[2].

ورأيت أيضاً جمعاً من المحتفلين بمناسبة الإسراء والمعراج وذكرى مرور سنة من وفاة محمد زيني بن عبد الغني، بمصلى سلم السعادة بـ Martapura (مَرْتبُوْرَا) بمحافظة كَلِيْمَنْتَنْ الجنوبية، يوم الأحد 31 يوليو 2006 م، يقرؤون بعض الأبيات السابقة[3].

---

(1) انظر: Mantan Kyai NU Menggugat Sholawat dan Dzikir Syirik (أحد علماء جمعية نهضة العلماء سابقاً، ينكر الصلوات والأذكار الشركية) (ص 44).
(2) انظر: المرجع السابق (ص 133-137).
(3) سي دي مرئي بعنوان Maulid al-Habsyi & Memuji (مولد الحبشي والمدائح).

ثانيا: أمثلة التوسل البدعي:

المثال الأول: ما رأيته في ضريح إمباه سيد سليمان بمدينة Jombang (جُوْمْبَنْجْ) بجَاوَا الشرقية من لائحة فيها: $اللّهم إني أتوسل إليك بوليك، يا ولي اللّه يا إمْبَاهْ سيد سليمان أتوسل بك إلى ربك لقضاء حاجتي هذه#.

المثال الثاني: ما ذكره سراج الدين عباس ضمن أمثلة التوسل التي أذن الشرع بها -بزعمه-: $يا اللّه، يا ربي الرحمن الرحيم، أسأل مغفرتك ورضاك، ببركة من دُفِن هنا -يعني الشيخ عبد القادر الجيلاني- لأني قد عرفت أنه من كبار العلماء الذين تحبهم، فاستجِب لي يا اللّه الرحمن الرحيم#(1).

المثال الثالث: ومن أمثلتها -في رأيه- أيضاً: $يا اللّه، بجاه النبي محمد صلى اللّه عليه وسلم استجب لي#(2).

المثال الرابع: ما اشتهر في أوساط المجتمع المسلم بإندونيسيا من بعض أنواع الصلوات، ومنها ما يسمى بـ$صلوات بدر#، وهي من أولها إلى آخرها توسل بأهل البدر، وهذه أبياتها:

صلاة اللّه سلام اللّه — على طه رسول اللّه
صلاة اللّه سلام اللّه — على يس حبيب اللّه
توسلنا ببسم اللّه — وبالهادي رسول اللّه
وكلّ مجاهد لله — بأهل البدر يا اللّه
إلهي سلِم الأمة — من الآفات والنقمة
ومن همّ ومن غمّة — بأهل البدر يا اللّه
إلهي نجنا واكشف — جميع أذية واصرف
مكائد العِدا والطُفْ — بأهل البدر يا اللّه
وكم أغنيت ذا العمر وكم أوليت ذا الفقر
وكم عافيت ذا الوزر بأهل البدر يا اللّه
لقد ضاقت على القلب — جميع الأرض مع رحب
فانْجُ من البلا الصعب — بأهل البدر يا اللّه
أتينا طالبي الرفق — وجل الخير والسعد
فوسع منحة الأيدي — بأهل البدر يا اللّه
إلهي نقِس الكربا — من العاصين والعَطَبا
وكل بلية ووَبا — بأهل البدر يا اللّه
فكم من رحمة حصلت — وكم من ذلة فصلَت

(1) انظر: I'tiqad Ahlussunnah wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 326)، و Empat Puluh Masalah Agama (أربعون مسألة دينية) (134/1).
(2) انظر: المرجع السابق.

وكم من نعمة وصلت بأهل البدر يا الله
فلا تردد مع الخيبة بل اجعلنا على الطيبة
أيا ذا العز والهيبة بأهل البدر يا الله
وإن تردد فمن نأتي بنيل جميع حاجاتي
أيا جالي الملمات بأهل البدر يا الله
إلهي اغفر وأكرمنا بنيل مطالب منّا
ودفع مساءة عنّا بأهل البدر يا الله
إلهي أنت ذو لطف وذو فضل وذو عطف
وكم من كربة تنفي بأهل البدر يا الله
وصل على النبي البر بلا عدّ ولا حصر
وآل سادة غرّ بأهل البدر يا الله
صل وسلم على النبي خير البشر
والآل والبدر قنا من كل شر
اللّهم لا تؤاخذنا بالجريرة
وأصلح لنا العلانية والسريرة
واجعلنا ممن يدعو إليك على بصيرة
وصلى اللّه على خير خلقه، ونور عرشه، ومَظهَر لطفه، سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[1].

المثال الخامس: ما اشتهر في أوساط المجتمع المسلم بإندونيسيا من إنشاد لأبيات في مناسبات شتى:

يا رب بالمصطفى بلغ مقاصدنا واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرَم
هو الحبيب الذي ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال مقتحم
مولايا صلّ وسلم دائماً أبداً على حبيبك خير الخلق كلهم[2].

ويوجد أيضاً هذه الأبيات في إحدى أغاني حداد علوي[3]، وفريق $حِجَاز#[4] المعنون بـ$يا رب بالمصطفى#.

---

(1) Tuntunan Ziarah Wali Songo (كيفية زيارة الأولياء التسعة) (ص 131-142)، وانظر: Mantan Kyai NU Menggugat Sholawat dan Dzikir Syirik (أحد علماء جمعية نهضة العلماء سابقاً، ينكر الصلوات والأذكار الشركية) (ص 139). واستمع إلى بعض ألفاظها في سي دي مرئي بعنوان Seleksi Terbaik Album Haddad Alwi & Sulis (أفضل أناشيد حداد علوي وسوليس) الإصدار الثاني.

(2) Petunjuk Praktis Ziarah Wali Songo (البيان الموجز لزيارة الأولياء التسعة) (ص 39)، وانظر: Mantan Kyai NU Menggugat Sholawat dan Dzikir Syirik (أحد علماء جمعية نهضة العلماء سابقاً، ينكر الصلوات والأذكار الشركية) (ص 163).

(3) شريط سمعي بعنوان Cinta Rasul, Serie Anak-anak Vol.1 (حب الرسول، إخراج للأطفال، الإصدار الأول)، الوجه الأول.

(4) شريط سمعي بعنوان Hijjaz & Saujana, Kumpulan Nasyid Terbaik (حجاز

المثال السادس: ما وُجِد في بعض الأشرطة والأقراص المدمجة التي تبَاع في الأسواق من إنشاد أبيات فيها توسل بالنبي ح وبأم المؤمنين:
يا مهيمن يا سلام، سلِمنا والمسلمين، بالنبي خير الأنام وبأم المؤمنين[1].
المثال السابع: التوسل بجاه الأجداد والرسول ح كما في الجمل الآتية:
أسألك بجاه الجدُد، وإليّ يقيم الحدود، فينا ويكفي الحسود ويدفع الظالمين. بجاه طه الرسول جُد ربنا بالقبول[2].
المثال الثامن: بعض الأدعية الموجودة في كتاب $دِبَاء#:
اللّهم بحرمة هذا النبي الكريم، واسترنا بذيل حرمته، وارزقنا به يوم القيامة مقاماً رفيعاً[3].
المثال التاسع: ما في دعاء $سِلسِلَ كونونج جاتي# -وهو دعاء يقال عند زيارة ضريح سونان كونونج جاتي بمدينة Cirebon (تشِيْرِيْبُوْنْ) بجاَوَا الغربية- مِن توسلات بدعية:
$ ... وإلى روح جميع الأولياء والسلاطين وأهل القبور الذين يقبرون في كونونج سمبونج وكونونج جاتي، وأصولهم وفروعهم، وأهل سلسلتهم وا لآخذين منهم، أغثنا بإذن الله تعالى، وبكرامتهم نسألك البركة، والشفاعة، و الكرامة، والإجازة، والسلامة، شيءٌ لله، لهم الفاتحة#.
$اللّهم إنا كنا نتوسل إليك بجاه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم، وآله، وأصحابه، وأزواجه، وذرياته، وأهل بيته، وبحرمة الشيخ عبد القادر الجيلاني، وبحرمة الشيخ شريف هداية الله، وبحرمة شريفة مُدَائم، ونجَائِي مَسْ فَنَتَاكامَ فَسَمْبَنْجَان، وبحرمة فَنْجِيْرَان تشَكْرَابُوَانَا، والشيخ مُرْشَهَدَةِ الله، والشيخ ذات الكهف، والشيخ بيان الله، وبحرمة أديفاتي كِيْلِينْجْ، وجميع الأولياء، والسلاطين، وأهل القبور من المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، فاستجب دعاءنا ودعاء سلطاننا#[4].
المثال العاشر: ما كُتِب على أحد جدران أضرحة Troloyo (تْرُوْلُوْيُوْ) بمدينة Mojokerto (مُوْجُوْكِيْرْتُوْ) بجاَوَا الشرقية، بخط كبير وعريض: $إذا تضايقت الأمور فتوسلوا بأهل القبور#، وقد رأيت ذلك بأم عيني أثناء

وسوجانا، مجموعة أفضل الأناشيد)، الوجه الأول.
(1) انظر: Mantan Kyai NU Menggugat Sholawat dan Dzikir Syirik (أحد علماء جمعية نهضة العلماء سابقاً، ينكر الصلوات والأذكار الشركية) (ص 167).
(2) انظر: المرجع السابق (ص 171).
(3) انظر: المرجع السابق (ص 183).
(4) Sekitar Komplek Makam Sunan Gunung Jati dan Sekilas Riwayatnya (عن ضريح سنونان كونونج جاتي وشيء من رواياته) لحسن يشاري (ص 38-39، 46-47)، وPetunjuk Praktis Ziarah Wali Songo (البيان الموجز لزيارة الأولياء التسعة) (ص 23-24).

زيارتي لتلك الأضرحة يوم الجمعة، 28 يوليو 2006 م.

المثال الحادي عشر: قراءة كثير من جهلة المسلمين لكتاب $دلائل الخيرات#[1] وفي مطلعه: $إلهي، بجاه نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عندك، ومكانته لديك، ومحبتك له، ومحبته لك، وبالسر الذي بينك وبينه؛ أسألك أن تصلي وتسلم عليه وعلى آله وصحبه...#[2].

المثال الثاني عشر: ما ذكره أحد المعالجين المشهورين مِن دعاء، يزعم أنه لعلاج مرض في العينين: $اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد عليك أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تجعل النور في بصري، و البصيرة في ديني، واليقين في قلبي، والإخلاص في عملي، والسلامة في نفسي، والسعة في رزقي، والشكر لك أبداً ما أبقيتني#[3].

المثال الثالث عشر: ما جاء في أحد أناشيد حداد علوي وسُوْلِيْسْ المعنون بـ$يا غفار#: $الله الله بجاه النبي المختار زين الأنبياء#[4].

المثال الرابع عشر: ما في أحد أناشيد Dang Fathurrahman (دَنْجْ فتح الرحمن) المعنون بـ$الشوق إلى لقاء المحبوب#: $رب فانفعنا ببركتهم واهدنا الحسنى بحرمتهم#، وما في أحدها المعنون بـ$التوبة#: $أتوب إليك يا تواب، إني مقر بالإساءة والذنوب، فتب بالمصطفى واغفر ذنوبي، ويسر الجميل، استر عيوبي، وبختم النبي اختم بحسنى، وبفضل منك علام الغيوب يا تواب#[5].

المثال الخامس عشر: ما يسمى بـ$ورد الهيبة والرزق# يقرأ سبع مرات بعد كل صلاة، ونص الورد: $بسم الله الرحمن الرحيم. سألتك بالاسم المعظَّم قدرُه، بأجٍ أهوَجٍ جلجلوتٍ هَلَهَلَتْ#[6].

---

(1) لمؤلفه: محمد بن سليمان بن داود بن بشر الجزولي السملالي الشاذلي (807-870 هـ). انظر: الضوء اللامع (196/11)، والأعلام (151/6). وهو كتاب يحتوي على صلوات مبتدعة على النبي ح وأدعية، مع ذكر فضائلها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة. ومن الكتب التي أفردت للرد على ما فيه شطحات: تنبيهات على ما في دلائل الخيرات من شطحات، لأحمد بن عبد الله السلمي (ضمن ثلاث رسائل في الدفاع عن العقيدة).

(2) دلائل الخيرات مع الأحزاب (ص 14).

(3) Amalan Doa-Doa Penyembuh, Enteng Jodoh, Pembuka Aura dan Pemenuh Segala Kebutuhan (أوراد وأدعية للعلاج وتسهيل الزواج، وكشف الحُجُب، وقضاء جميع الحوائج)، لهَرِيُوْنُوْ (ص 28).

(4) سي دي مرئي بعنوان Seleksi Terbaik Album Haddad Alwi & Sulis (أفضل أناشيد حداد علوي وسوليس) الإصدار الثاني.

(5) شريط سمعي بعنوان Tentang Jiwa (عن النفس) الوجه الأول.

(6) جريدة Posmo (فُوْسْمُوْ)، العدد 333، تاريخ 7 سبتمبر 2005 (ص 2).

المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

تمهيد:
لقد جاء الإسلام بالأمر بإخلاص العبادة لله وحده، كما قال تعالى: ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ البينة: 5، وقال جل في علاه: ﭽﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼالاسراء: 23.
كما أن الإسلام جاء بالأمر بمتابعة الرسول ح في جميع شؤون حياة العبد، ومنها ما يتعلق بكيفية عبادة الله لأ، قال سبحانه آمراً عباده بطاعة رسوله ح: ﭽﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﭼالحشر: 7.
قال الإمام الآجري[1] :: $فرض الله على الخلق طاعته ح في نيف وثلاثين موضعاً من كتابه تعالى#[2].
وقال رسول الله ح محذراً الإحداثَ في الدين والخروجَ عن أحكامه: $من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد#[3]، وفي رواية: $من عمل عملا ً ليس عليه أمرنا فهو رد#[4].
يقول الحافظ ابن رجب :: $وقوله ح: $ليس عليه أمرنا# إشارةٌ إلى أنّ أعمال العاملين كلهم ينبغي أنْ تكون تحتَ أحكام الشريعة، وتكون أحكام الشريعة حاكمةً عليها بأمرها ونهيها؛ فمن كان عمله جارياً تحت أحكام الشرع، موافقاً لها؛ فهو مقبولٌ، ومن كان خارجاً عن ذلك؛ فهو مردودٌ#[5].
ويقول النووي :: $قال أهل العربية: $الرد# هنا بمعنى المردود، ومعناه: فهو باطل غير معتدّ به. وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه ح؛ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات#[6].
فكل عمل لم يشرعه الرسول ح فهو مردود على فاعله، فيندم ويترهب ويسوء مزاجه ويفوته خير كثير، كما قال الحافظ الذهبي :: $وكل

(1) هو: محمد بن الحسين بن عبد الله البغداي الآجري الشافعي (280-360هـ)، علامة محدث فقيه، وقد كان ذا مكانة كبيرة لما عرف عنه من الاتباع ولزوم السنة، من أشهر مؤلفاته: الشريعة، وأخلاق العلماء. انظر: السير (133/16-136)، وطبقات السبكي (149/3)، ووفيات الأعيان (292/4-293).
(2) كتاب الشريعة (411/1).
(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على جور فالصلح مردود (301/5 رقم 2697 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (1343/3 رقم 1718) من حديث عائشة ك.
(4) سبق تخريجه في (ص 72).
(5) جامع العلوم والحكم (177/1).
(6) شرح صحيح مسلم (242/12)، وشرح الأربعين النووية للنووي (ص 31).

من لم يـ ـَز ـُم ـّ نفسه في تعبده وأوراده بالسنة النبوية، يندم ويتـ ـَر ـَ هـ ـّب ويسوء مزاجه، ويفوته خير كثير من متابعة سنة نبيه الرؤوف الرحيم بالمؤمنين، الحريص على نفعهم، وما زال ح معلما ـً للأمة أفضل الأ عمال#[1].

وحقيقة المتابعة في العمل هي: امتثال هدي النبي ح فيه، وتأديته على الوجه المشروع الذي كان عليه النبي ح.

وقد عرفها شيخ الإسلام : بقوله: $أن يُفْعل مثلما فعل ح على الوجه الذي فعل#[2].

وهذا يعني أن المتابعة للنبي ح في أي عمل لابد أن يتحقق فيها أمران:

الأول: الموافقة للنبي ح في الفعل بأن يكون مثل فعل النبي ح.

الثاني: الموافقة له ح في القصد بأن يكون على وجه التعبّد، ويخرج من هذا ما فعله النبي ح على غير وجه التعبّد وإنما بحكم العادة، فمَن فعل ذلك على وجه التعبّد؛ لم يكن متابعاً للنبي ح فيه. وكذلك العكس، وهو أن يفعل النبي ح الفعل بنيّة التعبد، فيصدر مثل هذا الفعل من شخص، لكن بغير نية التعبّد، كمَن توضأ بنيّة التنظف فليس في هذا العمل متابعة للنبي ح في المقصد، ولهذا لا تقبل العبادات إلا بنية التعبّد[3].

فهذان الأمران أعني: إخلاص العبادة لله جل في علاه، ومطابقة كيفية أداءها لهدي خير البرية ح في الظاهر والباطن هما **شرطان لقبول أي عبادة يتقرب بها العبد.**

يقول الحافظ ابن كثير :: $فإن للعمل المتقبل شرطين، أحدهما: أن يكون خالصًا لله وحده، والآخر: أن يكون صوابا ـً موافقا ـً للشريعة. فمتى كان خالصا ـً ولم يكن صوابا ـً لم يتقبل؛ ولهذا قال رسول اللّه ح: $من عمل عملا ـً ليس عليه أمرنا فهو رد#. رواه مسلم من حديث عائشة ؛عنه[4]، فعمل الرهبان ومن شابههم -وإن فرض أنهم مخلصون فيه لله- فإنه لا يتقبـ ـّل منهم، حتى يكون ذلك متابعا ـً للرسول محمد ح المبعوث إليهم وإلى الناس كافة. وفيهم وأمثالهم، قال اللّه تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇﮈ الفرقان: 23 ...

وأما إن كان العمل موافقا ـً للشريعة في الصورة الظاهرة، ولكن لم يخلص عامله القصد لله فهو أيضًا مردود على فاعله وهذا حال المنافقين و

(1) السير (85/3).
(2) مجموع الفتاوى (280/1).
(3) تجريد الاتباع في بيان أسباب تفاضل الأعمال لشيخنا د. إبراهيم بن عامر الرحيلي (ص 56).
(4) سبق تخريجه في (ص 72).

المرائين#[1].

وبتحقّق هذين الشرطين في العمل $يصح ظاهره بالمتابعة وباطنه با لإخلاص#[2].

وممن أشار إلى هذين الشرطين أيضاً: الرازي : عندما بيّن شروط صحة العبادة من خلال قوله تعالى: ﭽﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ الإسراء: ١٩، قال :: $الشرط الأول: أن يريد بعمله الآخرة أي ثواب الآخرة، فإنه إن لم تحصل هذه الإرادة وهذه النية لم ينتفع بذلك العمل لقوله تعالى: ﭽﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﭼ [النجم: ٣٩]، ولقوله عليه الصلاة والسلام: $إنما ا لأعمال بالنيات#[3] ولأن المقصود من الأعمال استنارة القلب بمعرفة اللّه تعالى ومحبته، وهذا لا يحصل إلا إن نوى بعمله عبودية اللّه تعالى وطلب طاعته.

والشرط الثاني: قوله: ﭽﭿ ﮀ ﮁﭼ وذلك هو أن يكون العمل الذي يتوصل به إلى الفوز بثواب الآخرة من الأعمال التي بها يـ ُنال ثواب الآ خرة؛ ولا يكون كذلك إلا إذا كان من باب القرب والطاعات، وكثير من الناس يتقربون إلى اللّه تعالى بأعمال باطلة#[4].

فخلاصة الكلام: أن كل عمل لم يتوفر فيه هذان الشرطان وهما: الإخ لاص والمتابعة؛ فهو عمل مردود على صاحبه.

موقف الإسلام من مظاهر الانحراف في باب التوسل:

الانحرافات التي سبق ذكرها في المطلب الثاني في الحقيقة هي أعمال لم يتوفر فيها شرطا قبول الأعمال؛ فبالتالي هي من الأعمال المردودة التي ما أنزل اللّه فيه من سلطان.

والكلام عنها تفصيلا ً في نقطتين:

- **النقطة الأولى: ما يتعلق بالتوسل الشركي:**

أما التوسل الشركي فهذا مناقض للشرط الأول من شروط قبول الأ عمال وهو إخلاص العبادة لله وحده؛ فإن المتوسل بالتوسل الشركي قد صرف عبادته -التي هي الدعاء والاستغاثة- لغير اللّه ، وهذا شرك صريح مخرج من الملة الحنيفية. فإن الدعاء محض حق اللّه، قال سبحانه: ﭽﭡ ﭢ ﭣ ﭤﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ غافر: 60. عن السدي : في قوله

(1) تفسير ابن كثير (385/1).
(2) المرجع السابق (422/2).
(3) مضى تخريجه في (ص 55).
(4) تفسير الرازي (180/20). وذكر الرازي بعد هذين الشرطين شرطاً ثالثاً وهو الإ يمان؛ لأن تقدُّمه شرطٌ في كون أعمال البر موجبة للثواب، فغير المؤمن لا يقبل منه عمل أصلا ً، أخلصَ فيه أو لم يخلص، وَافَقَ الشرع أو لم يوافقه؛ لأنه لم يَنْقد للدين الذي لا تُقبَل الأعمال إلا من أهله، كما قال الرب : ﭽﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭼآل عمران: ٨٥. فلهذا المعنى لم ينصّ كثير من العلماء على هذا الشرط، اكتفاءً بكونه ظاهراً لا خفاء فيه.

تعالى: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ قال: $عن دعائي#[1].
وقد أكد المصطفى ح أن الدعاء هو العبادة، فقال ح: $الدعاء هو العبادة#[2]، يقول الرازي :: $قال الجمهور الأعظم من العقلاء: الدعاء أعظم مقامات العبادة، ويدل عليه وجوه# ثم ذكر خمس حجج تدل على ذلك[3].
وقد سبق ذكر الأدلة المثبتة على كون الدعاء والاستعانة والاستغاثة و الاستعاذة من العبادة التي يجب إخلاصها لله وحده، وأن وصرف شيئ منها لغيره سبحانه شرك أكبر مخرج من الملة[4]، ولو تتبعنا تلك الأدلة لطال البحث، $والبصير النبيل يدرك الحق من أول دليل، ومن قال قولاً بلا برهان، فقوله ظاهر البطلان، مخالف لما عليه أهل الحق والإيمان، المتمسكون بمحكم القرآن، المستجيبون لداعي الحق والإيمان، والله المستعان، وعليه التكلان#[5].
ومع وضوح تلك الأدلة وصراحة كلام الأئمة في المسألة إلا أن المخالفين ما زالوا يبثون شبهاتهم ويلبّسون بها على عوام المسلمين، وقد رددت معظم تلك الشبهات -ولله الحمد- في مبحث الدعاء[6]، وبقيت شبهات أخرى أردّها ها هنا، بمشيئة الله تعالى.

(1) تفسير الطبري (354/20).
(2) رواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب الدعاء (109/2 رقم 1479)، و الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ح، باب ومن سورة البقرة (ص 664 رقم 2969) وقال: $حديث حسن صحيح#، وابن حبان في صحيحه (172/3 رقم 890 -الإحسان)، والحاكم في المستدرك (159/2 رقم 1845 –ط. دار المعرفة) وقال: $صحيح الإسناد#. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (275/2 رقم 1627).
(3) شرح أسماء الله الحسنى (ص 84-85)، وكذا تفسير الرازي (105/5-107).
(4) انظر: (ص 206 وما بعدها، و224 وما بعدها).
(5) فتح المجيد (ص 209).
(6) انظر: (ص 236 وما بعدها).

شبهات والرد عليها:

سأذكر في هذا الصدد لوناً آخر من شبهاتهم؛ وهو إجاباتهم عن الأدلة المانعة للدعاء غير المشروع، وشبهاتهم التي يوردونها على الأدلة الصحيحة؛ ومرادُهم بها دفعُ دلالتها الصريحة على منع الدعاء غير المشروع، وأن تلك ا لأدلة لا تنطبق عليهم.

إن الذين أباحوا دعاء الموتى والغائبين والاستغاثة والاستعانة بهم، لما رأوا كثرة الأدلة المانعة من ذلك ودلالتها الواضحة الصريحة وعجزوا عن معارضتها؛ بحثوا عن شبهات يمكن أن يدفعوا بها دلالة تلك الأدلة على واقعهم المرير وعملهم المشين.

ومقصدهم بذلك ادعاء أن تلك النصوص لا تنطبق على أعمالهم الشركية -وهيهات أن تكون كذلك- كما أن مقصودَهم إخضاعُ النصوص الشرعية لِتُوافِق أهواءهم. مع أن الواجب على المنتسبين للعلم منهم: النصحُ لله ولرسوله ولهؤلاء الداعين للأموات من عوام المسلمين.

والفرق بين هذه الشبهات والتي تقدمت في النوعين السابقين[1] هو أن المراد من هذه الشبهات هو: منع دلالة النصوص المحرمة لدعاء غير الله تعلى على أعمال القبوريين، وصرفها إلى غيرهم، والإجابة اليائسة المستميتة عن النصوص الواضحة المانعة لأعمالهم.

وأما المراد من الشبهات السابقة فهو إثبات مشروعية تلك الأعمال عندهم. والآن أوان الرد التفصيلي على تلك الشبهات:

الشبهة الأولى:

قالوا: إن دعاء الصالحين والاستغاثة بهم ليس عبادة لهم وبالتالي فليس شركاً ولا تنطبق عليه النصوص الواردة في منع دعاء غير الله تعالى؛ لأن المراد بالدعاء في تلك الآيات هو العبادة وليس بمعنى السؤال والنداء و الطلب.

يقول أحدهم: $چچ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ[الجن: ١٨]. معنى الدعاء في هذه الآية هو العبادة لا المناداة، ولو فُسِّر بالمناداة لامتنع مناداة أي أحد داخل المسجد، مع أننا في صلاتنا ننادي نبينا، ألم نقرأ في التحيات: $السلام عليك أيها النبي#؟

فمعنى الآية إذاً: لا تعبد مع الله أحداً غيره، وليس هناك معنى غير هذا. فهل الذي يتوسل يعبد غير الله؟ لا! فهل سيدنا عمر عندما يتوسل بـ العباس في الاستسقاء فقد عبد بذلك العباسَ؟ لا! فهل الرجل الذي يتوسل بعمله الصالح -المذكورة قصته في البخاري- فقد عبد عمله؟ لا! إذاً لا علاقة ل لآية مع موضوع التوسل#[2].

---

(1) انظر: (ص 249 وما بعدها، و314 وما بعدها).
(2) Empat Puluh Masalah Agama (أربعون مسألة دينية) (166/1).

ويقول أيضاً: $يقول الكفار: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ[الزمر: ٣]، ما هو المنهي في هذه الآية؟ المنهي عنه هو تلك العبادة، لأنه لا يستحق أن يعبد إلا الرب. فعبادة غير الله منهي عنها ولو لِقصد التقرب إلى الله، أو لأي قصد آخر. فالمنهي إذاً عبادة غير الله.

أما البحث عن شيء، أو فعل أمر، أو قراءة شيء، من أجل التقرب إلى الله، فليس هذا بمنهي عنه، بل جاء الحث عليه في شريعة الإسلام، قال الرب في هذا الشأن: ﭽ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ[المائدة: ٣٥].

فأي فعل يقربنا إلى الله يجوز لنا فعله، بل أمَرَنا بالإتيان به، بنص الآية السابقة. إذاً ما ذكر في آية الزمر لا يصح أن يستدل به لمنع التوسل، إذ لا علاقة له به#(1).

الجواب عن هذه الشبهة من أوجه(2):

أولاً: إن هذا القول يصادم النصوص الواضحة التي سمّت دعاء المسألة عبادة، وهي كثيرة، فمن ذلك قوله ح: $الدعاء هو العبادة#(3).

ومن ذلك بعض الآيات التي وردت فيها كلمة الدعاء ومتصرفاتها وأريد بها دعاء المسألة نصاً، فلا يمكن تأويلها بالعبادة؛ لأنها آيات صريحة في موضع النزاع، منها قوله تعالى: ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼالأنعام: 40-41.

فالمراد بالدعاء في هذه الآية دعاء المسألة كما هو واضح من سياق الآية؛ يدل على ذلك قوله ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ لأن الكشف هو إجابة الدعاء.

ومنها قوله تعالى: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ فاطر: 13-١٤.

(1) نفس المرجع (ص 163-164).
(2) الدعاء ومنزلته (2/878-889، 703-710) بتصرف واختصار.
(3) سبق تخريجه في (ص 395).

تتحدث هذه الآية عن عدم سماع المدعوين من دون الله دعاء من دعاهم، فسياق الآية يدل على أن المراد بالدعاء هنا دعاء المسألة، فهو صريح في ذلك[1].

وهناك آيات أخرى كثيرة ومتنوعة في معنى الآيتين السابقتين[2].

ثانياً: إن أكثر استعمال الدعاء في الكتاب والسنة واللغة ولسان العرب ومن بعدهم من العلماء كان في السؤال والطلب، كما قال العلماء من أهل اللغة وغيرهم[3].

ومن الأدلة على أن الاستعمال الأكثر للدعاء إنما هو في السؤال و الطلب: صنيع المؤلفين من المحدثين وغيرهم، حيث يعقدون في كتبهم باب الدعوات أو كتاب الدعوات أو أمثال هذه العبارة، ثم يوردون ما يتعلق بدعاء المسألة فقط[4]، وأغلبهم لا يتعرضون لدعاء العبادة في تلك الكتب والأ بواب.

وكذلك الذين أفردوا كتباً خاصة بالدعاء -وهي كتب كثيرة للمتقدمين والمتأخرين[5]- لم يذكروا في تلك الكتب إلا ما يتعلق بدعاء المسألة.

فهذا يدل دلالة واضحة على أن الاستعمال الغالب لكلمة الدعاء في لسان المصنفين من العلماء إنما هو في دعاء المسألة.

ثالثاً: لو سلمنا جدلا ً أن المراد بالدعاء في قوله تعالى: ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆالجن: ١٨ وغيره من الآيات هو العبادة؛ فإننا لن نسلم بأن دعاء المسألة لا يدخل في العبادة، فإنه إن لم يكن الدعاء من العبادة فلا عبادة يمكن تصورها؛ لأن الدعاء يتضمن أنواعاً كثيرة من العبادات، وليس عبادة واحدة فقط، فهو يتضمن: الرجاء، والخوف، والتوكل، والتضرع، والابتهال، و الخشية، والطمع، والتوجه إلى الله تعالى والإقبال عليه، والاطراح بين يديه، وحسن الظن بالله، والمراقبة له، كما أنه يتضمن سؤاله، وذكره، وثناءه، و التوسل إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

$فثبت بهذا أن الدعاء عبادة من أجل العبادات؛ ... فإن لم يكن الإ شراك فيه شركاً، فليس في الأرض شرك، وإن كان في الأرض شرك، فالشرك في الدعاء أولى أن يكون شركاً مِن الإشراك في

(1) النبذة الشريفة النفيسة (ص 33-34).
(2) راجع: الدعاء ومنـزلته (118/1-122، 878/2-879).
(3) فتح المجيد (ص 213)، وانظر: الدعاء ومنـزلته (27/1).
(4) انظر: القول الفصل النفيس للشيخ عبد الرحمن بن حسن (ص 47).
(5) وقد تتبع مؤلف الدعاء ومنـزلته تلك الكتب فوصلت نحو ستين مؤلفاً إلى القرن السادس، أما بعد ذلك فكثيرة جداً يصعب حصرها. انظر (163/1) من الكتاب المذكور.

غيره من أنواع العبادة#[1].

فتحصل من هذا أن الدعاء داخل في العبادة، وأن الآيات والأحاديث الواردة في العبادة والتحذير من صرفها لغير اللّه تعالى تشمل وتعم جميع أنواع العبادات، ومن أجلها دعاء المسألة، وهناك تلازم بين دعاء العبادة ودعاء المسألة؛ فإن دعاء العبادة يستلزم الطلب والسؤال؛ فلا ينفع الخصم تأويل معنى الدعاء إلى العبادة وتضييقه لمفهوم العبادة حيث يظن أنها خاصة بالصلاة والصوم والحج.

قال الأمير الصنعاني : جواباً لمن حصر العبادة في الصلاة والصوم إلخ: $هذا جهل بمعنى العبادة؛ فإنها ليست منحصرة فيما ذكرتَ، بل رأسها وأساسها الاعتقاد، وقد حصل في قلوبهم ذلك، بل يسمونه معتقداً ويصنعون له ما تفرع عن الاعتقاد من دعائهم وندائهم والتوسل بهم والاستغاثة و الحلف والنذر وغير ذلك#[2].

رابعاً: أما قول الخصم: فمعنى الآية إذاً: لا تعبد مع اللّه أحداً غيره، وليس هناك معنى غير هذا ... إلخ.

أقول: هذا من باب التلبيس على عوام الناس؛ فإن أمثلة التوسل التي ذكرها هنا كلها من أنواع التوسل المشروع؛ وهي التوسل بدعاء الرجل الصالح، والتوسل بالأعمال الصالحة، فنحن لا ننكر هذه الأعمال أبداً، ونعوذ باللّه من إنكار الأعمال المشروعة وتصنيفها ضمن عبادة غير اللّه؛ بالتالي فا لإلزام الذي أَلزمْنا به ليس في محله!

إنما نتحدث في هذا المقام عن الذين وقعوا في التوسل الشركي، وهو دعاء الأموات مع تسميته توسلا ً، والآية تتناول هذا الأمر بلا شك.

فالادعاء بأن دعاء الأموات لا يسمى عبادة، وإنما يسمى توسلا ً، أو شفاعة، أو تبركاً، إلى آخر تلك التأويلات، قول باطل؛ لأن الأسماء لا أثر لها و لا تغير المعاني، ضرورةً لغوية وعقلية وشرعية؛ فتغيير الاسم لا يغير حقيقة المسمى ولا يزيل حكمه[3]؛ لأن العبرة بالمقاصد لا بالألفاظ والأسماء، كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﭽﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓﭼالأحزاب: ٥، وقال ح: $إنما الأعمال بالنيات#[4].

وقد أخبر المصطفى ح أنه سيأتي أقوام يشربون الخمر ويسمونها بغير اسمها[5]، فالخمر هي الخمر ولو سموها -زوراً وبهتاناً- شراباً روحياً، أو غير

(1) تيسير العزيز الحميد (ص 177).

(2) تطهير الاعتقاد (ص 73).

(3) تطهير الاعتقاد (ص 61-62)، والانتصار لحزب اللّه الموحدين للشيخ عبد الرحمن بن أبابطين (ص13).

(4) مضى تخريجه في (ص 55).

(5) كما رواه أبو داود في سننه، كتاب الأشربة، باب في الدّاذِيّ (61/4 رقم 3688).

ذلك من الأسماء البراقة الخادعة؛ وكذلك دعاء غير الله تعالى، لا يتغير بتسميته توسلا ً، أو تشفعاً، أو تبركاً.

فتبيّن مما سبق أن ما يفعله عباد القبور من دعاء أصحابها، وسؤالهم قضاء الحاجات، وتفريج القربات، والتقرب إليهم بالذبائح والنذور: عبادةٌ منهم للمقبورين، وإن كانوا لا يسمونه ولا يعتقدون كونه عبادة.

ومن كيد الشيطان أنه لما عَلِم أن كل من قرأ القرآن أو سمعه ينفر من الشرك ومن عبادة غير الله تعالى؛ ألقى في قلوب الجهال أن ما يفعلونه مع المقربين وغيرهم ليس عبادة لهم، وإنما هو توسل وتشفع بهم والتجاء إليهم ونحو ذلك، فسَلَب العبادة والشرك اسمهما من قلوبهم، وكساهما أسماء لا تنفر عنها القلوب[1].

خامساً: أما استدلاله بقوله تعالى: ﭽﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ المائدة: ٣٥ على جواز $البحث عن شيء، أو فعل أمر، أو قراءة شيء، من أجل التقرب إلى الله# و$أي فعل يقربنا إلى الله#؛ فالجواب عنه كالتالي:

أ- ما مرادك بقولك: $البحث عن شيء، أو فعل أمر، أو قراءة شيء، من أجل التقرب إلى الله#؟ إن كان قصدك بذلك الأمر هو: فعل الأمور المشروعة من التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى، أو التوسل بالأعمال الصالحة، أو التوسل بدعاء رجل حي حاضر صالح؛ فهذا لا يخالفك فيه أحد، لكن إن أردت بذلك الشيء: دعاء الأموات والاستغاثة بهم، فهذا لا تدل عليه الآية لا من قريب ولا من بعيد، وتوضيح ذلك كالآتي:

ب- قد ذكرت فيما مضى[2] معنى التوسل في اللغة والشرع وعبارات السلف، وليس من معناه اللغوي ولا الشرعي: التوسل بهذا المعنى المحدث الذي هو دعاء الأموات والاستغاثة بهم؛ فلا يجوز حمل الآية على المعنى الذي لم يكن متعارفاً عليه وقت النـزول، فلهذا لم نجد أحداً من مفسري السلف فسر الآية بدعاء الأموات، فهو إذاً من التفسير بالرأي المجرد وهو مذموم كما هو معروف.

ج- إن هذا الأمر بطلب الوسيلة كان ينبغي للنبي ح أن يبيّنه للأمة إما بقوله أو عمله، وذلك عملا ً بقوله تعالى: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ النحل: ٤٤، ولم يثبت عن النبي ح -وحاشاه- في حديث صحيح أو حسن

وابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب العقوبات (ص 664 رقم 4020)، والبخاري في صحيحه، كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه (51/10 رقم 5590 -الفتح) عن شيخه هشام بن عمار على صورة التعليق جازماً به، وله شواهد ساقها الحافظ ابن حجر في الفتح (51/10-52). والدَّاذِي: حب يطرح في النبيذ فيشتد.

(1) انظر: تطهير الاعتقاد (ص 64-65).

(2) تقدم في (ص 375-378).

أنه استغاث بالأموات أو الملائكة المقربين في أدعيته الكثيرة المتواترة، و التي صُنفت فيها المجلدات، والتي فيها جميع أنواع صيغ الدعاء بأساليب شتى، فهل يعقل أن يترك النبي ح بيان هذا الأمر الإلهي؟

د- إن الصحابة لم يطبِّقوا هذا الأمر الإلهي -أعني ابتغاء التوسل إليه تعالى- بدعاء الأموات في حياة النبي ح وقت وقوعهم في الشدائد والعظائم ، فلم يُنقل عنهم في غزواتهم وسراياهم وأسفارهم أنهم توسلوا به ح، فلو كانت الآية تعني أن ابتغاء الوسيلة هو دعاء الأموات لرَأَيْنا في أدعية الصحابة التي ثقلت بألفاظ كثيرة، وفي مناسبات كثيرة -وحاشاهم- دعاءَهم الأموات والاستغاثة بهم، فكيف فاتهم هذا الفهم لعموم الآية وأدركه الخلوف المتأخرون؟!

وقد ذكرت فيما مضى[1] أن الترك الراتب مع وجود المقتضي وعدم المانع؛ سنة متبعة، كما قرره العلماء المحققون.

و- الآية تدل على عكس فهم هؤلاء؛ لأن فيها تقديم المعمول وهو يفيد الحصر؛ فقد قُدِّم الجار والمجرور وهو ﭽﮋﭼ على المتعلق به وهو ﭽﯙﭼ، أي: اطلبوا القربة إلى الله وحده لا إلى غيره، فالتوسل الشركي توجه إلى غير الله وتعليق للقلب بغير الله، وليس فيه حصر التوجه والتعلق على الله، الذي تفيده الآية بتقديم الجار والمجرور.

ويدل على أن التوسل الشركي ليس فيه حصر التوجه: ما خافه النووي : من التوسل بالأعمال الصالحة، فإنه ذكر حديث الغار وتوسل الثلاثة بأعمالهم، وأن العلماء استحبوا لمن وقع في شدة أن يدعو بصالح عمله عملا ً بحديث الغار، ثم قال :: $وقد يقال: في هذا شيء؛ لأن فيه نوعاً من ترك الافتقار المطلق إلى الله تعالى، ومطلوب الدعاء الافتقار#، ثم أجاب عن الا ستشكال بأن النبي ح صوّب أعمالهم؛ فدلّ على جوازه[2].

فإذا كان مثل الإمام النووي : يخاف في التوسل المشروع عدمَ حصر ا لافتقار في الله تعالى، فكيف يكون الأمر في التوسل الشركي؟ لا شك أن ترك الافتقار المطلق فيه أولى وأظهر.

ز- إن لفظ الوسيلة الذي ورد في آية المائدة هو مثل لفظ الوسيلة الذي ورد في آية الإسراء ﭽﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﭼالإسراء: 56-٥٧.

ففي هذه الآية لا يمكن تفسير الوسيلة بما يشمل التوسل الشركي؛ لأن ذلك خلاف سياق الآية؛ فالآية تبيّن أن المدعوين أنفسهم يطلبون إلى الله الزلفى والقربة، ويرجون رحمته ويخافون عذابه، فكيف أنتم تدعونهم مع هذا؟![3]

---

(1) سبق في (ص 265).
(2) الأذكار (ص 568).
(3) راجع: تفسير الطبري (632/14)، وتفسير القرطبي (106/13-107)، وتفسير

بل اللائق بكم أن تدعوا وتطلبوا الزلفى إلى الله كما هم يطلبونها من الله تعالى وحده، وهذا واضح من الآية بحمد الله. فهي في نفي الواسطة إلى الله تعالى، فيشمل ذلك التوسل الشركي؛ فكما أن الوسيلة في آية الإ سراء لا تعم التوسل الشركي؛ فكذلك لا تعمه في آية المائدة، وخير ما فُسِّر القرآن بالقرآن[1]، ومن فرّق بين المتماثلين فعليه البيان والبرهان، ولا برهان له إلا الاحتمالات الواهية والظنون الكاذبة.

فثبت بما تقدم -ولله الحمد- أن معنى الآية: ليس في التوسل الشركي بدعاء الموتى، وإنما معناها: تقربوا إلى الله بطاعته والعمل بما يرضيه.

سادساً: الجواب على قول المخالف: $إذاً، ما ذُكِر في آية الزمر لا يصح أن يستدل به لمنع التوسل، إذ لا علاقة له به#.

إننا معشر أهل السنة والجماعة لم نمنع التوسل إذا كان توسلا ً شرعياً، بل نحث أنفسنا والناس على الإتيان به والإكثار منه، وإنما نمنع التوسل الشركي والبدعي ونحذر الناس منه، فهذا النوع من التوسل، أعني: التوسل الشركي تتناوله آية الزمر ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ بلا شك! لأنه عبادة لغير الله بقصد التقرب إلى الله، وهذا واضح، ولله الحمد.

الشبهة الثانية:

تحريف المخالفين لمعنى قول رسول الله ح $إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله#[2].

لما كان هذا الحديث النبوي صريحاً في الأمر بإخلاص الدعاء والا ستعانة بالله وحده، وبالتالي سينقض شركهم من أسه؛ لجؤوا إلى تحريف معناه -وبئس ما صنعوا- ويقولون إن هذا الحديث الشريف ليس المقصود به النهي عن السؤال والاستغاثة بما سوى الله، كما يفيده ظاهر لفظه، وإنما المقصود به النهي عن الغفلة عن ما كان من الخير على يد الأسباب فهو من الله، والأمر بالانتباه إلى أن ما كان من نعمة على يد المخلوقات فهو من الله وبالله، فالمعنى: وإذا أردت الاستغاثة بأحد من المخلوقين، فاجعل كل اعتمادك على الله وحده، ولا تحجبنك الأسباب عن رؤية المسبب -جل جلاله-، ولا تكن ممن يعلمون ظاهراً من هذه الارتباطات والعلاقات بين الأشياء المترتب بعضها على بعض، وهم عن الذي ربط بينها غافلون[3].

البغوي (5/100-101)، وتفسير الرازي (20/233-234).

(1) انظر: مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام (ص 84)، وأضواء البيان (1/8)، وقواعد التفسير للدكتور خالد بن عثمان السبت (1/295).

(2) مضى تخريجه في (ص 319).

(3) انظر: Mana Dalilnya (أين الدليل) (ص 127-128)، ومفاهيم يجب أن تصحح (ص 96).

الجواب[1]:
هذا التفسير لقول رسول الله ح بناه المخالفون على مفهوماتهم للتوحيد وهو توحيد الربوبية، وفسروه تفسيراً لم ينقله عن عالم يركن إلى تفسيره وشرحه، ولا إلى إمام يحتذى حذو فهمه ويتابع عليه.
فإذا كان من عند أنفسهم فلا شك أنه لن يقبل ولن يصار إليه، والعجب منهم كيف يتجرؤون على تحريف مرادات رسول الله ح لنصرة هواهم.
ومما يدل على بطلان ما فسروه به:
أولا ً: أن هذه الوصية من رسول الله ح لابن عباس منقبة لابن عباس، ولو فسرت بما فسرها به المخالفون لكانت غير منقبة، إذ تفسيره يدل على أن المخاطب معه أدنى درجات الإيمان والتوحيد، فهو يحذر من الوقوع في براثن رؤية الأسباب، وحاشا ابن عباس م أن يقع منه ذلك.
ثانياً: أن هذا التفسير خارج عما قاله الشراح من أهل العلم، وما كان كذلك فهو من الهوى إن لم يـ ُقم صاحبه عليه دليلا ً صحيحاً نقلا ً ونظراً، وهو مما ليس في قول المخالفين هنا، وأنى لهم ذلك.
قال الحافظ الفقيه ابن رجب الحنبلي :: $قوله ح: $إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله# هذا منتزع من قوله تعالى: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ [الفاتحة: 5]، فإن السؤال لله هو دعاؤه والرغبة إليه، والدعاء هو العبادة ... فتضمن هذا الكلام أن يسأل الله ، ولا يسأل غيره، وأن يستعان بالله دون غيره، فأما السؤال فقد أمر الله بمسألته فقال: ﭽﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟﭼ [النساء: 32] ...
وفي النهي عن مسألة المخلوقين أحاديث كثيرة صحيحة، وقد بايع النبي ُ ح جماعة ً من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئاً[2] منهم: أبو بكر الصديق، وأبو ذر[3]، وثوبان[4]، وكان أحدهم يسقط سوطه أو خطام ناقته فلا يسأل أحداً أن يناوله إياه[5]#.
ثم قال :: $واعلم أن سؤال الله دون خلقه هو المتعين؛ لأن السؤال فيه إظهار الذل من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار، وفيه الاعتراف

(1) هذه مفاهيمنا (ص 173-175) بتصرف يسير واختصار.
(2) الحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس (721/2 رقم 1043) من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه.
(3) هو: أبو ذر الغفاري واسمه: جندب بن جنادة (ت 32 هـ)، صحابي مشهور، قدم إسلامه، وتأخرت هجرته فلم يشهد بدراً، ومناقبه كثيرة جداً. انظر: التقريب (رقم 8147).
(4) هو: ثوبان الهاشمي (ت 54 هـ)، مولى النبي ح، صحبه ولازمه. انظر: التقريب (رقم 866).
(5) انظر: سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب كراهية المسألة (201/2 رقم 1642)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم 1446).

بقدرة المسؤول على دفع هذا الضرر ونيل المطلوب، وجلب المنافع ودرء المضار، ولا يصح الذل والافتقار إلا لله وحده لأنه حقيقة العبادة، وكان الإ مام أحمد يقول: $اللّٰهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصنه عن المسألة لغيرك#[1](2).

وقال ابن حجر الهيتمي الشافعي[3] :: $فمع النظر لذلك لا فائدة لسؤال الخلق مع التعويل عليهم؛ فإن قلوبهم كلها بيد اللّٰه ، ويصرفها على حسب إرادته، فوجب ألا يعتمد في أمر من الأمور إلا عليه ، فإنه المعطي المانع، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، له الخلق وله الأمر# ثم قال: $فبقدر ما يميل القلب إلى مخلوق يبعد عن مولاه؛ لضعف يقينه ووقوعه في هوة الغفلة عن حقائق الأمور التي تيقظ لها أصحاب التوكل واليقين، فأعرضوا عما سواه وأنزلوا جميع حوائجهم بباب كرمه وجوده#[4].

وقال إبراهيم بن مرعي المالكي[5] :: $وإذا استعنت أي: طلبت الإعانة على أمر من أمور الدنيا والدين، ولذا حذف المعمول المؤذن بالعموم $فاستعن باللّٰه#؛ لأنه القادر على كل شيء، وغيره عاجز عن كل شيء، والا ستعانة إنما تكون بقادر على الإعانة، وأما من هو كَلٌّ على مولاه لا يقدر على إنفاذ ما يهواه لنفسه، فضلاً عن غيره، فكيف يؤهل للاستعانة أو التمسك بسببه؟! ومن كان عاجزاً عن النفع والدفع عن نفسه، فهو عن غيره أعجز، ليت الفحل يهضم نفسه.

فاستغاثة مخلوق بمخلوق كاستعانة مسجون بمسجون، فلا تستعن إلا بمولاك فهو دليلك في أخراك وأولاك، كيف تستعين بعبد مع علمك بعجزه؟! فمن لا يستطيع دفع نازلة عن نفسه كيف يدفعها عن غيره، من أبناء جنسه؟! فلا تنتصر إلا به فهو الولي الناصر، ولا تعتصم إلا بحبله فإنه العزيز القادر#[6].

وقال الملا علي القاري الحنفي :: $وإذا سألت أي: أردت السؤال فاسأل

---

(1) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (349/2).
(2) جامع العلوم والحكم (478/1-481).
(3) هو: أحمد بن محمد بن محمد السعدي الأنصاري المكي الشافعي شهاب الدين أبو العباس (909-974 هـ)، من أشهر مصنفاته: الزواجر عن اقتراف الكبائر، والإعلام بقواطع الإسلام. انظر: شذرات الذهب (370/8-342)، والأعلام (234/1)، وللتوسع في معرفة عقيدة الهيتمي راجع: آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية عرض وتقويم في ضوء عقيدة السلف لمحمد بن عبد العزيز الشايع.
(4) الفتح المبين بشرح الأربعين (ص 371).
(5) هو: إبراهيم ين مرعي بن عطية برهان الدين الشَّبْرَخِيتي (ت 1106 هـ)، من أفاضل المالكية بمصر، من كتبه: شرح مختصر خليل، والفتوحات الوهبية بشرح ا لأربعين حديثاً النووية. انظر: الأعلام (73/1).
(6) الفتوحات الوهبية بشرح الأربعين النووية (ص 399).

الله -بإثبات الهمز ويجوز نقله- أي: فاسأل الله وحده؛ فإن خزائن العطايا عنده، ومفاتيح المواهب والمزايا بيده، وكل نعمة أو نقمة دنيوية أو أخروية فإنها تصل إلى العبد أو تندفع عنه برحمته من غير شائبة غرض ولا ضميمة علة؛ لأنه الجواد المطلق، والغني الذي لا يفتقر، فينبغي أن لا يرجى إلا رحمته، ولا يخشى إلا نقمته، ويلتجأ في عظائم المهام إليه، ويعتمد في جمهور الأمور عليه، ولا يسأل غير ُه لأن غير َه غير ُ قادر على العطاء والمنع ودفع الضر وجلب النفع، فإنهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ً ولا ضرا ً، ولا يملكون موتا ً ولا حياة ولا نشورا ً، ولا يترك السؤال بلسان الحال أو ببيان المقال في جميع الأحوال# ثم قال :: $وإذا استعنت أي أردت الإ ستعانة في الطاعة وغيرها من أمور الدنيا والآخرة فاستعن بالله فإنه المستعان وعليه التكلان في كل زمان ومكان#[1].

فهذه شذرات من كلام أهل العلم -على تنوع مذاهبهم الفقهية-، يبين بها خروج المخالفين بمفاهيمهم عن فهم أهل العلم، ومن كان كذلك فليس منهم.

ثالثاً: إذا كان هذا كلام العلماء فيمن هو حي يقدر على إجابة السؤال وإعانة الطالب، فما ظنك بالميت الذي هو أضعف في إجابته من الحي، بل لا يجيب حياً سأله في أمرٍ يتعلق به، فالميت مشغولٌ بنفسه: إما في نعيم وروضة وإما في جحيم وحفرة.

(1) مرقاة المفاتيح (9/490-491).

الشبهة الثالثة:
قولهم: إن النصوص الناهية عن دعاء غير الله إنما وردت في الأصنام فقط، والأولياء والصالحون ليسوا مثل الأصنام، فمن يدعوهم ليس مثل من يدعوا الأصنام.
والجواب من أوجه(1):
أولاً: إن المشركين الذين وردت فيهم تلك النصوص ليسوا كلهم يعبدون الأصنام؛ فإن منهم من يعبد الأولياء والصالحين، ومنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء، ومنهم من يعبد الأحجار، وهي في الأصل صور رجال صالحين.
والأدلة على ذلك كثيرة من القرآن الكريم، ومن أوضحها: قوله تعالى: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﭼالإسراء: 56-٥٧.
فهذه الآية في العقلاء بدون شك، وإن اختلف المفسرون في تعيينهم:
أ- فقيل الجن، عن ابن مسعود ط قال: $كان نفر من الإنس يعبدون نفراً من الجن، فأسلم النفر من الجن، واستمسك الإنس بعبادتهم؛ فنـزلت ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬﭼ#(2) وفي رواية: $فأسلم الجنيون، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون#(3).
ب- وفي رواية أخرى عن ابن مسعود ط أنها نزلت في الملائكة، ومثله عن عبد الرحمن بن زيد :(4).
ج- وفي رواية أنهم عزير، وعيسى، وأمه، والملائكة، روي ذلك عن ابن عباس ومجاهد(5).
فهذه الأقوال المنقولة عن السلف في تفسير هذه الآية ليس بينها اختلاف؛ لأنها عامة تشمل كل هذه الأقوال؛ إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص

---

(1) هذه الأوجه مستقاة من: الدعاء ومنـزلته (889/2-896) بتصرف واختصار، وانظر: كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص 22 وما بعدها)، وتطهير الاعتقاد (ص 56).
(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ [الإسراء: ٥٦] (397/8 رقم 4714 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب التفسير، باب في قوله تعالى: ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ (2321/4 رقم 3030)، واللفظ لمسلم.
(3) رواها مسلم في صحيحه، كتاب التفسير، باب في قوله تعالى: ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ (2321/4 رقم 3030).
(4) رواه الطبري في تفسيره (630/14).
(5) رواه الطبري في تفسيره (631/14)، وابن أبي حاتم في تفسيره (2335/7 رقم 13318)، وقال ابن تيمية في الرد على المنطقيين (ص 572): $روى ابن أبي حاتم وغيره بأسانيد ثابتة عن شعبة عن السدي سمع أبا صالح عن ابن عباس به#.

السبب، ثم إنه ليس مراد مَن فسرها بالجن، أو الملائكة؛ أنها خاصة بذلك، وإنما مراده مجرد التمثيل.

قال شيخ الإسلام :: $وهذه الأقوال كلها حق؛ فإن الآية تعم كل من كان معبوده عابداً لله، سواء كان من الملائكة، أو من الجن، أو من البشر. والسلف -رضي الله عنهم- في تفسيرهم يذكرون جنس المراد بالآية على نوع التمثيل، كما يقول الترجمان لمن سأله ما معنى لفظ الخبز؟ فيريه رغيفاً فيقول هذا، فالإشارة إلى نوعه لا إلى عينه.

وليس مرادهم بذلك تخصيص نوع دون نوع مع شمول الآية للنوعين، فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعواً، وذلك المدعو يبتغي إلى الله الوسيلة ويرجو رحمته ويخاف عذابه، وهذا موجود في الملائكة و الجن و الإنس#[1].

فمعنى الآية: أن الذين يدعوهم المشركون هم أنفسهم يتقربون إلى الله بالطاعات ويرجونه ويخافونه فكيف يجوز دعاؤهم؟ وهذا كقوله تعالى: ﭽﯾ ﯿ ﯿ ﯿ ﯿ ﯿ ﯿ ﮊﭼالكهف: ١٠٢[2].

فتبين بهذا أن الآية عامة في المعبودين من العقلاء بدون تخصيص صنف دون صنف. وقد اتفقت أقوال المفسرين على أن هذه الآية في المدعوين العقلاء وليست في الأصنام، وإليكم قول الرازي :: $اعلم أن المقصود من هذه الآية الرد على المشركين، وقد ذكرنا أن المشركين كانوا يقولون: ليس لنا أهلية أن نشتغل بعبادة الله تعالى، فنحن نعبد بعض المقربين من عباد الله وهم الملائكة، ثم إنهم اتخذوا لذلك الملك الذي عبدوه تمثالاً وصورة واشتغلوا بعبادته على هذا التأويل، والله تعالى احتج على بطلان قولهم في هذه الآية فقال: ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ وليس المراد الأصنام لأنه تعالى قال في صفتهم: ﭽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﭼ وابتغاء الوسيلة إلى الله تعالى لا يليق بالأصنام ألبتة#[3].

ومما يدل على أن المشركين الذين نزل فيهم القرآن يعبدون غير الأصنام: ما بيّنه الله في كتابه عن الشرك بالملائكة، والشرك بالأنبياء، و الشرك بالصالحين، والشرك بالكواكب، والشرك بالأصنام، والشرك بالجن، وأصل ذلك كله الشرك بالشيطان، فقال تعالى في الشرك بالملائكة والأنبياء: ﭽﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼآل عمران: 79-٨٠. وقال تعالى في الشرك بعيسى ومريم إ: ﭽ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼالمائدة: ١١٦، وقال في الشرك بالملائكة والأنبياء و

---

(1) الاستغاثة في الرد على البكري (ص 291)، وانظر: مجموع الفتاوى (226/15).
(2) انظر: الرد على المنطقيين (ص 573).
(3) تفسير الرازي (232/20)، وانظر: فتح القدير (1282/1).

الصالحين: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ الإسراء: ٥٧، وقال: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ التوبة: ٣١.

وقال في الشرك بالملائكة والجن: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ سبأ: 40-٤١، ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ الجن: ٦، وقال تعالى في الشرك بالشيطان: ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ النحل: ١٠٠.

ثانياً: ثم لو سلمنا أن تلك النصوص وردت في الأصنام فقط -على سبيل التنـزل- فإننا نقول: إن تلك الأصنام هي تماثيل لقوم صالحين، فقد ثبت في ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، أنها أسماء رجال صالحين من قوم نوح ؛[1]، كما أن اللات رجل يلت السويق للحجيج[2].

وعلى هذا؛ فعبادة الأصنام ترجع في الحقيقة إلى عبادة الصالحين، فهي الأساس في العبادة وأصل الفتنة. وقد ذكر كثير من أهل العلم هذا المعنى، وبيّنوا أن عبادة الأصنام ترجع إلى عبادة العقلاء من الملائكة، والأنبياء، والصالحين، أو الكواكب[3].

قال الرازي :: $إن العاقل لا يعبد الصنم من حيث إنه خشب أو حجر، وإنما يعبدونه لاعتقادهم أنها تماثيل الكواكب، أو تماثيل الأرواح السماوية، أو تماثيل الأنبياء والصالحين الذين مضوا، ويكون مقصودهم من عبادتها توجيه تلك العبادات إلى تلك الأشياء التي جعلوا هذه التماثيل صوراً لها#[4].

وهذا أيضاً ما أقر به الباحثون المعاصرون، كما ذكر ذلك الدكتور محمد عبد الله دراز[5] : حيث قال: $فاعلم أن كلمات الباحثين في نفسيات المتدينين وعقلياتهم قد تطابقت على أنه ليس هناك دين أياً كانت منـزلته من الضلال والخرافة، وقف عند ظاهر الحس، واتخذ المادة المشاهدة معبودة لذاتها، وأنه ليس أحد من عباد الأصنام والأوثان كان هدف عبادته في الحقيقة هياكلها الملموسة، ولا رأى في مادتها من العظمة الذاتية ما يستوجب لها منه هذا التبجيل والتكريم، وكل أمرهم هو أنهم كانوا يزعمون

(1) مضى تخريجه في (ص 175).
(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﭼ [النجم: ١٩] (611/8 رقم 4859 -الفتح)، وأخرجه أيضاً عبد بن حميد كما في الجواب الباهر (ص 36)، وتفسير الطبري (47/22-48).
(3) انظر: قاعدة جليلة (ص 155)، وضمن مجموع الفتاوى (361/1)، وتفسير الرازي (241/26).
(4) تفسير الرازي (241/26).
(5) هو: محمد بن عبد الله دراز المصري (ت 1377 هـ)،عالم، أديب، من مؤلفاته: تاريخ آداب اللغة العربية، ومنهل العرفان في تقويم البلدان. انظر: معجم المؤلفين (438/3).

هذه الأشياء مهبطاً لقوة غيبية أو رمزاً لسر غامض يستوجب منهم هذا التقديس البليغ ... ثم ضرب مثالا ً لذلك بالزنوج[1] الذين في جبال النوبة[2] وأنهم يعبدون رجلا ً يسألونه دفع البلاء وجلب النفع بالمطر و الرزق، ويبالغون في دعائه واسترضائه، فإن لم يحصل مطلوبهم سجنوه وربما قتلوه.

فدل هذا على أنهم يعتقدون فيه علم الأسرار والقدرة على قضاء الحاجات إلى حد محدود، كما هو الحال في المعتقدين في الأولياء و القديسين، ولا يمنع ذلك من اعتقادهم في الإله الأعظم#[3].

ثالثاً: إن النصوص الناهية عن دعاء غير الله وردت بألفاظ العموم؛ فتشمل جميع المدعوين من دون الله سواء كانوا من الأصنام أو الجامدات أو العقلاء.

جاءت تلك النصوص بصيغة الموصول، وهي من صيغ العموم[4]، ومن تلك النصوص: قوله تعالى: ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ فاطر: ١٣، وقوله: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼالإسراء: ٥٦، وقوله: ﭽ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﭼ يونس: ١٠٦.

فهذه الموصولات في كلام اللّه واقعة على كل مدعو ومعبود؛ نبياً كان أو ملكاً أو صالحاً إنسياً أو جنياً، حجراً أو شجراً؛ متناولة لذلك بأصل الوضع، فإن الصلة كاشفة ومبيّنة للمراد وهي واقعة على كل مدعو من غير تخصيص، وهي أبلغ وأدل وأشمل من الأعلام الشخصية والجنسية.

وهذا هو الوجه في إيثارها على الأعلام، وشرط الصلة أن تكون معهودة عند المخاطب، والمعهود عند من يعقل من أصناف بني آدم أن الأ نبياء والملائكة والصالحين قد عُبِدوُا مع اللّه وقصَدهم المشركون بالدعاء في حاجاتهم[5].

مع أن بعض تلك النصوص جاءت بألفاظ خاصة بالعقلاء، نحو: ﭽ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼالنحل: 20-٢١، فهذه الآية لم تخبر إلا عن العقلاء؛ لأن الأصنام من الأخشاب والأحجار لا يحلها الموت[6].

---

(1) الزنوج: من القبائل الموجودة في السودان، ويتركزون في الجنوب.
(2) جبال النوبة: تقع شمال أم درمان بالسودان.
(3) الدين (ص 42-43 مع الهامش).
(4) انظر في صيغ العموم: الإحكام للآمدي (243/2-244)، وجمع الجوامع في أصول الفقه (ص 45)، وإرشاد الفحول (518/1)، فقد ذكروا أن أسماء الشرط والا ستفهَام والموصولات من صيغ العموم. وراجع أيضاً: قواعد التفسير (548/2-549).
(5) انظر: تحفة الطالب والجليس (ص 99).
(6) القول الفصل النفيس (ص 36).

وبهذا يتبيّن أن النصوص عامة لكل المدعوين من العقلاء وغيرهم، ومن ادعى التخصيص بغير العقلاء فعليه البرهان، ولا برهان له يدل على الفرق بين العقلاء وغيرهم؛ $لأن الحكم واحد؛ إذا حصل لمن يعتقد في الولي والقبر ما كان يحصل لمن كان يعتقد في الصنم والوثن؛ إذ ليس الشرك هو مجرد إطلاق بعض الأسماء على بعض المسميات، بل الشرك هو أن يفعل لغير الله شيئاً يختص به سبحانه، سواء أطلق على ذلك الغير ما كان تطلقه عليه الجاهلية، أو أطلق عليه اسماً آخر، فلا اعتبار بالاسم قط ...

وقد علم كل عالم أن عبادة الكفار للأصنام لم تكن إلا بتعظيمها واعتقاد أنها تضر وتنفع، والاستغاثة بها عند الحاجة والتقرب لها في بعض الحالات بجزء من أموالهم، وهذا كله قد وقع من المعتقدين في القبور... #[1].

الشبهة الرابعة:

سمعت بعضهم يقول: كما أن الخوارج طبقوا ما ورد في الكفّار و المشركين من الآيات على المسلمين المؤمنين، فكذلك أنتم طبقتم سائر تلك الآيات الواردة في المشركين على مسلمي العالم.

والرد عليه بأن يقال:

(1) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للشوكاني (ص 70).

أولا ً: القاعدة الأصولية المعروفة تقول: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[1]؛ أي أن النصوص العامة الواردة على أسباب خاصة تكون أحكامها عامة[2]. فأحكام القرآن وإن وردت لسبب خاص إلا أن حكمها عام إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼالأنعام: ١٩[3].

يقول الإمام الطبري :: $يقول تعالى ذكر ُه لنبيه محمد ح: قل لهؤلاء المشركين الذين يكذبونك: ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼعقابَه، وأنذر به من بَلَغه من سائر الناس غيركم؛ إن لم ينته إلى العمل بما فيه، وتحليل حـ لاله وتحريم حرامه، والإيمان بجميعه؛ نزولَ نقمة الله به#[4].

ويقول الإمام البغوي :: $ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ لأخوفكم به يا أهل مكة، ﭽ ﭨ ﭩ ﭼ يعني: ومن بلغه القرآن من العجم وغيرهم من الأمم إلى يوم القيامة#[5].

ثانياً: بناءً على ما سبق تقريره في الوجه الأول أقول: فمن فعل كما فعل المشركون من الشرك بـالله، بصرف خالص حقه لغير الله من الأنبياء وا لأولياء والصالحين، ودعاهم مع الله، واستغاث بهم كما يستغيث بـالله، وطلب منهم ما لا يـ ُطلـ َب إلا ّ من الله؛ فما المانع من تن-زيل الآيات على من فعل كما فعل المشركون؟؛ إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[6]، كما سبق بيانه.

فالجامع بين المشركين الأولين وبين الواقعين في الشرك من المنتسبين إلى الإسلام موجودٌ وهو الشرك؛ فالحكم في ذلك واحد، لا فرق فيه؛ لعدم الفارق ووجود الجامع[7]. فالآيات القرآنية التي وردت في قوم معينين هي تعمّ بعموم العلة كلّ من وُجِد فيه ذلك الوصف[8].

ثالثاً: يلزم على هذه الشبهة لوازم باطلة وهي: تعطيل جريان الأحكام

---

(1) انظر: المسودة في أصول الفقه لآل تيمية، تح محيى الدين (306/1-308)، و البحر المحيط في أصول الفقه (198/3، 210، 220)، وشرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول للقرافي (ص 216)، والتبصرة في أصول الفقه للشيرازي (ص 144)، وشرح الكوكب المنير (177/3).
(2) قواعد التفسير (593/2).
(3) انظر: تأييد الملك المنان في نقض ضلالات دحلان للشيخ صالح بن محمد الشثري (ص 28، 91).
(4) تفسير الطبري (181/9-182).
(5) تفسير البغوي (133/3).
(6) كشف غياهب الظلام عن أوهَامْ جلاء الأوهَامْ للشيخ سليمان بن سحمان (ص 195).
(7) الشرك في القديم والحديث (1371/3).
(8) الدرر السنية في الرد على الوهابية لأحمد بن زيني دحلان (ص 3).

الشرعية على جميع البرية؛ لأن كل حكم نزل على سبب مخصوص في قضية سالفة فهو لا يتعداها إلى غيرها؛ فالآيات التي نزلت على المشركين -مثلا ً- لا تشمل إلا المشركين الأوائل الذين نزلت فيهم، فلا حكم لها الآن![1] والحدود المذكورة في القرآن والسنة لأناس كانوا وانقرضوا؛ فلا يحد الزاني اليوم، ولا تقطع يد السارق، ونحو ذلك![2] وشرائع الدين كالصلاة و الزكاة والصيام والحج، وآيات المواريث التي نزلت على الصحابة لا تتعدى أحكامها على غيرهم![3]

فهذه كلها لوازم باطلة لا يقولها من له أدنى مسكة من العلم، وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم؛ فدل على بطلان تلك الشبهة الواهية.

فالذي يجب على الإنسان إذا قرأ القرآن أن لا يحسب أن الخطاب كان مع قوم قد انقرضوا، بل الواقع أنه ما من بلاء كان فيما سبق من الزمان إلا وهو موجود اليوم بطريق الأنموذج[4]، بحكم الحديث: $لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة...#[5].

رابعاً: أما تشبيه المخالف دعاة التوحيد بالخوارج[6] في تن-زيل الآيات الواردة في المشركين على المسلمين، فهو تشبيه ليس في محله وقياس مع الفارق.

قال ابن عمر م بعد أن وصف الخوارج بأنهم شرار الخلق: $إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين#[7].

لنأخذ مثالا ً واحداً لمنهج الخوارج الذي ذكره ابن عمر سابقاً، ثم نقارن مع ما فعله دعاة التوحيد؛ كي يتضح للقارئ مدى بُعْد التشبيه بين الطائفتين.

إن من عقائد الخوارج -إلا النجدات منهم- القول بتكفير صاحب

---

(1) انظر: الدين الخالص (233/1).

(2) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (237/8 -ط. دار الإفتاء).

(3) تأييد الملك المنان (ص 91-93).

(4) انظر: الفوز الكبير في أصول التفسير، لولي الله الدهلوي (ص 39).

(5) مضى تخريجه في (ص 318).

(6) الخوارج: أول فرقة ظهرت في الإسلام، سموا بذلك لخروجهم عن تعاليم الدين وخروجهم على خيار المسلمين، وقد افترقوا إلى عشرين فرقة، و من كبار فرقهم: المحكمة، والأزارقة، والنجدات، والإباضية. انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (167/1-168)، والفرق بين الفرق (ص 72-73)، والملل والنحل (ص 114)، وفتح الباري (283/12).

(7) رواه البخاري تعليقاً في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم (282/12 -الفتح)، وقال الحافظ ابن حجر بعد أن ذكر هذا الأثر: $وصله الطبري في مسند علي من تهذيب الآثار ... وسنده صحيح#. الفتح (286/12).

الكبيرة وأنه مخلد في النار، بناء على القول فإنهم يكفّرون عثمان وعلياً ومن والاهما؛ لأنهم حكموا بغير ما أنزل الله، بزعمهم[1]، فنتج عن ذلك خروجهم على عثمان وعلي م ومقاتلتهم إياهما، واستدلوا لجرمهم المشين بآية من كتاب الله: ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼالتوبة: ١٢، فأنـزلوا -قاتلهم الله- عثمان وعلياً -رضي الله عنهما وأرضاهما- منـزلة أئمة الكفر من المشركين الذين نقضوا عهودهم ومواثيقهم، وطعنوا في دين الله وعابوه وانتقصوه[2]؛ فحُقّ لهذا أن يوصف الخوارج بـ$أنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين#.

أما دعاة التوحيد، فهل انطلقوا إلى آيات نزلت في المشركين فجعلوها على المؤمنين الموحدين الذين أخلصوا عباداتهم لرب الأرض والسماوات واجتنبوا أنواع الشركيات؟ أم أنهم جعلوها في المنتسبين للإسلام الواقعين في عبادة الأضرحة وأصحابها، الداعين والمستغيثين والناذرين لهم؛ بجامع وقوعهم في صريح الشركيات؟ ويعلم المنصف العاقل أن دعاة التوحيد لم يصنعوا إلا الصنيع الثاني! فبالتالي هل من العدل والإنصاف أن يشبّهوا بـا الخوارج الذين $انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين# بدون أي مبرر شرعي ولا حجة مقبولة؟

فاتضح بهذا البيان أن ذلك التشبيه ليس في محله وأن ذلك القياس قياس فاسد؛ لأنه قياس مع الفارق، ودعاة أهل السنة بريؤون من ذلك الا تهام المارق، والحمد لله ...

- النقطة الثانية: ما يتعلق بالتوسل البدعي:

في مطلع هذه النقطة، أذكر القراء بما سبق ذكره من وجوب توفر الشرطين في أي عمل حتى يكون مقبولا ً عند الله جل في علاه؛ وهما الإ خلاص والمتابعة للرسول الكريم ح[3]. إذا كان التوسل الشركي يمثل جانب الإخلال بالشرط الأول من شرطي قبول الأعمال، فإن التوسل البدعي يمثل الإخلال بالشرط الثاني منهما.

إن الله جل وعلا لما شرع لعباده شرائع الإسلام؛ بعث رسوله ح ليبيّن لهم تلك الشرائع ويوضح كيفية أدائها على الوجه الذي يرضيه سبحانه. فمثلا ً: الصلاة والزكاة، لقد أمر الله جل في علاه عباده بتأديتهما في آيات من كتابه العزيز منها قوله: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ البقرة: ٤٣، ولكن متى تؤديها، وكيف نؤديها، وما هي شروطها؟ هنا جاء دور الرسول ح في الجواب عن

(1) انظر: مقالات الإسلاميين (167/1-168)، والفرق بين الفرق (ص 73)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام (30/13-31).

(2) انظر: تفسير الطبري (365/11)، وتفسير ابن كثير (116/4)، ومنهاج السنة (297/7).

(3) راجع ما سبق ذكره في (ص 392-394).

تلك التساؤلات وغيرها لأمته ح بالأحاديث النبوية الثابتة، ولم يترك أمته هملا ً يؤدون تلك الشرائع بحسب أهوائهم ورغباتهم.

عن الحسن البصري : أن عمران بن حصين ط كان جالساً ومعه أصحابه فقال رجل من القوم: لا تحدثونا إلا بالقرآن، قال: فقال له: أدنه! فدنا، فقال: $أرأيت لو وُكِلتَ أنت وأصحابك إلى القرآن أكنت تجِدُ فيه صلا ة الظهر أربعاً، وصلاة العصر أربعاً والمغرب ثلاثاً تقرأ في اثنتين؟

أرأيت لو وُكِلت أنت وأصحابك إلى القرآن، أكنت تجد الطواف سبعاً، و الطواف بالصفا والمروة؟ ثم قال: أي قوم خذوا عنا، فإنكم والله إن لا تفعلوا لتضُلُن#[1].

ويقول الإمام الشافعي :: $وسنة رسول الله ح مبيِّـنة عن الله معنى، ما أراد دليلا ً على خاصة وعامة ثم قرن الحكمة بها بكتابه فاتبعها إياه، ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسوله ح#[2].

ويقول الإمام ابن عبد البر :: $البيان منه ح على ضربين:

[الأول]: بيان المجمل في الكتاب كبيانه للصلوات الخمس في مواقيتها وسجودها وركوعها وسائر أحكامها، وكبيانه لمقدار الزكاة ووقتها، وما الذي يؤخذ منه من الأموال، وبيانه لمناسك الحج، قال ح إذ حج بِالناس: $خذوا عني مناسككم#[3]، لأن القرآن إنما ورد بجملة فرض الصلاة والزكاة والحج والجهاد دون تفصيل ذلك.

[الثاني]: وبيان آخر وهو زيادة على حكم الكتاب، كتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها، وكتحريم الحمر الأهلية، وكل ذي ناب من السباع، إلى أشياء يطول ذكرها قد لخصتها في موضع غير هذا.

وقد أمر الله عز وجل بطاعته واتباعه أمرا ً مطلقا ً مجملا ً لم يقيد بشيء، ولم يقل: ما وافق كتاب الله، كما قال بعض أهل الزيغ#[4].

وهذا البيان من الرسول ح لم يقتصر على أركان الإسلام الخمسة ولا على بعض الشرائع دون بعض، بل هو شامل لجميع شرائع الإسلام، ومنها التوسل. فلما جاء الأمر بالتوسل في كتاب الله تعالى في قوله: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ المائدة: ٣٥ - لم يترك الله كيفيته لرأي أي إنسان ومزاجه، بل بيّن

(1) رواه البيهقي في الدلائل (25/1)، وأخرجه الخطيب في الكفاية (82/1-83) من عدة طرق واللفظ له،_وكذلك ابن عبد البر في جامع بيان العلم (331/2 رقم 2348).

(2) الرسالة (ص 79).

(3) الحديث بهذا اللفظ رواه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الحج، باب الإيضاع في وادي محسر (204/5 رقم 9524 ط. دار الكتب العلمية) من حديث جابر، وأصله في صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا وبيان قوله ح "لتأخذوا مناسككم" (943/2 رقم 1297).

(4) جامع بيان العلم (329/2-330).

ذلك في كتابه وعلى لسان رسوله ح، وقد ذكرتُ كيفية التوسل المشروع بأدلته من الكتاب والسنة في المطلب الأول[1]، وخلاصته: أن التوسل المشروع لا يخرج عن ثلاثة أنواع:

1- التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى.
2- التوسل بالأعمال الصالحة.
3- التوسل بدعاء رجل صالح حي حاضر.

ومن توسل بغير هذه الثلاثة؛ فقد جانب الصواب، وتوسل بما لا يشرع التوسل به، ويخشى عليه الولوج في الوعيد النبوي: $من عمل عملا ً ليس عليه أمرنا فهو رد#[2].

وقد أنكر أهل العلم وغيرهم التوسل بغير الأمور الثلاثة المذكورة، ك التوسل بالذات والتوسل بحق المتوسّل به:

فعن أبي يوسف : أن أبا حنيفة : قال: $لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، والدعاء المأذون فيه المأمور به: ما استفيد من قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ الأعراف: ١٨٠، وكره قوله: بحق رسلك وأنبيائك وأوليائك أو بحق البيت#[3].

ويقول شيخ المتصوفة ابن عربي: $إن الله تعالى لم يترك لعبده حجة عليه، بل لله الحجة البالغة، فلا يتوسل إليه بغيره؛ فإن التوسل إنما هو طلب القرب، وقد أخبرنا أنه قريب، وخبره صدق#[4].

ويقول شيخ الإسلام :: $وأما السؤال به ح من غير إقسام به ح؛ فهذا مما منع منه غير واحد من العلماء، والسنن الصحيحة عن النبي ح وخلفائه الراشدين تدل على ذلك#[5].

ويقول أيضاً: $والتوسل إلى الله بغير نبينا ح سواء سمي استغاثة أو لم يسم؛ لا نعلم أحداً من السلف فعله، ولا روى فيه أثراً#[6].

ويقول العلامة البركوي[7] :: $ويكره أن يدعو الله إلا به، فلا يقول: أسألك بفلان، أو بملائكته، أو بأنبيائك، ونحو ذلك ... أو يقول في دعائه: أسألك بمعقد العز من عرشك ... وما قال فيه أبو حنيفة وأصحابة: $أكره

---

(1) راجع (ص 379-381).
(2) سبق تخريجه وشرح العلماء له في (ص 72، 392-394).
(3) رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار لابن عابدين (568/9).
(4) الفتوحات المكية (226/4 -ط. بولاق) نقلا ً عن التوصل إلى حقيقة التوسل (ص 180).
(5) قاعدة جليلة (ص 231).
(6) مجموع الفتاوى (105/1).
(7) هو: محيي الدين محمد بن بير علي بن إسكندر البركوي الرومي الحنفي (929-981 هـ)، عالم بالعربية وله جهود في قمع القبورية وقلع شبهاتهم، من أشهر كتبه: الطريقة المحمدية، وزيارة القبور. انظر: الأعلام (61/6).

كذا# هو حرام عند محمد، وعند أبي حنيفة، وأبي يوسف: هو إلى الحرام أقرب وجانب التحريم عليه أغلب#[1].

وجاء في $البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد من عقائد التوحيد#[2] ما نصه: $من سأل الله بجاه أحد من خلقه فهو مبتدع[3] مرتكب حراما#[4].

فالعجب لا ينقضي من أقوام توسلوا بأشياء لم يأت الشرع بها -كالذات والجاه- ولم يتوسل بها صحابة رسول لله ح، وآثروها على التوسل بأشياء دل الشرع عليها وعمل بها الصحابة الكرام ن، فما أجدرهم بقوله تبارك وتعالى: ﭽﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠﮡ ﭼ البقرة: ٦١.

ولعل هذا أحد الشواهد العملية التي تؤكد صدق التابعي الجليل حسان بن عطية المحاربي[5] : حيث قال: $ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها، ثم لا يعيدها إلى يوم القيامة#[6].

$فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم؛ فإنهم على علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، وهم على كشف الأمور كانوا أقوى، وبفضل ما كانوا فيه أولى. فإن كان الهدى ما أنتم عليه؛ لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم: "إنما حدث بعدهم"؛ ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم؛ فإنهم

---

(1) زيارة القبور الشرعية والشركية (ص 39).

(2) (ص 40).

(3) أي: فعل أمراً مبتدعاً؛ إذ ليس كل من وقع في بدعة فهو مبتدع.

(4) هذه الجملة من ضمن البيان الذي أصدره ثلة من علماء مكة ونجد بعد المناظرة بينهم، نُشر هذا البيان في جريدة أم القرى في العدد الثاني منها، الصادر في يوم الجمعة الموافق 1343/5/15 هـ. وقد حضر هذه المناظرة واتفق على نشر هذا البيان، **من علماء مكة** المكرمة: الشيخ حبيب الله الشنقيطي، والشيخ عمر با جنيد أبي بكر، والشيخ درويش عجيمي، والشيخ محمد مرزوقي، والشيخ أحمد بن علي النجار، والشيخ جمال المالكي، الشيخ عباس المالكي، والشيخ حسين بن سعيد بن محمد بن سعيد عبد الغني، والشيخ حسين مفتي المالكية، والشيخ عبد الله حمدو، والشيخ عبد الستار، والشيخ سعد وقاص، والشيخ عمر بن صديق خان ، والشيخ عبد الرحمن الزواوي. **ومن علماء نجد**: الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف، والشيخ عبد الله ابن حسن، والشيخ عبد الله ابن عبد الوهاب بن زاحم، و الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن داود، والشيخ محمد بن عثمان الشاوي، والشيخ مبارك بن عبد المحسن بن باز، والشيخ إبراهيم بن ناصر بن حسين. وأولئكم الأعلام الذين ذكرتهم هنا غير الأعلام الذين ذكرتهم في (ص 290 الحاشية رقم 2).

(5) هو: حسان بن عطية المحاربي مولاهم أبو بكر الدمشقي (ت بعد 120 هـ)، ثقة فقيه عابد. انظر: التقريب (رقم 1214).

(6) رواه الدارمي في مسنده، كتاب المقدمة، باب اتباع السنة (231/1 رقم 99) وصحح إسناده الشيخ الألباني في التوسل أنواعه وأحكامه (ص 46)، وكذا محقق مسند الدارمي.

هم السابقون. فقد تكلموا فيه بما يكفي ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم من مقصر، وما فوقهم من محسر، وقد قصـ ّر قوم دونهم فجفوا، وطمح عنهم أقوام فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم#[1].

بل تجد بعضهم في المناسبات لا يكاد يتوسل إلا بالتوسلات البدعية، ولم يأبه بالتوسلات الشرعية، وكتَب أحدهم عن التوسل فلم يشر إلى التوسل بأسماء الله وصفاته[2] ولا التوسل بصالح الأعمال[3] لا من قريب و لا من بعيد، وآخر لم يشر إليه إلا في كليمات ثم أضاع جهده بالتطويل في ذكر ما يزعمه دليلا ً لإثبات التوسل البدعي[4]؛ كأن لسان حالهم يقول: إننا لم تكفنا التوسلات الشرعية، بل صرّح كبيرهم ومرجعهم بلسان مقاله بأن التوسلات الشرعية $دائرة ضيقة#[5]! فإنا لله وإنا إليه راجعون ...

هل التوسل بأسماء الله وصفاته دائرة ضيقة وأسماء الله لا تحصى؟

لو دعونا ربنا متوسلين إليه بأسمائه الحسنى لانقضت أعمارنا وأعمار من معنا، ولم نبلغ نهايتها، ولم نُحصِ لها عدداً.

ولو ظللنا ندعو الليل والنهار لا نفتر أبداً نتوسل إلى الله بأسمائه لم ن نقض، ولانقضت أعمارنا.

ولو توسلنا إلى الله بأسمائه الحسنى بما يناسب مطاليبنا من أسمائه، لا نقضت حوائجنا ولم نبلغ بعضاً من أسماء الله.

إن من أسماء الله $تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة#[6]، فلو ظللنا ندعو بها مفردة، ثم نجعل مع الاسم آخر ثم هكذا، لبلغنا ما لو دعا به الخلق من أولهم إلى آخرهم ما يسعهم غير مكررٍ ولا معيد[7].

هذا بعض ما في أحد أنواع التوسل المشروع من مزايا وأسرار، فكيف إذا أدركنا جميع فضائله وفضائل غيره من أنواع التوسل المشروع؟ اللهم أهدنا لاتباع سنة نبيك ح وثبتنا عليها حتى نلقاك!

أؤكد في نهاية هذا البيان على أمرين:

---

(1) مقتبس من رسالة عمر بن عبد العزيز لأحد ولاته، رواها أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب لزوم السنة (16/5 رقم 4612)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (121/3 رقم 4612).
(2) الفرائد السنية والدرر البهية لمحمد شعراني أحمدي الإندونيسي (ص 11-14).
(3) حجة أهل السنة لعلي معصوم الإندونيسي (ص 92-106).
(4) انظر: Mana Dalilnya (أين الدليل) (ص 113-126).
(5) مفاهيم يجب أن تصحح (ص 73).
(6) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحداً (377/13 رقم 7392 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها (2063/4 رقم 2677) من حديث أبي هريرة ط، واللفظ للبخاري.
(7) هذه مفاهيمنا (ص 96).

الأمر الأول: يجب التفريق بين التوسل بذوات المخلوقين إلى الله وبين دعاء المخلوق وسؤاله من دون الله؛ فمثال التوسل بذات المخلوق أو بجاهه أن يقول القائل: اللهم اغفر لي وارحمني وأدخلني الجنة بنبيك محمد ح أو بجاه نبيك محمد ح؛ فهذا بدعة وليس بشرك[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :: $ولم يقل أحد أن من قال بالقول الأ ول -يعني: التوسل بالذات- فقد كفر، ولا وجه لتكفيره؛ فإن هذه مسألة خفية، ليست أدلتها جلية ظاهرة، والكفر إنما يكون بإنكار ما عُلِم من الدين بـ الضرورة، أو بإنكار الأحكام المتواترة المجمع عليها، ونحو ذلك ... بل المكفّر بمثل هذه الأمور، يستحق من غليظ العقوبة والتعزير ما يستحقه أمثاله من المفترين على الدين، لا سيما مع قول النبي ح: $من قال لأخيه: كافر؛ فقد باء به أحدهما#[2]#[3].

إلا أن التوسل بالذوات ذريعة كبيرة لفتح باب الشرك على مصرعيه؛ فيجب سدها حماية لحمى التوحيد[4]، وسد الذرائع التي تؤدي إلى إلى محذورٍ أصلٌ من أصول الشريعة ومقصد من مقاصدها[5]، وقد أورد الإمام ابن القيم : في كتابه $إعلام الموقعين#[6] تسعة وتسعين دليلا ً من أدلة سد الذرائع.

وكثير من عباد القبور اليوم في البداية يسألون الله بحق أصحاب القبور وبجاههم، ثم ينتهي بهم الأمر إلى أن يتقربوا إليهم بأنواع العبادة، ويطلبون منهم المدد والشفاعة[7]، وإلى الله المشتكى.

وأما دعاء المخلوق كما يدعو الله تعالى، فيقول: يا رسول الله فرّج كربتي، أو اقض ديني، أو اشف مرضي، أو ارزقني ولداً؛ فهذا شرك أكبر؛ لأن الدعاء عبادة وصرف العبادة لغير الله شرك أكبر بالإجماع[8].

---

(1) المشروع والممنوع من التوسل (ص 49).
(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قـ ال (514/10 رقم 6103 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر (79/1 رقم 60).
(3) مجموع الفتاوى (106/1).
(4) جهود علماء الحنفية (1485/3).
(5) التحذير من تعظيم الآثار غير المشروعة، لشيخنا العلامة عبد المحسن بن حمد العباد (ص 18).
(6) (65/5-5 وما بعدها).
(7) البيان لأخطاء بعض الكتاب (ص 249).
(8) المشروع والممنوع من التوسل (ص 50)، وانظر حكاية الإجماع على شركية دعاء غير الله، في: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (664/11).

يقول العلامة أبو البركات الآلوسي[1] : مبيّناً الفرق بين التوسل الشركي والتوسل البدعي: $إنه -أي التوسل بالذات- مكروه كراهة تحريم، وهذا إذا كان الداعي متوجهاً إلى ربه متوسلا ً إليه بغيره، مثل أن يقول: أسألك بجاه فلان عبدك أو بحرمته، أو بحقه.

أما إذا توجه إلى ذلك الغير فطلب منه كما يفعله كثير من الجهلة؛ فهو شرك#[2].

الأمر الثاني[3]: ليس معنى القول بمنع التوسل بذوات الأنبياء و الصالحين أن ليس لهم قدر وجاه، ولكن كون الأنبياء والصالحين لهم جاه عند الله لا يقتضي ذلك جواز التوسل بذواتهم وجاههم؛ لأن الذين لهم م ِن الجاه والدرجات أمر يعود نفعه إليهم، ولا ننتفع من ذلك بشيء إلا باتباعنا لهم ومحبتنا لهم[4].

وليس معنى القول بمنع التوسل بذوات الأنبياء والصالحين -أيضاً- أننا نبغضهم -كما يقول المفترون- حاشا وكلا، فهو ح -نفديه بآبائنا وأمهاتنا- أحب إلينا من أنفسنا، وأهلينا، وأموالنا، والناس أجميعن، ومن ـزلته رفيعة؛ إذ لا يصح إيمان أحد إلا بالإيمان به ح ولا يصح إيمان أحد إلا بمحبته ح.

ولكن محبتنا للرسول ح وطاعتنا له لا تقتضي إشراكه مع الله في الدعاء والعبادة، كما نبّه إلى ذلك الحليمي : حيث قال: $الله هو المعبود دون رسوله ح، وهو المرغوب إليه والمرهوب منه، دون من سواه#[5].

كما أن مِن محبتنا لرسولنا ح: أن لا نعبد الله إلا بما شرعه لنا، وهو ح قد حذرنا من الابتداع في الدين، وأمَرَنا بلزوم ما هو عليه ح وصحابته ن. ف الزيادة على ذلك هي النقصان والخسران، وهي التي تتضمن القدح في النبي ح، وفي بيانه للشريعة المطهرة، التي أكملها الله تعالى على يديه الشريفتين.

فهذه العبارات التي تطلق؛ وهي: $أن من لم يجوّز التوسل بالنبي ح مبغض له#: افتراء ودجل، يُراد به صرف الناس عن عبادة الله وحده ومتابعة رسوله ح، إلى اتباع الأهواء والآراء والاستحسانات.

ونأخذ صورةً واضحة تبيّن لنا أن تعظيم النبي ح وتوقيره إنما يكون

---

(1) هو: أبو البركات خير الدين نعمان بن محمود بن عبد الله الآلوسي البغدادي (1252-1317 هـ)، واعظ فقيه، باحث، من أعلام الأسرة الآلوسية في العراق. من كتبه: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، وغالية المواعظ. انظر: الأعلام (42/8).

(2) جلاء العينين (ص 452).

(3) المشروع والممنوع من التوسل (ص 57-59) بتصرف وزيادة، وانظر: التوسل أنواعه وأحكامه (ص 76-81).

(4) الدرر السنية (232/9 -ط. دار الإفتاء).

(5) المنهاج في شعب الإيمان (238/1).

على ما جاء به الشرع لا ما أملاه الهوى، يقول أنس بن مالك ط: $لم يكن شخص أحبّ إليهم من رسول الله ح، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا؛ لما يعلمون من كراهته لذلك#[1].

(1) رواه الترمذي في سننه، كتاب الأدب عن رسول الله ح، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل (ص 619 رقم 2754)، وقال: $حسن صحيح غريب من هذا الوجه#، ورواه أيضاً أحمد في مسنده (350/19 رقم 12345) وصحح إسناده الحافظ ابن عبد الهادي في الصارم المنكي (ص 140)، وقال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (698/1 رقم 358): $إسناده صحيح على شرط مسلم#.

فالقيام فيه تعظيم للداخل وإظهار المحبة له[1]، ومع ذلك تركه الصحابة ن لما يعلمون من كراهيته ح لذلك، فهل يقال: إن الصحابة لا يحبونه ح؟! حاشاهم من ذلك.

ثم إن الرسول ح حذّر من الغلو في الدين، وإطرائه ح إطراءً يفضي إلى الشرك. قال ح: $لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله#[2].

شبهات وردود:

هذا، وعند المخالفين شبهات يحاولون من خلالها إثبات مشروعية تلك التوسلات البدعية. وبالنظر إلى كتب القوم، يمكن تصنيف تلك الشبهات إلى أنواع ثلاثة:

النوع الأول: نصوص صحيحة مجملة غير صريحة لم يفهموها فهماً صحيحاً.

النوع الثاني: أدلة غير صحيحة، وقد تكون صريحة فيما يحتجون به، وربما تكون غير صريحة.

النوع الثالث: قصص واهية وشبهات عقلية.

وقبل الجواب التفصيلي عن هذه الشبهات أذكِر القراء بأنني قد ذكرت مقدمات مهمة في الرد الإجمالي على شبهات المخالفين وخلاصتها:

الأولى: وجوب فهم الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح.

الثانية: لا يحتج في دين الله -ولا سيما في باب العقيدة- من أحاديث رسول الله ح إلا بما ثبت عنه ح، دون الضعاف منها والمنكرات والأباطيل و الموضوعات.

الثالثة: الذين يحتجون بهذه الشبهات لا يقبلون في باب العقائد إلا القطعي من الأدلة وهي الأدلة المتواترة، وهنا يحتجّون بالضعاف و الموضوعات، فهذا تناقض ظاهر.

الرابعة: إن هذه الشبهات التي احتجوا بها، ما صح منها يعدّ من المتشابهات، والواجب: ردها إلى المحكمات.

وقد فصّلت -بحمد الله- هذه المقدمات بذكر أدلة الكتاب والسنة عليها، ثم حلّيتها بأقوال الأئمة فلتُراجع في موطنها[3]؛ فإنها مفيدة بإذن الله. والآ ن إليكم الجواب التفصيلي، والله ولي التوفيق.

---

(1) انظر البحث الموسع عن حكم هذا النوع من القيام في $أحكام السلام# للشيخ عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم : (ص 8 وما بعدها)، و$إحكام الكلام عن مسألة القيام# لأبي طلحة عمر بن إبراهيم بن حسن آل عبد الرحمن.

(2) سبق تخريجه في (ص 47).

(3) راجع (ص 237-249).

• النوع الأول: نصوص صحيحة مجملة غير صريحة لم يفهموها فهماً صحيحاً.

الشبهة الأولى:

استدلال أحد المخالفين بقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ البقرة: ٨٩؛ على مشروعية التوسل بـ الذوات؛ لأن اليهود استفتحوا بالنبي ح قبل وجوده، أي توسلوا بذاته ح[1].

والجواب من أوجه[2]:

الوجه الأول: ليس في الآية دليل على جواز التوسل بالنبي ح أو بركته أو حقه؛ وذلك لأن الآية إنما نزلت في اليهود المجاورين للمدينة -كما هو النقل الثابت عند أهل التفسير-، فقد وردت آثار ثابتة رواها ابن جرير، وابن أبي حاتم، وغيرهما، تفيد أن الآية نزلت في استفتاح اليهود على الأوس والخزرج[3] وأنهم كانوا يقولون: $قد تقارب زمن نبي يبعث، الآن فنقتلكم معه قتل عاد وإرم[4]#[5].

وليس في هذا الاستفتاح السؤال بالنبي ح أو حقه أو بركته، $والاستفتاح: الاستنصار، وهو طلب الفتح والنصر، فطلب ُ الفتح والنصر به ح هو أن يُبعث فيقاتلونهم معه ح، فبهذا ينصرون، ليس هو بإقسامهم به ح وسؤالهم به ح، إذ لو كان كذلك لكانوا إذا سألوا أو أقسموا به ح نصروا، ولم يكن الأمر كذلك، بل لما بعث الله محمداً ح نصر الله من آمن به وجاهد معه

(1) انظر: Empat Puluh Masalah Agama (أربعون مسألة دينية) (151-150/1)، وI'tiqad Ahlus Sunnah wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 339-340).

(2) للتوسع راجع: قاعدة جليلة (ص 243-251)، وتحفة القاري في الرد على الغماري للشيخ حماد الأنصاري، ضمن $رسائل في العقيدة# (ص 201-211)، وهذه مفاهيمنا (ص 39-41)، والدعاء ومنـزلته (686/2-695).

(3) الأوس والخزرج: أصلا الأنصار؛ إذ الأنصار هم: بنو الأوس والخزرج ابني حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث. انظر: الروض الأنف للسهيلي (48/1).

(4) هؤلاء: عاد الأولى، وهم أولاد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح، وهم الذين بعث الله فيهم رسوله هوداً ؛، فكذبوه وخالفوه، فأنجاه الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم، وأهلكهم بريح صرصر عاتية ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ الحاقة: 7-8. انظر: تفسير ابن كثير (394/8).

(5) السير والمغازي لابن إسحاق (ص 84)، وسيرة ابن هشام (211/1)، والطبري في تفسيره (237/2)، ودلائل النبوة للبيهقي (75/2-76)، وعزاه في الدر المنثور (465-466/1) إلى ابن المنذر وإلى أبي نعيم في الدلائل، وحسن إسناده صاحب الدعاء ومنـزلته (691/2). هذا، ولهذه الرواية طرق أخرى ومراسيل عن التابعين تؤيدها، كما في تفسير الطبري (238/2-241)، وتفسير ابن أبي حاتم (172/1)، ودلائل النبوة للبيهقي (536/2)، ودلائل النبوة لأبي نعيم (82/1 رقم 43).

على من خالفه ح#[1].

الوجه الثاني: أما ما روي من أن اليهود عند الاستفتاح كانوا يدعون بـ$اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان، إلا نصرتنا عليهم#[2]؛ فهي رواية ضعيفة جداً، ضعفها الذهبي[3]، وابن حجر[4]، وابن تيمية[5]، والشيخ حماد الأنصاري[6]، وضعّف إسنادها السيوطي[7]، وأشار أبو عبد الله الحاكم[8] أيضاً إلى ضعفها[9]، وهذه الرواية في سندها عدة آفات منها:

- عبد الملك بن هارون، وقد قال فيه ابن معين: $كذاب#، وقال البخاري: $منكر الحديث#، وقال أبو حاتم: $متروك ذاهب الحديث#، وقال ابن حبان: $يضع الحديث#، وقال أحمد: $ضعيف الحديث#، وقال الدارقطني عنه وعن أبيه: $متروكان#، وقال السعدي الجوزجاني: $دجال كذاب#، وقال ابن عدي: $له أحاديث غرائب عن أبيه عن جده عن الصحابة مما لا يتابعه عليه أحد#، وقال الحاكم: $روى عن أبيه أحاديث موضوعة#[10].

- والد عبد الملك وهو: هارون بن عنترة، وقد قال فيه ابن حبان: $منكر الحديث جداً يروي المناكير الكثيرة حتى يسبق إلى قلب المستمع لها

(1) قاعدة جليلة (ص 243).
(2) أخرجها الآجري في الشريعة (1452/3 رقم 978)، والحاكم في المستدرك (263/2)، ومن طريقه البيهقي في الدلائل (76/2-77) كلهم من طريق عبد المالك بن هارون.
(3) المستدرك (263/2).
(4) العجاب في بيان الأسباب (283/1).
(5) قاعدة جليلة (ص 247).
(6) تحفة القاري ضمن رسائل في العقيدة (ص 201).
(7) الدر المنثور (467/1).
(8) هو: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري الحاكم المعروف بابن البيع (321-405 هـ)، الحافظ الكبير، إمام المحدثين، صاحب التصانيف، له: المستدرك على الصحيحين، ومعرفة علوم الحديث، وتاريخ نيسابور. انظر: تذكرة الحفاظ (1039/3-1045).
(9) المستدرك (263/2)، حيث قال رحمه الله: "أدت الضرورة إلى إخراجه في التفسير وهو غريب من حديثه"، وتعقبه الذهبي رحمه الله قائلا ً: "لا ضرورة في ذلك؛ فعبد الملك متروك هالك".
(10) تاريخ ابن معين رواية الدوري (257/1 رقم 1688)، والضعفاء الصغير (ص 77 رقم 218)، والعلل ومعرفة الرجال (371/2 رقم 2648)، والجرح والتعديل (374/5)، وأحوال الرجال (ص 101 رقم 80)، والكامل في الضعفاء (304/5)، وكتاب المجروحين (133/2)، والمدخل للحاكم (220/1 رقم 129)، وميزان الا عتدال (666/2)، والضعفاء والمتروكون للدارقطني (ص 289 رقم 362).

أنه المتعمد لذلك مِن كثرة ما روى مما لا أصل له، لا يجوز الاحتجاج به بحال#، وقال الدارقطني: $متروك#، ولكن وثقه بعضهم، وقال الذهبي: $الظاهر أن النكارة من الراوي عنه#[1].

الوجه الثالث: إن الرواية السابقة لو صحت -مع أن دون ذلك خرط القتاد[2]- لا يستقيم الاحتجاج بها لأمرين هما:

أ- إن هذه الحكاية عن فعل اليهود الذين كانوا قبل مبعث النبي ح وقد وصفهم اللّه تعالى بالتحريف والتبديل، فيمكن أن يكون هذا الدعاء بهذا الأ سلوب التوسلي من بدعهم وتحريفهم، ويقوّي هذا الاحتمال أن اللّه تعالى لم يذكر لنا عن موسى وبقية أنبياء بني إسرائيل مثل هذا التوسل المبتدع.

ولا يقال إن اللّه تعالى قد أقرهم على هذا التوسل المبتدع؛ لأن اللّه تعالى إنما ذكر هذا احتجاجاً عليهم باعترافهم بهذا النبي الكريم قبل مبعثه.

ب- إن هذا لو ثبت أنه من شريعة موسى -مع أنه لا يمكن الإثبات بأنه من شريعة موسى- فلا يصح دليلا ً أيضاً؛ لأن شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا ، إلا فيما ورد شرعنا بموافقته[3].

والحاصل أن التفسير الصحيح للآية هو: أن اليهود كانوا يستفتحون -أي يطلبون الفتح وهو النصر- من اللّه تعالى، كقوله سبحانه: ﭼﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ الأنفال: ١٩؛ أي يطلبون من اللّه النصر بالتعجيل بإرسال الرسول الذي يقاتلون معه حتى ينتصروا، فالذي يطلبونه هو: تعجيل إرسال الرسول الذي يجدونه عندهم في التوراة ويجدون انتصاره على المشركين.

أو المعنى: أنهم كانوا يخبرون الذين يحاربونهم أنه قد قرب زمن بعثة نبي فسوف ننتصر معه عليكم. فالآية يدور معناها بين الإخبار بقرب بعثته، وبين سؤال اللّه تعالى أن يعجّل ببعثته.

الشبهة الثانية:

استدلال أحدهم بالحديث المتفق عليه في توسل أصحاب الغار

---

(1) كتاب المجروحين (93/3)، وميزان الاعتدال (284/4-285)، والضعفاء و المتروكون للدارقطني (ص 289 رقم 362).

(2) الخرط: قشرة الورق عن الشجرة اجتذاباً بكفك، والقتاد: شجر له شوك أمثال الإ بر. هذا المثل يضرب للأمر الشاق والأمر الذي دونه مانع. انظر: المستقصى في أمثال العرب للزمخشري (82/2 رقم 300)، ومجمع الأمثال للميداني (339/1 رقم 1395).

(3) انظر: مجموع الفتاوى (6/19-7)، وشرح الكوكب المنير (412/4-414)، ومذكرة أصول الفقه (ص 249-250)، ورحلة الحج إلى بيت اللّه الحرام (ص 112-113) كلاهما للشيخ الشنقيطي، الوجيز في أصول الفقه للدكتور عبد الكريم زيدان (ص 265)، وللتوسع راجع: شرع من قبلنا؛ ماهيته وحجيته ونشأته وضوابطه وتطبيقاته، للدكتور أنور شعيب العبد السلام.

بصالح أعمالهم على التوسل بالأنبياء وجاههم[1].

قال سراج الدين عباس: $يستنبط من هذا الحديث: ... 5- جواز التوسل بالأنبياء وجاه النبي وجاه العلماء، كما يجوز التوسل بالعمل الصالح.

بعد أن أتينا بالحديث الصحيح السابق هل يجرأ أحد أن يقول ويفتي بأن التوسل شرك، كما أفتى به ابن تيمية وأقرانه؟#[2].

والجواب من وجهين:

الوجه الأول: هذا الاستدلال من أغرب ما يكون من استدلالات المخالف؛ إذ الحديث لا يدل على ما ذهب إليه من مشروعية التوسل بالأنبياء وجاههم -لا من قريب ولا من بعيد-! والحديث صريح جداً في بيان مشروعية التوسل بصالح الأعمال، ليس إلا!؛ فالرجل الأول توسل ببره لوالديه، والثاني توسل بعزوفه عن المعصية خوفاً من الله تعالى، والثالث توسل بأمانته وصدقه مع أحد عماله[3].

أما أن يقاس جواز التوسل بالذات على التوسل بالعمل الصالح فهذا باطل من ناحيتين[4]:

الأولى: أن هذا قياس، والقياس في العبادات باطل؛ لأن كل العبادات مبناها على التوقيف والاتباع، لا على الهوى والابتداع[5].

(1) حجة أهل السنة والجماعة لعلي معصوم (لمؤلف إندونيسي) (ص 100-101)، وانظر: Empat Puluh Masalah Agama (أربعون مسألة دينية) (1/148-150)، وانظر: الفرائد السنية والدرر البهية (ص 12).
(2) Empat Puluh Masalah Agama (أربعون مسألة دينية) (1/148-150).
(3) سبق تخريج الحديث في (ص 379-380).
(4) التوسل أنواعه وأحكامه (136-137) بتصرف وزيادة.
(5) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (1/80، 334).

يقول القاضي شريح[1] :: $إن السنة سبقت قياسكم، فاتبعوا ولا تبتدعوا، فإنكم لن تضلوا ما أخذتم بالأثر#[2].

وما مثل من يقول هذا القول إلا كمثل من يقول: إذا جاز توسل المتوسل بعمله الصالح -وهو بلا شك دون عمل الولي والنبي- جاز أن يتوسل بعمل النبي والولي، وهذا وما لزم منه باطل فهو باطل.

الثانية: إن هذه مغالطة مكشوفة لأننا لم نقل -كما لم يقل أحد من السلف قبلنا- أنه يجوز للمسلم أن يتوسل بعمل غيره الصالح، وإنما التوسل المشار إليه إنما هو التوسل بعمل المتوسل الصالح نفسه، فإذا تبين هذا قلّ بنا عليهم كلامهم السابق فقلنا: إذا كان لا يجوز التوسل بالعمل الصالح الذي صدر من غير الداعي، فأولى ثم أولى ألا يجوز التوسل بذاته وهذا بين لا يخفى، والحمد لله.

الوجه الثاني: قول المخالف -غفر الله له- $هل يجرأ أحد أن يقول ويفتي بأن التوسل شرك، كما أفتى به ابن تيمية وأقرانه؟# هذا محض افتراء على ابن تيمية :، ولن يستطيع هو ولا أتباعه أن يأتي بنص واحد من كلام ابن تيمية يقول فيه أن التوسل شرك بإطلاق! ومؤلفاته موجودة منشورة ولله الحمد.

وكيف يقول بذلك ابن تيمية وهو القائل: $ولم يقل أحد أن من قال بـ القول الأول -يعني: التوسل بالذات- فقد كفر، ولا وجه لتكفيره؛ فإن هذه مسألة خفية، ليست أدلتها جلية ظاهرة، والكفر إنما يكون بإنكار ما عُلِم من الدين بالضرورة، أو بإنكار الأحكام المتواترة المجمع عليها، ونحو ذلك ...

بل المكفِّر بمثل هذه الأمور، يستحق من غليظ العقوبة والتعزير ما يستحقه أمثاله من المفترين على الدين، لا سيما مع قول النبي ح: $من قال لأخيه: كافر؛ فقد باء به أحدهما#[3]#[4].

وإنما الذي ذهب إليه : هو أن التوسل بالنبي ح منه ما هو مشروع ومنه ما هو ممنوع، ولم يمنع : من عموم التوسل فضلاً أن يحكم عليه بـ الشرك، دونكم نص كلامه:

---

(1) هو: أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس الكندي (ت 78 هـ)، من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام، ولي قضاء الكوفة في زمن عمر وعثمان وعلي ومعاوية. انظر: العبر (66/1)، والسير (100/4 وما بعدها)، والحلية (132/4).

(2) جامع بيان العلم (217/2 رقم 2024)، وقد وردت آثار كثيرة عن السلف في ذم القياس، والمراد به فيها: تقديم القياس على النص الشرعي، أو اعتبار الأقيسة الفاسدة من الأمور المشروعة، أو توليد فروع على هذا النوع من الأقيسة الباطلة، وكل ذلك من الابتداع في دين الله، ولا تتناول تلك الآثار: القياسَ الصحيح. راجع: حقيقة البدعة وأحكامها، لسعيد بن ناصر الغامدي (80/2-95).

(3) سبق تخريجه في (ص 418).

(4) مجموع الفتاوى (106/1).

يقول :: $لفظ التوسل بالشخص، والتوجه به، والسؤال به، فيه إجمال واشتراك، غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة.
يراد به التسبب به لكونه داعيا ً وشافعا ً مثلا ً، أو لكون الداعي محبا ً له، مطيعا ً لأمره، مقتديا ً به، فيكون التسبب: إما لمحبة السائل له واتباعه له، وإما بدعاء الوسيلة وشفاعته.
ويراد به الإقسام به والتوسل بذاته، فلا يكون التوسل لا لشيء منه، و لا شيء من السائل، بل بذاته، أو بمجرد الإقسام به على اللّه. فهذا الثاني هو الذي كرهوه ونهوا عنه#[1].
ولابن تيمية كتاب مستقل بعنوان $قاعدة جليلة في التوسل و الوسيلة# بيّن فيه أن التوسل منه ما هو مشروع ومنه ما هو غير مشروع، ومنه ما هو من قبيل البدعة وما هو من الشرك الأكبر، ولم يقل : بأن التوسل شرك محض، وحاشاه أن يقول ذلك!
فالكذب خصلة ذميمة وخلق قبيح، وهو أشد قبحاً إذا كان كذباً على أهل العلم.
الشبهة الثالثة:
استدلالهم بقصة استسقاء عمر ط بالعباس ط على التوسل البدعي، يقول أحدهم: $وأما جواز التوسل بغير النبي ح من الأولياء والصالحين؛ فيدل لذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن أنس ط عن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللّهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال فيسقون[2]. وقال عمر ط لما استسقى بالعباس ط: يا أيها الناس إن رسول اللّه ح كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد، فاقتدوا به في عمه العباس، واتخذوه وسيلة إلى اللّه أهـ. المواهب اللدنية للقسطلاني. وفعل عمر حجة لقوله ح: إن اللّه جعل الحق على لسان عمر. رواه الإمام أحمد والترمذي#[3] $وإنما استسقى عمر ط بالعباس ط ولم يستسق بالنبي ح؛ ليبين للناس جواز الا ستسقاء بالفاضل مع وجود المفضول#[4].
والجواب من أوجه[5]:
الوجه الأول: إن من القواعد المهمة في الشريعة الإسلامية: أن النصوص الشرعية يفسر بعضها بعضا ً، ولا يفهم شيء منها في موضوع

(1) اقتضاء الصراط المستقيم (319/2).
(2) سبق تخريج الحديث في (ص 305).
(3) Mana Dalilnya (أين الدليل) (ص 125)، وانظر: I’tiqad Ahlus Sunnah wal Jama’ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 330-331).
(4) I’tiqad Ahlus Sunnah wal Jama’ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 330-331).
(5) انظر: التوسل أنواعه وأحكامه (ص 52-68)، والدعاء ومنزلته (720/2-732).

ما بمعزل عن بقية النصوص الواردة فيه. وبناء ً على ذلك فحديث توسل عمر السابق إنما يـ ُفهم على ضوء ما ثبت من الروايات والأحاديث الواردة في التوسل بعد جمعها وتحقيقها.

ونحن والمخالفون متفقون على أن في كلام عمر: $كنا نتوسل إليك بنبينا ... وإنا نتوسل إليك بعم نبينا# شيئا ً محذوفا ً لابد له من تقدير، وهذا التقدير إما أن يكون: $كنا نتوسل إليك بـ(جاه) نبينا ... وإنا نتوسل إليك بـ(جاه) عم نبينا# على رأيهم هم، أو يكون: $كنا نتوسل إليك بـ(دعاء) نبينا ... وإنا نتوسل إليك بـ(دعاء) عم نبينا# على رأينا نحن، ولا بد من الأخذ بواحد من هذين التقديرين ليفهم الكلام بوضوح وجلاء.

ولنعرف أي التقديرين صواب لا بد من اللجوء إلى السنة لتبين لنا طريقة توسل الصحابة الكرام ن بالنبي ح.

إن الثابت في الأحاديث الصحاح أن الصحابة كان توسلهم في حياة النبي ح في الاستسقاء وغيره - بطلب الدعاء منه ح؛ وذلك كما في حديث أنس[1] ط وعائشة[2] ك، بل قد ثبت أن الكفار كانوا يتوسلون بدعاء النبي ح ، فكانوا يطلبون منه الدعاء ليسقيهم الله تعالى، كما في حديث ابن مسعود ط[3].

فدلت هذه الأحاديث على أن التوسل المعهود في حياة النبي ح هو المجيء إليه وطلب الدعاء منه، وهذا يفسر التوسل الوارد في كلام عمر ط: $كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا#، فكما أن قوله الأول $نتوسل إليك بنبينا# يحمل على على هذا -كما دلت عليه هذه الأحاديث-؛ يُحمل قوله: $إنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا# على التوسل المعهود بينهم؛ وهو طلب الدعاء من الحي الحاضر الذي يدعو؛ إذ $لم ينقل عن أحد منهم أنه كان في حياته ح سأل الله تعالى بمخلوق لا به ح ولا بغيره، لا في الاستسقاء ولا غيره#[4].

بل الثابت كما مرّ أنهم كانو يتوسلون إلى الله تعالى بدعاء الرسول الكريم ح لا غير، ويرشد إلى ذلك أيضاً قوله تبارك وتعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب رفع اليدين في الخطبة (412/2 رقم 932 -الفتح) ومواضع أخر، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء (612/2 رقم 897).

(2) رواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب رفع اليدين في الاستسقاء (483/1 رقم 1173) وقال: $حديث غريب إسناده جيد#، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي كما في المستدرك (328/1)، وحسنه الشيخ الألباني كما في الإرواء (135/3 رقم 668).

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاستسقاء، باب إذا استشفع المشركون بـ المسلمين عند القحط (510/2 رقم 1020 -الفتح).

(4) قاعدة جليلة (ص 126-127).

ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼالنساء: ٦٤[1].

ثم إن بعض روايات الحديث الصحيحة قد فسرت كلام عمر المذكور وقصده؛ إذ نقلت دعاء َ العباس ط استجابة ً لطلب عمر ط؛ فمن ذلك ما نقله الحافظ ابن حجر : في $الفتح#[2] حيث قال: $قد بيّن الزبير بن بكار[3] في $الأنساب# صفة َ ما دعا به العباس في هذه الواقعة والوقت الذي وقع فيه ذلك، فأخرج بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر قال: $اللّهم إنه لم ين-زل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث# قال: فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس#[4].

وهذه الرواية صريحة في أن توسل عمر ط كان بدعاء العباس ط لا بذاته، كما بينه الزبير ابن بكار وغيره، وفي هذا رد واضح على الذين يزعمون أن توسل عمر كان بذات العباس ط لا بدعائه، إذ لو كان الأمر كذلك لما كان ثمة حاجة ليقوم العباس ط فيدعو بعد عمر ط دعاء ً جديدا ً، بل ليس ثمة حاجة أن يحضر العباس ط معهم، فيكتفي عمر ط بذكر اسم العباس ط في الدعاء بدون أن يدعو العباس ط، وبدون أن يحضر كما يفعله المتأخرون.

وهذا هو الذي فهمه علماء الإسلام من هذا الحديث، أعني: طلب الدعاء من الحي الحاضر، ويدل لذلك صنيع الإمام البخاري : حيث بوّب لهذا الحديث بقوله: $باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا#[5].

ومثله الحافظ الطبراني : حيث أورد هذا الحديث تحت باب $ما ينبغي للإمام من استحضار الصالحين عند الاستسقاء#[6].

الوجه الثاني: إن هذا التوسل لو كان توسلا ً بالذات لما عدل عمر ط والصحابة عن التوسل بالنبي ح إلى التوسل بالعباس ط، وكان يمكنهم أن يأتوا إلى قبر النبي ح فيتوسلوا به أو يقولوا وهم في الصحراء: $اللّهم إنا نسألك بجاه نبيك أن تسقينا# أو نحو ذلك، ولكنهم عدلوا عن هذا إلى التوسل بدعاء العباس؛ لأن التوسل بذات النبي ح أو التوسل بدعائه بعد

---

(1) راجع الكلام الموسع عن هذه الآية في (ص 262-267).
(2) (497/2)_.
(3) هو: الزبير بن بكار بن عبد الله الزبيري (172-256 هـ)، عالم بالأنساب وأخبار العرب. انظر: طبقات الحفاظ (ص 230-231)_.
(4) ذكره أيضاً ابن قتيبة في عيون الأخبار (303/2)، وابن عساكر في تاريخه (359/26)_.
(5) صحيح البخاري (494/2 -الفتح)_.
(6) الدعاء (1252/2 رقم 965)_.

وفاته ح لم يكن ممكناً، ولا شك أنهم أعلم منا بما أمر الله به ورسوله ح من ا
لأدعية وغيرها وما هو أقرب إلى الإجابة.

أما قول المخالف $إنما استسقى عمر ط بالعباس ط ولم يستسق بـ
النبي ح؛ ليبين للناس جواز الاستسقاء بالفاضل مع وجود المفضول# فهذا ليس بصحيح لأمور:

أ- هل يمكن أن يخطر في بال عمر ط، أو في بال غيره من الصحابة الكرام ن تلك العلة، -وهو يرى الناس في حالة شديدة من الضنك، والكرب، و الشقاء، والبؤس، يكادون يموتون جوعا ً وعطشا ً، لشح الماء، وهلاك الماشية، وخلو ّ الأرض من الزرع، والخضرة، حتى سمي ذاك العام بعام الرمادة-؟؛ كيف يرد في خاطره تلك الفلسفة الفقهية في هذا الظرف العصيب؛ فيدع الأخذ بالوسيلة الكبرى في دعائه، وهي التوسل بالنبي الأ عظم ح -لو كان ذلك جائزا ً- ويأخذ بالوسيلة الصغرى التي لا تقارن بالأ ولى -وهي التوسل بالعباس-؟ لماذا؟ لا لشيء إلا ليبي ّن للناس أنه يجوز لهم التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل!

إن المشاهد والمعلوم أن الإنسان إذا حل ّت به شدة يلجأ إلى أقوى وسيلة عنده في دفعها، ويدع الوسائل الأخرى لأوقات الرخاء. وهذا كان يفهمه الجاهليون المشركون أنفسهم؛ إذ كانوا يدعون أصنامهم في أوقات اليسر، ويتركونها ويدعون الله تعالى وحده في أوقت العسر، كما قال تبارك وتعالى: ﭼ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ العنكبوت: ٦٥.

ب- إن بيان الجواز يكفي فيه المرة الواحدة، وقد تكرر من عمر ط هذا ، كما تدل عليه جملة: $إن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بـ
العباس بن عبد المطلب#.

ج- إن هذا العدول ليس من عمر ط فقط، بل فعله معاوية ط أيضاً؛ حيث استسقى بيزيد

ابن الأسود :[1] وفي رواية: بأبي مسلم الخولاني :[2]، كما فعله أيضاً الضحاك بن قيس : بيزيد بن الأسود :[3]؛ فلا يمكن أن يقال: إن معاوية و الضحاك فعلا أيضاً لبيان الجواز.

فاجتماع هؤلاء الثلاثة إلى العدول عن النبي ح وعدم إنكار أحد من الصحابة عليهم يدل على أن العدول عنه هو المشروع.

الوجه الثالث: وأما من أجاب عن عدول عمر ط عن التوسل بالنبي ح إلى العباس ط بأن ذلك للاقتداء بالنبي ح في إكرام العباس ط وإجلاله، فقد روي من طريق داود بن عطاء، عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر م قال: $استسقى عمر بن الخطاب عام الرمادة بالعباس بن عبد المطلب، فخطب عمر ط فقال: إن رسول الله ح كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد، فاقتدوا أيها الناس برسول الله ح واتخذوه وسيلة إلى الله#[4].

وهذه الرواية فيها عدة علل[5]، وعلى فرض ثبوتها فإنما تدل على سبب التخصيص فقط، ولا تدل على سبب العدول المتنازع عليه. كما أن هذا يعترض عليه بقصة معاوية والضحاك؛ فلا يمكن أن يقال فيهما: إن ذلك للقرابة أو للاقتداء بالنبي ح.

ثم إن قول عمر ط في هذه الرواية $واتخذوه وسيلة إلى الله# على فرض صحتها: أي اجعلوه يدعو لكم، وليس معناه: اذكروا اسمه فقط، بـ التالي فلا حجة فيه.

---

(1) أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ (380/2-381)، وأبو زرعة الدمشقي في تاريخه (ص 306 رقم 1703)، وابن سعد في الطبقات (448/9 رقم 4654)، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر كما في التلخيص الحبير (1142/3) والإصابة (465/11 -ط. دار هجر)، وذكر هذا الأثر أيضاً الذهبي في السير (137/4).

(2) أخرجها أحمد في الزهد (ص 469)، وقال الشيخ الألباني في الإرواء (141/3): $سنده منقطع#.

(3) أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ (381/2)، وأبو زرعة الدمشقي في تاريخه (ص 306 رقم 1704)، وذكر الشيخ الألباني في الإرواء (140/3) أن رجاله ثقات لكنه منقطع.

(4) رواه الحاكم في المستدرك (334/3).

(5) خلاصة ما أعلت به هذه الرواية كما قال الشيخ الألباني: 1. داود ضعيف، و الذهبي قال عنه: $متروك#. 2. ساعدة بن عبيد الله الموني لم أجد له ترجمة. 3. ا لاضطراب في السند؛ مرة عن زيد عن أبيه من طريق هشام ابن سعد، ومرة عنه عن ابن عمر، وهشام أقوى من داود. انظر: التوسل أنواعه وأحكامه (ص 66-67). وقال الشيخ ابن سحمان في الضياء الشارق (ص 552) عن هذه الرواية: $وأما ما ذكره -يعني: جميل أفندي صدقي الزهاوي العراقي- عن القسطلاني في "المواهب اللدنية"؛ فلا شك أنه من الموضوعات؛ لأنه لم يذكره بسند يعتمد على مثله. وفي "المواهب اللدنية" من الموضوعات والأحاديث المعلولة والأقوال المردودة ما لا يحصى، فلا يعتمد على مثل هذا النقل، والله أعلم#.

الوجه الرابع: قول المخالف: $وفعل عمر حجة لقوله ح: إن الله جعل الحق على لسان عمر. رواه الإمام أحمد والترمذي[1]#، أقول: نعم، فقد جعل الله الحق ّ على لسان عمر ط حتى في هذه المسألة، فحصل به فصل الخطاب عند أولي الألباب، فلو كان التوسل بالنبي ح بعد انتقاله من هذه الدار جائزاً؛ لما عدل عنه الفاروق ط إلى التوسل بعمه العباس ط بحضور الصحابة ن، وهم في أمر مهم، فعدولهم هذا دليل واضح على أن المشروع ما سلكوه.

فما أحسن الحجة إذا برزت من فم الخصم، فيكون حاكماً بها على نفسه[2].

الشبهة الرابعة:

استدلالهم بحديث الضرير[3] على جواز التوسل بجاه النبي ح أو غيره من الصالحين؛ إذ فيه أن النبي ح علم الأعمى أن يتوسل به في دعائه، وقد فعل الأعمى ذلك فعاد بصيراً.

ونص الحديث: $أن رجلا ً ضرير البصر أتى النبي ح فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوتُ، وإن شئت صبرتَ فهو خير لك، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ ويحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللّه إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني توجهت بك على ربي في حاجتي ليقضي لي، اللّهم شفعه فيّ. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، ورواه البيهقي في دلائل النبوة، وفي آخره: يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فيُجلي عن بصري، اللّهم شفعه في وشفعني في نفسي، قال عثمان: فوالله ما تفرقنا ولا طال الحديث حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضر قط#[4]

(1) رواه أحمد في مسنده (144/9 رقم 5145)، والترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي حفص عمر ابن الخطاب ط (ص 836 رقم 3682) واللفظ له، وقال: $حسن صحيح غريب من هذا الوجه#_وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (358/1 رقم 1736)._

(2) فصل المقال (ص 122)._

(3) رواه أحمد في مسنده (480/28 رقم 17241)، والترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب (119)، (ص 813 رقم 3578)، وابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب ما جاء في صلاة الحاجة (ص 245 رقم 1385)، و الطبراني في المعجم الكبير (17/9 رقم 8311)، والحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء (519/1). وقال الترمذي: $حسن صحيح غريب#، وقال الحاكم: $صحيح الإسناد# ووافقه الذهبي. وذكر الشيخ الألباني في التوسل أنواعه وأحكامه (ص 69 -الحاشية) أن إسناده جيد لا شبهة فيه.

(4) النور المبين في محبة سيد المرسلين (ص 72-73).

و$رواه ابن ماجه وقال: هذا حديث صحيح#[1]، $وصححه الإمام الحاكم، والذهبي#[2]، $والبيهقي#[3].

الجواب:

وقبل الجواب عن هذه الشبهة أنقل كلام العلماء في شرح الحديث، ثم أتطرق إلى الرد عليها بالتفصيل.

قال الطيبي :: $قال ح: "إن شئت دعوت" فأسند الدعاء إلى نفسه ح، وكذا طلب الرجلُ أن يدعو هو ح له، ثم أمره ح أن يدعو هو، كأنه ح لم يرض منه اختيارَه الدعاءَ لما قال: "الصبر خير لك". لكن في جعله ح شفيعاً له ووسيلة في استجابة الدعاء؛ ما يفهم أنه ح شريك فيه [أي في الدعاء]. قوله: "إني توجهت بك" بعد قوله: "أتوجه إليك" بعد قوله تعالى: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞﯟ ﭼ [البقرة: 255] سأل أولا ً أن يأذن الله نبيه ليشفع له، ثم أقبل على النبي ح ملتمساً لأن يشفع له، ثم كر مقبلا ً على الله أن يقبل شفاعته ح قائلا ً: "فشفعه"، والباء في "بنبيك" للتعدية، وفي "بك" للاستعانة"#[4].

وقال أبو الثناء الألوسي :: $وقوله: "إني توجهت بك" بعد قوله: "أتوجه إليك"، فيه معنى قوله: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞﯟ ﭼ [البقرة: 255] فيكون خطاباً لحاضر معاين في قلبه، مرتبط بما توجه به عند ربه من سؤال نبيه بدعائه ح الذي هو عين شفاته، ولذلك أتى بالصيغة الماضوية بعد الصيغة المضارعية، المفيد كل ذلك أن هذا الداعي قد توسل بشفاعة نبيه في دعائه ، فكأنه استحضره وقت ندائه.

ومثل ذلك كثير في المقامات الخطابية، والقرائن الاعتبارية. فقوله: "في حاجتي هذه لتقضى لي"، أي: ليقضيها لي ربي بشفاعته ح، أي: في دعائه، وذلك مشروع مأمور به، فإن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا يطلبون منه ح الدعاء، وكان ح يدعو لهم...#.

ثم بيّن : في الأخير أن المراد بشفاعة النبي ح للرجل $هو دعاؤه ح له بكشف عاهته، وليس ذلك بمحظور...#[5].

وأما الجواب التفصيلي عن الشبهة السابقة: فأقول: على فرض ثبوت

---

(1) Empat Puluh Masalah Agama (أربعون مسألة دينية) (145/1-146)، وانظر: I’tiqad Ahlus Sunnah wal Jama’ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 334-335)، حجة أهل السنة والجماعة (لمؤلف إندونيسي) (ص 95، 97-98)، و Mana Dalilnya (أين الدليل) (ص 122-123).

(2) Mana Dalilnya (أين الدليل) (ص 123).

(3) حجة أهل السنة والجماعة (لمؤلف إندونيسي) (ص 98).

(4) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى الكاشف عن حقائق السنن (232/5).

(5) فتح المنان (ص 74-75).

هذا الحديث[1]، فإنه لا يدل إلا على التوسل المشروع، وهو التوسل بدعاء النبي ح وقت حياته، ولا يدل على التوسل بذات النبي ح أو جاهه، وبيان ذلك في أوجه[2]:

الوجه الأول: إن الأعمى إنما جاء إلى النبي ح ليدعو له وذلك قوله: $ادع الله أن يعافيني#؛ فهو قد توسل إلى لله تعالى بدعائه ح؛ لأنه يعلم أن دعاءه ح أرجى للقبول عند الله بخلاف دعاء غيره، ولو كان قصد الأعمى التوسل بذات النبي ح، أو جاهه، أو حقه؛ لما كان ثمة حاجه به إلى أن يأتي النبي ح ويطلب منه الدعاء له، بل كان يقعد في بيته ويدعو ربه بأن يقول مثلاً: $اللهم إني أسألك بجاه نبيك ومن-زلته عندك أن تشفيني وتجعلني بصيرا ً#. ولكنه لم يفعل لماذا؟ لأنه عربي يفهم معنى التوسل في لغة العرب حق الفهم، ويعرف أنه ليس كلمة يقولها صاحب الحاجة يذكر فيها اسم المتوسل به، بل لا بد أن يشتمل على المجيء إلى من يعتقد فيه الصلا ح وطلب الدعاء منه له.

الوجه الثاني: أن النبي ح وعده بالدعاء مع نصحه له ببيان ما هو الأ فضل له، وهو قوله ح: $إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك#. وهذا الأمر الثاني هو ما أشار إليه ح في الحديث الذي رواه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: $إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه -أي عينيه- فصبر عوضته منهما الجنة#[3].

الوجه الثالث: إصرار الأعمى على الدعاء وهو قوله: $فادع#، وورد في بعض طرق الحديث: $ادع الله لي مرتين أو ثلاثا#[4]؛ فهذا يقتضي أن الرسول ح دعا له؛ لأنه ح خير من وفى بما وعد، وقد وعده بالدعاء له إن شاء -كما سبق-، فقد شاء الدعاء َ وأصر ّ عليه، فإذن لا بد أنه ح دعا له؛ فثبت المراد.

وقد وج ّه النبي ح الأعمى بدافع من رحمته ح وبحرص منه ح على أن يستجيب الله تعالى دعاءه فيه - وج ّهه إلى النوع الثاني من التوسل المشروع، وهو التوسل بالعمل الصالح؛ ليجمع له الخير من أطرافه؛ فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين ثم يدعو لنفسه وهذه الأعمال طاعة لله يقدمها بين

---

(1) انظر الكلام على الحديث في: هذه مفاهيمنا (ص 42)، والدعاء ومن-زلته (737-747/2).

(2) انظر: قاعدة جليلة (ص 201 وما بعدها)، والتوسل أنواعه وأحكامه (ص 68-89)، وهذه مفاهيمنا (ص 42-43)، والدعاء ومن-زلته (755-735/2).

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب فضل من ذهب بصره (116/10 رقم 5653).

(4) كما في عمل اليوم والليلة للنسائي (ص 417 رقم 658)، والتاريخ الكبير (209/6 رقم 2192).

يدي دعاء النبي ح له وهي تدخل في قوله تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﭼ المائدة: ٣٥.
وهكذا، فلم يكتف الرسول ح بدعائه للأعمى الذي وعده به، بل شغله بأعمال فيها طاعة لله وقربة إليه؛ ليكون الأمر مكتملاً من جميع نواحيه ، وأقرب إلى القبول والرضا من الله ، وعلى هذا، فالحادثة كلها تدور حول الدعاء -كما هو ظاهر- وليس فيها ذكر شيء مما يزعمون.
الوجه الرابع: إن الدعاء الذي علّمه رسول الله ح إياه أن يقول: $اللهم فشفعه فيّ#[1] هذا يستحيل حملُه على التوسل بذاته ح، أو جاهه، أو حقه؛ إذ أن المعنى: اللهم اقبل شفاعته ح فيّ أي: اقبل دعاءه فيّ أن ترد عليّ بصري، ومن معاني الشفاعة في اللغة: الدعاء[2] وهو المراد بالشفاعة الثابتة له ح ولغيره من الأنبياء والصالحين يوم القيامة، وهذا يبيّن أن الشفاعة أخص من الدعاء؛ إذ لا تكون إلا إذا كان هناك اثنان يطلبان أمراً فيكون أحدهما شفيعاً للآخر، بخلاف الطالب الواحد الذي لم يشفع غيره قال في $لسان العرب#[3]: $الشفاعة كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره ... والشافع الطالب لغيره يتشفع به إلى المطلوب، يقال: تشفّعت بفلان إلى فلان فشفّعني فيه#.
فثبت بهذا الوجه أيضاً أن توسل الأعمى إنما كان بدعائه ح لا بذاته.
الوجه الخامس: إن مما علّم النبي ح الأعمى أن يقوله: $وشفعني فيه#[4] أي: اقبل شفاعتي أي دعائي في أن تقبل شفاعته ح أي دعاءه فيّ أن ترد علي بصري. هذا الذي لا يمكن أن يفهم من هذه الجملة سواه؛ ولهذا ترى المخالفين يتجاهلونها ولا يتعرضون لها من قريب أو من بعيد[5] لأنها تنسف بنيانهم من القواعد وتجتثه من الجذور، وإذا سمعوها رأيتهم ينظرون إليك نظر المغشي عليه.

---

(1) هذه الجملة عند الترمذي في سننه، كتاب الدعوات عن رسول الله ح، باب (119) (ص 813 رقم 3578)، وقال: $حسن صحيح غريب#، وصحح إسنادها الشيخ الألباني في التوسل أنواعه وأحكامه (ص 72 -الحاشية).
(2) روي عن المبرد وثعلب أنهما قالا في قوله تعالى: $من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه# قالا: $الشفاعة: الدعاء ها هنا#. انظر: تهذيب اللغة (436/1-437)، ولسان العرب (151/7)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام (130/1).
(3) (151/7).
(4) هذه الجملة عند الحاكم في المستدرك (519/1) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في التوسل أنواعه وأحكامه (ص 73 -الحاشية).
(5) انظر: النور المبين في محبة سيد المرسلين (ص 72-73)، و Empat Puluh Masalah Agama (أربعون مسألة دينية) (145/1-146)، و I'tiqad Ahlus Sunnah wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص334-335)، حجة أهل السنة والجماعة (لمؤلف إندونيسي) (ص 95، 97-98)، وMana Dalilnya (أين الدليل) (ص 122-123).

ذلك أن شفاعة الرسول ح في الأعمى مفهومة، ولكن شفاعة الأعمى في الرسول ح كيف تكون؟ لا جواب لذلك عندهم البتة، ومما يدل ّ على شعورهم بأن هذه الجملة تبطل تأويلاتهم: أنك لا ترى واحدا ً منهم يستعملها فيقول في دعائه مثلا: اللّهم شفع في ّ نبيك وشفعني فيه.

الوجه السادس: إن هذا الحديث ذكره العلماء في معجزات النبي ح ودعائه المستجاب، وما أظهر اللّه ببركة دعائه من الخوارق والإبراء من العاهات، فإنه بدعائه ح لهذا الأعمى أعاد اللّه عليه بصره، ولذلك رواه المصنفون في $دلائل النبوة# كالبيهقي :[1]، وغيرهم ممن أورد هذا الحديث في مصنفاتهم أورده تحت كتاب الدعوات، كالترمذي :[2] و الحاكم :[3] وغيرهما؛ هذا يدل على أن السر ّ في شفاء الأعمى إنما هو دعاء رسول اللّه ح.

ويؤيد ذلك أنه لو كان السر هو في دعاء الأعمى وحده دون دعائه ح؛ لكان كل من دعا به من العميان مخلصا ً إليه تعالى منيبا ً إليه قد عوفي، بل على الأقل لعوفي واحد منهم، وهذا ما لم يكن ولعله لا يكون أبدا ً.

كما أنه لو كان السر في شفاء الأعمى أنه توسل بجاه النبي ح وقدره وحقه كما يفهم عامة المتأخرين؛ لكان من المفروض أن يحصل هذا الشفاء لغيره من العميان الذين يتوسلون بجاهه ح، بل ويضمون إليه أحيانا ً جاه جميع الأنبياء المرسلين، وكل الأولياء والشهداء والصالحين، وجاه كل من له جاه عند اللّه من الملائكة والإنس والجن أجمعين، ولم أعلم ولا أظن أحدا ً قد علم حصول مثل هذا خلال هذه القرون الطويلة بعد وفاة رسول اللّه ح إلى اليوم.

إذا تبيّن للقارئ الكريم ما أوردته من الوجوه الدالة على أن حديث الأعمى إنما يدور حول التوسل بدعائه ح، وأنه لا علاقة له بالتوسل بالذات؛ فحينئذ يتبيّن له أن قول الأعمى في دعائه: $اللّهم إني أسألك وأتوسل إليك بنبيك محمد ح# إنما المراد به: أتوسل إليك بدعاء نبيك أي: على حذف المضاف وهذا أمر معروف في اللغة. كقوله تعالى: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ يوسف: ٨٢، أي أهل القرية وأصحاب العير[4].

ونحن والمخالفون متفقون على ذلك أي على تقدير مضاف محذوف، وهو مثل ما رأينا في دعاء عمر وتوسله بالعباس، فإما أن يكون التقدير: إني أتوجه إليك بـ"جاه" نبيك، ويا محمد إني توجهت بـ"ذات"ـك أو "مكانت"ـ

(1) دلائل النبوة (166/6).
(2) انظر: سنن الترمذي (ص 765، 813).
(3) انظر: المستدرك (519/1).
(4) انظر: تفسير الطبري (290/13-291)، وتفسير البغوي (267/4)، وتفسير القرطبي (427/11).

ك إلى ربي كما يزعمون، وإما أن يكون التقدير إني أتوجه إليك بـ"دعاء" نبيك، ويا محمد إني توجهت بـ"دعائـ"ـك إلى ربي كما هو قولنا، ولا بد لترجيح أحد التقديرين من دليل يدل عليه.

فأما تقديرهم "بجاهه" فليس لهم عليه دليل لا من هذا الحديث ولا من غيره؛ إذ ليس في سباق الكلام ولا سياقه تصريح أو إشارة إلى ذكر الجاه أو ما يدل عليه إطلاقا ً، كما أنه ليس عندهم شيء من القرآن، أو من السنة الثابتة، أو من فعل الصحابة، يدل على التوسل بالجاه، فبقي تقديرهم من غير مرجح فسقط من الاعتبار والحمد لله.

بهذا انتهيت من الرد على النوع الأول من شبهات المخالفين في باب التوسل البدعي، ويليه الرد على النوع الثاني من شبهاتهم، وهي كثيرة.

- النوع الثاني من شبهات المخالفين: أدلة غير صحيحة، وقد تكون صريحة فيما يحتجون بها، وربما تكون غير صريحة.

الشبهة الأولى:

قول المخالفين: $ودليل جواز التوسل بغيره أيضاً ما ذُكر في الأجوبة المكية نقلا ً عن منهاج السعادة قال:#[1] $قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **توسلوا بي وبأهل بيتي فإنه لا يرد متوسل بنا**. رواه ابن حبان وقال حديث صحيح#[2].

تخريجـه:لم أقف عليه مسنداً وغيرَ مسند في شيء من الكتب الحديثية -منها صحيح ابن حبان- أو الكتب التفسيرية، أو الكتب التاريخية، أو الموسوعات التي تجمع الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

فنطالب المخالف بإسناد حديثه، ثم ننظر في إسناده؛ إن كان صحيحاً أو ضعيفاً، والله أعلم.

الشبهة الثانية:

استدلالهم بما $رواه الحاكم أبو عبد الله في $المستدرك على الصحيحين# من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **لما اقترف آدم عليه السلام الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله تعالى: يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟، قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إلي، إذا سألتني بحقه فقد غفرتك، ولو لا**

(1) حجة أهل السنة والجماعة (لمؤلف إندونيسي) (ص 102).
(2) الفرائد السنية والدرر البهية (لمؤلف إندونيسي) (ص 11-12).

محمد ما خلقتك، قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد#[1]. $كبار المحدثين يعدون هذا الحديث صحيحاً، منهم: الإمام الحاكم، والحافظ السيوطي، والقسطلاني، والزرقاني، والسبكي، والحافظ الهيثمي#[2].

تخريج الحديث[3]: هذا الحديث رواه الحاكم في $المستدرك# (615/2)، والبيهقي في $دلائل النبوة# (488-489/5)، والطبراني في $المعجم الصغير# (182/2 رقم 992 -الروض الداني)، من طرق عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن جده، عن عمر بن الخطاب ط مرفوعاً.

ورواه الآجري في $كتاب الشريعة# (1415/3 رقم 956) من وجه آخر عن عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم به موقوفاً من قول عمر ط.

هذا الحديث فيه عدة علل:

1- ضَعْف عبد الرحمن بن زيد بن أسلم جداً، وعليه مدار الحديث. قال البخاري وأبو حاتم الرازي: $ضعّفه علي بن المديني[4] جداً#[5]، وقال ابن سعد: $ضعيف جداً#[6]، وقال الطحاوي: $حديثه عند أهل العلم بـ الحديث في النهاية من الضعف#[7]،

(1) النور المبين في محبة سيد المرسلين (لمؤلف إندونيسي) (ص 71)، وانظر: Empat Puluh Masalah Agama (أربعون مسألة دينية) (154/1-155)، و I'tiqad Ahlus Sunnah wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 333-334)، والفرائد السنية والدرر البهية (ص 13)، وحجة أهل السنة والجماعة (ص 97)، وMana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 119-120)، و Tuntunan Ziarah Wali Songo (كيفية زيارة الأولياء التسعة) (ص 27).

(2) Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 119).

(3) انظر: السلسلة الضعيفة (88/1 وما بعدها رقم 25)، وتحفة القاري (ص 195-200)، وهذه مفاهيمنا (ص 26-35)، وهدم المنارة (ص 200-205)، والدعاء ومن ـزلته (789/2-793).

(4) هو: علي بن عبد الله بن جعفر السعدي مولاهم أبو الحسن ابن المديني البصري (ت 234 هـ)، ثقة ثبت إمام، أعلم أهل عصره بالحديث وعلله. انظر: التقريب (رقم 4794).

(5) التاريخ الكبير (284/5 رقم 922)، والجرح والتعديل (234/5).

(6) تهذيب التهذيب (508/2).

(7) المصدر السابق.

وقال ابن حبان: $استحق الترك#[1]، وقال ابن خزيمة: $ليس ممن يحتجّ أهل الحديث بحديثه#[2]، وقال أبو داود، وأبو زرعة، والنسائي، و الدارقطني، وابن حجر: $ضعيف#[3]، وقال أبو نعيم[4]: $لا شيء#[5]، وق ال الحاكم وأبو نعيم: $روى عن أبيه أحاديث موضوعة#[6] -والحاكم، وأبو نعيم من المعروفين بتساهلهم في التوثيق[7]، فإذا جرحا فإنما ذلك بعد أن ظهر لهما أن عبد الرحمن مجروح حقا[8]-؛ ولذلك اتفقوا على تضعيفه؛ قال البزار: $أجمع أهل العلم بالنقل على تضعيف أخباره#[9]، قال ابن الجوزي: $أجمعوا على ضعفه#[10]، وقال ابن تيمية: $ضعيف باتفاقهم#[11].

2- جهالة من دون عبد الرحمن بن زيد، وقد أشار إلى ذلك الحافظ الهيثمي : حيث قال: $فيه من لم أعرفهم#[12]، ومن هؤلاء المجهولين: عبد الله بن مسلم الفهري؛ قال الحافظ الذهبي: $لا أدري من ذا#[13]، وقال الحافظ ابن حجر: لا أستبعد أن يكون هو عبد الله بن مسلم ين رشيد؛ وقد ذكره ابن حبان[14] من المتهمين بوضع الحديث، وهو شيخ لا يعرفه أصحابنا[15].

---

(1) كتاب المجروحين (57/2).
(2) تهذيب التهذيب (508/2).
(3) كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي (ص 158 رقم 377)، والجرح والتعديل (233/5)، والضعفاء والمتروكون للدارقطني (ص 270 رقم 331)، وتهذيب الكمال (117/17)، والتقريب (رقم 3890).
(4) هو: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (336-430 هـ)، إمام حافظ، له حلية ا لأولياء، ودلائل النبوة، وتاريخ أصبهان، وغيرها. انظر: المنتظم لابن الجوزي (268/15)، ومرآة الجنان (52/3-53).
(5) كتاب الضعفاء (ص 102 رقم 122)، والصارم المنكي (ص80).
(6) تهذيب التهذيب (508/2).
(7) انظر: ضوابط الجرح والتعديل (ص 70-71) حيث ذكر أن من الأئمة المتساهلين في التعديل: العجلي، وابن حبان، والدارقطني -في بعض الأوقات-، والحاكم، و البيهقي.
(8) التوسل أنواعه وأحكامه (ص 108).
(9) كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة، للهيثمي (109/1 رقم 194).
(10) تهذيب التهذيب (508/2)، ونقله السندي في شرحه على سنن ابن ماجه (295/1 -ط. دار المعرفة).
(11) قاعدة جليلة (ص 182).
(12) مجمع الزوائد (253/8).
(13) المستدرك (615/2).
(14) كتاب المجروحين (44/2).
(15) لسان الميزان (11/5-12).

3-اضطراب عبد الرحمن أو من دونه في إسناده؛ فتارة يروونه مرفوعاً ، وتارة موقوفاً على عمر ط، وقد ذكرت من رواه مرفوعاً من المصنفين ومن رواه موقوفاً.

الحكم على الحديث: هذا الحديث ضعيف جداً إن لم يكن موضوعاً، وفيما يلي أقوال أئمة الإسلام -قديماً وحديثاً- في الحكم على الحديث:

قال الحافظ البيهقي :: $تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه عنه وهو ضعيف#[1].

وقال الحافظ الذهبي : مرة: $موضوع#[2]، وقال في موطن آخر: $باطل#[3]؛ فالحديث موضوع الإسناد باطل المتن[4].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : مرة: $لا أصل له#[5]، وقال أيضاً: $موضوع#[6].

وقال الحافظ ابن عبد الهادي :: $هو حديث ضعيف جداً، وقد حكم عليه بعض الأئمة بالوضع#[7].

وقال الحافظ الهيثمي :: $رواه الطبراني في "الأوسط" و"الصغير"، وفيه من لم أعرفهم#[8].

وقال الحافظ السيوطي :: $الحديث [رواه] البيهقي والطبراني من حديث عمر بسند ضعيف#[9].

ونقل القسطلاني[10] : كلام البيهقي : السابق في المواهب قائلاً: $وقال [أي البيهقي]:

(1) دلائل النبوة (489/5).
(2) المستدرك (615/2).
(3) ميزان الاعتدال (504/2).
(4) هذه مفاهيمنا (ص 33).
(5) الاستغاثة في الرد على البكري (ص 264).
(6) منهاج السنة (131/7).
(7) الصارم المنكي (ص 83).
(8) مجمع الزوائد (253/8).
(9) مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا (ص 94 رقم 381).
(10) هو: أحمد بن محمد بن أبي بكر شهاب الدين أبو العباس القسطلاني المصري الشافعي (851-923 هـ)، من مؤلفاته: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، و المواهب اللدنية في المنح المحمدية. انظر: الضوء اللامع (103/2)، وشذرات الذهب (121/8-123).

تفرد به عبدالرحمن#[1]، وفهم مراد ه شارح $المواهب# الزرقاني :
فقال: $تفرد به عبد الرحمن، أي: لم يتابعه عليه غيره، فهو غريب مع ضعف راويه# [2].

وقال الشيخ الألباني :: $موضوع#[3].

تنبيهان:

التنبيه الأول: الرد على قول المخالف: $كبار المحدثين يعدون هذا الحديث صحيحاً، منهم: الإمام الحاكم، والحافظ السيوطي، والقسطلاني، و الزرقاني، والسبكي، والحافظ الهيثمي#[4].

هذا الكلام نقله المخالف من كتاب $مفاهيم يجب أن تصحح# ولم يكلف نفسه -وللأسف- الرجوع إلى المصادر التي نقل منها صاحب $المفاهيم#؛ فلذلك وقع في مصيبة الأخطاء الجسيمة من حيث لا يدري، وإن درى ذلك فالمصيبة أعظم.

والتحقيق أنه لم يَثبُت عن أولئك الأعلام المذكورين تصحيحُ الحديث إلا عن اثنين منهم، هما: الحاكم والسبكي، أما السيوطي، والقسطلاني، و الهيثمي، والزرقاني؛ فقد ضعفوا الحديث، وقد نقلت نص كلامهم قريباً.

أما عن **تصحيح الحاكم**، فالحقيقة أنه لم يصحح الحديث بل صحح إسناده فقط، حيث قال: $صحيح الإسناد، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم#[5]، والمشتغلون بالحديث يفرّقون بين صحة الإ سناد وصحة الحديث؛ إذ صحة الإسناد لا يلزم منها صحة الحديث، يقول السيوطي :: $وكثيراً ما يكون الحديث ضعيفاً أو واهياً، والإسناد صحيح مركب عليه#[6].

ومع هذا كله، فعند التحقيق العلمي وجدنا أن تصحيح الحاكم : لإسناد هذا الحديث هنا غير مقبول، وذلك لأمور[7]:

---

(1) المواهب اللدنية (82/1).
(2) شرح المواهب اللدنية (63/1).
(3) السلسلة الضعيفة (88/1 رقم 25).
(4) Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 119).
(5) المستدرك (615/2).
(6) تدريب الراوي (161/1).
(7) انظر الأمر الأول في: هذه مفاهيمنا (ص 31-34).

1- إنه قال في كتابه $المدخل إلى الصحيح#[1] في شأن عبد الرحمن: $عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه#.

وكان قال في أول $المدخل#[2]: $وأنا مبيـ ـّن بعون الله وتوفيقه أسامي قوم من المجروحين ممن ظهر لي جرحهم اجتهادا ً، ومعرفة بجرحهم، لا تقليدا ً فيه لأحد من الأئمة، وأتوهم أن رواية أحاديث هؤلاء لا تحل ـّ إلا بعد بيان حالهم؛ لقول المصطفى ح في حديثه: $من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين#[3] أهـ، ثم سردهم وذكر منهم عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، كما نقلته.

وهذا تعارض من الحاكم :، قال الحافظ ابن حجر :: $ومن العجيب ما وقع للحاكم: أنه أخرج لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وقال بعد روايته: $هذا صحيح الإسناد، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن#، مع أنه قال في كتابه الذي جمعه في الضعفاء: $عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه#، وقال في آخر هذا الكتاب: $فهؤلاء الذين ذكرتهم قد ظهر عندي جرحهم؛ لأن الجرح لا أستحله تقليدا ً# أهـ، فكان هذا من عجائب ما وقع له من التساهل والغفلة#[4].

والسؤال: ما الحامل للحاكم على تصحيح إسناد حديث فيه عبد الرحمن بن زيد؟

الجواب معلوم عند أهل الحديث والنظر، وهو أنه ألف كتابه $المستدرك# في أواخر عمره، وقد اعترته غفلة[5]. قال الحافظ ابن حجر: $ذكر بعضهم أنه حصل له تغيـ ـّر وغفلة في آخر عمره، ويدل على ذلك: أنه ذكر جماعة في كتاب $الضعفاء# له، وقطع بترك الرواية عنهم، ومنع من الا حتجاج بهم، ثم أخرج أحاديث بعضهم في $مستدركه# وصححها، من ذلك: أنه أخرج حديثا ً لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وكان قد ذكره في الضعفاء ...#[6].

وجرى على هذا علماء الحديث في شأن $المستدرك#، ومنه قول الحافظ السخاوي :: $يقال إن السبب في ذلك أنه صنفه في أواخر عمره وقد حصلت له غفلة وتغيـ ـّر، أو أنه لم يتيسر له تحريره وتنقيحه، ويدل له

---

(1) (199/1 رقم 97).
(2) (163/1).
(3) مضى تخريجه في (ص 245).
(4) النكت على كتاب ابن الصلاح (318/1-319).
(5) انظر: توجيه النظر إلى أصول الأثر لطاهر الجزائري (340/1).
(6) لسان الميزان (257/7).

أن تساهله في قدر الخمس الأول منه قليل جداً بالنسبة لباقيه، فإنه وجد عنده: إلى هنا انتهى إملاء الحاكم#[1].

2- إن العلماء قد أنكروا على صنيع الحاكم : هنا، منهم الذهبي حيث تعقب تصحيح الحاكم فقال: $قلت: بل موضوع، وعبد الرحمن واه، وعبد الله بن أسلم الفهري لا أدري من ذا#[2].

وممن أنكر عليه ابن تيمية : حيث قال: $وأما تصحيح الحاكم لمثل هذا الحديث وأمثاله، فهذا مما أنكره عليه أئمة العلم بالحديث وقالوا: إن الحاكم يصحح أحاديث وهي موضوعة مكذوبة عند أهل المعرفة بـ الحديث#[3].

3- إن الحديث فيه عدة علل تمنع من تصحيح سنده فضلاً عن تصحيحه الحديث نفسه، وقد ذكرت تلك العلل[4]، ولذلك ضعّفه من ضعّفه من الأئمة[5].

يقول بدر الدين ابن جماعة[6] : وهو يتحدث عن الأحاديث التي أوردها الحاكم في كتابه $المستدرك#: $والصواب أنه يتتبع ويحكم علية بما يليق بحاله من الحسن أو الضعف أو الصحة#[7]، ووافقه العراقي : حيث قال: $إن حكمه عليه بالحسن فقط تحكم#[8].

ويقول ابن الصلاح :: $ما حكم بصحته ولم نجد ذلك فيه لغيره من الأ ئمة، إن لم يكن من قبيل الصحيح فهو من قبيل الحسن يُحتجّ به ويعمل به، إلا أن تظهر علة توجب ضعفه#[9].

وقد ظهرت هنا علة بل علل توجب ضعف الحديث.

وأما تصحيح السبكي : فإنه قد قلّد الحاكم في ذلك، والمقلّد لا

---

(1) فتح المغيث (36/1 -تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان)، وانظر: تدريب الراوي (113/1)، وكشف الظنون (1672/2).
(2) المستدرك (615/2).
(3) قاعدة جليلة (ص 182-183).
(4) راجع (ص 438-440).
(5) راجع (ص 440-441).
(6) هو: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي (639-733 هـ)، قاض محدث، من تصانيفه: $المنهل الروي في الحديث النبوي#. انظر:الدرر الكامنة (280-283/3)، وذيل تذكرة الحفاظ للحسيني (ص 107).
(7) تدريب الراوي (113/1) والتقييد والإيضاح (ص 18).
(8) تدريب الراوي (114/1).
(9) مقدمة ابن الصلاح (ص 94)، وانظر: تدريب الراوي (113/1).

يستكثر به، قال السبكي: $قد اعتمدنا في تصحيحه على الحاكم#[1]. و السبكي مقر ّ بوجه ضعفه، لكنه قال: $عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لا يبلغ في الضعف إلى الحد الذي ادعاه#[2]، وكلامه مردود بما سبق نقله من شدة جرح العلماء في عبد الرحمن بن زيد، واتفاقهم على تضعيفه، وعدم احتجاجهم بحديثه[3].

التنبيه الثاني: مع شدة ضعف هذا الحديث فهو مخالف للقرآن الكريم؛ إذ الثابت أن الدعاء الذي ق َبِ لِ الله به توبة َ آدم هو ما قاله الله في سورة الأعراف: چٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ چالأعراف: ٢٣. فهذه هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، كما قال تعالى: چ ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي چالبقرة: ٣٧.

قال الحافظ ابن كثير :: $روي هذا عن مجاهد، وسعيد بن جبير[4]، وأبي العالية، والربيع ابن أنس[5]، والحسن، وقتادة، ومحمد بن كعب القرظي[6]، وخالد بن معدان[7]، وعطاء الخراساني[8]، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم#[9].

عشرة من أهل العلم فسروها بآية الأعراف، ومنهم عبد الرحمن بن زيد بن أسلم راوي الحديث المنكر في توسل آدم، فهل بعد تفسير هؤلاء من تفسير يعتمد على خبر واه؟.

لا سيما أن هذا التفسير هو ما رجحه إمام المفسرين الطبري، وأولى ما يفسر القرآن بالقرآن[10]، فإذا وجد فلا يعدل عنه.

---

(1) شفاء السقام (ص 163).
(2) نفس المرجع.
(3) راجع (ص 438-439).
(4) هو: سعيد بن جبير الأسدي مولاهم الكوفي (ت 95 هـ)، ثقة ثبت فقيه. انظر: التقريب (رقم 2291).
(5) هو: الربيع بن أنس البكري أو الحنفي (ت 140 هـ)، صدوق له أوهَامْ، رمي بـ التشيع. انظر: التقريب (رقم 1892).
(6) هو: محمد بن كعب بن سليم أبو حمزة القرظي المدني (40-120 هـ)، ثقة عالم. انظر: التقريب (رقم 6297).
(7) هو: خالد بن معدان الكلاعي الحمصي أبو عبد الله (ت 103 هـ)، ثقة عابد. انظر: التقريب (رقم 1688).
(8) هو: عطاء بن أبي مسلم ميسرة أبو عثمان الخرساني (ت 135 هـ)، صدوق يهم كثيراً. انظر: التقريب (رقم 4633).
(9) تفسير ابن كثير (238/1).
(10) انظر: مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام (ص 84)، وأضواء البيان

وهذا مما يزيد في توهين روايته الحديث المنكر الواهي وهنا ً على وهن، ولم يـِ ُذكر أن أحداً من الصحابة، أو التابعين، أو تابعيهم، فسر الكلمات بتوسل آدم ؛ بالنبي محمد ح، بطريق صحيحة ولا ضعيفة، إلا أن تكون واهية موضوعة.

ولعل قصة مغفرة ذنب آدم ؛ بتوسله بمحمد ح تلقاها جهلة المسلمين من أهل الكتاب في عيسى ؛، فأرادوا إثبات فضيلة لنبينا محمد ح فقالوا ما قالوا.

نقل الشهرستاني في كتابه $الملل والنحل#[1] عن عقائد النصارى قولهم: $والمسيح ؛ درجته فوق ذلك، لأنه الابن الوحيد، فلا نظير له، ولا قياس له إلى غيره من الأنبياء، وهو الذي به غفرت زلة آدم ؛#.

فهذا من اعتقاد النصارى، فنافسهم جهلة المسلمين في ذلك، والله أعلم.

الشبهة الثالثة:

استدلالهم بما روي $عن أبي سعيد الخدري عن النبي ص م قال: **من خرج إلى الصلاة فيدعو: اللّهم إني أسألك بحق السائلين إليك وبحق ممشاي هذا، فإني لم أخرج بطراً ولا رياء ولا سمعة، ولكن خرجت اتقاء سخطك، وابتغاء مرضاتك، أن تنقذني من النار، وأن تدخلني الجنة، وأن تغفر لي ذنوبي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت - غفُرَت له.** حديث صحيح رواه ابن ماجه بسند صحيح. سنن ابن ماجه 1/361-362#[2]. قالوا: $كبار المحدثين يعدون هذا الحديث صحيحاً أو حسناً، منهم: ابن خزيمة، و المنذري، وأبو الحسن (شيخ المنذري)، والعراقي، وابن حجر، والدمياطي، وعبد الغني المقدسي، وابن أبي حاتم#[3].

تخريجه[4]: هذا الحديث رواه أحمد في $مسنده# (17/272 رقم

(7/1).

(1) (ص 222).

(2) Empat Puluh Masalah Agama (أربعون مسألة دينية) (1/146-147)، وانظر: I'tiqad Ahlus Sunnah wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 336)، Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 117)، Tuntunan Ziarah Wali Songo (كيفية زيارة الأولياء التسعة) (ص 26).

(3) Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 119).

(4) انظر لهذا التخريج: قاعدة جليلة (ص 232-234)، وصيانة الإنسان (ص 102-127)، والسلسلة الضعيفة (1/82-88 رقم 24)، والتوسل أنواعه وأحكامه (ص 92-97)، وهذه مفاهيمنا (ص 71-74). وللتوسع راجع: $الكشف والتبيين لعلل حديث "اللّهم إني أسألك بحق السائلين"# للشيخ علي بن حسن الحلبي، و$مدارج السالكين في تحقيق حديث أسالك بحق السائلين# لأبي حمزة سيد بن محمد

11156)، وابن ماجه في $سننه#، كتاب المساجد والجماعة، باب المشي إلى الصلاة (ص 147 رقم 778)، وابن السني في $عمل اليوم والليلة# (ص 43 رقم 85)، والطبراني في $الدعاء# (990/2 رقم 421)، وأسنده ابن ماجه من طريق الفضل بن الموفق أبي الجهم، قال حدثنا فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري به.

هذا الحديث فيه عدة علل:

1- الفضل بن الموفّق بن أبي المُتَئِد الثقفي أبو الجهم الكوفي، قال عنه أبو حاتم الرازي: $ضعيف الحديث كان شيخاً صالحاً#[1]، وقال ابن حجر: $فيه ضعف#[2].

2- فضيل بن مرزوق الأغر الرقاشي الكوفي أبو عبد الرحمن، وثقه بعضهم وضعفه آخرون، والذين جرحوه جرحُهم مفسر. وممن ضعفه: أبو حاتم الرازي، قال ابنه: $سألت أبي عنه، فقال: صدوق، صالح الحديث، يهم كثيرا ً، يـ ُكتب حديثه، قلت: يـ ُحتج ّ به؟ قال: لا#[3]، وقال ابن حبان: $منكر الحديث جدا ً، كان ممن يخطئ على الثقات، ويروي عن عطية الموضوعات#[4]، وقال الحاكم: $فضيل بن مرزوق ليس من شرط الصحيح، ع ِيب على مسلم إخراجه في الصحيح#[5]، وقال الذهبي: $كان معروفاً بالتشيع من غير سب ّ#[6]، وقال ابن حجر: $صدوق يهم رمي بالتشيع#[7]، وممن ضعفه أيضاً: النسائي[8] وعثمان الدارمي[9].

3- عطية بن سعد بن جُنادة العوفي الجَدَلي أبو الحسن الكوفي، قال أبو داود: $ليس بالذي يعتمد عليه#[10]، وقال أبو زرعة الرازي: $لين#[11]، وقال الساجي: $ليس بحجة#[12]، وقال عبد الحق الإشبيلي[13] و

المنياوي، و$هدم المنارة لمن صحح أحاديث التوسل والزيارة# لعمرو عبد المنعم سليم (ص 140-176).

(1) الجرح والتعديل (68/7)، وتهذيب الكمال (260/23).
(2) التقريب (رقم 5455).
(3) تهذيب الكمال (308/23).
(4) كتاب المجروحين (209/2).
(5) ميزان الاعتدال (362/3).
(6) المرجع السابق.
(7) التقريب (رقم 5472).
(8) انظر: تهذيب الكمال (308/23).
(9) تاريخ عثمان الدارمي (ص 191 رقم 698).
(10) سؤالات الآجري (264/1 رقم 376).
(11) الجرح والتعديل (383/6).
(12) تهذيب التهذيب (115/3).
(13) نقله عنه في $أحكامه# الزيلعيُ في نصب الراية (51/4). والإشبيلي هو: عبد

البيهقي[1]: $لا يحتج به#، وقال الدارقطني: $مضطرب الحديث#[2]، وقال ابن حبان: $لا يحل الاحتجاج به ولا كتابة حديثه إلا على جهة التعجب#[3]، وقال ابن حزم[4]: $هالك#[5]، وقال الحاكم: $سيء الحال#[6]، وقال ابن رجب: $فيه ضعف مشهور#[7]، وقال ابن حجر: $صدوق يخطئ كثيراً وكان شيعياً مدلساً#[8]، وقال البوصيري[9]: $متفق على ضعفه#[10]، وقال الذهبي: $مجمع على ضعفه#[11]، وقال ابن تيمية: $ضعيف بإجماع أهل العلم#[12].

وممن ضعفه أيضاً: أحمد بن حنبل[13]، وابن معين[14]، وأبو حاتم الرازي[15]، والنسائي[16]،
والدارقطني[17]، والسخاوي[18]، والمناوي[19]، والغماري[20]، وغيرهم[21].

الحق بن عبد الرحمن بن عبدالله أبو محمد الأزدي الإشبيلي المعروف بابن الخراط (510-581 هـ)، فقيه حافظ، له: الأحكام الكبرى والصغرى، وغيرها. انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي (292/1)، والعبر (83/4).

(1) السنن الكبرى (126/2، 30/6، 66/7، 126/8).
(2) العلل له (291/11).
(3) كتاب المجروحين (176/2).
(4) هو: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد الأندلسي القرطبي (384-456 هـ)، الإمام العلامة، صاحب المصنفات منها: المحلى، والفِصَل في الملل والأهواء والنحل. انظر: نفح الطيب (77/2 وما بعدها)، والسير (184/18 وما بعدها).
(5) المحلى (419/7).
(6) كما في نصب الراية (406/1).
(7) فتح الباري له (266/1).
(8) التقريب (رقم 4649).
(9) هو: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري الكناني الشافعي أبو العباس (762-840 هـ)، من كتبه: فوائد المنتقي لزوائد البيهقي، وزوائد ابن ماجه على باقي الكتب الخمسة. انظر: الضوء اللامع (251/1)، وحسن المحاضرة (363/1).
(10) الزوائد (ق72/أ-مخطوطة حلب) نقلاً عن الكشف والتبيين (ص48).
(11) المغني في الضعفاء (617/1 رقم 4139).
(12) قاعدة جليلة (ص 232).
(13) العلل ومعرفة الرجال (548/1 رقم 1306)، وتهذيب الكمال (147/20).
(14) كتاب الضعفاء للعقيلي (1064/3 رقم 1395).
(15) الجرح والتعديل (383/6).
(16) كتاب الضعفاء والمتروكين له (ص 193 رقم 505).
(17) سنن الدارقطني (70/5).
(18) الأجوبة المرضية (187/1).
(19) فيض القدير (341/2)؛ حيث نقل كلام الهيثمي في ذلك.

والحاصل مما سبق أن كلمة العلماء مجتمعة ولا شك -كما هو ظاهر في عبارة البوصيري، والذهبي، وابن تيمية- على ضعف العوفي وسقوط الا حتجاج به.

فمن أجل اجتماع هؤلاء الضعفاء الثلاثة؛ يقول الحافظ البوصيري :: $هذا إسناد مسلسل بالضعفاء: عطية هو العوفي، وفضيل بن مرزوق، و الفضل بن الموفق كلهم ضعفاء#(3).

ويقول الحافظ مغلطاي(4) :: $هذا حديث إسناده ضعيف#(5).

4- عطية العوفي -مع ضعفه- هو مدلس، ونوع تدليسه: تدليس الشيوخ، وهو: أن يأتي الراوي باسم شيخه أو يلقّبه على خلاف المشهور به تعمية لأمره(6)، وقد صرح العلماء بتحريم هذا النوع؛ إذا كان شيخه غير ثقة فدلّسه لئلا يعرف حاله، أو أوهم أنه رجل آخر من الثقات على وفق اسمه أو كنيته(7)، وتدليس عطية من هذا النوع المحرم.

يقول الإمام أحمد :: $بلغني أن عطية كان يأتي الكلبي فيأخذ عنه التفسير، وكان يكنيه بأبي سعيد فيقول: قال أبو سعيد#(8).

وبنحوه يقول الحافظ ابن حبان : في كتابه $المجروحين#(9) ولم يقيد أخْذَ عطية عن الكلبي بالتفسير فقط، بل أطلق.

ويقول الحافظ ابن حجر : عن العوفي: $تابعي معروف، ضعيف

---

(1) فتح الوهاب بتخريج أحاديث الشهاب (163/1). والغماري هو: أحمد بن محمد بن الصديق الغماري المغربي (ت 1380 هـ) مشتغل بالفقه والحديث لكنه من أئمة الصوفية ومفوض في الصفات. انظر: تشنيف الأسماع لمحمود سعيد ممدوح (ص 71-85).

(2) إنما أطلت في ذكر مقالات أولئكم الأعلام في تضعيف عطية؛ رداً على من حاول توثيقه -للوصول إلى تصحيح هذا الحديث- مع وضوح جرح الأئمة فيه. انظر للرد على شبهات هؤلاء: هدم المنارة (ص142-172)، والكشف والتبيين (ص 35-51).

(3) مصباح الزجاجة، كما في حاشية سنن ابن ماجه (428/1 -ط. دار المعرفة).

(4) هو: مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي أبو عبد الله علاء الدين (689-762 هـ)، مؤرخ، من حفاظ الحديث، عالم بالأنساب، من مصنفاته: إكمال تهذيب الكمال. انظر: طبقات الحفاظ (ص 534)، والبدر الطالع (312-313/2)، والأعلام (275/7).

(5) شرح سنن ابن ماجه (1294/4).

(6) انظر: مقدمة ابن الصلاح (ص 232)، والتبيين لأسماء المدلسين لسبط ابن العجمي (ص 12).

(7) انظر: مقدمة ابن الصلاح (ص 235)، واختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير بشرح أحمد شاكر؛ الباعث الحثيث (176/1)، وتوضيح الأفكار (368/1).

(8) العلل ومعرفة الرجال (548/1-549 رقم 1306)، وتهذيب الكمال (147/20).

(9) (176/2).

الحفظ، مشهور بالتدليس القبيح#[1].

وتوضيح ذلك أن عطية هذا كان يروي عن أبي سعيد الخدري ط، فلما مات جالس أحد الكذابين المعروفين بالكذب في الحديث وهو الكلبي، فكان عطية إذا روى عنه كنّاه أبا سعيد؛ فيتوهم السامعون منه أنه يريد أبا سعيد الخدري ط، وهذا وحده يسقط عدالة عطية، فكيف إذا انضم إلى ذلك سوء حفظه؟

بهذا يُعلم أنّ عطية وإن صرح بالتحديث[2] فإن ذلك لا يفيده شيئاً؛ إذ $التصريح بالسماع إنما يفيد إذا كان التدليس من النوع الأول [وهو تدليس الإسناد[3]]، وتدليس عطية من النوع الآخر القبيح [وهو تدليس الشيوخ]، فلا يفيد فيه ذلك؛ لأنه في هذه الرواية أيضاً قال: $حدثني أبو سعيد#، فهذا هو عين التدليس القبيح#[4].

5- اضطراب عطية أو فضيل بن مرزوق في روايته، حيث إنه يروي الحديث تارة مرفوعاً كما تقدم، وأخرى موقوفاً على أبي سعيد، كما رواه ابن أبي شيبة في $المصنف# (10/23-22 رقم 29690) عن فضيل بن مرزوق به موقوفاً.

وفي رواية أحمد كما في $المسند# (17/274 رقم 11156) من طريق فضيل قال: $أحسبه قد رفعه#، وقال أبو حاتم كما في $العلل# لابنه (5/366 رقم 2048): $موقوف أشبه#. والمضطربون ضعاف في حديثهم[5]، فلا يحمل ذلك على غير الاضطراب، كما هو معلوم من أصول الحديث.

هذا، وللحديث شاهد من حديث بلال ط عند ابن السني في $عمل اليوم والليلة# (ص 42-43 رقم 84)، إلا أنه ضعيف جداً؛ لأنه جاء من طريق وازع بن نافع العقيلي؛ وهو ضعيف جداً متفق على ضعفه؛ قال الحاكم: $يروي أحاديث موضوعة#، وقال ابن أبي حاتم: $كان ممن يروي الموضوعات عن الثقات على قلة روايته#، وقال البخاري: $منكر الحديث#، وقال النسائي: $متروك#، وذكر ابن عدي أن عامة ما يرويه الوازع غير

(1) تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس (ص 130 رقم 122).
(2) كما في رواية أبي نعيم الفضل بن دكين في $كتاب الصلاة# عن فضيل بن مرزوق عن عطية قال: حدثني أبو سعيد. قلت: ولم ينسبه! انظر: نتائج الأفكار (1/273).
(3) تدليس الإسناد هو: أن يروي المحدث عمن لقيه ما لم يسمعه منه موهماً أنه سمعه منه، أو عمن عاصره، ولم يلقه موهماً أنه قد لقيه وسمعه منه. انظر: مقدمة ابن الصلاح (ص 230-231)، وشرح ألفية العراقي له (1/180).
(4) التوسل أنواعه وأحكامه (ص 94).
(5) انظر: ألفية العراقي وشرحها فتح المغيث (1/221 –تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان).

محفوظة، وقال أحمد وابن معين: $ليس بثقة#[1]، ويقول النووي: $حديث ضعيف، أحد رواته الوازع بن نافع العقيلي وهو متفق على ضعفه وأنه منكر الحديث#[2]، وقال ابن حجر بعد تخريجه للحديث: $هذا حديث واه جدا ً أخرجه الدارقطني في $الأفراد# من هذا الوجه وقال: تفرد الوازع به، وقد نقل المصنف أنه متفق على ضعفه وأنه منكر الحديث#[3].

بالإضافة إلى أن هذا الشاهد مضطرب السند، قال الحافظ ابن حجر: $قد اضطرب في هذا الحديث؛ فأخرجه أبو نعيم في اليوم والليلة من وجه آخر عنه، فقال عن سالم بن عمر، عن بلال، محل ّ قوله في الطريق الأول عن نافع، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر بن عبدالله، عن بلال، ولم يتابع عليه#[4].

الحكم على حديث أبي سعيد: الحديث ضعيف جداً بلا شك، فقد ضعفه الحافظ المنذري[5]،

(1) انظر: التاريخ الكبير (183/8 رقم 2638)، وميزان الاعتدال (327/4)، ولسان الميزان (367/8 رقم 8323)، والمغني في الضعفاء (379/2 رقم 6816)، و الكامل في الضعفاء (98/7).
(2) الأذكار (ص 58).
(3) نتائج الأفكار (271/1).
(4) المصدر السابق.
(5) الترغيب والترهيب (179/1 رقم 468)، حيث إن المنذري صدّر هذا الحديث بصيغة التمريض؛ قائلا ً: $رُوِيَ عن... (ثم ذكر الحديث)#، وهذا يدل على أنه ضعّف الحديث؛ لأنه قال في ديباجة كتابه الترغيب والترهيب (51/1 -ط. دار ابن كثير): $وإذا كان في الإسناد مَن قِيل فيه: كذّاب، أو وضّاع، أو متّهم، أو مجمع على تركه أو ضعفه، أو ذاهب الحديث، أو هالك، أو ساقط، أو ليس بشيء، أو ضعيف جداً، أو ضعيف فقط، أو لم أرَ فيه توثيقاً، بحيث لا يتطرّق إليه احتمال التحسين؛ صدّرته بلفظ: رُوِي، ولا أذكر ذلك الراوي، ولا ما قيل فيه ألبتّة، فيكون ل لإسناد الضعيف دلالتان: أ- تصديره بلفظ $رُوِي#، ب- وإهمال الكلام عليه في آخره# اهـ. قلت: وكلتا الدلالتين منطبقة على هذا الحديث هنا.

والإمام النووي[1]، والحافظ مغلطاي[2]، وشيخ الإسلام ابن تيمية[3]، و الحافظ البوصيري[4]، والعلامة صديق حسن خان[5]، والعلامة الألباني[6]، وغيرهم.

تنبيهان:

التنبيه الأول: قول المخالف: $كبار المحدثين يعدون هذا الحديث صحيحاً أو حسناً، منهم: ابن خزيمة، والمنذري، وأبو الحسن (شيخ المنذري)، والعراقي، وابن حجر، وشرف الدين الدمياطي، وعبد الغني المقدسي، وابن أبي حاتم#[7].

أشار المخالف إلى أنه قد نقل هذا الكلام من كتاب $مفاهيم يجب أن تصحح# (ص 147)، وبالرجوع إلى الصفحة المذكورة لم أجد ذلك الكلام فيها، وصاحب $المفاهيم# إنما أورد هذا الحديث في (ص 66)، ولكنه لم يشر إلا إلى تحسين الحافظ العراقي، والحافظ ابن حجر؛ فلا أدري من أين جاء المخالف ببقية الكلام؟

أما ابن خزيمة، فقد نسب البوصيري إليه -بعد أن ضعّف الحديث- أنه أورد الحديث في صحيحه، ولكني -بعد البحث- لم أجد الحديث فيه، وإنما أورد طرفاً منه في $كتاب التوحيد# (41/1) ثم أشار إلى أنه خرجه في كتاب آخر ولم يسمه؛ فبالتالي لا يجوز عزو تصحيح الحديث إلى ابن خزيمة ، إلا بعد اتضاح هذا الأمر.

أما المنذري، فقد أشرت إلى أنه ممن ضعف الحديث، فلا أدري من أين اقتبس المخالف تقوية المنذري للحديث؟

أما عبد الغني المقدسي وابن أبي حاتم فلا أدري أيضاً من أين اقتبس المخالف تقويتَهما للحديث؛ مع أن ابن أبي حاتم قد نقل في كتابه[8] كلام مَن يضعف عطية مِن الأئمة أمثال والده أبي حاتم، وأبي زرعة، وأحمد بن حنبل وغيرهم.

فبقي بهذا أربعة من العلماء ممن ثبت عنهم تحسين الحديث أو تحسين إسناده؛ وهم أبو الحسن[9]، والعراقي[10]، وابن حجر[11]، و

---

(1) الأذكار (ص 58).
(2) شرح سنن ابن ماجه (1294/4).
(3) قاعدة جليلة (ص 233)، وضمن مجموع الفتاوى (288/1).
(4) مصباح الزجاجة، كما في حاشية سنن ابن ماجه (428/1 -ط. دار المعرفة)
(5) نزل الأبرار (ص 71).
(6) التوسل أنواعه وأحكامه (ص 92)، والسلسلة الضعيفة (82/1 رقم 24).
(7) Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 119).
(8) الجرح والتعديل (383/6).
(9) كما نقله عنه تلميذه المنذري في الترغيب والترهيب (661/2 رقم 2346) حيث قال: $رواه ابن ماجه بإسناد فيه مقال، وحسّنه شيخنا الحافظ أبو الحسن :#. وأبو الحسن هو: علي بن المُفَضّل بن علي المقدسي (544-611 هـ)، من الحفاظ.

الدمياطي[3]، ولم أجد مِن العلماء -غير هؤلاء- مَن يعدّ الحديث أو إسناده صحيحاً.

والجواب -إجمالا ً- على تحسين هؤلاء الحفاظ بأن يقال: $مما لا شك فيه أن علم الحديث علم إجتهادي#[4]؛ فالحكم فيه عند اختلاف وجهات النظر ليس للكثرة ولا للشهرة، إنما للحجة والبيان والدليل والبرهان؛ إذ $إن كثيراً من الأحاديث التي صحّحها المتقدمون اطلع غيرهم من الأئمة فيها على علل تحطّها عن رتبة الصحة# كما قال الحافظ ابن حجر[5]. وقد سبق بيانُ علل قادحة لهذا الحديث وذكرُ من ضعفه من الأئمة.

أما المحسّنون له فلم يذكروا دلائل تحسينهم له -عدا الحافظ ابن حجر، مع العلم أنه قد ضعّف عطية في مواطن من مصنفاته[6]- ويأتي الآن الجواب عنه[7]، وبالله التوفيق ومنه العون والتحقيق:

يقول الحافظ ابن حجر : تعليلا ً على تحسينه للحديث: $ضعف عطية إنما جاء من قِبَل التشيع ومن قبل التدليس، وهو في نفسه صدوق، وقد أخرج له البخاري في $الأدب المفرد#، وأخرج له أبو داود عدّة أحاديث ساكتاً عليها، وحسّن له الترمذي بعضها من أفراده، فلا يُظنّ أنه مثل الوازع#[8].

كلام الحافظ : هذا عليه عدة ملحوظات:

الأولى: قوله: $وهو صدوق في نفسه#، فهذا يتعارض مع قوله: $ضعيف الحفظ#[9]، وقوله: $يخطئ كثيراً#، وقول أبي زرعة عنه: $ليّن# وغير ذلك مما سبق نقلُه. والصواب ضعفُه لا أنه صدوق. والذي يبدو -من باب حسن الظن- أن الحافظ : قد وَهِل عن ذلك في $نتائج الأفكار#، إذ هي أمالي تملى غالباً من الحفظ، ومن ذا الذي لا ينسى؟ ودليل ذلك أنه ضعّف

انظر: التكملة لوفيات النقلة للمنذري (115/4).

(1) كما في تخريجه على الإحياء (293/1) حيث قال: $من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد حسن#.

(2) كما في نتائج الأفكار (272/1) حيث قال: $حديث حسن#.

(3) كما في المتجر الرابح (ص 471) حيث قال: $إسناده حسن إن شاء الله#.

(4) دراسات في الجرح والتعديل للدكتور ضياء الرحمن الأعظمي (ص 26).

(5) النكت على كتاب ابن الصلاح (270/1).

(6) كما في فتح الباري (66/9، 412/11، 5/12، 102/13)، والتلخيص الحبير (1285/3، 1794/4، 2210/5، 2454، 2604، 3074/6)، والتقريب (رقم 4649)، وتعريف أهل التقديس (ص 130 رقم 122).

(7) انظر: الكشف والتبيين (ص 41-45).

(8) نتائج الأفكار (271/1).

(9) تعريف أهل التقديس (ص 130 رقم 122).

حديثاً راويه عطية نفسه في الكتاب نفسه[1]، وكما في $الفتوحات الربانية#[2].[3]

الثانية: قوله $وقد أخرج له البخاري في الأدب المفرد#، فيقال: وكم من حديث في $الأدب المفرد# لا يصح إسناده؛ لضعف رواته، أو غير ذلك من العلل. وليس من شرطه في $الأدب المفرد# كشرطه المتين في $الصحيح#، فليُتنبّه، والأمثلة على ذلك كثيرة[4].

الثالثة: قوله $وأخرج له أبو داود عدة أحاديث ساكتاً عليها#، ويكفي لرد قوله هنا ما قاله في $النكت على ابن الصلاح#[5] عند مناقشته لقضيّة سكوت أبي داود: $ومن هنا يظهر ضعف طريقة من يحتج بكل ما سكت عليه أبو داود؛ فإنه يخرج أحاديث جماعة من الضعفاء في الاحتجاج ويسكت عنها؛ مثل: ابن لهيعة[6]، وصالح مولى التوأمة[7]، وعبدالله بن محمد بن عقيل[8]، وموسى ابن وردان[9]، وسلمة بن الفضل[10]، ودلهم بن صالح[11]، وغيرهم؛ فلا ينبغي للناقد أن يقلده في السكوت على أحاديثهم ويتابعه في الاحتجاج بهم، بل طريقه: أن ينظر هل لذلك الحديث متابعٌ فيعتضد به، أو غريب فيُتوقف فيه#.

ثم قال: $فلا يتجه الحكم لأحاديث هؤلاء بالحسن من أجل سكوت أبي داود؛ لأن سكوته تارة يكون اكتفاء بما تقدم له من الكلام في ذلك الراوي في نفس كتابه، وتارة يكون لذهول منه، وتارة يكون لشدة وضوح ضعف ذلك الراوي واتفاق الأئمة على طرح روايته؛ كأبي الحويرث[12]،

---

(1) نتائج الأفكار (155/1).
(2) (160/3).
(3) انظر: الكشف والتبيين (ص 41-45).
(4) انظر أمثلة ذلك في ضعيف الأدب المفرد للشيخ الألباني.
(5) (438-439/1).
(6) هو: عبد اللّه بن لهيعة بن عقبة الحضرمي أبو عبد الرحمن المصري (ت 74 هـ)، صدوق اختلط بعد احتراق كتبه. انظر: التقريب (رقم 3587).
(7) هو: صالح بن نبْهَان المدني مولى التوأمَة (ت 125 هـ)، صدوق اختلط بآخره. انظر: التقريب (رقم 2908).
(8) هو: عبد اللّه لن مخمد بن عقيل بن أبي طالب الهاشمي أبو محمد المدني (ت بعد 140 هـ)، صدوق في حديثه لين، ويقال تغير بآخره. انظر: التقريب (رقم 3617).
(9) هو: موسى بن وردان العامري مولاهم أبو عمر المصري (44-117 هـ)، صدوق ربما أخطأ. انظر: التقريب (رقم 7072).
(10) هو: سلمة بن الفضل الأبرش مولى الأنصار (ت بعد 190 هـ)، صدوق كثير الخطأ. انظر: التقريب (رقم 2518).
(11) هو: دلهم بن صالح الكندي الكوفي، ضعيف. انظر: التقريب (رقم 1839).
(12) هو: عبد الرحمن بن معاوية بن الحويرث الأنصاري الزرقي أبو الحويرث المدني

ويحيى بن العلاء[1]، وغيرهم، وتارة يكون من اختلاف الرواة عنه وهو الأ كثر#.

ثم قال: $فالصواب عدم الاعتماد على مجرد سكوته؛ لما وصفنا أنه يحتج ؓ بالأحاديث الضعيفة، ويقدمها على القياس؛ إن ثبت ذلك عنه. و المعتمد على مجرد سكوته، لا يرى الاحتجاج بذلك، فكيف يقلده فيه؟#. ثم طوّل الكلام في تقدير ذلك وبيانه أتمّ بيان.

الرابعة: قوله: $وحسن له الترمذي عدة أحاديث؛ بعضها من أفراده#، فالجواب أن يقال: لقد نبّه كثير من العلماء على تساهل الترمذي في التحسين، وفي التصحيح أحياناً.

يقول ابن دحية[2] : في $العلم المشهور#: $وكم حسّن الترمذي في كتابه من أحاديث موضوعة وأسانيد واهية#، نقله عنه وأقرّه الحافظ الزيلعي[3] : في $نصب الراية#[4].

وقال د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي -حفظه الله-: $إن الإمام الترمذي مع جلالة قدره، وإمامته في الحديث - متساهل في تصحيح الأ حاديث وتحسينها، ومن يطالع كتابه $الجامع#؛ يقف على عدّة مواضع صحّح فيها الترمذي الأحاديث الضعاف#[5]. ثم ذكر بعض الأمثلة على ذلك.

مع أن الإمام الترمذي : نفسه قد ضعّف حديث $اتقوا فراسة المؤمن# -وهو من رواية عطية عن أبي سعيد- بقوله بعد روايته: $هذا حديث غريب#[6]؛ يعني أنه ضعيف؛ كما هو اصطلاحه :[7].

(ت 130 هـ)، صدوق سيء الحفظ رمي بالإرجاء. انظر: التقريب (رقم 4037).

(1) هو: يحيى بن العلاء البجلي أبو عمرو أو أبو سلمة الرازي، رمي بالوضع. انظر: التقريب (رقم7668).

(2) هو: عمر بن حسن بن محمد الحميل أبو الخطاب الكلبي (544-633 هـ)، الحافظ اللغوي الظاهري المذهب، من تصانيفه: المطرب من أشعار أهل المغرب، والنبراس في تاريخ خلفاء بني العباس. انظر: العبر (217/3)، وشذرات الذهب (160/5-161).

(3) هو: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي الحنفي (ت 762 هـ)، الإمام الفاضل المحدث المفيد، له: نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية، وتخريج أحاديث الكشاف وغيرهما. انظر: لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ لابن فهد المكي (ص 362-363)، والبدر الطالع (402/1).

(4) (217-218/2).

(5) دراسات في الجرح والتعديل (ص 76).

(6) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ح، باب سورة الحجر (ص 702 رقم 3127).

(7) انظر: الأحاديث الحسان الغرائب في جامع الإمام الترمذي :، للشيخ د. عبد الباري بن حماد الأنصاري (ص 110).

الخامسة: قوله: $فلا يُظَنّ أنه مثل الوازع#، أقول: نعم، ليس هو مثله ؛ فالوازع ضعيف جداً، لكن عطية ضعيف على كل حال.

والخلاصة: إن التعلق بكلام الحافظ ابن حجر في $نتائج الأفكار# لتقوية هذا الحديث؛ ليس بوجيه وينافي التحقيق العلمي -كما سبق شرحه مفصلا ً-، والله أعلى وأعلم.

التنبيه الثاني: ومع كون هذا الحديث ضعيفاً، فهو لا يدل على التوسل بالمخلوقين أبدا ً، وإنما يعود إلى أحد أنواع التوسل المشروع التي تقدم الكلام عنها، وهو التوسل إلى الله تعالى بصفة من صفاته ؛ لأن فيه التوسل بحق السائلين على الله وبحق ممشى المصلين.

فما هو حق السائلين على الله تعالى؟ لا شك أنه إجابة دعوتهم؛ وإجابة الله دعاء عباده صفة من صفاته ، وكذلك حق ممشى المسلم إلى المسجد هو أن يغفر الله له ويدخله الجنة؛ ومغفرة الله تعالى ورحمته وإدخاله بعض خلقه ممن يطيعه الجنة كل ذلك صفات له تعالى(1).

يقول شيخ الإسلام : بعد أن ضعّف الحديث: $ولفظه لا حجة فيه؛ فإن حق السائلين عليه أن يجيبهم وحق العابدين أن يثيبهم، وهو حق أحقه الله تعالى على نفسه الكريمة باتفاق أهل العلم#(2).

ويقول السندي(3) :: $قوله: $بحق السائلين عليك# أي: متوسلا ً إليك بما للسائلين عندك من الفضل الذي يستحقونه عليك، بمقتضى فضلك ووعدك وجودك وإحسانك#(4).

ويقول السهسواني : بعد أن بيّن ضعفَ الحديث: $وعلى تقدير أن يكون من كلام النبي ح يـُقال فيه: إن حق السائلين عليه تعالى أن يجيبهم ، وحق الماشين في طاعته أن يثيبهم، والحق بمعنى الوعد الثابت المحقق الوقوع فضلا ً لا وجوبا ً، كما في قوله تعالى: ﭽﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﯔﭼ [الروم: ٤٧]. وفي الصحيح من حديث معاذ: $حق الله تعالى على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحقهم عليه إن فعلوا ذلك أن لا يعذبهم#(5).

فالسؤال حينئذ بالإثابة والإجابة؛ وهما من صفات الله تعالى الفعلية، و السؤال بها مما لا نزاع فيه، فيكون هذا السؤال كالاستعاذة في قوله ح:

---

(1) التوسل أنواعه وأحكامه (ص 98-99).
(2) قاعدة جليلة (ص 233-234).
(3) هو: محمد بن عبد الهادي التتوي أبو الحسن نور الدين السندي (ت 1138 هـ)، فقيه حنفي، عالم بالحديث والتفسير والعربية، له: حاشية على صحيح البخاري، وحاشية على سنن ابن ماجه وغير ذلك. انظر: الأعلام (253/6).
(4) شرح السندي على سنن ابن ماجه (428/1-429 -ط. دار المعرفة).
(5) مضى تخريجه في (ص 183).

$أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك#[1]، فمتى صحت الاستعاذة بمعافاته؛ صح السؤال بإثابته وإجابته#[2].

وبهذا عُلم أن هذا الحديث الذي يحتج به المخالفون ينقلب عليهم، ويصبح بعد فهمه فهما ً صحيحا ً حجة لنا عليهم، والحمد لله على توفيقه.

الشبهة الرابعة:

استدلالهم بما روي $عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ص م قال: **اغفر لفاطمة بنت أسد، ووسع عليها مدخلها، بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي، فإنك أرحم الراحمين**. رواه الطبراني. انظر: كتاب شواهد الحق ص 154. هذا الحديث رواه أيضاً ابن حبان والحاكم وصححاه#[3]، $وهو حسن عند الحافظ الغماري#[4].

تخريج الحديث[5]: هذا الحديث أخرجه الطبراني في $المعجم الكبير# (351/24 رقم 871)، وفي $المعجم الأوسط# (67/1 رقم 189 –تحقيق طارق عوض الله)، وأبو نعيم في $الحلية# (121/3)، من طريق روح بن صلاح، عن سفيان الثوري، عن عاصم الأحول، عن أنس مرفوعاً.

وهذا الإسناد فيه عدة علل:

1- روح بن صلاح بن سيابة أبو الحارث الموصلي ثم المصري، وثقه ابن حبان والحاكم[6]، وضعفه كثيرون؛ ذكر ابن عدي بعد أن أخرج له حديثين بأن له أحاديث ليست بكثيرة وفي بعضها نكرة[7]، وقال أيضاً: $ضعيف#[8]، وقال الدارقطني: $ضعيف في الحديث#[9]، وقال ابن ماكولا

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود (352/1 رقم 486) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(2) صيانة الإنسان (ص 195).
(3) Empat Puluh Masalah Agama (أربعون مسألة دينية) (147/1-148)، وانظر:I'tiqad Ahlus Sunnah wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 335)، والفرائد السنية والدرر البهية (ص 12)، وMana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 121-122).
(4) Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 122).
(5) انظر لهذا التخريج: تحفة القاري (ص 185-192)، والسلسلة الضعيفة (79/1-82 رقم 23)، وهذه مفاهيمنا (ص 62-65)، هدم المنارة (ص 126-134)، و الدعاء ومنـزلته (793/2-800).
(6) تقل هذا التوثيقَ عنهما الهيثميُ في مجمع الزوائد (257/9)، ثم قال: "وفيه ضعف".
(7) الكامل في الضعفاء (146/3)، ولسان الميزان (481/3 رقم 3165).
(8) ديوان الضعفاء (294/1 رقم 1427).
(9) المؤتلف والمختلف (1377/3).

ا[1]: $ضعّفوه#[2]، وقال ابن حجر: $إن روح بن صلاح ذكره ابن يونس[3] في $تاريخ الغرباء#، وقال: هو من أهل الموصل، قدم مصر، وحدث بها، رويت عنه مناكير#[4].

والجرح هنا مقدم على التعديل لثلاثة أمور:

أ. إن الذين ضعفوه، منهم معتدلون كابن عدي والدارقطني؛ فقد عدّ السخاويُّ ابنَ عدي والدارقطني من القسم المعتدل من أقسام من تكلم في الرجال[5]، وقال الذهبي في شأن الدارقطني: $الدارقطني لا يضعف إلا من لا طب فيه#[6]. وأما الذين وثقوه ابنُ حبان والحاكم فمعروفون بـ التساهل[7]، وسيأتي كلام الأئمة في شأنهما.

ب. الجرح هنا مفسر -كما هو ظاهر من عبارة ابن عدي وعبارة ابن يونس- وهو رواية روح للمناكير، والجرح المفسر مقدم على التعديل المبهم[8].

ج. إن الجارحين أكثر عدداً من الموثقين؛ والكثرة تفيد غلبة الظن بثبوت ذلك الحكم.

2- تفرد روح بهذا الحديث، حيث لم يروه عن سفيان غيره، والتفرد عن مثل سفيان الثوري علة؛ لأن الشيخ إذا كان ممن يجمع حديثه كالثوري وانفرد أحد تلامذته عنه بحديث -ولم يكن من الحفاظ المتقنين- فإنه يُردّ ويُعدّ منكراً[9]، وهنا انفرد روح بهذا دون بقية أصحاب الثوري، وليس هو

---

(1) هو: علي بن هبة الله بن علي بن جعفر أبو نصر سعد الملك، المشهور بابن ماكولا (421-475 هـ)، مؤرخ، من العلماء الحفاظ الأدباء، من كتبه: الإكمال في رفع الا رتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، قال ابن خلكان: $لم يوضع مثله#. انظر: العبر (355/2)، وطبقات الحفاظ (ص 444)، فوات الوفيات (110/3).

(2) الإكمال (15/5).

(3) هو: عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي أبو سعيد (281-347 هـ)، مؤرخ محدث، له تاريخان، أحدهما كبير في أخبار مصر ورجالها، والثاني صغير في ذكر الواردين على مصر. انظر: وفيات الأعيان (137/3-138).

(4) لسان الميزان (481/3).

(5) فتح المغيث (325/3 -تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان).

(6) نقله المناوي في فيض القدير (28/1).

(7) انظر: فتح المغيث (325/3 -تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان)، والصارم المنكي (ص180)، ولسان الميزان (208/1-209)، والتنكيل (255/1).

(8) انظر: الكفاية في معرفة أصول الرواية (333/1، 338-339)، ومقدمة ابن الصلا ح (ص 290، 294)، وفتح المغيث (284/1-286 –تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان).

(9) انظر: مقدمة صحيح مسلم (7/1).

من الحفاظ المتقنين.

وقد أشار إلى هذه العلة الإمام الطبراني : حيث قال: $تفرد به روح بن صلاح#[1]، كما أشار إلى ذلك الحافظ أبو نعيم : فقال: $غريب من حديث عاصم والثوري، لم نكتبه إلا من حديث روح بن صلاح، تفرد به#[2].

3- ثم إن في النفس شيئاً من سماعه من سفيان الثوري؛ لأن روحاً توفي سنة (233 هـ)[3] وهو مصري، ووفاة الثوري عام (161 هـ)[4]، وبين الوفاتين ما يقارب 73 سنة، فلابد لصحة سماعه من الثوري أن يكون سنه نحو عشرين سنة قبل وفاة الثوري؛ حتى يمكن طلبه وسماعه من كبار الشيوخ.

ويقوي هذا أن ابن حبان عندما ذكره في $الثقات# قال: $روح بن ص
لاح من أهل مصر يروي عن يحيى بن أيوب وأهل بلده#[5]؛ فخص روايته عن أهل بلده، والثوري كوفي. كما أن المزي لم يذكره في تهذيبه في تلاميذ الثوري[6].

(1) المعجم الأوسط (68/1 رقم 189).
(2) الحلية (121/3).
(3) ميزان الاعتدال (58/2)، ولم أقف -بعد البحث- على من حدّد سنة ولادته.
(4) التقريب (رقم 2458).
(5) الثقات (244/8).
(6) انظر: تهذيب الكمال (161/11-164).

الحكم عليه: هذا الحديث ضعيف جداً منكر، وقد ضعفه العلامة السهسواني[1]، والشيخ الألباني[2]، والشيخ حماد الأنصاري[3]، وغيرهم.
تنبيهان:
التنبيه الأول: قول المخالف: $هذا الحديث -يعني حديث أنس- رواه أيضاً ابن حبان والحاكم وصححاه#.
لم أجد حديث أنس بهذا اللفظ فيهما -بعد البحث-، ولم يذكر الحفاظُ الجهابذة هذا التخريجَ؛ لا ابنُ حجر في $الإصابة#[4]، ولا السيوطي في $جمع الجوامع#[5]، وذكر كلّ ما فيه المتقي الهنديُّ في $كن-ز العمال# في موضعين[6]، ولم يذكر هذا المخرج، فلا أدري من أين جاء المخالف بهذا التخريج؟ علماً بأنه ليس من مراجع كتاب المخالف: $صحيح ابن حبان# و لا $مستدرك الحاكم#![7] وإن كان ناقلا ً عن غيره فلِمَ لمْ يشر إلى ذلك؟
التنبيه الثاني: الجواب عن قول المخالف $وهو حسن عند الحافظ الغماري#.
يقال: إن تحسين الغماري للحديث مبني على أمرين اثنين هما: اعتماده على توثيق ابن حبان والحاكم لروح بن صلاح، وزعمه أن للحديث طرقاً أخرى[8].
أما توثيق ابن حبان والحاكم لروح؛ فقد سبق أن بيّنت أن قول الجارحين له مقدم على توثيقهما، وذكرت أسباب هذا التقديم[9]، وأن منها: كونهما من المتساهلين.

(1) صيانة الإنسان (ص 128-129).
(2) السلسلة الضعيفة (79/1 رقم 23)، والتوسل أنواعه وأحكامه (ص100).
(3) تحفة القاري (ص 188).
(4) (98/14 –ط. دار هجر).
(5) (366/4 رقم 12539).
(6) (148/12 رقم 34425) و(635/13-636 رقم 3708)، وفي الموضع الثاني عزى الحديث للحاكم في المستدرك (108/3)، إلا أنه غير حديثنا، بل هو حديث علي بن أبي طالب، ثم ليس فيه ذكر للتوسل.
(7) انظر: Empat Puluh Masalah Agama (أربعون مسألة دينية) (16/1).
(8) اتحاف الأذكياء في التوسل بالأنبياء وغيرهم من الصالحين والأولياء (ص 2-4) نقلا ً عن تحفة القاري (ص 186-190).
(9) راجع (ص 457-458).

أما توثيق ابن حبان فعلى قاعدته في توثيق المجاهيل[1]، وقد ترجم لروح في $الثقات# فقال: $روح بن صلاح من أهل مصر، يروي عن يحيى بن أيوب وأهل بلده#[2]؛ فهذا ظاهر أنه مجهول[3]، كما أنه لا يدل على أن ابن حبان قد سبر حاله[4]، فلا يتكثر بتوثيقه، إذ $توثيق ابن حبان للرجل بمجرد ذكره في كتابه الثقات من أدنى درجات التوثيق# كما قال الحافظ ابن عبد الهادي[5]، والحاكم تلميذ ابن حبان، فلعله استقى توثيق روح منه[6]. وهو أشد تساهلا ً من شيخه؛ كما قال العراقي :: $الحاكم أشد تساهلا ً منه#[7].

فالحاكم : داخل في القسم المتسمح؛ قال السخاوي :: $وقسم متسمح كالترمذي والحاكم#[8].

وقال النووي :: $وهو متساهل، فما صححه ولم نجد في لغيره من المعتمدين تصحيحاً ولا تضعيفاً حكمنا بأنه حسن، إلا أن تظهر فيه علة توجب ضعفه#[9].

وقال ابن جماعة :: $والصواب أن يتتبع ويحكم عليه بما يليق بحاله من الحسن أو الضعف أو الصحة#[10]، ووافقه العراقي وقال: $إن حكمه عليه بالحسن فقط تحكم#[11].

فقول الحاكم وابن حبان $عند التعارض لا يقام له وزن، حتى ولو كان

(1) انظر: لسان الميزان (208/1-209)، وتدريب الراوي (115/1)، والصارم المنكي (ص 179-180) وقد ذكر ابن عبد الهادي أمثلة لرواة ذكرهم ابن حبان في $الثقات# مع تصريحه بنفسه أنهم مجاهيل. قال الحافظ ابن حجر في اللسان (260/2): $ابن حبان يذكر في كتاب الثقات كل مجهول روى عنه ثقة ولم يجرح ، ولم يكن الحديث الذي يرويه منكراً، هذه قاعدته#.
(2) الثقات (244/8).
(3) هذه مفاهيمنا (ص 63).
(4) هدم المنارة (ص 126).
(5) الصارم المنكي (ص 180)، وانظر في معرفة منهج ابن حبان هذا راجع: منتهى الأ ماني بفوائد مصطلح الحديث للمحدث الألباني لأحمد سليمان (ص 296-298).
(6) هذه مفاهيمنا (ص 63).
(7) التقييد والإيضاح (ص 18)، وتدريب الراوي (114/1).
(8) فتح المغيث (325/3 -تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان).
(9) تدريب الراوي (112/1-113).
(10) تدريب الراوي (113/1)، والتقييد والإيضاح (ص 18).
(11) تدريب الراوي (114/1).

الجرح مبهماً لم يذكر له سبب#[1]، فكيف مع بيانه، كما هو الحال في روح بن صلاح هذا؟[2] وقد رأينا أئمة الجرح والتعديل اتفقت عباراتهم على تضعيفه، وبينوا أن السببَ: روايتُه المناكير، فمثله إذا انفرد بالحديث يكون منكراً لا يحتج به.

فبهذا تنهدم حجة الغماري الأولى لتحسين الحديث.

أما حجته الثانية وهي: زعمه أن للحديث طرقاً أخرى؛ فهذا تدليس شديد وتلبيس عتيد؛ لأن تلك الطرق[3] -مع ضعفها[4]- ليس في أحد منها موضع الشاهد من هذا الحديث وهو $اغفر لفاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي#، فلا فائدة من ذكر تلك الطرق ألبتة! بل هي تدل على أنه ح لم يدع بالدعاء المزعوم؛ لأنه لم يرد إلا في حديث أنس ط مع ضعفه، فهو زيادة منكرة.

فلا يبقى للمخالف حجة لتقوية الحديث، والحمد لله على توفيقه...

- **النوع الثالث من شبهات المخالفين: قصص واهية وشبهات عقلية.**

وفيه: رد على قصة واهية، وشبهات عقلية؛ بعضها في التوسل الشركي وبعضها في التوسل البدعي:

---

(1) السلسلة الضعيفة (80/1).
(2) تحفة القاري (ص 188).
(3) وتلك الطرق هي:ـ
أ. حديث ابن عباس الذي أخرجه الطبراني في الأوسط (87/7 رقم 6935)، وحكاه ابن عبد البر في الاستيعاب (ص 929 رقم 3413)، وقال في مجمع الزوائد (257/9): "فيه سعدان بن الوليد السابري ولم أعرفه".
ب. حديث جابر الذي أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (124/1).
ج. مرسل محمد بن الحنفية الذي أخرجه ابن شبة أيضاً في تاريخ المدينة (123/1).
هـ. مرسل محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب الذي أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (153/1 رقم 190) ومن طريقه ابن الأثير في أسد الغابة (217/6 رقم 7168).
(4) انظر بيان علل هذه الطرق كلها في: الدعاء ومن زلته (796/2-798).

الشبهة الأولى:

قول المخالفين: $هذا التوسل -يعني: التوسل البدعي- ليس خاصاً بحياته ح، بل قد استعمله بعض الصحابة بعد وفاته ح وعلّمه لغيره#[1].

ثم استدلوا له بما $رواه الطبراني والبيهقي -وهما من مشاهير المحدثين-: أنّ رَجُلا ً كان يختلف إلى سيدنا عثمان بن عفان في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه، فلقي عثمان بن حنيف فشكى ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضاءة فتوضأ، ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين، ثم قل: اللّهم إني أسألك وأتوجه إليك بمحمد نبي الرحمة، يا محمد إني قد وجهت إلى ربي في حاجتي هذه لتُقضى. فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب الخليفة سيدنا عثمان بن عفان فسهُل دخوله عليه وقضيت حاجته.

ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف وسأله: هل كلم الخليفةَ في أمره إذ سَهُل عليه الدخول على عثمان؟ فأجاب عثمان بن حنيف: بأنه لم يلق الخليفة ولم يكلمه في حاجة الرجل، ثم قصّ عثمان بن حنيف: بأنه رأى رجلا ً ضريراً أتى إلى رسول اللّه وطلب منه الشفاعة بأن يذهب عنه ما في بصره، ثم علّم عثمان بن حنيف ذلك الحديث للرجل#[2] $إسناده صحيح#[3].

تخريج القصة[4]: هذه القصة أخرجها الطبراني في $المعجم الكبير# (17-18/9 رقم 8311)، و$المعجم الصغير# (306-307/1 رقم 508 –الروض الداني) من طريق شيخه طاهر بن عيسى بن قيرس المصري المقري، حدثنا أصبغ بن الفرح، حدثنا عبد اللّه بن وهب، عن أبي سعيد شبيب بن سعيد المكي، عن روح بن القاسم، عن أبي جعفر الخطمي المدني، عن أبي أمامة سهل بن حنيف، عن عمه عثمان بن حنيف بها.

وهي معلولة بما يلي:

1- شبيب بن سعيد التميمي الحَبَطي البصري أبو سعيد، ملخص كلام العلماء فيه: أنه ثقة في حفظه ضعف، إلا في رواية ابنه أحمد عنه عن

---

(1) Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 123).
(2) Empat Puluh Masalah Agama (أربعون مسألة دينية) (152/1-153)، وانظر: حجة أهل السنة والجماعة (ص98-99)، وMana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 123-125).
(3) حجة أهل السنة والجماعة (ص 99).
(4) انظر: قاعدة جليلة (ص 205 وما بعدها)، والتوسل أنواعه وأحكامه (ص 83-89)، وتحفة القاري (ص 231-234)، وهذه مفاهيمنا (ص 43-45)، وكشف المتواري من تلبيسات الغماري ورد عدوانه على أهل السنة للشيخ علي بن حسن الحلبي (ص 31-59)، وهدم المنارة (ص 115-125).

يونس[1] خاصة؛ فهو حجة، قال الذهبي: $صدوق يغرب، ذكره ابن عدي في $كامله# فقال: $له نسخة عن يونس بن يزيد مستقيمة، حد ّث عنه ابن وهب بمناكير#، قال ابن المديني: $كان يختلف في تجارة إلى مصر، وكتابه صحيح قد كتبتـ ُه عن ابنه أحمد# ... قال ابن عدي: $كان شبيب لعله يغلط ويهم إذا حد ّث من حفظه[2]، وأرجو أنه لا يتعمد، فإذا حدث عنه ابنه أحمد بأحاديث يونس فكأنه شبيب آخر#، يعني يجوّد#[3].

فهذا الكلام يفيد أن شبيباً هذا لا بأس بحديثه بشرطين اثنين: الأول: أن يكون من رواية ابنه أحمد عنه، والثاني: أن يكون من رواية شبيب عن يونس، والسبب في ذلك أنه كان عنده كتب يونس بن يزيد، كما ذكر ذلك ابن أبي حاتم في $الجرح والتعديل#[4] عن أبيه؛ فهو إذا حد ّث من كتبه هذه أجاد، وإذا حد ّث من حفظه وَهِم، كما قال ابن عدي.

وإذا تبيّن فقد هذين الشرطين في هذه الرواية؛ إذ الذي يروي عن شبيب هنا غيرُ ابنه أحمد، إضافة إلى أن شبيباً لم يرو هنا عن يونس؛ بهذا يتبيّن ضعف هذه القصة. ومما يؤيد ضعفها كذلك:

2- تفرُّد شبيب برواية هذه القصة، كما قال الطبراني :: $لم يروه عن روح بن القاسم إلا شبيب بن سعيد أبو سعيد المكي، وهو ثقة#[5]. فتفرد شبيب بروايته لهذه القصة لا يُتَحمّل؛ لأنه -وإن كان ثقة- إلا أن في حفظه ضعفاً، لاسيما وقد روى عنه غير ابنه، وروى عن غير يونس، كما سبق بيانه.

إضافة إلى أن شبيباً قد خالف الثقات[6] الذين رووا الحديث مجرداً

---

(1) هو: يونس بن يزيد بن أبي النجاد الأيلي أبو يزيد مولى آل أبي سفيان (ت 159 هـ)، ثقة إلا أن في روايته عن الزهري وهماً قليلا ً وفي غير الزهري خطأ. انظر: التقريب (رقم 7976).

(2) أي في جميع رواياته التي حدّث من حفظه، كما فهم ذلك الحافظ ابن رجب في شرح علل الترمذي (594/2)؛ حيث أورد شبيباً ضمن $قوم ثقات لهم كتاب صحيح، وفي حفظهم بعض شيء#.

(3) ميزان الاعتدال (262/2 رقم 3658).

(4) (359/4 رقم 1572).

(5) المعجم الصغير (307/1 -الروض الداني).

(6) وهؤلاء الثقات هم:

1. هشام بن عبد الله الدستوائي؛ كما في عمل اليوم والليلة للنسائي (ص 418 رقم 660).

2. شعبة بن الحجاج الواسطي؛ كما في سنن ابن ماجه (ص 345 رقم 1385)، وصحيح ابن خزيمة (225/2 رقم 1219)، والدعاء للطبراني (1289/2 رقم 1051)، وسنن الترمذي (ص 813 رقم 3578)، وعمل اليوم والليلة للنسائي (ص 417 رقم 659)، ومسند أحمد (478/28 رقم 17240)، والمستدرك (313/1، 519)، ودلائل النبوة للبيهقي (166/6)، والدعوات الكبير له (151/1 رقم 204).

عن القصة في السند والمتن.

3- الذي روى عن شبيب هنا هو عبد الله بن وهب؛ ورواية عبد الله عنه منكرة، قال ابن عدي: $حد ّث عنه ابن وهب بأحاديث مناكير#، ثم قال: $ولعل شبيب بمصر في تجارته إليها ك تَ َب عنه ابن وهب من حفظه فيغلط ويهم، وأرجو أنه لا يتعمد شبيب هذا الكذب#[1].

ومما يدل ِّل على هذه النكارة أن الحديث رواه الحاكم[2] وابن السني[3] من طريق أحمد بن شبيب بن سعيد قال: ثنا أبي، عن روح بن القاسم، عن أبي جعفر المدني -وهو الخطمي-، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن عمه عثمان بن حنيف قال: سمعت رسول الله ح وجاءه رجل، فذكر الحديث دون القصة.

وهذه الرواية أصح؛ لأنها من روايات أحمد بن شبيب عن أبيه. قال الحافظ في ترجمة شبيب: $لا بأس بحديثه من روايات ابنه أحمد عنه، لا من رواية ابن وهب#[4].

فأحمد بن شبيب -وهو الراوي المختص بأبيه- لم يذكر القصة عن أبيه، وهي من نفس الطريق التي رواها ابن وهب عن شبيب؛ فدل تفرد ابن وهب عن شبيب على نكارتها، ودلت مخالفة رواية ابن وهب عن شبيب -وهي منكرة- لرواية أحمد بن شبيب عن أبيه شبيب، دل ذلك على شدة نكارتها وبطلانها، وأنها يمكن أن تكون مكذوبة.

هذا، وقد تابع عبدَ الله بن وهب في رواية هذه القصة إسماعيلُ بن شبيب، كما في $دلائل النبوة# للبيهقي (167/6-168)، قال: أخبرنا أبو سعيد عبد الملك بن أبي عثمان الزاهد، أنبأنا الإمام أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي القفال، قال: أنبأنا أبو عروبة، حدثنا العباس بن الفرج، حدثنا إسماعيل بن شبيب، حدثنا أبي، عن روح بن القاسم، بها.

إلا أن إسماعيل هذا ليس له ذكر في كتب التراجم -فيما أعلم-، ولا ذُكر ضمن الرواة عن شبيب بن سعيد، ولم يذكر المترجمون لشبيب أن له ابناً اسمه إسماعيل[5].

وأسد الغابة (473/3) من طرق عن شعبة، عن أبي جعفر الخَطْمي، عن عمارة بن خزيمة، عن عثمان بن حنيف ط، عن النبي ح، بدون ذكر القصة.

3. حماد بن سلمة؛ كما في عمل اليوم والليلة للنسائي (ص 417 رقم 658)، ومسند أحمد (480/28 رقم 17242)._

(1) الكامل في الضعفاء (31/4).

(2) المستدرك (526/1-527).

(3) عمل اليوم والليلة (ص 296 رقم 628).

(4) التقريب (رقم 2754).

(5) انظر ترجمة شبيب بن سعيد في: التاريخ الكبير (233/4 رقم 2628)، والجرح و

4- الاختلاف على شبيب فيها؛ فإنه تارة يذكر القصة في الحديث[1] وتارة يهملها[2].

5- لم يصحح أحد من أهل العلم هذه القصة، أما تصحيح الإمام الطبراني فتصحيح للحديث المرفوع دون القصة[3]، وتابعه على ذلك كثير من أهل العلم، منهم: الحافظ المنذري حيث قال: $قال الطبراني بعد ذكر طرقه: والحديث صحيح#[4]، وكذلك الحافظ الهيثمي[5]، رحمة الله على الجميع.

الحكم عليها: هذه القصة **ضعيفة جداً**؛ فقد ضعفها جمع من أهل العلم منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية[6]، والعلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ[7]، والعلامة الألباني[8]، والعلامة حماد الأنصاري[9]، وغيرهم.

تنبيه: فعل عثمان بن حنيف ط -لو ثبت عنه- فهو معارَض بفعل الصحابة ن؛ فإنهم لم يكونوا يتوسلون بالنبي ح بعد وفاته، لا بطلب الدعاء منه، ولا بالتوسل بذاته أو جاهه، بل عدلوا عن التوسل به بعد وفاته إلى التوسل بعمه العباس، كما تقدم[10]، ولو كان التوسل به ح بعد وفاته بطلب الدعاء منه، أو التوسل بذاته وجاهه مشروعاً؛ لم يعدلوا عن التوسل به ح

التعديل (359/4)، والثقات (310/8)، والكامل في الضعفاء (30/4)، وموضح أوهام الجمع والتفريق للخطيب (167/2)،_والكاشف للذهبي (479/1 رقم 2235)، وديوان الضعفاء (375/1 رقم 1862)، والمغني في الضعفاء (422/1 رقم 2736)، وتذهيب تهذيب الكمال للذهبي (248/4 رقم 2726)، وميزان الا عتدال (262/2 رقم 3658)، ونهاية السول (197/6)، وشرح علل الترمذي (594-595/2)، وتهذيب الكمال (360/12-362)، وتهذيب التهذيب (150/2)، والتقريب (رقم 2754)، وخلاصة الخزرجي (493/1 رقم 2901).

(1) كما في دلائل النبوة للبيهقي (167/6-168).

(2) كما في المستدرك (526/1)، ودلائل النبوة للبيهقي (166/6، 167)، وعمل اليوم والليلة لابن السني (ص 296 رقم 628).

(3) لأنه قال في المعجم الصغير (307/1 -الروض الداني): $والحديث صحيح#؛ وهذا ينصرف إلى تصحيح المتن المرفوع وحده دون القصة الموقوفة؛ لأنه لا يقال للموقوف: حديث، بل يقال فيه: أثر، وربما يُطلق عليه خبر، وأما الحديث فهو مختص بالمرفوع.

(4) الترغيب والترهيب (310/1 رقم 987).

(5) انظر: مجمع الزوائد (279/2).

(6) قاعدة جليلة (ص 207).

(7) تيسير العزيز الحميد (ص 198).

(8) التوسل أنواعه وأحكامه (ص 86).

(9) تحفة القاري (ص 233).

(10) انظر: (ص 304-305).

.(1)

الشبهة الثانية:

قول أحدهم: $من توسل بغيره، في الحقيقة أنه يتوسل بعمل نفسه، وبيان ذلك كالآتي: من توسل بغيره فإنه قد أحسن الظن به وتيقن أنه رجل صالح يحب الله َ ويحبه الله ُ. فهذا المتوسِّل قد جعل غيره وسيلة لأنه يحب ذلك الغير؛ فبالتالي في الحقيقة أنه قد توسل بحبه لذلك الغير...

هذا هو ما في قلب كل من يتوسل بغيره، وإن لم يصرّح لسانه بذلك.

بهذا، فكل من توسل بغيره، يريد أنه يتوسل بعمل نفسه وهو المحبة. فلا فرق إذاً أن يكون الشخص المتوسّل به حياً أو ميتاً؛ لأن الموت لا يحدّ من محبة أحد، فمحبتنا للرسل والصالحين لا تقتصر بحال حياتهم#[2].

الجواب من عدة أوجه:

الوجه الأول: هذه حيلة من المخالف من أجل تبرير أمر مبتدع في الدين، ولا تنفعه هذه الحيلة؛ إذ الكل يفرق بين قوله: $اللّهم إني أتوسل إليك بمحبتي للإمام الشافعي# وبين قوله: $اللّهم إني أتوسل إليك بالإمام الشافعي#؛ فالأول توسل بعمل المتوسِّل -وهو أمر مشروع-، والثاني توسل بذات المتوسّل به -وهو عمل مبتدَع-.

الوجه الثاني: أما قول المخالف بأن التوسل بالذات حقيقته: توسل بمحبة المتوسِّل لتلك الذات فيكون توسلا ً بعمل المتوسِّل؛ فهذا تناقض منه[3]؛ إذ أنه قبل ذكر هذه الشبهة بأسطر قد عرّف معنى التوسل بالذات بقوله: $التوسل بالغير معناه: أن تكون الوسيلة التي نذكرها في دعائنا اسم شخص ما وليس عملنا. مثال ذلك: "يا الله، بالنبي محمد صلعم..." "يا الله، بِ الإمام الشافعي ..."، "يا الله، بالرسل وأوليائك..."#[4].

فالمخالف قد صرّح في أول كلامه بأن التوسل بالذات معناه التوسل بغير عمل المتوسِّل، فكيف يقول بعد ذلك بأسطر بأن التوسل بالذات حقيقته توسل بعمل المتوسِّل؟! فهذا تناقض ظاهر منه. وما أكثر تناقضات المبتدعة، وهذا شأن كل من لم يخضع لنصوص الكتاب والسنة ولم يجعل فهم أصحاب القرون المفضلة نوراً يستضيء به في فهمه لهما.

الوجه الثالث: قوله: $هذا هو ما في قلب كل من يتوسل بغيره، وإن لم يصرّح لسانه بذلك#.

(1) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (2/291-292)، والكشف المبدي (ص 267)، و الصواعق المرسلة الشهابية على الشبهة الداحضة الشامية للشيخ سليمان بن سحمان (ص 161-162)، والتوسل أنواعه وأحكامه (ص 88-89).

(2) Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 117).

(3) انظر: Ini Dalilnya (هذا هو الدليل) للأخ أبي حذيفة الأثري (ص 96-97).

(4) Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 116).

أقول: هذه الكلمات فيها مِن الزعم على الاطلاع على قلوب المتوسلين بالذوات شيء ٌ كثير، وكأنما هذا المخالف كفيل بكل من توسل بالذات أن يدافع عنهم! وكأنما هذا المخالف قد اطلع على قلب كل من توسل بالذات! وكان قصارى ما يجب عليه -إنصافاً وعدم مكابرة- أن ينسب ذلك إلى اعتقاده هو نفسه، وإلا فقلوب الناس لا سبيل إلى معرفة حقيقة ما فيها[1].

الوجه الرابع: رداً على من قال بمشروعية التوسل بالذات أقول: من قال أتوسل بأبي بكر ط -مثلا ً-؛ فقد جمع بين ذاتين لا وسيلة ولا طريق توصل وتجمع أحدهما بالآخر، فكأنما هذا القائل قد لفظ لفظاً لا معنى له، بمنـزلة من سرد الأحرف الهجائية، إذ لا اتصال بين ذات المتوسّل والمتوسّل به حتى يجمع بينهما.

فلا بد من جامع يتوسل به، وهو حب الصحابة مثلا ً أو حب أولياء الله الصالحين، وهو من عمل المتوسل، فإذا قال: أتوسل إليك رب بحبي لأبي بكر، أو بحبي لصحابة نبيك ح، أو بحبي للإمام الشافعي؛ كان هذا حسناً مشروعاً، وكذا إن قال: أتوسل إليك بتوقيري وتعزيري وحبي واتباعي لنبيك نبي الرحمة ح كان هذا من الوسائل النافعة.

فلازمٌ ذكر ُ الإيمان أو العمل الصالح الذي يصل بين ذاتين لا يجمع بينهما إلا بجامع، كما حكى الله عن عباده المؤمنين قولهم: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼ آل عمران: 53، وقوله: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ آل عمران: 193، والآيات في هذا الباب كثيرة.

فإذا كان خيرةُ الخلق من الأنبياء والرسل وأتباعهم وحوارييهم لم يحيلوا على ما في قلوبهم، بل قالوا بلسانهم ما حواه جنانهم، وهم الذين لا يشك بما في قلوبهم؛ أفلا يكون الخلوف الذين جاؤوا من بعدهم أولى وأحرى أن يفصحوا وأن يظهروا، وأن لا يتحيلوا لفاسد قولهم بالتأويلات المضحكة؟![2]

الوجه الخامس: ثم نقول -على سبيل المجاراة والمناظرة-: هب أن كل من يتوسل بذات غيره إنما يعني التوسل بمحبته لذلك الغير؛ فلماذا لا يكلف نفسه بزيادة كلمة $المحبة# -وهي كلمة واحدة لا تكلف لسانه بكلفة عظيمة - في توسله بأن يقول -مثلا ً-: $اللهم، بحبي للرسول ح أدخلني الجنة# ما دام أنه أراد ذلك، بدلا ً من قوله: $اللهم، بالرسول ح أدخلني الجنة#؛ حتى لا يقع في التوسل البدعيّ.

أفلا يحب لنفسه أن يترك الألفاظ الموهمة لأمور غير شرعية؟ فإن القائل: أتوسل بفلان، دالٌ ظاهر لفظه على التوسل بالذات المجردة عن الجامع بين الذاتين، ولا قرينة لفظية ولا غير لفظية متصلة ولا غير متصلة

(1) انظر: هذه مفاهيمنا (ص 130).
(2) انظر: هذه مفاهيمنا (ص 24).

تصرفه عن هذا الظاهر. والقرينة المدعاة قلبية خفية، والحكم على ما في قلوب الناس فرع الاطلاع عليها، ولا سبيل إلى ذلك.

ومن المتقرر أن الشريعة المطهرة جاءت بترك الألفاظ الموهمة لما يُ نهَى عنه شرعاً، كما قال تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ البقرة: 104. فقد كانت اليهود تستعمل ﭽ ﯖﭼ للسب ّ، والمسلمون حين قالوها لا يشركونهم في ما عقدت قلوبهم عليه من تفسير اللفظ، ومن اليقين أن الصحابة لم يقولوا اللفظ وهم يعنون المعنى الفاسد، فهذه من أقوى القرائن القلبية، ومع هذا نُهوا عن ذلك.

قال أبو عبد الله القرطبي :: $في هذه الآية دليلان: أحدهما: على تجنب الألفاظ المحتملة التي فيها التعريض للتنقيص والغض... الدليل الثاني: التمسك بسد الذرائع وحمايتها#[1].

وقال الجصاص :: $وقوله ﭽ ﯖﭼ وإن كان يحتمل المراعاة والانتظار، فإنه لما احتمل الهزء على النحو الذي كانت اليهود تطلقه؛ نُهوا عن إطلاقه؛ لما فيه من احتمال المعنى المحظور إطلاقه، ومثله موجود في اللغة# ثم قال: $وهذا يدل على أن كل لفظ احتمل الخير والشر فغير جائز إطلاقه حتى يقيّد بما يفيد الخير#[2].

فتأمل كيف أن الصحابة استعملوا هذا اللفظ وهم أبعد الناس عن إرادة معنى الهزء والتنقص، فنهاهم الله تعالى عن ذلك اللفظ لما فيه من الاشتراك، ولم يكْفِ في تجويز استعماله ما قام بقلوبهم ونياتهم من المعنى الخير الصحيح[3].

الشبهة الثالثة:

قياس الخالق على المخلوق!

يقولون: إن التوسل بذوات الصالحين وأقدارهم أمر جائز ومشروع؛ لأنه مبني على منطق الواقع ومتطلباته، فإن الواحد منا إذا أراد أن يقدم طلباً للعمل في إحدى الشركات ولا علاقة له بمدير تلك الشركة، فإنه يبحث عمن يعرفه ويكون مقرباً إليه، فيجعله واسطة بينه وبينه، فإذا فعل ذلك استجيب له، وهذا الأمر نفسه ينطبق على علاقتنا بالله تعالى -كذا يزعمون - فهو أعظم العظماء ونحن مذنبون عصاة، بعيدون لذلك عن جنابه، وعليه فلا يليق بنا أن ندعوه مباشرة، لأننا نخاف أن يردنا خائبين، ولذا نلجأ إلى الصالحين من الأنبياء والأولياء، لقربهم من الله، ونتوسل بجاههم وأقدارهم، ولذلك يجيب دعاءنا مراعاة لمقامهم[4].

---

(1) تفسير القرطبي (294/2).
(2) أحكام القرآن (71/1-72).
(3) هذه مفاهيمنا (ص 21-22).
(4) انظر: Empat Puluh Masalah Agama (أربعون مسألة دينية) (133/1)، و

رداً على هذا القياس أقول: إنه قياس باطل وفاسد الاعتبار من أوجه[1]:

الوجه الأول: أنه قياس تمثيل[2] يتضمن تشبيه الخالق بالمخلوقين، وهو ظلم فادح لا تخفى عاقبته الوخيمة، قال الله : ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ النحل: ٧٤.

يقول ابن الجوزي :: $أي لا تشبّهوه بخلقه؛ لأنه لا يشبه شيئاً، ولا يشبهه شيئ ... ويعلم خطأ ما تضربون من الأمثال، وأنتم لا تعلمون صواب ذلك من خطئه#[3].

I'tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 325)، وMana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 114).

(1) تقديس الأشخاص (259-245/2) بتصرف.

(2) القياس ينقسم إلى ثلاثة أقسام: قياس شمول، وقياس تمثيل، وقياس الأولى، فهو لا يقاس بخلقه قياس تمثيل ولا قياس شمول. وفيما يلي بيان موجز لكل واحد من تلك الأقسام:

1. قياس الشمول: هو قياس المناطقة المشهور، وهو: قول مؤلف من قضايا إذا سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر، مثل أن يقال: كل إنسان حيوان وكل حيوان حساس، النتيجة: كل إنسان حساس، ومثاله في حق الله والمخلوق -وهو منهي عنه-: الحياة مثلا ً، فإنه لا يجوز قياس حياة الله تعالى على حياة الخلق وإن كان الكل يشمله اسم $حي#. انظر: تحرير القواعد المنطقية لقطب الدين الرازي (ص 99)، وتجديد علم المنطق في شرح الخَبِيْصي على التهذيب لعبد المتعال الصعيدي (ص 125)، والمرشد السليم في المنطق الحديث والقديم لعوض الله حجازي (ص 142)، وشرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين (129/1).
2. قياس تمثيل: هو القياس المشهور في كتب أصول الفقه وهو: إثبات الحكم في جزئي لثبوته في جزئي لمعنى مشترك بينهما وهو العلة، كقولنا: النبيذ حرام لأنه كالحمر في الإسكار الذي هو علة الحرمة، ومثاله في حق الله و المخلوق -وهو منهي عنه-: أن نجعل ما يثبت للخالق مثل ما يثبت للمخلوق. انظر: تحرير القواعد المنطقية (ص 123)، تجديد علم المنطق (ص 156)، و المرشد السليم (ص 260)،_وشرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين (129/1).
3. قياس الأولوية: وهذا يقول العلماء أنه مستعمل في حق الله لقوله تعالى: ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ النحل 60؛ بمعنى: كل كمال لا نقص فيه بوجه ثبت للمخلوق فـ الخالق أولى به، وكل نقص وجب نفيه عن المخلوق فالخالق أولى بنفيه عنه. فالسمع والبصر والعلم والقدرة والحياة والحكمة وما أشبهها موجودة في المخلوقات لكن لله أعلاها وأكملها. انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (349/12)، وشرح الأصبهانية (ص 180)، والصواعق المرسلة (1030/3-1032)، وشرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين (129/1).

(3) زاد المسير (471/4).

وقال ابن كثير :: $أي: لا تجعلوا له أنداداً وأشباهاً وأمثالا ً#[1].

وقد نفى سبحانه أيّ مشابهة بينه وبين أي خلق من مخلوقاته فقال عز من قائل: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼالشورى: ١١.

هذا من حيث التدليل، أما من حيث النظر: فإن الله تعالى خالق المخلوقين، قيوم السماوات والأرض، أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، فلو شُبِّه بأعدل الناس وأتقى الخلق وأصلح عباده، لكان ظلماً وكفراً، فكيف يتجه إذن تشبيهه بالظالمين المتسلطين الذين يحكمون ولا يعدلون، وبمصالح رعاياهم لا يأبهون؟[2]

الوجه الثاني: أن قياس أحكام الدين على أمور الدنيا وواقع حياة الناس العملية يدل على جهل من أقدم عليه؛ إذ ليست هناك قاعدة أصولية يبنى عليها هذا القياس[3].

الوجه الثالث: أن الوسائط التي بين كبار الشخصيات وبين عامة الناس إنما يحتاج إلى نشاطهم لثلاثة أمور:

1- إنهم يخبرونهم من أحوال الناس ما لا يعرفونه؛ لأن كبار الشخصيات -كسائر البشر- عاجزون عن إدراك ما وراء جدرانهم، فهم في حاجة إلى الوسائط الذين يبلغونهم ما خفي عليهم وما يجهلونه.

أما الله جل شأنه وعز سلطانه، فليس في حاجة إلى أحد من خلقه حتى يكون له معين أو مشير، بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وهو السميع البصير، قال تعالى لمصطفاه ح: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼالبقرة: ١٨٦، $ومن قال إن الله لا يعلم أحوال عباده حتى يخبره بها بعض الملائكة، أو الأنبياء، أو غيرهم فهو كافر#[4].

2- إن ملوك الدنيا وكبار الشخصيات عاجزون عن تدبير رعيتهم ودفع أعدائهم، فلابد من أنصار وأعوان ينصرونهم ويقومون معهم، فهم لهذا يحرصون على استبقاء ودهم بقبول وساطاتهم لينتفع بعضهم من بعض.

أما الله عز كماله فليس في حاجة إلى أحد، بل هو غني عن العالمين، وخلقه فقراء إليه، قال تعالى: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼفاطر:15-١٧، وقال تعالى: ﭽ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼالإسراء: ١١١.

قال ابن كثير :: $أي: ليس بذليل فيحتاج أن يكون له ولي، أو وزير، أو مشير، بل هو خالق الأشياء وحده لا شريك له، ومقد ّرها ومدبِ ّرها

---

(1) تفسير ابن كثير (588/4).

(2) انظر: التوسل أنواعه وأحكامه (ص 132) .

(3) أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة، للشيخ أحمد بن يحيى النجمي (ص 278).

(4) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (127/1).

بمشيئته وحده لا شريك له#[1].

3- إن بعض الملوك وكبار الشخصيات ظالم، لا يريد نفع رعيته وعامة الناس، والإحسان إليهم ورحمتهم، إلا بمحرّك خارجي يحرّكه، فإذا خاطبه من يؤثر فيه لشدة حاجته إليه، أو لخوفه من عواقب مروقه تحركت إرادة الملك وهمته، واستجاب لذلك المشير في قضاء حوائج رعيته.

أما اللّه فهو رب كل شيء ومليكه، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها[2]، وهو الذي خلق الرحمة في قلوب الراحمين، وإرادة الإحسان في قلوب المحسنين، فلا يجوز أن يكون في الوجود من يُكرِهه على خلاف مراده، أو يعلّمه ما لم يكن يعلم[3].

الوجه الرابع: أن جعل قياس شفاعة الوزراء عند الملوك أو شفاعة العمال عند الرؤساء أصلا ً يقاس عليه الدعاءُ بجاه الصالحين وذواتهم؛ يُعدّ إجراء خاطئاً وقياساً مفارقاً لأصله المدّعَى؛ وذلك لأن طالب الشفاعة في الأمور الدنيوية إنما يتوجه بطلبه إلى الوزير لا إلى غيره، ومن ثم يتوجه به الوزير إلى الملك.

وعليه أمام أصحاب هذا القياس ثلاثة خيارات لا رابع لها:

1- أن يطبقوا قياسهم على أصله بالكلية؛ فيتوجهون بالدعاء والطلب إلى الصالحين؛ فيعبدوا غير اللّه، وهو شرك مخرج من الملة.

2- أن يقولوا: إنما نتوجه إلى الرجل الصالح الحي ليدعو لنا بحكم ما يظهر من حاله، وهذا من التوسل الجائز الذي سبق بيانه[4]، إلا أنه لا يتمشى مع هذا القياس، ولا يحتاج إليه؛ لأن أدلته الشرعية متوفرة، ولله الحمد.

3- أن يقولوا: إننا نتوجه إلى اللّه بجاه الرجل الصالح وإن كان ميتاً أو غائباً، وهذا واقع حالهم مع مباينته لقياسهم؛ لأنهم لو طبقوا هذا الواقع على أصلهم المقيس عليه لصار مهزلة يضحك منها الصبيان؛ فإن مَثَل من يدعو اللّه ويتوسل بجاه الأنبياء كمَثَل من يذهب إلى الرئيس أو الوزير مثلا ً ويقول: يا سيادة الرئيس أسألك بجاه الوزير الفلاني أن توظفني، ولا شك أن هذه مهزلة لا يقدم عليها عاقل يعي ما يقول، ويعرف كيف يتصرف، ولا شك أن الرئيس أو الوزير سوف يحكم على هذا المتوسِّل بالحماقة واختلال

(1) تفسير ابن كثير (130/5).
(2) ورد في حديث عمر بن الخطاب ط قوله ح: $لله أرحم بعباده من هذه بولدها# رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (91/4 رقم 5999)، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب (4) (2109/4 رقم 2754).
(3) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (128/1).
(4) انظر: (ص 380-381).

العقل[1].

الوجه الخامس: أن ما زعموه من أن العاصي -نظراً لكثرة ذنوبه- ليس له اللجوء إلى الله مباشرة، وأنه أولى به أن يستصحب أحد الصالحين الأموات قبل مناجاة رب العالمين، أن ذلك كلام لا أصل له في الإسلام قط؛ لأنه حتى العصاة المسرفون على أنفسهم لم يُغلق بابه تعالى في وجوههم، ولم يحرمهم شرف الانتساب إلى عبوديته، فقال تعالى: ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼالزمر: ٥٣[2]، كما أن إبليس -زعيم العصاة ورأس الملعونين- دعا ربه مباشرة فأجيبت دعوته: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼالحجر: 36-٣٨[3].

ونقلب عليهم قياسهم بأن نقول: لو أن أحداً أراد لقاء رئيس وقد أذِن له للقاء الرئيس مباشرة، لكنه أبى وبحث عن واسطة بينه وبين الرئيس لقلنا أنه قد أضاع على نفسه فرصة ذهبية، فكيف إذا كان الرئيس قد صرّح بأن اللقاء المباشر أحب إليه، لكن الرجل أصر على بحث الواسطة، لقلنا أن ذلك الرجل قد عصى لأمر الرئيس![4]

$وقد كان الصحابة ن إذا سألوا النبي ح عن الأحكام أ ُم ِر َ رسول الله ح بإجابتهم كما قال تعالى: ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼالبقرة: ١٨٩، ﭽ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﭼالبقرة: ٢١٩، ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼالبقرة: ٢١٧، إلى غير ذلك من مسائلهم.

فلما سألوه عنه سبحانه وتعالى قال: ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼالبقرة: ١٨٦؛ فلم يقل سبحانه: $فقل#، بل قال تعالى: ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ فهو قريب من عباده#[5]، والسر في أن الله لم يقل: $فقل إني قريب# كما هو عادة أساليب القرآن في الجواب عن الأسئلة الموجهة للرسول ح، السر في ذلك: الإشارة إلى عدم الوساطة في الجواب على السؤال، فكيف بـ الوساطة في الدعاء نفسه؟[6] فـ$ليس على باب الله حاجب ولا بواب، وليس بينه وبين خلقه أي عوائق، وهذه من مزايا العقيدة الإسلامية، التي ألغت ما كان لدى الكهنة ورجال الدين من احتكار الوساطة بين الله وعباده، وفتحت البابَ على مصراعيه للقرب من الله تعالى، دون أية حوائل#[7]، و الحمد لله ...

---

(1) انظر: الدين الخالص (187/2 -الهامش).
(2) فصول في العقيدة بين السلف والخلف للدكتور يوسف القرضاوي (ص 262).
(3) انظر: عقيدة المسلم لمحمد الغزالي (ص 83).
(4) انظر: Ini Dalilnya (هذا هو الدليل) (ص 96-97).
(5) قاعدة جليلة (ص 334).
(6) تفسير الرازي (106/5)، وإتحاف السادة المتقين (28/5).
(7) فصول في العقيدة (ص 262).

الشبهة الرابعة:
قول أحد المخالفين: $والحاصل أن مذهب أهل السنة والجماعة صحة التوسل بالنبي ح في حياته وبعد وفاته، وكذا بغيره من الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين، كما دلت عليه الأحاديث السابقة.

لأنا معاشر أهل السنة لا نعتقد تأثيراً ولا خلقاً ولا إيجاداً ولا إعداماً و لا نفعاً ولا ضراً للنبي ح، باعتبار الخلق والإيجاد والتأثير، ولا لغيره من الأحياء والأموات. فلا فرق في التوسل بالنبي ح وغيره من الأنبياء و المرسلين -صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين-. وكذا بالأولياء الصالحين، لا فرق بين كونهم أحياء وأمواتاً؛ لأنهم لا يخلقون شيئاً، وليس لهم تأثير في شيء، وإنما يتبرك بهم لكونهم أحباء الله تعالى، والخلق والإيجاد والتأثير لله وحده لا شريك له.

وأما الذين يفرقون بين الأحياء والأموات، فإنهم يعتقدون التأثير للأحياء دون الأموات، ونحن نقول: الله خالق كل شيئ والله خلقكم وما تعملون. فهؤلاء المجوزون للتوسل بالأحياء دون الأموات هم الذين دخل الشرك في توحيدهم؛ لكونهم اعتقدوا تأثير الأحياء دون الأموات، فهم الذين اعتقدوا تأثير غير الله، فكيف يدّعون المحافظة على التوحيد وينسبون غيرهم إلى الإشراك، سبحانك هذا بهتان عظيم#[1].

وقال الآخر -بعد أن ذكر كلاماً مشابها-: $وأما الخلق والإيجاد والإعدام والنفع والضر فإنه لله وحده لا شريك له، والله خالق كل شيء، والمؤثر و الموجد حقيقة هو الله تعالى. فبذلك ثبت أن التوسل بالأنبياء والأولياء أمر مستحب، لا سبيل لإنكاره لأن المدعو والمسؤول هو الله تعالى ولا فعل ولا تصرف للمتوسّل به، وإنما هو استعطاف ودعاء من الله وتوجه إليه بمنـزلة وبركة ذلك العبد المقرب الذي هو من أحبابه وأوليائه، وليس ذلك من عبادة غير الله في شيء#[2].

هذا الكلام يتضمن عدة شبه، والجواب عنها من وجوه[3]:

الوجه الأول: الجواب على قولهم: $والحاصل أن مذهب أهل السنة و الجماعة صحة التوسل بالنبي ح في حياته وبعد وفاته، وكذا بغيره من الأنبياء

---

(1) Empat Puluh Masalah Agama (أربعون مسألة دينية) (157/1-158) و I'tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama'ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 341)، و Fiqh Tradisionalis (فقه المتقدمين) (ص 245-246)، و انظر أيضاً: Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 127). وقد نقل كل من مؤلفي هذه الكتب هذه الشبهه عن أحمد زيني دحلان كما في شواهد الحق للنبهاني (ص 97).

(2) حجة أهل السنة والجماعة (لمؤلف إندونيسي) (ص 93-95) وقد نقل هذا الكلام عن السبكي.

(3) انظر لهذة الوجوه: صيانة الإنسان (216 وما بعدها)، وكشف غياهب الظلام (ص 300-306)، والضياء الشارق (ص 401 وما بعدها).

والمرسلين والأولياء والصالحين، كما دلت عليه الأحاديث السابقة#.

أقول: إن أرادوا بأهل السنة: المتمسكين بالكتاب والسنة الثابتة على فهم الصحابة ومن تبعهم بإحسان فلا، لاسيما وأن كبيرهم الذي نقلوا عنه هذه الشبهات؛ دحلان[1] عنى بالتوسل هنا: دعاء الصالحين والاستغاثة بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله، كما في نهاية كلامه: $والتوسل، والتشفع، والا ستغاثة كلها عندنا بمعنى واحد#[2]، وهذا فرار من تسمية تلك الأفعال شركاً وكفراً، فالعبرة بالحقائق لا بالأسماء[3]، وأن الله سمى هذا شركاً وعبادة لغيره في مواضع من كتابه[4].

ولكن إن أرادوا بأهل السنة: الذين انحرفوا عن العقيدة الصحيحة واستدلوا لانحرافاتهم بآيات من كتاب الله وأحاديث ثابتة فسروها بأهوائهم ، أو استدلوا بالأحاديث والقصص الواهية والموضوعة بدلا ً من الاكتفاء بـ الصحاح منها؛ فنعم، وقد تقدم الرد على تلك الشبه في مواطن عدة من هذه الرسالة[5]، والحمد لله ...

الوجه الثاني: الرد على قولهم: $لأنا معاشر أهل السنة لا نعتقد تأثيراً ولا خلقاً ولا إيجاداً ولا إعداماً ولا نفعاً ولا ضراً للنبي ح باعتبار الخلق والإ يجاد والتأثير ولا لغيره من الأحياء والأموات#.

والرد عليه في نقطتين:

1- قولهم هذا ليس بصحيح؛ لأن كثيراً من العوام وبعض الخواص منهم يعتقدون في أهل القبور وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء أنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله جل جلاله، ويفعلون ما لا يفعله إلا الله ، حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم، فصاروا يدعونهم تارة مع الله وتارة استقلالا ً، ويصرخون بأسمائهم[6]، ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع، ويخضعون لهم خضوعاً زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء.

2- إن مجرد عدم اعتقاد التأثير والخلق، والإيجاد والإعدام، والنفع و الضر إلا لله لا يبرئ من الشرك - لأن المشركين الذين بعث الله الرسل إليهم

(1) هو: أحمد بن زيني دحلان (1231-1304 هـ) مفتي الشافعية بمكة، من أعظم الأ عداء الألداء للعقيدة السلفية، من كتبه: الدرر السنية في الرد على الوهابية، وكان يكذب في بيان مذهب أئمة الدعوة كما فعل في كتابه: الفتوحات الإسلامية. انظر ترجمته في: معجم المؤلفين (143/1).

(2) الدرر السنية في الرد على الوهابية (ص 14).

(3) انظر: (ص 380-381).

(4) انظر: (ص 399-400).

(5) انظر: (ص 249-359).

(6) انظر: أمثلة ذلك في مظاهر الانحراف في الدعاء (ص 216-222).

أيضاً كانوا مقرين بأن الله هو الخالق الرازق ولم ينفعهم هذا الإقرار، وقد تقدم بيان ذلك والتدليل عليه من كتاب الله[1] - ولكن لابد للعبد من إخلاص توحيده وإفراده بالعبادة، وإخلاص التوحيد لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله لله، والنداء والاستغاثة والرجاء واستجلاب الخير واستدفاع الشر منه تعالى ، لا بغيره ولا من غيره، وكذلك النذر والذبح والسجود كلها تكون لله.

يقول مفتي حضرموت عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف[2] : وهو يتحدث عن بعض الأغلاط تجاه أولياء الرحمن: $ومن طلب منهم ما لا يُطلب إلا من جبار السماوات أو اعتقد أن لهم تأثيراً من دون الله؛ فقد وقع في صريح الإشراك#[3].

الوجه الثالث: الرد على قولهم: $فلا فرق في التوسل بالنبي ح وغيره من الأنبياء والمرسلين -صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين-، وكذا با لأولياء الصالحين لا فرق بين كونهم أحياء وأمواتاً لأنهم لا يخلقون شيئاً، وليس لهم تأثير في شيء#.

أقول: إن مجرد كون الأحياء والأموات شركاء في أنهم لا يخلقون شيئاً وليس لهم تأثير في شيء؛ لا يقتضي أن يكون الأحياء والأموات متساوين في جميع الأحكام؛ حتى يلزم من جواز التوسل بالأحياء جواز التوسل بالأموات، كيف وليس معنى التوسل بالأحياء إلا التوسل بدعائهم، وهو الثابت بالأحاديث الصحيحة، وأما التوسل بدعاء الأموات فلم يثبت بحديث صحيح ولا حسن.

الوجه الرابع: الرد على قولهم: $وإنما يتبرك بهم لكونهم أحباء الله تعالى#.

إن هذا الاعتذار هو عين اعتذار المشركين عن عبادة الأصنام، فقد قال تعالى حكاية عنهم ذلك الاعتذار: ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ الزمر: 3. ف المشركون ما اعتقدوا في الأصنام أنها تخلق شيئاً، بل اعتقدوا أن الخالق هو الله تعالى، بدليل قوله تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ الزخرف:87، وقوله تعالى: ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ لقمان:25، فإنما حكم الله تعالى عليهم بالكفر لقولهم: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ. وهكذا المتوسلون بالأنبياء والصالحين و

(1) انظر: (ص 24، 26).

(2) هو: عبد الرحمن بن عبيد الله بن محسن السقاف العلوي الحضرمي (1300-1375 هـ)، مفتي حضرموت وقاضيها، شافعي المذهب، أشعري المعتقد، منصف على المخالفين، يميل إلى التصوف من غير غلو، بل ينكر على أهل الغلو ومدعي الكرامات والولاية، له: إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، وتحقيق الفرق، وغيرهما. انظر: الأعلام (315/3)، ومقدمة تحقيق علوي بن عبد القادر السقاف لكتاب المترجَم $تحقيق الفرق بين العامل بعلمه وغيره#.

(3) رسالة المساواة (ص 10)، نقلاً عن مقدمة تحقيق كتاب تحقيق الفرق (ص 40).

المستغيثون بهم يقولون ما هو بمعنى قول المشركين: ليقربونا إلى الله زلفى لكونهم أحباءه.

يقول الشيخ حسن مأمون مفتي الديار المصرية :: $فلو نظرنا إلى ما قاله المشركون عندما نعى عليهم الرسول ح عبادتهم للأصنام، قالوا له: ﭻ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ؛ فهي نفس الحجة التي يسوقها اليوم الداعون للتوسل بـ الأولياء لقضاء حاجتهم عند الله أو التقرب منه#[1].

ثم إن قولهم: $وإنما يتبرك بهم لكونهم أحباء الله تعالى# تمهيد لتسويغ عبادة كل من كان له عند الله القدر الرفيع، وهذا قياس فاسد لم يقل به عالم قط منذ بعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى انتهاء القرون الثلاثة الأولى، حتى ظهرت القرامطة[2] الباطنية[3]، وأتباعهم $إخوان الصفا#[4] وهم جماعة مشهورة ظهروا في أول القرن الرابع، وهم الذين جلبوا هذه الشبهة.

فانظر ما قاله إخوان الصفا وكيف شرعوا هذا الدين الذي لم يعرفه المسلمون في المئات الثلاث، فسبحان من صيـ ـّر القلوب إلى قلبين.

جاء في الرسالة 42 من رسائل $إخوان الصفا#[5] قولهم: $اعلم يا

---

(1) فتوى نشرتها مجلة الإذاعة المصرية في 1957/3/7 م، نقلا ً عن التوصل إلى حقيقة التوسل (ص 334).

(2) القرامطة: اسم من أسماء الباطنية، ويقال: القرامطية نسبة إلى أحد دعاتهم من الإسماعلية يقال له قِرْمِط بن الأشعث البقار، وقد كان ظهور هذه النحلة المارقة عام (278 هـ) حيث أضلت العباد وخرقت البلاد، وفي عام (317 هـ) زحفت مكة فقتلت حجاج بيت الله الحرام شر قتلة ونزعت كسوة الكعبة وبابها واقتلعت الحجر الأسود وارتكبت أمورا ً عظاما ً جساما ً. انظر: البداية والنهاية (635/14، 683 و37/15)، والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين الملطي (ص 31-33)، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي للدكتور محمد أحمد الخطيب (ص 135-158).

(3) الباطنية: فرقة ضالة، لقبوا بالباطينية لدعواهم أن للنصوص ظاهرا ً وباطنا ً، وأن الظاهر بمنـزلة القشور والباطن بمنـزلة اللباب، ومن أسمائهم: الإسماعيلية، و القرامطة، والخرمية، والمزدكية، والسبعية، والبابكية، والمحمودية، والملاحدة، و التعليمية، وهم زنادقة مارقون عن الإسلام. انظر: الفرق بين الفرق (ص 281 وما بعدها)، والملل والنحل (ص 191 وما بعدها)، وفضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي.

(4) إخوان الصفا: فرقة من فرق الباطنية، ومذهبهم مزيج من أقوال الفلاسفة، و الباطنية، والمعتزلة، يتظاهرون بالتشيع، ولهم مذهب في الكواكب والأفلاك وأثرهما في عالم الكون والفساد، ويقولون بالفيض، وعدد رسائلهم: اثنتان وخمسون، جعلوها في أربعة أقسام، وقد كتموا أسماءهم. انظر: مقدمة رسائل إخوان الصفا لبطرس البستاني (1/5-20).

(5) (483/3).

أخي، أن م ِن الناس م َن يتقرب إلى الله بأنبيائه ورسله، وبأئمتهم، وأوصيائهم، أو بأولياء الله وعباده الصالحين، أو بملائكة الله المقربين، و التعظيم لهم، ومساجدهم، والاقتداء بهم وبأفعالهم، والعمل بوصاياهم وسننهم على ذلك، بحسب ما يمكنهم ويتأتى لهم ويتحقق في نفوسهم ويؤدي إليه اجتهادهم. فأما من يعرف الله حق معرفته، فهو لا يتوسل إليه بأحد غيره، وهذه مرتبة أهل المعارف الذين هم أولياء الله.

وأما من قصر فهمه ومعرفته وحقيقته فليس له طريق إلى الله تعالى إلا بأنبيائه، ومن قصر فهمه ومعرفته فليس له طريق إلى الله تعالى إلا بالأئمة من خلفائهم وأوصيائهم وعباده. فإن قصر فهمه ومعرفته بهم، فليس له طريق إلا اتباع آثارهم، والعمل بوصاياهم، والتعلق بسننهم، والذهاب إلى مساجدهم، ومشاهدهم، والدعاء والصلاة والصيام والاستغفار، وطلب الغفران والرحمة عند قبورهم، وعند تماثيلهم المصورة على أشكالهم، لتذكار آياتهم وتعرف أحوالهم من الأصنام والأوثان وما يشاكل ذلك؛ طلبا ً للقربة إلى الله والزلفى لديه.

ثم اعلم، أنه على كل حال من يعبد شيئا ً من الأشياء ويتقرب إلى الله تعالى بأحد؛ فهو أصلح حالا ً ممن لا يدين شيئا ً ولا يتقرب إلى الله البتة#.أه.

هكذا أدخل إخوان الصفا الباطنيون الشرك في المسلمين، فانتشر في الجهال انتشارا ً، واشتعل فيهم اشتعال اللهب في يابس الشجر، فقام جماعات من العلماء ينكرون هذا، وكان أول أمره غير َ متضحة ٍ غايت ُه، ولا مستبين ٍ سبيل ُه؛ لأن المسلمين لم يكن دين الأصنام فيهم، ثم استبان الشأن، وانكشف الغطاء فأنكره العلماء في القرن الرابع والخامس، ومنهم ابن عقيل الحنبلي(1)، فقال:

$لما صعبت التكاليف على الجهال والط ّغ َام(2)؛ عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم؛ إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم. وهم عندي كفار لهذه الأوضاع، مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى عنه الشرع، منإيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها يا مولاي افعل بي كذا وكذا، وأخذ تربتها تبركاً، وإفاضة الطيب على القبور، وشد الرحال إليها، وإلقاء الخرق

(1) هو: أبو الوفاء علي بن محمد بن عقيل البغدادي الحنبلي المتكلم (432-513 هـ)، شيخ الحنابلة، تاب من الاعتزال، له: الفنون، والرد على الأشاعرة وإثبات الحرف و الصوت وغيرها. انظر: طبقات الحنابلة (482/3 706)، والذيل على طبقات الحنابلة (316/1 رقم 67)، والسير (443/19 وما بعدها).

(2) الطغام على وزن سحاب، هم: أوغاد الناس والحمقى منهم. انظر: القاموس المحيط (ص 1133)، والمعجم الوسيط (ص 558).

على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى#[1].

فهذا الشرك الأكبر أصله وسببه هذا القياس الفاسد الباطل في باب التوسل بالذوات، الذي لا نقول بأنه شرك بل هو بدعة من الطرق والوسائل لهذا الشرك الأكبر، وكل ما كان وسيلة إلى الكفر والشرك فهو ممنوع يجب سد بابه وإغلاقه ووصده وتتريبه؛ حتى لا يفتح مرة أخرى.

ومن في قلبه حب لله وللإسلام الذي جاء به رسوله محمد ح ليغار ويشتد غضباً أن يعود شرك الجاهلية، الذي أزالته بعثة حبيبنا محمد ح[2].

الوجه الخامس: الرد على قولهم: $والخلق والإيجاد والتأثير لله وحده لا شريك له ... سبحانك هذا بهتان عظيم#.

وعلى قول الآخر: $وأما الخلق والإيجاد والإعدام والنفع والضر ... وليس ذلك من عبادة غير الله في شيء#[3].

أقول: ألا يعلم هؤلاء أن المفر ِّقين بين الأحياء والأموات هم الذين يمنعون مما هو دون اعتقاد تأثير الله بمراحل ويصر ّحون بكونه شركاً؟ فكيف يِ ُتّ َوهم منهم أنهم يعتقدون تأثير غير الله؟ سبحانك هذا بهتان عظيم، على أن مناط الفرق بين الأحياء والأموات ليس اعتقاد التأثير للأحياء دون الأموات فحسب -كما زعم هذا المتقو ّل على الموحدين-، إنما مناطه كذلك ثبوت التوسل بالأحياء بالأحاديث الصحيحة دون الأموات.

ثم إن القول بإسناد الغوث إلى الله تعالى إسناد حقيقة باعتبار الخلق والإيجاد وأن الله هو الفاعل حقيقة وإلى الأنبياء والصالحين إسناد مجاز باعتبار التسبب والكسب بديهي البطلان، بيانه من وجوه[4]:

1- إنه لو كان مناط الإسناد الحقيقي اعتبار الخلق والإيجاد وأن الله هو الفاعل حقيقة كما توهموه لزم أن يكون إسناد أفعال العباد كلها إلى الله تعالى حقيقياً، فإن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن الخالق لأفعال العباد هو الله تعالى، وهذا يقتضي أن يتصف الله تعالى حقيقة بالإيمان والصلاة و الزكاة والصوم والحج والجهاد وصلة الرحم وغير ذلك من الأعمال الحسنة؛ وكذلك يتصف حقيقة بالأعمال السيئة من الكفر والشرك والفسق والفجور و الزنا والكذب والسرقة والعقوق وقتل النفس وأكل الربا وغيرها، فإنه تعالى هو الخالق لجميع الأفعال حسنها وسيئها، والتزام هذا فعل من لا عقل له ولا دين فإنه يستلزم اتصاف الله تعالى بالنقائص وصفات الحدوث واجتماع الأ وصاف المتضادة المتناقضة.

---

(1) إغاثة اللهفان (364/1-365).

(2) هذه مفاهيمنا (ص 37- 39).

(3) انظر (ص 474).

(4) انظر لهذه الوجوه: صيانة الإنسان (ص 216 وما بعدها)، وكشف غياهب الظلام (ص 300-306)، والضياء الشارق (ص 401 وما بعدها).

2- لو كان مناط الإسناد المجازي اعتبار التسبب والكسب كما يزعمون؛ للزم أن لا يكون الإنسان حقيقة مؤمناً ولا كافراً ولا براً ولا فاجراً ولا مصلياً ولا مزكياً ولا صائماً ولا حاجاً ولا مجاهداً ولا زانياً ولا سارقاً ولا قاتلا ً ولا كاذباً، فبطل الجزاء والحساب وتلغو الشرائع والجنة والنار، وهذا لا يقول به أحد من المسلمين.

3- إن دعوى كون الأنبياء والصالحين سبباً للغوث وكسباً، محتاج إلى إقامة الدليل ودونه لا تسمع بالجملة، فهذه شبهة داحضة ووسوسة زاهقة.

فتبين مما تقدم الفرق بين الحي والميت وأن الميت لا يقدر على شيء مما يقدر عليه الحي من الأسباب العادية، فإن الأسباب العادية التي يقدر عليها الحي وفي وسعه فهي وإن حصلت من العبد فهي حقيقة لا مجاز، ولا ينازع في هذا من عرف شيئاً من اللغة.

والعبد يفعل حقيقة فيأكل حقيقة ويشرب حقيقة وينصر أخاه ظالماً أو مظلوماً حقيقة، والله سبحانه خلق العبد وما يعمل، وهذا معروف من عقائد أهل السنة والجماعة، والمقصود أنهم يزعمون أن طلب المشركين ممن يعبدونه من دون الله ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ليس بشرك؛ لأن الله تعالى هو الفاعل لذلك حقيقة، والله سبحانه يعطي لأجلهم إكراماً لهم؛ فلا فرق إذاً بينهم وبين المشركين السابقين الذين بعث الله إليهم رسوله ح، فإنهم كانوا يعلمون أن الله تعالى هو الخالق الموجد، وأما الأصنام وسائر المعبودين من دون الله فيقولون إنها أسباب عادية، فمن أجل ذلك كانوا يدعونهم ويستغيثون بهم ويعبدونهم.

وهذا هو دأب عبدة الصالحين في هذا الزمان، يدعونهم ويستغيثون بهم وينحرون لهم وينذرون. والدعاء والاستغاثة والنحر والنذر كلها من أقسام العبادة على معناها المجازي فكذلك فليحمل لفظ العبادة الواقع في كلام المشركين الأولين الذين حكى الله تعالى عنهم حيث قال سبحانه: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼالزمر: 3، فما وجه الفرق؟

الشبهة الخامسة:

استشهادهم بعمل بعض من انتسب إلى العلم من المتأخرين الذين توسلوا بتلك التوسلات البدعية في مصنفاتهم[1]، وكذا استشهادهم بما روي عن بعض العلماء المتقدمين في ذلك[2].

والجواب من أوجه:

الوجه الأول: إن كثيراً من تلك الحكايات التي رويت عن العلماء

---

(1) انظر: Empat Puluh Masalah Agama (أربعون مسألة دينية) (1/135-141)، وحجة أهل السنة والجماعة (ص 105-106).

(2) انظر: الفرائد السنية والدرر البهية (ص17)، وحجة أهل السنة والجماعة (ص 102-103).

المتقدمين لم تثبت عنهم لما في أسانيدها من علل؛ مثل ما روي من توسل ا
لإمام الشافعي : بالإمام أبي حنيفة :[1]، أو ثبت عنهم القول بجواز التوسل بـ
النبي ح فقط دون غيره ولكن لهم قول آخر يوافق قول سائر العلماء في
منعه، مثل ما روي عن الإمام أحمد :[2].

الوجه الثاني: حتى ولو ثبت ذلك عنهم فإنه محجوج بعدم ورود ذلك العمل -بسند ثابت- عن النبي ح وعن صحابته الكرام وعن القرنين المفضّلتين من بعدهم، وقد قال في شأنهم سيد الخلق ح أجمعين: $خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم#[3]، $فما لم يكن يومئذ ديناً فلن يكون اليوم ديناً# كما قال الإمام مالك :[4].

الوجه الثالث[5]: أقوال العلماء يحتج لها، لا بها، مهما كان العالم عظيماً جليلا ً؛ فإنه لا حجة لقول أحد في مخالفة الكتاب والسنة.

قال الإمام مالك والإمام أحمد -رحمهما الله-: $ليس أحد بعد النبي ح إ
لا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ح#[6]. وروي هذا القول عن ابن عباس[7] ومجاهد[8].

وقال الإمام الشافعي :: $أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله ح لم يكن له أن يدعها لقول أحد#[9].

ثم ليعلم أنه ما من أحد من أعيان الأئمة من السابقين ومن بعدهم إلا وله أقوال وأفعال خفي عليهم فيها السنة، إلا أن ذلك لا يغض من أقدارهم و
لا يسوغ اتباعهم فيها.

قال سليمان التيمي[10] :: $لو أخذت برخصة كل عالم أو زلة كل عالم؛ اجتمع فيك الشر كله#[11]. وقال ابن عبد البر :: $هذا إجماع، لا أعلم فيه خ

(1) انظر بيان ضعف هذه الحكاية في: الدعاء ومن زلته (2/836-837).
(2) انظر: الواسطة بين الله وخلقة عند أهل السنة ومخالفيهم للدكتور المرابط الشنقيطي (ص 569).
(3) سبق تخريجه في (ص 239).
(4) الاعتصام (1/62).
(5) المقدمات العشر (ص91-99) باختصار وتصرف.
(6) انظر: مسائل الإمام أحمد لأبي داود (ص 276)، وفتاوى السبكي (1/138).
(7) انظر: فتاوى السبكي (1/138).
(8) انظر: جامع بيان العلم (2/118-119 الأرقام 1762-1765)، والإحكام لابن حزم (6/145، 179).
(9) مضى عزوه في (ص 106).
(10) هو: سليمان بن طرخان التيمي أبو المعتمر البصري (46-143 هـ)، ثقة عابد. انظر: التقريب (رقم 2590).
(11) رواه ابن الجعد في مسنده (1/595 رقم 1359)، وانظر: تهذيب الكمال

لافاً، والحمد لله#[1].

وهذا القول إذا قاله سليمان التيمي : في زمانه؛ وهو القرن الثاني الهجري؛ ذاك القرن المشهود لها بالخيرية؛ فماذا عسى أن يقول : إذا رأى هذه العصور المتأخرة التي قل فيها العلماء

(11/12).

(1) جامع بيان العلم وفضله (119/2 تحت رقم 1767).

الربانيون، ودخل في العلم من ليس من أهله، و$اتخذ الناس رؤوساً جهالا ً#[1]؟

فكم فُتن مِن خلق الله بزلات العلماء أو المنتسبين إلى العلم، وجعلوها متكئاً لهم في تقرير بدعهم، بزعم أن العالمَ جليلٌ ذو قدم صدق في الإسلام، وهذا ظاهر جلي عند كثير من جهلة المسلمين والمبتدعة، فإنهم إذا أرادوا تقرير أمر احتجوا بأن العالم الجليل فعله أو نقله ولم ينكر، وهكذا، وهذا الصنيع إنما يصح لو أنهم أثبتوا دعواهم بالدليل، ثم بعد ذلك ذكروا أقوال العلماء اعتضاداً لا اعتماداً.

وقد أشار حبر الأمة ابن عباس م إلى أثر زلات أهل العلم في أتباعهم المتعصبة بقوله: $ويلٌ للأتباع من عَثرات العالم. قيل: كيف ذلك؟ قال: يقول العالم شيئًا برأيه، ثم يجدُ من هو أعلم برسول الله ح منه، فيترك قوله ثم يمضي الأتباع#[2].

(1) إشارة إلى الحديث المتفق عليه $إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالا ً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا# رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم (194/1 رقم 100 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان (2058/4 رقم 2673) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، واللفظ للبخاري.

(2) أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (ص 445 رقم 835، 836)، و الخطيب في الفقيه والمتفقه (27/2 رقم 647)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (165/2-166 رقم 1877)، وصححه إسناده محقق كتاب الفقيه والمتفقه.

المبحث الرابع: الشفاعة

وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: معنى الشفاعة وأنواعها
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في طلب الشفاعة
المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

المطلب الأول: معنى الشفاعة وأنواعها

- معنى الشفاعة لغة:

أصل الكلمة: الشفاعة مشتقة من أصل لغوي ثلاثي هو $شَفَعَ#[1].
تصريفها: الشفاعة على وزن $فَعَالَة#، وهي مصدر سماعي للفعل الثلاثي $شَفَعَ#، ومضارعه $يَشْفَع#، من باب $فَتَحَ-يَفْتَح#، والمصدر القياسي من $شَفَعَ# المتعدي $شَفْعاً#[2].
معناها لغة: لمادة $شَفَعَ# عدة معان نتعرض لبعضها فيما يلي:

1. خلاف الوتر، وهو الزوج، يقال له: الشّفع، وتقول: كان وَتراً فشفَعْتُه شَفْعاً.
2. الطلب والسؤال والدعاء بوسيلة، يقال: اسْتَشْفَعَه أي طلب منه الشفاعة، أي قال له: كن لي شافعاً. وقد تكرر ذكر الشفاعة في السنة فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة، وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم.
3. ضمّ مُلك شريكك إلى ملكك، يُسَمّى الشُفْعَة.

هذه بعض معانيها، وكل ما ورد فيها من معانٍ فإنه يرجع إلى أصل واحد هو المقارنة[3]. ومعنى الشفاعة الشرعي مأخوذ بعينه من المعنى اللغوي كما سيأتي.

- معناها شرعاً وأقسامها:

لقد تعددت أقوال العلماء في تعريف الشفاعة، أذكر منها ما يلي:
قال ابن الأثير :: $الشفاعة هي السؤال في التجاوز عن الذنوب و الجرائم#[4].
وقال أبو عبد الله القرطبي :: $فالشفاعة إذاً ضمٌ غيرك إلى جاهك ووسيلتك، فهي على التحقيق إظهار لمنـزلة الشفيع عند المشفّع، وإيصال منفعته للمشفوع#[5].
وعرّفها الراغب الأصفهاني : بقوله: $والشفاعة: الانضمام إلى آخر ناصراً له، وسائلا ً عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة

(1) مقاييس اللغة (201/3).
(2) انظر: تصريف الأسماء (ص 51)، ومعجم تصريف الأفعال العربية (ص 169).
(3) انظر: مقاييس اللغة (201/3)، والصحاح (1248/3)، ولسان العرب (150/7-152)، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف (ص180).
(4) النهاية في غريب الحديث (485/2).
(5) تفسير القرطبي (76/2).

ومرتبة إلى من هو أدنى#[1].

وعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية : بقوله: $والشفاعة هي الدعاء#[2].

وعرفها ابن حجر: بقوله: $وهي انضمام الأدنى إلى الأعلى؛ ليستعين به على ما يرومه#[3].

وقال أبو البقاء الكفوي[4] :: $وأما الشفاعة فهي: سؤال فعل الخير، وترك الضر عن الغير لأجل الغير على سبيل الضراعة#[5].

وعرفها أبو الثناء الآلوسي : بقوله: $الشفاعة هي التوسط بالقول في وصول الشخص، ولو كان أعلى قدراً من الشفيع، إلى منفعة من المنافع الدنيوية أو الأخروية أو خلاصه من مضرة ما#[6].

والملاحظ بعد ذكر ما سبق من تعريفات أهل العلم، في بيان المعنى الشرعي للشفاعة، أنها جاءت على وجه العموم والإجمال، إذ لم يُفصّل فيها بذكر الشفاعة التي يكون المشفوع إليه فيها هو اللّه تعالى، وبين أن يكون أحداً من البشر، والحاصل أن الشفاعة المذكورة في كتاب اللّه تعالى باعتبار المشفوع إليه نوعان:

النوع الأول: شفاعة يكون المشفوع إليه فيها هو اللّه تعالى، وهي على قسمين:

القسم الأول: **شفاعة شرعية مثبتة**، وهي على نوعين:

أ- **شفاعة في الدنيا**، وهي بمعنى الدعاء للغير[7]، سواء كانت عن طلب من ذلك الغير أم لا، وسواء كان ذلك الغير حيًّا حاضرًا، أم ميتاً غائباً، وتكون على سبيل الضراعة والخضوع لله تعالى، ولا بد أن يكون المطلوب مما أباحه اللّه تعالى، وهذا الدعاء يتضمن إذنه تعالى بذلك؛ لأن اللّه شرع بأن يدعو الإنسان لأخيه، ورغّب في ذلك، وهذا إذنٌ وزيادة[8]، ولذلك يقول ح: $ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون ب اللّه شيئاً إلا شفّعهم اللّه فيه#[9].

(1) مفردات ألفاظ القرآن (ص 457-458).
(2) مجموع الفتاوى (130/1).
(3) فتح الباري (433/11).
(4) هو: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي أبو البقاء (ت 1094 هـ)، صاحب الكليات، كان من قضاة الأحناف. انظر: هدية العارفين (229/1)، والأعلام (38/2).
(5) الكليات (ص 536).
(6) روح المعاني (97/5 –ط. المنيرية).
(7) التحقيق والإيضاح للشيخ ابن باز (ص 65).
(8) القول المفيد على كتاب التوحيد (335/1).
(9) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب من صلى عليه أربعون شفعوا فيه

ولعلها تُعرّف بـ: $سعي المسلم وقيامه لغيره، بدعاء الله تعالى، و التضرع إليه، والخضوع والذلة بين يديه، فيما أباحه الله، لينال ذلك الغير الخير والنفع في الدنيا والآخرة، ويسلم من الشر والضر#[1].

ب- شفاعة في الدار الآخرة، وتعريفها: هي توسط أهل الإيمان؛ من رسل وملائكة، وصالحين، وغيرهم مما ورد فيه الدليل، بالدعاء والتضرع لله؛ بجلب الرحمة والمغفرة، ودفع العذاب أو تخفيفه، عمن أخلص التوحيد والعبادة، بعد إذنه تعالى للشافع، ورضاه عن المشفوع[2].

وهي على أنواع؛ خاصة وعامة[3]:

فالشفاعة الخاصة هي: شفاعات نبينا محمد ح، وبعضها يشاركه فيها غيره. من أنواعها:

1. الشفاعة العظمى، وهي شفاعة الرسول ح عند الله ليقضي بين خلقه يوم القيامة، وتدل عليها أحاديث صحاح منها: عن ابن عمر م أن الرسول ح قال: $إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم موسى، ثم بمحمد ح؛ فيشفع ليقضى بين الخلق .. فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كله#[4].

2. الشفاعة في استفتاح باب الجنة لأهلها، عن أنس ط عن النبي ح ق ال: $أنا أول شفيع في الجنة#[5]، وعنه ط أيضاً عن النبي ح قال: $آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أُمرت لا أفتح لأحد قبلك#[6].

3. الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه، وهذه الشفاعة خاصة بـ النبي ح لعمه أبي طالب. عن أبي سعيد الخدري ط أن رسول الله ح ذُكر عنده عمه أبو طالب فقال: $لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيُجعل في ضحضاح[7] من نار، يبلغ كعبيه، يغلي منه دماغه#[8].

(655/2 رقم 948).

(1) المصطلحات المستعملة في توحيد الألوهية عند السلف (ص 533).

(2) انظر: المرجع السابق (ص 533).

(3) انظر: الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها، د. ناصر بن عبد الرحمن الجديع (ص 38-68).

(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب من سأل الناس تكثراً (338/3 رقم 1475 -الفتح).

(5) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي ح $أنا أول الناس يشفع في الجنة# (188/1 رقم 196).

(6) رواه مسلم في المصدر السابق (188/1 رقم 197).

(7) الضّحضاح في الأصْل: ما رَقّ من الماء على وجه الأرض ما يبلُغ الكعْبين فاستَعارَه

4. الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة، عن أم سلمة ك أن النبي ح دعا لأبي سلمة ط لما توفي فقال: $اللّهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين[2]، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونوّر له فيه#[3]. وقد قيل إن هذه الشفاعة خاصة بالنبي ح[4]، وقيل إنها ليست خاصة به ح ولكنه هو المقدم فيها[5].

5. الشفاعة في دخول الجنة بلا حساب، ويدل عليها أحاديث صحاح منها: ما رواه أبو هريرة ط في حديث طويل، وفيه أن اللّه قال لرسوله ح: $يا محمد، أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة#[6]. وجاء ذكر عددهم في عدة أحاديث، منها: حديث أبي أمامة الباهلي[7] ط عن النبي ح قال: $وعدني ربي أن يُدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً، لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفاً#[8].

6. الشفاعة في أهل الكبائر، والمراد بهم: العصاة من أهل التوحيد الذين دخلوا النار بذنوبهم، فيشفع فيهم الرسول ح وغيره لإخراجهم من النار بعد دخولها، ومن أدلتها: ما رواه عمران بن حصين ط عن النبي ح قال: $يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ح فيدخلون الجنة، يُسمّون

للنار. انظر: النهاية في غريب الحديث (75/3).

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب (193/7 رقم 3885 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ح لأبي طالب (195/1 رقم 210)، واللفظ لمسلم.

(2) أي في الباقين من ذريته. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (462/6-463).

(3) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حُضر (634/2 رقم 920). وقد استدل بهذا الحديث على هذا النوع من الشفاعة: الحافظ ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم (206/2)، وابن القيم لكنه لم يجزم به، انظر: تهذيب السنن (2270/5).

(4) انظر: لوامع الأنوار البهية (211/2).

(5) انظر: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، للشيخ حافظ الحكمي (ص 145).

(6) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل، باب ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ [الإسراء: ٣] (396/8 رقم 4712 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإ يمان (185/1 رقم 194)، واللفظ لمسلم.

(7) هو: صُدَيّ بن عجلان أبو أمامة الباهلي (ت 86 هـ)، صحابي مشهور. انظر: التقريب (رقم 2939).

(8) رواه الترمذي في سنن، كتاب صفة القيامة، أبواب في الشفاعة (ص 549 رقم 2437) وقال: $حديث حسن غريب#، وأحمد في مسنده (479/36 رقم 22156)، وصحح إسنادَه الشيخُ الألباني في مشكاة المصابيح (1542/3 رقم 5556)، وصحح محققوا المسند الحديث.

الجهنميين#[1].

وقد ذكر بعض أهل العلم أنواعاً أخرى من شفاعات الرسول ح غيرَ ما ذكرت، لكني أغفلت ذكرَها؛ لأنه لم يتبيّن لي ثبوت الأدلة التي استدلوا بها على تلك الأنواع، والله أعلم.

أما **الشفاعة العامة** فالمقصود بها: شفاعة الشفعاء غير الرسول ح، ومن أنواعها:

1. شفاعة الملائكة لإ، ومن أدلتها: قوله تعالى: ﭽبح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم ﭼالنجم: ٢٦، وحديث أبي سعيد ط الآتي.
2. شفاعة الأنبياء لإ، ودليلها: ما رواه أبو سعيد الخدري ط عن النبي ح في حديث طويل، وفيه: $... فيقول الله : شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون#[2].
3. شفاعة المؤمنين، ومما يدل عليها: حديث أبي سعيد الخدري السابق.
4. شفاعة الشهداء، ومن أدلتها: ما رواه المقدام بن معدي كرب[3] ط عن النبي ح قال: $للشهيد عند الله ست خصال# وفي آخر الحديث: $ويُشفّع في سبعين إنساناً من أقاربه#[4].
5. شفاعة أولاد المؤمنين لآبائهم، ومن أدلتها: ما جاء عن أبي حسان[5] : قال: قلت لأبي هريرة ط: إنه قد مات لي ابنان، فما أنت بمحدثي عن رسول الله ح بحديث تطيّب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم، صغاركم دعاميص[6] الجنة، يتلقى أحدهم أباه -أو قال: أبويه- فيأخذ بثوبه -أو قال:

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار (418/11 رقم 6566 -الفتح).

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﭽ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ [القيامة: ٢٢] (421/13 رقم 7439 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية (170/1 رقم 183)، واللفظ لمسلم.

(3) هو: المقدام بن معدي كرب بن عمرو الكندي أبو كريمة (ت 87 هـ)، صحابي مشهور. انظر: التقريب (رقم 6919).

(4) رواه الترمذي في سننه، كتاب فضائل الجهاد، باب ثواب الشهيد (ص 389 رقم1663) وقال: $حسن صحيح غريب#، وصحح إسناده الشيخ الألباني في أحكام الجنائز (ص 35-36).

(5) هو: خالد بن غلاق القيسي أبو حسان البصري، مقبول. انظر: تهذيب الكمال (148/8)، والتقريب (رقم 6919).

(6) الدعاميص: جمع دعموص، أي صغار أهلها، وأصل الدعموص: دويبة تكون في الماء لا تفارقه، أي أن هذا الصغير في الجنة لا يفارقها. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (397/16).

بيده- كما آخذ أنا بصنَفَة[1] ثوبك هذا، فلا يتناهى -أو قال: فلا ينتهي- حتى يدخله الله وأباه الجنة#[2].

6. شفاعة القرآن، ومما يدل عليها: ما رواه أبو أمامة الباهلي ط عن النبي ح قال: $اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه#[3].

7. شفاعة الصيام، ومن أدلتها: ما رواه عبد الله بن عمرو م عن النبي ح قال: $الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة#[4].

القسم الثاني: **شفاعة منفية**: وهي الشفاعة التي تُطلب من غير الله تعالى. وهذه الشفاعة منفية؛ لكونها مُلكاً لله كما قال سبحانه: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ الزمر: 44؛ فلا تُطلب إلا منه تبارك وتعالى.

وكذلك الشفاعة التي تُطلب فيمن لا تُقبل فيه، وهو الكافر، فالكافر و المشرك لا تُقبل فيه الشفاعة؛ يقول تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭼ غافر: 18، يقول ابن كثير :: $أي: ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم، ولا شفيع يشفع فيهم، بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير#[5]. وقال تعالى: ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﭼ البقرة: 48[6]، وقد أجمع المفسرون على أن المقصود بهذه الآية: النفس الكافرة لا كل نفس، كما نقل ذلك أبو عبد الله القرطبي :[7].

النوع الثاني: شفاعة يكون فيها المشفوع إليه غير الله تبارك وتعالى، وهذه تكون بحسب حالها؛ فإن كانت في الخير، فهي شفاعة حسنة، والشافع محمود ومأجور، وإن كانت في الشر، فهي شفاعة سيئة، والشافع مذموم مأزور. وعلى ذلك دلّ قوله تعالى: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ النساء: 85.

---

(1) $صنفة ثوبك# أي طرفه. انظر: المرجع السابق.

(2) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه (2029/4 رقم 2635).

(3) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (553/1 رقم 804).

(4) رواه أحمد في مسنده (199/11 رقم 6626)، والحاكم في المستدرك (255/2 رقم 2080 –ط. دار المعرفة) وقال: $حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه# ووافقه الذهبي، ورمز له السيوطي في الجامع الصغير (ص 320 رقم 5203 –ط. دار الكتب العلمية) بالصحة، وقال الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (579/1 رقم 984): "حسن صحيح".

(5) تفسير ابن كثير (137/7).

(6) انظر: إعانة المستفيد (238/1).

(7) انظر: تفسير القرطبي (78/2).

وقد عرفها ابن تيمية : بقوله: $فالشفاعة الحسنة إعانة على خير يحبه اللّٰه ورسوله؛ من نفع من يستحق النفع، ودفع الضر عمن يستحق دفع الضر عنه.

والشفاعة السيئة إعانته على ما يكرهه اللّٰه ورسوله، كالشفاعة التي فيها ظلم الإنسان، أو منع الإحسان الذي يستحقه. وفسِّرت الشفاعة الحسنة بالدعاء للمؤمنين، والسيئة بالدعاء عليهم، وفسِّرت الشفاعة الحسنة بالإصلاح بين اثنين، وكل هذا صحيح، فالشافع زوج المشفوع له، إذ المشفوع عنده من الخلق إما أن يعينه على بر وتقوى، وإما أن يعينه على إثم وعدوان#[1].

- **معنى الاستشفاع:**

بقي الكلام على مصطلح الاستشفاع، وهو استفعال من طلب الشفاعة، يقال استشفع به، أي جعله شافعاً له[2]، وهو استجلاب الدعاء والوساطة للحصول على الخير ودفع الضر.

يقول الحافظ ابن حجر :: $الاستشفاع: طلب الشفاعة#[3].

وحقيقة الاستشفاع: طلب التوسط من الحي الصالح -سواء كان نبياً أو غيره- بدعاء اللّٰه تعالى له، لتحقيق الخير ودفع الشر عن ذلك الطالب في الدنيا والآخرة[4].

---

(1) مجموع الفتاوى (65/7).
(2) انظر: مختار الصحاح (ص 168).
(3) فتح الباري (433/11).
(4) انظر: لمعة الاعتقاد بشرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين (ص 128).

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في الشفاعة

انحراف مسلمي إندونيسيا في باب الشفاعة -حسب اطلاعي- منحصر في أمرين اثنين، أحدهما: طلب الشفاعة الأخروية من النبي ح وغيره من الأ موات، والآخر: الإتيان بعمل غير مشروع يُظَن أنه من أسباب نيل الشفاعة. وفيما يلي أمثلة واقعية لما ذكرت:

المثال الأول: ما ذكره سراج الدين عباس في أحد كتبه أن من آداب زيارة قبر الرسول ح قول الزائر: $يا رسول الله، يا حبيب الله، يا سيدنا محمداً نبي آخر الزمان، أعطنا شفاعتك في الآخرة، وادع الله لنا السلامة في الدنيا والآخرة#[1].

المثال الثاني: قراءة كثير من جهلة المسلمين لكتاب $دلائل الخيرات#[2] وفيه أحزاب وأوراد يومية تتضمن التوسل بالنبي ح وطلب الشفاعة منه، مثل:

$يا حبيبنا يا محمد، إنا نتوسل بك إلى ربك فاشفع لنا عند المولى العظيم#، وأيضا ً: $اللّهم إنا نستشفع به إليك إذ هو أوجه الشفعاء إليك، ونقسم به عليك إذ هو أعظم م َن أ ُقسم بحقه عليك، ونتوسل إليك إذ هو أقرب الوسائل إليك، وأشرفهم جرثومة#[3].

المثال الثالث: ما ذكره أحد المخالفين من أن $المتوسِّل مقر بأنه مقصِّر، وعلم أن دعاءه قلّ أن يستجاب بسبب ذلك التقصير[4]، فيطلب الشفاعة من رجل غلب على ظنه أن الله قد أحبه؛ هذا هو حقيقة التوسل#[5].

المثال الرابع: قصيدة يقرؤها بعض الناس في لقاءاتهم[6]، ومما ورد فيها:

$هو الحبيب الذي تُرجى شفاعته   لكل هول من الأهوال مقتحم#[7].

---

(1) I’tiqad Ahlus Sunnah Wal Jama’ah (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (ص 362).
(2) للتعريف الموجز بهذا الكتاب راجع (ص 390 الحاشية رقم 2).
(3) دلائل الخيرات.
(4) كذا قال! مع أن الرسول ح قد قال: $مَنْ لَمْ يَسْأَلْ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ# رواه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب (2)، (ص 765-766 رقم 3373)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (384/3 رقم 3373).
(5) Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 114).
(6) Mantan Kyai NU Menggugat Sholawat dan Dzikir Syirik (أحد علماء جمعية نهضة العلماء سابقاً، ينكر الصلوات والأذكار الشركية) (ص 165).
(7) قلت: هذا البيت من أبيات البردة. انظر: قصيدة البردة، ضمن مجموعة الموالد

المثال الخامس: ما ذكره أحد المخالفين وهو يذكر آداب زيارة قبور الأ
ولياء، ومنها: السلام عليهم بهذه الكلمات:
$السلام عليكم يا ولي الله، جئناكم راغبين وإلى قبركم زائرين، ومن حضرتكم مستشفعين، وبكم متوسلين، لا تردون خائبين. أنتم سلف وأتا بالأ
ثر، يغفر الله لي ولكم الذنوب، وأسأل الله لي ولكم العافية#[1].
المثال السادس: ما سماه بعض المخالفين بـ$قصيدة تقرأ عند زيارة الولي# وقد ذكرت نصها كاملا ً في مبحث التوسل[2]، وأقتصر هنا على موضع الشاهد منه:

س-عدنا إذ أتين-اكـم ... وفزن-ا حين زرن-اكم
فقوموا واش-فعوا في-نا ... إلى الرحم-ن مولا كـم
عسى تُحظى عسى تُعطى ... مزاي-ا من مزاياكم[3]

المثال السابع: ما في إحدى أغاني فريق Raihan (ريحان) المعنونة بـ$يا رسول الله#، حيث جاء في نهايتها إنشادهم: $يا رسول الله، يا حبيب الله، أعطنا شفاعتك#[4].
هذا، وإن كان الفريق المذكور ماليزي الأصل، إلا أن أشرطتهم منتشرة جداً بين مسلمي إندونيسيا.
هذه الأمثلة السبعة تتعلق بطلب الشفاعة الأخروية من النبي ح وغيره من الأموات، ويليها أمثلة لأمور غير مشروع تفعل، يُظَنّ أنها من أسباب نيل الشفاعة:
المثال الثامن: ما ذُكر في كتاب أحد المخالفين من أبيات تدل على أن زيارة قبر رسول الله ح من أسباب نيل الشفاعة:

م-ن زار قب-ر محمد ... نال الش-فاعة في غد

(ص 136).
(1) Petunjuk Praktis Ziarah Wali Songo (البيان الموجز لزيارة الأولياء التسعة) (ص 6).
(2) انظر: (ص 384-385).
(3) Tuntunan Ziarah Wali Songo (كيفية زيارة الأولياء التسعة) (ص 35-42)، وانظر: Petunjuk Praktis Ziarah Wali Songo (البيان الموجز لزيارة الأولياء التسعة) (ص 7-8).
(4) شريط سمعي بعنوان Koleksi Nasyid Terbaik Raihan (مجموعة أفضل أناشيد ريحان) الوجه الثاني.

بـالله كـرّر ذكـره وحديـثه يا منشـدي
واجعل صلاتك دائماً جـهراً عليـه تهتدِي
فهو الرسول المصطفى ذو الجود والكف الندِي
وهو المشفّع في الورى من هول يوم الموعدِ
صـلى عليه ربنـا ما لاح نجم الفرقد[1]

واستدل آخر[2] على ذلك بما روي عن رسول الله ح: $من زار قبري وجبت له شفاعتي#[3].

المثال التاسع: ما جاء في بعض كتب أحد المخالفين في معرض تعداده لحِكم وفوائد زيارة القبور، قال: $... تاسعاً: الحصول على بركة وشفاعة وكرامة الأنبياء والأولياء والصالحين بإذن الله#[4]، واستدل على ذلك بما ظن أنه حديث: $من أهدى لميت بقراءة أو ذكر وجبت له شفاعتي يوم القيامة#[5].

(1) حجة أهل السنة والجماعة (ص 73).
(2) الفرائد السنية والدرر البهية (لمؤلف إندونيسي) (ص 14).
(3) سيأتي كلام الأئمة في هذا الحديث في (ص 511-512).
(4) Petunjuk Praktis Ziarah Wali Songo (البيان الموجز لزيارة الأولياء التسعة) (ص 47).
(5) المرجع السابق (ص 45).

المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

تمهيد في بيان شروط الشفاعة وحقيقتها:

مَن مِنّا لا يرجو الشفاعة يوم القيامة؛ كيف لا؟ والطريق طويل والزاد قليل، والمحاسب بصير وخبير، والحساب عسير! ولكن هل كل مَن يرجوها سينالها، وهل كل من طلبها سيُعطاها؟ ليس الأمر كذلك؛ إذ لنيلها شروط حددّها شرعنا الحكيم، فمن استوفى تلك الشروط نالها إن شاء اللّه، ومن لم يستوفها فأنى له أن يعطاها؟

فعند تأمل النصوص الشرعية يتبين لنا أنه من أجل نيل الشفاعة يوم القيامة والانتفاع بها، لابد من تحقق ثلاثة شروط، هي كالآتي[1]:

أولا ً: إذن اللّه تعالى للشافع أن يشفع، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﭽ ﯨ ﯩ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ البقرة: ٢٥٥، وقوله سبحانه: ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ يونس: ٣، وقوله: ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ طه: ١٠٩.

يقول الإمام البغوي :: $ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ يعني: لا تنفع الشفاعة أحدا ً من الناس، ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ يعني إلا من أذن له أن يشفع، ﭽ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ يعني: ورضي قوله#[2].

$وذلك الإذن يتعلق بالشافع، والمشفوع فيه، وبوقت الشفاعة؛ فليس يشفع إلا من أذن له بالشفاعة، وليس له أن يشفع إلا بعد أن يأذن اللّه له، وليس له أن يشفع إلا فيمن أذن اللّه تعالى له أن يشفع فيه#[3].

$ونكتة هذا القيد وسره: صرف الوجوه إلى اللّه وإسلامها له، وتعلقها به، وترك تعلقها بغيره لأجل الشفاعة؛ لذلك يساق هذا بعد ذكر التوحيد، وذكر ما يدل على وجوب عبادة اللّه وحده#[4].

فلا يشفع عند اللّه أحد إلا بإذنه؛ إذ هو وحده سبحانه الذي يملك الشفاعة يوم القيامة، كما قال تعالى: ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ الزمر: ٤٣-44.

ثاني اً: رضا اللّه تعالى عن المشفوع له، يقول اللّه تعالى عن الشفعاء: ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ الأنبياء: ٢٨، ويقول أيضاً: ﭽ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﭼ النجم: ٢٦.

وجاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة ط أنه قال: قال رسول اللّه ح حين أُنزل عليه: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ الشعراء: ٢١٤: $يا معشر قريش

---

(1) الشفاعة عند أهل السنة (ص 71-83) بتصرف واختصار وإضافات.

(2) تفسير البغوي (5/295-296).

(3) معارج القبول (3/1064).

(4) هذه مفاهيمنا (ص 146).

اشتروا أنفسكم من الله؛ لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنكِ من الله شيئاً، يا فاطمة بنت رسول الله سليني بما شئت، لا أغني عنكِ من الله شيئاً#(1).

فلا يجوز الاتكال على نيل الشفاعة من الأقارب ونحوهم من الشفعاء. ومن أراد الشفاعة فعليه التأهل لها بالأعمال الصالحة التي ترضي الله تعالى؛ حتى يرضى تعالى عنه.

وما أجمل ما قاله العلامة صديق حسن خان : في هذا الشأن: $فمن زعم أنه من أولاد الأنبياء لإ، أو من نسل الأولياء، أو من أعقاب الأئمة، أو من أخلاف الشهداء، أو من تلامذة الشيخ الفلاني والكبير الفلاني، وأنهم ينفعونهم في النجاة من عذاب الله في اليوم الآخر، ويشفعون لهم في الخلا ص من الحساب والكتاب والعقاب، وأنه يُغفر له ذنبه، ويُعفى عنه زلاته لوجاهة هؤلاء الكرام، وقرابتهم نسلا ً أو صهراً؛ فهو مغرور جاهل عن مدارك الشرع، محروم من فقه الأحكام، بل هو مشرك بالله تعالى في التصاريف في العالم، التي هي مختصة به سبحانه، لا يشاركه فيها أحد من العالمين، صالحهم وطالحهم، إلا أن يشاء الله رب العالمين شفاعة أحد لأحد، فيشفع بعد وجدان الرضا منه، والإذن منه تعالى، وذلك بيد الله، لا بيده وقدرته.

فأنى له التوكل على نفع القرابة بالأنبياء والأولياء والمشايخ والشهداء ؟ نعم لو أردنا أن يُشفّع الله لنا أحداً منهم ويجعله شفيعاً لنا؛ فلابد من أن نتأهل لذلك، ونجيء بأعمال صالحات يرضاها الله تعالى، مع الخوف والهيبة والرجاء، وأمل العفو من الله وحده، خالصاً مخلصاً له الدين ولا نشرك بعبادة ربنا شيئاً مما يأتي به جماعة المشركين#(2).

ثالثـاً: أن يكون المشفوع له موّحداً؛ لأن الله لا يرضى إلا عن أهل التوحيد، يقول الحافظ العراقي :: $الذي تناله شفاعة نبينا ح هم موحدوا هذه الأمة#(3)، ويقول الإمام ابن خزيمة :: $شفاعة النبي ح ... لقوم من أهل التوحيد ارتكبوا ذنوباً وخطايا، فأدخلوا النار ليصيبهم سفعاً منها#(4).

فالشفاعة يوم القيامة ليست عامة لكل أحد مؤمناً كان أو كافراً، وإنما هي -على اختلاف أنواعها- خاصة بالمؤمنين الذين ماتوا على التوحيد، ف اللّه تبارك وتعالى ﭽ ﭺ ﮊ ﮋ ﭼ الزمر: ٧، وقد توعد الكفار بالخلود في النار

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء والولد في الأ قارب (382/5 رقم 2753 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ[الشعراء: ٢١٤] (193/1 رقم 206)، واللفظ لمسلم.
(2) الدين الخالص (51/2).
(3) طرح التثريب (120/3).
(4) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب (659/2).

يوم القيامة.

ومن الأدلة على أن الشفاعة خاصة بأهل التوحيد الذين سلِموا من الشرك ومما يناقض الإسلام، وأنه ليس للكفار والمشركين فيها نصيب: ما جاء عن أبي هريرة ط أنه قال: قيل يا رسول اللّه، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال رسول اللّه ح: $لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أوّلَ منك؛ لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعدُ الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا اللّه خالصاً من قلبه أو نفسه#[1].

ويوضح الإمام ابن القيم : بأن في الحديث السابق: $سراً من أسرار التوحيد؛ وهو أن الشفاعة إنما تُنال بتجريد التوحيد، فمن كان أكمل توحيداً كان أحرى بالشفاعة، لا أنها تُنال بالشرك بالشفيع، كما عليه أكثر المشركين#[2].

وقد جاء التصريح بأن الشفاعة لا تعطى لمن مات وهو يشرك باللّه شيئاً، فيما رواه أبو هريرة ط عن النبي ح قال: $لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجّل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء اللّه مَن مات مِن أمتي لا يشرك باللّه شيئاً#[3].

فهذه شروط ثلاثة لمن رام نيل الشفاعة، وقد سمّى ابن القيم : هذه الشروط أصولاً حيث قال: $فهذه ثلاثة أصول ... لا شفاعة إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله، ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله ح#[4].

حقيقة الشفاعة[5]:

ما هي حقيقة الشفاعة؟ يعني: ما حقيقة حصولها، وكيف تحصل؟ لقد أجاب على هذه التساؤلات علماءُ الإسلام ومنهم ابنُ تيمية : حيث قال: $حقيقته: أن اللّه سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص؛ فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه#[6].

تتضمن هذه الجملة -على وجازتها- درراً نفيسة وكنوزاً غالية، وهي كالآتي:

قوله :: $حقيقته: أن اللّه سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع# يعني أن الذين شُفِّعَ

(1) سبق تخريجه في (ص 41).
(2) تهذيب السنن (2271/5).
(3) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب اختباء النبي ح دعوة الشفاعة لأمته (189/1 رقم 199).
(4) مدارج السالكين (341/1).
(5) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص 221-223) بتصرف يسير واختصار.
(6) مجموع الفتاوى (78/7).

لهم، إنما ذلك بتفضل الله عليهم، وهم أهل الإخلاص؛ حيث جاء في حديث أبي هريرة قوله ح: $أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله خ الصا ً من قلبه#[1]، فأهل الإخلاص هم الذين يكرمهم الله بالشفاعة، ف المتفضل بالشفاعة هو الله ، فإذا ثبت ذلك: انقطع القلب من التعلق بغير الله في طلب الشفاعة؛ لأن الذين توجهوا إلى المعبودات المختلفة كالأولياء، والصالحين، والملائكة، وغيرهم: إنما توجهوا إليهم رجاء الشفاعة، كما قال عنهم: ﭼ ﮩ ﮨ ﮧ ﮦ ﮥ ﭽ يونس : 18، فإذا بطل أن تكون لهم الشفاعة وثبت أن المتفضل بالشفاعة هو الله جل وعلا، فإن الله إنما يتفضل بها على أهل الإخلاص ، فيغفر لهم أي: بواسطة دعاء الذي أذن له أن يشفع.

وها هنا سؤال: لَ ِم َ ل َم ْ يتفضل الله عليهم بأن يغفر لهم بدون واسطة الشفاعة؟ والجواب عن ذلك في الجملة التي تليها وهي قوله :: $بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه#، أي : إظهارا ً لفضل الشافع، وإكرام الله تعالى له في ذلك المقام، فإن من المعلوم: أن الشافع -الذي ق ُبلت شفاعته- ليس في المقام مثل المشفوع له؛ فالله جل وعلا يظهر إكرامه لمن أذن له أن يشفع، ويظهر رحمته بالشافع؛ فقد تكون للشافع قرابة، أو أحباب يريد أن يشفع لهم، ولذلك: فإن الشفاعة يوم القيامة لأهل الكبائر، ليست خاصة بالنبي ح، بل يشفع -أيضا ً- الأنبياء، والملائكة، والصالحون، والشهداء. فهذه شفاعات مختلفة في أهل الكبائر جعلها الله إكراما ً للشافع، ورحمة به، وأيضا ً: رحمة بالمشفوع له، وإظهارا ً لفضل الله جل وعلا على الشافع، والمشفوع له.

فالحاصل: أن حقيقة الشفاعة تكون بتفضيل الله تعالى على المأذون له بالشفاعة ليشفع وإكرامه بذلك، ثم تفضله على المشفوع له ورحمته بقبول الشفاعة فيه. وهذا كله دال -لمن كان له قلب- على عظم الله جل وع لا وتفرده بالملك، وتفرده بتدبير الأمر وأنه سبحانه الذي يجير ولا يجار عليه، وهو الذي له الشفاعة كلها، وهو الذي له ملك الأمر كله؛ ليس لأحد منه شيء، وإنما يظهر سبحانه فضل َه، وإحسان َه، ورحمت َه، وكرم َه؛ لتتعلق به القلوب، فبطل إذا ً أن يكون ث َم ّ تعلق للقلب بغير الله لأ جل الشفاعة، وبطل أيضا ً صنيع ُ الذين تعلقوا بالأولياء، أو تعلقوا ب الصالحين، أو بالأنبياء، أو بالملائكة لأجل الشفاعة.

فإذا تبين حد الشفاعة، وحقيقتها، وأنها محض فضل من الله وإكرام؛ أوجب ذلك تعلق القلوب به سبحانه في طلب الشفاعة، ورجائها؛ فالله تعالى هو المتفضل بها على الحقيقة، والعباد مكرمون بها، لا يبتدئون بالقول، ولا يسبقون بالقول، وإنما يج ِلون، ويخافون، وي ُثنون على الله، ويحمدون، حتى يؤذن لهم بالشفاعة.

(1) سبق تخريجه في (ص 41).

موقف الإسلام من مظاهر الانحراف في الشفاعة مع رد شبهات المخالفين:

بيان خطأ من طلب الشفاعة الأخروية من النبي ح وغيره من الصالحين بعد وفاتهم:

حتى تتضح صورة المسألة كاملة لابد من التفصيل في بيان أحكام الا ستشفاع بالرسول ح[1] وغيره من الصالحين؛ ما يجوز منه وما لا يجوز.

إنّ طلب الشفاعة من الرسول ح وغيره من الصالحين إما أن يكون شفاعة دنيوية[2]، وإما أن يكون شفاعة أخروية؛ وطلب **الشفاعة في الأمور الدنيوية** من الرسول ح وغيره من البشر لا يخلو من حالين:

أ. أن يكون طلبها منهم في حال حياتهم، وهذا لا بأس به -إذا كان في أمر مباح- لعموم قوله تعالى: ﭽ ﭛ ﮁ ﮂ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ النساء: 85[3]، ولِما رواه أبو موسى الأ شعري ط قال: كان الرسول اللّه ح إذا جاءه السائل أو طُلبت إليه حاجة ق ال: $اشفعوا تؤجروا، ويقضي اللّه على لسان نبيه ح ما شاء#[4].

ب. أن يكون طلبها منهم بعد وفاتهم، وهذا لا يجوز، بل هو شرك؛ لأنه من دعاء الأموات فيما لا يملكون، وقد بسطت هذه المسألة في مبحث الدعاء، فليراجع في موطنه[5].

وأما طلب **الشفاعة الأخروية** من النبي ح وغيره من الصالحين فهو لا يخلو من ثلاثة أحوال:

أ. أن يكون هذا الطلب حال حياة النبي ح وحضوره؛ فهذا جائز وواقع، وهو من جنس طلب الدعاء من الصالحين الأحياء. وقد كان أصحاب الرسول ح يتوسلون إلى اللّه بدعائه ح وشفاعته[6]، ونقل شيخ الإسلام اتفاق المسلمين على ذلك، حيث قال: $وأما شفاعته ح ودعاؤه للمؤمنين

---

(1) الشفاعة عند أهل السنة (ص 99-105) بتصرف واختصار.

(2) أعني بالشفاعة الدنيوية: التوسط لدى أصحاب الجاه والسلطان ونحوهم من أصحاب الحقوق والسعي إليهم؛ لقضاء حوائج الآخرين بإعطائهم حقوقهم وحاجاتهم، أو درء مظلمة عنهم، ونحو ذلك. انظر: الشفاعة عند أهل السنة (ص 16).

(3) راجع: (ص 490).

(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها (299/3 رقم 1432 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام (2026/4 رقم 2627)، واللفظ للبخاري.

(5) راجع: (ص 206 وما بعده، و224 وما بعدها).

(6) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (143/1).

فهي نافعة في الدنيا والدين، باتفاق المسلمين#[1].

ومن الأدلة على ثبوت طلب الصحابة ن الشفاعة من الرسول ح في حياته: ما جاء عن أنس بن مالك ط أنه قال: سألت النبي ح أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: $أنا فاعل#، قلت: يا رسول الله فأين أطلبك؟ قال: $اطلبني أول ما تطلبني على الصراط#[2].

ومما ينبغي أن يعلم هنا أنه لا يلزم تحقق الشفاعة لكل من طلبها من النبي ح في حياته، بل لابد من توفر شروط الشفاعة ليكون أهلا ً لها. ولهذا نهى الله تعالى نبيه ح عن الاستغفار لعمه أبي طالب[3]، ولم يأذن بالا ستغفار لأمه[4]،

(1) المصدر السابق (148/1).
(2) رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقاق والورع عن رسول الله ح، باب ما جاء في شأن الصراط (ص 548 رقم 2433) وقال: $حسن غريب من هذا الوجه#، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (578/2 رقم 2433).
(3) كما في الآية (113) من سورة التوبة.
(4) كما في الحديث الذي وراه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ح ربه في زيارة قر أمه (671/2 رقم 976) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ولا للمنافقين[1].
أما طلب الشفاعة من الصالحين الأحياء؛ إن كان المراد مجرد طلب عموم الدعاء فهذا لا بأس به، لأنه من التوسل المشروع[2]، لكن إن أريد بذلك طلب حقيقة الشفاعة الأخروية فهذا لا يجوز؛ لعدم العلم بكون هؤلاء الصالحين المعيّنين من الشافعين يوم القيامة أم ليسوا كذلك، والله أعلم.
ب. أن يكون هذا الطلب من النبي ح يوم القيامة، وهذا قد ثبت في النصوص الشرعية أن الناس يطلبونها منه، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا الأ مر عند الكلام عن الشفاعة العظمى[3]، وأن الناس يتوسلون إلى النبي ح من أجل أن يشفع لهم إلى ربهم حتى يقضي بينهم، ويدخل أهل الجنة الجنة. واستشفاع الناس بالنبي ح يوم القيامة هو كاستشفاعهم وتوسلهم به ح ح ال حياته.
وأما طلبها من الصالحين يوم القيامة، فلم أجد دليلا ً يدل عليه، إنما الأحاديث -التي وقفت عليها[4]- والتي ذكرت شفاعة الصالحين بأصنافهم كلها تحكي عن شفاعة هؤلاء لغيرهم، ولم تحك طلب الناس إياها منهم، و الله أعلم.
ج. أن يكون هذا الطلب من النبي ح وغيره من الصالحين بعد وفاتهم؛ أي في حال الحياة البرزخية، وهذا هو نقطة بحثنا هنا، ويبدو أن هذا هو الذي عناه المخالفون في كتبهم.

(1) كما في الآية (80) من سورة التوبة.
(2) انظر: (ص 380-381).
(3) راجع: (ص 486).
(4) من الأحاديث التي وقفت عليها في هذه الباب: حديث أبي سعيد الخدري ط الذي رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﭼ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ [القيامة: ٢٢] (421/13 رقم 7439 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (170/1 رقم 183)، وحديث أبي سعيد ط أيضاً الذي رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، تحت باب ما جاء في الشفاعة (ص 550 رقم 2440)، وحديث أبي أمامة ط الذي رواه أحمد في مسنده (547/36 رقم 22215، 588/36 رقم 22250، 633/36 رقم 22297)، وحديث عبد الله بن أبي الجذعاء ط الذي رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، تحت باب ما جاء في الشفاعة (ص 550 رقم 2439)، وحديث أنس بن مالك ط الذي رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد (745/2 رقم 474)، وحديث المقدام بن معدي كرب ط الذي رواه الترمذي في سننه، كتاب فضائل الجهاد، باب ثواب الشهيد (ص389 رقم1663)، وحديث أبي الدرداء ط الذي رواه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في الشهيد يشفع (26/3 رقم 2522)، وحديث أبي هريرة ط الذي رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه (2029/4 رقم 2635)، وحديث أبي هريرة ط أيضاً الذي رواه أحمد في مسنده (364/16 رقم 10622).

أقول: طلب الشفاعة من الرسول ح بعد وفاته لم يُعهد عن الصحابة -رضي اللّه عنهم وأرضاهم-، وهم أحرص الناس على فعل الخير، وكذا من بعدهم من أتباعهم؛ فإذا كان طلبها من الرسول ح بعد وفاته لم يثبت عن أحد من الصحابة -والنصوص متضافرة وصريحة في أن الرسول ح هو صاحب الشفاعة العظمى وغيرها من الشفاعات- فمن باب الأولى أن لا تطلب من غيره ح الذي لا يُعرف هل هو بعينه من الشفعاء يوم القيامة أم لا.

$فالنصوص قد جاءت بجواز طلب الشفاعة أي: الدعاء من رسول اللّه ح في حياته، وجاءت بطلبها منه ح يوم القيامة، ولم تجئ بطلبها منه في حياته البرزخية. ومما يؤكد منع طلبها منه وهو في البرزخ: أن الأحاديث جاءت في حياته ح ويوم القيامة، فلو كان طلبها في البرزخ مشروعاً لانتفى تخصيص الحياة والقيامة بالذكر.

فلما كان كذلك، ع ُلم منه أن النوع الثاني من الحياة، وهو الحياة البرزخية تخالف ما قبلها وما بعدها، وبدليل أن الصحابة لم يفعلوا ذلك بعد وفاته ح؛ فتقرر أنها لا تطلب من الأموات#[1].

فلا يجوز طلب الشفاعة من الرسول ح ولا غيره من الصالحين بعد وفاتهم، قبل يوم القيامة -لا عند قبره، ولا بعيداً عنه-؛ لأنه بدعة محدثة[2]، بل عده بعض أهل العلم شركاً أكبر[3].

ولعله -واللّه تعالى أعلم-:

- يكون هذا الفعل من الشرك الأكبر إذا أريد بالشفاعة الشفاعة الدنيوية[4] أو إذا صرف طالبها شيئاً من العبادات للأموات بنية طلب شفاعتهم الأخروية[5].

- ويكون هذا الفعل بدعة إن قصَد به صاحبه: مجردَ سؤالِ الأموات أن يدعوا اللّه بأن يعطي السائلَ الشفاعة يوم القيامة -وقد مر معنا أن مجرد طلب الدعاء من الأموات عند قبورهم لا بعيداً عنها -على القول الأظهر- أنه من البدع[6]-، هذا ما بدا لي في توجيه كلام العلماء في المسألة، والعلم عند اللّه سبحانه.

إذاً، فالشفاعة الآن تُطلب من اللّه ؛ كأن يقول الداعي: $اللّهم ارزقني شفاعة نبيك ح#، أو $اللّهم اجعلني ممن تشفّع فيهم نبيك ح#، أو $اللّهم لا

---

(1) هذه مفاهيمنا (ص 160-161).
(2) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (241/1، 160-161، 318-319).
(3) انظر: المنتقى من فتاوى الشيخ الفوزان (47/1)، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص 213).
(4) انظر الإشارة إلى هذا في: هذه مفاهيمنا (ص 166، 178).
(5) انظر الإشارة إلى هذا في: المنتقى من فتاوى الشيخ الفوزان (47/1).
(6) انظر: (ص 232-234).

تحرمني شفاعته ح#، أو $اللهم شفـ ّع في ّ نبيك ح، اللهم شفـ ّع في ّ ملائكتك، وعبادك المؤمنين، اللهم شفـ ّع في ّ أفراطي#، ونحو ذلك.

ولشدة رغبة السلف الصالح في شفاعة النبي ح فقد كانوا يسألون ربّهم شفاعةَ نبيهم ح، يقول القاضي عياض :: $قد عُرف بالنقل المستفيض سؤال السلف الصالح ن شفاعة نبينا ح ورغبتهم فيها، وعلى هذا، لا يلتفت إلى قول من قال إنه يكره أن يَسأل الإنسان الله تعالى أن يرزقه شفاعة محمد ح ...#[1].

أما طلبها من النبي ح وغيره من الصالحين بعد وفاتهم؛ فغير سائغ؛ لأ ن عمومات النصوص القرآنية تنهى عن طلب الشفاعة من الأموات؛ لأنهم أفضوا إلى ما قدموا.

ولنتأمل قوله تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ يونس: 18 و الدعاء هو العبادة، والشفاعة طلب الدعاء، فعـ ُلم أن قولهم ﭽ ﮐ ﮑ ﭼ تفسير لـ ﭽ ﮉ ﭼ في أول الآية.

وهنا نقل ٌ أسوقه عن الرازي :[2] ليستبين به الحال، ولئلا يقال إن هذا فهم (الوهابيين) فقط! قال : في $تفسيره#[3]: $اختلفوا في أنهم كيف قالوا في الأصنام إنهم شفعاؤنا عند الله؟# فذكر صوراً، منها قوله:

$ورابعها: أنهم وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم وأكابرهم، وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فإن أولئك الأكابر تكون شفعاء لهم عند الله تعالى، ونظيره في هذا الزمان: اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر، على اعتقادهم أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون لهم شفعاء عند الله#.

وهذا كلام يقضي على قول المخالف من أسّه، حتى يواري كلامه في رمسه، من رجل هو عندهم مقدم في قوله وحسه.

والآيات في الشفاعة الشركية كثيرة، نوّعَها الله في كتابه؛ ليتدبر باغي الخير، متحري الصراط المستقيم، وهو إخبار عن قوم مشركين كي نبعد عن حالهم وصفتهم.

قال تعالى: ﭽ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼسبأ: 22-23.

فأبطل تعالى صور الشرك التي يعتقدها المشركون في كل زمان، فهذه الآية بحق $تقطع عروق شجرة الشرك من القلب لمن عقلها#[4].

---

(1) شرح النووي على صحيح مسلم (36/3).
(2) والنقول كثيرة، لكن اخترت الفخر الرازي؛ لأنهم يفخرون بفهمه في (أصول الدين) ، وهذا المنقول عنه من أصول الدين.
(3) (63/17).
(4) تيسير العزيز الحميد (ص 226).

قال الرازي : في $تفسيره#[1]: $واعلم أن المذاهب المفضية إلى الشرك أربعة..# فذكر ثلاثة، ثم قال: $رابعها: قول من قال: إنا نعبد الأصنام التي هي صور الملائكة ليشفعوا لنا، فقال تعالى في إبطال قولهم: ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭼسبأ: 23، فلا فائدة لعبادتكم غير الله، فإن الله لا يأذن في الشفاعة لمن يعبد غيره، فبطلبكم الشفاعة تـ ـفو ـتون على أنفسكم الشفاعة# انتهى كلام الرازي بحروفه.

فلنتأمل قوله: وأن من طلب الشفاعة من غير الله فو ـت على نفسه الشفاعة التي تكون يوم القيامة؛ لأنها لا تنال إلا بالتوحيد، ومن التوحيد ترك طلب الشفاعة من المقبورين، سواء كانوا أنبياء أو صالحين، وإنما تطلب شفاعة الأنبياء من الله سبحانه لا منهم، وتطلب من الله بتحقيق التوحيد وا لاستقامة عليه، وترك طلب الشفاعة ممن لا يملكها.

وهذا هو الحق الذي اتفقت عليه أقوال أهل العلم قبل إحداث الباطنية التعلق بالأموات، والتفلسف لإثباته بطرق عقلية لا شرعية[2].

فلذلك لم نجد أحداً من أصحاب القرون المفضلة يطلبون الشفاعة من النبي ح بعد وفاته ح، أو من غيره من المقبورين؛ وذلك لأن أهل السنة مجمعون في القرون الثلاثة المفضـ ـلة على أمرين:

الأول: عدم مشروعية طلب الشفاعة منه ح في قبره، وإنما ظهر خلا ف من خالف من شذّاذ الناس بعد نشاط الدعوات الباطنية كالإسماعيلية[3]،

(1) (255-256/25).
(2) هذه مفاهيمنا (ص 153-155) بتصرف يسير.
(3) الإسماعيلية: هم المنسوبون إلى محمد بن إسماعيل وهو ابن جعفر الصادق، وهم في الحقيقة أتباع أبي الخطاب السدوسي الملحد، يقولون بالتفسير الباطني، وأن الله اختص بالعلم عليّ بن أبي طالب، ويقولون بكفر من خالف علياً، ويقولون بإمامة الاثني عشر، ويدفعون زكواتهم وصدقاتهم إلى أئمتهم. انظر: الفرق بين الفرق (ص 62-63)، والملل والنحل (ص 191)، ومقالات الإسلاميين (76/1-78). وللتوسع راجع: أصول الإسماعيلية دراسة تحليل نقد، للدكتور سليمان عبد الله السلومي.

والفاطمية[1]، ومن تأثر بها كالجعفرية[2] وشبهها، فروجوا هذا في الناس، فأشكل على بعضهم.

فقد كان المسلمون في القرون الثلاثة المفضلة، لا يعرفون طلب الشفاعة منه ح بسؤاله إياها، بل مضى الخلفاء الراشدون ولم يسأل أحد منهم نبي الله الشفاعة بعد موته، ولو كانت مشروعة لكانوا أحرص عليها، ولم يتركوا طلبها منه بعد موته.

فلو لم يكن تغير نوع الحياة له أثر عندهم لما تركوا ذلك، وكذلك مضى التابعون وتابعوهم بإحسان وتابعوهم، حتى نشطت الدعوات الباطنية التي تسترت بالتشيع لأهل بيت النبي ح، بل إنهم ألفوا الكتب باسمهم، وهذا ظاهر لمن درس حركة إخوان الصفا والعبيديين (الفاطميين). فالمقصود من هذا أن الاستشفاع بالنبي ح بسؤاله الشفاعة بعد موته محدث أحدثه الباطنيون.

الثاني: وهو الأهم، أن أهل السنة مجمعون أن للنبي ح أنواعاً من الشفاعة يشفع بها، ولم يذكروا منها طلبها منه في قبره[3]، بل كلها يوم القيامة. فينبغي تأمل هذا، ومن خالف إجماع أهل السنة فليس منهم.

---

(1) الفاطمية: هم بنو عبيد الله بن ميمون بن ديصان المشهور بالقداح اليهودي الإسماعيلي وهم الذين يسميهم كثير من المؤرخين الفاطميين ويسمون دولتهم العبيدية الدولة الفاطمية، وهي قائمة في مصر (362-564 هـ)، ونسبتهم إلى فاطمة الزهراء ك أو إلى علي نسبة مرفوضة؛ إذّ إنّ المحققين من المؤرخين غلّطوا هذه النسبة وقالوا: إن هؤلاء من المجوس ومن الفرس ولا ينتسبون إلى علي ط في النّسب. أجمع العلماء على كفْرِهم وقتالهم وأن بلادهم بلاد حرب وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين. انظر: كتاب قصة نسب الفاطميين للدكتور عبد الحليم عويس، والبداية والنهاية (39/15).

(2) الجعفرية: هم أتباع جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب، وهما كانا أصلين في الجهالة والضلالة، يقولون: إن فساق هذه الأمة شر من اليهود والنصارى والمجوس و الزنادقة، وإن الناس قادرون على أن يأتوا بمثل هذا القرآن وبما هو أفصح منه، وإن من جالس السلاطين فهو كافر لا يرث المسلمين ولا يرثه المسلمون، ولهم ترهات أخرى. انظر: الفرق بين الفرق (ص 167-169)، والملل والنحل (ص 29، 165) وغيرهما.

(3) انظر: كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب لابن خزيمة (588/2-734)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة (1160/6-1187)، وكتاب الشريعة للآجري (1198/3-1242)، وفتح الباري (400/8، 426/11 وما بعدها)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام (143/1-149، 78/7، 380/14-406)، الرد على المنطيقيين (ص 570)، و النهاية في الفتن (206/2-253)، وشرح العقيدة الطحاوية (349/1-359)، وفتح الباري لابن رجب (214/2)، وتيسير العزيز الحميد (ص 220-237)، والقول المفيد على كتاب التوحيد (331/1-334)، وإلفات النظر (ص 199-205).

وبرهان هذا الإجمال الذي تقدم؛ أن رسول اللّه ح أخبر أنه: $أول شافع، وأول مشفع#[1]، وهذه الشفاعة هي الشفاعة العظمى لأهل الموقف.

فهذا قوله ح نحك ِّمه على من ادعى محبته وتصديقه، فقوله ح: $أنا أول شافع، وأول مشفع# يقتضي أولوية مطلقة لا استثناء فيها، على كل من قامت قيامته، ومن زعم أنه بعد موته في قبره يشفع، وأن الصالحين يشفعون بعد موتهم في قبورهم فلا معنى لقوله: $أنا أول شافع# عند ذاك الزاعم، إذ لو كان النبي ح يشفع في قبره لكان يشفع من حين موته إلى أن ينفخ في الصور، وحينئذ فلا معنى لقوله: $أنا أول#، إذ لو كان يشفع في قبره لانتفى تخصيصه ح بهذه الفضيلة يوم القيامة!

فإذا كان في حياته يشفع لهم بالدعاء، وبعد موته يشفع، وبعد قيام قيامة الناس يشفع، فأي معنى لقوله ح: $أنا أول شافع#؟! فهو على هذا الفرض مستديم الشفاعة، ودائم قبولها منه عند أولئك الزاعمين، وإذا كان كذلك فأي فائدة من إنشاء هذا الخبر أنه أول شافع وأول مشفع؟.

فأهل السنة المتمسكون بما كان عليه الصحابة يطلبون في حال موت النبي ح الشفاعة من اللّه، ويسألون اللّه أن يشفع فيهم نبيه ح[2].

نعم، إن الأحاديث الصحاح قد نطقت بأن الشفاعة أُعطيت للأنبياء و الصالحين؛ إلا أنها أُعطيت لهم يوم القيامة مع شرط الإذن والرضى، لا إعطاء مطلقاً؛ ولذا لا نصيب فيها لمشرك، وتلك الأحاديث الصحاح هي في الشفاعة يوم القيامة لا في الحياة البرزخية. ففي الحياة البرزخية لا يجوز أن يسأل أحد ميتاً الشفاعة؛ لأنهم لا يملكونها في الحياة البرزخية حتى ولا ملك انتفاع؛ إذ هم قد أفضوا إلى ما قدموا. والنبي ح الذي أخبر بأنه سيشفع يوم القيامة، لم يخبر بأنه في قبره يشفع، ولا يوجد دليل صحيح و لا ضعيف في ذلك[3].

ثم إن أن آية الزمر: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔﮕ ﭼ الزمر: 44 رد ً على من يصرف قلبه لغير اللّه احتجاجاً بالشفاعة، كما كان مشركوا العرب يصنعون مع آلهتهم ، فإنهم كانوا يعتقدون في آلهتهم أنها شفعاءُ لهم، فأخبر تعالى أن الشفاعة له، ليس لأحدٍ منها شيء.

قال الرازي :: $أعلم أن الكفار أوردوا على هذا الكلام سؤالا ً، فقالوا: نحن لا نعبد هذه الأصنام لاعتقاد أنها آلهة تضر وتنفع، وإنما نعبدها لأجل

---

(1) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ح على جميع الخلائق (1782/4 رقم 2278) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه.
(2) هذه مفاهيمنا (ص 148-149) بتصرف يسير.
(3) المرجع السابق (ص 157).

أنها تماثيل لأشخاص كانوا عند الله من المقربين، فنحن نعبدها لأجل أن يصير أولئك الأكابر شفعاء لنا عند الله. فأجاب الله تعالى بأن قال: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ[الزمر: 43].

وتقرير الجواب: أن هؤلاء الكفار إما أن يطمعوا بتلك الشفاعة من هذه الأصنام، أو من أولئك العلماء والزهاد الذين جعلت هذه الأصنام تماثيل لهم.

والأول باطل؛ لأن هذه الجمادات -وهي الأصنام- لا تملك شيئاً ولا تعقل شيئاً، فكيف يعقل صدور الشفاعة عنها؟

والثاني باطل؛ لأنه في يوم القيامة لا يملك أحدٌ شيئاً، ولا يقدر أحدٌ على الشفاعة إلا بإذن الله، فيكون الشفيع في الحقيقة هو الله، الذي يأذن في تلك الشفاعة، فكان الاشتغال بعبادته أولى من الاشتغال بعبادة غيره#[1][2].

شبهة والجواب عنها:

لقد استدل أحد المخالفين[3] **بقصة الإمام مالك مع المنصور**[4] **التي فيها أمر الإمام مالك المنصور بالاستشفاع بالرسول ح.**

أخرج القاضي عياض في $الشفا# (41/2) من طريق يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل، حدثنا ابن حميد قال: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله ح فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد، ... فاستكان لها أبو جعفر، وقال: يا أبا عبد الله، أأستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ح؟ فقال: ولمَ تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم ؛ إلى الله تعالى يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به، فيشفعك الله، قال تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ[النساء: 64]#.

والجواب على هذه القصة كالآتي:

في إسناد هذه القصة العلل التالية[5]:

---

(1) تفسير الرازي (285/26).
(2) هذه مفاهيمنا (ص 158-159).
(3) انظر:Empat Puluh Masalah Agama (أربعون مسألة دينية) (156/1).
(4) هو: أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي الهاشمي العباسي المنصور (95-158 هـ)، الخليفة، حسن المشاركة في الفقه والأدب والعلم. انظر: تاريخ بغداد (10/ 53 وما بعدها)، والسير (83/7 وما بعدها).
(5) مختصر من الدعاء ومنزلته (829/2-833)، وانظر: قاعدة جليلة (ص 130 وما بعدها).

العلة الأولى: محمد بن حميد الرازي راوي الحكاية عن الإمام مالك : متهم بالكذب كما ذكر ذلك غير واحد من أئمة الجرح والتعديل؛ قال إسحاق بن منصور[1]: $أشهد على محمد بن حميد وعبيد بن إسحاق العطار بين يدي الله أنهما كذابان#[2]، وقال صالح جَزَرَة[3]: $كل شيء يحدثنا ابن حميد كنا نتهمه فيه، ما رأيت أجرأ على الله منه، كان يأخذ أحاديث الناس فيقلب بعضها على بعض#[4]، وقال أبو زرعة وابن وارة[5]: $صح عندنا أنه يكذب#[6]، وقال ابن حبان: $ينفرد عن الثقات بالأشياء المقلوبات، ولا سيما إذا حدث عن شيوخ بلده#[7]، وقال فضلك الرازي[8]: $دخلت على محمد بن حميد وهو يركب الأسانيد على المتون#[9]،

(1) هو: إسحاق بن منصور بن بهرام، أبو يعقوب المروزي الحنبلي، المعروف بالكوسج (ت 251 هـ)، محدث فقيه. انظر: طبقات الحنابلة (303/1 رقم 133)، وطبقات الحنابلة اختصار النابلسي (ص 74).
(2) تاريخ بغداد (263/2).
(3) هو: صالح بن محمد بن عمرو بن حبيب الأسدي بالولاء أبو علي، المعروف بجزرة (293-210 هـ)، محدث حافظ. انظر: تاريخ بغداد (322/9)، والسير (23/14 وما بعدها).
(4) الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث لبرهان الدين الحلبي (ص 227 رقم 653)، وانظر: ميزان الاعتدال (530/3-531).
(5) هو: محمد بن مسلم بن عثمان بن عبدالله أبو عبد الله بن وارة الرازي (270-190 هـ)، إمام حافظ. انظر: تاريخ بغداد (260/3-256)، وطبقات الحنابلة (369/2 رقم 455)، والسير (28/13-32).
(6) كتاب المجروحين (304/2)، وانظر: تاريخ بغداد (263/2).
(7) كتاب المجروحين (303/2).
(8) هو: فضلك الصائغ أبو بكر الفضل بن العباس الرازي (270-200 هـ)، إمام حافظ ناقد، صاحب التصانيف. انظر: تاريخ بغداد (367/12-368)، والسير (630/12-631).
(9) الكشف الحثيث (ص 227 رقم 653).

وقد ذكره برهان الدين الحلبي[1] في $الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث#[2]، وابن عراق[3] في الكذابين[4]، ثم ذكرا جرح الأئمة فيه.

أما توثيق الإمام أحمد وابن معين له[5]، فذلك لعدم معرفتهما بحقيقته، قال الذهبي: $قال أبو علي النيسابوري[6]: قلت لابن خزيمة: لو أخذت الإسناد عن ابن حميد؛ فإن أحمد بن حنبل أحسن الثناء عليه، فقال: إنه لم يعرفه ولو عرفه كما عرفنا لما أثنى عليه أصلا ً!#[7].

ثم الذين كذبوه هم أهل بلده من الخراسانيين الذين خبروا حاله عن كثب، ولعله عندما اجتمع بأحمد وابن معين ببغداد اختار لهم أحاديثَه الصحيحة، ويدل لذلك قول ابن معين عندما سأل أبا حاتم الرازي: أي شيء تنقمون عليه؟ فأخبره السبب، فذكر ابن معين أنه عندما قدم أخذوا منه كتاب يعقوب القمي[8] ففرقوا الأوراق وسمعوه[9]، فهذا يدل على الرجوع عن التوثيق، وهناك رواية تدل على رجوع أحمد عن توثيقه، ذكرها ابن حبان من طريق صالح بن أحمد[10] عن أبيه[11].

العلة الثانية: الانقطاع بين ابن حميد هذا وبين الإمام مالك، فإنه لم

(1) هو: إبراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي الشافعي أبو الوفاء، يقال له: برهان الدين الحلبي وسبط ابن العجمي (753-841 هـ)، محدث فقيه، من مؤلفاته: التبيين لأسماء المدلسين، والاغتباط بمن رمي بالاختلاط. انظر: لحظ الألحاظ (ص 308)، وإعلام النبلاء (205/5)، والبدر الطالع (1/ 28-30).

(2) (ص 227 رقم 653).

(3) هو: علي بن محمد بن علي ابن عراق الكناني نور الدين (907-963 هـ)، فقيه وله قوة على نقد الشعر، له تن-زيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة وغيره. انظر: شذرات الذهب (337/8-338)،والأعلام (12/5).

(4) انظر: تن-زيه الشريعة (104/1).

(5) انظر: الجرح والتعديل (232/7)، والعلل ومعرفة الرجال (53/3 رقم 4129).

(6) هو: الحسن بن عيسى بن ماسرجس أبو علي النيسابوري (ت 239 هت)، إمام محدث، كان من كبراء النصارى، فأسلم. انظر: التاريخ الكبير (302/2 رقم 2547) ، والسير (27/12-30).

(7) ميزان الاعتدال (530/3).

(8) هو: أبو الحسن يعقوب بن عبد الله بن سعد القمي الأشعري (ت 174 هـ)، إمام محدث مفسر. انظر: الجرح والتعديل (9/ 209)، والسير (299/8-300).

(9) الجرح والتعديل (232/7).

(10) هو: صالح بن أحمد بن محمد بن حنبل أبو الفضل الشيباني البغدادي (ت 266 هـ)، إمام محدث فقيه. انظر: طبقات الحنابلة (462/1 رقم 232)، والسير (530/12-529).

(11) كتاب المجروحين (304/2).

يسمع منه ولم يلقه[1]، ويدل على ذلك أمور:

أ. إن مولده في حدود الستين ومائة كما قال الإمام الذهبي[2]، وتوفي الإمام مالك عام (179 هـ)[3]؛ فلذلك لم يذكره أحد في تلاميذ الإمام مالك لا الحافظ المزي[4] ولا القاضي عياض[5] مع أنهما ممن حاولا الاستقصاء في ذكر تلاميذ الإمام مالك، لا سيما القاضي عياض حيث قسم الرواة عن م الك إلى طبقتين: كبرى وصغرى، وعلى حسب البلدان، ومع هذا ليس لابن حميد ذكر من بين هؤلاء[6].

ب. إنه لم يخرج من بلده حين رحل في طلب العلم إلا وهو كبير مع أبيه، كما قال شيخ الإسلام[7].

ج. ويؤكد هذا أن أبا جعفر المنصور قد حج عدة مرات: في عام 140 و144 و147 و152 هـ، وهذه الأعوام هي التي يمكن أن يجتمع فيها بمالك في المدينة، وأما حجته الأخيرة وهي عام 158 هـ فقد توفي في الحج ولم يَصل المدينة[8]، ولا يمكن لابن حميد أن يحضر المناظرة في هذه الأعوام التي أشرت إليها، لأنه لا يمكن أن يحضر المدينة حتى في آخر قدمة قدمها المنصور وهو عام 152 لأمرين: أولا: ً إنه لم يولد إلا في حدود الستين، وهذه المناظرة على فرض صحتها كانت قبل ولادته. ثانياً: لو فرضنا ولادته فإنه لا يمكنه حضور المناظرة لأنه لم يرحل إلا وهو كبير، وهو في خراسان، والقصة في المدينة.

العلة الثالثة: إن محمد بن حميد قد تفرد برواية هذه الحكاية عن م الك؛ حيث لم يذكرها أحد من أصحاب مالك المعروفين بالأخذ عنه، وهو ضعيف عند أهل الحديث إذا أسند، فكيف إذا أرسل حكاية لا تعرف إلا من جهته؟ وأصحاب مالك متفقون على أنه بمثل هذا النقل لا يثبت عن مالك قول له في مسألة في الفقه، بل إذا روى عنه الشاميون ضعفوا روايتهم، وإنما يعتمدون على رواية المدنيين والمصريين، فكيف بحكايةٍ تناقض مذهبه المعروف عنه من وجوه كثيرة[9] رواها واحد من الخراسانيين لم

---

(1) الصارم المنكي (ص 415).
(2) السير (503/11).
(3) انظر: المصدر السابق (130/8).
(4) انظر: تهذيب الكمال (107/27-110).
(5) انظر: ترتيب المدارك (6/1-97).
(6) استفدت هذه الفائدة من تعليق الشيخ ربيع بن هادي المدخلي على كتاب ابن تيمية قاعدة جليلة (ص131).
(7) قاعدة جليلة (ص 131).
(8) انظر: البداية والنهاية (461/13).
(9) انظر بيان هذه المناقضات في: قاعدة جليلة (ص 135-142).

يدركه وهو متهم بالكذب عند أهل الحديث؟

وقد قال الخطابي : في مثل هذا: $فتجد أصحاب مالك لا يعتمدون من مذهبه -أي في الفقه- إلا ما كان من رواية ابن القاسم[1] والأشهب[2] وضربائهم من تلاد أصحابه، فإذا جاءت رواية عبد الله بن عبد الحكم[3] وأضرابهم لم تكن عندهم طائلا ً ... فإذا كان هذا دأبهم وكانوا لا يقنعون في أمر هذه الفروع وروايتها عن هؤلاء الشيوخ إلا بالوثيقة والثبت، فكيف يجوز لهم أن يتساهلوا في الأمر الأهم والخطب الأعظم؟#[4].

ويؤيد هذا الوجه: أن من القواعد المقررة عند النقاد أن الشيخ إذا كان ممن يجمع حديثه ويشترك في الأخذ عنه كثيرون من الحفاظ المتقنين، وذلك كمالك، والثوري، وشعبة، والأعمش، ثم انفرد عن هؤلاء التلاميذ الحفاظ أحد من الرواة ولم يكن من الحفاظ المتقنين؛ فإن روايته ترد كما ذكره الإمام مسلم في مقدمة صحيحه[5].

العلة الرابعة: إن في الطريق إلى ابن حميد من ليس بمعروف كما قال شيخ الإسلام[6]، وقال ابن عبد الهادي :: $إسناد مظلم منقطع، وهو مشتمل على من يتهم بالكذب، وعلى من يجهل حاله#[7].

العلة الخامسة: إن مالكاً : لو ثبت عنه ذلك -وهيهات- فإنه لم يسندها إلى النبي ح؛ فهي مقطوعة؛ فليس في ذلك حجة، بل الحجة فيما ثبت بـ الكتاب والسنة.

والحاصل أن هذه الحكاية لم تثبت عن الإمام مالك :؛ وبالتالي لا يجوز الاستشهاد بها، فضلا ً عن الاستدلال بها.

يقول شيخ الإسلام عن هذه الحكاية: $كذب على مالك، مخالف لأ قواله[8] وأقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم التي نقلها مالك وأصحابه

(1) هو: عبد الرحمن بن القاسم بن خالد أبو عبد الله مولى زيد بن الحارث العتقي (128-191 هـ)، علامة فقيه مشهور. انظر: الجرح والتعديل (279/5)، والتقريب (رقم 4006).

(2) هو: أشهب بن عبد العزيز بن داود أبو عمرو المصري المالكي (140-204 هـ)، علا مة فقيه مفتي الديار المصرية. انظر: الجرح والتعديل (342/2)، والتقريب (رقم 537).

(3) هو: عبد الله بن عبد الحكم بن أعين المصري أبو محمد المالكي (ت 214 هـ)، فقيه صدوق أنكر عليه ابن معين شيئاً. انظر: الجرح والتعديل (105/5-106)، و التقريب (رقم 3444).

(4) معالم السنن (4/1).

(5) (7/1).

(6) قاعدة جليلة (ص 133).

(7) الصارم المنكي (ص 415).

(8) انظر: قاعدة جليلة (ص 135-141).

ونقلها سائر العلماء#[1].
ومثله الحافظ ابن عبد الهادي حيث قال إن هذه الحكاية $ليست بصحيحة عنه#[2] أي عن الإمام مالك.
هل زيارة قبر الرسول ح أو قبر غيره من الصالحين من أسباب نيل الشفاعة؟
لا شك في مشروعية زيارة قبر رسول الله ح وقبور المسلمين عموماً بدون شد رحل[3]، وأن فاعل ذلك مُثاب، ولكن القول بأن الشفاعة تكون جزاء لمن زار قبره ح فيه نظر؛ إذ إن ذلك الثواب مبني على ثبوت الحديث الوارد في ذلك من عدمه.
أما حديث $من زار قبري وجبت له شفاعتي# فلم يثبت عن النبي ح، حيث ضعفه جمع من العلماء المتقدمين والمتأخرين، أذكر منهم:
الحافظ العقيلي[4] : حيث قال بعد أن أورد الحديث: $الرواية في هذا الباب فيها لين#[5].
والحافظ ابن خزيمة : حيث قال في باب زيارة قبر النبي ح: $إن ثبت الخبر، فإن في القلب منه[6]#[7].
والحافظ البيهقي : حيث قال: $منكر#[8].
والحافظ ابن القطان الفاسي[9] : حيث أنكر على الحافظ عبد الحق الإ شبيلي سكوته عن تضعيف هذا الحديث[10]، ثم أورد كلام الأئمة في موسى بن هلال -أحد رجال سند هذا الحديث-، وقال: $الحق أنه لم تثبت

(1) المرجع السابق (ص 141-142).
(2) الصارم المنكي (ص 415).
(3) سيأتي بإذن الله البيان الموسع عن حكم شد الرحال إلى القبور، في (ص 963-975).
(4) هو: أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي (ت 322 هـ)، الإمام الحافظ، صاحب التصانيف الكثيرة، منها: كتاب الضعفاء. انظر: تذكرة الحفاظ (833-834/3).
(5) كتاب الضعفاء (1321/4 رقم 1748).
(6) هنا محذوفٌ وتقديره: شيئاً.
(7) نقله عنه الحافظ ابن حجر في لسان الميزان (228/8).
(8) الجامع لشعب الإيمان (52/6 رقم 3863).
(9) هو: أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميدي الفاسي المعروف بابن القطان (562-628 هـ)، كان من أبصر الناس بصناعة الحديث وأحفظهم لرجاله، من تصانيفه بيان الوهم والإيهام. انظر: نيل الابتهاج بهامش الديباج المذهب (ص 200-202).
(10) انظر: الأحكام الشرعية الصغرى (467/1).

عدالته#[1].

والإمام النووي : حيث علّق على إيراد الشيرازي[2] : للحديث بقوله: $وأما حديث ابن عمر فرواه البزار والدارقطني والبيهقي بإسنادين ضعيفين#[3].

والحافظ ابن حجر : حيث قال في ترجمة موسى بن هلال: $وأنكر ما عنده حديثه عن عبد الله بن عمر...# ثم ذكر الحديث[4].

وشيخ الإسلام ابن تيمية حيث نقل كلام من تقدمه من الأئمة في تضعيفه[5].

والحافظ ابن عبد الهادي : حيث قال: $حديث منكر عند أئمة هذا الشأن، ضعيف الإسناد عندهم، لا تقوم بمثله حجة#[6].

والعلامة الألباني[7] والمحدث مقبل الوادعي[8] -رحمهما الله- حيث قا
لا: $منكر#.

وثمة أحاديث أخرى في معنى الحديث السابق لم يذكرها المخالفون؛ إ
لا أنها كلها ضعيفة[9].

---

(1) بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام (4/323-324 تحت رقم 1896).

(2) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي (393-476 هـ)، من كبار فقهاء الشافعية، صاحب المهذب واللمع وغيرهما. انظر: طبقات الأ
سنوي (2/7 رقم 672).

(3) المجموع (8/252).

(4) لسان الميزان (8/228).

(5) انظر: الرد على الأخنائي (ص 28-29).

(6) الصارم المنكي (ص 40).

(7) الإرواء (4/336).

(8) الشفاعة (ص 242).

(9) قاعدة جليلة (ص 143).

وقد بيّن العلماء ضعفها في مصنفاتهم[1]، ولولا خشية الإطالة وضيق الوقت لنقلت ذلك مفصلا ً.

وأما الحديث الثاني –أعني حديث $من أهدى لميت بقراءة أو ذكر وجبت له شفاعتي يوم القيامة#-، فلم أجده -مسنداً وغيرَ مسند- في شيء من الكتب الحديثية، أو التفسيرية، أو التاريخية، أو الموسوعات التي تجمع الأحاديث الضعيفة والموضوعة؛ فهو لا أصل له -فيما أعلم-. أسأل الله أن يُجَنِّبنا الكذب على الرسول المصطفى ح.

وتكملة للبحث، أذكر أسباباً لنيل الشفاعة، دلت عليها الأحاديث الثابتة:

أسباب حصول الشفاعة:

بجانب طلب شفاعة الشافعين من الله تعالى، هناك أسباب أخرى لنيلها -وهي ميسورة بإذن الله لكل مسلم موفّق-، ثبتت بالأحاديث الصحيحة، وهي تغني عن أمثال الحديث الضعيف السابق، أذكر منها[2]:

1. الاستقامة على تحقيق كلمة التوحيد لا إله إلا الله، وفهم معناها، و العمل بمقتضاها، ويدل عليه ما جاء عن أبي هريرة ط عن النبي ح قال: $أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة: من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه#[3].

2. قراءة القرآن، ودليله ما تقدم ذكره عن أبي أمامة الباهلي ط عن النبي ح قال: $اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه#[4].

3. الصيام، وقد تقدم حديث عبد الله بن عمرو ط أن رسول الله ح قال: $الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، فيشفعان#[5].

4. المحافظة على الدعاء بما ورد عند الأذان، ويدل عليه ما رواه جابر بن عبد الله م أن رسول لله ح قال: $من قال حين يسمع النداء: "اللّهم رب هذه الدعوة التامة[6]، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه

---

(1) انظر: الصارم المنكي (ص 93، 171، 286، 291)، والإرواء (333/4)، والسلسلة الضعيفة (112/10 رقم 4598)، ودفاع عن الحديث النبوي والسيرة للشيخ الأ لباني (ص 106، 107، 109)، أوضح الإشارة (ص 139-172)، والشفاعة للشيخ مقبل الوادعي (ص 241-245)، وهدم المنارة (ص 282، 305، 292، 275، 254).

(2) الشفاعة عند أهل السنة (ص 91-97) باختصار.

(3) سبق تخريجه في (ص 41).

(4) سبق تخريجه في (ص 489).

(5) سبق تخريجه في (ص 489).

(6) المراد بالدعوة التامة هي: دعوة التوحيد، وصفت بالتامة لأن فيها أتم القول $لا

مقاماً محموداً الذي وعدته"؛ حلت له شفاعتي يوم القيامة#[1].
5. سكنى المدينة النبوية، والصبر على لأوائها، والموت بها. عن أبي هريرة ط عن النبي ح قال: $لا يصبر على لأواء[2] المدينة وشدتها أحد من أمتي؛ إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة أو شهيداً#[3].
وعن ابن عمر م عن النبي ح قال: $من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها؛ فإني أشفع لمن يموت بها#[4].
6. الصلاة على الرسول ح، عن رويفع بن ثابت[5] ط أن رسول الله ح قال: $من صلى على محمد، وقال: اللّهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة؛ وجبت له شفاعتي#[6].
7. صلاةُ جماعةٍ من المسلمين على الميت المسلم، عن ابن عباس م عن النبي ح قال: $ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا ً، لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه#[7]، وعن عائشة ك عن النبي ح قال: $ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة، كلهم يشفعون له، إلا شُفِّعوا فيه#[8].

إله إلا الله# ولا يدخلها تغيير ولا تبديل. انظر: فتح الباري (95/2).
(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء (94/2 رقم 614 -الفتح).
(2) اللأواء: الشدة وضيق المعيشة. انظر: النهاية في غريب الحديث (221/4).
(3) رواه مسلم، كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى لامدينة والصبر على لأوائها (1004/2 رقم 1378).
(4) رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب فضل المدينة (ص 879 رقم 3917) وقال: $حسن صحيح غريب#، وصححه ابن حبان في صحيحه (57/9 رقم 3741 -الإحسان)، والشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (587/3 رقم 3917).
(5) هو: رويفع بن ثابت بن السّكن الأنصاري (ت 56 هـ)، صحابي. انظر: التقريب (رقم 1982).
(6) رواه أحمد في مسنده (201/28 رقم 16991)، وقال المنذري في الترغيب و الترهيب (685/2 رقم 2447): $رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط وبعض أسانيدهم حسن#، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (163/10): $رواه البزار والطبراني في الأوسط والكبير وأسانيدهم حسنة#، وقال ابن كثير في تفسيره (470/6) بعد أن ساق الحديث بسند الإمام أحمد: $وهذا إسناد لا بأس به ولم يخرجوه#، وحسنه الشيخ مقبل الوادعي بشواهده في الشفاعة (ص 235).
(7) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب من صلى عليه أربعون شفعوا فيه (654/2 رقم 948).
(8) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب من صلى عليه مائة شفعوا فيه (655/2 رقم 947).

8. كثرة السجود أي في الصلاة، عن زياد بن أبي زياد[1] عن خادم للنبي ح رجل أو امرأة، قال: $كان النبي ح مما يقول للخادم: ألك حاجة؟ قال: حتى كان ذات يوم فقال: يا رسول اللّه حاجتي! قال: وما حاجتك؟ قال: حاجتي أن تشفع لي يوم القيامة، قال: ومن دلك على هذا؟ قال: ربي، قال: إما لا فأعني بكثرة السجود#[2].

هذه نبذة من الأسباب التي من حافظ عليها يرجى له الفوز بشفاعة رسول اللّه ح وغيره يوم القيامة. اللّهم أنلنا شفاعة نبيك ح وشفاعة الشافعين يوم لقائك، ونسألك الثبات على التوحيد والعزيمة على الرشد حتى نلقاك ...

(1) هو: زياد بن أبي زياد ميسرة المخزومي المدني مولى ابن عياش (ت 135 هـ)، ثقة عابد. انظر: التقريب (رقم 2087).

(2) رواه أحمد في مسنده (479/25 رقم 16076)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (249/2): $رجاله رجال الصحيح#، وقال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (139/5 رقم 2102): $وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم#.

المبحث الخامس: الغلو في المدح

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الغلو في المدح

- **معنى الغلو لغة وشرعاً:**

أصل الكلمة: الغُلوّ مشتق من أصل لغوي ثلاثي هو $غَلَوَ#[1].

تصريفها: الغلو على وزن $فُعُوْلٌ#، وهو مصدر قياسي للفعل الثلاثي المعتل $غَلا َ#، وأصل الألف واو، فيقال: $غَلا َ-يَغْلُو-غُلُوّاً#، وهو من باب نَصَرَ-يَنْصُرُ[2].

معناها لغة: من معاني مادة $غلو# في كتب اللغة:

1. الغلاء نقيض الرخص، يقال: غلا السعر يغلو غلاءً: إذا ارتفع. وأصل الغلاء الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء. وغلا في الأمر: جاوز حده.
2. والاغتلاء: الإسراع.
3. والغَلْوَةُ: الغاية مقدار رمية، وغَلَوْتُ بالسهم غَلواً: إذا رميت به أبعد ما تقدر عليه[3].

فهذه أبرز المعاني اللغوية المتعلقة بمادة غلو، والذي يهمنا هو المعنى ا لأول، وهو التعدي ومجاوزة الحد، وهذا هو بعينه المعنى الشرعي، كما سيأتي.

معناها شرعاً:

تكاد أقوال العلماء تطبق على تفسير الغلو الشرعي بمعناه اللغوي، غير أن بعضهم قد يذكر أمورا أخرى في تعريفه للغلو، وذلك بحسب النوع الذي يتكلم فيه، فهناك من أنواع الغلو ما هو متعلق بالاعتقاد، وبعضها بالعبادات، وبعضها في الأقوال، وأخرى في الأفعال[4]، وغير ذلك.

لكنهم اتفقوا على معنى التعدي والتجاوز، وفيما يلي أسرد بعض أقوالهم في بيان معنى الغلو في الشرع:

عرّفه الإمام الطبري : بقوله: $وأصل الغلو في كل شيء مجاوزة حده الذي هو حده، يقال منه في الدين: قد غلا فهو يغلو غلوا#[5].

---

(1) مقاييس اللغة (387/4).

(2) انظر: تصريف الأسماء (ص 52)، ومعجم تصريف الأفعال العربية (ص 141، 505).

(3) ينظر لهذه المعاني: مقاييس اللغة (387/4)، والصحاح (2448/6)، ولسان العرب (112-114/10).

(4) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (328/1)، ومدارج السالكين (496/2).

(5) تفسير الطبري (701/7).

وبنحوه عرّفه الراغب الأصفهاني :[1].

وعرّفه ابن الأثير : بقوله: $أي التشدد فيه ومجاوزة الحد ... وقيل معناه: البحث عن بواطن الأشياء، والكشف عن عللها، وغوامض متعبّداتها#[2].

وبنحوه عرّفه المناوي :[3].

وعرّفه الحافظ ابن حجر : بقوله: $وأما الغلو: فهو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد، وفيه معنى التعمق#[4].

وعرفه الشيخ السعدي : بقوله: $والغلو هو مجاوزة الحد بأن يجعل للصالحين من حقوق الله الخاصة به شيء#[5].

وعرفه الأستاذ محمد الحجي بقوله: $الغلو: تجاوز الحد المشروع إلى غيره، سواء كان فعلا ً، أم قولا ً، فهو تجاوز لحدود الله، وتعدٍّ عنها إلى ما لم يشرعه الله#[6].

هذه جملة ما وقفت عليه من أقوال أهل العلم في بيان معنى الغلو، وكما سبق فإنها متفقة على أنه تجاوز للحدود والنهايات التي نصبها الشارع لعباده، وتعدٍّ للحمى التي أبان الله معالمها، سواء كان بالأقوال أم بالأفعال أم بالاعتقادات، والذي يظهر رجحانه منها هو التعريف الأخير، حيث تميز بـ الشمول والدقة، والله أعلم[7].

- مفهوم الغلو في المدح:

المدح: وصف المحاسن بكلام جميل، ومَدَحَهُ يَمْدَحُهُ مَدْحًا: أحسن عليه الثناء، والأمدوحة: المدح[8].

الغلو في المدح إذن: **مجاوزة الحد في وصف محاسن الممدوح، بأن يجعل للممدوح ما ليس من حقه؛** كأن يجعل للأنبياء والصالحين شيئ من حقوق الله تعالى الخاصة به.

---

(1) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص 613).
(2) النهاية في غريب الحديث (382/3).
(3) انظر: فيض القدير (125/3-126).
(4) فتح الباري (278/13).
(5) المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (26/3).
(6) إلفات النظر (ص 16).
(7) انظر: المصطلحات المستعملة في توحيد الألوهية عند السلف (ص 544-547) بتصرف يسير.
(8) مقاييس اللغة (308/5).

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف بالغلو في المدح

مظاهر الانحراف بالغلو في المدح كثيرة ومتنوعة، منها ما يكون بالغلو في مدح المصطفى ح؛ وهذا قد يكون بابتداع صلواتٍ عليه ح مشتملةٍ على تجاوزات في وصفه ح، وقد يكون بقراءة كتب في سيرته ح مشتملة على الغلو في الثناء عليه.

ومن هذه المظاهر ما يكون بالغلو في مدح الأولياء والصالحين؛ وهذا قد يكون بتأليف أبيات في ذلك، أو بقراءة كتب مشتملة على مناقب هؤلاء -واقعية كانت أم أسطورة- فيها مجاوزات عن حدود ما أنزله الله تبارك وتعالى.

وفيما يلي أسرد بعض تلك المظاهر:

المثال الأول: ما يسمى بـ$صلوات نارية#[1] ونصها: $اللّٰهم صل صلاة كاملة وسلم سلاماً تاماً على سيدنا محمد الذي تنحلّ به العُقد، وتنفرج به الكُرب، وتقضى به الحوائج، وتنال به الرغائب وحسن الخواتم، ويستسقى الغمام بوجهه الكريم، وعلى آله وصحبه، في كل لمحة ونفس بعدد كل معلوم لك#[2].

وهذه الصلوات مشهورة جداً في كثير من المناطق الإندونيسي، يقرؤها الناس في أدعيتهم الجماعية بعد الصلوات الخمس، ويقرؤها البعض لقضاء حوائجهم.

ويقرؤها بعض المسلمين بعدد معيّن استشفاء بها، ومما يُحكى في هذا الأمر: أن أحد المسحورين الساكنين بمدينة Gresik (كرَسِيْكْ) بجَاوَا الشرقية قد عالج سنين طويلة لدى كثير من الأطباء فلم يُشف، فأرشده أحد الناس بقراءة هذه الصلوات 4444 مرة في إحدى الليالي؛ فجاءه الساحر في صبيحتها يستسمح منه![3].

المثال الثاني: ما يسمى بـ$صلوات الفاتح#[4] ولفظها: $اللّٰهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، والمعلن الحق بـ

---

(1) ألفها السانوسي، كما في Rahasia Keutamaan dan Keistimewaan Sholawat (أسرار فضائل وميزات الصلوات) لنور محمد قدافي (ص37)، نقلاً عن آثار الصلوات الواحدية لأحمد لطفي رضا (ص21).

(2) Tuntunan Ziarah Wali Songo (كيفية زيارة الأولياء التسعة) (ص 144).

(3) انظر: Mantan Kyai NU Menggugat Sholawat dan Dzikir Syirik (أحد علماء جمعية نهضة العلماء سابقاً، ينكر الصلوات والأذكار الشركية) (ص 33-38).

(4) ألفها أحمد التيجاني. انظر: جواهر المعاني في فيض سيدي أبي العباس التجاني، لعلي حرازم (136/1).

الحق#[1].

ويَعُدّ بعضُ الناس قراءتها أفضل من قراءة القرآن![2].

المثال الثالث: ما يسمي بـ$صلوات المُنْجيَات#[3] ونصها: $اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات، وتقضي لنا بها جميع الحاجات، وتطهرنا بها من جميع السيئات، وترفعنا بها أعلى الدرجات، وتبلغنا بها أقصى الغايات، من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات#[4]، وفي بعض ألفاظها: $تنجنا به# بدل $تنجنا بها#[5].

بعض الناس كان يقرأها يومياً إلى أن كبُر سنُّه بنية توسيع الرزق[6].

ومن فضائلها -بزعمهم-: أنها تُفرّج جميع أنواع الضيق وتأتي بأنواع الحاجات[7].

المثال الرابع: ما يسمى بـ$صلوات طب القلوب# ونصها: $اللهم صل على نبينا محمد؛ طب القلوب ودوائها، وعافية الأبدان وشفائها، ونور الأبصار وضيائها...#[8].

المثال الخامس: ما يسمى بـ$الصلوات الواحدية#[9] ونصها: $اللهم يا واحد يا أحد، يا واجد يا جواد، صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى

---

(1) انظر: Mantan Kyai NU Menggugat Sholawat dan Dzikir Syirik (أحد علماء جمعية نهضة العلماء سابقاً، ينكر الصلوات والأذكار الشركية) (ص 63).
(2) انظر: المرجع السابق (ص 65).
(3) ألفها أحمد بن علي البوني (ت 622 هـ) والجزولي، كما في Rahasia Keutamaan dan Keistimewaan Sholawat (أسرار فضائل وميزات الصلوات) (ص 41)، نقلا ً عن آثار الصلوات الواحدية (ص22). وانظر ترجمة البوني في الأعلام (174/1).
(4) Saripati Mujarrobat (أصول المجربات) لفيروز مسدوقي (ص 119).
(5) انظر: Mantan Kyai NU Menggugat Sholawat dan Dzikir Syirik (أحد علماء جمعية نهضة العلماء سابقاً، ينكر الصلوات والأذكار الشركية) (ص 71).
(6) انظر: المرجع السابق (ص 71).
(7) Tuntunan Ziarah Wali Songo (كيفية زيارة الأولياء التسعة) (ص 157-158).
(8) انظر: Mantan Kyai NU Menggugat Sholawat dan Dzikir Syirik (أحد علماء جمعية نهضة العلماء سابقاً، ينكر الصلوات والأذكار الشركية) (ص 73).
(9) ألفها كِياهِيْ الحاج عبد المجيد معروف في عام 1963 م، وهو من سكان Kedunglo Bandar Lor (كيدونج لو بندر لور) بمدينة Kediri (كِيْدِيْرِيْ) جَاوَا الشرقية. انظر: آثار الصلوات الواحدية في أخلاق طلاب معهد "التهذيب" عورو جومبانج لعام 2004 م، بحث أعده أحمد لطفي رضا الإندونيسي (ص أ).

آل سيدنا محمد في كل لمحة ونفس، بعدد معلومات الله وفيوضاته وأمداده (تقرأ 100 مرة).

اللّٰهم أنت أهله، صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا وشفيعِنا وحبيبِنا وقرةِ أعيننا محمدٍ صلى الله عليه وسلم، كما هو أهله. نسألك اللّٰهم بحقه أن تغرقنا في لجة بحر الوحدة؛ حتى لا نرى، ولا نسمع، ولا نجد، ولا نحس، ولا نتحرك، ولا نسكن، إلا بها، وترزقنا تمام مغفرتك يا اللّٰه، وتمام نعمتك يا اللّٰه، وتمام معرفتك يا اللّٰه، وتمام محبتك يا اللّٰه، وتمام رضوانك يا اللّٰه، وصل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه عددَ ما أحاط به علمك وأحصاه كتابك، برحمتك يا أرحم الراحمين، والحمد لله رب العالمين (تقرأ 7 مرات).

يا شافع الخلق الصلاة والسلام	عليك نورَ الخلق هاديَ الأنام
وأصـلَه وروحَه أدركـ ني	فقد ظلـمت أبداً وربـّ ـني
وليس لي يا سيدي سواكا	فإن ترد كنتُ شخصاً ه الكا
يـا سيـــــدي	يـا رســـول اللّٰه
يا أيها الغوث س‍لام اللّٰه	عليك ربّني بـــإذن اللّٰه
وانظر إلي سيدي بنظره	موصـلة للحضـرة العالية
يا شافع الخلق حبيب اللّٰه	صـــلاته عليك معْ سلا مهِ
ضلّت وضلّت حيلتي في بلدتي	خذ بيدي يا سـيدي وا لأمة
يـا سيـــــدي	يـا رســـول اللّٰه
يا ربنا اللّٰهم صلّ سلم	على محمد شفيع الأمم
والآل واجعل الأنام مسرعين	بـالواحدية لرب العـ المين
يا ربنا اغفر يسر افتح واهدنا	قرّب وألِف بيننا يا ربنا

(تقرأ 3 مرات)

اللّٰهم بارك فيما خلقت وهذه البلدة يا اللّٰه، وفي هذه المجاهدة يا اللّٰه

(تقرأ 7 مرات)#[1].
وتُقرأ هذه الصلوات بعد الصلوات الخمس في بعض المعاهد الإسلا
مية[2].
المثال السادس: ما ورد في مقدمة كتاب $مجموع الموالد# من صلوات على الرسول ح شركيةٍ وغيرِ شركية، أذكر هنا الشركيةَ منها:

السلام عليك يا ماحي الذنوب
السلام عليك يا عون الغريب
السلام عليك يا جالي الكروب
السلام عليك يـا كل المـرام
السلام عليك يـا بحر الذخائر

ومنها:

خير من وطئ الثرى المشقع في الورى — مَن به حُلّت عُرى كلّ عبد مذنب
كم شفا من مُسقِمٍ كم جلا مِن أظلَم — كم له مـن أنعُم للفطين و الغبي
يا رسول الله يا خير كل الأنبياء — نجّنا مِن هاويه يا زكي المنصب[3]

ما سبق ذكره: أمثلة للغلو في المدح على صورة صلوات على النبي ح، وفيما يلي أمثلة للغلو في المدح على صورة ذكر سيرة الرسول ح وغيرها، التي هي -غالباً- تقرأ في مناسبات، كالاحتفال بمولد الرسول ح وغيره.
المثال السابع: ما يسمى بـ$محل القيام# وهو عبارة عن القيام عند قراءة نيف وثلاثين بيتاً في ليلة الاحتفال بمولد الرسول ح، يزعم القارؤون لها أنه ح يحضر في ذلك الحين[4]، فيقومون تعظيماً لقدومه، لذا تسمى تلك

---

(1) Sholawat Wahidiyah (الصلوات الواحدية) (ص 1-3)، نشرة صادرة من (الناشر) Penyiar Sholawat Wahidiyah Pusat Kedunglo Kediri Jawa Timur الرئيسي للصلوات الواحدية بكيدونج لو كِيْدِيْرِيْ جَاوَا الشرقية).
(2) آثار الصلوات الواحدية (ص أ).
(3) مجموع الموالد (ص 2-7).
(4) مجلة Alkisah (القصة) العدد 16، السنة الثالثة، 1-14 أغسطس 2005 (ص 35).

الأبيات بمحل القيام.

ومطلع هذه الأبيات:

يا نبي سـلام عليـك ... يا رسول سلام عليك

يا حبيب سلام عليك ... صـلوات الله علـيك

وفي وسطها:

أنت للرسـل ختـام ... أنت للمولى شـكور

عبدك المسكين يرجو ... فضلـك الجمّ الغفير

فيك قد أحسنت ظني ... يا بشـير يا نذيـر

فأغثـني وأجـرني ... يا مجير من السعير

يـا غياثي يـا مـلاذي ... في مهمـات الأمـور

سـَعِد عبدٌ قد تملّـى ... وانجـلى عنه الحـزين

فيك يا بدر قد تجلى ... فلك الوصف الحسين[1]

المثال الثامن: ما يسمى بـ$مولد شرف الأنام#[2] وهو كتيب في سيرة الرسول ح يتخلله أبيات شعرية، إلا أنه مشتمل على العديد من الانحرافات العقدية، ويُقرأ هذا الكتيب في مناسبات شتى، كقراءته في ليالي برنامج Basapa (بَسَقَا) وهي عبارة عن الزيارة الموسمية لضريح الشيخ برهان الدين بـ Ulakan Pariaman (أُوْلَكَنْ فَرِيَمَنْ) بسُوْمَطْرَا الغربية في شهر صفر من كل عام[3].

---

(1) مجموع الموالد (ص 2-7).

(2) لمؤلفه شهاب الدين أحمد بن علي بن قاسم المالكي البخاري الأندلسي المرسي اللخمي الشهير بالحريري. وهذا الكتاب هو الفصل التاسع من كتابه الذي صنفه في الوعظ والرقائق. انظر: النور السافر عن أخبار القرن العاشر لعبد القادر العيدروس (ص 292).

(3) انظر سي دي مرئي بعنوان Acara Basapa ke Makam Syekh Burhanuddin di Ulakan Pariaman (برنامج بَسَقَا إلى ضريح الشيخ برهان الدين بأُوْلَكَنْ فَرِيَمَنْ).

وهذه جملة من الانحرافات الواردة في هذا الكتيب[1]:

$وأطفئ نور الشمس من نور وجهه * فلله ما أبهى ولله ما أجلى#.

$رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: كنت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام#.

$فلما خلق الله تعالى آدم ألقى ذلك النور في طينته، فأهبطني الله تعالى في صلب آدم إلى الأرض، وحملني في السفينة في صلب نوح، وجعلني في صلب إبراهيم الخليل حين قذف به إلى النار، ولم يزل ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية الفاخرة#.

$فجد يا رسول الله منك برحمة * لعبد أسير بالذنوب يُقبِل#.

$قيل: لما أراد الله عز وجل ظهور خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم، أمر جبريل أن يقبض طينته من مكان قبره الكريم، فقبضها ثم طاف بها جنات النعيم، وغمسها في أنهار التسنيم، وأقبل بها بين يدي الله العلي العظيم، ولها عرق يسيل، فخلق الله من ذلك العرق نور كل نبي جليل؛ فجميع الأنبياء خُلقوا من نور محمد صلى الله عليه وسلم#.

$دُقّت البشائر لقدومه، جاء الهنا، زال العنا، حصل الغنا، نلنا المُنا، طابت القلوب، غفرت الذنوب، سُترت العيوب، كشفت الكروب ببركة سيدنا محمد الحبيب المحبوب#.

$ما مُنا قلبي غير نظرة من الجريح الحبيب
والوصال من جُد علي فأتني الصحيح قريب#

$يا إلهي بأحمد هب بنصره لنا المراد، يا إلهي بأحمد اسقنا الغيث في البلاد، يا إلهي بأحمد رحمتِك تكرِم العباد#.

$فأخذه -أي النبيّ ح- جدّه عبد المطلب فأدخله الكعبة، وقام عندها يدعو الله ويشكره عز وجل على ما أعطاه، وروي أنه قال يومئذ شعراً: ...

أعيذه بالبيت ذي الأ ركان حتى أرَاهُ بالغ البنيان
يا ربنا بالمصطفى العدنان اغفر ذنوبي ثم أصلح شأني#

$حملت به آمنة فجاءها آدم وهناها، ووقف نوح على بابها وناداها، وأتاها الخليل يبشرها بما أتاها، وقصد حِلّتها موسى الكليم وسلم عليها وحياها، كل ذلك لأجل هذا المولود الذي تشرفت به الأرض وثراها ... وحمله جبريل على يديه وهو يقبّل بين عينيه، ويقول أنت حم، أنت يس، أنت طه،

(1) وقد اقتصرت على ذكر موطن الشاهد فقط، وإن كان ذلك قد يخلّ بالترابط بين الجمل.

أنت ولي النفوس المؤمنات، أنت مولاها#.

$إن لم أزر قبره يا سعد في عمُري — من بعد هذا الجفا يا ضيعة العمُر
حبيبي يـا حبيبي يـا حبيبي، أنت قصـدي طب-يبي — ومرادي#

$قالت حليمة: وانقطع الغيث عنا سنة كاملة من السنين، فأخذناه وخرجنا به إلى الصحراء وقلنا: اللّهمّ بحُرمة هذا المولود عليك، إلا ما سقيتنا الغيث يا ربنا يا معبود. قالت: فإذا السماء قد غيّمت وسكتْ ماءً كأفواه القِرَب#.

$بحقه يـا إلهي جد لنا كـرماً — بالعفو والصفح إكراماً وإجلالاً #

$فهو أعظم الأنبياء قدراً، وأكبرهم همة وفخراً، لولاه ما خلق اللّه ملكاً، ولا أدار فلكاً، ولا أطلع بدراً#.

$هذا النبي الذي لولا جـلالته — لم يُخلق الخلق لا جناً و لا بشرا
هذا النبي الذي من زار حجرته — نال الهنا والمُنا والسؤْل والوَطَرا#

$أيـا مُدّعي حبّـنا — دع الـروح ثم اطّرِح
تعلّق بـأهل الهـدى — وقل للعذول اسـترح
ألا يـا نبي الهـدى — أغث من بذكرك يصح
تـرنّم بذكـر النبي — وغـرّد به ثم صـح
ألا يـا نبي الهـدى — أغث من بذكرك يلح#

$فلولاه مـا طاب الهـوى لمُتيّم — ولا استعذب الطرف المَدمِع لولاه
ولولاه مـا حنّ الحُداة لحاجـر — ولا استنشق العُشاق يوماً خُزاماه#

$أدعوك أحمد يـا محمد — يـا سيـد الرُسُل المقدّم
اشـفع إلى الله يا محمد — يوم القيـامة كي أُنعَم
أرجو الشفاعة من محمد — لـو كنتُ أرتكب المحرّم
منـجا وملجؤنـا محمدٌ — يوم الهوان به تحشّم#[1]

المثال التاسع: ما يسمى بـ$مولد الديبعي#[2] وهو كتيب في سيرة الرسول ح يتخلله أبيات شعرية، إلا أنه مشتمل على العديد من الانحرافات العقدية.

وتكثر قراءة هذا الكتيب بالطريقة الجماعية في قرى جزيرة جَاوَا، أسبوعياً، أو لمناسبات شتى؛ كمناسبة الإيفاء بالنذر، ومناسبة دفع البلاء[3]، ومناسبة الاحتفال بالمولد النبوي[4].

ومن الانحرافات الواردة في هذا الكتاب، قول مصنفه:

$لا إله إلا الله فسبحانه تعالى مِن ملك أوجد نورَ نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم مِن نوره قبل أن يخلق آدم من الطين اللازب. وعرض فخرَه على الأشياء وقال: هذا سيد الأنبياء وأجل الأصفياء وأكرم الحبائب.

قيل: هو آدم، قال: آدمُ به أُنيله أعلى المراتب. قيل: هو نوح، قال: نوح به ينجو من الغرق ويهلِك من خالفه من الأهل والأقارب. قيل: هو إبراهيم، قال: إبراهيم به تقوم حجته على عباد الأصنام والكواكب ... قال: هو نبي استخرته[5] من لؤي بن غالب يموت أبوه وأمه ويكفله جده ثم عمه الشقيق أبو طالب#.

$صـلاة الله ما لاحـت كواكب — على أحمد خيرِ من ركب النجائب
حادى حادي السُرى باسم الحبائب — فهزّ السُكرُ أعطافَ الركائب
ألم تـرها وقـد مدّت حطـ — وسـالت من مدامعها سح

---

(1) مولد شرف الأنام، ضمن مجموع الموالد (ص 9-58).
(2) لمؤلفه: عبد الرحمن بن علي بن محمد الشيباني الزبيدي الشافعي، وجيه الدين، المعروف بابن الديبع (866-944 هـ)، من أهل زبيد في اليمن. انظر: الأعلام (318/3)، وFiqih Tradisionalis (فقه المتقدمين) (ص 279-280).
(3) انظر: Kitab Kuning (الكتب الصفراء) (ص 169).
(4) انظر: Fiqih Tradisionalis (فقه المتقدمين) (ص 279).
(5) كذا في الأصل $استخرته#، لعل الصواب: $استخرجته# أو $اخترته#.

اها ـائب
ومـالت للحـمى طـرباً إلى تـلك المعـالم والمـلا
وحنّت عب
فدع جذب الزمـام ولا تسـ فقـائد شـوقها للحي جـ
قها اذب
فهِـمْ طـرباً كما هـامت وإلا فإنك في طريق الحب كـ
ـاذب#

$ولـو أنا عملـنا كل حـ (لأحمد) مولداً قد كان
ين واجب#

$الحديث الأول: عن بحر العلم الدافق ولسان القرآن الناطق أوحد علماء الناس سيدنا عبد الله بن سيدنا العباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بألفي عام، يسبّحُ الله َ ذلك النورُ، وتسبحٌ الملائكةٌ بتسبيحه، فلما خلق الله آدم أودع ذلك النور في طينته، قال صلى الله عليه وسلم: فأهبطني الله عز وجل إلى الأرض في ظهر آدم، وحملني في السفينة في صلب [نوح، وجعلني في صلب][1] الخليل إبراهيم حين قذف به في النار، ولم يزل الله عز وجل ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية الفاخرة حتى أخرجني الله من بين أبوي وهما لم يلتقيا على سفاح قط#.

$يا أعز جواهر العقود وخلاصة إكسير الوجود، مادحك قاصر ولو جاء ببذل المجهود، وواصفك عاجز عن حصر ما حويت من خصال الكرم والجود، الكونُ إشارة وأنت المقصود#.

$يـا بدر تمٍّ حاز كل كمـ مـاذا يعـبِّر عن عُلاك مقـ
ال الي
أنت الذي أشرقت في فمحـوت بالأنوار كل ضـ
أفق العلا لال
وبك استنار الكون يا بالنور والإنعـام والإفضـ
عَلَم الهدى ـال#

$اللهم بحرمة هذا النبي الكريم وآله وأصحابه السالكين على منهجه القويم، اجعلنا من خير أمته، واسترنا بذيل حرمته، واحشرنا غداً في زمرته، واستعمل ألسنتنا في مدحه#[2].

(1) يبدو أن الجمل التي بين المعكوفتين ساقطة من الكتاب، ولا بد منها حتى يستقيم الكلام. وهذه الزيادة مأخوذة من مولد شرف الأنام (ص 13) كما في مجموع الموالد.
(2) مولد الديبعي، ضمن مجموع الموالد (ص 186-212).

المثال العاشر: ما يسمى بـ$مولد العَزَب# وهو عبارة عن نيف وخمسين بيتاً في ذكر قصة مولد الرسول ح، وفيها:

$سبق العوالمَ في الوجود بأسرها ... فالكل منه في الحقيقة مُبتدا
أعني بذلك نور من ساد الورى ... وزكت عناصره الشريفة مَحْتِدا
المصـطفى خيرَ الخلائق من سما ... وعلا على فلك السيادة سُوددا#

وفيها أيضاً:

$ولوالديه الرب قد أحيـا كما ... قد جاء هذا في الحديث وأيِّدا
قد آمنـا حقاً به فاسـ توجبا ... كل النجـاة وبالجنـان تخلدا
فهمـا يقيناً ناجيـان ومن يقل ... بخلافنا ضل السـبيل وأبعدا#[1]

المثال الحادي عشر: ما يسمى بـ$قصيدة البردة# للبوصيري[2]، وهي $نظم في المديح النبوي ضمت جملا ً من السيرة، وطائفة من المعجزات والفضائل النبوية، ومجادلة أهل الكتاب في دعواهم#[3]، $وهي أشهر قصيدة شاع ذكرها في الآفاق، وترجمت إلى عدة لغات ... وللصوفية ومقلديهم ولع وشغف بالبوصيري وبردته رواية ودراية وورداً ودرساً وإجازة وشرحاً، وهي متوارثة عندهم#[4]، إلا أن في بعض أبياتها: $غلو شديد في رسولنا الكريم ح، ورفعه فوق مرتبة البشرية، ودعاؤه والاستغاثة به#[5].

وتكثر قراءة هذه القصائد بالشكل الجماعي في قرى جزيرة جَاوَا، أسبوعياً، أو في مناسبات شتى؛ كمناسبة الإيفاء بالنذر، و مناسبة دفع البلاء

(1) مولد العَزَب، ضمن مجموع الموالد (ص 213-217).
(2) هو: محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري شرف الدين أبو عبد الله (608-696 هـ)، شاعر، وأصله من المغرب. انظر: الأعلام (139/6).
(3) من تقريظ محمد سعيد عبد الرحيم السراني لكتاب $تبريد البلدة في ترجمة متن البردة# لمحمد عتيق نور الرباني البانيوماسي الإندونيسي.
(4) من رسالة $القوادح العقدية في قصيدة البوصيري البردة# لأحمد بن عبد الله السلمي، ضمن كتاب $ثلاث رسائل في الدفاع عن العقيدة# (ص 145).
(5) من مقدمة محقق كتاب $الرد على البردة# للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين (ص 6).

(1).

يزعم المخالفون أن هذه البردة $تجلب البركة، وأنها مطية إلى الشفاعة، ووسيلة من وسائل التقرب إلى الله#[2]، و$وقراءتها مرة في كل جمعة تُصلح فساد أهل القرية#[3].

ومن أبياتها:

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من	لـولاه لم تخرج الدنيا مـن العدم
محمدٌ سيـد الكوني-ن و الثقلي-ن	والفـريقين من عُرب ومن عجـم
هو الحبيب الذي ترجى شـفاعته	لكل هول مـن الأهـوال مقتحم
دع ما ادعته النصـارى في نبيهـم	واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم
فانسب إلى ذاته ما شئت من شرف	وانسب إلى قدره ما شئت من عِظَم
فإن فضـل رسـول الله ليـس له	حدٌ فيُـعرب عنه نـاطق بفـم
لـو ناسـبت قدرَه آياتُه عِظَـماً	أحيى اسمه حين يُدعى دارسَ الرِّمَم
فمبـلغ العلم فيـه أنه بشــر	وأنه خيـر خـلق الله كلـــهم
وكل آي أتى الرُّسْـل الكرام بهـا	فإنمـا اتصـلت من نـوره بهـم
لا طيب يعدل تُرْباً ضمّ أعظمَه	طـوبى لمنتشــق منه ملتثـم
ما سامني الدهر ضيماً واستجرت به	إلا ونلت جــواراً منه لم يَضُم
ولا التمسـت غنى الدارين من يده	إلا اسـتلمت الندى من خير مُستلِم
ومن تكن برســول الله	إن تلقه الأ ُسـْـد في

(1) انظر: Kitab Kuning (الكتب الصفراء) (ص 169).
(2) من تقريظ محمد سعيد عبد الرحيم السراني لكتاب تبريد البلدة في ترجمة متن البردة لمحمد عتيق نور الرباني البانيوماسي الإندونيسي.
(3) من مقدمة مؤلف تبريد البلدة في ترجمة متن البردة (ص 7) وقد نقل هذا الكلام عن المدعو أبي خلصة.

نصرته	آجامها تجمِ
ولـن ترى من وليّ غير منتصـر	به ولا مـن عدو غيـر مُنقصـم
إن لم يكن في معادي آخذاً بيدي	فضـلا ً وإلا فقل يـا زلة القدم
حاشـاه أن يُحرم الراجي مكارمَه	أو يرجع الجـار منه غيـرَ محترم
ومنـذ ألزمت أفكـاري مدائحـه	وجـدته لخلاصـي خيـر ملتزم
يـا أكرم الخلق ما لي من ألـوذ به	سـواك عند حلـول الحادث العَمَم
ولن يضيق رسـولَ الله جاهُك بي	إذ الكـريم تجلى باسـم مُنتَقـم
فإن من جـودك الدنيـا وضـرتها	ومـن علومك علم اللوح و القلم(1)

المثال الثاني عشر: ما يسمى بـ$مولد البرزنجي#(2)، وهو من المدائح النبوية التي يكثر قراءتها جداً في أوساط المجتمع الإندونيسي، $ولربما يكون هذا الكتاب في إندونيسيا هو أحب كتاب بعد كتاب الله#(3)، ومما فيه من انحرافات قول مصنفه:

$وأصلي وأسلم على النور الموصوف بالتقدم والأولية#.

$ولما تم من حمله على الراجح تسعة أشهر قمرية، وآن للزمان أن ينجلي عنه صداه حضر أمّه ليلةَ مولده آسيةٌ ومريمُ في نسوة من الحظيرة القدسية#.

$هذا، وقد استحسن القيامَ عند ذكر مولده الشريف أئمةٌ ذوو رواية وروية، فطوبى لمن كان تعظيمه صلى الله عليه وسلم غايةَ مرامه ومرماه#.

ثم ختمه بالتوسل البدعي: $ونتوسل إليك بشرف الذات المحمدية، ومن هو آخر الأنبياء بصورته وأولهم بمعناه، وبآله كواكب أمن البرية، وسفينة الصلاة والنجاة، وبأصحابه أولي الهداية والأفضلية، الذين بذلوا نفوسهم لله يبتغون فضلا ً من الله، وبحملة شريعته أولي المناقب و الخصوصية، الذين استبشروا بنعمة وفضل من الله، أن توفقنا في الأقوال و الأعمال ولإخلاص النية ...#.

---

(1) قصيدة البردة، ضمن مجموع الموالد (ص 131-154).

(2) لمؤلفه: جعفر بن حسن بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الرسول البرزنجي المدني (ت 1187 هـ). انظر: معجم المؤلفين (490/1).

(3) Kitab Kuning (الكتب الصفراء) (ص 168).

$اللّهم صل وسلم على أول قابل للتجلي من الحقيقة الكلية#[1].

المثال الثالث عشر: ما جاء في بعض أبيات $مولد الحبشي# المسمى بـ$سمط الدرر في أخبار مولد خير البشر وما له من أخلاق وأوصاف وسير#[2]: $... يا رسول الله أهلا ً بك، إنا بك تسعد، وبجاهه يا إلهي جُد وبلغ كل مقصَد، واهدنا نهج سبيله كي به نُسعَد ونُرشَد. رب بلغنا بجاهه في جواره خير مَقعَد ...#[3].

المثال الرابع عشر: ما جاء في إحدى أغاني Dang Fathurrahman (دانج فتح الرحمن) المعنون بـ$مدح الرسول#: $بجاه سيدنا محمد أسلِم عليك يا نبي الله، يا رسول الله مددتُ بمحبة المد، لقاؤُك رجائي كل حين، انشر رحمتك على أمتك كمال رحمتك، يا مصطفى، يا مصطفى، مصطفى، يا خليل الرحيم يا رحمة للعالمين#[4].

كل ما سبق أمثلة في الغلو في مدح النبي المصطفى ح، ويليها أمثلة للغلو في مدح الصالحين:

المثال الخامس عشر: ما يسمى بـ$مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني#[5]، وهو عبارة عن كتاب جمع فيه مؤلفه نبذة عن سيرة الشيخ عبد القادر الجيلاني وشيئاً من مناقبه.

وتكثر قراءة هذا الكتاب بالطريقة الجماعية في قرى جزيرة جَاوَا، أسبوعياً، أو في مناسبات شتى؛ كمناسبة الإيفاء بالنذر، ومناسبة دفع البلاء، ومناسبة طرد الشيطان[6].

ومن الانحرافات والأشياء الغامضة التي يحويها هذا الكتاب قول مؤلفه:

$الحمد لله الذي أرسل سيدنا محمداً ... وخص من شاء من أتباع ملته

---

(1) مولد البرزنجي نثراً، ضمن مجموع الموالد (ص 64-95).

(2) لمؤلفه: علي بن محمد بن حسين الحبشي الحضرمي (1259-1333 هـ)، كما في موقع: http://mevlanasufi.blogspot.com.

(3) موقع: http://mevlanasufi.blogspot.com.

(4) انظر: Kitab Kuning (الكتب الصفراء) (ص 169).

(5) لمؤلفه: جعفر بن حسن بن عبد الكريم البرزنجي الشافعي زين العابدين (ت 1177 هـ)، من أهل المدينة. وعنوان الكتاب كما في الأعلام (123/2): الجنى الداني في مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني، وجاء تسميته في مقدمة مؤلفه (ص 13) بـ: اللجين الداني في ذكر نبذة من مناقب القطب الرباني سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، وسماه مترجمه إلى اللغة الإندونيسية أبو لطف الحكيم مصلح بن عبد الرحمن المراقي: اللجين الداني في ذكر نبذة من مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي عنه الغني المغني.

(6) شريط سمعي بعنوان Tentang Jiwa (عن النفس) الوجه الثاني.

بالرقي إلى أوج المعارف والحقائق، وأفاض عليهم من بحور المواهب اللا دنية طُرف اللطائف وشوارق الرقائق#.

$هذه نبذة من أحوال القطب الرباني، والغوث الصمداني، سلطان الأ ولياء العارفين وإمام العلماء السالكين، الناهلين من بحر الحقيقة والغارفين، السيد الشريف، والسند الغطريف ...#.

وذكر مؤلف الكتاب أن من دواعي تأليفه له: $رغبة في نشر أحوال الكُمّل وبث مناقب الأخيار، واستنـزالا لصيّب الرحمات والركات الغزار، إذ بذكرهم تُفتَح أبواب السماوات العلية، وتنهلّ من حظيرة القدس سُحُب الفيوضات الإلهية. وفصّلته بوسائط من لآلي التراضي عنه وطلب الإمداد بأسراره...#.

توسل المؤلف البدعي، وفي أواخره نفحات شرك:

$يا ربنـا بالهيكل النـوراني	البـار عبد القـادر الجيـلاني
اسـلك بنا نهج الهداية واحمنا	من شـر كل معاند أوجـاني
بأبيـه عبد الله فرّج كربنـا	واقض حوائج عبدك الولهـان
وبِجَنْكِ دُسـْتٍ يا إلهي أغنـني	واجعلـني في بحـر المحبة فاني
بالقطـب عبد الله دَاوِ علـتي	وبيحيى أحْـيِ القلبَ بـالعرفـان
وبمحمد وأبيـه داود اكسـني	ثوب البهـا والود في الأزمـان
بأبيـه عبد الله أصـلح شـأننا	ولدينـا فاحفظ من النقصـان
والطف بنـا في كل مـا قدّرته	بالجُـوْن موسى جُدْ بخير جِنَان
والمحض عبدِ الله للإحسان محـ	ضـا رَقني ثم اكسـُـني بمعـاني
بـالأنور الحَسـَـن المُثَنّى نوّرَنْ	عقـلي ولا تتـرُكن للأكـوان
وأبيـه أوّل كل قُطبٍ باهـر	سبـط النبي المصـطفى العدناني
حسن الزكي ابن الإمام المُرتضى	حامي الوغى غيثِ الندى الهتّان
يسـّر لنا كل الأمـور	من كل هـم أو بلا أوعـ

وعافن ـا انـي#

ومن مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني وكرامته -كما يزعم مؤلف الكتاب-:

- $ورافقه الخضر -على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام- أوّل دخوله العراقَ، ولم يكن الشيخ يعرفه وشرط عليه الخضر أن لا يخالفه، و المخالفة سبب الفراق، فقال له الخضر: اقعد ههنا! فقعد في المكان الذي أشار إليه بالقعود فيه ثلاث سنين يأتيه في كل سنة مرة، ويقول له لا تبرح عن مكانك حتى آتيك#.

- $ولم يزل الاجتهاد دأبه حتى طرقه من الله الحال، وآن أوان الوصال، وبدت له أنوار الجمال، فخرج على وجهه الوجيه، لا يعي غير ما هو فيه، ويتظاهر بالتخارس والجنون حتى حُمِل إلى المارستان مرات إلى أن اشتهر أمره#.

- $إن امرأة أتته بولدها لتُشوّقه إلى صحبة الشيخ عبد القادر ولتُسَلِّكه فأمره بالمجاهدة وسلوك طريق السلف، فرأته يوماً نحيلا ً ورأته يأكل خبز شعير، ودخلت على الشيخ ووجدت بين يديه عَظْم دجاجة ملعوقة، فسألته عن المعنى في ذلك، فوضع الشيخ يده على العظام، وقال لها: قومي بإذن الله تعالى الذي يحيي العظام وهي رميم! فقامت الدجاجة سوية وصاحت: لا إله إلا الله محمد رسول الله الشيخ عبد القادر ولي الله ط، فقال لها: إذا صار ابنك هكذا فليأكل ما شاء#.

- $مرّ بمجلسه حِدَأةٌ في يوم شديد الريح فشوشت بصِياحها على الحاضرين، فقال: يا ريح خذي رأسها! فوقعت لوقتها مقطوعة الرأس، فن-زل عن الكرسي وأخذها في يده وأمرّ الأخرى عليها وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، فحيّت وطارت سوية بإذن الله، والناس يشاهدون ذلك#.

- $إن أبا عمر الصيرفي وأبا محمد عبد الحق الحريمي -رحمهما الله تعالى- قالا: كنا بين يدي الشيخ بمدرسته يوم الأحد ثالثَ صفر سنة خمس وخمسين وخمسمائة، فتوضأ الشيخ على قبقابه[1] وصلى ركعتين، فلما سلم صرخ صرخة عظيمة ورمى بفَرْدة قبقابه في الهواء فغابت عن أبصارنا، ثم فعل ثانية كذلك بالأخرى، ثم جلس فلم يتجاسر أحد على سؤاله.

ثم قدمت قافلة من بلاد العجم بعد ثلاث وعشرين يوماً، فقالوا: إن معنا للشيخ نذراً فاستأذناه، فقال: خذاه منهم، فأعطونا شيئاً من ذهب وثياباً من حرير وخز والقبقاب بعينه، فسألناهم عن المعنى في ذلك. فقالوا: بينما نحن سائرون يوم الأحد ثالث صفر إذ خرجت علينا عرب لهم مُقدِّمان، فنهبوا أموالنا ونزلنا على شفير الوادي، فقلنا: لو ذكرنا الشيخ عبد القادر

(1) القبْقاب النعل المتخذة من خَشَب، بلغة أهل اليمن. انظر: لسان العرب (7/11).

فنذرنا له شيئاً من أموالنا سلمنا، فما هو إلا أن ذكرناه، وجعلنا له شيئاً، فسمعنا صرختين عظيمتين ملأتا الوادي ورأيناهم مذعورين، فظننا أن قد جاءهم مثلهم يأخذهم. فجاءنا بعضهم وقال: تعالوا إلينا وخذوا أموالكم وانظروا ما قد دهمنا، فأتوا بنا إلى مقدميهم فوجدناهما ميتين، وعند كل منهما فردة قبقاب مبتلة بماء، فردوا علينا ما أخذوا وقالوا لنا: إن لِهذا الأمر نبأ عظيماً#.

- $إن أبا المظفر حسن بن تيمي البغدادي التاجر جاء إلى الشيخ حماد بن مسلم بن دَرْوَة الدباس : في سنة إحدى وعشرين وخمسمائة، وقال له: يا سيدي قد جُهّزتْ لي قافلة إلى الشام فيها بضاعة بسبعمائة دينار، فقال: إن سافرت في هذه السنة قُتِلتَ وأُخِذ مالك، فخرج من عنده مغموماً. فوجد في الطريق الشيخ عبد القادر وهو شاب يومئذ، فحكى له ما قاله الشيخ حماد، فقال له: سافِر تذهب سالماً وترجع غانماً، والضمان عليّ في ذلك.

فسافر إلى الشام وباع بضاعته بألف دينار، ودخل يوماً إلى سقاية في حَلَب لقضاء حاجة الإنسان، ووضع ألف دينار على رف من السقاية، وخرج وتركها ناسياً، وأتى منزله فألقي عليه النعاس فنام، فرأى في منامه كأنه في قافلة قد خرجت عليها العرب، وانتهبوها وقتلوا من فيها وأتاه أحدهم فضربه بحربة فقتله، فانتبه فزعاً، ووجد أثر الدم في عُنُقه وأحس بالألم، وذكر الألف، فقام مسرعاً إلى السقاية فوجدها في مكانها سالمة.

ورجع إلى بغداد، فلما دخلها قال في نفسه: إن بدأت بالشيخ حماد فهو الأسن، والشيخ عبد القادر فهو الذي صح كلامه، فلقي الشيخ حماداً في أثنان ترديد الخاطر في سوق السلطان، فقال له: يا أبا المظفر ابدأ بعبد القادر فإنه محبوب، ولقد سأل الله فيك سبع عشرة مرة حتى جُعِل ما قُدّر عليك من القتل يقظة مناماً ومن الفقر عياناً نسياناً، وجاء إلى الشيخ عبد القادر فقال له ابتداءً: قال لك الشيخ حماد إنني سألت الله فيك سبع عشرة مرة، وعزة المعبود، لقد سألت الله تعالى فيك سبع عشرة وسبع عشرة مرة إلى تمام سبعين مرة حتى كان ما ذكره#.

ومن أقوال الشيخ عبد القادر المأثورة عنه -كما زعم مؤلف الكتاب-:

- $ما مر مسلم على باب مدرستي إلا خفف الله عنه العذاب يوم القيامة#.

- $أنا لكل من عثر مركوبه من جميع أصحابي ومريدي ومُحِبّي إلى يوم القيامة، آخذ بيده كلما عثر حياً أو ميتاً، فإن فرسي مُسرَج ورمحي منصوب وسيفي مشهور وقوسي موتور لحفظ مريدي وهو غافل#.

- $أنا نار الله الموقدة، أنا سلا ّب الأحوال، أنا بحر بلا ساحل، أنا المحفوظ، أنا الملحوظ#.

- $يا عزيز أنت واحد في السماء، وأنا واحد في الأرض#.

- $يقال لي بين الليل والنهار سبعين مرة: وأنا اخترتك لنفسي، ويقال

لي أيضاً سبعين مرة: ولتصنع على عيني، وعزة ربي إن السعداء والأشقياء يعرضون علي، ويوقفون لدي، وإن نور عيني في اللوح المحفوظ مقيم، أنا غائص في بحر علم القديم، وأنا حجة الله عليكم يوم العرض#.

- $أنا نائب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووارثه، يقال: يا عبد القادر تكلم يسمع منك، قال الشيخ عبد القادر: والله ما شربت حتى قيل لي: يا عبد القادر بحقي عليك اشرب، وما آكل حتى قيل لي: بحقي عليك كل، وأمّنتك من الردى#.

- $تجيء السنة تسلم علي وتخبرني بما يجري فيها، وكذا الشهر، وكذا الأسبوع، وكذا اليوم#.

- $إذا سألتم الله فاسألوا بي#.

وفي ختام كتابه، بعد أن توسل بالشيخ عبد القادر إلى الله، بدأ المؤلف بالاستغاثة بغير الله، حيث قال:

$يا أيتها الأرواح المقدسة، يا ختم، يا قطب، يا إمامان، ... كونوا عوناً لنا في نجاح الطلبات، وتيسير المرادات، ...#[1].

هذا بعض ما في كتاب $مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني# من انحرافات، وتنتشر في أوساط المجتمع الإندونيسي كتب أخرى في مناقب غيره من (الأولياء)؛ كمناقب بهاء الدين النقشبندي، ومناقب محمد بن عبد الكريم السمان، ومناقب أحمد التيجاني. وسأكتفي بالرد على ما في كتاب $مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني#؛ لكونه هو الأشهر، وأعرض عن رد ما في بقية كتب المناقب؛ لأن قراءتها غالباً تخص أتباع طريقة معينة من الطرق الصوفية[2]، والله المستعان...

(1) انظر نص هذه الاستغاثات كاملة في (ص 219-220).
(2) انظر: Kitab Kuning (الكتب الصفراء) (ص 169 -الحاشية).

المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

يحتوي هذا المطلب على فرعين: أولهما عن الغلو في مدح النبي ح، وا لآخر عن الغلو في مدح (الأولياء).

- الفرع الأول: موقف الإسلام من الغلو في مدح الرسول ح:

وجوب توقير النبي ح وتعظيمه ح والأدلة على ذلك[1]:

إن تعظيم النبي ح، وإجلاله، وتوقيره، شعبة عظيمة من شعب الإيمان، وهذه الشعبة غير شعبة المحبة[2] بل إن منـزلتها ورتبتها فوق منـزلة ورتبة المحبة. ذلك لأنه ليس كل مـ ُحـ ِب معظ ِّما ً؛ ألا ترى أن الوالد يحب ولده ولكن حبه إياه يدعوه إلى تكريمه ولا يدعوه إلى تعظيمه؟ والولد يحب والده فيجمع له بين التكريم والتعظيم. والسيد قد يحب مماليكه ولكنه لا يعظمهم، والمماليك يحبون ساداتهم ويعظمونهم؛ فعلمنا بذلك أن التعظيم رتبته فوق رتبة المحبة[3].

فمن حق النبي ح على أمته أن يـ ُهاب ويـ ُعظ ّم ويـ ُوقر ويـ ُجل ّ أكثر من كل ولد لوالده ومن كل عبد لسيده، فهذا حق من حقوقه الواجبة له، وهو ما أمر الله به في كتابه العزيز، قال سبحانه تعالى: ﭽﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ الفتح: ٩، وقال جل وعز: ﭽﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ الأعراف: ١٥٧.

فأبان تعالى أن حق الرسول ح في أمته أن يكون معزراً موقراً مهيباً، وأخبر سبحانه أن الفلاح إنما يكون لمن جمع بين الإيمان به وتعزيره، ولا خـ لاف في أن التعزير ها هنا التعظيم[4].

وفي الجمع الحاصل في الآيتين بين الإيمان به وتعظيمه، تنبيه وإرشاد إلى أن القيام بحقوقه ح يـ ُعد ّ من الإيمان الواجب الذي لا يتم إيمان العبد إلا به. قال الحليمي :: فمعلوم أن حق رسول الله ح أجل وأعظم وأكرم وألزم لنا وأوجب علينا من حقوق السادات على مماليكهم والآباء على أولادهم؛ لأن الله تعالى أنقذنا به من النار في الآخرة، وعصم به أرواحنا وأبداننا وأعراضنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا في العاجلة، فهدانا به كما إذا أطعناه فيه أدانا إلى جنات النعيم. فأية نعمة توازي هذه النعم، وأية منة تداني هذه المنن؟

---

(1) هذا المبحث منقول من حقوق النبي ح على أمته في ضوء الكتاب والسنة، للدكتور محمد بن خليفة التميمي (2/423-446) باختصار شديد.

(2) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (2/ 124). وكذلك الجامع لشعب الإيمان (95/3).

(3) المنهاج في شعب الإيمان (2/ 124).

(4) المرجع السابق (125/2) بتصرف.

ثم إنه جل ثناؤه ألزمنا طاعته، وتوعدنا على معصيته بالنار، ووعدنا باتباعه الجنة، فأي رتبة تضاهي هذه الرتبة، وأي درجة تساوي في العلى هذه الدرجة؟ فحق علينا أن نحبه ونجله ونعظمه ونهيبه أكثر من إجلال كل عبد سيده وكل ولد والده. وبمثل هذا نطق القرآن ووردت أوامر الله جل ثناؤه(1).

ففي القرآن الكريم آيات كثيرة جاء فيها التأكيد على هذا الحق من حقوقه ح، وبخاصة في جوانب معينة من جوانب تعظيمه ومن تلك الآيات ما يلي:

قال تعالى: ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛﭼ الأحزاب: 57-٥٨.

فالله تبارك وتعالى من تعظيمه لنبيه ح حـ ـَفـ ـِظ له كرامتـ ـه وصان له حقـ ـه، ففر ـّق بين أذاه وأذى المؤمنين، فأوجب على من آذى النبي ح اللعن والطرد من رحمته، وهذا حكم على من آذاه بالكفر، وفي الآخرة له العذاب المهين ومصيره إلى جهنم وبئس المصير. بينما حـ ـَكـ ـَم على من آذى المؤمنين بالبهتان والإثم، والفرق يين الحـ ـُكمين ناتج عن الفرق بين حق النبي ح وحق غيره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في استدلاله بهذه الآية على وجوب قتل من آذى النبي ح: $ودلالتها من وجوه:

أحدها: أنه قرن أذاه ح بأذاه كما قرن طاعته ح بطاعته ، فمن آذاه فقد آذى الله تعالى، وقد جاء ذلك منصوصا ً عنه، ومن آذى الله فهو كافر حلال الدم. يبين ذلك أن الله تعالى جعل محبة الله ورسوله، وإرضاء الله ورسوله، وطاعة الله ورسوله شيئا ً واحدا ً، فقال تعالى: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ [التوبة: ٢٤]، وقال تعالى: ﭽ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ [آل عمران: ١٣٢] وفي مواضع متعددة، وقال تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ [التوبة: ٦٢] فوحـ ـّد الضمير، وفي ذلك إشارة إلى أن إرضاء ـَ الله إرضاء ٌ للرسول ح، وإرضاء الرسول ح فيه إرضاء لله ، وقال أيضا ً: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭼ [الفتح: ١٠]، وقال أيضا ً: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭼ [الأنفال: ١].

وجعل شقاق الله ورسوله ح، ومحادة الله ورسوله ح، وأذى الله ورسوله ح، ومعصية الله ورسوله ح شيئا ً واحدا ً، فقال: ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ [الأنفال: ١٣]، وقال: ﭽ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﭼ [المجادلة: ٢٠]، وقال تعالى: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ [التوبة: ٦٣]، وقال: ﭽ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﭼ [النساء: ١٤].

وفي هذا وغيره بيان ٌ لتلازم الحقين، وأن جهة حرمة الله تعالى

---

(1) المنهاج في شعب الإيمان (1/124- 125) بتصرف يسير، والجامع لشعب الإيمان (3/95-96).

ورسوله ح جهة واحدة، فمن آذى الرسول ح فقد آذى اللّه ، ومن أطاعه ح فقد أطاع اللّه ، لأن الأمة لا يصلون ما بينهم وبين ربهم إلا بواسطة الرسول ح، ليس لأحد منهم طريق غيره، ولا سبب سواه وقد أقامه اللّه مقام نفسه في أمره ونهيه وإخباره وبيانه، فلا يجوز أن يـ ُفر ّق بين اللّه ورسوله ح في شيء من هذه الأمور.

وثانيها: أنه فر ّق بين أذى اللّه ورسوله ح وبين أذى المؤمنين و المؤمنات، فجعل على هذا أنه قد احتمل بهتانا ً وإثما ً مبينا ً وجعل على ذلك لعنته في الدنيا والآخرة وأعد له العذاب المهين، ومعلوم أن أذى المؤمنين قد يكون من كبائر الإثم وفيه الجلد، وليس فوق ذلك إلا الكفر و القتل.

الثالث: أنه ذكر أنه لعنهم في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا ً مهينا ً، واللعن: الإبعاد عن الرحمة، ومن طرده عن رحمته في الدنيا والآخرة لا يكون إلا كافرا ً، فإن المؤمن يقرب إليها بعض الأوقات ولا يكون مباح الدم، لأن حقن الدم رحمة عظيمة من اللّه، فلا تثبت في حقه...#[1].

تعظيم النبي ح محله القلب واللسان والجوارح[2]:

لقد خص اللّه رسوله ح بصفتين خص بهما أهل الصدق والإخلاص وهما الإجلال والمحبة، فقد ألقى عليه ح هيبة منه ومحبة، فكان كل من يراه ح يهابه ويجله ويملأ قلبه تعظيما ً وإجلالا ً، وإن كان عدوا ً له، فإذا خالطه وعاشره كان أحب إليه من كل مخلوق، فهو المجل المعظ ّم المحبوب المكرم، وهذا غاية كمال المحبة أن تقرن بالتعظيم والهيبة، فـ المحبة بلا تعظيم ولا هيبة ناقصة، والهيبة والتعظيم من غير محبة -كما يكون الظالم القادر- نقص أيضا ً، والكمال أن تجتمع المحبة والود و التعظيم والإجلال، وهذا لا يوجد إلا إذا كان في المحبوب صفات الكمال التي يستحق أن يـ ُعـ َظ ّم لأجلها ويـ ُحـ َب لأجلها[3].

ولقد جمع اللّه تعالى لنبينا ح من الصفات والخصائص ما لم يجمعه لبشر، وافترض على العباد طاعته وتعزيره وتوقيره ورعايته والقيام بحقوقه ، وامتثال ما قرره في مفهومه ومنطوقه، والصلاة عليه والتسليم ونشر شريعته بالعلم والتعليم، وجعل الطرق مسدودة عن جنته ، إلا من سلك طريقه ح واعترف بمحبته، وشرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره، فيا سعد من و ُفـ ِّق لذلك ويا

(1) الصارم المسلول (2/87-85).
(2) نقلا ً عن حقوق النبي ح على أمته في ضوء الكتاب والسنة (2/466-478) باختصار شديد وتصرف.
(3) جلاء الأفهام (ص 295-294) بتصرف.

ويح من قصر عن هذه المسالك(1).

وما هذه المحبة والمهابة التي جعلها الله لنبيه ح إلا تبع لمحبته سبحانه وإجلاله. ذلك لأن كل محبة وتعظيم للبشر إنما هي تبع لمحبة الله وتعظيمه، فمحبة الرسول وتعظيمه إنما هي من تمام محبة م ُرس ِله وتعظيمه، فأمته ح يحبونه لمحبة الله له، ويعظمونه ح ويبجلونه لإجلال الله له فهي من موجبات محبة الله وتعظيمه، ولهذا لم يكن بشر أحب إلى بشر ولا أهيب ولا أجل في صدره من رسول الله في صدر أصحابه رضي الله عنهم.

فإذا كان هذا شأن النبي ح، وهذه مكانته التي بوأه الله إياها، فحري بهذه الأمة أن تعرف له قدره وتعظم من شأنه، وذلك بموجب ما شرعه الله وأمر به، فذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به.

وهذا التعظيم والتوقير الواجب له ح على كل فرد من أفراد هذه الأمة ، محله القلب واللسان والجوارح.

أما **تعظيم القلب**: فهو ما يتبع اعتقاد كونه ح عبدا ً رسولا ً، من تقديم محبته على النفس والولد والوالد والناس أجمعين، والتي من لوازمها الإكثار من ذكره ح الذي هو سبب لدوام محبته ح وزيادتها وتضاعفها.

وكذلك فإن من تعظيم القلب استشعاره لهيبة النبي ح وجلالة قدره وعظيم شأنه، واستحضاره لمحاسنه ومكانته ومنـزلته، والمعاني الجالبة لحبه وإجلاله، وكل ما من شأنه أن يجعل القلب ذاكرا ً لحقه من التوقير و التعزير، ومعترفا ً به ومذعنا ً له.

فالقلب ملك الأعضاء وهي له جند وتبع، فمتى ما كان تعظيم النبي ح مستقرا ً في القلب مسطورا ً فيه على تعاقب الأحوال؛ فإن آثار ذلك ستظهر على الجوارح حتما ً لا محالة، وحينئذ سترى اللسان يجري بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه، وترى باقي الجوارح ممتثلة لما جاء به ومتبعة لشرعه وأوامره، ومؤدية لما له من الحق والتكريم.

أما **تعظيم اللسان**: فهو الثناء عليه ح بما هو أهله مما أثنى به عليه ربه وأثنى على نفسه من غير غلو ولا تقصير. ومن أعظم ذلك الصلاة والسلام عليه ح، فقد أمر الله عباده المؤمنين بأن يصلوا على النبي ح فقال تعالى: ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼالأحزاب: ٥٦. وهذا من تعظيمه ح وتوقيره. قال الحليمي: معنى الصلاة على النبي علما تعظيمه، فمعنى قولنا: $اللّهم صل على محمد# عظ ِّم محمدا ً، والمراد تعظيمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بإجزال مثوبته وتشفيعه في أمته وإبداء فضيلته بالمقام المحمود، وعلى هذا فالمراد بقوله

(1) القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع (ص 40-39).

تعالى: ﭽ ﭽ ﭽ أدعوا ربكم بالصلاة عليه[1].

فالصلاة منا عليه ح تتضمن ثناء المصلي عليه والإشارة بذكر شرفه وفضله[2] وإرادة من الله تعالى أن يعلي ذكره ويزيده تعظيما ً وتشريفا ً[3].

ومن تعظيم اللسان كذلك: أن نتأدب عند ذكره ح بألسنتنا، وذلك بأن نقرن ذكر اسمه بلفظ النبوة أو الرسالة مع الصلاة والسلام عليه ح. قال تعالى: ﭽ ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼالنور: ٦٣؛ فأمر سبحانه أن لا يدعى رسوله بما يدعو الناس بعضهم بعضا ً، بل يقال: يا رسول الله، يا نبي الله، ولا يقال يا محمد، وقد كان الصحابة لا يخاطبونه إلا بـ$يارسول الله، يا نبي الله#.

وإذا كان هذا في حياته فهكذا في مغيبه؛ لا ينبغي أن يجعل ذكره من جنس ما يذكر به غيره، بل ينبغي أن يقرن ذكره بالنبوة أو الرسالة وأن يدعى له بأشرف دعاء وهو الصلاة عليه ح[4].فهذا من التعظيم الواجب له ح، وفي الحديث: $ر َغ ِم َ أنف رجل[5] ذ ُك ِرت عنده فلم يصل عليّ#[6].

وجاء في حديث آخر: $البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ#[7].

ومن تعظيم اللسان: تعداد فضائله، وخصائصه، ومعجزاته، ودلائل نبوته، وتعريف الناس بسنته، وتعليمهم إياها، وتذكيرهم بمكانته ومنـزلته وحقوقه، وذكر صفاته وأخلاقه وخلاله، وما كان من أمر دعوته وسيرته

---

(1) المنهاج في شعب الإيمان (134/2) بتصرف يسير.
(2) جلاء الأفهام (ص 265).
(3) المرجع السابق.
(4) المرجع السابق (ص 267) بتصرف.
(5) رغم أنف: قال أهل اللغة: معناه ذلّ، وقيل: كَره وخُزي، وهو بفتح الغين وكسرها، وهو الرُغم بضم الراء وفتحها وكسرها، وأصله: لصق أنفه بالرغام، وهو تراب مختلط برمل، وقيل: الرُغم كل ما أصاب الأنف مما يؤذيه. شرح النووي على صحيح مسلم (324/16).
(6) رواه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب قول رسول الله ح $رغم أنف رجل# (ص 805 رقم 3545) وقال: $حسن غريب من هذا الوحه#، وقال الشيخ الألباني في تعليقه على كتاب إسماعيل القاضي $فضل الصلاة على النبي ح# (ص 35): $حديث صحيح بشواهده#.
(7) رواه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب قول رسول الله ح $رغم أنف رجل# (ص 805 رقم 3546) وقال: $حسن صحيح غريب#، وصححه ابن حبان كما في موارد الظمآن (20/8 رقم 2388)، وصحح إسناده الحاكم ووافقه الذهبي كما في المستدرك (549/1)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (458/3 رقم 3546).

وغزواته، والتمدح بذلك شعرا ً ونثرا ً، بشرط أن يكون ذلك في حدود ما أمر به الشارع الكريم، مع الابتعاد عن مظاهر الغلو والإطراء المحظور.

وأما **تعظيم الجوارح** له ح: فهو العمل بشريعته، والتأسي بسنته، والأخذ بأوامره ظاهرا ً وباطنا ً، والتمسك بها والحرص عليها، وتحكيم ما جاء به في الأمور كلها، والرضا بحكمه والتسليم له، والسعي في إظهار دينه، ونصر ما جاء به، وتبليغ رسالته للناس، ودعوتهم للإيمان به، والذب عن سنته، والدفاع عنها وتعلمها وتعليمها وخدمتها، والموالاة والمعاداة والحب و البغض لأجله، وجهاد من خالفه.

والاجتناب لما نهي عنه وزجر، والبعد عن معصيته ومخالفته والحذر من ذلك، والتوبة والاستغفار عما وقع فيه من الزلل والتقصير.

فالله سبحانه وتعالى هو الذي جعل لنبيه ح هذه المن-زلة في حياة المسلمين، فقد أوجب علينا طاعته وحرم علينا معصيته وجعله الآمر الناهي والسيد المطاع الذي لا يرد له أمر، ولا يخالف له رأي، فمن أطاعه فقد أطاع الله، فـ$طاعته ح من لوازم الإيمان به وتصديقه فيما جاء به من عند ربه؛ لأنه لا يأمر بشيء ولا ينهى عنه إلا بإذن ربه، كما قال تعالى: ﭽﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ النساء: ٦٤، ومعنى طاعته ح: امتثال أوامره واجتناب نواهيه.

قال الله تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ الأنفال: ٢٠، وقال تعالى: ﭽ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼ آل عمران: ١٣٢، وقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ النور: ٥٤، وقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ النساء: ٨٠، وقال تعالى: ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ النساء: ٦٩، وقال تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ النور: ٦٣، وقال تعالى: ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ الحشر: ٧#[1].

فهذه الآيات وغيرها تبين عظم أمر اتباع النبي ح في حياة المؤمنين، وأنه هو البرهان العملي على صدق الإيمان والمحبة والتعظيم لله تعالى ولنبيه ح، فالطاعة والاتباع هما سمة المؤمنين الصادقين وسبيلهم الدائم، ذلك لأن الإيمان $هو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ح علما ً، والتصديق به عقدا ً، والإقرار به نطقا ً، والانقياد له محبة وخضوعا ً، والعمل به ظاهرا ً وباطنا ً وتنفيذه والدعوة إليه حسب الإمكان. وكماله الحب في الله، والبغض في الله، والعطاء لله والمنع لله، وأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده. والطريق إليه تجريد متابعة رسول الله ح ظاهرا ً وباطنا ً، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى سوى الله ورسوله ح#[2].

---

(1) $النور المبين في محبة سيد المرسلين# لمحمد هاشم أشعري (إندونيسي) (ص 5-6).

(2) الفوائد لابن القيم (ص 196-197).

وبالجملة فإن التعظيم النافع هو تصديق النبي ح فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع[1].

نهي الرسول ح عن الغلو فيه[2]:

قد حذرنا الله تعالى من الغلو في الدين عموماً، في العقائد والأعمال و العبادات، فقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ النساء: ١٧١. فهذه الآية وإن كان سياقها في أهل الكتاب السابقين، إلا أن مدلولها ينطبق على هذه الأمة أيضاً، إذ نهينا أن نسلك مسالكهم ونتبع سبيلهم وأن نتشبه بهم. وقد أخبر الرسول ح أن هذه الأمة ستتبع سنن من سبقها من الأمم، فقال: $لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً#[3].

وقد حذر المصطفى ح من إطرائه والغلو في مدحه فقال في حديث عمر ط الطويل الذي رواه البخاري في صحيحه: $لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله#[4]، ومع هذا التحذير الواضح غلا فيه ح قوم، والذي ألجأهم إلى هذا الغلو $اعتقادهم أنه يُكفِّر عنهم سيئاتهم ويُدْخِلهم الجنة، وكلما غلوا كانوا أقرب إليه، فهم أعصى الناس لحقه#[5].

وقد أنكر ح على أصحابه المبالغة في المدح والثناء عليه خوفاً عليهم من مجاوزة الحد إلى المنهي عنه، وحماية لعقيدة التوحيد من أن يمسها دنس، واحتياطاً في الحفاظ عليها، حتى من الأمور التي قد لا تكون في الواقع شركاً أو بدعةً، روى عبد الله بن الشخير ط قال: $جاء رجل إلى النبي ح فقال: أنت سيد قريش، فقال النبي ح: السيد الله، قال: أنت أفضلها فيها قولا ً وأعظمها فيها طولا ً. فقال رسول الله ح: ليقل أحدكم بقوله ولا يستجره الشيطان#[6].

وروى أنس ط أن رجلا ً قال: يا محمد، يا سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله ح: $يا أيها الناس عليكم بتقواكم، لا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق من-زلتي التي أنزلني الله#[7].

فالنبي ح لما أكمل الله له مقام العبودية صار يكره أن يمدح، صيانةً

---

(1) انظر: الرد على الأخنائي (ص 18)، والأصول الثلاثة وأدلتها للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص 23) .
(2) انظر: الدعاء ومن-زلته (1/459-460)، و(ص 46-48) من هذه الرسالة.
(3) سبق تخريجه في (ص 318).
(4) سبق تخريجه في (ص 47).
(5) ¬البريلوية عقائد وتاريخ للشيخ إحسان إلهي ظهير (ص 143).
(6) سبق تخريجه في (ص 47).
(7) سبق تخريجه في (ص 47).

لهذا المقام، وأرشد أمته إلى ترك ذلك نصحاً لهم وحماية لمقام التوحيد أن يدخله ما يفسده أو يضعفه من الشرك ووسائله[1].

والمدائح النبوية $من الموضوعات المحبّبة إلى النفس، التي تحن إليها عاطفة المسلم، فليس ثمة مخلوق أحب إلى قلب المسلم من نبيه محمدٍ بن عبد الله ح.

بَيْد أن طريق $المدائح النبوية# طريق شائك، يحتاج إلى عقل تملكه العقيدة الصحيحة ... وإلى قلب يقبل ما يتلاءم مع ديننا، ويرفض ما لا يتلاءم معه. فهو قلب لا يتحرك إلا في إطار العقيدة الإسلامية الصحيحة. ومعروفٌ أنه ليس هناك مسلم موالٍ بيقين للإسلام إلا ويحب الرسول ح أكثر من نفسه وماله وولده. ولكن التعبير عن هذا الحب يجب أن يكون في إطار عبودية الرسول ح لربه ... وفي إطار العقيدة الإسلامية الصحيحة#[2].

(1) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص 631).
(2) من كلام الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي في تقديمه لكتاب $المدائح النبوية بين المعتدلين والغلاة# لمحمد بن سعد بن حسين (ص 5-9)، نقلا ً عن $القوادح العقدية في قصيدة البوصيري البردة# (ص 127-128).

موقف الإسلام من مظاهر الانحراف بالغلو في المدح:
إذا قيل لأصحاب الانحرافات -التي سبق ذكرها في المطلب الثاني-: لما فعلتم هذه الأمور، واجتهدتم فيها، وبذلتم الغالي والنفيس من أجلها؟ لقالوا جملة واحدة: تعظيماً للحبيب المصطفى ح وإجلالا ً ومحبة وتوقيراً له ورجاء ثواب الله والفوز بجنته والنجاة من عقابه! ولا أظن أن عندهم غير هذا الجواب.
فأقول مستعيناً بالله: التعظيم والتوقير الواجب للنبي ح هو من أمور الدين المشروعة بأدلة القرآن والسنة -وقد سبق ذكر شيئ منها قبل قليل-، وبذلك فلا يحق لكائن من كان أن يعظم النبي ح بأمر من عنده لم يشرعه الله في كتابه أو على لسان رسوله ح، أو ليس له أصل فيهما.
فالقاعدة الشرعية المبنية على قول النبي ح: $من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد#[1] تقول: إن أي أمر محدث في هذا الدين مما لم يشرعه النبي ح هو أمر مردود على فاعله كائنا ً من كان، وهو بدعة، وكل بدعة ضلالة. وهذه القاعدة الشرعية هي الميزان الذي يعرض عليه ما يقوم به الناس من أقوال وأفعال في هذا الجانب -أي جانب تعظيم الرسول ح- بل وفي كل جانب من جوانب الدين.
وإذا كانت العبادة هي الاسم الجامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأ عمال والأقوال الظاهرة والباطنة[2]، فمما لا شك فيه أن تعظيم النبي ح من الأمور التي يحبها الله، وقد ارتضاها لعباده حين أمرهم بذلك.
فإذا كان تعظيم النبي ح من الأمور التعبدية التي تعبـ ّد الله بها عباد َه، فالعبادات مبناها على الشرع والاتباع، لا على الهوى والابتداع، فالعبادة مبنية على أصلين هما:
الأصل الأول: إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له.
الأصل الثاني: أن نعبده بما شرعه على لسان رسوله ح، فلا نعبده بالأ هواء والبدع.
وقد سبق ذكر أدلة الكتاب والسنة على هذين الأصلين وكلام الأئمة عنهما[3].
وهذان الأصلان هما حقيقة قولنا $أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا ً عبده ورسوله#. وعلى هذا فإن الرسول ح هو المبلـ ّغ عن الله تعالى أمره ونهيه وتحليله، وتحريمه، فالحلال مما أحله، والحرام ما حرمه، و الدين ما شرعه، فليس لأحد كائنا ً من كان أن يشرع في هذا الدين بعد رسول الله ح.

---

(1) سبق تخريجه في (ص 392).
(2) راجع (ص 32-34).
(3) راجع (ص 392-394).

وقد قد ّمت لكلامي بهذه العبارات نظرا ً لما أحدثه الناس في هذا الجانب من شركيات وبدع تحت دعوى تعظيم قدر النبي ح، مما ليس له أصل في الدين وما أنزل الله به من سلطان.

ومن العجيب أن الشيطان أظهر لهم ذلك في صورة محبته ح وتعظيمه ومتابعته، وهذا شأن اللعين لابد وأن يمزج الحق بالباطل؛ ليروج على الجهلة الذين لم يستضيؤوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق.

ولقد كان حري بهؤلاء الذين ابتدعوا تلك الشركيات والبدع، وكذلك الذين أخذوا بها من بعدهم، أن يلتزموا بما ورد به أمر الشارع من أمور في جانب تعظيم قدر النبي ح وتوقيره، ففيها الغنية والنجاة، وبالتمسك بها و السير عليها يحصل الأجر العظيم بإذن الله تعالى.

فتعظيم النبي ح يجب أن يكون بما ثبت له، وأذن به، دون مجاوزة ذلك. يقول ابن حجر الهيتمي :: $يتعين على كل أحد أن لا يعظمه ح إلا بما أذن الله لأمته في جنسه مما يليق بالبشر، فإن مجاوزة ذلك تفضي إلى الكفر والعياذ بالله، بل مجاوزة الوارد من حيث هو ربما تؤدي إلى محذور؛ فليقتصر على الوارد...#[1].

وبعد، وقد اشتملت تلك الصلوات والمدائح النبوية على غلو وانحرافات متعددة ومتفاوتة؛ ما بين شرك ووسيلة إليه، أو بدعة، أو لفظ غامض فيه نفس صوفي، وغير ذلك، فإني أشير هنا -بإيجاز- إلى مواطن تلك الانحرافات مع بيان مناقضتها للأدلة الشرعية:

أ- أما الشركيات[2]، فمن أمثلتها:

- **دعاء الرسول ح والاستغاثة والاستعاذة به، كما في $الصلوات الواحدية#: $أدركني#، $ربّني#، $ليس لي يا سيدي سواكا * فإن ترد كنتُ شخصاً هالكا#، $أيها الغوث#، $خذ بيدي يا سيدي والأمة#، وكما في** مقدمة كتاب $مجموع الموالد#: $السلام عليك يا عون الغريب#، $نجّنا من هاويه#، وكما في $محل القيام#: $فأغثني وأجرني يا مجير من السعير#، $يا غياثي يا ملاذي في مهمات الأمور#، وكما في $مولد شرف الأ نام#: $تعلّق بأهل الهدى * وقل للعذول استرح#، $ألا يا نبي الهدى * أغث من بذكرك يصح#، $ألا يا نبي الهدى * أغث من بذكرك يلح#، $جُد علي

(1) الجوهر المنظم في زيارة قبر النبي ح وكرّم (ص 64) نقلا ً عن آراء ابن حجر الهيتيم الاعتقادية (ص 450).

(2) لن أقتصر هنا على ذكر الشركيات في توحيد العبادة -كما هو عنوان الرسالة- بل سأذكر أيضاً ما تحويه تلك الصلوات والمدائح من الشركيات في توحيد الربوبية؛ نصحاً للأمة في بيان شدة فساد وانحراف تلك الصلوات والمدائح، من ناحية، ولأن كثيراً من المسلمين لا يعرفون الفرق بين النوعين، من ناحية أخرى، والله تعالى أعلم.

فأتني قريب#، $حبيبي يا حبيبي يا طبيبي * حبيبي أنت قصدي ومرادي#، وكما في أبيات $قصيدة البردة#: $ما سامني الدهر ضيماً واستجرت به * إ لا ونلت جواراً منه لم يَضُم، ولا التمست غنى الدارين من يده * إلا استلمت الندى من خير مُستلِم#، $حاشاه أن يُحرِم الراجي مكارمَه * أو يرجع الجار منه غيرَ محترم#، $ومنذ ألزمت أفكاري مدائحهً * وجدته لخلاصي خير ملتزم#، $يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به * سواك عند حلول الحادث العَمَم#، $هو الحبيب الذي ترجى شفاعته * لكل هول من الأهوال مقتحم#
- وكل هذه الكلمات موجّهة لرسول الله ح!

والاستعاذة بالكعبة، كما في $مولد شرف الأنام# حيث ذكر قصة عبد المطلب الذي جاء بالنبي ح وهو صبي إلى الكعبة وأنشد: $أعيذه بالبيت ذي الأركان * حتى أرَاه بالغ البنيان#.

لقد توسعت في ذكر الأدلة على بطلان هذه الشركيات في مبحث الدعاء(1) مما يغني عن إعادتها هنا، ويكفي لنسف تلك الشركيات كلها، قولُ ربنا : ﭽ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج ﭼ الشورى: ٣١، وقوله تعالى آمراً نبيه ح أن يقول: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ الجن: 21-٢٣.

- التعبيد للرسول ح كما في $محل القيام#: $أنت للرسل ختام * أنت للمولى شكور، عبدك المسكين يرجو * فضلك الجمّ الغفير، فيك قد أحسنت ظني * يا بشير يا نذير#، وكما في $مولد شرف الأنام#: $وحمله جبريل على يديه وهو يقبّل بين عينيه، ويقول أنت حم، أنت يس، أنت طه، أنت ولي النفوس المؤمنات، أنت مولاها#.

وهذا شرك؛ لأنّ التعبيد يجب أن يكون لله سبحانه وتعالى وحده، إذ الخلق كلهم عبادُ الله كما قال تعالى: ﭽ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﭼ مريم: ٩٣، فكلُّ الخلق عباد الله المؤمن والكافر. بل حتى نبينا محمد ح قد وصفه الله في أشرف المقامات بالعبودية: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼ الإسراء: ١، وأمر نبيه ح أن يقول للناس بأنه بشر: ﭽ ﺑﻲ ﺑﺞ ﺑﺢ ﺑﺦ ﺑﻢ ﺑﻰ ﺑﻲ ﺗﺞ ﺗﺢ ﺗﺦ ﺗﻢ ﺗﻰ ﺗﻲ ﺛﺞ ﺛﻢ ﺛﻰ ﺛﻲ ﺟﺢ ﺟﻢ ﺣﺞ ﺣﻢ ﺧﺞ ﺧﺢ ﺧﻢ ﺳﺞ ﺳﺢ ﭼ الكهف: ١١٠، فكيف يسوغ تعبيد البشر للبشر، والرسول ح إنما جاء لإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد!؟

كما أن من أسماء الله تعالى: الولي والمولى، فهو ولي الذين آمنوا ومولاهم لا غير؛ قال سبحانه: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ البقرة: ٢٥٧، وقال: ﭽ ﺋﻰ ﺋﻲ ﺑﺞ ﺑﺢ ﺑﺦ ﺑﻢ ﺑﻰ ﺑﻲ ﺗﺞ ﺗﺢ ﺗﺦ ﺗﻢ ﭼ محمد: ١١.

(1) راجع (ص 206 وما بعدها).

- نسبة تفريج الكربات وقضاء الحوائج ونيل كل المرام والرغائب وحسن الختام للرسول ح، كما في $صلوات نارية#[1]، ومقدمة كتاب $مجموع الموالد#[2].

هذه كلها من خصائص الباري فنسبتها إلى غيره شرك أكبر؛ قال سبحانه: ﭽﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ النمل: ٦٢، وقال جل في علاه: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﭼالأنعام: 63-٦٤، وقال تعالى: ﭽ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﭼ النحل: ٥٣.

- نسبة شفاء الأبدان وعافيتها للرسول ح، كما في $صلوات طب القلوب#: $اللّهم صل على نبينا محمد؛ طب القلوب ودوائها، وعافية الأبدان وشفائها#، وكما في مقدمة كتاب $مجموع الموالد#: $كم شفا -أي الرسول ح- من مُسقِمٍ#.

وهذا يناقض قول الباري سبحانه: ﭽ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﭼالشعراء: ٨٠، و النبي نفسه كان من أدعيته: $اللّهم رب الناس مذهب البأس اشف أنت الشافي لا شافي إلا أنت، شفاء لا يغادر سقماً#[3].

- نسبة محو الذنوب للرسول ح كما في مقدمة كتاب $مجموع الموالد#: $السلام عليك يا ماحي الذنوب#، $من به حُلَت عُرى كلُّ عبد مذنبٍ#، وكما يشير إلى ذلك ما جاء في كتاب $مولد شرف الأنام#: $فجد يا رسول الله منك برحمة * لعبد أسير بالذنوب يُقبِل#.

هذه الألفاظ تبارز قول رب الأرض والسماوات: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼآل عمران: ١٣٥، يقول الحافظ ابن كثير :: $أي لا يغفرها أحد سواه#[4]. فكيف ينسب مغفرة الذنوب للنبي ح وهو ح نفسه قد أمره الله بأن يستغفره من ذنبه، قال تعالى: ﭽ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﭼ محمد: ١٩، وقال: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ غافر: ٥٥، كما أن من أدعية الرسول الكريم ح: $اللّهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت#[5].

---

(1) انظر: (ص 519).
(2) انظر: (ص 522).
(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب رقية النبي ح (206/10 رقم 5742 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض (1721/4 رقم 2191) من حديث عائشة رضي الله عنها، واللفظ للبخاري.
(4) تفسير ابن كثير (125/2).
(5) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام (317/2 رقم 834 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر (2078/4 رقم 2705) من حديث أبي بكر رضي

- نسبة علم الغيب وما في اللوح المحفوظ للرسول ح، كما في $البردة#: $فإن من جودك الدنيا وضرتها * ومن علومك علم اللوح والقلم#، وكما يشير إلى ذلك ما جاء في مقدمة كتاب $مجموع الموالد#: $السلام عليك يا بحر الذخائر#.

هذه النسبة تناقض قول الله تبارك وتعالى: ﭽ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﭼ الأنعام: ٥٩، وقوله سبحانه: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ النمل: ٦٥، وقوله تعالى على لسان نبيه ح: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ الأعراف: ١٨٨.

يقول الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري -وهو من القوم الذين فيهم إنصاف- معلقاً على البيت $فإن من جودك الدنيا وضرتها * ومن علومك علم اللوح والقلم#: $ففي هذه الدعوى مبالغة ليس عليها دليل، وقد أصلحت هذا البيت بقولي:

فإن جودك في الدنيا وضرتها   وفي كتابك علم اللوح و القلم#(1)

- إحياء عقيدة وحدة الوجود، كما في $الصلوات الواحدية#: $نسألك اللهم بحقه أن تغرقنا في لجة بحر الوحدة؛ حتى لا نرى، ولا نسمع، ولا نجد، ولا نحس، ولا نتحرك، ولا نسكن، إلا بها#.

الاعتقاد بوحدة الوجود، هو: الاعتقاد بأنه لا موجود في هذا الكون إلا الله، وما هذه الأشياء التي نراها بأعيننا إلا مظاهر ومجالي لله ، وهذا الاعتقاد مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة القائل بأن الله مستو على عرشه بائن من خلقه، لا يشبهه شيء من مخلوقاته، متصف بصفات الكمال ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼ الشورى: ١١، وقد كفّر الله تعالى النصارى الذين قالوا: إن الله اتحد بعيسى ؛ فقال سبحانه: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ المائدة: ١٧، 72، فكيف بمن يقول إن الله متحد مع جميع مخلوقاته؛ فهو أولى بأن يكون كافراً لأنه يعتقد أن الله متحد بجميع هذا الكون.

فهذا الاعتقاد وحده يكفي في إخراج العبد عن ملة الإسلام، فكيف إذا أضيفت إليه المخالفات العظيمة التي تلزم عنه، ومن ذلك:

1. تجويز عبادة كل شيء موجود في هذا الكون؛ لأن كل ما في هذا الكون يعتبر مجالي ومظاهر لله .
2. الاعتقاد بأن كل الذين يعبدون غير الله -من الأوثان والأصنام والأحجار والأشجار والحيوان وغيرها- مؤمنون حقاً؛ لأن الكل يعتبر

الله عنه.

(1) ملحق عن قصيدة البردة لعبد الله بن الصديق الغماري (ص 77) بذيل كتاب البوصيري مادح الرسول ح لعبد العال الحمامصي نقلاً عن القوادح العقدية في قصيدة البوصيري.

عابداً لله؛ إذ كل ما في هذا الكون مجالي ومظاهر لله ، وكل فيه جزء من الألوهية، فإذا عبدت أي شيء مما يوجد في هذا الكون فكأنما عبدت الله.

3. القول بوحدة الأديان؛ فإذا عبد الإنسان أي نوع من هذه الأنواع الموجودة في هذا الكون، فعبادته صحيحة؛ لأنه عبد الله في إحدى صوره[1].

- دعوى أن الكون خلق من أجل النبي ح، فهو ح -عندهم- هو المقصود من الخلق، كما في كتاب $مولد شرف الأنام#: $لولاه ما خلق الله ملكاً، ولا أدار فلكاً، ولا أطلع بدراً#، $هذا النبي الذي لولا جلالته * لم يُخلق الخلق لا جناً ولا بشراً#، وكما في $قصيدة البردة#: $وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من * لولاه لم تخرج الدنيا من العدم#.

هذه الدعوى تعارض النصوص الشرعية الدالة على أن المقصود من الخلق ابتلاؤهم بالعبادة، كقوله تعالى: ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ الذاريات: ٥٦، وقوله سبحانه: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ الملك: ٢ ، وقوله : ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﭼ هود: ٧. فصرح جل وعلا في هذه الآيات المذكورة بأن حكمة خلقه للخلق هي اختبارهم وابتلا ؤهم ليجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، فهذه هي الحكمة من خلقهم أولا ً وبعثهم ثانيًا[2].

والنصوص من الكتاب والسنة كلها تؤكد هذا الأمر وتدل عليه، وفي الوقت نفسه تبطل ما زعمه الغلاة من أن خلق الخلق كان من أجل محمد ح.

- الزعم بأن من ينصره رسول الله ح فإنه لن يُغلب عليه، كما يشير إلى ذلك ما جاء في بعض أبيات $قصيدة البردة#: $ومن تكن برسول الله نصرته * إن تلقه الأ ُسْد في آجامها تجِم، ولن ترى من وليّ غير منتصر * به ولا من عدو غير مُنقصِم#.

كيف يسوغ لقائل أن يتلفظ بمثل هذا الكلام وهو يقرأ في كتاب الله تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ آل عمران: ١٢٦، فالذي لا يُغلب هو الله تعالى، وهو القائل جل في علاه: ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ آل عمران: ١٦٠، وهذه الآية خطاب للرسول ح وللمؤمنين، وقد جاءت في سياق الكلام على غزوة أحد التي انهزم فيها المسلمون -وفيهم نبيهم ح-!

---

(1) مختصر من كتاب: مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (284/1-285، 268-284). وللتوسع في معرفة عقيدة الصوفية في وحدة الوجود مع الرد عليها، راجع: عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية للدكتور أحمد بن عبد العزيز القصير.

(2) انظر: أضواء البيان (399/6).

قال أبو عبد الله القرطبي : في تفسير هذه الآية ﭽﭽ ﭿ ﮀ ﮁﭼ: $أي عليه توكلوا؛ فإنه إن يعنكم ويمنعكم من عدوكم لن تغلبوا، ﭽﯾ ﺗ ﭼ يترككم من معونته، ﭽﺗ ﺛ ﺛ ﭬ ﮊﭼ أي لا ينصركم أحد من بعده، أي من بعد خذلانه إياكم؛ لأنه قال: ﭽﯾ ﺗﭼ والخذلان ترك العون، والمخذول: المتروك لا يعبأ به#[1].

يظهر مما سبق أن المخالفين قد نازعوا الله في أسمائه وصفاته؛ حيث وصفوا النبي ح بكثير من الأوصاف والأسماء التي لا تليق إلا بالله سبحانه،، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً!

ب- أما ما حوته تلك الصلوات والمدائح النبوية من الغلو الذي يكون من جنس وسائل الشرك والبدع، فمن أمثلته:

- التوسل البدعي، كالتوسل بذات النبي ح أو حرمته، وهذا كثير في تلك الصلوات وفي تلك المدائح النبوية، ومن أمثلتها: نص $صلوات المُنْجِيَات#: $اللّهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تنجنا بها من جميع الأهوال والآفات، وتقضي لنا بها جميع الحاجات، وتطهرنا بها من جميع السيئات، وترفعنا بها أعلى الدرجات، وتبلغنا بها أقصى الغايات، من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات#، على رواية $تنجنا به# بدل $تنجنا بها#. فاللفظ الثاني -أعني: $تنجنا به#- هو موضع الشاهد؛ لأنه توسل بذات النبي ح، وأما اللفظ الأول -أعني: $تنجنا بها#- فهذا له وجه من الشرع؛ لأنه توسل بالعمل الصالح، الذي هو: الصلاة والسلام على النبي ح، والله تعالى أعلم.

وما في $الصلوات الواحدية#: $نسألك اللهم بحقه أن تغرقنا في لجة بحر الوحدة؛ حتى لا نرى، ولا نسمع، ولا نجد، ولا نحس، ولا نتحرك، ولا نسكن، إلا بها#.

وما في $مولد شرف الأنام#: $يا إلهي بأحمد هب بنصره لنا المراد، يا إلهي بأحمد أسقنا الغيث في البلاد، يا إلهي بأحمد رحمتَك تكرِم العباد#[2].

وما جاء في $مولد الديبعي#: $اللّهم بحرمة هذا النبي الكريم وآله وأصحابه السالكين على منهجه القويم، اجعلنا من خير أمته ...#[3].

وما جاء في $مولد البرزنجي#: $ونتوسل إليك بشرف الذات المحمدية ... أن توفقنا في الأقوال والأعمال ولإخلاص النية ...#[4].

وما جاء في $سمط الدرر#: $يا رسول الله أهلا ً بك، إنا بك نسعد، وبجاهه يا إلهي جُد وبلغ كل مقصَد، واهدنا نهج سبيله كي به نُسعَد ونُرشَد.

---

(1) تفسير القرطبي (386/5).

(2) وانظر الأمثلة الأخرى في (ص 524).

(3) وانظر الأمثلة الأخرى في (ص 526-527).

(4) وانظر نص التوسل كاملاً ً في (ص 529).

رب بلغنا بِجاهه في جواره خير مَقعَد#.

ولقد أطلت الكلام في بيان بدعية هذا النوع من التوسل ورددت الشبهات التي أثيرت حوله في مبحث التوسل[1].

- طلب الشفاعة الأخروية من الرسول ح بعد وفاته، كما في $مولد شرف الأنام#: $اشفع إلي الله يا محمد * يوم القيامة كي أنعَم، أرجو الشفاعة من محمد * لو كنتُ أرتكب المحرّم، منجا وملجؤنا محمدٌ * يوم الهوان به تحشّم#. وقد فصلت القول في بيان نكارة هذا الفعل في مبحث الشفاعة[2].

- زعم جواز التبرك بتربة قبر النبي ح، كما في بعض أبيات $قصيدة البردة#: $لا طيب يعدل ترْباً ضمّ أعظمَه * طوبى لمنتشق منه ملتثم#.

وهذا زعم لا دليل عليه من الكتاب أو السنة الثابتة ولا ثقل فِعلُه بسند ثابت[3] عن أحد من صحابة رسول الله ح ولا التابعين، بل نقل عنهم النهي عن ذلك؛ فعن أنس بن مالك ط أنه رأى رجلا ً وضع يده على قبر النبي ح فنهاه، وقال: $ما كنا نعرف هذا على عهد رسول الله ح#[4]. وسئل سفيان بن عيينة :: هل كان أحد يتمسح بالقبر؟ فقال: $لا، ولا يلتزم القبر ولكن يدنو#[5].

ولذلك فقد حذر منه جماعة من أهل العلم كأبي حامد الغزالي[6]، و الحليمي[7]، والقاضي عياض[8]، وابن قدامة[9]، وابن الحاج[10]، و

---

(1) راجع (ص 381 وما بعدها).

(2) راجع (ص 494 وما بعدها).

(3) احترزت بقولي $بسند ثابت# مما روي عن بعض السلف في هذا الشيء ولكنه غير ثابت عنهم، وانظر بعض تلك الآثار الضعيفة مع بيان علل ضعفها في: $المباحث العقدية المتعلقة بقبر النبي ح# (ص 493-501).

(4) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ح لنور الدين السمهودي (105/5).

(5) الرد على الأخنائي (ص171).

(6) انظر: الإحياء (254/1).

(7) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (457/2).

(8) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ح (88/2).

(9) انظر: المغني (441/3). وابن قدامة هو: عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي موفق الدين أبو محمد (541-620 هـ)، أحد كبار الحنابلة في عصره، كان إماماً في الفقه والأصول والفرائض، له مصنفات جليلة منها: المغني، والكافي، وروضة الناظر. انظر: السير (165/22)، وشذرات الذهب (88/5-92).

(10) انظر: المدخل (189/1). وابن الحاج هو: أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي (ت 737 هـ)، له تواليف، من أشهرها: المدخل. انظر: الديباج المذهب (321/2-322)، والدرر الكامنة (237/4)، وشجرة النور الزكية (ص 218).

السيوطي[1]، وغيرهم كثير[2]، بل ونقل بعض العلماء -كالنووي[3]، وابن تيمية[4]، وابن حجر الهيتمي[5]، وعبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ[6]- الإجماعَ على النهي عن ذلك. وسيأتي نقل كلام هؤلاء الأئمة في مبحث التبرك بإذن الله تعالى[7].

- دعوى أن من زار حجرة الرسول ح فإنه سينال ما تمناه، كما في $مولد شرف الأنام#: $هذا النبي الذي من زار حجرته * نال الهنا والمُنا و السؤْل والوَطَرا#.

هذه الدعوى مما لا يدل الدليل من الكتاب والسنة عليها، ولكن هذا التقرير لا يعني النهي عن زيارة قبر النبي ح بدون شد رحل؛ لأن العلماء لم يختلفوا في جوازها، إن كانت الزيارة شرعية خالية من البدع، بل وعدّ بعض أهل العلم زيارة القبر النبوي مستحبة ومن أفضل الأعمال في جنس الزيارة، كما هو قول جمهور العلماء من أهل المذاهب وغيرهم، وهو الحق و الصواب[8]. ولكن الكلام هنا عن الفضيلة التي زعمها صاحب $مولد شرف ا لأنام# ولا دليل عليها.

- زعم جواز مدح الرسول ح وتعظيمه ووصفه بأي شيء كان إلا في شيء واحد: وهو ما قاله النصارى في عيسى ؛ بأنه ابن الله، كما في بعض أبيات $قصيدة البردة#: $دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم * بما شئت مدحاً فيه واحتكم، فانسب إلى ذاته ما شئت من شرف واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم، فإن فضل رسول الله ليس له أحيى اسمه حين

(1) انظر: الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع (ص 118).

(2) كعز الدين ابن جماعة كما في هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك (1390/3-1391)،وابن عساكر كما في (105/5-106)، والسمهودي كما في المرجع السابق (105/5)، وأبي موسى المديني كما في المجموع للنووي (286/7-287).

(3) انظر: المجموع (275/8)، والإيضاح في المناسك (ص 457).

(4) انظر: مجموع الفتاوى (79/27)، ومنسكه (ص 93).

(5) انظر: حاشية ابن حجر الهيتمي على شرح الإيضاح في مناسك الحج (ص 502).

(6) انظر: عيون الرسائل (314/1).

(7) انظر ما سيأتي (ص 938 وما بعدها).

(8) انظر: الشفا (83/2)، وشرح صحيح البخاري لابن بطال (270/3)، ومنسك شيخ الإسلام ابن تيمية (ص 92)، والصارم المنكي (ص 55-56)، والكافية الشافية (822/2)، والصلات والبشر في الصلاة على خير البشر للفيروزآبادي (ص 150)، وعون الباري لحل أدلة البخاري، لصديق حسن خان (231/2)، والمَسْوَى شرح الموطا لولي الله الدهلوي (411/1)، وفتاوى اللجنة الدائمة (284/1)، والشرح الممتع على زاد المستقنع للشيخ ابن عثيمين (404/7-405)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (667/5).

يُدعى دارسَ الرّمَم#.

وهذا غلط فاحش[1]؛ إذ الكفر والشرك ليس منحصراً في ادعاء البنوة لله تعالى فقط، فنسبة الولد إلى الله كفر مستقل، لكنها ليست كل الكفر، بل هناك أنواع وألوان أخرى للكفر غيره، وما سبق ذكره مما تحتويه المدائح النبوية من أنواع الكفر والشرك خير شاهد على ما قررنا. فلعل هذه الشبهة - أعني اعتقاد جواز نسبة كل شيء للنبي ح عدا نسبة بنوة النبي ح لله - هي التي أوقعت هؤلاء المخالفين في عظائم الشرك ورزايا الكفر، فإلى الله المشتكى.

- **القول بأن جميع الأنبياء لإ فاضت عليهم العلوم من الرسول ح**، كما يشير إلى ذلك ما في أحد أبيات $قصيدة البردة#: $وكل آي أتى الرُسْل الكرام بها * فإنما اتصلت من نوره بهم#.

وهذا زعم لا دليل عليه ثابت، بل الرسل لإ نزلت عليهم العلوم من الله وحياً كما نزلت على الرسول محمد ح، ومما يدل على هذا قول الله تبارك وتعالى: ﭽﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢﭣ ﭼ النساء: ١٦٣، فهذه الآية نص قاطع في أن جميع الرسل نزل عليهم الوحي من الله، ولم تفض عليهم العلوم من نور الرسول ح كما يزعمون.

وقد أخبرنا الله تعالى في كتابه أن رسولنا محمداً ح ما كان يعرف الكتاب ولا الإيمان قبل أن يوحى إليه، فكيف أخذ الرسل منه العلوم التي أوحيت إليهم؟ وفي هذا يقول ربنا جل وعلا: ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ الشورى: ٥٢[2].

- **بدعة القول بالنور المحمدي**، وهو القول بأن النبي ح خلق من نور، كما في $مولد شرف الأنام#: $رُوِي عن النبي ح أنه قال: كنت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام#، $قيل: لما أراد الله عز وجل ظهور خير خلقه محمد ح، أمر جبريل أن يقبض طينته من مكان قبره الكريم، فقبضها ثم طاف بها جنات النعيم، وغمسها في أنهار التسنيم، وأقبل بها بين يدي الله العلي العظيم، ولها عرق يسيل، فخلق الله من ذلك العرق نور كل نبي جليل؛ فجميع الأنبياء خُلقوا من نور محمد ح#، وكما في $مولد العزب#: $سبق العوالمَ في الوجود بأسرها * فالكل منه في الحقيقة مُبتدا#، وكما في $مولد الديبعي#: $لا إله إلا الله فسبحانه تعالى مِـنْ ملك أوجد نورَ نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم مِن نوره قبل أن يخلق آدم من

(1) استفدت في بعض رد هذه الشبهة من شرح الشيخ صالح آل الشيخ لكتاب كشف الشبهات، وهو مفرغ في برنامج $المكتبة الشاملة# الرقمية.

(2) استفدت في رد هذا الزعم مما كتبه الأخ إدريس محمود إدريس في كتابه $مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية# (147-148/1).

الطين اللازب#.

وهذا قول باطل من وجوه[1]:

1. أن القول بذلك ينافي بشرية نبينا محمد ح، فإن البشر مخلوقون من التراب لا من النور، قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ الروم: ٢٠، وقال ح: $خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم#[2].

فهذا خبر عام في جميع البشر، فتخصيص نبينا محمد ح بأنه خلق من نور يحتاج إلى مخصص،

(1) مستفادة من كتاب $آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية# (ص 456-458).

(2) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة (2294/4 رقم 2996) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ولا مخصص(1).

2. أن القول بذلك يفضي إلى بعض العقائد الفاسدة؛ كاعتقاد أن النبي ح مخلوق من نور الله تعالى، وأن العالم كله خلق من نوره، وأنه أول المخلوقات، وأن خلقه متقدم على العرش والقلم، كما سيظهر هذا جلياً في المقتطفات التي أنقلها قريباً من كتب الموالد والمدائح النبوية.

3. أن القول بذلك مأخوذ من بعض الفلسفات القديمة كالهندوكية و النصرانية، والنظريات الفاسدة(2).

4. أن ما استدل به القائلون بذلك لايصح، بل كثير منه ليس له أزمة و لا خطام(3). يقول ابن القيم :: $ويروون في ذلك أحاديث وكلها كذب#(4).

- القول بأن نبينا محمد ح هو أول الكائنات خلقاً وأن جميع الأنبياء بل وجميع الكائنات إنما خلقوا منه ح، كما في "مولد شرف الأنام": $... فجميع الأنبياء خُلقوا من نور محمد صلى الله عليه وسلم#، وكما في $مولد العزب#: $سبق العوالمَ في الوجود بأسرها * فالكل منه في الحقيقة مُبتدا#، وكما جاءت الإشارة إليه في $مولد البرزنجي#: $وأصلي وأسلم على النور الموصوف بالتقدم والأولية#، $اللّهم صل وسلم على أول قابل للتجلي من الحقيقة الكلية#.

وهذا القول باطل؛ لأن النصوص الشرعية وإن اختلفت في تحديد أول ما خلق الله من الكائنات، إلا أنه لم يصح في شيء منها أن أول المخلوقات نبينا محمد ح أو نوره.

ثم إن القول بأن الأشياء خلقت منه مخالف لنصوص الشرع؛ فقد أخبرنا الله عن أصل ما خلق منه الإنسان والجن، فقال تعالى: ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ الرحمن: 14-١٥، ولم يقل الله ولا رسوله ح أن الكون خلق من نوره ح.

- الدعوة إلى الاحتفال بالمولد النبوي بل وإلى إيجابه وتكراره في كل حين!، كما في $مولد الديبعي#: $ولو أنا عملنا كل حين * (لأحمد) مولداً قد كان واجب#.

لمْ يُنقل عن النبي ح ولا عن أحد من القرون الثلاثة التي شهد النبي ح

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى (11/94-95)، وفتاوى اللجنة الدائمة (1/307-310)، ومجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين (1/333-334).

(2) انظر: الجواب الصحيح (3/384)، والكشف عن حقيقة الصوفية (ص 280).

(3) لمعرفة تلك الأحاديث مع بيان عللها، راجع: النور المحمدي بين هدي الكتاب المبين وغلو الغالين، لعدّاب محمود الحمش (ص 30-61).

(4) الجواب الصحيح (3/384). وللرد على من زعم أن في $مصنف عبد الرزاق# حديثاً صحيحاً يدل على النور المحمدي راجع: $مجموع في كشف حقيقة الجزء المفقود (المزعوم) من مصنف عبد الرزاق# لمحمد زياد ابن عمر التكلة.

بخيريتها فعلُ الاحتفال بالمولد النبوي، وقد اعترف بهذا الأمر حتى الذين يرون مشروعية الاحتفال[1]، فهذا وحده كاف لعد هذا العمل من البدع المحدثة إذ $لو كان خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف رضي اللّه عنهم أحق به منا؛ فإنهم كانوا أشد محبة لرسول اللّه ح وتعظيماً له منا، وهم على الخير أحرص#[2]، فكيف إذا انضاف إلى ذلك كون أول من ابتدعه رجل باطني مظهر للرفض ومبطن للكفر المحض، وهو المعز لدين اللّه الفاطمي[3]، كما صرح بذلك غير واحد من المؤرخين[4]، لاسيما وأن واقع هذا الاحتفال يتضمن كثيراً من الأعمال المنكرة والقبائح المحرمة، ومنها: إنشاد الأشعار و القصائد المتضمنة للشرك باللّه -وقد مر ذكر بعضها قريباً-، ودعوى حضور النبي ح، وإضاعة الصلوات، والغناء، والطرب، والضرب بالدفوف وغيرها من آلات الطرب، والرقص، واختلاط الرجال بالنساء، وإضاعة الأموال وتبذيرها، وصرفها في غير وجوهها المشروعة[5]، وإلى اللّه المشتكى.

- **زعمهم حضور روح النبي ح في احتفالهم بمولده ح**، وقد جاءت الإ شارة إلى ذلك في أواخر أبيات $سمط الدرر#: $يا رسول اللّه أهلا ً بك، إنا بك نسعد#.

إن إثبات مثل هذا الأمر يحتاج إلى دليل من الكتاب أو السنة، ولا دليل على ذلك، وأما التخرص واتباع الظن فليس بدليل، لقول اللّه تعالى: ﭽﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏﮐ ﭼيونس: ٣٦.

(1) انظر: الأجوبة المرضية (1116/3)، وحسن المقصد في عمل المولد كما في الحاوي للفتاوى للسيوطي (189/1)، وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (439/1)، واقتضاء الصراط المستقيم (123/2)، والمورد في عمل المولد للفاكهاني (ص 8)، وتنبيه الغافلين (ص 499)، والمدخل لابن الحاج (229/1)، و المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب للونشريسي (7/99-100)، والسنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات للشقيري (ص 123).

(2) اقتضاء الصراط المستقيم (123/2).

(3) هو: المعز مَعَدُ بن إسماعيل بن سعيد بن عبد اللّه أبو تميم العبيدي الرافضي (319-365)، تولى الخلافة بعد أبيه المنصور سنة 341 هـ بالمنصورية بالمغرب، استولى على مصر واستوطن القاهرة سنة 362 هـ. انظر: السير (15/159-167)، ووفيات الأعيان (5/224-228).

(4) الخطط للمقريزي (490/1)، والمورد في عمل المولد (ص 9)، وصبح الأعشى للقلقشندي الشافعي (502/3)، وتاريخ الاحتفال بالمولد النبوي لحسن السندوبي (ص 62)، وأحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة لمحمد بخيث المطيعي (ص 59)، والقول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل ح للشيخ إسماعيل الأ نصاري (ص 64)، ونفح الأزهار في مولد المختار لعلي الجندي (ص 190-191).

(5) انظر: تنبيه الغافلين (ص 499).

والعاقل ين-زه نفسه عن الإصغاء إلى هذه الشطحات والدعاوي الباطلة ، وقد قال الله تعالى: ﭽﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼالزمر: ٤٢. فالأنفس المرسلة هي أنفس الأحياء، وهي التي تجول مع أصحابها فيما شاءوا من الأرض، وأما الأنفس التي قد أمسكها الله تعالى -وهي أنفس الموتى- فلا يعلم بحالها إلا الله تعالى. ومن زعم أنها أو بعضها يجول ويسبح في ملكوت الله ويحضر الموالد؛ فقد تكلف ما لا علم له به، وقد قال الله تعالى: ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﭼ الإسراء: ٣٦[1].

ولكن الجهل بالشريعة وقواعدها وحدودها هو الذي أدى بهؤلاء إلى مثل هذه الخزعبلات، فإن تلك الموالد لا تعدو كونها مبتدَعة في الدين ما أنزل الله بها من سلطان، فلو كان الرسول ح حاضراً بين أظهرهم، لكان ح أولَ من يزجر هؤلاء عن إقامتها ويؤدب المصرين عليها، ولكن الجهل الفاضح وخلو الديار من سلطان قائم بنصرة السنة وقمع البدعة، هي التي أدت بهؤلاء إلى الاستهزاء بالنبي ح بأن جعلوه في مقدمة من يحضر تلك البدع والمنكرات، ولا حول ولا قوة إلا ب‍الله![2].

ولم يكتف المخالفون بزعم حضور المصطفى ح، بل غلا بعضهم فقال:

$هذا الحبيب مع الأحباب قد حضرا * وسامح الكل فيما قد مضى وجرى#[3].

هذا البيت متضمن للشرك الأكبر، لأنه لا أحد يسامح فيما مضى وجرى إلا الله سبحانه، وقد تقدم ذكر الأدلة على ذلك[4].

- **زعم استحسان قيام الناس عند ذكر مولد النبي ح، كما في $مولد البرزنجي#:** $هذا، وقد استَحسن القيامَ عند ذكر مولده الشريف أئمةٌ ذوو رواية وروية، فطوبى لمن كان تعظيمه صلى الله عليه وسلم غايةَ مرامه ومرماه#.

والجواب: الحسن هو ما حسنه الشرع لا العقول القاصرة ولا الأهواء المضلة، وليس لدينا دليل يدل على استحسان القيام عند ذكر المولد، بل ولا دليل يدل على الاحتفال بالمولد النبوي كما تقدم.

هذا، وقد ورد ما يدل على كراهية القيام للنبي ح حال حياته، يقول

---

(1) الرد القوي على الرفاعي والمجهول وابن علوي وبيان أخطائهم في المولد النبوي، للشيخ حمود بن عبد الله بن حمود التويجري (ص 210-211).
(2) تقديس الأشخاص (23/2).
(3) من الأبيات التي أنشدها حسن البنا عند حضوره المولد، كما نقله عنه أخوه عبد الرحمن البنا. انظر: حسن البنا بأقلام تلامذته ومعاصريه، لجابر رزق (ص 72).
(4) انظر: (ص 546-547).

أنس بن مالك ط: $لم يكن شخص أحبّ إليهم من رسول الله ح، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا؛ لما يعلمون من كراهته لذلك#[1].

$وإذا كان النبي ح قد كره القيام له، ونهى عنه، وأخبر أنه من فعل الأ عاجم، فكيف بالقيام عند ذكر ولادته وخروجه من الدنيا؟ فهذا أولى بالنهي لجمعه بين البدعة والتشبه بالأعاجم#[2].

أما قول مؤلف $مولد البرزنجي# في نهاية كلامه $فطوبى لمن كان تعظيمه ح غايةَ مرامه ومرماه#، فأقول جواباً عنه: وجوب تعظيم النبي ح مما لا خلاف فيه، وإنما الكلام على كيفية التعظيم، إذ تعظيم النبي ح عبادة مشروعة فلابد لقبولها عند الله من توفر شرطي الإخلاص والمتابعة، كما سبق بيانه في مطلع هذا المطلب. فطوبى لمن كان تعظيمه للنبي ح موافقاً لهديه ح!

يقول العلامة الحفار :: $إن النبي ح لا يعظّم إلا بالوجه الذي شرع به تعظيمه، وتعظيمه من أعظم القرب إلى الله تعالى، لكن يُتقرّب إلى الله سبحانه بما شرعه#[3].

فليس في قيام الناس عند ذكر ولادته ح من التعظيم المشروع في حقه ح، وإنما فيه ارتكاب نهيه عن القيام له ومضاهاة الأعاجم بالقيام الذي يقصدون به التعظيم، وهو الذي تسميه العامة الاحترام، وفيه أيضاً مخالفة هديه ح في كراهة القيام له؛ ولو كان في هذا القيام أدنى شيء من التعظيم في حق النبي ح؛ لكان الصحابة ن أسبق إليه من غيرهم؛ فإنهم كانوا أشد الأ مة تعظيماً للنبي ح، وأشدهم بعداً عما كان يكرهه وينهى عنه من الأفعال وا لأقوال[4].

فهل يقول هؤلاء إن ترْك الصحابة ن للقيام للنبي ح عند رؤيته يفسر بعدم تعظيمهم للنبي ح، وسوء أدبهم معه؟! فإن قالوا نعم فقد طعنوا في خير هذه الأمة بعد أنبيائهم، وإن قالوا لا بطل احتجاجهم.

ولذلك قد صرح غير واحد من أهل العلم والفقهاء[5] ببدعية هذا

---

(1) سبق تخريجه في (ص 420).
(2) الرد القوي على الرفاعي (ص 210).
(3) المعيار المعرب (100/7).
(4) الرد القوي على الرفاعي (ص 215-216).
(5) منهم: ابن حجر الهيتمي كما في الفتاوى الحديثية (ص 112)، وابن الفرات عبد الرحيم بن محمد الحنفي في كتابه $تذكرة الأنام في النهي عن القيام# كما أفاده السخاوي في الضوء اللامع (187/4)، وصديق حسن خان كما في الدين الخالص (451-452/4)، والشيخ حمود التويجري في كتابه الرد القوي على الرفاعي (ص 209 وما بعدها). وذكر عمر بن إبراهيم آل عبد الرحمن في كتابه $إحكام الكلام عن مسألة القيام# (ص 213-218) أن ممن أنكر أيضاً: محمد الحَجْوي الثعالبي (ت 1376 هـ) في كتابه $صفاء المورد من عدم القيام عند سماع المولد#، ومحمد العابد ابن سودة المرّي مفتي فاس (ت 1359 هـ) في كتابه $مسامرة الأع

القيام؛ يقول ابن حجر الهيتمي :، عند ذكر الإنكار على من يقوم عند قراءة ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍﮎ ﭼ[النحل: ١] ما نصه: $ونظير ذلك فعل كثير عند ذكر مولده ح ووضع أمه له من القيام، وهو أيضاً **بدعة لم يرد فيه شيء**، على أن الناس إنما يفعلون ذلك تعظيماً له ح، فالعوام معذورون لذلك، بخلاف الخواص، و الله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب#[1].

- **الكلام في مصير والدي رسول الله ح دون برهان**، وذلك كالقول بإحيائهما وإيمانهما بالنبي ح بعد وفاتهما، كما في $مولد العزب#: $ولوالديه الرب قد أحيا كما * قد جاء هذا في الحديث وأيّدا، قد آمنا حقاً به فاستوجبا * كل النجاة وبالجنان تخلدا، فهما يقيناً ناجيان ومن يقل * بخلا فنا ضل السبيل وأبعدا#.

وهذا قول باطل من وجوه[2]:

1. إن القول بذلك معارَض بدلالة الكتاب والسنة والإجماع[3].

فمن دلالة الكتاب: قوله : ﭽ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ التوبة: ١١٣.

لام وتنبيه العوام، بكراهة القيام لذكر مولد خير الأنام#، ومحمود محمد خطاب السبكي الصوفي في كتابه $المقامات العلية في النشأة الفخيمة النبوية# (ص 43)، وغيرهم كثير.

(1) الفتاوى الحديثية (ص 112).

(2) هذه الأوجه مستفادة من كتاب: آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية (ص 462-466).

(3) انظر: مجموع الفتاوى (4/324-325)، ورسالة في حق أبوي الرسول ح لإبراهيم الحلبي (ص 456) نقلاً عن آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية (ص 463)، وأدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في أبوي الرسول عليه الصلاة والسلام للقاري (ص 64).

ومن دلالة السنة: قول المصطفى ح لمن سأله عن والده: $إن أبي وأباك في النار#[1]، وقوله ح: $استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي#[2].
وأما الإجماع: $فقد اتفق السلف والخلف من الصحابة والتابعين والأ ئمة الأربعة وسائر المجتهدين على ذلك؛ من غير إظهار خلاف لما هنالك، و الخلاف من اللاحق لا يقدح في الإجماع السابق#[3].
2. إن القول بذلك ينافي $القواعد الشرعية الدالة على عدم قبول الإ يمان بعد مشاهدة الأحوال الغيبية، ودعوى الخصوصية تحتاج إلى إثبات با لأدلة القوية. وأما الاستدلال بالقدرة الإلهية وقابلية الخصوصية للحضرة النبوية، فأمر لا ينكره أحد من أهل الملة الحنيفية، وإنما الكلام في إثبات هذا المرام، بالأدلة على وجه النظام، لا بالاحتمال الذي لا يصلح للاستدلال، خصوصاً في معارضة نصوص الأقوال#[4].
3. أن القول بذلك قد جر بعض القائلين به[5] إلى القول بنجاة كل أصول النبي ح، وهو قول باطل بلا شك[6].
- ما جاء في $مولد شرف الأنام#: $ترنّم بذكر النبي * وغرّد به ثم صِح#، وما في $مولد الديبعي#: $حادى حادي السُرى باسم الحبائب * فهزّ السُكرُ أعطافَ الركائب ... فهمْ طرباً كما هامت وإلا * فإنك في طريق الحب كاذب#.
لقد كان للغرام العارم والرقص والتمايل عند الصوفية مكانة ثابتة، بل هذا النوع صار من أقوى الشبكات التي يصطادون بها من قلت معرفته بـ الدين الإسلامي الحنيف. وحقاً إنه نوع من الخلل في السلوك والاضطراب الذهني، حين يعبدون الله بالرقص والحركات التي لا تمت إلى عبادة الله بأية صلة إلا كما تمت إليها عبادة اليهود من قبل حين حثتهم التوراة - المحرفة - العهد القديم - المزامير على وجوب التسبيح لله بالدف والمزمار و

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار (191/1 رقم 203) من حديث أنس ط به.
(2) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ح ربه في زيارة قبر أمه (671/2 رقم 976) من حديث أبي هريرة ط.
(3) أدلة معتقد أبي حنيفة (ص 84). وانظر: رسالة في حق أبوي الرسول ح (ص 461) نقلاً عن آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية (ص 463).
(4) أدلة معتقد أبي حنيفة (ص 88-89).
(5) منهم: ابن حجر الهيتمي كما في المنح المكية (151/1) نقلاً عن آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية (ص 462، 464).
(6) للتوسع في معرفة الرد على شبهات القائلين بهذا القول راجع: نقض مسالك السيوطي في والدي المصطفى ح للدكتور أحمد بن صالح الزهراني.

العود والربابة.

يقول ابن الجوزي :: $والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي، ثم ترخص المنتمون إليها في السماع والرقص، فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد، ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب...#[1].

فالرقص والسماع البدعي حرام بنصوص الكتاب والسنة[2] والإجماع.

يقول ابن الصلاح :: $فقولهم في السماع المذكور، أنه من القربات والطاعات ، قول مخالف لإجماع المسلمين، فإن إجماعهم على خلاف قولهم، هذا منقول محفوظ معلوم، من خالف إجماع المسلمين فعليه ما في قوله تعالى ﭽ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ﭼ[النساء: ١١٥] ... ولم يثبت عن أحد ممن يعتدّ بقوله في الإجماع والخلاف أنه أباح هذا السماع...#[3].

هذا، وللقوم شبهات لتأييد هذه البدعة وليس هنا محل بسطها[4]، يكفي أنها لم يفعلها الرسول ح وأصحاب القرون المفضلة.

ج- **الألفاظ الغامضة** التي لا تدرى معانيها، فقد تكون محتوية على الكفر والشرك بالله ، ومن أمثلتها:

- نص $صلوات الفاتح# وهو: $اللّهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، والمعلن الحق بالحق#.

هذا الكلام الركيك كله جهالة، فما هو الذي أغلق وفتحه الرسول ح؟ شيء غير مذكور في هذه الصلوات، وما الحق الذي نصره الرسول ح؟ وبأي حق نصره؟ أيضًا مجهول، وما هو الذي سبق وختمه النبي ح؟ أيضاً غير مذكور. فهو كلام ليس فيه لذاته معنى مفيد، وإنما قد يفسر على نحو صحيح بكلام آخر، وقد يفسر أيضًا على نحو فاسد.

مثلا ً، قوله $الفاتح لما أغلق# قد يفسر بفتح الرزق، وهذا شرك مناقض لقول الباري : ﭽ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ﭼ النمل: ٦٤.

وقوله: $الخاتم لما سبق# قد يفسّر بمعنى صحيح وهو أن الرسول ح

---

(1) تلبيس إبليس (919/3-920).

(2) انظر بعض تلك النصوص في: النهي عن الرقص والسماع للدشتي (367/1-394).

(3) فتاوى ابن الصلاح (500/2)، وله : كلام جميل في هذه المسألة فليراجع $فتاواه# (499/2-501).

(4) انظر تلك الشبهات والرد الموجز عليها في: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها للدكتور غالب بن علي عواجي (1043/3-1050)، و النهي عن الرقص والسماع (426/2 وما بعدها).

خاتم لما سبق من النبوة، لكن التجانيين أنفسهم -وهم أصحاب هذه الصلوات- يخالفون ذلك ويرون أن النبوة لم تنته، بدليل قولهم إن صلاة الفاتح هذه نزلت عليهم من السماء في ورقة مكتوبة بقلم القدرة! ولذلك ق الوا هي من كلام الله تعالى وليست من تأليف مخلوق[1].

ولم يقف بهم الأمر عند هذا الحد، بل تعداه إلى أن زعم واضع هذه الصلوات -وهو أحمد التجاني، رأس الطريقة التجانية- أن القراءة الواحدة لها تعدل قراءة القرآن ستة آلاف مرة![2]

فانظر إلى هؤلاء الكاذبين كيف يدعي أحدهم أن كلامًا ركيكًا كصلاة الفاتح التي هي مجرد سطر ونصف سطر أو نحو خمس عشرة كلمة فقط يعدل أجر قراءتها أجر قراءة القرآن ستة آلاف مرة! وهذا كذب سخيف لا يحتاج إلى تعليق.

- ما جاء في $مولد شرف الأنام#: $دُقّت البشائر لقدومه، جاء الهنا، ز ال العنا، حصل الغنا، نلنا المُنا، طابت القلوب، غُفرت الذنوب، سُترت العيوب، كشفت الكروب ببركة سيدنا محمد الحبيب المحبوب#.

هذه أيضاً من الجمل المجملة، إن كان مرادها أن حصول الهنا والمنا وزوال العنا والكروب إنما هي ببركة اتباع الرسول ح في هديه فهذا معنى صحيح، لكن إن أريد بها حصول ذلك بمجرد التبرك بذكر النبي ح -مثلا ً- دون الالتزام بهديه وتطبيق شرعه في الحياة فهذا زعم باطل.

هذه بعض ما في تلك الكتب والمدائح النبوية من انحرافات عقدية، وأبرزها الغلو في مدح وتعظيم النبي ح، وحسبنا من القوم انصافاً ما أجراه الله على لسان ابن حجر الهيتمي : الذي يقول: $وهنا أمران لابد منهما:

أحدهما: وجوب تعظيم النبي ح ورفع رتبته على سائر الخلق.

والثاني: إفراد الربوبية[3] واعتقاد أن الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته وأفعاله عن جميع خلقه، فمن اعتقد في مخلوق مشاركة الباري في شيء من ذلك فقد أشرك، ومن قصر بالرسول ح عن شيء من مرتبته فقد عصى أو كفر، ومن بالغ في تعظيمه ح بأنواع التعظيم ولم يبلغ به ما يختص بـ الباري فقد أصاب الحق وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعاً، وذلك القول الذي لا إفراط فيه ولا تفريط#[4].

ولا يجوز لهؤلاء أن يحتجوا بما يؤيد بعض تلك الانحرافات من أحاديث مكذوبة وموضوعة على المصطفى ح؛ $إذ النبي ح قد أعطاه الله

(1) انظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، لعبد الرحمن عبد الخالق (ص 461-462).
(2) انظر: جواهر المعاني (1/136).
(3) والألوهية أيضاً.
(4) الجوهر المنظم (ص 13) نقلا ً عن القوادح العقدية في قصيدة البصيري.

خصائص وفضائل كثيرة ثابتة بنصوص الكتاب والسنة تدل على فضله ومكانته، فليس هو ح -بأبي وأمي- بحاجة إلى أن تـ ُرفع مكانته ويـ ُبيـّ ن شرفه بمثل هذه الأخبار الباطلة الموضوعة#[1]؛ أيضاً فإن هذا يعرضهم للوعيد الشديد على من كذب على الرسول ح.

يقول أحد علماء الصوفية المعاصرين؛ الشيخ عبد الله الغماري[2] : محذراً من ذلك النوع من الاحتجاج: $الغلو في المدح مذموم لقوله تعالى: ﭼ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼالنساء: ١٧١، وأيضاً فإن مادح النبي ح بأمر لم يثبت عنه يكون كاذباً عليه فيدخل في وعيد: $من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار#[3] وليست الفضائل النبوية مما يتساهل الكذب عليه وجعله من الكبائر العظيمة حتى قال أبو محمد الجويني[4] والد إمام الحرمين بكفر الكاذب عليه ح[5]#[6].

يقول ابن حجر الهيتمي : في معرض ذكره لما يحصل في الاحتفال با لمولد من القبائح: $...ومنها أنهم في تلك الموالد يأتون بمن يقرأ لهم المولد الشريف على الكيفية التي ألفها الوعاظ في هذه الأزمنة، وذلك منكر أي منكر؛ لأن أكثره كذب وبهتان واختلاق، بل لم يزل يزيدون فيه ما هو أقبح وأسمج مما لا تحل روايته ولا سماعه.

بل يجب على العلماء وكل من علم ذلك وقدر على الإنكار عليهم وتركهم للباطل منه أو مفارقة المجلس والقيام عنه إن أمكن...# [7].

ويقول عبد الله الغماري :: $فما يوجد في كتب المولد النبوي وقصة المعراج من مبالغات وغلو لا أساس له من الواقع يجب أن تحرق لئلا يحرق

---

(1) حقوق النبي ح على أمته (716/2) بتصرف يسير.

(2) وقد وصفه محمد علوي المالكي في كتابه مفاهيم يجب أن تصحح (ص 19) بأنه $العلامة الفقيه محدث المغرب بل محدث الدنيا#!.

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت (160/3 رقم 1291 -الفتح)، ومسلم في مقدمة صحيحه (10/1 رقم 4) من حديث المغيرة واللفظ للبخاري.

(4) هو: عبد الله بن يوسف بن عبد الله أبو محمد الجويني (ت 438 هـ)، الإمام الفقيه الأصولي الأديب المفسر، أوحد زمانه، له: التبصرة والتذكرة (في الفقه)، ومختصر المختصر، والتفسير الكبير. انظر: تبيين الكذب المفتري لابن عساكر (ص 257-258)، وطبقات السبكي (73/5 وما بعدها).

(5) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (29/1).

(6) ملحق عن قصيدة البردة لعبد الله بن الصديق الغماري (ص77) بذيل كتاب البوصيري مادح الرسول ح لعبد العال الحمامصي نقلا ً عن القوادح العقدية في قصيدة البصيري.

(7) المولد الشريف (ص 19) نقلا ً عن آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية (ص 714).

أصحابها وقارؤها في نار جهنم، نسأل اللّه السلامة والعافية#[1].

هذا قول بعض علماء القوم، فهل من مُدّكِر؟

- الفرع الثاني: موقف الإسلام من الغلو في مدح الأولياء:

من هم الأولياء؟

سبق أن بيّنت في مبحث المحبة[2] التعريف بالأولياء مستنداً إلى كتاب اللّه وكلام الأئمة، وملخصه: أن أولياء اللّه حقاً هم: المتقون المؤمنون باللّه وبرسوله ح، والمتبعون للرسول ح ظاهراً وباطناً.

ومما يجدر التنبيه عليه هنا إتماماً للفائدة ودفعاً لتوهم بعض الناس؛ [3] أن قرابة النسب غير معتبرة في جعل إنسان ما ولياً من أولياء اللّه تعالى ، إلا إذا كان لصاحبها قربى العقيدة والمحبة والمناصرة. لقد ثبت في الصحيحين عن عمرو بن العاص ط قال: سمعت رسول اللّه ح جهاراً غير سر يقول: $ ألا إن آل أبي يعني فلاناً ليسوا لي بأولياء -يعني طائفة من أقاربه-، إنما وليي اللّه وصالح المؤمنين#[4]، وفي رواية: $إن آل أبي#. وهذا هو الموافق لقوله تعالى: ﭽﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝﭼ التحريم: ٤.

إذا عُلم هذا فليعلم أنه ليس في الإسلام تحديد للولاية بالنسبة إلى شخص أو طائفة أو نسب[5]، اللّهم إلا ما نص عليه الكتاب العزيز كما في صحابة الرسول ح الذين آووه ووالوه ونصروه وعزّروه ووقّروه، وتعرضوا لاضطهاد والتعذيب من أجل نصرة دين اللّه ، أو نصت عليه السنة المطهرة كما في العشرة المبشرين بالجنة. وكل من انطبقت عليه هذه الصفات وتحقق فيه الإيمان والتقوى فهو ولي اللّه بينه وبين ربه[6]، ولا يحق له أن يطلق لقب الولاية على نفسه، ولا أن يرمي من لم يطلقها عليه بالتقصير في حقه.

وتكون ولاية العبد لله -على هذا البيان- بحسب إيمانه وتقواه، فمن

---

(1) المرجع السابق.

(2) راجع (ص 167-170).

(3) من هذا الموضع إلى ما بعده نقلته من تقديس الأشخاص (51/1-55) بتصرف يسير.

(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب تبَلّ الرحم ببَلالها (419/1 رقم 5990 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم (197/1 رقم 215)، واللفظ لمسلم.

(5) قارن هذا مع ما قاله محمد زيني بن عبد الغني -شيخ الطريقة السمانية بكاليمانتان بل بإندونيسيا كلها-: $جميع تلاميذ الشيخ سمان فهو ولي قطب#!. انظر سيدي مرئي بعنوان: Memperingati Seratus Hari Wafatnya Ibunda Hj Masliyah (ذكرى مرور مائة يوم من وفاة الحاجة مَسْلِيَة).

(6) انظر: ولاية اللّه والطريق إليها لإبراهيم هلال (ص 111).

كان أكمل إيماناً وتقوى كان أكمل ولاية لله، فهم يتفاضلون في ولاية الله بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى[1].

وهذا المفهوم لولاية الله كان مستقراً معروفاً في أوساط المسلمين قبل ظهور التصوف والصوفية -باعتراف أهل التصوف-، فهذا أحدهم يقول: $فقد ظهر هذا المعنى في الإسلام قبل ظهور التصوف وأولياء الصوفية، أي: ظهر منذ ابتدأت الدعوة إلى الإسلام، وكان معنى الولاية نصرة الله للعبد لنصرته لدين الله، فالذين جاهدوا في الله كان كانوا أولياءه، وكذلك الذين اضطهدتهم قريش وآذتهم من أجل إسلامهم كل هؤلاء أولياء حسب النصوص القرآنية الواردة فيهم#[2].

وإذا علمنا معنى ولاية الله وروسوله ح عرفنا أنها مقام عظيم ودرجة رفيعة، وأن الوصول إليها لم يزل غاية الأبرار ومنتهى آمال الأخيار، كان من الحق والمناسب معرفة السبيل إلى تحقيقها؟

إن الطريق إلى ولاية الله ليست مفروشة بالورود والرياحين، والسير إليها ينافي الميل إلى الدعة والخلود إلى الراحة، وليست الولاية بضاعة يتوارثها الأبناء والآباء عن طريق $الأقرب أولى# ولكنها منهج واضح مستقيم، تولى الله تعالى بيانها وتوضيح ثمارها لأمة محمد ح في حديث قدسي شريف وُصف بأنه أشرف حديث في ذكر الأولياء[3].

فقد روى أبو هريرة ط عن رسول الله ح فيما يرويه عن ربه أنه قال: $مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ#[4].

حيال هذا الحديث يلاحظ أمران هامان:

الأول: أن معناه المعول عليه عند علماء الإسلام المحققين قاطبة أنه $متى امتلأ القلبُ بعظمةِ الله تعالى، محا ذلك مِنَ القلب كلّ ما سواه، ولم يبقَ للعبد شيءٌ من نفسه وهواه، ولا إرادة إلا لما يريدهُ منه مولاه، فحينئذٍ لا ينطِقُ العبدُ إلا بذكره، ولا يتحرّك إلا بأمره، فإنْ نطقَ نطق ب الله، وإنْ سمِعَ سمع به، وإنْ نظرَ نظر به، وإنْ بطشَ بطش به، فهذا هو المرادُ بقوله: $كنت سمعه الذي يسمعُ به، وبصره الذي يُبصرُ به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها#، ومن أشار إلى غير هذا، فإنّما يُشير إلى

(1) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص 90).
(2) التصوف الثورة الروحية في الإسلام (ص 296) نقلاً عن تقديس الأشخاص (52/1).
(3) انظر: جامع العلوم والحكم (334/2).
(4) سبق تخريجه في (ص 167).

الإلحاد مِنَ الحلول أو الاتِّحاد، والله ورسوله بريئان منه#[1].
الثاني: أن الحديث وضّح الطريق إلى ولاية الله، وهو المحافظة على فرائضه والحرص على نوافله، وبيّن ثمرة السير على ذلك الطريق وهي: أن يوفق الله العبد في الأعمال التي يباشرها بأعضائه، وييسر له أمر الوصول إلى رضاه ومحبته، بأن يحفظ عليه جوارحه من التلبس بما يكره من الإ صغاء إلى اللهو بسمعه، ومن النظر إلى الحرام ببصره، ومن البطش فيما لا يحل له بيده، ومن السعي إلى الباطل برجله، أو بمعنى موجز: تكون $كليته مشغولة بالله تعالى#[2].
فالطريق إلى ولاية الله هي الطاعة والإذعان $لكلماته الدينية، وجعله الديني، وإذنه الديني، وإرادته الدينية ... وأولياء الله هم الذين فعلوا المأمور وتركوا المحظور وصبروا على المقدور، فأحبهم الله وأحبوه، ورضي عنهم ورضوا عنه#[3].
وعلى هذا فمن ادعى أن هناك طريقاً يوصل إلى التقرب إلى الله تعالى ومحبته وموالاته سوى طاعته بما شرع على لسان رسوله ح فهو كاذب مخادع لنفسه[4]، فمثله كمثل المشركين الذين كانوا يتقربون إلى الله تعالى بعبادة غيره، كما حكى الله عنهم أنهم قالوا: ﭼ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭽ الزمر: ٣.
أما ظهور الخوارق والأحوال المستغربة فليس من ولاية الله بالضرورة ، وليس علامة تدل على الولاية؛ لأن وقوعها على يد الكافر والفاسق ممكن كوقوعها على يد المؤمن[5].
قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي :: قلت للشافعي: كان الليث بن سعد يقول: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة، فقال الشافعي :: $قصّر الليث :، بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة!#[6].
وقال أبو عبد الله القرطبي :: $قال علماؤنا رحمة الله عليهم: ومن أظهر الله على يديه ممن ليس بنبي كرامات، وخوارق للعادات فليس ذلك دا

(1) انظر: جامع العلوم والحكم (347/2).
(2) مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني، للشيخ محمد خضر الشنقيطي (ص 473).
(3) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص 285-286).
(4) انظر: جامع العلوم والحكم (336/2).
(5) انظر: نقض المنطق لابن تيمية (ص 15).
(6) تفسير ابن كثير (233/1)، وانظر: مناقب الشافعي (453/1)، وآداب الشافعي لا بن أبي حاتم الرازي (ص 184).

لا ً على ولايته[1]، خلافاً لبعض الصوفية والرافضة[2]...#[3].

ويقول شيخ الإسلام : -في معرض الرد على من اعتقد أن الولاية تتأتى حتى في المجانين إذا ظهرت خوارق على أيديهم-: $وإذا كان المجنون لا يصح منه الإيمان ولا التقوى، ولا التقرب إلى الله بالفرائض و النوافل، وامتنع أن يكون وليا ً لله، فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنه ولي، لا سيما أن تكون حجته على ذلك إما مكاشفة سمعها منه، أو نوع تصرف، مثل أن يراه قد أشار إلى واحد فمات أو صرع؛ فإنه قد ع ُلم أن الكفار و المنافقين من المشركين وأهل الكتاب لهم مكاشفات وتصرفات شيطانية، ك الكهان والسحرة وعباد المشركين وأهل الكتاب. فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد ذلك على كون الشخص وليا ً لله، وإن لم ي ُعلم منه ما يناقض ولا ية الله، فكيف إذا علم منه ما يناقض ولاية الله، مثل أن ي ُعلم أنه لا يعتقد وجوب اتباع النبي ح ... أو يعتقد أن لأولياء الله طريقا ً إلى الله غير طريق الأنبياء عليهم الصلاة السلام#[4].

نخلص من كل ما سبق إلى أن أولياء الله تعالى هم الذين أحبوا الله ورسوله فأحبهم، وأن صفاتهم التفصيلية كلها ترجع إلى الإيمان والتقوى، وأن العمل الصالح الدؤوب المبني على الإخلاص لله تعالى ومتابعة رسوله ح هو السبيل الوحيد الذي يسلكه المؤمن إلى ولاية الله تعالى، وأن كل دعوى تناقض هذا فدعوى باطلة غير مقبولة عند الله تعالى.

كيف تكون محبتنا لأولياء الله؟

بعد أن عرفنا من هم أولياء الله تعالى حقاً، بقيت لنا مسألة مهمة لا تقل أهمية عن سابقتها، وهي كيف تكون محبتنا وتقديرنا واحترامنا لأولياء الله تعالى، سواء الأحياء منهم أو الميتين؟

لم يترك شرعنا الحكيم هذه القضية المهمة للعقول القاصرة وللأهواء المضلة، بل وضع لها معالم يُسترشد بها، وحدوداً لا ينبغي التجاوز عنها، في باب محبة أولياء الله الصالحين. فمن الأمور التي تشرع للتعبير عن احترامنا

---

(1) الأولى الاقتصار على الخوارق، أما الكرامات فتدل على الولاية، والله أعلم.
(2) الرافضة: فرقة من الشيعة، سموا بذلك لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر م، وقيل لرفضهم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عندما خرج لقتال هشام بن عبد الملك الأموي سنة 120 هـ. ومن أقوالهم ومعتقداتهم: إجماعهم على إمامة علي وتقديمه نصاً، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به، وأن الأئمة معصومون لا يجوز عليهم الغلط والخطأ والنسيان والسهو، وإمامتهم تكون بالنص. وأغلب المعاصرين من الشيعة هم من الرافضة. انظر: مقالات الإسلاميين (88/1 وما بعدها)، والتنبيه والرد (ص 29-48)، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان للسكسكي (ص 65-85)، والخطط للمقريزي (351/2-354).
(3) تفسير القرطبي (443/1-444).
(4) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص 124-125).

لأولياء الله :

أولا ً: موالاتهم ومحبتهم؛ لأن محبّة الأولياء العاملين بطاعة الله تعالى المقتدين برسوله ح من لوازم محبّة الله تعالى وقربة له سبحانه، وهي التي تسمى بالمحبة لله وفي الله[1].

عن معاذ بن أنس[2] ط عن النبي ح أنه قال: $من أعطى لله تعالى، ومنع لله تعالى، وأحب لله تعالى، وأبغض لله تعالى، وأنكح لله تعالى؛ فقد استكمل إيمانه#[3].

ويقول الله تبارك وتعالى: ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ التوبة: ٧١.

ولذلك نجد من أدعية النبي الكريم صلى الله عليه وعلى آله وسلم: $اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون، وأسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقربني إلى حبك#[4]، و$اللهم ارزقني حبك، وحب من ينفعني حبه عندك#[5].

وثواب هذه القربة هو ما روي عن أنس ط أنه قال: ما فرحنا بشيء فر حَ نا بقول النبي ح: $أنت مع من أحببت#. قال أنس: $فأنا أحب النبي ح وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم#[6].

ثانياً: الدعاء لهم بالمغفرة والرحمة. فأهل السنة والجماعة يرون محبة الصالحين وتوقيرهم واحترامهم والترحم عليهم والترضي عنهم، عملا ً بقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ الحشر: ١٠.

---

(1) انظر: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية للشيخ عبد العزيز السلمان (ص 290).

(2) هو: معاذ بن أنس الجهني الأنصاري، صحابي، نزل مصر، وبقي إلى خلافة عبد الملك. انظر: التقريب (رقم 6770).

(3) سبق تخريجه (ص 173).

(4) رواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ح، باب ومن سورة ص (ص 731 رقم3235) وقال: $حسن صحيح. سألت محمد بن إسماعيل -أي البخاري- عن هذا الحديث، فقال: هذا حديث حسن صحيح#. وصححه كذلك الشيخ الألباني كما في ظلال الجنة (ص 170 رقم 388).

(5) رواه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب (74) (ص 793 رقم 3491) وقال: $حسن غريب#، قال الشيخ عبد القادر الأرنؤوط في تحقيقه لجامع الأصول (341/4): $وهو كما قال#. وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير (ص 165 رقم 1172).

(6) مضى تخريجه (ص 173).

وذلك بأن يدعو المسلم لهم بالأدعية المأثورة والمشروعة التي لا محذور فيها، ومنها ما علمنا به ربنا : ﭽﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼ إبراهيم: ٤١، ﭽﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﭼ نوح: ٢٨.

وقد وعد الله على لسان رسوله ح الثواب الجزيل لمن دعا لأخيه بظهر الغيب؛ كما ورد عن أبي الدرداء ط عن النبي ح قال: $ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك بمثل#[1].

ثالثاً: الثناء عليهم بما هم أهل، وذكر محاسنهم وسيرتهم العطرة؛ للا قتداء بأعمالهم الموافقة لهدي سيد المرسلين ح، فهذا سيؤدي إلى تكثير أجورهم. يقول الله تبارك وتعالى: ﭽﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ يوسف: ١١١.

قال الحافظ ابن كثير :: $يقول تعالى: لقد كان في خبر المرسلين مع قومهم، وكيف أنجينا المؤمنين وأهلكنا الكافرين ﭽ ﯭ ﯮ ﯯ ﭼ وهي العقول#[2].

يقول العلامة أبو الثناء الآلوسي :: $وهم ذوو الأحوال من العارفين و العاشقين[3] والصابرين والصادقين وغيرهم#[4].

لكن لابد من تحري الأخبار الصادقة والقصص الثابتة عنهم، دون الأ خبار المكذوبة التي تتضمن في الغالب غلواً فيهم والتجاوز بهم عن حدود البشر، كما سبق ذكر الأمثلة عنها في المطلب السابق، وسيأتي الكشف عنها قريباً.

رابعاً: الإيمان بكرامات الأولياء، وما يجري الله على أيدي الصالحين من خوارق العادات. يقول الإمام الطحاوي :: $ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم#[5].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية :: $ومن أصول أهل السنة: التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات...#[6].

وقد قدّمت في مبحث المحبة: أوجه الفرق بين كرامات الأولياء والأ حوال الشيطانية[7]، فلتُرَاجع في موطنها، فإنها مهمة؛ كي لا يلتبس الضدان.

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب (2094/4 رقم 2732).
(2) تفسير ابن كثير (427/4).
(3) قوله $العاشقين# هذا من المصطلحات الصوفية، إنما الوارد في حق الله على عبده هو: الحب وليس العشق. انظر: طريق الهجرتين (716/2-717).
(4) روح المعاني (83/13 –ط. المنيرية).
(5) العقيدة الطحاوية، مع شرحه لابن أبي العز (752/2).
(6) العقيدة الواسطية، بشرح الهراس (ص 211).
(7) انظر (ص 170-172).

خامساً[1]: الانتفاع بعلمهم إن كانوا من العلماء. فإن من أجل صفات العلماء الصالحين تعليم غيرهم، لذا فإن من جالسهم واجتمع بهم؛ فإنه -بإذن اللّٰه تعالى- سينتفع بعلمهم وسمتهم، وسيقتدي بهم في صلاحهم. والمسلم بحاجة إلى معرفة أحكام دينه، حتى يعبد ربه على بصيرة، وسبيل له إلى ذلك إلا عن طريق العلماء الربانيين، فإن $العلماء ورثة الأنبياء#[2].

وكان الصحابة ن يحرصون على سؤال النبي ح عن أمور دينهم، ودرج على هذا من بعدهم من السلف الصالح في سؤال أئمتهم وعلمائهم.

وإذا عرفنا أن مسائل أحكام الشريعة متفرعة ومتعددة، وأن هذه الشريعة يحكم بها إلى قيام الساعة، مع تعاقب الزمان وعموم المكان، علمنا شدة الحاجة إلى علماء يبينون للناس الحق ويعرّفونهم بأمور الدين، والأ رض لا تخلو من هؤلاء في كل زمان -قل أم كثر- ولله الحمد.

$ولا ريب أنه يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول ح إيماناً عاماً مجملا ً، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول ح على التفصيل فرض على الكفاية#[3].

والترغيب في العلم الشرعي وطلبه وتعليمه، وفضل ذلك أمر مشهور[4]، $ولو لا العلماء لصار الناس كالبهائم، فببركة العلم خرجوا من حد البهيمة إلى حد الإنسانية#[5].

سادساً: الاستماع إلى وعظهم ونصائحهم، وهذا داخل في باب الأمر بـ المعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى اللّٰه ، والنصيحة للخلق، وكل ذلك من أوصاف الأولياء الحميدة.

فمن صحب الأولياء الصالحين وخالطهم أو جاورهم سينتفع بنصائحهم في الترغيب في طاعة اللّٰه تعالى وطاعة رسوله ح، والتحذير من الوقوع في المعاصي والبدع والأضرار، والإرشاد إلى الآداب الحسنة ومكارم الأخلاق، والإعانة على فعل الخير، والتذكير بما أعده اللّٰه تعالى في الجنة لأ

---

(1) من هذه النقطة فما بعدها، منقولة من كتاب التبرك أنواعه وأحكامه (ص 269-275) بتصرف يسير واختصار.
(2) رواه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم (39/4 رقم 3641)، والترمذي في سننه، كتاب العلم، باب فضل الفقه على العبادة (ص 604 رقم 2682). صححه ابن حبان كما في صحيحه (289/1 رقم 88 -الإحسان)، و الشيخ الألباني كما في صحيح سنن أبي داود (407/2 رقم 3641).
(3) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (312/3).
(4) ينظر الكتب المؤلفة في هذا الموضوع، مثل كتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر وغيره.
(5) من كتاب اللمع في الحوادث والبدع لابن التركماني (ص 5) نقلا ً عن التبرك أنواعه وأحكامه (ص 270).

أوليائه، وما توعّد به في النار لأعدائه، والذكرى تنفع المؤمنين.

يقول ابن القيم ؒ: $من بركة الرجل أن يكون معلماً للخير، داعياً إلى الله، مذكراً به، مرغباً في طاعته، ومن خلا من هذا فقد خلا من البركة، ومُحِقت بركة لقائه والاجتماع به#[1].

سابعاً: الانتفاع بدعائهم، إذ الدعاء شأنه عظيم، وهو نوع جليل من أنواع العبادة لله ، يحتاج إليه المسلم في سائر أحواله، في الرخاء وفي لشدة، وقد تكفل الله تعالى بإجابة من دعاه، وللدعاء آداب، ولإجابته أسباب، مذكورة في مواضعها.

والمقصود هنا أن دعاء أولياء الله المتقين له ثمرات نافعة، وآثار طيبة في الدنيا والآخرة -بإذن الله تعالى- لهم أنفسهم ولغيرهم من إخوانهم المؤمنين.

وينبغي على المسلمين أن لا يفرطوا في هذا الجانب عند معايشتهم لأ ولياء الله الصالحين، ويمكن الحصول على بركة دعاء هؤلاء بمجالستهم، فقلما تخلو مجالسهم من الدعاء لله بالخير والصلاح والتوفيق، والمغفرة و الرحمة لمن حضر تلك المجالس.

كما يمكن الحصول على بركة دعاء الصالحين أيضاً عن طريق طلب الدعاء من أحدهم الحي الحاضر، خاصة عند وقوع المسلم في ضيق وشدة، أو مرض، أو مصيبة، فيطلب منه أن يدعو ربه ليفرج عنه كربه، أو يشفيه من مرضه، وهذا يعتبر من التوسل المشروع[2].

هذه بعض الأمور التي من خلالها يعبر المرء عن محبته لأولياء الله الصالحين، وقد أمر الشارع هذه الأمة بالتوسط في الأولياء بدون إفراط ولا تفريط، لا نرفعهم فوق من-زلتهم التي يستحقونها، ولا نحطهم عن المن-زلة التي أن-زلهم الله تعالى إياها، وقد ذكر الإمام مسلم ؒ في مقدمة صحيحه حديث عائشة ك: $أمرنا رسول الله ح أن نن-زل الناس منازلهم#[3].

فأهل السنة يرون محبة أولياء الله الصالحين وتوقيرهم واحترامهم و الترحم عليهم والترضي عنهم عملاً ً بقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ الحشر: ١٠، كما أن أهل السنة لا يرفعونهم فوق المن-زلة التي يستحقونها ولا يغلون فيهم عملاً ً بقوله

---

(1) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه (ص 3) بتصرف.

(2) انظر ما سبق بيانه في (ص 380-381).

(3) ذكره مسلم في مقدمة صحيحه بلا إسناد تعليقاً (6/1)، وأخرجه بلفظ $أنزلوا...# أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في تن-زيل الناس منازلهم (112/5 رقم 4842)، وقد ورد من غير حديث عائشة ك، وانظر تفصيل ذلك في كتاب المقاصد الحسنة (ص 163-164 رقم 179)، وقد قال ؒ في آخر كلامه: $وبالجملة فحديث عائشة حسن#.

تعالى: ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚﭼالنساء: ١٧١؛ فهم وسط في باب محبة أولياء الله الصالحين[1]، كما هم وسط في جميع أبواب الاعتقادات والأعمال بين الفرق الضالة، كما أن هذه الأمة المحمدية وسط بين سائر الأمم.

النهي عن الغلو في أولياء الله الصالحين:

بما أن أكثر الانحرافات تجاه الأولياء كان بالإفراط والغلو فيهم، فلابد من الكلام عن نهي الشارع عن الغلو في أولياء الله الصالحين.

وقد سبق أن بينت أن النهي عن الغلو عام في أنواع الغلو سواء كان في الاعتقادات أو الأعمال[2]، ومن ذلك الغلو في شخص الرسول ح[3]، وإذا كان الإطراء ومجاوزة الحد في شخصه عليه الصلاة والسلام منهياً عنه، فغيره من باب الأولى أياً كان ذلك الغير؛ ملكاً أو نبياً أو ولياً أو صالحاً أو غير ذلك.

ولم يحذرنا الشارع الحكيم من الغلو في الصالحين إلا لحكم عظيمة وأسرار بليغة، فمن ذلك أن الغلو في الصالحين هو السبب في أول شرك ظهر على وجه الأرض، وهو السبب في وقوع الشرك في الأمم بعد قوم نوح، و السبب في وقوع الشرك في مشركي العرب، والسبب في وقوع الشرك في ا لأمة المحمدية، فالغلو هو السبب الرئيسي في وقوع الشرك وانتشاره[4].

أ- أما كون الغلو في الصالحين هو السبب في أول شرك ظهر على وجه الأرض، فيدل على ذلك ما رواه البخاري عن ابن عباس م أن وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً أسماء رجال صالحين من قوم نوح ؛، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك تنسخ العلم عُبدت[5].

وروى ابن جرير بإسناده إلى محمد بن قيس[6] : قال: $كانوا قومًا ص الحين من بنى آدم ؛، وكان لهم ﺗ ﺒ ـّاع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صوّرناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوّروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون، دبّ إليهم إبليس فقال:

(1) انظر: وسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور محمد با كريم محمد با عبد الله (ص 444-453).
(2) انظر: (ص 558).
(3) انظر: (ص 558 وما بعدها).
(4) من هذه الفقرة وما بعدها منقولة من الدعاء ومن-زلته (1/461-472) بتصرف واختصار.
(5) مضى تخريجه في (ص 175).
(6) أظنه هو: محمد بن قيس المدني أبو أيوب القاص، ثقة. انظر: تهذيب الكمال (323/26 وما بعدها)، والتقريب (رقم 6285).

إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يُسقون المطر؛ فعبدوهم#[1].

وهكذا تدرج بهم الشيطان حتى عَبَدوا هؤلاء الصالحين، فالشيطان لا يأتي إلى الإنسان بالطريق المباشر، ولكنه يأتي بحِيَل وأساليب متنوعة تؤدي في النهاية إلى الضلال، والعياذ بالله منه.

ب- وأما كون الغلو في الصالحين هو السبب في **وقوع الشرك في الأمم الأخرى بعد قوم نوح**، فيدل على ذلك ما أخبرنا الله به من أن اليهود غلوا في عزير فقالوا: ابن الله، وغلت النصارى في عيسى ؛ فقالوا: ابن الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ﭽ ﮗ ﮘ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ التوبة: ٣٠.

وقوله تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ يشير إلى أن مثل هذا الغلو موجود في الأمم التي قبلهم لأن عبادة الأبطال والغلو فيهم موجودة في السابقين قبلهم[2].

ولم يقتصر غلو اليهود والنصارى على أنبيائهم، بل غلوا أيضاً في أحبارهم ورهبانهم، قال تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﭼ التوبة: ٣١.

غلوا في الأحبار والرهبان فعبدوهم من دون الله إذ أطاعوهم في التحليل والتحريم كما في حديث عدي بن حاتم ط، قال ح: $أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا شيئاً حرموه#[3].

وهذا لا ينافي ما ثبت من أنهم عبدوهم أيضاً في غير التحليل و التحريم، لا سيما النصارى، فإنه يوجد فيهم من يعبد القديسين ويدعوهم من دون الله تعالى وذلك كثير فيهم[4]. أما الذي في حديث عدي ط إنما هو نوع واحد من عباداتهم المتعددة الأنواع، وليس حصراً لأنواع العبادة التي

---

(1) تفسير الطبري (303/23)، وإسناده ضعيف، لكنه يتقوى بحديث ابن عباس السابق ، كما أن هناك روايات أخرى عن بعض التابعين تشهد لذلك، من ذلك ما روي عن محمد بن كعب القرظي وأبي جعفر.

(2) انظر: تفسير المنار (340/10).

(3) سبق تخريجه في (ص 104).

(4) وقد ذكر شيخ الإسلام عبادة النصارى للقديسين ولمريم وغلوهم في الأحبار و الرهبان بقصد قبورهم لدعائهم وغير ذلك، مما يفيد عبادتهم لهم بغير الطاعة أيضاً. انظر ذلك في: مجموع الفتاوى (134/1-135)، والجواب الصحيح (142/2)، ومنهاج السنة (435/2)، وقاعدة جليلة (ص 27). كما ذكر أنهم يسمون مشركين باعتبار ابتداعهم الشرك. انظر: الفتوى الحموية (ص 49). كما ذكر عباداتهم لصور القداديس في الكنائس، من دعاء ونذر وتقديم القرابين وغير ذلك. انظر: مجموع الفتاوى (455/17-456).

وقعت منهم أو تقع منهم.

ج- أما كون الغلو في الصالحين سبباً في وقوع العرب في الشرك، فمما يدل على ذلك ما أخرجه البخاري عن ابن عباس م في قوله تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ النجم: ١٩، كان اللات رجلا ً يلت سويق الحاج[1]. وفي رواية ابن أبي حاتم زيادة: $كان يلت السويق على الحجر فلا يشرب منه أحد إلا سمن، فعبدوه#[2].

ونحو قول ابن عباس، قول مجاهد :: $كان رجل يلت السويق فمات فاتخذ قبره مصلى#[3].

د- وأما كون الغلو في الصالحين هو السبب في وقوع الأمة المحمدية في الشرك، فيدل على ذلك غلو السبئية في علي ط حيث ألهوه، وقالوا له: $أنت ربنا وخالقنا ورازقنا#[4].

وقد تبع هؤلاء السبئية الذين غلوا في علي ط إخوانهم الرافضة الذين غلوا في علي ط وأئمة أهل البيت، ووصفوهم بصفات الربوبية، وأعطوهم حق التصرف في الكون، وزعم بعض المعاصرين منهم سيطرتهم على جميع ذرات هذا الكون، وأن مقامهم لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل.

يقول صاحب كتاب $الحكومة الإسلامية#: $فإن للإمام مقاماً محموداً ودرجة سامية، وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون. وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل#[5].

وقد صرح المؤرخون الموثوقون بأن الروافض هم السبب في نشر الشركيات في هذه الأمة، حيث تأثر بهم المتصوفة، ومن طريقهم انتشر في عوام المسلمين.

وقد ذكر ابن خلدون : أنه قد حدث عند المتأخرين من الصوفية الكلام في الكشف وفيما وراء الحس. وظهر من كثير منهم القول على الإطلاق بـ الحلول والوحدة، فشاركوا فيها الإمامية والرافضة لقولهم بألوهية الأئمة

---

(1) مضى تخريجه (ص 408).

(2) فتح الباري (612/8)، والجواب الباهر (ص 36).

(3) أخرجه عبد بن حميد في التفسير كما في الجواب الباهر (ص 36)، والطبري في تفسيره (22/47-48) بإسناد صحيح. وذكر الكلبي في كتاب الأصنام (ص 16) أن يهودياً كان يلت عند الصخرة المربعة السويق.

(4) ذكر القصة الحافظ ابن حجر في فتح الباري (270/12) وحسن إسنادها. وانظر أيضاً: أحوال الرجال للجوزجاني (ص 24)، ومسند أبي يعلى (349/1 رقم 449)، ومقالات الإسلاميين (86/1)، ومنهاج السنة (29/1-30)، وفرق الشيعة للنوبختي (ص 32) وصرح فيه بأن السبئية أول من قال بالغلو.

(5) الحكومة الإسلامية لروح الله الخميني (ص 52).

وحلول الإله فيهم.

وظهر منهم أيضاً القول بالقطب والأبدال، وكأنه يحاكي مذهب الرافضة في الإمام والنقباء[1]. وأشربوا أقوال الشيعة، وتوغلوا في الديانة بمذاهبهم، حتى لقد جعلوا مستند طريقهم في لبس الخرقة، أن علياً رضي الله عنه ألبسها الحسن البصري، ولايعلم هذا عن علي من وجه صحيح[2].

وقال أحد الشيعة المعاصرين معترفاً بهذه الحقيقة: $والحقيقة أن للغلو والتصوف هدفاً مشتركاً، هو: أن يكون للإنسان موضع قدم في الإلهية، وتصريف شؤون الدين والدنيا بقدرة غيبية، وهذا هو السبب الذي من أجله رفع الأئمة أولا ً إلى الإلهية، وارتفع رؤساء مدارس الغلو إلى النبوة، ثم استقلوا فارتفعوا إلى الإلهية بأنفسهم، والتصوف يهدف إلى هذه النتيجة#[3].

وهذا اعتراف صريح بتأثر التصوف بالتشيع وأن هدفهما عبادة الإ نسان والغلو فيه، لكن تخصيص الغلاة من الروافض بهذه العقيدة غير صحيح كما يريده صاحب هذا الكلام، بل الواقع يدل على أن أغلب الشيعة من الغلاة، وقلّ أن يوجد فيهم معتدل إلا ما كان في القرون الأولى، كما قاله الذهبي :[4].

موقف الإسلام من الغلو في مدح الأولياء:

وبعد هذه المقدمات، ألقي الضوء على مظاهر الانحراف بالغلو في مدح الصالحين، وسأقتصر كما تقدم أن أسلفت على ما ورد من غلو في حق الشيخ عبد القادر الجيلاني ::.

والحقيقة، أنه ينبغي علينا أن لا نقبل كل ما أُثِر عن الشيخ عبد القادر الجيلاني أو نُسب إليه من خوارق العادات، من غير تمحيص ولا تدقيق أو نظر أو تأمل، لا سيما إن كان فيه $الطمّ والرمّ، وكفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع#[5] فلابد من مجانبة $الشطح والطامات والدعاوى والكلام الباطل التي لا تليق نسبتها إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني :#[6]، لأنها مما يرده الشرع وينكره العقل.

---

(1) مصطلحات $القطب# و$الأبدال# و$النقباء# سأبينها قريباً في (ص 581-582).

(2) مقدمة ابن خلدون (ص 386).

(3) الصلة بين التصوف والتشيع (ص 128) للدكتور كامل الشيبي، وهو من الشيعة المعاصرين.

(4) انظر: ميزان الاعتدال (1/5-6).

(5) من كلام الحافظ ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة (194/2).

(6) من كلام الحافظ ابن رجب في المصدر السابق (194/2-195)، بتصرف يسير كي يتناسب مع السياق.

قال الحافظ الذهبي :: $ليس في كبار المشايخ من له أحوال وكرامات أكثر من الشيخ عبد القادر، لكن كثيرا ً منها لا يصح، وفي بعض ذلك أشياء مستحيلة#[1].

فلابد من الوسطية والاعتدال، فنقبل من كرامات الشيخ عبد القادر الجيلاني وغيره من أولياء الله الصالحين ما صح وثبت نقله مما لا يتعارض مع الشرع، ونرد ما عدا ذلك[2].

وقد اشتمل كتاب $مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني# على غلو في شخصيته .، وذلك ما بين شرك ووسيلة إليه، أو بدعة، أو لفظ غامض فيه نفس صوفي:

أ- فمن أمثلة الشركيات[3]:

- القول بأن الشيخ عبد القادر الجيلاني : هو الغوث والسند؛ $هذه نبذة من أحوال القطب الرباني، والغوث الصمداني ... والسند الغطريف#.

مع أن المغيث والمعين هو الله وحده، كما قال سبحانه: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ الأنفال: ٩، وقال: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﭼ النمل: ٦٢، وقال: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ الشورى: ٢٨، وقال: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ الفاتحة: ٥، وقال عن نبيه يعقوب ؛: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ يوسف: ١٨، وقال عن نبينا محمد ح: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﭼ الأنبياء: ١١٢.

- القول بأن الشيخ الجيلاني : قادر على إحياء الموتى، كما في قصة المرأة وقصة الحدأة[4].

فهذا الاعتقاد مناقض للنصوص الشرعية القاضية بأن إحياء الموتى من الخصائص الربوبية التي لا دخل للبشر فيها ولا يد لهم فيها.

ومما يزيد القصة غرابة وضعفاً، قول الشيخ عبد القادر الجيلاني لوالدة ذاك الغلام، بعد أن أراها قدرته على إحياء الدجاجة: $إذا صار ابنك هكذا فليأكل ما شاء#؛ فهل يمنع الإسلام أهله عن أكل ما أحله الله من الدجاجة وغيرها إلا بعد أن يكون له قدرة على إحياء الموتى؟؟

قال تعالى: ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ يس: 78-٧٩، وقال سبحانه: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ

(1) السير (450/20).

(2) الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، للدكتور سعيد بن مسفر بن مفرح القحطاني (ص 583).

(3) ولن أقتصر هنا على ذكر الشركيات في توحيد العبادة؛ لأسباب ذكرتها في بداية كلامي عن الغلو في مدح النبي ح. انظر: (ص 544، الحاشية رقم 2).

(4) والقصتان مذكورتان بتمامها في (ص 532-533).

ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ الشورى: ٩، وقال جل شأنه: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ الحجر: ٢٣، وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ الحج: ٦.

ولا يعترض على ما قررنا هنا بأن المسيح ؛ أحيا الموتى فيجوز للأولياء أن يفعلوا ذلك توارثاً كما زعم بذلك بعض المتصوفة[1]؛ وذلك لأن معجزات الأنبياء -وكذلك كرامات الأولياء- إنما تكون لغرض صحيح وهو إقامة الحجة عند وجود المقتضى[2]، ومن هنا ذهب المفسرون إلى أن المسيح ؛ فعل ذلك بطلب من بني إسرائيل على سبيل التعنت كعادتهم مع أنبييائهم[3]. أما حكايات المتصوفة في إحياء الأولياء للموتى فإنها تصفهم بأنهم يفعلون ذلك لسبب ولغير سبب[4]؛ وهذا يبطل قياسهم؛ لأن المسيح ؛ إنما فعل ذلك عندما يطلبه قوم على سبيل التحدي، فينصره الله نصراً لدينه.

ثم إن قياس الأولياء على المسيح في هذا الموضوع يخالف مذهب الصوفية في المسيح ؛ نفسه، حيث رأوا أن طبيعته مخالفة لطبيعة البشر، ولذلك كان قادراً على إحياء الموتى[5]. فمقتضى هذا الكلام أن إحياء الموتى -بإذن الله- من خصوصيات المسيح ؛، وليس لغيره من البشر لا من الأنبياء ولا من غيرهم، ومما يؤيد هذه الخصوصية: دعاء إبراهيم ؛: ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭼ البقرة: ٢٦٠، فإنه ؛ لو كان من شأنه إحياء الموتى لما دعا بمثل هذا الدعاء، وإذا انتفى كون إحياء الموتى من معجزات نبي آخر غير المسيح ؛، قوي انتفاؤه عمن دون الأنبياء من الأولياء الصالحين.

يضاف إلى هذا: قول الإمام الشاطبي :: الكرامة التي يكرم بها أحد من هذه الأمة لابد أن يكون لها أصل من معجزات النبي ح، ومعلوم أن نبينا ح لم ينقل عنه أنه أحيا ميتاً[6].

- **القول بجواز النذر للشيخ عبد القادر** : كما في قصة القافلة التي قدمت من بلاد العجم، وفيها: $... لو ذكرنا الشيخ عبد القادر فنذرنا له شيئاً من أموالنا سلمنا ... #[7].

وقد أسهبت في بيان كون النذر لا يكون إلا لله وأن صرفه لغيره سبحانه شرك، وذكرت نصوص الكتاب والسنة وكلام الأئمة الدالة على ذلك،

---

(1) انظر: الجواهر والدرر لعبد الوهاب الشعراني (ص 130-131)، نقلاً عن تقديس الأشخاص (1/153-159).
(2) انظر: تفسير ابن كثير (2/45).
(3) انظر: روح المعاني (3/170 –ط. المنيرية).
(4) انظر بعض تلك الحكايات -مجتمعة- في تقديس الأشخاص (1/149-153).
(5) انظر: الفتوحات المكية (3/88-95)، وتفسير المنار (3/312).
(6) انظر: الموافقات (2/444).
(7) انظر نص القصة بكاملها في (ص 532).

فليُرَاجَع في موطنه[1].

- القول بأن الشيخ عبد القادر الجيلاني : يسمع من يناديه من مكان بعيد ومسافات شاسعة بينه وبين مناديه مما لم يجر الله العادة على سماع الرجل الحي للنداء من مثل تلك الأمكنة -كما في القصة السابقة-.

وهذا السمع المحيط لا يكون إلا لله ولا يتصف به أحد إلا هو، قال سبحانه: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ الشورى: ١١. وعن أم المؤمنين عائشة ك قالت: $الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات#[2].

- القول بأن الشيخ عبد القادر الجيلاني : يعلم الغيب، كما في قصة أبي المظفر حسن بن تيمي البغدادي التاجر، وفيها أن الشيخ بعد القادر : قال له: $... سافِر تذهب سالماً وترجع غانماً، والضمان عليّ في ذلك#[3].

وكالذي نُسِب للشيخ : من قوله: $تجيء السنة تسلم علي وتخبرني بما يجري فيها، وكذا الشهر، وكذا الأسبوع، وكذا اليوم#.

وأيضاً ما نُسب إليه : من قوله: $وإن نور عيني في اللوح المحفوظ مقيم، أنا غائص في بحر علم القديم#.

كل ما سبق مناقض لإحدى ركائز الإسلام، وهي: أنه لا يعلم الغيب إلا الله ، وقد ذكرت بعض الأدلة من كتاب الله تدل على ذلك، عندما تحدثت عن نسبة بعض المخالفين علم الغيب وما في اللوح المحفوظ إلى رسول الله ح[4]، وأذكر هنا ما يؤيد ذلك من السنة النبوية:

عن ابن عمر م أن النبي ح قال: $مفاتح الغيب خمس، لا يعلمها إلا الله # وذكر منها: $ولا يعلم ما في غد إلا الله#[5]. فإذا كان المخلوق لا يعلم ما في أقرب الأزمنة منه، وهو الغد، فما بعده أخفى وأبعد عن معرفته[6].

وعن عائشة ك قالت: $من زعم أن رسول الله ح يخبر ما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ [النمل: ٦٥]#[7]، وفي رواية أخرى قالت: $من حدثك أنه ح

(1) انظر: (ص 366 وما بعدها).

(2) رواه البخاري تعليقاً في صحيحه، كتاب التوحيد، باب "وكان الله سميعاً بصيرا" (372/13 -الفتح)، وابن أبي عاصم في السنة (ص 278 رقم 625) وحسن إسناده الشيخ الألباني في ظلال الجنة (ص 278 رقم 625).

(3) انظر نص القصة بكاملها في (ص 532-533).

(4) انظر: (ص 547).

(5) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﭽ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﭼ [الجن: ٢٦] (361/13 رقم 7379 -الفتح).

(6) انظر: بهجة النفوس (273/4)، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان (102/1).

(7) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قوله تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ

يعلم الغيب فقد كذب#[1][2]. إذا كان أفضل الخلق لا يعلم ما في غد، فكيف بغيره من الأنبياء لإ، ثم كيف بغيرهم من الأولياء والصالحين؟

ولا يقال بأن الله تعالى قد أطلع تلك المغيبات على أوليائه؛ لأنه لم يطلع بعض تلك المغيبات إلا على رسله، كما قال سبحانه: ﭽ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﭼ الجن: 26-٢٧. وعلم الأنبياء للغيب علم إضافي مقيد؛ فهم يعلمون بعض المغيبات بواسطة الوحي، وعلمهم بها ليست صفات ذاتية لهم يستقلون بها استقلالاً، بل يتلقونها وحياً حسب مقتضى الحاجة[3].

يقول ابن حجر الهيتمي :: $إن الله أطلع أنبياءه على مغيبات كثيرة ... ولكنها جزئيات قليلة بالنسبة إلى علمه تعالى، فهو المنفرد بعلم المغيبات على الإطلاق كليها وجزئيها دون غيره#[4].

- **مضاهاة الله في صفة العلم المطلق والحفظ المطلق كما نسب إلى الشيخ** : من قوله: $أنا لكل من عثر مركوبه من جميع أصحابي ومريدي ومُحِبِّي إلى يوم القيامة، آخذ بيده كلما عثر حياً أو ميتاً، فإن فرسي مُسرَجَ ورمحي منصوب وسيفي مشهور وقوسي موتور لحفظ مريدي وهو غافل#.

فالجمل السابقة تستلزم أن الشيخ لا يخفى عليه شيء مما جرى لأصحابه ومريديه ومحبيه حياً وميتاً إلى يوم القيامة! وهذا لا يكون إلا لله الذي قال عن نفسه: ﭽ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ الأنعام: ٧٣، وﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ المائدة: ٩٧.

كما تستلزم الجمل السابقة أن الشيخ هو الحفيظ لجميع مريديه من كل مكروه! وهذا لا يكون إلا لله القائل: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ سبأ: ٢١، والقائل: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ هود: ٥٧.

- **مضاهاة الله تعالى في وحدانيته وقيوميته، كما نُسبَ إليه** : من قوله: $يا عزيز أنت واحد في السماء، وأنا واحد في الأرض#، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

قال سبحانه: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭼ الإخلاص: ١، وقال تعالى: ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ الزخرف: ٨٤، وقال جل وعز: ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭼ الأنعام: ٣، وقال جل في علاه: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ

[النجم: ١٣] (159/1 رقم 177).

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﭽ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ [الجن: ٢٦] (361/13 رقم 7380).

(2) سيأتي بإذن الله تعالى ذكر الأدلة بالتفصيل على اختصاص الله تعالى بعلم الغيب عند مبحث الكهانة والعرافة والتنجيم (ص 796 وما بعدها).

(3) تقديس الأشخاص (191/1).

(4) الزواجر عن اقتراف الكبائر (109/2).

المنافقون: ٧، وقال عز من قائل: ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ المؤمنون: 84-٨٧.

- **مضاهاة الله في عرض أعمال الخلائق عليه**، كما نُسبَ إلى الشيخ : من قوله: $يقال لي بين الليل والنهار سبعين مرة: وأنا اخترتك لنفسي، ويقال لي أيضاً سبعين مرة: ولتصنع على عيني، وعزة ربي إن السعداء والأشقياء يعرضون علي، ويوقفون لدي ... وأنا حجة الله عليكم يوم العرض#.

قال الله تعالى مبيناً أن العرض إنما يكون عليه سبحانه: ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ الكهف: ٤٨، وقال: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ الحاقة: ١٨، وقال: ﭽ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼ الغاشية: 25-٢٦، وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ الحجر: 92-٩٣.

- **اختراعهم مراتب الأولياء الذين لهم تصرف ونفوذ في الكون**، ومن ثم يستغيثون بهم من دون الله، كما هو ظاهر في الجمل الآتية:

$يا أيتها الأرواح المقدسة، يا ختم، يا قطب، يا إمامان، يا أوتاد، يا أبدال، يا رقباء، يا نُجباء، يا نقباء، ... كونوا عوناً لنا في نجاح الطلبات ...#[1].

وإليكم بيان موجز لبعض تلك المراتب والألقاب والوظائف، اعتماداً على كتب القوم[2]:

القطب وجمعه الأقطاب: $عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في العالم ويقال الغوث#[3] وهو $صاحب الوقت وعين الزمان وصاحب علم سر القدر وله علم دهر الدهور#[4]، كذا عرّفه ابن عربي الملقب عند الصوفية بالشيخ الأكبر والكبريت الأحمر.

وقال التيجاني عن حقيقة القطبانية في المفهوم الصوفي: $إن حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقاً في جميع الوجود جملة وتفصيلا ً، حيثما كان الرب إلهاً كان هو خليفة في تصريف الحكم وتنفيذه في كل من له عليه ألوهية لله تعالى، ثم قيامه بالبرزخية العظمى بين الحق والخلق؛ فلا يصل إلى الخلق شيء كائناً ما كان من الحق إلا بحكم القطب وتوليه ونيابته عن الحق في ذلك وتوصيله كل قسمة إلى محلها، ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود جملة وتفصيلا

(1) انظر نص الدعاء كاملا ً في: (ص 220-219).

(2) استفدت في جمع المادة العلمية من: مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (617/2 وما بعدها).

(3) الفتوحات المكية (244/3).

(4) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر لابن عربي (78/2).

#1[1].

الإمام وجمعه الأئمة: قال ابن عربي: $أما الأئمة فهما إمامان أحدهما عن يمين القطب ونظره في عالم الملكوت واسمه عبد الرب، والآخر عن يساره ونظره في عالم الملك واسمه عبد الملك، وهو الذي يخلف القطب إذا درج#[2].

الوتد وجمعه الأوتاد: $الأوتاد هم الرجال الأربعة الذين على منازلهم الجهات الأربع من العالم؛ أي المشرق والمغرب والجنوب والشمال، بهم يحفظ الله لهم تلك الجهات، لكونهم مجال نظره تعالى#[3]، $وهم أخص من الأبدال، والإمام أخص منهم، والقطب هو أخص الجماعة#[4].

البدل: وجمعه الأبدال أو البدلاء: هم: $رجال سبعة يقال لهم الأبدال يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة، لكل بدل إقليم وإليهم تنظر روحانيات السماوات السبع، ولكل شخص منهم قوة منبعثة من روحانيات الأنبياء الكائنين في هذه السماوات، وهو إبراهيم الخليل، يليه موسى، يليه هارون، يتلوه إدريس، يتلوه يوسف، يتلوه عيسى، يتلوه آدم سلام الله عليهم أجمعين#[5]، كذا قال ابن عربي.

النجيب: وجمعه النجباء: $هم أربعون رجلا ً قائمون بإصلاح أحوال الناس وحمل أثقالهم لاختصاصاتهم برحمة فطرية، ولكنهم لا يتصرفون إلا في حظوظ غيرهم، أما حظوظهم أنفسهم فلا مزية لهم فيها#[6].

النقيب وجمعه النقباء: $هم المطلعون على خفايا الضمائر، لانكشاف الستائر لهم عن وجوه السرائر، وهم ثلاثمائة من كل زمان#[7].

يظهر مما سبق أن الصوفية قد كوّنوا مملكة بشرية وهمية، وزعموا أن هذه المملكة هي التي تسيّر هذا الكون بكامله، فلا يقع في هذا الكون أمر من الأمور إلا عن طريق هذه المملكة المزعومة، وأن هذه المملكة لها التصرف المطلق في هذا الكون، فهي التي تحفظ من المهالك، وعن طريقها يرزق كل ما في هذا الكون، وهذا واضح جداً في النصوص السابقة.

وبهذا نصل إلى نتيجة واحدة وهى: أن المتصوفة يعتقدون بأن هناك بشراً شركاء لله في تدبير الكون وتسييره. وهذا كله فيه مصادمة صريحة لكتاب الله العزيز الذي فيه: ﭼ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ

(1) جواهر المعاني (90/2).
(2) الفتوحات المكية (245/3).
(3) معجم مصطلحات الصوفية للدكتور عبد المنعم الحفني (ص 264).
(4) الفتوحات المكية (400/2).
(5) المرجع السابق (376/2).
(6) معجم مصطلحات الصوفية (ص 255)، وانظر: الفتوحات المكية (245/3).
(7) معجم مصطلحات الصوفية (ص 258).

ئې ئىئې ئى ئى ئە ى ى ﭽ الروم: ٤٠، وﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ
ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ
ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﭼ المؤمنون: 84-٨٩، وﭽ ﭻ
ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ
ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﭼ الرعد: ١٦، وﭽ ﯘ ﯙ ﯚ
ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ
ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﭼ يونس: 31-٣٢.

أما ما جاء من الاستغاثة بهؤلاء الشركاء والاستعانة بهم، فهذا شرك مستقل مخرج من الملة، وقد أطلت في ذكر نصوص الكتاب والسنة وكلام الأئمة على ذلك في مبحث الدعاء، فليراجع في موطنه[1]. إلا أنني أحب هنا أن أنقل نصاً مهماً عن الشيخ عبد القادر الجيلاني : ينسف هذا الشرك نسفاً.

قال :: $أخلصوا ولا تشركوا، وحِّدوا الحق ، وعن بابه لا تبرحوا، سلوه ولا تسألوا غيره، استعينوا به ولا تستعينوا بغيره، توكلوا عليه ولا تتوكلوا على غيره#[2]. يا قوم، هذا كلام الشيخ :، فهل من مدّكر؟!

ب- أما الغلو الذي يحتويه كتاب $مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني# مما هو من قبيل البدع ووسائل الشرك، فمن أمثلته:

- التوسل البدعي، كالذي نسب إلى الشيخ : من قوله: $إذا سألتم الله فاسألوا بي#.

وكما في أقوال مؤلف كتاب $المناقب# الآتية: $وفصّلتُه بوسائط من لآلي التراضي عنه وطلب الإمداد بأسراره...#[3].

وقد بينت بدعية هذا النوع من التوسل في مبحث التوسل، فليراجع في موطنه[4].

---

(1) انظر: (ص 206 وما بعدها).

(2) الفتح الرباني، المجلس السابع والأربعون (ص 151) نقلاً عن "الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية" (ص 147).

(3) انظر الأمثلة الأخرى في (ص 530-531).

(4) انظر: (ص 381 وما بعدها، و413 وما بعدها).

- **ادعاء لقاء الشيخ : للخضر** ؛ كما في قصة أول دخول الشيخ للعراق[1].

وهذا الإدعاء مخالف لأدلة الكتاب والسنة الدالة على وفاة الخضر ؛، و التي منها[2]:

قوله تعالى: ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ الأنبياء: ٣٤، فالخضر إن كان بشراً فقد دخل في هذا العموم لا محالة، ولا يجوز تخصيصه منه إلا بدليل صحيح، والأصل عدمه حتى يثبت، ولم يُذكر ما فيه دليل على التخصيص عن معصوم يجب قبوله[3].

وقول رسول الله ح: $أرأيتكم ليلتكم هذه، فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد#[4].

قال ابن الجوزي : بعد أن ذكر الحديث السابق وغيره الذي في معناه: $فهذه الأحاديث الصحاح تقطع دابر دعوى حياة الخضر#[5].

- **ما نسب للشيخ : من أنه كان يتظاهر بالجنون**، كما في الفقرة التالية: $ولم يزل الاجتهاد دأبه حتى طرقه من الله الحال، وآن أوان الوصال، وبدت له أنوار الجمال، فخرج على وجهه الوجيه، لا يعي غير ما هو فيه، ويتظاهر بالتخارس والجنون حتى حُمِل إلى المارستان مرات إلى أن اشتهر أمره#.

فأي دين يعلم أتباعه التظاهر بالجنون، والجنون نقص في ذاته؟ لقد أكرمنا الله بالعقل أيما إكرام، وخلقنا في أحسن تقويم، كما قال سبحانه: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ التين: ٤، فهل بعد هذا كله نعود فنكفر بتلك النعم بـ التظاهر بالجنون؟

- **ما ينسب للشيخ : من قوله**: $ما مر مسلم على باب مدرستي إلا خفف الله عنه العذاب يوم القيامة#.

فهذا مما لا دليل عليه، بل هو من البدع المحدثة التي ما أنزل الله بها من سلطان. فأي فضيلة في المرور بباب مدرسة الشيخ : حتى يخفف الله به العذام يوم القيامة؟

يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني :: $اجعل الكتاب والسنة أمامك،

(1) انظر نص القصة كاملة في (ص 531).
(2) مستفاد من كتاب آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية (ص 419 وما بعدها).
(3) المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم (ص 51-52)، والبداية والنهاية (265/2).
(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب السمَر في العلم (211/1 رقم 116)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ح $لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم# (1965/4 رقم 2537) من حديث ابن عمر ط.
(5) نقله عنه ابن كثير في البداية والنهاية (270/2).

وانظر فيهما واعمل بهما، ولا تغتر بالقال والقيل والهوس، قال تعالى: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ [الحشر: ٧]، ولا تخالفوه فتتركوا العمل بما جاء به وتخترعوا لأنفسكم عملاً وعبادة، كما قال الله في حق قوم ضلوا سواء السبيل: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ [الحديد: ٢٧]#[1].

- ما ينسب للشيخ : من قوله: $أنا نائب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووارثه، يقال: يا عبد القادر تكلم يسمع منك، قال الشيخ عبد القادر: و الله ما شربت حتى قيل لي: يا عبد القادر بحقي عليك اشرب، وما آكل حتى قيل لي: بحقي عليك كل، وأمّنتك من الردى#.

فهل يعقل أن يقول الرسول ح للشيخ عبد القادر في كل مرة هذا القول؟ ثم هل للشيخ حق على الرسول ح؟ أليس العكس هو الصواب، وهو أن للرسول ح حقاً على الشيخ، وذلك بأن يلتزم بهديه ح؟ ثم أليس الله هو الذي يُؤَمِّن عباده من الردى والرسول ح من عباده سبحانه؟ يقول تعالى في تعداد أسمائه الحسنى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ الحشر: ٢٣، ومن معاني $المؤمن#: أنه تعالى هو الذي يؤمِّن عباده، فلا يأمن إلا من أمّنه[2].

وكان من أدعية رسولنا ح: $اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي#[3].

ج- **الألفاظ الغامضة** التي لا تدرى معانيها، وقد تكون محتوية على الكفر والشرك بالله ، ومن أمثلتها:

- $الحمد لله الذي أرسل سيدنا محمداً ... وخص من شاء من أتباع ملته بالرقي إلى أوج المعارف والحقائق، وأفاض عليهم من بحور المواهب اللادنية ظُرف اللطائف وشوارق الرقائق#.

فقوله: الحقائق لا يدرى ما مرادهم منها، إن لم يكن مرادهم منها: تقسيم الدين على الشريعة والحقيقة، وأن الحقيقة لا يعرفها إلا الصوفية؛ إن كان هذا هو المقصود فهو ظاهر البطلان، وهو قول مبني على زعمهم أن للنصوص ظاهراً وباطناً، وقد بين العلماء حقيقة هذا القول في مصنفاتهم[4].

هذا بعض ما في كتاب مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني من انحرافات، ولم أستقصها، ولعل فيما ذكرت كفاية لتنبيه كل ذي لب، والله الهادي إلى سواء السبيل...

(1) فتوح الغيب، المقالة السادسة والثلاثون (ص 90).
(2) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص 10)، ولسان العرب (226/1)، واشتقاق أسماء الله للزجاجي (ص 221-222).
(3) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح (198/5 رقم 5074)، وصححه الشيخ الألباني إسناده في تحقيقه للكلم الطيب (ص 74 رقم 27).
(4) انظر على سبيل المثال: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (232/13-236)، و الموافقات (208/4 وما بعدها).

المبحث السادس: الرقى

وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: مفهوم الرقى وأنواعها
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في الرقى
المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

المطلب الأول: مفهوم الرقى وأنواعها

- الرقى لغة واصطلاحاً:

أصل الكلمة: الرقية مشتقة من أصل لغوي ثلاثي هو $رَقَى#[1].

تصريفها: الرقية على وزن $فُعْلَة#، وهي اسم من الفعل الثلاثي الناقص $رَقَى-يَرْقِي#، معتل اللام، كـ$رَمَى-يَرْمِي#، قُلِبت الياء ألفاً لوقوعها متحركة بعد فتحة، والمصدر القياسي $رَقْيٌ#، واسم الفاعل $رَاقٍ#، والجمع $رُقَى# على وزن $فُعَل#[2].

معناها لغة: معاني مادة رقى اللغوية:

1. الرُّقِيّ: الصعود، يقال: $رَقِيَ-يَرْقَى-رُقِيٌّ#، و$ارتقى-يَرْتقِي-وترَقّى#: إذا صعد وارتفع. والمَرقَاة: الدرجة.
2. الرُّقْيَة: العُوذَة[3].

هذه أهم معاني مادة رقى، والمعنى الثاني هو الألصق بالمعنى الشرعي ، كما أن هناك مناسبة بين المعنى الشرعي والمعنى اللغوي الأول؛ إذ أن قراءة الراقي كأنها تصعد وترتفع من صدره إلى فمه، ثم يُتبعها بالنفث[4].

معناها اصطلاحاً: من أقوال الأئمة في تعريف الرقية ما يلي:

قال الحافظ ابن الأثير :: $والرقية: العُوذَة التي يرقى بها صاحب الآ فة؛ كالحمى، والصرع، وغير ذلك من الآفات#[5].

ومثله تعريف المناوي :[6].

وقال الطيبي :: $... ما يرقى به من الدعاء لطلب الشفاء#[7].

ومثله تعريف الزرقاني :[8]، والتعريف الذي حكاه عبد الحق الدهلوي[9] :[10].

---

(1) مقاييس اللغة (426/2).
(2) ينظر تصريف الكلمة في: تصريف الأسماء (ص 51)، ومعجم تصريف الأفعال العربية (ص 161).
(3) انظر: الصحاح (2361/6)، ولسان العرب (293/5)، ومقاييس اللغة (426/2).
(4) قال ابن القيم : في زاد المعاد (67/4-68) في ذكر آداب المعالج: $أن يكون بقوة نفسه وصدق توجهه إلى فاطر هذه الأرواح وبارئها، والتعوذ الصحيح الذي قد تواطأ عليه القلب واللسان#.
(5) النهاية في غريب الحديث (254/2).
(6) انظر: فيض القدير (55/2).
(7) المرجع السابق (490/1).
(8) انظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (323/4).
(9) هو: أبو محمد عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله الدهلوي الحنفي (958-1052 هـ)، محدث، صوفي، مشارك في بعض العلوم، من تصانيفه الكثيرة: فتح

وقال الحافظ ابن حجر :: $واسترقى: طلب الرقية ... وهو بمعنى التعويذ بالذال المعجمة#[2].

وقال أبو الثناء الآلوسي :: $وهي ما يستشفى به الملموس، والمريض من الكلام المعد لذلك، ومنه آيات الشفاء#[3].

وقال الشيخ المباركفوري :: $وهي ما يقرأ لطلب الشفاء، والاسترقاء طلب الرقية#[4].

ظهر من عبارات أهل العلم السابقة في التعريف الاصطلاحي للرقية، أنهم عرّفوها بما يشمل الرقى بنوعيها؛ المشروع والممنوع؛ وذلك لورود النصوص الشرعية بإطلاق لفظ الرقى على المشروع والممنوع، والحكم على الرقى الممنوعة بكونها غير شرعية لا يخرجها عن مسمى الرقى في الاصطلا ح الشرعي[5].

ويمكن استخلاص تعريف اصطلاحي لها بما يلي: الرقية هي $التعويذة بقراءة كلمات على المصاب رجاء البرء#[6].

- **أنواع الرقى:**

تنقسم الرقية إلى نوعين:

1. رقية مشروعة
2. رقية ممنوعة[7].

أولا ً: الرقية المشروعة وهي: $التعويذ بالقرآن، والأدعية والأذكار المشروعة، لحفظ صحة، أو دفع مرض#[8].

يقول الإمام النووي :: $وأما الرقى بآيات القرآن وبالأذكار المعروفة، ف

المنان في مذهب النعمان. انظر: هدية العارفين (503/1)، وفهرس الفهارس للكتاني (725-728/2).

(1) انظر: عون المعبود (264/10).

(2) فتح الباري (195/10).

(3) روح المعاني (146/29 –ط. المنيرية).

(4) تحفة الأحوذي (360/6 –ط. دار الفكر).

(5) آراء ابن حجر الهيتيمي الاعتقادية (ص 198) باختصار.

(6) الشرك ومظاهره (ص 241).

(7) انظر: النهاية في غريب الحديث (255/2)، وشرح النووي على صحيح مسلم (392/14)، وفتح الباري (195/10)، والفروق للقرافي (251/4)، وفيض القدير (342/2)، ونيل الأوطار (460/5-461)، وتيسير العزيز الحميد (ص126)، وفتح المجيد (ص153)، ومعارج القبول (627/2، 634، 637)، والقول المفيد على كتاب التوحيد (187/1). وللاستزادة راجع: أحكام الرقى والتمائم للدكتور فهد بن ضويان السحيمي (ص 36).

(8) أحكام الأدوية في الشريعة الإسلامية، للدكتور حسن بن أحمد الفكي (ص 445).

لا نهي فيه بل هو سنة#[1].

فالرقية المشروعة لها ثلاثة شروط:

1. أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته، أو بالأذكار والأدعية النبوية الثابتة.
2. أن تكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره من ذكر الله.

ج. أن لا يعتقد أن الرقية تنفع بذاتها دون الله لأ، بل يعتقد أنها سبب لا تنفع إلا بإذن الله لأ[2].

قال الربيع :: سئل الشافعي : فقال: $لا بأس أن يرقي الرجل بكتاب الله وما يعرف من ذكر الله#[3].

قال الحافظ ابن حجر :: $وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط: أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالى#[4].

وممن نقل الإجماع على اشتراط هذه الشروط في الرقى حتى تكون مشروعة: الحافظ السيوطي :[5].

$فعند اجتماع هذه الثلاثة تكون الرقية مشروعة بالإجماع، وليس معناه أنه إذا تخلف أي شرط صارت غير مشروعة بالإجماع، بل المراد: أنهم أجمعوا على مشروعية ما توافرت فيه هذه الشروط، واختلفوا فيما عدا

---

(1) شرح صحيح مسلم (392/14). وانظر نحو هذا الكلام في النهاية في غريب الحديث (255/2).

(2) انظر: فتح الباري (195/10)، وإرشاد الساري للقسطلاني (388/8)، والفروق للقرافي (251/4)، وفيض القدير (342/2)، ونيل الأوطار (460/5، 461)، وشرح الزرقاني على الموطأ (323/4)، ونور الحق الصبيح في شرح بعض أحاديث الجامع الصحيح لمحمد لمختار (70/9-71)، وحاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القرواني للمنوفي (643/2)، وتيسير العزيز الحميد (ص 130)، وفتح المجيد (ص 154)، ومعارج القبول (637/2)، والقول المفيد على كتاب التوحيد (187/1). وللاستزادة انظر: أحكام الرقى والتمائم (ص 36).

(3) الأم (630/8 -تحقيق رفعت فوزي)، وانظر: السنن الكبرى للبيهقي (349/9).

(4) فتح الباري (195/10)، وانظر: شرح صحيح مسلم (392/14)، ومعالم السنن (226/4)، وأعلام السنة المنشورة (ص 190)، وشرح الزرقاني على الموطأ (323/4).

(5) كما نقله عنه الشيخ سليمان بن عبد الله في تيسير العزيز الحميد (ص 130)، و الشيخ عبد الرحمن ابن حسن في فتح المجيد (ص 154)، ولم أجده في شيء من كتبه، والله أعلم.

ذلك#[1].

ولنقف مع بيان موجز لهذه الشروط:

الشرط الأول[2]: أن تكون بكلام الله تعالى وبأسمائه وصفاته، والدليل قوله تعالى: ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ الإسراء: ٨٢. فإذا كانت الرقية بكتاب الله وبما ثبت عن رسول الله ح وأصحابه ن فالرقية مشروعة مستحبة، وما عدا ذلك ففي شرعيته نظر، إذ ذهب قوم إلى مشروعية الرقية بأي قول ثبت نفعه بالتجربة ولو من غير كتاب الله. قال الحافظ ابن حجر :: $وقد تمسك قوم بهذا العموم[3] فأجازوا كل رقية جربت منفعتها ولو لم يُعقل معناها#[4]. وهذا القول فيه توسع، وسيأتي الرد عليه في المطلب الثالث بإذن الله سبحانه[5].

الشرط الثاني: أن تكون باللسان العربي وما يعرف معناه من غيره من ذكر الله، أما ما لا يعرف معناه فلا يُرقى به خشية أن يكون به كلام محرم. يقول الإمام الخطابي :: $فلذلك كُرِه من الرقى ما لم يكن بذكر الله وأسمائه وبكتابه وباللسان الذي يُعرف بيانه ويُفهم معناه؛ ليكون بريئاً من شوب الشرك، والله أعلم#[6]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :: $إذا لم يعرف معنى الاسم جاز أن يكون معنى محرماً؛ فلا ينطق المسلم بما لا يعرف معناه؛ ولهذا كرهت الرقى العجمية كالعبرانية أو السريانية أو غيرها، خوفاً أن يكون فيها معانٍ لا تجوز#[7]، وقال: $وعامة ما بأيدي الناس من العزائم و الطلاسم والرقى التي لا تفقه بالعربية، فيها ما هو شرك بالجن. ولهذا نهى علماء المسلمين عن الرقى التي لا يفقه معناها؛ لأنها مظنة الشرك وإن لم يعرف الراقي أنها شرك#[8].

الشرط الثالث: أن لا يعتقد أن الرقية تنفع بذاتها دون الله، بل يعتقد أنها سبب لا تنفع إلا بإذن الله لأ؛ لأن الاعتقاد بأن الرقى تنفع بذاتها من دون الله محرم بل شرك، وهو من الاعتقادات الجاهلية الباطلة. يقول الحافظ ابن حبان :: $العلة في الزجر عن الاكتواء والاسترقاء هي أن أهل الجاهلية كانوا يستعملونهما، ويرون أن البرء منهما من غير صنع الباري جل وعلا فيه، فإذا

---

(1) قواعد ومسائل في توحيد الإلهية (ص 137).
(2) نقلا ً عن المصدر السابق (ص 137-138) بتصرف.
(3) أي عموم قول النبي ح $مَنْ اِسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَع أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْه#، لما سأله بعض أصحابه عن بعض أنواع الرقى. والحديث سيأتي تخريجه في (ص 593).
(4) فتح الباري (195/10)، وانظر: نيل الأوطار (460/5).
(5) انظر: ما سيأتي (ص 610).
(6) أعلام الحديث (2132/3) وانظر نفس المصدر (2116/3).
(7) اقتضاء الصراط المستقيم (519/1).
(8) مجموع الفتاوى (13/19).

كانت هذه العلة موجودة كان الزجر عنهما قائماً#[1].

ومبنى هذا الشرط الأخير هو على اعتقاد أهل السنة في إثبات الأ سباب؛ حيث $يؤمن أهل السنة والجماعة بتأثير الأسباب بمسبباتها، ولكنه تأثير بقدرة اللّه لأ، فلو شاء لسَلَب هذا التأثير، فلا ينكرون الأسباب وتأثيرها، ولا يعتمدون عليها ويرون استقلال تأثيرها دون اللّه، ولا يعرضون عنها لعلمهم أن لكل شيء سبباً#[2].

ثانياً: الرقية الممنوعة: فهي ما تخلف فيها شرط من الشروط الثلاثة السابقة[3]، وحكمها يختلف باختلافها؛ فإن كانت تشتمل على الشرك؛ كالا ستعانة والاستغاثة بغير اللّه ، أو اعتقاد كون الرقى تنفع بذاتها من دون اللّه؛ فهي شرك أكبر[4].

أما إن كانت تشتمل على ألفاظ لا يفهم معناها فهي محرمة خشية أن تكون شركاً، وكذا إن كانت مشتملة على ألفاظ بدعية كالتوسل بجاه النبي ح أو ذاته، ومثله إذا اشتملت الرقية على أمور مشبوهة، سيأتي ذكر بعض أمثلتها في المطلب التالي.

عن عوف بن مالك الأشجعي[5] ط قال: $كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول اللّه كيف ترى في ذلك؟ فقال: اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بـ الرقى ما لم يكن فيه شرك#[6].

يقول الحافظ ابن حجر : -وهو يتحدث عن حديث آل عمرو بن حزم[7]: $من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه#[8]-: $وقد تمسك قوم

---

(1) صحيح ابن حبان (456-455/13 -الإحسان).

(2) المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع جمعاً ودراسة، لخالد بن مسعود الجعيد وآخرين (ص 843). خالف في هذه العقيدة: الأشاعرة، وقالوا: لا تؤثر الأسباب في مسبباتها بطبعها أو بقوة فيها، ومن قال بذلك فقد كفر، ومن قال إن الأسباب تؤثر بمسبباتها بقوة خلقها اللّه فيها ففي كفره قولان! وذلك لامتناع اجتماع مؤثرين على شيء واحد، وإنما المؤثر اللّه وبين السبب والمسبب يكون تلا زماً عادياً، فانكسرت الزجاجة عند الحجر لا بها. انظر: شرح جوهرة التوحيد للباجوري (ص 197). وللرد على هذا القول راجع: موقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود (1348-1330/3).

(3) انظر: فيض القدير (490/1 عند حديث 976)، ومعارج القبول (637/2)، ومنهج الإمام الشافعي : في إثبات العقيدة (296/1).

(4) القول المفيد على كتاب التوحيد (187/1).

(5) هو: عوف بن مالك الأشجعي، أبو حماد ويقال غير ذلك (ت 73هـ)، صحابي مشهور، من مسلمة الفتح، وسكن دمشق. انظر: التقريب (رقم 5252).

(6) رواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك (1727/4 رقم 2200).

(7) هو: عمرو بن حزم بن زيد الأنصاري (ت بعد 50 هـ)، صحابي مشهور، شهد

بهذا العموم فأجازوا كل رقية جُرِّبت منفعتها ولو لم يُعقل معناها، لكن دل حديث عوف أنه مهما كان الرقى يؤدي إلى الشرك يُمنع، وما لا يُعقل معناه لا يُؤمن أن يؤدي إلى الشرك فيمتنع احتياطاً#[2].

قال الإمام الخطابي : مبيّنا الفرق بين الرقى الشرعية والرقى الشركية: $والفرق بين الرقية التي أمر بها النبي ح وبين ما كرهه ونهى عنه -من رقية العرافين وأصحاب النشر ومن يدعي تسخير الجن لهم-: أن ما أمر به ح وأباح استعماله منها هو ما يكون بقوارع[3] القرآن، وبالعوذ التي يقع منها ذكر الله وأسمائه على ألسن الأبرار من الخلق والأخيار الطاهرة نفوسهم، فيكون ذلك سبباً للشفاء بإذن الله، وهو الطب الروحاني...

وأما التي نهى عنها ح فهي أمور مشتبهة مركبة من حق وباطل، يجمع إلى ظاهر ما يقع فيها من ذكر الله تعالى ما يستتر به من ذكر الشياطين والا ستعانة بهم والتعوذ بمردتهم...؛ فلذلك كره من الرقى ما لم يكن بذكر الله وأسمائه وبكتابه وباللسان الذي يعرف بيانه ويفهم معناه؛ ليكون بريئاً من شوب الشرك، والله أعلم#[4].

فعلى هذا النوع من الرقية يُحمل ما ورد عن النبي ح في النهي عن الرقى[5]، كما ورد من قوله ح: $إن الرقى والتمائم والتولة شرك#[6]، والله تعالى أعلم.

الخندق فما بعدها، وكان عامل النبي ح على نجران. انظر: التقريب (رقم 5046).

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين والنملة و الحمة والنظرة (1726/4 رقم 2199) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(2) فتح الباري (195/10)، وانظر: نيل الأوطار (460/5).

(3) قال في القاموس المحيط (ص 750): $وقوارع القرآن: الآيات التي من قرأها أمن من الشياطين والإنس والجن، كأنها تقرع الشياطين#.

(4) أعلام الحديث (2132-2131/3) وانظر نفس المصدر (2116/3).

(5) انظر: النهاية في غريب الحديث (255/2)، والآداب للبيهقي (ص 283)، وصحيح ابن حبان (458/13 -الإحسان)، والمعلم بفوائد مسلم للمازري (95/3)، وشرح النووي على صحيح مسلم (393-392/14)، وفتح الباري (196/10)، وشرح صحيح البخاري لابن بطال (432-431/9)، والتعليقات الرضية على الروضة الندية (160/3).

(6) رواه أحمد في مسنده (110/6 رقم 3615)، وأبو داود في سننه، كتاب الطب، باب في تعليق التمائم (137/4 رقم 3883)، والحاكم في المستدرك (217/4) من حديث ابن مسعود ط، وقال الحاكم: $صحيح الإسناد# وصححه الذهبي، وقواه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (649/1 رقم 331). رجّح بعض أهل العلم وقفه إلى ابن مسعود ط، إلا أن له حكم الرفع بالاتفاق؛ إذ ذكر ابن عبد البر أن الصحابي إذا وصف أمراً بأنه إثم أن له حكم الرفع بالإجماع. راجع: النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (530/2).

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في الرقى

تتنوع مظاهر الانحراف في الرقى لدى الناس في المجتمع الإندونيسي من بين رقية شركية تارة، ورقية محرمة لا تبلغ درجة الشرك تارة أخرى، وفيما يلي بعض أمثلة ذلك:

أما مظاهر الرقى الشركية، فمنها:

المثال الأول: ما يرقي به أحد المشعوذين أثناء العلاج بالتدليك، فقال: $بسم الله الرحمن الرحيم، عسى النبي آدم أن يعالج هذا المريض، عست السيدة حوّى أن تأمر هذا المريض، وتصلح العروق المشكلة، وتقوّم العظام المعوجّة، وتُجري جميع سوائل هذا الجسد كما كانت، فيكون صحيحاً معافى. تأتي الصحة مع بصاقي الأبيض (فيبصق المشعوذ على قفا المريض ثلاثاً، ثم يقول): معافى، معافى، معافى، بإذن الله!#[1].

المثال الثاني: ما يرقي به أحد المشعوذين لعلاج المغص بسبب الديدان، حيث ينادي أرواح الآباء والأجداد ويستعين بهم[2].

المثال الثالث: ما يسميه مؤلفه $ورد من أجل السلامة من تهديد الأ عداء# وهو ما يقرأ في كل ليلة الجمعة من: سورة الفاتحة، وآية الكرسي، وسورة القدر، سورة النصر، وسورة الإخلاص، وسورة الفلق، وسورة الناس، والآية الثامنة والخمسين من سورة يس: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼكلها 3 مرات.

ثم قراءة الآية العاشرة من سورة الكهف: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ، و$بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم#، و$الصلاة والسلام عليكم يا سيدي رسول الله، يا أحمد قلّت حيلتي وأنت وسيلتي فأدركني# 21 مرة. ثم قراءة $لا إله إلا الله# 121 مرة. ثم قراءة سورة الفاتحة مرة واحدة يليها سؤال الله الحاجة التي يريدها المرء. ثم قراءة $يا عباد الله أغثني#[3]. ثم قراءة $يا محبوب، يا رسول الثقلين، يا أب العالمين، يا سيدي أحمد الرفاعي، المدد#[4].

المثال الرابع: ما اعترف به أحد التائبين من الشعوذة الساكن في مدينة Malang (مَلَنْج) بجَاوَا الشرقية، واسمه Gus Wachid (غُوْسْ وَحِيْدْ)

---

(1) Abangan, Santri dan Priyayi dalam Masyarakat Jawa (الفساق، طلبة العلم والأمراء في المجتمع الجاوي) لكليفورد غيرتز (ص 126) نقلاً عن Bid'ah-bid'ah di Indonesia (البدع في إندونيسيا) (ص 104).

(2) المرجع السابق.

(3) كذا في الأصل: $يا عباد الله أغثني#، والصواب: $يا عباد الله أغيثوني#، أو $يا عبد الله أغثني#.

(4) Saripati Mujarrobat (أصول المجربات) (ص 47-50).

مِن أنه كان يقرأ بعض الأوراد التي فيها استغاثة بغير الله وهي: $يا الله، يا رسول الله، يا الشيخ عبد القادر الجيلاني، اللهم أسألك كرامة الشيخ عبد القادر الجيلاني#[1].

المثال الخامس: ما اعترف به أيضاً، من أنه كان يقرأ هذا الورد: $يا حي، يا علي، يا مَلِي، يا وفي، يا واقي، يا قوي، يا غني، يا ولي، يا باقي#[2]، فـ$ملي# ليس من أسماء الله لأ.

المثال السادس: ما يسمى بـ$حزب يَمَن#، وهي كلمات يزعم بعض الناس أنها لحماية الإنسان من مس الجان ومن السحر. وهذه الكلمات هي: $بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم إن دخل في صورة سليمان من المشرق إلى المغرب. لذاته وصفاته وقوته وجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل. جناً وإنساً وريحاً وغماماً وسلاماً تسليماً كثيراً. جل جلاله يا مَلَك إبليس و الشيطان في الظلمات والنور. ربنا تقبل سليمان وداوود عليهما السلام. برحمتك يا أرحم الراحمين#[3].

المثال السابع: قول بعض الناس في تعريفهم للرقى: $هي كلمات تقرأ، وليست مجرد أي كلمات، بل هي كلمات تأتي بالقوى الغيبية وهي قوة الشفاء#[4]؛ فنسب الشفاء لهذه الرقى.

المثال الثامن: قول Ki Suparno (كِيْ سُوْفَرْنُوْ) –رئيس Padepokan Silat dan Tenaga Dalam Partisan Kumbang Malam (مدرسة الدفاع عن النفس والقوة الباطنية $فَرْتِيْسَنْ كُوْمْبَنْجْ مَلَمْ#)- وهو يصف الرقية: $ومن فوائد الرقية: أنها تُخَلِّص الإنسان من الشؤم#[5]؛ فنسب هذا التخليص إلى الرقية.

المثال التاسع: ما زعمه Kiai Muhammad Latif (كِياهِيْ محمد لطيف) -أحد من يُعَد عالماً في مدينة Gresik (كرِيْسِيْك) بجَاوَا الشرقية- مِن أن طريقته في علاج المرضى: $أنه يبدأ بصلاة الحاجة، ثم يقرأ أوراداً مخصصة. ومن هنا يأتيه إلهام من الملائكة المقربين، وهم مأمورون من قبل الله ـ خاصة للدلالة على الدواء والطرق التي ينبغي سلوكها لعلاج المرضى.

والملائكة المقربون هم أرباب العالم، عددهم خمسة وكل واحد يتصرف في ملكه. وهم: (1) مَلَك آدم أحمد؛ المتصرف على البر، (2) مَلَك خضر أحمد؛ المتصرف على البحر، (3) مَلَك عِفريد؛ المتصرف على النار، (4)

---

(1) مجلة Ghoib (غَيْبْ)، عدد خاص بعنوان Dukun-dukun Bertaubat (توبة المشعوذين) (ص 37).
(2) المرجع السابق.
(3) انظر: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 375، 5-19 يونيو 2005 (ص 117).
(4) جريدة Posmo (فُوسْمُوْ)، العدد 283، تاريخ 15 سبتمبير 2004 (ص 37).
(5) المرجع السابق، العدد 327، تاريخ 27 يوليو 2005 (ص 19).

مَلَك إيفا أحمد؛ المتصرف على الريح؛ (5) وملك جبريل أحمد؛ وهو رئيسهم. هؤلاء الملائكة الخمسة -بزعمه- هم الذين يساعدون كِياهِيْ لطيف في العلا ج. وقال: تلقيت الإلهام من هؤلاء، وهم قد جاؤوا بأمر من الله مباشرة#[1].

المثال العاشر: قراءة أحدهم الورد الموسوم $ورد الأسماء الحسنى# وفي بعض ألفاظه تحريف لبعض آيات القرآن، فيقول: $ے ئوۓ# بدل ﭼ ے ۓ ۓﭽ المؤمنون: ١١٥[2].

المثال الحادي عشر: ما ذكرته المجلة المتخصصة في الشعوذة من إرشاد الناس لقراءة الجمل الآتية: $ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ. ﭕ ﭖ ﭗ. ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ. ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ. ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ. رَبِّ يَسِّرْ وَلا تُعَسِّرْ وَبِهِ نَسْتَعِيْن#[3].

المتأمل جيداً للجمل السابقة يجد أنها اشتملت على تحريف لبعض الآ يات القرآنية؛ فجملة $ﭕ ﭖ ﭗ# تحريف لقوله تعالى: ﭼ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭽ يس: ٦٥ ، وجملة $ﮠ ﮡ ﮢ# تحريف لقوله تعالى: ﭼ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭽ المرسلات: ٣٥.

المثال الثاني عشر: أن يقرأ الراقي أوراد الرقية، إلا أنه يدعي معرفة أمر غيبي[4].

المثال الثالث عشر: ما فعله أحد الراقين -الزاعمين أنه من سلالة النبي ح- من طلب ملايين الروبيات في مقابل تزويد المرضى بتمائمَ تعلق على أبواب البيت أو تدفن في حجرة البيت[5].

كل ما سبق ذكره، من أمثلة الرقى الشركية والكفرية، وأما **مظاهر الرقى المحرمة التي لم تبلغ حد الكفر**، فمنها:

المثال الرابع عشر: ما ذكره أحد المعالجين المشهورين هو الأستاذ Haryono (هَرْيُوْنُوْ) من دعاء، يزعم أنه لكسب محبة المُدرَاء في العمل، وهو كلمة $صَرَبٌ#، تكرّر هذه الكلمة وتراً[6].

---

(1) جريدة Posmo (فُوسْمُوْ)، العدد 327، تاريخ 27 يوليو 2005 (ص 20).

(2) مجلة Ghoib (غَيْبْ)، العدد 68 للسنة الرابعة، 17 جمادى الثانية 13/1427 يوليو 2006 (ص 11).

(3) مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 118، تاريخ 20 ديسمبير 2005 – 4 يناير 2006 (ص 118).

(4) Ruqyah Syar'iyyah vs Ruqyah Gadungan (Syirkiyyah) (الرقية الشرعية ضد الرقية الشركية) لفيردانا أحمد (ص 39)، ومجلة Ghoib (غَيْبْ)، العدد 47، السنة الثالثة، تاريخ 17 رجب 22/1426 أغسطس 2005 (ص 31).

(5) مجلة Ghoib (غَيْبْ)، العدد 47، السنة الثالثة، تاريخ 17 رجب 22/1426 أغسطس 2005 (ص 28).

(6) Amalan Doa-Doa Penyembuh, Enteng Jodoh, Pembuka Aura dan Pemenuh Segala Kebutuhan (أوراد وأدعية للعلاج وتسهيل الزواج، وكشف

المثال الخامس عشر: ما اعتاد عليه بعض مسلمي مدينة Sorong (سُوْرُوْنْجْ) بإِيْرِيَنْ جَيَا من العلاج بالرقى المشروعة في الأصل المخلوطة باستخدام أوراق عليها أحرف وأرقام حسابية، هي أشبه ما يكون بالطلاسم المجهولة المعنى[1].

المثال السادس عشر: ما يسمى Jampi Palak Sakit (رقى لإزالة المرض)، وهي عبارة عن علاج للصداع بكتابة أحرف (أ ب ت ث ج ح خ) على ورقة بيضاء، ثم قراءة الجمل الآتية على المريض: $بسم الله الرحمن الرحيم#، $الذي أتى بمرض فلان هو الله، والذي يُذهبه هو الله#، بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله سيدنا محمد (3 مرات)، بلا إله إلا الله محمد رسول الله#.

وما زال بعض كبار السن بمدينة Lahat (لَهَتْ) بسُوْمَطْرَا الجنوبية يعلجون أنفسهم بهذه الرقى[2].

المثال السابع عشر: أن يقرأ الراقي أوراد الرقية، إلا أنه يخلطها بألفاظ مبهمة المعنى، أو أن يتمتم في قراءتها[3].

المثال الثامن عشر: ما ذكره أحد المعالجين المشهورين من دعاء، يزعم أنه لعلاج مرض في العينين: $اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد عليك أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تجعل النور في بصري، و البصيرة في ديني، واليقين في قلبي، والإخلاص في عملي، والسلامة في نفسي، والسعة في رزقي، والشكر لك أبداً ما أبقيتني#[4].

المثال التاسع عشر: ما يسمى بـ$ورد الهيبة والرزق# يقرأ سبع مرات بعد كل صلاة، ونص الورد: $بسم الله الرحمن الرحيم. سألتك بالاسم المعظَم قدرُه، بأجٍ أهوَجٍ جلجلوتٍ هَلْهَلَتْ#[5].

المثال العشرون: ما ذكره سيف الدين -أحد المشعوذين في جاكرتا- أن من علاج السحر: $قراءة الآيات 117-122 من سورة الأعراف، والآيات 81-

---

الحُجُب، وقضاء جميع الحوائج) (ص 28).

(1) حكى لي هذا الأمر أحدُ طلاب الجامعة الإسلامية الساكنين في تلك المدينة، واسم الأخ: سوتريونو.

(2) انظر: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِي)، العدد 375، تاريخ 5-19 يونيو 2005 (ص 77).

(3) مجلة Ghoib (غَيْبْ)، العدد 47، السنة الثالثة، تاريخ 17 رجب 22/1426 أغسطس 2005 (ص 31).

(4) Amalan Doa-Doa Penyembuh, Enteng Jodoh, Pembuka Aura dan Pemenuh Segala Kebutuhan (أوراد وأدعية للعلاج وتسهيل الزواج، وكشف الحُجُب، وقضاء جميع الحوائج) (ص 28).

(5) جريدة Posmo (فُوسْمُوْ)، العدد 333، تاريخ 7 سبتمبر 2005 (ص 2).

82 من سورة يونس، والآية 69 من سورة طه#، إلا أنه يجب قبل قراءة هذه الآيات أداء صيام سبعة أيام، خلالها لا يجوز أكل أي طعام مصنوع من ذوات الأرواح[1].

المثال الواحد والعشرون: أن يقرأ الراقي أوراد الرقية، إلا أنه يزعم رؤية الجن والقدرة على قبضهم[2]، كما يفعله من يسمون Tim Pemburu Hantu (فريق الصيّادين لمردة الجن).

المثال الثاني والعشرون: ما يعالج به أحد الراقين بقراءة القرآن على الممسوس، ثم الاستعانة بجن آخر في معرفة أي عضو من الممسوس يقع فيه الجن الذي يمس به[3].

المثال الثالث والعشرون: أن يقرأ الراقي أوراد الرقية، إلا أنه يستعين بالجن كي يتلبس بجسد شخص آخر، ثم يبدأ في معالجة المرضى[4]، كما يفعله من يسمون Tim Pemburu Hantu (فريق الصيّادين لمردة الجن).

المثال الرابع والعشرون: الرقية بالأذكار الجماعية وختم القرآن الجماعي، ثم تقلُ المعالِج مرض المريض إلى الشاة، وهذا النوع من الرقية موجودة بمدينة Bekasi (پيْكسِيْ) بجَاوَا الغربية[5]، وهو أيضاً ما يفعله الأ ستاذ Haryono (هَرْيُوْنُوْ) في علاجه لبعض الأمراض المستعصية[6]، وغيره من المشعوذين[7].

المثال الخامس العشرون: أن يقرأ الراقي أوراد الرقية، إلا أنه يدعي المقدرة على علاج المرضى من مسافات بعيدة عنهم[8].

---

(1) انظر: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 387، تاريخ 20 ديسمبير 2005 - 4 يناير 2006 (ص 119).

(2) Ruqyah Syar'iyyah vs Ruqyah Gadungan (Syirkiyyah) (الرقية الشرعية ضد الرقية الشركية) (ص40)، ومجلة Ghoib (غَيْبْ)، العدد 47، السنة الثالثة، تاريخ 17 رجب 22/1426 أغسطس 2005 (ص 31).

(3) مجلة Ghoib (غَيْبْ)، العدد 47، السنة الثالثة، تاريخ 17 رجب 1426 هـ/ 22 أغسطس 2005 م (ص 26-27).

(4) Ruqyah Syar'iyyah vs Ruqyah Gadungan (Syirkiyyah) (الرقية الشرعية ضد الرقية الشركية) (ص 40)، ومجلة Ghoib (غَيْبْ)، العدد 47، السنة الثالثة، تاريخ 17 رجب 1426 هـ / 22 أغسطس 2005 م (ص 31).

(5) مجلة Ghoib (غَيْبْ)، العدد 47، السنة الثالثة، تاريخ 17 رجب 22/1426 أغسطس 2005 (ص 26).

(6) انظر: Fenomena Ustadz Haryono & Keajaiban Tradisi Pengobatan (ظاهرة الأستاذ هريونو، وأعجوبة العلاج الشعبي) للكِندِي (ص 27).

(7) انظر: Jagat Spiritualis Nusantara (عالم الروحانيين الإندونيسيين) لزبيري إندرو وآخرين (ص 34، 84، 91، 153، 178، 199).

(8) Ruqyah Syar'iyyah vs Ruqyah Gadungan (Syirkiyyah) (الرقية الشرعية ضد

المثال السادس والعشرون: ما يعالج به أحد الراقين بـ Jakarta (جَاكرْتا) بالضغط على إبهم يد المريض مع النظر في عينيه فقط، دون أية قراءة على المريض[1].

المثال السابع والعشرون: أن يسب الراقي الجن دون القراءة على الممسوس[2].

الرقية الشركية) (ص 40)، ومجلة Ghoib (غَيْبْ)، العدد 47، السنة الثالثة، تاريخ 17 رجب 22/1426 أغسطس 2005 (ص 31).

(1) مجلة Ghoib (غَيْبْ)، العدد 47، السنة الثالثة، تاريخ 17 رجب 22/1426 أغسطس 2005 (ص 25-26)، وانظر: Ruqyah Syar'iyyah vs Ruqyah Gadungan (Syirkiyyah) (الرقية الشرعية ضد الرقية الشركية) (ص 39).

(2) المرجع السابق، ومجلة Ghoib (غَيْبْ)، العدد 47، السنة الثالثة، تاريخ 17 رجب 22/1426 أغسطس 2005 (ص 31).

المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

إن الصحة والعافية مطلب كل أحد، فلذلك يبذل الإنسانُ الغاليَ و النفيس من أجلها، إلا أن الإنسان لا تستقيم حالته على الصحة، بل هو عرضة لكثير من الأدواء -حسية كانت أم غير حسية، والتي تختلف درجاتها قوة وضعفاً، ولله في ذلك حكم عظيمة. وهذه الأمراض شفاؤها عند الله لا شافي إلا هو، ﭼ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼالشعراء: ٨٠، يشفي سبحانه من يشاء، ويدَع من يشاء إلى أجل، ويجعل ما شاء منها سبباً للوفاة، كل ذلك وفق حكمته البالغة، وهو سبحانه الحكيم الخبير.

ولكن مع ذلك، شرع الله الأخذ بالأسباب، مع كمال التوكل عليه. قال ح: $تداووا، فإن الله لم يضع داء، إلا وضع له دواء، غير داء واحد؛ الهرم#[1].

ولا شك أن الأسباب الدافعة للأسقام عديدة، فقد تُدفع بالرقى الشرعية والدعاء، وهذه أعظم الأسباب، وقد تُدفع بالأدوية المحسوسة التي عُرفت عن طريق الوحي، أو عن طريق التجربة، والممارسة، كما هو الغالب[2].

وشرعنا الحكيم قد وضع حدوداً في باب التداوي لا يجوز تجاوزها، سواء كان التداوي بالأدوية الحسية، أم غير الحسية كالرقى مثلا ً.

ومن تلك الحدود: ما أرشد إليه الرسول الكريم ح بالنهي عن التداوي بِالحرام في قوله: $إن الله خلق الداء والدواء، فتداووا، ولا تداووا بحرام#[3].

وكذا في قول ابن مسعود ط: $إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم

---

(1) رواه أبو داود في سننه، كتاب الطب، باب في الرجل يتداوى (125/4 رقم 3855)، والترمذي في سننه، كتاب الطب، باب ما جاء في الدواء والحث عليه (ص 461 رقم 2039) وقال: $حسن صحيح#، وابن حبان في صحيحه (426/13 رقم 6061 -الإحسان)، واللفظ لأبي داود. وصحح إسناده الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح (1281/2 رقم 4532)._

(2) أحكام الأدوية في الشريعة الإسلامية (ص 26) بتصرف وإضافة._

(3) رواه الدولابي في الكنى والأسماء (760/2 رقم 1315) من حديث أبي الدرداء ط. وذكر ابن حجر في فتح الباري (135/10) أن ابن حبان صححه، وسكت عليه. وطعن ابن حزم فيه في المحلى (176/1) لأجل سليمان الشيباني، وهو مجهول، كذا قال. وتعقبه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المحلى بقوله: $سليمان الشيباني ليس مجهولا ً، بل هو أبو إسحاق الشيباني سليمان بن أبي سليمان، وهو إمام ثقة#. وفي التقريب (رقم2583) قال عن سليمان هذا إنه $ثقة#. وحسن إسناده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (174/4 رقم 1633)._

عليكم#[1].

كما أنه ح نهى عن الرقى الشركية في قوله: $لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك#[2].

يقول شيخ الإسلام :: $وفي الاستشفاء بما شرعه الله ورسوله ح ما يغني عن الشرك وأهله، والمسلمون وإن تنازعوا في جواز التداوي بـ المحرمات كالميتة والخن‍زير[3]؛ فلا يتنازعون في أن الكفر والشرك لا يجوز التداوي به بحال؛ لأن ذلك محرم في كل حال#[4].

$ولا يصح القياس على التكلم به عند الإكراه، كما في قوله تعالى: ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼالنحل: ١٠٦، لظهور الفرق بينهما؛ إذ المقيس عليه إنما جاز للمكرَه المضطرّ على القول مع اطمئنان قلبه بالإيمان، أي: أن كلامه صدر من قائله وهو غير راض به، ولذلك عُفي عنه، ولم يؤاخذ به في أحكام الدنيا والآخرة؛ لقوله ح: $وُضع عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه#[5].

وليس في أمر العلاج بالرقية الشركية ضرورة إكراه، وعلى فرض التسليم فهو إكراه على القول والفعل، أما القول فلو لم يكن في قلبه زيغ لما صار إليها؛ إذ إن في الحق ما يغني عن الباطل، وأما الفعل فهو مؤاخذ عليه ...

ويقدح في القياس السابق من جهة أخرى: مقابلته للإجماع على عدم جواز التداوي بالشرك كما تقدم، وكل قياس في مقابلة نص أو إجماع؛ فاسد

---

(1) رواه معلقاً عن ابن مسعود ط بصيغة الجزم البخاريُ في صحيحه، كتاب الأشربة، باب شرب الحلواء والعسل (67/1 -الفتح). قال النووي في المجموع (43/9): $رواه أبو يعلى في مسنده بإسناد صحيح، إلا رجلا ً واحداً فإنه مستور، والأ صح الاحتجاج برواية المستور#. وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (79/10): $قد رويت الأثر المذكور في "فوائد علي بن حرب الطائي" عن سفيان ابن عيينة، عن منصور عن أبي وائل قال: اشتكى رجل منا يقال له: خثيم بن العداء داء ببطنه ، يقال له الصفر، فنعت له السكرن فأرسل إلى ابن مسعود يسأله، فذكره، وأخرجه ابن أبي شيبة عن جرير بن منصور، وسنده صحيح على شرط الشيخين...#.ـ

(2) سبق تخريجه في (ص 593).

(3) انظر في المسألة: مجموع الفتاوى (275-266/24)، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير (354-353/4 -ط. دار إحياء الكتب العربية)، والفروع (165/2-167)، وشرح منتهى الإرادات (320/1)، ونهاية المحتاج (14/8)، وحاشيتا القليوبي وعميرة على كن‍ز الراغبين للمحلي (309/4).ـ

(4) مجموع الفتاوى (61/19).ـ

(5) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي (ص 353 رقم 2045) بلفظ $إن الله وضع عن أمتي...#، وحسنه النووي في الأربعين النووية (ص 79)، وصححه الشيخ الألباني في الإرواء (123/1).ـ

الاعتبار، كما هو مقرر في القواعد#[1].

بهذا التقرير يظهر انحراف من انحرف في باب التداوي، وبالأخص في باب التداوي بالرقية الذي هو موضوع مطلبنا الآن؛ إذ المظاهر المذكورة في المطلب السابق لا تخلو أن تكون من الرقى الشركية، أو البدعية والمحرمة التي لم تبلغ درجة الكفر، والنبي ح نهى عن التداوي بالحرام.

هذا من حيث البيان الإجمالي، أما التفصيلي فيكون في نقطتين اثنتين:

- **النقطة الأولى: ما يتعلق بالرقى الشركية:**

لقد حذر العلماء من الرقى الشركية بجميع أنواعها.

ومن تلك الأنواع: **ما اشتملت على دعاء غير الله والاستعانة بهم.**

قال تعالى: چ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ژ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳڳ ڳ ڱ ڱ
ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ چ فاطر: 13-١٥.

لقد ذكرتُ في مبحث الدعاء نقولاتٍ مستفيضة عن العلماء الأعلام في التحذير من عموم دعاء غير الله والاستعانة والاستغاثة بهم[2]، فإضافةً إليها أنقل هنا تحذيراتِ العلماء من شرك الدعاء في الرقى خاصة[3]:

يقول الخطابي : عند كلامه عن المكروه الممنوع من الرقى: $قد يحتمل أن يكون الذي كره من الرقية ما كان منها على مذهب ... أهل الجاهلية ...؛ يرون معظم السبب في ذلك من قِبَل الجن ومعونتهم، وهذا النوع من الرقى محظور على أهل الدين، محرم عليهم التصديق بها والاعتقاد لشيء منها#[4].

وقد نقل كلام الخطابي : هذا كل من القاضي عياض : وأبي العباس القرطبي : مقرين له[5].

وهذا الضرب من الرقى قد ورثه أقوام حَذَوا حذوَ أهل الجاهلية، بَيْد أنهم لا يُظهرون شركهم، وذلك ما أوضحه الخطابي عند ذكره الفرقَ بين الرقية المشروعة ورقية العزامين[6] وأصحاب النشر[7]، ومن يدعي تسخير

---

(1) المنية في توضيح ما أشكل من الرقية، للشيخ د. محمد علي فركوس (ص 23-25)._

(2) انظر: (ص 206 وما بعدها).

(3) استفدت في جمع هذه الأقوال والتعليق عليها من: جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة (ص 516-522)،_وجهود المالكية في تقرير توحيد العبادة لعبد الله بن فهد العرفج (ص 483-493).

(4) أعلام الحديث (2117/2).

(5) انظر: إكمال المعلم (606/1)، والمفهم (462/1).

(6) المُعَزِّم هو الراقي كما في القاموس المحيط (ص 1137)، والعزائم هي الرقى، يقال: عَزَم الراقي، كأنه أقسم على الدواء، كما في لسان العرب (193/9)._

الجن، واصفاً رقاهم: $فهي أمور مشتبهة مركبة من حق وباطل، يُجمَع إلى ظاهر ما يقع فيها من ذكر الله تعالى ما يُستَسرُ به من ذكر الشياطين والا ستعانة بهم والتعوذ بمردتهم#(2).

ولا ريب أن هذا من الشرك الأكبر؛ لما فيه من دعاء غير الله لأ، فمن ثمّ قال الخطابي : في إثر ذلك: $فلذلك كُرِه من الرقى ما لم يكن بذكر الله وأسمائه وبكتابه وباللسان الذي يُعرَف بيانه ويُفهَم معناه؛ ليكون بريئاً من شوب الشرك#(3).

ويقول السويدي :: $وقد نهى النبي ح عن الرقى التي فيها شرك كالتي فيها استعاذة بالمخلوقين#، ثم ذكر أمثلة هي كالشرح لكلام الخطابي :(4).

وقال الحافظ ابن حجر :: $الرقى المنهي عنها التي يستعملها المعزم وغيره ممن يدعي تسخير الجن له، فيأتي بأمور مشتبهة مركبة من حق وباطل، يجمع إلى ذكر الله وأسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوذ بمردتهم#(5).

وقد فسّر المناوي : الشركَ الوارد في قوله ح: $لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك# بقوله: $شرك، أي شيء يوجب اعتقاد الكفر، أو شيء من ك لام أهل الشرك الذي لا يوافق الأصول الإسلامية، فإن ذلك محرم، ومن ثمّ منعوا الرقى بالعبراني والسرياني ونحو ذلك مما جُهل معناه، خوف الوقوع في ذلك#(6).

فأهل هذه الرقى لم يَقنَعُوا بالرقى المباحة بضوابطها المعلومة من شرع الله ، بل عَدَلوا إلى رقى يُجمع إلى ظاهر ما يقع فيها من ذكر الله ما يُستسَرّ به من ذكر غيره سبحانه والاستعانة بهم والتعوذ بهم.

وهذا شرك أكبر؛ لما فيه من صريح دعاء غير الله، فوجب القطع بأن هذه الرقى ضرب من الشرك الأعظم المنافي للتوحيد من أصله.

ومن أنواع الرقى الشركية: **ما كانت يُعتقد أنها تنفع بذاتها من دون الله لأ.**

قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ يونس: ١٠٧.

يقول الإمام ابن كثير :: في هذه الآية بيان $أن الخير والشر والنفع و

(1) النشرة رقية يعالَج بها المجنون والمريض، كما في القاموس المحيط (ص 482)، ولسان العرب (142/14)_
(2) أعلام الحديث (2132/3).
(3) المرجع السابق.
(4) العقد الثمين (ص 226) نقلاً عن جهود الشافعية (ص 518)._
(5) فتح الباري (196/10)، وانظر: نيل الأوطار (461/5)._
(6) فيض القدير (558/1 عند حديث 1152)._

الضر إنما هو راجع إلى الله تعالى وحده لا يشاركه في ذلك أحد، فهو الذي يستحق العبادة وحده، لا شريك له#[1].

يقول الخطابي : عند كلامه عن المكروه الممنوع من الرقى: $قد يحتمل أن يكون الذي كره من الرقية ما كان منها على مذهب التمائم التي كانوا يتعلقونها والعُوَذ التي كان أهل الجاهلية يتعاطونها، يزعمون أنها ترفع عنهم الآفات ... وهذا النوع من الرقى محظور على أهل الدين، محرم عليهم التصديق بها والاعتقاد لشيء منها#[2].

فجعل الكلام عن الرقى مربوطاً بالتمائم، مُبيّناً أن القوم كانوا يعتقدون أن الضر والنفع موكول إلى تلك الرقى والتمائم.

وأوضح الحافظ البيهقي : أن الاسترقاء المذموم هو $... استعمالها معتمداً عليها لا على الله تعالى#[3].

لما عرّف ابن الأثير الرقية ذكر أن النصوص الواردة في شأنها على قسمين: أحدهما يفيد الجواز والآخر يفيد النهي، ثم قال: $ووجه الجمع بينهما: أن الرقى يكره منها ما ... يعتقد أن الرقيا نافعة لا محالة فيتكل عليها#[4].

وذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني : أن سبب وصف الرقى والتمائم بـ الشرك[5] كون القوم $أرادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله تعالى#[6].

ومن أنواع الرقى الكفرية: ما كانت مشتملة على تحريف الآيات القرآنية، كما ذكرتُ بعض أمثلتها في المطلب الثاني، حيث بدّل أحدهم قوله تعالى: ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ المؤمنون: ١١٥ ب ـ$ـ ﯓ ﯔ#، وبدّل آخر قوله تعالى ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ يس: ٦٥ ب ـ $ ﮊ ﭫ ﭬ ﭭ#.

قال الله تعالى: ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ البقرة: ٧٩

يقول العلامة السعدي :: $توعد تعالى المحرفين للكتاب، الذين يقولون لتحريفهم وما يكتبون: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ#[7].

وقد $أجمع أهل الأرض على اختلاف مللهم، وتشعب طوائفهم، ومذاهبهم، على تحريم قصد التحريف، والتغيير والتبديل؛ لِما يفضي إليه

---

(1) تفسير ابن كثير (300/4).
(2) أعلام الحديث (2117/2).
(3) الجامع لشعب الإيمان (396/2).
(4) النهاية في غريب الحديث (255/2).
(5) كما في الحديث الذي سبق تخريجه في (ص 594).
(6) فتح الباري (196/10).
(7) تفسير السعدي (ص 38).

من الميل عن الصراط، والتخبط في مضاجع الفساد، في مخاطر الكبار#[1].
وينبغي أن يُعلَم أن هذا البلاء داء قديم من لدن الأمم الماضية، وقد تكفل الله لأ في كتابه بفضح تلك التحريفات.
أما اليهود[2]: فهم الراسخون في التحريف، والناس تبع لهم فيه، وقد جاء في القرآن الكريم وصفهم بالتحريف دون غيرهم من الأمم، في آيات منها: قول الله تعالى: ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠﭡ ﭢ ﭣ ﭤﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵﭶ ﭼ البقرة: ٥٨-59.

وبيّن النبي ح صورة تحريفهم حيث قال: $قيل لبني إسرائيل: ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ، فدخلوا يزحفون على أستاههم[3] فبدّلوا، وقالوا: حِطّة حبّة في شعرة#[4].
وقال تعالى: ﭽ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﭼالبقرة: ٧٥[5].
وأما النصارى: فقد حكى شيخ الإسلام : اتفاقَ علماء المسلمين، وعلماء أهل الكتاب على وقوع التحريف في المعاني والتفسير في التوراة والإنجيل ، والخلاف إنما هو في وقوع التحريف في الألفاظ والمباني. وكلامه : في هذا مطول في $الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح#[6].
وأما المنافقون[7]: فهم أول من قدح شرارة التبديل في الملة، وفيهم أنزل الله قرآناً فقال سبحانه: ﭽﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﭼ الفتح: ١٥.
ومن أنواع الرقى الشركية ما خالطها اعتقاد الراقي أن غير الله -ك الملائكة مثلا ً- لهم قدرة على التصرف في الكون، وهذا الاعتقاد شبيه باعتقاد الصوفية في وجود الأقطاب والأبدال وغير ذلك من المتصرفين - غير الله لأ- في الكون، وقد رددت على هذا الافتراء في مبحث الغلو في

(1) تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد :، ضمن كتاب $الردود# (ص 145).
(2) استفدت في جمع هذه الآيات من المرجع السابق (ص 136-138).
(3) الأستاه جمع الإست وهو الدبر. انظر: النهاية في غريب الحديث (429/2).
(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ (164/8 رقم 4479 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب التفسير (2312/4 رقم 3015)، من حديث أبي هريرة ط، واللفظ للبخاري.
(5) ومن الآيات التي تصف اليهود بالتحريف: الآية 71 من سورة آل عمران، والآية 46 من سورة النساء، والآية 13 و41 من سورة المائدة.
(6) (367-368/1)، ومجموع الفتاوى (332/4).
(7) مجموع الفتاوى (314/4).

المدح، فليراجع في موطنه[1].

ومن أنواع الرقى الشركية ما ادعى فيها الرقاة علم الغيب، وقد بيّنت كفر ادعاء معرفة الغيب في مواطن عدة من هذه الرسالة[2].

ومن أنواع الرقى الشركية ما خلطها الرقاة بتزويد المرقي بالتمائم، وسيأتي الكلام عن شركية تعليق التمائم في مبحث مستقل عن التمائم إن شاء اللّٰه[3].

- **النقطة الثانية: ما يتعلق بالرقى المحرمة التي لم تبلغ حد الشرك:**

ضابط ما يدخل في هذا النوع من الرقى الممنوعة: ما يختل فيه شرط من الشروط الثلاثة الواجب توافرها[4]، ولم يشتمل على ألفاظ أو اعتقادات شركية كما سبق ذكر ذلك في النقطة الأولى، ويدخل في هذا النوع أيضا: الرقى التي خالطها أمور محرمة غير كفرية.

ويناسب هذا المقام إيرادُ مسألة لها تعلق قوي بهذه النقطة، بل هي الأساس الذي تبنى عليه الأحكام في هذه النقطة، ألا وهي مسألة: **هل الرقية على التوقيف؟**[5]

أعني هل يكتفى في الرقية بما ورد في صحيح السنة، أم تجوز بغير ذلك؟ الذي يظهر أن الرقية توقيفية من وجه، وهو أن تكون بالقرآن، وما ثبت من التعاويذ النبوية، وبذكر اللّٰه تعالى وأسمائه وصفاته، ولا يقبل ما كان بغير هذا.

يقول الإمام الخطابي :: $الرقية التي أمر بها النبي ح ... هو ما يكون بقوارع القرآن، وبالعوذ التي يقع منها ذكر اللّٰه وأسمائه ... فلذلك كره من الرقى ما لم يكن بذكر اللّٰه وأسمائه وبكتابه وباللسان الذي يعرف بيانه ويفهم معناه؛ ليكون بريئاً من شوب الشرك، واللّٰه أعلم#[6].

ولما عرّف ابن الأثير الرقية ذكر أن النصوص الواردة في شأنها على قسمين: أحدهما يفيد الجواز والآخر يفيد النهي، ثم قال: $ووجه الجمع بينهما: أن الرقى يكره منها ما كان بغير اللسان العربي وبغير أسماء اللّٰه تعالى وصفاته وكلامه في كتبه المنـزلة...#[7].

وإذ قد قلت: إن الرقية توقيفة من وجه، فتعليل ذلك: أن الرقية

---

(1) راجع (ص 582-583).
(2) راجع (ص 547، 579-580) وما سيأتي (ص 796 وما بعدها).
(3) انظر (ص 887).
(4) راجع (ص 590-592).
(5) نقلا ً عن أحكام الأدوية في الشريعة الإسلامية (ص 507-511) باختصار وتصرف وإضافات.
(6) أعلام الحديث (2131/3-2132) وانظر نفس المصدر (2116/3).
(7) النهاية في غريب الحديث (255/2).

المقصود منها التأثير في المرض، بحصول الشفاء بإذن الله، وهذا التأثير سببه معارضة كلام الله تعالى لذلك الداء أياً كان نوعه، ولا شك أن كلام الله تعالى لا يعارَض ولا يغالب أبداً، ولكن تخلف الشفاء له أسباب أخرى. كما أن من أسباب التأثير نزول الشفاء من عند الله تبارك وتعالى، الذي جعل لكل أجل كتاب، وإذا قال للشيء كن فيكون، وهذا الشفاء يستنـزل كذلك بالدعاء ، والرقية تتضمن اللجوء إلى الله، والتوسل إليه. قال الموفق البغدادي[1] :: $واعلم أن الرقى والتعاويذ إنما تفيد إذا أخذت بقبول، وصادفت إجابة وأجلا ً، فالرقى والعُوَذ التجاء إلى الله ليهب الشفاء، كما يعطيه بالدواء#[2].

إذا تبين هذا، فالرقية بغير ذلك سبب غير مشروع، فلا تجوز. وهذا هو الوجه الذي تكون في الرقى توقيفية.

أما الوجه الآخر، فأعني به: حكم الاقتصار على ما وردت الإشارة إليه من السور والآيات الكريمة، والرقى النبوية، هل هذا لازم، أم تجوز الرقية بما لم يرد كذلك ما دام أنه من القرآن والتعاويذ وذكر الله لا؟

هذا الأخير -والله أعلم- هو الأظهر، ويدل عليه ما يلي:

1. القرآن كله كلام الله تبارك وتعالى، و$إن الله وصف القرآن كله بأنه شفاء ورحمة للمؤمنين ولم يحدد آيات خاصة#[3] كما قال سبحانه: ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮﭼ الإسراء: ٨٢.

يقول ابن بطال[4] :: $وإذا جاز الرقى بالمعوذتين وهما سورتان من القرآن، كانت الرقية بسائر القرآن مثلها في الجواز؛ إذ كله قرآن#[5].

2. حديث عوف بن مالك ط مرفوعاً: $لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً#[6]. فهذا إذن نبوي في أي رقية لا تتضمن شركاً. ولا يعترض بهذا العموم على ما قدمته من كون الرقى توقيفية من وجه؛ لأن هذا العموم يُحمل على الرقى بالأدعية والتعاويذ المشتملة على ذكر الله والالتجاء إليه والتوسل به، وإن لم تكن بصيغتها تلك واردة في السنة، كأن يقول الراقي:

(1) هو: عبد اللطيف بن يوسف بن محمد الموصلي ثم البغدادي موفق الدين (557-629 هـ)، نزيل حلب، ويعرف قديماً بابن اللباد. انظر: عيون الأنباء (ص 683 وما بعدها)، والسير (22/320-323)._

(2) الطب النبوي له (ص 236) نقلا ً عن أحكام الأدوية (ص 507)._

(3) من فتوى فضيلة الشيخ عبد الله الجبرين، كما في $الفتاوى الذهبية في الرقى الشرعية# بإعداد خالد الجريسي (ص 41).

(4) هو: علي بن خلف بن بطال البكري أبو الحسن القرطبي المالكي، يعرف بابن اللجام (ت 449 هـ)، كان من أهل العلم والمعرفة والفهم، مليح الخط، حسن الضبط، عني بالحديث عناية تامة، له: شرح صحيح البخاري، وغيره. انظر: الديباج المذهب (2/105-106)، والصلة لابن بشكوال (2/394 رقم 888)._

(5) شرح صحيح البخاري (9/429)._

(6) سبق تخريجه (ص 593).

$أعيذك أيها المريض بقدرة الله وعزته من مرضك هذا ومن كل داء# ونحو هذا. فهذه الصيغة لم ترد عن النبي ح، ولكنها تعويذ بالله تعالى وصفاته. وهذا بخلاف ما يُرَكِّبه الراقون من جمل مسجوعة، لا تعويذ فيها بالله، كقولهم: $حبس حابس#، $صَرَبٌ# ونحو ذلك.

3. عموم قول النبي ح عندما سئل عن الرقى، حيث أجاب بقوله ح: $من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل#[1]. فهذا عام في الرقى، وهو مشروط بخلوه من الشرك كما في الحديث قبله، وخلوه من الألفاظ التي لا يعرف معناها.

يقول ابن حجر الهيتمي : -وهو يرد على من استدل بهذا الحديث على جواز الرقية بالاسم الأعجمي الذي لا يعرف معناه-: $ولا دليل فيه؛ لأنه ح لم يقل لهم ذلك إلا بعد أن سألوه أن عندهم رقيا يرقون بها، فقال لهم ح: $اعرضوا علي رقاكم# فعرضوها عليه، فقال: $لا بأس# ثم قال: $من استطاع منكم إلخ#؛ فلم يقل ذلك إلا بعد أن عرف رقاهم، وأنه لا محذور فيها#[2].

هذا، وقد غلط في هذا العموم فريقان:

الفريق الأول: أجاز كل رقية جُرّبت منفعتها، ولو لم يُعقل معناها، ذكره الحافظ ابن حجر :، ثم أجاب عليه بقوله: $لكن دل حديث عوف أنه مهما كان من الرقى يؤدي إلى الشرك يمنع، وما لا يعقل معناه لا يؤمن أن يؤدي إلى الشرك، فيمنع احتياطاً#[3]. قلت: وهذا الاحتياط هنا واجب، فيحرم استخدام الرقى التي لا يفهم معناها مطلقاً.

يقول أبو العباس القرطبي[4] :: $وأما الرقى والاسترقاء؛ فما كان منه مِن رقى الجاهلية، أو بما لا يعرف، فواجب اجتنابه على سائر المسلمين#[5].

الفريق الثاني: قوم وضعوا حزباً محدداً، بقراءة سور وآيات معينه، وبأعداد مخصصة، -لا يجوز تجاوزها- ومنها ما هو للعين، ومنها ما هو للمس ، ومنها ما هو للسحر، وهكذا، وعمدتهم في ذلك التجربة. وهذا العمل فيه

---

(1) سبق تخريجه (ص 593).
(2) الفتاوى الحديثية (ص 164).
(3) فتح الباري (195/10). وقد نقل محمد المختار : -على سبيل الإقرار- قولَ الحافظ ابن حجر : هذا في كتابه نور الحق الصبيح (71/9).
(4) هو: أحمد بن عمر بن إبراهيم أبو العباس الأنصاري القرطبي المالكي، ويعرف بابن المزين (656-578 هـ)، فقيه محدث، من كتبه: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم. انظر: البداية والنهاية (381/17)، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري (615/2)، والأعلام (186/1).
(5) المفهم (466/1).

نظر من وجهين:

1. أنه لا يجوز لأحد أن يقيد ما أطلقه الشرع، أو يخصص ما عممه، أن هذا تشريع، فلا يكون إلا بالوحي.

2. أن العلاج بالرقى يختلف عن العلاج بالعقاقير المادية، فقد يفيد الورد المعين، بوصفه وعدده في حال، ولا يلزم أن يكون بالعدد والوصف ذاته في حال آخر، إما لاختلاف الراقي، أو المرقي، أو نوع المرض ودرجته، أو مجموع ذلك، فإن الأدوية الإلهية لابد فيها من صدق اليقين، وهذا قد يوجد تارة، ويَعْدُم تارات، فكيف يزعم أحد أن ورده الذي حدده مجرب نافع مطلقاً.

فالأصل أن يُترك الناس يتعالجون بما استطاعوا من الرقى المشروعة، مع التأكيد على ما وردت به الرقية كالفاتحة، وآية الكرسي، والمعوذات، ولا ينُكر تأثير بعض الآيات والسور أكثر من الأخرى، وقد عُرف ذلك بالتجربة. ولكن لا يُجعل ذلك منهجاً للناس يتبعونه، فمثل هذا لم يفعله النبي ح، فكيف يفعله أحد من عامة البشر؟

أما ما لم يرد في صحيح السنة، ولا هو من الالتجاء إلى الله كما في ا لأدعية، فهذا باطل مردود، وإن ذكره أفاضل أهل العلم، لكونهم غير معصومين، وإنما العصمة لكتاب الله ورسوله ح.

يقول عبد الحق الدهلوي : وهو يتكلم عن الرقى: $وهي جائزة بالقرآن والأسماء الإلهية وما في معناها بالاتفاق، وبما عداها حرام، لاسيما لما لا يُفهم معناه#[1].

ومن أمثلة هذا النوع من الرقى الممنوعة التي لم تبلغ درجة الكفر:

أن تكون **الرقى بألفاظ مجهولة لا يعرف معناها** ولا يشتمل على شيء من ذكر الله ، سواء أ كانت تلك الألفاظ على شكل أحرف وأرقام أشبه ما يكون بالطلاسم، أم كانت الجهالة بسبب إسرار الراقي بقراءته لأ لفاظ الرقية، أو لكون ألفاظها جملا ً مبهمة المعنى خالية عن ذكر الله ولا د لالة على كونها رقية تؤثر في المرض.

وقد تكاثرت النقولات عن الأئمة في النهي عن الرقى المجهولة غير معقولة المعنى، والسر في النهي عنها أنه: $إذا لم يعرف معنى الاسم جاز أن يكون معنى محرماً؛ فلا ينطق المسلم بما لا يعرف معناه#[2]، فـ$الرقى التي لا يفقه معناها ... مظنة الشرك وإن لم يعرف الراقي أنها شرك#[3].

يقول الخطابي :: $فلذلك كُره من الرقى ما لم يكن بذكر الله وأسمائه

---

(1) عون المعبود (294/10).

(2) اقتضاء الصراط المستقيم (519/1).

(3) مجموع الفتاوى (13/19).

وبكتابه وباللسان الذي يعرف بيانه ويُفهَم معناه؛ ليكون بريئاً من شوب الشرك#[1].

وأوضح الحافظ البيهقي : أن الاسترقاء المذموم هو $الاسترقاء بما لا يُعرَف من كتاب الله أو ذكره؛ لجواز أن يكون شركاً#[2].

ويقول أبو العباس القرطبي : في تعداده لأقسام الرقى: $أحدها: ما كان يرقى به في الجاهلية مما لا يعقل معناه؛ فيجب اجتنابه لئلا يكون فيه شرك أو يؤدي إلى شرك...#[3].

ولقد رد الحافظ ابن حجر : على من أجاز كل رقية جُرّبت منفعتها، ولو لم يُعقل معناها، حيث قال متعقباً: $لكن دل حديث عوف[4] أنه مهما كان من الرقى يؤدي إلى الشرك يمنع، وما لا يعقل معناه لا يؤمن أن يؤدي إلى الشرك فيمنع احتياطاً#[5].

وقد حمل النووي : ما ورد من المدح في ترك الرقى على $الرقى التي هي من كلام الكفار، والرقى المجهولة التي لا يعرف معناها، فهذه مذمومة لا حتمال أن معناها كفرٌ أو قريب منه#[6].

ولما سئل العز بن عبد السلام : عمن $يكتب حروفاً مجهولة المعنى للأ مراض فتنجح وتُشفَى، هل يجوز كتـْبها؟# اختار أنه لا يجوز، واحتج بأمر النبي ح أن تُعرَض الرقى عليه، مبيّناً أن السبب في هذا الأمر أن من الرقى ما يكون كفراً[7].

ويقول ابن حجر الهيتمي :، وهو يتكلم عن حكم كتابة ما لا يعرف و العزيمة به: $ومذهبنا في ذلك أن كل عزيمة مقروءة أو مكتوبة، إن كان فيها اسم لا يعرف معناه فهي محرمة الكتابة والقراءة، سواء في ذلك المصروع أو غيره# ثم نقل عن بعض أهل العلم ما يوافق فتواه هذا، منهم: ابن رشد الجد المالكي[8] :، والعز بن عبد السلام الشافعي :[9].

---

(1) أعلام الحديث (2132/3) وانظر أيضاً: معالم السنن (226/4).
(2) الجامع لشعب الإيمان (396/2)._
(3) فتح الباري (10/196-197)._
(4) وهو حديث: $اعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً#._
(5) فتح الباري (195/10)._
(6) شرح صحيح مسلم (392/14)._
(7) انظر: فتاوى العز بن عبد السلام (ص 111) كما في جهود الشافعية (ص 522-523)._
(8) هو: أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي (450-530 هـ)، الإمام العلامة، شيخ المالكية، قاضي الجماعة بقرطبة، من مؤلفاته الكثيرة: البيان والتحصيل. انظر: الصلة (546/2 رقم 546)، وبغية الملتمس لابن عميرة (50)، وعيون الأنباء (ص 530-533)._

وقد تقدم ذكر كلام المناوي : في ذلك أيضاً[2].

ولا يجوز أيضاً الذهاب إلى الراقين الذين لا تتضح رقاهم، حيث يجهر بالقراءة تارة ويسر بها تارة أخرى؛ خشية أن يكون مما أسر شركاً، ولا ينخدعن أحد بجهرهم تارة لقراءة القرآن، إن كان أمرهم كما ذكرت.

يقول شيخ الإسلام :: $وعامة ما يقوله أهل العزائم فيه شرك، وقد يقرؤون مع ذلك شيئاً من القرآن ويظهرونه، ويكتمون ما يقولونه من الشرك#[3].

والحاصل: أنه لا يجوز لأحد أن يرقي بالرقى والتعاويذ المجهولة المعنى $وإن كان الجني قد ينصرف عن المصروع بها؛ فإن ما حرمه الله ورسوله ح ضرره أكثر من نفعه#[4].

شبهة والرد عليها:

هذا، وقد نقل أحدهم احتجاج بعض الناس على جواز الرقية بما لا يعرف معناه، $بما رواه الطبراني في "المعجم الأوسط" عن [زيد بن عبد الله][5] قال: عرضنا على رسول الله ح رقية من الحمة، فأذن لنا فيها، وقال: إنما هي مواثيق، والرقية: بسم الله شَجّةٌ قَرنِيّةٌ مِلحَةٌ بَحْرٍ. وقال في مجمع الزوائد: إسناده حسن#[6].

تخريج الحديث: أخرج هذا الحديث البخاريُ : في $التاريخ الكبير# (385/3 رقم 1284)، ومن طريقه الطبراني : في $المعجم الأوسط# (312/9 رقم 8681) قال: حدثنا م ُط ّلب بن شعيب، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثنا الليث، عن الحسن بن أبي الحسن البصري، عن زيد بن عبد الله، فذكر الحديث.

الحكم عليه: هذا الحديث فيه عدة علل[7]:

1. عبد الله بن صالح، هو: أبو صالح عبد الله بن صالح بن محمد الجهني كاتب الليث، قال عنه الإمام أحمد: $ليس هو بشيء#، وقال ابن

---

(1) الفتاوى الحديثية (ص 164).

(2) انظر (ص 604).

(3) مجموع الفتاوى (278/24).

(4) المصدر السابق.

(5) المدوّن في كتاب المخالف: $عبد الله بن زيد#، والتصحيح من التاريخ الكبير (385/3 رقم 1284)، والمعجم الأوسط (312/9 رقم 8681)، والإصابة (506/2 رقم 2922).

(6) Pemburu Hantu dalam Tinjauan Syari'at (الصيّادون لمردة الجن، في منظار الشريعة) لشريف رحمت (ص 84-85).

(7) استفدت في جمع هذه العلل من: النذير العريان لتحذير المرضى والمعالجين بـ الرقى والقرآن لفتحي بن فتحي الجندي (ص 75-76 -الحاشية).

المديني: $ضربت ُ على حديثه#، وقال صالح جزرة: $كان يكذب#[1]، وقال أبو حاتم: $كتبنا عنه#، وقال عبد الملك بن شعيب بن الليث[2]: $ثقة مأمون، قد سمع من جدي حديثه#[3]، ولخص الحافظ ابن حجر الأقوال السابقة بقوله: $صدوق كثير الغلط، ثبْت في كتابه، فيه غفلة#[4].

2. الليث بن سعد، لم يذكر أحد -فيما أعلم- سماعه من الحسن.

3. هذا الحديث ذكره الحافظ أبو نعيم :[5] والحافظ ابن حجر :[6]، فزادا بين الليث وبين الحسن: إسحاق بن رافع عن سعد بن معاذ. وإسحاق بن رافع، قال عنه أبو حاتم :: $ليس بقوي، لين، وهو أحب إلي من أخيه إسماعيل وأصلح#[7]. أما سعد بن معاذ -وهو الأنصاري-، فقد سكت عنه ابن أبي حاتم[8] وذكره ابن حبان في $الثقات# ولم يذكر له راوياً عنه غير إسحاق بن رافع[9]؛ فهو مجهول.

4. الحسن البصري، هو مدلس[10]، وقد عنعن هنا؛ فلا تقبل روايته[11].

الخلاصة: هذا الحديث ضعيف، فلا يحتج به. وقد أشار -تلميحاً- إلى هذا الضعف بعضُ العلماء المتقدمين.

قال ابن السكن[12] :: $لم نجد حديثه [يعني زيد بن عبد الله] إلا من هذا الوجه، وليس بمعروف في الصحابة#[13].

---

(1) العلل المتناهية (369/1-370 تحت رقم 614 –ط. دار الكتب العلمية)_.
(2) هو: أبو عبد الله عبد الملك بن شعيب بن الليث بن سعد الفهمي مولاهم البصري (ت 248 هـ)، ثقة. انظر: التقريب (رقم 4213).
(3) الجرح والتعديل (86/5)_.
(4) التقريب (رقم 3409)_.
(5) معرفة الصحابة (ص 1182 رقم 2995)_.
(6) الإصابة (506/2 رقم 2922).
(7) الجرح والتعديل (219/2)، وانظر: ميزان الاعتدال (191/1 رقم 753)، والمغني في الضعفاء (118/1 رقم 555)، ولسان الميزان (57/2 رقم 1023)_.
(8) الجرح والتعديل (93/4 رقم 412)_.
(9) الثقات (377/6)_.
(10) تعريف أهل التقديس (ص 56)، والتقريب (رقم 1237)_.
(11) انظر لحكم رواية المدلس إذا روى بلفظ محتمل كالعنعنة: الرسالة (ص 380)، و المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامهرمزي (ص 404-405)، ومقدمة ابن الصلاح (ص 171)، والتقريب للنووي مع تدريب الراوي (263/1)_.
(12) هو: أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن المصري (294-353 هـ)، أحد الأئمة الحفاظ الكبار، صاحب التصانيف. انظر: تذكرة الحفاظ (937/3-938)، و شذرات الذهب (12/3).
(13) الإصابة (506/2)_.

وقال الطبراني :: $لا يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا بهذا الإسناد تفرد به الليث#[1].

ثم على فرض صحة هذا الحديث، فإن تلك الرقى المجهولة قد اطلع عليها النبي ح وضَمِن عدمَ اشتمالها على الشرك؛ فلا إشكال في استخدامها. أما الرقى المجهولة الموجودة في زماننا، فمن ذا الذي سيضمن لنا خلوّها من محذورات شرعية؟؟

والرقى المشروعة كثيرة ومتوفرة، فهي -ولله الحمد- تغني عن تلك الرقى المجهولة، والعجب لأقوام لجؤوا إليها وتركوا الرقى الموروثة عن سيد الأنام ح! والله المستعان!

ومن أنواع الرقى المحرمة التي لم تبلغ درجة الشرك: **ما اشتمل على ألفاظ بدعية**: كالتوسل بجاه النبي ح وذاته أو غيره، وقد أطلت في بيان بدعية هذا النوع من التوسل في مبحث التوسل، فليراجع هناك[2].

وكذلك **ما خالطها أفعال محدثة**؛ كالصيام البدعي، وهو الصيام في عدد معين من الأيام، مع اجتناب أكل لحم الحيوان -تديناً- في تلك الأيام.

وأنواع الصوم المشروعة معروفة ومبثوثة مبيّنة في كتب الفقه، وليس منها ذاك الصوم المبتدع، فهو مما لم يُعهد فعله عن النبي ح ولا عن صحابته الكرام ن؛ فبالتالي هو من البدع المحدثة التي ما أنزل الله بها من سلطان. وشأن كل بدعة أنها مردودة لا تنفع صاحبَها. يقول المصطفى ح: $من عمل عملا ً ليس عليه أمرنا فهو رد#[3].

ومن هذا النوع من الرقى المحرمة: **ما ادعى فيها الرقاة أنهم يرون الجان -على صورتها الحقيقية[4]-**.

وممن يدّعي ذلك: مَن يسمون Tim Pemburu Hantu (فريق الصيّادين لمردة الجن)؛ وهم مجموعة من الناس، يزعمون إعانةَ من يبتلى بـ المس أو السحر أو من ابتلي بإثارة الرعب عليه من قبل الشياطين الذين يسكنون في مسكنه. وقد حظي عملهم هذا بتغطية شاملة من إحدى القنوات التلفزيونية الإندونيسية وهي Lativi (لا تِيْفِي)، ومن ثمّ جعلته

(1) المعجم الأوسط (312/9 رقم 8681).

(2) انظر: (ص 381 وما بعدها، 413 وما بعدها).

(3) سبق تخريجه في (ص 72).

(4) وإن لم يصرحوا بأن رؤيتهم للجان كانت على صورتها الحقيقة، إلا أن لسان حـ الهم يقول بذلك؛ إذ أن أحدهم يرسم -بزعمه- صورة تلك الجان على أوراق بصور مرعبة غالباً، يدّعون أنها هي شكل الجان، وقد بلغت تلك الصور:مائتين وسبعين صورة، كما في مجلة HAM (هَامْ)، العدد 10، أغسطس-سبتمبير 2005 (ص 71). انظر بعض تلك الرسوم في: Pemburu Hantu dalam Tinjauan Syari'at (الصيّادون لمردة الجن، في منظار الشريعة) (ص 66)، ومجلة HAM (هَامْ)، العدد 9، يوليو-أغسطس 2005 (ص 49).

ضمن إحدى برامجها المبثوثة على مدى يومين من كل أسبوع، فاشتهر أمر هذا الفريق كثيراً في أوساط المجتمع الإندونيسي في هذه الآونة الأخيرة، والله المستعان...

ووجه دخول هذا النوع ضمن الرقى المحرمة: اشتمالها لأمر خارجي عنها: وهو تلك الادعاءات البدعية التي أشرت إليها.

وقد حاول أحدُ المدافعين عن عمل هؤلاء تسويقَه، فكتب كتاباً[1] يذكر فيه أدلة من الكتاب والسنة وأقوالا ً لعلماء الإسلام، يزعم أنها تدل على صحة فعل هؤلاء وتؤيدها! فأوْرِد هنا -ما تيسر لي- مِن تلك الشبه، مع الرد عليها.

فأقول، وبالله التوفيق:

ما يتعلق بإمكانية رؤية الإنسان للجان، فقد بدأ المخالف -هداه الله- بإيراد مذاهب الناس فيها، وقال بأنهم على فريقين: الأول: مذهب أهل السنة الذين يرون إمكانية رؤية الجن، والثاني: مذهب المعتزلة الذين يرون عدم إمكانيتها. ثم أورد أدلة كل فريق وناقشها، ورجّح مذهب من قال بإمكانية رؤية الإنسان للجان[2].

والملاحَظ أن تقسيم المخالف السابق غير دقيق -كما سيظهر جلياً بعد قليل-، كما أن المخالف لم يبيّن بوضوح وصراحة: هل إمكانية رؤية الإنس للجن تكون على صورتها الحقيقة، أم تكون عند تشكلهم في غير صورهم الأ صلية في بعض الأوقات ولبعض الناس؟

والحق: أن الناس فرق أربعة في مسألة رؤية الجن[3]:

1. الجمهور: يَرَون أن الجن يُرَوْن إذا تشكلوا في غير صورهم الأصلية في بعض الأوقات ولبعض الناس[4].

2. الفريق الثاني: يرى أن رؤية الجن مختصة بالأنبياء لا فقط. وممن قال بذلك: الإمام الشافعي[5]، وابن حزم[6]، والنحاس[7]، والقشيري[8]،

---

(1) عنوانه: Pemburu Hantu dalam Tinjauan Syari'at (الصيادون لمردة الجن، في منظار الشريعة) لكِياهِيْ الحاج شريف رحمت.

(2) انظر: المرجع نفسه (ص 20-43).

(3) انظر: عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة لعبد الكريم نوفان فواز عبيدات (ص 29).

(4) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (316/4-317)، ومنهاج السنة (149/2)، ومجموع الفتاوى (7/15)، وبيان تلبيس الجهمية (74/1)، وتفسير المنار (525/7).

(5) انظر: فتح الباري (344/6).

(6) انظر: الفصل (111/5).

(7) انظر: إعراب القرآن له (607/1)، وتفسير القرطبي (188/9).

(8) انظر: تفسير القرطبي (189/9).

وبعض المحْدَثين[1].

3. الفريق الثالث: ينكر رؤية البشر للجن، سواء كانوا أنبياء أو غير أنبياء، وهو قول لبعض المحْدَثين، كالمعتزلة[2] وغيرهم[3].

4. الفريق الرابع: يتوسع في دائرة الرؤية، فيثبت رؤية الجن بصورهم الأصلية للأنبياء ولمن اختصه اللّه بذلك من غير الأنبياء من البشر، وهو قول أبي الثناء الألوسي[4]، وبعض المحْدَثين.

والذي تدعَمه النصوص الثابتة وتشهد له التجربة مع كثير من الناس، هو القول الأول؛ أعني القول بوقوع رؤية الجان للأنبياء مطلقاً ولغيرهم عند تمثلهم، أذكر بعض النصوص في ذلك، وما وقع لبعض الناس فيه:

أما الدليل من القرآن، فقوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ الأنفال: ٤٨.

عن ابن عباس م قال: $جاء إبليس يوم بدر في جُنْد من الشياطين، معه رايته، في صورة رجل من بني مُدلج، والشيطان في صورة سراقة بن م الك بن جعشم[5]، فقال الشيطان للمشركين: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ. فلما اصطف الناس، أخذ رسول اللّه ح قبضةً من التراب فرمى بها في وجوه المشركين، فولوا مدبرين. وأقبل جبريل إلى إبليس، فلما رآه، وكانت يده في يد رجل من المشركين، انتزع إبليس يده فولى مدبرًا هو وشيعتہ ُه، فقال الرجل: يا سراقة، تزعم أنك لنا جار؟ قال: ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ، وذلك حين رأى الملائكة#[6].

والدليل من السنة[7]: ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ط أنه ق ال: قال رسول اللّه ح: $إن عفريتاً من الجن جعل يفتك عليّ البارحة، ليقطع

(1) انظر: الفتاوى الحديثية (ص 92).

(2) انظر: الكشاف (436/2)، وفتح الباري (344/6). والمعتزلة هم: فرقة ظهرت في الإسلام أوائل القرن الثاني الهجري، سلكت منهجاً عقلياً متطرفاً في مسائل الا عتقاد والاستدلال به. سموا بذلك لاعتزال مؤسس نحلتهم؛ واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري في قصة مشهورة، وقيل غير ذلك. انظر: الملل والنحل (ص 43 وما بعدها)، وذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين لليافعي (ص 49).

(3) انظر: لوامع الأنوار البهية (220/2)، وعمدة القاري (251/15)، والجن بين الحقائق والأساطير لعلي الجندي (ص 49).

(4) انظر: روح المعاني (82/29 –ط. المنيرية).

(5) هو: سراقة بن مالك بن جُعشُم الكناني ثم المُدلجي أبو سفيان (ت 24 هـ)، صحابي مشهور، من مسلمة الفتح. انظر: التقريب (رقم 2229).

(6) رواه الطبري في تفسيره (221/11)، والبيهقي في دلائل النبوة (3/78-79).

(7) فتح المنان في جمع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عن الجان، للشيخ مشهور آل سلمان (ص 56 -الحاشية).

عليّ الصلاة، وإن الله أمكنني منه فذَعَتُه[1]. فلقد هممت أن أربطه إلى جنب سارية من سواري المسجد، حتى تصبحوا تنظرون إليه أجمعون أو كلكم، ثم ذكرت قول أخي سليمان: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ [ص: ٣٥]، فرده الله خاسئاً#[2].

وهناك أحاديث أخرى تدل على رؤية النبي ح الجن، ليس هنا محل بسطها[3]. وأما ما روي عن ابن عباس م من قوله: $ما قرأ رسول الله ح على الجن ولا رآهم ...#[4]، فقد أجاب العلماء عن هذا الأثر بأجوبة، منها:

1. أن قول ابن عباس م نفي، وقول غيره من الصحابة -منهم ابن مسعود ط الذي روى رؤية النبي ح للجن وقراءته لهم[5]- إثبات، والإثبات مقدم على النفي[6].

2. أن قصة الجن كانت بمكة، وكان ابن عباس م يومئذ طفلا ً أو لم يولد بالكلية، فهو م إنما يرويها عن غيره، وابن مسعود ط يرويها مباشرة عن النبي ح فابن مسعود ط أعلم بالقصة من ابن عباس م[7].

3. أن يحمل كل أثر على قصة مستقلة، فتتعدد الواقعة، فلا تنافي[8].

4. أن نفي ابن عباس م لقراءة رسول الله ح إنما هو حيث استمعوا التلاوة في صلاة الفجر، ولم يرد به نفي الرؤية ولا التلاوة في عموم الأحوال. يحققه قول ابن عباس م في قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ... ﭼ الأحقاف: ٢٩؛ قال: $كانوا سبعة من جن نصيبين، فجعلهم رسول الله ح رسلا ً إلى قومهم#[9]؛ فعُلِم أن ابن عباس م لم ينف كلامه ح إلا حيث سمعوه وهو يصلي الفجر بأصحابه، ولم يرد أن ذلك في كل حالة. وإن كان في الكلام

---

(1) أي: خنقته. انظر: النهاية في غريب الحديث (160/2).

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ (546/8 رقم 4808 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والتعوذ منه وجواز العمل القليل في الصلاة (384/1 رقم 541)، واللفظ لمسلم.

(3) للتوسع راجع: عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة (ص 21-29، 31-33).

(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر (253/2 رقم 773)، ومسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح و القراءة على الجن (331/1 رقم 449)، واللفظ لمسلم.

(5) أصل القصة رواها مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن (332/1 رقم 450).

(6) انظر: تحقيق البرهان في رسالة محمد ح إلى الجان لابن قاضي الجبل (ص 635)، وفتاوى السبكي (599/2).

(7) انظر: تحقيق البرهان (ص 636)، وفتاوى السبكي (599/2).

(8) انظر: تفسير القرطبي (275/21).

(9) رواه الطبري في تفسيره (165/21).

نفي عام؛ فهو محمول على تلك الصورة الخاصة، وقد قال ابن عباس م في قوله تعالى: ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ الجن: ١٩: $لما سمعوا -يعني الجن- النبي ح يتلوا القرآن كادوا يركبونه من الحرص لما سمعوه يتلو القرآن ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول فجعل يقرئه#[1].[2]

هذا ما يتعلق برؤية النبي ح للجن، أما كون غير النبي ح قد يرون الجن عندما يتشكلون؛ فإن ذلك ثابت لجمع من الصحابة[3]، منهم أبو هريرة ط الذي وكله رسول الله ح بحفظ زكاة رمضان، وفيه أن الشيطان كان يأتيه على صورة رجل فقير، يحثو من الطعام، حتى رفع ط أمره إلى الرسول ح، فأخبره ح أن الذي يأتيه إنما هو شيطان[4].

كما رأى معاذ بن جبل ط جنِّياً في صورة فيل[5]،

(1) ذكره السيوطي في الدر المنثور (28/15) وعزاه لابن جرير وابن مردويه.
(2) انظر: تحقيق البرهان (ص 635-636)، وعمدة القاري (425/16).
(3) للتوسع راجع: عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة (ص 24، ، 31-33).
(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلا ً فترك الوكيل شيئاً فأجازه... (487/4 رقم 2311)، ومواضع أخرى.
(5) رواه الحاكم في المستدرك (563/1)، وقال: $هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه#، ووافقه الذهبي.

وراه أبو أيوب الأنصاري[1] ط في صورة هرة ثم تحولت عجوزاً[2]، ورآه بريدة الأسلمي ط في صورة امرأة[3]، ورآه أحد الصحابة في صورة حية عظيمة[4]، ورأى ابن عمر م وبيص جان[5]، ورأى ابن مسعود ط الجن في صورة رجال سود عليهم ثياب بيض [6]، ورآه أُبَيّ بن كعب ط في صورة دابة تشبه الغلام المحتلم[7].

فالروايات تدل دلالة واضحة على إمكانية رؤية غير النبي ح للجن إذا تشكلوا في غير صورهم الأصلية.

يقول شيخ الإسلام :: $والجن يتصورون في صور الإنس والبهائم؛ فيتصورون في صور الحيات والعقارب وغيرها، وفي صور الإبل والبقر و الغنم والخيل والبغال والحمير، وفي صور الطير، وفي صور بني آدم...# [8]، $والجن يراهم كثير من الناس#[9]، $قد يراهم الصالحون وغير الصالحين أيضاً، لكن لا يرونهم في كل حال#[10].

وإذا كان الأمر كما سبق بيانه، فما هو معنى قوله تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼالأعراف: ٢٧، حكاية عن إبليس وقبيله من الشياطين؟

يقول العلامة الشوكاني :: $وقد استدل جماعة من أهل العلم بهذه الآ ية على أن رؤية الشياطين غير ممكنة، وليس في الآية ما يدل على ذلك، وغاية ما فيها أنه [أي إبليس] يرانا من حيث لا نراه، وليس فيها أنا لا نراه

---

(1) هو: أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب الأنصاري (ت 50 هـ)، من كبار الصحابة، شهد بدراً، ونزل النبي ح حين قدم المدينة عنده. انظر: التقريب (رقم 1643).
(2) روى القصة الطبراني في المعجم الكبير (4/162-163 رقم 4012)، وأبو الشيخ في العظمة (5/1651-1652 رقم 1093).
(3) رواه البيهقي في دلائل النبوة (7/110-111). قصة معاذ بن جبل، وأبي أيوب الأ نصاري، وبريدة الأسلمي، شبيهة بقصة أبي هريرة المذكورة أعلاها، فهي محمولة على التعدد؛ كما قال ابن حجر في فتح الباري (4/489)، والمباركفوري في تحفة ا لأحوذي (8/185 –ط. دار الفكر).
(4) رواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب قتل الحيات وغيرها (4/1756 رقم 2236).
(5) رواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب قتل الحيات وغيرها (4/1754 رقم 2233).
(6) ذكر القصة علاء الدين الهندي في كنـز العمال (6/168-169) ونسبه لعبد الرزاق.
(7) رواه ابن حبان في صحيحه (3/63-64 رقم 784 -الإحسان)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص 533 رقم 960).
(8) مجموع الفتاوى (19/45).
(9) درء تعارض العقل والنقل (5/132).
(10) مجموع الفتاوى (15/7).

أبداً، فإن انتفاء الرؤية منا له في وقت رؤيته لنا لا يستلزم انتفاءها مطلقاً#[1].

ثم إن المقصود من الآية عدم رؤيتنا لهم على صورتهم الأصلية التي خلقهم الله عليها، وليس معناها انتفاء رؤيتنا لهم في حال تشكلهم بمختلف الصور، التي ثبت تشكلهم بها، لورود الأحاديث الصحيحة في ذلك. يقول الحافظ ابن حجر :: $إن الشيطان قد يتصور ببعض الصور، فتمكن رؤيته، وأن قوله تعالى: ﭼ ﮒ ﮒ ﮒ ﮒ ﮞ ﮞ ﮖ ﮖ ﭽ مخصوص بما إذا كان على صورته التي خلق عليها، ... وأنهم يظهرون للإنس لكن بالشرط المذكور#[2]، يقصد إذا تشكلوا بغير صورهم.

ويقول شيخ الإسلام :: $الذي في القرآن أنهم يرون الإنس من حيث لا يراهم الإنس، وهذا حق يقتضي أنهم يرون الإنس في حال لا يراهم الا نس فيها، وليس فيه أنهم لا يراهم أحد من الإنس بحال؛ بل قد يراهم الصالحون وغير الصالحين أيضاً، لكن لا يرونهم في كل حال#[3].

والخلاصة: أن الجن يمكن رؤيتهم إذا تشكلوا في غير صورهم الأ صلية، في بعض الأوقات، ولبعض الناس.

وإنما قيّد الكلام بكونه $في بعض الأوقات، ولبعض الناس#؛ لأن الأ صل في $جنس الإنسان أنه لا يستطيع أن يرى جنس الجن رؤية حقيقة على هيئتهم التي خلقوا عليها#[4]. لذلك سمي الجن جناً لأنها مأخوذة من ا لاجتنان، وهو التستر والاستخفاء، لاجتنانهم من الناس فلا يُرون. وعلى هذا ، فهُمْ ضد الإنس؛ لأن الإنس سمي بذلك لظهوره وإدراك البصر إياه، فيقال: آنست الشيء: إذا أبصرته[5].

وهناك أحوال ثلاثة يمكن للإنسان فيها رؤية الجن عند تشكلهم[6]:

(1) فتح القدير (724/1).

(2) فتح الباري (489/4)، وانظر: فتح المنان في جمع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عن الجان (ص 459-460 -الحاشية).

(3) مجموع الفتاوى (7/15).

(4) من كلام فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين -بتصرف يسير كي يتناسب مع سياق الكلام-، كما في الفتاوى الذهبية في الرقى الشرعية (ص 256).

(5) انظر: لسان العرب (385/2، 233/1)، وكتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية لأبي حاتم الرازي (172/2).

(6) Dukun Hitam Dukun Putih, Menguak Rahasia Kehebatan Sekutu Setan (الكاهن الأسود والكاهن الأبيض؛ الكشف عن سر قوة حليف الشيطان)، لأبي عمر عبد الله (ص 149)، و Membongkar Kesesatan Praktek Sihir pada Reiki Tenaga Dalam dan Ilmu Kesaktian (الكشف عن ضلالات العملية السحرية في راييكي، والقوة الباطنية وعلم ما فوق الطبيعة)، لفيردانا أحمد (ص 82)، بتصرف وإضافة.

1. أن يُظهر الجن صورتهم عن إرادتهم أنفسهم، دون أي طلب من الإ نس، وهذه الحالة هي التي حصلت لأصحاب الرسول ح -وقد ذكرت بعض تلك الوقائع قريباً-، وكذلك التي تحصل لبعض الأطفال.

2. أن يقرأ الشخص عزائم معيّنة، أو يعمل طقوساً معينة شركية، أو أن يشرب الشخص ماء قد قُرئ عليه تلك العزائم المعيّنة.

3. أن يكون الإنسان ممسوساً مصروعاً، ففي هذه الحالة قد يرى أولئك الجان.

ويغلب على الظن أن Tim Pemburu Hantu (فريق الصيّادين لمردة الجن) من الصنف الثاني(1)، والله أعلم.

ومن أنواع الرقى المحرمة ما يزعم فيها الراقون أنهم قادرون على قبض الجني وإدخاله في قارورة زجاجية، وأمره بالتلبس في جسد شخص ما، ثم يسأله أسئلة، وهكذا؛ كأن الجن مسخرون لهم، يتصرفون فيهم كيف شاؤوا!

إن تسخير الجان لم يكن إلا لسليمان ؛، ولم يكن لغيره من الأنبياء فضلاً عن من ليس بنبي. فقد سأل سليمان ؛ ربّه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ؛ فقال: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ ص: ٣٥.

قال تعالى: ﭽ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﭼ ص: 36-٣٩.

وقال تعالى: ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ الأنبياء: 81-٨٢.

وقال سبحانه: ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﭼ سبأ: 12-١٤.

وكذلك ما ذكره من قول العفريت له: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ النمل: ٣٩.

فهذه الطاعة من التسخير بغير اختيارهم في مثل هذه الأعمال الظاهرة العظيمة ليس مما فعلته لأحد من الإنس، وكان ذلك بغير أن يفعل ؛ شيئاً مما يهوونه، من العزائم والأقسام والطلاسم الشركية، التي يفعلها المشعوذون الذين يزعمون تسخير الجان لهم!

فطاعة الجن والشياطين لسليمان ؛، لم تكن من جنس معاونتهم للسحرة والكهان والكفار وأهل الضلال والغي، بل نزهه الله لا عن ذلك بقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼ البقرة: ١٠٢(2).

حكم الاستعانة بالجن في الرقى:

(1) انظر: المرجعين السابقين.

(2) انظر: الجواب الصحيح (6/167-168)، ومجموع الفتاوى (35/182)، وفتح المنان في جمع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عن الجان (ص 175-177).

قد يقول البعض: إن ما فعلناه من باب الاستعانة بالجن في أمر مباح، فلا حرج في ذلك! قبل الجواب عن هذه الشبهة، ينبغي معرفة أمر مهم وهو: كيفية أو طرق اتصال الإنس بالجن والشياطين[1]:

يقول السحرة: إن هناك (مقامات) للاتصال بالجن والشياطين وتسخيرهم، وهذه المقامات لا تتعدى أموراً ثلاثة:

أولها: الاستخدام: وهو أعلى المراتب، ويشترط فيه الصيام، واجتناب أكل لحم الحيوان، والخلوة، وتلاوة الأسماء المخصوصة كالجلجلونية، مع ما يصاحبها من أبخرة، ويأخذ المعزم العهد عليهم بملازمة الطاعة والخدمة.

يقول الدكتور عمر الأشقر: $والراغبون في بلوغ مرتبة السحر يسلكون طرقاً متقاربة لمقابلة الشيطان أو أحد أتباعه، فيخرج الواحد منهم في ليلة مقمرة في مكان مهجور بعيداً عن العمران في منتصف الليل، وهناك يقوم بأعمال يحبها الشيطان ويرضاها؛ كأن يخلع ملابسه، ويحيط نفسه بدائرة يرسم عليها الأشكال والرموز والطلاسم التي يحبها الشيطان ويرضاها، ثم يأخذ في الإنشاد ممجداً الشيطان، داعياً إليه. وبعضهم يصحب معه بعض الحيوانات، ويقوم بذبحها وهو يمجد الشيطان، ومهدياً هذه الحيوانات له#[2].

ثانيها: الاستنـزال: وهو يلي الأول في الرتبة، ويُعمل لاكتشاف الحوادث، من سرقة أو ضائع أو نحوه، ويدّعون كذباً استنـزال أرواح الملا ئكة، ومن اعتقد ذلك كفر؛ لأنه لا مجال للتأثير على الملائكة، فهم ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﭼ التحريم: ٦.

ثالثها: الاستحضار: ويقولون: إن الاستحضار يكون بواسطة تلبس الجان جسد المحضَر أو أحد أقاربه، فيحصل له حالة تشبه النوم، وهو ما يعرف بالمندل، ومن الوسائل المتبعة في هذه الطريقة أخذ الأثر من طاقية أو عمامة أو نحوه.

والذي سأتحدث عنه هنا هو النوع الثالث، وهو الاستعانة المجردة عن الكفر والشرك، بسبب أن النوع الأول والثاني يندرج تحت الأعمال السحرية -وله مبحث مستقل يأتي بإذن الله-[3]، وهذه الأعمال بطبيعتها كفرية بحتة، حيث يحتوي النوع الأول على عبادة الشيطان بما يحبه من صيام واجتناب أكل لحم الحيوان والخلوة وأسماء كفرية ونحوها، وأما النوع الثاني فيدّعي استنـزال الملائكة، وهذا اعتقاد كفري كما أشرت آنفاً.

والآن أوان الشروع في الجواب عن شبهة هؤلاء، فأقول وبالله

---

(1) نقلا ً عن القول المعين في مرتكزات معالجي الصرع والسحر والعين، لأبي البراء أسامة بن ياسين المعاني (ص 134-136) باختصار.
(2) عالم السحر والشعوذة (ص 173).
(3) انظر ما سيأتي في (ص 747 وما بعدها).

التوفيق:

إن الاستعانة بالجن المسلم -كما يدعي البعض- في العلاج لاتجوز؛ للأ
سباب التالية[1]:

1. قد ثبت أن النبي ح رقى ورُقي وأمر أصحابه بالرقية؛ فاجتمع بذلك فعله وأمره وإقراره ح، فلو كانت الاستعانة بالجن المسلم -كما يدعي البعض - فضيلة، ما ادخرها الله عن رسوله ح يوم سحرته يهود[2]، ولا عن أصحابه ن وهم خير الخلق وأفضلهم بعد أنبيائه، وفيهم من أصابه الصرع، وفيهم من أصابته العين، وفيهم من تناوشته الأمراض من كل جانب، فما نقلت لنا كتب السنة عن راق فيهم استعان بالجن.

فقد رسخ رسول الله ح في نفوس المسلمين عقائدَ سامية، ومبادئ أخ
لاقية، تأصيلا ً للعقيدة الصحيحة التي تُوجِّه السلوك والتصرف، وذلك بالا
عتماد والتوكل على الله ـ وحده. عن ثوبان ط قال: قال رسول الله ح: $ومن يتقبل لي بواحدة أتقبل له بالجنة؟#، قلت: $أنا#، قال: $لا تسأل الناس شيئاً#. فكان ثوبان يقع سوطه، وهو راكب، فما يقول لأحد: ناولنيه، حتى ين-زل فيأخذه#[3].

يقول النووي :: $فيه التمسك بالعموم لأنهم نهوا عن السؤال، فحملوه على عمومه، وفيه الحث على التن-زيه عن جميع ما يسمى سؤالا ً وإن كان حقيرا#[4].

فاللجوء إلى الجن والاستعانة بهم تجعل المستعين ضعيفاً في نظرهم وفي نظر غيرهم من الجن والإنس، وأما الاستعانة بـالله سبحانه وتعالى فتجعل الإنسان قوياً واثقاً؛ لاستعانته بخالق الكون، المتصرف الذي له مُلك السماوات والأرض، وهو على كل شيء قدير.

2. السمة العامة لأقوال الجن والشياطين الكذب والافتراء، وقد وصفهم النبي ح -كما في حديث أبي هريرة ط- بأن الجن $كذوب#[5]، فلا ينبغي تصديقهم، فكم $أدت الاستعانة بمن زعموا أنهم من مسلمي الجن من قبل بعض الراقين إلى فتن وشحناء ومشكلات بين الناس، فيقول الراقي:

---

(1) فتح المنان في جمع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عن الجان (ص 213-214 - الحاشية)، والقول المعين (ص 137-162) بتصرف واختصار وإضافات..

(2) والقصة رواها البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب السحر (221/10 رقم 5763 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب السحر (1719/4 رقم 2189) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(3) سبق تخريجه في (ص 404).

(4) شرح صحيح مسلم (133/7).

(5) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلا ً فترك الوكيل شيئاً فأجازه... (487/4 رقم 2311 -الفتح) ومواضع أخرى.

إن الجن يقول: إن الحاسد أو العائن هو الزوجة الثانية، أو السحر من قبل أهل الزوجة، أو من فلان من الأقرباء وهكذا، مما يؤدي إلى القطيعة و الشحناء والشرور#[1].

3. من المعلوم أن الجن أصل خلقته من النار، كما قال تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ الحجر: ٢٧، وكما قال الرسول ح: $...وخلق الجان من مارج من نار ...#[2]. والنار خاصيتها الإحراق، فيغلب على طبعه الظلم والاعتداء وسرعة التقلب والتحول من حال إلى حال؛ فقد ينقلب من صديق إلى ألد ا لأعداء، ويُذيق صاحبَه سوءَ العذاب لأنه أصبح خبيراً بنقاط ضعفه.

$احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مره
فلربما انقلب الصديق فكان أعلم بالمضره#[3].

4. أن السلامة من ضررهم وتأثيرهم على المستعين بهم في عقيدته وأمور دينه متعذرة؛ لأن الجن من الأمور الغيبية التي يصعب على الإنسان فيها الحكم عليهم بالإسلام، أو الكفر، أو الصلاح، أو النفاق، $فلا يستطيع أن يحكم على هؤلاء بالإسلام أو الكفر، فإن كانوا مسلمين لا يستطيع أن يحكم عليهم بالصلاح أو النفاق#[4]؛ لأن الحكم بذلك مبني على معرفة تامة بخلقهم ودينهم والتزامهم وتقواهم، وهذا لا يمكن الاستيثاق منه؛ لانعدام مقاييس تحديد الصادقين والكاذبين منهم بالنسبة إلينا.

فـ$عدالة الجن لا تـُعلم حتى لو كان قريناً للإنسان، وهل الجن فيما يخبر به عدل أو غير عدل، ولهذا ذكر علماء الحديث في كتب المصطلح: أن رواية مسلمي الجن ضعيفة؛ لأن الرواية في صحتها موقوفة على معرفة العدالة والثقة في الراوي، وهذا لا سبيل للوصول إليه بالنسبة للجن#[5].

فالاستعانة بهم -مع جهلنا بحالهم- قد تفتح باباً في استدراج الشيطان للمستعين بكافة الطرق والوسائل والسبل للإيقاع به في الكفر أو الشرك أو المحرم، والقصص قديماً وحديثاً تؤكد ذلك. فكم من رجال عُرفوا بالا ستقامة والصلاح، وتم استدراجهم، وماتوا على الكفر أو المعصية، والعياذ ب الله!

(1) من كلام فضيلة الشيخ صالح آل الشيخ كما في مجلة الدعوة، العدد 1683 من ذي القعدة 1419 هـ (ص 23)، نقلاً عن القول المعين (ص 130).
(2) سبق تخريجه في (ص 553).
(3) يتيمة الدهر للثعالبي (109/3).
(4) القول المعين (ص 126-127)، وهو فتوى للشيخ الألباني :، حصل عليها هاتفياً صاحبُ كتاب القول المعين، وقد أذن الشيخ : بنشرها.
(5) من كلام فضيلة الشيخ صالح آل الشيخ كما في مجلة الدعوة، العدد 1683 من ذي القعدة 1419 هـ (ص 23)، نقلاً عن القول لمعين (ص 130).

لاسيما وأنه $لا يستخدم أحداً منهم إلا بمعاوضة؛ إما عمل مذموم تحبه الجن، وإما قول تخضع له الشياطين؛ كالأقسام، والعزائم؛ فإنّ كلّ جني فوقه من هو أعلى منه، فقد يخدمون بعض الناس طاعة لمن فوقهم؛ كما يخدم بعض الإنس من أمرهم من سلطانهم بخدمته لكتاب معه منه، وهم كارهون طاعته. وقد يأخذون منه ذلك الكتاب ولا يطيعونه، وقد يقتلونه، أو يُمرضونه؛ فكثيرٌ من الناس قتلته الجنّ كما يصرعونهم#[1].

من شواهد ما سبق تقريره: ما حصل لإحدى النساء التي دخل الجن في جسدها، حيث وجّهها لأن تكون كاهنة، ويعينها على ذلك![2]

5. إن جنس الإنس أفضل من جنس الجن منهم، وكلهم مخلوقون لله لأ. يقول ابن قاضي

(1) كتاب النبوات لشيخ الإسلام (1015-1014/2).

(2) انظر: مجلة Ghoib (غيب)، العدد 40، السنة الثانية، تاريخ 7 ربيع الثاني 1426 هـ / 16 مايو 2005 م (ص 4-9).

الجبل[1] : في بيان السرّ من ذكر الإنس قبل الجن في قوله تعالى: ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ الإسراء: ٨٨: $وبدأ في هذه الآية الكريمة بالإنس قبل الجن؛ لكونهم أفضل وأفصح، وبدأ بالجن في قوله تعالى: ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ الذاريات: ٥٦؛ لأن الجن وُجِدوا قبل الإ نس[2]؛ فالبداءة هنا لأجل السبق الوجودي، والبداءة هناك لأجل التمييز في الفضل والاقتدار على الفصاحة#[3].

ويقول شيخ الإسلام : وهو يفسر قوله تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ الجن: ٦: $كان الرجل من الإنس ينـزل بالوادي -والأودية مظان الجن؛ فإنهم يكونون بالأودية أكثر مما يكونون بأعالي الأرض- فكان ا لإنسي يقول: أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه، فلما رأت الجن أن الإنس تستعيذ بها، زاد طغيانهم وغيـُهم، وبهذا يجيبون المعزم َ والراقي بأسمائهم وأسماء ملوكهم، فإنه يقسم عليهم بأسماء من يعظمونه، فيحصل لهم بذلك من الرئاسة والشرف على الإنس ما يحملهم على أن يعطوهم بعض سؤلهم -لا سيما وهم يعلمون أن الإنس أشرف منهم وأعظم قدراً- فإذا خضعت الإنس لهم واستعاذت بهم؛ كان بمنـزلة أكابر الناس إذا خضع لأ صاغرهم ليقضي له حاجته#[4].

إذا كان الأمر كذلك؛ فاستعانة الإنس بهم تؤدي إلى اغترارهم، وهي من استمتاع الجن بالإنس المذكور في قوله تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ الأنعام: ١٢٨-129.

يقول ابن جريج[5] : في قوله تعالى: ﭽ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ: $كان الرجل في الجاهلية ينـزل الأرض فيقول: أعوذ بكبير هذا الوادي؛ فذلك استمتاعهم، فاعتذروا به يوم القيامة. أما استمتاع الجن بالإنس فإنه كان -فيما ذكر- ما ينال الجن من الإنس من تعظيمهم إياهم في استعانتهم بهم فيقولون: قد

---

(1) هو: شرف الدين أبو العباس أحمد بن الحسن المقدسي الصالحي الحنبلي الشهير بابن قاضي الجبل (693-771 هـ)، عالم متفنن بالحديث والنحو واللغة والفقه، من تصانيفه: القصد المفيد في حكم التوكيد، والفائق في المذهب. انظر: الرد الوافر لا بن ناصر الدين (ص 138)، والنجوم الزاهرة (86/11)، وشذرات الذهب (219/6-220).

(2) قال ابن عباس م في قوله تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ الحجر: ٢٧: $يريد من قبل خلق آدم#. انظر: تفسير الرازي (184/19).

(3) تحقيق البرهان في رسالة محمد ح إلى الجان (ص 645).

(4) إيضاح الدلالة في عموم الرسالة، ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام (33/19-34).

(5) هو: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي مولاهم المكي (ت 150 هـ تقريباً)، ثقة فقيه فاضل. انظر: التقريب (رقم 4221).

سُدنا الإنس والجن#[1].

6. يجب المفاصلة بين الراقي بالقرآن والساحر، وهذا الأمر فيه مشابهة لفعل السحرة؛ فالساحر يستعين بالجن ويساعدونه ويقضون له بعض حوائجه، لذا فقد يختلط الأمر على من قل حظه من العلم -لاسيما في هذا الزمان الذي فشا فيه الجهل بين عامة الناس، وبعدوا عن منهج الكتاب والسنة وعن طلب العلم الشرعي- فيساوي بين الراقي بالقرآن والساحر، فيروج بذلك سوق السحرة، وهذا من المفاسد العظيمة على العقيدة.

7. هذه الاستعانة قد تكون حجة لكثير من السحرة على ادعاء معالجتهم بالرقية الشرعية وقراءة القرآن، لعلمهم أن الناس أدركت خطورتهم وكفرهم، فيدعون الرقية والاستعانة بالصالحين من الجن، فيطرق الناس أبوابهم، ويطلبون العلاج على أيديهم، وكثير من أولئك ينساقون وراءهم، إما لضعف اعتقادهم، أو خوفاً منهم ومن إيذائهم وبطشهم. و القصص والشواهد على ذلك كثيرة جداً، والواقع الذي يعيشه الناس يؤكد ذلك أيضاً.

8. الاستعانة بالجن غالباً ما تكون نتيجة تلبس الجني لبدن المعالج أو أحد الأفراد الحاضرين، وهذا مشاهد ملموس، تقره الخبرة والتجربة العلمية، وفي ذلك مخالفة شرعية صريحة لنص الآية الكريمة: ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ البقرة: ٢٧٥، ووجود الجني داخل جسد الإنسان بهذه الكيفية وعلى هذا النحو غير جائز وغير سائغ شرعاً، وليس من عقيدة المسلم أن الغاية تبرر الوسيلة، إنما الوسيلة -كما بيّنها الشرع الحنيف- هي: اتخاذ الأسباب الشرعية الثابتة في الكتاب والسنة، وكذلك الأسباب الحسية المباحة لعلاج تلك الأمراض الروحية.

كيف ندعو الجن -باختيار منا- ليتلبس في جسدنا، وقد أمرنا الرب جل وعلا في غير ما آية بالاستعاذة منهم؟! ﭽﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡﭼ المؤمنون: 97-٩٨، كما شرع الله لأ لنا ما شرع -على لسان نبيه ح- من أذكار الصباح والمساء، وأذكار النوم وغيرها، من أجل تحصين المرء من وسوسة الشياطين، وغير ذلك من حكمها البليغة؟

ثم إن هناك مفسدةً أخرى جراءَ هذا العمل؛ وهو تعلق قلب المتلبس بِـالمعالِج أو المشعوذ -الذي أمر الجني بالتلبس في جسده- في إخراج الجني من جسده، وفي هذا من ضعف التوكل على الله ما هو ظاهرٌ، مع أن الله تبارك وتعالى قد أمرنا بالالتجاء إليه عند وجود نزغات الشياطين، فقال عز من قائل: ﭽﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆﭼ الأعراف: ٢٠٠.

ولو لم يكن في هذا العمل إلا مخالفةً لهدي سيد المرسلين ح في علاج المس، لكفى، كيف وقد تضمن مفاسد أخرى كما سبق بيانه؟

---

(1) تفسير ابن كثير (338/3).

فقد أدرك أحد المدافعين عن عمل Tim Pemburu Hantu (فريق الصيّادين لمردة الجن) هذا، بأنه لا دليل من الكتاب والسنة يدل على مشروعيته بل ولا إباحته، فلجأ إلى الاستدلال بالإنجيل!! فقال: $نقْل الجن من جسد إلى جسد قد عمل به النبي عيسى ؛، كما جاء في الإنجيل: $ومكثت غير بعيد عن الياسوع جملة من الخنازير ترعى، فقال الشياطين له: "إذ أردت أن تطردنا فانقلنا إلى أجساد تلك الخنازير". فقال لهم الياسوع: "اذهبوا!"، فخرج الشياطين ودخلوا في أجساد تلك الخنازير، فألقت الخنازير بأجسادهم إلى البحيرة، ثم ماتت فيها# انظر: إنجيل متى (32-30/8)، ومرقوس (13-11/5)، ولوقا (33-32/8)[1]. كان نقل الجن قديماً يعد من مزايا النبي عيسى ؛، ثم اختفت تلك المقدرة مدة من الزمن، وظهرت مرة أخرى على أيدي عدد من أمة محمد ح، والحمد لله...#[2].

قلت: قد أجمع العلماء على وقوع كثير من التحريفات في الكتب المتقدمة عن القرآن؛ في معانيها وترجمتها[3]، واختلفوا في وقوع التحريف في ألفاظها[4]، ورجح بعض المحققين أن التحريف قد وقع في اليسير منها، وأكثرها باق على ما أنزل عليه[5].

فإذا كان الأمر كذلك؛ فلا نأمن من أن يكون تلك الآية الإنجيلية التي استشهد بها المخالف من التحريفات الموجودة في الانجيل.

(1) انظر: الكتاب المقدس - كتاب العهد الجديد (ص 15، 63، 107).
(2) Pemburu Hantu dalam Tinjauan Syari'at (الصيّادون لمردة الجن، في منظار الشريعة) (ص 51).
(3) انظر: الجواب الصحيح (419/2، 123/5)، وفتح الباري (523/13).
(4) انظر ذلك الخلاف في: الجواب الصحيح (418/2 وما بعدها)، وإغاثة اللهفان (1113/2وما بعدها)، وفتح الباري (524-523/13).
(5) انظر: الجواب الصحيح (420/2).

وحتى لو ثبت أنها مما لم يحرّف، فالشريعة الإسلامية قد نسخت جميع الشرائع السابقة[1]، يقول الحافظ ابن كثير :: $ولكنه تعالى شرع لكل رسول شرعة على حدَة، ثم نسخها أو بعضها برسالة الآخر الذي بعده، حتى نسخ الجميع بما بعث به عبده ورسوله محمدًا ح الذي ابتعثه إلى أهل الأ رض قاطبة، وجعله خاتم الأنبياء كلهم#[2]؛ قال تعالى مبيناً أن محمداً ح هو خاتم الأنبياء والرسل: ﭽﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝﯞ ﭼ الأحزاب: ٤٠، وقال موضحاً إرسال رسول الله ح للناس كافة: ﭽﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ سبأ: ٢٨.

فإن قيل: إن العلماء اختلفوا في حكم الاحتجاج بشرع من قبلنا، فيجاب: بأن المسألة التي وقع فيها الخلاف هي: إذا ما كان ذلك الشرع ثابتاً كونه شرعاً لمن قبلنا وذلك بوروده في الكتاب والسنة الصحيحة، ثم لم يرد في شرعنا ما يؤيده ويقرره، ولم يرد أيضاً في شرعنا ما ينسخه ويبطله[3]. وهذه الشروط غير متوفرة في الآية الانجيلية التي استشهد بها المخالف؛ فبالتالي هي مردودة بالاتفاق.

9. الاستعانة بالجن المسلم -كما يدعي البعض- تعلق قلب الراقي بهذا الجني، وهذا ذريعة لتفشي استخدام الجن مسلمهم وكافرهم، ومن ثم يصبح وسيلة من وسائل الشرك بالله لا وخرقاً لثوب التوحيد. ومن فهم مقاصد الشريعة تبين له خطورة هذا الأمر، فما قاعدة $سد الذرائع# إلا من هذا القبيل.

10. إن في استخدام الجن تعدِّياً على ما خص الله نبيه سليمان ؛ من تسخير الجن لخدمته، وذلك لقوله تبارك وتعالى: ﭽﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ ص: ٣٥[4].

11. قد يستشهد البعض على الاستعانة بالجن في الرقية، بقول شيخ ا لإسلام :: $ومن كان يستعمل الجن في أمور مباحة له؛ فهو كمن استعمل الإ نس في أمور مباحة له، وهذا كأن يأمرهم بما يجب عليهم، وينهاهم عما

---

(1) يستثنى من ذلك التوحيد؛ لأن دين جميع الأنبياء التوحيد. قال ح: $الأنبياء إخوة لعلات؛ أمهاتهم شتى، ودينهم واحد# رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭼ (476/6 رقم 3443 - الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى ؛ (1837/4 رقم 2365). قال الحافظ ابن حجر : في الفتح (487/6): $معنى الحديث: أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع#. وانظر كلام النووي : بنحوه في شرحه على صحيح مسلم (119/15)._

(2) تفسير ابن كثير (130/3).

(3) انظر: مجموع الفتاوى (19/6-7)، وشرح الكوكب المنير (412/4-414)، ومذكرة أصول الفقه (ص 249-250)، ورحلة الحج إلى بيت الله الحرام (ص 112-113).

(4) المنية في توضيح ما أشكل من الرقية (ص 46)، وانظر: (ص 622-623) من هذه الرسالة.

حُرِّم عليهم، ويستعملهم في مباحات له، فيكون بمـزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذلك، وهذا إذا قُدِّر أنه من أولياء اللّٰه تعالى فغايته أن يكون في عموم أولياء اللّٰه، مثل النبي الملك مع العبد الرسول: كسليمان ويوسف مع إبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات اللّٰه وسلامه عليهم أجميعن#(1).

قلت: يجاب عن هذا الاستشهاد بأوجه(2):

1. إن كلامه : في المسألة عام، ولم يتطرق إلى قضايا الاستعانة في التطبب والرقية والعلاج. فهو : $ما ذكر هذه العبارات إلا للمقارنة بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان الذين يتحدث عنهم في كتابه. والمتأمل لعباراته يجد أنه وضّح وقيّد هذا الاستعمال بقوله: "كأن يأمرهم بما يجب عليهم وينهاهم عما حُرِّم عليهم ويستعملهم في مباحات لهم...". وشبّه : أولياء الرحمن الصالحين الذين يأتمر الجن بأمرهم، بمنـزلة الملوك، ومثّلهم بالنبي الملك مع العبد الرسول أه.

فالملوك الصالحون يأمرون بطاعة اللّٰه وينهون عن معصية اللّٰه، حيث إن ابن تيمية مثّل بذلك. فماذا كان يأمر هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الناسَ؟ لا شك أنهم كانوا يأمرون بعبادة اللّٰه وحده، وينهون عن كل عمل يؤدي إلى الشرك، وصرف القلب عن اللّٰه، وعدم التوكل عليه.

والمتأمل في نهج وعقيدة ابن تيمية يجد أنه مِن أحرص الناس على تثبيت العقيدة في قلوب المسلمين، ومِن أشدهم تحذيراً من كل عمل يتنافى مع جناب التوحيد، أو فيه شبهة شرك. فالإمام ابن تيمية : لم يتطرق إلى إباحة استخدام الجن في العلاجات ... ولم يقل: يجوز أن تصاحب جنياً بإشارة معينة مثل الرمز أو القراءة أو نحو ذلك، فإذا حضر الجني طلبت منه ما تحتاج إليه من تشخيص داء، أو معرفة دواء، أو الاستدلال على مخفي.

ولكنه قصد -واللّٰه أعلم- أنك إذا قرأت على مصروع فحضر الجني الصارع وتكلم على لسانه، هنا عليك أن تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، ولو سألته عن مباحات جاز ذلك، وإن كان خلاف الأولى، مع العلم بأن فيهم كذباً كثيراً؛ فلا يصدقون في كل ما يخبرون به#(3)، كما أنه لابد أن يكون السؤال بقدر الحاجة والضرورة، دون الاسترسال والحوارات التي لا فائدة منها، والتي تفضي إلى

(1) مجموع الفتاوى (307/11).
(2) القول المعين (ص 152-158) بتصرف.
(3) عالج نفسك بنفسك، لمحمد عبد الهادي لافي (ص 36)، نقلا ً عن القول المعين (ص 156).

محاذير شرعية كثيرة[1].

2. قد قال : بعد أن ذكر هذا الكلام: $وإن لم يكن تام العلم بالشريعة فاستعان بهم فيما يظن أنه من الكرامات؛ مثل أن يستعين بهم على الحج، أو أن يطيروا به عند السماع البدعي، أو أن يحملوه إلى عرفات، ولا يحج الحج الشرعي الذي أمره الله به ورسوله، وأن يحملوه من مدينة إلى مدينة، ونحو ذلك؛ فهذا مغرور قد مكروا به#[2].

فالمتأمل في كلام شيخ الإسلام السابق، يلاحظ أن توفر العلم الشرعي شرط أساسي للاستعانة، فالعالم وطالب العلم أكثر حرصاً ودقة من غيرهما في المسائل والأحكام الشرعية، فكل منهما له قدرة عل الموازنة بين المصالح والمفاسد، ومعرفة الحلال من الحرام، وله اطلاع بأمور كثيرة تخفى على كثير من الناس. وبإلقاء نظرة سريعة في يومنا هذا، يلاحَظ أن معظم من طرقوا هذا الباب واستعانوا بالجن جهلة بالعلم الشرعي، لا يفقهون ولا يدركون أصوله، ونجزم أن شيخ الإسلام : لو عاش بين أظهرنا؛ لما أجاز الاستعانة بمضمونها الحالي، لِما يترتب عليها من مفاسد عظيمة، قد تؤدي إلى خلل في العقيدة، بل قد تدمرها من أساسها. $ومن أمثلة ذلك: هؤلاء الجهال الذين ينادون الجني، وقد تعلقت قلوبهم بالجن من دون الله في جلب النفع ودفع الضر، ولبّست عليهم الشياطين أمرَ دينهم؛ فاختلطوا بالنساء وواقعوا ما حرم الله#[3]، وباعوا القلائد والخواتم للناس بأموال طائلة، وادّعوا أن معها جناً صالحاً يعين ويحفظ، $فأين هذا الانحراف مما ذكره ابن تيمية في حكم استخدام الجن؟! لقد أساء البعض في فهم نصوص الشريعة، وبالتالي فلا غرابة في إساءة فهم كلام الأئمة. يدلك على ذلك جحافل المعالجين الذين أهدروا معاني العقيدة و الشريعة في علاجهم، بزعم أن شيخ الإسلام ابن تيمية أجاز استخدام الجن!!#[4].

3. أنقل كلاماً لشيخ الإسلام : يؤكد المفهوم الدقيق الذي عناه من سياق كلامه، حيث نقل العلامة ابن مفلح : كلاماً له، يقول فيه:

---

(1) انظر بعض تلك المحاذير في: منهج الشرع في علاج المس والصرع لأبي البراء أسامة بن ياسين المعاني (ص 173-183).
(2) مجموع الفتاوى (308/11).
(3) الرقية النافعة للأمراض الشائعة، لسعيد عبد العظيم (ص 41)، نقلاً عن القول المعين (ص 157).
(4) المرجع السابق.

$قال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية: رسول اللّه ح لم يكن مستخدماً الجن، لكن دعاهم إلى الإيمان باللّه، وقرأ عليهم القرآن ، وبلغهم الرسالة، وبايعهم كما فعل بالإنس، والذي أوتيه النبي ح أعظم مما أوتيه سليمان، فإنه استعمل الجن والإنس في عبادة اللّه وحده، وسعادتهم في الدنيا والآخرة، لا لغرض يرجع إليه إلا ابتغاء وجه اللّه وطلب رضاه#(1).

4. حتى ولو فُرض جدلا ً أنه قد فُهم من كلام شيخ الإسلام : ما فهمه هؤلاء المشعوذون -مع أن دون ذلك خرط القتاد- فـ$ان ابن تيمية : ليس بحجة على الشرع، بل الشرع حجة على الجميع، و اللّه أعلم#(2).

ومن أنواع الرقى المحرمة ما يزعم فيها الراقون أنهم قادرون على نقل المرَض أو الداء من جسد المريض إلى جسد الحيوان؛ كالشاة مثلا ً، أو الأرنب أو غيرهما.

قلت: هذا العمل محرم لأسباب، منها:

1. أن هؤلاء -بلا شك- يستخدمون الجن في عملية هذا النقل، وليس بغريب أن يكون لدى الجن قدرةٌ على ذلك، $خاصة أنه قد ثبت بالتواتر أن عالم الجن والشياطين عالم متقدم علمياً في هذا الجانب، ولهم طرقهم الخاصة في علاج تلك الأمراض، بكيفية لا يعلمها إلا اللّه#(3)، وقد مضى قريباً بيان حكم الاستعانة بالجن مفصلا ً.

2. أن في هذا العمل ظلماً للحيوان، إذ بأي ذنب يتحمل ذلك المخلوق من مخلوقات اللّه مرضَ ابن آدم؟ فـ$الظلم ظلمات يوم القيامة#(4) كما قال المصطفى ح.

قد يبرر البعض هذه العملية، بكون تلك الشاة ستُذبَح ثم يُتصدّق بلحمها للفقراء والمساكين. وفي هذا التبرير، يتفلسف بعضهم بقوله: $يعني تنفيذ هذه العملية حثٌ للناس على الاهتمام بالآخرين. فقد يبتلى الإنسان

---

(1) مصائب الإنسان من مكائد الشيطان (ص 156).

(2) عالج نفسك بنفسك، لمحمد عبد الهادي لافي (ص 36)، نقلا ً عن القول المعين (ص 156).

(3) القول المعين (ص 181)، وانظر: Membongkar Kesesatan Praktek Sihir pada Reiki Tenaga Dalam dan Ilmu Kesaktian (الكشف عن ضلالات العملية السحرية في راييكي، والقوة الباطنية وعلم ما فوق الطبيعة)، (ص 52).

(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، باب الظلم ظلمات يوم القيامة (100/5 رقم 2774 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (1996/4 رقم 2579) من حديث عبد اللّه بن عمر م.

بمرض ما عقوبةً على بُخله، وعدمِ إخراجه للزكاة ونحوها...#[1].

فيجاب: نعم، قد جاء في حديث حسنه بعض أهل العلم: $داووا مرضاكم بالصدقة#[2]؛ فهو -إن ثبت- يدل على مشروعية الاستشفاء بالصدقة[3]؛ إلا أن تطبيق ذلك -ولله الحمد- لا يحتاج إلى أن يظلم الإنسان غيره من مخلوقات الله لأ، حتى ولو كان حيواناً، إنما يكفيه أن يتصدق بما تيسر له بنية الاستشفاء.

3. بما أن هذه العملية مما لا يمكن تفسيرها من الناحية العملية أو الطبية، نتيجة لعدم خضوعها للتجارب العملية للدراسة الطبية والتطبيق العملي الأكاديمي؛ فهي تؤدي إلى تعلق أفئدة الكثير من المسلمين بهؤلاء المعالجين، مما قد يترتب عنها توكلهم على هؤلاء، واعتقاد أن الشفاء بأيديهم، وغيرها من المفاسد العظيمة التي لا يعلم مداها وضررها إلا الله لأ.

4. يقول البعض: $بعد أن تم عملية نقل المرض من بدن المريض إلى بدن الحيوان، ذهبنا إلى المستشفى للتأكد من زوال المرض، فجاءت نتيجة التحليل باختفاء المرض تماماً!#.

فيجاب: بأن الجن لهم قدرة -بإذن الله- على إخفاء المرض عن نظر الأجهزة الطبية الحديثة، فبالتالي تظهر النتيجة بأن المريض قد شفي تماماً من مرضه، مع أن الحقيقة: أن المرض لا يزال باقياً في جسده، وسيظهر المرض ثانياً إذا ما رجع المريض إلى داره، فلا فائدة تجنى من ذلك. وقد وقع هذا الانخداع لعدد من الناس!

بل حتى ولو ثبت حقيقةً شفاءُ هؤلاء من أمراضهم، نتيجة لهذه العملية؛ فإن ذلك لا يبرر تلك العملية ويصبغها بصبغة شرعية؛ لأن النبي ح قد قال: $تداووا، ولا تداووا بحرام#[4]، وقد أثبتنا أن الاستعانة بالجن في العلاج من الأمور المحرمة شرعاً.

وقد يحصل الشفاء بفعل محرم، ولا يدل ذلك على رضى الله عن ذلك الأمر المحرم، بل هو من الاستدراج، كما قال جل في علاه: ﭽ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﭼ المؤمنون: 55-٥٦، وقال ح: $إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يُحبّ فإنما هو استدراج، ثم تلا رسول الله ح: ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ

(1) Fenomena Ustadz Haryono & Keajaiban Tradisi Pengobatan (ظاهرة الأستاذ هريونو، وأعجوبة العلاج) (ص 27).
(2) رواه البيهقي في السنن الكبرى (382/3)، وقال الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (458/1 رقم 744): $حسن لغيره#.
(3) انظر: رفع الستور لبيان طريقة علاج الممسوس والمعيون والمسحور، لهاشم الرفاعي (ص 15).
(4) سبق تخريجه في (ص 601).

بم بى بي تج تحچالأنعام: ٤٤#[1].
ومن أنواع الرقى المحرمة: ما يزعم فيه المعالجون أنهم قادرون على علاج المرضى من مسافات بعيدة عنهم.
قلت: هذا الزعم يحتمل أمرين اثنين:
أولهما: -وهذا الذي أعنيه- قيام هؤلاء بمعالجة المرضى من مسافات بعيدة عنهم، دون أي قراءة عليهم بأي وسيلة من الوسائل الحديثة كالهاتف مثلا ً، بل غاية ما يفعلون: سؤال المرضى عن اسمهم، واسم والدتهم، وتاريخ ولادتهم، وقد يطلبون من المرضى بعض آثارهم، ثم يبدؤون بالعلاج دون أي اتصال مباشر بهم.
فهذا النوع من العلاج نجزم أنه لن يخلو من الاستعانة بالجن، إن لم يكن من السحر.
الثاني: أن يعالج بعض الراقين عن طريق الهاتف، بحيث يقرأ المعالج آيات من كتاب الله لأ وكذلك أدعية مأثورة عن رسول الله ح.
أقول: إن الأساس الذي لابد أن يضبط كافة الممارسات والوسائل المتبعة في العلاج هو: عدم مخالفتها الأسس والقواعد والشروط الرئيسة للرقية الشرعية، والرقية عمل يحتاج إلى اعتقاد ونية حالَ أدائها ومباشرةِ النفث على المريض، وهذا مما قد لا يتوفر بعضه في مثل تلك الحالة.
إلا أن العلاج الذي يتبع أحياناً عن طريق الهاتف قد لا يخالف تلك الأ سس، ويندرج تحت الوسائل المتطورة التي توفرت في العصر الحاضر، إذا كان الأمر كذلك فإنه -والله أعلم- لا بأس في اتباعه، شريطة أن يندرج تحت ما تقتضيه الضرورة والمصلحة الشرعية، مع أن الأولى تركه بسبب الا عتبارات التالية:

1. إن الأصل في العلاج بالرقية الشرعية أن يكون نابعاً من قبَل أهل البيت أنفسهم، فيقرأ الرجل على نفسه وأهل بيته، وتقرأ المرأة على نفسها وأهل بيتها، فيتحتم على أهل البيت رقية مريضهم دون التعلق بالآخرين، وعليهم الاعتماد والتوكل على الله ـ، وهذا هو الأ ولى والأتقى والأسلم.
2. بعض السنن المتبعة في الرقى يتعذر تطبيقها إذا ما كان العلاج عن طريق الهاتف، ومن تلك السنن: النفث على المريض بعد القراءة، ووضع اليد على موضع الألم.
3. بعض المرضى ممن يعانون من الإصابة بالمس الشيطاني، يحتاجون لمعالِج متمرس يتعامل مع الحالة المرضية بما يتلاءم

(1) رواه أحمد في مسنده (547/28 رقم 17311) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، وصححه بالمتابعةِ الشيخُ الألباني في السلسة الصحيحة (774/1 رقم 413).

معها من وسائل وأساليب وممارسات، وبالتالي فإن القراءة على المصروع عن طريق الهاتف لا يتوفر بها مثل هذا المناخ، إضافة لعدم استطاعة أهل المرضى التعامل مع الحالة المرضية بما يناسبها ، أو خوفهم من هذا الموقف، ونحو ذلك من أمور أخرى، وبالعموم فقد يؤدي استخدام مثل هذا الأسلوب -أحيانا- لمفاسد عظيمة، فدرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة.

4. من الوسائل المهمة التي لابد من اتباعها تجاه المرضى المصابين بـ المس الشيطاني: قوة الشخصية وصلابة الجأش من قبل المعالِج، وهذا ما لا يتوفر في حالة العلاج عن طريق الهاتف[1].

هذا، وقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عن حكم قراءة القرآن أثناء الرقية بمكبر الصوت، أو عبر الهاتف مع بُعد المسافة؟

فأجابت -حفظها الله-: $الرقية لابد أن تكون على المريض مباشرة ولا تكون بواسطة مكبر الصوت ولا بواسطة الهاتف؛ لأن هذا يخالف ما فعله رسول الله ح وأصحابه ن وأتباعهم بإحسان في الرقية ...#[2].

وسئل فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين -حفظه الله- عن حكم العلاج عن طريق الهاتف، فأجاب -حفظه الله-: $الأولى أن تكون الرقية بمباشرة للمرقي، ولا بأس بهذا الفعل دون أن يترتب على هذه القراءة أية مفسدة شرعية، والله تعالى أعلم#[3].

ومن أنواع الرقى المحرمة: أن يعالج الراقي بدون أي قراءة لأوراد الرقى البتة، وإنما دأبه: سب الجن، أو مجرد النظر في عيني المريض، أو الضغط على موضع معين من الجسد، مع خلو هذه الأفعال من أي قراءة للرقية الشرعية.

وإنما أدرجت هذا النمط ضمن أنواع الرقى الممنوعة -مع أن صاحبها لم يرْقِ المريض؛ إذ هو لم يقرأ عليه البتة-؛ لأن صاحبها قد سمى علاجه رقية.

وسأبين بطلان هذا النوع من الرقى في الفائدة الأولى التي ستأتي بعد هذه الفقرة:

- فائدتان:

كان العلاج بالرقى المشروعة شبهَ منسي في المجتمع الإندونيسي، إلا أنه في الآونة الأخيرة -مع نشاط بعض الناس المنتسبين للدعوة- بدأ العلاج

(1) منهج الشرع في علاج المس والصرع (ص 378-380) بتصرف.
(2) جزء من فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (رقم 20361) بتاريخ 1419/4/17، نقلا ً عن منهج الشرع (ص 380).
(3) فتوى شفهية بتاريخ 27 جمادى الثانية 1420 هـ، نقلا ً عن منهج الشرع (ص 380-381).

بالرقى -ولله الحمد- ينتشر بشكل واسع، وهذه الظاهرة تبشر بالخير بلا شك. لكن بما أن هذا النوع من العلاج يعدّ جديداً لدى كثير من الناس هناك؛ فإنهم يحتاجون إلى أن يتصوروا التصور الصحيح له؛ فلذلك أرى أنه من المناسب إيراد بعض الفوائد المتعلقة بهذا العلاج الإلهي في نهاية هذا المطلب.

وأهم هذه الفوائد -فيما يظهر لي-: توضيح الكيفية الصحيحة للرقية، وبيان أن الرقية علاج شامل للأمراض غير الحسية والأمراض الحسية أو العضوية.

الفائدة الأولى: كيفية الرقية

أ- الأصل في الرقية أن تكون بالقراءة على من أريد رقيته، ولا يقال لشيء رقية إلا إذا اشتمل على قراءة، إنما أؤكد على هذا الشيء؛ لأن بعض المشعوذين -لما رأووا إقبال الناس في هذه الآونة على الرقى الشرعية- أرادوا أن يستغلوا تلك الفرصة -لأكل أموال الناس بالباطل- فيسمون عياداتهم بالرقى بدلا ً عن تسميتهم لها سابقاً بالشعوذة! مع أن طريقتهم في العلاج هي نفسها طريقتهم الشعوذية، فكان لابد من التنبيه على ذلك.

ويدل على هذا الأصل فعل النبي ح عندما رقى مريضاً أو أرشد الصحابة لذلك. عن عبدالعزيز(1) قال: دخلت أنا وثابت على أنس بن مالك ط، فقال ثابت: يا أبا حمزة اشتكيت، فقال أنس: ألا أرقيك برقية رسول الله ح؟ قال: بلى. قال: $اللّهم رب الناس مذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاء لا يغادر سقماً#(2).

وعن عثمان بن أبي العاص(3) ط أنه شكا إلى رسول الله ح وجعاً يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ح: $ضع يدك على الذي تألم من جسدك، وقل: بسم الله ثلاثاً، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر#(4).

فلذلك وجدنا تعريفات العلماء للرقية -مع تنوع ألفاظها- تدور حول معنى القراءة(5).

---

(1) هو: عبد العزيز بن صهيب البناني البصري (ت 130 هـ)، ثقة. انظر: التقريب (رقم 4130).

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب رقية النبي ح (26/10 رقم 5742 -الفتح)._

(3) هو: عثمان بن أبي العاص الثقفي الطائفي أبو عبد الله، صحابي شهير، استعمله النبي ح على الطائف، ومات في خلافة معاوية بالبصرة. انظر: التقريب (رقم 4517)._

(4) رواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب استحباب وضع اليد على موضع الألم مع الدعاء (1728/4 رقم 2202).

(5) انظر تلك التعريفات في (ص 588-589).

ب- يجوز أن ينفث[1] الراقي مع هذه القراءة، سواء أ كان هذا النفث قبل القراءة أو بعدها أو معها[2]، وتدل على ذلك الأحاديث التالية:

عن عائشة ك $أن النبي ح كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما: "قل هو الله أحد"، و"قل أعوذ برب الفلق"، و"قل أعوذ برب الناس"، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات#[3]. فهذا الحديث يدل على أن النفث قبل القراءة.

وعن عائشة ك قالت: $كان رسول الله ح إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات. فلما مرض ح مرضه الذي مات فيه، جعلتُ أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه؛ لأنها كانت أعظم بركة من يدي#[4]. فهذا الحديث يدل على النفث حالة القراءة. قال الإمام النووي : مستنبطاً: $فيه استحباب النفث في الرقية#[5].

وجاء في قصة المعتوه الذي رقاه أحد الصحابة قول الراوي: $فقرأت عليه بفاحة الكتاب ثلاثة أيام غدوة وعشية، أجمع بزاقي ثم أتفل ...#[6]. فهذا الحديث يدل على وقوع النفث بعد القراءة، قال ابن أبي جمرة[7] :: $ا لأظهر أن يكون النفث بعد القراءة[8]، فمحل التفل في الرقية بعد القراءة ليحصل بركة الريق في الجوارح التي يمر عليها#[9].

ج- يجوز للراقي أن يضع يده على مكان الألم ويمسحه عند الرقية

---

(1) انظر: نيل الأوطار (461/5). والنفث شبيه بالنفخ، وهو أقل من التفل، والتفل شبيه بالبزق، وهو أقل منه. أول ذلك البزق، ثم التفل، ثم النفث، ثم النفخ. انظر: الصحاح (295/1، 1644/4).

(2) أحكام الرقى والتمائم (ص 57)._

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات (60/9 رقم 5017)._

(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات (60/9 رقم 5016 -الفتح)،_ومسلم في صحيحه، كتاب الطب، باب رقية المريض بالمعوذات و النفث (1723/4 رقم 2192)، واللفظ لمسلم.

(5) شرح صحيح مسلم (403/14)._

(6) رواه أحمد في مسنده (156/36 رقم 21836)، والحاكم في مستدركه (560/1) وصححه ووافقه الذهبي، ورمز لصحته السيوطي كما في الجامع الصغير (ص 397 رقم 6384 –ط. دار الكتب العلمية) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (828/2 رقم 4494)._

(7) هو: عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي أبو محمد (ت 695 هـ)، من علماء الحديث. انظر: الأعلام (89/4)._

(8) بهجة النفوس (229/2)._

(9) الفجر الساطع على الصحيح الجامع، للشبيهي (9/13).

ويدعو للمريض بالأدعية النبوية المأثورة[1].

والأصل في هذا: حديث عثمان بن أبي العاص ط المتقدم، وقد بوب النووي : لهذا الحديث بقوله: $باب استحباب وضع يده على موضع الألم، مع الدعاء#[2].

كما يجوز مسح موضع الألم باليد بعد النفث عليه[3]، والأصل في هذا: حديث عائشة ك أن النبي ح كان يُعَوّذ بعضَ أهلِه، يمسح بيده اليمنى ويقول: $اللّهم رب الناس أذهب البأس واشفه أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقماً#[4].

وعن عائشة ك قالت: $كان رسول الله ح إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه بِـ"قُل هو الله أحد" وبالمعوذتين جميعاً، ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده#. قالت عائشة: $فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به#[5].

يقول الحافظ ابن حجر :: $وهذا لا يدل على المنع من التعوذ بغير هاتين السورتين، بل يدل على الأولوية، ولا سيما مع ثبوت التعوذ بغيرهما، وإنما اجتزأ بهما؛ لما اشتملتا عليه من جوامع الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا ً#[6].

$ولكن لا يجوز للرجل الأجنبي أن يمس شيئاً من جسد المرأة عند الرقية، ولا يجوز لها إبداء شيء من بشرتها كالصدر والعنق ونحوهما، بل يقرأ عليها ولو كانت محتجبة، وذلك يفيد حيث كان، ويسن أن تتعلم الأخوات القارئات الرقية، رجاء أن يعالجن بها النساء المحتشمات#[7]، وهذا النهي قائم سواء أ كان المس بحائل أو بغير حائل[8].

عن معقل بن يسار ط عن النبي ح قال: $لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له#[9].

---

(1) منهج الشرع في علاج المس والصرع (ص 137)، وأحكام الرقى والتمائم (ص60 -61). وانظر: الفتاوى الذهبية في الرقى الشرعية (ص 17)._

(2) شرح صحيح مسلم (411/14)._

(3) الفتاوى الذهبية في الرقى الشرعية (ص17)._

(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب رقية النبي ح (206/10 رقم 5743 -الفتح)._

(5) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب مسح الراقي الوجع بيده اليمنى (209/10 رقم 5748)._

(6) فتح الباري (195/10)._

(7) اللؤلؤ المكين من فتاوى ابن جبرين (ص 23)._

(8) المنية في توضيح ما أشكل من الرقية (ص 31)._

(9) رواه الروياني في مسنده (323/2 رقم 1283)، والطبراني في الكبير (210/20

وقد بايعت الصحابياتُ رسولَ الله ح، ولم يصافح ح إحداهن البتة![1]، يقول الحافظ ابن حجر : في معنى قول الرسول ح للمرأة: $قد بايعتك كلاماً#: $أي يقول ذلك كلاماً فقط، لا مصافحة باليد كما جرت العادة بمصافحة الرجال عند البيعة#[2].

ولا يُتَذرّع بالقياس على طب الأبدان في جواز المس بدعوى قوة تأثير المس في نجاعة العلاج؛ لأن الطب الجسماني من أهم خصائصه اعتماده على القانون الطبيعي للأشياء، وإعمال مسلك الدوران $الذي توصّل بواسطته الأطباء إلى ما علموه من فوائد الأدوية والأغذية حيث دارت معها آثارها وجوداً وعدماً#[3]. فطب الأبدان مؤسّس على مجموع ما يُدرك بـ الحس، فهو من قبيل عالم الشهادة، وهو عالم الأكوان الظاهرة.

بخلاف أمر الرقية؛ فهي معالجة الأمراض والآلام بالدعاء والالتجاء إلى الله تعالى، وتترتب عليها آثار عجيبة تتقاعد العقول عن الوصول إلى كُنهها، فهي إذن من الطب الروحاني الذي هو من قبيل عالم الغيب، ولا يخفى أن قياس عالم الغيب على عالم الشهادة ظاهر الفساد، لاختلال ركنه وشرطه؛ ذلك لأن العلة غائبة مستورة ومقصورة على محلها في عالم الغيب، ومن شرط العلة: أن تكون وصفاً ظاهراً ومتعدياً، ولمّا انتفى الظهور والتعدي في الوصف، اختلّ حالتئذٍ البناء القياسي[4].

وقد سئلت $اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء# عن حكم مس جسد المرأة، أو يدها أو جبهتها مباشرة من غير حائل، بحجة الضغط و التضييق على ما فيها من الجان، خاصة إن مثل هذا اللمس يحصل من الأ طباء في المستشفيات، فما هي الضوابط في ذلك؟

فأجابت -حفظها الله-: $لا يجوز للراقي مس شيء من بدن المرأة التي يرقيها، لما في ذلك من الفتنة، وإنما يقرأ عليها بدون مس. وهناك فرق بين عمل الراقي، وعمل الطبيب؛ لأن الطبيب قد لا يمكنه العلاج إلا بمس الموضع الذي يريد أن يعالجه، بخلاف الراقي، فإن عمله وهو القراءة والنفث

رقم 486)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (765/2 رقم 2799): $رجال الطبراني ثقات رجال الصحيح#، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (326/4): $رجاله رجال الصحيح#، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (900/2 رقم 5045)._

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﭽ ﮬ ﮬ ﮬ ﮬ ﭼ (636/8 رقم 4891 -الفتح) من حديث عائشة ك._

(2) فتح الباري (636/8)._

(3) مذكرة أصول الفقه (ص 406-407)._

(4) المنية في توضيح ما أشكل من الرقية (ص 32-33).

لا يتوقف على اللمس#[1].

د- ينبغي أن يصحب القراءةَ -في نفس الراقي والمرقي عليه- اليقينُ و الاعتقاد الجازم $بأن القرآن شفاء ورحمة وعلاج نافع، فلا يفيد إذا كان متردداً يقول: أفعل الرقية كتجربة إن نفعت وإلا لم تضر، بل يجزم بأنها نافعة حقاً، وأنها هي الشفاء الصحيح كما أخبر الله تعالى#[2].

عن أبي هريرة ط عن النبي ح قال: $ادعوا الله وأنتم موقنون بالإ جابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب لاه غافل#[3].

وجاء في $فتح الباري#[4] للحافظ ابن حجر : ما نصه: $طب النبي ح متيقن البرء لصدوره من الوحي، وطب غيره أكثره حدس وتجربة، وقد يتخلف الشفاء عن بعض من يستعمل طب النبوة، وذلك لمانع قام بـ المستعمل من ضعف اعتقاد الشفاء به وتلقيه بالقبول. وأظهر الأمثلة في ذلك: القرآن الذي هو شفاء لما في الصدور، ومع ذلك فقد لا يحصل لبعض الناس شفاء صدره لقصوره في الاعتقاد والتلقي بالقبول، بل لا يزيد المنافق إلا رجساً إلى رجسه، ومرضاً إلى مرضه، فطب النبوة لا يناسبه إلا الأبدان الطيبة، كما أن شفاء القرآن لا يناسب إلا القلوب الطيبة، والله أعلم#.

ويقول الإمام ابن القيم :: $وعلاج هذا النوع يكون بأمرين: أمر من جهة المصروع، وأمر من جهة المعالج.

فالذي من جهة المصروع يكون بقوة نفسه وصدق توجهه إلى فاطر هذه الأرواح وبارئها، والتعوذ الصحيح الذي قد تواطأ عليه القلب واللسان؛ فإن هذا نوع محاربة، والمحارب لا يتم له الانتصاف من عدوه إلا بأمرين: أن يكون السلاح صحيحاً في نفسه جيداً، وأن يكون الساعد قوياً، فمتى تخلف أحدهما؛ لم يغن السلاح كثير طائل، فكيف إذا عُدِم الأمران جميعاً؟! يكون القلب خراباً من التوحيد والتوكل والتقوى والتوجه ولا سلاح له.

والثاني من جهة المعالج: بأن يكون فيه هذان الأمران أيضاً، حتى إن من المعالجين من يكتفي بقوله: $اخرج منه#، أو يقول: $بسم الله#، أو يقول: $لا حول ولا قوة إلا بالله#، والنبي ح كان يقول: $اخرج عدو الله،

(1) جزء من فتوى اللجنة الدائمة، الفقرة الثالثة، برقم 20361 وتاريخ 1419/4/17 هـ. نقلا ً عن القواعد المثلى لعلاج الصرع والسحر والعين بالرقى لأبي البراء المعاني (ص 75)._

(2) من كلام فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، كما في الفتاوى الذهبية في الرقى الشرعية (ص21)._

(3) رواه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب (66) (ص790 رقم 3479) وقال: $حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه#، وأخرجه الحاكم في مستدركه (493/1)، وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (141/2 رقم 596) وفي صحيح الجامع (108/1 رقم 245).

(4) (170/10)._

أنا رسول الله#[1]#[2].

الفائدة الثانية: كما أن الرقية المشروعة تكون علاجاً للأمراض غير الحسية فهي كذلك علاج للأمراض الحسية أو العضوية

يظن بعض الناس أن $من كان مرضُه عضوياً فليذهب إلى المستشفيات، ومن كان مرضه نفسياً فليذهب إلى العيادات النفسية، أما إن كان مرضه روحياً فعلاجه بالقراءة#[3]. وهذا الظن فيه نظر؛ لمخالفته لصريح قول الله سبحانه وتعالى: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼالإسراء: ٨٢[4]، وقوله : ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ فصلت: ٤٤. قال الشوكاني :: $ولا مانع من حمل الشفاء على المعنيين [يعني شفاء القلوب وشفاء الأبدان]#[5].

كما أنه مخالف لعموم ما جاء في حديث عثمان بن أبي العاص ط؛ أنه شكا إلى رسول الله ح وجعاً يجده في جسده منذ أسلم. فقال له رسول الله ح: $ضع يدك على الذي تألم من جسدك. وقل بسم الله ثلاثاً. وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر#[6]، هذا لفظ مسلم. وزاد غيره: قال: $ففعلت فأذهب الله ما كان بي، فلم أزل آمر به أهلي وغيرهم#[7]. فهذا الحديث ظاهر في الرقية من كل ألم وداء، لذلك ترجم له الإمام مالك بقوله: $باب التعوذ والرقية في المرض#[8] ولم يخصص : مرضاً دون آخر.

يقول الإمام ابن القيم :: $فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء

(1) رواه أحمد في مسنده (92/29 رقم 17549)، وصحح الحاكم إسناده ووافقه الذهبي كما في المستدرك (617/2-618). وحسن الحافظ إسناده في المطالب العالية (533/15).

(2) زاد المعاد (67/4-68). وهذان الشرطان مذكوران في كلام كثير من العلماء، وبعضهم متقدم على ابن القيم مثل: مثل ابن عبد البر في التمهيد (29/23)، وعبد الواحد بن التين السفاقسي (ت 621) في كتابه: "المحبّر الفصيح" كما في أزهار الرياض للقاضي عياض (350/2) وفتح الباري (196/10)._

(3) كيف تعالج مريضك بالرقية الشرعية للدكتور عبد الله بن محمد السدحان (ص 11)._

(4) $من# في الآية لبيان الجنس وليس للتبعيض، فالقرآن كله شفاء. انظر: معاني القرآن للنحاس (187/4)، وزاد المسير لابن الجوزي (79/5)._

(5) فتح القدير (1298/1)._

(6) سبق تخريجه في (ص 637).

(7) رواه مالك في الموطأ، كتاب العين، باب التعوذ والرقية في المرض (383/4 رقم 1884)، وعن مالك أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطب، باب كيف الرقى؟ (140/4 رقم 3891)، والترمذي في سننه، كتاب الطب باب (29) (ص470 رقم 2080) وقال: $حسن صحيح#.

(8) الموطأ (383/4)._

القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهّل ولا يوفّق للا ستشفاء به. وإذا أحسن العليل التداويَ به، ووضعه على دائه بصدق وإيمان وقبول تام، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه، لم يقاومه الداء أبداً.

وكيف تقاوم الأدواءُ كلامَ رب الأرض والسماء، الذي لو نزل على الجبال لصدعها أو على الأرض لقطعها، فما من مرض من أمراض القلوب والأ بدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه والحِمية منه، لمن رزقه الله فهماً في كتابه#(1).

ويقول أبو العباس القرطبي :: $جازت الرقية من كل الآفات، والأ مراض، والجراح، والقروح، والحمة، والعين، وغير ذلك#(2).

وتعميم جواز الرقية في كل الأدواء والأوجاع هو قول جمهور الأ مة(3).

ولكن $لا يفهم مما سبق ترك الأسباب الدوائية، كالذهاب إلى المستشفيات لتشخيص وعلاج الأمراض عموماً، إلا أن الأساس في علاج أي مرض هو القرآن الكريم، وما ورد من الأدعية، ويضم إليه السبب الدوائي؛ لأ نه مأمور به، ولكن لابد من اليقين بأن الشفاء من الله، وإذا نزل الشفاء تقع الدواء بإذن الله وليس العكس؛ لأن الله تعالى يقول على لسان نبيه إبراهيم ؛: ﭼ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﭽ الشعراء: ٨٠. فالدواء سبب من الأسباب الشفائية، وقد أشار نبينا محمد ح في بعض الأحاديث إلى هذا، مثل: $لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله #(4)#(5).

نعم، قد ورد من النصوص ما قد يُفهم منه اختصاص الرقية ببعض الأ دواء دون غيرها. أشهرها حديث ابن عباس م أن رسول الله ح قال: $لا رقية إلا من عين أوحمة(6)#(7).

---

(1) زاد المعاد (352/4)._

(2) المفهم (581/5)._

(3) انظر: معالم السنن (226/4)، وشرح السنة للبغوي (162/12)._

(4) رواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي (1729/4 رقم 2204)._

(5) كيف تعالج مريضك بالرقية الشرعية (ص15) بتصرف يسير.

(6) الحُمَة بضم الحاء وتخفيف الميم، قال ثعلب وغيره: $هي سم العقرب، وقيل: هي شوكة العقرب، أو الإبرة التي تضرب بها العقرب والزنبور#. قال أبو داود: $الحمة من الحيات وما يلسع#. وقال الخطابي: $الحمة كل هامة ذات سم من حية أو عقرب#. وقال ابن حجر: $وجاء في حديث سهل بن حنيف عند أبي داود: $لا رقية إلا من نفس او حمة أو لدغة# فغاير بينهما، فيحتمل أن يخرج على أن الحمة خاصة بالعقرب فيكون ذكر اللدغة بعدها من العام بعد الخاص#. انظر: معالم السنن (226/4)، والمفهم (581/5)، وفتح الباري (156/10).

(7) رواه الترمذي في سننه، كتاب الطب عن رسول الله ح، باب ما جاء في الرخصة

فهذا الخبر أفاد حصر جواز الرقية فيما ذكر، فلا عموم.
وأجيب عنه: بأن الحصر هنا محمول على الأفضلية، أي لا رقية أنفع وأولى[1]، كما قيل: لا سيف إلا ذو الفقار. فالمراد أنهما أولى بالرقية من غيرهما، لما فيهما من زيادة الضرر. وقيل: وجه الحصر هنا أنهما أصل كل ما يحتاج إلى الرقية، فيلتحق بالعين جواز رقية من به خبل أو مس ونحو ذلك ، لاشتراكها في أنها تنشأ من أحوال شيطانية، من إنس أو جني. ويلتحق با السم كل ما عرض للبدن من قرح ونحوه من المواد السمية[2].

في ذلك -أي في الرقية- (ص465 رقم 2057)، وقال الشيخ الألباني في تعليقه على المشكاة (1285/2 رقم4557): $إسناده صحيح#. ورواه موقوفاً عن عمرانَ بن حصين م البخاريُّ في صحيحه، كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو (155/10 رقم 5705 -الفتح).
(1) انظر: معالم السنن (226/4)، وشرح السنة للبغوي (162/12)، وزاد المعاد (175/4).
(2) انظر: المجموع (72/9)، وفتح الباري (196/10)، ونيل الأوطار (623/1، 460-461/5).

فأولى الأدواء بالرقية هي: العين، والمس والصرع، والسحر[1]، لكن الرقية مفيدة أيضاً لعلاج الأمراض العضوية؛ كالسرطان، والجلطة، والربو المزمن، والشلل، والعقم، والسكّر وغيرها، وكذلك الأمراض النفسية؛ كا الوسواس، والاكتئاب وغيرها[2]، والله تعالى أعلى وأعلم...

(1) أحكام الأدوية في الشريعة الإسلامية (ص465-499).
(2) كيف تعالج مريضك بالرقية الشرعية (ص 12-14)، ورفع الستور لبيان طريقة ع
لاج الممسوس والمعيون والمسحور (ص 88-95). وانظر: مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (364/8).

المبحث السابع: التعبيد لغير الله في الأسماء

وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: معنى التعبيد لغير الله وأنواعه
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف بالتعبيد لغير الله
المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

المطلب الأول: معنى التعبيد لغير الله وأنواعه

- معنى التعبيد لغير الله في الأسماء:

أصل $التعبيد# يعود إلى كلمة $عبد#.

والتعبيد هو مصدر $عَبّدَ-يعبِّدُ-تعبيدا#، وقد مضى ذكر المعاني اللغوية لكلمة $عَبَدَ#[1].

والتعبيد لغير الله في الأسماء معناه: إضافة كلمة $عبد# في الأسماء إلى غير الله لأ، كأن يسمى أحد بـ$عبد الكعبة# أو $عبد الشمس# أو $عبد اللات# أو $عبد النبي# إلى غير ذلك من الأسماء المعبّدة لغير الله تعالى.

- أنواع التعبيد لغير الله في الأسماء:

ينقسم التعبيد لغير الله في الأسماء من حيث الحكم إلى قسمين:

1. ما كان من قبيل الشرك الأكبر: وهو إن كان قد عبّد لغير الله، وأراد أن التعبيد على حقيقته، وأنّ من عُبّدَ له مستحق للعبادة.
2. ما كان من قبيل الشرك الأصغر: وهو إذا خلا من الاعتقاد الباطل السابق[2].

وكلا النوعين ممنوع شرعاً بالإجماع، قال ابن حزم :: $اتفقوا على تحريم كل اسم معبّد لغير الله ...#[3].

(1) انظر: (ص 31-32).
(2) انظر: جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة (ص563).
(3) مراتب الإجماع (ص 154).

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف بالتعبيد لغير الله في الأسماء

لقد وقع بعض مسلمي إندونيسيا في هذا الانحراف، ويغلب على الظن أن وقوعهم فيه إنما كان عن جهل لا عمدا؛ لأن أغلب تلك الأسماء لم تكن مُعبّدة لرجل معَظّم كالنبي مثلا ً، أو علي، أو الحسن، أو الحسين، كما هو منتشر في بعض بلدان العالم الإسلامي.

وفيما يلي أسوق بعض ما وقفت عليه من مظاهر ذلك الانحراف:

المثال الأول: تسمي أحدهم بـ$عبد عالم الدين#.

المثال الثاني: تسمي أحدهم بـ$عبد الخير#.

المثال الثالث: تسمي أحدهم بـ$عبد المناف#.

المثال الرابع: تسمي أحدهم بـ$عبد الميلاد#.

المثال الخامس: تسمي أحدهم بـ$عبد الملوك#.

المثال السادس: تسمي أحدهم بـ$عبد الرحمد#[(1)].

المثال السابع: $تسمي أحدهم بـ$عبد الرزال#[(2)].

المثال الثامن: تسمي أحدهم بـ$عبد الحياة#، وهو من زملائي الإ ندونيسيين المتخرجين من الجامعة الإسلامية، وقد سألته عن سبب تسميه بذلك، فأجاب بأنه كان أيام صباه يصيبه ما يصيبه من الأمراض المستعصية، فلما شفاه الله لأ أراد جده أن يعبّر عن فرحه بحياة حفيده؛ فسماه عبد الحياة. وقد غيّر الأخ اسمه إلى $عبد الحي#.

المثال التاسع: تسمي أحدهم بـ$عبد الحارث#.

المثال العاشر: تسمي أحدهم بـ$عبد المطلب#.

المثال الحادي عشر: تسمي أحدهم بـ$عبد الشافعي#.

المثال الثاني عشر: تسمي بعضهم بـ$عبده#.

المثال الثالث عشر: تسمي أحدهم بـ$عبد البحر#.

المثال الرابع عشر: تسمي أحدهم بـ$عبد الحنيف#[(3)].

المثال الخامس عشر: تسمي أحدهم بـ$عبد حسمار#[(4)].

---

(1) هكذا $الرحمد# في الأصل، ويغلب على الظن أنه إنما أراد كلمة $الرحمة#.

(2) كل ما سبق من الأسماء وقفت عليها من خلال تصفحي لوثائق أسماء طلاب معهد دارالسلام كونتور بجَاوَا الشرقية.

(3) من المثال الحادي عشر إلى الرابع عشر وجدتها في Daftar nilai hasil seleksi masuk perguruan tinggi (s1) timur tengah tahun 2007 (قائمة نتائج مقابلة الراغبين للدراسة في المرحلة الجامعية بالدول العربية لعام 2007) نشرتها الوزارة الدينية الإندونيسية.

(4) هذا المثال وجدته في Daftar nilai hasil seleksi masuk perguruan tinggi

(s2) timur tengah tahun 2007 (قائمة نتائج مقابلة الراغبين للدراسة في مرحلة الماجستير بالدول العربية لعام 2007) نشرتها الوزارة الدينية الإندونيسية.

المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

توطئة:
$إن الاسم عنوان المسمى، ودليل عليه، وضرورة للتفاهم معه ومنه وإليه، وهو للمولود زينة ووعاء وشعار يدعى به في الآخرة والأولى، وتنويه بالدين، وإشعار بأنه من أهله -وانظر إلى من يدخل في دين الله (الإسلام) كيف يغير اسمه إلى اسم شرعي، لأنه له شعار- ثم هو رمز يعبّ ِر عن هويّ ّة والده، ومِ عيار دقيق لديانته، وهو في طبائع الناس له اعتباراته ودلالاته، فهو عندهم كالثوب، إن قصر شان، وإن طال شان.

ولهذا صار من يملك حق التسمية: الأب، مأسوراً في قالب الشريعة ولسانها العربي المبين، حتى لا يجني على مولوده باسم يشينه#[1].

ولعظم شأن التسمية، فقد وضع لها الإسلام أصولاً بيّنها علماء الإسلام[2]، ومن تلك الأصول: أن لا تكون الأسماء مما حرّمه الشرع، ومن أشنع الأسماء المحرمة: ما كانت مُعَبّدة لغير الله سبحانه.

مفاسد التعبيد لغير الله في الأسماء:

يتضمن التعبيد لغير الله في الأسماء مفاسدَ جَمّة، منها:

أولاً: أنه من الشرك برب الأرض والسماوات؛ إذ هو قدح في توحيد الألوهية لأنه تعبير عن جعل العبادة لأحد مع الله لأ، وهضمٌ لمقام الربوبية لما فيه من نسبة النعم لغير الله سبحانه. إضافةً إلى ما فيه من المجاهرة بهذا المنكر العظيم وإعلانه في الناس.

ومن أكثر المواضع التي بيّن العلماء عندها هذه المسألة آيتا سورة الأعراف 189-190: ﭽﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ.[3]

فإن أهل التفسير يذكرون هاهنا قصةً حاصلها أن حوّاء كان لا يعيش لها ولد، فقال لها إبليس: سمّيه عبد الحارث -والحارث اسم لإبليس- فسمّته عبد الحارث فعاش.

ويحمِل كثير من أهل التأويل الشركَ المذكور في قول الرب تعالى: ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒﮓﭼ على ما ذُكِر في القصة من تسمية آدم وحوّاء إ لولدهما بعبد الحارث[4].

---

(1) تسمية المولود آداب وأحكام، للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد : (ص 5-6).
(2) انظر تلك الأصول في المرجع السابق.
(3) من هذه الفقرة إلى ما قبل النقطة الثانية استفدت في الصياغة من كتابَي: جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة (ص 556-560)، وجهود المالكية في تقرير توحيد العبادة (ص 511-517).
(4) وردت بهذه القصة عدة أخبار، منها: حديث مرفوع في مسند أحمد (305/33

وقد ردّ آخرون القصةَ وحملوا الشرك المذكور في الآية على فعل المشركين من ذرية آدم، والذي يعنينا في هذا المقام بيانُ ما يتعلق بموضوع البحث؛ وهو التعبيد لغير الله في كلام العلماء، أثبتوا القصة أم نقَوها.

ولما كان الرازي : ممن يرى بطلانَ القصة، فقد نقل عند تفسيره للآية تأويلات ارتضاها واستحسنها، ومن بينها: أن الخطاب في الآية لقريش الذين كانوا في عند النبي ح وهم آل قُصَيّ[1]، والمراد بالنفس المذكورة في الآية وزوجها: قصي بن كلاب وزوجه، وعليه فإن المعنيّ بقوله تعالى: ﭽﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖﮗ ﭼ هذان الزوجان $حيث سمّيا أولادهما الأربعة بعبد مناف، وعبد العُزّى، وعبد قُصي، وعبد اللات، وجعل الضمير في ﭽ ﮘﭼ لهما ولأ عقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك#[2].

فارتضى الرازي : هذا المسلك -على ما فيه- هرَباً من جعْل التعبيد لغير الله صادراً من آدم ؛؛ لأن ذلك ضربٌ من الشرك، وهو أمرٌ لا يرتضيه آحاد المؤمنين فضلا ً عن أنبياء الله، كما عبّر الرازي : عن ذلك بقوله -عند ذكر الوجوه التي أوردها لتضعيف القصة-: $أن الواحد منّا لو حصل له ولد يرجو

رقم 20117)، وتفسير الطبري (623/10) وغيرهما، من طريق الحسن البصري عن سمرة بن جندب ط. وجاءت القصة عن طائفة من السلف؛ فوردت موقوفةً على سمرة، وابن عباس ن، وتلقاها عن ابن عباس م جماعةٌ من أصحابه كمجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير وآخرين سواهم. وظاهر صنيعهم إقرارُ القصة وتفسير ا لآية بها؛ لأن ظاهرها يُفهَم منه أن آدم وحواء إ جعلا لله شركاء فيما آتاهما، فلما وردت هذه القصة حملوا التشريك المذكور في الآية عليها.

وقد أعلّ الحافظ ابن كثير : حديث سمرة ط بثلاث علل، وجعل الآثار الواردة عن السلف متلقاة عن بني إسرائيل، وأجاب عن ظاهر الآية بما ستَرَاه في كلامه عند نقله بحول الله تعالى. انظر: تفسير ابن كثير (526/3-527)، والسلسلة الضعيفة (516/1 رقم 342) -حيث ضعّف فيها الشيخ الألباني : حديث سمرة ط-، والقول المفيد على كتاب التوحيد (308/2-310) -حيث ذكر فيها الشيخ ابن عثيمين : أوجهاً سبعة في بيان بطلان هذه القصة-، وتفسير الطبري (623/10-628) حيث جعل : الآية الأولى في آدم وحواء إ بتسميتهما عبد الحارث، والآية الثانية في شرك المشركين من ذريتهما. والله أعلم.

(1) يريد قُصَيّ بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وهو الذي استردّ ولاية البيت لقريش من خزاعة، وجمع قبائل قريش وسادَهم. انظر خبره في: طبقات ابن سعد (48/1-55)، والبداية والنهاية (233/3-247).

(2) تفسير الرازي (91/15)، ولا يخفى ما في حمل الآية على قصي وزوجه من البُعْد الشديد، فإن النفس الواحدة التي خُلِقنا منها وجَعَل الله منها زوجها نفس آدم، ودعوى أن الخطاب في آية الأعراف أريد به قريش خاصة مردود، فإن الله لأ يقول في أول سورة النساء ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝﭼ. وإنما نقلنا هذا عن الرازي -على ما فيه-؛ لتضمّنه بيان موقفه من التعبيد لغير الله سبحانه.

منه الخير والصلاح، فجاءه إنسان ودعاه إلى أن يسمِّيه بمثل هذه الأسماء لزَجَره وأنكر عليه أشد الإنكار، فآدم ؛ مع نبوته وعِلمه الكثير الذي حصل من قوله: ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ البقرة: ٣١ وتجاربه الكثيرة التي حصلت له بسبب الزلة التي وقع فيها؛ لأجل وسوسة الشيطان، كيف لم يتنبّه لهذا القدر؟ وكيف لم يعرف أن ذلك من الأفعال المنكرة التي وجب على العاقل الاحتراز منها؟ #[1].

فجعل : التعبيدَ لغير الله من الأمور المنكرة التي يَزْجُر عنها أهلُ الإ يمان ويمتنعون منها غايةَ الامتناع.

وهكذا ذكر البيضاوي : عند الآية، حيث حمل قول الرب جل وعلا: ﭧ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖﮗ ﭨ على التعبيد لغير الله، لا من آدم وزوجه إ، بل من أولا دهما، فقال :: $أي جعل أولادهما له شركاءَ فيما آتى أولادَهما، فسَمّوه عبد العزى، وعبد مناف...#، ثم ذكر القصة الواردة في تعبيد آدم وحواء إ ولدَهما لغير الله، وقال: $وأمثال ذلك لا تليق بالأنبياء#[2].

وكذلك قال زكريا الأنصاري : في معنى الآية، دون أن يذكر القصة[3].

أما ابن كثير : فإنه بعد أن تكلم على الأخبار الواردة في الباب رجّح أن السياق ليس في آدم وحواء إ، وإنما المراد المشركون من ذريتهما[4]، وذِكرُ آدم وحواء إ في القصة كالتوطئة لما بعدهما، وهو كالاستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس كقوله تعالى: ﭧ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊﮋ ﭨ الملك: ٥، ومعلوم أن المصابيح وهي النجوم -التي زُيِّنت بها السماء- ليست هي التي يرمى بها، وإنما هذا استطراد من شخص المصابيح إلى جنسها.

وقال في موضع آخر بعد أن قطع بأن رفع الحديث الوارد في القصة خطأ: $ثم قد كان آدم وحواء أتقى لله مما ذُكِر عنهما في هذا#[5].

أي أنهما أتقى من أن يُعبِّدا ولدهما لغير الله؛ لِمَا في التعبيد لغيره تعالى من الشرك.

أما السيوطي : فإن صنيعَه يُشعِر بتصحيح القصة؛ فلذلك فسّر الآية بناءً عليها، فقال عند الآية ﭧ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖﮗ ﭨ: $بتسمية عبد الحارث، ولا ينبغي أن يكون عبداً إلا لله، وليس بإشراك في العبودية؛ لعصمة

---

(1) تفسير الرازي (15/90-91).

(2) تفسير البيضاوي (ص 231)، وقد ذكر : بعد ذلك -على سبيل الاحتمال- ما أورده الرازي : من أن الخطاب لقريش الذين في عهد النبي ح، وأن المراد أنهم خُلِقوا من نفس قصي، وقد تقدم بيان ما فيه.

(3) انظر: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن (ص 212-213).

(4) انظر: تفسير ابن كثير (3/526، 528).

(5) البداية والنهاية (1/226).

آدم#[1].

أي إنما كان الإشراك المذكور عنهما في الآية إشراكاً في التسمية دون العبادة؛ لأن صرف العبادة شرك جليّ، وآدم معصوم من ذلك.

وبذلك يُعرف أن الذين صححوا القصة والذين أبطلوها، يستنكرون جميعاً أن يُعبّد أحدٌ لغير الله تعالى، بَيْدَ أن الذين رَدّوها رأوا أنها تضمنت ما لا يمكن أن يقع فيه الأنبياء من الشرك، ورأى الذين أثبتوها أن ذلك التعبيد لم يتجاوز الشرك في التسمية، دون أن يصل إلى ما وراء ذلك من عبادة غير الله؛ لِما عُلِم من عصمة الله لأ لأنبياءه من ذلك.

ثانياً: من مفاسيد التعبيد لغير الله في الأسماء: أنه من التشبه ب المشركين؛ حيث $كان المشركون يعبّدون أنفسهم وأولادهم لغير الله؛ فيسمون بعضهم عبد الكعبة، ... وبعضهم عبد شمس، ... وبعضهم عبد اللات، وبعضهم عبد العزى، وبعضهم عبد مناة، وغير ذلك مما يضيفون فيه التعبيدَ إلى غير الله، من شمس، أو وثن، أو بشر، أو غير ذلك مما قد يشرك بالله #[2].

وقد نهانا رسول الله ح عن التشبه بالكفار في أحاديث كثيرة منها: قوله ح في حديث ابن عمر م: $من تشبه بقوم فهو منهم#[3].

ولذلك غيّر رسول الله ح أسماءَ رجال عُبِّدوا لغير الله، ثم سماهم بأسماء إسلامية.

منهم: عبد الرحمن بن عوف ط؛ حيث $كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو، وقيل عبد الكعبة، فسمّاه رسول الله ح عبد الرحمن#، كذا قال الإمام ابن عبد البر :[4]، والحافظ ابن حجر :[5].

ومنهم: أبو هريرة ط؛ فقد قال ط عن نفسه: $كان اسمي في الجاهلية عبد شمس ابن صخر، فسُمِّيتُ في الإسلام عبد الرحمن#[6].

---

(1) تفسير الجلالين (ص 175).
(2) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (378/1).
(3) رواه أبو داود في سننه، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة (204/4 رقم 4031)، وأحمد في مسنده (123/9-126 رقم 5114، 5115). وقد صحح الحافظ العراقي إسنادَه في تخريجه على $الإحياء# (244/1)، وجوّد الحديثَ شيخُ الإسلام في مجموع الفتاوى (331/25). وقال الإمام الذهبي في السير (509/15): $إسناده صالح#، ورمز له الحافظ السيوطي في الجامع الصغير (590/2 رقم 8593) بالحسن. وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (1059/2 رقم 6149). انظر تخريجاً متوسطاً لهذا الحديث في كتاب $التشبه المنهي عنه في الفقه الإسلامي# لجميل بن حبيب اللويحق (ص 37-43).
(4) كما في الاستيعاب (ص 443 رقم 1530).
(5) كما في الإصابة (544/6 رقم 5202 –ط. دار هجر).
(6) رواه الحاكم في المستدرك (645/4 رقم 6197 –ط. دار المعرفة). وقد ساق

ومنهم: عبد الله بن شهاب الزهري ط؛ حيث كان اسمه في الجاهلية: عبد الجان، فلما أسلم سماه النبي ح عبد الله[1].

ومنهم: عبد الحجر، فسماه النبي ح عبد الله[2].

إلى غير ذلك من الأسماء التي غيّرها رسول الله ح، فـ$شريعة الإسلا م الذي هو الدين الخالص لله وحدة: تعبيدُ الخلق لربهم كما سنّه رسول الله ح، وتغييرُ الأسماء الشركية إلى الأسماء الإسلامية، والأسماءِ الكفرية إلى الأ سماء الإيمانية. وعامة ما سمّى به النبي ح: عبد الله وعبد الرحمن، كما قال تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖﮗﭼ الإسراء: ١١٠. فإن هذين الإ سمين هما أصل بقية أسماء الله تعالى#[3].

فـ$النبي ح كان يُغيِّر الاسم القبيح#[4]، $وأقبحه: ما كان شركاً في التسمية#[5].

ثالثاً: أنه فعل قبيح وأمر شنيع، حتى أنه من شناعته: عدَل الله لأ عن ذكر اسم شخص في كتاب الله إلى ذكر كنيته -مع ما في التكنية من التكريم والتعظيم-؛ لكون اسمه معبّداً لغير الله سبحانه. كما حصل ذلك لأبي لهب؛ حيث أرجع كثير من العلماء تكنيةَ عدو الله أبي لهب في القرآن دون تسميته، إلى أمور منها: قبح التعبيد لغير الله تعالى، فإن اسم أبي لهب هو عبد العُزّى[6]، فعُدل عن ذكره باسمه الصريح لسوء معناه.

وفي هذا يذكر الزركشي : أن الشخص قد يكون له اسمان فيُقتصر على أحدهما دون الآخر في كتاب الله لنكتة ما، ويذكر في الأمثلة على ذلك قول الله تعالى: ﭽﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼالمسد: ١، ثم يقول: $فعدل عن الاسم إلى

الحاكم بسنده في (646/4 رقم 6202) أن الذي سماه ط بذلك هو رسول الله ح، ثم قال الحاكم في (647/4) بعد أن ساق الأقوال في اسم أبي هريرة ط: $أصحها عندي: في الجاهلية اسمه عبد شمس، وفي الإسلام عبد الرحمن#. وقد جزم الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (601/4) أن اسم أبي هريرة ط في الجاهلية: عبد شمس.

(1) روى ذلك ابن سعد في الطبقات (117/4 رقم 403)، وانظر: الإصابة (209/6، 210 رقم 4775، 4776 –ط. دار هجر).

(2) روى القصة البخاري في الأدب المفرد (435/2 رقم 811)، وابن أبي شيبة في المصنف (242/13 رقم 26421 تحقيق محمد عوامة).

(3) مجموع الفتاوى (379/1).

(4) رواه الترمذي في سننه، كتاب العلم عن رسول الله ح، باب ما جاء في تغيير الأ سماء (ص 635 رقم 2839)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (419/1-417 رقم 207، 208).

(5) بلوغ السعادة من أدلة توحيد العبادة، لصلاح بن محمد البدير (ص 275).

(6) انظر: كتاب التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام لأبي القاسم السهيلي (ص 397).

الكنية، إما لاشتهاره بها أو لقبح الاسم، فقد كان اسمه عبدَ العزى#[1].
وقال البيضاوي :: $إنما كنّاه -والتكنية تكرمة-؛ لاشتهاره بكنيته، ولأن اسمه عبد العزى، فاستكره ذكره#[2].
وقد ذكر ابن العربي : أن من المعاني التي عدل من أجلها بتكنية أبي لهب عن ذكر اسمه: $أنه لما كان اسمه عبد العزى، فلم يضف الله العبودية إلى صنم في كتابه الكريم#[3].
ونظيره ما ذكره أبو عبد الله القرطبي : [4]، وابن جُزَيّ[5] :[6]، وابن حجر : [7].
وقال السمعاني : في سبب ذكر الله إياه بكنيته: $لأنه كان معروفاً بذلك، أو لأن اسمَه كان عبد العزى؛ فكره أن تُنسَب عبوديته إلى غيره#[8].
وذكر نحواً من ذلك النووي :[9]، وزكريا الأنصاري :[10].
وعلى هذا، فالتعبيد لغير الله فعل قبيح وأمر شنيع، ولذا عدل الله عنه إلى الكنية مع ما فيه من التكريم[11]، حذراً من التسمية الشركية.
شبهة والجواب عنها:
قد يستدل البعض في جواز التعبيد لغير الله في الأسماء بما صح من قول الرسول ح: $أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب#[12]؛ حيث انتسب رسول الله ح إلى جدِّه، واسمُه مُعبّدٌ لغير الله لأ.
الجواب: لقد ثبت من طرق كثيرة نهيُ النبي ح عن التعبيد لغير الله، حيث غيّر ح -كما سبق- أسماء رجال عبِّدت لغير الله لأ، وقد أجمع العلماء

---

(1) البرهان في علوم القرآن (162/1).
(2) تفسير البيضاوي (ص 813).
(3) أحكام القرآن (466/4).
(4) انظر: تفسير القرطبي (547/22).
(5) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جـ ُز ـَي ـّ الكلبي المالكي أبو القاسم (693-741 هـ)، فقيه من العلماء بالأصول واللغة، من كتبه: القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، والتسهيل لعلوم التنـزيل. انظر: نفح الطيب (514/5)، والدرر الكامنة (356/3).
(6) انظر: التسهيل لعلوم التنـزيل (622/2).
(7) انظر: فتح الباري (592/10).
(8) تفسير السمعاني (299/6).
(9) انظر: المجموع (420/8).
(10) انظر: فتح الرحمن (ص 631).
(11) انظر في كون التكنية من صور التعظيم والتكريم: تفسير البيضاوي (ص 813)، وزاد المعاد (344/2)، ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية (725/1).
(12) رواه البخاري في صحيحه، في مواطن منها: كتاب المغازي، باب قول الله تعالى ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﭼ (27/8 رقم 4315 -الفتح) من حديث البراء ط.

على تحريم التعبيد لغير الله -كما سبق نقل حكاية ذلك الإجماع عن ابن حزم :-؛ فيَنبغي أن يُفهَم هذا الحديث الفهم الصحيح، كي لا يظن التعارض بينه وبين النصوص الأخرى الثابتة.

والحقيقة، أنه $ليس في هذا الكلام الذي صح عن الرسول ح أي تعارض بينه وبين نهيه أو أمره المستفاد منه النهي عن التعبيد لغير الله؛ ذلك لأنه هو ينتسب إلى جده عبد المطلب، حيث أن هذا هو اسمه العلم المعروف عند الناس، فهو لم ينشئ اسماً عَبّدَ فيه شخصاً لغير الله لأ، وإنما عَرّف الناس َ بأنه ابن عبد المطلب، فهو لا يستطيع أن يعرّ ِف الناس بانتسابه إلى عبد المطلب إذا غيّر اسمه.

مثال ذلك: كثير من الشيعة -كما هو معلوم- يسمون بـ$عبد الحسين# و$عبد الحسن# ونحو ذلك، فنحن نقول: قال عبد الحسين في كتاب $المراجعات# كذا وكذا، ونحن الذين نقرر في كتبنا بأنه لا يجوز التعبيد لغير الله تبارك وتعالى، فلا يتبادر لذهن من يقرأ قولي: قال عبد الحسين في كتاب كذا، أنني عبـ ّدت إنساناً لغير الله لأ؛ لأنه كما يقول العلماء: ناقل الكفر أو حاكي الكفر ليس بكافر، فإذا: هذا الحديث: $أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب# لا يتعارض مطلقاً مع المعروف عن النبي ح أنه يـ ُحر ِّم التعبيد لغير الله لأ، فهو ناقل وليس بمؤسـ ِّس#(1).

يقول الإمام الخطابي : مبيّناً خطأ التسمية بـ$عبد المطلب#: $وقد يقع الغلط كثيراً في باب التسمية، وأعرف رجلا ً من الفقهاء كان سمـ ّى ولـ َده: عبد المطلب، فهو يُدعى به اليوم؛ وذلك أنه سمع بعبد المطلب، جد رسول الله ح، فجرى في التسمية به على التقليد. ولم يشعر أن جد رسول الله ح إنما دُعي به؛ لأن هاشماً أباه كان تزوج أمه بالمدينة، وهي امرأة من بني النجار، فولدت له هذا الغلام، وسمّاه: شيبة، ومات عنه وهو طفل، فخرج عمه المطلب بن عبد مناف أخو هاشم في طلبه إلى المدينة فحمله إلى مكة فدخلها وقد أردفه خلفه، فقيل له: من هذا الغلام؟ فقال: هذا عبدي ، وذلك لأنه لم يكن قد كساه، ولا نظـ ّفه فيزول عنه شعث ُ السفر، فاستحيا أن يقول: ابن أخي، فدعي بعبد المطلب باقي عمره .

على أنه لا اعتبار بمذاهب أهل الجاهلية في هذا، فقد تسمّوا: بعبد مناف، وعبد الدار، ونحوهما من الأسامي#(2).

ويقول الحافظ ابن حجر : مبيناً وجه انتساب النبي ح إلى جده عبد المطلب: $وأما نسبته إلى عبد المطلب دون أبيه عبد الله؛ فكأنها لشهرة عبد

---

(1) من كلام العلامة الألباني : كما في دروس صوتية له : مفرغة في موقع الشبكة الإ سلامية http://www.islamweb.net بتصرف يسير. وانظر نحو هذا التوجيه من الشيخ ابن عثيمين : في القول المفيد على كتاب التوحيد (306/2).

(2) شأن الدعاء (ص 84-85).

المطلب بين الناس، لِما رُزق من نباهة الذكر وطول العمر، بخلاف عبد الله فإنه مات شاباً، ولهذا كان كثير من العرب يدعونه ابن عبد المطلب ... وقيل لأنه كان اشتُهر بين الناس أنه سيخرج من ذرية عبد المطلب رجل يدعو إلى الله، ويهدي الله الخلقَ على يديه، ويكون خاتم الأنبياء، فانتسب إليه؛ ليتذكر ذلك من كان يعرفه، وقد اشتُهر ذلك بينهم#[1].

تنبيهان:

الأول: لا يُفرّق بين الأسماء الكريمة التي يُعبّد لها البعض؛ كأسماء الأ نبياء والصالحين، وبين غيرها من الأسماء القبيحة؛ كأسماء الأصنام ونحوها من الجمادات؛ فإن الباب في هذا واحد؛ لأن إعلان العبادة لأحد مع الله شرك، بقطع النظر عن نوعيّة الشريك[2].

الثاني: من الأخطاء التي وقع فيها بعض الناس: **التعبيد لأسماءٍ يُظنُّ أنها من أسماء الله ِ تعالى وليستْ كذلك**؛ مثل: عبدِ المقصود، عبدِ الستّار، عبد الموجود، عبد المعبود، عبد الوحيد، عبد الناصر، عبد الحنان، عبد الوفي، [3] عبد المنير، وغيرها من الأسماء التي لم تثبت كونها من أسماء الله لأ[4].

فهذه، يكونُ الخطأ فيه من جهتين[5]:

- من جهةِ تسميةِ الله ِ بما لم يردْ به السمع، وأسماؤ ُه سبحانه توقيفيّةٌ[6] على النصّ مِن كتابٍ أو سنّةٍ[7].

- الجهة الثانية: التّعبيدُ بما لم يسمِّ الله ُ بهِ نفسه ولا رسوله ح.

مسألة:

---

(1) فتح الباري (31/8).

(2) انظر: جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة (ص 563).

(3) تسمية المولود (ص 46). وانظر الأسماء التي يُرجّح عدم ثبوتها أسماءً لله تعالى في $معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى# لشيخنا الدكتور محمد بن خليفة التميمي (ص 415-423).

(4) انظر ضوابط أسماء الله الحسنى في: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (ص 38-59).

(5) تسمية المولود (ص 46).

(6) توقيفي: هو تفعيل من الوقف، والياء للنسبة. والوقف في اللغة: مادة تدل على الحبس والمنع، ومنه التوقيف هنا؛ إذ المراد به: الوقوف على نص الشارع، فلا يجوز الكلام في هذا الباب بطريق القياس أو الاشتقاق اللغوي، بل يكتفى بما وردت به نصوص الشرع لفظاً ومعنى، فعُلم بذلك أن التوقيف هو الاقتصار في الوصف والتسمية على ما وردت به الآيات القرآنية والآثار النبوية لفظاً ومعنى. انظر: $القواعد الكلية للأسماء والصفات# للدكتور إبراهيم بن محمد البريكان (ص 137).

(7) انظر الأدلة على كون أسماء الله توقيفية في: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (ص 42-45).

هناك مسألة ذات صلة قوية بهذا المبحث، وقع فيها كثير من مسلمي إندونيسيا؛ ألا وهي: **مناداة الغير بأسماء الله لأ!**

كيف ذلك؟ إن من عادات الإندونيسيين في مناداة الغير: اختصار اسمه؛ فإن كان الاسم مركباً من كلمتين يكتفون في المناداة بإحداهما، وإن كان الاسم مكوناً من كلمة واحدةٍ يكتفون في المناداة ببعض حروفها. فمثال النوع الأول: مناداة من اسمه عبد الحليم بـ$حليم#، وعبد الجبار بـ$جبار#، وعبد الكريم بـ$كريم#، ومثال النوع الثاني: مناداة من اسمه أحمد بـ$مَدْ#، وعلي بـ$لِيْ#، وعمر بـ$مَرْ#.

وسأتكلم هنا عن حكم النوع الأول؛ إذ هو الذي له صلة وثيقة بمبحثنا هذا.

لقد تكلم العلماء عن مسألة حكم تسمي الإنسان بأسماء الله لأ وبيّنوا ضوابطها، ويبدو لي -والله أعلم- أنه يمكن قياس مسألة المناداة على مسألة التسمية.

وخلاصة ما ذكره العلماء في مسألة التسمي بأسماء الله تعالى، ما يلي:

إن الأصل أن لا يتسمى الإنسان باسم من أسماء الله تعالى المختصة به؛ مثل: الله[1]، الرحمن[2]، الإله، رب العالمين[3]، أرحم الراحمين، القيوم، وغيرها؛ لما جاء في كتابه العزيز من قوله: ﭽ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ مريم: ٦٥؛ أي: $هل تعلم له ولدا ً أي نظيرا ً، أو مثلا ً، أو شبيها ً، يستحق مثل اسمه الذي هو الرحمن# كذا قال حبرُ الأمة ابنُ عباس م[4].

لذا بعد أن ذكر أبو القاسم التيمي : أن من أسماء الله لأ: خير الفاتحين[5]، وخير الراحمين[6]، وخير الغافرين[7]، وأرحم الراحمين[8]، قال :: $كل هذه الأسماء ممنوعة لا تكون إلا لله عز وجل#[9].

فـ$الموحد متأدب مع الله جل جلاله، ومتأدب مع أسمائه وصفاته، ومع دينه، فلا يهزل -مثلا ً- بشيئ فيه ذكر الله، ولا يلقي الكلمة عن الله جل وعلا دون أن يتدبر ما فيها، وكذلك لا يسمِّي أحداً بأسماء الله جل وعلا ويغير الاسم لأجل ذلك، فأسماء الله جل وعلا يجب احترامها، وتعظيمها،

(1) الحجة في بيان المحجة (135/1).
(2) المصدر السابق (137/1)، وكتاب التوحيد لابن منده (47/2)، وتفسير ابن كثير (250/5).
(3) انظر: منهاج السنة (596/2)، ودرء تعارض العقل والنقل (279/10).
(4) تفسير القرطبي (484/13).
(5) كما في سورة الأعراف: 89.
(6) كما في سورة المؤمنين: 118.
(7) كما في سورة الأعراف: 155.
(8) كما في سورة الأنبياء: 83.
(9) الحجة في بيان المحجة (166/1).

ومن احترامها: أن يُجعل ما لا يصلح إلا لله منها لله وحده، وألا يسمّى به البشر...

وهذا راجع إلى تعظيم شعائر الله جل جلاله، قال سبحانه: ﭽ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭼ[الحج: ٣٢]، وقال جل وعلا: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ[الحج: ٣٠]...#[1].

ولأجل ذلك، غيّر النبي ح اسمَ أحد الموالي؛ قيومٌ، فسمّاه ح: عبد القيوم[2]، لأن $القيوم# من الأسماء المختصة بالله سبحانه، إذ معناه: $القائم بأمر كل شيء؛ في رزقه، والدفع عنه، وكِلائه، وتدبيره، وصرفه في قدرته#[3]، ولا يكون ذلك كله إلا لله لأ.

إلا أنه قد دلت الأدلة الأخرى على جواز التسمي ببعض أسماء الله بشروط، منها:

1. أن تكون تلك الأسماء من الأسماء المشتركة بين الله وبين خلقه[4]، -ولا يُعرَف ذلك إلا عن طريق النص-؛ فإن الله تعالى قد سمّى نفسه في كتابه العزيز بأسماء، وسمّى بعضَ خلقه بتلك الأسماء، ومن تلك الأسماء المشتركة[5]: الحي[6]، والعليم[7]، والحليم[8]، والسميع[9]، و البصير[10]، والرؤوف[11]، والرحيم[12]،

---

(1) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص 475-476).
(2) انظر: الإصابة (520/6 رقم 5180 –ط. دار هجر).
(3) تفسير الطبري (179/5).
(4) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (118-119/3).
(5) لقد استفدت في جمع أغلب هذه الأسماء مع ذكر أدلتها من كتاب $التدمرية# لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص 21-24). قال : في (ص 21): $سمّى الله نفسه بأسماء وسمّى صفاته بأسماء، فكانت تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه لا يشركه فيها غيرُه، وسمّى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة إليهم توافق تلك الأسماء إذا قُطِعَت عن الإضافة والتخصيص، ولم يلزم من اتفاق الاسمين تماثلَ مسماهما واتحاده عند الإطلاق والتجريد عن الإضافة والتخصيص...#، ثم سرد : أمثلة لتلك الأسماء المشتركة.
(6) سمى الله نفسه بالحي في عدة مواطن من كتابه الكريم منها: سورة البقرة: 255، وسمى بعض عباده حياً في سورة الروم: 19.
(7) سمى الله نفسه بالعليم في عدة مواطن منها: سورة البقرة: 32، وسمى بعض عباده عليماً في سورة الذاريات: 28.
(8) سمى الله نفسه حليماً في مواطن منها سورة البقرة: 225، وسمى بعض عباده حليماً في سورة الصافات: 101، وسورة هود: 87.
(9) سمى الله نفسه سميعاً في عدة مواطن منها: سورة البقرة: 181، وسمى بعض عباده سميعاً في سورة الإنسان: 2.
(10) سمى الله نفسه بالبصير في مواطن منها: سورة النساء: 58، وسمى بعض عباده بصيراً في سورة الإنسان: 2. وممن صرح بكون $البصير# من الأسماء المشتركة:

أبو القاسم التيمي في كتابه: الحجة في بيان المحجة (139/1).

(1) سمى الله نفسه رؤوفاً في مواطن منها: سورة البقرة: 143، وسمى بعض عباده رؤوفاً في سورة التوبة: 128.

(2) سمى الله نفسه بالرحيم في مواطن منها: سورة الفاتحة: 3، وسمى بعض عباده رحيماً في سورة التوبة: 128.

والملك[1]، والمؤمن[2]، والعزيز[3]، والكريم[4] وغيرها. و$الاشتراك في الأ سماء والصفات لا يستلزم تماثلَ المسمّيات والموصوفات، كما دل على ذلك السمع والعقل والحِس#[5]، فلا ّه تعالى المثل الأعلى والكمال المطلق من معاني تلك الأسماء، وللعبد ما يليق بضعفه وعجزه[6].

يقول أبو عبد اللّه القرطبي : في تفسير قوله تعالى: ﭼﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀﭼآل عمران: ٣٩: $فيه دلالة على جواز تسمية الإنسان سيدا ً، كما يجوز أن يسمى عزيزا ً أو كريما ً... وفي البخاري ومسلم أن النبي ح قال في الحسن ط: $إن ابني هذا سيد، ولعل اللّه ِ أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين#[7]#[8]. أما الدليل على كون $السيد# من أسماء اللّه تعالى: فقول النبي ح: $السيد اللّه #[9].

---

(1) سمى اللّه نفسه بالملك في مواطن منها: سورة الحشر: 23، وسمى بعض عباده ملكاً في مواطن منها: سورة الكهف: 79، وسورة يوسف: 50.

(2) سمى اللّه نفسه بالمؤمن في سورة الحشر: 23، وسمى بعض عباده مؤمناً في مواطن منها: سورة السجدة: 18.

(3) سمى اللّه نفسه بالعزيز في مواطن منها: سورة البقرة: 129، وسمى بعض عباده بـ العزيز في سورة يوسف: 51. ولكن يشكل على هذا ما رواه أحمد في مسنده (147/29) رقم (17606) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (49/8): $رواه أحمد بأسانيد رجالها رجال الصحيح#، ورواه أيضاً الطبراني كما في المجمع (50/8) وق ال الهيثمي: $رجاله رجال الصحيح# وقواه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (572/2) رقم (904) عَنْ خَيْثَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ أَنَّ أَبَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ذَهَبَ مَعَ جَدِّهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ح فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ح: $مَا اسْمُ ابْنِكَ؟# قَالَ: $عَزِيزٌ#، فَقَالَ النَّبِيُّ ح: $لا َ تُسَمِّهِ عَزِيزًا وَلَكِنْ سَمِّهِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ#، ثُمَّ قَالَ: $إِنَّ خَيْرَ الأَسْمَاءِ عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَالْحَارِثُ#، فهذا الحديث يدل على كره التسمي بـ$عزيز# مع أنه من الأسماء المشتركة بين اللّه وعباده، فلعل ترك التسمي بذلك هو الأسلم، واللّه أعلم.

(4) سمى اللّه نفسه بالكريم في سورة الانفطار: 6، وسمى بعض عباده كريماً في سورة الدخان: 17. قال أبو القاسم التيمي : في الحجة في بيان المحجة (145/1): $وقد يسمى الشيء الذي له قدر وخطر كريماً، ومنه قوله تعالى في قصة سليمان ؛: ﭼﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﭼالنمل: ٢٩؛ أي جليل خطير#.

(5) تقريب التدمرية للشيخ ابن عثيمين (ص 22).

(6) انظر: بدائع الفوائد (290/1).

(7) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب قول النبي ح للحسن بن علي "إن ابني هذا سيد..." (306/5 رقم 2704 -الفتح) من حديث أبي بكرة ط.

(8) تفسير القرطبي (116/5).

(9) رواه أحمد في مسنده (235/26 رقم 16307) وغيره. وقال ابن مفلح في الآ داب الشرعية (438/3): $إسناده جيد#، وقال الحافظ في الفتح (179/5):

ف$إن كثيرا ً من الأسماء مشتركة بين الله تعالى وبين غيره من مخلوقاته في اللفظ والمعنى الكلي الذهني، فتطلق على الله بمعنى يخصه تعالى ويليق بجلاله سبحانه، وتطلق على المخلوق بمعنى يخصه ويليق به، فيقال مثلا: الله حليم، وإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حليم، وليس حلم إبراهيم كحلم الله، والله رؤوف رحيم، ومحمد ح رؤوف رحيم، وليس رأفة محمد ح ورحمته كرأفة الله بخلقه ورحمته، والله تعالى جليل كريم ذو الجلال والإكرام على وجه الإطلاق، وكل نبي كريم جليل، وليست جلالة كل نبي وكرمه كجلالة غيره من الأنبياء وكرمه ولا مثل جلال الله وكرمه، بل لكل من الجلالة والكرم ما يخصه، والله تعالى حي، وكثير من مخلوقاته حي ، وليست حياتهم كحياة الله تعالى، والله سبحانه مولى رسوله محمد ح وجبريل وصالح المؤمنين، وليس ما لجبريل وصالح المؤمنين من ذلك مثل ما لله من الولاية والنصر لرسوله ح، إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة المذكورة في كتاب الله وسنة رسوله ح الثابتة عنه، ولا يلزم من ذلك تشبيه المخلوق بالخالق في الاسم أو الصفة وأسلوب الكلام، وما احتف به من القرائن يدل على الفرق بين ما لله من الكمال في أسمائه وصفاته وما للمخلوقات مما يخصهم من ذلك على وجه محدود يليق بهم#[1].

2. أن لا يُقصَد بالاسم معنى صفة الله تعالى[2]؛ ولهذا غير النبي ح كنية َ أبي الحكم التي تـ َكنى ّ بها، لأن أصحابه يتحاكمون إليه، فقال النبي ح: $إن الله هو الحـ َكـ َم وإليه الحـ ُكـ ْم#، ثم كنـ ّاه بأكبر أولا ده شريح[3].

فدل ذلك على أنه إذا تسمى أحد باسم من أسماء الله ملاحظاً بذلك معنى الصفة التي تضمنها هذا الاسم فإنه يمنع؛ لأن هذه التسمية تكون مطابقة تماماً لأسماء الله سبحانه وتعالى، فـ$إن أسماءه الحسنى أعلام وأوصاف#[4] لدلالتها على المعنى الذي تضمنه الاسم.

$رجاله ثقات وقد صححه غير واحد#، والشيخ الألباني كما في صحيح الجامع (689/1 رقم 3700).

(1) فتاوى اللجنة الدائمة (118-119/3).

(2) انظر: المجموع الثمين من فتاوى الشيخ ابن عثيمين (144/1)، والقول المفيد على كتاب التوحيد (261/2).

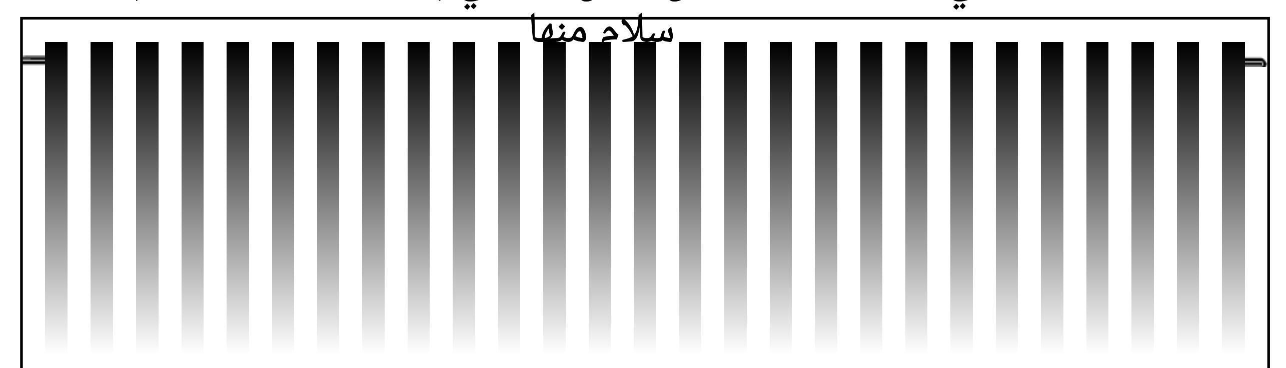
(3) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح (151/5 رقم 4955)، وجوّد إسناده الشيخ الألباني في المشكاة (1347/3 رقم 4766) وصحح الحديث في الإرواء (237/8 رقم 2615).

(4) بدائع الفوائد (285/1). ومعنى كون أسماء الله أعلاماً وأوصافاً أي: أنها أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني. بخلاف أعلا م البشر فإنها أعلام محضة، ولهذا يقول الإمام الدارمي :: $وقد يسمّى الرجل حكيماً وهو جاهل، وحَكَماً وهو ظالم، وعزيزاً وهو حقير، وكريماً وهو لئيم،

يقول شيخ الإسلام :: $فالأسماء والصفات نوع يختص به الرب، مثل: الإله، ورب العالمين ونحو ذلك؛ فهذا لا يُثبَت للعبد بحال ...
والثاني: ما يوصف به العبد في الجملة؛ كالحي، والعالم، والقادر؛ فهذا لا يجوز أن يثبت للعبد مثل ما يثبت للرب أصلا ً#[1].
$لكن في مثل $جبار# لا ينبغي أن يتسمى به -وإن كان لم يلاحظ الصفة-؛ وذلك لأنه قد يؤثر في نفس المسمى، فيكون معه جبروت وعلو واستكبار على الخلق، فمثل هذه الأشياء التي قد تؤثر على صاحبها ينبغي لـ لإنسان أن يتجنبها#[2].
بتطبيق هذه الضوابط على مسألة المناداة يمكن أن يقال: يجوز الا ختصار في مناداة المسمّين بالأسماء المعبّدة لأسماء الله الحسنى بمناداة تلك الأسماء الحسنى مجردةً عن التعبيد؛ بشرط أن تكون تلك الأسماء من الأ سماء المشتركة بين الله وبين عباده، وأن لا يراعى معنى صفة الله الذي تضمنته تلك الأسماء.
أما إذا لم تتوفر هذه الشروط، فلا تجوز ذلك؛ احتراماً لأسماء الله لأ، واحترازاً من الوقوع في الالحاد فيها، حيث قد جاء في القرآن الكريم: ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ الأعراف: ١٨٠، قال العلامة السعدي :: $الإلحاد: الميل بها عما جـ ُعلت له؛ إما بأن يسمى بها من لا يستحقها، كتسمية المشركين بها لآلهتهم، وإما بنفي معانيها وتحريفها، وأن يجعل لها معنى ما أراده الله ولا رسوله ح، وإما أن يشبـ ّه بها غيرها#[3].
ومن أمثلة التطبيق العملي للتقرير السابق: يجوز مناداة من يسمى $عبد الكريم# بـ$كريم#، و$عبد الحليم# بـ$حليم#، و$عبد الرحيم# بـ$رحيم#، و$عبد الرؤوف# بـ$رؤوف#، شريطةَ ملاحظةِ كونها أعلاماً دون ملاحظة معاني صفات الله تعالى التي تضمنتها تلك الأسماء.
وإن كان الأولى مناداة الإنسان باسمه كاملا ً؛ لأنه هو اسمه، أما الا ختصار فليس باسمه، والأول كذلك أولى؛ لتجنب الوقوع في المحذور والخ لاف.
وأما مناداة من يسمى $عبد الله# بـ$الله#، و$عبد الرحمن# بـ$رحمن#، و$عبد الإله# بـ$إله#؛ فهو لا يجوز مطلقاً لأنها من الأسماء

وصالحاً وهو طالح، وسعيداً وهو شقي، ومحموداً وهو مذموم، وحبيباً وهو بغيض ، وأسداً، وحماراً، وكلباً، وجدياً، وكليباً، وهراً، وحنظلة، وعلقمة وليس كذلك# نقض عثمان بن سعيد (ص 13-14). وانظر أيضاً: $القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى# مع شرحه: $المُجَلَى# لكاملة الكواري (ص 61-62).
(1) منهاج السنة (596/2)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل (279/10-280).
(2) المجموع الثمين من فتاوى الشيخ ابن عثيمين (145/1).
(3) تفسير السعدي (ص 273).

المختصة بالله جل وعلا.
بهذا، قد انتهيت من مباحث الفصل الثالث الذي هو: **$**مظاهر الا نحراف في التوحيد المتعلقة باللسان في إندونيسيا#، ويليه: الفصل الرابع الذي هو: **$**مظاهر الانحراف في التوحيد المتعلقة بالجوارح في إندونيسيا# ، فأسأل الله الإعانة والتوفيق...



الفصل الرابع: مظاهر الانحراف فى التوحيد المتعلقة بالجوارح فى إندونيسيا

ويتكون من أحد عشر مبحثاً:

المبحث الأول: الذبح وتقديم القرابين
المبحث الثاني: السجود والركوع
المبحث الثالث: الطواف
المبحث الرابع: السحر
المبحث الخامس: الكهانة والعرافة والتنجيم
المبحث السادس: بعض الأمور غير الشرعية التي تفعل لجلب نفع ودفع ضر
المبحث السابع: التمائم
المبحث الثامن: التبرك
المبحث التاسع: زيارة القبور والأماكن المزعوم أنها مقدسة ومعابد غير المسلمين
المبحث العاشر: الاعتكاف
المبحث الحادي عشر: صناعة التماثيل واقتناؤها

المبحث الأول: الذبح وتقديم القرابين

وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: معنى الذبح وتقديم القرابين وأنواعها
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في الذبح وتقديم القرابين
المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

المطلب الأول: معنى الذبح وتقديم القرابين وأنواعها

- معنى الذبح:

أصل الكلمة: الذبح من أصل لغوي ثلاثي هو $ذَبَحَ#[1].
تصريفها: $ذَبَحَ-يَذْبَحُ-ذَبْحًا-وَذُبَاحًا#، وهي من باب $قطَعَ#، و $الذِّبح# بالكسر: ما يُذْبَح، قال تعالى: ﭽ ﭬ ﭭﭼ الصافات: ١٠٧. و $الذبيح#: المذبوح، والأنثى $ذَبِيْحَة#؛ وإنما جاءت بالهاء لغلبة الاسم عليها ، و$الذبيح#: الذي يصلح أن يذبح للنسك[2].
معناها لغة: من معانيها:
1. الشقُّ[3].
2. قَطْع الحلْقوم من باطنٍ عند النصيل، وهو موضع الذّبح من الحَلْق[4].

معناها شرعاً: $إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص#[5].
أما القرابين فهي جمع قربان[6]، وهو فعلان من القربة مثل الرفعان من الرّفع والغنيان من الغنى[7]، قيل إن معناه: $ما تقرّبْتَ به إلى اللّه ِ عَزّ اسْمُه تبتغي به قُرْبَه، وكذلك إلى المَلِكِ#[8]، وقال ابن قتيبة :: $القربان: ما تقرب به إلى الله تعالى من ذبح وغيره#[9]، وبمثله يقول البيضاوي :[10].
فيبدو أن القرابين أعم من الذبائح؛ لأن القرابين قد تكون بالذبائح وبغيرها من الأطعمة أو النباتات أو البخور أو نحوها، أما الذبائح فهي تخص بالبهائم والحيوانات المذبوحة.
فقد روى غير واحد من العلماء عن ابن عباس وابن مسعود ن في قوله تعالى ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ المائدة: ٢٧ أن ولدي آدم ؛ اتفقا على تقريب القربان، وكان قربان قابيل

---

(1) انظر: مقاييس اللغة (369/2).
(2) انظر: الصحاح (362/1)، والقاموس المحيط (ص 217-218)، ولسان العرب (22/5).
(3) الصحاح (362/1)، والقاموس المحيط (ص 217).
(4) كتاب العين (202/3)، ولسان العرب (22/5).
(5) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين (62/6، 27/7). وانظر: الكليات (ص 458).
(6) المصباح المنير (ص 189).
(7) تفسير الثعلبي المسمى بالكشف والبيان (223/2).
(8) المحيط في اللغة للصاحب بن عباد (405/5).
(9) زاد المسير (516/1).
(10) تفسير البيضاوي (ص 147). وانظر: تفسير الرازي (210/11)، وتفسير الطبري (284/6)، وأيسر التفاسير للشيخ أبي بكر الجزائري (418/1).

حزمة من سنبل، وقربان هابيل جذعة سمينة، فتقبل الله قربان هابيل، ولم يتقبل قربان قابل[1]. فهذه القصة إن صحت تدل على أن القربان أعم من الذبح؛ إذ أن قابل قرب بغير حيوان، بل قرب بحزمة من سنبل.

كما يدل على ذلك ما رواه أبو هريرة ط أن رسول الله ح قال: $مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتْ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ#[2].

فقول الرسول ح $فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً# يدل على على أن القرابين لا تختص بذوات الأرواح من الحيوانات، والله أعلم.

- أقسام الذبح[3]:

الذبح أربعة أقسام:

1. أن يقع الذبح على وجه العبادة.

ويقصد به تعظيم المعبود له، والتذلل له، والتقرب إليه. فهذه عبادة لا تكون إلا لله تعالى على الوجه الذي شرعه، وصرفها لغير الله شرك أكبر ، قال جل وعلا: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ الأنعام: ١٦٢.

2. أن يقع الذبح على وجه الإكرام.

سواء كان ذلك لضيف أو وليمة لعرس أو نحو ذلك، فهذا أصله مباح، و العبد مأمور بإكرام الضيف إما وجوباً أو استحباباً لقوله ح: $من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليكرم ضيفه#[4].

3. أن يقع الذبح على وجه التمتع بالأكل، أو الاتجار ونحوه.

فهذا الأصل فيه أنه مباح، لقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ

---

(1) انظر: تفسير الطبري (322/8-323) وتاريخ الطبري (137/1-138)، وتفسير القرطبي (409/7).

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة (366/2 رقم 881 - الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الطب والسواك يوم الجمعة (582/2 رقم 850).

(3) هذا التقسيم مستفاد من: شرح النووي على صحيح مسلم (141/13)، وروضة الطالبين (474/2-475)، والموافقات (346/2-350)، وتيسير العزيز الحميد (ص 147)، والقول المفيد على كتاب التوحيد (214/1)، ومجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين (27/7-28)، وتفسير القرآن الكريم سورة البقرة (259/2-260).

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآ خر فلا يؤذ جاره (440/10 رقم 6018 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإ يمان، باب الحث على إكرام الجار (68/1 رقم 47) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ﯾﭼ يس: ٧١.

4. الذبح لغير الله على وجه العبادة.

الذبح على وجه القربة والتعبد لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة، سواء كان المذبوح له ملائكة، أو جنياً، أو رسولا ً من الرسل، أو نبياً من الأنبياء، أو ولياً من الأولياء، أوغير ذلك.

وكذلك أكل لحوم هذه الذبائح محرم لأنها أُهِلّ لغير الله بها، قال تعالى: ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜﭼ المائدة: ٣[1].

مما يوضح الفرق بين النوع الأول والنوع الثاني من أقسام الذبح السابقة: أنه $لو قدم السلطان إلى بلد، فذبحنا له، فإن كان تقرباً وتعظيماً؛ فإنه شرك أكبر، وتحرم هذه الذبائح، وعلامة ذلك، أننا نذبحها في وجهه ثم ندعها. أما لو ذبحناها له إكراماً وضيافة، وطبخت، وأكلت؛ فهذا من باب الإ كرام، وليس بشرك#[2].

(1) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (2/59-60).
(2) القول المفيد على كتاب التوحيد (1/214).

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في الذبح وتقديم القرابين

أمثلة هذا المطلب تنقسم إلى قسمين؛ قسم يتعلق بالذبح لغير اللّه، وقسم يتعلق بتقديم القرابين -التي خلت عن الذبائح- لغير اللّه.

أما ما يتعلق بالذبح لغير اللّه، فمن أمثلته:

المثال الأول: ما يسمى بطقوس Labuhan (لا َبُوْهَانْ) وهي عبارة عن دفن رأس جاموس في قمة بركان Merapi (مِيْرَابِيْ) في غرة محرم ونهاية رجب من كل سنة؛ تقرباً لسلطان هذا البركان من الجن المدعو Kiai Sapujagad (كِياَهِيْ سَاقُوْ جَاعَدْ). يزعمون أن عدم إقامة هذه الطقوس يأتي بأضرار على المجتمع[1].

المثال الثاني: ما يفعله بعض سكان مدينة Cilacap (تِشِيْلا َتشَافْ) بجَاوَا الوسطى من تقديم رأس جاموس أو بقر لـ Nyai Roro Kidul (إِنْجَائِيْ رَارَا كِيْدُوْلْ)؛ مَلِكَةٌ البحر الجنوبي من الجن -بزعمهم- دفعاً لغضبها، وجلباً لبركات البحر[2]، ومثله ما يفعله بعض سكان مدينة Bantul (بَنْتُوْلْ) بمحافظة Jogjakarta (جُوْكْجَاكَرْتَا) في بحر Samas (سَامَاسْ)[3].

المثال الثالث: ذبح بعض الناس بقرة تقرباً لسلطان البحر الجنوبي من الجن كي يعينهم في إنجاز ما بنوه من جسر بين مدينة Surabaya (سُوْرَبَيَا) وجزيرة Madura (مَادُوْرَا)، وهو الجسر الموسوم Suramadu (سُوْرَامَادُوْ)[4].

المثال الرابع: ما يفعله التجار بالسوق الشعبي منطقة Banyumas (بَنْيُوْمَسْ) بجَاوَا الوسطى في غرة محرم، من تقديم رأس غنم وأطعمة منوعة لنهر Serayu (سِيْرَيُوْ)، ويسمونه larung (لَرُوْنْج)، وهو برنامج ضمن فعاليات Festival Sedekah Bumi Pasar Banyumas (مهرجان سوق بانيوماس للصدقة على الأرض). ويزعمون أن ذلك البرنامج عُقِد من أجل إبعاد الأقدار السيئة عن أنفسهم[5].

---

(1) انظر: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِي)، العدد 387، 20 ديسمبير-4 يناير 2006 (ص 47-48)، وجريدة Posmo (قُوْسْمُوْ)، العدد 328، السنة السادسة، تارسخ 3 أغسطس 2005 (ص 6-7).

(2) انظر: جريدة Suara Merdeka (سوواراا ميرديكا)، يوم السبت، 3 فبراير 2007 (ص 28).

(3) انظر: المرجع السابق، يوم الإسنين، 22 يناير 2007 (ص 26).

(4) انظر: مجلة Ghoib (غيب)، العدد 25، السنة الثانية، تاريخ 5 شعبان 1425 هـ / 20 سبتمبر 2004 م (ص 27، 28).

(5) انظر: جريدة Suara Merdeka (سُوَرَا مِيْرْدِيْكا)، يوم السبت، 3 فبراير 2007 (ص 18).

المثال الخامس: ما يفعله بعض مسلمي مدينة Kulon Progo (كُوْلُوْنْ فُرُوْكُوْ) بجَاوَا الوسطى -قبل عقد وليمة الزواج- مِن تقديم القرابين التي تتكون من دجاج وأرز وأطعمة أخرى لأرواح أجدادهم؛ طلباً للسلامة منهم؛ كي تنعقد الوليمة على ما يُرَام. ويسمون هذه القرابين بـ Sesajen Murni Lasti (قرابين مُوْرْنِيْ لَسْتِيْ)[1].

المثال السادس: ما يفعله بعض سكان مدينة Tulung Agung (تُوْلُوْنْجْ أَكُوْنْجْ) بجَاوَا الشرقية من تقديم رأس جاموس لـ Nyai Roro Kidul (إِنْجَائِيْ رَارَا كِيْدُوْلْ) مَلِكَةُ البحر الجنوبي من الجن -بزعمهم- دفعاً لغضبها وطلباً لبركة رزقهم. ويلقون رأس ذلك الجاموس في البحر الجنوبي Popoh (فُوْفُوْهْ)[2]، وشبيه بذلك ما يفعله بعض سكان محافظة Jogjakarta (جُوْكْجَاكَرْتَا) ببحر Parangkusumo (فَارَنْجْكُوْسُوْمُوْ)[3].

المثال السابع: ذبح بعض المهندسين جاموساً للجني الساكن في قرية Batudatar (بَاتُوْ دَتَرْ) بمدينة Purwakarta (فُوْرْوَكَرْتَا) بجَاوَا الغربية ويسمونه Haji Kamilin (حاجي كاميلين)؛ دفعاً لحوادث السيارات عن الشوارع التي بنوها[4].

المثال الثامن: اعتقاد بعض الناس أن الأموات في الحقيقة لا تزال أرواحهم تعيش، فمن أجل ذلك عند زيارة قبورهم كانوا يقدمون للأموات القرابين والذبائح[5].

المثال التاسع: ما يفعله بعض سكان القطاع حول بحيرة Pening (فِيْنِيْنْج) -الواقع في مدينة Ambarawa (أَمْبَرَوَا) بجَاوَا الوسطى- من تقديم القرابين التي تتكون من دجاج وأرز وغيرها من الأطعمة لسلطان هذه البحيرة من الجن الذي يسمونه: Mbah Baru Klinting (إِمْبَاهْ بَارُوْ كِلِيْنْتِيْنْجْ)؛ استعانة به على العمل، وشكراً له، وجلباً للبركة[6].

المثال العاشر: ما يفعله بعض سكان مدينة Jogjakarta (جُوْكْجَاكَرْتَا) إذا أرادوا عقد أي وليمة، من تقديم القرابين التي تتكون من سيجارة، وموز،

---

(1) انظر: مجلة Ghoib (غيب)، العدد 48، تاريخ 1 شعبان 1426 / 5 سبتمبير 2005 (ص 74-75).
(2) انظر: المرجع السابق، العدد 13، السنة الثانية، عام 1425 هـ/2004 م (ص 22-23).
(3) انظر: Bahaya! Tradisi Kemusyrikan di Sekitar Kita (انتبه! العادات الشركية حولنا)، لويلي الدين أر داني (ص 77-79).
(4) انظر: مجلة Ghoib (غيب)، العدد 55، السنة الثالثة، تاريخ 24 ذو القعدة 1426 هـ/26 ديسمبير 2005 م (ص 46).
(5) انظر: Bid'ah-bid'ah di Indonesia (البدع في إندونيسيا) (ص 145).
(6) انظر: جريدة Wawasan (وَوَسَنْ)، يوم الأحد، 26 مارس 2006 م (ص12).

وأرز، وقطرة من دم دجاجة! وغيرها، لسلطان القرية من الجن؛ كي لا يشوش الجن في سير الوليمة. ويسمون هذه القرابين بـ Uba Rampe (أُوْبَا رَمْفِيْ)[1].

المثال الحادي عشر: ما يفعله بعض الناس قبل الشروع في بناء مصنع أو جسر أو أبنية كبيرة مِن ذبح بقرة أو جاموس، ومن ثم تلطيخ الحجر الأساسي بدمها، ودفن رأسها عند أرض المشروع؛ كي يتم مشروع البناء على ما يرام، ولا يصيبهم الجن بأذى، وتأتي الأبنية مستقبلا ً بالبركات[2].

أما ما يتعلق بتقديم القرابين -التي خلت عن الذبائح- لغير الله، فمن أمثلتها:

المثال الثاني عشر: ما يفعله بعض سكان قرية Sigentong (سِيْجِيْنْتُوْنْج) بـ Sicabe (سِيْتَجَابِيْ) Brebes (بَرِيْبِيْس) بجَاوَا الوسطى -عند الاستعداد للحرث أو عقد وليمة ما- مِن إشعال البخور وتقديم القرابين عند قبر Dul Jalab (دُوْلْ جَلَبْ) الكائن في تلك القرية. يزعمون أنه عبارة عن الاستئذان من صاحبها. وإن لم يفعلوا ذلك سوف يصيبهم ما يصيبهم من الأضرار -بزعمهم![3]

المثال الثالث عشر: ما يفعله Tim Pemburu Hantu (فريق الصيادين لمردة الجن) -كما صرح بذلك أحد أعضائه؛ محمد رضوان- من تقديم شيء من القرابين للجن بحسب طلبهم؛ كي يسهل نقلهم -بزعمهم- من مكان إلى مكان[4].

المثال الرابع عشر: تقديم بعض المسلمين القرابين لـ Dewi Sri (دِيْوِيْ سَرِيْ)؛ إله الأرز

(1) انظر: مجلة Ghoib (غيب)، العدد 49، السنة الثالثة، تاريخ 15 شعبان 1426 هـ/ 19 سبتمبير 2005 م (ص 74-75).

(2) انظر: Membongkar Kesesatan Perilaku Syirik Masyarakat Indonesia (كشف ضلالات أعمال المجتمع الإندونيسي الشركية)، لفيردانا أحمد (ص 42).

(3) انظر: مجلة HAM (هَامْ)، العدد 9، يوليو-أغسطس 2005 (ص 23-24).

(4) انظر: مجلة Wahana Mistis (وَهَنَا مِيْسْتِيْس)، العدد 111، تاريخ 2-17 أغسطس 2005 (ص 29).

والرخاء -بزعمهم- قبل موسم الحصاد[1].

المثال الخامس عشر: ما يعتقده بعض الناس من أن سبب موت بعض السائحين الهولنديين الذين تسلقوا بركان Merapi (مِيْرَاپِي) هو: أن الهولنديين المستعمرين لإندونيسيا -قديماً- كانوا قد بنوا بعض الأبنية عند بركان مِيْرَاپِيْ، ولم يقدّموا قرباناً لـ Kyai Sapu Jagad (كِياهِيْ سَاڤُوْ جَكَدْ) ؛ سلطان هذا البركان من الجن -بزعمهم-[2].

المثال السادس عشر: ما يفعله المشعوذ Mbah Bejo (إِمْبَاهْ بِيْجُوْ) من تقديم أنواع القرابين -من مشروبات، وأطعمة، وأقمشة، وسجائر- للجن الساكنين بمبنى عتيق Larangsewu (لَرَنْج سِيْوُوْ) بمنطقة Semarang (سِيْمَرَنْجْ) بجَاوَا الوسطى؛ دفعاً لما يُتَوَقَّع من أذاهم[3].

المثال السابع عشر: تقديم بعض سكان قرية Lemah Putih (لِيْمَهْ ڤُوْتِيْهْ) بمدينة Nganjuk (عَنْجُوْكْ) بجَاوَا الشرقية القرابين سنوياً للجنية الساكنة ببئر Putri (ڤُوْتري)؛ اتقاء شرها المتمثل في تخويف المارّين بذلك البئر[4].

المثال الثامن عشر: تقديم بعض الناس القرابين المكونة من قصب السكر أو الأرز أو الذرة مع سنابيلها، عند أول نزول بالبيت الجديد؛ دفعاً لشر الجن وجلباً للخير[5].

المثال التاسع عشر: تقديم بعض سكان قرية Kandat (كَنْدَتْ) بمنطقة Kediri (كِيْدِيْرِي) بجَاوَا الشرقية القرابينَ لجني ساكن في بيت مهجور في تلك القرية؛ اتقاء شره المتمثل في انتهاكه لحرمات أبكار تلك القرية[6].

المثال العشرون: تقديم بعض الناس القرابينَ للجني الساكن في أثر جسر سكة الحديد بـ Pabuaran (ڤَبُوَارَانْ) مدينة Subang (سُوْبَنْجْ) بجَاوَا الغربية؛ استجابة له إذ رأوه في المنام وقد طالبهم بفعل ذلك؛ جلباً للأ

---

(1) انظر: Membongkar Kesesatan Perilaku Syirik Masyarakat Indonesia (كشف ضلالات أعمال المجتمع الإندونيسي الشركية) (ص 42).

(2) انظر: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِي)، العدد 387، تاريخ 20 ديسمبير-4 يناير 2006 (ص 46).

(3) انظر: جريدة Wawasan (وَوَسَنْ)، يوم السبت، 22 أبريل 2006 (ص 1).

(4) انظر: مجلة Wahana Mistis (وَهَنَا مِيْسْتِيْس)، العدد 108 السنة الخامسة، تاريخ 25 مايو - 25 يونيو 2006 (ص 40-42).

(5) انظر: Membongkar Kesesatan Perilaku Syirik Masyarakat Indonesia (كشف ضلالات أعمال المجتمع الإندونيسي الشركية) (ص 42)، وBahaya ! Tradisi Kemusyrikan di Sekitar Kita (انتبه! العادات الشركية حولنا) (ص 85).

(6) انظر: مجلة Wahana Mistis (وَهَنَا مِيْسْتِيْس)، العدد 108، السنة الخامسة، تاريخ 25 مايو - 25 يونيو 2006 (ص 78-80).

أمن[1].

المثال الواحد والعشرون: ما يعتقده بعض الساكنين قرب جسر Gorowong بمدينة Karawang (كرَوَنْج) بجَاوَا الغربية أن سبب وقوع بعض المصائب التي تحل بهم؛ هو عدم تقديمهم القرابين لسلطان ذلكم الجسر من الجن[2].

المثال الثاني والعشرون: ما يفعله بعض سكان جزيرة جَاوَا الغربية من إقامة طقوس -في اليوم الذي توفي فيه الميت- تسمى Sedekah Dugna (صدقة دُوْكْنَا) وSedekah Nyusur Taneuh (صدقة نِيُوْسُوْرْ تانِيُوْهْ)؛ وهي عبارة عن تقديم الأكلات والمشروبات -التي كانت يحبها الميت أيام حياته- له، في بيته وفي قبره[3].

(1) انظر: مجلة Wahana Mistis (وَهَنَا مِيْسْتِيْس)، العدد 108، السنة الخامسة، تاريخ 25 مايو - 25 يونيو 2006 (ص 86-88).
(2) انظر: المرجع السابق (ص 82-84).
(3) انظر: Bid'ah-bid'ah di Indonesia (البدع في إندونيسيا) (ص 63).

المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

سيكون الكلام في هذا المطلب على فرعين:

الفرع الأول: الكلام عن الذبح لغير الله تعالى:

إنّ الذبح والنحر إن قُصِد بهما التوجه والتقرب إلى الله وحده فهو -بلا شك- من أجل العبادات، ويسمى نُسُكاً؛ لأن النسك هو العبادة والقربة[1]، و $أصل النسك أنه لله# كما قال الإمام الشافعي : [2].

وقد فرض الله إخلاصَ النسك له وحدَه بقوله -آمراً رسوله ح-: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼالأنعام: 162-١٦٣، والنسك -هاهنا- الذبيحة[3].

يقول ابن عطية :: $وقوله: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ... ﭼ الآية، أمر ـ من الله لأ أن يعلن بأن مقصده في صلاته، وطاعته من ذبيحة وغيرها، وتصرفه مدة حياته وحاله من الإخلاص والإيمان عند مماته؛ إنما هو لله لأ وإرادة وجهه طلب رضاه. وفي إعلان النبي ح بهذه المقالة ما يلزم المؤمنين التأسي به؛ حتى يلتزموا في جميع أعمالهم قصد وجه الله لأ#[4].

ويقول الرافعي[5] :: $اعلم أن الذبح للمعبود وباسمه نازل من-زلة السجود له، وكل واحد منهما نوع من أنواع التعظيم والعبادة المخصوصة ب الله تعالى الذي هو المستحق للعبادة#[6].

ومن أدلة وجوب إخلاص الذبح لله وحده؛ قوله سبحانه وتعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼالكوثر: ٢.

فالنحر في الآية يراد به نحر النسك كما فسره الجمهور[7]، وعطفه على الصلاة ينادي بأن الذبح لغير الله كالصلاة لغير الله، ولو رأى الناسُ مسلماً يصلي لغير الله؛ لبادروا إلى تكفيره من غير استفتاء علماء الدين، ولو رأوا -وكم رأوا- مَن يذبح لغير الله، لَرَضوا بهذا الصنيع، وتأوّل لهم علماءُ الأغراض ما يُحَسِّن هذا الفعلَ الشنيع، وما هذه التفرقة إلا أنهم أَلِفوا الذبح لغير الله، ولم يألفوا الصلاة لغير الله سبحانه[8].

---

(1) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص 802)، ومقاييس اللغة (420/5).
(2) مختصر المزني (ص 375).
(3) انظر: تفسير ابن كثير (382/3)، والدر المنثور (307/6).
(4) تفسير ابن عطية (369/2 -ط. دار الكتب العلمية).
(5) هو: عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني (557-623 هـ)، فقيه، من كبار الشافعية، له فتح العزيز في شرح الوجيز للغزالي وغيره. انظر: طبقات السبكي (281/8 وما بعدها)، والسير (252/22-255).
(6) العزيز شرح الوجيز (84/12)، وروضة الطالبين (474/2).
(7) انظر: تفسير ابن كثير (503/8).
(8) الشرك ومظاهره (ص 367).

يقول الحافظ ابن كثير : بعد بيانه المراد من الكوثر المذكور في الآية قبلها: $وقوله: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ أي: كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك النهرُ الذي تقدم صفته؛ فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة ونحرَك، فاعبده وحده لا شريك له، وانحر على اسمه وحده لا شريك له. كما قال تعالى: ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ[الأنعام: 162-١٦٣]#[1].

ويقول الماوردي : عند تقريره استحبابَ توجيه الذبيحة إلى القبلة، بعد أن أورد النصوص الدالة على ذلك: $لأنها [أي الذبيحة] قربة، فكانت القبلة أخص بها كالصلاة ... وفي ذبح الضحايا طاعة وقربة، فكان استقبال القبلة بها أولى#[2]؛ فشبّه : الذبحَ بالصلاة، وجعل الذبح طاعة وقربة.

وقال بنحو كلامه هذا الشيرازي :[3].

بما سبق تقريره يظهر جلياً بأن الذبح لغير الله تعالى شرك به سبحانه؛ لأنه عبادة يجب صرْفُها لله وحده، فمن صرَفَها لغيره فقد أشرك، وقد تنوعت نصوص الكتاب والسنة وكلام الأئمة في التحذير من هذا الشرك؛ بياناً لخطورته، ومن تلكم النصوص ما يلي:

أولاً: التصريح بكونه شركاً.

قال تعالى: ﭽ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼالأنعام: ١٢١.

يقول قتادة : في تفسير قوله تعالى: ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ: $وإنا والله ما نعلمه كان شرك قط إلا بإحدى ثلاث: أن يدعو مع الله إلهاً آخر، أو يسجد لغير الله، أو يسمي الذبائح لغير الله#[4].

ويقول الرافعي : بعد كلامه عن استحقاق الله وحده أن يكون الذبح له وعلى اسمه دونما سواه: $فمن ذبح لغيره من حيوان، أو جماد كالصنم، على وجه التعظيم والعبادة؛ لم تحلّ ذبيحتُه، وكان ما يأتي به كفراً، كمن سجد لغيره سجدة عبادة، وكذا لو ذبح له ولغيره على هذا الوجه#[5].

فصرّح : بأن الذبح لغير الله أو إشراكَ أحد مع الله فيه مثلُ السجود لذلك الغير، وأفصح : بأن ذلك من الأمور الموجبة للكفر.

وقال بنحو قول الرافعيّ : السابق الشربينيُ : في $مغني المحتاج#[6].

---

(1) تفسير ابن كثير (8/502-503).
(2) الحاوي الكبير (15/95).
(3) المهذب (2/885).
(4) رواه الطبري في تفسيره (9/525) وإسناده حسن. والأثر أورده السيوطي في الدر المنثور (6/187) وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ.
(5) العزيز شرح الوجيز (12/84-85).
(6) (4/363).

ثانياً: الوعيد باللعنة من الله تعالى على من ذبح لغيره سبحانه، و اللعن من الله هو: الطرد والإبعاد من رحمته، ومن الخلق: السب والدعاء، ذكره ابن الأثير :[1].

عن علي بن أبي طالب ط قال: سمعت رسول الله ح يقول: $لعن الله من ذبح لغير الله#[2].

ولما كان الذبح لغير الله تعالى فعلا ً من أفعال أهل الشرك التي لا يقع فيها سواهم؛ فقد اقتصر بعض العلماء على رواية الحديث السابق و الترجمة عليه بما تضَمّنَه الحديث نفسُه من بيان طرد فاعله من رحمة الله، وذلك ما فعله أبو عوانة الإسفراييني : حين روى الحديثَ بسنده وترجم عليه بقوله: $بيان وجوب اللعنة على من نسك لغير الله ... وكذلك كل ذبيحة تُذبَح لغير الله#[3].

ومثله ابن حبان : حيث قال في ترجمته: $ذِكر لعن المصطفى ح المُهلّ لغير الله#[4].

فمن طُرِد عن رحمة رب العالمين فهو موعود بنار الجحيم؛ فعن سلمان الفارسي ط قال: $دخل رجل الجنة في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب# قالوا: وكيف ذلك؟ قال: مر ّ رجلان على قوم لهم صنم لا يَجُوزُه ُ أحد حتى يقرِّب له شيئا ً، فقالوا لأحدهما: قرِّب! قال: ليس عندي شيء، فقالوا له: قرِّب ولو ذبابا ً! فقرّب ذبابا ً، فخلوا سبيله، قال: فدخل النار. وقالوا للآخر: قرِّب ولو ذبابا ً! قال: ما كنت لأقرِّب لأحد شيئا ً دون الله عز وجل، قال: فضربوا عنقه، قال: فدخل الجنة#[5].

وإذا كان هذا هو شأن من قرّب ذباباً -على صغر حجمه-؛ فكيف بمن يقرّب لغير الله دجاجةً، أو شاةً، أو بقرةً، أو جاموساً؟! نسأل الله السلامة و العافية...

ثالثاً: التصريح بتحريم أكل ما ذبح لغير الله.

يقول تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼالمائدة: ٣.

ومعنى قوله تعالى: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ: $ما ذبح لغير الله تعالى، وقُصِد به صنم أو بشر من الناس كما كانت العرب تفعل، وكذلك النصارى، وعادة الذابح أن يسمي مقصودَه ويصيح به، فذلك إهلاله#، كذا قال ابن

---

(1) انظر: النهاية في غريب الحديث (255/4).
(2) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله ولعن فاعله (1567/3 رقم 1978).
(3) مسند أبي عوانة (75/5).
(4) صحيح ابن حبان (216/13 -الإحسان).
(5) سبق تخريجه في (ص 373).

عطية :[1].

وقد طبّق الرسول ح ذلك عملياً في حياته؛ بحيث امتنع عن أكل ما ذبح لغير الله، فعن ابن عمر م $أَنّ النَّبِيّ ح لَقِيَ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ بِأَسْفَلِ بَلْدَحٍ[2] قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى النَّبِيّ ح الْوَحْيُ فَقُدِّمَتْ إِلَى النَّبِيّ ح سُفْرَةٌ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا، ثُمّ قَالَ زَيْدٌ: إِنِّي لَسْتُ آكُلُ مِمّا تَذْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ، وَلا آكُلُ إِلا مَا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ، وَأَنّ زَيْدَ ابْنَ عَمْرٍو كانَ يَعِيبُ عَلَى قُرَيْشٍ ذَبَائِحَهُمْ وَيَقُولُ: الشّاةُ خَلَقَهَا اللهُ وَأَنْزَلَ لَهَا مِنْ السّمَاءِ الْمَاءَ وَأَنْبَتَ لَهَا مِنَ الأَرْضِ ثُمّ تَذْبَحُونَهَا عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللهِ؟! إِنْكارًا لِذَلِكَ وَإِعْظَامًا لَهُ# رواه البخاري[3].

وعند الحاكم: $فأناخ رسول الله ح البعير الذي كان تحته، ثم قدّمنا إليه السفرة التي كان فيها الشواء، فقال: ما هذه؟ فقلنا: هذه شاة ذبحناها لنصب كذا وكذا، فقال: إني لا آكل ما ذُبِح لغير الله، وكان صنماً من نحاس يقال له: إساف ونائلة يتمسح به المشركون إذا طافوا...#[4].

ولم يختلف العلماء في عدم جواز أكل ما ذُبح لغير الله سبحانه، أو ما ذُكر عنده غيرُ اسم الله، وإنما اختلفوا في متروك التسمية عمداً أو سهواً[5].

يقول الإمام ابن كثير :: إن الله تعالى قد $أوجب أن تُذبَح مخلوقاته على اسمه العظيم، فمتى عُدِل بها عن ذلك وذُكِر عليها اسم غيره من صنم، أو طاغوت، أو وثن، أو غير ذلك من سائر المخلوقات؛ فإنها حرام بالإجماع. وإنما اختلف العلماء في المتروك التسمية عليه، إما عمدًا أو نسياناً#[6].

رابعاً: وصف ذلك بأنه من الأعمال الجاهلية؛ أعمال المشركين.

يقول الحافظ ابن كثير : في تفسير قوله تعالى: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ الأنعام: 162-١٦٣: $يأمره تعالى أن يخبر ح

(1) تفسير ابن عطية (150/2 -ط. دار الكتب العلمية).

(2) قال في الفتح (143/7): $هُوَ مَكان فِي طَرِيق التَّنْعِيم، بِفَتْحِ الْمُوَحّدَة وَالْمُهْمَلَة بَيْنهمَا لَام سَاكِنَة وَآخِره مُهْمَلَة، وَيُقَال هُوَ وَادٍ#.

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل (142/7 رقم 3826 -الفتح)، وكتاب الذبائح والصيد، باب ما ذبح على النصب والأصنام (628/9 رقم 5499 -الفتح).

(4) المستدرك (227/4-228 رقم 5009 –ط. دار المعرفة)، وقال الحاكم: $صحيح على شرط مسلم#.

(5) أقوال أهل العلم في هذه المسألة ثلاثة: الأول: أن التسمية شرط مع الذكر وتسقط بالسهو، الثاني: أنها مستحبة، فلو تركت سهواً أو عمداً حلت الذبيحة، و الثالث: اشتراطها مطلقاً، فمن تركها سهواً أو عمداً لم تحل ذبيحته. انظر: المجموع (384-385/8)، والمغني (290/13).

(6) تفسير ابن كثير (17/3).

المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه، أنه ح مخالف لهم في ذلك، فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له. وهذا كقوله تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼالكوثر: ٢، أي: أخلص له صلاتك وذبيحتك، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم و الانحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى#[1].

في الصحيحين عن أبي هريرة ط أن النبي ح قال: $لا فَرَع ولا عتيرة#، والفرع أول النتاج كانوا [أي: أهل الجاهلية] يذبحونه لطواغيتهم، و العتيرة في رجب[2].

كانت العرب تنسك في جاهليتها النسائك حول أصنامها وأنصابها تقرباً إليها، وتحتفل لذلك، ومن نسائكهم: الفرع، والعتيرة، والسوائب التي يخصون بما ولد منها حياً الرجال؛ فلا تأكل منه النساء، ويشركونهن معهم فيما ولد منها ميتاً؛ كما حكاه البغوي : عن ابن عباس م وقتادة : والشعبي : في قوله تعالى: ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼالأنعام: ١٣٩[3].

وعن أنس ط أن النبي ح قال: $لا عقر في الإسلام#، قال عبد الرزاق: $كانوا [أي: أهل الجاهلية] يعقرون عند القبر بقرة أو شاة#[4].

يقول العيني :: $كان أهل الجاهلية يعقرون الإبل على قبر الرجل الجواد، يقولون: نجازيه على فعله، لأنه كان يعقرها في حياته فيـ ُطعـ ِمها الأضياف، فنحن نعقرها عند قبره ليأكلها السباع والطير، فيكون مُطعِما ً بعد مماته كما كان مُطعِما ً في حياته ... ومنهم من كان يذهب في ذلك إلى أنه إذا عقرت راحلتـ ُه عند قبره حـ ُشـ ِر يوم القيامة راكبا ً، ومن لم يعقر عنه حـ ُشـ ِر راجلا ً#[5].

هكذا يحارب النبي ح هذا العمل الشركي بشتى صوره، ومضى أصحابه ن ورجال بقية القرون المفضلة وعلماء الإسلام حنفاءَ على التوحيد، مجانبين للشرك ومظاهره.

فهذا العمل الشركي وما أشبهه لم يكن معروفاً عند المتقدمين من أهل

---

(1) المصدر السابق (3/381-382).
(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العقيقة، باب الفرَع (9/594 رقم 5473 - الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الأضاحي، باب الفرَع والعتيرة (3/1564 رقم 1976).
(3) انظر: تفسير البغوي (3/193-194).
(4) رواه أبو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب كراهية الذبح عند القبر (3/357 رقم 3222)، وقال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (5/564 رقم 2436): $وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين#.
(5) شرح سنن أبي داود (6/179-180).

الإسلام الذين أدركوا المضامين البشعة لإشراك أحد مع الله في شيء من عبادته، ولكن مع تباعد الناس عن زمن النبوة، واستفحال الجهل، وهجر كثير من الناس لميراث النبي ح؛ أصبح هذا العمل الشركي -أعني الذبح لغير الله- أمراً عادياً عند كثير من المتأخرين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومما يدلك على أن الذبح لغير الله لم يكن معروفاً لدى المتقدمين من أهل الإسلام:

1. من المعلوم أنه لا يجوز أن يذكر على الذبيحة سوى الإهلال بذكر الله، ولكن ما حكم هذا الإهلال؟ فالذي اختاره الإمام الشافعي :[1] وأكثر أصحابه[2] أنه لا يصل إلى حد الوجوب، وإنما هو مستحب، والمستحب كما هو معلوم لا يصل إلى حد الإلزام، فلذلك جاز تعمّد تركه[3] عندهم.

وقد علل الشافعية اختيارَهم هذا؛ بأن المسلم لا يُتصوّر أن يدع ذكر الله على ذبيحته لمعنى فاسد أبداً، فهو يذبح على اسم الله وإن نسي التلفظَ بلسانه، بل إنه لو تعمّد تركَ التسمية فلا ينبغي أن يُظَنّ به السوء لمجرد ذلك، إذ هو يعلم أن الذبح لا يجوز أن يكون إلا لله وحده لا شريك له، يجزم بهذا في قرارة نفسه ويَدين به ربّه، فكيف يكون تركه التسمية موجباً لتحريم ذبيحته والحكم بأنها كذبيحة المشرك لا فرق؟

هذا هو تعليلهم الذي دارت عليه عباراتهم، وفيه يقول الإمام الشافعي : بعد تقريره حِلّ الأكل في حال النسيان: $لأن المسلم يذبح على اسم الله لأ وإن نسي#[4]، وبنحوه يقول أصحابه[5].

ومن هنا فإن بالإمكان القول: إن تسهيل الشافعية في أمر الذكر دليل على تشديدهم في وجوب تخصيص الله وحده بالذبح، وكأن لسان الحال يقول: إن أحداً من أهل الإسلام -أي أهل الإسلام الذين شاهدوهم في زمانهم- يستحيل أن يصدر منه ذبح لغير الله على وجه القربة إليه، وإنما يصنع هذا أهل الشرك وحدهم، فلأجل هذا لم يصل الإهلال بالذكر إلى حد الفرقان الذي يفرق به بين ذبح المسلم وذبح غيره، وإنما العمدة على الأمر ا لأساسي وهو اعتقاد القلب.

وحيث إن هذا الذكر متحقق في ذبح المسلم جَزماً فلا ينبغي أن يشَدّد

---

(1) انظر: الأم (593/3 -تحقيق رفعت فوزي).
(2) انظر: معالم السنن (283/4)، وتفسير الرازي (177/13-178).
(3) انظر تفصيل ذلك في $المحصول في علم أصول الفقه# للرازي (102/1-104).
(4) الأم (593/3 -تحقيق رفعت فوزي).
(5) انظر: معالم السنن (283/4)، والحاوي الكبير (12/15)، وتفسير الرازي (178/13). ولتوضيح عباراتهم انظر: جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة (ص 363-365).

في أمر الذكر باللسان[1].

2. إن الإمام الشافعي : حين استحب -بعد تسمية الله على الذبيحة- أن يصلّى على النبي ح[2] انتقد مَن منَع منها في هذا الموطن قائلا ً: $ولسنا نعلم مسلما ً، ولا نخاف عليه أن تكون صلاتُه عليه ح إلا الايمان بالله. ولقد خشيت أن يكون الشيطان أدخل على بعض أهل الجهالة النهيَ عن ذكر اسم رسول الله ح عند الذبيحة؛ ليمنعهم الصلاة عليه في حال ٍ؛ لِمعنى ً يعرض في قلوب أهل الغفلة. وما يصلِّي عليه أحد إلا إيمانا ً بالله تعالى وإعظاما ً له وتقربا ً إليه#[3].

فنفى : علمَه بوجود مسلم -في زمانه- يخشى عليه إن هو صلى على النبي ح في هذا الموطن أن يقع في قلبه أيّ معنى فاسد يوهم تشريك النبي ح مع الله في الذبح، فإن الصلاة على النبي ح لا تكون إلا إيماناً بالله تعالى وطاعة له، وإنما تقع المعاني الباطلة في مثل هذا الموطن في قلوب الغافلين.

وإنما قال الإمام الشافعي : هذا؛ لما قدمنا من كون هذه المظاهر الشركية غير معروفة في الأمة في زمنه؛ ولذلك رأى أن التخويف من هذا المحذور قد يكون من وسوسة الشيطان؛ ليمنع الصلاة على النبي ح عند الذبح[4].

وقد أقرّ الربيع : شيخَه الشافعي : في انتقاد المنع من الصلاة على النبي ح عند الذبح فقال: $قال مالك: لا يُصَلَّى على النبي ح مع التسمية على الذبيحة، وإنّ ذا لعجبٌ!# [5].

والذي دعا الربيع إلى التعجب هو الذي دعا شيخه للانتقاد، والله أعلم.

---

(1) جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة (ص 365). على أن الشافعية قد كرهوا -على المذهب الصحيح- تعمّد ترك التسمية، حتى إن أبا حامد الإسفراييني أثّم من تعمّدَ تركها، كما في المجموع (384/8)، وانظر: شرح النووي على صحيح مسلم (76/13). ولذلك قال الرازي بعد تجويزه الأكل ومَنْعِه الاستدلال على التحريم بآية الأنعام: ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ: $ومع ذلك فنقول: الأولى بالمسلم أن يحترز عنه؛ لأن ظاهر هذا النص قوي# تفسير الرازي (178/13). وقد استحب أبو محمد الجويني عدم الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه، كما في التبصرة في ترتيب أبواب للتمييز بين الاحتياط والوسوسة (ص 574-575).

(2) انظر أقوال أهل العلم في هذه المسألة في كتاب جلاء الأفهام (ص 602-605). وقد نسب ابن كثير : في تفسيره (476/6) المنع من الصلاة على النبي ح في هذا الموطن للجمهور، ونقل النووي : في المجموع (386/8) عن القاضي عياض أنه نقل الكراهة عن مالك وسائر العلماء.

(3) الأم (622/3 -تحقيق رفعت فوزى).

(4) جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة (ص 473-474).

(5) الأم (622/3 -تحقيق رفعت فوزي).

تنبيه:

لا فرق بين أن يكون المذبوح له وثناً، أو رجلا ً معظماً، أو جنياً، أو أي مخلوقات أخرى؛ فكله شرك؛ لعموم النصوص الناهية عن الذبح لغير الله تعالى.

ومن تلك النصوص العامة قوله تعالى: ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ المائدة: ٣، وقول الرسول ح: $لعن الله من ذبح لغير الله#[1]؛ فكل ما أهل لغير الله به أو ذبح لغيره سبحانه -أياً كان المذبوح له- فهو داخل في عموم هذه النصوص.

فلذلك يقول الإمام النووي : مبيناً حقيقةَ الذبح لغير الله وحكم فاعله عند شرحه حديث $لعن الله من ذبح لغير الله#: $أما الذبح لغير الله فالمراد به أن يذبح باسم غير الله تعالى، كمن ذبح للصنم، أو الصليب، أو لموسى، أو لعيسى صلى الله عليهما، أو للكعبة ونحو ذلك، فكل هذا حرام ولا تحل هذه الذبيحة، سواء كان الذابح مسلماً، أو نصرانياً، أو يهودياً، نصّ عليه الشافعي واتفق عليه أصحابنا، فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله تعالى والعبادة له كان ذلك كفراً، فإن كان الذابح مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتداً#[2].

فسوّى : بين كون المذبوح له صنماً أو صليباً، أو نبياً، أو كعبة.

ويقول الماوردي : -في تقريره حرمةَ الأكل من ذبيحة النصراني إذا ذبحها للمسيح ؛- معلِّلا ً: $كذبائح الأوثان؛ لأنه معدولٌ به عن وجه الله تعالى، قال الله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭼ إلى قوله: ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ المائدة: ٣#[3].

فجعل الذبح للمسيح -وهو أحد أولي العزم من الرسل- كالذبح للأوثان؛ لِما أن الذبح في هذين الحالين معدول به عن وجه الله تعالى.

ولا ريب أن ذبح الوثنيين لمعبوداتهم والنصارى لنبيهم كان شركاً محققاً؛ لأنهم جميعاً قد أرادوا غير الله بهذه العبادة، فمن ذَبَحَ على هذا الوجه لأي أحد سوى الله؛ فحُكْمُه حُكْمهم.

ومن أجل ذلك فإن الماوردي : حين ردّ على من كره الصلاةَ على النبي ح عند الذبح -بحجة أن ذلك يجعل الذبيحةَ مما أُهِلّ به لغير الله- قال: $فأما الجواب عن قوله إنه يصير مما أهل لغير الله به، فهو أنه يصير بذبحه لرسول الله ح مما أهل به لغير الله، ولا يكون مما أهل به لله، ومتى فعل هذا كان حراماً، فأما إذا صلى عنده على رسول الله ح فإنه يكون مما

---

(1) سبق تخريجه في (ص 677).
(2) شرح صحيح مسلم (141/13).
(3) الحاوي الكبير (94/15).

أهل به لله، ولا يكون مما أهل به لغير الله#[1].
فأوضح أن من أراد الرسول ح بذبحه فقد وقع في الشرك؛ لأنه أهلّ بـ الذبح لغير الله، وقد بيّن في كلامه السابق أن الذبح لعيسى مما أهلّ به لغير الله وأن حكمه حكم الذبح للأوثان، فكذلك الذبح للنبي ح؛ لأن الذبح في هذه الأحوال كلها معدول به عن وجه الله المستحق وحده للعبادة.
كما يصرّح الشوكاني : بذلك بقوله: $لا فرق بين النحائر لأحجار منصوبة يسمونها وثناً، وبين قبر لميت يسمونه قبراً، ومجرّد الاختلاف في التسمية لا يُغني من الحق شيئاً، ولا يؤثر تحليلا ً ولا تحريماً، فإن من أطلق على الخمر غيرَ اسمها وشربها، كان حكمُه حكمَ من شربها وهو يسميها باسمها، بلا خلاف بين المسلمين أجميعن#[2].
والذبح للجن أيضاً من الشرك؛ لعموم النصوص السابقة.
قال الشاطبي :: $روى ابن حبيب عن ابن شهاب أنه ذ ُك ِر له أن إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي أجرى عينا ً، فقال له المهندسون عند ظهور الماء: لو أهرقت عليها دما ً كان أحرى أن لا تغيض َ ولا تهور َ، فتقتل من يعمل فيها. فنحر جزائر حين أرسل الماء فجرى مختلطا ً بـ الدم، وأمر فصنع له ولأصحابه منها طعام، فأكل وأكلوا، وقسم سائر َها بين العمال فيها، فقال ابن شهاب: $بئس -والله- ما صنع، ما ح َل ّ له نحر ُها ولا الأكل منها، أما بلغه أن رسول الله ح نهى أن يُذبَح للجن؟!#[3]؛ لأن مثل هذا وإن ذكر اسم الله عليه مضاهٍ لما ذُبِحَ على النصب وسائر ما

(1) المرجع السابق (15/96-97).
(2) شرح الصدور بتحريم رفع القبور (ص 116).
(3) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (9/314) عن الزهري مرسلا ً بإسناد فيه عمر بن هارون، وهو متفق علي ضعفه، واتهمه ابن معين وصالح جزرة بالكذب. وأخرجه ابن حبان في المجروحين (2/19)، وابن الجوزي في الموضوعات (2/302) من طريق عبد الله بن أذينة عن ثور بن يزيد عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة مرفوعاً. قال ابن حبان عن ابن أذينة: $يروي عن ثور ما ليس من حديثه، لا يجوز الاحتجاج به#، وقال الحاكم والنقاش: $روى أحاديث موضوعة#. انظر: لسان الميزان (4/432 رقم 4153).
وقال البيهقي عقب الحديث: $قال: -أي الزهري-: وأما ذبائح الجن أن تشتري الدار، وتستخرج العين، وما أشبه ذلك؛ فتذبح لها ذبيحة للطيرة. وقال أبو عبيد: وهذا التفسير في الحديث معناه أنهم يتطيرون إلى هذا الفحل مخافة أنهم إن لم يذبحوا فيطعموا أن يصيبهم فيها شيء من الجن يؤذيهم؛ فأبطل النبي ح ونهى عنه#.
فالحديث موضوع، ومعناه المذكور يدخل فيه الأحاديث الصحيحة التي تنهى عن الطيرة، كذا قال الشيخ مشهور آل سلمان في تخريجه وتعليقه على كتاب الموافقات (2/346-347)، وتخريج الحديث مستفاد من حاشية الكتاب المذكور.

أهل لغير الله به#[1].

ثم إن الناظر في كلام الإمام النووي : السابق ذكرُه يجد أنه جعل الذبح لغير الله -أياً كان المذبوح له- لا يخرج عن أحد أمرين؛ إما أن يراد به التقرب لذلك الغير فيكون شركاً محققاً يرتدُّ به الذابح إذا كان مسلماً، وإما أن يكون الذبح باسم أحد من الخلق، لا تقرّباً إليه ولا عبادة له، فالمتّقق عليه عند الشافعية والمنصوص عليه من قِبَل إمامهم أن هذا محرّم وأن الذبيحة لا تحل، بصرف النظر عن ديانة من باشر الذبح، وبصرف النظر عن الذي ذُكِر اسمه على الذبيحة[2].

وبنحو الذي قال النووي : قال المناوي : عند شرحه للحديث[3].

وهذا الذي نقله الإمام النووي : عن أصحابه من ردّة من قصد بذبحه التقرّب إلى غير الله، نقله الرازي : عن العلماء، فقال: $قال العلماء: لو أن مسلماً ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب إلى غير الله صار مرتداً، وذبيحته ذبيحة مرتد#[4].

شبهة والجواب عنها:

قد يقول البعض: إن هؤلاء الذين ذبحوا ذبائح للجن أو القبر عندما يذبحون تلك الذبائح كانوا يسمون الله أثناء الذبح، فكيف يقال أنهم قد ذبحوا لغير الله؟

الجواب: إذا كان الأمر كما ذُكِر فقد اختَلَف في مثل هذه الحالة القلبُ واللسان، والعبرة عند اختلاف القلب واللسان: بما يعقده القلب لا بما يلفظه اللسان، وهي قاعدة عامة في جميع الطاعات، يقول خليل : في نية المصلي ولفظه: $وإن تخالفا؛ فالعقد#[5]؛ وذلك لحديث الشيخين: $إنما الأعمال بـ النيات#[6]، وحديث مسلم عن أبي هريرة ط عن النبي ح: $إنّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ#[7].

فالنية هي علة التحريم، والتلفظ باسم الله مع القصد إلى ما سواه غير رافع للحرمة. جاء في $تفسير الثعالبي# عند قوله تعالى:ﭽﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ البقرة: ١٧٣: $معناه [أي: الإهلال]: صِيح به؛ ومنه: استهلالُ المولودِ، وجرَتْ عادة العرب بالصياحِ باسم المقصودِ بالذبيحةِ، وغلب ذلك في استعمالهم؛

(1) الموافقات (345/2-347).
(2) جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة (ص 475) بتصرف يسير.
(3) فيض القدير (275/5).
(4) تفسير الرازي (12/5).
(5) مختصر خليل (ص 28).
(6) مضى تخريجه في (ص 55).
(7) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم ... (1987/4 رقم 2564).

حتى ع ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ به عن النيّة التي هي علّة التحريم#[1].

وذكر مثله أبو عبد الله القرطبي : في تفسيره[2].

وقد جاء التصريح بكون ذلك العمل -أعني: ذبح الذبيحة باسم الله مع القصد به لغير الله سبحانه- شركاً في قول الحافظ ابن كثير : عند تفسير قوله تعالى: ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ المائدة: ٣: $قال مجاهد وابن جُرَيْج: كانت النصب حجارة حول الكعبة، قال ابن جريج: وهي ثلاثمائة وستون نصبا ً، كان العرب في جاهليتها يذبحون عندها، وينضحون ما أقبل منها إلى البيت بدماء تلك الذبائح، ويشرحون اللحم ويضعونه على النصب.

وكذا ذكره غير واحد، فنهى الله المؤمنين عن هذا الصنيع، وحرم عليهم أكل هذه الذبائح التي فعلت عند النصب حتى ولو كان يذكر عليها اسم الله في الذبح عند النصب؛ من الشرك الذي حرمه الله ورسوله#[3].

فالذبح لغير الله له أحوال -وكلها من الشرك-[4]:

1. أن يذبح باسم الله لغير الله؛ وهذا شرك في العبادة.
2. أن يذبح باسم غير الله لغير الله؛ وهذا شرك في الاستعانة، وشرك في العبادة أيضاً.
3. أن يذبح بغير اسم الله ويجعل الذبيحة لله؛ فهذا شرك في الربوبية.

ومما يدل -والله أعلم- على وجوب توفر قصد الذابح أن يكون ذبحه لله، وإهلاله بلسانه بذلك؛ ما ورد في روايات حديث لعن الله من ذبح لغير الله؛ حيث ورد الحديث عند مسلم بلفظ: $لعن الله من ذبح لغير الله#[5]، وورد عند ابن حبان بلفظ: $لعن الله من أهلّ لغير الله#[6]، فلفظ مسلم يدل على وجوب إخلاص القصد، ولفظ ابن حبان يدل على وجوب تسمية الله.

لذا، دارت تفسيرات العلماء لقوله تعالى: ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ البقرة: ١٧٣ على ذلكما المعنيين؛ عن مجاهد[7] وعطاء[8]: $ما ذُبِح لغير الله#، وعن أبي العالية[9] والربيع[10]: $ما ذكر عليه اسم غير الله#. فالطائفة الأولى فسروه بالقصد، والطائفة الثانية فسروه باللفظ.

يقول ابن حجر الهيتمي :: $معنى ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ المائدة: 3: وما

---

(1) تفسير الثعالبي (359/1).
(2) انظر: تفسير القرطبي (33/3-34).
(3) تفسير ابن كثير (23/3).
(4) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص 139).
(5) سبق تخريجه في (ص 677).
(6) رواه ابن حبان في صحيحه (216/13 رقم 5896 -الإحسان).
(7) كما في تفسير الطبري (56/3).
(8) كما في المصدر السابق (57/3).
(9) كما في تفسير ابن أبي حاتم (283/1 رقم 1518).
(10) كما في تفسير الطبري (57/3).

ذبح للطواغيت والأصنام قاله جمع، وقال آخرون: يعني ما ذكر عليه غير اسم الله#[1].

فلابد إذن أن يكون الذبح لله وحده وباسمه، وقد صرح بذلك الإمام الخطابي : وهو يتحدث عن الحكمة في التكبير أيام منى يقول: $حكمة التكبير في هذه الأيام: أن الجاهلية كانوا

(1) الزواجر (217/1).

يذبحون لطواغيتهم فيها، فشرِع التكبير فيها إشارة إلى تخصيص الذبح له، وعلى اسمه عز وجل#[1].

ويقول البيضاوي : عند قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐﮑ ﭼ الحج: ٣٤: $أخلصوا التقرب أو الذكر ولا تشُوبوه بالإشراك#[2].

فجعل : التقرب مقروناً بالذكر، فكما لا يُتقرّب بالذبح إلا لله وحده، فكذلك لا يُذكر عليه إلا اسمه تعالى[3].

وقد ذهب ابن كثير : إلى أن سبب إباحة ذبائح أهل الكتاب هو أنهم $يعتقدون تحريم الذبح لغير الله، ولا يذكرون على ذبائحهم إلا اسم الله، وإن اعتقدوا فيه تعالى ما هو منَزّه عن قولهم، تعالى وتقدس#[4]. فجمع : بين الاعتقاد أو القصد والاهلال باللسان.

وقد يقول بعض المخالفين: إنا نحكم بالظواهر والله يتولى السرائر، وقد ظهر من حال الذابح أنه ذكر اسم الله؛ فلا نبحث عن نيته الباطنة!

فنقول لهم[5]:

أولا ً: أن المفتي لا يقتصر دائماً على الظواهر؛ ففي الأيمان والطلاق مسائل تنبني على النية والقصد، ويختلف حكمها باختلاف النية مع اتحاد اللفظ، بل قد جاء عن علي ط وغيره الاستنادُ إلى النية في حكم الذبائح؛ حيث ورد في $أمالي أبي علي القالي# خبر معاقرة جرت بقصد المفاخرة بين سُحَيم بن وثيل الرياحاني وغالب بن صعصعة أبي الفرزدق أيام خلافة علي ط، فأفتى فيها علي ط بأنها مما أهل به لغير الله، ونهى عن الأكل منها، وأمر بطرد الناس عنها[6].

ثانياً: إن من السرائر ما تحف به قرائن تجعل الحكم للنية ولا تقبل مع الظواهر. وذبائح هؤلاء من هذا القبيل؛ فإن كل من خالط العامة، يجزم بأن قصدهم بها التقرب إلى غير الله، ويكشف عن ذلك أشياء:

1. أنهم يضيفون تلك الذبائح إلى غير الله، فيقولون: ذبيحة الجني الف لاني، أو طعام سيدي عبد القادر مثلا ً.

2. أنهم يفعلونها عند قبره، وفي جواره، أو عند المكان الذي يُعتقَد أنه مقرّ ذلك الجني، ولا يرضون لها مكاناً آخر.

3. أنهم إن نزل المطر إثرها، أو حَصَلوا على ما يريدون، نسبوه إلى سر المذبوح له، وقوي اعتقادهم فيه، وتعويلهم عليه.

(1) نقله الحافظ في فتح الباري (2/461-462)، ولم أجده في مظانه من $أعلام الحديث# ولا $معالم السنن#.
(2) تفسير البيضاوي (ص 444).
(3) جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة (ص 481).
(4) تفسير ابن كثير (3/40).
(5) الشرك ومظاهره (ص 380-381) بتصرف يسير.
(6) انظر: أمالي أبي علي القالي (3/54) نقلا ً عن الشرك ومظاهره (ص 372).

4. أنهم إن نهوا عن فعلها في المكان الخاص؛ غضبوا ورموا الناهي بـ التشدد، وقد يجاوزون الجهر بالسوء إلى مد الأيدي بالأذية.
5. أنهم لو تركوها فأصيبوا بمصيبة، نكسوا على رؤوسهم، وقالوا: إن وليهم أو الجني الفلاني غضب عليهم، لتقصيرهم في جانبه.

يقول الصنعاني : -مناقشاً شبهات من يذبح لغير الله تعالى-: $فإن قال: إنما نحرت لله وذكرت اسم الله عليه، فقل له: إن كان النحر لله فلأي شيء قربت ما تنحره مِن باب مشهد مَن تفضله وتعتقد فيه؟ هل أردت بذلك تعظيمه؟ إن قال: نعم! فقل له: هذا النحر لغير الله، بل أشركت مع الله تعالى غيره، وإن لم تُرِد تعظيمه، فهل أردت توسيخ باب المشهد وتنجيس الداخلين إليه؟ أنت تعلم يقيناً أنك ما أردت ذلك أصلاً، ولا أردت إلا الأول، ولا خرجت من بيتك إلا قصداً له، ثم كذلك دعاؤهم له#[1].

الفرع الثاني: ما يتعلق بتقديم القرابين -التي خلت من الذبائح- لغير الله، وغالباً تكون للجن:

أفردت هذه المسألة عن سابقتها؛ لكون الشبهة فيها قوية؛ بحيث قد يبرر البعض لجواز هذا العمل بخلوه من الذبح لغير الله.

والحقيقة أن هذا العمل -أيضاً- **من قبيل الشرك الأكبر**؛ لأن الأصل في القرابين أنها لله تعالى؛ فقد حكى الله جل وعلا عن قصة ابني آدم الذين تقربا لله في قوله سبحانه: ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼالمائدة: ٢٧[2].

فالآية السابقة تدل -والله أعلم- على وجوب إخلاص القرابين لله سبحانه وحده من ثلاثة أوجه:

الأول: أن ابني آدم ؛ قد قربا قرابينهما لله وحده لا شريك له. جاء في $تفسير الجلالين#: $ ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ إلى الله#[3]، وقال السعدي :: $ ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ أي: أخرَجَ كلٌّ منهما شيئاً من ماله لقصد التقرب إلى الله#[4].

الثاني: أن من أسباب عدم قبول قربان قابيل عند الله تعالى هو عدم إخلاصه فيها، يقول الخطيب الشربيني :: $ ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ وهو قابيل؛ لأنه سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه#[5].

الثالث: ما جاء في نهاية الآية من التأكيد على أن الله لا يقبل القرابين إلا من المتقين، وأعظم صفات المتقين هو: إخلاص العمل لله وحده، الذي

---

(1) تطهير الاعتقاد (ص 63-64).
(2) انظر قصة هذا القربان في (ص 668).
(3) تفسير الجلالين (ص 112).
(4) تفسير السعدي (ص 191).
(5) السراج المنير (34/2).

هو تحقيق مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله. قال قتادة :: $المتقون أهل لا إله إلا الله#[1]، وقال أبو الثناء الآلوسي :: $ ﭼ ﮕ ﮔ ﮓ ﭼ أي: القربان و الطاعة ﭼﮗ ﮘ ﮙ ﭼ في ذلك؛ بإخلاص النية فيه لله تعالى لا من غيرهم#[2].

فتقديم القرابين لله وحده لا شريك له $من سنن الأنبياء المتقدمين# كما قال ابن قتيبة :[3] عند تفسير قوله تعالى حكاية عن اليهود: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼآل عمران: ١٨٣؛ فتقديمها لغير الله سبحانه شرك.

ومما يزيد الطين بلة أن مقدِّمَ تلك القرابين قد تقرب إلى غير الله قصداً، ولم يلتجئ إلى الله في طرد ذلك الجني؛ فكأنه يعتقد استقلال ذلك الجني في تصرفه، وخروجه عن منتناول قدرة الله وإرادته، فأصل الشرك هنا نسبة القوة الغيبية لغير الله تعالى[4]، هذه ناحية.

ومن ناحية أخرى: الذين يقدمون القرابين لغير الله لم يقدموها له إلا لاعتقادهم في المقدّم له أنه يضر وينفع، ويعطي ويمنع، إما بطبعه وإما بقوة سببية فيه، ويجلب الخير والبركة، ويدفع الشر والعسرة، وهذا هو الشرك بعينه!

والدليل على اعتقاد هؤلاء المقدِّمين وشركهم: حكيهم وقولهم: إنهم قد وقعوا في شدائد عظيمة، فقدموا القرابين للولي الفلاني أو الجني الفلا ني؛ فانكشفت شدائدهم واستراحت خواطرهم، فقد قام في نفوسهم أن هذه القرابين هي السبب في حصول مطلوبهم ودفع مرهوبهم، ومن تأمل القرآن وسنة المبعوث به ح، ونظر أحوال السلف الصالح، علم أن هذه القرابين نظير ما جعله المشركون لآلهتهم في قوله تعالى: ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ الأنعام: ١٣٦[5].

وهذا العمل يُعَدّ من قبيل الإيمان بالجبت والطاغوت كما قال شيخ الإ سلام :: $ومن الناس من يتقرب إلى الجن بالعدس، فيطبخون عدساً، ويضعونه في المراحيض، أو يرسلونه ويطلبون من الشياطين بعض ما يطلب منهم، كما يفعلون مثل ذلك في الحمام وغير ذلك، وهذا من الإيمان بـ الجبت والطاغوت#[6].

أما مسألة تقديم الطعام للميت -سواء وُضع في قبره أو في بيته-

(1) تفسير السمعاني (29/2).
(2) روح المعاني (112/6 –ط. المنيرية).
(3) زاد المسير (516/1).
(4) انظر: الشرك ومظاهره (ص 379).
(5) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ص 282-283) بتصرف.
(6) مجموع الفتاوى (23/27).

فعادة فرعونية، ما أنزل الله بها من سلطان.
جاء في $فتاوى الأزهر#[1]: $السؤال: فى أثناء تشييع الجنازة أصر أحد أبناء الميت على أن يضعوا فى قبر أبيهم بعضا ً من الخبز والبيض و الماء، وقال إن هذه سنة، فهل هناك حديث يدل على ذلك؟
الجواب: إن أحوال القبر والحياة الآخرة من أمور الغيب التى لا تـ ُعر َف إلا بتوقيف صحيح من الله ورسوله ح، والميت إذا و ُضـ ِع فى قبره صار فى عالم آخر لا يحتاج فيه إلى أكل وشرب، وإنما يحتاج إلى عمل صالح كان قد عمله فى الدنيا ولم يزل أثره باقيا ً، وهو ما يُعرف بالصدقة الجارية ... وقد صح فى الحديث ... $يتبع الميت إلى قبره ثلاثة، أهله وماله -يعنى الأرقاء المملوكين- وعمله فيرجع اثنان ويبقى واحد، يرجع أهله وماله ويبقى معه عمله# رواه البخارى ومسلم[2]...
أما وضع الطعام معه فى قبره فممنوع؛ لأنه أولا ً: لا ينتفع به، فوضعه عبث لأنه ميت لا يأكل، وثانيا ً ضياع مال أولى به الأحياء، وضياع المال منهى عنه.
ولم يرد أى حديث مقبول أو غير مقبول يزعم به أحد أن ذلك سنة ... بل هو تقليد فرعونى قديم منذ آلاف السنين، إلى جانب تقاليد أخرى ذكرها المؤرخون. جاء فى كتاب $تاريخ الحضارة المصرية# الذى ألفه نخبة من العلماء المتخصصين: أن المصريين القدامى -حتى نهاية العهد الإغريقى الرومانى- كانوا يحرصون على تزويد المتوفى بالطعام والشراب، لأنهم كانوا يعتقدون فى حياة أخرى فإذا مات الميت ووضعت جثته فى القبر لا تعود إليه روحه إلا إذا مُدّ بالطعام والشراب، ويتولى ذلك ابنه الأكبر، وانطلاقا ً من عقيدة خلود الروح والحياة الأخرى كان فن تحنيط الموتى وتحنيط ما يوضع معه من طعام حتى لا يفسد، بل كانت نساء كبارهم تدفن معه محنطة، ليكمل له التمتع فى حياته الآخرة، وظهرت عادة تقديم الأطعمة إلى الموتى بصور مختلفة، فكانوا يقدمون القرابين للكاهن الذى يوصلها بطريقته إلى الميت، ويعلم الله مصير هذه القرابين . وظهرت عند البعض عادة الذبح عند القبر، وتوزيع الطعام عند زيارة القبور...
وأ ُلفـ ِت نظر أولاد الميت الذين يريدون البر بأبيهم بوضع الطعام في قبره -أ ُلـ ْفـ ِت نظر َهم إلى ما رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان أن رجلا ً قال: $يا رسول الله، هل بقي من بر أ َبويّ شيء بعد موتهما؟ قال $نعم، الصلاة عليهما -أى الدعاء لهما-، والاستغفار لهما، وإنفاذ

(1) (307/8) مسألة وضع الطعام مع الميت.
(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت (362/11 رقم 6514)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقاق، الباب الأول (2273/4 رقم 2960) من حديث أنس بن مالك ط.

عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما#[1].

شبهة والرد عليها:

ولا يُتَذرّع بالقول بأن هدف تقديم تلك القرابين أو تلك الذبائح للجن إنما هو من أجل اتقاء شرهم ودفعاً لأذاهم وجلباً لرضاهم؛ لأن هذا هو الشرك بعينه.

فالتقرب إلى غير الله بالقرابين أو الذبائح، من أجل دفع شر هذا المذبوح له، أو خوفاً منه، أو جلباً للخير -كما يفعل بعض الجُهّال؛ إذا تأخر المطر ذهبوا بِثَوْر أو غيره من الحيوان وذبحوه في مكان معيّن، أو عند قبر يريدون بذلك نزول المطر، وقد يُبتلون فين-زل المطر، وتحصل لهم حاجتهم ابتلاءً وامتحاناً من الله سبحانه وتعالى، ولا يدلّ هذا على جواز ما فعلوه-؛ كل هذا من الشرك؛ لأنه تقرّب لغير الله سبحانه وتعالى[2].

يقول السويدي : بعد نقله جملةً من الأقوال في حكم الذبح لغير الله: $تبين لك من هذه النقول كلها أن ما يقرّب لغير الله تقرُباً إلى ذلك الغير؛ ليدفع عنه ضيراً أو يجلب له خيراً -تعظيماً له- من الكفر الاعتقادي والشرك الذي كان عليه الأولون#[3].

والناظر في أحوال أهل الذبح لغير الله يجزم أنهم لا يذبحون إلا تقرباً إلى معظّمهم؛ لما قام في قلوبهم من الاعتقاد الفاسد الذي حملهم على صرف جملة من العبادات لهم، ومن بينها الذبح، وما ذلك إلا نتيجة لازمة لمقدمة معلومة هي الغلو في المخلوقات إذ إن مرادهم بهذا الذبح هو ما بيّنه السويدي من طلب دفع الضير وجلب الخير، كما فعل أسلافهم الأولون الذين سنّوا هذه السُنّة القبيحة.

مع أن الله تعالى قد أرشد عباده بأنه لا كاشف لضرهم إلا هو سبحانه؛ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ يونس: ١٠٧. فالالتجاء إلى الله هو السبيل الوحيد للخلاص من الضر والطريق الأقوم لنيل المرامي.

(1) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في بر الوالدين (221/5 رقم 5142) من حديث مالك بن ربيعة الساعدي ط، وضعف إسناده الشيخ الألباني في تعليقه على المشكاة (1380/3 رقم 4936).

(2) انظر: إعانة المستفيد (168/1).

(3) العقد الثمين (ص 224) نقلاً عن جهود الشافعية (ص 477).

المبحث الثاني: السجود والركوع

وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: معنى السجود والركوع وأنواعها
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في السجود والركوع
المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

المطلب الأول: معنى السجود والركوع وأنواعها

- **معنى السجود وأنواعه:**

أصل الكلمة: السجود مشتق من أصل لغوي ثلاثي هو $سَجَدَ#[1].
تصريفها: السجود على وزن $فعول#، وهو مصدر قياسي للفعل الثلا ثي $سَجَدَ#، يقال: $سَجَدَ-يَسْجُدُ-سُجُوْداً#، مِن باب قَعَدَ-يَقْعُدُ[2].
معناها لغة: من معاني مادة $سَجَدَ# اللغوية:

1. الخضوع، وهو يكون في القلب، يقال: سَجَدَ: إذا خضع.
2. الانحناء وطأطأة الرأس.
3. وضع الجبهة على الأرض، والمعنيان الأخيران يكونان في الجسد[3].

هذه من أهم معاني $سَجَدَ#، وسيظهر أن المعنى الشرعي للسجود يُسْتَقى من هذه المعاني اللغوية.
معناها شرعاً:
قال الإمام الطبري :: $وقد بينا أيضاً معنى الركوع والسجود بالأدلة الدالة على صحته، وأنهما بمعنى: الخشوع لله والخضوع له بالطاعة و العبودة#[4].
وقال الواحدي[5] :: $أصله في اللغة: الخضوع والتذلل، وسجود كل شيء في القرآن: طاعته لما سجد له، هذا أصله في اللغة، ثم قيل لكل من وضع جبهته على الأرض سجد؛ لأنه غاية الخضوع#[6].
ويقول العلامة الشوكاني :: $معناه الحقيقي: ... هو وضع الجبهة على الأرض للتعظيم،

(1) انظر: مقاييس اللغة (133/3).
(2) ينظر تصريف الكلمة في: تصريف الأسماء (ص 52)، ومعجم تصريف الأفعال العربية (ص 127).
(3) انظر: المحكم والمحيط الأعظم (187/7)، ولسان العرب (175/6)، والصحاح (483/2)، ومقاييس اللغة (133/3)، وتاج العروس (172/8).
(4) تفسير الطبري (400/5)، وانظر المصدر نفسه (613/1، 715).
(5) هو: علي بن أحمد بن محمد بن علي، أبو الحسن الواحدي (ت 468 هـ)، مفسر، ع الم بالأدب. له: شرح ديوان المتنبي، وأسباب الن-زول، وغيرها. انظر: النجوم الزاهرة (105/5)، ووفيات الأعيان (303/3).
(6) تهذيب الأسماء واللغات (145/3).

مع الخضوع والتذلل#[1].

وهناك تعريفات أخرى للعلماء، وهي قريبة من التعريفات السابقة[2]، ولعل التعريف الذي ذكره الشوكاني هو التعريف الأشمل للسجود، والله تعالى أعلم.

أنواع السجود:

السجود نوعان:

1. **سجود مشروع**: وهو السجود لله سبحانه وتعالى.

قال البيضاوي : عند قول الله لأ: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧﭼ فصلت: 37: $ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﭼ؛ لأنهما مخلوقان مأموران مثلكم#، ثم قال عند قول الرب لأ: ﭽ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧﭼ: $فإن السجود أخص العبادات#[3].

2. **سجود ممنوع**: وهو السجود لغير الله سبحانه:

فمن سجد لغير الله على وجه العبادة -وهو ما أريد به التقرب إلى المسجود له، ويصحبه التذلل والخضوع له- فقد وقع في الشرك الأكبر؛ لأنه صرف العبادة لغير الله، كما أوضحه السويدي : حين عرّف الشرك الأكبر بقوله: $أن يجعل حقّ الله الخاصّ به، وهو العبادة لغيره# ومثّل على هذا الحق بالسجود، فقال: $كما إذا سجد لغيره مَثَلا ً#[4].

وقال أبو المظفر السمعاني :: $قال عكرمة[5] في قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆﭼ آل عمران: ٦٤: أي لا يسجد بعضنا لبعض؛ فإن من سجد لغيره فقد اتخذه رباً#[6].

(1) فتح القدير (1122/1).
(2) انظر بعض هذه التعريفات في: المصطلحات المستعملة في توحيد الألوهية عند السلف، (ص324-327).
(3) تفسير البيضاوي (ص 635).
(4) العقد الثمين (ص142) نقلا ً عن جهود الشافعية (ص 466).
(5)هو: عكرمة أبو عبد الله مولى ابن عباس، أصله بربري (ت 104 هـ)، ثقة ثبت عالم بالتفسير. انظر: التقريب (رقم4707).
(6) تفسير السمعاني (329/1)، وانظر: تفسير الطبري (480/5)، تفسير ابن أبي حاتم (670/2 رقم 3635).

- معنى الركوع وأنواعه:

أصل الكلمة: الركوع مشتق من أصل لغوي ثلاثي $رَكَعَ#[1].
تصريفها: رَكَعَ-يَرْكَعُ-رَكْعًا-ورُكُوْعًا-فهو راكع[2].
معناها اللغوي: من معانيها اللغوية:
1. الخضوع[3].
2. الانحناء[4].
3. طأطأة الرأس[5].
4. الكبو على الوجه[6].

هذه من أهم معاني مادة $رَكَعَ#، وسيتبين أن المعنى الشرعي للركوع يُسْتَقى من هذه المعاني اللغوية.

معناه اصطلاحاً:

يقول الراغب الأصفهاني :: $الركوع: الانحناء، فتارة يستعمل في الهيئة المخصوصة في الصلاة كما هي، وتارة في التواضع والتذلل؛ إما في العبادة؛ وإما في غيرها#[7].

ويقول ابن منظور :: $أن يَخْفِضَ المصلي رأسه بعد القَوْمَة التي فيها القِراءة حتى يطمئن ظهره راكعا ً#[8].

ويمكن بناءً على ما سبق أن يُستخلص تعريفاً جامعاً للركوع، هو: **$خفض الرأس والانحناء للتعظيم، مع الخضوع والتذلل#.**

(1) مقاييس اللغة (434/2).
(2) جمهرة اللغة لابن دريد (770/2).
(3) لسان العرب (303/5).
(4) المحكم والمحيط الأعظم (164/1)، وتاج العروس (122/21)، وذكر الزبيدي أن الانحناء هو أصل معنى الركوع.
(5) المحكم والمحيط الأعظم (164/1)، ولسان العرب (303/5)، وتاج العروس (122/21).
(6) جمهرة اللغة (770/2)، وتاج العروس (122/21).
(7) مفردات ألفاظ القرآن (ص364).
(8) لسان العرب (303/5).

أنواع الركوع:
الركوع نوعان:
1. ركوع مشروع.
2. ركوع ممنوع.
أما **الركوع المشروع** فهو: الركوع لله تبارك وتعالى. وهو من أفضل العبادات التي أمر بها اللّه تعالى عبادَه. قال سبحانه: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ الحج: 77.
وأما **الركوع الممنوع** فهو: الركوع لغير اللّه سبحانه، وهو على ضربين:
أ. سجود لغير اللّه على وجه التذلل والخضوع والتقرب لذلك الغير، وهذا شرك؛ لأنه عبادة لا يجوز صرفها إلا لله سبحانه كالسجود.
يقول ابن حجر آل بوطامي[1] :: $فمن ركع أو سجد لحيّ أو لميت، أو نذر لغير اللّه ... فإنه يكون بكل فعل من هذه الأفعال مشركاً بّاللّه العظيم شركاً أكبر، لا يغفر اللّه له إلا أن يتوب؛ لقوله تعالى: ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ [النساء: ٤٨]#[2].
ب. ركوع لغير اللّه على وجه التحية، فالأقرب أنه -وإن لم يعدّ شركاً- فهو مُحرّم؛ لأن صورة هيئة الركوع لم تُعهَد إلا لعبادة اللّه سبحانه.
يقول الإمام النووي :: $فصل: ويكره ﺣ ﻨ ﻲ ﹸ الظهر في كل حال لكل أحد، ويدل عليه ما قدمنا في الفصلين المتقدمين من حديث أنس، وقوله: $أينحني له؟ قال: لا#[3] وهو حديث حسن كما ذكرناه، ولم يأت له معارض، فلا مصير إلى مخالفته، ولا يغتر بكثرة من يفعله ممن ينسب إلى علم أو صلاح وغيرهما من خصال الفضل؛ **فإن الاقتداء إنما يكون برسول اللّه ح.**
قال اللّه تعالى: ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﭼ [الحشر: ٧] وقال تعالى : ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ [النور: 63]. وقد قدمنا في $كتاب الجنائز# عن الفضيل بن عياض ط ما معناه: $اتبع طرق الهدى، ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة، ولا تغتر بكثرة الهالكين#[4]، وباللّه

---

(1) هو: أحمد بن حجر بن محمد آل بوطامي البنعلي الشافعي (ت 1423 هـ)، أصولي فقيه، رئيس القضاة بدولة قطر، من مؤلفاته: تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين. انظر ترجمته موسعة في $جهود العلامة أحمد بن حجر آل بوطامي : في تقرير عقيدة السلف والرد على المخالفين#، للأخ إسماعيل بن غصاب العدوي (21-134/1).
(2) تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران (ص 39-40).
(3) سيأتي تخريجه في (ص 712).
(4) ذكره الشاطبي في الاعتصام (135/1)، والسيوطي في الأمر بالاتباع (ص152).

التوفيق#[1].

ويقول شيخ الإسلام :: $وأما وضع الرأس عند الكبراء من الشيوخ وغيرهم، أو تقبيل الأرض ونحو ذلك، فإنه مما لا نزاع فيه بين الأئمة في النهي عنه، بل مجرد الانحناء بالظهر لغير اللّٰه عز وجل منهي عنه#[2].

(1) الأذكار (ص 384-385).
(2) مجموع الفتاوى (92/27).

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في السجود والركوع

لم يكن شأنُ الشرك في السجود -في المجتمع الإندونيسي- شأنَ غيره من الشركيات في الانتشار والظهور، ولعلّ السبب في ذلك راجع إلى وضوح شركيته وشناعته، فأكثر المسلمين -ولله الحمد- يعلمون أن السجود غاية في الخضوع والتذلل للمسجود له؛ إذ العبد يضع فيه أشرف أعضاء بدنه على الأرض؛ فكان في التقرب بهذا لغير الله من الشرك ومجانبة الإيمان شيء عظيم يَجِلّ عن الوصف.

وفيما يلي أذكر بعض **مظاهر الانحراف في السجود**، وهي بحسب علمي قليلة، ولله الحمد:

المثال الأول: سجود أحد التلاميذ لزعيم الطريقة السمانية؛ محمد زيني بن عبد الغني له في إحدى المناسبات بـ Martapura (مَرْتَڤُوْرَا) بكلِيْمَنْتَنْ الجنوبية[1].

المثال الثاني: سجود أحد الناس إلى قبر في صلاته، حيث وُجد القبر في وسط المسجد. وهذا المسجد هو: مسجد نور الأبرار بـ Mangga dua (مانجا دُوَا) في مدينة Jakarta (جَاكَرْتَا). وقد التقطت صورة هذا المصلي وهو ساجد إلى القبر بتاريخ 2006/3/13 م في الساعة الثالثة وسبعة وخمسين دقيقة مساءً.

المثال الثالث: وضع مريدي الطريقة النقشبندية Kadirun Yahya (قادرون يحيى) صورة زعيمها؛ قادرون يحيى على موضع سجودهم[2].

أما أمثلة الركوع لغير الله، فمما وقفت عليه منها:

المثال الرابع: ركوع بعض الناس قديماً لحاكم الاستعمار الياباني في بعض المناسبات تحية له، وهو ما يسمى بـSaikerei (سَيْكِيْرَيْ)[3].

المثال السادس: انحناء الممثل أو المغني على المسرح أمام الجمهور عندما يحيونه، وهو كثير ومنتشر -وللأسف- لدى الممثلين أو المغنين.

المثال السابع: انحناء من يمارس رياضة الكاراتي (المصارعة اليابانية) قبل بدء المصارعة؛ من انحناء للحاكم أو لجمهور المشاهدين.

---

(1) سي دي مرئي فيه محاضرة لمحمد زيني بن عبد الغني بعنوان Cara Berusaha yang Tidak Menyekutukan Allah (اتخاذ الأسباب الخالية من الشرك بالله)، تاريخ 27 ربيع الأول 1426 هـ / 5 مايو 2005 م.

(2) انظر: مستقبل الإسلام في إندونيسيا، لمحة عن القضايا الدعوية ونشأة الفرق و المذاهب المنحرفة وتطورها، اقتراحات وطرق مواجهتها، لمحمد أمين جمال الدين (ص 23).

(3) انظر: Bulan Sabit dan Matahari Terbit, Islam Indonesia Pada Masa Pendudukan Jepang (الهلال وشروق الشمس، الإسلام في إندونيسيا في عهد الاستعمار الياباني) (ص 155-156).

المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

والكلام في هذا المطلب ينتظم في فرعين:

الفرع الأول: ما يتعلق بشرك السجود:

تقدم مراراً التقريرُ بأن العبادة حقٌ لله وحده، ومن ذلك السجود، إذ هو من أعظم العبادات، فلا يكون العبد في حال أقرب ما يكون إلى الله كما في السجود، ولذا كان في التقرب إلى غير الله بالسجود من الشرك ما ينتقض معه الإسلام ويزول به الإيمان.

ولا غرو؛ $فإن السجود معارج القرب ومدارج رفعة الدرجات، قال الله تعالى: ﭽﺋﯘ ﺋﯛﭼ العلق: ١٩، وقال ح: $لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة#[1]، ولأن السجود غايته التواضع لله والعبودية له، وتمكين أعز عضو في الإنسان وأرفعه -وهو وجهه- من أدنى الأشياء وأخسها وهو التراب والأ رض المدوسة بالأرجل والنعال#[2]؛ فلا يكون لغير الله تعالى.

وقد تضافرت الأدلة الدالة على ما تقرر سابقاً من أن السجود لا يكون إلا لله سبحانه، ومن تلكم الأدلة:

- قوله: ﭽﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊﮋﭼالرعد: ١٥.

وقد عبر الله تعالى بـﭽﮂﭼ الواقعة على العقلاء ليبيّن أن كلّ أهل السموات والأرض من العقلاء يسجدون لله، وقد جاء التعبير بنحوها في الآ ية 18 من سورة الحج.

- وقوله جل وعلا: ﭽﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼالنحل: ٤٩.

وقد جاء التعبير في الآية السابقة بـ ﭽ ﮦ ﭼ لبيان سجود كل ما لا يعقِلُ لله وحده. وسجود كل شيء مما يختص به بحسب حاله[3]، ويجب ا لإيمان بذلك من غير تطلب لكيفية سجوده وفقهه، إلا ما جاء النص فيه[4].

- وقوله سبحانه: ﭽﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵﭼ الأعراف: ٢٠٦.

يبين ابن عاشور : سر تقديم المعمول من قوله: ﭽﯳ ﯴ ﯵﭼ بأنه $للدلا

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب فضل السجود (353/1 رقم 488) من حديث ثوبان.

(2) من كلام القاضي عياض -بتصرف يسير جداً- وهو يصف فضل السجود. إكمال المعلم (403/2).

(3) انظر: تفسير ابن كثير (403/5، 577/4-578)، وتفسير السعدي (ص 394)، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (170/14).

(4) للتفصيل في المسألة راجع: معاني الركوع والسجود في القرآن المجيد، بحث منشور في مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها (العدد: 20، صفر 1421هـ 7 مايو 2000م)، أعده د. إبراهيم بن سعيد الدوسري (ص 7-12).

الة على الاختصاص؛ أي ولا يسجدون لغيره#[1].

- وقوله جل في علاه: ﭼ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼفصلت: ٣٧.

يقول ابن عطية :: $لا تسجدوا لهذه المخلوقات وإن كانت تنفعكم؛ لأن النفع بها إنما هو بتسخير الله تعالى إياها، فهو الذي ينبغي أن يسجد له#[2].

ويقول الإيجي[3] : مبيّناً معنى قوله تعالى: ﭼ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼ: $فإن عبادته مع عبادة غيره غير مقبولة#[4].

- عن أنس بن مالك ط قال: قال رسول الله ح: $لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر#[5].

والنصوص في الباب كثيرة، إنما اكتفيت بما سبق؛ خشية الإطالة.

أما ما جاء في هذا الباب من كلام أئمة الإسلام[6]؛ فإن الناظر في كلا م بعض الأئمة المتقدمين يجد أنهم يتحدثون عن شرك السجود حديثَهم عن شرك الدعاء، من جهة أنهم لا يطرقونه إلا أنه فِعْلُ أهل الشرك الذين اتخذوا مع الله آلهة يتقربون إليها بشتّى القرب، ومن بينها: السجود.

والسبب في اتخاذ حديثهم عن شرك السجود هذه الوجهة ما تقدم بيانه من أن هذه المظاهر الشركية لم تكن موجودة إذ ذاك عند المسلمين، وإنما برزت واستفحل أمرها في المتأخرين، حين اشتد الجهل وعظُمت غربة الدين[7].

ومن الشواهد الدالة على ذلك قولُ الإمام الشافعي : -مُعَرِّضاً بمن أجاز شهادة أهل الذمة فيما بينهم-: $ومن أجاز شهادة أهل الذمة فأعدلُهم عنده

(1) تفسير التحرير والتنوير (244/9).
(2) تفسير ابن عطية (17/5 -ط. دار الكتب العلمية).
(3) هو: معين الدين محمد بن عبد الرحمن الحسيني الإيجي الشافعي (832-894 هـ)، مفسر محدث، من مؤلفاته: جامع البيان في تفسير القرآن، وشرح الأربعين النووي في الحديث. انظر: شذرات الذهب (357/7)، والأعلام (195/6).
(4) جامع البيان في تفسير القرآن (ص 853).
(5) رواه أحمد في مسنده (65/20 رقم 12614)، والضياء في المختارة (265/5 رقم 1895)، وقال في مجمع الزوائد (4/9): $ورجاله رجال الصحيح غير حفص بن أخي أنس وهو ثقة#، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (774/2 رقم 2839): $رواه أحمد بإسناد جيد رواته ثقات مشهورون والبزار بنحوه#، ووافقهما الشيخ الألباني في الإرواء (55/7).
(6) استفدت في الوقوف على نصوص أولئك الأعلام مع التعليق عليها من: جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة (ص 461-472)، وجهود المالكية في تقرير توحيد العبادة (ص439-444) جزى الله مؤلفيهما خير الجزاء.
(7) انظر ما تقدم (ص 680).

أعظمُهم بالله شركاً: أسجَدُهم للصليب وألزَمُهم للكنيسة#[1].

فجَعَل السجود لغير الله في ضمن ما يُفَسّر به الشرك، وذكرَه في سياق الذم للنصارى؛ لبيان عدم أهليتهم للشهادة حتى في الأمور التي بينهم.

ولما ذكر ابن خزيمة : استحالة أن يجتمع العاصي الموحد في درجة واحدة من النار مع المشرك، أخذ يُعلِل ذلك بعِلَل هي تعداد لجرائم الكافر المجترئ على الله بكذا وكذا من أنواع الكفر والشرك، ومنها قوله: $ويرتكب جميع المعاصي فيعبد النيران ويسجد للأصنام والصلبان#[2].

فلم يتصوّر : أن يقع سجود لغير الله في هذه الأمة إلا من مشرك استوجب النار، جاعلا ً ذلك من الفروق التي تميّز ما بين المشرك وبين أي مسلم له أدنى تعلق بالإيمان.

ولذلك نقل القاضي عياض : الإجماع على أن السجود لغير الله تعالى لا يقع من مسلم، فقال: $وكذلك نُكفِّر بكل فعل أجمع المسلمون أنه لا يصدر [إ لا][3] من كافر، وإن كان صاحبه مصرحاً بالإسلام مع فعله ذلك الفعل، ك السجود للصنم، وللشمس والقمر، والصليب، والنار#[4].

كما نقل هذا الإجماع أيضاً أبو بكر الباقلاني[5] :[6].

ويشمل شركُ السجود سجودَ بعض مريدي الصوفية لمشايخهم سجودَ عبادة، كما يشمل ذلك أيضاً سجودَ بعض القبوريين للأضرحة التي عُبِدت من دون الله تعالى؛ لعموم الأدلة الناهية عن صرف هذا النوع من العبادة لغير الله أياً كان ذلك الغير.

ولذلك يقول أبو المظفر السمعاني :: $من سجد لغيره فقد اتخذه رباً#[7]. وهذه قاعدة في كل من سجد لغير الله سجود عبادة أياً كان ذلك الغير.

ويقول ابن حجر الهيتمي :: $ويحصل [أي: الكفر] باطناً باعتقاده ما يوجب الكفر وإن لم يُظهره، وظاهراً إما بفعل **كالسجود لمخلوق**، أو ذبح

---

(1) الأم (358/7 -تحقيق رفعت فوزي)، وانظر: معرفة السنن والآثار للبيهقي (277/14 رقم 19933).

(2) كتاب التوحيد (835/2).

(3) ما بين المعكوفتين غير موجود في نص الأصل، وهي زيادة يقتضيها السياق.

(4) الشفا (287/2).

(5) هو: محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر القاضي المعروف بالباقلاني البصري المالكي الأشعري (338- 403 هـ)، علم متكلم شهير، من كتبه: إعجاز القرآن. انظر: تاريخ بغداد (379/5-383)، والديباج المذهب (228/2)، والأعلام (176/6).

(6) انظر: الشفا (291/2-292).

(7) تفسير السمعاني (329/1).

على اسمه تقرباً إليه ...#[1]، أياً كان ذلك المخلوق المسجود له.
ويقول الخطيب الشربيني : مبيناً معنى كلام الإمام النووي : في الأ فعال التي يكفر من تعمّدها: $"وسجود لصنم أو شمس" أو غيرها من المخلوقات، وكذا السحر الذي فيه عبادة كوكب؛ لأنه أثبت لله شريكاً#[2]، فجعل : السجود لأي مخلوق عملا ً يُكفر به صاحبه، والعلة في ذلك أنه بهذا السجود قد أثبت لله شريكاً في العبادة.
بل ولم يكتف بعض العلماء بالبيان المجمل، حتى مثّلوا بذكر تلك المظاهر -أعني السجود للمشايخ والسجود للأضرحة-.
قال الإمام النووي :: $وأما ما يفعله عوّام الفقراء[3] وشِبْهُهم من سجودهم بين يدي المشايخ، وربما كانوا مُحْدِثِين فهو حرام بإجماع المسلمين، وسواء في ذلك كان متطهراً أو غيره، وسواء استقبل القبلة أم لا، وقد يتخيل كثير منهم أن ذلك تواضع وكسْرٌ للنفس، وهذا خطأ فاحش وغباوة ظاهرة، فكيف تُكسَر النفوس أو تتقرّب إلى الله تعالى بما حرّمه؟ وربما اغتر بعضهم بقوله تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐﮑﭼ يوسف: 100، والآ ية منسوخة أو متأوّلة[4] كما هو معروف في كتب العلماء#[5].
ويقول أبو عبد الله القرطبي : -بعد أن أورد قصة سجود معاذ ط للنبي ح بعد قدومه من الشام، ثم نهي النبي ح عن ذلك-: $وهذا السجود المنهي عنه قد اتخذه جهال ُ المتصوف عادة ً في سماعهم، وعند دخولهم على مشايخهم، واستغفارهم، فيرى الواحد منهم إذا أخذه الحال -بزعمه- يسجد ل لأقدام لجهله، سواء كان للقبلة أم غيرها -جهالة منه-؛ ضل ّ سعيهم وخاب عملهم!#[6].
فحَكم : على عمل هؤلاء الذين سجدوا لغير الله تعالى بالخيبة و الخسران؛ وذلك بسبب ارتكاب الشرك، كما قال تعالى: ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ الزمر: ٦٥.
ويقول ابن القيم : مصرحاً بشركية ذلك العمل: $ومن أنواع الشرك: سجود المريد للشيخ، فإنه شرك من الساجد والمسجود له، والعجب أنهم

(1) الفتح المبين بشرح الأربعين (ص 313)، وانظر: تحفة المحتاج (4/106-111)، والإعلام بقواطع الإسلام (ص 20-21).
(2) مغني المحتاج (4/176).
(3) أي عوام المتصوفة، حيث استحسن كثير منهم هذه التسمية وأطالوا الكلام في الفقر وفضله، كما في الرسالة القشيرية (ص 536 وما بعدها -ط. دار الكتب الحديثة) وغيرها.
(4) سيأتي بيان هذا الأمر بنوع من التفصيل في (ص 707 وما بعدها)._
(5) المجموع (2/79).
(6) تفسير القرطبي (1/438).

يقولون: ليس هذا سجوداً، وإنما هو وضع الرأس قدام الشيخ احتراماً وتواضعاً، فيقال لهؤلاء: ولو سميتموه ما سميتموه، فحقيقة السجود: وضع الرأس لمن يسجد له، وكذلك السجود للصنم، وللشمس، وللنجم، وللحجر، كله وضع الرأس قدامه#[1].

أما التصريح بالنهي عن السجود للقبور فقد جاء في كلام الحافظ ابن عبد البر : في شرحه لقول النبي ح: $قاتل اللّه اليهود؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد#[2] حيث قال :: في هذا الحديث $تحريم السجود على قبور الأ نبياء، وفي معنى هذا أنه لا يحل السجود لغير اللّه#[3]، كما حكم : على ذلك العمل بالشرك الأكبر عند شرحه لحديث: $اللّهم لا تجعل قبري وثناً يُعبَد#[4] ، حيث قال :: $... وكان ح يحذر أصحابه وسائر أمته من سوء صنيع الأمم قبله، الذين يصلون إلى قبور أنبيائهم واتخذوها قبلة ومسجداً، كما صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا يسجدون لها ويعظمونها، وذلك الشرك الأ كبر...#[5].

وقال ابن حجر الهيتمي :: $قوله "لا تتخذوا قبري وثناً يعبد بعدي" أي لا تعظموه تعظيم غيركم لأوثانهم بالسجود له أو نحوه#[6].

بل وجاء التصريح بالنهي عن ذلك الفعل في حديث قيس بن سعد[7] ط قال: $أَتيْتُ الحِيرَةَ[8] فَرَأَيْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِمَرْزُبَانٍ[9] لَهُمْ فَقُلْتُ: رَسُولُ

---

(1) مدارج السالكين (344/1-345).
(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة (531/1 رقم 437 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور (376/1 رقم 530) من حديث أبي هريرة ط._
(3) التمهيد (383/6).
(4) رواه مالك في الموطأ، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة (72/2 رقم 452)، وهو حديث مرسل صحيح الإسناد، وقد وصله البزار في مسنده (220/1 رقم 440 -كشف الأستار) ومن طريقه ابن عبد البر في التمهيد (42/5-43). وصححه الشيخ الألباني في تحذير الساجد (ص 25 رقم 11)، وأحكام الجنائز (ص 217).
(5) التمهيد (45/5).
(6) الزواجر (149/1).
(7) هو: قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري (ت 60 هت تقريباً)، صحابي جليل، كان ط ضخماً حسناً طويلاً إذا ركب الحمار خطت رجلاه الأرض، ومن طرائف ما ذكر في ترجمته: أن ملك الروم أرسل إلى معاوية ط رجلاً طويلاً جسيماً أراد أن يبارز المسلمين في الطول، فجيء بسروال قيس بن سعد بن عبادة فلبسه الرومي فبلغ صدره، فأطرق مغلوباً. انظر: التقريب (رقم 5611)، والإ صابة (109/9-113 رقم 7210 –ط. دار هجر)، ووفيات الأعيان (171/4).
(8) الحيرة: بلدة قديمة بظهر الكوفة. انظر: عون المعبود (125/6).

اللهِ أَحَقُّ أَنْ يُسْجَدَ لَهُ. قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ح فَقُلْتُ: إِنِّي أَتَيْتُ الحِيرَةَ فَرَأَيْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِمَرْزُبَانٍ لَهُمْ فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ. قَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ مَرَرْتَ بِقَبْرِي أَكُنْتَ تَسْجُدُ لَهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لا َ. قَالَ: فَلا َ تَفْعَلُوا، لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأ َحَدٍ لأ َمَرْتُ النِّسَاءَ أَنْ يَسْجُدْنَ لأ َزْوَاجِهِنَّ لِمَا جَعَلَ اللهُ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ الحَقِّ#[2].

أما تخصيصُ ذِكر اللّه تعالى للشمس والقمر في قوله: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ[فصلت: ٣٧]؛ فهو تنبيه $بهما على غيرهما من المخلوق العلوي، فالسفلي من الأحجار، والأشجار، والضرائح ونحوها بالأ ولى. وقد دلت هذه الآية على أن ديننا هو: أن السجود حق للخالق، فلا يُسجَد لمخلوق أصلا ً، كائناً من كان، فإن المخلوقية يتساوى فيها الشمس، والقمر، والولي، والنبي، والحجر، والمدر، والشجر، ونحوها#[3]، واللّه أعلم.

(1) المرزُبان: أحدُ مَرازِبَةِ الفُرْس، وهو الفارسُ الشُجاعُ المُقدّم على القوم دون الملك. وهو مُعَرّب. انظر: النهاية في غريب الحديث (318/4).

(2) رواه أبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب في حق الزوج على المرأة (418/2 رقم 2140)، وصحح إسناده الحاكم ووافقه الذهبي، كما في المستدرك (187/2). وقال الشيخ الألباني: $صحيح دون جملة القبر#. انظر: ضعيف الجامع الصغير (ص 699 رقم 4842)، والإرواء (58-757 رقم 1998)، والمشكاة (974-975/2 رقم 3266).

(3) الدين الخالص (53/2).

شبهة والجواب عنها:

قد يقول قائل: كيف يكون السجود لغير الله شركاً، وقد حكى الله تعالى في كتابه الكريم سجودَ الملائكة لآدم ؛[1]، كما حكى سبحانه سجودَ و الدي يوسفَ ؛ وإخوتِه له ؛[2]، فهل تقولُ إن هؤلاء الكرام والبررة قد وقعوا في الشرك الأكبر؟ وكيف أقرّ الله تعالى الشرك الأكبر في كتابه الكريم؟

الجواب على هذه الشبهة تكون من وجهين:

الوجه الأول: بيان معنى السجود المذكور[3]:

1. لقد اختلف العلماء في معنى سجود الملائكة لآدم ؛ على أربعة أقوال: أولا ً: أنه مجرد الخضوع، دون إيماء ولا انحناء ولا نحوهما، وهذا يرجع إلى أحد معاني السجود اللغوية، والمقصود إقرارهم لآدم بالفضل و القيام بمصالِحه[4]، ثانياً: الإيماء والخضوع[5]، ثالثاً: الانحناء المساوي للركوع، وذلك بالتكفّي والتعظيم، كسلام الأعاجم[6]، رابعاً: أنه السجود المتعارف، وهو وضع الجبهة بالأرض[7]، وهو قول الجمهور كما ذكر ذلك أبو عبد الله القرطبي :[8]، وهو القول الصواب إن شاء الله تعالى.

ومما يدلّ على أن سجودهم كان على الجباه قوله تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ [الحجر: 29، وص: 72]؛ حيث أمرهم بالوقوع وهو السقوط[9]، قال ابن جرير الطبري : في تفسير هذه الجملة: $يقول فاسجدوا له وخِرّوا له سجّداً#[10].

(1) ورد ذكر سجود الملائكة لآدم ؛ في سبع مواضع من القرآن الكريم، وهي: في الآية 34 من سورة البقرة، والآية 11 من سورة الأعراف، والآيات 28-31 من سورة الحجر، والآية: 61 من سورة الإسراء، والآية 50 من سورة الكهف، والآية 116 من سورة طه، والآيات 71-74 من سورة ص.

(2) ورد ذكر سجود يوسف ؛ وإخوته لأبويهم في الآية 100 من سورة يوسف.

(3) لقد استفدت في صياغة هذا المبحث من بحث: معاني الركوع والسجود في القرآن المجيد (ص 14-15، 18-19).

(4) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص 397)، وإيجاز البيان عن معاني القرآن لمحمود بن أبي الحسن النيسابوري (89/1)، وتفسير القرطبي (436/1).

(5) انظر: تفسير ابن عطية (124/1 -ط. دار الكتب العلمية)، وتفسير البحر المحيط (302/1 -ط. دار الكتب العلمية).

(6) انظر: تفسير البغوي (81/1)، وأحكام القرآن لابن العربي (27/1)، وزاد المسير (64/1).

(7) انظر: المصادر السابقة.

(8) انظر: تفسير القرطبي (436/1).

(9) انظر: مقاييس اللغة (133-134/6)، وتفسير البحر المحيط (441/5 -ط. دار الكتب العلمية)، وروح المعاني (224/23 -ط. المنيرية).

(10) تفسير الطبري (144/20).

ومن المرجحات لقول الجمهور: أن الأصل في حكم اللفظ أن يكون محمولا ً على بابه وحقيقته[1]، ولا شك أن هذا يتأكد إذا كان معه قرينة تدل عليه كما في هذا السجود، ولهذا قال ابن عطية :: $وهذه اللفظة ﭽ ﯣ ﭼ تُقوّي أن سجود الملائكة إنما كان كالمعهود عندنا، لا أنه خضوع وتسليم و إشارة كما قال بعض الناس# [2].

2. كما اختلف العلماء في معنى سجود والدي نبي الله يوسف ؛ وإخوته له ؛ على النحو الذي في قصة سجود الملائكة لآدم ؛؛ هل كان خضوعاً مجرداً؟ أو مع إيماء؟ أو كان انحناء كالركوع؟ أو هو السجود المتعارف عليه من وضع الجبهة على الأرض؟ [3]

والأظهر أنه كان على الوجوه وليس انحناء ولا إيماء لقوله تعالى: ﭽ ﮎ ﮏ ﮐﮑﭼ [يوسف: ١٠٠][4]، قال الجوهري[5] :: $وخرّ الله ساجداً يخر خروراً أي: سقط#[6].

الوجه الثاني: بيان نوعية السجود المذكور:

بعد أن عُلِم أن المراد بالسجود في الموضعين هو السجود الحقيقي -الذي هو وضع الجبهة على الأرض- لابد لنا من معرفة ما هي نوعية ذلك السجود؟ أهو سجود عبادة أم سجود تحية؟

لقد أجمع العلماء على أن سجود الملائكة لآدم ؛ لم يكن سجود عبادة -وهو السجود الذي أريد به التقرب للمسجود له، والتذلل والخضوع له-، وممن نقل ذلكم الإجماع: ابن العربي[7]، والفخر الرازي[8]، وأبو عبد الله القرطبي[9] رحمة الله على الجميع.

كما أجمعوا كذلك على أن سجود والدي يوسف ؛ وإخوته له ؛ لم يكن سجودَ عبادة، وممن نقل ذلك الإجماع: ابن عطية[10]، وأبو عبد الله

---

(1) انظر: أحكام القرآن للجصاص (38/1).
(2) تفسير ابن عطية (360/3 -ط. دار الكتب العلمية).
(3) انظر: تفسير القرطبي (456/11-457)، وروح المعاني (58/13 –ط. المنيرية).
(4) انظر: الكشاف (326/3).
(5) هو: إسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر (ت 393 هـ)، لغوي، من الأئمة، أول من حاول الطيـ ـرـ ـان ومات في سبيله. أشهر كتبه: $الصحاح#. انظر: معجم الأ دباء لياقوت الحموي (205/2)، والنجوم الزاهرة (209/4)، ولسان الميزان (115/2-116 رقم 1155).
(6) الصحاح (643/2).
(7) انظر: أحكام القرآن (27/1).
(8) انظر: تفسير الرازي (230/2).
(9) انظر: تفسير القرطبي (436/1).
(10) انظر: تفسير ابن عطية (281/3 -ط. دار الكتب العلمية).

القرطبي[1] رحمهما الله.
وإذا تبين هذا، فمِن الجناية الفظيعة بأولئك الكرام والأبرار أن يقال بأنهم قد وقعوا في الشرك الأكبر بفعلهم ذلكم السجود؛ لأن سجودهم لغيرهم من المخلوقات لم يكن عن عبادة، والذي يُعدّ شركاً هو سجود المخلوق للمخلوق سجودَ عبادة، وهو شرك محرم في دين الله في جميع الأزمان.
وما كان اختلاف العلماء في تعيين معنى السجود المذكور، وصرفُ بعضهم لفظ السجود عن ظاهره -وهو تعفير الجباه- إلى ما دونه من التأويلا ت؛ إلا فراراً منهم من نسبة السجود لغير الله -الذي هو شرك ومحرم في جميع الأديان- لهؤلاء الكرام[2].
إذا كان الأمر كذلك؛ فما هي إذن نوعية سجود أولئكم البررة؟
كان سجود الملائكة لآدم ؛ سجودَ تحية[3]، وهو خاص بآدم -من المخلوقات- في العالم العلوي، وليس ذلك ضمن التكاليف المنوطة بأهل الأ رض؛ فلا يقاس عليه[4].
وأما سجود والدي يوسف ؛ وإخوته له ؛ فهو كذلك على وجه التحية[5]. والذي عليه أكثر العلماء: أن هذا النوعَ من أنواع السجود -أعني: السجود للمخلوق على وجه التحية والتكرمة- كان في الأمم السابقة جائزاً كسائر التحايا -مما جرت عليه عادة الناس في التوقير والتقدير، لا على وجه العبودية- فكان السجود سائغاً في الشرائع السابقة على هذا النحو، ولم يزل مباحاً إلى أن جاء الإسلام فجعله مختصاً بالله تعالى وحده؛ حماية لجناب التوحيد ومساواة بين الناس في العبودية والمخلوقية[6].
يقول الحافظ ابن كثير : في تفسير قوله تعالى: ﭽ ﮊ ﮊ ﮊ ﮊ ﮐ ﮐ ﮐﭼ [يوسف: ١٠٠]: $وقد كان هذا سائغا ً في شرائعهم[7]، إذا سلّموا على

(1) انظر: تفسير القرطبي (457/11).
(2) انظر: معاني الركوع والسجود في القرآن المجيد (ص 18).
(3) انظر: تفسير البغوي (81/1).
(4) انظر: تفسير التحرير والتنوير (422/1).
(5) انظر: تفسير ابن عطية (281/3 -ط. دار الكتب العلمية)، وتفسير القرطبي (456-457/11).
(6) انظر: الكشاف (326/3)، وتفسير القرطبي (437/1)، وتفسير ابن كثير (412/4)، وتفسير التحرير والتنوير (56/13).
(7) يقول ابن الصلاح :: $يحرم السجود بين يدي المخلوق على وجه التعظيم، وإن قصد بسجوده الله تعالى، وما ذكره الله تعالى من قوله في إخوة يوسف ﭽ ﮐ ﮐ ﮐﭼ فذلك شرع من قبلنا وهو ليس بشرع لنا، إلا إن جاء تقريره في شرعنا فيعمل بذلك التقرير#. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لابن علان الصديقي (367/3)._

الكبير يسجدون له، ولم يزل هذا جائزًا من لدن آدم إلى شريعة عيسى ؛[1]، فحرم هذا في هذه الملة، وجُعل السجود مختصا ً بجناب الرب ، هذا مضمون قول قتادة وغيره[2]#[3].

فالسجود لغير الله تعالى إن كان على وجه التحية -وإن لم يُعَدّ شركاً- إلا أنه محرم في شرعنا الحكيم، والأدلة في هذا الباب كثيرة[4]، منها:

عن ابن أبي أوفى[5] ط قال: لَمَّا قَدِمَ مُعَاذٌ ط مِنْ الشَّامِ سَجَدَ لِلنَّبِيِّ ح، قَالَ: $مَا هَذَا يَا مُعَاذُ؟# قَالَ: أَتَيْتُ الشَّامَ فَوَافَقْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِأَسَاقِفَتِهِمْ[6] وَبَطَارِقَتِهِمْ[7]، فَوَدِدْتُ فِي نَفْسِي أَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ح: $فَلَا تَفْعَلُوا فَإِنِّي لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللهِ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا، وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَى قَتَبٍ[8] لَمْ تَمْنَعْهُ#[9].

---

(1) وقيل كان جائزاً إلى زمن يعقوب ؛، وقيل إلى عصر الرسول ح. انظر: تفسير القرطبي (437/1).

(2) مثل سفيان الثوري، وابن جريج، والضحاك رحمهم الله. انظر: تفسير الطبري (355-356/13). يقول ابن جرير : معلقاً على قول هؤلاء الأئمة $إن السجود كان تحية بينهم#: $وإنما عنى من ذكر بقوله: $إن السجود كان تحية بينهم#، أن ذلك كان منهم على الخُلق، لا على وجه العبادة من بعضهم لبعض. ومما يدل على أن ذلك لم يزل من أخلاق الناس قديمًا قبل الإسلام على غير وجه العبادة من بعضهم لبعض: قول ُ أعشى بني ثعلبة:
فَلَمَّا أَتَانَا بُعَيْدَ الكرَى... سَجَدْنَا لهُ وَرَفَعْنَا عَمَارَا#. المصدر السابق (356/13).

(3) تفسير ابن كثير (412/4)، وانظر: نفس المرجع (232/1)، وجامع البيان في تفسير القرآن للإيجي (ص 465).

(4) انظر بعضها في: بلوغ السعادة من أدلة توحيد العبادة (ص 311-313).

(5) هو: عبد الله بن أبي أوفى علقمة بن خالد الأسلمي (ت 87 هـ)، صحابي، شهد الحديبية، وعُمِّر بعد النبي ح. انظر: التقريب (رقم 3236).

(6) الأسقف: رئيس من رؤساء النصارى فوق القسيس ودون المطران. انظر: المعجم الوسيط (ص 436).

(7) البطارقة: جمع بِطْرِيق، وهو: رئيس رؤساء الأساقفة. انظر: المرجع السابق (ص 61).

(8) القتب: هو الرحل الذي يوضع حول سنام البعير تحت الراكب. انظر: النهاية في غريب الحديث (11/4)، وشرح السندي على سنن ابن ماجه (411/2 -ط. دار المعرفة).

(9) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة (ص 323 رقم 1853)، وصححه ابن حبان في صحيحه (479/9 رقم 4171 -الإحسان)، وقال الشيخ الألباني: $حسن صحيح#. انظر: الإرواء (55/7-56)، والسلسلة الصحيحة (202/3 رقم 1203).

الفرع الثاني: ما يتعلق بالركوع لغير الله تعالى:

كما أن السجود عبادة لا يجوز صرفها لغير الله؛ فكذلك الركوع عبادة يحرم صرفها لغيره سبحانه؛ لأن ـ$هُما غاية الذّل والخُضوع# كما قال الخطابي :(1).

يقول تبارك وتعالى: ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ الحج: ٧٧.

قال السمعاني :: $وقوله ﭽ ﮖ ﮗ ﭼ أي: و ـَحـ ـّدوا ربكم، ويقال: أخلصوا في ركوعكم وسجودكم#(2) أي: لله لا وحده.

ويقول سبحانه تعالى: ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ[آل عمران: ٤٣].

قال شيخ الإسلام :: $وبالجملة: فالقيام والقعود والركوع والسجود حق للواحد المعبود خالق السموات والأرض، وما كان حقاً خالصاً لله لم يكن لغيره نصيب ... فالعبادة كلها لله وحده لا شريك له. ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ[البينة: ٥]، وفي الصحيح عن النبي ح أنه قال: $إن الله يرضى لكم ثلاثاً: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم#(3) وإخلاص الدين لله هو أصل العبادة#(4).

عن أنس بن مالك ط قال: قال رجل: يا رسول الله، الرجل منا يلقى أخاه أو صديقه أينحني له؟ قال: $لا#، قال: أفيلتزمه ويقبله؟ قال: $لا#، قال: أفيأخذ بيده ويصافحه؟، قال: $نعم#(5).

والانحناء المنهي عنه في الحديث هو $أصلُ مَعنى الرُكوع، ومنه أُخِذَ رُكوعُ الصّلاة# كذا قال الزّبِيْدي :(6).

يقول ابن علا ـّن الصـّ ـِدّ ـِيقي(7) :: $من البدع المحرّمة: الانحناء عند اللّقاء بهيئة الرّكوع، أمّا إذا وصل انحناؤه للمخلوق إلى حدّ الرّكوع

(1) نقله عنه ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث (259/2).
(2) تفسير السمعاني (457/3).
(3) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه (1340/3 رقم 1715) من حديث أبي هريرة ط.
(4) مجموع الفتاوى (27/93-94).
(5) رواه الترمذي في سننه، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في المصافحة (رقم 2728)، وقال: $حديث حسن#، وأحمد في مسنده (340/20 رقم 13044)، وحسنه النووي في الأذكار (ص 384-385) والألباني في السلسلة الصحيحة (298/1 رقم 160).
(6) تاج العروس (122/21).
(7) هو: أحمد بن إبراهيم بن علان الصديقي الشافعي النقشبندي (975-1033 هـ)، فاضل متصوف. له $شرح الحكم العطائية# و$شرح رسالة الشيخ رسلان# وشروح أخرى. انظر: الأعلام (88/1).

قاصدًا به تعظيم ذلك المخلوق كما يعظّم الله سبحانه وتعالى؛ فلا شكّ أنّ صاحبه يرتدّ عن الإسلام ويكون كافرًا بذلك، كما لو سجد لذلك المخلوق#[1].

ويقول المباركفوري والملا علي القاري رحمهما الله مُعلِلَين نهيَ النبي ح عن الانحناء عند اللقاء: $فإنه [أي الانحناء] في معنى الركوع؛ وهو كالسجود من عبادة الله سبحانه#[2].

ويقول ابن القيم : -بِحُرقة وألم- لما يشاهده من صرف الجهلة أنواع العبادات لغير الله تعالى: $وأشرف العبودية عبودية الصلاة، وقد تقاسمها الشيوخ، والمتشبهون بالعلماء، والجبابرة؛ فأخذ الشيوخ منها أشرف ما فيها؛ وهو السجود، وأخذ المتشبهون بالعلماء منها الركوع، فإذا لقي بعضهم بعضاً ركع له، كما يركع المصلي لربه سواء، وأخذ الجبابرة منهم القيام، فيقوم الأحرار والعبيد على رؤوسهم عبودية لهم، وهم جلوس[3].

وقد نهى رسول الله ح عن هذه الأمور الثلاثة على التفصيل، فتعاطيها مخالفة صريحة له، فنهى عن السجود لغير الله وقال: $لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد#[4]... وتحريم هذا معلوم من دينه بالضرورة، وتجويز من جوزه لغير الله مراغمة لله ورسوله، وهو من أبلغ أنواع العبودية، فإذا جوّز هذا المشرك هذا النوع للبشر، فقد جوّز العبودية لغير الله ... وأيضاً فالانحناء عند التحية سجود، ومنه قوله تعالى: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ [البقرة: 58]، أي

(1) الموسوعة الفقهية الكويتية (135/23)، وانظر: دليل الفالحين (367/3)، و الفواكه الدواني للنفراوي (527/2)، ونهاية المحتاج (417/7).

(2) تحفة الأحوذي (514/7 -ط. دار الفكر)، ومرقاة المفاتيح (498/8).

(3) لورود النهي الصريح عنه في حديث جابر بن عبد الله ط، ونصه: قال: $اشتكى رسول الله ح فصلينا وراءه وهو قاعد، وأبو بكر يُسمِع الناس تكبيره، فالتفت إلينا فرآنا قياماً، فأشار إلينا فقعدنا، فصلينا بصلاته قعوداً، فلما سلّم قال: كدتم آنفاً لتفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود فلا تفعلوا...#. رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ائتمام المأموم بالإمام (309/1 رقم 413).

يقول ابن حجر الهيتمي : وهو يعدِّد أنواع الكبائر: $الكبيرة السابعة والتسعون بعد الثلاثمائة: محبة الإنسان أن يقوم الناس له افتخاراً أو تعاظماً# -ثم استدل : لذلك بقول الرسول ح: $من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار#- ثم قال: $والمراد بتمثلهم له قياماً أن يقعد ويستمروا له قياماً كعادة الجبابرة#. الزواجر (171/2). والحديث الذي ذكره : رواه الترمذي في سننه، كتاب الأدب عن رسول الله ح، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل (ص 619 رقم 2755)، وحسنه. وقال الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح (1332/3 رقم 4699): $إسناده صحيح#.

(4) رواه ابن حبان في صحيحه (470/9 رقم 4162 -الإحسان) من حديث أبي هريرة ط.

منحنين، وإلا فلا يمكن الدخول على الجباه[1] ...

والمقصود أن النفوس الجاهلة الضالة أسقطت عبودية الله سبحانه، وأشركت فيها من تعظمه من الخلق، فسجدت لغير الله، وركعت له، وقامت بين يديه قيام الصلاة، وحلفت لغيره، ونذرت لغيره، وحلقت لغيره، وذبحت لغيره، وطافت بغير بيته ... وسوت من تعبده من المخلوقين برب العالمين، وهؤلاء هم المضادون لدعوة الرسل، وهم الذين بربهم يعدلون.

قال تعالى: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ [الشعراء: 97-98]#[2].

وهذا النوع من التحايا وإن كان جائزاً فيمن قبلنا إلا أن شريعة الإسلام قد نسخت إباحته -كما في حديث أنس ط المتقدم-، وقد لاحظ أبو عبد الله القرطبي : أن هذا المنسوخ صار عادة في زمنه عند بعض الناس، فشنّع عليهم قائلا ً: $هذا الانحناء والتكفي الذي نُسخ عنا قد صار عادة بالديار المصرية، وعند العجم، وكذلك قيام بعضهم إلى بعض؛ حتى إن أحدهم إذا لم يقم له وجد في نفسه كأنه لا يُؤْبه به، وأنه لا قدر له، وكذلك إذا التقوا انحنى بعضهم لبعض، عادة مستمرة، ووراثة مستقرة، لا سيما عند التقاء الأ مراء والرؤساء. نكبوا عن السُنن، وأعرضوا عن السُنن. وروى أنس بن مالك ق ال: قلنا يا رسول الله! أينحني بعضنا إلى بعض إذا التقينا؟ قال: لا، قلنا، أفيعتنق بعضنا بعضا ً؟ قال: لا. قلنا: أفيصافح بعضنا بعضا ً؟ قال: نعم#[3]#[4].

كما أن النهي عن السجود لغير الله يتناول أيضاً النهي عن الركوع لغير الله؛ لأن مِن معاني السجود: الركوع.

ويدل على ذلك ما جاء في قصة أمر الله بني اسرائيل أن يدخلوا القرية[5] سُجّداً: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ[البقرة: ٥٨].

لقد اختلف العلماء في معنى ﭽ ﭛ ﭼ؛ فمنهم من حمل السجود على

(1) سيأتي -إن شاء الله- الحديث عن تفسير هذه الآية قريباً في (ص 714-715).

(2) زاد المعاد (4/160-161).

(3) سبق تخريجه في (ص 702).

(4) تفسير القرطبي (11/457).

(5) المراد بالقرية عند الجمهور: مدينة بيت المقدس، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﭼالمائدة:21، فمكنهم الله من دخولها بعد خروجهم من التيه بقيادة يوشع بن نون ؛، ولما فتحوها أُ مُروا أن يدخلوا الباب سجدا ً ويقولوا حطة شكرا ً لله وتواضعا ً. و ﭽ ﭙ ﭼ أحد أبواب بيت المقدس. انظر: الكشاف (1/272)، وتفسير ابن كثير (1/273-274)، وتفسير الطبري (1/712-713).

المعنى اللغوي وهو الخضوع والتواضع فحسب[1]، وهذا القول لا ينسجم مع قول الرسول ح: $قيل لبني إسرائيل: ﭼﭙ ﭚ ﭛ ﭜﭽ، فبدّلوا، فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا: حبة في شعرة#[2]، والحديث يدل على أنهم خالفوا الهيئة المطلوبة، ودخلوا يزحفون على أستاههم، أي على أدبارهم .

ومنهم من حمله على معناه الشرعي، وهو وضع الجباه بالأرض[3]، وهو متعذِّر، إلا على ضرب من التكلّف[4].

ومنهم من حمله على الركوع، وهو تفسير ابن عباس م[5]، وتفسير الصحابي مقدم على غيره[6]، ثم إن تفسير ﭼﭛ ﭽ بـ$رُكّعاً# هو الأظهر، وإنما عُبِّر بالسجود ولم يُعبَّر بالركوع؛ لأن السجود أدخل في الخضوع وأبلغ من الركوع، فلو عُبِّر بالركوع لتوهم أن المراد: الهيئة فقط، دون الخشوع والخضوع لله، ولهذا عبّر بعض العلماء في تفسيره بـ$رُكّعاً خُضّعاً#[7]، والقول بأنه المقصود في الآية الركوع هو بمعنى الانحناء، ولهذا قال الطبري :: $وأصل السجود: الانحناء لمن سجد له معظماً بذلك، فكل منحنٍ لشيء تعظيماً له وخشوعاً فهو له ساجد ... فلذلك تأول ابن عباس قوله: ﭼﭛﭽ: رُكّعاً؛ لأن الراكع منحنٍ، وإن كان الساجد أشد انحناءً منه#[8]، وقال الزمخشري : معبراً عن هذا القول: $السجود أن ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع وإخبات#[9].

ومن هذا المنطلق يقول ابن القيم : وهو يُعَدِّد أنواع الشرك: $ومن أنواعه: ركوع المتعممين بعضهم لبعض عند الملاقاة، وهذا سجود في اللغة، به فُسِّر قوله تعالى: ﭼﭙ ﭚ ﭛﭽ [البقرة: 58] أي منحنين، وإلا فلا يمكن الدخول بالجبهة على الأرض، ومنه قول العرب: سَجَدَت الأشجار

---

(1) انظر: تفسير الرازي (95/3)، وتفسير البحر المحيط (383/1-ط. دار الكتب العلمية)، وروح المعاني (265/1 –ط. المنيرية).
(2) سبق تخريجه في (ص 606).
(3) انظر: تفسير البحر المحيط (383/1 -ط. دار الكتب العلمية) ، وروح المعاني (265/1 -ط. المنيرية).
(4) انظر: تفسير الرازي (94/3) والمصدرين السابقين.
(5) رواه الطبري في تفسيره (714/1-715)، والحاكم في المستدرك (651/2 رقم 3094 –ط. دار المعرفة) وقال: $هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه#، وسكت عنه الذهبي، وذكره السيوطي في الدر المنثور (377/1).
(6) انظر: دقائق التفسير (111/1)، والبرهان في علوم القرآن (157/2).
(7) إيجاز البيان (100/1).
(8) تفسير الطبرى (715/1).
(9) الكشاف (272/1).

إذا أمالتها الريح#[1].

وقد جاء شرعنا الحنيف -ولله الحمد والمنة- بآداب يُسَن الإتيان بها عند الملاقاة، تغني عن التحية بالانحناء والركوع، ومن تلكم الآداب النبوية: السلام والمصافحة.

فـ$السلام تحية الله لعباده المؤمنين فيما بينهم، ولهم فيها أجر كثير#[2]، عن عمران ابن حصين ط: أنّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ح فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ح: $عَشْرٌ#، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ح: $عِشْرُونَ#، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ح: $ثَلَاثُونَ#[3].

$فكان السلام شعارهم، وكانوا بعد السلام وبعد الرد يستخرج بعضهم من بعض الحمد والثناء#[4].

عن أنس بن مالك ط $أنه سمع عمر بن الخطاب ط وسلّم عليه رجل، فرَدّ عليه السلامَ، ثم سأل عمرُ الرجلَ: كيف أنت؟ فقال: أحمد إليك الله، فقال عمر: ذلك الذي أردت منك#[5].

أما المصافحة عند اللقاء فيدل عليها ما رواه البراء ط قال: قال رسول الله ح: $ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا#[6].

وعن قتادة : قال: $قلت لأنس: أكانت المصافحة في أصحاب رسول الله ح؟ قال: نعم#[7].

تنبيه:

---

(1) مدارج السالكين (345/1).

(2) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع (ص 263).

(3) رواه الترمذي في سننه، كتاب الاستئذان والآداب عن رسول الله ح، باب ما ذكر في فضل السلام (ص 606 رقم 2689)، وقال: $حديث حسن صحيح غريب#. وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (73/3 رقم 2689).

(4) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع (ص 264).

(5) رواه مالك في الموطأ، كتاب السلام، باب جامع السلام (433-432/4 رقم 1930). وصحح إسناده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (1100/6 رقم 2952) وقال في صحيح الأدب المفرد (ص 437 رقم 862): $صحيح موقوفاً وثبت مرفوعاً#.

(6) رواه أحمد في مسنده (517/30 رقم 18547)، وأبو داود في سننه، كتاب الأدب ، باب في المصافحة (244/5 رقم 5212)، والترمذي في سننه، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في المصافحة (ص 613 رقم 2727)، وقال: $حديث حسن غريب#. وقال محققوا المسند: $صحيح لغيره#.

(7) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب المصافحة (54/11 رقم 6264 -الفتح).

ولا يدخل في الركوع المنهي عنه: الانحناء الناتج عن ضرورة؛ كانحناء الولد إذا أراد أن يقيم والده، أو ليقبله ويقبل رأسه، فقد يكون والده مريضاً أو شيخاً كبيراً لا يستطيع المُسلِم أن يساويه في الوقوف فيساويه في الجلوس، فليس هذا -في الحقيقة- انحناء، وإنما هو مساواة في الهيئة التي يكون عليها الجالس إذا كان رجلا ً كبيراً، ثم هو لم يقصد الانحناء لذاته، و الله أعلم.

المبحث الثالث: الطواف

وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: معنى الطواف وأنواعه
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في الطواف
المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

المطلب الأول: معنى الطواف وأنواعه

- **معنى الطواف لغة وشرعاً:**

أصل الكلمة: الطواف مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ هو $طَوَفَ#[1].

تصريفها: $طاف-يَطوفُ-طَوْفاً-وطوافاً-وطَوَفانا ً#[2].

معناها لغة: الدوران بالشئ من جوانبه[3]. وهناك معاني أخرى لمادة $طَوَفَ#[4]، لكنها ليس لها تعلق بمعن الطواف الشرعي.

معناها شرعاً: $هو الدوران حول البيت الحرام#[5].

- **أنواع الطواف:**

الطواف نوعان:

1. طواف شرعي.
2. طواف شركي.

أما النوع الأول: فهو المعنى الشرعي للطواف، وهو من أظهر شيء على خضوع العبد وتذلِله، حيث يدور حول بيت ربه مستحضراً ذل عبوديته وشدة فاقته، تماماً كما يكون في الصلاة.

عن عبد الله بن عباس م قال: قال رسول الله ح: $الطواف حول البيت مثل الصلاة، إلا أنكم تتكلمون فيه، فمن تكلم فيه فلا يتكلمنّ إلا بخير#[6].

وأما النوع الثاني: فهو الطواف بغير ما شرع الله التّطوّف به، قاصداً التقرب إلى ما تطوّف به؛ كالطواف حول الأضرحة وغيرها، وهو شرك أكبر؛ لما أن الطواف عبادة من أخص العبادات التي لا يحل صرفها لأحد دون الله تعالى.

---

(1) مقاييس اللغة (432/3).
(2) انظر: كتاب العين (458/7)، والمصباح المنير (ص 144)، العباب الزاخر للصغاني ، حرف الفاء (ص 398)
(3) لسان العرب (222/8)، والمعجم الوسيط (ص 570-571)، ومفردات ألفاظ القرآن (531-532).
(4) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (531-532)، وتاج العروس (101/24).
(5) القاموس الفقهي لسعدي أبو حبيب (ص 235). وانظر: تفسير السمعاني (138/1)، وتفسير البغوي (148/1)، والنهاية في غريب الحديث (143/3).
(6) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الحج، باب ما جاء في الكلام في الطواف (ص 230 رقم 960)، وابن حبان في صحيحه (143/9-144 رقم 3836 -الإحسان)، والحاكم في المستدرك (112/2 رقم 1730 –ط. دار المعرفة)، واللفظ للترمذي. وقال الحاكم: "حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

لذا لما ذكر ابن كثير اختصاص الكعبة بالطواف قال :: $فإنه لا يُفعَل ببقعة من الأرض سواها#[1].

وقال النووي : بعد نقل كلام الحليمي وغيره في المنع من الطواف بـالقبر والتمسح به وما أشبه ذلك من البدع: $هذا هو الصواب الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه، ولا يُغْتَرّ بمخالفة كثيرين من العوام وفعلهم ذلك، فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بالأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء[2]، ولا يلتفت إلى محدثات العوام وغيرهم وجهالاتهم#[3].

فحكى : اتفاق أهل العلم على تحريم الطواف بقبر النبي ح، منبّهاً إلى أن كثرة الواقعين في هذا المحذور من الجهلة والمعاندين لا تغيّر من الأمر شيئاً.

ولما ذكر المقريزي : الشرك بالله في الأفعال، جعل ضِمْنَ الأمثلة عليه الطواف بغير بيت الله. قال :: $فالشرك في الأفعال: كالسجود لغيره سبحانه ، والطواف بغير البيت المحرم، وحلق الرأس عبودية وخضوعاً لغيره، ... إلخ#[4].

(1) تفسير ابن كثير (413/5).
(2) أي التي لها مستند من الشرع.
(3) المجموع (257/8).
(4) تجريد التوحيد المفيد (ص50).

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في الطواف

أذكر فيما يلي ما وقفت عليه من انحراف المجتمع الإندونيسي في هذا الباب:

المثال الأول: طواف جمع كبير من الناس حول قلعة مملكة Solo (سُوْلُوْ) بجَاوَا الوسطى، ليلةَ غرة محرم من كل سنة، مع إمساكهم عن الكلام حينه، وحملهم بعض الأسلحة القديمة للمملكة التي يعتقدون أن فيها قوة غيبية[1].

المثال الثاني: ما ذكره لي أحد سدنة ضريح عبد الوهاب رَكَنْ الخالدي النقشبندي في Besilam (بِيْسِيْلا َمْ) سُوْمَطْرَا الشمالية في يوم السبت، 18 رجب 1427 هـ الموافق لـ 12 أغسطس 2006 م، مِن أن كثيراً مِن زوار هذا الضريح يطوفون بهذا الضريح في مناسبات شتى.

المثال الثالث: طواف كثير من الناس حول بحيرة Ngebel (عِيْبِيْلْ) بمدينة Ponorogo (فُوْنُوْرُوْكُوْ) بجَاوَا الشرقية، في غرة محرم من كل سنة، مع حمل القرابين -كرأس الغنم وغيره- لملك البحيرة من الجن -بزعمهم- وطلبهم منه السلامة[2].

---

(1) انظر: Bila Kyai Dipertuhankan (إذا أُلِه كِياهِيْ) (ص 34) و Unsur-unsur Islam dalam Upacara Satu Suro di Kraton Surakarta Hadiningrat (قبسات من التعاليم الإسلامية في طقوس غرة محرم في مملكة سُوْرَكَرْتا هادينينجرات)، رسالة ماجستير في جامعة محمدية بسُوْرَكَرْتا، إعداد سومنتري (ص 91-92).

(2) انظر: $فائدة حفلة شورا بفونوروكو سنة 2002-2003 م#، بحث جامعي بجامعة دار السلام الإسلامية فونوروكو، إعداد أحمد شهاب الدين (ص 23).

المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

يُعدّ الطواف من أجل العبادات وأسماها؛ إذ تتحقق فيه معاني العباداة ومقاصدها، فهو عمل ذو دلالة خاصة على الخضوع والذل والاستكانة والا نكسار والإخبات والإنابة، وهو طاعة مخصوصة بمكان واحد في الأرض هو المسجد الحرام حول بيت الله تعالى العتيق -الكعبة المشرفة-، وهو أخص العبادات عند البيت[1].

يقول الله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ الحج: ٢٦.

ويقول سبحانه: ﭽ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ الحج: ٢٩.

دلت الآيتان الكريمتان على أمرين مهمين:

أولهما: أن الطواف عبادة؛ وذلك لأن الله أمرنا به.

الأمر الآخر: أن للطواف مكاناً يُطاف حوله قد حدده الشرع، وهو: الكعبة، ولم يرد الأمر بالطواف حول شيء غيرها لا في الكتاب ولا في السنة.

فالمدخل لهذا المطلب سيكون بنقل كلام الأئمة[2] في توضيح المرتكزين السابقين.

أما توضيح كون الطواف من العبادات التي شرعها الله ورسوله ح؛ وأنه لا يصرف إلا له جل وعلا، فيكون كالتالي:

إن الطواف عمل ذو دلالة على الخضوع والذل والاستكانة، وهو كما قال الحافظ ابن كثير :: $أخص العبادات عند البيت#[3].

وقد امتاز الطواف من بين سائر أعمال المناسك بمَزيّة فريدة، هي أنه العمل الوحيد الذي شُرِع الإتيان به مستقلا ً؛ لأنه كما يقول الماوردي :: $نسك لا يقع إلا لله لأ فجاز فعله متفردا#[4] و$عبادة يُتقرّب بها وحدها# كما عبّر عنه الرافعي :[5].

ومن هنا نبّهوا إلى أن المشروع للعبد -حال تطوّفه بالبيت- أن يتلبس بما يتلبس به المتذلِل الخاضع، وفي هذا يقول النووي : عند ذكره سنن الطواف: $أن يكون في طوافه خاشعاً خاضعاً متذللا ً حاضر القلب، ملازم

(1) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (44/14)، وتفسير ابن كثير (413/5).
(2) استفدت في جمع كلام هؤلاء الأعلام مع التعليق عليها من $جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة# (ص 378-388).
(3) تفسير ابن كثير (413/5).
(4) الحاوي الكبير (157/4).
(5) العزيز شرح الوجيز (409/3).

الأدب بظاهره وباطنه، وفي حركته ونظره وهيئته#[1].

وممن نص عليه عز الدين ابن جماعة[2] :[3]، والخطيب الشربيني : [4].

وقد أمر الرب عبادَه أن يحُفّوا حول بيته بالطواف $إظهاراً للولوع و الملازمة له، كما يحُفّ العبيدُ ببيوتِ ساداتهم، ثم يشرع[5] لهم لذلك القصد آداباً، وهيّأ قبله أسباباً، بها يتم منهم التعظيم ويكمل الإجلال والتفخيم ويتوفر التشريف والتكريم#[6]، كذا قال الحليمي.

فصار الطواف بذلك جامعاً تعظيمَ الرب وإجلاله وخضوعَ العبد وتذلله.

وعليه فلا ينبغي للطائف كما قرره الحليمي : $أن يخطر بقلبه شيء سوى ما هو فيه من النسك، ويعتقد أن طوافه قربة قربة إلى ربه#[7].

وحيث كانت معاني العبادة ومقاصدها العظيمة مُتحقِّقة في الطواف ببيت الله تعالى، فإن كثيراً من العلماء قد نظروا للطواف نظرتهم للصلاة التي هي أظهر شعائر الدين، وبنوا على ذلك أن الطائف ينبغي أن يراعي في طوافه ما يراعيه في صلاته. وقد بنوا تقريراتهم في هذه الصدد على قول رسول الله ح: $إنما الطواف صلاة، فإذا طفتم فأقلوا الكلام#[8].

قال الإمام النووي :: $الطواف صلاة، فيتأدب بآدابها، ويستشعر بقلبه عَظَمة مَن يطوف ببيته#[9]. وقال بنحوه عز الدين ابن جماعة : [10].

وقال أبو حامد الغزالي :: $أما الطواف بالبيت فاعلم أنه صلاة، فأحضِر في قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة؛ ما فصّلناه في كتاب الصلاة#[11].

وهذا الذي قدّمناه دالٌ على أن الطواف عبادة محضة لا يجوز أن

---

(1) المجموع (18/8).

(2) هو: عز الدين أبو عمر عبد العزيز بن بدر الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم ابن جماعة الكناني (767-694 هـ)، حافظ وقاضي القضاة. من كتبه: $هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك#. انظر: طبقات الأسنوي (187/1 رقم353)، وذيل تذكرة الحفاظ للحسيني (ص41)، والنجوم الزاهرة (24/11).

(3) انظر: هداية السالك (846/2)، وكذلك (159/1-160).

(4) انظر: مغني المحتاج (714/1).

(5) الأولى $شرع# بالماضي؛ ليتسق الكلام مع ما بعده.

(6) المنهاج في شعب الإيمان (418/2).

(7) المرجع السابق (441/2).

(8) رواه أحمد في مسنده (149/24 رقم 15423).

(9) المجموع (63/8).

(10) انظر: هداية السالك (846/2).

(11) الإحياء (244/1)، والذي أشار إليه بشأن الصلاة تقدم في كتابه هذا (147/1-156).

تصرف إلا لله، كالصلاة التي لا يجوز أن تؤدّى إلا له.

أما ما يتعلق بالمرتكز الثاني -وهو: **بيان مكان الطواف**-: فقد أوضح العلماء -بناءً على النصوص الشرعية- أن للطواف مكاناً لا يحلّ إيقاعُه إلا فيه ، وقد اشتمل ما أبانوه بشأن المكان على: بيان عامّ وبيان خاص.

فالبيان العام: كان بإيضاح أن الطواف لا يشرع إلا بالكعبة دون غيرها من بقاع الأرض، على أن يكون هذا الطواف داخلَ المسجد الحرام لا من خارجه، وإلا لم يُجزئ، وإن كان الطائف من الخارج لا يريد بطوافه إلا الكعبة.

وفي هذا يقول الإمام الشافعي : -مبيّناً ما يلزم الطائف-: $ولا يجزيه أن يطوف إلا في المسجد؛ لأن المسجد موضع طواف ... فإن خرج فطاف لم يعتدّ بما طاف خارجاً من المسجد، قلّ أو كثُر، ولو أجزتُ له أن يطوف خارجاً من المسجد أجزت له أن يطوف من وراء الجبال إذا لم يخرج من الحرم#[1].

وإنما $لم يُعتدّ بشيء من طوافه خارجاً من المسجد؛ لأنه في غير موضع الطواف#[2].

ولما ذكر الحافظ ابن كثير : اختصاصَ الكعبة بالطواف قال: $فإنه لا يُفعَل ببقعة من الأرض سواها#، مبيناً أن الصلاة قُرنت بالطواف $لأنهما لا يُشرعان إلا مختصّين بالبيت؛ فالطواف عنده، والصلاة إليه في غالب الأ حوال إلا ما استُثني#[3].

(1) الأم (455/3-تحقيق رفعت فوزي).
(2) المرجع السابق (452/3-تحقيق رفعت فوزي).
(3) تفسير ابن كثير (413/5)، وذلك عند قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ[الحج: ٢٦]. ومراده بالذي استثني: حال شدة الخوف؛ فللمصلين أن يصلّوا رجالاً أو ركباناً غير مستقبلين للقبلة، وحال التنفل للمسافر. انظر: الأم (217/2-218 -تحقيق رفعت فوزي)، والحاوي الكبير (72/2-77)، والتهذيب للبغوي (61/2-62)، و المجموع (212/3-وما بعدها) وغيرها كثير.

وهناك نصوص أخرى عن الأئمة في معنى ما تقدم[1]، ولو لا خشية الإ طالة لنقلتها. وهذا الذي تقدم نقله صريح في أن العلماء لا يجوِّزون وقوعَ الطواف العباديّ بأي موضع من الأرض، سوى بيت الله المحرم.

وهو بيانٌ جليّ كافٍ في الإيضاح والإعذار، ومع ذلك فقد أضافوا إليه بياناً خاصاً يُدرِك مُتأمِّله أن له بُعداً عَقَدياً أكثر من كونه تفصيلاً فقهياً.

ذلك أنهم -لشدة عنايتهم بمكان الطواف- قد نصُّوا على أن الطائف بـ الكعبة نفسها يجب أن يتحقق من أن طوافَه قد وقع و$جميع بدنه خارجاً عن جميع البيت#[2] بمعنى أن يكون طوافُه من وراء الحِجر -أو المقدار المعدود منه من البيت[3]- وراء شاذروان[4] الكعبة، فإن أخلّ بشيء من ذلك لم يصح طوافه؛ لأنه طاف في داخل الكعبة، وهو لم يؤمر أن يطوف إلا حولها[5].

نصّ على ذلك الإمام الشافعي[6]، والماوردي[7]، والبغوي[8]، و الشيرازي[9]، والغزالي[10]، والرافعي[11]، والرازي[12]، وغيرهم[13] رحمة الله على الجميع.

فإذا كان كل هذا التدقيق والتحديد في الموضع الذي شرع الله التطوُّف به، فكيف إذا طيف بموضع لم يأذن الله سبحانه بالطواف له أصلاً؟

(1) انظر بعضها -مجتمِعة- في: $جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة# (ص 379).
(2) مقتبس من كلام النووي : في المجموع (18/8).
(3) سُقتُ العبارة هكذا، لوجود خلاف بينهم في الحِجر، هل يُعدُ كله من البيت أو أذرع معدودة منه. انظر بيان ذلك في المجموع (8/31-32).
(4) قال الفيومي في المصباح المنير (ص 117): $بفتح الذال، من جدار البيت الحرام، وهو الذي تُرِك من عرض الأساس خارجاً، ويسمّى تأزيراً كالإزار للبيت#.
(5) لأهل العلم في الشاذروان قولان: أحدهما: المذكور هنا، والآخر: أنه لا يعدّ من البيت. انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (26/121).
(6) انظر: الأم (3/450-451 -تحقيق رفعت فوزي).
(7) انظر: الحاوي الكبير (4/149).
(8) انظر: التهذيب (3/258).
(9) انظر: المهذب (2/758-759).
(10) انظر: الإحياء (1/228).
(11) انظر: العزيز شرح الوجيز (3/393-394).
(12) انظر: تفسير الرازي (4/58).
(13) نص على الطواف من وراء الحِجر ابنُ خزيمة في صحيحه (4/224)، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الحج، باب موضع الطواف (5/144-146 –ط. دار الكتب العلمية).

ومن هنا فقد نص بعض العلماء على أن الكعبة لو انهدمت[1] فإن الطائفَ يطوف بعَرْصتها[2]، كما أوضح ذلك الرافعي[3]، والنووي[4]، وما إليه ابن حجر[5] رحمهم الله.

وذلك لأن الطواف إنما شرُع بهذا البيت، فلماّ تعذّر لهذا السبب العارض طِيفَ بمكانه الذي بوّأه الله لخليله ؛، كما قال الله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ الحج: ٢٦.

ولهذا فقد استحب بعضهم للأ ُفُقي[6] أن يستكثر من الطواف، وجعلوا استكثاره منه مُقدّماً على استكثاره من الصلاة، رغم كونها مُضاعَفَةً أضعافاً كثيرة لا تكون إلا في المسجد الحرام[7].

نص على ذلك الماوردي[8]، والرازي[9]، ومال الحليمي[10]، وقال ابن حجر العسقلاني: $وهو المعتمد#[11] أي: في المذهب الشافعي.

والسبب في هذا أن الأفقي لا يمكنه الطواف مطلقاً إلا في هذا الموضع المبارك، فإذا فارقه افتقد

(1) هُدمت الكعبة بعد النبي ح زمن ابن الزبير ط؛ ليقيمها على أساس إبراهيم ؛، كما ثبت ذلك في صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها (436/3 رقم 1586 -الفتح)، وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها (970/2 رقم 1333). وستُهدَم آخر الزمان على يد الحبشة كما ثبت في صحيح البخاري، كتاب الحج، باب قول الله تعالى ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬﭼ[المائدة: ٩٧] (454/3 رقم 1591 -الفتح)، وصحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت، من البلاء (2232/4 رقم 2909).

(2) قال في مختار الصحاح (ص 202): $العَرْصة بوزن الضَرْبة: كل بقعة بين الدُور واسعة ليس فيها بناء#.

(3) انظر: العزيز شرح الوجيز (395/3).

(4) انظر: المجموع (54/8).

(5) انظر: فتح الباري (486/3).

(6) نسبة إلى الأفق، وهو الرجل يكون من آفاق الأرض. انظر: مختار الصحاح (ص 32)، والمعجم الوسيط (ص21).

(7) انظر تفصيل الروايات في مسألة مضاعفة الصلاة في: فتح الباري (3/67-68).

(8) نقله عنه الشربيني في مغني المحتاج (714/1).

(9) انظر: تفسير الرازي (57/4).

(10) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (451/2).

(11) فتح الباري (486/3).

هذه العبادة بالكلية وفاته محلها[1]، كما كان عطاء : يجيب مَن سأله مِن غير أهل مكة إذ استفتوه $الطواف أفضل لنا أم الصلاة؟ فيقول: أما لكم فـ الطواف أفضل، إنكم لا تقدرون على الطواف بأرضكم، وأنتم تقدرون هناك على الصلاة#[2].

وبالجملة فإن العلماء بينوا أن الطواف مخصوص بالكعبة وحدها؛ لأنها هي الموضع الذي شرع الله التطوف به، إذ هي بيته الذي إذا طِيفَ به تحقّق أن الطائف مُتَذَلِّل لربه خاضع له وحده.

وبعد هذا المدخل ألج في بيت القصيد الذي هو الحديث عن شرك الطواف:

إن المدخل الذي مرّ ذكره يُوَضِّح لنا جلياً قُبحَ الطواف بغير ما شرع الله التَطوّف به؛ لأن الطواف -إذ كان بهذا الوصف- عبادةٌ من أخص العبادات التي لا يحل صرفها لأحد دون الله تعالى.

ولهذا فإن أم المؤمنين عائشة ك حين بلغها أن زياداً[3] إذا أهدى للكعبة أمسك عما يمسك عنه المُحرِم قالت ك: $هل كان له كعبة يطوف بها؟ فإنا لا نعلم أحداً تحرم عليه الثياب تحل له حتى يطوف بالكعبة#[4].

والشاهد من الخبر قولها: $هل كان له كعبة يطوف بها؟# فإن الطواف عند أهل الإسلام مرتبط بالكعبة؛ ولذلك قالت عائشة ك ما قالت، على سبيل ا لإنكار المتضمن لاستبعادها أن يكون في المسلمين أحد يطوف بغير بيت الله.

وذلك لأن الطواف ليس له موضع إلا المسجد الحرام، وقد مضى قريباً نقل كلام الأئمة في ذلك مما يغني عن إعادته هنا.

وقد نصّ غير واحد من العلماء على حرمة الطواف بقبر النبي ح، مع أن كلامهم العام في منع الطواف بغير ما شرع الله كافٍ عن التخصيص، بَيْدَ

---

(1) أنظر: هداية السالك (926/2).

(2) رواه عبد الرزاق في المصنف، بابٌ الطواف أفضل أم الصلاة (70/5 رقم 9027)، وروى : عن بعض السلف آثاراً في المسألة. وانظر أيضاً $مصنف ابن أبي شيبة#، باب في الطواف للغرباء أفضل أم الصلاة؟ (546/5-547)، حيث روى عن غير واحد من السلف تفضيلَ الطواف للغرباء على الصلاة. ومرادهم بالغرباء مَن يَفِد على مكة من غير أهلها.

(3) هو: زياد والي العراقين؛ البصرة والكوفة زمنَ معاوية ط، وقد نُسِب لأبي سفيان ط، فقيل: زياد بن أبي سفيان، وسمي بذلك في زمن بني أمية، أما بعدهم فما كان يسمى إلا زياد بن أبيه؛ لأن أباه هو عُبيد مولى الحرث بن كلدة الثقفي. راجع: فتح الباري (545/3). وانظر ترجمة زياد في السير (494/3-497).

(4) رواه البيهقي في السنن الكبرى (382/5 رقم 10189 –ط. دار الكتب العلمية)، وعزان ابن حجر في فتح الباري (546/3) لسعيد بن منصور، ولم أجده في المطبوع من سننه.

أن الحاجة للنص على هذه المسألة ألجأتهم إلى ذلك التنصيص.

ولذلك، فإن الحليمي : عندما قرّر أن التمسح بقبر النبي ح ممنوع منه بخلاف الكعبة[1]، بيّن أن ذلك المنع لا يُنكر كما أنه $يطاف بالكعبة ولا يطاف بالقبر#[2].

وهذا يفيد أن المنع من الطواف بالقبر أمر مستقرّ لا يُشكّ فيه؛ ولذا جعله بمنـزلة الأصل الذي يُستَبان به المنع من غيره، فكما أن الطواف خاص بالكعبة دون القبر بلا ريب؛ فكذلك التمسح[3].

ولما ذكر ابن الصلاح : في مَنْسَكه الجهالات والبدع التي تُفعَل في المسجد النبوي نبّه في هذا السياق إلى حرمة الطواف بقبر النبي ح فقال: $ولا يجوز أن يطاف بالقبر#[4].

وأورد كلامه هذا -على سبيل التقرير- أبو شامة : في بِدَع الحجيج[5].

وذكر السيوطي : في البدع التي ابتدعها الناس في مسجد النبي ح طوافهم بالقبر، وبيّن أن ذلك لا يحلّ[6].

وقال ابن الحاج : في بيان حرمة الطواف بقبر النبي ح وما يؤول إليه من عواقب وخيمة: $... فترى من لا علم عنده يطوف بالقبر الشريف كما يطوف بالكعبة الحرام، ويتمسح به، ويقبله، ويُلقُون عليه مناديلهم وثيابهم؛ يقصدون به التبرك، وذلك كله من البدع؛ لأن التبرك إنما يكون بالاتباع له عليه الصلاة والسلام، **وما كان سبب عبادة الجاهلية للأصنام إلا من هذا الباب**#[7].

وقد حكى عز الدين ابن جماعة : اتفاقَ العلماء على حرمة الطواف بقبر النبي ح وغيره فقال: $**لا يجوز أن يطاف بقبره ح ولا ببناءٍ غير الكعبة**

(1) والمقصود بالتمسح بالكعبة هنا: استلام الحجر الأسود والركن اليماني، أما التمسح بأركان الكعبة غير ما ذكر، أو بجدرانها، كما يفعله بعض الجهلة؛ فمن البدع المحدثة؛ إذ لم يثبت عن النبي ح إلا ما ذكرت.
(2) المنهاج في شعب الإيمان (457/2).
(3) ولهذا فهم النووي : من كلام الحليمي هذا أنه يقول بحرمة الطواف بالقبر، فقال -كما في المجموع (257/8)-: $لا يجوز أن يطاف بقبره ح ... قاله أبو عبد الله الحليمي وغيره#.
(4) نقله صاحب $الباعث على إنكار البدع والحوادث# (ص 90) عن $منسك ابن الصلاح#، وقد أشار إلى هذا الكتاب تلميذه ابن خلكان في $وفيات الأعيان# (244/3)، ولعله كتاب $صلة الناسك في صفة المناسك#، وهو مما ذكره الزركلي في $الأعلام# (208/4) ضمن مصنفات ابن الصلاح، وأشار إلى أنه مخطوط.
(5) الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص 91).
(6) انظر: الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع (ص 258).
(7) المدخل (189/1).

الشريفة بالاتفاق#[1].

ونظير ذلك ما ذكره النووي :، وقد سبق نقله في المطلب السابق[2].

كما حكى ذلك أيضاً ابن حجر الهيتمي : حيث قال: $لا يجوز أن يطاف بقبره ح كما نقله النووي عن أطباق العلماء، ويوجه بأنهم كما أجمعوا على تحريم الصلاة لقبره ح إعظاماً له، كذلك أجمعوا على تحريم الطواف بقبره؛ لأن الطواف بمنـزلة الصلاة#[3].

وإذا كان العلماء قد اتفقوا على حرمة الطواف حول قبر النبي ح وهو بقعة ضمت في أجداثها جثةَ أفضل بشر على وجه الأرض ح، فكيف بالأضرحة والأماكن الأخرى؟

وقد أنكر العلماء الطوافَ بأماكن غير القبر مما لم يشرع الله التطوف به، يقول ابن النحاس : أثناء كلامه عن منكرات الحجيج: $ومنها طوافهم بـ القبّة التي يُسمونها قُبّة آدم ؛، وهي بدعة شنيعة يجب إنكارها والمنع منها#[4].

ولما بيّن السيوطي : أن السفر إلى بيت المقدس لا خصوصية له في يوم عرفة على غيره، قال: $ثم فيه مضاهاة الحج إلى بيت الله الحرام وتشبيه به بالكعبة؛ ولهذا قد أفضى الأمر ببعض الضُّلا ّل للطواف بالصخرة تشبيهاً بالكعبة#[5].

فجعل هذا الطواف ضرباً من الضلال؛ لأن الطواف بغير ما شرع الله التطوف به صنيع الجاهلية الأولى، قال ابن عاشور :: $وقد كان أهل الجاهلية يطوفون حول أصنامهم كما يطوفون بالكعبة#[6].

وقد أخبر الصادق المصدوق ح أن هذا الصنيع المشين سيعود إلى هذه الأمة كما كان؛ عن أبي هريرة ط قال: قال رسول الله ح: $لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتّى تَضْطَرِبَ أَلْيَاتُ[7] نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى

(1) هداية السالك (1391/3).
(2) انظر (ص 720).
(3) الجوهر المنظم (ص 64) نقلا ً عن آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية (ص 209).
(4) تنبيه الغافلين (ص 468-469).
(5) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع (ص 183).
(6) تفسير التحرير والتنوير (241/17).
(7) قال القاضي عياض :: $أليات -بفتح الهمزة واللام- يعني: أعجازهن، جمع ألية#. إكمال المعلم (449/8).

ذِي الْخَلَصَةَ[1]#[2].

يقول أبو العباس القرطبي : في شرح حديث أبي هريرة ط السابق: $ومعنى هذا الحديث أن دوساً يظهر فيها الارتداد، ويرجعون إلى ما كانوا عليه من عبادة الأوثان، كما قال في حديث عائشة ك $لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزى#[3] ... وتضطرب: تتحرك عند الطواف بذلك الصنم#[4].

ويقول ابن الأثير : في بيان معنى الحديث: $أراد: لا تقوم الساعة حتى ترجع دوس عن الإسلام، فتطوف نساؤهم بذي الخلصة وتضطرب أعجازهن في طوافهن، كما كُنّ يفعلن في الجاهلية#[5].

فبيّنا -رحمهما اللّه- أن الطواف حول ذي الخلصة يُعدّ عبادة له؛ لذا فسر أبو العباس القرطبي : حديث أبي هريرة ط بحديث عائشة ك. وعبادة غير اللّه شرك أكبر، وهو ما عبّر عنه القرطبي بقوله: $أن دوساً يظهر فيها الا رتداد#، وابن الأثير بقوله $حتى ترجع دوس عن الإسلام#.

وبنحو ذلك قال البغوي[6]، والقاضي عياض[7]، والنووي[8]،

---

(1) ذو الخلصة: اسم لبيت من بيوت الشرك، أو اسم صنم، كان لدوس وخثعم وبجيلة ومن والاهم من العرب بتبالة إلى الجنوب من مكة مسيرة سبع ليال. ولا يزال مكان هذا البيت معروفاً إلى الآن في بلاد زهران (جنوب الطائف)، في مكان يقال له (ثروان) من بلاد دوس، ويقع ذو الخلصة قريباً من قرية تسمى (رَمَس). انظر: سيرة ابن هشام (86/1)، وكتاب الأصنام (ص 34)، ومعجم البلدان (384/2)، وفتح الباري (71/8)، وفي سَرَاة غامِدٍ وزَهْرَان للشيخ حمد الجاسر (ص 336-340).

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب تغير الزمان حتى يعبدوا الأوثان (76/13 رقم 7116 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة (2230/4 رقم 2906)، واللفظ للبخاري.

(3) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة (2230/4 رقم 2907).

(4) المفهم (244/7).

(5) النهاية في غريب الحديث (64/1)، وانظر: نفس المصدر (62/2).

(6) انظر: شرح السنة (90/15).

(7) انظر: إكمال المعلم (449/8).

(8) انظر: شرح صحيح مسلم (240/18).

والأ ُبِّي[1]، والسيوطي[2]، ومحمد المختار[3] -رحمهم الله-، وجعله ابن حجر : ضمن المعاني المحتملة له[4]، وأشار إلى هذا المعنى ابن بطال :[5]، إ لا أنه نبّه إلى أن ذلك لا يعني انقطاعَ الدين كلِه من الأرض، بل يضعف ويعود غريباً كما بدأ.

وبهذا، يتبيّن لنا جلياً أن الطواف بغير ما شرع الله التطوف به؛ من بناء، أو قبر، أو شجر، أو حجر، أو غيرها، قاصداً التقرب إلى ما تطوّف به؛ شرك أكبر؛ لأنه ضرب من صرف العبادة لغير الله تعالى؛ إذ أن الطواف من أظهر شيء على الخضوع والتذلل لما تُطوِّف به. والله تعالى أعلى وأعلم...

---

(1) انظر: إكمال إكمال المعلم (357/9). والأبي هو: محمد بن خلفة بن عمر الابي الوشتاني المالكي (ت 827 هـ)، عالم بالحديث، من أهل تونس، له إكمال إكمال المعلم، لفوائد كتاب مسلم، في شرح صحيح مسلم، جمع فيه بين المازري وعياض والقرطبي والنووي، مع زيادات من كلام شيخه ابن عرفة. انظر: شجرة النور الزكية (ص 244)، والأعلام (115/6).

(2) انظر: الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج (230/6).

(3) انظر: نور الحق الصبيح (443/10).

(4) انظر: فتح الباري (76/13)، وقد نبّه الحافظ إلى أن الحديث من الأدلة على وقوع الكفر.

(5) انظر: شرح صحيح البخاري (60/10).

المبحث الرابع: السحر

وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: معنى السحر وأنواعه
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف بممارسة السحر وإتيان السحرة
المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

المطلب الأول: معنى السحر وأنواعه

- معنى السحر لغة واصطلاحاً:

أصل الكلمة: السحر مشتق من أصل لغوي ثلاثي هو $سَحَرَ#[1].

تصريفها: السِّحْر على وزن $فِعْل#، مصدر سماعي للفعل الثلاثي $سَحَرَ-يَسْحَرُ#، والمصدر القياسي $سَحْر#، لأن فعله متعدي، وهو من باب $فَتَحَ-يَفْتَحُ#[2].

معناها لغة: من معاني كلمة السحر في اللغة:

1. كل ما لطف مأخذه ودقّ فهو سحرٌ فهو ضرب من الخداع.
2. وقيل هو عمل يُتَقرّب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه.
3. وقيل: السحر البيان في فطنة.
4. وأصل السحر: صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، فكأن الساحر لما رأى الباطل في صورة الحق، وخيّل الشيء على غير حقيقته، قد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه.
5. وسمّت العرب السحر سحراً لأنه يزيل الصحة إلى المرض[3].

معناه اصطلاحاً[4]: السحر ليس نوعاً واحداً يسهل حدّه بحدّ جامعٍ مانع، فلفظه في اللغة شمل أكثر من معنى، وأريد به في الاصطلاح أكثر من حالة، تبعاً لاختلاف المذاهب فيه بين الحقيقة والتخييل، وتبعاً لاختلاف أصحابه في طرقه بين أهل الأقطار.

وقد أشار إلى هذا الإمام الشافعي : بقوله: $والسحر جامع لمعان مختلفة#[5].

وكذا قال الشيخ الشنقيطي :: $اعلم أن السحر في الاصطلاح لا يمكن حدّه بحدّ جامع مانع؛ لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته، ولا يتحقق قدر مشترك بينها يكون جامعاً لها مانعاً لغيرها، ومن هنا اختلفت عبارات العلماء في حده اختلافاً متبايناً#[6].

وسأورد أشهر ما ذكر من التعريفات الاصطلاحية، مع الإشارة إلى ما تصْدُق عليه من الأنواع، فأقول:

---

(1) مقاييس اللغة (138/3)._

(2) ينظر تصريف الكلمة في: تصريف الأسماء (ص 51)، ومعجم تصريف الأفعال العربية (ص 170)._

(3) ينظر لهذه المعاني في: الصحاح (678/2-679)، ولسان العرب (189/6-192)._

(4) نقلا عن السحر بين الحقيقة والخيال، د. أحمد بن ناصر آل حمد (ص15-20) بتصرف واختصار._

(5) الأم (566/2 -تحقيق رفعت فوزي)._

(6) أضواء البيان (555/4)._

عرفه الجصاص : بأنه: $كل أمر خفي سببه، وتُخُيِّل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع#[1].

وقد تبِع الجصاصَ على هذا التعريف ابنُ حزم[2]، والفخر الرازي[3] رحمهما الله، وغيرهما[4]. وبنحو هذا التعريف عرّفه أبو عبد الله القرطبي[5]، والقاضي عبدالجبار[6]، والشوكاني[7] رحمهم الله.

وهذا التعريف يُدخل أموراً كثيرة في السحر، وإن لم تكن إلا بالمعنى اللغوي، كما أنه لا يصدق إلا فيما لا حقيقة له من أنواع السحر.

قال الإمام الشافعي :: $... وعندنا أصله [أي السحر] طلسم يبنى على تأثير خصائص الكواكب، كتأثير الشمس في زئبق[8] عصى فرعون، أو تعظيم الشياطين ليسهلوا له ما عَسُر#[9].

وبنحو هذا التعريف عرفه أبو الثناء الآلوسي[10]:.

إن هذا الحد يصور السحر بمعناه الدقيق من حيث الشرع -أي ما يصدق فيه الكفر- لا بمعناه المصطلح العام، الذي يدخل فيه أمور لا توصل إلى حد الكفر.

وعرفه ابن قدامة : بقوله: $عزائم ورُقى، وعُقد تؤثر في الأبدان و

---

(1) أحكام القرآن (51/1).
(2) انظر: الفصل (103/5)، والأصول والفروع (ص 243)، والمحلى (36/1) كلها لا بن حزم.
(3) انظر: تفسير الرازي (222/3). عرف الرازي السحر بهذا التعريف مع أنه يرى أن له حقيقة وأثراً. انظر: (230/3) من المصدر السابق.
(4) انظر: تفسير القرطبي (273/2)، وفتح الباري (222/10)، وتفسير التحرير و التنوير (630/1-631)._
(5) تفسير القرطبي (272/2).
(6) انظر: تن-زيه القرآن عن المطاعن (ص 28)، ومتشابه القرآن (101/1)، ومقالات ا لإسلاميين (129/2). والقاضي عبد الجبار هو: أبو الحسين عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني (ت 415 هـ). شيخ المعتزلة في عصره، ولي قضاء الري. من مصنفاته الكثيرة: تن-زيه القرآن عن المطاعن، وشرح الأصول الخمسة. انظر: تاريخ بغداد (113/11-115)، والرسالة المستطرفة (ص 160)، والأعلام (273/3).
(7) فتح القدير (117/1)._
(8) حجر الزئبق حجر منحل في تركيبه يكون في معدنه كما تكون سائر الأحجار وهو جنس من الفضة لولا آفات دخلت عليه في أصل تكوينه منها تخلخله وأنه شبيه بـ المفلوج، وله أيضاً صرير ورائحة ورعدة وهو يحمل أجسام الأحجار كلها إلا الذهب فإنه يغوص فيه. انظر: الجامع لمفردات الأدوية، لابن البيطار (487/1).
(9) تفسير القرطبي (274/2)._
(10) انظر: روح المعاني (338/1 –ط. المنيرية).

القلوب، فيُمرض، ويقتل، ويفرّق بين المرء وزوجه، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه#[1].

وعلى هذا التعريف السحر نوع واحد؛ هو ما له حقيقة وأثر. والحقيقة أنه نوعان: ما ذكر في التعريف، وما كان تخييلا ً ومخادعة، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وعرفه الشيخ العثيمين : فقال: $وأما في الشرع فإنه ينقسم إلى قسمين: الأول عُقد ورُقى، أي قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيما يريد لتضر المسحور ... الثاني: أدوية وعقاقير تؤثر على بدن المسحور وعقله وإرادته وميله، فتجده ينصرف ويميل ...#[2].

فقد ذكر الشيخ : أن السحر منه ما هو حقيقة وله أثر، ومنه ما هو تخييل وإيهام لا حقيقة له، وقد يحصل ذلك إما عن طريق الأدوية والعقاقير ، وإما عن طريق الجن؛ وعليه فالذي يظهر رجحانه هو تعريف الشيخ العثيمين :، وهناك تعريف آخر مختصر وجيّد:

$السحر: هو المخادعة، أو التأثير في عالم العناصر، بمقتضى القدرة المحدودة، بمُعين من الجن، أو بأدوية، إثر استعدادات لدى الساحر#[3].

- أنواع السحر:

السحر يطلق على أعمال كثيرة متنوعة في أشكالها وطرقها، منها ما كان معتبراً من الناحية الشرعية، ومنها ما ينطبق عليه مجرد الإطلاق اللغوي[4].

---

(1) الكافي (331/5)، وانظر: شرح منتهى الإرادات (394/3)، وتيسير العزيز الحميد (ص 313-314)، وفتح المجيد (ص 337).

(2) القول المفيد على كتاب التوحيد (489/1).

(3) السحر بين الحقيقة والخيال (ص20)_.

(4) انظر تلك الأنواع في: تفسير الرازي (223/3-230)، وعنه نقلها ابن كثير في تفسيره (367/1/1-371)، وعلق على مواضع من كلام الرازي بتعليقات مفيدة. وانظر هذه الأنواع أيضاً في فتح الباري (222/10-223)، والفروق للقرافي (242/4-240، وقد نقل ابن حجر بعضاً منها عن الراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن (ص 400-401). وقد حاول د. أحمد بن ناصر آل حمد انتقاء تلك الأ نواع المعتبرة من الناحية الشرعية لا بمجرد الإطلاق اللغوي في كتابه السحر بين الحقيقة والخيال (ص21-41)_.

ولكن من حيث الإجمال يمكن تصنيف تلك الأنواع إلى قسمين[1]:

الأول: ما هو حقيقة[2] وله أثر، مثل: العقد والرقى والنفث؛ أي أن ينفث الساحر في العقد برقى وتعازيم وتعويذات، يستخدم فيها الشياطين لتخدم هذه العقد التي فيها شيء من بدن المسحور، أو فيها شيء يتعلق بـ المسحور، حتى يكون ذلك مؤثراً فيه، فيضرّ المسحورَ حقيقة؛ يُمرض ويقتُل ، وكل ذلك بإذن الله؛ كما قال تعالى: ﭼﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅﭼالبقرة: ١٠٢.

فهذا النوع شرك، لأنه يكون بواسطة الشياطين، ولن يخدم الشيطان الساحر إلا إذا تقرب إليه بأنواع من العبادات.

الثاني: ما هو تخييل وإيهام لا حقيقة له، كأن يكون بأدوية وعقاقير تؤثر على بدن المسحور وعقله وإرادته وميله؛ فتجده ينصرف ويميل، ويتصور أشياء على خلاف ما هي عليه.

فهذا النوع كبيرة من كبائر الذنوب؛ إذا لم يصحبه استعانة بـ الشياطين[3]، أو عبادة

---

(1) هذا التقسيم مستنبَط ومؤلف من المراجع التالية: القول المفيد على كتاب التوحيد (1/489-490)، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص 297-298)، والسحر بين الحقيقة والخيال (ص 20)._

(2) السحر له حقيقة، وليس مجرد تخييل لا حقيقة له مطلقاً، وهذا هو قول أهل السنة والجماعة ومن وافقهم، وهو الحق الذي لامحيد عنه. انظر: تأويل مختلف الحديث (ص 342-357)، وتأويل مشكل القرآن (ص 115-116) كلاهما لابن قتيبة، والحجة في بيان المحجة (1/519-523)، وشرح السنة للبغوي (12/187)، وأعلام الحديث (2/1500-1504)، وشرح النووي على صحيح مسلم (14/396)، وبدائع الفوائد (2/746)، وفتح الباري (10/222)، وتيسير العزيز الحميد (ص 314)، وفتح القدير للشوكاني (1/117)، وأضواء البيان (4/555-568)._

والقول بذلك هو ما عليه عامة أهل العلم من أتباع المذاهب الفقهية، ولهذا أدخلوا جنايات السحرة في كتبهم، وبينو ما يترتب عليها من الأحكام. انظر: أعلام الحديث (2/1501)، والكافي في فقه أهل المدينة لابن عبد البر (2/1091)، وروضة الطالبين (7/198)، ومغني المحتاج (4/155)، والمبدع شرح المقنع لابن مفلح (9/190)، وللاستزادة: الجناية بالسحر حكمها وعقوبتها وطرق إثباتها وبعض تطبيقاتها في المحاكم الشرعية لعبد الرحمن الراشد (ص 39 وما بعدها).

ولم يخالف في ذلك إلا المعتزلة، وتبعهم عليه بعض أهل العلم كأبي جعفر الا سترابادي، وابن حزم وغيرهما._انظر: متشابه القرآن (1/101)، وتن-زيه القرآن عن المطاعن (ص 28-29) كلاهما للقاضي عبد الجبار، والكشاف (1/306)، والفصل (5/99-110)، والمحلى (1/36)، وفتح الباري (10/222)، وللاستزادة: السحر بين الحقيقة والخيال (ص 45-102)._

(3) سيأتي الكلام الموسّع عن هذا النمط من السحر في (ص 747 وما بعدها).

الكواكب[1]، أو استحلال السحر[2]، أو الاعتقاد بالقدرة على الخلق والإيجاد بواسطة السحر[3]، أو اعتقاد تأثير السحر مستقلا ً عن قدرة الله[4]، أو أمور أخرى مكفرة، وإن تضمن ذلك فهو كفر بلا شك.

يقول النووي : في تقسيم السحر إلى كفر ومعصية كبيرة: $قد يكون السحر كفراً، وقد لا يكون كفراً بل معصيته كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر كفر، وإلا فلا#[5].

وكذا قال الشيخ الشنقيطي :: $التحقيق في هذه المسألة هو التفصيل. فإن كان السحر مما يعظم فيه غير الله كالكواكب، والجن، وغير ذلك مما يؤدي إلى الكفر؛ فهو كفر بلا نزاع ... وإن كان السحر لا يقتضي الكفر كالاستعانة بخواص بعض الأشياء من دهانات وغيرها؛ فهو حرام حرمة شديدة ولكنه لا يبلغ بصاحبه الكفر#[6].

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير (371/1)، وتفسير الرازي (232/3)، العزيز شرح الوجيز (55-56/11)، وروضة الطالبين (198/7)، ومغني المحتاج (176/4)، والعقد الثمين (ص 138) عن جهود الشافعية (ص 510)._

(2) انظر: تفسير ابن كثير (371/1)، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص 297)، والحاوي الكبير (96/8)، والمهذب (216/5)، واللباب في الفقه الشافعي (ص 368)، ومغني المحتاج (394/5).

(3) انظر: التهذيب للبغوي (261/7)، وتفسير الرازي (232/3)، والإعلام بقواطع الإسلام (ص 98-99)._

(4) انظر: العزيز شرح الوجيز (55/11-56)، وروضة الطالبين (198/7)، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص 296)._

(5) شرح النووي على صحيح مسلم (398/14)._

(6) أضواء البيان (569/4)._

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف بممارسة السحر وإتيان السحرة

فمن أمثلة الانحرافات في هذا الباب ما يلي:
المثال الأول: تعاطي بعض الإندونيسيين لنوع السحر المسمى بـ Santet (سَنْتِيْتْ) أو Teluh (تِيْلُوْهْ)، أو Guna-guna (جُوْنَا-جُوْنَا) وهي أسامي لمسمى واحد هو: عبارة عن الإضرار بالشخص الذي طُلب من الساحر الإضرار به، ويستخدم الساحر -غالباً- دُمية كوسيلة لسحره، يتمتم الساحر ويشعل بخوراً ويطعن في الدُمية بإبر، فيحس المسحور بألم شديد في بطنه أو رأسه أو أي موضع من جسده؛ كأنه هو المطعون بتلك الإبر. وهذا النوع من السحر يكثر وجوده في مدينة Banyuwangi (بَنْيُوْوَنْجِي) بجَاوَا الشرقية، ومدينة Banten (بَنْتِيْنْ) بجَاوَا الغربية، ومدن أخرى. وبعض أصحاب هذا النوع من السحر يروجونه عبر المجلات الشركية[1].
المثال الثاني: تعاطي بعض الناس السحر المسمى بـ Pelet (فِيْلِيْتْ)، وهو ما يعبر عنه بالعربية بـ$العطف#، وهو: عبارة عن جلب محبة امرأة لزوجها أو لرجل أجنبي عنها أو العكس.
وهذا النوع من السحر يروجه أصحابه -كثيراً- عبر المجلات الشركية، ويسمونه بأسماء متنوعة، منها: Ajian puter giling sukma (آجِيَانْ فُوْتِيْرْ غِيْلِيْنْجْ سُوْكْمَا)[2]، أو Bulu perindu sejati (بُوْلُوْ فِيْرِيْنْدُوْ سِيْجَاتِيْ)[3]، أو Mustika duyung (مُوْسْتِيْكا دُوْيُوْنْجْ)[4]، أو Tranjau asmara setetes darah (تِرَنْجَوْ أسْمَرَا سِيْتِيْتِيْسْ دَرَهْ)[5]، أو Ajian arjuna telon (آجِيَانْ أَرْجُوْنَا تِيْلُوْنْ)، وAjian sumbandra ayu (آجِيَانْ سُوْمْبَنْدَرَا آيُوْ)[6]، أو Jaran goyang (جَرَنْ غُوْيَنْجْ)[7]، أو Mahabbah sedot katresnan

(1) انظر على سبيل المثال: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 387، تاريخ 20 ديسمبر 2005 - 4 يناير 2006 (ص 92).
(2) انظر: صفحة الغلاف الخلفي لمجلة Wahana Mistis (وَهَنَا مِيْسْتِيْسْ)، العدد 108، تاريخ 25 مايو-25 يونيو 2005 م.
(3) انظر: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 387، تاريخ 20 ديسمبر 2005-4 يناير 2006 م (ص 1).
(4) انظر: مجلة Wahana Mistis (وَهَنَا مِيْسْتِيْسْ)، العدد 108، تاريخ 25 مايو - 25 يونيو 2005 م (ص 12).
(5) انظر: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 387، تاريخ 20 ديسمبر 2005 - 4 يناير 2006 م (ص 3).
(6) انظر: مجلة Wahana Mistis (وَهَنَا مِيْسْتِيْسْ)، العدد 108، تاريخ 25 مايو - 25 يونيو 2005 م (ص 51)، ومجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 387، تاريخ 20 ديسمبر 2005 - 4 يناير 2006 م (ص 33).
(7) انظر: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 387، تاريخ 20 ديسمبر 2005-4 يناير

(محبة سِيْدُوْتْ كتْرِيْسْنَنْ)[1]، أو Bulu perindu sejati (بُوْلُوْ فِيْرِيْنْدُوْ سِيْجَتِي)[2]، أوKunci ghaib pemikat sukma (كُوْنْتْشِي غيب فِيْمِيْكتْ سُوْكْمَا)[3]، أو Mahabbah super sulaiman nur yusuf (محبة سُوْفِيْرْ سليمان نور يوسف)[4]، أو Tebar mahabbah (تِيْبَر محبة)[5]، أو Pelet asmara tunggal (فِيْلِيْتْ أسْمَرَا تُوْنْجَلْ)[6]، أو Pengasihan sukma putih (فِيْعَسِيْهَنْ سُوْكْمَا فُوْتِيْه)[7]، أو Pulut kasih asmara (فُوْلُوْتْ كسِيْهْ أسْمَرَا)[8]، أو Aji gendham asmoro (آجِيْ غِيْنْدَمْ أسْمُوْرُوْ)[9]، أو Asmara nawang wulan (أسْمَرَا نَوَنْجْ وُوْلَنْ)[10]، أو Pelet puter giling (فِيْلِيْتْ فُوْتِيْرْ غِيْلِيْنْجْ)[11]، أو Aji pemikat sukma sejati (آجِيْ فِيْمِيْكتْ سُوْكْمَا سِيْجَتِي)[12]، أو Tali sukma (تلِيْ سُوْكْمَا)[13]، أو Gendam asmaradhana (غِيْنْدَمْ أسْمَرَا دَنَا)[14]، أو Aji pelet ratu kidul (آجِيْ

2006 م (ص 1).ـ

(1) انظر: مجلة Wahana Mistis (وَهَنا مِيْسْتِيْس)، العدد 108، تاريخ 25 مايو - 25 يونيو 2005 م (ص 64).ـ

(2) انظر: مجلة Posmo (فُوْسْمُوْ)، العدد 328، تاريخ 3 أغسطس 2005 م (ص 48).ـ

(3) انظر: مجلة Wahana Mistis (وَهَنا مِيْسْتِيْس)، العدد 108، تاريخ 25 مايو - 25 يونيو 2005 م (ص 109).ـ

(4) انظر: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 387، تاريخ 20 ديسمبر 2005 - 4 يناير 2006 م (ص 27).ـ

(5) انظر: مجلة Wahana Mistis (وَهَنا مِيْسْتِيْس)، العدد 108، تاريخ 25 مايو - 25 يونيو 2005 م (ص 103).ـ

(6) انظر: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 387، تاريخ 20 ديسمبر 2005 - 4 يناير 2006 م (ص 40).ـ

(7) انظر: مجلة HAM (هَامْ)، العدد 10، أغسطس - سيبتمبير 2005 م (ص 15).ـ

(8) انظر: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 387، تاريخ 20 ديسمبر 2005 - 4 يناير 2006 م (ص49).ـ

(9) انظر: مجلة Posmo (فُوْسْمُوْ)، العدد 328، تاريخ 3 أغسطس 2005 م (ص 43).ـ

(10) انظر: مجلة HAM (هَامْ)، العدد 10، أغسطس - سيبتمبير 2005 م (ص 33).ـ

(11) انظر: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 387، تاريخ 20 ديسمبر 2005 - 4 يناير 2006 م (ص 58).ـ

(12) انظر: مجلة HAM (هَامْ)، العدد 10، أغسطس - سيبتمبير 2005 م (ص 43).ـ

(13) انظر: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 387، تاريخ 20 ديسمبر 2005 - 4 يناير 2006 م (ص95).ـ

(14) انظر: مجلة HAM (هَامْ)، العدد 10، أغسطس - سيبتمبير 2005 م (ص 64).ـ

فِيْلِيْتْ رَتُوْ كِيْدُوْلْ)[1]، أو Pelet asmara mata elang (فِيْلِيْتْ أَسْمَرَا مَتَا إِيْلَنْجْ)[2]، أو Ajian sasmita badranaya (آجِيَانْ سَسْمِيْتَا بَدْرَيَنَا)[3]، أو Ajian Mahabbah laela majnun (محبة ليلى مجنون)[4]، أو Ajian pengasihan tingkat tinggi (آجِيَانْ فِيْنْجَسِيْهَنْ تِيْنْجْكَتْ تِيْنْجِيْ)[5]، أو Pelet raja keling (فِيْلِيْتْ رَجَا كِيْلِيْنْجْ)، أو Pelet gendam sukma (فِيْلِيْتْ غِيْنْدَمْ سُوْكْمَا)[6]، أو Pelet (فِيْلِيْتْ)[7]، أو غير ذلك.

وللأسف أن كثيراً من أولئكم السحرة يتظاهرون بالمظهر الإسلامي في لباسهم، وفي أسمائهم، وفي ألقابهم -كأن يصدر اسمه بحاج أو حاجة-، وفي تسميتهم لأنواع السحر التي يعرضونها للناس، إلى غير ذلك من التلبيسات التي يروجون بها على جهلة العوام والسذّج من الناس.

المثال الثالث: تعاطي بعض الناس سحر الصرف، وهو: التفريق بين امرأة وزوجها أو امرأة ورجل أجنبي عنها قد أحبته أو العكس، ويروج أصحاب هذا النوع من السِّحر سحرَهم عبر المجلات الشركية، ثم يسمونه بأسماء متنوعه، منها: Gunting cinta (كُوْنْتِيْنْجْ تشِيْنْتَا)[8]، أو Pedotshih (فِيْدُوْتسِيْه)[9]، أو Aji pemisah sukma (آجِيْ فِيْمِيْسَهْ سُوْكْمَا)[10]، أو Aji pemisah jiwa (آجِيْ فِيْمِيْسَهْ جِيْوَا)[11]، أو Pedhot gandrung (فِيْدُوْتْ

(1) انظر: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 387، تاريخ 20 ديسمبر 2005-4 يناير 2006 م (ص 97).

(2) انظر: مجلة HAM (هَامْ)، العدد 10، أغسطس - سيبتمبير 2005 م (ص 64).

(3) انظر: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 387، تاريخ 20 ديسمبر 2005 - 4 يناير 2006 م (ص 106).

(4) انظر: مجلة HAM (هَامْ)، العدد 10، أغسطس - سيبتمبير 2005 م (ص 89).

(5) انظر: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 387، تاريخ 20 ديسمبر 2005 - 4 يناير 2006 م (ص 122).

(6) انظر: صفحة الغلاف الخلفي لمجلة HAM (هَامْ)، العدد 10، أغسطس - سيبتمبير 2005 م.

(7) انظر: مجلة Wahana Mistis (وَهَنَا مِيْسْتِيْس)، العدد 108، تاريخ 25 مايو - 25 يونيو 2005 م (ص 24، 32، 36)، ومجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 387، تاريخ 20 ديسمبر 2005 - 4 يناير 2006 م (ص 32، 129).

(8) انظر: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 387، تاريخ 20 ديسمبر 2005 - 4 يناير 2006 م (ص 95).

(9) انظر: مجلة HAM (هَامْ)، العدد 10، أغسطس - سيبتمبير 2005 م (ص 64).

(10) انظر: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 387، تاريخ 20 ديسمبر 2005 - 4 يناير 2006 م (ص 97).

(11) انظر: مجلة HAM (هَامْ)، العدد 10، أغسطس - سيبتمبير 2005 م (ص 6).

كنْدَرُوْنْجْ)[1]، أو نحوها.

المثال الرابع: تعاطي بعض الناس السحر من نوع حبس الرجل عن مجامعة النساء، ويسمونه بأسماء منها: Mustika birowo (مُوْسْتِيْكا بِيْرُوْوُوْ)[2]، أو Mustika lingga yoni (مُوْسْتِيْكا لِيْنْجَا يُوْنِي)[3]، أو غير ذلك.

المثال الخامس: تعاطي بعض الناس لما يسمى بـ Debus (دِيْبُوْسْ) وهو عبارة عن مشاهدات يعقدها الممارسون لهذا العمل في بعض المناسبات، يظهرون للمشاهدين -بعد ما يتمتمون ويشعلون البخور- عدم تأثر أجسامهم بضربات السيف، أو حرق النار، ويأكلون الزجاج والأمواس والأشياء الحادة، ويشربون الزئبق، ويجرون السيارات بأسنانهم، ويفعلون أشياء أخرى خارقة.

ويسمى هذا النوع من السحر عند سكان مدينة Banyumas (بَنْيُوْمَسْ) وما حولها بـ Ebeg (إِيْبِيْجْ)، وعند سكان جاوى الغربية بـ Kuda lumping (كُوْدَا لُوْمْفِيْنْجْ) وعند سكان Maluku tengah (م لَ ُو كْ ُو ْ الوسطى) بـ Caka lele (تشَاكا لِيْلِي).

المثال السادس: تعاطي كثير من مسلمي إندونيسيا ما يسمى بـ Ilmu tenaga dalam (علم القوة الباطنية)، وهو عبارة عن تدريبات وحركات وقراءات يحصل بها المرء على طاقة مذهلة فوق طاقات جنس البشر، ومن ذلك: تحصّن جسده بحيث لا تؤثر فيه أي ضربة سواء كانت بـ السيف أو بالمسدس أو غيرهما، ويكون عنده قدرة على إطاحة العدو من غير أن يمس جسده، وقدرة على إطفاء نار الشمعة بمجرد النظر إليها من مسافة بعيدة، وقدرة على إيقاف السيارة بمجرد طرفة عين[4]، وأشياء أخرى غريبة.

ومن شدة تلبس أمر هذا الشيء وصبغ كثير من أصحابه له بصبغة إسلامية؛ فقد وقع فيه -وللأسف- كثير من المسلمين. وسأبين في المطلب القادم أن هذا الشيء لا يعدو أن يكون سحراً واستعانة بالشياطين، بشهادات من كبار متعاطيه التائبين منه.

وهذا النوع من السحر له مسمياته منها: Reiki (رَايِيْكِي)، وPrana (فْرَانَا)، وBioenergi (بِيُوْ إِيْنِيْرْجِي)، وChikung (تشِيْكُوْنْجْ)، وYoga

---

(1) انظر: المرجع السابق (ص 15).
(2) انظر: مجلة Wahana Mistis (وَهَنَا مِيْسْتِيْسْ)، العدد 108، تاريخ 25 مايو - 25 يونيو 2005 م (ص 12).
(3) انظر: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِي)، العدد 387، تاريخ 20 ديسمبر 2005 - 4 يناير 2006 م (ص50).
(4) انظر: مجلة Ghoib (غَيْبْ)، العدد 65، السنة الرابعة، تاريخ 4 جمادى الأولى 1427 هـ / 1 يونيو 2006 م (ص 8-9).

(يُوْجَا)، وFalungong (فَلُوْنْجُوْنْجْ)[1]، وغيرها.

وهذا النوع من السحر له مدارسه الكثيرة والمتنوعة في جميع أنحاء إندونيسيا، ولا أبالغ إن قلت أنه لا يخلو مدينة من مدن إندونيسيا إلا وفيها مدرسة أو مدارس لتعليم هذا النوع من السحر! بل بعض المعاهد الإسلامية تدرس طلابها هذا الأمر! ويسمونه $علم الحكمة#.

المثال السابع: تعاطي بعض المسلمين السحر من نوع Hipnotis (هِيْبْنُوْتِيْسْ) وهو المسمى بالمصطلح الحديث: $التنويم المغناطيسي#. ومن شدة انتشار هذا النوع وخفاء حقيقة أمره على المسلمين: فإن أصحابه يقيمون دورات وتدريبات لتعليمه للناس علناً، ويروجونها عبر المجلات الشركية[2]، ووسائل أخرى.

ويسمى أيضاً هذا النوع من السحر بـ Gendam (جِيْنْدَمْ)[3].

هذه أمثلة لتعاطي الإندونيسيين للسحر، أما انحرافات مسلمي إندونيسيا بالإتيان للسحرة فلا تقل عن أختها، فقد كان كثير منهم يأتون للسحرة لأغراض شتى منها: الإضرار بالشخص الذي يبغضونه، أو طلب العطف أو الصرف، أو ابتغاء منصب عال في العمل، أو طلب ولد، أو أغراض أخرى متنوعة.

ومما يوضّح جلياً كثرة المرتادين للسحرة: ما اعترف به أحد السحرة التائبين: مِن أن عدد الذين يأتون إليه في بعض الأحيان يبلغ الآلاف[4] بل اعترف أحد المرتادين للسحرة التائبين -من شدة تعلقه بالسحرة- أنه خلال ثماني سنوات قد تردد على أكثر من مائة ساحر لعلاج سحر أصابه![5]

---

(1) انظر: Membongkar Kesesatan Praktek Sihir pada Reiki Tenaga Dalam dan Ilmu Kesaktian (الكشف عن ضلالات العملية السحرية في راييكي، والقوة الباطنية وعلم ما فوق الطبيعة)، (ص 33-34). وممن صرّح بأن Reiki (رايكي) قد يكون ضرباً من ضروب السحر: أحد كبار المتصوفة الإندونيسيين: محمد لقمان حكيم، كما في ركن خاص له لاستقبال الأسئلة حول التصوف والمتصوفة، في جريدة Posmo (فُوْسْمُوْ) العدد 384 تاريخ 6 سبتمبر 2005 م (ص 9)

(2) انظر على سبيل المثال: مجلة Posmo (فُوْسْمُوْ)، العدد 328، تاريخ 3 أغسطس 2005 م (ص 19)._

(3) انظر: Membongkar Kesesatan Praktek Sihir pada Reiki Tenaga Dalam dan Ilmu Kesaktian (الكشف عن ضلالات العملية السحرية في راييكي، والقوة الباطنية وعلم ما فوق الطبيعة)، (ص 42)، ومجلة Posmo (فُوْسْمُوْ) العدد 391، تاريخ 1 نوفمبر 2006 (ص 5-7)._

(4) انظر: مجلة Ghoib (غَيْبْ)، عدد خاص بعنوان Dukun-dukun Bertaubat (توبة المشعوذين) (ص 20).

(5) انظر: مجلة Ghoib (غَيْبْ)، العدد 58، 22 محرم 1427 / 23 فبراير 2006 (ص 9-10).

ويدفعون مبالغ من المال في مقابل الخدمة التي يبتغونها، وتختلف نسبة تلك المبالغ بحسب شهرة الساحر من عدمها، وبحسب نوعية الخدمة المطلوبة، فإذا كان الساحر ذا شهرة عالية، والمطلوب أمراً صعباً، قد تبلغ رسوم السحر عشرات الملايين بالروبية!

ومما يزيد انتشار السحر بين أوساط الإندونيسيين: انتشارُ الأفلام السحرية في البرامج التليفزيونية أو الدور السينمائية.

ومن تلك الأفلام: فيلم Aladin (علاء الدين)، وهو فيلم يحكي عن رجل له جرّة عجيبة؛ بحيث إذا مسحها وتمتم عليها يخرج منها جني يساعده في كل ما يريده!

ومن أحدث تلك الأفلام: أفلام Herry Pooter (هـ ـيِـ ـرِي ـفُـ ـو ـتِـ ـيِـ ـرْ). وهي عبارة عن قصة شاب اسمه هيري فوتير، والذي درس في مدرسة السحرة حتى أصبح ساحراً عبقرياً يفوق غيره من السحرة الكبار. فهذه الأفلام -بلا شك- تطبع في أذهان الناس جواز تعلم السحر وتعليمه؛ وبالتالي يعدّون السحر أمراً عادياً لا يحتاج إلى إنكار.

كما أن لبعض الكتب والمجلات دورها الكبير في نشر السحر، ومن ذلك ما تحويه مجلة الأطفال Bobo (بُـ ـوْ ـبُـ ـوْ) -في آخر صفحة من كل عدد لها- مِن إيراد قصة مصـ ـوَّرية تحكي عن شابة اسمها Nirmala (نِيْرْمَالا)، وهذه الشابة عندها عصا صغيرة، بمجرد أن تشير بها وتتمتم بـ Abrakadabra (أَ ـبْـ ـرَ ـكَا ـدَا ـبْـ ـرَا) سيكون أمامها كل ما تريده، وهذا ضرب من السحر. وتساعد نيرمالا -بالقدرة التي لديها- ذوي الحاجات من الناس.

وبلغ من تأثير مثل هذه الأفلام والقصص أن الأطفال يردّدون كثيراً من عباراتهم، بشكل يجعلهم يقبلون على تعلم السحر وممارسته، أو على الأقل أن يحبّوا الساحر الذي بالغوا في تصوير طيبته لهم. وإلى الله المشتكى...

المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

حكم السحر:

السحر حرام بلا خلاف بين أهل العلم[1]، جمهورهم يراه مكفراً مطلقاً[2]، وبعضهم ذهب إلى أن أنواعاً منه كبيرة[3]، ونصوص الكتاب و السنة صريحة في حرمته، وبعضها دال على كفريته.

قال لأ: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠﭼالبقرة: ١٠٢.

دلت الآية الكريمة على كفر الساحر من أوجه، منها:

- نفي الكفر عن نبي اللّه سليمان ؛ في معرض اتهامه بالسحر في قوله ﭽ ﭙ ﭚ ﭛﭼ، إذ لو كان ساحراً -وحاشاه- لكان كافراً[4].

- التصريح بكفر الشيطان منوطاً بتعليمهم السحر للناس.

يقول أبو عبد اللّه القرطبي : في تفسير قوله تعالى: ﭽ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟﭼ: $فأثبت كفرهم بتعليم السحر#[5].

ويقول الحافظ ابن حجر :: $ظاهرها أنهم كفروا بذلك، ولا يكفر بتعليم الشيء إلا وذلك الشيء كفر#[6].

ومن الأدلة: قوله تعالى: ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷﭼ البقرة: ١٠٢.

---

(1) انظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص 297)، والمغني (301-300/12)، وشرح منتهى الإرادات (394/3)، وشرح النووي على صحيح مسلم (398/14)، والفتاوى الكبرى (61/1)، ومجموع الفتاوى (171/35) كلاهما لابن تيمية، وحاشية ابن عابدين (240/4).

(2) انظر: أحكام القرآن للجصاص (63-61/1)، وأحكام القرآن لابن العربي (48/1)، وتفسير الرازي (232/3)، والكافي لابن قدامة (333/5)، تفسير القرطبي (278/2)، وشرح النووي على صحيح مسلم (398/14)، وتفسير ابن كثير (371/1)، وفتح الباري (224/10)، وشرح منتهى الإرادات (394/3)، والخرشي على سيدي خليل (63/8)، وحاشية ابن عابدين (240/4)، والتعليقات الرضية على الروضة الندية (334-333/3)، وأضواء البيان (568/4).

(3) شرح النووي على صحيح مسلم (398/14)، وفتح الباري (224/10).

(4) انظر: أضواء البيان (552/4).

(5) تفسير القرطبي (271/2).

(6) فتح الباري (225/10).

صرّحت الآية الكريمة على تحذير الملكين طالبَ تعلم السحر بأنه كفر[1].

قال ابن جريج : في معنى الآية: $أخذ الميثاق عليهما أن لا يعلما أحداً حتى يقولا: ﭽﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅﭼ، لا يجترئ على السحر إلا كافر#[2].

وقال البغوي :: $ﭽﮄ ﮅﭼ أي لا تتعلم السحر فتعمل به فتكفر#[3].

وقال ابن حجر :: $فيه إشارة إلى أن تعلم السحر كفر، فيكون العمل به كفراً#[4].

ومن الأدلة: قوله تعالى: ﭽﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ النساء: ٥١-52.

فسّر جمع من السلف $الجبت# المذكور في الآية بـ$السحر# أو $الساحر#، وممن فسر كذلك: عمر بن الخطاب ط[5]، والشعبي[6]، وأبو العالية[7]، ومجاهد[8]، وسعيد بن جبير[9] رحمهم الله تعالى.

كما فسّر جمع منهم $الطاغوت# المذكور فيها بذلك أيضاً، ومن هؤلاء: الشعبي[10]، وأبو العالية[11]، ومحمد بن سيرين[12] رحمة الله على الجميع.

ووجه الدلالة من الآية: أن الله تعالى ذم أهل الكتاب ولعنهم وغضب عليهم لما آمنوا بالسحر وكثُر استعماله فيهم؛ فهذا يفيد أنه من المحرمات ومن الكبائر، وإذا كان فيه إشراك بالله لأ فظاهر ٌ

(1) انظر: أضواء البيان (552/4).
(2) تفسير الطبري (356/2).
(3) تفسير البغوي (131/1).
(4) فتح الباري (225/10).
(5) انظر: تفسير الطبري (135/7).
(6) انظر: تفسير الطبري (136/7)، وتفسير ابن أبي حاتم (974/3 رقم 5443).
(7) انظر: تفسير الطبري (137/7).
(8) انظر: المصدر السابق (136/7).
(9) انظر: المصر السابق (137/7).
(10) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (976/3 رقم 5453).
(11) انظر: تفسير الطبري (137/7، 557/4).
(12) انظر: المصدر السابق (557/4).

أنه شرك بالله لأ[1].

أما الأدلة من السنة النبوية، فمنها:

عن أبي هريرة ط عن النبي ح قال: $اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ#[2].

والحديث ظاهر في بيان تحريم السحر؛ لأن النبي ح عدّه من الموبقات، أي المهلكات[3]، فهي $تهلك فاعلـ ـها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات، وفي الآخرة من العذاب#[4].

عقوبة الساحر:

لشدة ضرر السحرة على المجتمع؛ -إذ هم يفسدون على المسحور أمر دينه ودنياه، ويلحقون به الضيق والقلق والمرض، بل ويقتلونه، ويفرقون بين المرء وزوجه، ويسحرون امرأة ليبغى بها-، ولسعيهم في الأرض فساداً؛ كان حدهم ضرباً بالسيف.

عن جندب بن عبد الله البجلي ط مرفوعاً: $حد الساحر ضربة بـ ـالسيف#[5].

وعن بَجَالة بن عَبَدة[6] قال: أتانا كتاب عمر ط وفيه: $أن اقتلوا كل ساحر وساحرة#[7].

وقد صح عن جمع من أصحاب الرسول ح الأمر بقتل السحرة أو مباشرتهم بذلك؛ منهم:

---

(1) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص 301).

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب قوله تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ [النساء: ١٠] (393/5 رقم 2766 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها (92/1 رقم 89)، واللفظ للبخاري.

(3) انظر: النهاية في غريب الحديث (146/5)، وشرح النووي على صحيح مسلم (398/14).

(4) تيسير العزيز الحميد (ص 318).

(5) رواه الترمذي في سننه، كتاب الحدود، باب ما جاء في حد الساحر (ص 346 رقم 1460)، وصحح الحاكم إسناده في المستدرك (360/4)، ورجح الترمذي وقفه، وكذا الذهبي في كتاب الكبائر (ص 46).

(6) هو: بجالة بن عبدة التميمي العنبري البصري، ثقة. انظر: التقريب (رقم 640).

(7) رواه أحمد في مسنده (196/3 رقم 1657)، وصححه ابن حزم في المحلى (396-397/11). وذكر محققوا المسند أن سنده صحيح على شرط البخاري.

عمر بن الخطاب ط[1]، وجندب الخير[2] ط[3]، وحفصة ك [4]، وقيس بن سعد ط[5].

حتى قال ابن قدامة : -بعد أن ساق أثر عمر ط في ذلك-: $وهذا اشتهر فلم ينكر، فكان إجماعاً#[6].

فإذا ثبتت جريمة السحر على شخص ما[7]؛ فالواجب على ولاة أمور المسلمين -وليس أفراد الرعية- القيامُ بقتله؛ دفعاً لضرره وفظاعة أمره، وصيانة للمجتمع من شره.

بيان أن السحرة يستعينون بالشياطين ويعبدون غيرَ الله تعالى:

إن الساحر كثيراً ما يأتي بأمور غريبة عجيبة ليست في مقدور جنس البشر؛ كالطيران في الهواء، والانتقال من مكان إلى مكان بسرعة هائلة، و المشي على الماء، والتولج في ثقبة الحائط، والانتصاب على رأس قصبة، و المشي على السيوف المشهورة، والجري على خيط مستدق، والإتيان بأخبار شخص بعيد أو غائب، كما أن الساحر يقتل بسحره، ويمرض، ويفرق بين المرء وزوجه[8]، وإحياء الموتى[9] -بزعمهم-، ونحو ذلك؛ وهذا كله لا يفعله

(1) رواه أحمد في مسنده (196/3 رقم 1657)، وصححه ابن حزم في المحلى (396-397/11). وذكر محققوا المسند أن سنده صحيح على شرط البخاري. ورواه عبد الرزاق في مصنفه (184/10 رقم 18756).

(2) هو: جندب الخير الأزدي أبو عبد الله، يقال: ابن كعب، ويقال: ابن زهير، مختلف في صحبته. انظر: التقريب (رقم 984).

(3) رواه البخاري في التاريخ الكبير (222/2 رقم 2268)، والبيهقي في السنن الكبرى (136/8)، وصححه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد (ص 47).

(4) رواه عبد الرزاق في مصنفه (180/10-181 رقم 18747)، والبيهقي في السنن الكبرى (136/8)، وصححه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد (ص 46). وقد ورد في القصة أن عثمان ط أنكر على حفصة فعلها هذا، ففي توجيه ذلك الإنكار يقول الجصاص :: $وكان عثمان إنما أنكر ذلك لأنها قتلت بغير إذنه#. أحكام القرآن (61/1)، وانظر: المنتقى شرح موطأ مالك للباجي (117/7).

(5) رواه عبد الرزاق في مصنفه (183/10 رقم 18751).

(6) المغني (303/12).

(7) طرق إثبات جريمة السحر ثلاثة: إقرار الساحر بها، الشهادة عليه بها، الاستفاضة و القرائن. للتوسع راجع: $الجناية بالسحر، حكمها، وعقوبتها، وطرق إثباتها# (ص 61-76)، و$الصواعق المرسلة في التصدي للمشعوذين والسحرة# لأبي البراء أسامة بن ياسين المعاني (ص 326-345).

(8) انظر: أحكام القرآن للجصاص (64/1)، والإرشاد للجويني (ص 321 وما بعدها)، وتفسير الرازي (230/3)، وتفسير القرطبي (277/2).

(9) انظر على سبيل المثال: جريدة Posmo (فُوْسْمُوْ) العدد 283، تاريخ 15 سمتمبر 2004 (ص 40).

الساحر إلا بالاستعانة بالشياطين ومردة الجن.

$قيل لأبي يزيد[1] :: فلان يقال إنه يمر في ليلة إلى مكة، فقال: الشيطان يمر في لحظة من المشرق إلى المغرب وهو في لعنة الله، وقيل له: إن فلاناً يمشي على الماء، فقال: الحيتان في الماء والطير في الهواء أعجب من ذلك ... [وقال:] لو أن رجلا ً بسط مصلاه على الماء، وتربع في الهواء فلا تغتروا به، حتى تنظروا كيف تجدونه في الأمر والنهي#[2].

فقرَن أبو يزيد : فعلَ هؤلاء بفعل الشيطان؛ فدلّ على أن ذلك لا يتم إ لا بمعونة الشيطان، إلا أن يكون كرامة لهم، وحال صاحبها هي الدليل على نوع ما يحدث له؛ فإن كان ملتزماً بالشرع فتلك كرامة من الله تعالى -كما أشار إلى ذلك أبو يزيد في آخر كلامه-، وإن كان قليل التمسك بالدين فتلك أفعال الشياطين، يعملون له ما يشاء من مقدوراتهم.

ويقول شيخ الإسلام :: $وأمّا السحر والكهانة: فهو من إعانة الشياطين لبني آدم، فإنّ الكاهن يُخبِره الجن، وكذلك الساحر إنما يقتل، ويُمرِض، ويَصْعَدُ في الهواء، ونحو ذلك، بإعانة الشياطين له؛ فأمورهم خارجة عما اعتاده الإنس بإعانة الشياطين لهم، قال تعالى: ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ الأنعام: ١٢٨؛ فالجن والإنس قد استمتع بعضهم ببعض، فاستخدم هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء في أمور كثيرة، كلّ منهم فعل للآخر ما هو غرضه، ليعينه على غرضِهِ. والسحر والكهانة من هذا الباب#[3].

والشياطين لن يعينوا الساحر على فعل العجائب، إلا بخضوعه لهم ب الطاعات، وتقديم القربات، وإتيان المنهيات، ومخالفة أوامر الشرع.

يقول شيخ الإسلام : في بيان كون بعض أفعال السحرة تسديداً وتوثيقاً لعقد الشيطان: $والجن فيهم الكافر والفاسق والمخطئ، فإن كان الإ نسي كافرا ً أو فاسقا ً أو جاهلا ً دخلوا معه في الكفر والفسوق والض لال، وقد يعاونونه إذا وافقهم على ما يختارونه من الكفر؛ مثل الإقسام عليهم بأسماء من يعظمونه من الجن وغيرهم، ومثل أن يكتب أسماء الله أو بعض كلامه بالنجاسة، أو يقلب فاتحة الكتاب، أو سورة الإخلاص، أو آية الكرسي، أو غيرهن ويكتبهن بنجاسة فيغورون له الماء وينقلونه بسبب ما يرضيهم به من الكفر. وقد يأتونه بما يهواه من امرأة، أو صبي، إما في الهواء وإما مدفوعا ً ملجأ إليه، إلى أمثال هذه الأمور التي يطول وصفها. والإيمان بها إيمان بالجبت والطاغوت#[4].

---

(1) هو: أبو يزيد البسطامي، وقد مرت ترجمته في (ص 111).
(2) اللمع لأبي نصر الطوسي (ص 400).
(3) كتاب النبوات (2/830-831).
(4) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص 331-332).

$مِن السحرة مَن يرتدي المصحف في قدميه يدخل به الخلاء، ومنهم من يكتب آيات من القرآن بالقذارة، ومنهم من يكتبها بدم الحيض، ومنهم من يكتب آيات من القرآن على أسفل قديمه، ومنهم من يكتب الفاتحة معكوسة، ومنهم من يصلي بدون وضوء، ومنهم من يظل جنباً، ومنهم من يذبح للشيطان فلا يذكر اسم الله عند الذبح ويرمي الذبيحة في مكان يحدده له الشيطان، ومنهم من يخاطب الكواكب ويسجد لها من دون الله، ومنهم من يأتي أمه أو ابنته، ومنهم من يكتب (طلسما) بألفاظ غير عربية تحمل معانيَ كفرية#[1].

$وكلما كان الساحر أكفر وأخبث وأشد معاداة لله ولرسوله ح ولعباده المؤمنين؛ كان سحره أقوى وأنفذ، وكان سحر عباد الأصنام أقوى من سحر أهل الكتاب، وسحر اليهود والنصارى أقوى من سحر المتسببين إلى الإسلام #[2].

وقد اعترف عددٌ من التائبين من عمل السحر ببعض الشركيات التي كانوا يزاولونها أيام ممارستهم للأعمال السحرية، ومن تلكم الاعترافات:

- اعتراف أحدهم أنه كان يقرأ هذه التعازيم: $يا الله، يا عبد الجبار، يا هو سر الله، يا هو صفة الله، يا هو ذات الله، يا هو فقرة الله، يا هو وجود الله، يا هو برحمة الله#[3]. وهذه الكلمات الشركُ فيها ظاهر؛ إذ الساحر يستغيث بغير الله. أما ذكر لفظ الجلالة فيها، يبدو أنه لا يعدو أن يكون تلبيساً على عوام الناس، كما هو شأن أهل الباطل الذين يروجون باطلهم بخلطه بشيء من الحق.
- كما اعترف الشخص نفسه أنه كان يتلو العزيمة المسماة Mantra Bolosewu (مَنْتَرَا بُوْلُوْ سِيْوُوْ) وهي: $بسم الله الرحمن الرحيم، يا إجمالي، يا رحمتي، يا الله، يا أعبد، يا رحيمي، يا حق اليقين#[4]. وشأن هذه الكلمات شأن سابقتها في الضلال والإضلال.
- واعترف هو أيضاً أنه كان يدعي أن وسط العالم تحت تدبيره[5]. وهذا شرك صريح ومضاهاة لرب الأرض والسماوات.
- وأنه كان يدعو المخلوقات الغائبة -أي الجن- للدخول في جسده، وفعلا ً أن عدداً من الجن قد مكث في جسده، ولم يتبين له ذلك إلا بعد

(1) الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار، لوحيد عبد السلام بالي (ص 17-18).
(2) التفسير القيم (ص 581).
(3) مجلة Ghoib (غَيْبْ)، عدد خاص بعنوان Dukun-dukun Bertaubat (توبة المشعوذين) (ص 11).
(4) نفس المرجع (ص 12).
(5) انظر: مجلة Ghoib (غَيْبْ)، عدد خاص بعنوان Dukun-dukun Bertaubat (توبة المشعوذين) (ص 12).

أن رقاه بعض طلبة العلم[1].

- واعترفت ساحرة أنها كانت تقول الكلمات الآتية: $بقوة الهواء، و السماء، والأرض، والبحر، أنادي تلك القوى بخلق الرب، وباسم محمد العظيم، وبمعونة الإبليس أجمعين#[2].
- وحَكَتْ أن في إحدى الطقوس التي أقيمت من أجل الحصول على الخوارق، كانت تسمي الله فتقول سراً $بسم الله#، ففَشِلت، ثم أوصاها معلمها في السحر -وهو جدها- أن لا تسمي الله أثناء الطقوس حتى لا يبتعد عنهم الجن![3] ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ!
- واعترفت أنها كانت عندما تعالج مجنوناً تذهب به إلى شاطئ البحر، ثم تجلس وتنادي: $بقوة الرب الأحد الذي خلق السماوات والأرض وما فيهن، أنادي ملكة البحر الجنوبي، أستعين بها وأستهديها للحق الذي لا أعلمه#[4]. فاستعانت بالشيطان التي سمته ملكة البحر الجنوبي.
- كما أنها كانت تقدم القرابين لملكة البحر الجنوبي؛ Nyi Roro Kidul (إِنْجَائِي رَارَا كِيْدُوْلْ)[5]؛ أي ملكة البحر الجنوبي.
- كما أنها أصبحت لا تصوم رمضان؛ فكلما أرادت أن تنوي نافلة الصوم أو واجبه منعها الجني الذي مكث في جسدها وخنقها، بخلاف إذا ما أرادت أن تصوم الصيام البدعي، فإنها تصومه بدون أي عقبات[6].
- واعترفت أن الشياطين منعوها من أداء الصلوات[7].
- كما اعترف ساحر آخر أن أباه الساحر أبى أن يؤدي الصلوات[8].
- وبعض السحرة لا يغتسل في السنة إلا مرة واحدة في شهر محرم[9]، وهذا يدل على أنه لا يغتسل من الجنابة، فكيف يؤدي فرائض الصلوات وهو ليس على طهارة على مدار السنة؟!

---

(1) انظر: المرجع السابق (ص 12-14).
(2) المرجع السابق (ص 17).
(3) المرجع السابق.
(4) المرجع السابق (ص 19).
(5) المرجع السابق (ص 20).
(6) المرجع السابق (ص 22).
(7) المرجع السابق. وانظر شهادة أحد الناس عن ساحر يترك الصلوات، في: مجلة Ghoib (غَيْبْ)، العدد 56، 12 ذو الحجة 1426 هـ / 12 يناير 2006 م (ص 11).
(8) انظر: مجلة Ghoib (غَيْبْ)، العدد 70، السنة الرابعة، 14 شعبان 1427 هـ / 7 سبتمبر 2006 م (ص 8).
(9) انظر: نفس المرجع، العدد 32 السنة الثانية، 13 ذو الحجة 1425 هـ / 24 يناير 2005 م (ص 5).

- وشهد آخر أنه دخل على بيت ساحر فوجد صفحات من المصحف الشريف معلقة على جدران المرحاض![1]، والعياذ بالله!.

هذه هي بعض الأعمال الكفرية التي يفعلها السحرة توثيقاً لعلاقتهم بـ الشياطين، فالعلاقة الوثيقة بين الساحر والشياطين معروفة لدى العلماء، وكذا حُكم هذا النوع من السحر، ولذلك جعل الإمام الشافعي : أصل السحر تعظيم الشياطين من أجل أن يسهلوا له ما عسر، قال :: $... وعندنا أصله [أي السحر] طلسم يُبنى على تأثير خصائص الكواكب، كتأثير الشمس في زئبق عصى فرعون، أو تعظيم الشياطين ليسهلوا له ما عَسُر#[2]

وحين أورد الحافظ ابن حجر : المعاني التي يُطلَق عليها السحر عدّ منها $ما يحصل بمعاونة الشياطين بضَرْب من التقرب إليهم#، وكذا $ما يحصل بمُخاطبة الكواكب واستن‍زال روحانياتها بزعمهم#[3].

ولما ذكر ما ذهب إليه بعض أهل العلم من أن السحر كفرٌ استدلالا ً بقوله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼالبقرة: ١٠٢، عَقب بقوله: $وهو واضح في بعض أنواعه التي قدّمتُها، وهو التعبد للشياطين أو للكواكب#[4]. فبيّن : أن السحر الذي يتضمن التقرب إلى غير الله من الشياطين والكواكب كُفْر لا يُشكّ فيه.

وحمل البيضاوي : قوله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼالبقرة: ١٠٢ على السحر الذي فيه التقرب إلى الشياطين، ونبّه إلى أن هذا النوع من السحر لا يَسْتَتِبّ إلا لمن يناسب الشيطانَ في الشرارة وخبث النفس[5].

ومن شدة مكر هؤلاء السحرة وتلبيسهم على عامة الناس؛ أن زعموا أن الذين يخدمونهم في هذه الأعمال السحرية هم ملائكة الله؛ يأمرونهم وينهونهم![6] حتى زعم أحدهم في يوم من الأيام أنه حشد مليون وسبعمائة ألف ملك من أجل تهدئة أوضاع مدينة جاكرتا![7] ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ! [المنافقون: ٤ والتوبة: ٣٠].

سبحان الله! كيف والملائكة ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼالأنبياء: ٢٦، وهم ﭽ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼالتحريم: ٦.

---

(1) نفس المرجع، عدد خاص بعنوان Dukun-dukun Bertaubat (توبة المشعوذين) (ص 43).
(2) تفسير القرطبي (274/2).
(3) فتح الباري (222/10).
(4) المصدر السابق (224/10).
(5) انظر: تفسير البيضاوي (ص 21).
(6) انظر: مجلة Ghoib (غيب) العدد 45 السنة الثالثة، 18 جمادى الثانية 1426 هـ / 25 يوليو 2005 م (ص 25-26).
(7) انظر: مجلة Panjimas (فَنْجِيْمَسْ) تاريخ 11 يوليو 2001 (ص 25).

فلا يأمر الملائكةَ إلا الله لأ؛ ﭽ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ القدر: ٤، وقال تعالى حكاية عن جبريل ؛: ﭽ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﭼ مريم: ٦٤.

والملائكة أصناف، منهم: الحفظة: وهم الذين يحفظون بني آدم، ومنهم الكتبة: وهم الذين يكتبون أعمالهم ويحصونها عليهم.

يقول سبحانه: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ الانفطار: 10-١٢، ويقول جل وعلا: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ الرعد: ١١.

يقول الحافظ ابن كثير :: $للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حَرَس بالليل وحَرَس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فاثنان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحداً من ورائه وآخر من قدامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل بدلاً حافظان وكاتبان، كما جاء في الصحيح: $يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيصعد إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون#[1]#[2].

ومنهم الموكل بالوحي، والموكل بنفخ الصور، وغير ذلك من أصنافهم، ولا يعلم ذلك إلا من جهة الشرع، ولم يرد في الشرع أن من أصنافهم: من يخدم السحرة -وحاشاهم!-. نعم، قد ورد في الحديث الصحيح أن النبي ح قال: $مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ. قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: وَإِيَّايَ إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ[3] فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ#[4].

وهذا القرين من الملائكة ليس خادماً للبشر -بله السحرة!- ووظيفة

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر (33/2 رقم 555 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (439/1 رقم 632).

(2) تفسير ابن كثير (437/4-438).

(3) قال النووي في شرح صحيح مسلم (155/17): $فأسلم؛ برفع الميم وفتحها، وهما روايتان مشهورتان، فمن رفع؛ قال: معناه أسلمُ أنا من شره وفتنته، ومن فتح ؛ قال: إن القرين أسلم من الإسلام، وصار مؤمناً، ورجح الخطابي الرفع ورجح القاضي عياض الفتح، وهو المختار#. وانظر: شرح مشكل الآثار للطحاوي (104/1)، ودلائل النبوة للبيهقي (100/7-101)، وصحيح ابن حبان (328/14 -الإحسان)، وفيها تأييد إسلامه الحقيقي على رواية الفتح.

(4) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً (2167/4 رقم 2814) من حديث ابن مسعود ط.

هذا القرين إرشاد الإنسان إلى الخير، كما قال ابن مسعود ط: $إن للإنسان من الملك لمة، ومن الشيطان لمة. فاللمة من الملك إيعاد بالخير، وتصديق بـ الحق، واللمة من الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالحق#[1].

فالملائكة لا يخضعون إلا لله ولا يأمرهم إلا الله، فإذا ادعى السحرة أن لهم ملائكة يخدمونهم، فاعلم أن الذين يخدمونهم هم الشياطين والجن في مقابل عبادة السحرة لهم، وإذا جاء يوم القيامة يتبرأ الملائكة ممن يعبدونهم ، ويفضح أمر هؤلاء بأن الذين عبدوهم هم الجن، كما قال سبحانه: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ سبأ: 40-٤١.

حكم إتيان السحرة:

$مما ابتلي به المسلمون في هذا الزمان؛ أذيتهم لبعضهم البعض بـ التردد على السحرة والمشعوذين لإلحاق الأذى ببعضهم.

وأذية المسلم وإلحاق الضرر به إثم عظيم؛ كما قال تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ [الأحزاب: ٥٨]، وكذلك إيقاع المسلم في الفتنة، قال تعالى: ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ [البروج: ١٠].

وحرمة المسلم عند الله عظيمة جداً، فلا يجوز لمسلم أن يُلحِق الأذى والظلم بأخيه المسلم، ولهذا كان مِن آخر ما أوصى به النبي ح في حجة الوداع: $إنّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا#[2]، وقال ح أيضاً: $كُلُّ المُسلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُه#[3]#[4].

وكم يعاني المسحور معاناة لا يعلم شدتها إلا الله، فمنهم من وجد في

---

(1) رواه الطبري في تفسيره (6/5)، وصحح إسناده الشيخ مشهور آل سلمان في فتح المنان (ص 261 -الحاشية)، وله حكم الرفع؛ إذ لا مجال للاجتهاد فيه. وروي مرفوعاً عن النبي ح عند الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ح، باب ومن سورة البقرة (ص 669 رقم 2988)، وقال: $حسن غريب#، وصححه ابن حبان في صحيحه (278/3 رقم 997 -الإحسان)، والشيخ الألباني في المشكاة (28-27/1 رقم 74) يرى ضعف سنده._

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب قول النبي ح $رب مبلغ أوعى من سامع# (157/1 رقم 67 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب القسامة و المحاربين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال (1305-1306/3 رقم 1679) من حديث أبي بكرة م، واللفظ للبخاري._

(3) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله (1986/4 رقم 2564) من حديث أبي هريرة ط._

(4) الإيضاح المبين لكشف حيل السحرة والمشعوذين، للصادق بن الحاج التوم آل من الله (ص 20)._

بيته رائحة شديدة النتن، ومنهم من امتلأ بيته بالديدان في جميع أنحائه، بل حتى في طعامه[1]، ومنهم من يحس ببرد شديد في بيته أياماً عديدة[2]، ومنهم من يصيبه عمى[3]، ومنهم من يصاب بشلل في يده ورجله[4]، ومنهم من يفرق بينه وبين زوجه[5]، ومنهم من النساء من يصيبها استحاضة شديدة[6]، ومنهم من ينتفخ بطنه انتفاخاً شديداً[7]، ومنهم من حصل لها سقط في الجنين الذي حملته عدة مرات[8]، ومنهم من ألقي في قلبه البغض الشديد لزوجته فيكيل لها ضرباً ورفساً[9]، ومنهم من يحس كأنه يطعن في صدره بسيوف[10]، ومنهم من يحس بألم شديد في رأسه؛ كأنه يطعن بآلاف الإبر[11]، ومنهم من أصيب بحكة شديدة في سائر جسده[12]، ومنهم من يحس بشدة الحرارة في سائر جسده كأنه يصبّ عليه

(1) انظر: مجلة Ghoib (غَيْبْ)، العدد 42 السنة الثالثة، 6 جمادى الأولى 1426 هـ / 13 يوني 2005 م (ص 5، 9).
(2) انظر: المرجع السابق، العدد 18 السنة الثانية، 1425 هـ / 2004 م (ص 7).
(3) انظر: المرجع السابق، العدد 42 السنة الثالثة، 6 جمادى الأولى 1426 هـ / 13 يوني 2005 م (ص 5).
(4) انظر: المرجع السابق، العدد 58 السنة الرابعة، 22 محرم 1427 هـ / 23 فبراير 2006 م (ص 7).
(5) انظر: المرجع السابق، العدد 44 السنة الثالثة، 4 جمادى الثانية 1426 هـ / 11 يوليو 2005 م (ص 4-9).
(6) انظر: المرجع السابق، العدد 44 السنة الثالثة، 4 جمادى الثانية 1426 هـ / 11 يوليو 2005 م (ص 4-9)، والعدد 58 السنة الرابعة، 22 محرم 1427 هـ / 23 فبراير 2006 م (ص 6)، والعدد 67، السنة الرابعة، 3 جمادى الثانية 1427 هـ / 29 يونيو 2006 م (ص 7).
(7) انظر: مجلة Ghoib (غَيْبْ)، العدد 58 السنة الرابعة، 22 محرم 1427 هـ / 23 فبراير 2006 م (ص 7).
(8) انظر: المرجع السابق، العدد 51 السنة الثالثة، 13 رمضان 1426 هـ / 17 أكتوبر 2005 م (ص 5-11).
(9) انظر: المرجع السابق، العدد 47 السنة الثالثة، 17 رجب 1426 هـ / 12 أغسطس 2005 م (ص 7-8).
(10) انظر: المرجع السابق، العدد 47 السنة الثالثة، 17 رجب 1426 هـ / 12 أغسطس 2005 م (ص 11).
(11) انظر: المرجع السابق، العدد 32 السنة الثانية، 13 ذو الحجة 1425 هـ / 24 يناير 2005 م (ص 5)، وانظر أيضاً نفس المرجع: العدد 67، السنة الرابعة، 3 جمادى الثانية 1427 هـ / 29 يونيو 2006 م (ص 9).
(12) انظر: المرجع السابق، العدد 33 السنة الثانية، 27 ذو الحجة 1425 هـ / 7 فبراير 2005 م (ص 7).

الفلفيل[1]، ومنهم من يُمنع من النوم أسابيع[2]، ومنهم من يُمنع من تناول الطعام[3].

أما ما يصيب المسحورين من الرؤى المنامية المفزعة فحدث ولا حرج ؛ فمنهم من يرى أن رقبتة ستقطع بمنشار كهربائي[4]، ومنهم من يرى أنه يلقى من مكان شاهق، ومنهم من يرى رأس إنسان بدون جسد، وغير ذلك من أنواع الرؤى المفزعة.

وهذا غيض من فيض مما بلغنا من معاناة المصابين بالسحر، وما لم يبلغنا أكثر وأشد، فهذا مما يدل على شدة إجرام السحرة والمترددين إليهم ليُسحَر لهم، ولكن مع ذلك كله، لابد من إلقاء الضوء على حكم إتيان السحرة، هل هو كفر على الإطلاق، أم أن المسألة فيها تفصيل.

بالنظر إلى النصوص الشرعية وكلام الأئمة، ظهر لي -والعلم عند الله- أن المسألة فيها تفصيل، وهو كالآتي:

القسم الأول: ما يكون فيه الإتيان إلى السحرة كفراً.

وهذا له أحوال، منها:

- أن يأتي شخص لساحر يدعي معرفة علم الغيب فيصدّقه على ذلك.

ويدل على كفر هذا الصنف من الناس: ما رُوي عن ابن مسعود ط أنه قال: $من أتى كاهنا ً أو ساحرا ً فصد ّقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد ح#[5].

وهذا الأثر له حكم الرفع إلى النبي ح؛ لأن مثله مما لا يقال بالرأي، كما

(1) انظر: المرجع السابق، العدد 18 السنة الثانية، 1425 هـ / 2004 م (ص 9).

(2) انظر: المرجع السابق، العدد 18 السنة الثانية، 1425 هـ / 2004 م (ص 7)، وانظر أيضاً نفس المرجع: العدد 67، السنة الرابعة، 3 جمادى الثانية 1427 هـ / 29 يونيو 2006 م (ص 9).

(3) انظر: المرجع السابق، العدد 18 السنة الثانية، 1425 هـ / 2004 م (ص 7)، و العدد 67، السنة الرابعة، 3 جمادى الثانية 1427 هـ / 29 يونيو 2006 م (ص 7-8).

(4) انظر: المرجع السابق، العدد 32 السنة الثانية، 13 ذو الحجة 1425 هـ / 24 يناير 2005 م (ص 6).

(5) رواه البزار في مسنده (315/5 رقم 1931)، وأبو يعلى في مسنده (280/9 رقم 5408)، والبيهقي في السنن الكبرى (136/8) وغيرهم من طرق عن ابن مسعود به موقوفاً. قال الحافظ في فتح الباري (217/10) عن سند أبي يعلى: $جيد#، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (118/5): $ورجال الكبير والبزار ثقات#، وقال ابن كثير في تفسيره (393/1) عن إسناد البزار: $وهذا إسناد صحيح وله شواهد أخر#، وقواه المنذري في الترغيب والترهيب (1112/3 رقم 4388)، ونقل السيوطي في الدر المنثور (534/1) تصحيح الحاكم لهذا الأثر.

صرّح بذلك الحافظ ابن حجر :: $ومثله لا يقال بالرأي#[1].
وقد أورده الحافظ أبو عبد اللّه الحاكم : كمثال لأمثلة $النوع السادس من هذا العلم [يعني علم مصطلح الحديث]: معرفة المسانيد التي لا يُذكر سندها عن رسول اللّه ح#[2]؛ أي أنه في حكم المسند إلى الرسول ح.
والحديث $فيه دليل على كفر الكاهن والساحر والمصدق لهما، لأنهما يدعيان علم الغيب وذلك كفر، والمصدق لهما يعتقد ذلك ويرضى به وذلك كفر أيضًا#[3].
كما جاء الوعيد الشديد على من صدّق بالسحر، في حديث أبي موسى الأشعري ط أنه قال: قال رسول اللّه ح: $ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع رحِم، ومصدِّقٌ بالسحر#[4].

- أن يأتي شخص إلى ساحر يستعين على سحره بالشياطين، وهو يعلم كفره[5]، ثم يرضى به.

وهذا كفر؛ لأنه رضي بالكفر، $والرضا بالكفر كفر# كما قال أبو عبد اللّه القرطبي : استدلالا ً بقول اللّه سبحانه وتعالى: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﭼالنساء: ١٤٠[6].

- أن يأتي شخص إلى ساحر فيأمره بفعل أمور شركية -من استغاثة بغير اللّه، أو ذبح لغيره سبحانه أو غير ذلك- فيطيعه في ذلك.

فهذا كفر؛ لأن هذا المطيع للساحر وقع في أمور شركية، وهذا واضح.
القسم الثاني: ما لا يصل إلى حد الكفر. وهو أن يأتي الشخص إلى

---

(1) فتح الباري (217/10).
(2) معرفة علوم الحديث (ص 154).
(3) تيسير العزيز الحميد (ص 339)_.
(4) رواه أحمد في مسنده (339/32 رقم 19569)، وابن حبان في صحيحه (165/12 رقم 5346، و507/13 رقم 6137 -الإحسان)، والحاكم في المستدرك (146/4) وصحح إسناده_.
(5) بعض العلماء لا يشترط علم المسلم بكون ذلك الفعل كفراً، بل يكفيه مجرد علمه بكون ذلك محرماً وإن لم يعلم ما يترتب عليه من كفر. يقول الشيخ ابن عثيمين : -أثناء حديثه أن من أهم شروط تكفير المعين هو علمه بالمخالفة التي أوجبت كفره-: $ولكن هل يشترط أن يكون عالماً بما يترتب على مخالفته من كفر أو غيره أو يكفي أن يكون عالماً بالمخالفة وإن كان جاهلا ً بما يترتب عليها؟
الجواب: الثاني؛ أي أن مجرد علمه بالمخالفة كاف في الحكم بما تقتضيه؛ لأن النبي ح أوجب الكفارة على المجامع في نهار رمضان لعلمه بالمخالفة مع جهله بالكفارة، ولأن الزاني المحصن العالم لتحريم الزنا يرجم وإن كان جاهلا ً بما يترتب على زناه، وربما لو كان عالماً ما زنا#. شرح كشف الشبهات (ص 57-58)_.
(6) تفسير القرطبي (185/7)_.

السحرة وهو لا يعلم شيئاً عن كيفية قيامهم بهذه الأشياء، ولا يعلم أن وراء ذلك شركاً وكفراً بالله تعالى.

وهذا الفعل وإن لم يصل إلى حد الكفر، إلا أن ذلك الشخص قد وقع في أمر جسيم وخطر عظيم، ويكفي للتدليل على ذلك: ما رواه عمران بن حصين ط مرفوعاً: $ليس منا من تَطَيَّرَ أو تُطُيِّرَ له، أو تَكَهَّنَ أو تُكُهِّنَ له، أو سَحَرَ أو سُحِرَ له#[1].

ففي الحديث إشارة إلى براءة المصطفى ح ممن يفعل شيئاً من هذه الأفاعيل -التي منها السحر-، ولا يتبرأ ح من فاعل لمباح.

وإضافة إلى ذلك فإنه لا يسلم المترددون على السحرة -غالباً- من كيدهم؛ إما بربطهم بهم فلا يستطيعون الانفكاك عنهم، ويطلبون منهم مبالغ ضخمة في مقابل ترددهم إليهم[2]، أو إن كان المسحور امرأة يعملون لها عطفاً كي يفعلون بها ما يريدونه![3]، بل وقعت وقائع كثيرة انتهكت فيها حرمات النساء اللواتي يأتين هؤلاء السحرة![4]، والعياذ بالله!

ولا يُتذرع بحلّ السحر لتجويز الذهاب إلى السحرة؛ لأن حل السحر بالسحر محرم شرعاً، وهو موضوع البحث الآتي:

حَلّ السحر:

لقد جاء شرع الإسلام كاملاً من رب العالمين، يبيّن كلّ ما يحتاجه العبد في جميع شؤون حياته، فلا يحتاج إلى الخروج عنه ولا يجوز له ذلك، ومن الأمور التي تناولها الشرع بالبيان الشافي: طريقة حل السحر، وهو ما يُعبّر عنه بالنشرة.

قال ابن الجوزي : مُعرّفاً لها: $النشرة إطلاق السحر عن المسحور#[5]،

---

(1) سبق تخريجه في (ص 196).

(2) انظر: مجلة Ghoib (غَيْبْ)، العدد 35، السنة الثانية، 26 محرم 1426 هـ / 7 مارس 2005 م (ص 6-7).

(3) انظر: المرجع السابق، العدد 35، السنة الثانية، 26 محرم 1426 هـ / 7 مارس 2005 م (ص 8)، والعدد 83، السنة الرابعة، 22 جمادى الأولى 1428 هـ / 8 يونيو 2007 م (ص 35-38).

(4) انظر على سبيل المثال: جريدة Pikiran Rakyat (فِيْكِيْرَنْ رَكْيَتْ)، تاريخ 9 نوفمبر 2001، عنوان الخبر: $ساحر منتهك لحرمات النساء حكم عليه بالسجن تسع سنين)، وجريدة Bernas (بِيْرْنَسْ)، تاريخ 25 أكتوبر 2000، عنوان الخبر: $ساحر منتهك لحرمات النساء قبض عليه من قبل الشرطة#، وجريدة Suara Merdeka (سُوَارَا مِيْرْدِيْكا)، تاريخ 28 سبتمبر 2001، عنوان الخبر: $ساحر ينتهك حرمات النساء لطول فراقه بزوجته#، نقلاً عن الموقع: http://paranormalsakti.freehomepage.com.

(5) غريب الحديث (408/2).

وسميت نشرة لأنها ينشر بها عن المريض ما خامره من الداء، أي يُكشَف ويزال[1].

وهي نوعان: محرم ومشروع[2]، وبيان ذلك كالآتي:

أحدهما: حل سحر بسحر مثله، وهذا محرم[3]؛ لأنه $معاونة للساحر، وإقراره على عمله، وتقرُّب إلى الشيطان بأنواع القرب ليُبطِل عمله عن المسحور#[4].

عن جابر بن عبد الله م قال: سئل رسول الله ح عن النشرة فقال: $هو من عمل الشيطان#[5].

قال الملا علي القاري : في شرحه للحديث: $هو من عمل الشيطان: النوع الذي كان أهل الجاهلية يعالجون به ويعتقدون فيه. وأما ما كان من ا لآيات القرآنية، والأسماء والصفات الربانية،

(1) انظر: القاموس المحيط (ص 482)، والنهاية في غريب الحديث (54/5).
(2) انظر: إعلام الموقعين (557/6-558)، ومعارج القبول (709/2-712).
(3) قد وردت عن بعض العلماء ألفاظ يُفهَم منها جواز سؤال الساحر حلّ السحر عن المسحور، ولبيان المحمل الصحيح الذي يحمل عليهم كلامهم، راجع: أحكام الرقى والتمائم (ص 153-156)، والسحر بين الحقيقة والخيال (ص 218-220).
(4) معارج القبول (711/2).
(5) رواه أبو داود في سننه، كتاب الطب، باب في النشرة (201/4 رقم 3868)، وصحح إسناده الشيخ الألباني في تعليقه على المشكاة (1284/2 رقم 4553).

والدعوات المأثورة النبوية؛ فلا بأس، بل يستحب#[1].
وطريقة السحرة في حلهم للسحر تكون -غالباً- بالتعاون مع الشيطان ليقوم بمعالجة المسحور. وقد أشار إلى ذلك ابن القيم : في قوله: $فيتقرب إليه الناشر والمنتشر بما يحب فيبطل عمله عن المسحور#[2]. ومن القرب التي يقدمها السحرة للشيطان في مقابل إعانته لهم: ذكرُهم للكلمات الكفرية يعزم بها على الشيطان، وتقديمُ قربة يتقرب بها إليه مما يحب، من ذبيحة، أو سجود، أو نحو ذلك من صنوف التعظيم له.
ولا يمكن أن يقال بجواز حل سحر بمثله ضرورة؛ $لأن الضرورة لا تكون جائزة ببذل الدين والتوحيد عوضا ً عنها، ومعروف أن الضروريات الخمس التي جاءت بها الشرائع أولها: حفظ الدين، وغيره أدنى منه مرتبة -و لا شك-، فلا يبذل ما هو أعلى لتحصيل ما هو أدنى، وضرورة الحفاظ على النفس وإن كانت من الضروريات الخمس، لكنها دون حفظ الدين مرتبة؛ ولهذا لا يقدم ما هو أدنى على ما هو أعلى، أو أن يبذل ما هو أعلى لتحصيل ما هو أدنى من الضروريات الخمس، والأنفس لا يجوز حفظها بالشرك، ولأن يموت المرء وهو على التوحيد خير له من أن يعافى وقد أشرك بالله جل وعلا، لأن السحر لا يكون إلا بشرك، والذي يأتي الساحر ويطلب منه حل السحر، فقد رضي قوله وعمله، ورضي أن يعمل به ذاك، ورضي أن يشرك ذاك بالله لأجل منفعته، وهذا غير جائز.
فتحصل من هذا أن السحر -نشرا ً ووقوعا ً- لا يكون إلا بالشرك الأ كبر بالله جل وعلا، وعليه فلا يجوز أن يحل لا من جهة الضرورة، ولا من جهة غير الضرورة من باب أولى بسحر مثله، بل يحل وينشر بالرقى الشرعية#[3]، وهو ما سأبينه في النوع الثاني:
الثاني: حل السحر عن المسحور بالرقى والتعاويذ من الكتاب والسنة الثابتة. وقد ذكرت فيما مضى -في مبحث الرقية- أن الرقية الشرعية تكون علاجاً للأمراض العضوية، كما أنها علاج للأمراض غير الحسية[4]، ومن النوع الثاني: السحر.
فإذا وقع السحر، فالطريق التي ينبغي أن يسلكها المسلم في دفع ما حل به من ضرر السحر هو: قراءة الآيات القرآنية على نفسه؛ حيث إن القرآن شفاء كما قال سبحانه: ﭼ ﯙ ﯚ ﮤ

(1) مرقاة المفاتيح (373/8)، وانظر: عون المعبود (249/10).
(2) إعلام الموقعين (558/6).
(3) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص 331-332).
(4) انظر: (ص 642-645).

ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖﯗ ﭼالإسراء: ٨٢[1].

فيقرأ هو -أو غيره- على نفسه آياتٍ من كتاب الله تعالى بحسب ما تيسر له، مع التأكيد على ما ورد في نصوص الشرع الإشارة إليه[2]، ولا بأس بانتقاء بعض السور أو الآيات، إن كان أثر تلك السور والآيات أشد على المسحور؛ لاحتوائها على التوحيد والإخلاص لله لأ، والترغيب برحمته وجنته، والترهيب من سخطه وعقوبته[3]، كما يجوز اختيار الآيات التي فيها التعوذ من الشياطين مطلقاً، والآيات التي يتضمن لفظها إبطال السحر[4][5].

هذا كله مع مراعاة عدم الاعتقاد بهذه الآيات دون غيرها من كتاب الله لأ[6].

كما يحرص العبد على الرقية بالأدعية والتعاويذ المأثورة عن النبي ح الواردة في الأحاديث الصحيحة، وقد تقدم ذكر شيء منها في مبحث الرقية[7]، ومن ذلك ما رقى به جبريل ؛ النبيّ ح؛ فعن أبي سعيد الخدري ط أن جبريل ؛ أتى النبي ح فقال: $يا محمد، اشتكيتَ؟#، قال: $نعم#، قال: $بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك#[8].

وعلى الراقي التزام آداب الرقية وكيفيتها التي دلت عليها نصوص الشريعة، وقد مر ذكر شيء منها[9]، ومن أهم ما ينبغي مراعاتها: تدبر تلك ا لآيات والتعاويذ ومحاولة فهم معانيها.

يقول ابن القيم :: $فالقلبُ إذا كان ممتلئاً من الله مغموراً بذكره، وله من التوجُهات والدعوات والأذكار والتعوّذات وردٌ لا يُخِلُ به يُطابق فيه قلبه لسانه، كان هذا مِن أعظم الأسباب التى تمنع إصابة السِّحر له، ومن أعظم العل

(1) قد بيّنت فيما مضى معنى حرف $من# في الآية. راجع (ص 642 الحاشية رقم 4).
(2) راجع (ص 611).
(3) انظر: الصواعق المرسلة في التصدي للمشعوذين والسحرة، لأبي البراء أسامة بن ياسين المعاني (ص 557).
(4) انظر: معارج القبول (710/2-711).
(5) انظر بعض تلك الآيات والسور المنتقاة في: الصواعق المرسلة في التصدي للمشعوذين (ص 541-556).
(6) انظر: المرجع السابق (ص 557).
(7) راجع (ص 637-638)، وانظر للاستزادة: الصواعق المرسلة في التصدي للمشعوذين (ص 562-568).
(8) رواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقى (1718/4-1719 رقم 2186).
(9) راجع (ص 637-642).

لاجات له بعد ما يُصيبه.
وعند السّحَرَة: أنّ سِحرَهم إنما يَتِمُّ تأثيره فى القلوب الضعيفة المنفعِلة، والنفوس الشهوانية ... ومَن ضَعُف حظُّه من الدين والتوكل و التوحيد، ومَن لا نصيبَ له من الأوراد الإلهية والدعوات والتعوُّذات النبوية#[1].
ومن طرق علاج السحر التى أرشد الشرع إليها: **استخراج السحر وإبطاله**، بحيث يبذل الإنسان جهده في معرفة موضع السحر -وذلك بـ التوجه الخالص لله لأ ودعائه- ثم يستخرجه ويبطله.
والأصل في هذا كله ما روته أم المؤمنين عائشة ك في قصة سحر النبي ح، قالت: $سَحَرَ رَسُولَ اللهِ ح رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ[2]، حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللهِ ح يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهُوَ عِنْدِي لَكِنَّهُ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قَالَ: $يَا عَائِشَةُ أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟ أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ فَقَالَ: مَطْبُوبٌ[3]. قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ. قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ[4] وَجُفِّ[5] طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ. قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ[6]. فَأَتَاهَا رَسُولُ اللهِ ح فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ[7] الْحِنَّاءِ أَوْ كَأَنَّ رُءُوسَ نَخْلِهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا اسْتَخْرَجْتَهُ؟ قَالَ: قَدْ عَافَانِي اللهُ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُثَوِّرَ

(1) الطب النبوي (ص 101).
(2) لبيد بن الأعصم رجل من بني زُريق حليف اليهود، ولهذا قيل له: يهودي، وقيل: بل هو كذلك، وقيل: هو منافق، وبنو زريق بطن من الأنصار من الخزرج. انظر: فتح الباري (236/10).
(3) مطبوب: مسحور، يقال: طُب الرجل إذا سُحِر، كنوا عن السحر بالطب تفاؤلا ً، كما كنوا عن اللديغ بالسليم. انظر: الصحاح (170/1)، وغريب الحديث لأبي عبيد (405-406/3).
(4) المشاطة هي: الشعر الذي يسقط من الرأس واللحية عند التسريح بالمشط، قاله ابن الأثر في النهاية في غريب الحديث (334/4).
(5) جف طلع يعني طلع النخل، وجفه وعاؤه الذي يكون فيه، وهو الغشاء الذي يكون فوقه. انظر: غريب الحديث لأبي عبيد (115/2، 118)، والنهاية في غريب الحديث (278/1)._
(6) قال ياقوت الحموي: بئر ذروان، وقيل أروان -كما جاء ذلك في بعض الروايات-، وهي بئر بالمدينة. معجم البلدان (162/1).
(7) النُّقاعة بضم النون: الماء الذي ينقع فيه الحناء. وكان قد تغير بماء خالطه من الأ شياء التي ألقيت فيه. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (399/14)، وفتح الباري (230/10).

عَلَى النَّاسِ فِيهِ شَرًّا. فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ#[1].
قال الحافظ ابن حجر :: $... بحيث أنه توجه إلى الله ودعا على الوضع الصحيح والقانون المستقيم. ووقع في رواية ابن نمير عند مسلم: $فدعا، ثم دعا، ثم دعا# وهذا هو المعهود منه ح أنه كان يكرر الدعاء ثلا ثاً ...
قال النووي: فيه استحباب الدعاء عند حصول الأمور المكروهات وتكريره والالتجاء إلى الله تعالى في دفع ذلك#[2].
فالحديث صريح في بيان التجاء النبي ح لله سبحانه، ومِن ثمّ أرشده الله إلى موضع سحره، و$كثيراً ما توجه بعض المرضى بالدعاء والإنابة إلى الله لأ، وفرج الله كربتهم عن طريق رؤى رأوها في منامهم تبيّن لهم من خلا لها مكانُ السحر، ويتطابق ذلك مع الواقع في بعض الأحيان فيزيلون مادة السحر، ويتلفونها، ويحمدون الله سبحانه وتعالى على ما أنعم به عليهم من نعمه التي لا تعد ولا تحصى#[3].
وإذا علم الإنسان مكان السحر فإنه يستخرجه، يقول الحافظ ابن حجر : تعليقاً على قول عائشة ك: $قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا اسْتَخْرَجْتَهُ؟ قَالَ: قَدْ عَافَانِي اللهُ#: $قال ابن بطال: ذكر المهلب أن الرواة اختلفوا على هشام[4] في إخراج السحر المذكور، فأثبته سفيانُ، وجعل سؤالها عن الا ستخراج، ولم يذكر الجواب وصرح به أبو أسامة. قال: والنظر يقتضي ترجيح رواية سفيان؛ لتقدمه في الضبط، ويؤيده أن النشرة[5] لم تقع في رواية أبي أسامة، والزيادة من سفيان مقبولة لأنه أثبتهم، ولا سيما أنه كرر استخراج السحر في روايته مريتن فيبعد الوهم#[6].
وإذا استخرجه الإنسان بقي له أن يتلف مادته، فإن كانت عقداً فإنه يحلها مع قراءة المعوذتين عليها، ويدل على ذلك ما جاء في بعض طرق حديث سحر النبي ح عند البيهقي في $دلائل النبوة#[7] من حديث عائشة

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب السحر (221/10 رقم 5763 - الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب السحر (1719/4 رقم 2189)، و المذكور لفظ البخاري.
(2) فتح الباري (228/10).
(3) الصواعق المرسلة في التصدي للمشعوذين والسحرة (ص 588-589).
(4) هو: هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي (58-145 هـ)، ثقة فقيه ربما دلس. انظر: التقريب (رقم 7352).
(5) أي بدل سؤالها عن الاستخراج.
(6) فتح الباري (234/10-235).
(7) (94/7).

ك أنها قالت: $فنـزل رجل فاستخرج جف طلعة من تحت الراعوفة[1]، فإذا فيها مشط رسول الله ح، ومن مراطة[2] رأسه، وإذا تمثال رسول الله ح، وإذا فيها إبر مغروزة، وإذا وتر فيه إحدى عشرة عقدة، فأتاه جبريل ؛ بِالمعوذتين فقال: يا محمد ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ [الفلق: ١] وحل عقدة، ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ [الفلق: ٢]، وحل عقدة، حتى فرغ منها، ثم قال: ﭽ ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ [الناس: ١] وحل عقدة، حتى فرغ منها، وحل العقد كلها، وجعل لا ينـزع إبرة إلا وجد لها ألما، ثم يجد بعد ذلك راحة#. وفي رواية $فقام رسول الله ح كأنما نشط من عقال#[3].

يقول الإمام ابن القيم : عن علاج السحر باستخراجه وإبطاله: $فهذا أبلغ ما يعالج به المطبوب#[4].

وبهذا، قد انتهيت -بحمد الله- في بيان أغلب المسائل المتعلقة بمبحث السحر، ويحسن في نهاية هذا المطلب، -بناءً على ما سبق تقريره في هذا المطلب، مع النظر في ما ذُكِر من مظاهر الانحراف في المطلب الثاني- استخلا ُص ما يلي:

أن **الأمثلة الأربعة الأولى**[5]: فإن أصحابها قد وقعوا في الشرك؛ لأنهم لا يقومون بتلك الأعمال إلا بالاستعانة بالشياطين، ولا يعينهم الشياطين إلا بعد الكفر بالله في صور عدة، كما سبق بيانه قريباً في اعترافات التائبين من أعمال السحر[6].

وأما **المثال الخامس** وهو ما يتعلق بما يسمى بـ tenaga dalam (القوة الباطنية) فهي -في حقيقتها- ليست ببعيده عن أخواتها السابقة؛ من حيث استخدام أصحابها للشياطين، أو مسلمي الجن في اصطلاحهم. وبيان ذلك كالآتي:

اعترف كثير من أصحاب هذا النوع من السحر أنهم يستخدمون الشياطين فيما يأتون به من غرائب وعجائب، كما اعترفوا أن أولئك الشياطين لا يأتون إليهم إلا بفعلهم للشركيات أو البدع، أذكر أمثلة منها:

أما الشركيات والكفريات: فأغلبها تتمثل في قراءة عزائم مشتملة على

(1) راعوفة البئر: صخرة تترك في أسفل البئر إذا احتفرت تكون ناتئة هناك، فإذا أرادوا تنقية البئر جلس المنقي عليها. وقيل غير هذا. انظر: غريب الحديث لأبي عبيد (116/2-117).

(2) مَرَط الشعر يمرُطه: نتفه، والمراطة: ما سقط منه. بحرفه من الصحاح (1159/3).

(3) رواه أحمد في مسنده (14/32 رقم 19267) وغيره.

(4) زاد المعاد (125/4)، والطب النبوي (ص 100).

(5) انظر تلك الأمثلة في: (ص 738-741).

(6) انظر: (ص 750).

استغاثة بغير الله، أو اعتقاد كفري، أو الاستهزاء بالله وبملائكته:

1- كالعزيمة المسماة بـ Ajian si buyut belang (أجيَنْ سِيْ بُيُوْتْ بِيْلَنْجْ)، ونصها كالآتي:

"Bismillahirrohmanirrahim. Wa lau anna qur'anan suyirat bihil jibalu au kutihat bihil ardlu au kulima bihil mauta. Ali kuat Ali kuasa, Ali, baginda Rasulullah. Selangkan adap kudirikan kata Allah. Berkat kalimah Allah La ilah illallah Muhammadar rasulullah. Harimau bertandang malam, kuat malam tulangku putih, kupakai segag baginda Ali".

$بسم الله الرحمن الرحيم. ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ. علي القوي، علي القدير، علي، السيد رسول الله، بأدب أقمت كلمة الله، ببركة كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله. يخرج الأسد ليلا ً. قوة الليل. عظامي بيضاء. أستخدم سِيْجَجْ[1] السيد علي#[2].

2- ومنها: العزيمة المسماة بـ Ajian trawangan (آجيان تراوانجان)، ونصها:

"Bismillahirrohmanirrohim. Niat ingsun matek ajiku aji trawangan, aji pengawasan Sang Hyang Pramana, byar padang trawangan pengawas ingsun, sifat katon kersaning Allah".

$بسم الله الرحمن الرحيم. نويت تثبيت آجي تراوانجان؛ وهو آجي لِسانج هيانج فرامانا [أحد آلهة الهندوس]. نظري ثاقب. صفة النظر بإذن الله#[3].

3- ومنها: عزيمة للحصول على علم الكرامات، وهي قراءة: $يا الله، يا رسول الله، يا الشيخ عبد القادر الجيلاني، يا الله أسألك كرامة الشيخ عبد القادر الجيلاني#[4].

4- ومنها: عزيمة للحصول على علم Wali songo (الأولياء التسعة): $يا حي، يا علي، يا مَلِي، يا وفي، يا واقي، يا قوي، يا غني، يا ولي، يا باقي#[5]، فـ$ملي# ليس من أسماء الله لا.

---

(1) لم أتوصل إلى معرفة معنى هذه الكلمة.

(2) مجلة HAM (هَمْ)، العدد 11، سيبتمبير - أكتوبر 2005 م (ص 20).

(3) انظر: Membongkar Kesesatan Praktek Sihir pada Reiki Tenaga Dalam dan Ilmu Kesaktian (الكشف عن ضلالات العملية السحرية في رايكي، والقوة الباطنية وعلم ما فوق الطبيعة)، (ص 40)، وانظر: Dukun Hitam Dukun Putih, Menguak Rahasia Kehebatan Sekutu Setan (الكاهن الأسود والكاهن الأبيض؛ الكشف عن سر قوة حليف الشيطان) (ص 64).

(4) مجلة Ghoib (غَيْبْ)، عدد خاص بعنوان Dukun-dukun Bertaubat (توبة المشعوذين) (ص 37).

(5) المرجع السابق (ص 37).

5- ومنها: الدعاء المسمى بدعاء $ابن عَلوان#، حيث اشتمل على طلب الشفاعة من الشيخ عبد القادر الجيلاني[1].

6- ومنها: عزيمة مشتملة على منادة واستغاثة بالمدرّب على هذه الأ شياء[2].

7- ومنها: عزيمة للحصول على Ilmu karang (علم كرَنْجْ)، ونصها:

"Bismillahirrahmanirrahim... maya langgeng jati, ya hu ya hu ya Allah, laa ilaah illallah, muhammad rosululloh, ana purba langgeng jati, sang ngekendhuri rasa hu Allah, lebur dening Allah".

$بسم الله الرحمن الرحيم ... قبل وجود الاتحاد، يا هو يا هو يا الله، لا إله إلا الله محمد رسول الله، يوجد مكان خاص للاتحاد، والذي يتجاذب الإ حساس بهو الله، وكله سيزول لاتحاده بالله#[3].

8- رموز في Reiki (رَيْكِيْ) مشتملةٌ على الدعوة إلى عقيدة وحدة الوجود، وهي قولهم:

"Sei hei ki".

معناها: $الشيء الذي يوحِّد بين الرب وعبده#[4].

9- عزيمة للحصول على علم Brojomusti (بَرُوْجُوْمُوْسْتِيْ)، ونصها:

"Bismillahirrohmanirrahim, niat ingsun matek ajiku, ajiku brojomusti ... katiban bakal mati, jibril ing tanganku, Pangeran ing mburiku, ketampan ajiku musti lebur krono la ilaah illalloh...".

$بسم الله الرحمن الرحيم. نويت تثبيت آجي بروجوموستي ... من يصيبه فإنه سيموت، جبريل في يدي، والله ورائي، فمن يصيبه علمي فإنه سيذوب بسبب لا إله إلا الله#[5].

10- عزيمة للحصول على Ajian angin dan awan (أجِيَنْ الريح و السحاب):

(1) انظر: Membongkar Kesesatan Praktek Sihir pada Reiki Tenaga Dalam dan Ilmu Kesaktian (الكشف عن ضلالات العملية السحرية في رايبكي، والقوة الباطنية وعلم ما فوق الطبيعة)، (ص 38)._

(2) انظر: مجلة Ghoib (غَيْبْ)، العدد 28، السنة الثانية، تاريخ 2 شوال 1425 هـ / 15 نوفمبر 2004 م (ص 5).

(3) Dukun Hitam Dukun Putih, Menguak Rahasia Kehebatan Sekutu Setan (الكاهن الأسود والكاهن الأبيض؛ الكشف عن سر قوة حليف الشيطان) (ص 64)._

(4) انظر: Membongkar Kesesatan Praktek Sihir pada Reiki Tenaga Dalam dan Ilmu Kesaktian (الكشف عن ضلالات العملية السحرية في رايبكي، والقوة الباطنية وعلم ما فوق الطبيعة)، (ص 50)._

(5) Dukun Hitam Dukun Putih, Menguak Rahasia Kehebatan Sekutu Setan (الكاهن الأسود والكاهن الأبيض؛ الكشف عن سر قوة حليف الشيطان) (ص 63-64)._

"Bismillahirrohmanirrohim. Ijadallah, ujudullah, wujud baginda Ali menantu Rasulullah. Kuhidupkan auratku 133 dalam badanku. Gundul Allah, gundul Muhammad. Terbentang payung Allah, terkibar payung Muhammad. Gerakanlah badanku, seperti kapas ringanku, mengikuti angin dan awan. Berkat kalimah Allah lailah illallah Muhammadar rasulullah".

$بسم الله الرحمن الرحيم. إجاد الله، وجود الله، وجود السيد علي زوج ابنة رسول الله. أحييت عوراتي 133 في جسدي. رأس الله، رأس محمد. فُتِحت مظلة الله، ورُفِعت مظلة محمد. حرّك جسدي كخفة القطن، يطير مع الريح والسحاب. بكلمة الله لا إله إلا الله#[1].

11- الورد الموسوم بـ$ورد أسماء الحسنى#: وفيه تحريف لبعض الآ يات القرآنية: ومن نصه قولهم: $ے ئوۓ# بدل ﭽ ے ۓ ﮯﭼ المؤمنون: ١١٥[2].

12- العزيمة المسماة Aji tapak wisa (أَجِيْ تَقَكْ وِيْسَا#، ونصها:

$ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ. ﮊ ﮋ ﮌ. ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ. ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ. ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ. رَبِّ يَسِّرْ وَلَا تُعَسِّرْ وَبِهِ نَسْتَعِيْن#[3].

المتأمل جيداً للجمل السابقة يجد أنها اشتملت على تحريف لبعض الآ يات القرآنية؛ فجملة $ﮊ ﮋ ﮌ# تحريف لقوله تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ يس: ٦٥، وجملة $ﮎ ﮏ ﮐ# تحريف لقوله تعالى: ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ المرسلات: ٣٥.

13- عزيمة للحصول على علم Qulhu Geni (قُلْ هُوْ غِيْنِيْ)، وهو عبارة عن علم مَنْ حصل عليه، فإن له قدرة على إحراق أي شيء كان بمجرد إلقاء الضرب عليه ضربة واحدة.

وهذه العزيمة -كما صرّح به أحد التائبين من هذا العلم- عبارة عن خلط الآيات القرآنية بعزائم أعجمية؛ من جاوية أو سُوْنْدَاوِيّة أو بَالِيّة[4].

فالعزائم الستة الأولى فيها استغاثات بغير الله -تصريحاً أو تلميحاً-، و العزيمة السابعة والثامنة فيهما دعوة إلى اعتقاد وحدة الوجود، والتاسعة فيها استهزاء بالله لأ وبجبريل ؛، والعاشرة فيها استهزاء بالله لأ، و العزيمتان الأخيرتان فيهما تحريف لبعض الآيات القرآنية.

والسمة العامة لتلك العزائم خلطها بتسمية الله، أو الشهادتين، أو مشيئة الله، وكل ذلك تلبيساً على الجهلة الذين لا يفهمون العربية، فيظنون

---

(1) مجلة HAM (هَامْ)، العدد 10، أغسطس-سبتمبر 2005 (ص 21).

(2) مجلة Ghoib (غَيْبْ)، العدد 68، السنة الرابعة، 17 جمادى الثانية 1427 هـ/ 13 يوليو 2006 م (ص 11).

(3) مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 118، تاريخ 20 ديسمبير 2005 – 4 يناير 2006 (ص 118).

(4) انظر: مجلة Ghoib (غَيْبْ)، العدد 34، السنة الثانية، تاريخ 12 محرم 1426 هـ / 21 فبراير 2005 م (ص 29).

أن هذه العزائم لا شيء فيها -بل ويعد بعضهم أنها عزائم إسلامية!- لا شتمالها على ذكر الله، قاتل الله واضعها!

ومن الكفريات التي تضمنتها هذه التدريبات: ما أرشد إليه بعض المدربين تلامذته -الذين بلغوا رتبة عالية فيها- مِن ترك الصلاة والصيام؛ بحجة بلوغهم لدرجة المعرفة(1)، بل وبعض المدربين يزعم لتلاميذهم أنه إله فيجب اتباع أوامره!(2)

ومن الكفريات: غرس بعض المدربين في نفوس تلاميذهم عقيدة وحدة الأديان، وأن جميع الأديان حسنة(3).

ومن الكفريات: حرق أحدهم للمصحف ثم جعل رمادَ المصحف تميمةً، وزعم أنه بفعله ذلك قد أفاض جميع معاني القرآن وطاقته في نفسه!(4)

أما البدع التي تضمنته التدريبات للحصول على ما يسمى بـ tenaga dalam (القوة الباطنية) فحدِّث ولا حرج، فهي كثيرة جداً، منها:

1. إحداث أنواع من الصوم ما أنزل الله بها من سلطان، ومن أمثلتها:

- صوم Mutih (مُوْتِيْهْ): وهو الصوم عن الأكل والشرب، وعند الإ فطار لا يجوز للصائم إلا شرب الماء، وأكل ما لا طعم له، ولا يجوز أكل ذوات الأرواح.
- صوم Pati geni (فَتِيْ غِيْنِيْ): وهو الصوم عن الأكل والشرب و النوم، ويجب على الصائم المكث في مكان لا ضوء فيه -سواء كان ليلا ً أو نهاراً-.
- صوم Ngeluwang (أنْجِيْلُوَنْجْ): وهو الصوم عن الأكل والشرب، ويجب على الصائم الدخول في جحر تحت الأرض.
- صوم Ngelowong (أنْجِيْلُوْوُنْجْ): وهو الصوم عن الأكل والشرب والنوم، ويجوز للصائم الخروج من البيت.
- صوم Ngidang (أنْجِيْدَنْجْ): وهو الصوم عن الأكل والشرب والنوم ، وعند الإفطار لا يجوز للصائم إلا تناول الخضروات.
- صوم Ngepel (أنْجِيْفِيْلْ): وهو الصوم عن الأكل والشرب والنوم، ولا يسمح للصائم خلال يوم وليلة إلا تناول قبضة من الأرز.

---

(1) المرجع السابق، العدد 49، السنة الثالثة، تاريخ 15 شعبان 1426 هـ/ 19 سبتمبير 2005م (ص 7).

(2) انظر: المرجع السابق، العدد 65 السنة الرابعة، 4 جمادى الأولى 1427 هـ / 1 يونيو 2006 م (ص 10).

(3) انظر: المرجع السابق، العدد 32 السنة الثانية، 13 ذو الحجة 1425 هـ/ 24 يناير 2005م (ص 7).

(4) انظر: المرجع السابق، العدد 28 السنة الثانية، 2 شوال 1425 هـ / 15 نوفمبر 2005 م (ص 5).

- صوم Ngebleng (أنْجِيبْلِيْنْجْ): وهو الصوم عن الأكل والشرب و النوم، ولا يجوز للصائم رؤية نور الشمس أو أي ضوء مصباح.
- صوم Ngasrep (أنْجِيْسْرِيْبْ): وهو الصوم عن الأكل والشرب و النوم، ولا يجوز للصائم عند إفطاره إلا تناول الأكلات والمشروبات الباردة الخالية عن البهارات(1).

فالمتمعن في الأنواع السابقة من الصوم، يجد أن بعضها -إضافة إلى بدعيتها- يمنع من إتيان الصائم للجمعة والجماعة، بل وللصلاة، فكيف وهو مُلزَم بالمكث في الغرفة المظلمة أياماً، ولا يجوز له رؤية أي نور؟! هكذا يكيد الشيطان لهم! نسأل الله السلامة والعافية.

2. إحداث أوراد بدعية، منها:

- من أراد أن يكون له ضربة قوية مذهلة عليه أن يقرأ: ﭽ ﺋﻮ ﺋﯘ ﺋﯘ ﺋﯚ ﺋﯚ ﭼ[الشعراء: ١٣٠] 41 مرة بعد الصلوات الخمس(2).
- قراءة بسم الله ثلاث آلاف مرة يومياً(3).
- تكرار قراءة ذكر $يا هو# كما في بعض العزائم الشركية التي سبق ذكرها قريباً.
- قراءة دعاء $نوربوات# ألف مرة من وسط الليل إلى الفجر يومياً لمدة سنة!(4).

3. الجلوس على هيئة التربع، وإراحة النفس، ثم إفراغ الذهن عن جميع الأمور -حتى ذكر الله!-، وهو ما يسمى بـ Meditasi (مِيْدِيْتَسِي)، وبعضهم يحس بأن هذا الشيء يأتي بطمأنينة القلب أكثر من تأدية العبادات كالصلاة وقراءة القرآن(5).

هذه الأعمال كلها من البدع، و$البدعة أحب إلى إبليس من المعصية#

---

(1) Dukun Hitam Dukun Putih, Menguak Rahasia Kehebatan Sekutu Setan (الكاهن الأسود والكاهن الأبيض؛ الكشف عن سر قوة حليف الشيطان) (ص 45-46) وانظر: Membongkar Kesesatan Praktek Sihir pada Reiki Tenaga Dalam dan Ilmu Kesaktian (الكشف عن ضلالات العملية السحرية في رايبكي، والقوة الباطنية وعلم ما فوق الطبيعة) (ص 102-103)، وجريدة Posmo (فُوْسْمُوْ)، العدد 391، تاريخ 1 نوفمبر 2006 م (ص 31).

(2) Saripati Mujarrobat (أصول المجربات) (ص 41).

(3) مجلة Ghoib (غَيْبْ)، عدد خاص بعنوان Dukun-dukun Bertaubat (توبة المشعوذين) (ص 25).

(4) مجلة Ghoib (غَيْبْ)، عدد خاص بعنوان Dukun-dukun Bertaubat (توبة المشعوذين) (ص 25).

(5) المرجع السابق، العدد 49 السنة الثالثة، 15 شعبان 1426 هـ / 19 سبتمبير 2005 م (ص 7).

كما قال سفيان الثوري :[1]، فلا غرابة أن تدخل الشياطين في أجساد هؤلاء ؛ لأن الشياطين يجدون فيها مكاناً خصباً، حتى إن أحد التائبين من تلك الأعمال -لما قرئ عليه الرقى الشرعية- نطق الجن الماكث في جسده وأخبر بأن عدد الجان الماكثين في جسد ذلك الرجل: أربعون ألف جنيا![2]

ووجود الجن والشياطين في أجساد هؤلاء مما يؤدي إلى إحساسهم بالكسل في تأدية الصلوات وقراءة القرآن وحضور الدروس الدينية، وإذا سمعوا الأذان أو قراءة القرآن يشعرون بالألم في الآذان والقلوب[3]، كما يؤدي ذلك إلى نشوب الكبر في نفوسهم وسرعة غليان الدم[4].

والخلاصة: أن التدريبات للحصول على ما يسمى بـ$القوة الباطنية# نوع من أنواع السحر الذي لا ينال إلا بمعونة من الشياطين، ولا يعين الشياطين إلا في مقابل تأدية أفعال شركية تارة وبدعية تارة أخرى، مع تفاوت في مقدار تلك الأعمال من شخص لآخر، ومن مدرسة لأخرى، والله تعالى أعلى وأعلم.

أما المثال الأخير من مظاهر الانحراف في مبحث السحر، وهو: تعاطي بعض مسلمي إندونيسيا لما يسمى بالتنويم المغناطيسي؛ فهذا أيضاً نوع من أنواع السحر[5] الذي يستخدم فيه الجن والشياطين.

وقد اعترف أحد ممارسي هذا الشيء التائبين منه أن هذا العمل يُستخدم فيه الجن، بل اعترف بذلك[6] أحد كبار السحرة الإندونيسيين[7].

---

(1) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (149/1 رقم 238)، وابن الجوزي في تلبيس إبليس (110/1). وذكره البغوي في شرح السنة (216/1)، و القرطبي في تفسيره (121/9)، والسيوطي في الأمر بالاتباع (ص 67).

(2) مجلة Ghoib (غَيْبْ)، العدد 49 السنة الثالثة، 15 شعبان 1426 هـ / 19 سبتمبير 2005 م (ص 9).

(3) انظر اعتراف أحدهم بإحساسهم بهذا الأمر في المرجع السابق، العدد 56 السنة الرابعة، 12 ذو الحجة 1426 هـ / 12 يناير 2006 م (ص 6-7).

(4) انظر اعتراف أحدهم بإحساسهم بهذا الأمر في المرجع السابق، العدد 65 السنة الرابعة، 4 جمادى الأولى 1427 هـ / 1 يونيو 2006 م (ص 9)، وانظر اعتراف الآخر بذلك في: نفس المرجع، العدد 28، السنة الثانية، تاريخ 2 شوال 1425 هـ / 15 نوفمبر 2004 م (ص 5).

(5) ممن صرّح بأن $التنويم المغناطيسي# قد يكون ضرباً من ضروب السحر: أحد كبار المتصوفة الإندونيسيين: محمد لقمان حكيم، كما في ركن خاص له لاستقبال الأسئلة حول التصوف والمتصوفة، في جريدة Posmo (فُوْسْمُوْ) العدد 384، تاريخ 6 سبتمبر 2005 م (ص 9).

(6) انظر: جريدة Posmo (فُوْسْمُوْ)، العدد 391، تاريخ 1 نوفمبر 2006 (ص 7).

(7) هو Ki Suparno (كِيْ سُوْفَرْنُوْ) رئيس مدرسة "فَرْتِيْسَنْ كُوْمْبَنْجْ مَلَمْ لتدريبات القوة الباطنية".

وقد جاء في $فتاوى اللجنة الدائمة#[1] بيان حكم هذا العمل، ونصه: $التنويم المغناطيسي ضرب من ضروب الكهانة باستخدام جني حتى يسلطه المنو ِّم على المنو َّم فيتكلم بلسانه ويكسبه قوة على بعض الأ عمال بالسيطرة عليه إن صدق مع المنو ِّم وكان طوعًا له مقابل ما يتقرب به المنو َّم إليه ويجعل ذلك الجني المنوم طوع إرادة المنو ِّم بما يطلبه من الأعمال أو الأخبار بمساعدة الجني له إن صدق ذلك الجني مع المنوم، وعلى ذلك يكون استغلال التنويم المغناطيسي واتخاذه طريقًا أو وسيلة للد لالة على مكان سرقة أو ضالة أو علاج مريض أو القيام بأي عمل آخر بواسطة المنوم غير جائز، بل هو شرك؛ لما تقدم، ولأنه التجاء إلى غير الله فيما هو من وراء الأسباب العادية التي جعلها سبحانه إلى المخلوقات وأباحها لهم#.

وإنما أفردت المثالين الأخيرين بالتحليل عن الأمثلة الأخرى؛ لالتباس أمرهما على كثير من مسلمي إندونيسيا، ولوقوع كثير منهم فيهما.

وبهذا أكون قد انتهيت من بيان ما يتعلق بمبحث السحر، ويليه مبحث الكهانة والعرافة والتنجيم.

---

(1) (229-230/1).

المبحث الخامس: الكهانة والعرافة والتنجيم

وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: معنى الكهانة والعرافة والتنجيم وأنواعها
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف المتعلقة بالكهانة والعرافة والتنجيم وإتيان الكهان والعرافين والمنجمين
المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

المطلب الأول: معنى الكهانة والعرافة والتنجيم وأنواعها

- معنى الكهانة:

أصل الكلمة: الكِهانة مشتقة من أصل لغوي ثلاثي هو $كهَنَ#[1].

تصريفها: الكِهانة بالكسر على وزن $فِعَالة#، وهي مصدر قياسي للفعل الثلاثي $كهَنَ-يَكْهُنُ# إذا تكهّنَ. أما الكهانة بالفتح فهي على وزن $فَعَلة#، مصدر قياسي للفعل الثلاثي $كهُنَ-يَكْهُنُ# إذا صار كاهناً[2].

معناها لغة: من معاني مادة $كهن# في معاجم اللغة:

1. القضاء بالغيب، يقال: كهَن له يكهُن: إذا قضى له بالغيب.
2. والكاهن كذلك الذي يقوم بأمر الرجل، ويسعى في حاجته.
3. والعرب تسمي كل من يتعاطى علماً دقيقاً كاهناً، ومنهم من يسمي المنجم والطبيب كاهناً[3].

والمعنى الذي يتعلق بهذا المطلب هو المعنى الأول، كما سيتضح من خ
لال بيان المعنى الشرعي:

معناها اصطلاحا[4]:

للعلماء في تعريف الكهانة والكاهن عدة أقوال:

فعرف الخطابي : الكاهنَ بأنه $هو الذي يدعي مطالعة علم الغيب ويخبر الناس عن الكوائن#[5].

وعرف الحافظ ابن حجر : الكهانة بقوله: هي $ادعاء علم الغيب؛ كالإ
خبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب، والأصل فيه استراق الجني السمع من كلام الملائكة فيلقيه في أذن الكاهن...#[6].

وقال ابن حجر الهيتمي : في تعريف الكاهن: $الكاهن هو الذي يخبر عن بعض المضمرات فيصيب ويخطئ أكثرها ويزعم أن الجن تخبره بذلك.

وفسر بعضهم الكهانة بما يرجع لذلك، فقال: هي تعاطي الإخبار عن المغيبات في مستقبل الزمان، وادعاء الغيب، وزعم أن الجن تخبره

---

(1) مقاييس اللغة (145/5).
(2) انظر: تصريف الأسماء (ص 51-52)، وتصريف الأفعال (ص 151)، ومعجم تصريف الأفعال العربية (ص 126، 170، 189).
(3) انظر: الصحاح (2191/6)، ولسان العرب (180/12-181)، والنهاية في غريب الحديث (214/4).
(4) مستفاد من: علم الغيب في العقيدة الإسلامية، للدكتور أحمد بن عبد الله الغنيمان (ص 241-243).
(5) معالم السنن (228/4).
(6) فتح الباري (216/10).

بذلك#[1].

كما عرّفه الملا علي القاري : بقوله: $الكاهن هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار في المكان.

وقيل: الكاهن: الساحر، والمنجم إذا ادعى العلم بالحوادث الآتية فهو مثل الكاهن، وفي معناه الرمال#[2].

ويمكن أن يستخرج من هذه التعريفات بأن الكاهن هو: **كل من يدعي العلم بالغيب**؛ سواءً كان ممن يتلقاه من مسترقي السمع، أو من غيرهم من الذين يخبرون الكاهن بما يقع في الأرض، أو قد يكون الكاهن يتلقى ذلك عن طريق الشعوذة؛ كالخط في الأرض، أو النظر في الكف ونحوهما، أو عن طريق النظر في النجوم وادعاء علم الغيب من خلال ذلك.

روي عن ابن عباس م أنه قال: $المنجم كاهن، والكاهن ساحر، و الساحر كافر#[3].

وقال النووي : نقلا ً عن القاضي عياض : في بيان الكهان وذكر أصنافهم: فمنهم من يأخذ عن مسترقي السمع، ومنهم من يكون له شياطين يخبرونه بما يقع في أقطار الأرض، ومنهم المنجمون والعرافون، ومن يزجر الطير ويطرق الحصى، **وهؤلاء كلهم كهان**، قد أكذبهم الشرع، ونهى عن تصديقهم[4].

وقال ابن الأثير :: الكاهن يشمل الذي يتعاطى الخبر من الكائنات في مستقبل الزمان، والعراف، والمنجم[5].

(1) الزواجر (109/2).
(2) شرح الفقه الأكبر (ص 221).
(3) ذكره ابن الأثير في جامع الأصول (576/11 رقم 9197).
(4) شرح النووي على صحيح مسلم (443-442/14) بتصرف.
(5) النهاية في غريب الحديث (215-214/4) بتصرف.

وقال ابن عابدين[1] :: الكاهن هو من يدعي معرفة الغيب بأسباب مختلفة، فلذا انقسم إلى أنواع متعددة كالعراف، والرمال، والمنجم ...، و الذي يضرب الحصى، والذي يدعي أن له صاحبا ً من الجن يخبره عما سيكون، والكل مذموم شرعا ً، محكوم عليهم وعلى مصدقهم بالكفر[2].

وقال الشيخ حافظ حكمي[3] :: اعلم أن الكاهن يطلق في الأصل على من يأتيه الرِّئِي[4] من الشياطين المسترقة للسمع، ولكنه عام في كل من ادعى معرفة المغيبات ولو بغيره؛ كالرمال الذي يخط بالأرض أو غيرها، وك المنجم، والطارق بالحصى وغيرهم ممن يتكلم في معرفة الأمور الغائبة؛ ك الدلالة على مسروق ومكان الضالة ونحوها، أو المستقبلة كمجئ المطر، أو رجوع الغائب، أو هبوب الرياح، ونحو ذلك مما استأثر الله لأ بعلمه[5].

- معنى العرافة:

أصل الكلمة: العرافة مشتقة من أصل لغوي ثلاثي هو $عَرَفَ#[6].

تصريفها: العرافة بالكسر على وزن $فِعَالَة#، وهي مصدر قياسي للفعل الثلاثي $عَرَفَ# ويتضمن معنى الحرفة. تقول: $عَرَفَه-يَعْرِفُه-عَرْفاً-وعِرَافَة-وعِرْفَة-وعِرْفَاناً-وَمَعْرِفَة#[7].

معناها لغة: لمادة $عرف# معاني كثيرة، منها:

1. العرفان: العلم، وعرّفه الأمرَ: أعلمه إياه. والتعريف: الإعلام، وهو إنشاد الضالة، والتعريف التطييب.
2. والعراف: الكاهن أو المنجم، أو الذي يدعي علم الغيب الذي استأثر

(1) هو: محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي (1252-1198 هـ)، فقيه الديار الشامية وإمام الحنفية في عصره، له رد المحتار على الدر المختار، يعرف بحاشية ابن عابدين، والعقود الدرية في تنقيح الفتاوي الحامدية، وغيرهما. انظر: المسك الأذفر لمحمود شكري الألوسي (ص 184)، والأعلام (42/6).

(2) حاشية ابن عابدين (242/4) بتصرف.

(3) هو: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (1342-1377 هـ)، من أكابر علماء زماننا، ع الم بالتوحيد، والأصول والفقه، كان آية في الذكاء والحفظ، من مؤلفاته الكثيرة: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، وسيلة الحصول إلى مهمات الأصول. انظر: ترجمته بقلم ابنه د. أحمد بن حافظ الحكمي في مقدمة كتاب معارج القبول (1/13-28).

(4) الرئي هو: جني يتعرض للرجل يريه كهانة وطباً. انظر: لسان العرب (89/5).

(5) معارج القبول (218/2) بتصرف.

(6) مقاييس اللغة (281/4).

(7) انظر: تصريف الأسماء (ص 51)، ومعجم تصريف الأفعال العربية (ص 144، 502).

الله بعلمه، والعِرَافة: عمل العَرّاف[1].

وأقرب هذه المعاني إلى المعنى الشرعي هو المعنى الثاني، ويدخل في كذلك معنى الإعلام؛ لأن العَرّاف يُعْلِم ويخبر -بزعمه- بالغيب المخفي، والله أعلم.

معناها اصطلاحاً:

قد اختلف أهل العلم في العرافة والعراف هل هي بمعنى الكهانة و الكاهن أم بينهما تغاير؟[2]:

فمنهم من قال: هما بمعنى واحد[3].

ومنهم من قال: بالتفريق بينهما، واختلف هؤلاء في تحديد وجه الفرق بينهما:

فمنهم من قال: بأن الكاهن أعم من العراف فهو يطلق عليه وعلى غيره ممن يدعي علم الغيب؛ وذلك لكون الكاهن يخبر عن المستقبل والماضي بخ لاف العراف فهو إنما يخبر عن الواقع[4].

ومنهم من قال: بأن العراف أعم من الكاهن، وأن العراف اسم عام للكاهن، والمنجم، والرمال، ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور الغيبية[5].

وعلى كل حال فإن الكاهن والعراف كلاهما يشتركان في ادعاء علم الغيب.

ولهذا نُقل عن الإمام أحمد : لما سئل عن الكاهن، قال: $هو نحو العراف#[6]؛ فدل على أن معناهما متقارب.

- أنواع الكهانة:

الكهانة على أصناف ثلاثة[7]:

الأول: ما يتلقاه الكهان عن الجن من أمور الغيب المستقبلية.

الثاني: ما يتلقاه الكهان عن الجن مما يطرأ أو يقع في الأرض مما قرب

---

(1) انظر: الصحاح (1400/4-1402)، ولسان العرب (153/9-158)، والنهاية (218/3).

(2) نقلا ً عن آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية (ص 180-182) بتصرف.

(3) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (443/14)، وتيسير العزيز الحميد (ص 325)، وفتح المجيد (ص 360).

(4) انظر: فتح الباري (216/10-217)، والزواجر (109/2).

(5) انظر: مجموع الفتاوى (173/35)، وتيسير العزيز الحميد (ص 335)، وفتح المجيد (ص 360).

(6) أحكام أهل الملل للخلال (ص 469).

(7) هذا التقسيم مستفاد من: علم الغيب في العقيدة الإسلامية (ص 246-253)، ومظاهر الانحراف في توحيد العبادة لدى بعض مسلمي أوغندا (ص 129-136).

أو بعد، مما لا يطلع عليه الإنسان البعيد عنه غالباً.
الثالث: المنجمون.
وتوضيح ما أُجمِل كالآتي:
الصنف الأول: هو ما يتلقاه الكهان عن شياطين الجن من أمور الغيب المستقبلية.
وذلك أن الجن يصعدون إلى السماء يركب بعضهم بعضاً إلى أن يدنو ا لأعلى منهم من السماء بحيث يسمع كلام الملائكة، فيسترقه، ثم يلقيه إلى الذي تحته، إلى أن يتلقاه الأخير، فيلقيه على الكاهن، فيزيد الكاهن فيه مائة كذبة، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ح.
عن عائشة ك قالت: $سأل أناس النبي ح عن الكهان فقال: إنهم ليسوا بشيء، فقالوا: يا رسول الله، إنهم يحدثون بالشيء يكون حقاً؟ فقال النبي ح: تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرقرها[1] في أذن وليه كقرقرة الدجاجة، فيخلطون فيه أكثر من مائة كذبة#[2].
ولما جاء الإسلام ونزل القرآن حُرست السماء من الشياطين، وأُرسِلت عليهم الشهب، كما قال تعالى: ﭽﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ الجن:8-٩.
فلم يبق من استراقهم السمع إلا ما يخطفه الأعلى فيلقيه على الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب، وإلى ذلك أشار الله تعالى بقوله: ﭽﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ الصافات: ١٠.
قال ابن كثير : في تفسيره للآية: $أي: إلا من اختطف من الشياطين الخطفة، وهي الكلمة يسمعها من السماء فيلقيها إلى الذي تحته، ويلقيها الآ خر إلى الذي تحته، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها بقدر الله قبل أن يأتيه الشهاب فيحرقه، فيذهب بها الآخر إلى الكاهن#[3].
وبيّن الحافظ ابن حجر : ندرة إصابة الكهان بعد ما جاء الإسلام: $كانت إصابة الكهان قبل الإسلام كثيرة جداً ... وأما في الإسلام فقد ندر ذلك جداً حتى كاد يضمحل، ولله الحمد#[4].
تنبيه: هذا الاستراق في غير الوحي، أما الوحي فلا يمكن للشياطين أن تسمع منه شيئاً لقوله تعالى: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ الشعراء: ٢١٢[5].

(1) يقرقرها: أي يرددها، يقال: قرقرت الدجاجة تقرقر قرقرة إذا رددت صوتها. فتح الباري (219/10).
(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز حناجرهم (535/13 رقم 7561 -الفتح).
(3) تفسير ابن كثير (7/6-7).
(4) فتح الباري (217/10).
(5) انظر: تفسير ابن كثير (165/6).

الصنف الثاني: هو ما يتلقاه الكاهن عن الجن من أخبار ما يطرأ أو يكون في أقطار الأرض وما خفي عنه مما بعد أو قرب.
وقد يستندون إلى مقدمات يستدلون بها على الحوادث.
وهذا في الأمور التي مضت وانقضت أو التي لا زالت قائمة في الأ ماكن البعيدة.
ومعرفة مثل هذه الأمور أمر ممكن ومقدور عليه، وليس من الغيب في شيء[1]؛ لأن هؤلاء يكون لهم أعوان ومخبرون من الجن أو من غيرهم يخالطون الناس ويأتونهم بأخبارهم، ثم يكاشفون الناس بها، فيظن من لا علم عنده أنهم يعرفون الغيب.
روي عن ابن عباس م أنه قال: $إن وسواس الرجل يحدث وسواس َ الرجل، فم ِن هنا يفشو السر#[2].
ويدخل في هذا القسم: العرافون؛ لأن العرافين هم الذين يدّعون معرفة الأمور بمقدمات يستدلون بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك[3].
قال أبو عبد الله القرطبي :: $العراف هو الحازر والمنجم الذي يدعي علم الغيب. وهي من العرافة وصاحبها عراف، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفتها. وقد يعتضد بعض أهل هذا الفن في ذلك بالزجر[4] والطرق[5] والنجوم، وأسباب معتادة في ذلك. وهذا الفن هو العيافة بالياء. وكلها ينطبق عليها اسم الكهانة؛ قاله القاضي عياض#[6].
وقال ابن قاسم[7] : معلقاً على هذا التعريف: $وظاهر كلامه أن العراف هو الذي يخبر عن الواقع كالسرقة وسارقها والضالة ومكانها وغير ذلك بأسباب ومقدمات، بأقيسة فاسدة يدعي معرفتها بها، وخيالات

---

(1) انظر ما سيأتي من أقسام الغيب النسبي (ص 795-796).
(2) صبح الأعشى (109/1)، وانظر: معجم الأدباء (544/4).
(3) انظر: شرح السنة للبغوي (182/12).
(4) أي: زجر الطير، والتفاؤل بأسمائها وأصواتها، وممرها، وهو من عادة العرب كثيراً. انظر: النهاية في غريب الحديث (330/3)، وعون المعبود (286/10-287)، وفيض القدير (395/4).
(5) الطرق: ضرب من ضروب الكهانة، وقد ذكر أهل العلم له تفسيرات منها: أنه الخط يخط في الأرض، وأنه الضرب بالحصى بطريقة مخصوصة فيتوصل الكاهن بزعمه عن طريقها إلى معرفة الغيب. انظر: غريب الحديث لابن قتيبة (403/1)، وغريب الحديث لابن الجوزي (32/2)، والنهاية في غريب الحديث (121/3).
(6) تفسير القرطبي (404/8).
(7) هو: عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عثمان بن قاسم من آل عاصم (1319-1392 هـ)، من علماء نجد، جمع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية وغيرها. انظر: علماء نجد خلال ستة قرون للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام (414/2).

شيطانية، وربما تن‍زلت عليه الشياطين، ومازجت أنفاسه الخبيثة أنفاس إخوانه من الشياطين، فإنها تن‍زل على الكاهن، والمنجم، والرمال، والساحر، ونحوهم، وكل من ادعى شيئاً من هذه الأمور، لقوله تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ[الشعراء: ٢٢٢]#[1].

فالعراف يعتبر من أدعياء الغيب الذين يموهون على عقول بعض السذج من الناس، وهذا يعد نوعاً من أنواع الكهانة كما سبق بيانه.

الصنف الثالث: المنجمون.

المنجمون صنف من أصناف الكهان، كما ذكر ذلك النووي : وغيره من العلماء الذين سبق ذكرهم[2]، وفيما يلي تعريف بالتنجيم وأقسامه وعلاقته بالكهانة.

- معنى التنجيم وأنواعه:

أصل الكلمة: التنجيم مشتق من أصل لغوي ثلاثي هو $تجَمَ#[3].

تصريفها: هو مصدر قياسي للفعل الرباعي $تجّمَ-يُنَجِّمُ-تنْجِيْمًا#، وهو مأخوذ من النّجْم[4].

معناها لغة: من المعاني اللغوية لمادة $نجم#:

1. الظهور والطلوع، تجَمَ الشيء يَنْجُمُ نُجُوماً إذا طلع وظهر.
2. والنجم قيل بمعنى النجوم، والمقصود منه الكواكب كلها، وهو في ا لأصل اسم لكل واحد من كواكب السماء، وهو بالثريا أخص.
3. ونجّم وتنجّم: إذا راعى النجوم من سهر.

(1) حاشية كتاب التوحيد (ص 206).
(2) انظر (ص 773-774).
(3) مقاييس اللغة (396/5).
(4) انظر: الصحاح (2039/5)، وتصريف الأسماء (ص 62)، ومعجم تصريف الأفعال العربية (ص 127، 243).

4. والمنجّم والمتنجّم: الذي ينظر في النجوم بحسب مواقيتها وسيرها[1].

فيظهر أن التنجيم لغة نسبة إلى النجم؛ إذ كانت مهمة المنجم إنما لا تتم إلا عن طريق النجوم.

معناه اصطلاحاً:

عرفه الخطابي : بأنه: $ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن و الحوادث التي لم تقع، وستقع في مستقبل الزمان، كإخبارهم بأوقات هبوب الرياح، ومجيء المطر، وظهور الحر والبرد، وتغيّر الأسعار، وما في معانيها من الأمور. يزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها، وباجتماعها واقترانها، ويدّعون لها تأثيراً في السفليات، وأنها تتصرف على أحكامها وتجري على قضايا موجبها#[2].

وتبعه على هذا التعريف البغوي :[3].

وعرفه شيخ الإسلام ابن تيمية : بقوله: $هو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية، والتمزيج بين القوى الفلكي[4] والقوابل الأ رضية#[5].

وبنحو هذا التعريف عرفه الشيخ زكريا الأنصاري[6]، والشيخ ابن عثيمين[7] رحمهما الله.

وهو تعريف حسن، إلا أن فيه إجمالا ً. وقد وضّح هذا الإجمال ابن خلدون :، فقال: هو: $ما يزعمه أصحاب هذه الصناعة من أنهم يعرفون بها الكائنات في علم العناصر قبل حدوثها، من قِبل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها في المولِدات[8] العنصرية مفردة ومجتمعة، فتكون لذلك أوضاع ا لأفلاك والكواكب دالة على ما سيحدث من نوع من أنواع الكائنات الكلية و

(1) انظر: كتاب العين (154/6)، وجمهرة اللغة (495/1)، ولسان العرب (59/14-61)، والقاموس المحيط (ص 1161)، وتاج العروس (478/33).
(2) معالم السنن (229/4-230).
(3) انظر: شرح السنة (183/12).
(4) كذا في الأصل المطبوع من مجموع الغتاوى: $القوى الفلكي#، ولعل الصواب: $القوى الفلكية#.
(5) مجموع الفتاوى (192/35).
(6) انظر: اللؤلؤ النظيم مع شرحها المسمى خزانة العلوم للدكتور عبد الله نذير (ص 189).
(7) انظر: المجموع الثمين من فتاوى الشيخ ابن عثيمين (138/2).
(8) المولّد: المحدث من كل شيء. لسان العرب (395/15).

الشخصية#[1].

يقصد ابن خلدون : بالأنواع الكلية: الحوادث التي تحدث للعالم أو للدول. وبالأنواع الشخصية: الحوادث التي تحدث للأشخاص من موت وحياة ونحوه[2].

أقسام علم النجوم[3]:

ينقسم علم النجوم إلى ثلاثة أقسام:

1. حسابيات.
2. طبيعيات.
3. وهميات[4].

القسم الأول: الحسابيات:

كعمل التقاويم، وحل الزيجات[5]، واستخراج التواريخ، ونحو ذلك[6].

القسم الثاني: الطبيعيات:

كالاستدلال من انتقال الشمس في البروج الفلكية على الفصول كالحر والبرد والاعتدال[7]، وهذا ما عبّر عنه الخطابي والبغوي بقولهما: $أما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والحس، كالذي يُعرَف به الزوال ويُعلم به جهة القبلة؛ فإنه غير داخل فيما نهي عنه#[8].

ويدخل في هذا القسم أيضاً: العلم بأسماء الكواكب، ومناظرها، ومطالعها، ومساقطها، وسيرها، والاهتداء بها، وانتقال العرب عن مواردهم المائية بحسب ما اعتادوا من أوقاتها، وتخيرهم الأزمان لنتاج مواشيهم، ولضراب الفحول، ومعرفتهم بالأمطار على اختلافها، والتوصل إلى جهة القبلة بالنجوم، ومعرفة مواقيت الصلاة، وساعات الليل بظهورها وأفولها[9]،

---

(1) مقدمة ابن خلدون (ص 445).

(2) انظر: التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام، للدكتور عبد المجيد المشعبي (ص 35-36).

(3) هذا المبحث مستفاد من المرجع السابق (ص 37-41)، والسحر بين الحقيقة و الخيال (ص 206-211) بتصرف.

(4) كشف الظنون (1930/2).

(5) الزيج هو: جدول يعرف منه مواضع الكواكب في أفلاكها، ويعمل على طريقة حسابية عن طريق معرفة سير الكواكب، وهي كلمة فارسية. انظر: مقدمة ابن خلدون (ص 400).

(6) انظر: رسائل إخوان الصفا (114/1).

(7) كشف الظنون (1930/2).

(8) معالم السنن (230/4)، وانظر: شرح السنة (183/12).

(9) انظر: القول في علم النجوم، للخطيب الغدادي (ص 126).

وهذا ما يسمى بعلم التسيير[1].

وفي حساب النجوم استدلال على أوقات من العام، وكل وقت له خصائص بما يصاحبه من الظواهر الكونية، وفيها ما يكون أسباباً تناسبُ أشياء: من النبت، والزرع، والحصد، ونحو ذلك، أو لا تكون مناسبة؛ لما أودعه الله تعالى فيها من حراراة، أو رطوبة، أو هواء، أو سكون مما هيأ العليم الحكيم في خلقه. ورصْدُ ذلك وتعلُمه ليس شيئاً محذوراً في ذاته؛ ما لم يصاحب إسناد تلك الآثار الحاصلة إلى غير الله تعالى.

بل فيه فوائد كثيرة للناس في معاشهم، ومن يتحرون ذلك لا يجزمون بنتائجه، ورأيهم إنما هو اعتماد على تجارب تحصُلُ غالباً، وتتخلف أحياناً، فهم يرونها أسباباً عادية فقط.

عن قتادة : أنه قال: $ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ [الملك: ٥]، خلق هذه النجوم لثلاث: جعلها زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به#[2].

هذه الأمور الثلاثة التي ذكرت أنها علة خلق النجوم، جاء ذكرها في قوله تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼالملك:٥، وقوله: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼالأنعام: ٩٧، وقوله: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼالنحل: ١٦.

وأما إذا تغير الاعتقاد بإسناد الآثار إلى النجوم، أو وصل الأمر إلى ربط حركات المكلفين، وما يُقَدّر لهم بها، فهذا هو النوع المحرّم من علم النجوم، وهو القسم الثالث الذي يأتي بيانه قريباً.

قال الحافظ ابن حجر :، لما تكلم على أثر قتادة السابق: $وصله عبد بن حميد[3] من طريق شيبان[4] عنه به، وزاد في آخره: وأن ناساً جهلة بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة: من غرس بنجم كذا؛ كان كذا، ومن سافر بنجم كذا؛ كان كذا. ولعمري ما من النجوم نجم إلا ويولد به الطويل و القصير، والأحمر والأبيض، والحسن والدميم، وما علم هذه النجوم، وهذه الدابة، وهذا الطائر شيئ من هذا الغيب#[5].

القسم الثالث: الوهميات:

---

(1) فضل علم السلف على الخلف (ص 21).

(2) رواه البخاري في صحيحه معلقاً، كتاب بدء الخلق، باب في النجوم (295/6 - الفتح).

(3) هو: عبد بن حميد بن نصر الكسِّي أبو محمد (ت 249 هـ)، ثقة حافظ. انظر: التقريب (رقم 4294).

(4) هو: شيبان بن عبد الرحمن التميمي مولاهم النحوي أبو معاوية البصري (ت 164 هـ)، ثقة له كتاب في الحديث. انظر نفس المصدر (رقم 2849).

(5) فتح الباري (295/6).

وهو ما يزعمه المنجمون من أحكام النجوم، وتأثيرها في هذا العالم.
وهذا القسم نوعان:
النوع الأول: اعتقاد أن هذه الكواكب تدبر هذا الكون، وأنها أحياء ناطقة مختارة، منها يصدر الخيرُ والشرُّ، وأن حركاتها تُحدث جميع حوادث الكون والفساد[1]. والمنجمون في هذا النوع على أصناف[2].
النوع الثاني: اعتقاد أن الخالق والمدبر هو الله، وأن للشمس والقمر وسائر الكواكب تأثيراً في هذا الكون، وهذا التأثير من أفعال الله، وإنما أضيف لهذه الكواكب من باب التجوز والتوسع. ولكن الله أجرى الحوادث على الأرض وجعل حركات الكواكب في العادة علامات ودلالات عليها قبل حدوثها.
وهذا القسم -أي الوهميات- هو المسمى بعلم التأثير[3]، وعلى هذا القسم من علم النجوم يُحمل المراد بقول الرسول ح: $ مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنْ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنْ السِّحْرِ زَادَ مَا زَاد#[4] بمعنى أن هذا الاقتباس الذي يكون سحراً، هو ما يدعيه المنجمون.
ولا يمكن حمل الاقتباس على أنه إدراك علم صحيح عن أحوال النجوم؛ لأن معرفة صفاتها التي خلقها الله تعالى عليها، وخصائصها التي هيأها لها، ليست هي ما يعتقده السحرة فيها؛ من كونها مؤثرة، وعلة تامة تستلزم معلولها، بل الباطل المحذور هو ما يدعيه أولئك، من الباطل الداعي إلى عبادة غير الله تعالى. والله تعالى أعلم.

(1) انظر: السر المكتوم، للرازي (ق 184 ب) نقلا ً عن التنجيم والمنجمون (ص 38).
(2) انظر: التنجيم والمنجمون (ص 38-41).
(3) انظر: فضل علم السلف على الخلف (ص 20).
(4) رواه أبو داود في سننه، كتاب الطب، باب في النجوم (4/145-146 رقم 3905) ، وابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب تعلم النجوم (ص 617 رقم 3726)، وأحمد في مسنده (5/41 رقم 2840) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، و اللفظ لأبي داود. وصحح إسناده الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد (ص 48)، كما جود إسنادَه الشيخُ الألباني في السلسلة الصحيحة (2/420 رقم 793).

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف المتعلقة بالكهانة والعرافة والتنجيم وإتيان الكهان والعرافين والمنجمين

الكهانة والعرافة والتنجيم -للأسف- منتشرة بكثرة في أنحاء إندونيسيا، فيما يلي نبذة يسيرة عن أمثلة ذلك:

المثال الأول: ادعاء Ki Ahmad Subari Hukum (كِيْ أحمد سُوْبَرِيْ حُكم) -كاهن من مدينة Bandung (بَنْدُوْنْجْ) بجاوى الغربية- بأن القلاقل والاضطرابات في إندونيسيا ستبلغ ذروتها في تاريخ 1999/9/9 م[1].

المثال الثاني: تكهن كِياهِيْ الحاج سبحان مأمون -مدير معهد "السلفية"[2] الإسلامي (!) بمدينة Brebes (بْرِيْبِيْس) بجاوى الوسطى- بأن Gus Dur (غُوْسْ دُوْرْ) إذا انتُخب رئيساً لجمهورية إندونيسيا فإن حظه سيكون سيئاً[3].

المثال الثالث: ما أتى به عدد من العرافين -منهم: Kaji Meron bin Zubir (الحاج مِيْرُوْنْ بن زبير)؛ كاهن في مدينة Bangkinang (بَنْكِيْنَنْجْ) بسُوْمَطْرَا الجنوبية- في نهاية عام 2005 م بتنبئآت وتوقعات وتخرصات بما سيحدث في سنة 2006 م من أوضاع دولة إندونيسيا السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والأمنية[4]، ومنهم من زعم أن في نهاية عام 2006 م ستنفجر عدد من البراكين منها: بركان Samosir (سَمُوْسِيْرْ)، وبركان Krakatau (كرَكَتَوْ)، وبركان Merapi (مِيْرَاپِيْ) [5]، ومضت تلك السنة ولم يحصل شيء مما ادعوه!

المثال الرابع: ادعاء الكاهن المدعو Mbah Liem (إِمْبَهْ لِيَمْ) معرفة تاريخ وفاة رئيس جمهورية إندونيسيا الأسبق Suharto (سُوْهَرْتُوْ) قبل وفاته بسنين، فلما جاء ذلك التاريخ الذي ادعاه، تبيّن كذبه؛ فقد عاش بعد ذلك سنين عدداً!.

المثال الخامس: ما ادعاه الكاهن الإندونيسي الشهير Mbah Maridjan (إِمْبَهْ مَرِيْجَنْ) -الساكن في مدينة Jogjakarta (جُوْكْجَكَرْتَا)- من أن أوضاع حكومة رئيس جمهورية إندونيسيا الحالي - Susilo Bambang

---

(1) انظر: جريدة Posmo (فُوْسْمُوْ)، العدد 24، السنة الأولى، تاريخ 21-27 أغسطس 1999 (ص 6).
(2) السلفية هنا تعني: التقليدية الصوفية الأشعرية.
(3) انظر: جريدة Posmo (فُوْسْمُوْ)، العدد 24، السنة الأولى، تاريخ 21-27 أغسطس 1999 (ص 5).
(4) انظر: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ) العدد 387، تاريخ 20 ديسمبر 2005 - 4 يناير 2006 م (ص 11-19).
(5) انظر: جريدة Posmo (فُوْسْمُوْ)، العدد 358، تاريخ 8 مارس 2006 (ص 6).

Yudhoyono (سُوْسِيْلُوْ بَمْبَنْجْ يُوْدُوْيُوْنُوْ)- السياسية والاقتصادية ستكون مستقرة، بخلاف أوضاعها الثقافية فإنها ستكون سيئة. كما ادعى أنه ستحل بإندونيسيا مصائب جسيمة. وصرح الكاهن المذكور أنه تلقى هذه الأخبار من سلطان بركان Merapi (مِيْرَابِيْ)[1] من الجن.

المثال السادس: ادعاء Nyai Dasimah (إِنْجَئِي دَسِيْمَهْ) -كاهنة في مدينة Surabaya (سُوْرَبَيَا)- أن مشروع بناء جسر Suramadu (سُوْرَمَدُوْ)- وهو الجسر الممدود بين مدينة سُوْرَبَيَا وجزيرة Madura (مَدُوْرَا)- لن يكون ناجحاً إلى الأبد، وصرحت أن هذا الخبر تلقته من الجن[2].

المثال السابع: أنهم كونوا منظمات ورابطات تجمعهم، وبعض هذه المنظمات لها فروع في معظم محافظات إندونيسيا.

ومن تلك المنظمات والرابطات:

- Forum Komunikasi Paranormal dan Penyembuh Alternatif Indonesia (رابطة التواصل بين الكهان والمعالجين الشعبيين بإندونيسيا)، برئاسة Ki Ageng Mas'oed Thoyib (كِيْ أَجِيْنْجْ مسعود طيب)[3].
- Ikatan Paranormal Indonesia (رابطة كهان إندونيسيا)، برئاسة Prof. Dr. KH. Nurullah Marzuki, Ph. D (الأستاذ الدكتور كِيَاهِيْ الحاج نور الله مرزوقي)[4]، أو Ki Pakujati (كِيْ فَكُوْجَتِي)[5].
- Ikatan Persaudaraan Paranormal Seluruh Indonesia (رابطة أخوة كهان إندونيسيا)، برئاسة Suhu Ong S. Widjaja (سُوْهُوْ أُوْنْجْ س. وِيْجَيَا)[6].
- Ikatan Spiritualis Alternatif Indonesia (رابطة الروحانيين الإندونيسيين)، برئاسة Ustadz Cilik Guntur Bumi (الأستاذ تشِيْلِيْكْ جُوْنْتُوْرْ بُوْمِيْ)[7].

---

(1) انظر: جريدة Posmo (فُوْسْمُوْ)، العدد 328، تاريخ 3 أغسطس 2005 م (ص 7).
(2) انظر: مجلة Ghoib (غيب)، العدد 25، السنة الثانية، تاريخ 5 شعبان 1425 هـ / 20 سبتمبر 2004 م (ص 28).
(3) انظر: مجلة HAM (هَامْ)، العدد 9، يوليو-أغسطس 2005 م (ص 12)، وجريدة Posmo (فُوْسْمُوْ)، والعدد 358، تاريخ 8 مارس 2006 م (ص 28).
(4) انظر: مجلة Ghoib (غيب)، العدد 16، السنة الثانية، 1425 هـ / 2004 م (ص 29).
(5) انظر: المرجع السابق، العدد 16، السنة الثانية، 1425 هـ / 2004 م (ص 29).
(6) انظر: كتاب Jagat Spiritualis Nusantara (عالم الروحانيين الإندونيسيين) (ص 124).
(7) انظر: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 387، تاريخ 20 ديسمبر 2005 - 4 يناير 2006 م (ص 149).

المثال الثامن: ومن طرق ترويج الكهانة أن أصدرت إحدى الجرائد الشركية كتاباً يجمع بين دفتيه تراجم أشهر كهان إندونيسيا -في نظرها- مع ذكر شيء من (مميزاتهم). وعنوان الكتاب: Jagat Spiritualis Indonesia (عالم الروحانيين الإندونسيين). وبلغ عدد المترجَم لهم واحداً وأربعين كاهناً.

المثال التاسع: كما استغلوا الوسائل الحديثة؛ فتحوا مواقع في الإ نترنت لنشر الكهانة، ومن تلك المواقع:

- www.wartamerdeka.com.
- www.adematі.org.
- www.bioenergicenter.com.
- www.boseddy.cjb.net.
- www.djengasih.com.
- www.mbahroso.com.
- www.problem-anda.com.
- www.dirgoworo.com.
- http://kejayaan.com/bag.html.
- وغيرها كثير.

ومن أنواع الكهانة المعروفة بإندونيسيا:

المثال العاشر: Membaca firasat kehidupan melalui kedutan (تكهن ما سيحصل في حياة الإنسان عن طريق ما يحصل له من ذبذبة في جسده). يقولون -على سبيل المثال-: ذبذبة في الرأس تعنى أن الأجل قريب ، وذبذبة في الصدغ الأيسر تعني أنه سيصاب بمصيبة، وذبذبة في إبهم القدم اليمنى تعني أنه ستحصل وفاة أحد أفراد الأسرة، وهكذا لكل ذبذبة معناها بحسب موضعها من الجسد -بزعمهم-[1].

المثال الحادي عشر: التكهن عن طريق اسم الشخص؛ فبناءً على النظر في اسم الشخص وتاريخ ولادته، يُتَكهّن ما سيحصل له مستقبلا ً؛ كأن يقال -بناء على ما ذُكِر- بأن ذلك الشخص في سنة كذا سيحصل له حادث، وأنه سيفشل في عمله، وأن رزقه مستقبلا ٍ سيقلّ، وهكذا. وبعض المجلا ت الشركية جعلت في إحدى صفحاتها ركناً خاصاً لهذا النوع من الكهانة وسمته: Rahasia nama (سر الأسماء)[2]، تستقبل من خلاله أسئلةَ القراء الذين يرغبون في معرفة حظوظهم في المستقبل من هذا الطريق.

المثال الثاني عشر: التكهن عن طريق النظر في شكل رسم كتابة الشخص وما يحتويها من معانٍ؛ فمن خلاله يُتَكهن ما سيحصل للشخص

(1) انظر: مجلة HAM (هَامْ)، العدد 10، أغسطس-سبتمبر 2005 م (ص 58-59).
(2) انظر: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 375، تاريخ 5-19 يونيو 2005 م، والعدد 387، تاريخ 20 ديسمبر 2005 - 4 يناير 2006 م (ص 134).

مستقبلا ً من أعراض صحية أو غيرها. وبعض المجلات الشركية جعلت في إحدى صفحاتها ركناً خاصاً لهذا النوع من الكهانة وسمته: Grafologi (علم فن الكتابة)[1]، تستقبل من خلاله أسئلةَ القراء الذين يرغبون في معرفة حظوظهم في المستقبل من هذا الطريق.

المثال الثالث عشر: التكهن في اختيار الزوج المناسب عن طريق حساب الأحرف الجاوية؛ وذلك بأن يضاف حساب أول حرف للخاطب مع حساب أول حرف للمخطوبة، ويُنقص مجموعهما بسبعة، فالنتيجة تدل على كون الخاطب مناسباً للمخطوبة أو لا، ولهم رمز في ذلك[2].

المثال الرابع عشر: التكهن بقراءة الكف، ويكثر وجود القائمين بذلك في الأسواق الشعبية، أو التجمعات الليلية في المناسبات المعينة كمناسبة عيد استقلال البلد مثلا ً، أو مناسبة مرور حول من وفاة (الأولياء)[3].

المثال الخامس عشر: التكهن بما يسمى بـ Pendulum (فِيْنْدُوْلُوْمْ) وذلك بأن يربط أحد ختماً بحبل ثم يتركه يتحرك، ويسأله بسؤال، إن تحرك يميناً -مثلا ً- يعني أن الجواب نعم، وإن تحرك يساراً يعني أن الجواب: لا[4].

تعتبر الأمثلة السابقة مظاهر لممارسة بعض الإندونيسيين للكهانة و العرافة، **أما انحرافهم بإتيان الكهنة والعرافين، فيتضح من خلال الأمثلة التالية:**

المثال السادس عشر: لقد فتح جمع غفير من الكهنة والعرافين عيادات -في منازلهم أو في فنادق معينة، يضعون إعلاناتها في المجلات الشركية- يستقبلون فيها استفسارات من يأتيهم من المخدوعين وجهلة الإ ندونيسيين -حكاماً ومحكومين-، وهم كُثُر -وللأسف-.

المثال السابع عشر: ولم يقتصر الكهنة والعرافون على فتح العيادات في منازلهم، بل فتحوا ركناً خاصاً في بعض المجلات والجرائد لاستقبال استفسارات القراء؛ ومن أسماء تلك الأركان: Api Asmara (نار العشق)[5]،

---

(1) انظر: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 375، تاريخ 5-19 يونيو 2005 م، والعدد 387، تاريخ 20 ديسمبر 2005 - 4 يناير 2006 م (ص 135).

(2) انظر: جريدة Posmo (فُوْسْمُوْ)، العدد 328، تاريخ 3 أغسطس 2005 م (ص 26).

(3) انظر على سبيل المثال: سي دي مرئي بعنوان Acara Basapa ke Makam Syekh Burhanuddin di Ulakan Pariaman (برنامج بَسَفَا إلى ضريح الشيخ برهان الدين بأُوْلَكَنْ فَرِيَمَنْ).

(4) انظر: مجلة Intisari (إنتيساري)، ديسمبر 2003 (ص 65-67)، و جريدة Posmo (فُوْسْمُوْ)، العدد 327، تاريخ 27 يوليو 2005 م (ص 28).

(5) انظر: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 375، تاريخ 5-19 يونيو 2005 م (ص 132).

(سؤال وجواب حول Konsultasi tenaga dalam dan rumah tangga القوة الباطنية والأسرة)[1]، Konsultasi wanita dan rumah tangga (سؤال وجواب عن المرأة والأسرة)[2]، Konsultasi mistis (سؤال وجواب عن الأمور الغامضة)[3]، Konsultasi rumah tangga dan jodoh (سؤال وجواب حول الأسرة والزواج)[4]، Konsultasi jodoh (سؤال وجواب عن الزواج)[5]، وغيرها كثير.

وأسئلة هؤلاء تتنوع ما بين سؤال عن أمر مستقبل -كطلب معرفة حظوظ الشخص في الرزق، أو الزواج، أو الولد أو نحوها-، وسؤال عن أمر مضى -كطلب معرفة مكان وجود المسروق، أو معرفة السارق أو نحوها-.

أما مظاهر الانحراف بالتنجيم، فمن أمثلتها:

المثال الثامن عشر: تصديق الناس لما يسمى بـ Feng Shui (فِيْنْجْ سُوْوِي)، وهو عبارة عن علم يربط فن الديكور المنـزلي بحركات النجوم ومنازلها، وهو صيني الأصل[6].

وهذا النوع من علم النجوم هو ما سماه بعض العلماء بعلم التأثير، وهو: $الاستدلال بحركة النجوم والتقائها وافتراقها، وطلوعها وغروبها، على ما سيحصل في الأرض، فيجعلون حركة النجوم دالة على ما سيقع مستقبلا في الأرض#[7].

ومما يدل على ازدياد تعلق الناس بهذا العلم إحداث بعض المجلات ركناً خاصاً في بعض صفحاتها لاستقبال تساؤلات الناس حول هذا العلم، وسمته: Konsultasi Hong Shui & Feng Shui (سؤال وجواب عن هُوْنْجْ سُوْوِي وفِيْنْجْ سُوْوِي)[8]، وللأسف لم تعد المجلة تقتصر على الكلام في

---

(1) انظر: مجلة HAM (هَامْ)، العدد 10، أغسطس-سبتمبر 2005 م (ص 42).

(2) انظر: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 375، تاريخ 5-19 يونيو 2005 م، والعدد 387، تاريخ 20 ديسمبر 2005 - 4 يناير 2006 م (ص 137).

(3) انظر: مجلة Wahana Mistis (وَهَنَا مِيْسْتِيْسْ) العدد 111، السنة السادسة، تاريخ 2-17 أغسطس 2005 م (ص 65).

(4) انظر: جريدة Posmo (فُوْسْمُوْ)، العدد 391 تاريخ 1 نوفمبر 2006 م (ص 31).

(5) انظر: مجلة Wahana Mistis (وَهَنَا مِيْسْتِيْسْ) العدد 111، السنة السادسة، تاريخ 2-17 أغسطس 2005 م (ص 33).

(6) انظر: مقالة بعنوان Islam memandang fengshui (نظرة الإسلام في فِيْنْجْ سُوِيْ)، منشورة في الموقع geocities.com/dynartda، وهي مقالة مفادها: أن علم فينج سووى -في نظر كاتبها- علم ليس فيه بأس في نظر الإسلام. والأمر ليس كما قال الكاتب؛ إذ هو من علم التأثير المنهي عنه في الإسلام، فأسأل الله أن ييسر لي -أو لأحد الإخوة من طلبة العلم- إفراد مقالة للرد الموسع عليها، والله ولي التوفيق...

(7) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص 344).

(8) انظر: مجلة Wahana Mistis (وَهَنَا مِيْسْتِيْسْ) العدد 111، السنة السادسة، تاريخ

قواعد الديكور المن-زلي، بل تعدى ذلك إلى مسائل في العمل، والأسرة، و الزواج، والصحة، والتجارة وغيرها وكلها تربط بمنازل النجوم وحركاتها[1]، والله المستعان...

المثال التاسع عشر: ومما يدخل في التنجيم في هذا العصر بوضوح - مع غفلة الناس عنه- ما يكثر في المجلات مما يسمونه البروج، فيخصصون مكاناً خاصاً في الجرائد والجلات، ويجعلون عليها رسم بروج السنة برج الأ سد، والعقرب، والثور، إلى آخره، ويجعلون أمام كل برج ما سيحصل فيه، فإذا كان الرجل أو المرأة مولودا ً في ذلك البرج يقول: سيحصل لك في هذا الشهر من الأمور العاطفية والمالية والصحية كذا وكذا.

وفيما يلي أمثلة لعناوين تلك الصفحات المخصصة للكلام عن الأ براج:Zodiak dwi minggu (أبراج كل أسبوعين)[2]، Bintang anda bulan ini (برجك هذا الشهر)[3]، Horoskop jawa (البرج الجاوي)[4]، Shio bicara (شيو يتحدث)[5]، Petung jawa (الحساب الجاوي)[6]، Peruntungan hari (الحظ اليومي)[7]، Petungan jawa (الحساب الجاوي)[8]، Horoscop (الأبراج)[9]،

2-17 أغسطس 2005 م (ص 43).

(1) انظر: المرجع السابق.

(2) انظر: مجلة Misteri (مِيسْتِيرِيْ)، العدد 375، تاريخ 5-19 يونيو 2005 م، والعدد 387، تاريخ 20 ديسمبر 2005 - 4 يناير 2006 م (ص 133).

(3) انظر: مجلة HAM (هَامْ)، العدد 10، أغسطس-سبتمبر 2005 م (ص 66-67).

(4) انظر: جريدة Posmo (فُوسْمُوْ)، العدد 391، تاريخ 1 نوفمبر 2006 م (ص 32).

(5) انظر: مجلة Wahana Mistis (وَهَنَا مِيسْتِيسْ) العدد 111، السنة السادسة، تاريخ 2-17 أغسطس 2005 م (ص 85).

(6) انظر: جريدة Wawasan (وَوَسَنْ)، يوم الأحد، تاريخ 26 مارس 2006 م (ص 12).

(7) انظر: جريدة Merapi (مِيْرَاپِيْ)، تاريخ 4 ديسمبر 2004 م.

(8) انظر: المرجع السابق.

(9) انظر: المرجع السابق.

(توقعات سَيْر Prediksi garis kehidupan ،(برجك)[1] Bintang Anda الحياة)[2]، Astrologi jawa (البرج الجاوي)[3]، وبعض هذه الصفحات -ولأسف- تكون تحت رعاية من يدعي أنه من حجاج بيت الله الحرام![4].

المثال العشرون: كما استغل أصحاب هذه الأبراج الجوالات لنشر أباطيلهم؛ فما على صاحب الجوال إلا أن يرسل رمزاً معيناً -مثلا ً: الرمز التالي Reg Posmo $ شهر وتاريخ الميلاد# إلى رقم 9168-، فيُرسل له يومياً: رسالة تتضمن حاله في ذلك اليوم من الناحية المالية، والصحية، و العشقية. وتكلف هذه الخدمة ألف روبية من رصيد الجوال يومياً[5].

المثال الحادي والعشرون: كما استغلوا الوسائل الحديثة كجهاز الحاسب الآلي، وذلك بوضع هذا الجهاز في أماكن تجمعات الناس كالاسواق الحديثة (سوبر ماركت)، فعلى المستخدم فقط إدخال مبلغ معين من المال، ثم يطلب الجهاز منه: كتابة اسمه، وتاريخ ولادته، وبعد كتابته لهذه المعلومات، يطبع الجهاز له صحيفة بها الطالع في الأيام المقبلة أو لعدة سنوات.

(1) انظر: مجلة Wahana Mistis (وَهَنا مِيْسْتِيْس)، العدد 111، السنة السادسة، تاريخ 2-17 أغسطس 2005 م (ص 55).
(2) انظر: نفس المرجع (ص 73).
(3) انظر: جريدة Posmo (فُوْسْمُوْ)، العدد 391، تاريخ 1 نوفمبر 2006 م (ص 5).
(4) انظر: مجلة Wahana Mistis (وَهَنا مِيْسْتِيْس)، العدد 111، السنة السادسة، تاريخ 2-17 أغسطس 2005 م (ص 55).
(5) انظر: جريدة Suara Merdeka (سُوَارَا مِيْرْدِيْكا)، يوم الأحد، تاريخ 8 مايو 2005 م.

المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

بما أن الكهانة والعرافة التنجيم تشترك في كونها ضرباً من ادعاء علم الغيب، يحسن بنا -قبل التوسع في الكلام عن موقف الإسلام من هذه الأمور الثلاثة-؛ أن نتحدث -بنوع من التفصيل- عن تعريف الغيب وأقسامه:

- تعريف الغيب وأقسامه[1]:

لفظ الغيب في اللغة يطلق على كل ما غاب عن العقول وعن الأ نظار[2].

يقال: غابت الشمس وغيرها إذا استترت عن الأعين[3].

وسمي الغيب غيباً باعتباره بالناس ونحوهم، لا بالله لأ؛ فإنه سبحانه لا يغيب عنه شيء، لكن لا يجوز أن يقال إنه جل وعلا لا يعلم الغيب قصداً إلى أنه لا غيب بالنسبة إليه؛ لأن ذلك من إساءة الأدب[4].

فالغيب في اللغة يدل على معنى عام واسع شامل؛ إذ هو يطلق على كل ما غاب واستتر عن العيون سواء كان حسياً أو معنوياً، وسواء كان مما يجب الإيمان به أو مما لا يجب الإيمان به.

أما الغيب شرعاً فهو يدل على معنى خاص محدد بإطار معين، وقد وردت عن السلف عدة أقوال في تعريف الغيب وتفسيره، وهي غير متعارضة فيما بينها؛ لأن كل ما ذكروه يكمل بعضه بعضاً، ومن تلك التعريفات: ما نسب لابن عباس م: $الغيب: كل ما أ ُم ِر ْت َ بالإ يمان به فيما غاب عن بصرك؛ مثل الملائكة، والبعث، والجنة، والنار، و الصراط، والميزان#[5].

إلا أنه في لسان الشرع، يمكن تقسيم الغيب -باعتبار معلومه- إلى نوعين:

أحدهما: ما استأثر الله تعالى بعلمه وهو ما يتعلق بذاته تعالى، وبعض أسمائه، وحقائق صفاته[6].

وثانيهما: ما يجوز أن يطلع بعض خلق الله على بعضه، وهو ما يتعلق بمخلوقات الله.

---

(1) ملخص من: علم الغيب في العقيدة الإسلامية (ص 11-18، 20-21، 24-25، 105-108)، وتقديس الأشخاص (184/1-191).

(2) انظر: مقاييس اللغة (403/4)، والقاموس المحيط (ص 121)، ولسان العرب (151/10).

(3) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص 616).

(4) انظر: روح المعاني (10/20 –ط. المنيرية).

(5) تفسير البغوي (62/1).

(6) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (101/1).

أقسام الغيب:

ينقسم الغيب -باعتبار العلم به- إلى قسمين:

1. غيب مطلق: وهو المتعلق بالله سبحانه دون من سواه. وهذا النوع من علم الغيب هو المراد عند إطلاق لفظ $علم الغيب#.
2. غيب نسبي: وهو الذي يمكن للمخلوق معرفته، ويكون ذلك بمعرفة أسبابه، وقد يعرفه البعض ويجهله البعض الآخر(1).

الغيب المطلق:

قد ورد إثبات علم الغيب المطلق لله سبحانه ونفيه عمن سواه في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، منها:

قوله تعالى: ﮋ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫﭬﮊ النمل: ٦٥.

وسيأتي -بإذن الله- ذكر الآيات الأخرى في الأدلة على اختصاص الله بعلم الغيب.

ويمكن جعل هذا القسم على نوعين:

النوع الأول: ما ورد فيه النص الصريح بأن الله تعالى قد كتمه عن خلقه، فلم يطلع عليه أحد سواه، ولا يمكن أن يعرفه أحد من الخلق لا ملك مقرب ولا نبي مرسل. وهذا مثل ومفاتح الغيب الخمسة التي اختص الله بعلمها التي منها العلم بوقت مجيء الساعة.

قال تعالى في شأن مفاتح الغيب الخمسة التي اختص بعلمها: ﮋ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﮊ لقمان: ٣٤.

وقال سبحانه في خصوص شأن علم الساعة: ﮋ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﮊ الأعراف: ١٨٧.

والنوع الآخر: ما لم يرد فيه نص صريح على أن الله تعالى قد كتمه عن خلقه.

فهذا النوع قد يُطلِع الله ﻷ بعضَ خلقه على شيء منه كملائكته ورسله. وقد أشار الله تعالى إلى ذلك في قوله: ﮋ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﮊ الجن: 26-٢٧.

ومعنى الآية كما قال أبو عبد الله القرطبي ؒ: $إن الله تعالى لا يظهر على غيبه إلا من ارتضى، أي اصطفى للنبوة فإنه يطلعه على ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم ليكون ذلك دلالة على نبوته#(2). وقوله سبحانه: ﮋ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﮊ $يعم الرسول الملكي والبشري#، كذا قال

(1) انظر: مجموع الفتاوى (110/16)، وتقديس الأشخاص (185/1).
(2) تفسير القرطبي (308/21).

ابن كثير :[1].

لكن لا يعني هذا أن يوصفوا بأنهم يعلمون الغيب؛ لأنهم لم يعلموا ذلك إلا بتبليغ الله لأ لهم، ثم إن علمهم بالأمور المغيبية محدود بحسب ما يكشفه الله لأ لهم.

يقول النووي : في بيان معنى قوله تعالى: ﭽﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶﭷ ﭼ النمل: ٦٥ وما في معناه من النصوص: $معناه لا يعلم ذلك استقلالا ً، علم إحاطة بكل المعلومات إلا الله#[2].

إلا أن ما أطلعه الله لهم بالنسبة لما لم يطلعه لهم قليل، يقول ابن حجر الهيتمي :: $إن الله أطلع أنبياءه على مغيبات كثيرة ... لكنها جزئيات قليلة بـ النسبة إلى علمه تعالى، فهو المنفرد بعلم المغيبات على الإطلاق كليها وجزئيها دون غيره#[3].

الغيب النسبي:

وهو ما غاب عن بعض المخلوقين دون بعض، أو غاب عنهم في حال دون حال؛ بحيث يمكن التعرف عليه في الدنيا إما مطلقاً أو بعد توفر الأ سباب المؤدية إلى معرفته.

ويدل على وجود هذا القسم من علم الغيب -عموماً- آيات كثيرة، منها: قوله تعالى: ﭽﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﭼ آل عمران: ٤٤.

وقوله: ﭽﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡﮢﭼ هود: ٤٩.

وقوله: ﭽﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﭼ يوسف: ١٠٢.

فهذه الأنباء التي قصها الله سبحانه على رسوله ح وذكرها في كتابه هي غيب عن رسول الله ح وغيب بالنسبة لنا قبل أن يخبرنا بها الله جل جـ لاله، وشهادة بالنسبة لمن وقعت له، فهي غيب لمن لم يحضرها وشهادة لمن حضرها.

والغيب النسبي لا يختص علمه بأحد معين، أو طبقة خاصة، بل قد يحصل للعالم والجاهل أو لأحدهما، كما أنه قد يحصل للولي وغير الولي، وللمسلم والكافر وغيرهم.

وعلم الخلق بهذا الغيب يكون نسبياً وجزيياً، أما علم الله سبحانه فهو من كل وجه.

فالذي تعلمه الملائكة من عالمهم وغيره لا يعلمه البشر مثلا ً، وما يعلمه بعض البشر بتمكنهم من أسبابه ومعرفتهم لها ولا يعلمه غيرهم

---

(1) تفسير ابن كثير (247/8).
(2) الفجر الساطع (257/10)، والمعيار المعرب (376/12-377).
(3) الزواجر (109/2).

لجهلهم بتلك الأسباب أو عجزهم عن استعمالها، فهو من الغيب النسبي.

وأما الإحاطة بالمعلومات كلياتها وجزئياتها ما كان منها وما لم يكن، فهذا لله وحده لا شريك له، فلا يضاف إلي غيره من الخلق، فمن ادعى شيئاً من ذلك لغير اللّه تعالى فقد أعظم على اللّه الفرية، كما قالت عائشة ك: $من زعم أن رسول اللّه ح يخبر ما يكون في غد فقد أعظم على اللّه الفرية، و اللّه يقول: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ [النمل: ٦٥]#[1]، وفي رواية أخرى قالت: $من حدثك أنه ح يعلم الغيب فقد كذب#[2].

وهذا القسم من الغيب على عدة أضرب:

الأول: غيب يمكن التعرف عليه مطلقاً، مثل: ما يغيب عن بعض الخلق ويعرفه غيرهم بالمشاهدة أو بالحس أو بالأخبار المتواترة، كالعلم بالأقطار النائية، والعلم بالأجهزة الداخلية للإنسان، ونحو ذلك مما يمكن التعرف عليه.

فهذا الضرب يعتبر غيباً نسبياً لمن غاب عنه، وعلم شهادة لمن شاهده ورآه أو علمه. فهو قبل معرفته يعتبر غيباً نسبياً، وبعد معرفته يعتبر من عالم الشهادة والحس لا من عالم الغيب، لأنه في الأصل يغيب عن بعض الخلق دون بعضهم الآخر.

الثاني: غيب لا يمكن التعرف عليه إلا بعد توافر بعض الشروط. فمن توفرت له تلك الشروط والاستعدادات عَلِمه، ومن لم تتوافر له فلا يعلمه. وذلك مثل: أماكن تجمع المياه في باطن الأرض، ومناجم المعادن وأماكن وجودها في باطن الأرض، فلا يمكن التعرف عليها إلا عن طريق المعرفة الناتجة عن دراسة وتجربة، أو بتوفر الأسباب الدالة على ذلك؛ مثل الآلات الحديثة ونحوها مما يمكن بواسطتها التوصل إلى معرفة تلك الأمور.

وكذلك معرفة الجنين بعد اكتمال خلقه في بطن أمه هل هو ذكر أم أنثى، وذلك بواسطة الأشعة التلفزيونية ونحوها.

وكذلك التنبؤ لما سيقع في الأعوام المقبلة من الكسوف والخسوف وتحديده بناءً على دراسات الأجرام السماوية من الكواكب والنجوم التي جعلها اللّه لأ من الأسباب الكونية التي يُعرَف بها الحساب، قال تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕﮖ ﭼالإسراء: ١٢.

الثالث: غيب يتناوله العلم البديهي؛ مثل معرفة عقل الرجل بمنطقه، وحياة الجنين ووجوده بحركته، ومعرفة الخالق بخلقه، ونحو ذلك.

الرابع: غيب لا يمكن التعرف عليه في الدنيا إلا على وجه مجمل ك النعيم الذي أعده اللّه لعباده المتقين في الجنة، فإنه ليس في الدنيا منه إلا ا

---

(1) سبق تخريجه (ص 579).
(2) سبق تخريجه (ص 579).

لأسماء، كما قال ابن عباس م: $ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأ سماء#[1]، أما الحقيقة فهي مختلفة تماماً، والإخبار عن الأمر الغائب لا يفهم إن لم يُعبّر عنه بالأسماء المعلومة معانيها في الأمور المشاهدة، فيُعرَف ما في الغائب بواسطة العلم بما في الشاهد.

وقد أخبر الله لأ عما أعدة في الجنة لعباده المتقين بقوله: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼالسجدة: ١٧.

فجعل ذلك غيباً عنهم مع أنه أخبرهم ببعض أوصافه، فأخبر بأن فيها لبناً وعسلاً وماءً ورماناً وعنباً وغيرها مما ينطبق اسمه على ما في الدنيا فقط، أما الحقيقة فهي تختلف تماماً لأنه ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأ سماء.

وقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة ط قال: قال رسول الله ح: $قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرؤوا إن شئتم: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﭼ [السجدة: ١٧]#[2]. فما لا يخطر بالقلوب إذا عُرّفت به لم تعرفه ؛ إلا إذا كان له نظير، وإلا لم يمكن التعريف به على وجهه[3].

الخامس: غيب لا يمكن التعرف عليه بحال من الأحوال في الحياة الدنيا؛ كالحياة البرزخية، فإنها تختلف عن طبيعة الحياة في الدنيا، فالحياة البرزخية غيب عنا ولا نستطيع أن نتعرف عليه في الدنيا بحال من الأحوال، ولكن نؤمن بوجوده لورود الخبر الصادق عن الصادق المصدوق ح بذلك.

مع أن هناك من الخلق من يعرف ذلك؛ فمن مات فإنه يمر بتلك المرحلة من الحياة ويعرفها فتكون له حقيقة مشاهدة، وكذلك من أطلعه الله عليها من الملائكة والرسل لإ أو من البهائم. أما نحن فحقيقتها غيب بالنسبة لنا[4]، والله تعالى أعلم.

السادس: الغيب الزماني: أي المتعلق بزمن معين، وهو ثلاثة أقسام:

1. الغيب الماضي المتعلق بالأخبار والأحداث التي وقعت في زمن مضى وانتهى، كأخبار الأمم السابقة التي قصّها الله سبحانه علينا في كتابه العزيز، وغيرها.

وعلم الناس بالنسبة لغيب الماضي أمر نسبي، فما يجهله بعض الناس

(1) رواه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (17/10 رقم 6) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (953/2 رقم 5410).

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدأ الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (318/6 رقم 3244 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (2174/4 رقم 2824)، واللفظ للبخاري.

(3) انظر: درء تعارض العقل والنقل (73/5).

(4) انظر: درء تعارض العقل والنقل (73/5).

يعرفه البعض الآخر، فقصة يوسف وزكريا إ وغيرها سماها الله غيباً بالنسبة لرسول الله ح ولنا، ولكنها ليست غيباً بالنسبة لمن حضرها.

وهذا النوع يمكن معرفته بالسماع والقراءة ونحو ذلك.

2. الغيب الحاضر؛ كالأحداث التي تحْدُث في أقطار الدنيا، فإها غيب عمن هو بعيد عنها، وليست كذلك لمن وقعت عنده. ومثلها تسجيل الملائكة لأعمال العباد. فهذا كله من الغيب النسبي.

3. الغيب المستقبل: فمنه ما لا يعلمه إلا الله سبحانه كوقت الساعة وبقية الأمور الخمسة، ومنه ما أعلمه الله للرسل مما سيقع. وأما ما يخبر به بعض البشر فهو مبني على توقعات أو تحليلات؛ فقد تقع وقد لا تقع.

السابع: الغيب المكاني، وهو قسمان:

1. ما يتعلق بالأمكنة كمعرفة الإنسان لمكان موته ومكان دفنه، فهذا غيب لا يعلمه إلا الله.

2. ما يتعلق بمعرفة مكان الضالة ونحوها، فهذا من الغيب النسبي، يغيب عن بعض العباد ولا بغيب عن بعضهم الآخر.

وعلم الكهنة بذلك لا يكون -غالباً- إلا بإخبار من شياطينهم، كما سبق بيانه عند الكلام عن أقسام الكهنة.

- **الأدلة من الكتاب والسنة على اختصاص الله بعلم الغيب:**

اختص الله تعالى بعلم الغيب دون من سواه، فلا يمكن لأحد كائناً من كان أن يطلع على الغيب أو على شيء منه، إلا إذا أطلعه الله على شيء من ذلك، ولا يكون ذلك إلا للرسل لإ، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة، وقد أطبقت عليه نصوص الكتاب والسنة.

وسأجعل سرد تلك الأدلة على قسمين؛ قسم يدل على اختصاص الله بعلم الغيب على وجه الإجمال، وقسم يدل على اختصاص الله بعلم المفاتح الخمسة على وجه الخصوص:

أما الأدلة التي تبين اختصاص الله لأ بعلم الغيب على وجه الإجمال ، فمنها:

- قوله تعالى: ﭽ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﭼ الأنعام: ٥٩.

قال ابن جرير الطبري : في معنى هذه الآية: إن عند الله علم ما غاب عن خلقه فلم يطلعوا عليه، ولم يدركوه ولن يعلموه ولن يدركوه، وعنده علم ما لم يغب أيضاً عنكم. فعنده علم كل شيء كان ويكون وما هو كائن مما لم يكن بعد، وذلك هو الغيب[1].

- وقوله تعالى: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭼ النمل: ٦٥.

قال ابن كثير : في تأويلها: $يقول تعالى آمراً رسوله ح أن يقول معلماً لجميع الخلق أنه لا يعلم أحد من أهل السماوات والأرض الغيب ... إلا الله لأ ... فإنه المتفرد بذلك وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﭽ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ [الأنعام: ٥٩]، وقال: ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ...ﭼ [لقمان: ٣٤]#[2].

وقال بنحوه ابن جرير الطبري وأبو عبد الله القرطبي -رحمهما الله تعالى-[3].

- وقوله تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ النحل: ٧٧.

قال ابن كثير :: $يخبر تعالى عن كماله وقدرته على الأشياء، في علمه غيب السماوات والأرض، واختصاصه بذلك، فلا اطلاع لأحد على ذلك إلا أن يطلعه الله تعالى على ما يشاء#[4].

- وقوله تعالى: ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ الكهف: ٢٦.

قال ابن جرير الطبري :: $يقول تعالى ذكره: لله علم غيب السماوات والأرض وملكه، لا يعزب عنه علم شيء منه، ولا يخفى عليه شيء ، يقول:

---

(1) تفسير الطبري (283/9) بتصرف.
(2) تفسير ابن كثير (207/6).
(3) انظر: تفسير الطبري (105/18)، وتفسير القرطبي (197/9).
(4) تفسير ابن كثير (589/4).

فسلموا له علم مبلغ ما لبثت الفتية في الكهف إلى يومكم هذا، فإن ذلك لا يعلمه سوى الذي يعلم غيب السماوات والأرض، وليس ذلك إلا الله الواحد القهار#[1].

- وقوله تعالى: ﭽﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼالجن: 26-٢٧.

قال أبو عبد الله القرطبي :: $قال العلماء -رحمة الله عليهم-: لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه، كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم. وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكتب ويزجر با الطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه، بل هو كافر ب الله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه#[2].

- عن ابن عمر م عن النبي ح أنه قال: $مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إ لا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولايعلم متى تقوم الساعة إلا الله#[3].

وفي رواية أخرى لابن عمر م أيضاً: $مفتاح الغيب خمس: لا يعلم أحد ما يكون في غد، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وما يدري أحد متى يجيء المطر#[4].

- وعن عائشة ك قالت: $من زعم أن رسول الله ح يخبر ما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﭽﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ [النمل: ٦٥]#[5].

وفي رواية أخرى قالت: $من حدثك أنه ح يعلم الغيب فقد كذب#[6].

إذا كان النبي ح لا يعلم الغيب إلا ما أطلعه الله عليه، فمن باب أولى ألا يعلمه غيره من البشر! وفي هذا رد على من يغلو في حقه ح وفي حق الأ

---

(1) تفسير الطبري (233/15).
(2) تفسير القرطبي (308/21).
(3) سبق تخريجه (ص 579).
(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب لا يدري متى يجيء المطر إلا الله (524/2 رقم 1039 -الفتح).
(5) سبق تخريجه (ص 579).
(6) سبق تخريجه (ص 579).

أولياء ويزعم أنهم يعلمون الغيب

هذه بعض الأدلة[1] الدالة على على اختصاص الله تعالى بعلم الغيب على وجه الإجمال.

أما الأدلة التفصيلية على اختصاص الله بعلم مفاتح الغيب الخمسة، فمنها[2]:

1. الأدلة على اختصاص الله بعلم الساعة:

- قال تعالى: ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙﭚ ﭼ فصلت: ٤٧.
- وقال جل وعز: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ الزخرف: ٨٥.
- وقال سبحانه: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ الأحزاب: ٦٣.

قال ابن جرير الطبري : في تأويل هذه الآية: $ ﭽ ﭑ ﭒ ﭼ يا محمد عن الساعة متى هي قائمة؟ قل لهم: إنما علم الساعة عند الله، لا يعلم وقت قيامها غيره#[3].

وقال أبو عبد الله القرطبي :: $ ﭽ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗﭘ ﭼ أي أجِبْهم عن سؤالهم وقُل عِلمُها عند الله، وليس في إخفاء الله وقتها عني ما يُبْطِل نبوّتي، وليس من شرط النبوة أن يعلم الغيب بغير تعليم من الله لأ#[4].

- وقال تبارك وتعالى: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﭼ الأعراف: ١٨٧.

قال ابن كثير :: $أمر تعالى نبيه ح إذا سـُئِل عن وقت الساعة، أن يردّ علمـَها إلى الله تعالى؛ فإنه هو الذي يـُجـَلـِّيها لوقتها، أي: يعلم جلية أمرها، ومتى يكون على التحديد، أي لا يعلم ذلك أحد إلا هو تعالى؛ ولهذا قال: ﭽ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﭼ.

قال عبد الرزاق، عن مَعْمَر[5]، عن قتادة في قوله: ﭽ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﭼ قال: ثقل علمها على أهل السماوات والأرض أنهم لا يعلمون#[6].

- وجاء في حديث جبريل ؛ المشهور، من رواية أبي هريرة وعمر وابنه

---

(1) وثمة نوع آخر من أدلة اختصاص الله بعلم الغيب، وهو عبارة عن أمثلة مقتبسة من سيرة النبي ح تبرهن أنه لا يعلم الغيب، لولا خشية الإطالة لنقلتها ها هنا. فمن أراد الاطلاع على بعض تلك الأمثلة مع توضيح أوجه الإستدلال منها، فليراجع: تقديس الأشخاص (1/192-198).

(2) مستفاد من: علم الغيب في العقيدة الإسلامية (ص 38-102).

(3) تفسير الطبري (19/187).

(4) تفسير القرطبي (17/237).

(5) هو: معمر بن راشد الأزدي مولاهم أبو عروة البصري (96-154 هـ)، ثقة ثبت فاضل. انظر: التقريب (رقم 6857).

(6) تفسير ابن كثير (3/518).

ن: $قال ؛: متى الساعة؟ قال ح: ما المسؤول بأعلم من السائل...#[1].
فالغيب هو وقت مجيء الساعة، أما مجيؤها فلا يُعَدّ العلم به غيباً؛ لأ
ن الله لأ أكد مجيئها وأنها واقعة لا محالة.
2. أدلة اختصاص الله بعلم وقت نزول المطر، ومقداره، والمكان الذي سين-زل فيه:
- قال تعالى: ﭽﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼلقمان: ٣٤.
عن ابن عمر م مرفوعاً: $لا يعلم أحد متى ين-زل الغيث إلا الله#[2].
وقال الشوكاني :: $ ﭽ ﯽ ﯾ ﭼ في الأوقات التي جعلها معينة لإن-زاله ولا يعلم ذلك غيره#[3].
- وقال لأ: ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼالحجر: ٢١.
قال ابن جرير الطبري :: $يقول تعالى ذكره: وما من شيء من الأمطار إلا عندنا خزائنه وما نن-زله إلا بقدر لكل أرض، معلوم عندنا حدُه ومبلغه#، وذكر : نحو هذا بسنده عن ابن مسعود ط[4].
وقال أبو عبد الله القرطبي :: $ ﭽﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ أي: ولكن لا نن-زله إلا على حَسَب مشيئتنا وعلى حَسَب حاجة الخلق إليه، كما قال تعالى: ﭽﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة (114/1 رقم 50 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ... (37/1 رقم 8) عن ابن عمر م، و(40/1 رقم 10) عن أبي هريرة ط.
(2) رواه الطبري في تفسيره (586/18).
(3) فتح القدير (470/2).
(4) انظر: تفسير الطبري (39/14-40).

ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ [الشورى: ٢٧]#(1).

- وقال جل وعز: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ السجدة: ٢٧.

قال أبو عبد الله القرطبي : في تأويل هذه الآية: $أولم يعلموا كمال قدرتنا بسوقنا الماء إلى الأرض اليابسة التي لا نبات فيها لنحييها#(2).

فتبين بهذه الأدلة أن ..... وقت نزول المطر، ومقداره، والمكان الذي سين-زل فيه موكول إلى علام الغيوب؛ الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم. فلا يجوز لأحد كائناً من كان أن يدعي معرفة هذه الأمور ويجزم بذلك؛ فمن فعل ذلك فهو كافر؛ لأنه ادعى علم الغيب الذي اختص الله به.

قال أبو عبد الله القرطبي :: $قال علماؤنا: أضاف سبحانه علم الغيب إلى نفسه في غير ما آية من كتابه إلا من اصطفى من عباده. فمن قال: إنه ين-زل الغيث غداً وجزم فهو كافر، أخبر عنه بأمارة ادعاها أم لا#(3).

أما إذا أخبر بهذه الأمور وجعل الحكم بحسب العادة والتجربة، ولم يجزم بذلك؛ فهذا لا شيء عليه؛ لأنه من باب الاستدلال بالعلامات التي وضعها الله وأجرى بها العادة على نزول المطر.

يقول ابن حجر الهيتمي : -وهو يبيّن أن دعوى الكسوف، والخسوف، وقرب نزول الغيث، وما شابه ذلك مما هو معتمد على أمور جعلها الله علامات على حصول تلك الأشياء؛ ليس من ادعاء علم الغيب أو التنجيم المنهي عنه-: $أما من يقول إن الاقتران [أي اقتران النجوم] والافتراق الذي هو كذا جَعَله الله علامةً بمقتضى ما اطردت به عادته الإلهية على وقوع كذا وقد يتخلف؛ فإنه لا إثم عليه بذلك#(4).

فإن الله تعالى قد جعل السُحُب مبشرات بالخير.

قال تعالى: ﭽ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﭼ الأعراف: ٥٧.

وقال سبحانه: ﭽ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﭼ النمل: ٦٣.

يقول ابن كثير :: $يذكر تعالى نعمه على خلقه بإرسال الرياح مبشرات بين يدي رحمته بمجيء الغيث عقبها#(5).

تبين من هذه الآيات أن توقع نزول المطر بالاستدلال بالرياح أمر جائز؛

---

(1) تفسير القرطبي (193/12).
(2) المصدر السابق (44/17).
(3) المصدر السابق (402/8).
(4) الزواجر (110/2).
(5) تفسير ابن كثير (321/6).

لأن الله سبحانه جعل هذه الرياح علامات لذلك، وأرشدنا إليها في الآيات السابقة.

ومثل هذا أيضاً: التوقعات والأرصاد الجوية الموجودة في العصر الحاضر، ما هي إلا توقعات مبنية على مقدمات مستفادة من الأحوال الجوية القائمة على دراسة الكتل الهوائية لمنطقة كبيرة، فتدرس الجهات الهوائية وترتيب الرياح، وتحديد نسبة كثافة السحب المنتشرة، وتوزيع درجات الحرارة ومناطق الانخفاضات والارتفاعات الجوية، وبقية المعلومات الأخرى الجوية المتعلقة بظروف الدورة الهوائية(1).

وكثيراً ما يكون الأمر على خلاف ما قالوه وتوقعوه. والقول بمثل هذه الأشياء لا بأس به؛ غير أنه لا يجوز أن يجزم المرء بما سيحدث في المستقبل من أمطار، وأعصار، أو انخفاض في الحرارة أو زيادة فيها؛ لأن هذا من علم الغيب الذي استأثر الله سبحانه بعلمه دون من سواه، والجزم بمثل هذا لا يجوز.

يقول أبو عبد الله القرطبي :: $فإن لم يجزم وقال: إن النوء ين-زل الله به الماء عادة، وأنه سبب الماء عادة، وأنه سبب الماء على ما قدره وسبق في علمه؛ لم يكفر. إلا أنه يستحب له ألا يتكلم به، فإن فيه تشبيها ً بكلمة أهل الكفر، وجهلا ً بلطيف حكمته؛ لأنه ين-زل متى شاء، مرة بنوء كذا، ومرة دون النوء#(2).

3. الأدلة على اختصاص الله لأ بعلم ما في الأرحام:

من النصوص الشرعية الدالة على ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ فصلت: ٤٧.

- وقوله: ﭽ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﭼ لقمان: ٣٤.

ذكر ابن جرير الطبري : في تفسيره لهذه الآية: أن الله يعلم ما في أرحام النساء، فلا يعلم ذلك أحد سواه لأنه ذو علم بكل شيء، لا يخفى علية شيء، خبير بما هو كائن.

وروى نحو هذا المعنى عن كثير من أئمة الأمة الأعلام كقتادة، ومجاهد وغيرهما(3).

وقال ابن كثير : $لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه الله تعالى سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكرا ً أو أنثى، أو شقيا ً أو سعيدا ً علم الملا

---

(1) انظر: الطقس والمناخ والأرصاد الجوية، لخروموف س ب (ص 196).
(2) تفسير القرطبي (403/8).
(3) تفسير الطبري (589-584/18).

ائكة الموكلون بذلك، ومَنْ شاء الله من خلقه#[1].

ويقول ابن عباس م مبيناً حكم من ادعى شيئاً من ذلك: $هذه الخمسة لا يعلمها إلا الله تعالى، لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل، فمن ادعى أنه يعلم شيئاً منها فقد كفر بالقرآن؛ لأنه خالفه#[2].

- وقوله تعالى: ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ الرعد: ٨.

يقول ابن كثير :: $يخبر تعالى عن تمام علمه الذي لا يخفى عليه شيء ، وأنه محيط بما تحمله الحوامل من كل إناث الحيوانات، كما قال تعالى: ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ [لقمان: 34] أي: ما حملت من ذكر أو أنثى، أو حسن أو قبيح، أو شقي أو سعيد، أو طويل العمر أو قصيره، كما قال تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ [النجم: 32]. وقال تعالى: ﭽ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭼ [الزمر:6] أي: خلقكم طورا ً من بعد طور ، كما قال تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ [المؤمنون: 12-14]#[3].

مسألة:

توصل العلم الحديث في مجال الطب إلى معرفة نوع الجنين هل هو ذكر أو أنثى، فهل هذه من علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه أم لا؟ وهل هذه المعرفة داخلة في قوله تعالى: ﭽ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ [لقمان: ٣٤]؟

الجواب: إنها غير داخلة في مضمون الآية؛ وذلك لعدة أمور[4]:

أ. أن معرفة نوع الجنين لا تتم إلا بعد مرور أربعة أشهر على الجنين في بطن أمه، وبعد تمام خلقه وتسويته.

ب. أن هذه المعرفة ظنية لا قطعية؛ فقد يظهر خلاف ما عليه الأطباء، فقد يقولون إنه ذكر وبعد الولادة يتبين أنه أنثى أو العكس. هذا فضلا ً عن أن معرفتهم تكون بالوسائل التي إذا عُدِمت عَدُمت معرفة الجنين.

ج. أن هذه المعرفة ناقصة، فهي لا تساوي شيئاً بالنسبة لمعرفة ما في الأرحام، فليس كل ما في الرحم أنه ذكر أو أنثى فقط، بخلاف علم الله لما في الأرحام؛ فإن علمه شامل محيط بكل شيء. قال تعالى: ﭽ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﭼ الطلاق: ١٢.

فعلم الله سبحانه وتعالى شامل لجميع ما في الرحم من ذكورة أو

(1) تفسير ابن كثير (352/6).
(2) ذكره القرطبي في تفسيره (497/16).
(3) تفسير ابن كثير (435/4).
(4) هذه الأمور منقولة من علم الغيب في العقيدة الإسلامية (ص 74-76) باختصار يسير.

أنوثة، أو طول أو قصر، ومن سواد أو بياض، ومن صحة أو سقم، ومن تمام الخلقة أو نقصانها، وهل هو سقط أو لا؟ ومن طبائع موروثة في الجنين وأخرى مكتسبة، وهل هو من أصحاب اليمين أو من أصحاب الشمال، كما أنه سبحانه يعلم رزقه وأجله، وغير ذلك مما لا يمكن للأطباء معرفته، فضلاً عن غيرهم. فتبقى الآية على ظاهرها، ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ؛ فلا أحد سواه يعلم ما في الأرحام.

د. أن معرفة الأطباء وغيرهم لنوع الجنين ليست من علم الغيب الذي اختص الله به سبحانه، بل هو من علم الشهادة الذي عرفه بعضُ الخلق كالملائكة، وجهله غيرهم، فإذا عَرَفه من جهله لا يقال إنه علم الغيب، إلا أن يراد أنه من علم الغيب النسبي الذي غاب عنه، فلم يعلم به، مع كونه موجوداً خارج علمه.

عن أنس بن مالك ط عن النبي ح قال: $إِنّ اللهَ لأ وَكّلَ بِالرّحِمِ مَلَكًا يَقُولُ: يَا رَبِّ نُطْفَةٌ، يَا رَبِّ عَلَقَةٌ، يَا رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ: أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى، شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَمَا الرِّزْقُ وَالأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ#(1).

فالملك قد علم شيئاً كثيراً عن الجنين وهو في بطن أمه لم يخرج بعد. والله سبحانه حينما يخلق الجنين ويوجده يَخْرُج من كونه في عالم الغيب إلى عالم الشهادة والواقع، فمعرفة شيء من أموره بعد ذلك لا يكون من معرفة الغيب التي اختص الله تعالى بعلمه؛ لأنه يكون قد خرج من طور الغيب إلى طور الشهادة.

هـ. أن معرفة الأطباء بذلك إنما هو بواسطة الآلات التي يتم بها تصوير الجنين، وهذا ليس علماً بالغيب، بل إنه علم شهادة. فمَثَله مثل من نظر في المرآة فرأى وجهه أو ما لا يستطيع رؤيته من جسمه الموجود في عالم الشهادة، مما لا يستطيع رؤيته إلا بواسطة المرآة أو نحوها، كآلة التصوير ونحوها من الآلات الحديثة التي تكشف للإنسان ما يحدث في الأماكن البعيدة، أو القريبة المستورة عن العين المجردة، فهل يسمى هذا علماً بالغيب ؟

إن هذا علم يحدث للإنسان بواسطة تجعل المستور منكشفاً له فلم يعد إذاً من عالم الغيب؛ إذ أنه من عالم الشهادة أصلاً.

وبهذا يتبين أن علم الله سبحانه وتعالى شامل لما في الأرحام، كامل محيط لا يتسرب إليه الشك ولا الخطأ -تعالى الله وتنـزه عن ذلك-؛ بخلاف

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحيض، باب قول الله لأ ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ [الحج: ٥] (417/1 رقم 318 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (2038/4 رقم 2646)، واللفظ للبخاري.

علم الإنسان فإنه على النقيض من ذلك، يعتريه الخطأ والشك، فهو يشبه التنبؤات الجوية تصدق أحياناً وتخطئ أحياناً أخرى. وقد يغلب الصواب فيها بناءً على الخبرة واستخدام الوسائل التقنية البارعة، ولكن ذلك كله لا يخرجها إلى علم اليقين المطلق، فتبقى قابلة للخطأ، وقابلة للنقص، وقابلة للشك(1).

4. الأدلة على اختصاص الله جل وعلا بعلم ما تكسب كل نفس في المستقبل دون من سواه:

لقد ورد في الكتاب والسنة ما يدل على أن الله لأ اختص بعلم كل شيء، فله العلم المطلق الذي لا يحجبه شيء، ومن هذا العلم: علم ما في المستقبل؛ لأنه سبحانه خلق الخلق، وقدّر كل شيء، وكتبه في اللوح المحفوظ عنده.

فعلم كل شيء ﭽ ﭫ ﭬ ﭭﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼ طه: ٥٢. وجاءت الأدلة تبين أن علم المستقبل من كسب ونحوه من علم الغيب المطلق الذي لا يعلمه أحد سوى الله سبحانه، فلا يعلم ذلك نبي مرسل ولا ملك مقرب، إلا ما أكرم الله به بعض أنبيائه وأطلعهم عليه. فهذا فيه خصوصية لذلك الشخص الموحى إليه، أما غير ذلك فلا.

وقد أثبت الله تعالى في كتابه أن الرزق له وحده، ونفاه عمن سواه، وضرب الأمثال على ذلك؛ فدل ذلك دلالة واضحة على علم الرب جل وعلا بما ستكسب كل نفس في غد، وكل هذا يدل على اختصاصه سبحانه بعلم ما ستكسب كل نفس.

ومما يدل على ذلك أيضاً دلالة صريحة من الآيات ما يلي:

- قوله تعالى: ﭽ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﭼ الرعد: ٤٢.

يقول أبو عبد الله القرطبي :: $ ﭽ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﭼ من خير وشر فيجازي عليه#(2).

- وقوله سبحانه: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﭼ لقمان: ٣٤.

ففي قوله: ﭽ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﭼ يدل على كمال علمه سبحانه، وأنه المختص بهذا الشيء الذي هو علم ما في الغد من كسب خير أو شر، ومن نفع أو ضر.

يقول ابن جرير الطبري :: $ ﭽ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﭼ يقول: وما تعلم نفس حيّ ماذا تعمل في غد ... ﭽ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﭼ يقول: **إن الذي يعلم ذلك كله هو الله دون كلّ أحد سواه،** إنه ذو علم بكلّ شيء، لا يخفى عليه

(1) انظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن، للدكتور محمد علي البار (ص 165-166).
(2) تفسير القرطبي (12/97).

شيء، خبير بما هو كائن، وما قد كان#[1].

ويقول ابن كثير :: $لا تدري نفس ماذا تكسب غدا ً في دنياها وأخراها#[2].

ويقول الشوكاني :: $ ﭼ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﭽ **من النفوس كائنة من كانت من غير فرق بين الملائكة والأنبياء والجن والإنس،** ﭼ ﰃ ﰄ ﰅ ﭽ من كسب دين أو كسب دنيا#[3].

دلت هذه الآيات وغيرها على أن الله سبحانه قد اختص بعلم ما سيكسبه الإنسان في غده من خير أو شر، من طعام أو شراب ... إلخ. كما دلت على أنه لا يمكن لأحد أن يعلم ذلك إلا ما استشنته النصوص الأخرى مما يكون للأنبياء مما يطلعهم عليه الله لأ عن طريق الوحي الإلهي.

وقد دلت السنة النبوية أيضاً على ذلك، ومما ورد في ذلك:

- ما سبق ذكره من حديث ابن عمر م عن النبي ح قال: $مفتاح الغيب خمس: **لا يعلم أحد ما يكون في غد**، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، ولا **تعلم نفس ماذا تكسب غداً**، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وما يدري أحد متى يجيء المطر#[4].

- وعن أنس ط قال: قال رسول الله ح: $مَنْ كانَتْ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ وَمَنْ كانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ#[5].

- وعن أنس ط أيضاً قال: غَلَا السِّعْرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ح فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ سَعِّرْ لَنَا فَقَالَ: $إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّزَّاقُ وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى رَبِّي وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَطْلُبُنِي بِمَظْلِمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ#[6].

فكون الله لأ هو المسعر القابض الباسط الرازق يدل دلالة واضحة على علمه تبارك وتعالى بما يصلح عباده، وعلى علمه بما سيحصل عليه كل عبد في يومه وغده من رزق وكسب.

---

(1) تفسير الطبري (584/18).
(2) تفسير ابن كثير (352/6).
(3) فتح القدير (470/2).
(4) سبق تخريجه (ص 805).
(5) رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ح، باب (30) (ص 556 رقم 2462) وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (633-634/2 رقم 949-950).
(6) رواه الترمذي في سننه، كتاب البيوع عن رسول الله ح، باب ما جاء في التسعير (ص 311 رقم 1314) وقال: $حسن صحيح#، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (60/2 رقم 1314).

وهذه النصوص قد دلت على اختصاص الله جل وعلا بجميع ما في الغد من رزق الإنسان وكسبه الخير أو الشر. فعلم المستقبل من الغيب المطلق الذي استأثر الله سبحانه بعلمه، فلم يطلع عليه إلا من ارتضى من رسول، أما من عدا الرسل فلا يمكن أن يعلموا ذلك بحال من الأحوال.

وأما من ادعى أنه يعلم كم دَخْلُه وما سيقبضه من عمله كل شهر، ويزعم أن هذا من علم الكسب، فهذا غير صحيح لعدة أمور، منها[1]:

أ. أن الكسب ليس مختصاً بما يحصل عليه الإنسان من مال فقط، بل هو عام شامل لكل مامن شأنه أن يسمى كسباً سواء كان مادياً أو معنوياً، خيراً كان أو شراً، وليس مختصاً بذلك المال الذي يحصل عليه الموظف.

ب. أن هذا الدخل الشهري للإنسان غير مضمون وصوله إليه، فقد يحصل مانع أو عارض يعرض له فيحول دون وصوله إليه.

ج. أن هذه مغالطة ومجادلة بالباطل، وإلا فإنه في قرارة نفس كل إنسان أنه لا يعلم ماذا سيكسب في غده، ولا يدري ما الذي سيصير عليه من حال؛ هل سيبقى على ما هو عليه أم سيعتريه عارض يُذْهِب ما عنده؟ أو العكس.

فمن ادعى أن بمقدور الإنسان أن يعلم رزقه الذي في ظهر الغيب؛ فهو إما جاهل، أو مكابر معاند جاحد، والله تعالى أعلم.

5. الأدلة على أنه لا يعلم زمان الموت ولا مكانه إلا الله جل وعز:

مما يدل على ذلك:

- قوله تبارك وتعالى: ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﮊ غافر: ٦٧.
- وقوله: ﮋﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﮊ الحجر: ٥، والمؤمنون: 43.
- وقوله: ﮋﯓ ﯔ ﯕ ﯖﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﮊ يونس: ٤٩.

فدلت هذه الآيات على أن لكل نفس أجلا ً معلوماً لا يمكن أن تتقدم عليه أو تتأخر، وهذا الأجل لا يعلمه سوى الله وحده؛ أنه هو الخالق لتلك الأ نفس المحدد لأوقات فنائها فهو العالم بوقت موتها دون من سواه، ولا يستثنى من ذلك إلا من أطلعه عليه كبعض الملائكة الموكلين بالأجنة و الموكلين بالموت.

يقول أبو عبد الله القرطبي :: $ ﮋﯓ ﯔ ﯕ ﯖﯗ ﮊ أي لإهلاكهم وعذابهم **وقت معلوم في علمه سبحانه**، ﮋ ﯔ ﯗ ﯘ ﯙ ﮊ أي وقت انقضاء أجلهم ﮋﯓ ﯚ ﯛﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﮊ أي: لا يمكنهم أن يستأخروا ساعة باقين في الدنيا ولا يتقدمون فيؤخرون#[2].

- وقوله تعالى: ﮋ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﮊ سبأ: ١٤.

(1) علم الغيب في العقيدة الإسلامية (ص 88-89) باختصار يسير.
(2) تفسير القرطبي (6/11).

يقول ابن كثير :: $يذكر تعالى كيفية ٍ موت سليمان ؛، وكيف عَمّى الله موتَ ـه على الجانّ المسخ ّرين له في الأعمال الشاقة، فإنه مكث متوكئًا على عصاه -وهي مِنْسَأته، كما قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وقتادة وغير واحد- مدة طويلة نحوا ً من سنة، فلما أكلتها دابةُ الأرض، وهي الأ َر َض َة، ضعفت وسقط إلى الأرض، وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة - تبينت الجن والإنس أيضًا أن الجن لا يعلمون الغيب، كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك#[1].

- وقوله سبحانه: ﭽ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﭼ لقمان: ٣٤.

يقول ابن جرير الطبري :: $ ﭽ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﭼ يقول: وما تعلم نفس حيّ بأيّ أرض تكون منيتها، ﭽ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﭼ يقول: إن الذي يعلم ذلك كله هو الله دون كلّ أحد سواه، إنه ذو علم بكلّ شيء، لا يخفى عليه شيء، خبير بما هو كائن، وما قد كان#[2].

فهذه الآيات تدل دلالة ظاهرة على أن الله لأ يعلم وقت موت كل مخلوق وأنه لا يمكن لأحد من المخلوقات أن يعرف وقت أجل المخلوقات، وأن هذا من العلم الذي اختص الله جل وعلا به دون من سواه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :: $أما أجل الموت، فهذا تعرفه الملائكة الذين يكتبون رزق العبد وماله وعمله وشقي أو سعيد كما في الصحيحين عن ابن مسعود ط قال: حدثنا رسول الله ح -وهو الصادق المصدوق-: $إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكن مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إليه الملك، فيؤمر بأربع كلمات، فيقال: أكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح#[3].

فهذا الأجل الذي هو أجل الموت قد يُعْلِمُه الله لمن شاء من عباده ... و الله سبحانه عالم بما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، فهو يعلم ما كتبه له وما يزيده إياه بعد ذلك، والملائكة لا علم لهم إلا ما علمهم الله، والله يعلم الأشياء قبل كونها وبعد كونها#[4].

فإذا كان هذا حال الملائكة لإ لا يعلمون آجال العباد إلا بعد أن يعلمهم الله ويخبرهم بها، فكيف بحال غيرهم؟ فإنهم من باب أولى أن لا يعلموا أعمارهم وآجالهم؛ لأن ذلك باق في علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه، فلم

(1) تفسير ابن كثير (501/6).
(2) تفسير الطبري (584/18).
(3) رواه بنحوه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (303/6 رقم 3208 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (2036/4 رقم 2643).
(4) مجموع الفتاوى (489/14-491).

يطلع عليه إلا بعض خلقه من الملائكة، بل إن الملك الموكل بالجنين لا يعلم عمره وأجله حتى يسأل الله عن ذلك، كما في حديث أنس ط المتقدم أن النبي ح قال: $إِنَّ اللهَ لأ وَكَلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا يَقُولُ: يَا رَبِّ نُطْفَةٌ، يَا رَبِّ عَلَقَةٌ، يَا رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ: أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى، شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَمَا الرِّزْقُ وَالأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ#[1].

فتبين من هذه الأدلة أن علم وقت موت الإنسان ومكانه عند الله سبحانه وتعالى، لا يعلمه أحد إلا بعد وقوعه، أما قبل ذلك فلا يعلمه إلا الله، أو من أعلمه به من ملائكته الموكلين بقبض الأرواح أو النفخ فيها وكتابة رزقها وأجلها كما تقدم، والله أعلى وأعلم.

وبعد هذا العرض، قد يتساءل البعض فيقول: لا يخفى أن معلومات الله تعالى الغيبية لا تدخل تحت الحصر **فما معنى تخصيص هذه الخمس بـ الذكر؟ وما معنى كونها مفاتح للغيب؟**

والجواب[2]: لا شك ولا ريب أن الله تعالى عليم بكل شيء، كما قال سبحانه: ﭽﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﭼ الأنعام: ٥٩.

ولما كان كلُّ شيء محصياً في كتاب عنده تبارك وتعالى وكان علمُه محيطاً وسابقاً لكل شيء؛ شبّه النبي ح ذلك بالمخازن التي لها أبواب، والباب له مفتاح، فإذا كان المفتاح لا يعلمه أحد ولا يعرف له موضعاً ولا يصل إليه فكيف بما وراءه؟ وقال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ الحجر: ٢١.

وحَصَر ح مفاتحَ الغيب بالخمس؛ لأنها تشمل العوالم كلها[3].

وبيان ذلك: أن قوله ح: **$وما تغيض الأرحام#**[4] إشارة إلى ما يزيد في النفوس وينقص، وذكر منها الأرحام؛ لكونها للناس فيها عوائد يعرفونها، وقد تقررت بذلك أحكام شرعية -كالعدد بالحيض والاستبراء ونحوها- ومع ذلك لا يعلم حقيقتها، ولا متى تزيد ومتى تنقص إلا الله تعالى، وإذا كان الأمر كذلك، فغيرها مما هو أخفى أولى بأن لا يعلمه الخلق.

وأشار بقوله: **$ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله تعالى#** إلى أمور العالم العلوي، وذكر منها المطر؛ لأن لنا أسباباً ومقدمات وعلامات قد نستدل بها عليه عادة، إلا أن تلك الأسباب والمقدمات ليست ضوابط يقينية لا تتخلف، بل هي ظنية تتخلف في الغالب الكثير، وإذا كان حالنا مع المطر

---

(1) سبق تخريجه في (ص 803).
(2) نقلا ً عن تقديس الأشخاص (1/186-188).
(3) انظر: بهجة النفوس (4/272)، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (1/102).
(4) سبق تخريجه في (ص 803).

على هذا، فكيف بما وراء ذلك مما في السموات وما بينها وما يوجد هناك من المخلوقات والحوادث والأوامر التي يريدها الله تعالى ويأمر بها، وغيرها من الأمور التي لا علامات لها ولا مقدمات يستدل بها عليها؟

ودل بقوله: $وما تدري نفس بأي أرض تموت# على الجهل بالحوادث الأرضية، وذكر موضع الموت من الأرض؛ لأن العادة قد جرت غالباً على أن ا لإنسان يموت بالأرض التي يقطنها، ومع ذلك فهو لا يدري حقيقة هل يموت في المكان الذي يعيش فيه، ولا يدري موضع ضريحه أين هو؟ فإذا كان هذا المقدار الذي يخصه منها على قلته لا يعلمه فمن باب أحرى غيره.

وأشار بقوله: $ولا يعلم ما في غد إلا الله تعالى# إلى أنواع الزمان وما فيه من التقلبات والحوادث، وخص منه $غداً# لأنه أقرب الأزمنة من المخاطب، فإذا خفي عليه ما فيه فما بعده أخفى وأبعد عن معرفته.

ودل بقوله: $ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله# على أمور الآخرة، وذكر منها يوم القيامة؛ لأنه أولها وأقربها إلى الدنيا، فإذا كان المخلوق لا يعلم أقرب الأشياء منه من أمور الآخرة -وهو يوم ظهورها وبدايتها- فمن باب أولى غير ذلك. وقد قال تعالى: ﭼبح بخ بم بىبي ﭽالأعراف: ١٨٧[1].

ولا ريب أن هذا الإجمال من أبدع الكلام وأبلغه وأخصره؛ فقد حصر فيه جميع أنواع الغيوب، وأبطل جميعَ الدعاوى الفاسدة قبل أن تولد.

وبهذا أكون قد انتهيت -بحمد الله تعالى- من سرد الأدلة على اختصاص الله بعلم الغيب -إجمالا ً وتفصيلا ً- وما يعتريها من اعتراضات وإشكالات مع شيء من التفصيل في تفنيدها، والداعي لسلوك هذا المسلك: محاولة إغلاق كل منفذ قد يدخل منه المدعون لعلم الغيب، وما أكثرهم، والله المستعان...

- **حكم الكهانة والعرافة والتنجيم وما في حكمها:**

الكهانة والعرافة والتنجيم مما يناقض التوحيد؛ لاشتمالها على الشرك بأنواعه، فهي شرك في الربوبية من حيث ادعاء مشاركة الله في علم الغيب، وشرك في الألوهية من حيث التقرب إلى غير الله بشيء من العبادة[2]، ويزيد التنجيم شركاً ثالثاً؛ هو اعتقاد أن تلك النجوم فاعلة ومؤثرة بنفسها.

أما كون الكهانة والعرافة والتنجيم شركاً **لاشتمالها على ادعاء علم الغيب** الذي هو من خصائص الله؛ فقد سبق -ولله الحمد- بسط الأدلة الدالة على اختصاص الله بعلم الغيب مع كلام الأئمة في تفسير تلك النصوص، فمن زعم معرفة علم الغيب فقد نازع الله تعالى في أحد خصائصه.

وإليكم تصريحات الأئمة في كفر من ادّعى ذلك:

---

(1) بهجة النفوس (4/272-273) بتصرف، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (1/102).
(2) انظر: القول السديد (ص 186).

- يقول ابن رشد الجد المالكي :: $ادعاء مشاركة الله تعالى في علم غيبه، وما استأثر بمعرفته من ذلك دون غيره، ولم يطّلع عليه إلا أنبياؤه ورسله، بواسطة زجر أو بتنجيم أو خط في غبار، أو غير ذلك، أو بغير واسطة، والتصديق بشيء منه كفر.

وقد أكذب الله لا مدّعي علم ذلك، وأخبر أنه المستبد بعلم ما كان أو يكون في غير ما آية من كتابه، فقال تعالى: ﭽ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﭼ[الجن: 26-٢٧]، ﭽ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﭼ[لقمان: ٣٤]، وقال: ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭼ[النمل: ٦٥]، وقال تعالى في قصة عيسى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﭼ[آل عمران: ٤٩].

فجعل ذلك من دليل النبوة، وما لا يطلع عليه إلا من أوحي به إليه.

فادّعاء معرفةِ ما يستسر الناس به من أسرارهم، وما ينطوون عليه من أخبارهم، أو ما يحدثه الله من غلاء الأسعار ورخصها، ونزول المطر، ووقوع القتل، وحلول الفتن وارتفاعها، وغير ذلك من المغيبات، **إبطال لدلائل النبوة، وتكذيب للآيات المن-زلات** ...#[1].

- ويقول أبو عبد الله القرطبي المالكي :: $قال علماؤنا: أضاف سبحانه علم الغيب إلى نفسه في غير ما آية من كتابه إلا من اصطفى من عباده. **فمن قال: إنه ين-زل الغيث غداً وجزم فهو كافر، أخبر عنه بأمارة ادعاها أم لا. وكذلك من قال: إنه يعلم ما في الرحم فهو كافر** ... **ومن ادعى الكسب في مستقبل العمر فهو كافر، أو أخبر عن الكوائن المجملة أو المفصلة في أن تكون قبل أن تكون فلا ريبة في كفره أيضاً**#[2].

- ويقول : في خصوص المنجمين ومن في حكمهم -عند تفسير قوله تعالى: ﭽ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﭼ[الجن: 26-٢٧]-: $**وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى** وينظر في الكتب، ويزجر الطير ممن ارتضاه من رسول، فيطلعه على ما يشاء من غيبه، **بل هو كافر بالله**، مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه#[3].

---

(1) الرد على من ذهب إلى تصحيح علم الغيب من جهة الخط لما روي في ذلك من أحاديث ووجه تأويلها، لابن رشد الجد (ص 35-39)، وأصل هذه الرسالة فتوى للمؤلف وهي موجودة في فتاويه (249/1-261)، ثم أفردها الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان في الرسالة المذكورة، وقدم لها بمقدمات مفيدة، وعلق عليها بتعليقات نفيسة، وخرج أحاديثها تخريجاً موسعاً.

(2) تفسير القرطبي (402/8-403).

(3) تفسير القرطبي (308/21).

- ويقول ابن حجر الهيتمي الشافعي : عند كلامه عن المنجم: $وحاصل مذهبنا في ذلك أنه متى اعتقد أن لغير الله تأثيراً كفر فيستتاب، فإن تاب وإلا قتل سواء أسرّ بذلك أم أظهر، وكذا لو اعتقد أنه يعلم الغيب المشار إليه بقوله تعالى: ﭽﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭﭼ [الأنعام: ٥٩]#[1].

- ويقول ابن عابدين الحنفي :: $دعوى علم الغيب معارضة لنص القرآن فيكفر بها، إلا إذا أسند ذلك صريحا ً أو دلالة إلى سبب من الله تعالى كوحي أو إلهام، وكذا لو أسنده إلى أمارة عادية بجعل الله تعالى#[2].

- ويقول : في خصوص الكاهن والعراف والمنجم ومن في حكمهم: $الكاهن من يدعي معرفة الغيب بأسباب وهي مختلفة، فلذا انقسم إلى أنواع متعددة كالعراف، والرمال، والمنجم: وهو الذي يخبر عن المستقبل بطلوع النجم وغروبه، والذي يضرب الحصى والذي يدعي أن له صاحبا ً من الجن يخبره عما سيكون، والكل مذموم شرعا ً، محكوم عليهم وعلى مصدقهم بالكفر.

وفي $البزازية#: يكفر بادعاء علم الغيب وبإتيان الكاهن وتصديقه.

وفي $التتارخانية#: يكفر بقوله أنا أعلم المسروقات أو أنا أخبر عن إخبار الجن إياي اهـ#[3].

هذا حكم العلماء -على اختلاف مذاهبهم الفقهية- يتفق في تكفير الكهان والعرافين والمنجمين ومن في حكمهم الذين يدعون معرفة الغيب.

قد يعترض معترض فيقول: بعض العرافين لا يخبرون بأمور الغيب المستقبلية، وإنما دأبهم الإخبار عن أمور قد مضت من سرقة أو ضياع، وقد قررتم فيما سبق أن ذلك ليس من أمور الغيب في شيء؟

فيقال: نعم، إذا ثبت أنه لا يخبر إلا بالأمور الماضية فهو لا يحكم عليه بالكفر من جهة ادعائه للغيب، وإنما يحكم عليه بالكفر من جهة استعانته بـ الشياطين لمعرفة تلك الأمور؛ إذ الشياطين لن يعينوا العرافين في هذه الأ شياء إلا إذا تقربوا لهم بأنواع من القرب.

قال ابن قاسم : مبيناً علاقة هذا النوع من العرافين بالشياطين: $العراف هو الذي يخبر عن الواقع كالسرقة وسارقها والضالة ومكانها وغير ذلك بأسباب ومقدمات، بأقيسة فاسدة يدعي معرفتها بها، وخيالات شيطانية، وربما تن-زلت عليه الشياطين، ومازجت أنفاسه الخبيثة أنفاس إخوانه من الشياطين، فإنها تن-زل على الكاهن والمنجم والرمال والساحر ونحوهم، وكل من ادعى شيئا ً من هذه الأمور، لقوله تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ

---

(1) الفتاوى الحديثية (ص 383 -ط. دار المعرفة).
(2) حاشية ابن عابدين (243/4).
(3) المرجع السابق (242/4).

ﯕ ﯖ ﭼ[الشعراء: ٢٢٢]#[1].

ويقول ابن حجر الهيتمي : في تعريفه للكاهن: $هو الذي يخبر عن بعض المضمرات فيصيب بعضاً ويخطئ أكثرها ويزعم أن الجن تخبره بذلك#[2].

الكهانة والعرافة والتنجيم شرك في الألوهية **لاشتمالها على التقرب إلى غير الله بشيء من العبادة**، سواء كان ذلك الغير الشياطين أو النجوم.

هذه الأمور الثلاثة تجتمع مع السحر في أن في كل منها استخدام للشياطين واستمتاع بالجن. فالكهانة فيها استخدام للجن، واستخدام الجن كفر وشرك أكبر بالله جل وعلا؛ لأن استخدام الجن في مثل هذه الأشياء لا يكون إلا بأن يتقرب إلى الجن بشيء من العبادات، فالكهان لا بد -لكي يُخدَموا بذكر الأمور المغيبة لهم- أن يتقربوا إلى الجني ببعض العبادات، إما بالذبح، أو الاستغاثة، أو بالكفر بالله جل وعلا بإهانة المصحف، أو بسب الله، أو نحو ذلك من الأعمال الشركية الكفرية. فالكهانة صنعة مضادة لأصل التوحيد، والكاهن مشرك بالله جل وعلا؛ لأنه يستخدم الجن ولا يمكن أن تخبره الجن بالمغيبات إلا إذا تقرب إليها بأنواع العبادات[3].

قد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على وجود الصلة الوثيقة بين الكهان وأضرابهم وبين الشياطين، مما لا يعد مجالا ً للشك في وجودها، وإن أكذبها من أكذبها من الكهان:

قال تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼالأنعام: ١٢١.

وقد سمى النبي ح -في أحاديث كثيرة- الكاهنَ ولياً للشيطان، منها: ما جاء في حديث عائشة ك قالت: $سأل ناس النبي ح عن الكهان فقال: إنهم ليسوا بشيء، فقالوا: يا رسول الله، إنهم يحدثون أحياناً بشيء فيكون حقاً؟ فقال النبي ح: تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرقرها في أذن وليه كقرقرة الدجاجة فيخلطون فيه أكثر من مائة كذبة#[4].

فالكاهن ولي الشيطان لا يوحي إليه إلا بعد أن يتخذه ولياً من دون الله. ثم إن الشيطان هو ولي الكفار كما قال تعالى: ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼالبقرة: ٢٥٧.

فالشياطين يخرجون أولياءهم من نور الهدى إلى ظلمات الكفر والضلالة، وقد حكم الله تعالى على أولياء الشيطان بالخسران ودخول النيران. قال تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﭼ النساء: 119-١٢١؛ فحكم سبحانه وتعالى على أتباع

---

(1) حاشية كتاب التوحيد (ص 206).
(2) الزواجر (109/2).
(3) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص 317).
(4) سبق تخريجه في (ص 776).

الشيطان بالكفر والضلال[1].

كما كشف رسول الله ح العلاقة الوثيقة بين الكهان والعرافين و المنجمين وبين الشياطين إذ قال فيما رواه أبو هريرة ط عنه: $إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان[2]، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم، قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير. فيسمعها **مسترق السمع**، ومسترق السمع، هكذا بعضه فوق بعض، -ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه- فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان **الساحر أو الكاهن**. فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا، وكذا وكذا، فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء#[3].

فبين رسول الهدى ح مصدر علم الساحر والكاهن بتلك الأمور الغيبية، وهو: إخبار من الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء.

وهذا الأمر -أعني علاقة الكهنة ومن في حكمهم مع الشياطين- معروف أيضاً عند العلماء من لدن الصحابة إلى عصرنا هذا:

- عن جابر بن عبد الله م قال: $كانت الطواغيت التي يتحاكمون إليها ، في جهينة واحد، وفي أسلم واحد، وفي كل حي واحد. **كهان ين-زل عليهم الشياطين**#[4].

- عن قتادة : قال في تفسير قوله تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ [الشعراء: ٢٢٢]: **$هم الكهنة؛ تسترق الجن السمع، ثم يأتون إلى أوليائهم من الإنس#**[5].

- ويقول الخطابي : -وهو يصف **الكهنة**-: هم $قوم لهم أذهان حادة ونفوس شريرة وطباع نارية، **فألفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب في**

---

(1) انظر: معارج القبول (716/2).

(2) الصفوان: الواحدة صفوانة، وهو الحجر الأملس، سمي بذلك لخلوصه مما يشوبه. انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص 487-488)، وعمدة الحفاظ (345/2).

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب "حتى إذا فزع عن قلوبهم قالو:..." (537-538/8 رقم 4800 -الفتح).

(4) رواه البخاري في صحيحه تعليقاً، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ (251/8 –الفتح). وقال الحافظ في الفتح (252/8): $وصله ابن أبي حاتم من طريق وهب بن منبه قال: سألت جابراً عن الطواغيت فذكر مثله وزاد: "وفي هلال واحد"#.

(5) رواه الطبري في تفسيره (671/17)، وابن أبي حاتم في تفسيره (2830/9 رقم 16041)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (318/11) وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير الطبري، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

هذه الأمور ومساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم إليه#[1].

- ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية :: $وأمّا السحر والكهانة: فهو من إعانة الشياطين لبني آدم، فإنّ الكاهن يُخبِره الجن، وكذلك الساحر إنما يقتل، ويُمرِض، ويَصْعَدُ في الهواء، ونحو ذلك، بإعانة الشياطين له؛ فأمورهم خارجة عما اعتاده الإنس بإعانة الشياطين لهم، قال تعالى: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ک ک کک گ گ گ گ گ گ گ گ گ ڱ ڱ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ﭼ الأنعام: ١٢٨؛ فالجن والإنس قد استمتع بعضهم ببعض، فاستخدم هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء في أمور كثيرة، كلّ منهم فعل للآخر ما هو غرضه، ليعينه على غرضِهِ. والسحر والكهانة من هذا الباب#[2].

- ويقول الحافظ ابن حجر : في تعريفه للكهانة: هي $ادعاء علم الغيب؛ كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب، والأصل فيه استراق الجني السمع من كلام الملائكة فيلقيه في أذن الكاهن...#[3]. $فالكهانة تارة تستند إلى إلقاء الشياطين، وتارة تستفاد من أحكام النجوم#[4].

صرّح الحافظ : بأن الكهانة تارة تستند إلى أخبار من الجن، وممن صرّح بهذا في تعريفه للكهانة: شيخ الإسلام ابن تيمية[5]، وابن قدامة[6]، وأبو الثناء الآلوسي[7]، وصديق حسن خان[8] رحمة الله على الجميع.

- ويقول ابن رجب :: $فعلم تأثير النجوم باطل محرم، والعمل بمقتضاه -كالتقرب إلى النجوم وتقريب القرابين لها- كفر#[9].

- ويقول ابن حجر الهيتمي :: $[الكهَانة] بالفتح مصدر كهُنَ بضم الهاء، إذا صار كاهناً، أي: مخبراً بالأمور الخفية، والمغيبات البعيدة -أي: علاماتها- وهي ما كانت تأتي من الكهان وتذكره من المغيبات التي تلقيها إليهم الشياطين بواسطة استراقهم لبعض كلام الملائكة، ثم إلقائه إليهم مع ما ما يضمونه إليه من الكذب#[10].

---

(1) نقله عنه الحافظ في فتح الباري (217/10)، ولم أقف عليه فيما رجعت إليه من كتب الخطابي.
(2) كتاب النبوات (830/2-831).
(3) فتح الباري (216/10).
(4) المصدر السابق (41/1).
(5) انظر: كتاب النبوات (830/2).
(6) انظر: المغني (305/12).
(7) انظر: روح المعاني (35/27 –ط. المنيرية).
(8) انظر: أبجد العلوم (453/2).
(9) فضل علم السلف على الخلف (ص 21).
(10) المنح المكية في شرح الهمزية (303/1) نقلاً عن آراء ابن حجر الهيتمي الا

- ويقول الشيخ السعدي :: $وكثير من الكهانة المتعلقة بالشياطين لا تخلو من الشرك والتقرب إلى الوسائط التي تستعين بها على دعوى العلوم الغيبية، فهو شرك من جهة دعوى مشاركة الله في علمه الذي اختص به، وشرك في الألوهية من حيث التقرب إلى غير الله بشيء من العبادة#[1].

هذه أقوال علماء الإسلام مجتمعة في بيان العلاقة الوطيدة بين الكهنة وأضرابهم وبين الشياطين، فهذه العلاقة تبنى على تقديم كل طرف لا لآخر بما يحبه، وهذا هو وجه إدخال مبحث الكهانة والعرافة والتنجيم في هذه الرسالة $مظاهر الانحراف في توحيد العبادة لدى بعض مسلمي إندونيسيا وموقف الإسلام منها#، فتقرب الكهنة والعرافين للشياطين، وتقرب المنجمين للنجوم، بصرف العبادات لها -بلا شك- من أعظم مظاهر الا نحراف في توحيد العبادة.

ويزيد المنجمون في صناعتهم شركاً آخر هو:

نسبة الاختراع والتدبير إلى الكواكب دون الله أو مع الله، وهذا كفر بالإجماع[2]؛ لأنه قد جعل مع الله إلهاً آخر يخلق ويدبر في الكون[3].

فمن اعتقد هذا الاعتقاد فقد نحا نحو الصابئة؛ عبدة الكواكب، الذين بعث فيهم إبراهيم ؛، وصار على عقيدتهم وارتد عن الإسلام، والعياذ بالله.

يقول الحافظ ابن حجر :: $وإنما يكفر من نسب الاختراع إليها#، أي إلى النجوم[4].

ويدل على بطلان نسبة المنجمين الاختراعَ والتدبيرَ إلى الكواكب أدلة من المنقول والمعقول، وسأجعل تلك الأدلة على أقسام ثلاثة:

القسم الأول: الأدلة على فساد اعتقادهم بأن هذه الكواكب لها تصرف في هذا الكون.

القسم الثاني: الأدلة على فساد اعتقادهم أن لهذه الكواكب تأثيراً في هذا الكون.

القسم الثالث: الأدلة على فساد أحكام النجوم المزعومة، والتي تبين أنها ظنون كاذبة.

وفيما يلي تفصيلها[5]:

اعتقادية (ص 179)، وانظر: الزواجر (109/2).

(1) القول السديد (ص 186).

(2) انظر: البيان والتحصيل (407/17)، والمقدمات الممهدات (418/3) كلاهما لابن رشد، والفصل (148/5)، والفروق للقرافي (244/4)، ومفتاح دار السعادة (126/3).

(3) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص 367).

(4) فتح الباري (295/6).

(5) نقلا ً عن التنجيم والمنجمون (ص 19-24، 183-231) بتصرف واختصار

القسم الأول: الأدلة على فساد اعتقادهم بأن هذه الكواكب لها تصرف في هذا الكون:

أولا ً: من المنقول: الأدلة من القرآن الدالة على انفراد الله بالخلق و التدبير.

من أدلة انفراد الله على الخلق:

- قوله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭼ الأنعام: ٧٣.

وجه الله سبحانه الأنظار إلى أنه هو المتفرد بخلق السموات والأرض وما فيهن دون كل من سواه(1).

ولم يذكر تعالى خلقَ كل ما في السموات والأرض على العموم فقط، بل بيّن المقصود من هذا العموم بأنه شامل لما خلق فيهما من جليل ودقيق، مما يطلق عليه اسم $شيء#، ليدلهم ذلك على وحدانيته سبحانه(2).

- قال سبحانه: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ الأعراف: ١٨٥.

ثم لفت الانتباه إلى أنه خالق هذا الكون كله دون شريك، فهو المنفرد بخلق كل شيء، فالأشياء كلها خلقه وملكه، وعلى المماليك طاعة مالكهم بإفراده بالعبادة والخضوع له(3).

- وقال: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﭼ الفرقان: ٢.

أما أدلة انفراد الله بتدبير هذا الكون، وأن جميع الخلق مقهورون خاضعون له سبحانه، فمنها:

- قوله جل وعز: ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ يونس: ٣.

فالكون كله مسخر لله تعالى، خاضع لأمره(4)،

- قال تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ الأعراف: ٥٤.

إذا اتضح ذلك؛ فليعلم أن الله هو المتفرد بالاختيار، وأنه ليس له في ذلك منازع ولا معقب، فالأمور كلها خيرها وشرها بيده، ومرجعها إليه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن(5)،

يسيرين.

(1) انظر: تفسير أبي السعود (150/3 –ط. دار إحياء التراث العربي).
(2) انظر: نفس المرجع (299/3 –ط. دار إحياء التراث العربي).
(3) انظر: تفسير الطبري (396/17).
(4) انظر: نفس المرجع (246/10-247).
(5) انظر: تفسير ابن كثير (251/6).

- وقال تعالى: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼ القصص: ٦٨.

يقول الإيجي :: $ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﯝ ﭼ لا معقب ولا منازع لحكمه ﭽ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ أي التخيّر يعنى: ليس لأحد أن يختار عليه أو معناه ليس لهم اختيار أصلا ً، بل هم عاجزون تحت قدره، ﭽ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼ#[1].

مما يؤيد الأدلة السابقة من كون الله هو المتفرد بالتدبير، نهي النبي ح عن نسبة المطر إلى النوء، وإرشاده إلى أن المطر إنما هو من الله وحده لا شريك له:

- عن زيد بن خالد الجهني[2] ط قال: $صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ح صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ[3] فِي إِثْرِ السَّمَاءِ[4] كانَتْ مِنْ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاس، فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كافِرٌ بِالْكوْكبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ[5] كذَا وَكذَا فَذَلِكَ كافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكوْكبِ#[6].

قال الإمام الشافعي :: $لا أحب أحدا ً أن يقول مطرنا بنوء كذا وكذا ، وإن كان النوء عندنا الوقت المخلوق لا يضر ولا ينفع، ولا يمطر ولا يحبس شيئا ً من المطر، والذي أحب أن يقول: مطرنا وقت كذا كما تقول مطرنا شهر كذا، ومن قال: مطرنا بنوء كذا، وهو يريد أن النوء أنزل الماء، كما عنى بعض أهل الشرك من الجاهلية بقوله؛ فهو كافر، حلال دمه إن لم يتب#[7].

ويقول الحافظ ابن عبد البر : في بيان أحد وجهي معنى الحديث: $أحدهما: فإن المعتقد أن النوء هو الموجب لن-زول الماء، وهو المنشيء [للحساب][8] دون الله لأ، فذلك كافر كفراً صريحاً

(1) جامع البيان في تفسير القرآن (ص 714).
(2) هو: زيد بن خالد الجهني المدني (ت 68 وقيل 78 هـ)، صحابي مشهور. انظر: التقريب (رقم 2145).
(3) الحُدَيْبِية: قرية متوسطة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بويع تحتها رسول الله ح، وقيل: نسبة إلى شجرة حدباء كانت في ذلك الموضع. وبين الحديبية ومكة مرحلة. انظر: معجم البلدان (229/2-230).
(4) أي في أثر مطر، والعرب تسمي المطر سماء لأنه ين-زل من السماء. انظر: شرح السنة للبغوي (420/4)، والتمهيد (285/16).
(5) النوء: سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر، وطلوع رقيبه من الشرق يقابله من ساعته. انظر: الصحاح (79/1).
(6) رواه مسلم في صحيحه،كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء (83/1 رقم 71).
(7) التمهيد (285/16)، وتفسير القرطبي (227/20).
(8) كذا في الأصل، يبدو أنه خطأ مطبعي، والصواب $للسحاب#، كما هو ظاهر من

سياق الكلام.

يجب استتابته عليه وقتله، لنبذه الإسلام ورده القرآن#[1].

ويقول أبو بكر ابن العربي :: $من انتظر المطر من الأنواء على أنها فاعلة له دون اللّه فهو كافر، ومن اعتقد أنها فاعلة بما جعل اللّه فيها فهو أيضاً كافر؛ لأنه لا يصح أن يكون الخلق والأمر إلا لله، كما قال تعالى: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣﮤ ﭼ [الأعراف: ٥٤]#[2].

ويقول ابن حجر الهيتمي : في شرحه للحديث: $قال العلماء: من قال ذلك مريداً أن النوء هو المحدث والموجد فهو كافر#[3].

ومما يدل على بطلان نسبة المنجمين الاختراعَ والتدبيرَ إلى الكواكب: **الآيات القرآنية الدالة على أن الكواكب مسخرة مدبرة، تجري بمقدار معين،** وعلى منهاج مقنن جعله اللّه لها لا تستطيع الخروج عنه، وأنها لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً، فضلا ً عن أن تملك ذلك لغيرها، ومن كان هذا حاله يستحيل أن يكون له تصرف في الكون.

- قال اللّه تبارك وتعالى: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ النحل: ١٢.

- وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ لقمان: ٢٩.

- وقال: ﭽ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ فاطر: ١٣.

- وقال: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ فصلت: ٣٧.

- وقال: ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ الحج: ١٨.

قال ابن كثير :: $قوله: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ: إنما ذكر هذه على التنصيص؛ لأنها قد

(1) التمهيد (286/16).
(2) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس (387/1).
(3) الزواجر (110/2).

عُبدت من دون الله، فبين أنها تسجد لخالقها، **وأنها مربوبة مسخرة#**[1].

ثانياً: الوجه من المعقول، من الأدلة على ما سبق ما يلي:

- إن القول بصدور الحوادث الأرضية من الكواكب كالإحياء والإماتة و الرزق ونحو ذلك، يقتضي أن تكون هذه الكواكب مؤثرةً بذاتها وطبعها، وهذا يتطلب منها أن تكون مختارة مريدة، وهذا منتفٍ لما يأتي:

أولا ً: لو أن هذه الكواكب مختارة مريدة لجرت الأحكام على وفق إرادتها، ولم تتوقف هذه الأحكام على اتصالاتها، وانفصالاتها، وهبوطها، وارتفاعها، ولاختلفت أحكامها أيضاً بحسب اختلاف الدواعي، كما هو حال المختار المريد[2].

ثانياً: أن هذه الكواكب لو كانت مختارة مريدة لما بقيت حركتها أبداً على سير واحد لا يتبدل، إذ إن هذه صفة الجماد المدبّر الذي لا اختيار له[3].

- لو سُلِم أن هذه الكواكب هي المدبرة لهذا الكون، لكان تدبيرها حال ظهورها فقط، أما حال أفولها فينقطع تصرفها بالكلية، وهذا ينافي ربوبيتها؛ إذ إن الرب الذي يكون متصرفاً في هذا الكون يجب أن يكون قيوماً يقيم هذا الكون في جميع الأوقات وفي جميع الأحوال، كما قال تبارك وتعالى: ﭽﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸﭼالفرقان: ٥٨، لذا أشار الخليل ؛ عند محاجته لقومه إلى هذا المعنى بقوله: ﭽ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼﭼ الأنعام: ٧٦[4].

القسم الثاني: الأدلة على فساد اعتقادهم أن لهذه الكواكب تأثيراً في هذا الكون:

أما المنقول: فقد دلت الأحاديث النبوية على إبطال تأثير الكواكب في الحوادث الأرضية، ومن ذلك:

- عن المغيرة بن شعبة ط قال: انكسفت الشمس يوم مات إبراهيم، فقال الناس: انكسفت لموت إبراهيم، فقال رسول الله ح: **$**إن الشمس و القمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا حتى ينجلي#[5].

- عن ابن عباس م قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ح من الأنصار ؛ أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ح رمي بنجم فاستنار، فقال لهم

---

(1) تفسير ابن كثير (403/5).
(2) انظر: مفتاح دار السعادة (93/3، 47).
(3) انظر: الفصل (147/5).
(4) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (173/8).
(5) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الكسوف، باب الدعاء في الخسوف (546/2 رقم 1060 -الفتح)،_ومسلم في صحيحه، كتاب الكسوف، باب ذكر النداء بصلاة الكسوف الصلاة جامعة (628/2 رقم 911)، واللفظ للبخاري.

رسول الله ح: $ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟# قالوا: $الله ورسوله أعلم، كنا نقول: ولد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم#. فقال رسول الله ح: $فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته...#[1].

- عن أبي مالك الأشعري[2] ط أن النبي ح قال: $أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والا ستسقاء بالنجوم، والنياحة#[3].

فذمّ رسول الله ح لهؤلاء يدل على أنه لا تأثير للكواكب ولا للأنواء في حوادث العالم السفلي[4].

أما الأدلة من المعقول فتتبين من خمسة أوجه:

الوجه الأول: أن معرفة تأثير الكواكب في هذا الكون يكون بأحد أربعة طرق: إما الخبر الصادق الصحيح من كتاب الله أو سنة رسول الله ح، وهذا غير موجود، بل دلت الأدلة على انتفاء وجوده، والنهي عن اعتقاده.

وإما الحس فيشترك الناس في إدراكه، وهذا منتفٍ وغير موجود، وإما ضرورة العقل أو نظره وهذا غير موجود أيضاً[5]، وإما التجربة -وهذا ما يدعيه المنجمون[6]- ويشترط في صحة التجربة أن تكون بتكرر موثوق بدوامه تضطر النفوس إلى الإقرار به، وهذا لا يمكن في القضاء بالنجوم؛ لأن النصب الدالة على الكائنات -عندهم- لا تعود في الدرجة والدقيقة نفسها إلا بعد آلاف السنين، كما ذكر ذلك البيروني[7]، فقال: $إن الكواكب الثابتة تقطع كل واحد من منازل القمر في ستمائة سنة#[8]، وعلى هذا لا يعود إلى موضعه إلا بعد ستة عشر ألف وثمانمائة سنة، وكما قال إخوان الصفا أيضاً: $واعلم أن الكائنات التي يستدل عليها المنجمون سبعة أنواع: منها الملل و

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان (1750/4 رقم 2229).

(2) هو: الحارث بن الحارث الأشعري الشامي يكنى أبا مالك، صحابي. انظر: التقريب (رقم 1021).

(3) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة (644/2 رقم 934).

(4) انظر: الأنواء في مواسم العرب (ص 15)، نقلا ً عن التنجيم والمنجمون (ص 188).

(5) انظر: مفتاح دار السعادة (91/3-91).

(6) انظر: رسالة في الأحكام على تحاويل سني العالم، لابن أبي الشكر (ق 1/أ)، نقلا ً عن التنجيم والمنجمون (ص 188).

(7) هو: محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي (440-362 هـ)، فيلسوف، رياضي، مؤرخ، منجم. انظر: تاريخ حكماء الإسلام (ص 82)، وعيون الأنباء (ص 459)، ومعجم المؤلفين (53/3-54).

(8) القانون المسعودي، للبيروني (990/3).

الدول التي يستدل بها من القرانات الكبار، التي تكون في ألف سنة بالتقريب مرة واحدة ...#[1]. وتحرّي تأثير الكواكب في مثل هذا الوقت لا يمكن قطعاً، ومن هذا يتضح أن دعوى تأثير الكواكب في هذا الكون دعوى وهمية لا تقوم على دليل أو برهان[2].

الوجه الثاني: ادعاؤهم أن لهذه الكواكب تأثيراً في الكون بالسعادة و النحوسة، وأن لها تأثيراً في حصول الأحوال النفسية من ذكاء وبلادة ونحو ذلك، وأن هذا التأثير من جنس تأثير الشمس والقمر في الحرارة والبرودة و اليبوسة والرطوبة وغير ذلك[3] - ادعاء باطل لا يستقيم؛ وذلك لأن هذا القياس فاسد، لوجود الفرق بين المقيس والمقيس عليه، إذ إننا لا ننازع في تأثير الشمس والقمر في هذا العالم على ما يجري على الأمر الطبيعي بما جعله الله فيها من مميزات، كتأثير الشمس في الرطوبة والبرودة والحرارة ونحو ذلك، وتأثيرها في أبدان الحيوانات والنباتات والناس في نشاطهم وخمولهم ونحو ذلك.

ومع هذا فإن هذه الكواكب جزء من السبب المؤثر، وليست بمؤثر تام، فإن تأثير الشمس مثلا ً إنما كان بواسطة الهواء، وقبوله للسخونة و الحرارة، ويختلف هذا القبول عند قرب الشمس من الأرض وبعدها ... وهكذا. فكل واحد من هذه جزء السبب مع وجود أشياء أخرى مكملة للسبب. وقد يقدر الله تعالى أموراً أخرى تمنع هذه الأسباب ليظهر عليه أثر القهر والتسخير، فإثبات مثل هذه التأثيرات لا ينكر.

أما الذي ينكر عليهم فهو دعوى أن جملة الحوادث في العالم من الأ رزاق والآجال والسعادة والنحوسة وجميع ما في العالم تقع لكون الكواكب هي المؤثرة فيه ومن تحتها خاضع لها، وهذا يختلف عن ذاك[4].

ثم إن النوع الأول قد دل عليه الشرع والعقل والحس، بخلاف النوع الثاني فلم يدل عليه شيء من ذلك، بل يناقضه، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك في الوجه الأول.

الوجه الثالث: لو سلمنا -جدلا ً- أن للكواكب تأثيراً بالسعد والنحس - كما يزعمون- فإنه لا يمكن معرفة هذا التأثير إلا بالنظر إليها ومعرفة طبائعها مفردة ومجتمعة، فإذا لم يفعل ذلك المنجم لا يمكن له حصوله العلم بهذا التأثير[5]، وهذا لا يستطيع الإحاطة به منجم، بل ولا أي مخلوق مما يجعل معرفة هذا التأثير مستحيلا ً، ويجعل هذه الصناعة مستحيلة الوجود

(1) رسائل إخوان الصفا (154/1).
(2) انظر: الفصل (149/5).
(3) انظر رسائل إخوان الصفا (148/1 وما بعدها).
(4) انظر: مفتاح دار السعادة (114/3-125).
(5) انظر: مفتاح دار السعادة (46/3).

ويحكم على أحكام الأولين والآخرين بالبطلان، وذلك لأربعة أمور، هي:
1. أنه لا سبيل إلى معرفة طبائع البروج وطبائع الكواكب وامتزاجاتها إلا بالتجربة. وأقل ما لابد منه في التجربة أن يحصل ذلك الشيء على حالة مرتين فأكثر، إلا أن الكواكب لا يمكن تحصيل ذلك فيها لأنه إذا حصل كوكب معين في موضع معين في الفلك وكانت سائر الكواكب متصلة به على وضع مخصوص وشكل مخصوص فإن ذلك الوضع المعين بحسب الدرجة والدقيقة لا يعود إلا بعد آلاف السنين، وعمر الإنسان لا يفي بذلك، فثبت أنه لا يمكن الوصول إلى هذه الأحوال عن طريق التجربة[1].
2. من المعلوم أن في فلك البروج كواكب لم يعرفها المنجمون إلا في العصر الحاضر، فلعل وقوع نجم من هذه النجوم المجهولة في ذلك العصر على درجة الطالع يوجب أثراً ما لا يوجبه بدونها، ومن هذه الكواكب التي لم تكتشف إلا في العصر الحاضر $مذنب هالي# الذي سماه المنجمون الكوكب الآثاري[2]، وكوب $أروانوس# الذي اكتشف سنة 1781 م[3]، وغيرها كثير لم يتوصلوا إليه حتى اليوم، إذ إن نجوم السماء كثيرة جداً، حتى إن بعض الفلكيين صور كثرتها بقوله: $إن عدد النجوم يزيد على عدد حبات الرمل على شواطئ جميع بحار الدنيا#[4]، وهذا الوصف وإن كان فيه شيء من المبالغة إلا أنه يبين كثرة النجوم في السماء. فإذا كانوا عاجزين عن اكتشاف هذه النجوم؛ فعجزهم عن إدراك طبائعها وتأثيرها أولى وأحرى.
فإن قالوا: لو حصلت هذه الكواكب الصغيرة لم تكن لها قوة وتأثير أص لا ً، لأجل أن صغرها يوجب ضعفها، قيل لهم: هذا باطل، لأن عطارد مع غاية صغره تقاربه سائر الكواكب السيارة مع عظم أجرامها، بل الرأس و الذنب نقطتان[5]، وأصحاب الأحكام أثبتوا لهما آثاراً عظيمة، بل سهم السعادة وسهم الغيب نقطتان وهميتان[6]، والمنجمون أثبتوا لها آثاراً

(1) المرجع السابق نفسه (59/3).
(2) انظر: النبوات للرازي (ص 218)، ومفتاح دار السعادة (47-46/3)، وقراءة الأ براج والطوالع والحظوظ (ص 25)، نقلا ً عن التنجيم والمنجمون (ص 191).
(3) انظر: مجلة الأزهر، العدد 2، (ص 134)، مقالة العقاد، نقلا ً عن التنجيم و المنجمون (ص 191).
(4) كل شيء عن النجوم (93)، نقلا ً عن التنجيم والمنجمون (ص 191).
(5) هما نقطتان وهميتان تحدثان عند تقاطع مدار القمر مع دائرة البروج عند حدوث الكسوف، تسمى إحداهما: الرأس، والأخرى: الذنب. انظر: رسائل إخوان الصفا (124-125/1).
(6) يعدها المنجمون من سهام الكواكب السبعة، ويطلقون على الأول: سهم القمر، وعلى الثاني: سهم الشمس. انظر: التفهيم في أوائل صناعة التنجيم للبيروني (ص 283) كما في التنجيم والمنجمون (ص 192).

قوية[1]، فإن جعلوا لهذه آثاراً؛ فمن باب أولى بقية النجوم على حسب منهجهم.
3. أننا نفترض -جدلاً- أنهم عرفوا طبائع الكواكب حال بساطتها، لكن من المسلَّم به وما شهد به كبراؤهم أنه لا يمكن معرفة طبائعها وآثارها حال امتزاج بعضها ببعض، وذلك لأن الامتزاج الحاصل من ألف كوكب أو يزيد يستحيل على العقل ضبطه[2].
فقد نقل أبو حيان التوحيدي[3] عن بعض كبرائهم أنه قال: $وقد يُغْفِل -مع هذ كله- المنجم اعتبارَ حركات كثيرة من أجرام مختلفة، لأنه يعجز عن نظمها وتقويمها ومزجها وتسييرها، وتفسير أحوالها، وتحصيل خواصها، مع بُعْد حركة بعضها، وبطئها وسرعتها، والتفاف صورها، والتباس مقاطعها، وتداخل أشكالها، ومن الحكمة في هذا الإغفال أن الله تقدس اسمه يتميز بذلك القدر المُغْفَل، والقليل الذي لا يؤبه له، والكثير الذي لا يحاول البحث عنه أمراً لم يكن في حساب الخلق#[4].
4. نفترض -جدلاً- كذلك- أنهم استطاعوا معرفة طبيعة الامتزاجات الحاصلة في وقتهم، لكن من الممتنع عليهم معرفة الامتزاجات السالفة، فربما كان لها أثر في هذه الحوادث كالامتزاجات الحادثة في وقتهم الذي يدعونه[5].
الوجه الرابع: من الأصول التي بنى عليها المنجمون تأثير الكواكب قائماً على علاقة المشابهة بين أسماء البروج وما ويوافقها من عالم الكون و الفساد، بمعنى أنهم جعلوا تأثير الحيوانات السفلية بما يقابلها من الصور العلوية، فبرج العقرب -مثلاً- يؤثر في العقارب ... وهكذا، كما قال بطليموس[6]: $الصور الموجودة في عالم التركيب مطيعة للصور الفلكية، إذ هي في ذاتها على تلك الصور، فليست تلك الصور وهمية، وإلا لم يكن لها أثر

(1) انظر: النبوات للرازي (217-218).
(2) انظر: مفتاح دار السعادة (45/3).
(3) هو: علي بن محمد بن العباس التوحيدي أبو حيان (335-414 هـ تقريباً)، فيلسوف، متصوف، معتزلي، قال فيه الذهبي: $صاحب زندقة وانحلال#. انظر: ميزان الاعتدال (518/4)، ولسان الميزان (55/9 وما بعدها رقم 8825)، والأعلا م (326/4).
(4) المقابسات لأبي حيان التوحيدي (ص 127). وقد جعلوا الله منفرداً بهذا النـزر القليل فقط، وهذا من تأليهم على الله -تعالى الله عما يقولون-.
(5) انظر: مفتاح دار السعادة (45/3-46).
(6) هو: مَلِك بن الإسكندر (ولد 309 ق م)، كان حريصاً على الفلسفة، مولعاً بها، جمع بين علوم عدة منها: التنجيم، والجغرافية، والتاريخ، والفلسفة، والطب وغيرها، وألف فيها. انظر: طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل (ص 35)، والفهرست (ص 301).

في أمثالها من العالم السفلي#[1] موافقاً بقوله هذا سلفه من المشركين من قوم إبراهيم ؛[2].

وكما قال ابن أبي الشكر المغربي[3]: $أما الجنس الذي يؤثر فيه الكسوف فهو من جوهر البروج الذي يقع فيه الكسوف، إن وقع في البروج الناطقة كان الحادث في الإنسان، وإن كان في ذوات الأظلاف كان الحادث في الغنم والبقر، وإن كان في البروج المائية كان الحادث في حيوان الماء، وإن كان برج الأسد كان الحادث في السباع وأشباهها، وإن كان في البروج ا لأرضية كان الحادث في نبات الأرض#[4].

وهذا الأصل فاسد، ويتبين ذلك بأمرين، هما:

1. أن المتقدمين قد قسموا الفلك إلى اثني عشر قسماً أرادوا أن يميزوا بعضها عن بعض، فشبهوا كل قسم من هذه الأقسام بصورة معيّنة، ولكن هذا الشبه لم يحدث علاقة بين هذه النجوم وما يقابلها من الكائنات ا لأرضية[5] بإقرار أئمتهم على ذلك.

فمن أئمتهم القائلين بهذا: أبو الحسين عبد الرحمن الصوفي[6]، و البيروني[7]، وابن طاوس[8]، وغيرهم. قال عبدر الرحمن الصوفي: $إن تسمية البروج الإثني عشر بالحمل والثور والجوزاء إلى آخرها لا أصل له ولا حقيقة. وإنما وضعها الراصدون لهم متعارفاً بينهم، وكذلك جميع الصور التي عن جنبي منطقة البروج الإثني عشر وغيرها، والجميع ثمان وأربعون صورة

---

(1) سعود المطالع فيما تضمنه الألغاز في اسم والي مصر من العلوم اللوامع، لعبد الهادي نجا الأبياري (107/2).

(2) انظر: السر المكتوم (ق 176/أ)، نقلا ً عن التنجيم والمنجمون (ص 194).

(3) هو: يحيى بن محمد بن أبي الشكر، محيي الدين، أبو الفتح، ويعرف بالحكيم المغربي (ت نحو 680 هـ)، عالم بالفلك، أندلسي، من أهل قرطبة، وصنف كتبا ً، منها: الأربع مقالات في النجوم. انظر: كشف الظنون (1596/2)، وهدية العارفين (516/2)، والأعلام (166/8).

(4) رسالة في الأحكام على تحاويل سني العالم (ق 33/أ)، نقلا ً عن التنجيم و المنجمون (ص 194).

(5) انظر: مفتاح دار السعادة (48/3).

(6) هو: عبد الرحمن بن عمر بن محمد الصوفي أبو الحسن الرازي (376-291 هـ)، كان عالماً بالفلك، من أهل الري، اتصل بعضد الدولة، فكان منجمه، له: الكواكب الثابتة. انظر: تاريخ الحكماء (ص 226)، والأعلام (319/3).

(7) انظر: التفهيم (ص 263) كما في التنجيم والمنجمون (ص 194).

(8) انظر: فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم، لابن طاووس البغدادي (ص 64-65). وابن طاووس هو: علي ابن موسى بن جعفر بن طاوس الحسني أبو القاسم (664-589 هـ)، رافضي، إمامي، أثنى عليه الحر العاملي وغيره من مؤرخي الرافضة. انظر: هدية العارفين (710/1)، والأعلام (26/5).

عندهم مشهورة، وعلماؤهم معترفون بأن ترتيب هذه الصور وتشبيهها وقسمة الكواكب عليها وتسميتها، صنعه متقدموهم ووضعه حذاقهم الراصدون لها#[1].

2. أنهم جعلوا تأثير الكواكب قائماً على المشابهة بين صور البروج وصورة المؤثر فيه. وهذا ليس سبباً كافياً للقول بالتأثير، بل ولا يدل مطلقاً على تأثير الكواكب بالسعادة والنحوسة فيما يقابلها، هذا إن صحت المشابهة.

الوجه الخامس: من الأصول التي بنى عليها المنجمون تأثير الكواكب في العالم السفلي أيضاً: أنهم جعلوا لكل كوكب طبعاً يختلف عن طبع الكوكب الآخر، وجعلوا تأثيرها في العالم بحسب طبعها، فجعلوا طبع زُحَل البرد واليبس بإفراط وتأثيره بحسب طبعه، وطبع المشتري الحر والرطوبة باعتدال، وطبع المريخ الحر واليبس بإفراط، وطبع الشمس الحر واليبس بمقدار أقل مما للمريخ، وطبع الزهرة البرد والرطوبة باعتدال ... [2].

واستدلوا على اختلاف طبائع الكواكب باختلاف ألوانها، فقالوا: زحل لونه الغبرة والكمودة، فطبعه البرد واليبس، والمريخ يشبه لونه لون النار فطبعه حار يابس، وكذلك الزهرة فإن لونها كالمركب من البياض والصفرة، و البياض يدل على طبيعة البلغم وهو البرد والرطوبة، والصفرة تدل على الحرارة، ولما كان بياضها أكثر من صفرتها حكمنا بأن بردها ورطوبتها أكثر... وهكذا[3].

وهذا الأصل ظاهر البطلان، ويتبين ذلك من خلال أربعة أمور:

1. أن البرودة والحرارة واليبس والرطوبة صفات للعناصر التي دون فلك القمر، وليس شيء من هذه الصفات في الأجرام العلوية؛ لأنها خارجة عن محل حوامل هذه الصفات[4].

2. أن المشاركة في بعض الصفات لا تقتضي المشاركة في الماهية و الطبيعة.

3. أن الدلالة بمجرد اللون على طبيعة شيء ما أمرٌ باطل، إذ إن النورة والنشادر في غاية البياض مع أن طبائعها في غاية الحرارة.

4. أن بعض كبرائهم لما علم فساد هذا القول وتكذيب العقل له أنكر

---

(1) ذكره الصوفي في كتاب: صور الكواكب الثمانية والأربعين، نقلاً عن فرج المهموم (ص 64).
(2) انظر: رسائل إخوان الصفا (1/130-135)، والتفهيم (ص 231-232) كما في التنجيم والمنجمون (ص195).
(3) انظ: رسالة عيسى بن علي التي نقلها ابن القيم في مفتاح دار السعادة (3/112).
(4) انظر: الفصل (5/149). هذا ما ذكره، والعهدة عليه.

ذلك[1].

القسم الثالث: الأدلة على فساد أحكام النجوم المزعومة، والتي تبين أن هذه الأحكام ظنون كاذبة:

والأدلة على ذلك من المنقول والمعقول.

فمن المنقول ما يأتي:

أولاً: الآيات الدالة على أن الله هو المنفرد بعلم الغيب، وأن هذا المنجم لا يعلم شيئاً من الغيب، وكذا الكواكب لا تعلم شيئاً من الغيب، ولم يجعلها الله دالة على شيء من الغيب، وقد سبق ذكر الأدلة -بالتفصيل- على انفراد الله بعلم الغيب في مطلع هذا المطلب[2].

ثانياً: الأحاديث والآثار التي تدل على إبطال أحكام النجوم، وتبين أنها ظنون كاذبة، منها:

- عن عائشة ك قالت: $سأل أناس النبي ح عن الكهان فقال: إنهم ليسوا بشيء، فقالوا: يا رسول الله، إنهم يحدثون أحياناً بشيء فيكون حقاً؟ فقال النبي ح: تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرقرها في أذن وليه كقرقرة الدجاجة، فيخلطون فيه أكثر من مائة كذبة#[3].

فالإخبار عن الأمور الغيبية التي يخبر بها المنجمون، ويسمونها أحكام النجوم، هي من جنس أخبار الكهان التي حكم عليها النبي ح بأنها ليست بشيء. ولهذا علم بالتجربة والتواتر أن الأحكام التي يحكم بها المنجمون يكون الكذب فيها أضعاف الصدق[4].

كما وصف الرسول ح التنجيم بكونه شعبة من السحر:

- عن ابن عباس م قال: قال رسول الله ح $مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنْ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنْ السِّحْرِ زَادَ مَا زَاد#[5].

ولقد بيّن الخطيب البغدادي[6] : سببَ إضافة علم النجوم إلى السحر بقوله: $إن قيل: كيف أضاف النبي ح علم النجوم إلى السحر؟

فالجواب: لأنهما وقعا على سبيل التمويه والخداع والأباطيل موقعاً

---

(1) انظر: رسالة عيسى بن علي التي نقلها ابن القيم في مفتاح دار السعادة (113/3-114).

(2) راجع (ص 776 وما بعدها).

(3) سبق تخريجه (ص 776).

(4) انظر: مجموع الفتاوى (172/35-173).

(5) سبق تخريجه (ص 782).

(6) هو: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي (392-463 هـ)، أحد الأئمة الحفاظ، له: تاريخ بغداد، والكفاية وغيرهما. انظر: العبر (314/2-315)، والوافي بالوفيات (126/7 –ط. دار إحياء التراث العربي).

واحداً؛ إذ النجوم لا فعل لها في خير ولا شر#[1].
كما بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية : أن التنجيم الذي من السحر نوعان: علمي، وعملي، فقال: $النجوم التي من السحر نوعان: أحدهما: علمي، وهو ا لاستدلال بحركات النجوم على الحوادث؛ فمن جنس الاستقسام بالأزلام. الثاني: عملي، وهو الذي يقولون إنه القوى السماوية بالقوى المنفعلة الأ رضية كطلاسم ونحوها، وهذا من أرفع أنواع السحر#[2].
- عن علي بن أبي طالب ط: $أنه قيل له لما أراد لقاء الخوارج: أتلقاهم والقمر في العقرب؟!. فقال ط: فأين قمرهم؟. وكان في آخر الشهر#[3].
قال أبو عبد الله القرطبي :: $انظر إلى هذه الكلمة التي أجاب بها، وما فيها من المبالغة في الرد على من يقول بالتنجيم، والإحكام لكل جاهل يحقق أحكام النجوم#[4].
- عن قتادة : قال: $إن الله تبارك وتعالى خلق هذه النجوم لثلاث خصال: جعلها زينة السماء، وجعلها يهتدي بها، وجعلها رجوما ً للشياطين، فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قلل رأيه، وأخطأ حظه، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به.
وإن ناسا ً جهلة بأمر الله تعالى قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة، من غرس بنجم كذا وكذا كان كذا، ومن ولد بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ولعمري ما من نجم إلا يولد به القصير والطويل، والأحمر والأبيض، والحسن والدميم، وما ع َلـ ِم هذه النجوم وهذه الدابة، وهذه الطير شيئا ً من الغيب والقضاء. لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله.
ولعمري لو أن أحدا ً علم الغيب لعلم آدم الذي خلقه الله بيده، وأسجد له ملائكته، وعل ّمه أسماء َ كل شيء، وأسكنه الجنة يأكل منها رغدا ً حيث شاء، ونهي عن شجرة واحدة فلم يزد به البلاء حتى وقع بما نهي عنه.
ولو كان أحد يعلم الغيب لعلم الجن حيث مات سليمان بن داود إ، فلبثت تعمل حولا ً في أشد العذاب، وأشد الهوان، لا يشعرون بموته، فما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل من منسأته -أي تأكل عصاه- فلما خر تبينت الجن أن لو كانت الجن تعلم الغيب، ما لبثوا في العذاب المهين، وكانت الجن تقول مثل ذلك، إنها كانت تعلم الغيب، وتعلم ما في غد فابتلا

(1) القول في علم النجوم (ص 180).
(2) مجموع الفتاوى (171/35).
(3) ذكره القرطبي في تفسيره (309/21)، وابن عادل في اللباب في علوم الكتاب (445/19)، والخطيب الشربيني في تفسير السراج المنير (137/8).
(4) تفسير القرطبي (309/21).

اهم الله لأ بذلك، وجعل موت نبي الله ح للجن عظة، وللناس عبرة#[1].

ثالثاً: أن هذه الصناعة تصرف الناس عن الالتجاء إلى الله، والتوجه إليه، وطلب الاستخارة منه إلى الالتجاء إلى النجوم وطلب الاستخارة منها، وهذا المسلك مبتدع، ومخالف لما أمر النبي ح فيما رواه البخاري عن جابر بن عبد الله م قال: $كانَ النَّبِيُّ ح يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا كالسُّورَةِ مِنْ القُرْآنِ، إذَا هَمَّ بِالأمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يقولُ: اللَّهُمَّ إنِّي أسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وأَسْتَقْدِرُكَ بقُدْرَتِكَ، وأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ؛ فإنَّكَ تَقْدِرُ ولَا أقْدِرُ، وتَعْلَمُ ولَا أعْلَمُ، وأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ. اللَّهُمَّ إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هذا الأمْرَ خَيْرٌ لي في دِينِي ومَعَاشِي وعَاقِبَةِ أمْرِي -أوْ قالَ في عَاجِلِ أمْرِي وآجِلِهِ- فَاقْدُرْهُ لِي، وإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هذا الأمْرَ شَرٌّ لي في دِينِي ومَعَاشِي وعَاقِبَةِ أمْرِي -أوْ قالَ في عَاجِلِ أمْرِي وآجِلِهِ- فَاصْرِفْهُ عَنِّي واصْرِفْنِي عنْه، واقْدُرْ لي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي به، ويُسَمِّي حَاجَتَهُ#[2].

وما كان مخالفاً لطريق النبي ح فهو مردود؛ لما رواه الشيخان عن عائشة ك قالت: قال رسول الله ح: $من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد#[3].

وما كان كذلك فلا شك في فساده، لذلك لما لقي أبو الحسين النوري[4] : مانيا المنجم قال له: $أنت تخاف زحل، وأنا أخاف رب زحل، وأنت ترجو المشتري، وأنا أرجو رب المشتري، وأنت تعدو بالإشارة، وأنا أعدو بالا ستخارة، فكم بيننا؟#[5].

روى الخطيب البغدادي : عن أبي محمد البافي[6] : أنه قيل له: $إن منجماً لقي رجلا ً مسلماً فقال له: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت أرجو الله وأخافه، وأصبحتَ ترجو المشترى وتخاف زحل، فنظم البافي شعراً وأنشدناه:

أصبحت لا أرجو ولا أخشى سوى الجبار في الدنيا ويوم المحشر

---

(1) رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة (1226/4-1227 رقم 702)، وقال مؤلف كتاب أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان (752/2): $إسناده صحيح#.

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة (183/11 رقم 6382 -الفتح).

(3) سبق تخريجه في (ص 392).

(4) هو: أبو الحسين أحمد بن محمد المعروف بالنوري، أحد الأئمة، له اللسان الجاري ب البيان الشافي عن أسرار المتوجهين إلى الباري. ومن وصاياها الجميلة: "من رأيته يدعي مع الله عز وجل حالة تخرجه عن حد علم الشرع فلا تقربن منه". انظر: الحلية (249/10-255).

(5) مفتاح دار السعادة (146/3-147).

(6) هو: عبد الله بن محمد البافي الخوارزمي الشافعي أبو محمد (ت 398 هـ)، شاعر، غزير العلم. انظر: طبقات ابن قاضي شهبة (159/1).

وأراك تخشى ما يُقدّر أنه يأتي به زُحَلٌ وترجو المشْترَى
شتانَ ما بيني وبينك فالتزم طُرْقَ النجاة وخَلِّ طُرْقَ المنكر[1].

وأما الأدلة من المعقول على فساد صناعتهم، وعلى أنها ظنون كاذبة، فهي كثيرة، أذكر أهمها في أحد عشر وجهاً:

الوجه الأول: اعتراف كثير من زعمائهم بأن هذه الصناعة تقوم على الخرص والتوهم، وأنها لا تفيد العلم البتة، كما صرح بذلك بطليموس وأرسطوطاليس[2]، فقال أرسطو: $لما كانت حال العلم واليقين في جميع السبل التي لها مباديء أو أسباب أو استقصاءات، إنما يلزم من قبل المعرفة بهذه، فإذا لم تعرف الكواكب على أي وجه تفعل هذه الأفاعيل -أعني بذاتها أو بطريق العرَض-، ولم تعرف ما هيتها وذواتها؛ لم تكن معرفتنا بالشيء أنه يُفعَل على جهة اليقين#[3].

وقال ثابت بن قرة[4]: $وأما علم القضاء من النجوم، فقد اختلف فيه أهله اختلافاً شديداً وخرج فيه قوم إلى ادعاء مالا يصح ولا يصدق بما لا اتصال له بالأمور الطبيعية، حتى ادعوا في ذلك ما هو من علم الغيب، ومع هذا فلم يوجد منه إلى زماننا هذا قريب من التمام كما وجد غيره#[5].

وقال أبو نصر الفارابي: $واعلم أنك لو قلَبْت أوضاع المنجمين فجعلت السعد نحساً، والنحس سعداً، والحار بارداً، والبارد حاراً، والذكر أنثى، والأنثى ذكراً، ثم حكمت لكانت أحكامك من جنس أحكامهم تصيب تارة وتخطئ تارة#[6].

وقال الكندي[7] لما أراد أن يقيم للمنجمين عذراً لأغلاطهم، فحط بذلك من أقدارهم، قال ما ملخصه: إن علماء الهند أحذق الناس في علم التنجيم، فأرادوا أن يعلموه أبناءهم، فعجزوا لغموضه، فأجمع علماؤهم على أن

(1) القول في علم النجوم (ص 212).
(2) انظر: مفتاح دار السعادة (3/143-144).
(3) نقل ذلك ابن القيم في مفتاح دار السعادة (3/144) عن كتاب $السماع الطبيعي#.
(4) هو: ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الحراني الصابئ، أبو الحسن (221-288 هـ)، طبيب، حاسب، فيلسوف، ولد ونشأ بحران. انظر: معجم الأدباء (2/364)، وإخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي (ص 89)، والأعلام (2/98).
(5) نقل ذلك ابن القيم في مفتاح دار السعادة (3/144) عن كتاب $ترتيب العلوم#.
(6) مجموعة الفتاوى المصرية (1/332) نقلاً عن التنجيم والمنجمون (ص 201)، ومفتاح دار السعادة (3/56، 145).
(7) هو: يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي أبو يوسف (ت نحو 260 هـ)، أحد أبناء ملوك كندة، متبحر في فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية، متخصص في أحكام النجوم. انظر: الفهرست (ص 315)، وتاريخ الحكماء (ص 366)، والأعلام (8/195).

يختصروا منه جزءاً حتى تدركه أفهام أبنائهم، ففعلوا، وعلموهم جزءاً من ألف جزء من علمهم، فتقبله أبناؤهم، وتعلموه، فلما نشأ أبناؤهم أرادوا تعليمهم هذا العلم كما علمهم آباؤهم ذلك من قبل، فعجزوا عن ذلك، فاختصروه، فصار جزءاً من ألف جزء مما علمهم آباؤهم، ففهمه أبناؤهم وأدركته أذهانهم، ثم قال الكندي: $فما ظنك بعلم اختصر منه جزء من ألف جزء ما يبقى منه الإصابة؟#[1]. وهذا القول، وإن أورده الكندي عذراً للمنجمين عن كثرة أغلاطهم، إلا أن فيه دليلا ً على اختلاف هذا العلم، وعدم إدراك الإصابة فيه، وأن صدق المنجم فيما وجد منه -على حسب قوله- مرة في كل ألف ألف مرة.

ومن ذلك ما حكاه ابن تيمية : عن قصته مع المنجمين: $إني خاطبتهم بدمشق، وحضر عندي رؤساؤهم، وبينت فساد صناعتهم بالأدلة العقلية التي يعترفون بصحتها، قال رئيس منهم: والله إنا نكذب مائة كذبة، حتى نصدق في كلمة#[2].

الوجه الثاني: إن هؤلاء القوم أقروا على أنفسهم بفساد صناعتهم؛ إذ إن كل فريق حكم بفساد أصول الفريق الآخر، وكلما جاءت أمة نقضت أصول من سبقهم، وادعت أن أصولهم هي الصحيحة دون من سواهم، وهذا يبرهن على أن أصولهم المزعومة قائمة على الحدس والتخمين.

ومن هذا أن الأوائل في عهد بطليموس عملوا رصداً، واتفقوا أنه هو الصحيح، وبقي الأمر على ذلك سبعمائة سنة تقريباً، والناس ليس بأيديهم إ لا تقليدهم، حتى كان عهد المأمون[3]، فاتفق الرصاد في عصره على أن يمتحنوا رصد الأوائل فوجدوهم غالطين، وأنشؤوا رصداً جديداً وسموه الرصد الممتحن، وبهذا أبطلوا رصد الأوائل. فما كان من الأوائل إجماع على صحة رصدهم الذي عملوه، وما كان من هؤلاء إجماع على فساد رصد الأ وائل، وبالتالي إجماع منهم على أنفسهم بأنهم كانوا مخطئين في العلم بـ الرصد السابق.

ثم حكمت طائفة بعد الرصد الممتحن، بستين عاماً تقريباً، وزعيمهم أبو معشر[4] بفساد هذا الرصد الممتحن، وردوا على أصحابه، وبينوا خطأهم

---

(1) انظر: القول في علم النجوم (ص 206-207).
(2) مجموع الفتاوى (172/31).
(3) هو: عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي أبو العباس المأمون (170-218 هـ)، أحد خلفاء الدولة العباسية، قرأ العلم والأدب والفلسفة، وفتح لها المجال بـ الترجمة والتعليم، وابتدع وفتن الناس ببدعة القول بخلق القرآن، وكانت له محاسن في حكمه وسياسته. انظر: السير (272/10 وما بعدها)، وشذرات الذهب (39/2).
(4) هو: جعفر بن محمد بن عمر البلخي أبو معشر (ت 272 هـ)، أستاذ عصره في صناعة التنجيم، أصله من بلخ من خراسان. انظر: الفهرست (ص 335)، وتاريخ

في ذلك[1].

ثم جاءت جماعة أخرى في عهد الحاكم[2] بالديار المصرية، خالفوا من سبقهم، وحكموا على الأرصاد السابقة بالفساد، ووضوا رصداً آخر سموه بـ الرصد الحاكمي.

ثم جاءت جماعة أخرى منهم أبو الريحان البيروني حكموا بفساد أصول من تقدمهم، وذكروا كثيراً من مناقضاتهم والرد عليهم بما هو دال على فساد الصناعة نفسها[3]، كما حكم على فساد طرق منجمي الهند في تنجيمهم[4].

ثم جاءت طائفة أخرى بعدهم منهم: ابن الزرقالة[5] خالفوا الأوائل والأواخر، حكموا على رصدهم وأحكامهم بالفساد، فأسقط ابن الزرقالة من الرصد الممتحن المأموني في البروج درجات، ومن الرصد الحاكمي دقائق، وسلك في الأحكام طرقاً غير الطرق المعهودة قبله، وزعم أن عليها المعول وأن طرق من تقدمه ليست بشيء.

كما حكم إمامهم الفارابي على المنجمين كلهم بأنهم كذابون مخادعون، وأن علم التنجيم باطل في ذاته لا يمكن تحصيله[6].

ولا شك أن حكم بعضهم على بعض بفساد أصولهم وصناعتهم دليل كاف يبين فساد الصناعة نفسها، ويبرهن على أن القوم ليس عندهم إلا الظنون الكاذبة.

الوجه الثالث: إن هذا العلم أنكره الناس من غير المنجمين على مر العصور وبينوا فساده شعراً ونثراً، كما بينوا أنه يقوم على الكذب والأوهام، حتى صار بهتانهم مشهوراً بين الناس كافة من كثرة ما قيل في ذلك.

الحكماء (ص 152)، ووفيات الأعيان (1/358-359).

(1) ذكر أبو معشر شيئاً من ذلك في أسرار النجوم (ق4/ب، ق9/أ)، نقلاً عن التنجيم والمنجمون (ص 204).

(2) هو: الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور بن العزيز بالله نزار بن المعز العبيدي (ت 411 هـ)، حاكم مصر، كان جباراً عنيداً، وشيطاناً مريداً، كثير التلون في أحكامه وأفعاله وأقواله، جائراً، وإليه تنسب الفرقة الضالة الحاكمية. انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (9/314)، والبداية والنهاية (15/582).

(3) انظر: التفهيم (ص 331)، نقلاً عن التنجيم والمنجمون (ص 205).

(4) انظر:تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة للبيروني (ص 408، 416).

(5) هو: إبراهيم بن يحيى التجيبي النقاش، المعروف بابن الزرقالة (ت 493)، من منجمي الأندلس، أبصر أهل زمانه بالأرصاد والتنجيم. انظر: تاريخ الحكماء (ص 57)، وكشف الظنون (1/870)، والأعلام (1/79).

(6) انظر: كتاب في إبطال أحكام النجوم (ص 268)، نقلاً عن التنجيم والمنجمون (ص 206).

فمن ذلك قول قس بن ساعدة[1]:
علم النجوم على العقول وبال وطِلا َب شيء لا ينال ضلال
ماذا طِلابُك علمَ شيءٍ غُيِّبَت مِن دونه الخضراءُ ليس يُنال
هيهات ما أحدٌ بغامضِ فطنةٍ يدري كم الأرزاق والآجال
إلا الذي فوق عرش ربنا لوجهه الإكرامُ والإجلال[2].
وقال الخليل بن أحمد[3] ::
أبلغا عني المنجم أني كافر بالذي قضته الكواكبُ
عالم أن ما يكون وما كان قضاء من المهيمن واجبُ
موقن أن من تكهن أو نجم كلٌ على المقادير كاذبُ[4].

وهناك أبيات أخرى تبين فساد علم النجوم، كالأبيات التي أنشدها محمد الباقي[5]، وأبو إسحاق الفيروزآبادي[6] وآخرون[7]، رحمة الله على الجميع.

أما النثر فكثير جداً، منه: رسالة للخطيب البغدادي : في حكم علم النجوم، وكذلك كتاب $مفتاح دار السعادة# لابن قيم الجوزية ذكر فيه كثيراً من مناقضاتهم والردود عليهم، وفي العصر الحاضر كتاب $تقويم الزمان# ذكر شيئاً من الأدلة على فساد صناعتهم[8]، كما ذكر مؤلف كتاب $قراءة الأبراج والطوالع والحظوظ بين الحلال والحرام والحقيقة والأ وهام# بعض الأدلة الدالة على فساد هذه الصناعة، وعلى أن أربابها يعتمدون على الظنون والأوهام[9].

---

(1) هو: قس بن ساعدة بن عمرو من بني إياد (ت 23 قبل الهجرة)، أحد حكماء العرب في الجاهلية، وأحد خطبائهم، وكان أسقف نجران. انظر:البداية والنهاية (299/3 وما بعدها)، وبلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب لمحمود شكري الأ لوسي (244/2).
(2) القول في علم النجوم (ص 204).
(3) هو: الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي أبو عبد الرحمن (ت 175 هـ)، من أئمة اللغة والأدب. انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي (376/1 رقم 235)، وتهذيب التهذيب (552/1-553).
(4) القول في علم النجوم (ص 210).
(5) انظر: المصدر نفسه (ص 213).
(6) انظر: المصدر نفسه (ص 218-219). وأبو إسحاق هو: إبراهيم بن عليى بن يوسف الشيرازي الفيروزآبادي (ت 476 هـ)، نبغ في علوم الشريعة الإسلامية، واشتهر بقوة الحجة في الجدل والمناظرة. انظر: تهذيب الأسماء واللغات (172/2)، وطبقات ابن قاضي شهبة (238/1).
(7) انظر: التنجيم والمنجمون (ص 208-209).
(8) انظر: تقويم الأزمان، لعبد الله السليم (ص 95-102).
(9) انظر: قراءة الأبراج والطوالع (ص 2-64) نقلا ً عن التنجيم والمنجمون (ص

ومن هذه الأقوال ومن الأقوال السابقة في الأوجه الماضية يتبين اتفاق الأوائل والأواخر، والفلاسفة والمنجمين وغير المنجمين على أن هذه الصناعة قائمة على الظنون والأوهام، والكذب والبهتان.

الوجه الرابع: إن المنجمين إذا أجمعوا على شيء لم يقع غالباً، وهذا دليل قاطع يدل على فساد صناعتهم، وعلى أن أحكامهم مبنية على الظنون الكاذبة.

وقد حمل لنا التاريخ القصص الكثيرة الواردة في ذلك[1]، منها:

1. ما ذكره الطبري وغيره في حوادث سنة (37 هـ) أن منجماً لقي علي بن أبي طالب ط عندما خرج لمقاتلة الخوارج، فأشار عليه بسير وقت من النهار، وقال: إن سرت في غير ذلك الوقت لقيت أنت وأصحابك ضراً شديداً، فخالفه وسار في الوقت الذي نهاه عن السير فيه، فلما فرغ من النهار حمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: $لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها المنجم لقال الجهال الذين لا يعلمون: سار في الساعة التي أمره بها المنجم فظفر#. فما غزا ط غزوة بعد رسول الله ح أتم منها، حيث لم ينجُ من الخوارج إلا عدد قليل[2].

وجاءت القصة مفصلة في $مسند الحارث#[3]: $أن مسافر بن عوف بن الأحمر قال لعلي بن أبي طالب حين انصرف من الأنبار إلى أهل النهروان: يا أمير المؤمنين، لا تسر في هذه الساعة، وسر في ثلاث ساعات مضين من النهار، قال علي: ولم؟ قال: لأنك إن سرت في هذه الساعة أصابك أنت وأصحابك بلاء وضر شديد، فإن سرت في الساعة التي آمرك بها ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت، فقال علي: $ما كان لمحمد ح منجم ولا لناس بعده، هل تعلم ما في بطن فرسي هذه؟ قال: إن حسبت علمت، قال: من صدقك بهذا القول كذب القرآن، قال الله لأ: ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﭼ [لقمان: ٣٤].

ما كان محمد يدعي علم ما ادعيت علمه، تزعم أنك تهدي إلى الساعة التي يصيب السوء من سار فيها؟ قال : نعم، قال: من صدقك بهذا القول استغنى عن الله في صرف المكروه عنه، وينبغي للمقيم بأمرك أن يوليك الأمر دون الله ربه؛ لأنك أنت تزعم هدايته إلى الساعة التي هو أمن السوء من سار فيها، فمن آمن بهذا القول لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله

209).

(1) انظر: مفتاح دار السعادة (60/3).

(2) انظر: تاريخ الطبري (83/5)، والكامل في التاريخ (343/3).

(3) كتاب الطب، باب ما جاء في النظر في النجوم (601/2 رقم 564 -بغية الباحث).

ندا ً وضدا ً، اللهم لا طائر إلا طائرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك. نكذبك ونخالفك ونسير في هذه الساعة التي تنهانا عنها.

ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس، إياكم وتعلم هذه النجوم إلا ما يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، إنما المنجم كالكافر، والكافر في النار، و الله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم، وتعمل بها لأخلدنك الحبس ما بقيت وبقيت ُ، ولأحرمنك العطاء ما كان لي سلطان. ثم سار في الساعة التي نهاه عنها فأتى أهل النهروان، فقتلهم، ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها فظفرنا أو ظهرنا لقال قائل: سار في الساعة التي أمرنا بها المنجم، ما كان لمحمد منجم ولا لنا من بعده، فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان، أيها الناس توكلوا على الله وثقوا به فإنه يكفي مما سواه#.

2. ما أجمع عليه المنجمون من خراب العالم في سنة (582 هـ) بدعوى أن الكواكب الستة تجتمع فيه في الميزان، فيكون طوفان الريح في سائر البلدان، فارتعد جهلة الناس، وتأهبوا بحفر مغارات في الجبال، وأسراب في الأرض، خوفاً من ذلك، فلما كانت تلك الليلة التي أشاروا إليها لم ير ليلة مثلها في سكونها وركودها وهدوئها، فظهر كذب المنجمين، واستبانت حقيقة حالهم، حتى نظم الشعراء في تكذيب المنجمين أشعاراً، منها: قصيدة مطلعها:

مزق التقويم والزيج فقد بان الخطا إنما التقويم والزيج هباء وهوا[1].

3. ومن ذلك: إجماع المنجمين في زمن الواثق بالله (ت 232 هـ)[2] : أنه يعيش في الخلافة دهراً طويلا ً، وقدروا له خمسين سنة مستقبلة من يوم نظروا، ولم يعش بعد ما نظروا إلا عشرة أيام، ثم توفي[3].

4. ومن ذلك النكبات التي حلت بمن تقيد بهذا العلم في أفعاله وأسفاره، وغير ذلك من أحواله، وهي عبر يكفي العاقل بعضها في تكذيب هؤلاء القوم، ولا يكاد يعرف أحد تقيد بالنجوم في ما يأتيه ويذره إلا نكب أقبح نكبة وأشنعها، مقابلة له بنقيض قصده، فمن ذلك:

حال أبي علي بن مقلة الوزير (ت 328 هـ)[4]، وتعظيمه لأحكام

---

(1) انظر: الكامل في التاريخ (528/11)، والبداية والنهاية (577/16).

(2) هو: أبو جعفر هارون الواثق بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد الهاشمي (196 -232 هـ)، أحد الخلفاء العباسيين، كان أديباً شاعراً، دخل في القول بخلق القرآن، وامتحن الناس، ويروى أنه تاب في آخر حياته. انظر: العبر (325/1)، والبداية و النهاية (325/14 وما بعدها).

(3) انظر: تاريخ الطبري (150/9)، والبداية والنهاية (326/14-327).

(4) هو: أبو علي محمد بن علي بن الحسن المعروف بابن مقلة الوزير (272-328 هـ)، وزير من الشعراء، يضرب به المثل في حسن الخط. انظر: وفيات الأعيان (113/5)، والبداية والنهاية (123/15-125).

النجوم، ومراعاته لها أشد المراعات، ودخوله داراً بناها بطالع زعم الكذابون أنه طالع سعد، ولا يرى به في الدار مكروهاً، فقطعت يده ولسانه، وخربت داره فصارت كوماً، ونكب أقبح نكبة نكبها وزير[1].

ومن ذلك أيضاً أن المنجمين حكموا للحاكم بأمر الله (ت 411 هـ) بركوب الحمار على كل حال، وألزموه أن يتعاهد الجبل المقطم في أكثر الأ يام، وينفرد وحده بخطاب زحل بما علموه إياه من الكلام، ويتعاهد فعل ما وضعوه له من البخورات والأعزام. وحكموا بأنه ما دام على ذلك، وهو يركب الحمار فهو سالم النفس عن كل إيذاء. فلزم ما أشاروا به عليه، فجعل الله العزيز العليم، رب الكواكب ومسخرها ومدبرها أن هلاكه كان في ذلك الجبل ، وعلى ذلك الحمار. فإنه خرج بحماره إلى ذلك الجبل على عادته، وانفرد بنفسه، منقطعاً عن موكبه، وقد استعد له قوم بسكاكين، فقطعوه هنالك للوقت والحين، ثم أعدموا جثته فلم يعلم لها خبر[2].

والقصص في كذب المجمين كثيرة جداً، وقتلى المنتجمين لا يحصيهم إلا الله، وفيما ذُكِر كفاية في بيان فساد صناعتهم، وفي إظهار كذبهم.

الوجه الخامس: إن هذه الصنعة -على فرض صحة أحكامها- فلا فائدة في حصول العلم بها، إذ إن الإنسان لا يقدر أن يزيد فيه سعداً، ولا ينقص منه نحساً، بشهادتهم على ذلك[3]، فضلا ً عن المضرة الحاصلة الواقعة على مكتسب هذا العلم.

وذلك أن متوقع السعادة يحصل له من قلق المتوقع، وحرقة الانتظار ما يقطعه عن منافعه، ويقصر به عن حركته اتكالا ً على ما يأتيه، وتعويلا ً على ما يصل إليه، ففكره منقسم، وقلبه معذب، يعد الدقائق والثواني شوقاً إلى ما وعد، فإذا تأخر السعد أو تخلف -وكثيراً ما يحدث ذلك- انقدح في القلب حسرة وندامة على ما فاته من السعد الموهوم فكانت مضرة على مضرة.

أما متوقع النحس، فهو حاصل له قبل وقوعه، لشدة رعبه من قدومه، ففكره لا ينصرف عنه، وعن التفكير فيه، فتبقى حياته منغصة حتى يحين موعده المزعوم، وقد يأتي وقد لا يتخلف. فعلم من ذلك أن هذه الصناعة ضارة بأهلها وبمن اعتقدها، معذبة لهم، سواء أكانت علماً صحيحاً أم فاسداً[4].

(1) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (7/24، 49-50، 57)، ومفتاح دار السعادة (78/3)، والبداية والنهاية (123/15-125).
(2) انظر: الكامل في التاريخ (314/9)، ومفتاح دار السعادة (70/3).
(3) انظر: المقابسات (ص120 وما بعدها)، وفرج المهموم (ص60-61).
(4) انظر: فرج المهموم (ص 61-62) ورسائل إخوان الصفا (155/1).

الوجه السادس: اختلاف أصحابها في الأصول التي يبنون عليها أمرهم، ويفرعون عنها أحكامهم[1]، فمن ذلك:

1. اختلافهم في البروج التي تؤثر في هذا العالم -بزعمهم-، والتي تبنى عليها أحكامهم، والاختلاف فيها في ثلاثة أمور:

أ. في أسمائها: تختلف أسماء البروج بين أمم المنجمين اختلافاً بيناً، فالبروج عند اليونانيين والمصريين والعرب اثنا عشر برجاً، وهي: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت[2].

أما الصينيون فالبروج عندهم كما يلي: برج الفأر، والقط، والحصان، والديك، والجاموس، والتنين، والماعز، والكلب، والنمر، والثعبان، والقرد، والخن-زير[3].

ب. اختلاف أحكامهم في دلالة هذه البروج على طباع الناس بناءً على اختلافهم في أسمائها، إذ إنهم جعلوا طبائع المولود تابعة لطبيعة الحيوان الذي سمي باسمه البرج الذي ولد فيه هذا المولود[4].

ج. اختلافهم في المدة التي تجعل لكل برج: لا شك أن اليوم الواحد، بل الساعة الواحدة لها أثر في اختلاف حكم النجوم المزعوم، فكيف لو امتدت المدة أشهراً؟؟ بلا ريب سيكون الاختلاف واضحاً بين الحكمين -على حد زعمهم-.

إلا أننا نجد أن مدة كل برج عند اليونانيين وأتباعهم ما يقارب الشهر[5]، فيكون أثر هذا البرج خلال هذه المدة،[6] أما الصينيون فقد جعلوا لكل برج من بروجهم سنة كاملة، وهذا يجعل جميع مواليد أبراج اليونانيين تحت حكم واحد، وفي هذا البون الشاسع دلالة واضحة على كذب هؤلاء[7].

2. اختلاف المنجمين في تعيين السعد من الكواكب والنحس منها.
3. اختلافهم في البروج المذكرة والبروج المؤنثة.
4. اختلافهم في كيفية معرفة السعادة من هذه الكواكب.
5. اختلافهم في اعتماد وقوع الخير والشر، والإعطاء والمنع، ونحو

---

(1) انظر: رسالة عيسى بن علي التي نقلها ابن القيم في مفتاح دار السعادة (92/3).
(2) انظر: التفهيم (ص 265)، والأنواء في مواسم العرب (ص 6) نقلاً عن التنجيم والمنجمون (ص 214).
(3) انظر: الأبراج الصينية (ص 9)، نقلاً عن التنجيم والمنجمون (ص 214).
(4) انظر: مثال ذلك في التنجيم والمنجمون (ص 215-216).
(5) انظر: الأنواء في مواسم العرب (ص 6)، نقلاً عن التنجيم والمنجمون (ص 216).
(6) انظر: الأبراج، لحنا تادرس، نقلاً عن التنجيم والمنجمون (ص 217).
(7) انظر: الأبراج الصينية (ص 8)، نقلاً عن التنجيم والمنجمون (ص 217).

ذلك في العالم من الكواكب.

6. اختلافهم في تقويم الكواكب بالزيجات المختلفة[1].

الوجه السابع: إن هذه الصناعة تشتمل على أصول فاسدة كثيرة منها:

1. دلالة الطالع على أحوال المولود: إن من أهم الأصول التي يبنى عليها المنجمون أحكامهم معرفة الطالع، وجعلوا الطالع هو النجم الذي يظهر في المشرق عند انفصال الولد من رحم أمه، وجعلوه دالاً على جميع أحوال المولود إلى آخر عمره، كما صرح بذلك المنجمون أنفسهم[2].

وهذا الأصل باطل لعدة أمور هي:

أ. إنه لا ارتباط بين المولود وبين شكل الطالع إلا في شيء واحد وهو أن كلاً منهما ظهر بعد خفاء، ومجرد هذا الشبه لا يوجب الاستدلال بهذا الشكل على جميع أحوال الانسان.

ب. إن ذلك الشكل لم يحدث إلا في تلك اللحظة، ثم يفنى ويزول، ويحدث شكل آخر، فهذا الشكل معدوم في جميع أجزاء عمر الولد إلا في تلك اللحظة، فلا يكون علة ولا جزءاً من العلة لهذا المولود، وإذا كان كذلك امتنع الاستدلال به على جميع أجزاء عمره.

ج. إنه عند حدوث الطالع فإن أنواعاً من الحيوانات، والجمادات، و النباتات قد حدثت في ذلك الوقت، فلو كان ذلك الطالع يوجب آثاراً مخصوصة لحصلت لهذه الأشياء كذلك، فلما لم يحدث ذلك علمنا أن القول بتأثير الطالع باطل[3].

د. نفترض -جدلاً- أن الطالع له تأثير في أحوال المولود، فعلى هذا يكون اعتبار طالع الولادة خطأ، بل الأولى أن يكون طالع سقوط النطفة هو المعتبر لا طالع الولادة، وذلك لأن سقوط النطفة هو مبدأ التكوين، أما الولا دة فهو انتقال من مكان إلى مكان بعد أن تم تكوينه وحدوثه، وطالع سقوط النطفة لا يمكن إدراكه، فدل ذلك على عدم إمكان حصول العلم بهذه الصناعة[4].

2. إنهم يبنون صناعة التنجيم على السيارات السبع، ويعدونها فيخطئون؛ لأنهم يحسبون القمر من السيارات وليس هو منها، ولا يحسبون الكرة الأرضية، وهي في وسطها، وكان المنجمون الأقدمون يجهلون ثلاثاً من السبيارات لأنها لم تكتشف قبل اختراع المنظار المقرب، وهو أرانوس

---

(1) لتوضيح الأوجه الخمسة الأخيرة من أوجه اختلافهم راجع: التنجيم والمنجمون (ص 217-223)

(2) انظر: كتاب المعاني في أحكام النجوم (ق 7/أ-ب)، نقلاً عن التنجيم و المنجمون (ص 223).

(3) انظر: مفتاح دار السعادة (50/3).

(4) مفتاح دار السعادة (50/3-51).

الذي اكتشف سنة 1781 م، ونبتون الذي تكتشف في منتصف القرن الماضي، وبلوطس الذي كان معروفاً بالظن، ولم يعرف على وجه التحقيق قبل سنة 1930 م[1].

3. إن المنجمين يذكرون بروج الفلك، ويذكرون سلطان كل برج منها كأنه ثابت في مكانه، وقد أثبت أخيراً أن البروج تنتقل من أماكنها فلا تتفق طوالع المواليد اليوم، وطوالعهم قبل ألف سنة ولا قبل مائة سنة، لأن مواضعها في أفلاك البروج لا تزال في انتقال واختلاف[2].

4. إن المنجمين جعلوا دلالة الكواكب على الأشياء السفلية على حسب اتفاق هذه الكواكب مع هذه الأشياء في اللون أو في الحركة، وهذا لا يصح إذ لو وجب أن يكون كل ما لونه من الكواكب شبيهاً بلون الدم مثل المريخ دليلا ً على القتال وإراقة الدماء؛ لوجب أن يكون كل ما لونه أحمر من الأ جسام السفلية أيضاً دليلا ً على ذلك، إذ هي أقرب منها. ولو وجب أن يكون كل ما حركته سريعة أو بطيئة من الكواكب دلائل على التباطؤ و التسارع في الحوائج لوجب أن يكون كل بطيء، وكل سريع من الأجسام السفلية أدل عليها، إذ هي أقرب منها، واشد اتصالا ً، وكذلك الأمر في سائرها[3].

5. أن المنجمين قسموا الفلك إلى أجزاء من درجات، ودقائق، وثوانٍ... وهذه الأجزاء المفترضة في الفلك إما أن تكون متشابهة في الطبيعة و الماهية، أو مختلفة فيها، فإن كانت متشابهة في الطبيعة والماهية كان الطالع مساوياً لسائر الأجزاء، وحكم سائر الأجزاء واحد.

وإن كانت الأجزاء مختلفة، وهذا ما يدعونه إذ إنهم جعلوا لكل جزء من الفلك طبيعة مختلفة[4]، فلا شك في فساد أحكامهم؛ لأن سرعة الفلك عظيمة جداً، حتى قالوا: إن الفرس شديد العدو إذا رفع رجله ووضعها يكون الفلك قد تحرك ثلاثة آلاف ميل، فإن كان كذلك فمن الموقت الذي ينفصل فيه الجنين عن بطن أمه إلى أن يأخذ المنجم الإسطرلاب[5] وينظر في

---

(1) انظر: مجلة الأزهر العدد 2 (ص 134) مقالة العقاد، نقلا ً عن التنجيم و المنجمون (ص 225).

(2) انظر: المرجع السابق.

(3) انظر: إبطال أحكام النجوم (ق 269) نقلا ً عن التنجيم والمنجمون (ص 225-226).

(4) انظر: التفهيم (ص 269) نقلا ً عن التنجيم والمنجمون (ص 226).

(5) الاسطُرْلاب بالسين والصاد كلمة يونانية، معناها مقياس النجوم، ويقصد بها الآلة المستعملة في استخراج حساب النجوم. انظر: مفاتيح العلوم للخوارزمي (ص 134)، ودائرة المعارف الإسلامية (2/114-115).

الفلك قد تحرك مسافات كبيرة جداً[1].
هذه بعض المفاسد التي شملتها هذه الصناعة.
الوجه الثامن: لو أن شخصين سألا منجمين في وقت واحد، وفي بلد واحد عن خصمين طالعهما واحد أيهما يظفر بصاحبه؟ فإن دل الطالع على حال الغالب والمغلوب مع كونه مشتركاً بين الخصمين لزم أن يكون كل واحد منهما غالباً ومغلوباً، وهذا محال، إذ فيه اجتماع الضدين، واجتماعهما يستحيل حصوله[2].
الوجه التاسع: من المشاهد أنه يموت مجموعة كبيرة من الناس في ساعة واحدة، إما بغرق أو بقتل في حرب أو نحو ذلك، مع اختلاف أحوالهم، وتباين طبقاتهم، واختلاف طوالعهم، ودرجات نجومهم، ولو كان للطوالع تأثير لامتنع عند اختلافها الاشتراك في طريق ووقت الموت. فإن قال المنجم: يؤخذ الحكم من الطالع الذي ركبوا فيه، قيل له: يكون على مقتضى ذلك أن الطالع أبطل أحكام تلك الطوالع كلها على اختلافها، فيكون بهذا لا فائدة في أخذ الطوالع عند الولادة، ولا يوثق في أحكامها، إذ يحتمل أن كل طالع ينسخ حكم ما تقدم من أحكام الطوالع، فلا يبقى بهذا حكم يوثق به[3].
الوجه العاشر: ما هو معلوم بالحس والواقع أن الإنسان يستطيع أن يخالف ما يدعيه المنجم من الأحكام، وبهذا يتبين كذب المنجم؛ إذ لو كانت حقاً وحتماً لما أمكن مخالفتها، فصح أنها تخرص وتخمين.
الوجه الحادي عشر: إن هذه الصناعة محتوية على أحكام كثيرة مُسْتَبْشَعَة تقتضي التقرب إلى الكواكب وعبادتها، وهتك أعراض الناس بمجرد الظنون الكاذبة، وارتكاب الفواحش، وذم الإسلام وأهله، تبني هدم الإ سلام وكسر الملة الإسلامية، فمن ذلك:
ما نقله الرازي عن أبي معشر أنه قال: $وينبغي إذا طالعت الزهرة بحيث يراها أن يكون أسباب المجلس مهيأة هكذا ثلاثة أيام، لا يشتغل بشيء آخر سوى شرب الخمر، ويلوط، ويزني في كل ليلة، ثم في الليلة الثالثة إذا طلعت الزهرة يقوم ويخدمها إذا فرغ من جماع المغنية، ويظهر عشقه لها، ويشكو ما يقاسي من حبها، ويذكر من الأشعار المذكورة في باب العشق بالعربية والفارسية ويتضرع إليها غاية التضرع، فإنه يصير مقبولا ً، وعلامة ذلك أن تكثر أسباب اللهو، ويملي الغلمان والنساء إليه، ويدخلون عليه من غير طلبه#[4]، وقال أيضاً: $الباب الثاني في القربانات والضابط

(1) انظر: النبوات للرازي (ص220)، ومفتاح دار السعادة (55/3، 45).
(2) انظر: مفتاح دار السعادة (52/3).
(3) انظر: تفسير القرطبي (308/21)، ومفتاح دار السعادة (54/3).
(4) السر المكتوم (ق 199/ب)، نقلا ً عن التنجيم والمنجمون (ص 229).

في هذا الباب أن قربان كل كوكب حيوان يكون أشرف الحيوانات المنتسبة إليه#[1]، وغير هذه الأقوال كثير تظهر فيها عبادة هذه الكواكب والتقرب لها بالفواحش، والمنكرات، وفعل كل قبيح، ومن هتك أعراض الناس.

وكذلك من أحكامهم المستبشعة: أنهم جعلوا المشتري دالا ً على الديانة النصرانية، وكوكب الزهرة دالا ً على الإسلام[2]، مع دعواهم أن المشتري يقتضي معرفة الناس، وإصلاح ذات البين، والصداقة بينهم، و التمسك بالدين، والأمر بالمعروف، والزهرة تقتضي البطالة والاستهزاء، و الرفض، وحب الخمر والعسل، واللعب بالشطرنج، والنرد، وكراهة الإيمان، و الكذب، والفرح، والخلاعة[3].

وهذا ظاهر البطلان، إذ كل عاقل يعلم أن النصارى أعظم الملل جهلا ً وضلالا ً، وأكثرهم اشتغالا ً بالملاهي وتعبداً بها[4].

فالمسلمون أولى بالعلم والدين والعقل والعدل والأمر بالمعروف والجد باتفاق كل ذي عقل، والنصارى أبعد الناس عن ذلك[5].

ومن هنا يتضح أيضاً ما يُكِنُّه هؤلاء تجاه الإسلام وأهله، وأقوالهم الشنيعة كثيرة جداً، غير ما ذكرت منها، فضلا ً عن قبح صناعتهم نفسها، وما ذكرته من أقوالهم كاف في بيان حالهم.

وهذه الأوجه كلها دالة على أن هذه الصناعة فاسدة لا يوثق بها، بل إنها تعتمد على الظنون الكاذبة بشهادتهم على ذلك، وبشهادة الناس عليهم، وبالأدلة الأخرى الدالة على ذلك، **ولقد تعمدتُ التوسع والبسط في هذه الجزئية**؛ لأن أمر المنجمين يخفى على كثير من الناس بإندونيسيا؛ إذ إنهم يتسترون بقناع التقنية العلمية -بزعمهم-، يقولون بأن تلك الصناعة ليست من ادعاء علم الغيب في شيء، وإنما هي من العلوم الحديثة ومبنية على التجارب العلمية، إلى غير ذلك من التلبيسات. فلابد من إفحام الخصم بأقوى الأدلة النقلية والعقلية، والله أعلى وأعلم...

- **حكم إتيان الكهنة والعرافين والمنجمين:**

إتيان الكهنة والعرافين والمنجمين ومن في حكمهم وسؤالهم، وتصديقهم فيما يخبرون به حرام من كبائر الذنوب، بل قد يصل إلى حد الشرك الأكبر، وقد دلت الأدلة على ذلك، ومنها:

- عن معاوية بن الحكم ط أنه قال: $يا رسول الله، أموراً كنا نصنعها

---

(1) المرجع نفسه (ق 207/أ).
(2) انظر: التفهيم (ص 253)، ونثار الأزهار في الليل والنهار لمحمد بن بكر ابن منظور (ص 1162) نقلا ً عن التنجيم والمنجمون (ص 230).
(3) التفهيم (ص 251) نقلا ً عن التنجيم والمنجمون (ص 230)..
(4) مجموعة الفتاوى المصرية (334/1) نقلا ً عن التنجيم والمنجمون (ص 230).
(5) نفس المصدر (334/1-335) نقلا ً عن التنجيم والمنجمون (ص 231).

في الجاهلية، كنا نأتي الكهان#، قال: $فلا تأتوا الكهان#[1].

قال الإمام النووي :: $قال العلماء: إنما نهي عن إتيان الكهان؛ لأنهم يتكلمون في مغيبات قد يصادف بعضها الإصابة؛ فيخاف الفتنة على الإنسان بسبب ذلك؛ لأنهم يلبسون على الناس كثيراً من أمر الشرائع، وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة بالنهي عن إتيان الكهان وتصديقهم فيما يقولون#[2].

- عن عمران بن حصين ط أن النبي ح قال: $$ليس منا من تَطَيَّرَ أو تُطُيِّرَ له، أو تَكَهَّنَ أو تُكُهِّنَ له، أو سَحَرَ أو سُحِرَ له#[3].

فهذا الحديث فيه وعيد شديد لمن تكهّن أو تُكُهِّن له، ولذا عدّ ابن حجر الهيتمي : من الكبائر: $الكهانة، والعرافة، والطيرة، والطّرق، والتنجيم، و العيافة، وإتيان كاهن، وإتيان عراف، وإتيان طارق، وإتيان منجم، وإتيان ذي طيرة ليتطير له، أو ذي عيافة ليخط له#[4].

- عن بعض أزواج النبي ح، أن النبي ح قال: $مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً#[5].

فهذا الحديث فيه جزاء الذي يأتي العراف ويسأله، فمن أتى عرافاً فسأله عن شيء -ولو لم يصدقه- فإنه لا تقبل له صلاة أربعين يوماً. و المقصود من قوله ح: $لم تقبل له صلاة أربعين يوما#: أنها تقع مجزئة لا يجب عليه قضاؤها، ولكن لا ثواب له فيها؛ لأن الذنب والإثم الذي اقترفه حين أتى العراف فسأله عن شيء، يقابل ثواب الصلاة أربعين يوماً، فأسقط هذا هذا. ويدل ذلك على عظم ذنب الذي يأتي العراف فيسأله عن

---

(1) سبق تخريجه في (ص 198).

(2) شرح النووي على صحيح مسلم (25/5).

(3) سبق تخريجه في (ص 196).

(4) الزواجر (109/2). وعده : هذه الأمور من الكبائر لا يعارض كونها مما ينافي التوحيد؛ وذلك لأنه : عد في الكبائر أموراً صرّح بكونها كفراً لا كبيرة كالشرك، و النفاق، وتعمد الكذب على الله وعلى رسوله ح، وغير ذلك؛ معللاً ذلك بأن مقصوده استيفاء الكلام على سائر ما قيل إنه كبيرة وإن لم يكن كذلك عنده، هذا من جهة. انظر: الزواجر (27/1، 79، 97).

ومن جهة أخرى فإنه عرّف الكهانة والعرافة بما يدل على كونهما من ادعاء علم الغيب وجعل ما يلحق بهما مقيساً عليهما لاشتراكهما في هذا الملحظ، وقد صرح في غير موضع من كتبه بكفر من ادعى علم الغيب. انظر: الزواجر (109/2)، والإعلام بقواطع الإسلام (ص 195)، والفتاوى الحديثية (ص 282-283 -ط. دار المعرفة)، وآراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية (ص 182).

(5) رواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان (1751/4 رقم 2230).

شيء ولو لم يصدقه[1].

يقول المناوي : شارحاً للحديث: $خص العدد بالأربعين على عادة العرب في ذكر الأربعين والسبعين ونحوهما للتكثير، أو لأنها المدة التي ينتهي إليها تأثير تلك المعصية في قلب فاعلها وجوارحه، وعند انتهائها ينتهي ذلك التأثير، ذكره القرطبي. وخص الليلة لأن من عاداتهم ابتداء الحساب بالليالي. وخص الصلاة لكونها عماد الدين فصومه كذلك، كذا قيل.

ثم اعلم أن ذا وما أشبهه كمن شرب الخمر يلزمه الصلاة وإن لم تقبل؛ إذ معنى عدم القبول عدم الثواب لاستحقاق العقاب، فالصلاة مع القبول لفاعلها الثواب بلا عقاب، ومع نفيه لا ثواب ولا عقاب، هذا ما عليه النووي. لكن اعترض بأنه سبحانه لا يضيع أجر المحسنين فكيف يسقط ثواب صلاة صحيحة بمعصية لاحقة؟ فالوجه أن يقال: المراد من عدم القبول عدم تضعيف الأجر، لكنه إذا فعلها بشروطها برئت ذمته من المطالبة بها ويفوته قبول الرضا عنه وإكرامه.

ويتضح باعتبار ملوك الأرض -ﭽ ﮓ ﮔ ﮕﮖ ﭼ [النحل:60]-؛ وذلك أن المهدي إما مردود عليه، أو مقبول منه، والمقبول إما مقرب مكرم، وإما ليس كذلك، فالأول البعيد المطرود، والثاني المقبول التام الكامل، والثالث لا يصدق عليه أنه كالأول، فإنه لم يرد هديته بل التفت إليه وقبل منه، لكن لما لم يثب صار كأنه غير مقبول منه فصدق عليه أنه لم يقبل منه#[2].

فهذا إذن وعيد شديد لمن أتى الكاهن ومن في حكمه وسألهم وإن لم يصدقهم، **لكن ما حكم من أتاهم وسألهم ثم صدقهم؟ هل هو كافر كفراً أكبر أم كافر كفراً أصغر؟**

اختلف العلماء في المسألة بناءً على اختلاف فهمهم للأحاديث الواردة فيها، فقبل ذكر ذلك الخلاف، ينبغي تحرير محل النـزاع في المسألة.

اتفقوا على أن اتيان الكاهن مع التصديق له في أمر غيبي مطلق أو في أمر غيبي غير مطلق لكن بدون اعتقاد أن الشياطين تخبره؛ من الكفر الأكبر؛ لأن علم الغيب خاص بالله تعالى، وقد مر ذكر الأدلة على ذلك.

يقول المناوي :: $فمصدق الكاهن إن اعتقد أنه يعلم الغيب كفر، وإن اعتقد أن الجن تلقي إليه ما سمعته من الملائكة فصدقه من هذه الجهة لا يكفر#[3].

ويقول ابن عابدين :: $ الكاهن من يدعي معرفة الغيب بأسباب وهي مختلفة، فلذا انقسم إلى أنواع متعددة كالعراف، والرمال، والمنجم: وهو الذي يخبر عن المستقبل بطلوع النجم وغروبه، والذي يضرب الحصى والذي

---

(1) التمهيد لشرح كتبا التوحيد (ص 320).
(2) فيض القدير (22/6-23).
(3) فيض القدير (23/6).

يدعي أن له صاحبا ً من الجن يخبره عما سيكون، والكل مذموم شرعا ً، محكوم عليهم وعلى مصدقهم بالكفر.

وفي $البزازية#: يكفر بادعاء علم الغيب وبإتيان الكاهن وتصديقه#[1].

واختلفوا في حكم إتيان الكاهن مع التصديق له في أمر غيبي نسبي واعتقاد أن الشياطين تخبره، بعد أن اختطفه من الملائكة.

واختلاف العلماء في هذه المسألة مبني على اختلاف فهمهم للنصوص الواردة فيها، ومن النصوص الواردة في ذلك:

- عن بعض أزواج النبي ح عن النبي ح قال: $مَنْ أتى عَرّافًا فَصَدّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ لَمْ يُقبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا#[2].

- وعن أبي هريرة ط أن رسول الله قال: $مَنْ أتى كاهِنًا أوْ عَرّافًا فَصَدّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّم#[3].

ذكر الحديث الأول الذي عن بعض أزواج النبي ح أن جزاءه أنه $لم تقبل له صلاة أربعين يوما ً#، وذكر الحديث الثاني أن جزاءه أنه قد $كفر بما أنزل على محمد ح#؛ فيتضح أن ذلك الآتي يكفر بما أنزل على محمد ح، وأنه لا تقبل له صلاة أربعين يوما ً.

وهذه الحالة تدل على أن الذي أتى الكاهن أو العراف فصدقه، أنه لم يخرج عن الملة؛ لأنه ح حد ّ عدم قبول صلاته بأربعين يوما ً، والذي أتى الكاهن إذا حكم عليه بأنه كافر كفرا ً أكبر ومرتد وخارج من الملة فإن صلا ته لا تقبل بتاتا ً حتى يرجع إلى الإسلام، وقد قال طائفة من أهل العلم: دل قوله : $فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما ً# على أن قوله: $كفر بما أنزل على محمد# أنه كفر أصغر وليس بالكفر المخرج من الملة، وهذا القول هو القول الأول، وهو قول الإمام أحمد في إحدى الروايتين عنه[4]،

---

(1) حاشية ابن عابدين (242/4).

(2) رواه أحمد في مسنده (16638/27 رقم 16638، 264/38 رقم 23222) وقال محققوا المسند $إسناده صحيح على شرط مسلم#.

(3) رواه أحمد في مسنده (331/15 رقم 9536)، والحاكم في المستدرك (153/1-154 رقم 15 –ط. دار المعرفة) وقال: $صحيح على شرطهما جميعاً من حديث ابن سيرين ولم يخرجاه#، وجود إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (217/10)، وقال المناوي في فيض القدير (23/6): $... قال الحافظ العراقي في $أماليه#: حديث صحيح ... وقال الذهبي: إسناده قوي#، وحسن إسناده محققوا المسند.

(4) انظر: الفروع (181/6)، وتصحيح الفروع للمرداوي، بهامش الفروع (181/6)، وصوب المرداوي هذه الرواية.

ونسب الشيخ عثمان بن عبد العزيز التميمي[1] : هذا القول إلى جمهور العلماء[2].

والقول الثاني: أنه يتوقف فيه، فلا يقال يكفر كفرا ً أكبر، ولا يقال أصغر، وإنما يقال : إتيان الكهان وتصديقهم كفر بالله لأ، ويسكت عن ذلك، ويطلق القول كما جاء في الأحاديث، وهذا لأجل التهديد والتخويف حتى لا يتجاسر الناس على هذا الأمر، وهذا هو مذهب الإمام أحمد في إحدى الروايتين عنه[3].

والقول الثالث: أن الذي يصدق الكاهن كافر كفرا ً أكبر مخرج من الملة[4].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ :: $وظاهر الحديث أنه يكفر متى اعتقد صدقه بأي وجه كان، لاعتقاده أنه يعلم الغيب، وسواء كان ذلك من قِبَل الشياطين، أو من قِبَل الإلهام لا سيما وغالب الكهان في وقت النبوة إنما كانوا يأخذون عن الشياطين#[5].

وهذا القول الأخير فيه نظر من جهتين:

الجهة الأولى: ما ذكرت من الدليل من أن قوله ح: $لم تقبل له صلاة أربعين يوما ً# يدل على أنه لم يكفر الكفر الأكبر، ولو كان الأمر كذلك لم يحد عدم قبول صلاته بتلك المدة من الأيام.

والجهة الثانية: أن تصديق الكاهن فيه شبهة، وادعاء علم الغيب أو تصديق أحد ممن يدعي علم الغيب كفر بالله لأ كفرا ً أكبر، لكن هذا الكاهن الذي ادعى علم الغيب يخبر بالأمور المغيبة فيما صدق فيه عن طريق استراق الجن للسمع، فيكون إذا ً هو نقل ذلك الخبر عن الجني، و الجن نقلوه عما سمعوه في السماء، وهذه شبهة. فقد يأتي الآتي إلى الكاهن ويقول: أنا أصدقه فيما أخبر من الغيب؛ لأنه قد جاءه علم ذلك الغيب من السماء عن طريق الجن، وهذه الشبهة تمنع من تكفير من صدق الكاهن الكفر الأكبر.

فالقول الأظهر -والله أعلم-: أن كفره كفر أصغر ولا يخرج من الملة؛ لد

(1) هو: عثمان بن عبد العزيز بن منصور (ت 1282 هـ)، من علماء نجد، متردد في اتجاهه العقائدي؛ فمرة يوالي الدعوة السلفية وينتسب إليها، وأخرى يبتعد عنها ويوالي أعداءها، وروي أنه تاب وتوفي على عقيدة التوحيد، من مؤلفاته: فتح الحميد شرح كتاب التوحيد. انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (5/89-106).
(2) انظر: فتح الحميد في شرح التوحيد (3/1151).
(3) انظر: الفروع (6/181).
(4) تيسير العزيز الحميد (ص 338).
(5) المرجع السابق (ص 338).

لالة الأحاديث؛ ولظهور التعليل في ذلك[1]. وممن حمل الكفر الوارد في حديث $من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد# على الكفر العملي: ابن قدامة :[2]، ابن القيم :[3]، والشيخ عبداللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ : [4].

ولكن مع هذا الترجيح ينبغي مراعاة المخاطَب في المسألة:

لما سئل الشيخ محمد بن إبراهيم : عن حديث $من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد# ذكر خلاف العلماء في المسألة بنحو ما ذكرت فيما سبق، ثم ختم فتواه بقوله: $ولكن الأ َولى أن يقال لمن يُظَنُّ أنه يرى مذهب الخوارج: لا ينقل فإنه بيان لحكمه، فإن الخوارج زعموا أنه وأشباهه دليل على تكفير العصاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم. وإن كان الحال مأموناً أن ين-زع به أحد إلى تكفير العصاة قيل كما في النص - أطلق كما أطلق النص#[5].

تنبيه: قد يكون إتيان الكاهن مباحاً مستحباً، يقول شيخ الإسلام : وهو يتحدث عن حكم إتيان الكاهن: $وأما إن كان يسأل المسؤولَ ليمتحن حاله ويختبر باطنَ أمره وعنده ما يميز به صدقه من كذبه؛ فهذا جائز كما ثبت في $الصحيحين#: $أن النبي ح سأل ابن صياد فقال: ما يأتيك؟ فقال: يأتيني صادق وكاذب. قال: ما ترى؟ قال: أرى عرشاً على الماء. قال: فإني قد خبأت لك خبيئاً، قال: الدخ الدخ[6]،

(1) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص 320-322).
(2) نقله عنه صاحب فتح الحميد (1167/3)، ولم أتمكن من البحث في كتب ابن قدامة.
(3) انظر: الصلاة وحكم تاركها (ص 55).
(4) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (15/3).
(5) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (164/1).
(6) قال الحافظ في الفتح (173/6): $وقع في حديث أبي ذر المذكور: "فأراد أن يقول الدخان فلا يستطيع فقال الدخ"، وللبزار والطبراني في "الأوسط" من حديث زيد بن حارثة قال: "كان النبي ح خبأ له سورة الدخان" وكأنه أطلق السورة وأراد بعضها، فإن عند أحمد عن عبد الرزاق في حديث الباب: "وخبأت له: يوم يأتي السماء بدخان مبين".
وأما جواب ابن صياد بالدخ، فقيل: إنه اندهش فلم يقع من لفظ الدخان إلا على بعضه، وحكى الخطابي أن الآية حينئذ كانت مكتوبة في يد النبي ح فلم يهتد ابن صياد منها إلا على لهذا القدر الناقص على طريقة الكهنة، ولهذا قال له النبي ح: "لن تعدو قدرك" أي قدر مثلك من الكهان الذين يحفظون من إلقاء شياطينهم ما يحفظونه مختلطاً صدقه بكذبه#. أهـ.

قال: اخسأ فلن تعدو قدرك، فإنما أنت من إخوان الكهان#(1).
وكذلك إذا كان يسمع ما يقولونه ويخبرونه عن الجن كما يسمع المسلمون ما يقول الكفار والفجار ليعرفوا ما عندهم فيعتبروا به، وكما يُسمَع خبرُ الفاسق ويُتبيّن ويُتثبّت فلا يُجزَم بصدقه ولا كذبه إلا ببينة، كما قال تعالى: ﭽ � ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ [الحجرات: ٦] وقد ثبت في $صحيح البخاري# عن أبي هريرة: $أن أهل الكتاب كانوا يقرؤون التوراة ويفسرونها بالعربية، فقال النبي ح: إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوه، وقولوا: ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ[العنكبوت: ٤٦]#(2)؛ فقد جاز للمسلمين سماع ما يقولونه ولم يصدقوه ولم يكذبوه#(3).
وهذه الصورة لا تدخل في المنهي عنه؛ وذلك لأن الوسائل لها حكم المقاصد(4).
ولا يعارِضُ جوازَ هذا النوع من الإتيان ظاهرُ حديث: $مَنْ أَتى عَرّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَة#(5)، وبيان ذلك من جهتي الرواية والدراية(6):
أما من جهة الرواية: فإن هذا الحديث جاء من طريق يحيى بن سعيد عن عبيد الله عن نافع عن صفية عن بعض أزواج النبي ح، فرواه الإمام مسلم : عن محمد بن المثنى به بلفظ $فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ#، ورواه الإمام أحمد عن شيخه يحيى بن سعيد به بلفظ $فَصَدّقَهُ# -أي دون لفظة $فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ#-، والإمام أحمد أوثق من ابن المثنى، فمن ثمّ تُقدّم روايته، ويكون الوجه الأصح لرواية الحديث بدون لفظة $فسأله عن شيء#؛ فعلى هذا لا يكون هناك تعارض.
وأما من جهة الدراية: أن المراد بحديث $فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ# سؤال على غير وجه الامتحان والاختبار للجمع بينه وبين سؤال رسول الله ح لابن صياد. والله تعالى أعلى وأعلم...

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب كيف يعرض الإسلام على الصبي (171-172/6 رقم 3055 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب ذكر ابن الصياد (2244/4 رقم 2930) من حديث ابن عمر.
(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼ[البقرة: ١٣٦] (170/8 رقم 4485 -الفتح) من حديث أبي هريرة ط، والآية المذكورة في الحديث هي آية البقرة، وليست آية العنكبوت كما ذكرها شيخ الإسلام :.
(3) مجموع الفتاوى (62-63/19).
(4) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص 320).
(5) سبق تخريجه في (ص 846).
(6) انظر: قواعد ومسائل في توحيد الإلهية (ص 196-197).

المبحث السادس: بعض الأمور غير الشرعية التي تفعل لجلب نفع ودفع ضر

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم جلب النفع ودفع الضر وأنواع ذلك

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف بفعل بعض الأمور غير الشرعية من أجل جلب نفع أو دفع ضر

المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

المطلب الأول: مفهوم جلب النفع ودفع الضر وأنواع ذلك

- **مفهوم جلب النفع ودفع الضر:**

النفع هو: ما يستعان به في الوصول إلى الخيرات، وما يتوصل به إلى الخير فهو خير، فالنفع خير، وضده الضُّرّ[1].

والضر هو: سوء الحال؛ إما في نفسه لقلة العلم والفضل والعفة، وإما في بدنه لعدم جارحة ونقص، وإما في حالة ظاهرة من قلة مال وجاه وغير ذلك[2].

فمفهوم جلب النفع إذن: سوق الخير والإتيان به، وأما دفع الضر فا المراد به: الحماية من الحالة السيئة.

- **أنواع جلب النفع ودفع الضر:**

جلب نفع ودفع ضر نوعان: مشروع وممنوع.

القسم الأول: المشروع، وهو فعل الأشياء المشروعة أو المباحة شرعاً من أجل دفع ضر أو جلب نفع.

من أمثلة فعل الأشياء المشروعة: إقامة صلاة الاستسقاء من أجل طلب الغيث ودفع القحط عن البلاد.

أما فعل الأشياء المباحة شرعاً، فمثاله: ما ذكر في قول الله تعالى: ﭽ ﮁ
ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ النحل: ٨١.

يقول الإيجي : في تفسيره للآية: $ ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ تستظلون بها من الحر كالأشجار وغيرها ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ جمع كن وهو ما يستكن به من الغيران والبيوت المنحوتة في الجبال والحصون، ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ القمصان و الثياب ﭽ ﮍ ﮎ ﭼ والبرد، اكتفى بأحد الضدين عن الآخر، أو خصه بالذكر لأن الحجاز بلاد حر، ﭽ ﮏ ﭼ لباس الحرب كالدروع ﭽ ﮐ ﮑ ﭼ تمنعكم الطعن و القطع والرمي ﭽ ﮒ ﭼ مثل تمام هذه النعم التي ذكرها ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ لتستعينوا بها على الطاعة ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ تنظرون في نعمته فتؤمنون به أو تنقادون لحكمه #[3].

القسم الثاني: الممنوع، وهو فعل الأشياء الممنوعة شرعاً من أجل دفع ضر أو جلب نفع. وهذا الفعل يتفاوت؛ فقد يكون شركاً، وقد يكون معصية لا تصل إلى درجة الكفر.

فمثال ما بلغ إلى حد الشرك في هذا الباب: طلب الذرية من الرسول ح

---

(1) مفردات ألفاظ القرآن (ص819).
(2) المصدر السابق (ص503).
(3) جامع البيان في تفسير القرآن (ص 514).

، أو أولياء الله الصالحين أو غيرهم من المخلوقات. قال تعالى آمراً نبيه ح: چأ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ڤ ڤ
ڦ ڦ ڦ ڦ چ الأعراف: ١٨٨.

ومثال ما لم يبلغ حد الكفر، إلا أنه من قبيل المعصية: التداوي بالحرام. روي عن النبي ح قوله: $إن الله خلق الداء والدواء فتداووا ولا تتداووا بحرام#[1].

(1) سبق تخريجه في (ص 601).

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف بفعل بعض الأمور غير الشرعية من أجل جلب نفع أو دفع ضر

كما سبق أن أشرت إليه في المقدمة(1)، فإن هذا المبحث عبارة عن جمع لمظاهر الانحراف في توحيد العبادة، والتي لم أستطع إدراجها تحت بقية مباحث الرسالة؛ لبعد الصلة بينها.

فمما وقفت عليه من تلك المظاهر ما يلي:

المثال الأول: فعل بعض الإندونيسيين للطقوس المسماة بـ Ruwatan (رُوَتَنْ)، وهو عبارة عن محاولة تطهير الإنسان من ذرات الشر الموجودة فيه كي لا تحالفه الأقدار السيئة -بزعمهم-. ووجود هذه ذرات الشر هذه في نفس الإنسان إنما هو بسبب ارتكابه للذنوب، أو لكون تاريخ و لادته يوافق تاريخ النحوسة(2).

وبعض مفردات طريقة إقامة هذه الطقوس قد تختلف من منطقة إلى منطقة، أذكر هنا ما وقفت عليه منها، وهي: أن يقرأ الكاهن عزائمَ على ماء، ثم يشربه الشخص المراد (تطهيره)(3)، ثم يأتي الكاهن بماء مأخوذ من سبع بحيرات متنوعة أو بماء الورد فيصبّه على الشخص المذكور(4)، كما يجب على الشخص المذكور لبس القماش الأبيض؛ كي يكون طاهراً كبياض ذلك القماش.

وبعد انتهاء هذه الطقوس يعطى الشخص أرزاً بأنواع من الإدام ليأكله، وحماماً ليطلقه؛ فالأرز رمز عن الرخاء والرزق، وإطلاق الحمام رمز عن ذهاب ذرات الشر عن نفسه(5)، كما يقص بعض شعره، ثم يقدّم ذلك الشعر مع بعض القرابين إلى أقرب نهر كبير(6).

ثم يعقبها -غالباً- استعراض فنّ شعبي Wayang kulit (دمية جلدية)، وكثيراً ما يختار الفنان قصة Murwokolo (مُوْرْوُوْكُوْلُوْ) كعنوان لا ستعراضه(7).

وترجع جذور هذه الطقوس إلى عقيدة الديانة الهندوسية، حيث اعتقدوا أن الشرور الموجودة في العالم إنما هي بسبب وجود إله الشر، الذي

---

(1) انظر (ص 11).

(2) انظر: مجلة HAM (هَامْ)، العدد 11، سبتمبر-أكتوبر 2005 م (ص 14-15).

(3) انظر: جريدة Posmo (فُوْسْمُوْ)، العدد 333، تاريخ 7 سبتمبر 2005 م (ص 24).

(4) انظر: جريدة Suara Merdeka (سُوَارَا مِيْرْدِيْكَا)، يوم الجمعة، 13 من أغسطس 2004 (ص 3، 6)، وBahaya! Tradisi Kemusyrikan di Sekitar Kita (انتبه! العادات الشركية حولنا) (ص 132).

(5) انظر: مجلة HAM (هَامْ)، العدد 11، سبتمبر-أكتوبر 2005 م (ص 14-15).

(6) انظر: Bahaya! Tradisi Kemusyrikan di Sekitar Kita (انتبه! العادات الشركية حولنا) (ص 132-133).

(7) انظر:المرجع نفسه (ص 132).

سموه Betara kala (بِيْتَارَا كَالا َ)، فلابد لذلك من إقامة طقوس Ruwatan (رُوَاتَانْ) لتخليص البشر من شره[1].

وهذه الطقوس لها أنواع، منها:

1. Ruwatan Sukerta (رُوَاتَانْ سُوْكِيْرْتَا)، وهي التي تعقد للأطفال؛ كي يكون مستقبلهم حسناً، وبعضهم لكونهم ولدوا في تاريخ نحس -بزعمهم - فيحتاجون إلى تخليصهم من ذلك النحس.
2. Ruwatan Sengkala (رُوَاتَانْ سِيْنْكَالا َ)، وهي التي تعقد لأناس مصابين بمنغصات الحياة؛ كالفقر، أو المرض، أو التأخر في الزواج، أو المشاكل الزوجية، ونحو ذلك؛ كي يتخلصوا من هذه المنغصات.
3. Ruwatan Lembaga (رُوَاتَانْ لِيْمْبَاغَا)، وهي التي تعقد لشركات، أو مؤسسات؛ كي تزدهر سيرتها[2].

ويمكن عقد هذه الطقوس على أناس بشكل أفراد أو جماعات، ولا يجب حضور الشخص المراد تطهيره أمام الكاهن، بل له أن يرسل صورته، واسمه، وتاريخ ولادته، واسم أمه، وشيئاً من جسده؛ كالشعر أو الظفر[3].

ولا يزال كثير من الإندونيسيين -لا سيما الجاويون منهم- متمسكين بهذه العادة بزعم الحفاظ على التراث الشعبي، أو أنهم معتقدون حصول البركات بعقد تلك الطقوس.

ويفضلون عقد هذه الطقوس في شهر الله المحرم.

ولم يقتصر عقد هذه الطقوس في أوساط أناس عاديين، بل حتى بعض كبار رجال الحكومة يعملون هذه الطقوس؛ بهدف الخروج بالدولة من النكبات التي تصيبها إلى الرخاء والتقدم[4] -زعموا-.

وللصينيين طقوس تشبه هذه الطقوس، ويسمونها: Ciswak (تِشِيْوَكْ)[5].

المثال الثاني: ما يسميه بعض الإندونيسيين بـ Cowongan (تْشُوْوُوْنْجَانْ). وهو عبارة عن طقوس يقيمونها للاستسقاء. طريقتها:

يصنعون أولا ً دمية أو لعبة على صورة إنسان ويُلْبِسونها لباس رجل، ثم يقدمون تحتها القرابين لإحضار روح Dewi Sri (دِيْوِيْ سِرِيْ) وهي رمز للغذاء، وروح Dewi Larasati (دِيْوِيْ لا َرَاسَاتِيْ) وهي رمز للرخاء، وبعد

---

(1) انظر: جريدة Posmo (قُوْسْمُوْ)، العدد 283، تاريخ 15 سبتمبر 2004 م (ص 42).

(2) انظر: مجلة HAM (هَامْ)، العدد 11، سبتمبر-أكتوبر 2005 م (ص 15).

(3) انظر: نفس المرجع.

(4) انظر: جريدة Posmo (قُوْسْمُوْ)، العدد 333، تاريخ 7 سبتمبر 2005 م (ص 24-25).

(5) انظر: مجلة HAM (هَامْ)، العدد 11، سبتمبر-أكتوبر 2005 م (ص 15).

ذلك ينشدون أبياتاً تتضمن استغاثة بتلك الأرواح، ومن تلك الأبيات الشركية:

"Midondangi jaluk pitulung marang Nyi Ratu kanggo njaluk udan"

معناها: $نستعين بالمَلِكة -يعنون بها الأرواح السابقة ذكرها- لنستسقيه#.

وقد عقدت هذه الطقوس في قرية Pesawahan (فِيْسَاوَاهَانْ) بمنطقة Banyumas (بَنْيُوْمَسْ) بجَاوَا الوسطى، وأصبحت هذه الطقوس عادة سائدة في هذه القرية وغيرها من القرى التي تعاني من قلة الأمطار[1].

المثال الثالث: ما يسمى بـ Kungkum (كُوْنْجكُوْمْ)، وهو عبارة عن بقاء الشخص لمدة من الزمان في ماء بمكان مخصوص ليلةَ غرة محرم من كل سنة، بهدف تطهيره جسماً وروحاً[2]. وهو عمل ملفق بين عقيدة Dinamisme (دِيْنَامِيْسمِي)[3] وAnimisme (أَنِيْمِيْسمِي)[4] وبين عادة هندوسية[5].

ومن الأماكن التي يكثر اختيار الناس لها لتأدية هذا العمل: في جاوى الغربية: بحر Pelabuhan Ratu (فِيْلَا َبُوْهَانْ رَاتُوْ)، وفي جاوى الوسطى: نهر Kali Garang (كالِيْ غَارَنْجْ) بمدينة Semarang (سِيْمَرَنْجْ)[6]، ونهر بقرية Tulakan (تُوْلا َكَانْ) بمدينة Jepara (جِيْفَرَا)[7]، وعين Pengging (فِيْنْجِيْنْجْ) بمدينة Boyolali (بُوْيُوْلا َلِيْ)، وفي محافظة Jogjakarta (جُوْكْجَاكَرْتَا): بحر Congot (تْشُوْنْجُوْتْ) بمدينة Kulonprogo (كُوْلُوْنْ فَرُوْكُوْ)، وبحرَي Parangtritis (فَارَانْجْ تِيْرِيْتِيْسْ)، وParangkusumo

---

(1) انظر: جريدة Suara Merdeka (سُوَارَا مِيْرْدِيْكا)، يوم السبت، 15 من مايو 2004 (ص 3، 6).

(2) انظر: Membongkar Kesesatan Perilaku Syirik Masyarakat Indonesia (كشف ضلالات أعمال المجتمع الإندونيسي الشركية) (ص 51).

(3) هو: اعتقاد أن لكل شيء قوة غيبية مؤثرة في نجاح الإنسان من عدمه. انظر: Kamus Besar Bahasa Indonesia (المعجم الكبير للغة الإندونيسية) (ص 265).

(4) هو: اعتقاد أن لكل شيء روحاً، كالشجر، والحجر، والنهر والجبال، وغيرها من الجمادات. انظر: نفس المصدر (ص 53).

(5) انظر: Dukun Hitam Dukun Putih, Menguak Rahasia Kehebatan Sekutu Setan (الكاهن الأسود والكاهن الأبيض؛ الكشف عن سر قوة حليف الشيطان) (ص 39).

(6) انظر: مجلة Ghoib (غيب)، العدد 13، السنة الثانية، عام 1425 هـ / 2004 م (ص 22).

(7) انظر: جريدة Kompas (كُوْمْفَاسْ)، يوم الإثنين، تاريخ 22 أغسطس 2005 (ص 39).

(فَارَانْجْ كُوسُوْمُوْ)، ونهرَي Bedhok (بِيْدُوْكْ)، وKoneng (كُوْنِيْنْجْ) وكلاهما بمدينة Bantul (بَنْتُوْلْ)، وملتقى نهرَي Opak (أُوْفَكْ) وGajahwong (غَاجَهْ وُوْنْجْ) بمدينة Plered (فِيْلِيْرِيْدْ)[1].

المثال الرابع: ما يفعله سكان قرية Kinahrejo (كِينَهْرِيْجُوْ) وقرية Kepuharjo (كِيْفُوْهَرْجُوْ) بمحافظة Jogjakarta (جُوْكْجَاكَرْتَا)، من تعليق Ketupat (ملفوف أوراق النارجيل) فيها ملح، على أعتاب أبواب بيوتهم؛ من أجل حمايتهم من أضرار انفجار بركان Merapi (مِيْرَابِي). ويقولون أن هذه الوصفة قد تلقوها من سلطان البركان -من الجن- الذي يسمونه Eyang Sapu Jagad (إِيَانْجْ سَافُوْ جَاغَادْ)[2].

المثال الخامس : ما يسمى بصلاة Rabu Wekasan (رَابُوْ وِيْكَسَنْ)، وهو عبارة عن إقامة صلاة أربع ركعات بسلام واحد، ضحى آخر الأربعاء من شهر صفر من كل سنة. تُقرأ في كل ركعة -بعد فاتحة الكتاب- سورةُ الكوثر سبع عشرة مرة، وسورة الفلق خمس مرات، وسورة الناس مرة واحدة[3].

ويقرؤون بعد السلام: ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ[يوسف: ٢١] ستين وثلاثمائة مرة، وصلاة $جوهرة الكمال# ثلاث مرات، ونصُّها: $اللّٰهم صل وسلم على عين الرحمة الرانية والياقوتية المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني، ونور الأكوان المتكونة الآدمي صاحب الحق الرباني البرق الأسطع بمزون الأرياح المالئة لكل متعرض من البحور والأواني، ونورك اللامع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكاني، اللّٰهم صل وسلم على عين الحق التي تتجلى منها عروش الحقائق، عين المعارف الأقوم صراطك التام الأسقم، اللّٰهم صل وسلم على طلعة الحق بالحق الكنـز الأعظم إفاضتك منه إليك إحاطة النور المطلسم ح وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه#، ويختمونها بقراءة ﭽ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﭼ [الصافات: 180-١٨٢][4].

---

(1) انظر: Dukun Hitam Dukun Putih, Menguak Rahasia Kehebatan Sekutu Setan (الكاهن الأسود والكاهن الأبيض؛ الكشف عن سر قوة حليف الشيطان) (ص 40).

(2) انظر: مجلة Ghoib (غيب)، العدد 64، السنة الرابعة، تاريخ 20 ربيع الأخير 1427 هـ / 18 مايو 2006 م (ص 49).

(3) انظر: المرجع السابق، العدد 16، السنة الثانية، 1425 هـ / 2004 م (ص 16). وجاء في مجلة Qiblati (قبلتي)، العدد 5، السنة الثانية، فبراير 2007 م / محرم 1428 هـ (ص 14) ما نصه: $تقرأ بعد فاتحة الكتاب في كل ركعة: سورة الكوثر 17 مرة، وسورة الإخلاص 50 مرة، وسورة الفلق، وسورة الناس كلاهما مرة واحدة#.

(4) انظر: مجلة Qiblati (قبلتي)، العدد 5، السنة الثانية، فبراير 2007 م / محرم 1428 هـ (ص 14).

والناس يصلون هذه الصلاة جماعة في أقرب مسجد أو مصلى. يأتون إلى المسجد ومع كل واحد قارورة فيها ماء، ثم يصبونه في دلو فيه ورقة عليها طلاسم، وبعد الصلاة وانتهاء قراءة الأدعية، يملأ كل واحد قارورته بذلك الماء، ثم يعودون به إلى بيوتهم ليشربونه هم وأهل بيتهم منه، ويزعمون أن من شرب منه يكون محصنّاً من البلاء[1].

ويعود تأدية هذا النوع من الصلاة إلى اعتقادهم أن في الأربعاء الأخير من شهر صفر من كل سنة ينـزّل الله 320،000 (عشرين وثلاثمائة ألف) بلاءً، فهو أحرج أيام السنة[2].

ولما سئل أحد رجال الدين الذين يتبنون فكرة تأدية هذه الصلاة عن مستنده الشرعي في ذلك من الحديث النبوي، صرّح بأنه لم يجد لها دليلاً من السنة، وأنه لم يؤدها إلا اتباعاً لشيخه![3]

المثال السادس: ما يسمى بـ Mitoni (مِيْتُوْنِيْ) أو في بعض المدن: Tingkeban (تِيْنْجْكِيْبَنْ)، وهو عبارة عن إقامة وليمة في الشهر السابع من حمل المرأة بهدف طلب سلامة الجنين، ويعتقد بعض الناس أن عدم إقامتها يؤدي إلى إصابة الجنين عند ولادته بمكروه.

وتعود هذه العادة إلى فكرة هندوسية التي تعقد ولائم شتى في مناسبات زمنية عديدة[4].

المثال السابع: ما يفعله بعض الناس -منهم ساكنو قرية Josari (جُوْسَارِيْ) بمدينة Ponorogo (فُوْنُوْرُوْكُوْ) بجاوى الشرقية- من وضع السروال الداخلي المستعمل على سقف البيت من أجل منع نزول المطر، ويفعلون ذلك -غالباً- إذا أرادوا عقد الولائم؛ حتى لا تنهال عليهم الأمطار فتعرقل عليهم سير ولائمهم[5].

المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

جُبِل الناس في حياتهم على محاولة جلب النفع لهم ودفع الضر عنهم، وهو أمر فطري فيهم، ولا تثريب عليهم في ذلك، إلا أن محاولاتهم لذلك

(1) انظر: مجلة Ghoib (غيب)، العدد 16، السنة الثانية، 1425 هـ / 2004 م (ص 26).

(2) انظر: مجلة Qiblati (قبلتي)، العدد 5، السنة الثانية، فبراير 2007 م / محرم 1428 هـ (ص 12-13). وذكرت هذه المجلة أن مصدر هذه الخرافة: كتاب الفردوس لأبي العباس أحمد بن علي البوني، وكتاب أوراد خواجه لفريد الدين.

(3) انظر: مجلة Ghoib (غيب)، العدد 16، السنة الثانية، 1425 هـ / 2004 م (ص 27).

(4) انظر: Bid'ah-bid'ah di Indonesia (البدع في إندونيسيا) (ص 162).

(5) انظر: مجلة Ghoib (غيب)، العدد 23، السنة الثانية، تاريخ 7 رجب 1425 هـ / 23 أغسطس 2004 م (ص 56).

تتنوع بتنوع مشاربهم وعقائدهم.
أما المسلمون فقد أكرمهم الله لأ بدين كامل شامل، كما قال سبحانه: ﭽﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ المائدة: ٣، فالإسلام هو الدين الكامل الشامل لكل ما يحتاج إليه البشر في دينهم ودنياهم، وفي معاشهم ومعادهم ، فهو دستور لحياة الإنسان الدنيوية والأخروية؛ فلا يحتاجون إلى مستوردات الديانات الأخرى والأفكار الشتى؛ إذ لم يترك الله تعالى ما يحتاج إليه البشر -من مصالح دينهم ودنياهم- إلا ودلهم إليه. ومن ذلك: الأمور التي بها يُجلب النفع ويُدفع الضر.
يقول الإمام الشاطبي :: $ثبت أن النبي ح لم يمت حتى أتى ببيان جميع ما يُحتاج إليه في أمر الدين والدنيا، **وهذا لا مخالف عليه من أهل** السنة#[1].
ولكن مع وضوح هذا المنهج، إلا أن كثيراً من المسلمين، وللأسف -لغلبة الجهل فيهم ولبعدهم عن هدي دينهم القويم- لم يزالوا يتطلعون إلى حلول مستوردة وعوائد خرافية لجلب النفع ودفع الضر عنهم، بيد أن هذه الأمور لا تمت إلى دينهم بصلة، بل قد تكون مناقضة لدعائمه، أو مكدرة لصفوه، فهي أمور غير شرعية متفاوتة متنوعة؛ ما بين شرك وبدعة، والكل مذموم شرعاً.
وفي هذا المطلب سألقي الضوء على الأمثلة المذكورة في المطلب الثاني بناءً على هذا التقسيم.
أما الأمور الشركية: فهي موجودة في طقوس Ruwatan (رُوَاتَانْ) من عدة نواحي:
أولاً: كونها مبنية على اعتقاد وجود إله الشر الموسوم في الديانة الهندوسية بـ Betara kala (بِيْتَارَا كالا َ). وهذا شرك صريح؛ إذ فيه إثبات رب متصرف في الكون غير الله جل في علاه، مع أن من أسماء الله: ا لأحد، كما قال سبحانه: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭼ الإخلاص: ١، وكما قال لأ في الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة ط: $كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ. فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ. وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْئًا أَحَدٌ#[2].
والأحد هو $الفرد# كما قال ابن الأثير :[3].
وقد أخبر الله جل وعز أن وجود أكثر من إله في هذا العالم من الأمور التي لا يقبلها العقل، وبيّن علة ذلك، حيث قال سبحانه: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ الأنبياء: ٢٢.

(1) الاعتصام (61/1).
(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب يقال لا ينوّن أحد أي واحد (739/8 رقم 4974 -الفتح).
(3) جامع الأصول (180/4).

يقول الإيجي : مبيناً علة الفساد المتوقّع: $لأن الملك يفسد بتدبير ملكين؛ لما يحدث بينهما من الاختلاف والتمانع عادة#[1].

ثانياً: اشتمالها على تقديم القرابين لغير الله، وقد مر بيان موقف الإسلام من هذا النوع من الشرك في مبحث الذبح وتقديم القرابين[2].

ثالثاً: اشتمالها على التطير والتنجيم معاً؛ إذ إن من دواعي عقد هذه الطقوس: إعتقادهم أن فلاناً ولد في تاريخ كذا فيتشاءم منه، وزعمهم أن مولده كان يوم نحس، وقد مر الكلام الموسع عن شرك التطير[3] وشرك التنجيم[4] في مباحث متقدمة.

أما كونهم يعقدون هذه الطقوس لإزالة ما بهم من منغصات الحياة جراء ارتكابهم الذنوب، فأقول: نعم، إن للذنوب والمعاصي شؤماً وآثاراً سيئة في نفس مرتكبها، وقد فصّل لنا ابن القيم : في كتابه الماتع $الداء والدواء# آثار المعاصي على النفس والبلاد والعباد وغيرها، ومما ذكرَ فيه: أن المعاصي تؤدي إلى حرمان الرزق، واستدل : بما روي عن النبي ح: $إنّ الرّجُلَ لَيُحْرَمُ الرّزْقَ بِالذّنْبِ يصيبه#[5].[6]

ولكن هل شؤم المعصية يُزال بإقامة تلك الطقوس البدعية والشركية؟ لا وألف لا، بل هو يزال بالتوبة إلى الله والإنابة إليه واستغفاره، قال سبحانه وتعالى على لسان نوح ؛: ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼﻧﻮﺡ: 10-١٢.

وقد روى الربيع بن صبيح[7] أن رجلاً أتى الحسن فشكا إليه الجدوبة، فقال له الحسن: $استغفر الله#، فأتاه آخر فشكا إليه الفقر، فقال له: $استغفر الله#، وأتاه آخر فشكا إليه جفاف بساتينه، فقال له: $استغفر الله#، وأتاه آخر فقال له: $ادع الله أن يرزقني ابناً#، فقال له: $استغفر الله#. فقلنا له: $أتاك رجال يشكون إليك أبوابًا، ويسألونك أنواعًا، فأمرتهم كلهم بالاستغفار#، فقال: $ما قلت من ذات نفسي في ذلك شيئًا،

(1) جامع البيان في تفسير القرآن (ص 600).
(2) راجع (ص 688 وما بعدها).
(3) راجع (ص 196 وما بعدها).
(4) راجع (ص 790 وما بعدها).
(5) رواه أحمد في مسنده (68/37 رقم 22386) من حديث ثوبان ط، واللفظ له، وابن حبان في صحيحه (153/3 رقم 872 -الإحسان)، والحاكم في المستدرك (493/1) وقال: $صحيح الإسناد ولم يخرجاه#_وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (ص 209 رقم 1452) وكذا محققوا المسند.
(6) انظر: الداء والدواء (ص 89).
(7) هو: الربيع بن صَبِيح السعدي البصري (ت 160 هـ)، صدوق سيء الحفظ، وكان عابداً مجاهداً، قال الرامهرمزي: $هو أول من صنف الكتب بالبصرة#. انظر: التقريب (رقم 1905).

إنما اعتبرت فيه قول الله تعالى إخبارًا من نبيه نوح ؛ أنه قال لقومه: ﭽ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ[نوح: 10-١٢]#[1].

الله أكبر! ما أعظمه من فقه، من هذا الإمام الجليل استنبطه من آيات من محكم التن‍زيل!

وأما ما تحويه طقوس Cowongan (تْشُوْوُوْنْجَانْ) من شركيات:

أولا ً: اشتمالها على الاستغاثة بغير الله[2]، وهي الاستسقاء ب‍ Dewi Sri (دِيْوِيْ سِرِيْ) وDewi Larasati (دِيْوِيْ لا َرَاسَاتِيْ)، وهذه شرك صريح ؛ إذ المطر لم ين‍زله إلا الله جل وعلا فكيف يطلب من غيره؟

قال سبحانه: ﭽ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ النمل: ٦٠.

وقال عز من قائل: ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ الواقعة: 68-٦٩.

فكيف يلجؤون إلى غير الله تعالى، وهو وحده الذي يجيب المضطر إذا دعاه؟ ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﭼ النمل: ٦٢.

يقول الرازي : في تفسيره للآية: $فإنه لا يقدر أحد على كشف ما دفع إليه من فقر إلى غنى، ومرض إلى صحة، وضيق إلى سعة؛ إلا القادر الذي لا يعجز والقاهر الذي لا ينازع#[3].

ولحال المشركين في الجاهلية أفضل من حال هؤلاء؛ إذ المشركون كانوا يشركون ب‍الله في حال يسرهم فحسب، أما في حال الشدة فإنهم يلجؤون إلى الله سبحانه، كما قصّ تعالى ذلك عنهم في قوله: ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼ العنكبوت: ٦٥، وقوله: ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ لقمان: ٣٢.

أما هؤلاء؛ فإنهم إن أصابهم القحط لجؤوا إلى Dewi Sri (دِيْوِيْ سِرِيْ) وDewi Larasati (دِيْوِيْ لا َرَاسَاتِيْ)، وإذا أصابتهم السراء -كمجيء يوم الحصاد مثلا ً- تقربوا إليهما بالقرابين شكراً لهما، كما يزعمون.

هكذا فعلوا! مع أن الله سبحانه هو الذي أنبت لهم النبات وكل شيء، قال جل وعلا: ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ الأنعام:

---

(1) تفسير الثعلبي (44/10)، وتفسير الحسن البصري (200-199/5)، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح (98/11) هذا الأثر عن الحسن البصري مع شيء من الاختلاف في الألفاظ، ثم قال: $وكأنّ المُصَنِّف -يريد البخاري- لمّح بذكر هذه الآية إلى أثر الحسن البصري# أه‍.

(2) وقد سبق بيان هذا النوع من الشرك في (ص 211 وما بعدها).

(3) تفسير الرازي (209/24).

٩٩، وقال: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ يس: ٣٦.

فأين تأديتهم لشكر الله الذي أنعم عليهم كل شيء؟ فو الله الذي لا إله إلا هو، إنه ليُخشَى عليهم أن تن-زل بهم العقوبات وأن تحل بهم النكبات و المثلات، قال تعالى: ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭼ إبراهيم: ٧.

ثانياً: اشتمالها على الشرك بالله تعالى من ناحية تقديمهم القرابين لغيره سبحانه، وقد تقدم الكلام على هذا النوع من الشرك[1].

وإن قالوا: إننا فعلناها من أجل طلب الغوث، قلنا: إن ديننا الإسلامَ قد علمنا كيفيةَ طلب الغوث؛ وذلك بإقامة صلاة الاستسقاء، وكتب الحديث وكتب الفقه -على اختلاف مذاهب مصنفيها- ملئى ببيان هذه الشعيرة العظيمة، التي -للاسف- أصبحت مهجورة في عديد من بلاد المسلمين، واستبدلوها بمثل هذه الطقوس الشركية الخرافية.

عن عبد الله بن زيد المازني[2] ط قال: $خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ح إِلَى المُصَلَّى فَاسْتَسْقَى وَحَوَّلَ رِدَاءَهُ حِينَ اسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ#[3].

وعن أنس ط: أن رجلا ً دخل يوم الجمعة من باب كان نحو دار القضاء وجاء المنبر ورسول الله ح قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ح قائما ً فقال: يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا. قال: فرفع رسول الله ح يديه فقال: $اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا#. قال أنس: لا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئا ً وما بيننا وبين س ـَلـ ـْع من بيت ولا دار. قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت... الخ#[4].

أما ما يسمى بوليمة Mitoni (مِيْتُوْنِي) أو Tingkeban (تِيْنْجْكِيْبَانْ)؛ فهي باطلة من نواحي، منها: كونها من التشبه بالكفار، وكونها متضمنة لا عتقاد باطل؛ هو: الاعتقاد بكون من لم يؤدها فإن جنينه سيصاب بمكروه.

أولا ً: أما التشبه بالكفرة فحرام بالكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب؛ فمن ذلك:

- قول الله تبارك وتعالى: ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ الجاثية: ١٨.

---

(1) راجع (ص 688 وما بعدها).

(2) هو: عبد الله بن زيد بن عاصم الأنصاري المازني أبو محمد (ت 63 هـ)، صحابي شهير، روى صفة الوضوء وغير ذلك، ويقال: إنه هو الذي قتل مسيلمة الكذاب. انظر: التقريب (رقم 3351).

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء وخروج النبي ح في الاستسقاء (492/2 رقم 1005)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة الاستسقاء (611/2 رقم 894)، واللفظ لمسلم.

(4) سبق تخريجه في (ص 380-381).

وجه الدلالة: أن الله سبحانه نهى رسوله ح عن اتباع الذين لا يعلمون؛ فيدخل في هذا كلٌ من خالف الشريعة. وأهواؤهم هي ما يهوونه وما عليه المشركون من هديهم الظاهر الذي هو من موجبات دينهم الباطل وتوابع ذلك ، فهم يهوونه، وموافقتهم فيه اتباع لما يهوونه.

ولو فُرض أن الفعل المتبَع فيه ليس من أهوائهم؛ فلا ريب أن مخالفتهم في ذلك أحسم لمادة متابعتهم، وأعظم في حصول مرضاة الله في تركها، وأن موافقتهم في ذلك قد تكون ذريعة إلى موافقتهم في غيره[1].

- وقوله سبحانه: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ البقرة: ١٠٤.

يقول الحافظ ابن كثير : مستنبطاً: $نهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وأفعالهم...# [2].

وأما السنة؛ فمن ذلك:

- ما ورد عن ابن عمر م قال: قال رسول الله ح $من تشبه بقوم فهو منهم#[3].

قال ابن تيمية :: $هذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبّه بهم، كما في قوله تعالى: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦﭧ ﭼ [المائدة: ٥١][4]#[5].

وقال الصنعاني :: $والحديث دال على أن من تشبه بالفساق كان منهم ، أو بالكفار أو بالمبتدعة في أي شيء مما يختصون به من ملبوس أو مركوب أو هيئة، قالوا: فإذا تشبه بالكافر في زي واعتقد أن يكون بذلك مثله كفر، فإن لم يعتقد ففيه خلاف بين الفقهاء؛ منهم من قال يكفر وهو ظاهر الحديث، ومنهم من قال لا يكفر ولكن يؤدب#[6].

- عن أبي سعيد الخدري ط قال: قال رسول الله ح: $لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم#، قيل: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: $فمن؟#[7]. فهذا الحديث

---

(1) مخالفة الكفار قد تكون واجبة وقد تكون مستحبة؛ بحسب المواضع، أما ترك التشبه بهم فأمر واجب. انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (473/1)، وقواعد ومسائل في توحيد الإلهية (ص 231-234).

(2) تفسير ابن كثير (373/1).

(3) سبق تخريجه في (ص 653).

(4) التشبه المنهي عنه قد يكون كفراً وقد يكون دون ذلك، للتفصيل راجع: التشبه المنهي عنه في الفقه الإسلامي (ص 81 وما بعدها).

(5) اقتضاء الصراط المستقيم (270/1).

(6) سبل السلام، كتاب الجامع، باب الزهد والورع (512/4-513 رقم 1386).

(7) سبق تخريجه في (ص 318).

$خرج منه ح مخرج الخبر عن وقوع ذلك والذم لمن يفعله، كما كان يخبر عما يفعله الناس بين يدي الساعة من الأشراط والأمور المحرمات، فعُلِم أن مشابهتها اليهود والنصارى، وفارس والروم مما ذمه الله ورسوله ح#[1].

فمن نصوص الكتاب والسنة السابقة وغيرها يتبين لنا أن ترك هدي الكفار وعدم التشبه بهم، في عقائدهم، وأخلاقهم، وعاداتهم، وسائر أحوالهم؛ من المقاصد والغايات التي قررها القرآن الكريم وسنة المصطفى ح.

- وقد طبّق رسول الله ح ذلك تطبيقاً عملياً في أمور كثيرة؛ فقد كان ح يتحرى مخالفةَ المشركين وأهل الكتاب، حتى شعرت اليهود بذلك، وقالت: $ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه#[2].

وأما **الإجماع**؛ فقد أجمع العلماء على الأمر بمخالفة الكفار والنهي عن مشابهتهم في الجملة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :: $وأما ما في هذا الباب عن **سائر أئمة المسلمين، من الصحابة والتابعين وسائر الفقهاء**، فأكثر من أن يمكن ذكر ع ُشْ ْر ِه، وقد قدمنا في أثناء الأحاديث كلام َ بعضهم الذي يدل على كلام الباقين، وبدون ما ذكرناه يـ ُعلـ َم **إجماع الأمة على كراهة التشبه بأهل الكتاب والأعاجم في الجملة**#[3].

وقال الشيخ أحمد شاكر[4] :: $هذا الحديث[5] يدل بالنص الصريح على حرمة التشبه بالكفار في الملبس، وفي الحياة، والمظهر ... **ولم يختلف أهل العلم منذ الصدر الأول في هذا، أعني في تحريم التشبه بالكفار**، حتى جئنا في هذه العصور المتأخرة فنبتت في المسلمين نابتة ذليلة مستعبدة، هِجِّيرُها وديدنها التشبه بالكفار في كل شيء، والاستخذاء لهم، والاستعباد. ثم وجدوا من الملتصقين بالعلم المنتسبين له مَن يزين لهم أمرَهم، ويهوّن عليهم أمرَ التشبه بالكفار في اللباس، والهيئة، والمظهر، والخلق، وكل شيء، حتى صرنا أمةً ليس لها من مظاهر الإسلام إلا مظهر الصلاة، والصيام، و

(1) اقتضاء الصراط المستقيم (170/1).
(2) من حديث أنس ط، رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها (246/1 رقم 302).
(3) اقتضاء الصراط المستقيم (406/1)، وانظر (363/1 وما بعدها) فقد قرّر : الإ جماع من عدة أوجه.
(4) هو: أحمد بن محمد شاكر المصري (1309-1377)، عالم بالحديث والتفسير، ولي رئاسة المحكمة الشرعية العليا بمصر، حقق وشرح مسند الإمام أحمد، وهو من أعظم أعماله، وله: نظام الطلاق في الإسلام وغيره. انظر: الأعلام (253/1).
(5) يعني حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى عليه ثوبين معصفرين، قال:"ثياب الكفار، لا تلبسها!". رواه أحمد صحح إسناده الشيخ أحمد شاكر.

الحج، على ما أدخلوا فيها من بدع، بل من ألوان من التشبه بالكفار أيضاً#(1).

ثم إن $النهي عن التشبه بالكفار ليس أمراً تعبدياً محضاً فحسب، بل هو معقول المعنى، واضح الحِكَم، يدرك بعضها أصحاب العقول السليمة و الفطر السوية#(2).

ولا شك أن معرفة حكمة الأمر بالشيء، أو النهي عنه مما تشفو النفس إليه، وتطمع في الحصول عليه؛ لأن معرفة ذلك يزيد النفس اطمئناناً، وإيماناً بما جاءت به الشريعة الغراء، إلا أن الواجب على المؤمن من حيث المبدأ -إذا بلغه شرع الله تعالى أمراً كان أو نهياً- أن يقول: سمعنا وأطعنا، ورضينا، سواء ظهر سبب الأمر أو النهي أم لا.

ولا يجوز أن يتوقف المؤمن في امتثال أوامر الله تعالى، ونواهيه على معرفة الحكمة والعلة لذلك، ولذا حذر المولى جل وعلا من هذا الصنيع بقوله سبحانه: ﭽﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼالنور: ٦٣، وقوله تعالى: ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼالأحزاب: ٣٦، ولأن الله تعالى لا يأمر إلا بخير ومصلحة، ولا ينهى إلا عن شر ومفسدة، أو ما يكون وسيلة إلى ذلك(3).

وبعد الامتثال والرضا، ليس هناك مانع من البحث عن حكم وأسباب الأ مر بالشيء أو النهي عنه، متى كان ذلك داخلاً تحت القدرة بدون تكلف أو مبالغة، لأن معرفة ذلك مما تحبه النفس وتشرئب إليه -كما سلف- وخصوصاً إذا كانت العلة معلومة، أو مفهومة من خلال نصوص الأوامر والنواهي.

ومن حكم النهي عن التشبه بالكفار التي ذكرها العلماء(4):

أولاً: أن الأصل في أعمال الكفار الضرر والفساد والنقص؛ سواء كانت ظاهرة الفساد أو خفية الفساد، ولذلك كانت مخالفتهم منفعة للمسلمين(5).

ثانياً: أن التشبه بالكافرين يؤدي بالمسلم إلى تبعيتهم والخضوع لهم، وهذا منهي عنه، قال تعالى: ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ آل عمران: ١٤٩.

ثالثاً: أن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسباً وتشاكلاً بين

(1) مسند الإمام أحمد بتحقيق الشيخ أحمد شاكر (19/10 -الحاشية).
(2) التدابير الواقية من التشبه بالكفار، للدكتور عثمان دوكوري (60/1).
(3) انظر: زاد المعاد (38/1)، والقواعد والأصول الجامعة (ص 5-10 -ط. مكتبة المعارف).
(4) نفس المرجع (60/1-63)، والتشبه المنهي عنه في الفقه الإسلامي (ص 166-170) باختصار.
(5) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (198/1).

المتشابهين، ويقود إلى موافقة في الأخلاق والأعمال؛ لأن الله تعالى جَبَل بني آدم -بل سائر المخلوقات- على التفاعل بين الشيئين المتشابهين، وكلما كانت المشابهة أكثر كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتمّ، حتى يؤول الأمر إلى أن لا يتميز أحدهما عن الآخر إلا بالعين فقط.

وهذا أمر محسوس؛ فإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة -مثلا ً- يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضياً لذلك إلا أن يمنعه مانع[1].

رابعاً: إن في المنع من التشبه بهم قطعاً للطرق المفضية إلى محبتهم، والميل إليهم، وما يستتبع ذلك من مفسدة استحسان طريقتهم، وتقليدهم، و السير بسيرتهم، إذ من المعلوم أن المشابهة لهم في أي شيء تورث نوع تناسب وتقارب، كما تقتضي ذلك الطبائع والفطر.

هذا، إلى غير ذلك من الحكم والأسباب التي لا يدرك مداها إلا الله تعالى الحكيم العليم. فعلى المسلمين: الالتزام بدينهم الذي أكرمهم الله به، و الابتعاد عما أحدثه المحدثون من أصحاب الديانات الشركية؛ وبهذا يحصل لهم العزة في الدنيا والآخرة.

ثانياً: ومن الأباطيل التي تحويها وليمة Mitoni (مِيْتُوْنِي) ذلكم الاعتقاد الفاسد: أن من لم يؤدها سيصاب جنينه بمكروه! وهذا من التشاؤم بالأمور الوهمية، وهو من وسوسة الشيطان وتخويفه لأوليائه؛ كي يحافظوا على هذه البدع التي يحبها الشيطان ويبغضها الرحمن.

وقد سبق الكلام عن التشاؤم في مبحث التطير، فليراجع في موطنه[2].

أما ما يسمى بـ Kungkum (كُوْنْجكُوْمْ)، فهو أمر باطل أيضاً، ويظهر بطلانه من أوجه عديدة[3]:

أولا ً: أن تطهير النفس بهذه الكيفية مخالف للشرع، بل هو من البدع المحدثة الدخيلة على الإسلام، فهو من الرواسب الهندوسية التي لم يستطع بعض المسلمين التخلص منها.

لقد علمنا الإسلام تطهير النفس بالتوبة وفعل الحسنات، كما أنه قد بين لنا أن المصائب مما تكفر بها الخطايا.

يقول ابن القيم :: $لأهل الذنوب ثلاثة أنهار عظام يتطهرون بها في الدنيا، فإن لم تف بطهرهم ط ُه ِّروا في نهر الجحيم يوم القيامة: **نهر**

---

(1) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (93/1).

(2) انظر: (ص 190-191، 196 وما بعدها).

(3) Dukun Hitam Dukun Putih, Menguak Rahasia Kehebatan Sekutu Setan (الكاهن الأسود والكاهن الأبيض؛ الكشف عن سر قوة حليف الشيطان) (ص 41-43)، بتصرف وإضافات.

التوبة النصوح، ونهر الحسنات المستغرقة للأوزار المحيطة بها، ونهر المصائب العظيمة المكفرة. فإذا أراد الله بعبده خيرا ً أدخله أحد َ هذه ا لأنهار الثلاثة؛ فورد القيامة َ طيبا ً طاهرا ً فلم يحتج إلى التطهير الرابع#(1).

أما كون التوبة مما يُطهّر به العبد فيدل عليه قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ الفرقان: ٧٠، وحديث ابن مسعود ط عن رسول الله ح أنه قال: $التَّائِبُ مِنْ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَه#(2).

وأما الحسنات فلقول الله تعالى: ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ هود: ١١٤، ولحديث أبي ذر ط قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوْصِنِي قَالَ: $إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَأَتْبِعْهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا# قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَمِنْ الْحَسَنَاتِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ قَالَ: هِيَ أَفْضَلُ الْحَسَنَاتِ#(3).

والحسنات كثيرة ومتنوعة، أفضلها: التوحيد، كما هو ظاهر الحديث السابق.

ومنها: الصلوات الخمس؛ عن أبي هريرة ط أن رسول الله ح قال: $أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟# قَالُوا: $لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ# قَالَ: $فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا#(4).

ومنها: حج بيت الله الحرام؛ عن أبي هريرة ط قال: قال رسول الله ح: $مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ#(5).

ومنها: الوضوء؛ عن أبي هريرة ط أن رسول الله ح قال: $إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ أَوْ الْمُؤْمِنُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ

---

(1) مدارج السالكين (312/1).

(2) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة (ص 704 رقم 4250)، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (471/13): $سنده حسن#، وحسن الشيخ الألباني الحديث بشواهده في السلسلة الضعيفة (83/2 رقم 615).

(3) رواه أحمد في مسنده (385/35-386 رقم 21487)، وصححه بمجموع طرقه الشيخُ الألباني في السلسلة الصحيحة (361/3 رقم 1373)، وقال محققوا المسند: $حسن لغيره#.

(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة (11/2 رقم 528 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات (462/1 رقم 667)، واللفظ لمسلم.

(5) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة (983/2 رقم 1350).

خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ؛ حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنْ الذُّنُوبِ#[1].

ومنها: الأدعية المأثورة عن النبي ح؛ كدعاء الاستفتاح في الصلاة: عن أبي زرعة[2] قال: حدثنا أبو هريرة ط قال: $كانَ رَسُولُ اللهِ ح يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَبَيْنَ الْقِرَاءَةِ إِسْكَاتَةً، قَالَ: أَحْسِبُهُ قَالَ: هُنَيَّةً، فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، إِسْكَاتُكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: أَقُولُ اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنْ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ#[3].

وكذلك الدعاء بعد الوضوء؛ عن عمر بن الخطاب ط قال: قال رسول الله ح: $مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ قَالَ: $أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنْ الْمُتَطَهِّرِينَ#؛ فُتِحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ#[4].

جاء في $تحفة الأحوذي#: $قوله: $اللّهم اجعلني من التوابين وجعلني من المتطهرين# جمع بينهما إلماماً بقوله تعالى: ﴿ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ﴾ [البقرة: ٢٢٢] ولما كانت التوبة طهارة الباطن عن أدران الذنوب و الوضوء طهارة الظاهر عن الأحداث المانعة عن التقرب إليه تعالى؛ ناسب الجمع بينهما#[5].

وأما المصائب المكفرة فيدل عليها: ما رواه أبو سعيد الخدري وأبو هريرة م عن النبي ح قال: $مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذًى، وَلَا غَمٍّ؛ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا؛ إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء (215/1 رقم 244).

(2) هو: أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي الكوفي، اختُلف في اسمه، تابعي ثقة. انظر: التقريب (رقم 8164).

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب ما يقول بعد التكبير (227/2 رقم 744 -الفتح).

(4) رواه الترمذي في سننه، كتاب الطهارة عن رسول الله ح، باب ما يقال بعد الوضوء (ص 24 رقم 55)، والحديث أصله عند مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء (209/1 رقم 234) من حديث عقبة بن عامر ط، دون قوله: $اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنْ الْمُتَطَهِّرِينَ#، وزيادة الترمذي لها شواهد ذكرها الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير (263/1-264). و الحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (48/1 رقم 55).

(5) تحفة الأحوذي (181/1 –ط. دار الفكر).

خَطَايَاهُ#[1].

هذه هي طريقة التطهير المشروعة في الإسلام، وفيها غنية -ولله الحمد- عن التشبث بتقاليد الديانات الأخرى، وهي متعلقة بالتطهير المعنوي؛ أعني به التطهير من الذنوب، أما التطهير الحسي فيحصل بالاغتسال و الغسل وغير ذلك من الأمور المباحة المعروفة.

ثانياً: إن هذا العمل يتخلله غالباً قراءة العزائم التي يشير إليها الكهان، ولا تخلو تلك العزائم من مخالفات شرعية، بل قد تبلغ إلى حد الإشراك ب الله، كما هو شأن غالب عزائم الكهان، وقد ذكرت أمثلة عزائم الكهان و السحرة في مبحث السحر ومبحث الكهانة[2].

ثالثاً: إن القائمين بهذا العمل يؤمرون غالباً أثناء تأديتهم له بأن يكونوا على هيئة Namaskar (نَمَسْكَرْ)، وهي هيئة هندوسية تعني وضع اليدين على الصدر، وهذا من التشبه بالهندوسية في شعيرة من شعائرهم الدينية، وهو محرم قطعاً؛ لأن $كل ما يفعله المشركون من العبادات ونحوها مما يكون كفراً أو معصية بالنية، ينهى المؤمنون عن ظاهره، وإن لم يقصدوا له قصد المشركين، سداً للذريعة وحسماً للمادة#[3].

رابعاً: إن الأماكن المختارة لتأدية هذا العمل أماكن يختارها الكهنة، ولا يخلو اختيارها من اعتقاد باطل؛ كالاعتقاد بكونها من الأماكن المقدسة، أو أن المكث فيها يجلب الخير والبركة ويدفع الشر والبلاء، أو أن اختيارها مبني على كون الجن الفلاني ساكناً فيها.

وهذه الاعتقادت الفاسدة تجر إلى ضلالات أخرى؛ من تقديم القرابين للجن المزعوم، وقد تجر إلى ما هو أشد مِن ذلك كالاستغاثة والاستعانة وطلب البركة من ذلك الجن.

خامساً: إن هذا العمل فيه من الفساد من كشف العورات أمام الناس وا لاختلاط بين الرجال والنساء ما الله به عليم؛ إذ القائمون بهذا العمل مأمورون بكشف عوراتهم أثناء تأديتهم له، يجتمع الرجال والنساء -وهم في مثل تلك الحالة- في مكان واحد! وكم استغل الفسقة هذه المناسبات لإشباع غرائزهم الشهوانية! ﭽ ﮒ ﮔ ﭼ!

وأما ما يسمى بصلاة Rabu Wekasan (رَابُوْ وِيْكَاسَانْ)، فهي باطلة

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض وقول الله تعالى: ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ [النساء: ١٢٣] (103/10 رقم 5641 و5642 -الفتح).

(2) انظر (ص 749-750، و764-767).

(3) التشبه المنهي عنه في الفقه الإسلامي (ص 98-99)، وهذه قاعدة من القواعد في باب التشبه بالكفار، للتوسع في معرفة أدلتها وكلام الأئمة عنها راجع المصدر نفسه.

من عدة أوجه[1]:

أولا ً: احتواؤها على التبرك بالتمائم، وهذا ضلال مبين، أُؤَجل الكلام عنه في المبحث القادم؛ مبحث التمائم[2].

جاء في كتاب $السنن والمبتدعات# ما نصه: $لقد اعتاد الجهلاء أن يكتبوا آيات السلام ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ [الصافات: ٧٩] إلخ، في آخر أربعاء من شهر صفر، ثم يضعونها في الأواني يشربونها ويتبركون بها ويتهادونها؛ لاعتقادهم أن هذا يذهب الشرور، وهذا اعتقاد فاسد، وتشاؤم مذموم، وابتداع قبيح يجب أن يكنره كل من يراه على فاعله#[3].

ثانياً: أنها مبنية على التطير بشهر صفر، وهذا منهي عنه بالنص من المصطفى ح، حيث قال: $لا عدوى ولا طيرة ولا هامة **ولا صفر**#[4].

يقول البيضاوي : شارحاً قوله ح: $ولا صفر#: $يحتمل أن يكون نفيا ً لما يتوهم أن شهر صفر تكثر فيه الدواهي والفتن#[5]، وما ذكره : هو عين ما اعتقده هؤلاء من أن في آخر أربعاء شهر صفر ين ـزل فيه 320، 000 (عشرين وثلاثمائة ألف) بلاءً!

ثالثاً: إضافة إلى كون تلك الصلاة مبتدعة فهي أيضاً مشتملة على أمور أخرى مبتدعة، فهي ظلمات بعضها فوق بعض.

ومن تلك الأمور المبتدعة: قراءة الصلوات البدعية، فهي فضلا ً عن كونها محدثة؛ قد اشتملت على كلمة قبيحة في وصف النبي ح، وهي كلمة $الأسقم# في جملة $اللهم صل وسلم على عين الحق التي تتجلى منها عروش الحقائق، عين المعارف الأقوم صراطك التام الأسقم#.

فإن الصراط لا يوصف بالسقم، إذ لا يقال صراط مريض، وهذا الصراط أمرض من ذلك، وإنما يقال: صراطك المستقيم، أو القويم، وهذا الصراط أقوم من ذلك، كذلك لا يجوز إطلاق لفظة مطلسم.

يقول أحد العلماء في نقده لهذه الكلمة:

ولم يجز إطلاق لفظ موهم   نقصًا على النبي مثل الأسقم
كذا مطلسم وما يدريكا لعله كفر عني الشريكا[6].

---

(1) مجلة Qiblati (قبلتي)، العدد 5، السنة الثانية، فبراير 2007 م / محرم 1428 هـ (ص 14-15، 75) بتصرف.
(2) انظر ما سيأتي (ص 887 وما بعدها).
(3) السنن والمبتدعات (ص 121-122).
(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب لا هامة (215/10 رقم 5757 - الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر (1744/4 رقم 2220) من حديث أبي هريرة ط، واللفظ للبخاري.
(5) نقله عنه المناوي في فيض القدير (433/6).
(6) انظر: الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية، للدكتور محمد تقي الدين الهلالي (ص

وأما ما يفعله بعض الناس مما جاء ذكره في **المثال الرابع**؛ فباطل من أوجه عديدة، منها:

أولاً: أنه مِن خوف السر مِن غير الله تعالى، وبيان ذلك: أن هؤلاء وإن فعلوا هذا الأمر من أجل دفع ضرر انفجار البركان، إلا أنهم فعلوه خوفاً ممن أوحى إليهم هذا الفعل، وهو الجن، خافوا إن لم يفعلوا ذلك أن يسخط عليهم الجن ويضر بهم، وهذا هو عين الخوف من غير الله الخوفَ الشركي. وقد بينت الأدلة الدالة على شركية هذا النوع من الخوف، مُحَلًى بكلام أهل العلم، في مبحث الخوف[1].

ثانياً: أن تعليقهم هذا الملفوف في أعتاب بيوتهم، قد يكون من باب تقديم القرابين لذلك الجن؛ وذلك لأنهم فعلوه بناءً على إرشاد من الجن، فهو لا يبعد أن يكون من القرابين التي يهواها. وقد مضى بيان شركية تقديم القرابين لغير الله تعالى[2]. أو أنه من باب تعليق التمائم، وقد تقدم -أيضاً- الكلام عن هذا الانحراف[3].

ثالثاً: أنه من الخرافة الواضحة؛ إذ لا علاقة البتة -علمياً- بين هذا الفعل وبين حماية الإنسان من أضرار انفجار البركان؛ فهو ليس من الأسباب الشرعية -كالدعاء مثلاً-، ولا من الأسباب العادية -كالاحتماء في الحصون مثلاً-.

وأما ما دفع نزول المطر بوضع السروال الداخلي المستخدم على سقف البيت؛ فهو من الخزعبلات والخرافات التي يضحك منها الثقلان، بل هو من السفه البيّن؛ ما للمطر وللسروال الداخلي المستخدم؟

المطر بيد الله سبحانه، فهو الذي ينـزله ويمنعه، قال تبارك وتعالى: ﴿ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ئا﴾ الشورى: ٢٨.

وقد علمنا رسولنا الكريم ﷺ كيفيةَ استنـزاله وطلب إمساكه، وذلك بالطلب من مُنَـزّله؛ وهو الله سبحانه. جاء في قصة الأعرابي الذي طلب من الرسول ﷺ أن يستسقي ربه، فاستسقى ﷺ، فأنزل الله الغيث المنهمر أياماً، حتى إنهم لم يروا الشمس ستة أيام، قال أنس ﭬ؛ راوي الحديث: «ثمّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ البَابِ فِي الجُمُعَةِ المُقْبِلَةِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلَكَتْ الأَمْوَالُ، وَانقطَعَتْ السُبُلُ، فَادْعُ اللهَ يُمْسِكهَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَيْهِ ثُمّ قَالَ: اللهُمّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللهُمّ عَلَى الآكَامِ[4]، وَالجِبَالِ، وَالآجَامِ، وَالظِرَابِ[5]، وَالأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ

110-111).

(1) انظر (ص 178، 183 وما بعدها).

(2) انظر (ص 688 وما بعدها).

(3) انظر (ص 887 وما بعدها).

(4) قال الحافظ في الفتح (505/2): «فيه بيان المراد بقوله «حوالينا». والإكام

الشّجَرِ. قَالَ: فَانْقَطَعَتْ وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ#[2].

هكذا علّمنا رسولنا ح؛ فعلينا الالتجاء إلى ربنا ورب كل شيء، ولا نلتفت إلى ما أحدثه المحدثون، وفيما تركَ لنا رسول الله ح غنية، ولله الحمد والمنة.

فإن قال قائل: إننا لما فعلنا هذه الأمور -وغيرها من الأمور غير الشرعية- حصلنا ما ابتغيناه من جلب نفع أو دفع ضر؟!

قلنا: **أولا ً:** كم من الناس فعلوا هذه الأمور ولم يحصلوا لهم ما يريدون، بل لربما كان الذين لم يحصلوا على ما يبتغون أكثر ممن يحصلون عليه، فلا حجة في هذا القول.

ثانياً: إن حصولكم على ما أردتموه لا يدل على مشروعية تلك الأمور، بل قد يكون ذلك ابتلاء من الله جل وعلا ليعلم أيّنا المتمسك بدينه.

بل قد يكون ذلك من باب الاستدراج، والعياذ بالله! كما قال سبحانه: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼالأعراف: 182-١٨٣.

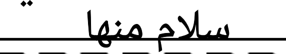
ثالثاً: ثم لو كان الأمر كما تزعمون، فأي ضرر أعظم من الشرك بالله، وأي جلب للنفع يحصل مع الشرك، الذي من وقع فيه خسر الدنيا والآخرة!

والله تعالى أعلم...

بكسر الهمزة وقد تفتح وتمد: جمع أكمة بفتحات، قال ابن البرقي: هو التراب المجتمع. وقال الداودي: هي أكبر من الكدية. وقال القزاز: هي التي من حجر واحد، وهو قول الخليل. وقال الخطابي: هي الهضبة الضخمة، وقيل الجبل الصغير، وقيل ما ارتفع من الأرض. وقال الثعالبي: الأكمة أعلى من الرابية، وقيل دونها# أهـ.

(1) قال الحافظ في المصدر نفسه: $الظراب: بكسر المعجمة وآخره موحدة جمع ظرب بكسر الراء، وقد تسكن. قال القزاز: هو الجبل المنبسط ليس بالعالي. وقال الجوهري: الرابية الصغيرة# أهـ.

(2) سبق تخريجه في (ص 403).



المبحث السابع: التمائم

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى التمائم وأنواعها

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف بتعليق التمائم

المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

المطلب الأول: معنى التمائم وأنواعه

- معنى التمائم:

أصل الكلمة: التمائم مشتقة من أصل لغوي ثلاثي هو $تمم#[1].

تصريفها: التمائم على وزن $فَعَائِل#، جمع كثرة لتَمِيمَة على وزن $فَعِيلَة#، والأصل الثلاثي من ذلك: $تمّ-يَتِمُ-تمًّا#، من باب ضرب[2].

معناها لغة: من معاني مادة تمَمَ اللغوية:

1. كمال الشيء ونهايته، يقال: تمّ: إذا كمل وانتهى، وأتمّ الحج: أي أكمله وأدّاه.
2. والتميمة: خرزة تُنْظَم في السير ثم يعقد في العنق. وقيل: عُوَذة تُعلَق على الإنسان.
3. والتّمْتَمَة: رد الكلام إلى التاء والميم، وقيل: هو أن يعجل بكلامه فلا يكاد يُفْهِمُك[3].

هذه بعض معاني هذه المادة، وما يخصّ موضوعنا هو الثاني، كما أن للمعنى الأول علاقة واضحة بالتمائم، إذ أن العرب كأنهم يريدون أن في التمائم تمام الدواء والشفاء المطلوب[4].

معناها اصطلاحاً:

كلام العلماء في بيان معنى التمائم لا يكاد يحصر، وأقوالهم متفقة في الغالب، وقد تتغاير في ألفاظها، أما من حيث المعنى فلا خلاف؛ وذلك لأن تعريفاتهم مأخوذة في الجملة من المعاني اللغوية المذكورة سابقاً. هذه بعض أقوالهم:

قال الإمام البغوي :: $التمائم جمع تميمة: وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم، يتقون بها العين بزعمهم، فأبطلها الشرع#[5].

---

(1) انظر: مقاييس اللغة (339/1).
(2) انظر تصريف الكلمة في: تصريف الأسماء (ص 225)، ومعجم تصريف الأفعال العربية (ص 149).
(3) انظر: الصحاح (1877-1878/5)، ولسان العرب (52-55/2)، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف (ص25).
(4) انظر: مقاييس اللغة (339/1).
(5) شرح السنة (158/12).

وقد تبع البغويّ على هذا التعريف ابن الأثير[1]، والديلمي[2]، و الذهبي[3]، والشوكاني[4] رحمة الله على الجميع.

وقال المناوي :: $والتمائم: جمع تميمة، وأصلها خرزات تعلقها العرب على رأس الولد لدفع العين، [5] توسعوا فيها فسموا بها كل عوذة#[6].

وقال الشيخ العظيم أبادي[7] :: $التمائم جمع التميمة، وهي التعويذة التي لا يكون فيها أسماء الله تعالى وآياته المتلوة والدعوات المأثورة، تعلق على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم#[8].

ولعلنا مما سبق نستطيع أن نستخلص تعريفاً جامعاً للتمائم، هو: **$العوذ التي تعلق على الإنسان وغيره لدفع الآفات عنه من أي شيء كان#**[9]، والله أعلم.

- أنواع التمائم[10]:

التمائم نوعان: ما اتفق على تحريم تعليقه من التمائم، وما اختلف في تعليقه من التمائم (القرآنية والأدعية النبوية). وفيما يلي بيان كل من هذين النوعين:

النوع الأول: ما اتفق على تحريم تعليقه من التمائم، ومن صوره:

أولا ً: **التمائم التي فيها ذكر بعض الأسماء المجهولة كأسماء الجن، والتي فيها بعض الأبيات الشركية**، وسيأتي ذرك أمثلة لذلك في المطلب الآ تي.

وهذا النوع لا شك في كونه شركاً بالله.

---

(1) انظر: النهاية في غريب الحديث (197/1).
(2) انظر: فيض القدير (321/3)، والديلمي أظنه: شهردار بن شيرويه الديلمي الشافعي أبو منصور (483-558 هـ)، المحدث، الحافظ، الأديب، خرج أسانيد كتاب والده المسمى $الفردوس# وسماه $مسند الفردوس#. انظر: شذرات الذهب (182/4)، والرسالة المستطرفة (ص 75).
(3) انظر: كتاب الكبائر (ص 46).
(4) انظر: نيل الأوطار (458/5).
(5) لعل كلمة $ثم# سقطت من هذا الموضع.
(6) فيض القدير (342/2).
(7) هو: محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر أبو الطيب شرف الحق الصديقي العظيم آبادي (ت بعد 1310 هـ)، علامة بالحديث، هندي، من تصانيفه: عون المعبود على سنن أبي داود، والتـعليق المغني على سنن الدارقطني. انظر: الأعلام (39/6).
(8) عون المعبود (262/10).
(9) أحكام الرقى والتمائم (ص 210).
(10) هذه الفقرة منقولة عن المرجع السابق (ص229-253) بتصرف واختصار.

ثانياً: التمائم المجهولة.

وهي التمائم التي ليس بداخلها إلا أحرف وأرقام حسابية. وهذه التمائم يعرّفها أصحابها بعلم الحرف والطلسم. فما كان منها مكوناً من الحروف فهو يسمى بـ$علم الحرف#، يزعمون أنه علم باحث عن خواص الحروف إفراداً وتركيباً. وله علاقة بالفلك والروحانيات، ويحتاج إلى أنواع خاصة من البخور لنجاح تمائمه.

وطريقة عمل تلك التمائم الباطلة -كما يزعمون- هي: جمع عدد حروف الاسم مع اسم الحاجة، وتوضع في أوفاق خاصة، ثم يستعان بما يناسب تلك الحروف من الكواكب والشياطين والبخور اللازم، ثم يتعلقها صاحب الطلب[1].

أما ما كان منها مكوناً من الأرقام الحسابية، فهو يعرف بـ$علم الطلسم#، ويزعمون أن علم مادته الفلك والاستعانة بروحانيات الكواكب وأسرار الأعداد، وعمل البخور اللازم، ثم نقش تلك الأعداد على أجسام من المعادن أو غيرها من الأوراق[2]. وقد جعلوا لكل كوكب أعمالا ً تختص به حسب زعمهم الباطل.

لنتأمل ماذا يشترطون عند كتابة هذه التمائم المجهولة، حيث جاء في كتاب $الأوفاق# المنسوب للغزالي النص الآتي:

$فإن أردت أن تعمل في باب زحل فتحتاج أن تلبس ثياباً وسخة نجسة، وتكون على غير طهارة#[3].

نعم، هذه هي حقيقة هذه التمائم المجهولة؛ شرك بالله لأ، ونجاسة في المخبر والمظهر.

قال ابن عباس م: $إن قوماً يحسبون أبا جاد، وينظرون في النجوم؛ ولا أرى لمن فعل ذلك من خلاق!#[4].

لذا، لما سئل العز بن عبد السلام : عمن $يكتب حروفاً مجهولة المعنى للأمراض فتنجح وتُشفى، هل يجوز كتـْبُها؟# اختار أنه لا يجوز، واحتج بأمر النبي ح أن تُعرَض الرقى عليه[5]، مبيّناً أن السبب في هذا الأمر أن من

---

(1) انظر: ذيل (تذكرة أولى الألباب) لداود الأنطاقي (ص 88-93) نقلا ً عن أحكام الرقى (ص 232).

(2) انظر: تذكرة أولى الألباب (154/2-163) نقلا ً عن أحكام الرقى والتمائم (ص 232)، والفروق للقرافي (247/4).

(3) الأوفاق (ص 16).

(4) رواه عبد الرزاق في المصنف، باب الشهادة وغيرها والفخذ (26/11 رقم 19805)، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب القسامة، باب ما جاء في كراهية اقتباس علم النجوم (139/8).

(5) سبق تخريجه في ص (593).

الرقى ما يكون كفراً[1].

ثالثاً: التمائم التي لا نفع فيها في حقيقة الأمر كالخرز وغيرها.

هذا النوع من التمائم معروف في الجاهلية، ومن صوره في هذا الزمان: تعليق الخرز على الأولاد وعلى بعض السيارات، ووضع بعض الحيوانات المجسمة في السيارات أو البيوت، باعتقاد أنها تدفع العين و السحر وتشفي المريض[2].

وقد ذكر المناوي : أن من المعاني المحتملة لحديث $من تعلّق شيئاً وُكِل إليه#[3]: $من علّق تميمة من تمائم الجاهلية يظن أنها تدفع أو تنفع، فإن ذلك حرام، والحرام لا دواء فيه، وكذا لو جهل معناها، وإن تجرد عن الا عتقاد المذكور#[4].

رابعاً: التمائم التي فيها شيء من القرآن.

وهذا من ترويج الباطل بقليل من الحق، وتلبيس الباطل بالحق. لذا لما بيّن الإمام الخطابي : بعض أنواع الرقية غير الشرعية، قال: $فهي أمور مشتبهة مركّبة من حق وباطل، يُجمَع إلى ظاهر ما يقع فيها من ذكر اللّه تعالى ما يُستَسرُّ به من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوّذ بمردتهم#[5].

لهذه التمائم صور عديدة منها:

1. كتابة السورة أو الآية وتكرارها مرات عديدة بهيئات مختلفة، فيجعلون أول السورة آخرها وآخرها أولها. وتارة تُكتَب السورة أو ا لآية بحروف مقطعة، كل حرف على حدة، ويزعمون أن لها بهذه الهيئة خصوصية ليست لغيرهما من الهيئات، مع مراعاة أحوال الكواكب. ولا شك في تحريم هذا النوع من التمائم، وإن كان من القرآن؛ لأنه لم يؤت به على الوجه الذي نزل به، إضافة إلى مراعاة أحوال الكواكب أثناء عمل تلك التمائم[6].
2. وأشد من هذه الصورة تحريماً؛ ما جاء عند هؤلاء من كتابة السور، وحذف بعض الألفاظ منها، ووضع كلمات أخرى ليست من القرآن.

---

(1) انظر: فتاوى العز بن عبد السلام (ص 111) نقلا ً عن جهود الشافعية (ص 522 -523).
(2) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (650/1).
(3) رواه الترمذي في سننه، كتاب الطب، باب ما جاء في كراهية التعليق (ص 468 رقم 2072)، والحاكم في المستدرك، كتاب الطب (216/4)، ورمز السيوطي لحسنه كما في الجامع الصغير (590/2 رقم 8599) وهو حديث حسن بشواهده كما في غاية المرام (ص 181 رقم 297).
(4) فيض القدير (107/6 عند الحديث رقم 8599).
(5) أعلام الحديث (2132/3).
(6) انظر: معارج القبول (636/2).

فهذا بلا شك تحريف وتبديل وتلاعب بآيات الله سبحانه.

النوع الثاني من التمائم: ما اختلف في تعليقه، وهي التمائم من الآ
يات القرآنية والأدعية النبوية، ومن صوره:

1. ما يكتب من الآيات والأذكار النبوية في أوراق ثم تحاط بجلد صغير.
2. مصاحف تطبع بحجم صغير جداً، أحياناً تعلق في الرقبة أو السيارة، أو يُحمَل بدون تعليق.
3. ما يكتب من الآيات القرآنية في قطع ذهبية أو فضية أو غيرهما، وغالباً تعلق في أعناق الصبيان وعلى السيارات.

وهذا النوع من التمائم التي ليس فيها إلا قرآن أو ذكر صحيح، قد اختلف العلماء في حكم تعليقه؛ فمنهم من منعه ومنهم من أجازه، والأظهر منعه. وسيأتي في المطلب الثالث بيان أقوال العلماء في هذه المسألة مع ذكر أدلتها ومناقشتها وبيان القول الراجح منها.

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف بتعليق التمائم

إن تعليق التمائم والتعلق بها من الأمور المنتشرة جداً في أوساط المجتمع الإندونيسي، وفيما يلي أسوق بعض الشواهد لما ذكرت:

المثال الأول: تميمة في مدينة Semarang (سِيْمَرَنْجْ) بجَاوَا الوسطى كُتِبت على ورقة فاخرة بجوانبها إطار من الخشب. في أعلى الصفحة يكتب بسم اللّٰه الرحمن الرحيم، ثم يخلطون بين آيتي 27 و28 من سورة الحج، وبعض الآيات الأخرى، مع نجمين وسبعة من حرف ألف وميم وهاء، وفي الختام يكتبون عزائم باللغة الجاوية[1].

المثال الثاني: تميمة وُجِدت بمدينة Mataram (مَتَرَمْ) بجزيرة Lombok (لَوْمْبُوْكْ) فيها صورة لأفعيين اثنتين، ولفظ اللّٰه ومحمد واستعانة وطلب السلامة من الشيخ عبد القادر الجيلاني[2].

المثال الثالث: تميمية تسمى بـ Jenglot (جِيْنْجْلَوْتْ)، وهي عبارة عن دُمية مصغرة لإنسان ذات شعر طوله 75 س م، حجمها 15 س م تقريباً، يزعم أربابها أنها إنسان حي عمره مئات سنين، يطول شعره وأظفاره بزيادة عمره، لا يأكل إلا العطر. وهذا النوع من التمائم من أغلاها سعراً؛ إذ سعرها يبلغ مئات الملايين بالروبية!

ومن لطيف ما يذكر أنه لما سلّم أحد سكان محافظة Jogjakarta (جُوْكْجَاكَرْتَا) هذه التميمة التي بحوزته لأحد طلبة العلم، وقطّعها؛ وجد أنها ليست بمخلوق حي -كما هو مشتهر بين الناس-، وإنما هي دمية مصنوعة من قماش، ورجلاه ويداه من رجلي ويدي الضفدع المجفف، ورأسه من رأس الدجاج، وشعره مُلصّق بالغراء! فتبين للناس أن هذه الأشياء كلها من كذب الكهان الذين يريدون أن يأكلوا أموال الناس بالباطل![3] عليهم من اللّٰه ما يستحقون!

المثال الرابع: من التمائم ما يكون على شكل المسبحة، يقول أحد مقتنيها الساكن في مدينة Jakarta (جَاكَرْتَا) أنه إنما نالها من أحد الكهنة، حيث زعم أن من علقها في بيت سيأمن من الخوف[4].

---

(1) انظر: مجلة Ghoib (غيب)، العدد 22، السنة الثانية، تاريخ 22 جمادى الثانية 1425 هـ / 9 أغسطس 2004 م (ص 49).

(2) انظر: المرجع السابق، العدد 24، السنة الثانية، تاريخ 21 رجب 1425 هـ / 6 سبتمبر 2004 م (ص 22).

(3) انظر: نفس المرجع، العدد 34، السنة الثانية، تاريخ 12 محرم 1426 هـ / 21 فبراير 2005 م (ص 16-17).

(4) انظر: مجلة Ghoib (غيب)، العدد 32، السنة الثانية، تاريخ 13 ذو الحجة 1425 هـ / 24 يناير 2005 م (ص 36-37).

المثال الخامس: الإندونيسيون متفننون جداً في صناعة التمائم؛ منها -غير ما سبق ذكره- ما كان على شكل قماش فيها طلاسم، أو سلاح شعبي (Keris)، أو معطف، أو قفازان، أو زنار، أو قلادة، أو خاتم، أو سوار، أو سيف، أو رمح، أو حبل، أو إزار، أو كبريت، أو تراب، أو سيجارة، أو ثوم، أو بطاقة (كبطاقة الصراف!)(1)، أو رأس الأسد المجمّد، أو عطر، أو مصحف مصغر، أو لباس داخلي للنساء، أو روث الإنسان أو الحيوان (أكرم الله القارئين!)(2)، أو صنم(3)، أو عَرَبَة(4)، ومنها ما يُغرس في جسد الإنسان إما في يده، أو رجله، أو وجهه، أو بطنه أو عورته المغلظة أو غير ذلك من المواضع، ويسمون هذا النوع بـ Susuk (سُوْسُوْكْ)، ولها أنواعها(5)، وغير ذلك كثير، والله المستعان...

المثال السادس: المقتنون لهذه التمائم لهم أهداف يسعون من ورائها، منها: تحصين أنفسهم من تخويف الغول، ويستخدمون من أجل ذلك أنواعاً عديدة من التمائم، منها: المكنسة المصنوعة من شجرة النارجيل، ومنها: خشبة بامبو الصفراء، ومنها: السوط، ومنها: ورق شجرة النارجيل الصفراء، وغير ذلك من أنواع التمائم التي يستخدمها بعض سكان مدينة Demak (دِ مْ كَ ْ) بجاوَا الوسطى من أجل الهدف المذكور(6).

ومنهم من يقتني التمائم ليعجّل له الزواج، ومنهم من يريد العطف، ومنهم يريد ترويج سلعته، ومنهم من يريد أن تظهر منه الهيبة، ومنهم من يريد أن يكون محصّناً، ومنهم من يريد أن يمنع نزول المطر، ومنهم من يريد دفع العدو عنه، إلى غير ذلك من الأهداف.

فبعض سكان محافظة جاوَا الغربية -مثلا ً- إذا أرادوا ترويج البضائع

(1) ما يخص التميمة من نوع البطاقة، انظر مثالها في: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 387، تاريخ 20 ديسمبر 2005 – 4 يناير 2006 (ص 105).
(2) انظر: مجلة Ghoib (غيب)، العدد 65، السنة الرابعة، تاريخ 4 جمادى الأولى 1427 هـ / 1 يونيو 2006 م (ص 17).
(3) منها ما يسمى بصنم Rajamala (رَاجَامَالا َ) الموجود في متحف Radya Pusaka (رَدْيا فُوْسَكا) في مدينة Solo (سُوْلُوْ) بجاوَا الوسطى. انظر: جريدة Cempaka (تِيْشِيْمْفَاكا)، العدد 6، السنة الثالث عشر، تاريخ 9-15 مايو 2002 (ص 31).
(4) منها ما يسمى بعربة Nyai Jimad (إِنْجَائِي جِيْمَدْ) الموجودة في مملكة جُوْكْجَاكَرْتا. انظر: جريدة Wawasan (وَوَسَنْ)، يوم الأحد، 31 أكتوبر 2004، صفحة Prisma (فِيْرِيْسْمَا).
(5) انظر: مجلة Wahana Mistis (وَاهَانا مِيْسْتِيْس)، العدد 108، السنة الخامسة، تاريخ 25 مايو-25 يونيو 2005 (ص 37).
(6) انظر: مجلة Ghoib (غيب)، العدد 54، السنة الثالثة، تاريخ 3 ذو القعدة 1426 هـ / 5 ديسمبر 2005 م (ص 36-37).

التي يبيعونها، يطلبون تميمية من الكهان ويسمون هذا الفعل بـ Nyare'at (شريعة)[1]. ومن التمائم التي تصنع من أجل هذا الغرض: كتابة $ط وو لا م اااا ن اا اللّه ط هـ م ا ي ك ر م ...# وغيرها من الأحرف الهجائية المقطعة[2].

وجاء في كتاب $الأوفاق# ما نصه: $إذا أردت أن تمنع المطر عن المركب أو عن الطريق تكتب هذا وتجعله في الشجر أو في عود كبير؛ فإنه يمنع المطر عن المركوب بإذن اللّه. وهذا ما تكتب: اللّهم يا أهيا شراهيا أدوناي أصبباوت...# [3]. وهذه الأسماء مجهولة المعنى، وقد يكون بعضها من أسماء الجن![4]

وجاء في إحدى الصحف المروجة للشركيات ما نصه: $التميمة للحصول على الزوج: $م م اااا لر ااا ولا ااا محمد لا اك اللّه لر محمد لك هو اللّه اله يا ابرازرايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لى ساجدين#[5].

ويقول أحد من ابتلي بتعليق التمائم: $نجوت من محاولة القتل بسبب التميمة التي أعطاني إياها

(1) انظر: نفس المرجع، العدد 50، السنة الثالثة، تاريخ 29 شعبان 1426 هـ / 3 أكتوبر 2005 م (ص 74-75).
(2) انظر: نفس المرجع، العدد 49، السنة الثالثة، تاريخ 15 شعبان 1426 هـ / 19 سبتمبر 2005 م (ص 22-23).
(3) الأوفاق (ص 41).
(4) انظر: إغاثة المظلوم في كشف أسرار العلوم للطوخي (ص 12)، نقلا ً عن أحكام الرقى والتمائم (ص 230).
(5) جريدة Posmo (فُوسمُو)، العدد 358، تاريخ 8 ما رس 2006 (ص 2).

سيف الدين[1]#[2].

المثال السابع: أما عن طريق تحصيل التمائم: فأكثر الناس يحصّلونها بشرائها من السحرة والكهنة، ويختلف ثمنها باختلاف نوعها، ويصل سعر بعض التمائم إلى مليار روبية![3]

وبعض الناس يحصلون هذه التمائم عن طريق إقامة طقوس معينة في وقت مخصوص بمكان مهجور، فما أن ينتهى منها إلا وفجأة تأتي التميمة أمامه[4].

وبعضهم يعتكف سنتين في الغابات المسكونة من الجن، ويذبح جاموساً كي يحصل على التميمية المسماة بـ Keris Nogososro (كِيْرِيْسْ نُوْغُوْ سُوْسْرُوْ)[5].

المثال الثامن: هذه التمائم تطالب من أربابها لوناً خاصاً من التعامل:

ومن ذلك ما يسمونه Penjamasan jimat (غسل التمائم).

في شهر ربيع الأول أو شهر محرم، يقوم الكهنة بإخراج التمائم -وغالباً تتمثل في أسلحة قديمة- من غرفها، ثم تُبخّر بِعُود، ومن ثمّ تغسّل بماء الوَرْد والليمون، ثم يجفف وتُنضح بطيب من نوع خاص، وغالباً ما يكون من الزعفران. وبدون هذا العمل فإن الجن الساكن في تلك التمائم سيضر بأصحابها[6].

وبعد انتهاء هذا الغسل يتقاتل بعض الناس في التبرك بماء الغسيل المتبقي، ويزعمون أنه يحافظ على شبابية الإنسان، ويأتي بالطمأنينة والأ من.

ويجب على الكاهن قبل قيامه بعملية الغسل؛ أن يغتسل غسله للجنابة ، ويصوم، ولا يجوز أن يكذب أو يفسق أو يجامع أهله[7].

ومن ألوان التعامل الخاص الذي يتعامل به أرباب التمائم: تقديمهم القرابين لها في أوقات

(1) أحد الكهنة المعروفين في إندونيسيا.
(2) مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 375، تاريخ 5-19 يونيو 2005 (ص 6).
(3) انظر: مجلة Tempo (تيِمْفُوْ)، تاريخ 14 ديسمبر 2003 (ص 51).
(4) Dukun Hitam Dukun Putih, Menguak Rahasia Kehebatan Sekutu Setan (الكاهن الأسود والكاهن الأبيض؛ الكشف عن سر قوة حليف الشيطان) (ص 32-35).
(5) انظر: مجلة Tempo (تيِمْفُوْ)، تاريخ 14 ديسمبر 2003 (ص 50).
(6) انظر: جريدة Suara Merdeka (سُوَارَا مِيْرْدِيْكا)، يوم السبت، تاريخ 30 أبريل 2005 (ص 27)، وجريدة Wawasan (وَوَسَنْ)، يوم الأحد، 28 نوفمبر 2004، صفحة Prisma (فِيْرِيْسْمَا).
(7) انظر: جريدة Wawasan (وَوَسَنْ)، يوم الأحد، 31 أكتوبر 2004، صفحة Prisma (فِيْرِيْسْمَا).

معينة، من بخور وأطعمة، وشراب، ووَرْد، وغير ذلك[1].

المثال التاسع: لانتشار تعلق الناس بالتمائم وتعليقهم عدة عوامل منها[2]:

أولاً: إن كثيراً ممن ينتسبون للعلم إذا ما سألهم عوام الناس عن المخرج من مشاكل الحياة التي يعانونها، يرشدونهم بلبس التمائم.

ثانياً: كثرة من يفتحون العيادات العلاجية، ويتظاهرون بمظهر إسلامي في لباسهم وأسمائهم، فيغتر جهلة المسلمين بهم، فيقبلون من هؤلاء التمائم التي أعطوها لهم لحسن ظنهم بهؤلاء.

ثالثاً: جهل كثير من المسلمين بعقيدتهم؛ فلا قدرة لهم على التمييز بين السبب المباح أو الشرعي والسبب الشركي.

رابعاً: ظن بعض الناس أن كل ما يُكتَب بالعربية فهو قرآن، فمن ثمّ لا يحاولون معرفة حقيقة ما في التمائم المكتوبة بالعربية، مع أنها قد تكون مناقضة للإسلام كتضمنها للاستغاثة بغير الله مثلاً.

خامساً: احترام الناس الزائد وخوفهم المفرط من التمائم، خاصة وأن بعضها جمادات إلا أن لها قدرة على التحرك بنفسها، أو ينبثق منها نور ساطع ؛ فهذا يؤدي بهم إلى اقتنائها لما لها من خاصية عجيبة في نظرهم.

سادساً: ظن بعض الناس أن تعليق التمائم من المسائل الخلافية؛ فبالتالي يظنون أن الأمر في ذلك واسع.

سابعاً: كثرة وسائل الإعلام المرئية والمكتوبة التي تروج التمائم في برامجها أو صفحاتها.

فمن المجلات من تجعل صفحاتها الكثيرة موطناً لدعايات السحرة و الكهنة لترويج تمائمهم؛ ومن هذه المجلات -على سبيل المثال لا الحصر-: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، ومجلة Wahana Mistis (وَاهَانَا مِيْسْتِيْسْ)، ومجلة HAM (هَامْ)، ومجلة Dunia Lain (عالم آخر)، وجريدة Posmo (فُوْسْمُوْ)، وجريدة Mister Yo (مِيْسْتِيْرْ يُوْ)، وأمثالها.

كما أن للوسائل المرئية دورها الكبير في نشر التمائم، ويتمثل ذلك -أكثر ما يكون- في عرضهم للأفلام التي تُظهر للناس قوة التمائم وطاقتها العجيبة.

ما زلت أتذكر إلى الآن، أني لما كنت في الابتدائية شاهدت فيلماً عن قصة بطولة الشعب الإندونيسي في مقاومة الاستعمار الهولندي. وفي إحدى مقاطع هذا الفيلم، حصل اصطدام بين الجنود الإندونيسيين وجيوش

---

(1) انظر: جريدة Cempaka (تِيْشِيْمْفَاكَا)، العدد 6، السنة الثالث عشر، تاريخ 9-15 مايو 2002 (ص 31).

(2) منقول من مجلة Ghoib (غيب)، العدد 65، السنة الرابعة، تاريخ 4 جمادى الأولى 1427 هـ / 1 يونيو 2006 م (ص 23-24)، بتصرف وزيادات.

الهولنديين، وكان جيوش الهولنديين في حصن حصين، فتسلق أحد الإ ندونيسيين السور المحيط بالحصن، فضربه الهولنديون بالرشاش، فلم يؤثر فيه شيئاً، حتى إذا نزل داخل الحصن، ضربوه برشاش أخرى فخرّ ميتاً!

والسبب في ذلك: أن هذا الرجل كان لابساً للتميمة في جسده، فلما تسلق السور عَلِقت تميمته في السور بدون أن يشعر بذلك، فذهب عنه ما يحصنه فأثّر فيه الرشاش فمات.

لك أن تتصور أخي القارئ، كيف أثّر هذا الفيلم في نفوس العوام، وانطبعت في نفوسهم صورة قوة تلك التمائم، أذكر جيداً أني كنت يومئذ متحسر جداً؛ كيف علقت تميمة الرجل بالسور دون أن يشعر، ولماذا لم يعلقها في مكان آمن من جسده بحيث لا يتعرض للسقوط أو نحوه!

أما الأفلام التي تروج تعليق التمائم في هذه الأيام المتأخرة فلا تكاد تحصر كثرة، حتى لا تكاد تجد قناة من القنوات التيلفيونية إلا تعرض فيلماً من هذا الجنس وللأسف! سواء كانت تلك الأفلام مستوردة أم شعبية.

بل حتى بعض الأفلام الشعبية (الإسلامية) لها دورها في ترويج التمائم؛ لأن بعضها يصور للناس أنه إذا عرض لأحد الممثلين عارض من مس أو سحر، فإنه يؤتى بأحد رجال الدين فيقرأ عليه التعاويذ مع إشارته للممسوس أو المسحور بمسبحة كانت معه أو عصا أو نحو ذلك؛ فانطبعت في أذهان المشاهدين أن لهذه الجمادت دورها في طرد الشياطين!

ومن الأفلام المستوردة فيلم كرتون ياباني معنون بـ Pokemon (فُوْكِيْمُوْنْ)، حيث خُتم في نهاية كل عدد منه بغناء يحث الأطفال على عدم الغفلة عن القوة المودعة في بطاقات Pokemon (فُوْكِيْمُوْنْ)، بل في كل بطاقاتها تُكتب الجملة التالية: $خذ معك بطاقة Pokemon (فُوْكِيْمُوْنْ) إلى أي مكان، فتستعد لمواجهة أي شيء كان، القوة في يدك فاستخدمها!#[1].

ثامناً: من أهم عوامل انتشار التمائم: تبني كثير من المعاهد الإسلامية التقليدية لنشر هذه التمائم عن طريق تعليم تلاميذها ومن شاء من عوام الناس كيفيةَ صناعتها، وأصبح بعض الكتب المتخصصة في هذا الباب مقرّراً في مثل تلك المعاهد. ومن تلك الكتب: $شمس المعارف الكبرى#، و$منبع أصول الحكمة#[2]،

(1) انظر: مجلة Ghoib (غيب)، العدد 55، السنة الثالثة، تاريخ 24 ذو القعدة 1426 ه ـ / 26 ديسمبر 2005 م (ص 18).

(2) كلاهما لمحمد علي البوني.

و$الرحمة في الطب والحكمة#[1]، و$الجواهر اللماعة#[2]، و$مجربات الديربي الكبير#[3]، و$الأوفاق#[4]، و$خزانة الأسرار#[5][6]، و$جامعة الحيوان#[7]، وغير ذلك.

(1) المنسوب للسيوطي.
(2) لعلي أبي حي الله المرزوقي.
(3) لأحمد الديربي.
(4) المنسوب لأبي حامد الغزالي.
(5) لمحمد حقي النازلي.
(6) انظر: Pemburu Hantu dalam Tinjauan Syari'at (الصيّادون لمردة الجن، في منظار الشريعة) (ص 114-115).
(7) انظر: Bahaya! Tradisi Kemusyrikan di Sekitar Kita (انتبه! العادات الشركية حولنا) (ص 129)، و Membongkar Kesesatan Perilaku Syirik Masyarakat Indonesia (كشف ضلالات أعمال المجتمع الإندونيسي الشركية) (ص 15).

المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

تمهيد(1):

يقول الله تبارك وتعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﭼالزمر: ٣٨.

هذه الآية تتضمن المبدأ الإسلامي الأساسي الذي يقوم عليه ديننا الحنيف، ويأمر أهله بالتزامه في الأمن والخوف، وفي الرخاء والشدة، ألا وهو مبدأ التوكل على الله سبحانه، والثقة به، والإيقان بأن قضاءه ماض ولا راد لقضائه، مع الأخذ بالأسباب المباحة التي جاء بها الشرع وأرشد إليها الرسول ح أمتَه، بعيداً عن عقلية المشركين الذين يعترفون بالله خالقاً، ثم يعملون بما هو محض الجهل، بعبادتهم ما لا يملك لهم نفعاً ولا ضراً، واعتمادهم عليها.

يقول الإمام الطبري :: $يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ح: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين العادلين بالله الأوثان َ والأصنام: مَنْ خلق السموات والأرض؟ ليقولن: الذي خلقهن الله، فإذا قالوا ذلك، فقل: أفرأيتم أيها القوم هذا الذي تعبدون من دون الله من الأصنام والآلهة ... هل هن كاشفات عني ما يصيبني به ربي من الضر؟ ... وإن أرادني ربي أن يصيبني سعة ٌ في معيشتي، وكثرة ُ مالي، ورخاء وعافية في بدني، هل هن ممسكات ٌ عني ما أراد أن يصيبني به من تلك الرحمة؟ وتَ رَ كَ الجواب؛ لاستغناء السامع بمعرفة ذلك، ودلالة ما ظهر من الكلام عليه#(2).

ويقول أبو عبد الله القرطبي :: $بيـ ّن الله أنهم مع عبادتهم الأوثان مـ ُقـ ِر ّون بأن الخالق هو الله#(3).

وقد أراد الله تعالى من إقرارهم هذا، أن يبين لهم أن تلك الأوثان لا تنفع ولا تضر؛ لأنه إذا كان خالقهم وإياها هو الله كما يقرون، فهو وحده الذي يجب أن يتوكل عليه كلّ مؤمن به في جميع الحالات، فكان إيراد الجواب من قبل أنفسهم في هذه الحالة أبلغ في إيقاظ قلوبهم الغافلة.

وفي الآية إبطال لتعلق القلوب بغير الله؛ لأنهم إذا أقروا بأن خالقهم وخالق السماوات والأرض وما يعبدون هو الله؛ لزم من ذلك اعترافهم بأن لا قادر على جلب نفع أو دفع ضر إلا الله، فلا يكون عند ذلك داعياً لتعلق القلب بغيره تعالى، إذ كل معبود سواه لا يقدر على شيء من الأمر.

قال الزمخشري :: $إن المشركين لما خوّفوا النبي ح معرّة الأوثان

(1) نقلا ً عن مظاهر الانحراف عن توحيد العبادة لدى بعض مسلمي أوغندا (ص 32-33).
(2) تفسير الطبري (20/211-212).
(3) تفسير القرطبي (18/281).

وتخبيلها، أمره الله لأ بأن يقررهم أولا ً بأن خالق العالم هو الله وحده، ثم يقول لهم بعد التقرير: فإذا أرادني خالق العالم الذي أقررتم به بضر من مرض، أو فقر، أو غير ذلك من النوازل، أو برحمة من صحة، وغنى، ونحوها؛ هل هؤلاء اللاتي خوفتموني إياهن كاشفات عني ضره أو ممسكات رحمته؟#[1].

ويتضح من الآية أنها أثبتت عدم الانتفاع من الأصنام بحال؛ لا بكشف ضر أو جلب نفع، فكذلك التمائم وما في حكمها تابعة لها في ذلك.

فالمشركون كانوا يعبدون الأوثان لتقربهم عند الله، ويستجلبون بها المنافع؛ من نزول أمطار، وغنى، وصحة، وانتصار في حروب، وسلامة في أسفار، وغير ذلك، كما كانوا يستدفعون بها المكاره، والأضرار؛ من أمراض، وأعداء، وفقر، وغير ذلك.

وكل ذلك في الواقع هو مطالب أصحاب التمائم منها؛ يرجون منها ما كان يرجو المشركون من أصنامهم.

وبذلك التَقى الفريقان في حكم واحد؛ ألا وهو الشرك بالله، فكما أشرك أولئك بالأصنام، يشرك هؤلاء بالتمائم لاعتقادهم أنها واقية من المقادير، وطلبهم دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه، ولا دافع لما قضى، ولا شريك له تعالى وتقدس فيما قدّر.

يقول الحافظ ابن حجر : في حديثه عن التمائم: $وإنما كان ذلك من الشرك؛ لأنهم أرادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله#[2].

موقف الإسلام من هذه المظاهر:

لقد جاءت النصوص الشرعية بالتحذير من التمائم والنهي عنها؛ لما في تعليق التمائم من تعلق القلوب والغفلة عن الله سبحانه وتعالى، ولمنافاة هذا العمل للتوحيد. وقد تنوعت الأساليب النبوية في التحذير من هذا الانحراف ، أذكر ههنا طرفاً منها[3]:

أولا: إخبار رسول الله ح بأن تعليق التمائم شرك:

عن عقبة بن عامر[4] ط أَنّ رَسُولَ اللهِ ح أَقْبَلَ إِلَيْهِ رَهْطٌ فَبَايَعَ تِسْعَةً وَأَمْسَكَ عَنْ وَاحِدٍ، فَقَالُوا: $يَا رَسُولَ اللهِ بَايَعْتَ تِسْعَةً وَتَرَكْتَ هَذَا# قَالَ: $إِنّ عَلَيْهِ تَمِيمَةً# فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَقَطَعَهَا فَبَايَعَهُ وَقَالَ: $مَنْ عَلَقَ تَمِيمَةً فَقَدْ

---

(1) الكشاف (307/5) بتصرف يسير.
(2) فتح الباري (196/10).
(3) نقلا ً عن مظاهر الانحراف عن توحيد العبادة لدى بعض مسلمي أوغندا (ص 46-49) بتصرف وإضافات.
(4) هو: عقبة بن عامر الجهني (ت 60 هـ تقريباً)، صحابي مشهور، ولي إمرة مصر لمعاوية ثلاث سنين، وكان فقيهاً فاضلا ً. انظر: التقريب (رقم 4675).

أشْرَكَ#[1].

وعن بكر بن سوادة[2] عن رجل من صُداء[3]، قال: $أتيْنَا النّبِيّ ح اثنَا عَشَرَ رَجُلًا، فَبَايَعْنَاهُ، وَترَكَ رَجُلًا مِنّا لَمْ يُبَايِعْهُ فَقُلنَا: $بَايِعْهُ يَا نَبِيّ اللّهِ#، فَقَالَ: $لَنْ أُبَايِعَهُ حَتّى يَنْزِعَ الّذِي عَلَيْهِ، إنّهُ مَنْ كَانَ مِنّا مِثْلُ الّذِي عَلَيْهِ؛ كَانَ مُشْرِكًا مَا كَانَتْ عَلَيْهِ#. فَنَظَرْنَا فَإِذَا فِي عَضُدِهِ سَيْرٌ مِنْ لَحْيِ شَجَرَةٍ أَوْ شَيْءٌ مِنْ الشّجَرَةِ#[4].

في الحديثين تصريح بأن تعليق التمائم شرك، لأن معلِّقها اعتقد أنها ترد العين وغيره من الأمراض، وذلك طلب لدفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه، وأخذ لأسباب محرمة شرعاً، وقد حكم الشرع عليه بالشرك؛ لأن القاعدة تقول: $ظن الشيء سبباً -وليس هو سبباً لا بالشرع ولا بالتجربة الظاهرة المباشرة- شرك#[5].

وعن زينب[6] امرأة عبد الله بن مسعود م قالت: $كَانَ عَبْدُ اللّهِ إِذَا جَاءَ مِنْ حَاجَةٍ فَانْتَهَى إِلَى الْبَابِ تَنَحْنَحَ وَبَزَقَ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَهْجُمَ مِنّا عَلَى شَيْءٍ يَكْرَهُهُ. قَالَتْ: وَإِنّهُ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَتَنَحْنَحَ، قَالَتْ: وَعِنْدِي عَجُوزٌ تَرْقِينِي مِنْ الْحُمْرَةِ[7] فَأَدْخَلْتُهَا تَحْتَ السّرِيرِ، فَدَخَلَ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِي فَرَأَى فِي عُنُقِي خَيْطًا قَالَ: مَا هَذَا الْخَيْطُ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: خَيْطٌ أُرْقِيَ لِي فِيهِ. قَالَتْ: فَأَخَذَهُ فَقَطَعَهُ ثُمّ قَالَ: إِنّ آلَ عَبْدِ اللّهِ لَأَغْنِيَاءُ عَنْ الشّرْكِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ح يَقُولُ: إِنّ الرُّقَى وَالتّمَائِمَ وَالتّوَلَةَ شِرْكٌ. قَالَتْ: فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَقُولُ هَذَا وَقَدْ كَانَتْ عَيْنِي تَقْذِفُ[8]، فَكُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى فُلَانٍ الْيَهُودِيّ يَرْقِيهَا وَكَانَ إِذَا

---

(1) رواه أحمد في مسنده (637/28 رقم 17422)، والحاكم في المستدرك (219/4)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (103/5): $رجال أحمد ثقات#، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (889/1 رقم 492).

(2) هو: بكر بن سوادة بن ثُمامة الجُذامي، أبو ثمامة المصري، تابعي ثقة فقيه، مات سنة بضع وعشرين ومائة. انظر: التقريب (رقم 750).

(3) صُداء: حي من اليمن. انظر: مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح للمباركفوري (354/2).

(4) رواه الطحاوي في شرح معاني الآثار (325/4 رقم 7171)، وحسّن إسنادَه الشيخُ شعيب الأرنؤوط في تعليقة على صحيح ابن حبان (451/13 -الإحسان).

(5) قواعد ومسائل في توحيد الإلهية (ص 128).

(6) هي: زينب بنت معاوية أو ابنة عبد الله بن معاوية، ويقال: زينب بنت أبي معاوية الثقفية، زوج ابن مسعود، صحابية، ولها رواية عن زوجها. انظر: التقريب (رقم 8697).

(7) قال السندي في شرحه على سنن ابن ماجه (128/4 -ط. دار المعرفة): $قوله $ترقي من الحمرة#: في القاموس: الحمرة لون معروف وورم من جنس الطواعين ، قلت: فلعل المراد ها هنا هو المعنى الثاني#.

(8) أي: ترمي بالرمَص أو الدمع وهو ماء العين من الوجع. والرمص: ما جمَد من

رَقَاهَا سَكَنَتْ. قَالَ: إِنَّمَا ذَلِكَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ كَانَ يَنْخُسُهَا[1] بِيَدِهِ فَإِذَا رَقَيْتِيهَا كَفَّ عَنْهَا، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكِ أَنْ تَقُولِي كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ح: أَذْهِبْ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا#[2].

يقول ابن الأثير : في شرحه للحديث: $وإنما جعلها شركاً؛ لأنهم أرادوا بها دفعَ المقادير المكتوبة عليهم، فطلبوا دفعَ الأذى من غير الله الذي هو دافعه#[3].

ثانياً: إخبار النبي ح بقطع عون الله تعالى ورعايته عن أصحاب التمائم:

عن عيسى بن عبد الرحمن[4] قال: دَخَلْنَا عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ[5] وَهُوَ مَرِيضٌ نَعُودُهُ فَقِيلَ لَهُ: لَوْ تَعَلَّقْتَ شَيْئًا. فَقَالَ: أَتَعَلَّقُ شَيْئًا وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ح: $مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ#[6].

في الحديث تهديد لمن حدّثه قلبه باستجلاب العون من عند غير الله لأ، وذلك باعتماده على شيء مما يرجو منه حصولَ نفع أو دفع ضرر كالتمائم والأحراز ونحوهما، يعلقها على نفسه أو على طفله، فإنه متوعد برفع رحمة الله تعالى وعونه ونصرته عنه ويكله سبحانه إلى ما تعلقه.

ولا شك أنه كلما رفعت رحمة الله تعالى عن العبد كلما قربت منه نصرة الشيطان ووساوسه.

يقول السيوطي : في معنى الحديث: $أي من علق شيئاً من التعاويذ والتمائم وأشباهها معتقداً أنها تجلب إليه نفعاً أو تدفع عنه ضرراً#[7].

ويقول : أيضاً: $وكل إليه؛ كناية عن عدم العون منه تعالى#[8].

ثالثاً: دعاء المصطفى ح على من تعلق تميمة:

عن عقبة بن عامر ط قال: سمعت رسول الله ح يقول: $مَنْ تَعَلَّقَ

الوسخ في مؤخر العين. انظر: مرقاة المفاتيح (372/8).

(1) النخس أصلها: الدفع والحركة. انظر: النهاية في غريب الحديث (32/5).

(2) سبق تخريجه في (ص 594)، وذكرت هناك على ماذا يحمل وصف النبي ح للرقى بالشرك.

(3) النهاية في غريب الحديث (198/1).

(4) هو: عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي، ثقة. انظر: التقريب (رقم 5342).

(5) هو: عبد الله بن عُكَيم الجهني أبو معبد الكوفي، مخضرم، وقد سمع كتاب النبي ح إلى جهينة، مات في إمرة الحجاج. انظر: التقريب (رقم 3506).

(6) سبق تخريجه في (ص 878).

(7) شرح السيوطي على سنن النسائي (128/7 -سنن النسائي).

(8) شرح السيوطي لسنن النسائي (128/7 -سنن النسائي).

تمِيمَةً فَلَا أَتمّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تعَلّقَ وَدَعَةً[1] فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ#[2].

والمعنى: أي لا خفف اللّه عنه ما يخافه، وهذا دعاء عليه بنقيض مقصوده، زيادة على كون ذلك العمل شركاً باللّه لأ، يعاقب عليه إذا لم يتب[3].

يقول الحافظ ابن عبد البر :: $من تعلق تميمة خشية ما عسى أن ين-زل به قبل أن ين-زل، فلا أتم اللّه عليه صحتَه وعافيته، وكذلك من تعلق ودعة فلا ودع اللّه له؛ أي: لا ترك اللّه له ما هو فيه من العافية، أو نحو هذا، واللّه أعلم. وهذا كله تحذير ومنع مما كان أهل الجاهلية يصنعون من تعليق التمائم والقلائد، يظنون أنها تقيهم، وتصرف البلاء عنهم، وذلك لا يصرفه إلا اللّه لأ، وهو المعافي والمبتلي لا شريك له، فنهاهم رسول اللّه ح عما كانوا يصنعون في جاهليتهم#[4].

رابعاً: أمره ح بقطع الأوتار والقلائد من أعناق الحيوانات:

عن أبي بشير الأنصاري[5] ط أنه كان مع رسول اللّه ح في بعض أسفاره، فأرسل رسولا ً: $أَنْ لَا يَبْقَيَنّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلَادَةٌ إِلَا قُطِعَتْ#[6].

قال الإمام مالك : بعد ذكره لهذا الحديث: $أرى ذلك من العين#[7]، وقال : في المراد بالأوتار: إنهم كانوا يقلدون الإبل أوتار القسي؛ لئلا تصيبها

---

(1) الودعة: مفرد، وجمعه: ودعات. قال أهل اللغة: هي مَنَاقِيف صِغار بيض تخرج من البحر يشبه الصدف، تزين بها العثاكيل، متفاوتة في الحجم، يوجد في بطنها شق كشق النواة، وقيل في جوفها دودة كالحلمة، تعلق لاتقاء العين. انظر: تهذيب اللغة (137/3)، والصحاح (1295/3)، وترتيب القاموس المحيط (589/4)، وتاج العروس (294/22).

(2) رواه أحمد في مسنده (623/28 رقم 17404)، والحاكم في المستدرك (216/4) وصحح سنده ووافقه الذهبي، وابن حبان في صحيحه (451/13 رقم 6086 -الإحسان)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (304/9-305): $رواه أحمد مطولا ً ومختصراً، ورواه أبو يعلى ورجالهما في المطول رجال الصحيح#.

(3) انظر: النهاية في غريب الحديث (168/5).

(4) التمهيد (163/17).

(5) هو: أبو بشير الأنصاري المدني، قيل: اسمه قيس بن عبيد (ت بعد سنة 60 هـ)، صحابي، ممن شهد الخندق. انظر: التقريب (رقم 8017).

(6) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل (141/6 رقم 3005 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب كراهية قلادة الوتر في رقبة البعير (1672/3-1673 رقم 2115)، و اللفظ للبخاري.

(7) الموطأ، كتاب صفة النبي ح، باب ما جاء في نزع المعاليق من العين والجرس من العنق (371/4 تحت حديث رقم 1874).

العين بزعمهم، فأمروا بقطعها إعلاماً بأن الأوتار لا تردّ من أمر الله شيئاً[1].

والنهي عن تعليق الأوتار الوارد في البعير لا يخصه؛ إذ لا فرق بينه وبين غيره من الحيوانات في ذلك، ويؤيد هذا ما ورد عن أبي وهب الجشمي[2] ط عن النبي ح أنه قال: $ارْتَبِطُوا الْخَيْلَ، وَامْسَحُوا بِنَوَاصِيهَا وَأَعْجَازِهَا، أَوْ قَالَ: أَكْفَالِهَا[3]، وَقَلِّدُوهَا وَلَا تُقَلِّدُوهَا الْأَوْتَارَ#[4].

والحديث صريح في النهي عن تعليق الخيل بالأوتار، وهو دليل على عدم اختصاص الإبل بالنهي، بل النهي لا يخص الحيوان فحسب، ولكن يعم حتى بني آدم؛ لعموم الأحاديث التي سبق ذكرها في الأوجه المتقدمة. فلذلك يقول ابن عبد البر : في شرحه لحديث أبي بشير الأنصاري ط: $هو عند جماعة أهل العلم كما قال مالك: لا يجوز عندهم أن يعلق على الصحيح من البهائم أو بني آدم شيء من العلائق خوفَ نزول العين لهذا الحديث#[5].

خامساً: إخباره ح بعدم فلاح من مات، وعليه تميمة أو نحوها:

عن عمران بن حصين ط: أَنَّ النَّبِيَّ ح أَبْصَرَ عَلَى عَضُدِ رَجُلٍ حَلْقَةً أُرَاهُ قَالَ مِنْ صُفْرٍ فَقَالَ: $وَيْحَكَ مَا هَذِهِ؟# قَالَ: $مِنْ الْوَاهِنَةِ# قَالَ: $أَمَا إِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا، انْبِذْهَا عَنْكَ! فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا#[6].

فهذا الصحابي اتخذ هذه الحلقة لتعصمه من ألم الواهنة، فهي عنده

---

(1) انظر: شرح الزرقاني على الموطأ (319/4)، وأوجز المسالك إلى موطأ مالك لمحمد زكريا الكندهلوي (360/14).

(2) هو: أبو وهب الجشمي، صحابي، سكن الشام. انظر: التقريب (رقم 8507).

(3) قال في عون المعبود (161/7): $"أو قال أكفالها": جمع كفَل بفتحتين، وهو ما بين الوركين، وهذا شك من الراوي. قال ابن الملك: يريد بهذا المسح: تنظيفها من الغبار وتعرُّف حالها من السمن#.

(4) رواه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب إكرام الخيل وارتباطها والمسح على أكفالها (39/3 رقم 2553)، وحسن الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (112/2 رقم 2553).

(5) التمهيد (160/17).

(6) رواه أحمد في مسنده (204/33 رقم 20000)، وابن حبان في صحيحه (449/8 رقم 6085 -الإحسان)، والحاكم في المستدرك (216/4)، وفيه أن صاحب الحلقة هو عمران بن حصين ط نفسه. قال الحاكم: $هذا حديث صحيح ا لإسناد# ووافقه الذهبي، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة، كما في حاشية سنن ابن ماجه (129/4 -ط. دار المعرفة): $هذا إسناد حسن؛ مبارك هو ابن فضالة مختلف فيه#، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (103/5): $فيه مبارك بن فضالة وهو ثقة وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات#، وضعفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (101/3 رقم 1029) لعلتين ذكرهما. قلت: فالحديث اختلف في تحسينه وتضعيفه كما سبق، وإن كان فيه ضعف، فضعفه ليس بالشديد، ويصلح في الشواهد، وهو مندرج في معناه تحت الأحاديث المانعة من التعليق.

في معنى التميمة، فلذلك نهاه عنها المصطفى ح وأمره بن-زعها وأخبره بأنها لا تزيده إلا ضعفاً فلا تنفعه، وأنها تؤدي بصاحبها إلى الهلاك فيما لو مات وهي عليه. وهذا وعيد شديد، لأنه بذلك يكون مشركاً غير مستحق الفلاح و السعادة يوم القيامة.

وإذا كان ذلك في حق صحابي، فغيره من المغرورين في زماننا عن السعادة والفلاح أبعد.

يقول الخطابي :: $وإنما أنكر عليه اتخاذ الحلقة من الصفر؛ لأنه كان قد اتخذها على أنها تعصمه من ضربان العرق، وكان ذلك عنده في معنى التمائم التي ورد النهي عن تعلقها#[1].

سادساً: إخباره ح بأنه بريء ممن تعلق تميمة:

عن رويفع بن ثابت ط قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ح: $يَا رُوَيْفِعُ لَعَلَّ الْحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ بَعْدِي؛ فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّهُ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا، أَوْ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا ح مِنْهُ بَرِيءٌ#[2].

جاء في كتاب $عون المعبود#[3]: $الأشبه أنه نهى عن تقليد الخيل أوتار القسي، نُهوا عن ذلك؛ إما لاعتقادهم أن تقليدها بذلك يدفع عنها العين، ومخافة اختناقها به، لا سيما عند شدة الركض، بدليل ما روي أنه ح نهى عن أعناق الخيل#.

ويقول الملا علي القاري :: $"فإن محمداً منه بريء"؛ وهذا من باب الوعيد والمبالغة في الزجر الشديد. قال ابن حجر: عدل إليه عن $فأنا# أو $فإني# اهتماماً بشأن تلك الأمور وتأكيداً أو مبالغة في النهي#[4].

فهذه النصوص الشرعية تدل دلالة واضحة على تحريم تعليق التمائم، وإنكار الإسلام له، وتشديده وتغليظه في ذلك. ولكن مع ذلك كله، ههنا مسألة جديرة بأن تحرر وهي: **متى يكون تعليق التمائم شركاً أكبر، ومتى يكون شركاً أصغر؟**

إن هذه المسألة يختلف حكمها باختلاف حال معلقها من جهة، وحال التميمة نفسها وما تتضمنه من جهة أخرى.

فأما **اختلاف حكمها باختلاف حال معلقها**، فالمراد به: أن معلق التميمة إن كان يعتقد أن التميمة تنفع وتضر بنفسها فإن تعليقه لها شرك أكبر ، وإن كان يعتقد أنها سبب لدفع الأذى أو رفعه فحسب وأنها لا تستقل بالنفع

(1) غريب الحديث للخطابي (445/2).
(2) رواه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب ما ينهى عنه أن يستنجى به (31/1-32 رقم 36)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (1310/2 رقم 7910).
(3) (39/1).
(4) مرقاة المفاتيح (62/2-63).

والضر فتعليقه لها شرك أصغر[1].

فمن تعلق تميمة معتقداً أنها الدافعة الرافعة بنفسها؛ فهذا شرك أكبر، وهو شرك في الربوبية حيث اعتقد شريكاً مع الله في الخلق والتدبير، وشرك في العبودية حيث تأله لذلك وعلق به قلبه طمعاً ورجاءً لنفعه. وأكثر من يعلق هذه الأشياء نجدهم يتوكلون على ما علقوه وتعلقوه، ويسندون كشف الضر وجلب الخير إليه، وأنه لولاه لن ـزل به البلاء، ولأصابته العين. فلو لم يعتقدوا هذا الاعتقاد الباطل لما علقوه وتعلقوا به، ومعلوم أن من لم يعتقد ذلك لم يكن ليفعله ولا ليرضى به[2].

وأما اختلاف حكمها باختلاف حال التميمة نفسها وما تتضمنه، فالمراد به: أن التميمة إن كانت تشتمل على الاستغاثة بالشياطين أو غيرهم من المخلوقين، أو تشتمل على أمور كفرية أخرى؛ فهي شرك أكبر بكل حال، وإن كانت تشتمل على أسماء لا يفهم معناها فهي محرمة، والحكم بكونها شركاً أكبر أو أصغر يرجع إلى حال معلقها كما سبق[3].

وما أكثر ما اشتملت عليه التمائم المنتشرة بين الناس من الشركيات و الكفريات، وسأضرب بعض الأمثلة لذلك:

- ما جاء في كتاب $الأوفاق# ما نصه: $إذا أردت أن تمنع المطر عن المركب أو عن الطريق تكتب هذا وتجعله في الشجر أو في عود كبير؛ فإنه يمنع المطر عن المركوب بإذن الله. وهذا ما تكتب: اللّهم يا أهيا شراهيا أدوناي أصبباوت...# [4].وهذه الأسماء مجهولة المعنى، وقد يكون بعضها من أسماء الجن![5].
- تميمة وُجِدت بمدينة Mataram (مَتَرَمْ) بجزيرة Lombok (لُوْمْبُوْكْ) فيها صورة لأفعين اثنين، ولفظ الله ومحمد واستعانة وطلب السلامة من الشيخ عبد القادر الجيلاني[6].

واحتواء التمائم على الشركيات معروف من قديم الزمان، وإليكم شهادة من أحد العلماء الذين واجهوا من يعمل تلك الطلاسم، ألا وهو العلامة ابن خلدون : حيث قال:

---

(1) انظر: التوضيح عن توحيد الخلاق (ص 268)، وتيسير العزيز الحميد (ص 123)، والقول السديد (ص 106)، ومعارج القبول (640/2).
(2) أحكام الرقى والتمائم (ص 238).
(3) انظر: القول السديد (ص 110).
(4) الأوفاق (ص 41).
(5) انظر: إغاثة المظلوم في كشف أسرار العلوم للطوخي (ص 12)، نقلاً عن أحكام الرقى والتمائم (ص 230).
(6) انظر: مجلة Ghoib (غيب)، العدد 24، السنة الثانية، تاريخ 21 رجب 1425 هـ / 6 سبتمبر 2004 م (ص 22).

لقيت جماعة ممن يعملون الطلاسم، وشاهدت من أفعالهم، وأخبروني أن لهم وجهة ورياضة خاصة بدعوات كفرية وإشراك لروحانية الجن و الكواكب[1].

ثم تكلم بعد ذلك عن حكم هذه الأعمال بكلام جميل يحسن إيراده، حيث قال: $أما الشريعة فلم تفرق بين السحر والطلسمات والشعبذة، وجعلته كله باباً واحداً محظوراً. لأن الأفعال إنما أباح لنا الشارع منها ما يهمنا في ديننا الذي فيه صلاح آخرتنا، أو في معاشنا الذي فيه صلاح دنيانا.

وما لا يهمنا في شيء منهما، فإن كان فيه ضرر أو نوع ضرر، كالسحر الحاصل ضرره بالوقوع، ويلحق به الطلسمات، لأن أثرهما واحد، كالنجامة التي فيها نوع ضرر باعتقاد التأثير، فتفسد العقيدة الإيمانية برد الأمور إلى غير الله؛ فيكون حينئذ ذلك الفعل محظوراً على نسبته في الضرر. وإن لم يكن مهماً علينا ولا فيه ضرر، فلا أقل ّ من تركه قربة إلى الله، فإن $من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه#[2]. فجعلت الشريعة باب السحر و الطلسمات والشعوذة باباً واحداً لما فيها من الضرر، وخصته بالحظر و التحريم#[3].

---

(1) انظر: مقدمة ابن خلدون (ص 410-411).

(2) حديث نبوي شريف رواه الترمذي في سننه، كتاب الزهد عن رسول الله ح، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس (رقم 2318)، وابن حبان في صحيحه (466/2 رقم 229 -الإحسان) من حديث أبي هريرة ط، وقواه ابن عبد البر كما في $جامع العلوم والحكم# (287/1)، والنووي كما في $شرحه للأربعين النووية# (ص 40).

(3) مقدمة ابن خلدون (ص 412).

شبهات والجواب عنها:

الشبهة الأولى:

قول بعضهم أن التمائم من المسائل المختلف فيها بين العلماء؛ وبالتالي فالأمر في ذلك واسع.

الجواب: قبل الخوض في هذه المسألة لابد من تحرير محل النـزاع: أي نوع من التمائم حصل فيه الخلاف بين العلماء؟

إنما حصل الخلاف بين العلماء في التمائم التي ليس فيها إلا قرآن أو ذكر صحيح، أما التمائم التي ليس فيها شيء من القرآن، أو التي فيها شيء منه إلا أنه يُخلط بالأحرف والأرقام المجهولة، أو الأسماء المبهمة؛ فليس هو مما اختُلف في تحريمه.

وبعد هذا التحرير، نعرج إلى ما اختُلف فيه من التمائم بين العلماء:

اختلف العلماء في حكم التمائم من القرآن، ويلحق بها ما كان مشتملاً على دعائه سبحانه والتضرع إليه بأسمائه وصفاته، والخلاف فيه جار في أقوال السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم[1].

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ :: $اعلم أن العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم اختلفوا في جواز تعليق التمائم التي من القرآن وأسماء الله وصفاته، فقالت طائفة: يجوز ذلك، وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص وغيره، وهو ظاهر ما روي عن عائشة، وبه قال أبو جعفر الباقر[2] وأحمد في رواية...

وقالت طائفة: لا يجوز ذلك، وبه قال ابن مسعود، وابن عباس وهو ظاهر قول حذيفة، وعقبة ابن عامر، وابن عكيم ن، وبه قال جماعة من التابعين، منهم أصحاب ابن مسعود، وأحمد في رواية اختارها كثير من أصحابه، وجزم بها المتأخرون#[3].

والذي يظهر أن القول الراجح هو قول الطائفة الثانية القائلة بعدم الجواز؛ وذلك لوجوه:

أولاً: عموم النهي الوارد في تحريم التمائم ولم يأت ما يخصص

---

(1) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (42/12 رقم 23930 وما بعده -تحقيق محمد عوامة)، والسنن الكبرى (350/9-351)، وشرح السنة للبغوي (158/12)، و التمهيد (160/17-161)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام (64/19-65)، وزاد المعاد (356/4-357)، والآداب الشرعية (443/2-444، 68/3-69)، وفتح الباري (142/6)، وتيسير العزيز الحميد (ص 130)، ومعارج القبول (637/2-638)، وللا ستزادة: أحكام الرقى والتمائم (ص 243-253)، والتمائم في ميزان العقيدة للدكتور نافع العلياني (ص 43).

(2) هو: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو جعفر الباقر، ثقة فاضل، توفي سنة بضع عشرة ومائة. انظر: التقريب (رقم 6191).

(3) تيسير العزيز الحميد (ص 130).

هذا العموم[1]. والقاعدة الأصولية تقول: إن العام يبقى على عمومه حتى يرد دليل بالتخصيص[2].

وقد تقدم قريباً ذكر الأحاديث التي فيها النهي عن تعليق التمائم، فهي تدل بعمومها على منع التعليق مطلقاً، ولم يرد ما يخصص التمائم التي من القرآن أو غيره؛ فالواجب حملها على عمومها.

ثانياً: لو كان هذا العمل مشروعاً لبيّنه رسول الله ح لأمته؛ إذ البيان لا يؤخر عن وقت الحاجة، لا سيما وأن النبي ح قد كان يرقي ورُقي. والمتتبع للسنة يرى أن جميع الأحاديث الواردة في الأذكار والدعوات وردت بلفظ $من قال كذا#، أو $من قرأ كذا#، ولم يرد في حديث واحد -فيما أعلم- $من كتب كذا# أو $علق كذا#.

وفي ذلك قال ابن العربي :: $فإن تعلق قرآناً، فإنه وإن كان تقاة، لكنه ليس من طريق السنة، وإنما السنة فيه الذكر دون التعليق#[3].

$ولو أن ملكا ً أو أميرا ً كتب كتابا ً إلى من هو تحت ولايته: أن افعل كذا، واترك كذا، وأمر من في جهتك بكذا، وانههم عن كذا، ونحو ذلك، فأخذ ذلك الكتاب ولم يقرأه، ولم يتدبر أمره ونهيه، ولم يبلغه إلى غيره ممن أمر بتبليغه إليه، بل أخذه وعلقه في عنقه، أو عضده، ولم يلتفت إلى شيء مما فيه البتة؛ لعاقبه الملك على ذلك أشد ّ العقوبة ول َس َام َه سوء َ العذاب. فكيف بتن-زيل جبار السموات والأرض الذي له المثل الأعلى في السموات والأرض، وله الحمد في الأولى والآخرة، وإليه يرجع الأمر كله، فاعبده وتوكل عليه، هو حسبي لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم#[4].

ثالثاً: سد الذريعة؛ فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس كذلك. وهذا أمر عظيم في الشريعة، ومعلوم أننا إذا قلنا بجواز تعليق التمائم التي من الآيات القرآنية والدعوات النبوية؛ انفتح باب الشرك واشتبهت التميمة الجائزة بـ الممنوعة، بحيث يتعذر لعامة الناس التفريق بين ما جُعِل من القرآن وغيره، فيظن العوام جواز التعليق عموماً، وخاصة عندما يرون ذلك على من يعتقدون فيه الصلاح والعلم والتقوى، فليس بإمكان الجميع سؤالُ صاحبِه عما يحمله، فيتعذر التمييز بين هذا وذاك[5].

ومن جهة أخرى فإن هذا الباب سيستغله دعاة الضلال والخرافات، ولقد سبق بيان ذلك في المطلب الأول من أنواع التمائم المحرمة؛ حيث

---

(1) انظر: عارضة الأحوذي لابن العربي (222/8).
(2) روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة (672/2).
(3) عارضة الأحوذي (222/8).
(4) معارج القبول (639/2-640).
(5) انظر: معارج القبول (638/2-639)، ومجموع فتاوى الشيخ ابن باز (384/2).

خلطوا القرآن بغيره وقطعوه أحرفاً؛ فوجب سد الباب وقفل هذا الطريق المفضي إلى المحذور والشرك.

رابعاً: إن هذه التمائم تعرض القرآن للنجاسات والأماكن التي يجب أن ين-زه القرآن عنها، ومن علقها يتعذر عليه المحافظة على ذلك، خاصة عندما تعلق على الأطفال، فحاملها قد يدخل بها في أماكن قذرة، في حالة قضاء الحاجة أو الاستنجاء، وهي من الأمور التي تعم بها البلوى، فيكون الترك آمن.

عن النخعي : أنه كان يكره المعاذاة للصبيان، ويقول: $إنهم يدخلون به الخلاء#[1].

خامساً: إن ما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص م أنه كان يعلق التعويذات على الذين لا يدركون[2] لا يثبت؛ لأن في إسناده محمد بن إسحاق وهو مدلس وقد عنعن. قال الإمام أحمد :: $وهو كثير التدليس جداً#[3]، وقال الشيخ الألباني :: $لم يصح إسناده إلى ابن عمرو؛ لأن فيه محمد بن إسحاق وهو مدلس وقد عنعن فلا يجوز الاحتجاج به على جواز تعليق التمائم من القرآن لعدم ثبوت ذلك عن ابن عمرو...# [4].

أما أثر عائشة ك[5] ففي ثبوته عنها أيضاً نظر؛ وذلك لعدم ثبوت سماع بكير بن عبد الله عن القاسم بن محمد، ولم أر الحافظ المزي : ذكر بكيراً من تلاميذ القاسم، ولا القاسم في شيوخ بكير[6]، والله أعلم.

ثم على فرض صحة هذه الآثار عنهم فإن أقل ما يقال عنها: إن أقوال الصحابة إذا اختلفت فيصار إلى أقربها إلى الدليل، والذي يظهر عند النظر في الأدلة هو: رجحان القول بالمنع مطلقاً، والله تعالى أعلم.

تنبيه: ومع هذا الترجيح لابد من التنبيه على مسألة مهمة وهي: **هل تعليق التميمة التي هي من القرآن أو جزء منه شرك، وهل يدخل في عموم** قول رسول الله ح: $إن الرقى والتمائم والتولة شرك#[7] أم لا؟

الجواب: $من تعلق القرآن أو شيئا ً منه كان داخلا ً في النهي،

(1) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (16/8 رقم 23823).
(2) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (32/8 رقم 23894) وغيره.
(3) ميزان الاعتدال (470/3).
(4) الكلم الطيب (ص 84 -حاشية).
(5) رواه الحاكم في المستدرك (418/4) وصحح إسناده، والبيهقي في السنن الكبرى (350/9)، وابن عبد البر في التمهيد (163/17) من طريق بكير بن الأشج عن القاسم بن محمد عن عائشة ك أنها قالت: $التمائم ما علق قبل نزول البلاء، وما علق بعده فليس بتميمة#.
(6) انظر: تهذيب الكمال (242/4-244 رقم 765 و428/23-430 رقم 4819).
(7) سبق تخريجه (ص 594).

لكن إذا كان المعلق من القرآن فلا يكون مشركا ً؛ لأنه علق شيئا ً من صفات الله جل وعلا وهو كلام الله جل وعلا، فلا يكون قد أشرك مخلوقا ً؛ لأن الشرك معناه: أن تشرك مخلوقا ً مع الله جل وعلا، والقرآن ليس بمخلوق؛ بل هو كلام الله الباري جل وعلا، منه بدأ، وإليه يعود#[1].

يقول الحافظ ابن حجر : وهو يتحدث عن علة شركية لبس التمائم: $وإنما كان ذلك من الشرك لأنهم أرادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله، ولا يدخل في ذلك ما كان بأسماء الله وكلامه...#[2]، أي لا يكون ذلك شركاً[3].

الشبهة الثانية:

يقول بعضهم: إن تعليق التمائم من فعل الأسباب، وفعل الأسباب مشروع في الإسلام.

الجواب أن يقال: إن للأخذ بالأسباب شروطاً، قد فصلها العلماء بناءً على النصوص الشرعية، ويمكن إيجازها فيما يلي[4]:

الشرط الأول: أن يكون السبب مما ثبت أنه سبب شرعاً أو قدراً؛ لأن هناك من الأسباب ما هو محرم، وكل سبب لم يأذن به الله ولا رسوله ح فهو باطل، كما هو الشأن في التمائم؛ فإن الشرع قد جاء بتحريمها -كما سبق ذكر الأدلة على ذلك-.

فالتمائم وإن كانت سبباً إلا أنها سبب غير مشروع، بل قد جعله الإسلا م من الشرك؛ $لما في هذا التعليق من اللجوء إلى غير الله في جلب الخير ودفع الضر، بما لم يجعله الله سبباً لذلك#[5].

(1) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص 115).
(2) فتح الباري (196/10).
(3) ولكن لا يعني أيضاً أن ذلك جائز -كما رآه الحافظ :-؛ لأوجه مرت ذكرها في الأ على. فالحكم على فعلٍ ما بكونه منهياً عنه شيء والحكم عليه بكونه شركاً شيء آخر، فليُتنَبّه.
(4) أحكام الرقى والتمائم (ص 13-17) بتصرف واختصار وإضافات.
(5) الشرك ومظاهره (ص 254).

يقول المناوي :: $من علق تميمة من تمائم الجاهلية يظن أنها تدفع أو تنفع؛ فإن ذلك حرام، والحرام لا دواء فيه، وكذا لو جهل معناها، وإن تجرّد عن الاعتقاد المذكور#[1].

وأما كون السبب قدراً -بأن يعرف أن هذا من الأسباب المعهودة التي يحصل بها المقصود- كالأدوية المجربة النافعة المعروف منفعتها، وكحصول الشبع عند الأكل والري عند الشرب[2].

ولابد من تقييد التجربة المذكورة بقيدين[3]: الأول: كون السبب مباشراً للمسبّب وبينهما اتصال؛ كذهاب العطش بشرب الماء. الثاني: أن يكون تأثير السبب في المسبّب ظاهراً لا أمراً خفياً، وهذا الظهور قد يكون عاماً لكل من اطلع عليه، وقد يكون خاصاً بأهل الصنعة. فمثلا ً: تأثير المطرقة فيما تطرق عليه ظاهر لكل أحد، أما تأثير بعض الأجهزة اللاسلكية في فتح باب أو إغلاقه فظهوره خاص بأهل الصنعة.

وفائدة هذين القيدين: أنهما يردان تلاعبَ الشياطين والكهان ونحوهما ببني آدم. ولعل هذا يتضح بمثالين[4]:

الأول: أن هناك طائفة من الناس خرجت حديثاً تزعم أنها بكلمات معينة تقولها تستطيع فتحَ باب مغلق وهكذا، ولما كُلِموا قالوا: إن هذه الكلمات سبب ثبت عندنا بالتجربة. ولا شك أن فعلهم هذا نوع من السحر؛ لأ ن هذا السبب ليس ظاهراً لأهل صنعة معينة.

المثال الثاني: أن طائفة من القراء على المرضى صاروا يتخذون جلودَ الذئاب سبباً لطرد الشياطين من الإنس، وهم يزعمون أن هذا ثبت بالتجربة، ولا شك أن فعلهم هذا خطأ؛ لأن تأثير هذه الجلود في إخراج الشياطين من الإنس ليس ظاهراً مباشراً، فمِن ثمّ قد تكون خديعة الشياطين، حتى يوجد من الناس من يتخذها تمائم يعلقها على الصدور وغير ذلك، وللأسف قد وُجد.

فـ$إثبات الأسباب المؤثرة وكون الشيء سببا ً، لا يجوز إلا من جهة الشرع؛ فلا يجوز إثبات سبب إلا أن يكون سببا ً شرعيا ً، أو أن يكون سببا ً قد ثبت بالتجربة الواقعة أنه يؤثر أثرا ً ظاهرا ً لا خفيا ً. فمن لبِ ِس حلقة أو خيطا ً أو نحوهما لرفع البلاء أو دفعه؛ فإنه يكون بذلك قد اتخذ سببا ً ليس مأذونا ً به شرعا ً، وكذلك من جهة التجربة: لا يحصل له ذلك على وجه الظهور، وإنما هو مجرد اعتقاد من الم ُلابِ ِس لذلك الشيء فيه، فقد يوافق القدر، فيُشفى مِن حِين لبسه أو بعد لبسه، أو

(1) فيض القدير (107/6).
(2) انظر: التوضيح عن توحيد الخلاق (ص 169-170)، والقول السديد (ص 106).
(3) ذكرهما العلامة ابن عثيمين في القول المفيد (165/1).
(4) قواعد ومسائل في توحيد الإلهية (ص 131).

يدفع عنه أشياء يعتقد أنها ستأتيه، فيبقى قلبه معلقا ً بذلك الملبوس، ويظن بل يعتقد أنه سبب من الأسباب، وهذا باطل#[1].

الشرط الثاني: الاعتماد على مسبب هذه الأسباب في نجاح الأخذ بالأ سباب؛ لأن الله تعالى قد أخبرنا في كتابه العزيز أنه المالك للنفع والضر، الجالب للخير الدافع للشر، ومن اعتقد في شيء من الأشياء أن فيها تلك الخاصية؛ فقد أشرك. قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ يونس: ١٠٧.

يقول الإمام ابن كثير :: في هذه الآية بيان $أن الخير والشر والنفع و الضر إنما هو راجع إلى الله تعالى وحده لا يشاركه في ذلك أحد، فهو الذي يستحق العبادة وحده، لا شريك له#[2].

وكم من معلق للتمائم يعتقد أنها تضر وتنفع من دون الله، وفي هذا يقول الخطابي : عند كلامه عن المكروه الممنوع من الرقى: $قد يحتمل أن يكون الذي كره من الرقية ما كان منها على مذهب التمائم التي كانوا يتعلقونها والعُوذ التي كان أهل الجاهلية يتعاطونها، يزعمون أنها ترفع عنهم الآفات، ويرون معظم السبب في ذلك من قبل الجن ومعونتهم، وهذا النوع من الرقى محظور على أهل الدين، محرم عليهم التصديق بها والا عتقاد لشيء منها#[3].

فجعل : الكلام عن الرقى مربوطاً بالتمائم كما ترى، مبيّناً أن القوم كانوا يعتقدون أن الضر والنفع موكول إلى تلك الرقى والتمائم؛ لما أن فيها ذكر من دعوهم من دون الله تعالى، من الجن الذين كانوا يعوذون بهم، كما أخبر الله بذلك في قوله: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ الجن: ٦.

ومما ذكره الحافظ ابن حجر : في سبب وصف الرقى والتمائم بالشرك، أن القوم $أرادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله#[4].

فائدة[5]: مما يدل على تخلف المسبب عنه مع قيام السبب: ما عُلِم من أن السحر سبب لألم الفؤاد والبغضاء والفرقة بين الزوجين، ومع ذلك قال الله لأ: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ البقرة: ١٠٢.

وكتخلف إحراق النار عن إبراهيم ؛ حين ألقي فيها، قال تعالى: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ الأنبياء: ٦٩.

ومن الحكمة في تخلف المسبب عنه مع قيام السبب:

(1) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص 93).
(2) تفسير ابن كثير (300/4).
(3) أعلام الحديث (2117/2).
(4) فتح الباري (196/10).
(5) أحكام الرقى والتمائم (ص 15).

1. عدم الاعتماد على الأسباب فتلتفت القلوب عن الله فتتعلق بهذا السبب.
2. علم كمال قدرة الله، وأن له التصرف المطلق وحده لا شريك له.

الشرط الثالث: أن يعلم أنه مهما عظمت وقويت تلك الأسباب، فإنها مرتبطة بقدر الله تعالى لا خروج لها عنه؛ فلا يعتمد عليها.

عن ابن عباس م قال: $كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ح يَوْمًا فَقَالَ: يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنّ الْأُمّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفّتْ الصُّحُفُ#[1].

فهذا الحديث يدل على أنه مهما عُمِل لك من الأسباب سواء في جلب نفع أو دفع ضر، ولو اجتمعت الأمة على ذلك، ما دام أن الله لم يكتب ذلك عليك؛ فلن ينفعوك أو يضروك، وهذا الحديث أيضاً يدل على أن الأسباب قد تتخلف عن مسبباتها ما دام أن الله لم يكتب ذلك.

أما أهل التمائم فيريدون أن يدفعوا مقادير الله بهذه التمائم، وهذا عين الشرك. يقول ابن الأثير : عند كلامه عن حديث ابن مسعود ط المرفوع: $إِنّ الرُّقَى وَالتّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ#[2]: **$وإنما جعلها شركاً؛ لأنهم أرادوا دفع المقادير المكتوبة عليهم، فطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه#**[3].

كان العرب يعتقدون أن من تعلّق شيئا ً من الحلقة والخيط، ونحوهما؛ كالتمائم، وغيرها أن له أثراً فيه ونفعاً، إما من جهة دفع البلاء قبل وقوعه، وإما من جهة رفع البلاء أو المرض بعد وقوعه؛ فمنهم من يعلّق الحلـ ـقَ، والخيوط، ونحوهما قبل وقوع البلاء لدفعه، ولا شك أن هذا أعظم إثما ً وذنبا ً من الذي يعلّق هذه الأشياء لرفع البلاء بعد حصوله؛ لأنه يعتقد أن هذه الأشياء الخسيسة الوضيعة تدفع قدر َ الله لأ، وهذا هو الصنف الأول، وأما الصنف الثاني: فهم الذين يلبسون تلك الأشياء، ويعلّقونها لرفع البلاء بعد حصوله، كمن مرض فلبس خيطا ً، ليرفع ذلك المرض، أو أصابته عين فلبس الخيط ليرفع تلك العين، وهكذا في أصناف شتى، من أحوال الناس في ذلك[4]، والكل مذموم شرعاً.

الشبهة الثالثة:

---

(1) مضى تخريجه في (ص 319).
(2) سبق تخريجه في (ص 594).
(3) النهاية في غريب الحديث (198/1).
(4) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص 92-93).

استشهاد أحدهم[1] بقول ابن حجر الهيتمي : في تبريره لعلم الأوفاق -الذي هو من أهم ركائز القوم في صناعة التمائم-: **$**إن علم الأوفاق يرجع إلى مناسبات الأعداد وجعلها على شكل مخصوص، وهذا كأن يكون بشكل من تسع بيوت مبلغ العدد من كل جهة خمسة عشر، وهو ينفع للحوائج، وإخراج المسجون، ووضع الجنين، وكل ما هو من هذا المعنى. وضابطه: بطد زهج واح، وكان الغزالي : يعتني به كثيراً حتى نسب إليه، **ولا محذور فيه إن استعمل لمباح، بخلاف ما إذا استعين به على حرام**، وعليه يحمل جعل القرافي الأوفاق من السحر#[2].

الجواب[3]:

علم الأوفاق هو: علم يتوصل به إلى توفيق الأعداد والحروف، واستوائها في الأقطار والأضلاع، وعدم التكرار[4].

والأوفاق هي أشكال هندسية مختلفة، مقسمة إلى مربعات صغيرة متساوية، بخطوط مستقيمة متقابلة، أو قد تكون شكلا ً هندسياً بداخل أشكال هندسية أخرى[5].

وأصل الأوفاق الحروف، ثم من بعدها الأعداد، فإن لكل حرف عندهم عدداً يقابله، ولكل منهما خاصية تناسبه ليست لغيرهما[6].

وهذا العلم علم حادث بعد صدر الأمة من الصحابة والتابعين وأتباعهم ، يقول العلامة ابن خلدون : في حديثه عن هذا العلم: **$حدث هذا العلم في الملة بعد صدر منها، وعند ظهور الغلاة من المتصوفة**، وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس، وظهور الخوارق على أيديهم والتصرفات

(1) كما في: Pemburu Hantu dalam Tinjauan Syari'at (الصيّادون لمردة الجن، في منظار الشريعة) (ص 115-116).
(2) الفتاوى الحديثية (ص 12).
(3) هذا الجواب مستفاد من $آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية# (ص 177-179)، والقبورية نشأتها، آثارها، موقف العلماء منها (ص 423-426) بنوع من التصرف.
(4) انظر: الفروق للقرافي (248/4)، وللاستزادة: موقف الإسلام من السحر لحياة با أخضر (274/1).
(5) انظر: المراجع السابقة.
(6) انظر: شمس المعارف الكبرى للبوني (ص 350) نقلا ً عن آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية (ص 178).

في عالم العناصر، وتدوين الكتب والاصطلاحات ... وهو من تفاريع علم السيمياء[1]#[2].

وممن صرح بأن هذا العلم من السحر العلامةُ الصنعاني : حيث قال -بعد أن نقل إحدى تعريفات هذا العلم-: $هذا شأن الأسحار والابتداع، لا شأن الطريقة النبوية والاتباع، ومعلوم أنها طريقة سحرية؛ إذ المطلوب بها أمور دنيوية محضة من جاه عند العباد، وجلب رزق من أيديهم، وإلقاء المهابة في قلوبهم وغير ذلك، ولا يتم إلا بالرواتب بألفاظ غير مأثورة بل غير لغوية، فإن مِن ألفاظ الرواتب ما ذكر البوني في $اللمعة النورانية# في دعوات الثلث الأخير من ليلة الثلاثاء أن تقول: $هو هو هو هو ولا لا لا لا أو آه آه آه آه آه أو ها ها ها ها ها#.

وكل دعاء فيها، فإنه يلاحَظ فيه أحوال الكوكب التي ساعة النداء ساعته، وكل ذلك الدعاء خطاب للنجوم، وإن رأيت فيه ألفاظاً من أسماء الله فليس المراد به الرب تعالى، وإنما هو على طريقة الذين يدعونهم الحكماء -وهم المشركون عباد الأفلاك- فإنه قال البوني في $لمعته# في سياق ساعة عطارد: وهي الثالثة من يوم الأحد، ثم ذكر خاتم عطارد وأنه عند الحكماء وأن شكله على هذه الصورة ومعدنه الزئبق، وحجاره الزمرُد الأخضر، وبخوره العنبر، ومداده اللازورد. انتهى.

وله في كل كوكب من السبعة مثل هذا خاتم وشكل، وبخور ومداد، وكل مؤمن يعلم يقيناً أن هذا ليس من الشرع المحمدي، وأنه من طرق الكهانة والسحر والخطاب للكوكب وأنه الفعال، فإذا لم يكن هذا من المحرمات، فأي شيء الحرام؟!#[3].

ومما يؤكد أن علم الحروف والأوفاق من السحر ما جاء في كتاب $سر العالمين# المنسوب لأبي حامد الغزالي : حيث قال: $أما السحر فهو عمل وكلام قد تداولوه بينهم في أوقات معلومة وطوالع معروفة وطلسمات مضروبة، فإذا أردت أن تولد طلسماً يصلح لما تريد، فخذ من كل ثلاثة أحرف حرفاً، فإذا اجتمعت لك في التأليف ثلاثة أحرف من تسعة فهو طلسم يصلح لما تريد، فانظر في الإسطرلاب عند ساعة التأليف، فهو يصلح لما دلت

(1) السِّيْمِيَاء: هي لفظ عبري، أصله: شيم يه، معناه: اسم الله، وقيل يطلق على غير الحقيقي من السحر، وحاصله: إحداث مثالات خيالية لا وجود لها في الحس. و السيمياء: عبارة عما تركب من خواص أرضية، كدهن خاص، أو كلمات خاصة توجب إدراك الحواس الخمس، أو بعضها بما له وجود حقيقي، أو بما هو تخييل صرف. انظر: المعجم الوسيط (ص 469)، حاشية ابن عابدين (45/1)، وأضواء البيان (564/4-565).
(2) مقدمة ابن خلدون (ص 430).
(3) رسالة شريفة فيما يتعلق بالأعداد والحروف والأوفاق وكم بقي من عمر الدنيا (ص 22-23).

عليه الدقيقة من الساعة.

ومثال: أ ب ت ث فتأخذ الجيم، والثاء أليق عوضاً عن الجيم، ج ح خ خذ الصاد، ص ط ظ خذ العين، فيصير عقرباً[1]، لتدوير الحروف، فضع صورتها على خاتم والقمر في العقرب تكف خاصيتها عنك أذى النساء، ترمي الخاتم في الماء فينفع سقياه الملسوع. وتلقي به سوءاً بين من أردت، وترش من مائه على سطح المبغض أو طريقة أو داره فإنه يستضر من سنة...

$ذ ِك ْر كلمات تفرق بها بين جماعة فاسدة تخافهم#: تأخذ أفراداً من شعير حزام، وتقول عليه أربع مرات: $هاطاش ماطاش هطاشنة، وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة#، وترميه من حيث لا يشعرون، وتنظر ما يصنع الله ... وكثير مثل هذا، وقد حصرناها وشرحناها في كتاب $عين الحياة#، وهو صغير الحجم كثير الفوائد#.

ومما قال: $واعلم أن هذه الصناعة $صناعة الإكسير# هي صناعة ربانية لا يقدر عليها إلا الأبدال والرجال والأبطال، الذين كشف الله الرين عن عيون قلوبهم، وهذه لا تصح إلا للطائع ... ونحن نذكر خواصاً دالة مظهرة لبدائعها وصناعتها مذكورة في كتاب $عين الحياة#[2].

وللتأكد أكثر لنأخذ هذه الشذرة من عقد $شمس المعارف الكبرى# عمدةِ القوم الذي يروونه بالسند، ويجيزون فيه أكابر مريديهم، قال: $باب رياضة $قل أوحي# المشهورة:

اعلم أيها الأخ إذا أردت ذلك، صم ثلاثة أيام أولها الثلاثاء ثم الأربعاء و الخميس، وهو صيامك عن غير ذي روح، وأنت تبخر بحصا لبان وجاوي ليلا ً ونهاراً، وأنت تقرأ السورة الشريفة في مدة ثلاثة أيام ألف مرة في تلك المدة المذكورة ... واجتهد أن يكون ختمك من قراءتها ليلة الجمعة الثلث الأ وسط من الليل، فإنه يحضر لك خادمها، وهو رجل قصير طويل اليدين، فيجلس قدامك، ويقول لك: السلام عليك، فثبت جنانك، فإن عليه هيبة عظيمة ... والعزيمة والدعوة هي السورة الشريفة بتمامها وكذا البخور.

واعلم أيها الواصل أنها من الأسرار المختصة، وأنها من كتب الأنبياء وا لأولياء وأسرارهم، وهي هذه، تقول: بسم الله الرحمن الرحيم ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ [الجن:1]، اللهم إني أسألك يا من-زل الوحي من فوق سماوات ... ﭽ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﭼ [الجن:27] ﭽ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﭼ [الجن:28]، اللهم إني أسألك بحق المساجد لله وبحق عبادك الصالحين ... يا خدام هذه الدعوة الروحانيين ... أقسمت عليكم بهذه الدعوة والأسماء والسورة بحق أرقوش،

(1) "جصع" أو "تصع" لها شكل العقرب إذا قلبت إلى الأعلى.

(2) سر العالمين (2/65-66، 68)، بواسطة $الكشف عن حقيقة الصوفية# (ص 859-863).

كلهوش، بططهوش، كمطهلوش، بهوش، قانوش، أقسمت عليك يا روقيائيل الملك الموكل بفلك الشمس#(1).

هذه هي حقيقة علم الحروف والأوفاق، ويدخل فيها التسخير.

يظهر مما مثّل به لهذه العلوم أن فيها استعانة بالشياطين ووضع آيات الله في غير مواضعها، والإضرار بعقيدة الساحر وعقيدة من يأتيه ومن يتعامل معه، وحتى أختصر الطريق أقول: لقد نقلت في مبحث السحر كلامَ نخبة من العلماء الذين يقررون حكم تعاطي السحر، وينقلون الإجماع على تحريم تعلم السحر والعمل به وإتيان السحرة. فأنقل هنا ما يُثبِت أن علم الأ وفاق نوع من أنواع السحر.

يقول الإمام الذهبي :: $الكبيرة الثالثة: السحر؛ لأن الساحر لا بد وأن يكفر. قال الله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ [البقرة: ١٠٢]، وما للشيطان الملعون غرض في تعليمه الإنسان السحر إلا ليشرك به. قال الله تعالى -مخبراً عن هاروت وماروت-: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ [البقرة: ١٠٢]، أي من نصيب. فترى خلقاً كثيراً من الضلال يدخلون في السحر ويظنونه حراماً فقط، وما يشعرون أنه الكفر، **فيدخلون في تعليم السيمياء وعملها وهي محض السحر**، وفي عقد الرجل عن زوجته وهو سحر، وفي محبة الرجل للمرأة وبغضها له وأشباه ذلك، بكلمات مجهولة أكثرها شرك وضلال #(2).

وفي هذا الكلام تنصيص من هذا الإمام أن السيمياء من السحر الذي قد عُلِم حكمه، وعلم الأوفاق ضرب من ضروب السيمياء كما سبق بيان ذلك قريباً من كلام العلامة ابن خلدون :، فبالتالي فعلم الأوفاق نوع من أنواع السحر.

بناء على ما سبق؛ فإن قول ابن حجر الهيتمي : بجواز ما استعمل منه لغرض مباح دون ما استعمل لغرض محرم؛ مردود بكونه حراماً مطلقاً، سواء استعمل في غرض مباح أو غرض محرم؛ إذ هو مبني على السحر الشعوذة و الخرافة.

وكتابة الحروف والأعداد على الأوفاق لم يجعلها الله سبباً للشفاء وحصول المنافع، لا شرعاً ولا قدراً، وكون الانتفاع بها قد يحصل أحياناً لا يقضي بجوازها؛ إذ قد يقع ذلك مصادفة واتفاقاً، أو استدراجاً وفتنة من الشياطين.

فإن لأولياء الشياطين بعض الخوارق التي تحصل على أيديهم، وهي

---

(1) شمس المعارف (ص 122-124)، بواسطة $الكشف عن حقيقة الصوفية# (ص 863).

(2) كتاب الكبائر (ص 45).

من باب الاستدراج لا من باب الكرامة، لأن الكرامة لا تكون إلا لمن كان مطيعاً لله ورسوله ح[1]. واتخاذ التمائم واستعمال الأوفاق مضاد لطاعة الله ورسوله ح...

الشبهة الرابعة:

استدلال أحد الكتاب لتبرير التمائم بالقصة المزعومة عن نبي الله سليمان ؛ مع خاتمه، وقصة نبي الله موسى ؛ مع عصاه، ووجه الاستدلال من هاتين القصتين -بزعمه-: أن الخاتم والعصا من الجمادات التي ألقى الله فيها قوة، فاستخدمهما سليمان وموسى إ ولا يعد ذلك شركاً إذ هما مجرد وسيلة؛ فكذلك التمائم فإنها مجرد وسيلة، وهي من الجمادات التي ألقى الله فيها قوة، فلا يعد تعليقها شركاً[2].

الجواب على هذه الشبهة من وجوه:

أولا ً: بيان بطلان القصة المنسوبة لنبي الله سليمان ؛[3]:

وردت هذه القصة الإسرائيلية الغريبة في بعض كتب التفسير، عند تفسير قول الله تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ ص: ٣٤، والقصة طويلة، هذا إجمالها:

$أن سليمان ؛ تزوج بامرأة هواها وكانت تعبد صنماً في داره من غير علمه، وكان ملكه في خاتمه، فن-زعه مرة عند إرادة الخلاء ووضعه عند امرأته المسماة بالأمينة على عادته، فجاءها جني في صورة سليمان فأخذه منها، وجلس على كرسي سليمان، وطرده من ملكه، وتسلط على نسائه في الحيض، واستمر على ذلك حتى وجد سليمان الخاتم في بطن السمكة التي أعطاها له من كان يعمل عنده بأجر# إلى آخر القصة[4].

هذه القصة باطلة مردودة من ناحية الرواية والدراية، وطعنها في عصمة النبوة يلزم منها اعتقاد الأمور التالية:

1. تمثيل الشيطان بنبي من أنبياء الله لإ.
2. تسليطه على نساء رسول من رسل الله تعالى.
3. كون ملك سليمان ؛ ونبوته متوقفين على خاتم، يدومان بدوامه

---

(1) انظر مبحث المحبة (ص 170-172) في الفرق بين كرامات الأولياء والخوارق الشيطانية.

(2) انظر: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 387، تاريخ 20 ديسمبر 2005 - 4 يناير 2006 (ص 61-62).

(3) مستفاد من $أسباب الخطأ في التفسير# (182-185/1)، وموسوعة الإ سرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لمحمد أحمد عيسى (760-769/2).

(4) انظرها بألفاظها المتنوعة وسياقاتها المتعددة في: تفسير الطبري (88-92/20)، وتفسير ابن أبي حاتم (3241-3243/10)، وتفسير البغوي (90-94/7)، والدر المنثور (570-583/12)، وتفسير الجلالين (ص 455-456).

ويزولان بزواله، يشبه الطلاسم الخيالية، والأساطير الوهمية.

4. تغيير خلقة سليمان ؛.
5. تسليم عبادة الصنم في بيت نبي الله سليمان ؛.

وقد نص على بطلان القصة السالفة الذكر وذكر أنها من الإسرائيليات أئمةُ التفسير وغيرهم؛ كالقاضي عياض[1]، وابن الجوزي[2]، وأبي عبد الله القرطبي[3]، والنسفي[4]، وأبي حيان[5]، وابن كثير[6]، والإيجي[7]، وأبي الثناء الآلوسي[8]، وغيرهم[9] رحمة الله على الجميع.

وورد تفسير نبوي صحيح في تفسير الفتنة المذكورة في الآية؛ فعن أبي هريرة ط قال: قال رسول الله ح: $قَالَ سُلَيْمَانُ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى تِسْعِينَ امْرَأَةً كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: قُلْ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَطَافَ عَلَيْهِنَّ جَمِيعًا فَلَمْ يَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ، وَايْمُ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ قَالَ إِنْ شَاءَ اللهُ لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ#[10].

وإذا تبين لنا بطلان القصة المزعومة؛ انهار بنيان استدلال المخالف بها.

ثانياً: الجواب عن استدلال المخالف بقصة نبي الله موسى ؛ مع عصاه:

إن استعمال نبي الله موسى ؛ للعصا كان بأمر من الله تعالى ووحي منه، كما هو ظاهر في قوله سبحانه: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ الشعراء: ٦٣، فهل سيقول هؤلاء المتعلقون بالتمائم أن الله قد أمرهم بتعليقها؟ إن أجابوا بنعم؛ فقد كذّبوا النصوص الشرعية الصريحة في النهي عن اتخاذ التمائم، وإن أجابوا بلا؛ بطل قياسهم للتمائم على عصا موسى ؛؛ لأنه أصبح حينئذ قياساً فاسداً، إذ هو قياس مع الفارق.

---

(1) انظر: الشفا (167/2).
(2) انظر: زاد المسير (133/7).
(3) انظر: تفسير القرطبي (22/18).
(4) انظر: تفسير النسفي (156/3).
(5) انظر: تفسير البحر المحيط (527/7).
(6) انظر: تفسير ابن كثير (68/7)، والبداية والنهاية (341-340/2).
(7) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن (ص 812).
(8) انظر: روح المعاني (199/23).
(9) مثل: الزمخشري كما في الكشاف (91-90/4)، والرازي كما في تفسيره (207/26)، والسيوطي كما في مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا (ص 228 رقم 1244)، والشنقيطي كما في أضواء البيان (101/4 و37/7)، وأبو شهبة كما في الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (ص 272).
(10) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ح (524/11 رقم 6639)، ومسلم في صحيحه، كتاب الأيمان، باب الاستثناء (1276/3 رقم 1654).

ثالثاً: قول المخالف بأن القوة الموجودة في التمائم إنما هي من الله فلا مانع من الاستفادة منها؛ محض افتراء على الله؛ لأن تلك التمائم لا قوة فيها، وإنما هي أمور وهمية يعتقدونها، ولو قلنا أن لها قوة فإن تلك القوة من الشياطين التي يعبدها صانعوا تلك التمائم وأربابُها.

ولا يصلح أن يقال أن مصدر تلك القوة من الله تعالى إلا على الوجه القدري لا الشرعي؛ وذلك لأن الله قد نهى عباده عن التعلق بتلك التمائم، فهي مبغوضة شرعاً، وقد تحصل قدراً.

ألا ترى أن الله تعالى قد أبغض السحر وحرّمه على عباده في آيات كثيرة[1]، ومع ذلك شاء سبحانه أن يقع السحر على أفضل عباده نبينا ح[2] لحكمة يعلمها؟

فإرادة الله تعالى الكونية لا تستلزم رضاه ومحبته، وهذا قول عامة أهل السنة المثبتين للقدر، وقد دل على ذلك نصوص شرعية كثيرة، منها:

قوله تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ الأنعام: ٣٩.

وقوله: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ البقرة: ٢٠٥.

فالآية الأولى تدل على أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، والآية الثانية تدل على أن

(1) سبق ذكر بعضها في (ص 744-745).
(2) مضى ذكر القصة وتخريجها في (ص 761-762).

هناك أشياء يكرهها الله ولا يحبها ولا يرضاها، فدل على افتراق المشيئة عن المحبة[1].

رابعاً: أن قول المخالف يعد من معارضة النصوص الشرعية بالآراء العقلية؛ وذلك لأن الأدلة من الكتاب والسنة صريحة في تحريم التمائم بل يدل بعضها على الحكم بشركها، فكيف يعرض هذا المخالف عن تلك النصوص الواضحة الساطعة ويتعلق بحجج عقلية واهية؟

يقول الإمام الشافعي :: $أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله ح لم يكن له أن يدعها لقول أحد#[2]. وصح عنه : أنه قال: $إذا رويت عن رسول الله ح حديثاً ولم آخذ به فاعلموا أن عقلي قد ذهب#[3].

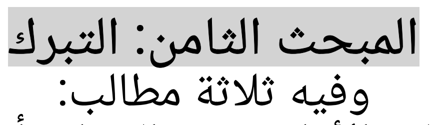
ويقول الإمام الشاطبي : بعد أن نقل آثاراً عن السلف في هذا الموضوع: $فالحاصل من مجموع ما تقدم أن الصحابة ن ومن بعدهم لم يعارضوا ما جاء في السنن بآرائهم، علموا معناه أو جهلوه، جرى لهم على معقولهم أو لا، وهو المطلوب من نقله، وليعتبر فيه من قدم الناقص -وهو العقل- على الكامل -وهو الشرع-#[4].

ألا يخشى هؤلاء أن تصيبهم فتنة أو عذاب أليم؟؛ ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ النور: ٦٣.

فلندع التمائم وما في معناها، ولنقوّ إيمانا بربنا وتوكلنا عليه، قال تعالى: ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ التوبة: ٥١.

والله الموفق إلى أقوم السبيل ...

(1) انظر: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، للدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود (ص 295-296).
(2) إيقاظ الهمم للفلاني (ص 261)، وإعلام الموقعين (40/4)، وانظر بنحوه: الرسالة (ص 425).
(3) إعلام الموقعين (40/4)، ومفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي (ص 65)، ومناقب الشافعي (474/1).
(4) الاعتصام (427/3-428).



المبحث الثامن: التبرك

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى التبرك وأنواعه

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في التبرك

المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

المطلب الأول: معنى التبرك وأنواعه

- **معنى التبرك لغة وشرعاً:**

أصل الكلمة: التبرُّك مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ هو $بَرَكَ#[1].

تصريفها: التبرك على وزن $تفَعُّل#، وهو مصدر قياسي للفعل الثلاثي المزيد $تبرّك-يَتَبَرّك#. وأصله من $بَرَكَ-يَبْرُكُ-بُرُوكاً# مزيد بحرفين؛ التاء في أوله، وتشديد الباء. والبَرَكَة هي اسم من $بارك# الرباعي[2].

معناها لغة: من معاني مادة برك في معاجم اللغة:

1. البَرَكَة: النماء والزيادة، والكثْرَة في كل خير.
2. البِرْكَة: الحوض، وسميت بذلك لإقامة الماء فيها.
3. التبرُّك: التيمّن، تبرّكت بالشيء: تيمّنت به.
4. التبريك: الدعاء للإنسان بالبركة[3].

ويتعلق بمبحثنا الشرعي من هذه المعاني: الأول: البركة، وهي كما مرّ النماء والزيادة، والثاني: البِرْكة وذلك لثبات الماء فيها واستقراره، والثالث: التبرّك، وهو تفَعُّل كما سبق، ويأتي التفعُّل بمعنى $استَفْعَل# التي بمعنى الطلب. وعلى هذا، فمعنى التبرك بالشيء هو: طلب البركة، والنماء، والخير، والسعادة، والزيادة والثبوت، بواسطة ذلك الشيء[4].

بناء على ذلك، فلابد من الكلام على البركة؛ حتى يتضحَ لنا معنى التبرك بجلاء.

معنى البركة شرعاً:

لقد كانت تعريفات العلماء للفظ البركة متقاربة في المعنى، فمن تلك التعريفات ما يلي:

ما ذكره الإمام ابن جرير الطبري : لما فسر قوله تعالى: ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ الأعراف: ١٣٧، حيث قال: $أي: التي جعلنا فيها الخيرَ ثابتاً دائماً لأهلها#[5]. كأنه : قد عرّف البركة بثبوت الخير ودوامه.

قال أبو عبد الله القرطبي :: $البركة: كثرة الخير#[6].

---

(1) انظر: مقاييس اللغة (227/1).
(2) انظر تصريف الكلمة في: تصريف الأسماء (ص 52، 66)، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف (ص 16)، ومعجم تصريف الأفعال العربية (ص 287).
(3) انظر معاني الكلمة في: الصحاح (1574/4-1575)، والنهاية في غريب الحديث (120/1)، ولسان العرب (386/1-390)، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف (ص 16).
(4) انظر: جهود علماء الحنفية (1571/3 -الحاشية).
(5) تفسير الطبري (404/10).
(6) تفسير القرطبي (209/5).

وقال الراغب الأصفهاني :: $البركة: ثبوت الخير الإلهي في الشيء#[1].

وقال ابن القيم :: $وحقيقة اللفظة: أن البركة كثرة الخير ودوامه، ولا أحد أحق بذلك وصفاً وفعلا ً منه تبارك وتعالى، وتفسير السلف يدور على هذين المعنين، وهما متلازمان#[2].

وتعريف الرازي[3] والشيخ محمد العثيمين[4] رحمهما الله قريب من تعريف ابن القيم السابق.

يظهر مما سبق ذكره من التعريفات، أن البركة في الشرع لا تخرج عن معنين -وكلاهما مشتق من المعنى اللغوي-:

الأول: ثبوت الخير ودوامه.

الثاني: كثرة الخير وزيادته.

معنى التبرك شرعاً:

عرفه الإمام ابن القيم : بقوله: $التبرك: استدعاء البركة واستجلا بها#[5].

وقيل: $هو: طلب البركة ورجاؤها واعتقادها#[6].

وعرّفه بعضهم بقوله: $هو طلب البركة؛ من الزيادة في الخير والأجر، وكل ما يحتاجه العبد في دينه ودنياه، بسبب ذات مباركة، أو زمن مبارك، على أن تكون هذه البركة قد ثبتت لذلك السبب ثبوتاً شرعياً، وثبتت الكيفية التي تنال بها هذه البركة عن المعصوم ح#[7].

وهذا التعريف الأخير هو المختار، والله أعلم.

- **أنواع التبرك**[8]:

التبرك نوعان:

1. تبرك مشروع.
2. تبرك ممنوع.

أما **النوع الأول وهو التبرك المشروع** فحده: هو التبرك الذي شرعه الله تعالى ورسوله ح. وهو على أنواع منها:

---

(1) مفردات ألفاظ القرآن (ص 119).
(2) بدائع الفوائد (681/2).
(3) انظر: تفسير الرازي (125/14).
(4) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (191/1).
(5) بدائع الفوائد (650/2).
(6) تيسير العزيز الحميد (ص 136).
(7) التبرك المشروع والتبرك الممنوع، للدكتور علي بن نفيع العلياني (ص21-22).
(8) هذا المبحث منقول من كتاب التبرك أنواعه وأحكامه، للدكتور ناصر الجديع (ص 201-464) بتصرف واختصار.

1. التبرك بذكر الله تعالى. وذلك بذكر أسمائه وصفاته إنشاءً أو خبراً[1]، وذكر أمره ونهيه وأحكامه قولاً أو عملاً، وذكر إنعامه وإحسانه على خلقه[2]. ومما يلحق بذكر الله: الصلاة على النبي ح[3].
ولذكر الله سبحانه بركات دنيوية ودينية. فمن بركاته الدنيوية: اطمئنان القلب وزوال الخوف عنه، واكتساب الذاكر قوة به، وسيلان الرزق بمداومة الاستغفار، والشفاء بالرقية باسم الله تعالى وبالأذكار الشرعية.
ومن بركات ذكر الله الدينية: مغفرة الذنوب ومضاعفة الأجر، ونزول السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة على مجالس الذكر، وحصن منيع من الشياطين وشرورهم[4].
2. التبرك بتلاوة القرآن الكريم، وتدبره، والعمل بما فيه، والاستشفاء به على الطريقة المشروعة.
3. التبرك بذات النبي ح في حياته وبآثاره الحسية المنفصلة منه ح في حياته وبعد وفاته ح. وهذه البركة الموجودة فيه ح مما أكرم الله تعالى به أنبياءه ورسله لإ. ولا يصاحب تبركَ الصحابةِ والسلفِ الصالح به ح[5] شيءٌ يعارض أو يناقض توحيد الألوهية أو الربوبية، وأن وهذا الفعل ليس من باب الغلو المذموم، وإلا لنبّه على ذلك الرسول ح صحابته ن، كما نهاهم عن بعض الألفاظ الشركية، وحذرهم من ألفاظ الغلو[6].
4. التبرك بمجالسة الصالحين المتبعين للسنة؛ بالانتفاع بعلمهم ودعائهم، والاستماع إلى وعظهم ونصائحهم[7]، وحضور مجالس ذكرهم[8]، هذا

(1) مثال إنشاء الثناء على الله بالذكر: قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والأذكار الأخرى الواردة في الشرع. أما مثال الخبر عن الله بالذكر: فكقولنا: الله لأ يسمع أصوات عباده، ويرى حركاتهم، وهو أرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم، ونحو ذلك. انظر: الوابل الصيب (ص 217-219).
(2) انظر: المصدر السابق.
(3) انظر: جلاء الأفهام (ص 624).
(4) انظر الأدلة على اشتمال ذكر الله لهذه البركات، في: التبرك أنواعه وأحكامه (ص 210-214).
(5) انظر أمثلة تبرك الصحابة بالرسول ح وبآثاره في حياته وتبركهم والسلف الصالح من بعدهم بآثاره ح بعد وفاته ح، في المرجع السابق (ص 244-256).
(6) انظر أمثلة هذا في المطلب الرابع من التمهيد "حماية المصطفى ح جناب التوحيد" (ص 47).
(7) أشار إلى هذه الأوجه الثلاثة باختصار الشيخ أبو بكر الجزائري في كتابه عقيدة المؤمن (ص170).
(8) انظر: فتح الباري (213/11)، وتحفة الذاكرين (ص 44).

في حياتهم، أما بعد مماتهم فالتبرك بهم عن طريق الانتفاع بما ورّثوه من العلم النافع واتباع ما دعوا إليه من السنة في حياتهم.

5. التبرك بشرب ماء زمزم.
6. التبرك بالسُّحُور.
7. التبرك بالإتيان بآداب الطعام لنيل بركته؛ ومن تلك الآداب: الاجتماع على الطعام، والتسمية، والأكل من جوانب القصعة[1]، ولعق الأصابع بعد الأكل، وأكل اللقمة الساقطة[2].
8. التبرك بخصال حميدة أمر بها الشرع. ومن هذه الخصال: الصدق في المعاملة، وسخاء النفس في طلب المال، والتبكير في طلب الرزق[3]، وغير ذلك من الخصال الحميدة المشروعة.

وأما النوع الثاني فهو التبرك الممنوع. وحده: التبرك بالأمور التي نص الشرع على النهي عنها، وما تجاوز حدود التبرك المشروع، وما لم يكن به مستند من الشرع أصلا ً.

وهو على أنواع، منها:

1. التبرك بقبر النبي ح؛ بطلب الدعاء والشفاعة من الرسول ح عند قبره، وأداء بعض العبادات عنده، والتمسح به أو تقبيله[4].
2. التبرك بالمواضع التي جلس ح أو صلى فيها، ما لم يقصد ح -على وجه التعبد- للصلاة في تلك المواضع بعينها، كالمسجد النبوي مثلا ً[5].
3. التبرك بليلة ويوم مولد الرسول ح. وهذا مما لا دليل عليه من الكتاب أو السنة. قال العلامة تاج الدين الفاكهاني[6] :: $لا أعلم لهذا المولد أصلا ً في كتاب ولا سنة، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة، الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين#[7].

---

(1) القصعة: وعاء يؤكل فيه ويثرد، وكان يتخذ من الخشب غالباً. انظر: المعجم الوسيط (ص 740).

(2) انظر الأدلة على هذه الأمور الثلاثة "النوع الخامس والسادس والسابع" في: التبرك أنواعه وأحكامه (ص 277-305).

(3) انظر الأدلة على كون هذه الخصال تجلب البركة في: المصدر السابق (ص 306-311).

(4) سيأتي الكلام عنه في المطلب الثالث من هذا المبحث (ص 938 وما بعدها).

(5) سيأتي الكلام عنه في المطلب الثالث من هذا المبحث (ص 932-933).

(6) هو: عمر بن علي بن سالم اللخمي الاسكندري أبو حفص تاج الدين الفاكهاني (654-723 هـ)، العلامة النحوي المحدث الفقيه، له مصنفات في عدة فنون، منها: شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه المالكي سماه: التحرير والتحبير، الإ شارة في النحو، رياض الإفهام في شرح عمدة الأحكام. انظر: البداية والنهاية (18/370-371)، وشذرات الذهب (6/96-97)، والأعلام (5/56).

(7) المورد في عمل المولد (ص 8-9). وانظر (ص 554-555) من هذه الرسالة.

4. التبرك بليلة الإسراء والمعراج، وذكرى الهجرة النبوية ونحو ذلك. وليس لهذه الأعمال مستند لا من الكتاب ولا من السنة؛ بل هي من البدع المحدثة. قال ابن النحاس : في معرض ذكره بعض ما ابتدع من المواسم والأعياد: $ومنها: ما أحدثوه ليلة السابع والعشرين من رجب، وهي ليلة المعراج الذي شرّف الله به هذه الأمة، فابتدعوا في هذه الليلة كثرة وقود القناديل في المسجد الأقصى، وفي غيره من الجوامع والمساجد، واجتماع الناس فيها مع الرجال والصغار، ...# ثم يذكر : بعض المفاسد التي وجدت في هذا الأمر المحدث[1].
5. التبرك بذوات الصالحين وآثارهم ومواضع عبادتهم وإقامتهم[2].
6. التبرك بموالد الصالحين. لم تعرف إقامة الموالد مطلقاً عند السلف الصالح من الصحابة أو التابعين وأتباعهم -أصحاب القرون الثلاثة المفضلة- وإنما أحدثها أهل البدع. ومن أوائل من أحدثها الخلفاء الفاطميون الباطنيون. قال الإمام المقريزي :: $كان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم# ثم سرد أسماءها التي بلغت قريباً من ثلاثين، وذكر منها: مولد علي بن أبي طالب ط ومولد الحسن و الحسين، وفاطمة ن[3].
7. التبرك بقبور الصالحين؛ بدعاء أصحابها[4]، وشد الرحال إليها، وأداء العبادات عندها[5]،

(1) تنبيه الغافلين (ص 497).
(2) سيأتي الكلام عنه في المطلب الثالث من هذا المبحث (ص 930-932).
(3) انظر: الخطط والآثار (490/1).
(4) سبق الكلام عنه في مبحث الدعاء (ص 224 وما بعدها).
(5) سيأتي الكلام عن شد الرحال إلى القبور وأداء العبادات عندها في مبحث زيارة القبور (ص 961 وما بعدها، و973 وما بعدها).

والعكوف عندها[1]، والتمسح بها وتقبيلها[2]، ونحو ذلك. فهذه الأشياء ليس في الكتاب ولا في السنة ما يدل على مشروعيتها، بل هي صورة من صور التبرك المبتدع.

8. التبرك ببعض الجبال والمواضع، والتبرك بالأشجار والأحجار ونحوها.

وبعد هذا السرد، لابد من التنبيه هنا إلى أن هذه الأعمال التي تعد من التبرك الممنوع ليست على حدّ سواء، فإن منها ما يعد من البدع التي لا شرك فيها، ومنها ما هو شرك أصغر، ومنها ما هو شرك أكبر مخرج من الملة. كما قال السيوطي : عند ذكره ما تصنعه العامة من قطع قرون بعض الدواب تبركاً ، فإنه قال: $ويقطعون قرون البقر والمعز[3] النّورة[4]؛ لأجل البركة، وكل هذا باطل لا شك في تحريمه، وقد يبلغ التحريم في بعضه إلى أن يكون من الكبائر، وقد يصير كفراً بحسب المقاصد#[5].

(1) سيأتي الكلام عن العكوف عند القبور في مبحث الاعتكاف (ص 1027 وما بعدها).
(2) سيأتي الكلام عن التمسح بالقبور وتقبيلها في المطلب الثالث من هذا المبحث (ص 933 وما بعدها).
(3) المعز نوع من الغنم، فإن كلمة الغنم كما في المصباح المنير (ص 173): $اسم جنس يطلق على الضأن والمعز#، فلعل السيوطي أراد أن يقول: $الضأن والمعز# كما قال الله تعالى في سورة الأنعام: 143: ﭽ ﭐ ﭑﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘﭙ ﭼ والله أعلم.
(4) النورة كما يقول الفيومي في المصباح المنير (ص 241): $بضم النون حَجَر الكِلس، ثم غَلَبَت على أَخْلاطٍ تضاف إلى الكلس من زرنيخ وغيره#.
(5) الأمر بالاتباع (ص 142).

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في التبرك

إن الانحراف في باب التبرك مما تكثر مظاهره في المجتمع الإ ندونيسي، منهم من يتبرك بالصالحين الأحياء، ومنهم من يتبرك بحجر، أو ضريح، أو عين، أو جبل، أو طعام، أو غير ذلك، وفيما يلي بعض الأمثلة لما ذكرت:

المثال الأول: تبرك بعض الناس في مدينة Semarang (سِيْمَرَنْج) بجاوى الوسطى بأحد الأحباب بالتزاحم في تقبيل يده[1].

المثال الثاني: تبرك بعض الناس بسيجارة (ولي) في مدينة Nganjuk (عَنْجُوْكْ) بجاوى الشرقية. وهو قصة واقعية قصّها علي صاحبها مباشرة: $لما كنت صوفياً ذهبت يوماً بعمّتي إلى بيت أحد (الأولياء)، فلما وصلنا عنده افترقنا؛ دخلتُ في غرفة الرجال ودخلتْ هي في غرفة النساء. فلما رجعنا من عنده، قلت لها: كيف كان الولي؟ قالت: لما دخلنا غرفة النساء وجدنا في وسطها الولي الفلاني عرياناً (!)، فأمر بسيجارة فشرب الدخان شربة أو شربتين ثم رمى السيجارة بعدهما، فما أن سقطت على الأرض حتى تسابقت النساء في أخذها، فلما (ظفرت) بها إحداهن، وكان معها صبيّها، أدخلت السيجارة في فم صبيها كي يشربها؛ تبركاً بأثر الولي؛ حتى يكون ولداً نجيباً في المستقبل!#. فإنا لله وإنا إليه راجعون...

المثال الثالث: تبرك كثير من الناس بماء البئر، الذي يزعم أحدُ الكهان أنه وجد فيه كنـزاً من كنوز رئيس إندونيسيا الأسبق Sukarno (سُوْكَرْنُوْ). يزعم بعضهم أن من شرب منه سيشفى من جميع الأمراض، ويزعم آخر أن شربه يجعل الرجلَ ذكياً[2].

المثال الرابع: تبرك مئات من الناس بماء نهر Cisarua (تِشَارُوَا) بمدينة Cianjur (تِشِيَنْجُوْرْ) بجَاوَا الغربية[3]، وكذا بماء بركة حول أثر معبد هندوسي Candi Agung (تشَنْدِيْ أَغُوْنْج) بمدينة Amuntai (أَمُوْنْتَيْ) بكليمانتان الجنوبية[4].

المثال الخامس: تبرك الناس بماء بِرْكة فيها سمك غريب كبير الحجم،

---

(1) انظر: مجلة Alkisah (القصة)، العدد 18، تاريخ 29 أغسطس - 11 سبتمبر 2005 (ص 93).

(2) انظر: مجلة Ghoib (غيب)، العدد 19، السنة الثانية، عام 1425 / 2004 (ص 34-35).

(3) انظر: مجلة Indonesia Islami (إندونيسيا إسلامي)، العدد 9، ذو الحجة 1427 هـ/ يناير 2007 م (ص 5).

(4) شاهدت ذلك بأم عيني أثناء زيارتي له قبل عامين.

بغابة Larangan (لا رَانْجَانْ) بمدينة Bogor (بُوْكُوْرْ) بجاوى الغربية[1]، ونحوه ما حصل في قرية Jetis (جِيْتِيْسْ) مدينة Karanganyar (كَرَنْجْ أَنْجَرْ) بجاوَا الوسطى[2].

المثال السادس: تبرك بعض الناس ببعض الأحجار الموجودة حول ضريح الشيخ برهان الدين بـ Ulakan Pariaman (أُوْلَكَنْ فَرِيَمَنْ) بسُوْمَطْرَا الغربية[3].

المثال السابع: تبرك الناس بالأضرحة التالية: ضريح Sunan Ampel (سُوْنَنْ أَمْبِيْلْ) بمدينة Surabaya (سُوْرَابَايَا) بجاوَا الشرقية، وضريح Sunan Bonang (سُوْنَنْ بُوْنَانْجْ) بمدينة Tuban (تُوْبَنْ) بجاوَا الشرقية، وضريح Sunan Giri (سُوْنَنْ غِيْرِيْ) بمدينة Gresik (كرِيْسِيْكْ) بجاوَا الشرقية، وضريح Sunan Drajat (سُوْنَنْ دْرَجَاتْ) بمدينة Lamongan (لَا مُوْنْجَانْ) بجاوَا الشرقية، وضريح Sunan Kalijogo (سُوْنَنْ كَالِيْجُوْغُوْ) بمدينة Demak (دِيْمَكْ) بجاوَا الوسطى، وضريح Sunan Kudus (سُوْنَنْ قُدُسْ) بمدينة Kudus (قُدُسْ) بجاوَا الوسطى، وضريح Sunan Muria (سُوْنَنْ مُوْرِيَا) كذلك بمدينة Kudus (قُدُسْ) بجاوَا الوسطى، وضريح Sunan Gunung Jati (سُوْنَنْ غُوْنُوْنْجْ جَاتِيْ) بمدينة Cirebon (تِشِيْرِيْبُوْنْ) بجاوَا الغربية، وضريح Syekh Siti Jenar في عدة أماكن منها بمدينة Cirebon (تِشِيْرِيْبُوْنْ) بجاوَا الغربية، وضريح Syaikh Abdul Hamid Abulung (الشيخ عبد الحميد أَبُوْلُوْنْجْ) بمدينة Martapura (مَارْتَابُوْرَا) بكالِيْمَنْتَانْ الجنوبية، وضريح Syaikh Habib al-Idrus (الشيخ الحبيب العيدروس) بـ Luar Batang (لُوْوَارْ بَاتَنْجْ) بمدينة Jakarta (جَاكَرْتَا) الغربية، ضريح ملك بـ Jupanggola (جُوْفَنْجُوْلَا) قرب مدينة Gorontalo (جُوْرُوْنْتَلُوْ) بسُوْلَا وِيْسِي الجنوبية، وضريح Sukarno (سُوْكَرْنُوْ) بمدينة Blitar (بَلِيْتَرْ) بجاوَا الشرقية[4].

ومن القصص المؤسفة في هذا الباب: ما حكى لي بعض مسلمي مدينة Martapura (مَارْتَابُوْرَا) بكالِيْمَنْتَانْ الجنوبية؛ أن بعد مرور شهر من وفاة KH. Muhammad Zaini bin Abdul Ghani (كياهي الحاج محمد زيني بن

---

(1) انظر: مجلة Ghoib (غيب)، العدد 68، السنة الرابعة، تاريخ 17 جمادى الثانية 1427 / 13 يوليو 2006 (ص 40-44).

(2) انظر: جريدة Posmo (فُوْسْمُوْ)، العدد 358، تاريخ 8 مارس 2006 (ص 37).

(3) انظر سي دي بعنوان Acara Basapa ke Makam Syekh Burhanuddin di Ulakan Pariaman (برنامج بَسَقَا إلى ضريح الشيخ برهان الدين بأُوْلَكَنْ فَرِيَمَنْ).

(4) انظر: مجلة Indonesia Islami (إندونيسيا إسلامي)، العدد 8، ذو القعدة 1427 / ديسمبر 2006 (ص 12-14).

عبد الغني) زعيم الطريقة السمانية، كادت العلا َمة المبنية على قبره أن تسقط على الأرض؛ لأن مئات الزائرين يومياً كانوا يتمسحون بها ويقبلونها![1]

المثال الثامن: ما يقوم به بعض أصحاب الحافلات الجديدة من قصدهم لبعض الأضرحة -كضريح Sultan Banten (السلطان بَانْتِيْنْ) بجاوى الغربية- بحافلاتهم؛ لغرض الحصول على البركة وطلباً لسلامة حافلاتهم من الآفات[2].

المثال التاسع: تبرك الناس بجبل Kemukus (كِيْمُوْكُوْسْ) بمدينة Sragen (سِيْرَكِيْنْ) بجاوَا الوسطى في كل ليلة الجمعة Pon (فُوْنْ) أو Kliwon (كلِيْوُوْنْ)، وذلك بالاغتسال في العين الموجودة به المسماة بعين Ontrowulan (أُوْنْتَرُوْوُوْلا َنْ)، ثم يأتون ضريح Pangeran Samudro (الأ مير سَامُوْدْرَا) ليدعو لهم سدنة الضريح، ثم يخلون بمكان داخل الضريح ويقدمون القرابين ويشعلون البخور، ثم يختمون ذلك بالزنا بمن يجدونه بذلك المكان!، وهذا الأخير من الشروط اللازمة -بزعمهم- لنجاح طلباتهم!، ويزعمةن أن من يفعل ذلك سبع مرات في خلال سبعة أشهر متتالية، فإنه سيحصل على مال كبير -بزعمهم-[3].

المثال العاشر: تبرك الناس بمكان اعتكاف Sunan Kalijogo (سُوْنَنْ كَ ا َ ـِ ي جُ وْ غُ وْ) المسمى بـ Petilasan Tapa Ngluweng (فَتِيْلا َسَانْ تَافَا إِنْجلُوْوِيْنْجْ) بجل Surowiti (سُوْرَاوِيْتِي)[4].

المثال الحادي عشر: تبرك الناس بأنواع الأطعمة المقدمة في طقوس Gunungan Gerebeg Maulud (جُوْنُوْنْجَانْ جِيْرِيْبِيْجْ مولود) بـ Jogjakarta (جُوْكْجَاكَرْتَا)، وطقوس Upacara Saparan (مراسيم سافاران) بقرية Wonolelo (وُوْنُوْلِيْلُوْ) بمدينة Sleman (سَلِيْمَانْ)، وطقوس Pelal Panjang Jimat (فِيْلا َ لْ فَنْجَانْجْ جِيْمَاتْ) بمدينة Cirebon (تِشِيْرِيْبُوْنْ) بجاوَا الغربية[5]، وطقوس Yaqowiyu (يَا قَوِيّ) بـ Jatinom (جَاتِيْنُوْمْ) بمدينة Klaten (كِيْلا َتِيْنْ) في جاوى الوسطى[6]، وطقوس

---

(1) انظر: Imam Syafi'i Menggugat Syirik (الإمام الشافعي ينكر الشركيات)، لكاتب هذه السطور (ص 115-116).

(2) انظر: مجلة Panjimas (فَنْجِيْمَسْ)، العدد 5، تاريخ 27 نوفمبر - 12 ديسمبر 2002 (ص 107).

(3) انظر: مجلة La Tansa (لا تنس)، العدد الأول (ص 8-13).

(4) انظر: مجلة Indonesia Islami (إندونيسيا إسلامي)، العدد 8، ذو القعدة 1427 / ديسمبر 2006 (ص 8-9).

(5) انظر: المرجع السابق، العدد 8، ذو القعدة 1427 / ديسمبر 2006 (ص 7-11).

(6) انظر: جريدة Wawasan (واواسان)، يوم السبت، تاريخ 18 مارس 2006 (ص

Jembul Tulakan (جيمْبُوْلْ تُوْلا َكانْ) بمدينة Jepara (جيبْقرَا) بجاَوا الوسطى[1]، وطقوس Ganti Luwur (غَنْتِيْ لُوْوُوْرْ) بضريح Ki Ageng Pantaran (كِيْ أَجِيْنْجْ فَنْتَارَانْ) بمدينة Boyolali (بُوْيُوْلالِي) بجاوى الوسطى[2].

المثال الثاني عشر: تبرك الناس بماء غسيل التمائم المتبقي أثناء طقوس Pelal Panjang Jimat (فِيْلا َلْ فَنْجَانْجْ جِيْمَاتْ) بمدينة Cirebon (تِشِيْرِيْبُوْنْ) بجاَوا الغربية[3].

.(9

(1) انظر: جريدة Kompas (كُوْمْفَسْ)، يوم الإثنين، تاريخ 22 أغسطس 2005 (ص 39).

(2) انظر: جريدة Posmo (فُوْسْمُوْ)، العدد 358، تاريخ 8 مارس 2006 (ص 33).

(3) انظر: مجلة Indonesia Islami (إندونيسيا إسلامي)، العدد 8، ذو القعدة 1427 / ديسمبر 2006 (ص 11).

المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

تمهيد[1]:

إن الباحث في أسرار الحياة وما يحدث في هذا العالم من أحداث يجد لكل شيء سبباً، وينتهي إلى الشعور بقوة غيبية تعلو عن الأسباب وتستغني عنها، ونفتقر نحن إليها في تيسير الأسباب لتسيير الأعمال، ومن أظهر مقومات الإيمان توحيد تلك القوة الغيبية وتخصيصها بالله تعالى.

وفي الذكر الحكيم: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ فاطر: ١٥.

ثم إن من الأعمال ما تكون له أسباب خفية لا يدركها قاصر النظر، فيرى أن أصحابها ارتفعوا عن الحاجة إلى الأسباب العادية، وأصبحوا ذوي مكانة غيبية وأولي من-زلة خصوصية، ومن الناس من تظهر على أيديهم وفي أحوالهم آيات يعبّر عنها بالمعجزات في حق الأنبياء، وبالكرامات في حق الأولياء، فيكون هؤلاء الأنبياء والأولياء مظهراً من مظاهر قدرة الله تعالى، يدعو المتبصر إلى احترامهم والائتساء بهم.

ولضعاف الإيمان وقليلي المعرفة وبسطاء العقول أمام الفريقين -أهل ا لآيات الغيبية وأصحاب الأسباب الخفية- موقفان:

أحدهما: اعتقاد أن ذواتهم مصدر لتلك الخوارق الحقيقية أو الوهمية؛ فلا يضيفونها إلى الله.

وثانيهما: اعتقاد أن لهم نفوذاً في إرادة الله وتحكماً في قدرته، يستوجبان التوسط بهم إليه في تحصيل ما قصرت عنهم الأسباب.

ومن اعتقد أحد هذين الاعتقادين؛ فقد اعتقد عقيدة الكلدان[2] في الكواكب، أو عقيدة العرب في الأصنام، فكان مشركاً صِرفاً، وإن أشبه الموحدين في شيء من أقوالهم وأفعالهم الدينية.

وهنالك موقف ثالث مع ذينك الفريقين، وهو التبرك بآثارهم وأماكنهم، وما يضاف إليهم في حياتهم من نحو ثيابهم وحيواناتهم، أو ينسب إليهم بعد مماتهم من مثل تماثيلهم وأبنية قبابهم، **فما موقف الإسلام من هذه المظاهر؟**

موقف الإسلام من هذه المظاهر[3]:

(1) هذا التمهيد منقول عن الشرك ومظاهره (ص 147-148) بتصرف يسير.
(2) هم: قوم كانوا يعبدون الكواكب، ويزعمون أنها هي المدبرة لهذا العالم، ومنها تصدر الخيرات والشرور، والسعادة والنحوسة. انظر: تفسير الرازي (223/3).
(3) هذا المبحث مستفاد من: هذه مفاهيمنا (ص 215-227)، وأضفت عليه إضافات في ثنايا البحث.

البركة مطلب يحرص عليه كل أحد، لكن العبد منهي في هذا المقام عن أمرين:

أحدهما: أن يلتمس البركة في الأشياء بناءً على الظنون والأوهام.

والثاني: أن يُجاوِز في التماس البركة الحقيقية وسائلَ الشرع. فإن الشرع إذا بيّن لشيء من الأشياء بركة ما، حدّد الوسائل التي تُجتَلب تلك البركة من خلالها.

أما ما توَهّم الناس فيه البركة فإنهم يبتدعون لتحصيل بركته المزعومة أموراً منكرة قد توقع في الشرك.

ويقال مثل ذلك فيما زِيد على ما جاء به الشرع في الأمورالتي شهَد لها بالبركة، فإن أهل الشطط قد يزيدون على المشروع فيها أعمالاً يلتمسون بها تلك البركة، فيكون في تلك الزيادة من المحذور نظير المحذور المذكور آنفاً[1].

البركة: زيادة ونماء في شيءٍ يريده المتبرك في تبركه بما تبرك به. وهذه الزيادة والنماء قد تكون (1) في أمكنةٍ، وقد تكون (2) في ذوات، وقد تكون (3) في صفاتٍ، هذا على مقتضى ورودها اللغوي، وأما الشرعي فيأتي تفصيل الكلام فيه إن شاء الله تعالى.

ومن الأول: قوله تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ فصلت: 10، وقوله: ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ الأعراف: 137، وقوله: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ الأعراف: 96، وقوله: ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ المؤمنون: 29.

ومن الثاني: قوله تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ الصافات: 113، وقوله تعالى في قصة نوح ؛: ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭼ هود: 48.

ومن الثالث: قوله تعالى: ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ النور: 61، وقوله: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ الأنبياء: 50.

وإذا تدبرنا كتاب الله العزيز، وجدنا أنه يدل على أن **البركة من الله تعالى، وتُطلب منه سبحانه وتعالى وحده**، وهو يضعها فيمن شاء من خلقه، وفي ما شاء من بريته.

قال تعالى: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﭼ الأعراف: 54، وقال: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ الفرقان: 1، وقال: ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ الفرقان: 61، وقال: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ المؤمنون: 14، وقال: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ الرحمن: 78، والآيات الواردة بلفظ ﭽ ﭼ كثيرة.

ولفظ ﭽ ﭼ لم يرد في كتاب الله إلا مسنداً إلى الله تعالى، وهي صيغة مفيدة أعظم أنواع معنى البركة، وأكثرها نفعاً، وأعمها متعلقاً وأثراً؛ فالبركة لله سبحانه.

يقول الرازي : في تفسير قوله تعالى: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﭼ الأعراف: 54:

---

(1) جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة (ص 581).

$البركة لها تفسيران: أحدهما: البقاء والثبات، والثاني: كثرة الآثار الفاضلة و النتائج الشريفة، وكلا التفسيرين لا يليق إلا بالحق سبحانه#[1].

ويقول السمرقندي[2] :: $يقال: تبارك الله؛ تفاعل ً من البركة أي: ذو البركة، يعني: أن البركة كلها من الله تعالى#[3].

ويقول ابن القيم :: $وأما صيغة $تبارك#؛ فمختصة به تعالى كما أطلقها على نفسه#[4].

وجاء في السنة ما يؤيد كون البركة من الله وحده:

فعن جابر بن عبد الله ط أن النبي ح قال: $البَرَكَةُ مِنْ اللهِ#[5].

يقول ابن حجر : تعليقاً على هذا الحديث: $وهو إشارة إلى أن الإيجاد من الله#[6].

ولكن مع ذلك، فإن الله سبحانه وتعالى قد أخبر أنه أعطى بركة لأ صنافٍ من خلقه:

فمن ذلك:

1. الأنبياء والرسل، كما قال تعالى: ﭽ ﮱ ﯓ[7] ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ الصافات: 113، وقال في إبراهيم ؛ وأهل بيته: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ هود: 73، وقال في نوح ؛: ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼهود: ٤٨، وقال عيسى ؛: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ مريم: 31.

2. أماكن العبادة كالمسجد الأقصى، والمسجد الحرام، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼالإسراء: 1، وقال تعالى: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ آل عمران: 96.

3. إخباره سبحانه عن ما أنزله من الذكر أنه مبارك، قال تعالى: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ الأنبياء: ٥٠، وهذا الذكر هو القرآن العظيم كما قال تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼالأنعام: ٩٢، وقوله: ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭼ ص: ٢٩.

فالقرآن الحكيم ذكر مبار َك، وتدبر آياته عمل مبار َك، ومِ ن هذا

---

(1) تفسير الرازي (125/14).

(2) هو: علي بن يحيى، علاء الدين السمرقندي ثم القرماني (ت نحو 880 هـ)، مفسر، من علماء الحنفية، له كتب، منها: تفسير القرآن المسمى $بحر العلوم#، وحاشية على شرح الشمسية. انظر: هدية العارفين (ص 733)، والأعلام (32/5).

(3) تفسير السمرقندي (546/1).

(4) بدائع الفوائد (680/2).

(5) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (587/6 رقم 3579 -الفتح).

(6) فتح الباري (592/6).

(7) أي على إبراهيم ؛ كما في الآيات التي قبلها.

التدبر: علوم القرآن، والسنة مبينة لمجمل القرآن، وهي مباركة، واتباع القرآن والسنة مبارك، وعلومهما الناشئة عن تدبر آيات الكتاب وفقه السنة علوم مباركة.

هذه أنواع ثلاثة فيها بركة خاصة، دل عليها الذكر الحكيم.

وهناك بركة عامة، لها أنواع أيضاً، فمن ذلك:

1. أن المطر مبارك لما يحصل به من زيادة في معايش الناس وزروعهم، ونماء في ذلك، قال تعالى: ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ ق: ٩.

2. مباركته تعالى في الأرض، كما قال: ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ فصلت: 10، وقوله: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ الأعراف: 137.

3. مباركته تعالى ما يأتي من السماء وما يخرج من الأرض، كما قال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ الأعراف: 96.

فهذه وأشباهها، مباركة عامة يحصل بها النفع والخير، والنماء والزيادة.

ولعله يظهر أن البركة الخاصة اللازمة لذاتٍ -دون المكان والصفة- تكون متعدية يحصل التبرك بأعيانها لما فيها من البركة اللازمة الدائمة بـ الذات.

وأما البركة الخاصة بمكان العبادة كالمسجد الحرام، والمسجد النبوي، فإن البركة لا تكون متعدية بأجزاء المسجد، فلا يـ ـتمسح بأعمدة المساجد ولا جدرانها بإجماع المسلمين[1]، والمساجد مباركة؛ فعـ ـلم أن بركتها معناها زيادة ونماء في ما يحصله العابد من الخير، فالمسجد الحرام صلاة فيه بمئة ألف صلاةٍ فيما سواه، والمسجد النبوي بألف صلاة.

وهذا نحو بركة الرسل لإ، فإنها في أحد قسميها: بركة اتباع وعمل، فـ المتبع لسنتهم المهتدي بهديهم يحصل له نماء وزيادة في ثواب عمله بسبب اتباعهم، فهذه معنى البركة الخاصة بقسميها.

بخلاف المباركة العامة فإنها قد تحصل في وقتٍ دون وقت، أو في نوع دون نوع، فمما هو بيّـ ـن ٌ أنه ما كل ما جاء من السماء وخرج من الأ رض يكون مباركاً دائماً، بل إعطاؤه البركة من الله متعلق بأمورٍ أخرى، إن وجدت أعطي البركة، وإن انتفت زالت البركة، فهي بركة عامة من حيث ظرفها، خاصة من حيث وقتها، غير لازمة للشيء.

إذا تقرر هذا، فالبركة في مواردها من الكتاب والسنة قسمان:

الأول: بركة ذات، وأثرها أن يكون ما اتصل بتلك الذات مباركاً، وهذا النوع للأنبياء والمرسلين لا يشركهم فيه غيرهُم، حتى أكابر أصحاب النبي ح ؛ كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ن لا يشركونهم في هذه البركة.

ولا يتعدى أثر بركة الأنبياء إلا لمن كان على ما دعوا به سائرين، وبعملهم مقتدين، وبأمرهم ملتزمين، وعن نهيهم منتهين، ولذا فصحابة

(1) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (72/27).

رسول الله ح لم تتعد إليهم بركته في معركة أحد حين خالفوا أمره وعصوه.
وهذا النوع من تعدي البركة قد انقطع بعد موت النبي ح، إلا ما كان من أجزاء ذاته باقياً بيقين بعد موته عند أحد، وقد ذهب ذلك المتيقن مع انقراض قرن الصحابة ن[1].

الثاني: بركة عمل واتباع: وهي عامة لكل من وافق عملَه سنة النبي ح، فكل مسلم فيه بركة عمل مقدرة بقدر اتباعه وموافقته لأمر الله ونهيه، بالائتمار بالأمر، والانتهاء عن النهي.

ولذا جاء عن عبد الله بن عمر م عن النبي ح في النخلة:$إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ لَمَا بَرَكَتُهُ كَبَرَكَةِ الْمُسْلِمِ#[2].

فلكل مسلم بركة بقدره، وليست هي بركة ذات، معلوم هذا باليقين، وما ادعاه مدع، وإنما هي بركة عمل.

وفي الصالحين من عباد الله المتَّبِعين بركة عمل واتباع بقدر ما فيهم من مقتضيات تلك البركة، فالعالم بالسنة له بركة علم، و الحافظ لكتاب الله الواقف عند حدوده فيه بركة من أثر ذلك، وهكذا.

وإن أعلى الصالحين بركة أشدُّهم اتباعاً لدين الإسلام، ومحافظة على واجباته، ومباعَدة عن محرماته، ومن المحرمات أفعال القلوب، فكم من مبتعد عن محرمات الجوارح، خائض في محرمات القلوب، ولا يبالي.

وبهذا تجتمع النصوص؛ فما كان من الأنبياء لإ فهو مما اجتمع فيه نوعا البركة، وما كان من غيرهم فهو مما بورك فيهم بركة عمل وعلم واتباع، ولذا تجد أثر هذه البركة لا يتعدى إلا بالأعمال، لا بالذات ولا بأجزائها.

ولذا قال أُسيد بن حُضير[3] ط في سبب مشروعية التيمم كما في $صحيح البخاري#: $لَقَدْ بَارَكَ اللهُ لِلنَّاسِ فِيكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ، مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَرَكَةٌ لَهُمْ#[4].

واللفظ المروي عند الشيخين: $مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ#[5].

---

(1) انظر عن مسألة $هل يوجد شيء من آثار الرسول ح في العصر الحاضر؟# في $التبرك أنواعه وأحكامه# (ص 256-260) حيث خلص إلى نتيجة أن الجزم بوجود ذلك في هذا العصر من الصعب بمكان.

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب أكل الجُمار (567/9 رقم 5444).

(3) هو: أُسيد بن حُضَير بن سماك بن عتيك الأنصاري الأشهلي أبو يحيى (ت 20 أو 21 هـ)، صحابي جليل. انظر: التقريب (رقم 521).

(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ [المائدة: ٦] (272/8 رقم 4608 -الفتح).

(5) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ

ومعنى اللفظين واحد، ومعلوم أنه ما كان أسيد ولا غيره يبتغي من أبي بكر أو آله بركة ذاتٍ كما كانوا يفعلونه مع النبي ح، من التبرك بشعره ونحوه، وإنما هي بركة عمل هو الإيمان والتصديق والنصرة والاتباع.

ومن ذلك ما قالته عائشة ك لما تزوج النبي ح جويرية بنت الحارث[1] ك قالت: $فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا#[2].

فهذه بركة عمل لتزوج النبي ح بها، فكان سبب ذلك أن عتق كثير من قومها.

التبرك بالنبي محمدٍ ح:

إن النبي محمداً ح مبارك الذات، مبارك الصفات، مبارك الأفعال، وهذه البركة فيه ح متحققة في ذاته وصفاته وأفعاله.

فقد ثبت عن بعض صحابة رسول الله ح أنهم كانوا يتبركون بأشياء منفصلة عن بدنه كالشعر[3]، والعرق[4]، والوضوء[5]، وغير ذلك، مما جاءت به الأحاديث الصحيحة.

فله ح من أنواع البركة أعلى ما يهبه الله بشراً من رسله، وأجزاؤه ح تتعدى بركتها، ويجوز التبرك بها، كما فعلت جماعة من الصحابة.

وأما آثاره المكانية كمكانٍ سار فيه، أو بقعةٍ صلى فيها، أو أرض نزل بها؛ فلم يعرف دليل شرعي يومئ أو يشير إلى أن بركة بدن الرسول ح قد تعدت إلى هذا المكان، فيكون مباركاً يشرع التبرك به، ولذالم يكن يفعل هذا صحابته في حياته ولا بعد مماته.

فما سار فيه رسول الله ح أو نزل فيه فلا يجوز التبرك به؛ لأن هذا وسيلة إلى تعظيم البقاع التي لم يشرع لنا تعظيمها، ووسيلة من وسائل

[المائدة: ٦] (272/8 رقم 4609 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب التيمم (279/1 رقم 367).

(1) هي: جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية، من بني المصطلق (ت 50 هـ)، أم المؤمنين، سباها النبي ح في غزوة المريسيع ثم تزوجها. انظر: التقريب (رقم 8652).

(2) رواه أحمد في مسنده (385/43 رقم 26265)، وابن حبان في صحيحه (362/9 رقم 4054 -الإحسان)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (480/2 رقم 3931).

(3) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق (947/2 رقم 1305) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(4) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب طيب عرق النبي ح والتبرك به (1815/4 رقم 2331) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(5) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب استعمال فضل وضوء الناس (294/1 رقم 187 -الفتح)،_ومسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب سترة المصلي (360/1-361 رقم 503) من حديث أبي جحيفة.

الشرك، وما تتبع قوم آثار أنبيائهم إلا ضلوا وهلكوا.

فعن المعرور بن سويد[1] : قال: $خرجنا مع عمر بن الخطاب، فعرض لنا في بعض الطريق مسجد، فابتدره[2] الناس يصلون فيه، فقال عمر: ما شأنهم؟ فقالوا: هذا مسجد صلى فيه رسول الله ح، فقال عمر: أيها الناس، إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم مثل هذا، حتى أحدثوا بيعاً[3] فمن عرضت له فيه صلاة فليصلّ، ومن لم تعرض له فيه صلاة فليمض#[4].

فهذا قول الخليفة الراشد، الذي قال رسول الله ح فيه: $إن الله لأ جعل الحق على لسان عمر#[5].

ولا شك أن قول عمر السالف في النهي عن تتبع الآثار من الحق الذي جعله الله تعالى على لسان عمر ط.

وورد في قصة أخرى أن عمر بن الخطاب ط بلغه أن ناساً يأتون الشجرة التي بويع تحتها النبي ح فأمر بها فقطعت[6].

قال الإمام ابن وضاح[7] :: $وكان مالك بن أنس وغيره من علماء المدينة[8] يكرهون إتيان تلك المساجد، وتلك الآثار للنبي ح، ما عدا قباء

---

(1) هو: المعرور بن سويد الأسدي أبو أمية الكوفي، من ثقات التابعين المعمّرين، عاش مائة وعشرين سنة،كان كثير الحديث. انظر: الجرح والتعديل (416/8)، وتذكرة الحفاظ (67/1)، وتهذيب التهذيب (118/4).

(2) أي: تعجلوا إليه واستبقوا وبادروا إليه. انظر: القاموس المحيط (ص 347).

(3) البيع جمع بِيْعَة وهي متعبّد النصارى. انظر: القاموس المحيط (ص 705).

(4) أخرج هذا الأثر ابن وضاح في كتاب البدع والنهي عنها (ص 48-49) واللفظ له، وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة في المصنف (183/5 رقم 7632 –تحقيق محمد عوامة). قال عنه شيخ الإسلام: $ثبت بالإسناد الصحيح#. انظر: مجموع الفتاوى (281/1)، وذكر الحافظ في فتح الباري (569/1) أن ذلك ثبت عن عمر، وقال الشيخ الألباني في تحذير الساجد (ص 125 -الحاشية): "سنده صحيح على شرط الشيخين".

(5) سبق تخريجه (ص 432).

(6) أخرجه ابن وضاح في كتاب البدع والنهي عنها (ص 50) عن نافع. وقال الشيخ ا لألباني: $رجال إسناده ثقات#، انظر: تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للرّبعي (ص 51).

(7) هو: محمد بن وضاح بن بزيع أبو عبد الله القرطبي (286-199 هـ)، الإمام، محدث الأندلس، كان ورعاً زاهداً صبوراً على نشر العلم متعففاً، من كتبه: البدع و النهي عنها، ومكنون السر ومستخرج العلم. انظر: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (15/2)، وبغية الملتمس (ص 115-116)، وتذكرة الحفاظ (646/2-648).

(8) نبه على منع هذا التبرك وبيان عدم مشروعيته علماء آخرون أيضاً. انظر: الا عتصام (237/2)، واقتضاء الصراط المستقيم (344/2)، وزاد المعاد (59/1).

وأحداً[1]#[2].

وقال :: $فعليكم بالاتباع لأئمة الهدى المعروفين، فقد قال بعض من مضى: كم من أمرٍ هو اليوم معروف عند كثير من الناس كان منكراً عند من مضى، ومتحبب إليه بما يبغضه عليه، ومتقربٍ إليه بما يبعده منه، وكل بدعة عليها زينة وبهجة#[3].

فانظر إلى كلامه المتين، وكانت وفاة ابن وضاح سنة 286 هـ.

المقصود من هذا أن سلف الأئمة كانوا ينكرون التبرك بالآثار المكانية، وينكرون تحريها والتعلق بها رجاء بركتها، ولم يخالف في ذلك إلا ابن عمر م، فقد كان يتتبع الأماكن التي صلى

---

(1) المقصود: إتيان قبور شهداء أحد لزيارتها والسلام عليهم. انظر: التبرك أنواعه وأحكامه (ص 346 -الحاشية)

(2) البدع والنهي عنها (ص 50)، وفي نقل الاعتصام (237/2) عنه: $ما عدا قباء وحده#.

(3) البدع والنهي عنها (ص 50).

فيها رسول الله ح فيصلي حيث صلى[1]، ونحو ذلك.

وما ذ ُقَ لِ َ ذَ قَ لْ ٌ مصدق عن غير ابن عمر من الصحابة أنه كان يفعل مثل ما فعل ابن عمر في الآثار المكانية[2].

وابن عمر م ما كان يطلب بركة المكان، ولكنه يطلب تمام الاقتداء بكل ما فعله رسول الله ح في جميع أحواله، حتى إنه أراد الصلاة في كل مكانٍ صلى فيه رسول الله ح، وكان يتتبع ذلك ويعلمه، وما كان فعله -فيما يظهر- قصداً للتبرك بالبقعة كما يفهمه المتأخرون، وإنما قَ َصَ َدَ تمام َ ا لاقتداء، ولم يفعله غيره من صحابة المصطفى ح، ولم يوافقوه، بل إن أباه نهى الناس عن تتبع الآثار المكانية، وقوله مقدم على رأي ابنه عند الخلاف باتفاق، وهو خلاف لا يقوم في مقابلة اتفاق عمل الصحابة على ترك ما فعله ابن عمر ط، ولا شك أن الصواب، والحق مع عمر ط وبقية الصحابة، وهو الحري بالاتباع، الفاصل عند النـزاع، والله أعلم.

التبرك بذوات الصالحين:

قد تقدم أن بركة الذوات لا تكون إلا لمن نص الله تعالى على إعطائه البركة كالأنبياء والمرسلين، وأما غيرهم من عباد الله الصالحين فبركتهم بركة عملٍ، أي: ناشئة عن علمهم وعملهم واتباعهم لا عن ذواتهم، ومن بركات الصالحين: دعاؤهم الناس إلى الخير، ودعاؤهم لهم، ونفعهم الخلق بالإحسان إليهم، ونحو هذا.

ومن آثار بركات أعمالهم: ما يجلب الله من الخير بسببهم، ويدفع من النقمة والعذاب العام ببركة إصلاحهم، كما قال تعالى: ﭽ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﭼهود: 117.

وأما أن يعتقد أن ذواتهم مباركة، فيتمسح بهم، ويشرب سؤرهم وتقبل أيديهم -للبركة- دائماً ونحو ذلك، **فهو ممنوع في غير الأنبياء لأوجه:**

الأول: عدم مقاربة أحدٍ للنبي ح فكيف بالمساواة في البركة والفضل؟!

ومن نفيس ما يذكر في هذه المسألة أن الإمام الشافعي : إنما حمله على الرد على شيخه الإمام مالك بن أنس : $أنه بلغه أن بأندلس كُمّة لمالك -يعني قلنسوة- يُستسقى بها، وكان يقال

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب المساجد التي على طرق المدينة و المواضع التي صلى فيها النبي ح (566/1 رقم 483 -الفتح).

(2) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (278/2).

لهم: قال رسول الله ح، فيقولون: قال مالك#[1].
وهذا يؤكد ذم الإمام الشافعي : لهذا الصنيع؛ لما تضمنه من المبالغة و الخروج عن النهج السوي.
الثاني: أنه لم يرد دليلُ شرعي يدل على أن غير النبي ح مثله في التبرك بأجزاء ذاته، فهو خاص به كغيره من خصائصه.
يقول الإمام ابن رجب : في معرض سياقه للنهي عن المبالغة في تعظيم الأولياء الصالحين، وتن-زيلهم من-زلة الأنبياء: $وكذلك التبرك بالآثار، فإنما كان يفعله الصحابة مع النبي ح، ولم يكونوا يفعلونه مع بعضهم بعضاً، ولا يفعله التابعون مع الصحابة، مع علو قدرهم؛ فدل على أن هذا لا يُفعَل إلا مع النبي ح، مثل التبرك بوضوئه، وفضلاته، وشعره، وشرب فضل شرابه وطعامه#[2].
الثالث: ما قاله الإمام الشاطبي : حين تعرض لقياس غير النبي عليه بجامع الولاية، قال: $إلا أنه عارضنا في ذلك أصل مقطوع به في متنه، مشكل في تن-زيله، وهو أن الصحابة ن بعد موته ح لم يقع من أحدٍ منهم شيء من ذلك بالنسبة إلى من خلفه، إذ لم يترك النبي ح بعده في الأمة أفضل من أبي بكر الصديق ط فهو كان خليفته، ولم يفعل به شيء من ذلك، ولا عمر ط، وهو كان أفضل الأمة بعده، ثم كذلك عثمان ثم علي ثم سائر الصحابة، الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة، ثم لم يثبت لواحدٍ منهم من طريق صحيح معروف أن متبركاً تبرك به على أحد تلك الوجوه أو نحوها[3]، بل اقتصروا فيهم على الاقتداء بالأفعال والأقوال والسير التي اتبعوا فيها النبي ح، فهو إذاً إجماع منهم على ترك تلك الأشياء كلها#[4].
وكذا لم يفعلوا ذلك مع الحسن والحسين م، ولا فاطمة ك؛ فالبركة الذاتية لا تنتقل بالنطفة، خلافاً لمن زعم غير ذلك من غلاة الرافضة، ومن تبعهم من مقلدة وغيرهم.
الرابع: أن سد الذرائع قاعدة من قواعد الشريعة العظيمة قد دلّ عليها القرآن العظيم في مواضع، وفي السنة شيء كثير يقارب صحيحه المائة،

(1) نقله البيهقي في مناقب الشافعي (508/1)، فقال: $قرأت في كتاب أبي يحيى زكريا بن يحيى الساجي فيما حدّثه المصريون#، والساجي أخذ عن صاحبي الشافعي الكبيرين وهما المزني والربيع، كما في طبقات ابن كثير (197/1)، وطبقات السبكي (299/3). وردّ الشافعي على مالك معروف مشهور، وفي (513/8 -تحقيق رفعت فوزي) من كتاب الأم يوجَد كتاب اختلاف مالك و الشافعي، ذكر فيه الشافعي عدداً من التعقبات على مالك.
(2) الحِكَم الجديرة بالإذاعة، للحافظ ابن رجب (ص 46).
(3) يعني: التبرك بالعرق والشعر والوضوء ونحو ذلك. انظر: هذه مفاهيمنا (ص 224 -الحاشية).
(4) الاعتصام (286/2-287).

ولعله لهذا لم يسلسل التبرك بذوات الصالحين، إنما اختص به الأنبياء.
الخامس: أن فعل هذا النوع من التبرك مع غيره ح لا يؤمَن أن يفتنه، وتعجبه نفسه فيورثه العجب والكبر والرياء وتزكية نفسه، وكل هذا من محرمات أفعال القلوب.
التبرك بالآثار الأرضية للأنبياء والصالحين:
إن التبرك بالآثار الأرضية غير مشروع ومحدثٌ، ويدل على ذلك أمورٌ:
الأول: أن هذا النوع من التبرك لم يكن في عهده ح، ولم ينقل فيه شيء نقلاً مصدقاً، لا بإسنادٍ صحيح ولا حسن ولا ضعيف، فلم ينقل أن أحداً تبرك في زمانه بأثر له أرضي، وإذا لم ينقل مع توافر الدواعي على نقله ، ووجود الهمم على نقل ما هو دونه بكثير؛ عُلِم أنه لم يكن في زمانه ح، وما كان كذلك فإحداثه بدعة، وكل بدعة ضلالة، والبدع يجب النهي عنها ومضادتها.
وهذا ما أرشد الخليفة الراشد إلى النهي عنه، وعن تتبع الآثار الأرضية، كما مَرّ في ما رواه المعرور بن سويد الأسدي :.
الثاني: أن بركة ذوات الأنبياء والمرسلين لا تتعدى إلى الأمكنة الأرضية، وإلا لزم أن تكون كل أرضٍ وطئها، أو جلس عليها، أو طريق مر بها، تطلب بركتها، ويتبرك بها. وهذا لازم باطل قطعاً، فانتفى الملزوم، وهذا جلي لمن تأمل اتساعه وتسلسله.
الثالث: أن طلب التبرك بالأمكنة الأرضية خلاف سنة الأنبياء جميعاً قبل نبينا محمد ح؛ فلم يتحروا الآثار الأرضية للأنبياء قبلهم، ولا أُمروا بتحريها، وكل ما كان خلاف ذلك فهو مما أحدثه الخلوف -الذين يفعلون ما لا يؤمرون- بعد أنبيائهم حين صعبت عليهم التكاليف الشرعية، فرغبوا في التعلق لغفران الذنوب وزيادة الحسنات بالتبرك المبتدع بالآثار المكانية؛ ولذا قال عمر ط: $إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا، يتبعون آثار أنبيائهم#، وقد سبق تخريجه[1].
الرابع: أن الأمكنة الأرضية لا تكون مباركة إلا بدوام الطاعة فيها، وهي سبب إعطاء الله البركة، فالمساجد مباركة لذلك، وبركتها لا تكون مع زوال الطاعات عنها.
فمما يمثل به على هذا: أن المساجد التي غلب عليها الحربيون وصيروها كنائس زالت عنها بركة المسجد التي كانت حين كان يطاع الله فيه، وبعد أن أحدث فيها الشرك وتعبد فيها بغير شريعة الإسلام، فالبركة تنتزع، وهذا مما لا منازع فيه ولا مجادل.
الخامس: أن التبرك بالآثار المكانية وسيلة إلى ما هو أعظم: من تقديسها والاعتقاد فيها، ولا غرو، فقد قال الإخباريون عن أولاد إسماعيل ؛:

(1) انظر: (ص 928).

أنهم $ضاقت عليهم مكة، ووقعت بينهم الحروب والعداوات، وأخرج بعضهم بعضاً فتفسحوا في البلاد للالتماس المعاش. وكان الذي سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة: أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم وصبابة بمكة#[1].

وما كان هذا شأنه فمنعه أوجب، إذ الوسيلة إلى ما ليس بمشروع ليست بمشروعة سداً للباب، وقطعاً للذريعة.

إن السلامة من سلمى وجارتها أن لا تحلّ على حالٍ بواديها[2]

السادس: أن تعظيم الرسول ح والتماس بركته وتحر ِّيها يكون بما بقي اليوم من نوعي البركة وهي بركة الاتباع، والعمل بسنته، وجهاد أعداء سنته، والمخالفين لأوامر شرعه، والمنافقين الذي فتنوا الناس وأضلوهم، وبهذا رغب السلف من التابعين وأئمة الهدى، الذين حققوا محبة رسول الله ح فنالهم من بركة اتباعه ما أذن الله فيه، وتركوا عدا هذا من التبرك بالآثار ا لأرضية، فعلم من هذا أن ما تركوه غير معروف عندهم، ولا هو بمشروع.

وفي هذه الأمور لطالب الهداية والتوفيق مقنع، وللراغب في سداد القول والعمل منجع، وإن الحق لأحق أن يتبع، والحمد لله الموفق للصالحات[3].

التبرك بالأحجار والأشجار والقبور والعيون وأشباهها:

سيكون الكلام عن هذه المسألة أوسع، والنقولات عن الأئمة فيها أكثر؛ لأن أغلب انحراف الناس في إندونيسيا في باب التبرك إنما هو من هذا النوع.

لقد تقدمت الإشارة إلى ذكر بعض الأماكن المباركة، كالمساجد، وأن البركة لا تكون متعدية بأجزاء المساجد فيتمسح بأعمدتها أو جدرانها، وإنما كانت البركة فيما يحصله العابد فيها من الخير. ولكن البعض لم يقف عند هذا الحد المشروع في طلب بركتها، بل تجاوزه إلى وسائل ليست مشروعة، أو طلب البركة في أماكن أخرى ليس لها بركة أصلا ً.

ومن أبرز مظاهر هذا التبرك الممنوع: التقبيل والتمسح وغيرهما بالأ حجار والأشجار والقبور، والتبرك بماء بعض العيون والآبار والأنهار.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :: **$من قصد بقعة يرجو الخير بقصدها ، ولم تستحب الشريعة ذلك، فهو من المنكرات،** وبعضه أشد من بعض،

(1) كتاب الأصنام (ص 6)، ولم أسقه للاستدلال، وإنما لبيان ما قيل في حالهم.
(2) ذكر البيتَ ابنُ عاشور في تفسير التحرير والتنوير (356/2).
(3) إلى هذا الموضع كانت استفادتي -في هذه المسألة- من كتاب $هذه مفاهيمنا#، جزى الله مؤلفه خير الجزاء.

سواء كانت البقعة شجرة ً أو عين ً ماء، أو قناة جارية، أو جبلا ً، أو مغارة، وسواء قصدها ليصلي عندها، أو ليدعو عندها، أو ليقرأ عندها، أو ليذكر اللّه سبحانه عندها، أو ليتنسك عندها، بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيص تلك البقعة به لا عينا ً ولا نوعا ً. وأقبح من ذلك أن ينذر لتلك البقعة دهنا ً لتنور به#[1].

ويقول ابن القيم :: $ليس على وجه الأرض موضع يشرع تقبيله واستلامه، وتحط الخطايا والأوزار فيه غير الحجر الأسود والركن اليماني#[2].

ويقول السويدي :: $من ذلك عند الناس شيء كثير من أحجار وآبار وصخور وأشجار يزعمون منها شفاء الأمراض، وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات، ولو بسطت الكلام في ذلك مما يستعمله الرجال والنساء، أو يختص بالنساء من أشياء يعلقنها عليهن ويبينن[3] خواصّها وتأثيراتها في أزواجهن، ويسمِّينها بأسماء، لو رجعت الجاهلية الأولى لعجزت عن أقل القليل من هذه الجهالات وسوء الاعتقادات؛ لاحتمل مجلدات#[4].

وقد جاء النهي الصريح من المصطفى ح عن التبرك بالأشجار؛ فعن أبي واقد الليثي ط: $إن رسول اللّه ح لما خرج إلى حنين، مر بشجرة للمشركين، يقال لها $ذات أنواط#، يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول اللّه اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ح: سبحان اللّه، هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم#[5].

يقول الإمام الطرطوشي[6] : بعد سياق هذا الحديث: $فانظروا -رحمكم اللّه- أينما وجدتم سدرة، وشجرة، يقصدها الناس، ويعظِّمون من شأنها، ويرجون البرء والشفاء من قبلها،

---

(1) اقتضاء الصراط المستقيم (158/2).
(2) زاد المعاد (48/1).
(3) قال صاحب جهود الشافعية (ص 589): "هكذا في الأصل، ولم يظهر لي معناه، ولعله: $يبيّتن# بالتاء لا بالنون".
(4) العقد الثمين (ص 216) نقلا ً عن جهود الشافعية (ص 589-590).
(5) مضى تخريجه في (ص 52).
(6) هو: محمد بن الوليد بن خلف الفهري الأندلسي الطرطوشي المالكي أبو بكر (451-520 هـ)، مشهور بالدين والزهد والعلم والعبادة ونشر العلم، من تصانيفه: سراج الملوك، ومختصر تفسير الثعالبي، والحوادث والبدع. انظر: السير (490/19-496)، وشذرات الذهب (62/4-64).

وينوطون بها المسامير والخرق، فهي ذات أنواط فاقطعوها#[1].

فكل الأماكن المحدثة التي يتبرك بها فهي من جنس ذات أنواط.

يقول السيوطي :: $ومن البدع أيضاً: ما قد عم الابتلاء به تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد بالزعفران المجبول بماء الورد، وإسراج مواضع مخصوصة في كل بلد بما ليس عليهم، فيفعلون ذلك، ويظنون أنهم متقربون بذلك؛ ثم يتجاوزون في ذلك إلى تعظيم تلك الأماكن في قلوبهم؛ فيعظمونها، ويرجون الشفاء، وقضاء الحوائج بالنذر لها، وتلك الأ ماكن من بين عيون، وشجر، وحائط، وطاقة، وعامود، وما أشبه ذلك بذات أنواط الواردة في الحديث الذي رواه الترمذي وصححه، عن أبي واقد الليثي#[2].

وبنحوه يقول ابن حجر الهيتمي : [3].

مما يدل على عدم جواز التبرك بالأحجار ونحوها؛ أن التقبيل والمسح من خصائص بعض أجزاء الكعبة؛ إذ لم يرد عن النبي ح تقبيل شيء من الجمادات إلا الحجر الأسود، كما لم يرد عنه ح المسح إلا مسح الحجر الأ سود والركن اليماني من الكعبة، و$قد ثبت باتفاق أهل العلم أن النبي ح لما حج البيت لم يستلم من الأركان إلا الركنين اليمانيين، فلم يستلم الركنين الشاميين ولا غيرهما من جوانب البيت، ولا مقام إبراهيم ولا غيره من المشاعر، وأما التقبيل فلم يقبل إلا الحجر الأسود#[4].

وأما الوقوف عند الملتزم -بين الحجر الأسود والباب- فليس فيه تمسح بحال، إنما هو إلصاق الوجه والصدر واليدين اشتياقاً، أو أسفاً على الفراق، وذُلا ً لله تعالى[5].

وقد وردت آثار عن السلف تؤكد ما سبق تقريره؛

رأى ابن الزبير[6] م أناساً يمسحون المقام فنهاهم وقال: $إنكم لم تؤمروا بالمسح، وقال: إنما

(1) الحوادث والبدع (ص 105).
(2) الأمر بالاتباع (ص 115).
(3) انظر: الفتح المبين بشرح الأربعين (ص 224-225).
(4) اقتضاء الصراط المستقيم (335/2).
(5) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (12/5) بتصرف.
(6) هو: عبد الله بن الزبير بن العوّام القرشي الأسدي أبو بكر أو أبو خُبيب (ت 73 هـ) ، كان أول مولود في الإسلام بالمدينة من المهاجرين. انظر: التقريب (رقم 3339).

أمرتم بالصلاة#[1].

وقال مجاهد :: $لا تقبل المقام ولا تلمسه#[2].

وكذلك قال قتادة، والسدي، ومقاتل -رحمهم الله- عند تفسيرهم لقوله تعالى: ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩﭼالبقرة: ١٢٥: $أمروا بالصلاة عند مقام إبراهيم ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله#[3].

وقال قتادة :: $إنما أمروا أن يصلوا عنده، ولم يؤمروا بمسحه. ولقد تكلفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم قبلها. ولقد ذكر لنا بعض من رأى أثر عقبه وأصابعه، فما زالت هذه الأمم يمسحونه حتى اخلولق وانمحى#[4].

فانظر كيف كانت دقة السلف في التعامل مع الأماكن التي وردت بها النصوص الشرعية! فكيف بالأماكن التي لم يرد الشرع بقصدها أصلاً؟

بل لا يراد بهذه الأمور الخاصة ببعض أجزاء الكعبة -من التقبيل و المسح- التبرك بها، والتماس البركات الدنيوية من أجزائها، إنما المقصود التعبد لله تعالى والاتباع لشرعه، رجاءَ المثوبة الأخروية[5]، كما نبه على ذلك عمر بن الخطاب ط عندما قبّل الحجر الأسود.

فقد ثبت في $الصحيحين# عن عمر ط $أنَّهُ جَاءَ إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فَقَبَّلَهُ فَقَالَ: إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ح يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ#[6].

يقول ابن بطال : -في شرحه للحديث- نقلاً عن الطبري :: $إنما قال ذلك عمر -والله أعلم-؛ لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام، **فخشي عمر أن يظن الجهال أن استلام الحجر هو مثل ما كانت العرب تفعله فى الجاهلية، فأراد عمر أن يعلم أن استلامه لا يقصد به إلا تعظيم الله تعالى و الوقوف عند أمر نبيه عليه السلام**؛ إذ ذلك من شعائر الحج التى أمر الله بتعظيمها، وأن استلامه مخالف لفعل أهل الجاهلية فى عبادتهم الأصنام؛ لأ نهم كانوا يعتقدون أنها تقربهم إلى الله زلفى، فنبه عمر على مجانبة هذا الا عتقاد، **وأنه لا ينبغى أن يعبد إلا من يملك الضر والنفع، وهو الله**

(1) رواه عبد الرزاق في المصنف (49/5 رقم 8958)، وابن أبي شيبة في مصنفه (714/8 رقم 15753 –تحقيق محمد عوامة).
(2) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (714/8 رقم 15754 –تحقيق محمد عوامة).
(3) نقله عنهم البغوي في تفسيره (147/1).
(4) رواه الطبري في تفسيره (527/2).
(5) انظر: فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (12/5).
(6) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب ما ذُكر في الحجر الأسود (462/3 رقم 1597 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف (925/2 رقم 1270)، واللفظ للبخاري.

تعالى#[1].

ويقول البيهقي :: $فأمير المؤمنين عمر ط كان قد عبد الحجر، فحين أهوى إلى الركن كأنه هاب ما كان عليه في الجاهلية فتبرأ من كل شيء سوى اللّه تعالى، وأخبره بأنه حجر لا يضر ولا ينفع، يريد ما كان على هيئته حجرا ً، وإنه إنما يقبله متابعة للسنة#[2].

ويقول القاضي عياض :: $ومعنى $لا تضر ولا تنفع# أي بذاتك وقدرتك، وإن كان امتثال ما شُرع فيه ينفع في الجزاء عليه والثواب#[3].

ويقول النووي :: $وإنما قال: $وإنك لا تضر ولا تنفع#؛ لئلا يغتر بعض قريبي العهد بالإسلام الذين كانوا ألِفوا عبادة الأحجار وتعظيمها رجاءَ نفعها وخوف الضرر بالتقصير في تعظيمها، وكان العهد قريباً بذلك، فخاف عمر ط أن يراه بعضهم يقبله ويعتني به فيشتبه عليه، فبيّن أنه لا يضر ولا ينفع بذاته، وإن كان امتثال ما شُرع فيه ينفع بالجزاء والثواب، فمعناه أنه لا قدرة له على نفع ولا ضر، وأنه حجر مخلوق كباقي المخلوقات التي لا تضر ولا تنفع، وأشاع عمر هذا في الموسم؛ ليشهد في البلدان، ويحفظ عنه أهل الموسم المختلفوا الأوطان#[4].

وأما ابن دقيق العيد[5] : فقد قال معللا ً مقوله عمر ط المذكورة: $... وليزيل بذلك الوهم الذي كان ترتب في أذهان الناس من أيام الجاهلية،

---

(1) شرح صحيح البخاري (278/4)، وانظر: المصدر نفسه (292/4).

(2) الجامع لشعب الإيمان (481/5). وقد قال البيهقي كلامه هذا أثناء توجيهه للرواية التي فيها أن علياً استدرك على عمر بما حاصله أن الحجر يضر وينفع، وذلك بالشهادة لمستلمه يوم القيامة، فقال عمر: $أعوذ باللّه أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا حسن#، فجعل كلام عمر مراداً به ما نقلناه عنه هنا، وجعل الكلام المنسوب لعلي مراداً به يوم القيامة.

ويبدو أن توجيه البيهقي لهذه الرواية -مع أنها إنما جاءت من طريق في غاية الضعف؛ لأنها من أفراد أبي هارون العبدي الذي أوضح البيهقي نفسه أنه ضعيف- إنما هو من أجل قطع النـزاع وغلق الباب أمام المخالفين.

وهذا العبدي شيعي كذّبه غير واحد من علماء الجرح والتعديل، كما في تهذيب التهذيب (208/3)، قال الحافظ ابن حجر حين ذكر هذه الزيادة في فتح الباري (462/3)، والتلخيص الحبير (1579/4): $في إسناده أبو هارون العبدي، وهو ضعيف جداً#، ومراده أن هذه الزيادة ليست بشيء.

(3) إكمال المعلم (345/4).

(4) شرح صحيح مسلم (9/19-20)، ونحوه في المجموع (42/8).

(5) هو: تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب القشيري الشافعي المعروف بابن دقيق العيد (625-702 هـ)، كان إماماً حافظاً فقيهاً ذا تحرير، من مصنفاته: الإمام، ومختصَره: الإلمام، والاقتراح في فن الاصطلاح. انظر: طبقات الأسنوي (102/2 رقم 850)، وشذرات الذهب (5/6-6)، والأعلام (283/6).

وتحقق عدم الانتفاع بالأحجار من حيث هي هي، كما كانت الجاهلية تعتقد في الأصنام#[1].

إذا كان هذا هو شأن الحجر الأسود الذي ورد الشرع المنـزل بالأمر بتقبيله والتمسح به، فكيف بالجمادات التي لم يرد النص فيها أصلا ؟؟

وأما ما يخص التبرك بالقبور؛ فقد تكاثر تحذير الأئمة عنه، ومما وقفت عليه من ذلك:

سئل الإمام أحمد : عمن يتمسح بقبر النبي ح؟ فقال: $ما أعرف هذا، أهل العلم كانوا لا يمسونه ويقومون ناحية فيسلمون#[2].

وقال الأثرم[3] : عمن يأتي حائط القبر فيمسه ويلصق به صدره: $ذلك من فعل الجاهلية#[4].

وقال أبو حامد الغزالي : -فيمن أتى قبر النبي ح للسلام عليه-: $ليس من السنة أن يمس الجدار ولا أن يقبله#[5]. يعني جدار قبر النبي ح.

وقال في موضع آخر: $فإن المس والتقبيل للمشاهد عادة النصارى و اليهود#[6].

---

(1) إحكام الأحكام (42/3).
(2) المستوعب، لنصير الدين السامري (274/4)، وانظر: المغني (468/5).
(3) هو: أحمد بن محمد بن هانئ الطائي، الأثرم الإسكافي أبو بكر (ت 273 هـ)، جليل القدر، حافظ إمام، أحد الآخذين عن الإمام أحمد والمكثرين من مسائله. انظر: تهذيب التهذيب (1/45-46)، وطبقات الحنابلة اختصار النابلسي (ص 37-39).
(4) المستوعب (273/4)، وانظر: المغني (468/5).
(5) الإحياء (235/1).
(6) المرجع السابق (245/1).

وقال أبو الحسن الزعفراني[1] :: $ولا يستلم القبر بيده، ولا يقبله، وعلى هذا مضت السنة، واستلام القبور وتقبيلها الذي يفعله العوام الآن من المبتدعات المنكرة شرعاً، ينبغي تجنب فعله وينهى فاعله#[2].

وقال أبو موسى المديني[3] :: $... قد صح النهي عن تعظيم القبور، وإذا لم يستحب استلام الركنين الشاميين من أركان الكعبة لكونه لم يسن -مع استحباب استلام الركنين الآخرين- فلأن لا يستحب مس القبور أولى #[4].

وقال نصير الدين السامُرّي[5] :: $ثم يأتي حائط القبر فلا يمسه، ولا يلصق به صدره؛ لأن ذلك عادة اليهود#[6].

وقال ابن قدامة :: $ولا يستحب التمسح بحائط قبر النبي ح، ولا تقبيله#[7].

فقد نقل الحليمي : عن بعض أهل العلم النهيَ عن إلصاق البطن والظهر بجدار قبر النبي ح وعن مسحه باليد، وأن ذلك من البدع، وأقرّه الحليمي ودلل على صحته بأنه ما كان يُتقرّب في حياة النبي ح بمسح جدار بيته ولا بإلصاق البطن والظهر به، مُبيّناً أنه كما يُطاف بالكعبة ولا يطاف بقبره ح فلا يُنكر أن تُمسح الكعبة ولا يمسح جدار القبر[8].

ونقل الإمام النووي : هذا وأقره بقوله: $هذا هو الصواب الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه، ولا يُغترّ بمخالفة كثير من العوام وفعلهم ذلك، فإن الا قتداء والعمل إنما يكون بالأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء[9]، ولا يلتفت

---

(1) هو: محمد بن مرزوق بن عبد الرزاق البغدادي الزعفراني الجلاب الشافعي أبو الحسن (517-442 هـ)، الفقيه، المحدث، الثبت، الصالح. انظر: طبقات ابن قاضي شهبة (294/1)، والسير (472-471/19).
(2) نقله عنه النووي في المجموع (286/5).
(3) هو: محمد بن أبي بكر عمر الأصبهاني الشافعي أبو الحسن المديني (501-581 هـ)، صاحب التصانيف المشهورة مثل: تتمة الغَرِيبَين، وذيل معرفة الصحابة وغيرهما، وكان : متواضعاً ولا يقبل من أحد شيئاً. انظر: السير (152/21-159)، وطبقات السبكي (160/6-163).
(4) نقله عنه النووي في المجموع (287/5).
(5) هو: محمد بن عبد الله بن الحسين السامُرّي الحنبلي، نصير الدين، يعرف بابن سُنَيْنَة (616-535 هـ)، كان حسن المعرفة بالمذهب والخلاف، من مؤلفاته: المستوعب في الفقه، والبستان في الفرائض، والفروق. انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (248/3)، وشذرات الذهب (70/5-71).
(6) المستوعب (273/4).
(7) المغني (468/5).
(8) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (457/2).
(9) يعني: أقوالهم الموافقة للكتاب والسنة.

إلى محدثات العوام وغيرهم وجهالاتهم# ثم قال :: $**ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالاته وغفلته؛ لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع، وكيف ينبغي[1] الفضل في مخالفة الصواب**#[2].

وهذا كلام في غاية الحسن والاستقامة.

وقال عز الدين ابن جماعة :: $عدّ بعض العلماء من البدع: الانحناء للقبر المقدس عند التسليم، قال: يظن من لا علم له أنه من شعار التعظيم، **وأقبح منه تقبيل الأرض للقبر، لم يفعله السلف الصالح**، والخير كله في اتباعهم، رحمهم الله تعالى ونفعنا بهم، ومن خطر بباله أن تقبيل الأرض أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته؛ لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع وأقوال السلف وعملهم، **وليس عجبي ممن جهل ذلك فارتكبه، بل عجبي ممن أفتى بتحسينه مع علمه بقبحه ومخالفته لعمل السلف**[3]، واستشهد لذلك بالشعر#[4].

ترى أقوال أئمة الإسلام -مع اختلاف مذاهبهم وتفاوت عصورهم- متفقة على النهي عن التمسح بالقبور وتقبيلها -سواء كانت قبر أفضل البشر ح أو قبر غيره، وسواء بقصد تعظيمها أو التبرك بها-، حتى وصف بعضهم أن ذلك العمل ليس من صنيع المسلمين، بل هو من سنن من كان قبلنا من اليهود والنصارى، ومن أفعال أهل الجاهلية مع أصنامهم وما كانوا يعبدونه من الأشجار والأحجار، فهل بعد هذا البيان بيان؟

كما أن علماء الإسلام لا زالوا ينكرون كل ما أحدثه الناس من المواضع للتبرك بها، ويبينون مدى انحرافه عن الصراط السوي، وهذا هو واجب علماء الإسلام، عملا ً بقول الله جل وعلا: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼآل عمران: ١٨٧، وحفاظاً على صفاء العقيدة الإسلامية.

ومن أمثلة قيام العلماء بذلكم الواجب:

ما قاله أبو إسحاق الجبنياني[5] : حين حج بعض أصحابه وأحضر

---

(1) قال في المعجم الوسيط (ص 65): $أكثر ما يستعمل في معنى الطلب ابتغى لا بَغَى#، فلعل الأَوْلى في هذا الموضع من كلام النووي $يُبْتَغَى#، والله أعلم.

(2) المجموع (258-275/8).

(3) ألا فليعتبر علماء السوء الذين باعوا دينهم بعرض من الدنيا، وليعودوا إلى رشدهم ، قبل أن يأتي الندمُ، ولات ساعة مندم ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ الشعراء: 88-٨٩. نسأل الله الثبات إلى الممات...

(4) هداية السالك (1390/3-1391)، والظاهر أن الكلام المنقول عن هذا البعض من العلماء تداخل مع كلام ابن جماعة، فلم يتميز أحدهما عن الآخر، ونهاية قوسي التنصيص في الأصل المطبوع غير سليمة، وعلى كل حال فإن ابن جماعةقد ساق هذا الكلام في معرض التقرير، فلم يضرنا عدم تمييز كلامه عن الكلام الذي نقله.

(5) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن علي الجبنياني (ت 369 هـ)، أحد أئمة المسلمين والعلماء العاملين، مجمع على فضله وورعه، كان كثير الصمت، قليل الكلا

معه حجارة من المسجد الحرام وقال له: يا أبا إسحاق، إني أتيت معي بحصيات من حصى المسجد الحرام، أتحبّ أن أعطيك منهن شيئاً تسبح بهن ؟ فقال :: $يا أحمق، ارم بهنّ، فعلى أقل من هذا عبدت الحجارة#[1].

ومن الأمثلة: ما نبّه عليه الحافظ ابن الصلاح : في المنسك الذي صنفه ، من أمور رام الناس من خلالها تحصيل البركة من غير طريقها المشروع، حيث قال: **$وقد ابتدع من قريب بعض الفجرة المحتالين** في الكعبة المكرمة **أمرين باطلين عظُم ضررهما** على العامة:

أحدهما: ما يذكرونه من العروة الوثقى، عمدوا إلى موضع عال من جدار البيت المقابل لباب البيت، فسموه بالعروة الوثقى، فأحوجهم إلى أن يقاسوا في الوصول إليه شدة وعناء، ويركب بعضهم فوق بعض، وربما صعدت الأنثى فوق الذكر ولامست الرجالَ ولامسوها، فلحقهم بذلك من الضرر ديناً ودنيا.

والثاني: مسمار في وسط البيت سموه: سرة الدنيا، وحملوا العامة على أن يكشف أحدهم عن سرته وينبطح بها على ذلك الموضع، حتى يكون واضعاً سرته على سرة الدنيا، **قاتل اللّه واضع ذلك ومختلقه!#**[2].

وهذان الأمران المُبْتَدَعان قد قُصِد بهما تحصيل البركة كما لا يخفى، فلذلك ارتكب العوام كل هذه المنكرات بعد أن زيّنها لهم أهل الاحتيال وأكل أموال الناس بالباطل، كما نبّه على ذلك النووي : عندما حذر مما حذر منه ابن الصلاح ونسب من أحدثه إلى الضلالة، وقال: **$هما أمران باطلان أ حدثوهما لأغراض فاسدة وللتوصل إلى سحت يأخذونه من العامة#**[3].

وقال ابن الصلاح : أيضاً: **$من جهالات العامة وبدعهم** في مسجد رسول اللّه ح تقرُّبُهم بأكل التمر الصيحاني في الروضة الشريفة بين المنبر و القبر، وقطعُهم من شعورهم ورميُها في القنديل الكبير القريب من التربة النبوية#[4].

ونقل كلامَ ابن الصلاح مقراً له أبو شامة[5]، والسيوطي[6]، والنووي الذي وصف صنيعَهم بأنه **$من المنكرات المستشنعة والبدع**

ام، فإذا تكلم نطق بالحكمة. انظر: ترتيب المدارك (222/6)، والديباج المذهب (264-265/1)، وشجرة النور الزكية (ص 95).

(1) ترتيب المدارك (243/6).
(2) نقله عنه أبو شامة في الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص 90).
(3) المجموع (249/8).
(4) نقله عنه أبو شامة في الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص 91).
(5) انظر: المرجع السابق.
(6) انظر: الأمر بالاتباع (ص 258).

المستقبحة#[1].

ولا ريب أن مراد العامة بما ذُكِر هنا هو: التبرك لا إهانة هذه المواضع، ولكن لما كان استنادهم إلى غير الشرع؛ بيّن العلماء أن ذلك من البدع القبيحة.

ويقول ابن النحاس : بعد أن ذكر صوراً من تبرك الناس بالأماكن التي أحدثوها: $الواجب على من رأى شيئاً من ذلك أن يُذهِب أثره ما قدر عليه، ويطفيء ما وجد عليه من سرج وشمع ونحو ذلك، ويبين للناس أن هذا منكر وبدعة واعتقاد فاسد لا يحل، وأنه لا ضار ولا نافع إلا الله تعالى وحده، ويجب على العلماء إذا اشتهر شيء من ذلك أن يبينوا للناس حكمَ الله فيه ، وينكروه بما تصل إليه قدرتهم#[2].

بل بعض العلماء لم يكتف بالبيان القولي حتى قام بالبيان العملي بإزالة ما يتبرك به التبرك البدعي، وذلك عند القدرة على ذلك وعدم حصول فتنة أعظم.

كما فعل أبو إسحاق الجبنياني : حيث $كان إلى جانبه عين تسمى عين العافية، كان العامة قد اقتتنوا بها يأتونها من الآفاق، من تعذّر عليه نكاح أو ولد قال: امضوا بي إلى عين العافية، فتعرف بها الفتنة. قال أبو عبد الله: فأنا في السحر ذات ليلة إذ سمعت أذان أبي إسحاق نحوها، فخرجت فوجدته قد هدمها، وأذّن الصبح عليه، ثم قال: اللهم إني قد هدمتها لك، فلا ترفع لها رأساً. فما رفع لها رأس إلى الآن#[3].

فإقدامه : على ذلك لما رأى من سوء حال أولئك المتوهمين للبركة وخاف أن يجرهم ذلك إلى الشرك بالله تعالى باعتقاد النفع والضر من غير الله تعالى.

ثم مما يلاحظ أن كثيراً ممن أحدثوا أماكن للتبرك بها، وأفعالا ً راموا بها حصول البركة المزعومة، إنما بنوا فعلهم ذلك على منامات يرونها[4]، يزعمون أن الولي الفلاني أمرهم بذلك، وما يدرون أن ذلك شيطان يريد أن يغويهم عن الصراط السوي. والعلماء قد نبهوا إلى أن فتنة العامة بما يزعمون بركته من المواضع كانت بواسطة المنامات.

يقول أبو شامة : عند كلامه على البدع التي يظنها أهلها عباداتٍ وقُرَباً: $ومن هذا القسم أيضاً: ما قد عمّ الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة

(1) المجموع (259/8).
(2) تنبيه الغافلين (ص 523-524).
(3) انظر: الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص 24)، وتيسير العزيز الحميد (ص 141-142).
(4) انظر ما سيأتي في (ص 1012-1013) من بيان أن المنامات لم يُثبَت بها حكم شرعي.

تخليق الحيطان والعُمُد، وسرجِ مواضعَ مخصوصةٍ في كل بلد، يحكي لهم حاك أنه رأى في منامه بها أحداً ممن شهر بالصلاح والولاية، فيفعلون ذلك، ويحافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله تعالى وسُنَنَه[1]، ويظنون أنهم متقربون بذلك#[2].

ويقول السيوطي :: $ورؤية النبي ح أو الرجل الصالح في المنام ببقعة لا تُوجِب لها فضيلة تُقصَد البقعة لأجلها، وتتخذ مصلى مكروه[3]، وإنما يفعل ذلك وأمثاله أهل الكتاب، وهذه الأمكنة كثيرة موجودة في أكثر البلاد، فهذه البقاع لا يعتقد لها خصيصة كائنة ما كانت، فإن تعظيم مكان لم يعظمه الله شر مكان، وهذه المشاهد الباطلة إنما وضعت مضاهاة لبيوت الله، وتعظيماً لما لم يعظمه الله، وعكوفاً على أشياء لم تنفع ولم تضر، وصداً للخلق عن سبيل الله#[4].

والواجب على حكام المسلمين منع الناس من التبرك بمثل تلك الأماكن ، وإزالة كل ما يتعلق الناس به في هذه البدع، كما فعل ذلك الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ط مع الشجرة التي بويع تحتها النبي ح.

روى ابن وضاح : $أن عمر بن الخطاب ط أمر بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ح؛ لأن الناس كانوا يذهبون تحتها، فخاف عمر الفتنة عليهم#[5].

وقد استنبط الحافظ ابن حجر : من بعث النبي ح جرير بن عبد الله ط لهدم ذي الخلصة[6]، وما فعله جرير من حرقها بالنار وكسرها[7]، استنبط : $مشروعية إزالة ما يفتتن به الناس من بناء وغيره، سواء كان إنساناً أو حيواناً أو جماداً#[8].

فيجب على حكام المسلمين إزالة كل ما يتبرك به تبركاً بدعياً؛ من قبر، ونصب، وشجر، وحجر، ومسجد بني على قبر، وقنديل، وسراج، وشمع على قبر، وخرقة، ومسمار، وحائط، وعين، وعمود ونحوها.

---

(1) فهذا حال المتوهمين للبركة، لا يزال بهم صنيعهم حتى يُفَرّطوا فيما هو من شرع الله جزماً، ثم يتدرج بهم الأمر إلى ما هو أسوأ، من الشرك وأنواع الضلال، نسأل الله السلامة والعافية...

(2) الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص 23).

(3) هكذا في الأصل، والظاهر أن في الكلام سقطاً.

(4) الأمر بالاتباع (ص 122-123).

(5) سبق تخريجه في (ص 50).

(6) سبق ذكر معنى ذي الخلصة في (ص 730 الحاشية الأولى) .

(7) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة ذي الخلصة (8/70-71 رقم 4357 -الفتح).

(8) فتح الباري (8/73).

فالواجب هدم هذه الأشياء كلها، وإزالة أثرها، والمبادرة إلى محوها؛ لأ
ن الناس يقصدونها، ويعظمونها، ويرجون البرء والشفاء بها والتبرك بها، حسماً للفتنة التي عظمت بها، وقطعاً للبلوى التي اشتدت بها؛ إذ هي سبب للعنة الله تعالى والطرد من رحمته؛ ولأنها أعظم شراً ومفسدة من مسجد الضرار[1]؛ ولأن هذه التبركات البدعية قنطرة للتبركات الشركية، فوجب منع ذلك؛ حماية لحمى التوحيد، وسداً لذرائع الشرك لئلا تصير هذه الأشياء أوثاناً تعبد من دون الله تعالى.

يقول العلامة البركوي :: $ومن عظيم كيده [أي الشيطان] ما نصبه للناس من الأنصاب والأزلام التي هي رجس من عمل الشيطان، وقد أمر الله المؤمنين باجتنابه وعلق فلاحهم بذلك الاجتناب فقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ [المائدة: ٩٠]. فالأنصاب: جمع نصب بضمتين أو بالفتح والسكون وهو: كل ما نصب وعبد من دون الله من شجر أو حجر أو وثن أو قبر ...

فالواجب هدم ذلك كله ومحو أثره، كما أن عمر ط لما بلغه أن الناس ينتابون الشجرة التي بويع تحتها النبي ح أرسل فقطعها، فإذا كان عمر ط فعل ذلك بالشجرة التي بايع تحتها صحابة رسول الله ح، وذكرها الله تعالى في القرآن حيث قال: ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ [الفتح: ١٨]، فما حكمه فيما عداها من هذه الأنصاب التي قد عظمت الفتنة بها واشتدت البلية بسببها؟

وأبلغ من ذلك أنه ؛ هدم مسجد الضرار، ففي هذا دليل على هدم ما هو أعظم فساداً منه؛ كالمساجد المبنية على القبور، فإن حكم الإسلام فيها أن تهدم حتى تسوى بالأرض.

وكذلك القباب التي بنيت على القبور يجب هدمها لأنها أسست على معصية الرسول ح، وكل بناء أسس على معصيته ومخالفته فهو أولى بالهدم من مسجد الضرار؛ لأنه ح نهى عن البناء على القبور، ولعن المتخذين عليها مساجد وأمر بهدم القبور المشرفة وتسويتها بالأرض[2].

فيجب المبادرة والمسارعة إلى هدم ما نهى عنه رسول الله ح ولعن فاعله، وكذلك يجب إزالة كل قنديل، وسراج، وشمع أوقدت على القبور، فإن فاعل ذلك ملعون بلعنة رسول الله ح، والله تعالى يقيم لدينه ولسنة رسوله

---

(1) كان مسجداً بناه المنافقون إضراراً بالإسلام والمسلمين وإرصاداً للكفار وأرادوا أن يحتالوا على رسول الله ح وهو في صدد غزوة تبوك، فقالوا: إنا نحب أن تصلي فيه يا رسول الله! فوعدهم رسول الله ح بذلك أن يصلي فيه بعد قفوله من تبوك، ولكن جاء خبر السماء، فأمر النبي ح رجلين فهدماه وأحرقاه. روى القصة ابن جرير الطبري في تفسيره (673/11).

(2) سيأتي تخريج هذه الأحاديث في (ص 995-996).

ح من ينصرهما ويذب عنهما#[1].

متى يكون التبرك الممنوع شركاً أكبر ومتى يكون شركاً أصغر؟[2]

إن التبرك بالشجر، أو الحجر، أو بالقبر، أو غيرها من المخلوقات كله من البدع المحدثة القبيحة، إلا أنه قد يكون شركا ً أكبر، وقد يكون شركا ً أصغر.

فيكون شركا أكبر: إذا اعتقد أن البركة فيها استقلالا ً من دون الله سبحانه.

وكذا إذا طلب بركتها، معتقدا ً أنه بتمسحه بهذا الشجر، أو الحجر، أو القبر، أو تمرغه عليه، أو التصاقه به: يتوسط له عند الله. فإذا اعتقد فيه أنه وسيلة إلى الله فهذا: اتخاذ إله مع الله جل وعلا وشرك أكبر، وهذا هو الذي كان يعتقده أهل الجاهلية في الأشجار، والأحجار التي يعبدونها، وفي القبور التي يتبركون بها؛ يعتقدون أنهم إذا عكفوا عندها، وتمسحوا بها، أو نثروا ترابها على رؤوسهم، فإن هذه البقعة، أو صاحب هذه البقعة، أو الروحانية وهي الروح التي تخدم هذه البقعة: أنه يتوسط له عند الله جل وعلا، فهذا الفعل إذًا راجع إلى اتخاذ أنداد مع الله جل وعلا، وقد قال سبحانه: ﭽﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ الزمر 3.

فمن طلب الخير والنماء من غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، أو اعتقد أن المتبرّك به غير الله تعالى يعطي الخير والنماء فوق الأ سباب العادية؛ فقد وقع في الشرك الأكبر.

وهذا النوع من التبرك يرجع إلى عقيدة التصرف في الكون لغير الله سبحانه وتعالى.

ويكون التبرك شركا ً أصغر: إذا كان يتخذ هذا التبرك بنثر التراب عليه، أو إلصاق الجسم به، أو التبرك بعين ونحوها، أسبابا ً لحصول البركة بدون اعتقاد أنها توصل وتقرب إلى الله، كما يفعل لابس التميمة، أو الحلقة، أو الخيط؛ فكذلك هذا المتبرك، يجعل تلك الأشياء أسبابا ً فإذا أخذ -من هذه حاله- تراب القبر، ونثره عليه لاعتقاده أن هذا التراب مبارك، وإذا لامس جسمه فإن جسمه يتبارك به أي: من جهة السببية؛ فهذا شرك أصغر؛ لأنه لا يكون عبادة لغير الله جل وعلا، وإنما اعتقد ما ليس سببا ً مأذونا ً به شرعا ً سببا ً.

فهذا ليس فيه طلب البركة التي هي الخير والنماء من غير الله تعالى

(1) زيارة القبور الشرعية والشركية (40-41)، وانظر: إغاثة اللهفان (396/1)، وتنبيه الغافلين (ص 308-309).

(2) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص 128-129)، وقواعد ومسائل في توحيد الإ لهية (ص 163)، وجهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (1575/3-1580).

فيما لا يقدر عليه إلا الله، بل كل ما فيه طلب الخير والنماء من الله، ولكن بواسطة شيء لم يرد الشرع به.

والله تعالى أعلم...

المبحث التاسع: زيارة القبور، والأماكن المزعوم أنها مقدسة، ومعابد غير المسلمين

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم زيارة القبور والأماكن المزعوم أنها مقدسة ومعابد غير المسلمين، وأنواعها

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في زيارة القبور والأماكن المزعوم أنها مقدسة ومعابد غير المسلمين

المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

المطلب الأول: مفهوم زيارة القبور والأماكن المزعوم أنها مقدسة ومعابد غير المسلمين، وأنواعها

- مفهوم زيارة القبور والأماكن المزعوم أنها مقدسة ومعابد غير المسلمين:

معنى الزيارة:

أصل الكلمة: الزيارة مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ هو $زَوَرَ#[1].

تصريفها: الزيارة على وزن $فِعَالَة#، وهي مصدر سماعي للفعل الثلاثي $زَوَرَ-يَزُورُ-زَوْراً-وزِيَارَة-وزوَارَة#[2].

معناها لغة: بعض معاني مادة $زور# في كتب اللغة:

1. العدول عن الشيء والميل إلى غيره، يقال: الازوِرَار، وقد ازْوَرّ عنه، أي عدل عنه وانحرف ومال إلى غيره.
2. والتزوير: إكرام المزور للزائر، والمزار: موضع الزيارة، وفي الحديث: $وإن لِزَوْرِكَ عليك حقاً...#[3].
3. المعاودة، يقال: زاره زيارة، أي عاده، والزَّوْرَة: المرة الواحدة[4].

هذا ما عثرت عليه من معانٍ في كتب اللغة، وقد جعل ابن فارس : أصلَ مادة زور راجعاً إلى الميل والعدول، وعلاقة المعنى الشرعي بالمعنى اللغوي الأخير -وهو المعاودة- أقرب وألصق -كما سترى-، وهذه المعاودة ترجع في الأصل إلى معنى الميل والعدول؛ وذلك أن من عاود شخصاً وزاره فقد مال إليه وعدل عن غيره، والله أعلم.

وهذا المعنى للزيارة يختص -في الأصل- بمجيئ الأحياء بعضهم لبعض مودةً ومحبةً، ثم استعمل في مجيء الأحياء إلى قبور الأموات، وصار حقيقة عرفية[5].

معنى القبور:

القبور هي: جمع قبر وهو مدفن الإنسان إذا مات. والمقبرة: موضع

---

(1) مقاييس اللغة (36/3).

(2) انظر تصريف الكلمة في: أدب الكاتب لابن قتيبة (ص 625)، ولسان العرب (111/6)، وتصريف الأسماء (ص 51)، ومعجم تصريف الأفعال العربية (ص 138-139).

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم (218/4 رقم 1975 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا أو لم يفطر العيدين والتشريق وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم (814/2 رقم 1159) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص م، واللفظ للبخاري.

(4) انظر: الصحاح (672/2-673)، ولسان العرب (110/6-113).

(5) انظر: الشرك ومظاهره (ص 337).

القبور، وجمعها مقابر[1].

معنى المعابد:

المعابد جمع معبد وهو مكان العبادة[2].

مفهوم الأماكن المزعوم أنها مقدسة:

كلمة مقدس مشتق من التقديس، والتقديس هو: التطهير والتبريك، يقال: قدّسه تقديساً: إذا طهّره اعتقاداً ونسبة[3]. إذاً مفهوم الأماكن المزعوم أنها مقدسة: الأماكن التي يُعتَقد أنها مطهرة ومباركة.

- أنواع زيارة القبور[4]:

زيارة القبور على ثلاثة أنواع:

1. شرعية.
2. بدعية.
3. شركية.

أما النوع الأول وهو الزيارة الشرعية، فهي الزيارة التي يقصد بها تذكر الآخرة، والدعاء للميت، واتباع السنة.

أما زيارة القبور من أجل تذكر الآخرة فيدل عليها قول النبي ح فيما رواه عنه أبو هريرة ط: **$**زوروا القبور، فإنها تذكركم الآخرة#[5].

وأما الدعاء للميت فلأن النبي ح أعلم أصحابه بذلك؛ كما جاء في حديث بريدة ط قال: **$**كان رسول اللّه ح يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر، فكان قائلهم يقول: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء اللّه للاحقون، أسأل اللّه لنا ولكم العافية#[6].

وأما زيارة القبور من أجل اتباع السنة؛ فلأن النبي ح كان يزور القبور وأمر أمته بزيارتها؛ فعن بريدة ط قال: قال رسول اللّه ح: **$**نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ فَزُورُوهَا#[7].

---

(1) انظر: لسان العرب (9/11).
(2) المعجم الوسيط (ص580).
(3) انظر: الصحاح (3/960-961)، ولسان العرب (11/60-62).
(4) انظر: البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد من عقائد التوحيد (ص 13-15، 32-31) بتصرف.
(5) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة القبور (ص 275 رقم 1569) وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (36/2 رقم 1285).
(6) سبق تخريجه (ص 254).
(7) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ح ربه عز وجل في زيارة قبر أمه (672/2 رقم 977)، وفي كتاب الأضاحي، باب بيان ما كان من

قال الإمام النووي :: $هذا من الأحاديث التي تجمع الناسخ والمنسوخ، وهي صريحة في نسخ نهي الرجال عن زيارتها، وأجمعوا على أن زيارتها سنة لهم#[1].

وأما النوع الثاني: وهي الزيارة البدعية، فهي الزيارة التي يقصد بها عبادة الله عند القبور؛ كقراءة القرآن والصلاة عندها، أو قصد التبرك بها، أو البناء عليها، أوشدّ الرّحال إليها، ونحو ذلك مما ثبت النهي عنه، أو مما لا أصل له في الشرع.

فعن أبي مرثد الغنوي[2] ط قال: قال رسول الله ح: $لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها#[3].

قال الإمام النووي : في شرح هذا الحديث: $فيه تصريح بالنهي عن الصلاة إلى القبر، قال الشافعي :: "وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً؛ مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس"#[4].

وأما قراءة القرآن عند المقابر فلم تثبت عن النبي ح ولا عن صحابته ن؛ فبالتالي هي من الأمور المحدثة[5].

وأما التبرك بالقبور فهو أيضاً من البدع، كما بيّن ذلك المناوي : عند شرحه لقول النبي ح $فزوروا القبور#، قال :: $أي: بشرط ألا ّ يقترن بذلك تمسح بالقبر، أو تقبيل، أو سجود عليه أو نحو ذلك، فإنه كما قال السبكي: بدعة منكرة، إنما يفعلها الجهال#[6].

وأما البناء على القبور فقد نهى عنه النبي ح؛ كما في حديث جابر ط قال: $نهى رسول الله ح أن يبنى على القبر أو يزاد عليه#[7].

النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاثة في أول الإسلام وبيان نسخه وإباحته إلى متى شاء (1564/3 رقم 1977).

(1) شرح صحيح مسلم (50/7)، وانظر: المفهم (632/2).

(2) هو: مرثد بن أبي مرثد الغنوي (ت 4 هـ)، صحابي، شهد بدراً. انظر: التقريب (رقم 6592).

(3) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه (668/2 رقم 972).

(4) شرح صحيح مسلم (42/7).

(5) انظر: مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد الله (495/2)، ومسائل الإمام أحمد لأبي داود (ص 158)، والمغني (518/3)، والمدخل لابن الحاج (192/1)، ومجموع الفتاوى (317/24، 301)، واقتضاء الصراط المستقيم (263/2)، و الفروع (304/2)، وشرح العقيدة الطحاوية (693/2)، وتنبيه الغافلين (ص 481)، وفتاوى اللجنة الدائمة (38/9-39).

(6) فيض القدير (55/5).

(7) رواه النسائي في سننه، كتاب الجنائز، باب الزيادة على القبر (391/4 رقم 2026)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن النسائي (65/2 رقم 2026).

وأما شد الرحال إلى القبور، فإن عامة أهل العلم ذهبوا إلى تحريمه[1]. واستدلوا على ذلك بقول النبي ح: $لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد؛ المسجد الحرام، ومسجد الرسول ح ومسجد الأقصى#[2].

قال الحافظ ابن حجر : عند شرحه لهذا الحديث: $قوله "لا تشد الرحال" بضم أوله بلفظ النفي، والمراد: **النهي عن السفر إلى غيرها**، قال الطيبي: هو أبلغ من صريح النهي، كأنه قال: **لا يستقيم أن يقصد بالزيارة إلا هذه البقاع لاختصاصها بما اختصت به**. والرحال بالمهملة جمع رحل وهو للبعير كالسرج للفرس، وكنى بشد الرحال عن السفر؛ لأنه لازمه وخرج ذكرها مخرج الغالب في ركوب المسافر، وإلا فلا فرق بين ركوب الرواحل، والخيل، والبغال، والحمير، والمشي في المعنى المذكور#[3].

وهذا الحديث، إذا عرفت قصة إيراده، زال الكثير من الخلط واللبس. فإن سبب إيراده هو: ما حَدَث بين أبي بصرة[4] وأبي هريرة م:

لقي أبو بصرة الغفاري ط أبا هريرة ط وهو جاءٍ من الطور، فقال: من أين أقبلت؟ فقال: من الطور، صليت فيه، قال: أما لو أدركتك قبل أن ترحل إليه ما رَحَلْتَ؛ إني سمعت رسول الله ح يقول: $لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد؛ المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى#[5].

وعن قزعة[6] : قال: $أردت الخروج إلى الطور فسألت ابن عمر، فقال: أما علمت أن النبي ح قال: $لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد؛ المسجد الحرام، ومسجد الرسول ح والمسجد الأقصى# دع عنك الطور فلا تأته#[7].

---

(1) انظر: الجواب الباهر (ص 54).

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (63/3 رقم 1189 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد (1014/2 رقم 1397) عن أبي هريرة ط، واللفظ للبخاري.

(3) فتح الباري (64/3).

(4) هو: حُمَيْل بن بصرة بن وقاص أبو بصرة الغفاري، صحابي سكن مصر ومات بها. انظر: التقريب (رقم 1581).

(5) رواه الإمام أحمد في مسنده (270/39 رقم 23850) وقال محققوه: $إسناده صحيح#. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (3/4): $رواه أحمد والبزار بنحوه و الطبراني في الكبير والأوسط ورجال أحمد ثقات أثبات#. وقال الشيخ الألباني في أحكام الجنائز (ص 226): $إسناده صحيح، وله عند أحمد طريقان آخران؛ إسناد ا لأول منهما حسن، والآخر صحيح#.

(6) هو: قزعة بن يحيى البصري، تابعي ثقة. انظر: التقريب (رقم 5582).

(7) أخرجه الأزرقي في أخبار مكة (585/1 رقم 717)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (4/4): $رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات#، وصحح

فظهر من هاتين القصتين أن أصحاب الرسول ح فَهموا بأن شد الرحال إلى الأصقاع والبقاع -غير هذه الأماكن الثلاثة- بقصد التعبد؛ محرّم، أما إن كان الغرض: السفر للتجارة وما في حكمها؛ فلا يدخلها التحريم[1].

ويأتي الكلام الموسع عن هذه المسألة في المطلب الثالث بإذن الله.

وأما النوع الثالث من أنواع زيارة القبور: وهي الزيارة الشركية، فهي: التي يقصد بها تعظيم القبور، ودعاء أصحابها، أو الذبح لهم، أو النذر لهم، أو غير ذلك من العبادات التي لا تصلح إلا لله سبحانه.

وسيأتي مزيد بيان لهذا النوع الأخير في المطلبين الثاني والثالث.

- **أنواع زيارة الأماكن المزعوم أنها مقدسة:**

ظهر لي -والله أعلم- أنه يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

1. زيارة شركية: وهي التي يقصد بها عبادة غير الله في هذه الأماكن.
2. زيارة بدعية: وهي شد الرحال إليها لفعل أمور بدعية عندها، مع خلوها من الأمور الشركية. ودليل بدعية هذا النوع من الزيارة هو نفس دليل بدعية شد الرحال إلى القبور.
3. زيارة مشروعة: وهي زيارة هذه الأماكن من أجل إنكار المنكرات فيها.

- **أنواع زيارة معابد غير المسلمين:**

1. **زيارة ممنوعة**: وهي الزيارة التي لا مصلحة فيها، كأن تكون لمجرد الزيارة السياحية. فإن في هذه الزيارة تكثيراً لسواد غير المسلمين، ووسيلة من وسائل الوقوع فيما حرمه الله تعالى من الوقوع في الشرك، والاختلاط بين الرجال والنساء، وغير ذلك من المنكرات.
عن عمر بن الخطاب ط: $... ولا تدخلوا على المشركين في كنائسهم ومعابدهم فإن السخطة تن-زل عليهم#[2].
2. **زيارة مشروعة**: وهي الزيارة التي فيها مصلحة شرعية كدعوة غير المسلمين إلى دين الله سبحانه[3].

الشيخ الألباني إسناده وقال: $رجاله رجال الصحيح# أحكام الجنائز (ص226)._

(1) انظر: فتح الباري (65/3).

(2) رواه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الجزية، باب كراهية الدخول على أهل الذمة في كنائسهم والتشبه بهم يوم نيروسهم (234/9)، وصححت إسناده اللجنة الدائمة كما في الفتاوى (77/2).

(3) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (77/2)، والموسوعة الفقهية الكويتية (245/20-246).

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف فى زيارة القبور، والأماكن المزعوم أنها مقدسة، ومعابد غير المسلمين

هذه الانحرافات مما يكثر وقوع مسلمي إندونيسيا فيها، وأبدأ بذكر بعض الأمثلة لانحرافاتهم في باب زيارة القبور:
المثال الأول: زيارة بعض المسلمين لأضرحة Makam Loang Baloq (مقام لَوَاڠْ بَالُوكْ) بمدينة Mataram (مَتَرَم) بجزيرة Lombok (لُوْمْبُوْكْ) الزيارة الشركية؛ وذلك أن بعضهم من الملاحين يسألون مِن ضريح Datuk Laut (دَاتُوْكْ لَاوُتْ) البركةَ والسلامةَ قبل ذهابهم لاصطياد الأسماك في البحر، وبعضهم يسأل الذرية من ضريح Keramat Yatim Piatu (كِيْرَامَاتْ يَتِيْمْ فِيَاتُوْ)، وآخر يطلب حاجاته المختلفة -كالوظيفة مثلا ً- من ضريح الشيخ أوس عبد الرزاق(1).
المثال الثاني: زيارة بعض الناس للأضرحة التالية الزيارة الشركية؛ وذلك لكونهم يتلون أثناءها القصائد الشركية الموضوعة بتلك الأضرحة، وقد ذكرت نص تلك القصائد كاملة في مبحث الدعاء(2).
ومن تلك الأضرحة: ضريح السلطان محمود بدر الدين في مدينة Palembang (فَلِيْمْبَنْجْ) بسُوْمَطْرَا الشمالية، وضريح Sunan Muria (سُوْنَنْ مُوْرِيَا) بمدينة Kudus (قُدُسْ) بجَاوَا الوسطى، وضريح Sunan Ampel (سُوْنَنْ أَمْبِيْلْ) بمدينة Surabaya (سُوْرَابَايَا) بجَاوَا الشرقية، وأضرحة السلطان Suriansyah (سُوْرِيَانْ شَاهْ)، وضريح محمد أمين بـ Banua Anyar (بَانُوَا أنْجَارْ)، وضريح الحبيب حامد بن عباس با هاشم بـ Basirih (بَاسِيْرِيْهْ)، كلها بمدينة Banjarmasin (بَانْجَرْمَاسِيْنْ) بكالِيْمَنْتَانْ الجنوبية، وضريح محمد زيني بن عبد الغني البنجري في مدينة Martapura (مَرْتَابُوْرَا) بكالِيْمَنْتَانْ الشمالية، وضريح محمد أرشد البنجري في Kalampayan (كالَمْبَايَانْ) بكالِيْمَنْتَانْ الشمالية، وضريح أُوْتُوْهْ أمُوْتْ في Babirik (بابيريك) - بكالِيْمَنْتَانْ الشمالية، وفي هذا الضريح الأخير توجد فيه لائحة بالأمر بقراءة هذه القصائد الشركية قبل أن يجلس الزائر أمام القبر، و الله المستعان.
وقد شاهدت بأم عيني وجود هذه القصائد -التي فيها دعاء لأصحاب القبور- في تلك الأضرحة، أثناء زيارتي لها قبل سنتين.
المثال الثالث: زيارة بعض المسلمين ضريح عبد الوهاب رَكَانْ الخالدي النقشبندي في Besilam (بِيْسِيْلَامْ) بسُوْمَطْرَا الشمالية الزيارة الشركية؛

(1) انظر: مجلة Ghoib (غيب)، العدد 67، السنة الرابعة، تاريخ 3 جمادى الثانية 1427 هـ / 29 يونيو 2006 م (ص 41-44).
(2) راجع (ص 216-217).

وذلك لأنهم كانوا يطوفون حوله، كما أخبرني بذلك أحد سدنة هذا الضريح يوم زيارتي له، وذلك في يوم السبت، 18 رجب 1427 هـ الموافق لـ 12 أغسطس 2006 م.

المثال الرابع: زيارة بعض المسلمين الزيارة الشركية لقبر الشيخ برهان الدين في قرية Ulakan (أُوْلَكَنْ) بمنطقة Pariaman (فَرِيَمَنْ) بسوطرا الغربية؛ وذلك بتقديمهم النذور للقبر المذكور، وهي متنوعة ما بين أرز، وغنم ، ومبلغ من المال، وقد صرّح بعض القائمين على برنامج Basapa (بَسَقَا) - وهي عبارة عن الزيارة الموسمية للضريح المذكور في شهر صفر من كل عام - أن المبالغ المجمّعة في مثل ذلك الموسم تبلغ ما يقارب 32 مليون روبية![1]

المثال الخامس: دعوة أحد المخالفين لشد الرحال إلى قبر المصطفى ح، حيث قال: $وإني بما أحمل مِن لقب كِيَاهِيْ آمر وأشدّد في الأمر كلّ مؤمن أن يشد رحله إلى زيارته ح، وله على ذلك ما قاله هو ح: $من زار قبري وجبت له شفاعتي#[2]...#[3]، ثم إيراده الشبهات التي يراها تؤيد ما ذهب إليه[4].

المثال السادس: وتصرَ آخر القولَ باستحباب شد الرحال لزيارة قبور ا لأنبياء والأولياء، وأورد لذلك شبهات يراها تدعم رأيه[5].

المثال السابع: شد الناس الرحال للأضرحة التالية، وتبركهم بها، وتأديتهم لأنواع العبادات -كالصلاة، ودعاء الله تعالى، وقراءة القرآن- فيها:

ضريح Sunan Ampel (سُوْنَنْ أَمْبِيْلْ) بمدينة Surabaya (سُوْرَابَايَا) بجَاوَا الشرقية، وضريح Sunan Bonang (سُوْنَنْ بُوْنَاْنَجْ) بمدينة Tuban (تُوْبَنْ) بجَاوَا الشرقية، وضريح Sunan Giri (سُوْنَنْ غِيْرِيْ) بمدينة Gresik (كريْسِيْك) بجَاوَا الشرقية، و ضريح Sunan Drajat (سُوْنَنْ دَرَجَاتْ) بمدينة Lamongan (لَمُوْنْجَنْ) بجَاوَا الشرقية، وضريح Sunan Kalijogo (سُوْنَنْ كَالِيْجُوْغُوْ) بمدينة Demak (دِيْمَكْ) بجَاوَا الوسطى، وضريح Sunan Kudus (سُوْنَنْ قُدُسْ) بمدينة Kudus (قُدُسْ) بجَاوَا الوسطى، وضريح Sunan Muria (سُوْنَنْ مُوْرِيَا) كذلك بمدينة Kudus (قدُسْ) بجَاوَا الوسطى، وضريح Sunan Gunung Jati (سُوْنَنْ غُ

---

(1) انظر سي دي بعنوان Acara Basapa ke Makam Syekh Burhanuddin di Ulakan Pariaman (برنامج بَسَقَا إلى ضريح الشيخ برهان الدين بأُوْلَكَنْ فَرِيَمَنْ).
(2) لا يثبت عن النبي ح، وقد مضى كلام الأئمة في الحديث في (ص 511-512).
(3) انظر: حجة أهل السنة والجماعة لكياهي الحاج علي معصوم (ص 87-88).
(4) انظر: المرجع السابق (ص 72-92).
(5) انظر: Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 82-90).

و ْنْ وُ ْنْ جْ ْ ج َاتْ ِي) بمدينة Cirebon (تِشِيْرِيْبُوْنْ) بجَاوَا الغربية، وضريح Syekh Siti Jenar في عدة أماكن منها بمدينة Cirebon (تِشِيْرِيْبُوْنْ) بجَاوَا الغربية، وضريح Syaikh Abdul Hamid Abulung (الشيخ عبد الحميد أَبُوْلُوْنْجْ) بمدينة Martapura (مَارْتَابُوْرَا) بكالِيْمَنْتَانْ الجنوبية، وضريح Syaikh Habib al-Idrus (الشيخ الحبيب العيدروس) بـ Luar Batang (لُوْوَارْ بَاتَنْجْ) بمدينة Jakarta (جَاكَرْتَا) الغربية، ضريح ملك بـ Jupanggola (جُوْفَنْجُوْلا َ) قرب مدينة Gorontalo (جُوْرُوْنْتَالُوْ) بسُوْلا َوِيْسِي الجنوبية، وضريح Sukarno (سُوْكَرْنُوْ) بمدينة Blitar (بَلِيْتَارْ) بجَاوَا الشرقية[1]، وغيرها كثير[2].

وبعض الجهات تنظم هذا النوع من الزيارة في أوقات محددة، كما تفعله هيئة تحرير مجلة Posmo (فُوْسْمُوْ) في كل سنة[3].

بل ولم يقتصر بعض الناس على شد الرحال إلى الأضرحة الموجودة في إندونيسيا، حتى يشدوا رحالهم لزيارة أضرحة الحبائب الموجودة في حضرموت باليمن؛ مثل ضريح المقدم محمد بن علي باعلوي، وضريح أحمد بن عيسى المهاجر، وضريح علي بن محمد الحبشي، وضريح علي بن أبي بكر السكران، وضريح عبد الله بن علوي الحداد، والضريح المنسوب لنبي الله هود ؛[4]، وهذه الزيارة تنظمها بعض الوكالات السياحية بعد عقدهم للعمرة إلى بيت الله الحرام[5].

(1) انظر: مجلة Indonesia Islami (إندونيسيا إسلامي)، العدد 8، ذو القعدة 1427 / ديسمبر 2006 (ص 12-14).
(2) انظر الأضرحة الأخرى في: Petunjuk Praktis Ziarah Wali Songo (البيان الموجز لزيارة الأولياء التسعة) (ص 48-51)، و Tuntunan Ziarah Wali Songo(كيفية زيارة الأولياء التسعة) (ص 1-4).
(3) انظر مجلة Posmo (فوسمو)، العدد 425، تاريخ 27 يونيو 2007 (ص 3).
(4) انظر بيان بطلان نسبة هذا الضريح لهود ؛ -من الناحية الحديثية والناحية التاريخية- في: إخبار الوفود في حكم زيارة قبر النبي هود ؛، للشخ محمد الإمام، و الصوفية في حضرموت، نشأتها، أصولها، آثارها، عرض ونقد، لأمين بن أحمد السعدي (ص 843-845) .
(5) انظر مجلة Alkisah (القصة)، العدد 16، السنة الثالثة، تاريخ 1-14 أغسطس 2005 (ص 6-7).

أما زيارة الأماكن المزعوم أنها مقدسة، فمن أمثلتها:

المثال الثامن: زيارة الناس لبيت عتيق في قرية Klongkong (كلوْنْجكوْنْجْ) بـ Abu Api (أَبُوْ أَفِي) بـ Nusa Tenggara Barat (نُوْسَا تِيْنْجَرا الغربية)، ويعتقدون فيه اعتقادات، منها التبرك بالأسلحة الغيبية الموجودة فيها قبل ذهابهم لميدان المعركة[1].

المثال التاسع: زيارة الناس لمكان يُزعَم أن Sunan Kalijogo (سُوْنَنْ كَالِيجُوْغُوْ) كان يعتكف فيه، ويسمونه Petilasan Tapa Ngluweng (فَتِيْلاَسَانْ تَافَا إِنْجلُوْوِيْنْجْ) بجل Surowiti (سُوْرَاوِيْتِيْ)، من أجل التبرك به[2].

وأما زيارة معابد غير المسلمين، فأكثرها تتمثل في زيارة معابد هندوسية أو بوذية أثرية والمسماة بـ Candi (تشَانْدِيْ)؛ وذلك لأن تلك المعابد حظيت باهتمام كبير من الحكومة، لكونها تعد من الآثار التاريخية القديمة. وأغلب تلك الآثار كانت مهملة ومترامية، حتى كاد كثير منها أن تنهدم، إلا أنه في عهد الاستعمار الهولندي بدأت تلك الآثار تُرَمّم وتشيد، ونالت دعماً سخياً من منظمة اليونسكو التعليمية Unesco التابعة لهيئة الأ مم المتحدة[3].

ومن تلك المعابد التي تكثر زيارة المسلمين وغيرهم لها:

المثال العاشر: Candi Borobudur (تشَانْدِيْ بُوْرُوْبُوْدُوْرْ) القائم في مدينة Magelang (مَجِيْلَنْجْ) بجاوا الوسطى، وهو معبد البوذيين، وسعته 14،161 متر مربع[4]، ويعدّه الناس إحدى أعجوبات العالم السبعة[5].

المثال الحادي عشر: Candi Prambanan (تشَانْدِيْ فَرَمْبَانَانْ) القائم في محافظة Jogjakarta (جُوْكْجَاكَرْتَا).

المثال الثاني عشر: Percandian Dieng (مجموعة تشَانْدِيْ دِيَيْنْجْ) القائمة في مدينة Banjarnegara (بَنْجَرْنِيْكَرَا) بجاوا الوسطى، وهي معبد الهندوس، وتقع في مكان سعتها 2000 م × 1000 م[6].

المثال الثالث عشر: Candi Agung (تشَانْدِيْ أَغُوْنْجْ) بمدينة Amuntai

(1) أخبرني بذلك أحد طلبة الجامعة الإسلامية الساكنين في تلك المنطقة.
(2) انظر: مجلة Indonesia Islami (إندونيسيا إسلامي)، العدد 8، ذو القعدة 1427 / ديسمبر 2006 (ص 8-9).
(3) انظر: مطوية بعنوان Taman Wisata Candi Borobudur (الحدائق السياحية تشَانْدِيْ بُوْرُوْبُوْدُوْرْ)، إصدار PT Taman Wisata Candi (شركة الحدائق السياحية تشَانْدِيْ).
(4) انظر: المرجع نفسه.
(5) انظر: Atlas Indonesia dan Dunia (أطلس إندونيسيا والعالم) (ص 94).
(6) انظر: جريدة Wawasan (وَوَسَنْ)، يوم الأحد، تاريخ 3 أكتوبر 2004 (ص 12).

(أَمُوْنْتَايْ) بكلِيْمَنْتَانْ الجنوبية، وهو معبد هندوسي قديم لم يبق منه إلا أسسه[1].

(1) زرته قبل عامين.

المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

الحديث في هذا المطلب سينتظم -بمشيئة الله تعالى- في ثلاثة فروع:

- الفرع الأول: الكلام عن الانحرافات في زيارة القبور:

تمهيد[1]:

كما هو الشأن في سائر شرائع الإسلام أنها تكون في غاية من الاعتدال والسماحة، وصادرة عن حكمة بالغة تضمن لمن عمل بها على بصيرة: الفوز، والنجاح، والسعادة، دون أن يتعرض بسببها لأي نوع من أنواع الضلال و الشقاء في الدنيا والآخرة.

كذلك كانت شرعية زيارة القبور في الإسلام؛ حينما كان الناس حدثاء عهد بالكفر والشرك وعبادة غير الله؛ نهاهم الرسول ح عن الزيارة، حتى يكون هناك برزخ فاصل بين العهدين: عهد الشرك وعهد التوحيد، وعهد الجاهلية وعهد الإسلام؛ حتى يذهب ما في النفوس من الالتفات إلى الأرض وما عليها مما يقدسه الناس، وعهد السمو الروحي والصفاء القلبي والذهني الذي لا يبقى معه التفات إلى غير الله لا.

وفعلا ً حينما حصل ذلك؛ خاطب النبي ح أمته قائلا ً: $كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها#[2]؛ $فإنها تذكر الموت#[3]، وفي رواية: $فإن في زيارتها تذكرة#[4]، وفي أخرى: $فإنها تذكركم الآخرة#[5]، وفي ثالثة: $فزوروها ولتزدكم زيارتها خيرا#[6]، وفي رواية رابعة: $فإن فيها عبرة#[7]، ومن حديث أنس ط: $ثم بدا لي أنها تُرقّ القلب، وتُدمع العين، وتُذكّر الآخرة؛ فزوروها ولا تقولوا هُجرا#[8].

---

(1) نقلا ً عن القبورية، نشأتها، آثارها، موقف العلماء منها (ص 72-74) بتصرف يسير.
(2) سبق تخريجه في (ص 950).
(3) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ح ربه في زيارة قبر أمه (671/2 رقم 976) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(4) رواه أبو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب في زيارة القبور (362/3 رقم 3235) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (308/2 رقم 3235).
(5) سبق تخريجه في (ص 949).
(6) رواه النسائي في سننه، كتاب الضحايا، باب الإذن في ذلك (269/7 رقم 4441).
(7) رواه أحمد في مسنده (429/17 رقم 11329) من حديث أبي سعيد الخدري، وصححه محققوا المسند.
(8) رواه أحمد في مسنده (141/21 رقم 13487)، وصححه بطرقه وشواهده محققوا المسند.

وبهذا يشرع لنا الرسول الله ح زيارة القبور مع بيان العلة فيها؛ وهي تذكرة الموت، والدار الآخرة، وكونها تزهِّد في الدنيا، وترق القلب وتدمع العين، وينبغي أن يحرص الزائر أن تزيده زيارته للمقابر خيراً، وهذا كله فيما يخص الزائر.

أما الأموات فإن لهم فيها نصيباً أيضاً حيث كان ح إذا زارهم يدعو ويستغفر لهم، كما روى مسلم من حديث عائشة ك قالت: كان رسول اللّه ح: $يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غداً مؤجّلون، وإنا إن شاء اللّه بكم للاحقون، اللّهم اغفر لأهل بقيع الغرقد#[1]، وعنها ك أنها سألته إذا هي زارت القبور ما تقول؟ قال ح: $قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم اللّه المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء اللّه بكم لاحقون#[2].

ففي هذه الأحاديث بيان أن من مقاصد الزيارة: السلام على الأموات، والدعاء، والاستغفار لهم، قال العلامة الصنعاني : بعدما شرح أحاديث الإذن بالزيارة: $والكل دالّ على مشروعية زيارة القبور وبيان الحكمة فيها وأنها ل لاعتبار ... فإذا خلت من هذه لم تكن مرادة شرعاً#[3].

فهذه هي زيارة القبور عند أهل السنة كما علّمهم إيّاها رسول اللّه ح، فمن أتى بها على هذا الوجه، ولهذه الغاية؛ ظفر بالأجر والفائدة المترتبة عليها، ومن زارها لغير ذلك فهي ردّ عليه0 ثم إنها إما أن تكون بدعية، وإما أن تكون شركية، بحسب ما يحصل فيها من أعمال، ويقارنها من اعتقاد وقصد.

يقول الإمام المقريزي :: $والناس في هذا الباب -أعني زيارة القبور- ث لاثة أقسام:

قوم يزورون الموتى؛ فيدعون لهم، وهذه هي الزيارة الشرعية.

وقوم يزورونهم؛ يدعون بهم[4]؛ وهؤلاء هم المشركون وجهلة العوام و الطغام من غلاتهم.

وقوم يزورونهم، فيدعونهم أنفسَهم، وقد قال النبي ح: $اللّهم لا تجعل قبري وثناً يعبد#[5]؛ وهؤلاء هم المشركون في الربوبية[6]#[7].

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند زيارة القبور والدعاء لأ هلها (669/2 رقم 974).
(2) سبق تخريجه (ص 289).
(3) سبل السلام، كتاب الجنائز (327/2).
(4) يحمل قوله : هنا -واللّه أعلم- على التوسل الشركي لا البدعي.
(5) سبق تخريجه (ص 706).
(6) وكذلك شرك في الألوهية لصرفهم العبادة وهي -الدعاء- لغير اللّه تعالى.
(7) تجريد التوحيد المفيد (ص 53-54).

ذلك هو هدي الإسلام في زيارة القبور، وتلك هي أهداف وغايات الزيارة واضحة ناصعة بعيدة عن كل ذريعة تؤدي إلى الشرك بأربابها والغلوّ في أصحابها.

موقف الإسلام من مظاهر الانحراف في زيارة القبور:

إن انحرافات الزائرين للقبور متفاوتة ما بين شرك وبدعة.

أما الشركيات فهي متنوعة؛ كدعاء الأموات، وتقديم النذور لهم، و الطواف حولها، وغير ذلك من الشركيات. وقد سبق الكلام عن هذه المظاهر في المباحث المتقدمة المتعلقة بها[1].

وأما البدع؛ فهي أيضاً متنوعة، وأغلبها -كما لا يخفى- من وسائل الشرك التي ينبغي تحذير الناس منها. ومن تلك البدع: التبرك[2] بالقبور؛ كالتمسح بها وتقبيلها، وهذا قد سبق الكلام عنه في مبحث التبرك[3].

ومن البدع: شد الرحال إلى قبر النبي ح وغيره من القبور[4]:

إن زيارة قبر النبي ح وشد الرحال إليها $من المسائل التي طالت ذيولها، واشتهرت أصولها، وامتُحن بسببها من امتُحن#[5].

وزيارة قبر النبي ح تارة تكون دون شد الرحال، وأخرى مع شدها:

فالأولى: مشروعة عند أهل العلم دون من شذ، وذلك بشرط أن تكون الزيارة زيارة شرعية.

وأما الأخرى -وهي الزيارة مع شد الرحال-:

1. إما أن تكون بقصد المسجد النبوي وزيارة قبر النبي ح على السواء.
2. وإما أن تكون بقصد المسجد النبوي والصلاة فيه فقط.
3. وإما أن تكون بقصد زيارة قبر النبي ح فقط.

فالحالة الأولى والثانية مشروعة، وأما الحالة الثالثة فهي محل النـزاع ومدار البحث[6].

وقد اختلف أهل العلم في جوازها على قولين:

الأول: تحريم شد الرحال لمجرد زيارة قبر النبي ح، وهو قول كثير من

---

(1) انظر ما يتعلق بالدعاء في (ص 223 وما بعدها)، والنذر في (ص 366 وما بعدها) ، والطواف في (ص 723 وما بعدها).
(2) وقد ذكرت في (ص 948-949) متى يكون التبرك الممنوع شركاً أكبر أو أصغر.
(3) انظر (ص 936 وما بعدها).
(4) هذا المبحث مستفاد من آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية (ص 225 وما بعدها) بتصرف.
(5) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص 135).
(6) انظر: الرد على الأخنائي (ص 48، 24، 164)، ومجموع الفتاوى (342/27)، و الصارم المنكي (ص 32-33)، والدين الخالص (588/4).

العلماء إن لم يكن قول جماهيرهم[1].

والثاني: جواز شد الرحال لمجرد زيارة قبر النبي ح، وهو قول بعض أتباع الأئمة الأربعة[2].

وهذان القولان -أعني القول بالتحريم والقول بالجواز- هما القولان المشهوران عن أهل العلم المتقدمين، وأما القول باستحباب شد الرحال لمجرد زيارة قبر النبي ح فهو قول لم يقل به أحد من العلماء المتقدمين، وإنما قال به بعض المتأخرين[3].

وعليه فإن القول باستحباب شد الرحال لمجرد زيارة قبر النبي ح قول مرجوح؛ إذ الأدلة الصحيحة جاءت بتحريم ذلك، منها:

---

(1) وممن صرّح بالتحريم **من العلماء المتقدمين**: • الإمام مالك : كما في والرد على الأخنائي (ص 48، 140) وانظر: المدونة (565/1)، • والإمام أبو محمد الجويني :، كما في المجموع (468/8) وشرح النووي على صحيح مسلم (110/9)، وفتح الباري (65/3)، وشرح الكرماني لصحيح البخاري (13/7)، والديباج على صحيح مسلم بن الحجاج (387/3)، • والإمام ابن بطة :، كما في الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة أو الإبانة الصغرى (ص 366)، • والعلامة أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي : كما في الرد على الإخنائي (ص 183)، • والقاضي عياض : كما ذكر ذلك عنه النووي : في شرحه على صحيح مسلم (110/9)، وكما في فتح الباري (65/3)، • والقاضي حسين : كما ذكر ذلك عنه الحافظ في الفتح (65/3) و السيوطي في الديباج (387/3)، • وشيخ الإسلام ابن تيمية : في كثير من كتبه: منها الرد على الأخنائي. **ومن المتأخرين**: • العلامة السهسواني : كما في صيانة الإ نسان (ص 88)، • والعلامة صديق حسن خان : كما في الدين الخالص (106/4-108)، • والأمير الصنعاني : كما في سبل السلام، كتاب الصيام، باب الاعتكاف وقيام رمضان (488/2 رقم 663)، • والشيخ محمد بن عبد الوهاب : وأئمة الدعوة كما في شرح كتاب آداب المشي إلى الصلاة (ص 183)، وتيسير العزيز الحميد (ص 293)، وفتح المجيد (ص 314).

(2) انظر: شرح الزرقاني على مختصر خليل (93/3)، وفتح الباري (65/3)، والمغني (117/3)، وكشاف القناع للبهوتي (479/1-480).

(3) انظر: الرد على الأخنائي (ص 33، 41، 141، 153، 176)، والصارم المنكي (ص 63-64)، والكشف المبدي (ص 180-181)، وتيسير العزيز الحميد (ص 293، 295)، وفتح المجيد (ص 315)، والنبذة الشريفة النفيسة (ص 169-170).

1. عن أبي هريرة ط عن النبي ح قال: $لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى#[1].

ووجه الاستدلال به على التحريم من وجوه[2]:

أ- الحديث يدل على تحريم شد الرحل إلى كل مسجد أو بقعة يظن فضلها بعينها أو لها فضل سوى هذه المساجد الثلاثة، ومن ذلك قبور الأنبياء والصالحين سواء قبر نبينا ح أو غيره؛ لأن قوله ح: $لا تشد الرحال# نفي بمعنى النهي، وهو أبلغ من النهي، كأنه قال: لا يستقيم أن يقصد بالزيارة إلا هذه البقاع لاختصاصه لما اختصت به[3].

والحديث روي في $صحيح مسلم# بصيغة النهي الصريح، كما في حديث أبي سعيد الخدري ط قال: سمعت رسول اللّٰه ح قال: $لا تشُدُّوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد#[4]، بخلاف رواية أبي هريرة ط: $لا تُشَدُّ الرحال#، كما روي الحديث بلفظ $إنما يسافَر إلى ثلاثة مساجد#[5]؛ وهي تدل على حصر السفر بنية العبادة في هذه المساجد الثلاثة، فلا يجوز في غيرها[6].

يقول أبو محمد الجويني :: $يحرم شد الرحال إلى غيرها عملاً بظاهر الحديث#[7].

ب- إن الاستثناء في الحديث مفرغ، والتقدير: لا تشد الرحال إلى موضع، ولازمه: منع السفر إلى كل موضع غيرها، لأن المستثنى منه في المفرغ مقدر بأعم العام[8]، فالنهي يعم السفر إلى المساجد والمشاهد، وكل مكان يقصد السفر إلى عينه للتقرب والعبادة. فإذا نهى النبي ح عن السفر إلى المساجد غير الثلاثة، وهي أحب البقاع إلى اللّٰه[9]، فمن باب أولى النهي

---

(1) سبق تخريجه (ص 954).
(2) مستفاد من: المباحث العقدية المتعلقة بقبر النبي ح (ص 753-756) باختصار.
(3) انظر: عون الباري (228/2).
(4) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حجر وغيره (976/2 رقم 1338).
(5) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد (1015/2 رقم 1397).
(6) انظر: أوضح الإشارة (ص 42).
(7) فتح الباري (65/3).
(8) انظر: عون الباري (228/2).
(9) روى مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح وفضل المساجد (464/1 رقم 671) من حديث أبي هريرة ط أن النبي ح قال: $أحب البلاد إلى اللّٰه مساجدها# الحديث.

عن غيرها، وقد نهى الصحابة ن عن السفر إلى الطور وهو ليس بمسجد[1].
ج- أن الصحابة ن فهموا من الحديث هذا المعنى، وهو تحريم السفر إلى بقعة فاضلة أو غير فاضلة للتعبد -غير المساجد الثلاثة-، وليس هناك نزاع بينهم في ذلك[2]، ويدل على ذلك قصة أبي بصرة مع أبي هريرة م، وقصة قزعة : مع ابن عمر م، وقد تقدم ذكرهما[3].
د-[4] قد نص الإمام الشافعي : على أن من نذر المشي إلى أي موضع لم يلزمه شيء، واستثنى المساجد الثلاثة: المسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد بيت المقدس[5]، وعلّل ذلك بقوله: $لأنه ليس لله طاعة في المشي إلى شيء من البلدان، وإنما يكون المشي إلى المواضع التي يُرتجَى فيها البِر...؛ لأن رسول الله ح قال: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد؛ المسجد الحرام، ومسجدي هذا، ومسجد بيت المقدس"#[6].
ونصّ : على عدم انعقاد نذر إتيان ما سوى هذه المواضع، حتى وإن كان قريباً من الحرم كعرفة -التي لا يتم الحج إلا بالوقوف بها- والعلة في ذلك عنده أن $هذا نذر في غير طاعة#[7].
ففي قوله: $ليس لله طاعة في المشي إلى شيء من البلدان...#، مع قوله في نذر إتيان الموضع القريب من الحرم: $هذا نذر في غير طاعة# دلالة جلية على أنه : لا يرى أن في الأرض موضعاً له مزية تقتضي جعلَ نذر المشي إليه داخلاً في القرب التي يلتزمها الناذر، سوى المساجد الثلاثة، فأما ما عداها من المواضع فلا عبرة بنذر المشي إليها ولا انعقاد له، حتى وإن كان بيتاً من بيوت الله[8] التي هي أحب البلاد إلى الله تعالى.

(1) انظر: الرد على الإخنائي (ص 14)، وقاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام لشيخ الإسلام (ص 100-101)، وتيسير العزيز الحميد (ص 294)، وأحكام الجنائز (ص 231).
(2) انظر: الرد على الإخنائي (ص 14).
(3) انظر: (ص 954-955).
(4) مستفاد من: جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة (ص 495).
(5) أما المسجد الحرام فأوجب الوفاء بنذر المشي إليه، وأما المسجدان الآخران فعنه روايتان: إحداهما أنه لا يلزمه الوفاء، وهي التي ذُكِرت في هذا الموضع، والثانية وجوب الوفاء. انظر لبيان ذلك: المجموع (8/496).
(6) الأم (3/663 -تحقيق رفعت فوزي).
(7) المرجع السابق (3/664 -تحقيق رفعت فوزي).
(8) انظر: الأم (3/663 -تحقيق رفت فوزي)، حيث نص على أن من نذر المشي إلى مسجد مصر لم يلزمه، وذلك لأنه ليس في قصد مسجد سوى المساجد الثلاثة قربة أو فضل بالاتفاق، كما أوضحه في المجموع (8/496-497)، وفتح الباري (3/65-66). وانظر: الحاوي الكبير (15/476)، والتهذيب للبغوي (8/152-153)

فاستدلال الإمام الشافعي : بهذا الحديث على المسألة التي أوردها يدل على أن الحديث يفيد منع شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة؛ إذ لو كان جائزاً لوجب شد الرحال إلى المكان المنذور له وفاءاً للنذر.

2. عن أبي هريرة ط قال: قال رسول الله ح: $لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم#[1].

ووجه الدلالة: أن النبي ح نهى أن يتخذ قبره عيداً، والعيد كل ما يعتاد ، وشد الرحال لقبره ح وسيلة لاتخاذه عيداً، والوسائل لها أحكام المقاصد.

يقول المناوي : في معنى قول النبي ح: $ولا تجعلوا قبري عيداً#: $أي: لا تتخذوا قبري مظهر عيد، ومعناه: النهي عن الاجتماع لزيارته اجتماعهم للعيد، إما لدفع المشقة، أو كراهة أن يتجاوز واحد التعظيم، وقيل: العيد ما يعاد إليه، أي: لا تجعلوا قبري عيداً تعودون إليه متى أردتم أن تصلوا علي، وظاهره ينهى عن المعاودة#[2].

ومما يدل على تناوله النهي عن شد الرحال لقبره ح قوله: $وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم#[3].

3. عن أبي هريرة ط أن رسول الله ح قال: $قاتل الله اليهود و النصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد#[4].

ووجه الدلالة: أن النهي عن اتخاذ القبور مساجد يتضمن الصلاة عليها أو إليها وتحري العبادة عندها[5]، وشد الرحال إلى القبور مفضٍ إلى اتخاذها مساجد[6].

، والعزيز شرح الوجيز (391/12).

(1) رواه أبو داود في سننه، كتاب المناسك، باب زيارة القبور (366/2 رقم 2042)، وأحمد في مسندة (403/14 رقم 8804) واللفظ لأبي داود. وقد صحح إسناده النووي في الأذكار (ص 173)، وحسن الحديثَ ابنُ تيمية في الرد على الأخنائي (ص 92)، وابن عبد الهادي في الصارم المنكي (ص 207)، والشيخ الألباني في تحذير الساجد (ص 129)، ومحققوا المسند.

(2) فيض القدير (199/4). وفي هذا رد على صاحب كتاب Mana Dalilnya (أين الدليل؟) الذي زعم في (ص 87) من الكتاب المذكور أن هذا الحديث دليل على الحث من الإكثار في زيارة قبره ح؛ فلا تقتصر في في زيارته مرة في السنة؛ كما أن العيد لا يأتي في السنة إلا مرة واحدة! وانظر أيضاً للرد على هذا التلبيس و التحريف لحديث الرسول ح: إغاثة اللهفان (361/1 وما بعدها)، وزيارة القبور الشرعةي والشركية (12-19)، وجهود علماء الحنفية (1603/3-1607).

(3) انظر: تهذيب السنن (730/2)، والصارم المنكي (ص320).

(4) سبق تخريجه (ص 706-707).

(5) انظر: الأم (632/2 -تحقيق رفعت فوزي)، ومرقاة المفاتيح (389/2)، وتحذير الساجد (ص 29)._

(6) انظر: آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية (ص 228)._

4. إجماع المتقدمين من أهل العلم على أن السفر إلى غير المساجد الثلاثة -كزيارة القبور- ليس مستحبة ولا قربة ولا طاعة، وإن اختلفوا هل هو جائز أم لا، فالقول باستحباب ذلك خرق لإجماعهم، وخروج عن قولهم.

هذا، إذا بطل -بما سبق من الأدلة- استحباب شد الرحال لقبره ح، فقبر غيره ح من باب أولى؛ $إذ قبر نبينا منها أولى وأحق وأعلى، بل لا نسبة بينه وبين غيره#[1].

شبهات وردود:

مع وضوح الأدلة الدالة على تحريم شد الرحال إلى القبور، فقد أثار بعض المخالفين شبهات تجاه هذا الحكم الشرعي البيّن، وأكثر تلك الشبهات نقلوها عن سابقيهم ممن يحمل لواء هذا القول، ومن تلكم الشبهات:

الشبهة الأولى:

استدلال المخالف بقول الله تعالى: ﭽ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ النساء: ٦٤.

ووجه الاستدلال عنده: أن الآية دلت على الحث على المجيء إليه ح والاستغفار عنده واستغفاره لمن جاء إليه، وأن هذا لا ينقطع بموته. ثم دعّم -هداه الله- هذا الاستدلال بقصة الأعرابي الذي جاء إلى قبر النبي ح لطلب الاستغفار منه ح، وهي المعروفة بقصة العتبي[2].

والجواب عنها من وجهين:

الوجه الأول: أن الآية ليس فيها دلالة على ما ذكره، بل إن الآية تدل على نقيض قوله.

يقول العلامة ابن عبد الهادي :: $فأما استدلاله[3] بقوله تعالى: ﭽ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ الآية؛ فالكلام فيها في مقامين:

أحدهما: عدم دلالتها على مطلوبه.

الثاني: بيان دلالتها على نقيضه.

وإنما يتبين الأمران بفهم الآية، وما أريد بها وسيقت له، وما فهمه منها أعلم ُ الأمة بالقرآن ومعانيه، وهم سلف الأمة ومن سلك سبيلهم، ولم يفهم منها أحد من السلف والخلف إلا المجيء إليه في حياته ليستغفر لهم ... وهذه كانت عادة الصحابة معه ح ... فلما استأثر الله لأ بنبيه ح ونقله من بين أظهرهم إلى دار كرامته، لم يكن أحد منهم قط يأتي إلى قبره ويقول: يا رسول الله فعلت كذا وكذا، فاستغفر لي، ومَن نقل هذا عن أحد منهم فقد جاهر بالكذب والبهت، أفترى عطّل الصحابة والتابعون وتابعوهم -وهم خير القرون على الإطلاق- هذا الواجب َ؟ ... وكيف أغفل هذا الأمر َ أئمة ُ ا

(1) الجوهر المنظم (ص 7) نقلاً عن المرجع السابق (ص 223)._
(2) انظر: Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 88-89).
(3) يعني: السبكي.

لإسلام وهداة ُ الأنام ... فلم يدعوا إليه، ولم يحضوا عليه، ولم يرشدوا إليه، ولم يفعله أحد منهم البتة ...

وهذا يبين أن هذا التأويل الذي تأو ّل عليه المعترض هذه الآية تأويل ٌ باطل قطعاً، ولو كان حقاً لسبقونا إليه علماً وعملا ً وإرشاداً ونصيحة. ولا يجوز إحداث تأويل في آية أو سنة لم يكن على عهد السلف و لا عرفوه ولا بينوه للأمة، فإن هذا يتضمن أنهم جه ِلوا الحق في هذا وضلوا عنه، واهتدى إليه هذا المعترض المستأخر، فكيف إذا كان التأويل يخالف تأويلهم ويناقضه، وبطلان ُ هذا التأويل أظهر من أن يطنب في رده، وإنما ننبه عليه بعض التنبيه...

وأما دلالة الآية على خلاف تأويله: فهو أنه سبحانه صد ّرها بقوله: ﭽ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ[النساء: ٦٤]؛ وهذا يدل على أن مجيئهم إليه ليستغفر لهم إذ ظلموا أنفسهم طاعة له ... ولم يقل مسلم إن عل ى م َن ظلم نفسه بعد موته أن يذهب إلى قبره ويسأله أن يستغفر له، ولو كان هذا طاعة ً له؛ لكان خير القرون قد عصوا هذه الطاعة وعط ّلوها، ووُ فِّ ق لها هؤلاء ُ الغلاة العصاة#[1].

الوجه الثاني: في الجواب عن قصة العتبي التي أوردها المخالف: فنقول: إن هذه القصة غير ثابتة، وقد بيّنت ذلك في مبحث الدعاء[2]، مما يغني عن إعادته هنا، مع أنها قصة عن مجهول، فكيف يحتج بها وهي تعارض الأحاديث الصحيحة؟

الشبهة الثانية:

استدلال المخالف بالأحاديث الواردة في فضل زيارة قبر النبي ح، حيث ذكر نحواً من تسعة أحاديث، مستدلا ً بها على قوله باستحباب شد الرحال لمجرد زيارة قبر النبي ح[3].

والجواب عنها يكون كما يلي[4]:

إن هذه الأحاديث كلها لا تصلح للاحتجاج، ولا تقوم بها الحجة، لأ مرين:

أ. أن الأحاديث الواردة في زيارة قبره ح كلها موضوعة أو ضعيفة لا يصح منها شيء[5].

---

(1) الصارم المنكي (ص 503-506).
(2) راجع (ص 349-354).
(3) انظر: حجة أهل السنة (ص 72، 87-88، 90)، وانظر أيضاً: Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 83-84).
(4) هذا الجواب مستفاد من آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية (ص 232-233).
(5) ممن نص على ذلك من أهل العلم: شيخ الإسلام في الرد على الأخنائي (ص 30, 189)، والحافظ ابن عبد الهادي في الصارم المنكي (ص 40)، والشيخ سليمان بن

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :: $أحاديث زيارة قبره ح كلها ضعيفة، لا يعتمد على شيء منها في الدين؛ ولهذا لم يرو أهل الصحاح والسنن منها شيئاً، وإنما يرويها من يروي الضعافَ كالدارقطني، والبزار وغيرهما#[1].

ب. أن الأحاديث الواردة في زيارة قبر النبي ح -على فرض صحتها- إنما تدل على مطلق الزيارة التي بدون سفر ومن غير شد للرحال، وحينئذ فهي لا تدل على ما استدل عليه المخالف من القول باستحباب شد الرحال لمجرد زيارة قبر النبي ح، بل هي خارجة عن محل النـزاع أصلاً[2].

الشبهة الثالثة:

استدلال المخالف بدلالة الإجماع، وزعمه أن بعض أهل العلم قد نقل الإجماع على مشروعية شد الرحال لمجرد زيارة قبر النبي ح، ونقل عن القاضي عياض : قوله: $زيارة قبره ح من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها#[3].

وقال المخالف في معرض ذكره لما يزعمه من اللوازم التي تلزم من القول بتحريم شد الرحال لمجرد زيارة قبر الرسول ح: $ولزم كذلك أن يكون علماء الإسلام من أول هذه الأمة إلى اليوم في خطأ عظيم؛ حيث أنهم يعقدون في كتبهم الدينية الأبوابَ والفصول يذكرون فيها زيارته ح وما يتعلق بها من ترغيب فيها، ومن آداب ينبغي أن تراعى في القيام بها#[4].

وقال أيضاً: $وإني أحب أن يعلم القارئ أن الإجماع على طلب زيارته ح طلباً أكيداً لم يخالف في ذلك عالم ولا جاهل، ولا أسود ولا أبيض، ولا رجل ولا امرأة، بل صرح بعض هداة الأمة أن هذه الزيارة واجبة#[5].

عبد الله في تيسير العزيز الحميد (ص 295-296)، والشيخ حمد بن معمر في النبذة الشريفة النفيسة (ص 170) وحكاه عن جمع من أهل العلم. ومن المعاصرين: الشيخ حماد الأنصاري في كشف الستر -ضمن رسائل في العقيدة (ص 155)، والشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (123/1 رقم 47)، والشيخ بكر أبو زيد في التحديث بما قيل لا يصح فيه حديث (ص 131).

ومن أراد التفصيل في بيان ضعف تلك الأحاديث فليرجع إلى: الصارم المنكي (ص 37 وما بعدها)، وكشف الستر عما ورد في السفر إلى القبر، وأوضح الإشارة (ص 139-173)، والأحاديث الواردة في فضائل المدينة للدكتور صالح بن حامد الرفاعي (ص 583 وما بعدها)، وهدم المنارة (ص 229 وما بعدها)، والأحاديث الموضوعة التي تنافي توحيد العبادة (رقم 85 وما بعده).

(1) قاعد جليلة في التوسل والوسيلة (ص 143).
(2) انظر: الرد على الأخنائي (ص 86).
(3) الشفا (83/2).
(4) حجة أهل السنة (ص 87).
(5) المرجع السابق (ص 89).

فالجواب عنها من وجهين:
1. أن المقصود بقول من حكى الإجماع -من المتقدمين- على استحباب السفر لزيارة قبره ح؛ هو استحباب مجرد زيارة قبر الرسول ح دون شد الرحال -كما هو ظاهر من كلام القاضي عياض : الذي نقله المخالف -، مع أن القاضي عياض : نفسه ممن يذهب إلى تحريم شد الرحال، كما ذكر ذلك عنه الحافظ ابن حجر : [1].
أو أن المقصود به: استحباب السفر إلى مسجده ح للصلاة فيه ويتبع ذلك زيارة قبره ح، ومما يدل على ذلك أن لفظ إتيان القبر وزيارته والسفر إليه يتناول من يقصد المسجد ومن لم يقصد إلا القبر، فالأول مشروع و الثاني ممنوع؛ فوجب حمل الكلام على المعنى المشروع، خاصة مع كونه هو المعنى المعروف الشائع بينهم[2].
2. أن المتقدمين من علماء السلف مٌجمِعون على أن السفر لمجرد زيارة قبر النبي ح ليس بقربة ولا طاعة، وإن اختلفوا هل هو حرام أم جائز، فلم يقل أحد منهم بالاستحباب -كما سبق- فالمخالف ومن وافقه على القول باستحباب شد الرحال خرقوا إجماعَ الطائفتين، ولم يكتفوا بذلك، بل ادعوا أن هذا الخرق للإجماع إجماع![3]
الشبهة الرابعة:
قول المخالف: إن الحكم الذي دل عليه حديث $لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد# إنما هو خاص بالمساجد، وأما غيرها فلا مانع؛ لأن المساجد بعد الثلاثة متماثلة، ولا بلد إلا وفيه مسجد، فلا معنى للرحلة إلى مسجد آخر، أما المشاهد فلا تتساوى، بل بركتها على قدر درجاتهم عند اللّه تعالى[4].
والجواب على هذه الشبهة من وجوه[5]:
1. إن هذا هو الذي أراده الشرع من النهي عن السفر إلى غير هذه المساجد الثلاثة؛ فإن طلب البركة من المقبور[6] أو تحصيلها من الزيارة من مقاصد الشارع في النهي عن السفر إلى القبور، فإن في شد الرحال إليها من

---

(1) انظر: فتح الباري (65/3).
(2) انظر: الرد على الأخنائي (ص 135-136، 140)، والصارم المنكي (ص 441-442).
(3) انظر: الرد على الأخنائي (ص 140).
(4) انظر: حجة أهل السنة (ص 77، 80-84)، وانظر كذلك: Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 85).
(5) مستفاد من: المباحث العقدية المتعلقة بقبر النبي ح (ص 767-768)، وبدع القبور (ص 321).
(6) وقد مضى تحذير الأئمة من التبرك بالقبور في (ص 934 وما بعدها).

المفاسد والفتنة ما هو معلوم في هذا الباب، فالقبور قد اتخذت أوثاناً تعبد من دون الله، والدليل الصحيح قد نهى عن هذه الزيارة، قال ح: $لا تجعلوا قبري عيداً#؛ $فإن اعتياد قصد المكان المعيّن في وقت معيّن عائد يعود السنة أو الشهر أو الأسبوع هو بعينه معنى العيد#[1].

2. إن هذا الحديث الذي قيده في المساجد قد مر على أصحاب رسول الله ح، فما قيدوه بما قيده به المخالف، ودليل ذلك: لوم أبي بصرة ط لأبي هريرة ط مع أنه ط لم يذهب إلى مسجد، بل ذهب إلى الطور، وهو جبل ورد ذكره في القرآن، ولم يقل أبو هريرة لمن لامه: $أنا لم أذهب إلى مسجد ، والحديث خاص بالمساجد#، بل كان الحديث خافياً عنه، فلما بان له وعُرّف به امتنع عن الذهاب، وبدأ يحدث بالحديث، أفلا يكفينا ويسعنا ما وسع أصحاب النبي ح؟

3. لو كان الصحابة ن قد فهموا أن الحديث مقصور على مساجد الصلوات، لرأيناهم قد شدوا الرحال لزيارة القبور والمشاهد؛ فما علمنا بأن صحابياً واحداً قد زار قبر الخليل ؛ أو القبر المنسوب لهود ؛ ولو مرة واحدة، وهم أعلم منا بالهدى، وأسبق منا إلى الخير، فلو كان خيراً لسبقونا إليه.

4. ما زعمه المخالف من تماثل المساجد في القربة غير صحيح؛ فإن مسجد قباء رابع المساجد في الفضل -لما ورد فيه من فضل- وهو داخل في عموم النهي عن شد الرحال.

5. على فرض أن هناك فرقاً بين القبور والمشاهد، وأن الحديث لا يدل على النهي عن السفر إلى القبور، فلابد من دليل يدل على استحباب السفر إلى القبور، ولا يكفي في ذلك الأصل العام الذي هو الإباحة، فغاية ما يُسَلَم لهم في هذا: أن ذلك مباح، ومن المعلوم أن العبادة إما أن تكون مستحبة أو واجبة[2].

الشبهة الخامسة:

استدلال المخالف على جواز شد الرحال إلى القبور بذهاب رسول الله ح لمسجد قباء للصلاة فيه[3].

والجواب من أوجه[4]:

1. لا يختلف اثنان في فضيلة مسجد قباء، وبأنه مسجد أُسِّس على التقوى[5]، بل قال عنه ح: $الصلاة في مسجد قباء كعمرة#[6]. كما أن النبي

(1) أحكام الجنائز (ص 223)، وانظر: الدين الخالص (595/3).
(2) انظر: الرد على الأخنائي (ص 115)، والصارم المنكي (ص 64)، والنبذة النفيسة الشريفة (ص 169).
(3) انظر: Mana Dalilnya (أين الدليل؟) (ص 85).
(4) هذه الأوجه مستفادة من بدع القبور (ص 322-323).
(5) انظر: تفسير ابن كثير (212/4-213).

ح كان يزور قباء؛ حيث كان ح يأتي مسجد قباء راكباً وماشياً كل سبت، ويصلي فيه ركعيتين(2)، فهذا ليس منشأ الخلاف، وإنما الخلاف في شد الرحال.

2. قال الشيخ ابن باز :: $الجواب عن حديث قباء: أن المراد بشد الرحل في أحاديث النهي: الكناية عن السفر، لا مجرد شد الرحل، وعليه فلا إشكال في ركوب النبي ح إلى مسجد قباء#(3)؛ لأن قباء في المدينة، وذهاب الرسول ح له لا يعد سفراً، كما لا يخفى.

3. من الغريب أن المجيزين أعملوا حديث $لا تشد الرحال# بأنه خاص بالمساجد -كما سبق في الشبهة التي قبل هذه-، ثم نجدهم هنا يستدلون بحديث زيارته ح لقباء بجواز شد الرحال إلى غير هذه المساجد الثلاثة، وهذا يدل على اضطرابهم، وعدم وضوح حججهم؛ فأسقطوا حججهم بحججهم، وكما يقال: من فمك أدينك.

الشبهة السادسة:

ما يزعمه المخالف من اللوازم التي تلزم من القول بمنع شد الرحال لمجرد زيارة قبر الرسول ح: $أن لا يجوز لنا السفر في الأرض للاعتبار و العظة ... وأن لا نسافر لصلة أرحامنا إذا كانوا بجهات بعيدة ... وأن لا نسافر للجهاد ولتبليغ الشريعة أو القضاء بين الناس بالعدل ... وأن لا يجوز لنا السفر للتجارة وإلى ما يهمّهم من شؤون الدنيا في أي ناحية من نواحي الأ رض#(4).

الجواب: إن منشأ الخلاف بيننا، ليس حول من سافر لطلب علم أو تجارة أو علاج أو زيارة أخ أو صديق أو قريب أو بعيد، فإن هذه الزيارة ليست داخلة في الحديث، فهي إما زيارة دنيوية محضة كتجارة، أو دينية لا يقصد بها موقع أو مكان، بل يقصد فيها شخص بذاته، فهذا لا حرج فيه ولا جرم، فإن زيارة أهل الخير الأحياء لا بأس بها، وليست محل نزاع، إنما محل النـزاع هو زيارة الأماكن الأثرية، والمواقع، والآثار، بقصد التعبد والتقرب

---

(1) رواه الترمذي في سننه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء (ص 90-91 رقم 324) من حديث أسيد بن ظهير الأنصاري ط. قال الترمذي: $حسن صحيح#، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (193/1 رقم 324).

(2) كما في صحيح البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب من أتى مسجد قباء كل سبت (69/3 رقم 1193، 1194 -الفتح)، وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل مسجد قباء (1016/2-1017 رقم 1399). ومجيئه ح كل سبت إلى قباء كان لمواصلة الأنصار، وتفقد حالهم وحال من تأخر منهم عن حضور الجمعة، وهذا السر في تخصيص ذلك في السبت. انظر: فتح الباري (70/3).

(3) من تعليق الشيخ : على فتح الباري (69/3).

(4) حجة أهل السنة (ص 85).

إلى الله فهذا هو المحرم[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :: $فالمسافر إلى الثغور، أو طلب العلم، أو التجارة، أو زيارة قريبه؛ ليس مقصوده مكاناً معيناً إلا بالعرض إذا عرف أن مقصوده فيه، ولو كان مقصوده في غيره لذهب إليه. فالسفر إلى مثل هذا لم يدخل في الحديث باتفاق العلماء.

وإنما دخل فيه من يسافر لمكان معين لفضيلة ذلك بعينه، كالذي يسافر إلى المساجد، وآثار الأنبياء: كالطور الذي كلم الله عليه موسى ؛، وغار حراء الذي نزل فيه الوحي ... وما هو دون المغارات إلا المساجد الثلاثة#[2].

$فقوله ح: $لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد# يتناول السفر إلى كل بقعة مقصودة، بخلاف السفر للتجارة وطلب العلم ونحو ذلك حيث كان، وكذلك زيارة الأخ في الله، فإنه هو المقصود حيث كان#[3].

ولهذا قال الحافظ ابن عبد البر :: $من كانت له حاجة من حوائج دنياه إلى ناحية الطور؛ فليس خروجه إلى ذلك من هذا في شيء#[4].

ومن البدع في زيارة القبور: تأدية بعض العبادات فيها؛ كالصلاة، وقراءة القرآن، وقصد دعاء الله تعالى فيها.

- ✔ حكم الصلاة في المقابر:

الصلاة في المقابر محرمة، بل عدها أهل العلم من الكبائر[5]، وهي من الذرائع التي توصل إلى الشرك واتخاذ القبور مساجد؛ لذلك جاءت الشريعة بالنهي عن ذلك والتشديد في شأنه، وقد تواترت النصوص عن النبي ح بالنهي عن ذلك، ومن تلك النصوص:

1. عن أبي مرثد ط قال: قال رسول الله ح: $لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها#[6].

قال النووي : عن هذا الحديث: $فيه تصريح بالنهي عن الصلاة إلى القبر، قال الشافعي :: وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس#[7].

وقال المناوي :: $نهى ح عن الصلاة إلى القبور تحذيراً لأمته أن يعظموا قبره، أو قبر غيره من الأولياء، فربما تغالوا فعبدوه، فنهى

(1) بدع القبور (ص 321).
(2) مجموع الفتاوى (27/249-250).
(3) الضياء الشارق (ص 620).
(4) التمهيد (23/39).
(5) انظر: الزواجر (1/148).
(6) سبق تخريجه (ص 951).
(7) شرح النووي على صحيح مسلم (7/42).

أمته عنه غيرة عليهم من ركونهم إلى غير الله، فيتأكد الحذر لما فيه من المفاسد التي منها إيذاء أصحابها، فإنهم يتأذون بالفعل عند قبورهم من اتخاذها مساجد، وإيقاد السرج فيها، ويكرهونه غاية الكراهة، كما كان المسيح يكره ما يفعله النصارى معه#[1].

وقال الصنعاني :: $وفيه دليل على النهي عن الصلاة إلى القبر، كما نهى عن الصلاة على القبر، والأصل التحريم. ولم يذكر المقدار الذي يكون به النهي عن الصلاة إلى القبر، والظاهر أنه ما يعد مستقبلا ً له عرفا#[2].

2. عن عبد الله بن عمر م عن النبي ح قال: $اجْعَلُوا فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ صَلَاتِكُمْ وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا#[3].

قال الإمام البغوي : بعد إيراده للحديث: $دل على أن محل القبر ليس بمحل للصلاة#[4].

وقال ابن بطال :: $وفي هذا دليل على أن المقبرة ليست بمحل للصلا ة#[5].

وقال الحافظ ابن رجب :: $إن النبي ح أمرهم بأن يصلوا في بيوتهم، ولا يتخذوها قبورا ً بترك الصلاة فيها، فدل على أن القبور ليس فيها صلا ة، وأن البيت يكره إخلاؤه عن الصلاة، لما فيه من تشبيهه بالمقابر الخالية عن الصلاة. ولكن قد يقال: النهي عن تشبيه البيوت بالمقابر في إخلائها عن الصلاة إنما يراد منه أن المقابر تخلو عن الصلاة فيها في الواقع المُشَاهَد؛ فإنها ليست محلا ً لصلاة الأحياء عادة، ومَن فيها من الأموات لا يقدرون على الصلاة، فصارت خالية عن الصلاة عادة#[6].

وقال الحافظ ابن حجر :: $إن القبور ليست بمحل للعبادة، فتكون الصلاة فيها مكروهة#، ثم ذكر : ما قاله البخاري على كراهة الصلاة في المقابر[7].

---

(1) فيض القدير (318/6).
(2) سبل السلام، كتاب الصلاة، باب شروط الصلاة (403/1 رقم 203).
(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب كراهية الصلاة في المقابر (528/1 -529 رقم 432).
(4) شرح السنة (411/2).
(5) شرح صحيح البخاري (86/2).
(6) فتح الباري لابن رجب (232/3).
(7) فتح الباري لابن حجر (528/1).

3. عن أبي سعيد ط عن النبي ح قال: $الأرض كلها مسجد؛ إلا المقبرة والحمام#[1].

يقول الحافظ العراقي :: $وعموم ذكر الأرض هنا مخصوص بغير ما نهى الشارع عن الصلاة فيه؛ كخبر: الأرض كلها مسجد إلا المقبرة و الحمام#[2].

ويقول الإمام ابن قدامة : في حديث: $جُعِلت لي الأرض مسجداً وطهوراً#[3]: $هو صحيح متفق عليه، واستُثني منه المقبرة والحمام ومعاطن الإبل بأحاديث صحيحة خاصة، ففيما عدا ذلك يبقى على العموم#[4].

ويقول الإمام النووي : في شرحه لحديث أبي ذر ط: $وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ#[5]، قال: $فيه جواز الصلاة في جميع المواضع إ لا ما استثناه الشرع من الصلاة في المقابر وغيرها من المواضع التي فيها النجاسة#[6].

4. عن عطاء بن يسار : أن رسول الله ح قال: $اللَّهُمَّ لَا تجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ؛ اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ#[7].

يقول ابن عبد البر : في شرحه للحديث: $كانت العرب تصلي إلى الأ صنام وتعبدها، فخشي رسول الله ح على أمته أن تصنع كما صنع بعض من

---

(1) رواه أحمد في مسنده (312/18 رقم 11788) وغيره. وقال الحاكم في المستدرك (251/1) بعد أن أورد الحديث وساق له المتابعات: $هذه الأسانيد كلها صحيحة، على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه#، وقال شيخ الإسلام في الا قتضاء (189/2): $رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والبزار وغيرهم بأسانيد جيدة، ومن تلك فيه فيما استوفى طرقه#، وقال الشيخ الألباني في الإ رواء (320/1): $وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، وقد صححه كذلك الحاكم والذهبي، وأعله بعضهم بما لا يقدح، وقد أجبنا عن ذلك في $صحيح أبي داود# (507)، وذكرت له هناك طريقاً آخر صحيحاً هو في منجاة من العلة المزعومة# أهـ. قلت: وفي كتاب مجانبة أهل الثبور (ص 163-172) تخريج موسع لهذا الحديث.

(2) نقله عنه المناوي في فيض القدير (349/3).

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التيمم، الباب الأول (435/1 رقم 335 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (371/1 رقم 521).

(4) المغني (472/2).

(5) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (10) (407/6 رقم 3366 -الفتح)، مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (370/1 رقم 520)، واللفظ لمسلم.

(6) شرح النووي على صحيح مسلم (5/5).

(7) سبق تخريجه (ص 706).

مضى من الأمم، كانوا إذا مات لهم نبي عكفوا حول قبره كما يصنع بالصنم، فقال ح: $اللهم لا تجعل قبري وثناً# يصلى إليه، ويسجد نحوه، ويعبد؛ فقد اشتد غضب الله على من فعل ذلك.

وكان ح يحذر أصحابه وسائر أمته من سوء صنيع الأمم قبله، الذين صلوا إلى قبور أنبيائهم واتخذوها قبلة ومسجداً، كما صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا يسجدون إليها ويعظمونها، وذلك الشرك الأكبر، فكان النبي ح يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه، وأنه مما لا يرضاه خشية عليهم امتثال طرقهم#[1].

5. الأحاديث الواردة في النهي عن اتخاذ القبور مساجد[2].

يقول الحافظ ابن عبد البر : بعد أن ساق حديث: $قاتلَ اللهُ اليَهُودَ اتخَذُوا قبُورَ أنبِيَائِهِمْ مَسَاجِد#[3]: $في هذا الحديث ... تحريم السجود على قبور الأنبياء، وفي معنى هذا أنه لا يحل السجود لغير الله لأ، ويحتمل الحديث أن لا تجعل قبور الأنبياء قبلة يصلى إليها، وكل ما احتمله الحديث في اللسان العربي فممنوع منه؛ لأنه إنما دعا على اليهود محذراً لأمته ح من أن يفعلوا فعلهم#[4].

فابن عبد البر : يرى أن كل ما احتمله الحديث في اللسان العربي فهو ممنوع منه، وصريح الحديث ومنطوقه يحرّم اتخاذ القبور مساجد، سواء ببناء المساجد عليها، أو بالعكوف والصلاة عندها من غير بناء؛ لأن اللفظ يتناول ذلك كله[5].

---

(1) التمهيد (45/5).

(2) سأورد تلك الأحاديث -بمشيئة الله- في مسألة البناء على القبور (ص 996-997).

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة (531/1 رقم 437 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد (376/1 رقم 530) من حديث أبي هريرة ط.

(4) التمهيد (383/6).

(5) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (160/27)، وعقيدة ابن عبد البر في التوحيد والإيمان (ص 163).

ويقول ابن الملقن[1] : عند شرحه لحديث عائشة ك المتفق عليه: $أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً#[2] قال :: $فيه دليل أيضاً على كراهة الصلاة في القبور# ثم قال: $ولا فرق في الكراهة في المقبرة بين أن يصلي على القبر أو بجانبه أو إليه#[3].

6. عن أنس بن مالك ط قال: $رآني عمر بن الخطاب وأنا أصلي عند قبر، فجعل يقول: القبر ـَ قال: فحسبته يقول: القمر، قال: فجعلت أرفع رأسي إلى السماء فأنظر، فقال: إنما أقول: القبر، لا تصل إليه#[4].

قال ثابت البناني :: $فكان أنس بن مالك يأخذ بيدي إذا أراد أن يصلي فيتنحى عن القبور#[5].

العلة التي حرمت لأجلها الصلاة عند القبور:

اتفق أئمة الدين على النهي عن قصد الصلاة عند القبور[6]، ولم يبيحوها فضلاً عن أن يستحبوها، إلا أنهم قد اختلفوا في العلة التي حُرِّمَت لأجلها الصلاة عند القبور[7]:

فقال بعض العلماء: إن ذلك ليس إلا لكونها مظنة النجاسة؛ لما يختلط بالتراب من صديد الموتى.

وقال بعضهم الآخر: إن علة النهي هي الخوف على الأمة من الوقوع في الشرك.

وممن علل بهذه العلة: أبو بكر الأثرم، والماوردي، وابن قدامة، وابن تيمية وغيرهم.

قال أبو بكر الأثرم :: $إنما كرهت الصلاة في المقبرة للتشبه بأهل الكتاب؛ لأنهم يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد#[8].

---

(1) هو: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الانصاري الشافعي، المعروف بابن الملقن (723-804 هـ)، من أكابر العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال، من مصنفاته الكثيرة: التذكرة في علوم الحديث، والإعلام بفوائد عمدة الاحكام. انظر: طبقات الحفاظ (ص 537-538)، والضوء اللامع (100/6).

(2) مضى تخريجه (ص 48).

(3) الإعلام بفوائد عمدة الأحكام (502/4).

(4) رواه عبد الرزاق في مصنفه (404/1 رقم 1581)، وابن أبي شيبة في مصنفه (189/5 رقم 7657 –تحيقيق محمد عوامة)، والبيهقي في السنن الكبرى (435/2).

(5) رواه عبد الرزاق في مصنفه (404/1-405 رقم 1581).

(6) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (488/27).

(7) انظر: الحاوي الكبير (60/3)، رد المحتار (42/2-43)، واقتضاء الصراط المستقيم (190/2).

(8) نقله عنه ابن القيم في إغاثة اللهفان (357/1).

وقال الماوردي :: $... وقوله ح "لعن اللّه اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"، فإنما قال ذلك خوفاً من الافتتان بقبره، وأن يؤديهم تعظيمه إلى عبادته، وأما الصلاة على قبر رسول الله ح فالصحيح من مذاهب أصحابنا أنها غير جائزة، لما ذكرناه... #[1].

وقال ابن قدامة :: $ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور ... لأن النبي ح قال: $لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد# يحذر مثل ما صنعوا[2] ... ولأن **تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأ صنام** بالسجود لها والتقرب إليها، وقد روينا أن **ابتداء عبادة الأصنام: تعظيم الأموات باتخاذ صورهم، والتمسح بها، والصلاة عندها**#[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :: $لكن المقصود الأكبر بالنهي عن الصلا ة عند القبور ليس هو هذا. فإنه ح قد بين أن اليهود والنصارى كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ... فهذا كله يبين لك **أن السبب ليس هو مظنة النجاسة وإنما هو مظنة اتخاذها أوثانا** ً#[4].

وقال السيوطي : في كلام طويل، أنقله برمته لنفاسته: $واعلم أن من الفقهاء من اعتقد أن سبب الكراهة في الصلاة في المقبرة ليس إلا كونها مظنة النجاسة، ونجاسة الأرض مانع من الصلاة عليها، سواء كانت مقبرة أو لم تكن. وليس ذلك كل المقصود بالنهي، **وإنما المقصود الأكبر بالنهي إنما هو مظنة اتخاذها أوثاناً**.

كما ورد عن الإمام الشافعي ط أنه قال: $وأكره أن يعظ ـم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه من بعده من الناس#[5]. **وقد نص النبي ح على العلة بقوله**: $اللّهم لا تجعل قبري وثناً يعبد#[6]، ويقول: $إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، فلا تتخذوا القبور مساجد، ولا تجلسوا عليها#[7] الحديث المتقدم. وأخبر ح أن الكفار $إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً، وصوّروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة#[8]؛ فجمع ح بين التماثيل وبين

(1) الحاوي الكبير (60/3).
(2) سبق تخريجه (ص 49).
(3) المغني (441/3)، وانظر: (473/2-474).
(4) اقتضاء الصراط المستقيم (190/2-191).
(5) انظر: الأم (633/2 -تحقيق رفعت فوزي).
(6) سبق تخريجه (ص 706).
(7) سبق تخريجه (ص 49).
(8) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد (524/1 رقم 427 -الفتح) من حديث أم حبيبة وأم سلمة م.

القبور.

وأيضاً فإن اللات كان سبب عبادتها تعظيم قبر رجل صالح كان هناك يلت السويق بالسمن ويطعمه للحاج، فلما مات عكفوا على قبره[1]. وقد ذكروا أيضاً أن وداً، وسواعاً، ويغوث، ويعوق، ونسراً، قوم صالحون كانوا بين آدم ونوح إ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أتباعهم: لو صورنا صورهم. فلما مات الأتباع، وجاء بعدهم قوم آخرون، أتاهم إبليس، فقال: إنما كان أولئك يعبدونهم، وبهم يُسقون المطر، فعبدوهم. وذكر ذلك محمد بن جرير الطبري بسنده[2].

وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع ح هي التي أوقعت كثيراً من الأ مم إما في الشرك الأكبر أو فيما دونه. ولهذا تجد أقواماً كثيرة من الضالين يتضرعون عند قبر الصالحين، ويخشعون، ويتذللون، ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله المساجد، بل ولا في الأسحار بين يدي الله تعالى، ويرجون من الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد التي تشد إليها الرحال.

فهذه المفسدة هي التي حسم النبي ح مادتها؛ حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقاً وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة ولا ذلك المكان؛ **سداً للذريعة إلى تلك المفسدة التي من أجلها عبدت الأوثان#**[3].

وأما تعليل النهي عن الصلاة عند القبور بمجرد كونها موطناً للنجاسة، فهو تعليل غير سديد ولا تدل عليه النصوص، وقد أطنب ابن القيم : في إبطال التعليل بهذه العلة، ومما ساقه في ذلك:

1. أن الأحاديث كلها ليس فيها فرق بين المقبرة الحديثة والمنبوشة؛ كما يقول المعللون بالنجاسة.

2. أن موضع مسجده ح كان مقبرة للمشركين، فنبش قبورهم وسواها، واتخذها مسجداً، ولم ينقل ذلك التراب، بل سوّى الأرض ومهّدها وصلى فيه.

3. أن النبي ح لعن اليهود والنصارى على اتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد، ومعلوم قطعاً أن هذا ليس لأجل النجاسة، فإن ذلك لا يختص بقبور الأنبياء، وأن قبور الأنبياء مِن أطهر البقاع، وليس للنجاسة عليه طريق البتة، فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجسادهم.

ثم قال : في آخر كلامه: **$**وبالجملة فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه، وفَ هَ مِ عن الرسول ح مقاصده، جزم جزماً لا يحتمل النقيض أن هذه المبالغة منه باللعن والنهي بصيغتيه؛ صيغة **$**لا تفعلوا**#**، وصيغة

---

(1) مضى تخريجه (ص 408).
(2) مضى تخريجه في (ص 175).
(3) الأمر بالاتباع (ص 136-139).

$إني أنهاكم#؛ ليس لأجل النجاسة، بل هو لأجل نجاسة الشرك اللاحقة بمن عصاه، وارتكب ما عنه نهاه، واتبع هواه، ولم يخش ربه ومولاه، وقل ّ نصيبه أو عدم في تحقيق شهادة أن لا إله إلا اللّٰه#[1].

حالات المصلين عند القبور:

إذا تقرر ما تقدم من بيان علة النهي عن الصلاة عند القبور، فإن الصلاة عندها لا تخلو من حالات، منها:

الحالة الأولى: أن يقصد بصلاته الصلاةَ لصاحب القبر، وصرفَ العبادة له؛ فهذا شرك أكبر؛ لأنه صرف العبادة لغيره سبحانه، قال تعالى: ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼالجن: ١٨، وقال: ﭽﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼالبينة: ٥، وقال: ﭽﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼالزمر: ٦٥.

الحالة الثانية: أن يقصد بالصلاة عند القبور التبرك ببقعة معينة منها؛ فهذا بدعة، وهو محادّة اللّٰه ورسوله ح، وهو محرم، سواء كان القبر في قبلته أم لم يكن في قبلته؛ لأن هذا ابتداع في الدين.

يقول السيوطي : عند كلامه على حكم الصلاة عند القبور: $فأما إن قصد الإنسان الصلاة عندها، أو الدعاء لنفسه في مهماته وحوائجه متبركاً بها راجياً للإجابة عندها؛ فهذا عين المحادّة لله ولرسوله، والمخالفة لدينه وشرعه، وابتداع دين لم يأذن به اللّٰه، ولا رسوله ح، ولا أئمة المسلمين المتبعين آثاره وسننه#[2].

ويقول ابن حجر الهيتمي :: $قال أصحابنا: تحْرُم الصلاة إلى قبور الأنبياء والأولياء تبركاً وإعظاماً#[3].

ويقول المناوي : عند حديثه عن حكم الصلاة في القبور: $فإن قصد إنسان التبرك بالصلاة في تلك البقعة؛ فقد ابتدع في الدين ما لم يأذن به اللّٰه#[4].

ويقول الرومي[5] :: $اللائق بالزائر أن يتبع السنة ويقف عند ما شرع

---

(1) انظر: إغاثة اللّٰهفان (356-353/2). وهناك أوجه أخرى -غير ما ذكرت- في ترجيح هذه العلة، جمعها من كلام الأئمة صاحبُ كتاب مجانبة أهل الثبور (ص 28 -30).

(2) الأمر بالاتباع (ص 139)، وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم (193/2).

(3) الزواجر (148/1).

(4) فيض القدير (407/6).

(5) هو: أحمد بن محمد الرومي الأقحصاري (ت 1043 هـ)، من كبار علماء الحنفية في الدولة العثمانية التركية، له جهود عظيمة في قمع القبورية وقلع شبهاتهم، ألف كتابه العظيم: مجالس الأبرار ومسالك الأخيار، وهو: $مائة مجلس في شرح مائة حديث من مصابيح البغوي#. انظر: كشف الظنون (1590/2)، وهدية العارفين (157/1)، ومعجم المؤلفين (140/1).

له، ولا يتعداه؛ ليكون محسناً إلى نفسه، وإلى الميت، فإن زيارة القبور نوعان: زيارة شرعية وزيارة بدعية.

أما الزيارة الشرعية: التي أذن فيها رسول الله ح، فالمقصود منها شيئان:

أحدهما: راجع إلى الزائر: وهو الاعتبار والاتعاظ.

والثاني: راجع إلى الميت: وهو أن يسلم عليه الزائر، ويدعو له.

وأما الزيارة البدعية: فزيارة القبور لأجل الصلاة عندها، والطواف بها، وتقبيلها، واستلامها، وتعفير الخدود عليها، وأخذ ترابها، ودعاء أصحابها ... فليس شيء من ذلك مشروعاً باتفاق أئمة المسلمين، إذ لم يفعله رسول الله ح ولا أحد من الصحابة والتابعين وسائر أئمة الدين، بل أصل هذه الزيارة البدعية الشركية مأخوذة عن عباد الأوثان#[1].

الحالة الثالثة: أن يصلي عند القبور صلاة ذات الركوع والسجود اتفاقاً من غير قصد بركة بقعة، أو توجه بعبادة لغير الله تعالى؛ فهذه الحالة مما اختلف أهل العلم فيه بين مجيز ومانع[2]، والقول الأظهر هو: المنع؛ لعموم نهي النبي ح عن ذلك، وسداً للذريعة مطلقاً.

قال ابن سيرين : في الرجل تدركه الصلاة في المقابر: $يرجع#[3].

وقال النخعي :: $كانوا إذا خرجوا مع جنازة فحضرت الصلاة تنحوا عن القبور#[4].

وقال ابن المنذر :: $**والذي عليه الأكثر من أهل العلم: كراهية الصلاة في المقبرة**، لحديث أبي سعيد ط، وكذلك نقول#[5].

ومراد ابن المنذر : بالكراهة هنا: **كراهة التحريم**، لذا قال قبل ذلك على

(1) مجالس الأبرار (ص 126، 358-359، 364-365) نقلاً عن جهود علماء الحنفية (1593/3-1594).

(2) انظر أقوال العلماء في المسألة: **الحنفية**: الاختيار لتعليل المختار للموصلي (97/1)، وحاشية ابن عابدين (380/1)، وبدائع الصنائع (335/1-336)، و المبسوط للسرخسي (206/1-207)، **والمالكية**: المدونة (182/1)، ومواهب الجليل للحطاب (63/2-64)، **والشافعية**: الأم (632/2 -تحقيق رفعت فوزي)، و المهذب (215/1-216)، والمجموع (163/3-165)، **والحنابلة**: المغني (473/2-474)، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل، للمرداوي (489/1)، والروض المربع مع حاشيته لابن قاسم (537/1)، **والظاهرية**: المحلى (27/4-33).

(3) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (191/5 رقم 7667 –تحقيق محمد عوامة) وصحح إسناده صاحب كتاب $أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان# (673/2 رقم 764).

(4) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (190/5 رقم 7663 –تحقيق محمد عوامة).

(5) الأوسط (185/2).

حديث ابن عمر م $اجعلوا بيوتكم من صلاتكم، ولا تتخذوها قبوراً# قال :: $ففي قوله $ولا تتخذوها قبوراً# دليل على أن المقبرة ليست بموضع صلاة ، لأن في قوله $اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم# حثاً على الصلوات في البيوت. وقوله $ولا تجعلوها قبوراً# يدل على أن الصلاة غير جائزة في المقبرة#[1].

وقال : في موضع آخر: $وفي حديث ابن عمر م عن النبي ح أنه قال: $اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم، ولا تتخذوها قبوراً# أبين البيان على أن الصلاة في المقبرة غير جائزة#[2].

وقد أطلق ابن المنذر : هنا الكراهة، وأراد بها التحريم، كإطلاق جماعات من الأئمة ذلك، وهم لا يريدون به إلا ذلك، ووَهِم مَن ظن أنهم أرادوا كراهة التن-زيه التي اصطلح عليها الأصوليون مِن بعدهم[3].

الحالة الرابعة: أن يصلي عند القبور صلاة الجنازة، ويدل على جواز ذلك: ما رواه أبو هريرة ط: $أنّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ أَوْ شَابًّا فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللهِ ح فَسَأَلَ عَنْهَا أَوْ عَنْهُ فَقَالُوا: مَاتَ، قَالَ: أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي؟ قَالَ: فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا أَوْ أَمْرَهُ، فَقَالَ: دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ، فَدَلُّوهُ فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ#[4].

✔ **حكم قصد الزائر دعاء الله تعالى له عند القبور[5]:**

من المعلوم أن الدعاء من أهم العبادات، شرعه الله تعالى لعباده ووعد بالإجابة عليه تفضلاً وتكرماً. وقد شرع الله له آداباً -منها: الأمكنة الفاضلة ، والأزمنة الفاضلة- جعلها أقرب في الإجابة من غيرها، كما رغب في الدعاء مطلقاً بدون تقييد بزمان أو مكان.

ولكن الشيطان زيّن لبعض الناس أن يستبدلوا هذا المشروع الطيب بـ المبتدع الخبيث، إذ استبدلوا الدعاء في المساجد والأسحار والسجود، بـ الدعاء عند الأضرحة والقباب والشبابيك، وظنوا أن الدعاء عند الأضرحة

---

(1) المرجع السابق (183/2).
(2) المصدر السابق (417/5-418).
(3) هناك بحث جميل في $بيان مراد أهل العلم المتقدمين بلفظ "الكراهة"، وأنهم أرادوا إطلاقه اللغوي الشرعي، لا الاصطلاحي الأصولي، وبيان غلط من زعم أنهم أرادوا المعنى الاصطلاحي عند المتأخرين#، راجعه في: مجانبة أهل الثبور المصلين في المشاهد وعند القبور (ص 179-191).
(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب كنس المسجد والتقاط الخرق ... (551/1 رقم 438 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر (659/2 رقم 956)، واللفظ لمسلم.
(5) مستفاد من الدعاء ومن-زلته (604/2-625) باختصار شديد، وبعض الإضافات.

أجوب منه في المساجد والبيوت، بل تجاوزوا ذلك إلى دعاء صاحب الضريح وندائه والاستغاثة به، واستبدلوا الزيارة الشرعية التي للدعاء للميت والاستغفار له بالزيارة البدعية التي للدعاء عنده أو التوسل به، بل ربما لدعائه وطلب الحوائج منه، فاقتضى هذا الصنيع منهم أن يبين الحكم الشرعي في ذلك والأدلة الدالة على منعه، وبالله التوفيق.

الأدلة على كون قصد الدعاء لنفس الزائر عند الأضرحة بدعة:

أولاً: إن الدعاء عبادة عظيمة من أهم العبادات، والعبادات لا تصح و لا تقبل إلا بشرطين أساسيين: الإخلاص لله، وتجريد المتابعة لرسول الله ح [1].

فثبت بهذا أن مبنى العبادة على التوقيف، ومن أهم العبادات: الدعاء، فلو كان الدعاء عند الأضرحة يتعبد به الله تعالى لَشَرَعه الله ورسوله ح، ولفعله السلف الصالح، فلم يرد في الكتاب والسنة ما يدل على مشروعية تحري الدعاء عند القبر، مع كثرة ما ورد في باب الأدعية، وكثرة مصنفات السلف فيها التي ذكروا فيها آدابها ، ومواقيتها، وأماكنها، وغير ذلك، ولم نجد أحداً من السلف والعلماء المعتبرين قال بمشروعية التحري للدعاء عند القبر.

فدل هذا على أنه لم يرد في الشرع، ولم يفعله السلف الصالح؛ فثبت أنه بدعة، إذ لو كان خيراً لسبقونا إليه، وهم أحرص الناس على الخير.

ثانياً: سعي الصحابة ن في منع الدعاء عند القبر، واجتهادهم في منع وسائله وذرائعه، ومن شواهد ذلك:

أ. إن الصحابة ن $لما فتحوا أرض الشام والعراق وغيرهما كانوا إذا وجدوا قبراً يقصد الدعاء عنده غيبوه#[2] وأخفوه.

ب. إن الصحابة ن لما فتحوا بيت المقدس لم يقصدوا قبر الخليل ؛ و لا غيره من الأنبياء للدعاء ولا للصلاة، بل إذا رأوا أحداً ينتاب مكاناً معيناً للصلاة ونحوها نهوه وزجروه، ومن ذلك: ما فعله عمر مع الذين يصلون في مكان صلى فيه الرسول ح، وقد مر ذكر نص القصة[3].

وكذلك فعل السلف الصالح من بعد عهدهم؛ قال ابن وضاح :: $وسمعتهم يذكرون أن سفيان الثوري دخل مسجد بيت المقدس فصلى فيه ، ولم يتبع تلك الآثار ولا الصلاة فيها، وكذلك فعل غيره أيضاً ممن يقتدى به، وقدِم وكيع أيضاً مسجدَ بيت المقدس فلم يعْدُ فعلَ سفيان.

فعليكم بالاتباع لأئمة الهدى المعروفين، فقد قال بعض من مضى: كم مِن أمر هو اليوم معروف عند كثير من الناس كان منكراً عند مَن مضى،

---

(1) سبق ذكر بعض الأدلة على هذين الشرطين في (ص 392-394).
(2) منهاج السنة (438/2)، ونحوه في (480/1-481).
(3) انظر: (ص 929).

ومتحبب إليه بما يبغضه عليه، ومتقرب إليه بما يبعده منه، وكل بدعة عليها زينة وبهجة#[1].

ج. ما فعله الصحابة ن بقبر دانيال ؛ لما فتحوا تستر، إذ حفروا قبوراً متفرقة ودفنوه ليلا ً في إحداها وسووا القبور جميعاً لئلا يعرفه الناس[2].

ثالثاً: كراهية السلف الصالح تحري الدعاء عند القبر، واعتبارهم إياه بدعة، ومن شواهده:

أ- ما روي عن علي بن الحسين زين العابدين[3] م، أنه رأى رجلا ً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ح فيدخل فيها فيدعو، فدعاه فقال: $ألا أحدثك بحديث سمعته من أبي عن جدي عن رسول اللّٰه ح قال: $لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي فإن صلاتكم وتسليمكم يبلغني حيث ما كنتم#[4].

ب- عن سهيل[5] قال : جئت أسلم على النبي ح والحسن بن الحسن[6] ن يتعشى في بيت عند النبي ح فدعاني فجئته فقال: أدن فتعش! قال: قلت: لا أريده. قال: مالي رأيتك وقفت؟ قال: وقفت أسلم على النبي ح، ق ال: إذا دخلت المسجد فسلم عليه، ثم قال: إن رسول اللّٰه ح قال: $صلوا في بيوتكم ولا تجعلوا بيوتكم مقابر، لعن اللّٰه اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم#[7].

(1) البدع والنهي عنها (ص 50).

(2) سبق ذكر نص القصة في (ص 51).

(3) هو: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي زين العابدين (ت 93 هـ)، ثقة ثبت عابد فقيه فاضل مشهور، قال الزهري: $ما رأيت قرشياً أفضل منه#. انظر: التقريب (رقم 4749).

(4) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (5/177-178 رقم 7624 –تحقيق محم عوامة) واللفظ له، كما رواه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة (ص 35 رقم 20)، وأبو يعلى في مسنده (1/361 رقم 469)، وقال الحافظ ابن عبد الهادي في الصارم المنكي (ص 468): $قد رواه أبو يعلى والحافظ أبو عبد اللّٰه المقدسي في الأحاديث المختارة، وهو حديث محفوظ عن علي بن الحسين زين لعابدين وله شواهد كثيرة#. وقال الشيخ الألباني: $حديث صحيح بطرقه وشواهده# فضل الصلاة على النبي ح (ص 36).

(5) هو: سهيل بن أبي سهيل، ويقال سهل بن أبي سهيل، روى عن أمه عن أم المؤمنين عائشة ك. انظر: الجرح والتعديل (4/199 رقم 857).

(6) هو: الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ت 97 هـ)، صدوق. انظر: التقريب (رقم 1236).

(7) رواه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة (ص 40 رقم 30) واللفظ له، كما رواه عبد الرزاق في مصنفه (3/577 رقم 6726)، وابن أبي شيبة في مصنفه (5/178 رقم 7625 –تحقيق محمد عوامة). ولهذين الأثرين شاهد من حديث

فتبين من هذين الأثرين أن قصد قبر النبي ح للدعاء عنده من اتخاذه عيداً، وذلك أن علي بن الحسين زين العابدين -وهو أفضل التابعين من أهل البيت- نهى ذلك الرجل من أن يتحرى الدعاء عند قبره ح واستدل بالحديث الذي سمعه من أبيه عن جده، وهو أعلم بمعناه من غيره، وكذلك ابن عمه الحسن بن الحسن -شيخ أهل بيته- كره أن يقصد القبر للسلام ونحوه، غير دخول المسجد، ورأى أن ذلك من اتخاذه عيداً.

فهذه السنة مخرجها من أهل البيت وأهل المدينة الذين لهم من رسول الله ح قرب النسب وقرب الدار، لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم؛ فكانوا لها أضبط[1].

ج- ومن ذلك ما روي عن الإمام مالك : أنه قال: $لا أرى أن يقف عند قبر النبي ح يدعو ولكن يسلم ويمضي#[2].

$وذلك لأن هذا هو المنقول عن ابن عمر أنه كان يقول: $السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبت أو يا أبتاه# ثم ينصرف[3]، ولا يقف يدعو، فرأى مالك ذلك من البدع#[4].

د- مما يدل على أن السلف يرون الدعاء عند القبر بدعة؛ أنهم قالوا إذا سلم الرجل على النبي ح وأراد أن يدعو له؛ فعليه أن يستقبل القبلة ولا يستقبل القبر، وهذا هو مذهب الأئمة الأربعة، وغيرهم من أئمة الإسلام[5].

هذا مع أنه ح أشرف الخلق وأكرمهم على الله، وأفضل الأولين والآخرين، فكيف بقبر غيره ممن هو دونه بكثير؟[6]

أبي هريرة ط الذي أخرجه أبو داود في سننه، كتاب المناسك، باب زيارة القبور (366/2 رقم 2042) وأحمد في مسنده (403/14 رقم 8804)، وقد صحح إسناد حديث أبي هريرة ط النووي في الأذكار (ص 173)، ونقل السخاوي هذا التصحيح مقرراً في القول البديع (ص 312)، وقال ابن تيمية في الرد على الإخنائي (ص 92): $حسن#، وقال ابن عبد الهادي في الصارم المنكي (ص 490): $حديث حسن جيد الإسناد وله شواهد كثيرة يرتقي بها إلى درجة الصحة#، وحسنه أيضاً الحافظ ابن حجر كما في الفتوحات الربانية (313/3)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (706/2 رقم 3785).

(1) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (245/2)، وإغاثة اللهفان (362/1).

(2) ذكره عن مالك إسماعيل القاضي في المبسوط، ونقله عنه القاضي عياض في الشفا (85/2).

(3) سبق تخريجه (ص 289).

(4) المبسوط للقاضي إسماعيل بن إسحاق (ص 104) كما في الصارم المنكي (ص 229).

(5) انظر: المجموع (286/5)، واقتضاء الصراط المستقيم (239/2)، وإغاثة اللهفان (374/1)، وانظر كذلك: الدعاء ومنـزلته (614/2-616).

(6) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (359/1، 122/27)، ومنهاج السنة

قال أبو الحسن الزعفراني : كما نقله عنه النووي :: $فمن قصد السلام على ميت سلم عليه من قبل وجهه، وإذا أراد الدعاء تحول عن موضعه واستقبل القبلة#[1].

فيعلم من هذا أنه إذا رأى السلف بأن قبر النبي ح لا يتحرى الدعاء عنده، دل ذلك على أن السلف يرون بدعية تحري باقي القبور من باب أولى.

رابعاً: مما يدل على بدعية تحري الدعاء عند القبور: أن النبي ح نهى عن الصلاة عند القبور وإليها -كما مضى[2]-، ونهى عن اتخاذها مساجد -كما سيأتي[3]-؛ والعلة في النهي عن الصلاة عند القبور: كون ذلك يؤدي إلى الا فتتان بها، فمن باب أولى: النهي عن الدعاء عندها؛ لأن الفتنة هنا أشد وأعظم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :: $إن العلة التي نهى النبي ح لأجلها عن الصلاة عندها إنما هو لئلا تتخذ ذريعة إلى نوع من الشرك؛ بالعكوف عليها، وتعلق القلوب بها رغبة ورهبة.

ومن المعلوم أن المضطر في الدعاء -الذي قد نزلت به نازلة فيدعو لا ستجلاب خير كالاستسقاء، أو لرفع شر كالاستنصار- حاله في افتتانه بالقبور -إذا رجا الإجابة عندها- أعظم من حال من يؤدي الفرض عندها في حال العافية، فإن أكثر المصلين -في حال العافية- لا تكاد قلوبهم تفتن بذلك إلا قليلا ً، أما الداعون المضطرون ففتنتهم بذلك عظيمة جدا ً، فإذا كانت المفسدة والفتنة التي لأجلها نهي عن الصلاة متحققة في حال هؤلاء، كان نهيهم عن ذلك أوكد وأوكد#[4].

ويقول السيوطي :: $ومن هذه الأمكنة: ما له خصيصة، لكن لا تقتضي اتخاذها عيداً، ولا الصلاة عندها ونحوها من العبادات، كالدعاء عندها، فمن هذه الأمكنة قبور الأنبياء والصالحين#[5].

خامساً: إن من قواعد الشرع الأصلية العظيمة قاعدة سد الذرائع، فهي قاعدة اتفق عليها العلماء، والدعاء عند القبر ذريعة إلى دعاء صاحب القبر.

وذلك أن الشيطان العدو اللدود للإنسان يتلطف في إغوائه؛ فيزين له في بداية أمره الدعاء عند القبر وأنه أرجح منه في بيته ومسجده وأوقات ا لأسحار، فإذا تقرر ذلك عنده نقله إلى درجة أخرى وهي الدعاء به، والإقسام على الله به، وهذه الدرجة أعظم من التي قبلها، فإذا قرر الشيطان عنده أن ا

(444/2).

(1) المجموع (286/5).

(2) انظر: (ص 974 وما بعدها).

(3) انظر: (ص 996 وما بعدها).

(4) اقتضاء الصراط المستقيم (196/2-197).

(5) الأمر بالاتباع (ص 125).

لإقسام على الله به، والدعاء به أبلغ في تعظيمه واحترامه، وأنجع في قضاء حاجته؛ نقله إذا درجة أخرى، وهي دعاء صاحب القبر من دون الله تعالى، فإذا تقرر ذلك نقله إلى درجة أخرى وهي اتخاذ قبره وثناً يعكف عليه ويوقد عليه القنديل، ويعلق عليه الستور ويبني عليه القبة، ويعبده بالسجود له و الطواف به وتقبيله واستلامه، والحج إليه والذبح عنده.

ثم إذا تقرر هذا ينقله إلى درجة أخرى وهي دعوة الناس إلى عبادته واتخاذه عيداً ومنسكاً وأن ذلك أنفع لهم في دنياهم وآخرتهم[1].

ولهذا سد الشارع الحكيم على الشيطان هذه المداخل وحسم مادة الشرك ومنع من كل ما يؤدي إلى دعاء غير الله تعالى، ومن هنا يُعلَم سر منع الشريعة الإسلامية مِن تحري الدعاء عند القبر؛ أن ذلك من أقرب الوسائل التي توصل إلى دعاء صاحب القبر.

صور الدعاء عند القبور وحكم كل منها:

إن الدعاء عند قبر ولي أو نبي أو ما يعتقد كذلك، له ثلاث صور -كما تقدم[2]-، والحكم يختلف بحسب اختلافها:

الأولى: أن يقصد القبر ويتحراه للدعاء عنده وليس له غرض آخر، معتقداً أن الدعاء هناك أحرى بالإجابة وأسرع، وأن لذلك المكان خصوصيةً في إجابة الدعاء، وأن الدعاء في المقابر والمشاهد أفضل من الدعاء في المساجد والبيت والسجود والأسحار.

والثانية: أن يقصد القبر للزيارة والدعاء عنده معتقداً لما تقدم، وذلك كالذي يحصل من الذين يزورون القبر الزيارة البدعية حيث كانوا يجمَعون بين النِّيّتَين: نية الزيارة ونية الدعاء عنده.

والثالثة: أن يحصل الدعاء عند القبر بحكم الاتفاق بدون قصدٍ سابق وتحرٍّ، كمن يدعو الله في طريقه ويتفق أن يمر بالقبور، أو من يزورها فيسلم عليها، ويسأل الله العافية له وللموتى كما جاءت به السنة[3].

إن الصورة الأولى والثانية فيهما تحري الدعاء عند القبر، والتحري له حكم خاص؛ لأن الرجل ما يتحرى ويخصص مكاناً معيناً للدعاء إلا وقد سيطر على لبه وعقله اعتقادُ أن لذلك المكان خصوصية ودخلا ً في إجابة الدعاء، فلذا توجه إلى تلك البقعة؛ فمِن هنا صار تحري الدعاء عند القبر ممنوعاً، بل هي بدعة منكرة.

يقول السيوطي : عند كلامه على حكم الصلاة عند القبور: $فأما إن قصد الإنسان الصلاة عندها، أو الدعاء لنفسه في مهماته وحوائجه متبركاً

---

(1) انظر: إغاثة اللهفان (396/1، 398)، ومنهاج السنة (439/2-440)، والدعاء ومن-زلته (483/2-484).

(2) تقدم (ص 235-236).

(3) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (195/2).

بها راجياً للإجابة عندها؛ فهذا عين المحادّة لله ولرسوله، والمخالفة لدينه وشرعه، وابتداع دين لم يأذن به الله ولا رسوله ح ولا أئمة المسلمين المتبعين آثاره وسننه#[1].

وأما الحكم في الصورة الثالثة: فهو لا بأس به؛ لأنه وقع ضمناً وتبعاً ولم يقصد، ويدل على ذلك الأحاديث الواردة في السلام على أهل القبور.

فقد ورد في حديث بريدة بن الحصيب ط قوله ح: $أسأل الله لنا ولكم العافية#[2]، وفي حديث عائشة ك مرفوعاً: $ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين#[3].

وهذا الدعاء الذي لم يتحر فيه يكون في الغالب يسيراً وخفيفاً، كما في الحديثين السابقين.

والأولى للإنسان إذا أراد أن يدعو -وحاله كما في الصورة الثالثة- أن يقتصر على السلام الوارد في زيارة القبور وعلى الدعاء الذي تضمنه بدون زيادة عليه؛ لورود كراهة بعض السلف للوقوف عند القبر مطلقاً، كما ورد عن إمام دار الهجرة مالك بن أنس : من قوله: $لا أرى أن يقف عند قبر النبي ح يدعو، لكن يسلم ويمضي#[4]، والله أعلى وأعلم

✔ حكم قراءة القرآن في المقبرة:

القراءة على القبور تارة تكون قراءة دائمة في كل وقت، وتارة تكون في بعض الأوقات والأحوال دون بعض.

وأما قصد القبر دائماً للقراءة عنده فهي بدعة حادثة لم تكن معروفة عند السلف[5].

وأما القراءة في بعض الأحوال والأوقات كحين زيارتها، أو دفن الميت فيها؛ فقد اختلف أهل العلم فيها على ثلاثة أقوال[6]:

القول الأول: جواز قراءة القرآن وقت الدفن:

إلى هذا القول ذهب بعض أهل العلم؛ وهو رواية عن الإمام أحمد[7]، واستدلوا بما نقل عن ابن عمر م عن النبي ح أنه قال: $إذا مات أحدكم فلا تحبسوه، أسرعوا به إلى قبره، وليقرأ عند رأسه بفاتحة الكتاب، وعند رجليه

(1) الأمر بالاتباع (ص 139)، وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم (193/2).
(2) سبق تخريجه (ص 254).
(3) سبق تخريجه (ص 289).
(4) الشفا (85/2).
(5) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (263/2).
(6) مستفاد من بدع القبور (ص 380-389) باختصار.
(7) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (317/24)، والفروع (304/2)، والإنصاف (558/2).

بخاتمة البقرة في قبره#[1].

وبما روى أبو أمامة الباهلي ط قال: $لما وُضِعَت أم كلثوم[2] ابنةُ رسول الله ح في القبر، قال رسول الله ح: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ [طه: ٥٥]#[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا القول: $وهذه الرواية لعلها أقوى من غيرها، لما فيها من التوفيق بين الدلائل#[4].

القول الثاني: جواز القراءة مطلقاً:

وهو قول طائفة من أصحاب أبي حنيفة[5]، والمتأخرين من المالكية[6]، والشافعي وأصحابه[7]، ورواية عن أحمد أخذ بها بعض أصحابه[8].

واستدلوا بما يلي:

أولاً: ما روي أن ابن عمر م أوصى أن يقرأ عند قبره بفواتح سورة

---

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير (444/12 رقم 13613)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (44/3): $فيه يحيى ابن عبد الله البابلتي وهو ضعيف#، وأورده الملا علي القاري في كتابه الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (ص 128)، وقال الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (152/9 رقم 4140): "ضعيف جداً".

(2) هي: أم كلثوم بنت رسول الله ح وأمها خديجة بنت خويلد ك (ت 9 هـ)، تزوجها عتبة بن أبي لهب قبل النبوة وطلقها قبل أن يدخل بها، ثم تزوجها عثمان في السنة الثالثة بعد وفاة أختها رقية، ماتت ك ولم تنجب. انظر: طبقات ابن سعد (37/10 رقم 4930).

(3) رواه أحمد في مسنده (524/36 رقم 22187)، وضعّف إسنادَه كل من الهيثمي في مجمع الزوائد (43/3) والحافظ في التلخيص الحبير (1231/3 رقم 2574)، وقال الشيخ الألباني في أحكام الجنائز (ص 153 -الحاشية) والشيخ بكر أبو زيد في تصحيح الدعاء (ص 501): $ضعيف جداً#، وقال محققوا المسند بأن إسناده ضعيف جداً.

(4) اقتضاء الصراط المستقيم (264/2).

(5) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (693/2)، وفتاوى قاضي خان - بهامش الفتاوى الهندية (162/1)، ومجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر (552/2)، واقتضاء الصراط المستقيم (263/2).

(6) انظر: حاشية الدسوقي (423/1).

(7) انظر: المجموع (286/5).

(8) انظر: المغني (518/3)، ومجموع الفتاوى (317/24)، والفروع (304/2)، و المبدع (278/2)، والإنصاف (557/2-558)، ومسائل الإمام أحمد لابنه عبد الله (494/2)، وفي الرواية التي في المغني قصة ذكرت تراجع الإمام أحمد عن القول ببدعية هذه القراءة. وقد أنكر الشيخ الألباني في أحكام الجنائز (ص 192 الحاشية) نسبتها للإمام أحمد.

البقرة وخواتمها[1].

ثانياً: ما روي مرفوعاً إلى النبي ح: $البَقَرَةُ سَنَامُ القُرْآنِ وَذُرْوَتُهُ نَزَلَ مَعَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهَا ثَمَانُونَ مَلَكًا وَاسْتُخْرِجَتْ ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ[البقرة: ٢٥٥] مِنْ تَحْتِ العَرْشِ، فَوُصِلَتْ بِهَا، أَوْ فَوُصِلَتْ بِسُورَةِ البَقَرَةِ. وَيس قَلْبُ القُرْآنِ لَا يَقْرَؤُهَا رَجُلٌ يُرِيدُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَالدَّارَ الآخِرَةَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ، وَاقْرَءُوهَا عَلَى مَوْتَاكُمْ#[2].

ثالثاً: ما روي مرفوعاً إلى النبي ح: $اقْرَءُوا يس عَلَى مَوْتَاكُمْ#[3]، وغيرها[4].

القول الثالث: منع القراءة عند القبر مطلقاً:

وبه قال أبو حنيفة[5]، ومالك والمتقدمون من أصحابه[6]، وأحمد في رواية عنه اختارها بعض أصحابه[7]، وهو مذهب جمهور السلف[8].

---

(1) سبق تخريجه قريباً.

(2) رواه أحمد في مسنده (417/33 رقم 20300) من حديث معقل بن يسار ط، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (439/1 رقم 878)، وقال محققوا المسند: $إسناده ضعيف#، وانظر التخريج المتوسط لهذا الحديث في: أحاديث ومرويات في الميزان: حديث $قلب القرآن يس# وجملة مما روي في فضلها، لمحمد عمرو ابن عبد اللطيف (ص 50-54).

(3) رواه أبو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب القراءة عند الميت (320/3 رقم 3121) من حديث معقل بن يسار ط، وأعله ابن القطان في بيان الوهم والإيهام (49-50/5) بجهالة حال أبي عثمان وأبيه. ويقول الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير (1156/2 رقم 2352): $نقل أبو بكر بن العربي عن الدارقطني أنه قال: هذا حديث ضعيف الإسناد، مجعهول المتن، ولا يصح في الباب حديث#. والحديث ضعفه الشيخ الألباني في الإرواء (150/3 رقم 688). وانظر للاستفادة كتيباً بعنوان $القول المبين في ضعف حديث "اقرؤوا على ما تاكم يس#، لأبي أسماء المصري عطية بن صدقي.

(4) انظر: بدع القبور (ص 384) وأحكام إهداء القرب للأموات دراسة تأصيلية فقهية مقارنة، للدكتور أحمد ابن يوسف الدريويش (ص 164-169). إنما اكتفيت بما سبق؛ لأن الأدلة الأخرى كسابقتها في الضعف بل بعضها أشد ضعفاً.

(5) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (693/2)، وفتاوى قاضي خان - بهامش الفتاوى الهندية (162/1)، ومجمع الأنهر لشيخي زاده (552/2)، ومجموع فتاوى شيخ الإ سلام (317/24).

(6) انظر: حاشية الدسوقي (423/1)، واقتضاء الصراط المستقيم (264/2).

(7) انظر: مسائل الإمام أحمد لابنه عند الله (495/2)، ومسائل الإمام أحمد لأبي داود (ص 158)، والمغني (518/3)، والفروع (304/2)، والمبدع (281/2)، ومجموع الفتاوى (317/24)، والإنصاف (557/2-558).

(8) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (264/2)، والفروع (304/2)، والمبدع (281/2)، والإنصاف (558/2)، وتنبيه الغافلين (ص 481).

مما يقوي هذا القول:
أولاً: إن السنة لم ترد بذلك وكفى بها؛ فالرسول ح أعلم الخلق بالحلال والحرام ولم يفعل هذا الأمر، ولم يأمر به، وكذلك أصحابه، وهم أعلم الناس بهديه ح.
ثانياً: إن الرسول ح أرشد الصحابة إلى ما يقولون عند زيارة القبور، ولم يصح أنه ح قال لهم ولو مرة واحدة: اقرؤوا القرآن بها، أو أرشدهم إلى ذلك.

يقول ابن النحاس : -أثناء حديثه عن حكم قراءة المقرئين أمام الجنائز على ما يعهد من تمطيطهم وتلحينهم وزيادتهم في الحروف-: $فإن كانت القراءة على وجهها من غير تمطيط ولا ألحان كان ذلك بدعة مكروهة؛ لأن ذلك لم يرد فعله عن النبي ح، ولا عن أحد ممن يقتدى به من السلف#[1].

ثالثاً: إن الرسول ح ندب الصلاة النافلة في البيوت، ونهى أن تُجعل البيوت قبوراً[2]؛ فدل على أن المقابر ليست محلاً للعبادات، قال الحافظ ابن حجر : مستنبطاً من الهدي النبوي السابق: $إن القبور ليست بمحل للعبادة#[3].

فالمقابر لا تؤدى فيها العبادات إلا ما ثبت به الشرع؛ كالصلاة على الميت لمن فاتته الصلاة، والدعاء له بالتثبيت، والسلام عند دخول المقابر، وما عدا ذلك فليس بجائز.

رابعاً: شغل الزائر بالفكرة والاعتبار في حال الموت -وهو من الأهداف العظمى لزيارة القبور كما مر ذكر الأدلة على ذلك-، وقراءة القرآن يحتاج صاحبها إلى التدبر وإحضار الفكرة فيما يتلوه، وفكر ثان في قلب واحد وفي محل واحد لا يجتمعان[4].

خامساً: إن القول بجوازها يجر إلى مخالفات أخرى، منها:
أ. استئجار قوم يقرؤون القرآن ويهدون ثوابها للميت، ولا شك أن هذا العمل بدعي؛ حيث أن قارئ القرآن الذي تم استئجاره من أجل أن يقرأ القرآن، ثم يدفع له ثمن القراءة مقابل أن يثوب هذه القراءة للميت لا تصل قراءته. قال ابن أبي العز[5] :: $وأما استئجار قوم يقرءون القرآن ويـ هُ

(1) تنبيه الغافلين (ص 481).
(2) كما في حديث ابن عمر م، وقد مر تخريجه (ص 975).
(3) فتح الباري (528/1).
(4) انظر: المدخل لابن الحاج (192/1)، وفتاوى اللجنة الدائمة (39/9)، وبدع القبور (ص 385-387).
(5) هو: علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي الحنفي (731-792 هـ)، من أئمة أهل السنة في عصره، له كتب نفيسة منها: شرح العقيدة الطحاوية، وكتاب الا

د ُونه للميت؛ فهذا لم يفعله أحد من السلف، ولا أمر به أحد من أئمة الدين، ولا رخص فيه. والاستئجار على نفس التلاوة غير جائز بلا خلاف. وإنما اختلفوا في جواز الاستئجار على التعليم ونحوه، مما فيه منفعة تصل إلى الغير. والثواب لا يصل إلى الميت إلا إذا كان العمل لله، وهذا لم يقع عبادة خالصة، فلا يكون له من ثوابه ما يهدى إلى الموتى#[1].

وقد أفتى جمع من أهل العلم بحرمة الاستئجار[2].

اتباع. انظر: شذرات الذهب (326/6)، والأعلام (313/4).

(1) شرح العقيدة الطحاوية (672/2-673)، وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (300/24).

(2) انظر: المجموع (278/15)، وفتاوى اللجنة الدائمة (40/9)، وانظر: شرح الصدور ببيان بدع القبور، لأبي عمر عبد الله الحمادي (ص 66).

يقول شيخ الأزهر؛ الشيخ محمود شلتوت[1] :: $وأما ما جرت به العادات من قراءة الأجانب القرآن، وإهداء ثوابها للأموات، والاستئجار على القراءة والحج، وإسقاط الصلاة والصوم، فكل ذلك ليس له مستند شرعي سليم. وهو فوق ذلك يقوم على النيابة في العبادات التي لم تشرع إلا لتهذيب النفوس، وتبديل سيئاتها حسنات، وهذا لا يكون إلا عن طريق العمل الشخصي.

كيف وقد صرح الجميع أن ما اعتاده الناس من ذلك شيء حدث بعد عهد السلف، ولم يؤثر عن أحد منهم أنه عمل أو أهدى لغير الوالدين، مع ظهور رغبتهم في عمل الخير، ومحبته لإخوانهم الأحياء والأموات.

والجدير بالمسلم أن يقف في عبادته وفي شؤون الثواب ومحو السيئات عند الحد الذي ورد، فبحسنات الإنسان تذهب سيئاته، وبتقواه تغفر ذنوبه، ولا شأن للإنسان في الثواب يحوله، ولا في السيئات يمحمها#[2].

ب. وضع المصاحف في المقابر؛ حيث اعتيد في بعض البلدان -منها إندونيسيا- وضع المصاحف فيها من أجل أن يقرأها الناس، من أجل نفع الأ موات، إما بإهداء القراءة، أو بأجر الاستماع. قال شيخ الإسلام ابن تيمية :: $وأما جعل المصحف عند القبور، وإيقاد القناديل هناك، فهذا مكروه منهي عنه، ولو كان قد جعل للقراءة فيه هنالك، فكيف إذا لم يقرأ فيه#[3].

بل إن الإمام أحمد : بيّن بدعيةَ حمل المصحف إلى المقابر[4].

وقال محمد رشيد رضا :: $كل ما جرت به العادة: من قراءة القرآن، وا لأذكار، وإهداء ثوابها إلى الأموات، واستئجار القراء، وحبس الأوقاف على ذلك؛ بدع غير مشروعة، ومثلها ما يسمونه إسقاط الصلاة، ولو كان لها أصل في الدين ما جهلها السلف، ولو علموها لما أهملوا العمل بها#[5].

وهكذا تولد كل بدعة بدعة، فتحيا البدع وتموت السنن، والله المستعان...

سادساً: أما القول الأول والثاني فقد انطلق أصحابهما من خلال بعض الأحاديث التي ظهر ضعفها، وقد بينت ضعفها في الحواشي على تلك الأ

(1) هو: محمود شلتوت المصري (1310-1383 هـ)، فقيه مفسر، شيخ الأزهر سنة 1958 م إلى وفاته سنة 1963 م. انظر: الأعلام (173/7)، والمستدرك على معجم المؤلفين لكحالة (ص 774).

(2) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (300/24)، وانظر: الفروع (305/2).

(3) الفتاوى - دراسة لمشكلات المسلم المعاصر في حياته اليومية والعامة، للشيخ محمود شلتوت (ص 204)، وانظر بنحوه: الفتاوى المهمات للشيخ محمود شلتوت (ص 121-122) كما في شرح الصدور ببيان بدع القبور (ص 71).

(4) انظر: مسائل الإمام أحمد لابنه عبد الله (495/2).

(5) تفسير المنار (249/8).

أحاديث؛ فلا تقوم بها الحجة.
وما يخص حديث الأمر بقراءة سورة يس -على فرض التسليم بصحته - فإنه لا يحتج به في موضع الاستشهاد؛ لأنه يدل على قراءتها على المحتضر لا على القبور؛ لذلك بوّب الحافظ أبو داود : للحديث بقوله: $باب القراءة عند الميت#[1]، بل أصرح من ذلك تبويب الإمام ابن ماجه :: $باب فيما يقال عند المريض إذا حُضِر#[2]، فهما -رحمهما الله- في صنيعيهما قد أظهرا بأن قراءة سورة يس لو جازت، فإنها تكون عند المحتضر وليست عند القبر أو عند زيارة المقابر، ولذا قال في $عون المعبود# عند شرح جملة $على موتاكم#: $أي الذين حضرهم الموت. ولعل الحكمة في قرائتها أن يستأنس المحتضر بما فيها من ذكر الله وأحوال القيامة والبعث#[3].
ولو فهم الصحابة أن $اقْرَءُوا يس عَلَى مَوْتَاكُم# أن يقرؤوها على القبور؛ لكانوا أسبق الناس إلى تنفيذها، ولنُقِل لنا ذلك عنهم نقلا ً صحيحاً، كما نُقِلت عنهم سائر الأحكام، والله أعلم.

فائدة: حكم البناء على القبور:

آثرت ذكر هذه المسألة في مبحث زيارة القبور -وإن كانت ليست متعلقة بهذا المبحث بشكل مباشر-؛ لأنها مما يعين على الزيارة البدعية[4]، إن لم يكن هو أكبر الأسباب التي تدعو الناس لشد الرحال إلى الأضرحة، ومن ثم تعظيمها. فلو طبّق المسلون هدي الإسلام نحو القبور، من جانب عدم البناء عليها؛ لما اغتر الناس كثيراً بها، لكن لما رأى العامة أبنية منصوبة عليها؛ وقع في نفوسهم أن هذه القبور ليست لأناس عاديين، بل هي (لأولياء الله)، ثم بدؤوا يعظمونها، ويجر تارات إلى صرف العبادات لأصحابها، وإلى الله المشتكى...
وليس المراد بالبناء على القبور بناء المساجد عليها فحسب، بل يشمل ما هو أعم من ذلك مما يسمى بناءا؛ كبناء الحجر عليها، ونصب القباب، وتجصيصها، وتعليتها بالبناء عليها، وغير ذلك.
وتعتبر إندونيسيا من أكثر بلاد المسلمين تشييدا للقبور والبناء عليها، إن لم تكن أكثرها، فلا تكاد تذهب إلى مدينة فيها إلا وتجد مشهدا، وتتفاوت المدن في احتوائها للمشاهد كثرة وقلة؛ مثلا ً عاصمة إندونيسيا؛ مدينة Jakarta (جَاكَرْتَا) فهي من أكثر المدن بناءا للمساجد على القبور، أو بناء القبور في المساجد، ومدينة Banjarmasin (بَنْجَرْمَاسِيْنْ) بكالِيْمَنْتَانْ الجنوبية من أكثر المدن نصباً للقباب على الأضرحة، حتى إنك لا تكاد تجد

(1) سنن أبي داود (320/3).
(2) سنن ابن ماجه (ص 257).
(3) عون المعبود (270/8-271).
(4) انظر: البناء على القبور، للشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي (ص 74).

قرية إلا وفيها قبة منصوبة على ضريح، ومدينة Demak (دِ يْ مَ كْ) بجَاوَا الوسطى من أكثر المدن احتواءاً لأضرحة (الأولياء) المشيدة، حتى يسميها أهلها بـ$مدينة ولي#. وأما تعلية القبر ببناء على شكل مربع بحجم القبر لأجل كتابة اسم الميت وتاريخ وفاته عليه؛ فهذا لا تكاد تخلو قرية منها؛ لأن كثيراً من الناس لا يزالون يعتقدون أن من الإحسان بالميت: بناء ذلك المربع بعد مرور ألف يوم من وفاته.

فما موقف الإسلام من هذه الظاهرة؟ فأقول -وبالله التوفيق و التسديد-:

من المعلوم من دين الإسلام أن الشارع الحكيم إذا حرم شيئاً حرم أسبابه ووسائله، وإذا نهى عن شيء نهى عن كل ما يوصل إليه ويقرب منه.

ومن ذلك أن الإسلام لما جاء بالنهي عن الشرك؛ نهى عن أسبابه، وسد ذرائعه الموصلة إليه والمسببة له.

ولما كان الغلو في الصالحين من الأنبياء وغيرهم، ورفعهم فوق من-زلتهم، وتعظيم قبورهم، ووورفع الأبنية عليها واتخاذها مساجد -لما كان ذلك من أهم أسباب الوقوع في الشرك- نهى رسول الله ح عن ذلك خوفاً على أمته من الوقوع في الشرك.

وقد تكاثرت الأحاديث الدالة على تحريم ذلك كله، ولعلها يمكن تصنيفها إلى مجموعات:

المجموعة الأولى: الأحاديث الناهية عن مطلق البناء على القبر:

1. عن جابر ط قال: $نَهَى رَسُولُ اللهِ ح أَنْ يُجَصّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ#(1).

2. عن أبي سعيد الخدري ط $أَنّ النّبِيّ ح نَهَى أَنْ يُبْنَى عَلَى الْقَبْرِ#(2).

3. عن أم سلمة ك قالت: $نَهَى رَسُولُ اللهِ ح أَنْ يُبْنَى عَلَى الْقَبْرِ أَوْ يُجَصّصَ#(3).

المجموعة الثانية: الأحاديث الناهية عن بناء المسجد على القبر، وعن اتخاذ القبور مساجد:

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه (667/2 رقم 970).

(2) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب ما جاء في الجنائز، باب ما جاء في النهي عن البناء على القبور وتجصيصها والكتابة عليها (ص 274 رقم 1564)، وقال الشيخ المعلمي في البناء على القبور (ص 81): $رجاله رجال الصحيح#، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (34/2 رقم 1280).

(3) رواه أحمد في مسنده (179/44 رقم 26555)، وقال محققوا المسند: $صحيح لغيره#.

1. عن عائشة ك قالت: لما اشتكى النبي ح ذكرَتْ بعض نسائه كنيسة رأينها بأرض الحبشة، -يقال لها مارية- وكانت أم سلمة وأم حبيبة م أتتا أرض الحبشة فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها، فرفع ح رأسه فقال: $أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصورة، أولئك شرار الخلق عند الله#[1].

2. عن عائشة وابن عباس ن قالا: لما نزل برسول الله ح طَفِقَ يطرح خميصة على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: $لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد# يحذّر ما صنعوا[2].

3. عن جندب بن عبد الله ط قال: سمعت النبي ح قبل أن يموت بخمس وهو يقول: $إني أبرأ إلى الله من أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلا ً كما اتخذ إبراهيم خليلا ً، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا ً لاتخذت أبا بكر خليلا ً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك#[3].

4. عن عبد الله بن مسعود ط قال: سمعت رسول الله ح يقول: $إنّ مِنْ شِرَارِ النّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُ السّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمَنْ يَتّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ#[4].

5. عن أبي عبيدة ط قال: كان آخر ما تكلم به النبي ح: $أَخْرِجُوا يَهُودَ أَهْلِ الْحِجَازِ وَأَهْلِ نَجْرَانَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَاعْلَمُوا أَنّ شِرَارَ النّاسِ الّذِينَ اتّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ#[5].

والنهي عن اتخاذ القبور مساجد -كما ذكره العلماء- يتناول النهي عن:

أولا ً: الصلاة على القبور والسجود عليها.

ثانياً: الصلاة إلى القبور واستقبالها.

ثالثاً: بناء المساجد على القبور وقصد الصلاة فيها[6].

المجموعة الثالثة: الأحاديث الآمرة بتسوية القبور المشرفة، والدالة

---

(1) سبق تخريجه (ص 50).
(2) سبق تخريجه (ص 51).
(3) سبق تخريجه (ص 51).
(4) رواه أحمد في مسنده (394/6 رقم 3844)، وصححه ابن خزيمة (6/2 رقم 789)، وقال شيخ الإسلام في الاقتضاء (186/2): $إسناده جيد#، وصحح إسناده الشيخ الألباني في تحذير الساجد (ص 26).
(5) رواه أحمد في مسنده (221/3 رقم 1691)، وقال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (124/3 رقم 1132): $إسناده حسن أو صحيح#.
(6) انظر: الأم (632/2)، والزواجر (148/1)، ومرقاة المفاتيح (389/2)، وتحذير الساجد (ص 29).

على صفة القبر المشروع، والناهية عن الزيادة على ترابه:

1. عن ثمامة بن شُفي[1] :: $كُنَّا مَعَ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ[2] بِأَرْضِ الرُّومِ بِرُودِسَ[3] فَتُوُفِّيَ صَاحِبٌ لَنَا، فَأَمَرَ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ بِقَبْرِهِ فَسُوِّيَ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ح يَأْمُرُ بِتَسْوِيَتِهَا#[4].

2. عن أبي الهياج الأسدي[5] : قال: $قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ح؛ أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ#[6].

3. عن جابر بن عبد الله م: $أن النبي ح ألحد ونصب عليه اللبن نصبا ً، ورفع قبره من الأرض نحوا ً من شبر#[7].

4. عن جابر بن عبد الله م قال: $نَهَى رَسُولُ اللهِ ح أَنْ يُبْنَى عَلَى الْقَبْرِ ، أَوْ يُزَادَ عَلَيْهِ، أَوْ يُجَصَّصَ#[8].

موقف العلماء من البناء على القبور:

اشتد نكير السلف الصالح والعلماء على من بنى على القبور أي بناء، وكان نكيرهم على من بنى مسجداً أشد، وهم في ذلك متبعون لهدي الرسول الكريم ح، وفيما يلي نبذة من أقوالهم:

أولا ً: من التابعين:

عن إبراهيم النخعي :: $كانوا يكرهون الآجر[9] في قبورهم#[10].

---

(1) هو: ثمامة بن شُفَي الهمْداني أبو علي الأصبحي، تابعي ثقة. انظر: التقريب (رقم 860).

(2) هو: فضالة بن عبيد بن نافذ الأنصاري الأوسي (ت 58 هـ)، صحابي شهد أحداً، وولي قضاء دمشق. انظر: التقريب (رقم 5430).

(3) هي: جزيرة من جزر البحر الأبيض المتوسط، افتتحها معاوية ط ودانت بالإسلام زمناً ثم طرد منها المسلمون وعادت إلى النصرانية. انظر: معجم البلدان (78/3).

(4) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر (666/2 رقم 968).

(5) هو: حيان بن حصين أبو الهياج الأسدي الكوفي، تابعي ثقة. انظر: التقريب (رقم 1605).

(6) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر (666/2 رقم 969).

(7) رواه ابن حبان في صحيحه (602/14 رقم 6635 -الإحسان)، وحسن إسناده الشيخ الألباني في أحكام الجنائز (ص 153)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: $إسناده صحيح على شرط مسلم#.

(8) رواه النسائي في سننه، كتاب الجنائز، باب الزيادة على القبر (391/4-392 رقم 2026)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن النسائي (65/2 رقم 2026).

(9) الآجر: طبيخ الطين، وهو الذي يبنى به، فارسي معرب. انظر: لسان العرب (78/1).

(10) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (351/7 رقم 11891 –تحقيق محمد عوامة).

وعن أبي مِجْلز[1] : قال: $تسوية القبور من السنة#[2].

وعن محمد بن كعب : قال: $هذه الفساطيط[3] التي على القبور محدثة#[4].

ثانياً: من علماء الحنفية:

قال الكاساني :: $وكره أبو حنيفة البناء على القبر ... لما روي عن جابر بن عبد اللّٰه م عن النبي ح ... ولأن ذلك من باب الزينة، ولا حاجة بالميت إليها، ولأنه تضييع المال بلا فائدة، فكان مكروهاً#[5].

وقال ابن عابدين :: $وظاهره أن الكراهة [أي المذكورة آنفاً] تحريمية، وهو مقتضى النهي المذكور[6]#[7].

ثالثاً: من علماء المالكية:

قال القاضي عياض :: $وتغليظ النبي ح في النهي عن اتخاذ قبره مسجداً؛ لما خشي من تفاقم الأمر، وخروجه عن حد المبرة إلى المنكر، وقطعاً للذريعة ... ولأن هذا كان أصل عبادة الأصنام#[8].

قال أبو عبد اللّٰه القرطبي : عند تفسيره لقوله تعالى: ﭼ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭽ الكهف: ٢١: $وتنشأ هنا مسائل ممنوعة وجائزة؛ فاتخاذ المساجد على القبور والصلاة فيها والبناء عليها، إلى غير ذلك مما تضمنته السنة من النهي عنه ممنوع لا يجوز# ثم أورد : الأحاديث الواردة في ذلك، ثم قال: فإن ذلك $يؤدي إلى عبادة من فيها كما كان السبب في عبادة الأ صنام، فحذر النبي ح عن مثل ذلك، وسد الذرائع المؤدية إلى ذلك#[9].

رابعاً: من علماء الشافعية:

قال الإمام الشافعي :: $أحب أن يشخص [أي القبر] على وجه الأرض شبراً أو نحوه، وأحب أن لا يبنى ولا يجصص؛ فإن ذلك يشبه الزينة والخيلا

---

(1) هو: لاحق بن حُميد بن سعيد السدوسي البصري أبو مِجْلز (ت 109 أو 106 هـ)، تابعي ثقة. انظر: التقريب (رقم 7540).
(2) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (361/7 رقم 11920 تحقيق محمد عوامة).
(3) الفساطيط جمع الفسطاط: وهو بيت من شعر، وقال الزمخشري: الفسطاط: ضرب من الأبنية في السفر دون السرادق، وبه سميت المدينة. انظر: لسان العرب (262/10)، والفائق في غريب الحديث للزمخشري (116/3).
(4) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (346/7 رقم 11874 تحقيق محمد عوامة)، وقال الشيخ الألباني في تحذير الساجد (ص 131): $رجاله ثقات، غير ثعلبة وهو ابن الفرات قال عنه أبو حاتم: لا أعرفه، وقال أبو زرعة: هو دني لا أعرفه#.
(5) بدائع الصنائع (797/2).
(6) أي في حديث جابر ط وهو قوله: $نهى عن البناء على القبور#.
(7) حاشية ابن عابدين (236/2).
(8) إكمال المعلم (450/2).
(9) تفسير القرطبي (242/13-243).

اء، وليس الموت موضع واحد منهما، ولم أر قبور المهاجرين والأنصار مجصصة، وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبنى فيها، فلم أر الفقهاء يعيبون ذلك#[1].

قال النووي :: $قال العلماء: إنما نهى النبي ح عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً؛ خوفاً من المبالغة في تعظيمه والافتتان به، فربما أدى ذلك إلى الكفر، كما جرى لكثير من الأمم الخالية#[2].

وقال أيضاً: $واتفقت نصوص الشافعي والأصحاب على كراهة بناء مسجد على القبر سواء كان الميت مشهوراً بالصلاح أم غيره#[3].

وقال الحافظ العراقي :: $والظاهر أنه لا فرق[4]: فلو بنى مسجداً يقصد أن يدفن في بعضه؛ دخل في اللعنة، بل يحرم الدفن في المسجد. وإن شرط أن يُدفن فيه؛ لم يصح الشرط؛ لمخالفته وقفَه مسجداً#[5].

خامساً: من علماء الحنابلة:

وقال ابن قدامة :: $ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور ... لأن النبي ح قال: $لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد# يحذر مثل ما صنعوا[6] ... ولأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأ صنام بالسجود لها والتقرب إليها، وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام: تعظيم الأموات باتخاذ صورهم، والتمسح بها، والصلاة عندها#[7].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية :: $فإن بناء المساجد على القبور ليس من دين المسلمين، بل هو منهي عنه بالنصوص الثابتة عن النبي ح واتفاق أئمة الدين، بل لا يجوز اتخاذ القبور مساجد، سواء كان ذلك ببناء المساجد عليها أو بقصد الصلاة عندها، بل أئمة الدين متفقون على النهي عن ذلك#[8].

وقد نقل ابن القيم : عن شيخ الإسلام قوله: $فقد صرح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد عليها متابعة منهم للسنة الصحيحة الصريحة#[9].

---

(1) الأم (463/1 -ط. دار الكتب العلمية).
(2) شرح النووي على صحيح مسلم (17/5).
(3) المجموع (289/5).
(4) أي لا فرق بين اتخاذ المسجد على القبر بعد الدفن، وبين بناء مسجد ثم إدخال قبر فيه. انظر: مجانبة أهل الثبور (ص 83 -الحاشية).
(5) نقله عنه المناوي في فيض القدير (274/5).
(6) سبق تخريجه (ص 49).
(7) المغني (441/3).
(8) مجموع الفتاوى (488/27).
(9) إغاثة اللهفان (350/1).

سادساً: من العلماء الآخرين:

يقول الأمير الصنعاني :: $وهذه الأخبار المعبّر عنها باللعن والتشبيه بقوله: $لا تجعلوا قبري وثناً يعبد#؛ تفيد التحريم للعمارة، والتزيين، و التجصيص، ووضع الصندوق المزخرف، ووضع الستائر على القبر وعلى سمائه، والمسح بجدار القبر، وأن ذلك قد يفضي -مع بعد العهد وفشو الجهل - إلى ما كان عليه الأمم السابقة من عبادة الأوثان؛ فكان في المنع عن ذلك بِالكلية قطع لهذه الذريعة المفضية إلى الفساد، وهو المناسب للحكمة المعتبرة في شرع الأحكام من جلب المصالح ودفع المفاسد، سواء كانت بأنفسها أم باعتبار ما تفضي إليه#[1].

يقول العلامة الشوكاني : في كتابه الذي أفرده لخصوص هذه المسألة $شرح الصدور بتحريم رفع القبور#[2]: $اعلم أنه قد اتفق الناس، سابقهم ولاحقهم، وأولهم وآخرهم من لدن الصحابة ن إلى هذا الوقت: أن رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها، واشتد وعيد رسول الله لفاعلها ... ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين أجمعين#.

ويقول : أيضاً في كتاب آخر، في كلام طويل نفيس: $السنة أن القبر لا يرفع رفعاً كثيراً من غير فرق بين من كان فاضلا ً ومن كان غير فاضل، والظاهر أن رفع القبور زيادة عن القدر المأذون فيه محرم، وقد صرح بذلك أصحاب أحمد وجماعة من أصحاب الشافعي ومالك ... ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولا ً أولياً: القبب، والمشاهد المعمورة على القبور، وأيضاً هو من اتخاذ القبور مساجد، وقد لعن النبي ح فاعل ذلك ... وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام، منها: اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضر، فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحاجات وملجأً لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم، وشدوا إليها الرحال، وتمسحوا بها واستغاثوا، وبالجملة إنهم لم يدَعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومع هذا المنكر الشنيع، والكفر الفظيع، لا تجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف، لا عالماً ولا متعلماً، ولا أميراً ولا وزيراً ولا ملكاً.

وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معه؛ أن كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم، إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً، فإن قيل له بعد ذلك: احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالحق، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه تعالى ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة.

---

(1) سبل السلام، كتاب الجنائز (321/2 رقم 544).
(2) (ص 102).

فيا علماء الدين! ويا ملوك المسلمين! أي رزء للإسلام أشد من الكفر؟ وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله؟ وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة؟ وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجباً؟!

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حياً   ولكن لا حياة لمن تنادِي

ولو ناراً نفختَ بها أضاءت   ولكن أنت تنفخُ في رمادِ#[1].

وكل المفاسد التي ذكرها الشوكاني : قد وقع فيها بعض القبوريين في إندونيسيا، وإلى الله المشتكى...

وهكذا نجد آراء العلماء المعتبرين -من أصحاب المذاهب الأربعة وغيرهم- الذين لهم قدم صدق ورسوخ في العلم، قد اتفقت كلمتهم، واتحد رأيهم على تحريم البناء على القبور، موافقة ومتابعة للرسول ح في أحاديث صحيحة صريحة تحرّم هذا الفعل وتلعن فاعليه من الأمم السالفة، لتحذر الأ مة أن تحذو حذوها وأن تسير في ركبها.

فالواجب على أهل العلم: الاقتداء بمصابيح الدجى في بيان هذا المنكر الشنيع للناس، وعدم الخوف من لومة لائم؛ عملا ً بالوصية النبوية: $يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله؛ ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين#[2].

وعلى حكام المسلمين هدم مثل تلك الأبنية؛ اقتداءاً بالرسول ح و السلف الصالح.

عن أبي الهياج الأسدي : قال: $قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: **أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ح؛ أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ**#[3].

وكذلك الولاة من بعدهم قد طبقوا ما سنّه رسول الله ح تجاه تلك الأ بنية، كما حكى ذلك الإمام الشافعي :: $**وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبنى فيها فلم ار الفقهاء يعيبون ذلك**#[4].

ويقول أبو عبد الله القرطبي :: $وأما تعلية البناء الكثير على نحو ما

---

(1) نيل الأوطار (2/771-772).

(2) رواه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (ص 65 رقم 51) من حديث معاذ ط. وصححه الإمام أحمد كما في شرف أصحاب الحديث (ص 65). وقال العلائي في بغية الملتمس (ص 34): $حسن صحيح غريب#، وقال ابن القيم في طريق الهجرتين (2/771): $روي عنه ح من وجوه يسند بعضها بعضاً#، وبنحوه يقول القسطلاني في إرشاد الساري (1/4). وقد أفرد الشيخ سليم الهلالي مؤلفاً تعرض فيه إلى دراسة هذا الحديث رواية ودراية فسماه $إرشاد الفحول إلى تحرير النقول في تصحيح حديث العدول# وخلص إلى أن الحديث حسن.

(3) سبق تخريجه (ص 998).

(4) الأم (1/463 -ط. دار الكتب العلمية).

كانت الجاهلية تفعله، تفخيماً وتعظيماً، فذلك **يهدم ويزال**؛ فإن فيه استعمال زينة الدنيا في أول منازل الآخرة، وتشبه بمن كان يعظم القبور ويعبدها#[1].

ويقول ابن القيم :: $وكذلك القباب التي على القبور: **يجب هدمها كلها ؛ لأنها أُسِّست على معصية الرسول** ح؛ لأنه نهى عن البناء على القبور ... فبناء أسس على معصيته ومخالفته بناء محرم، وهو أولى بالهدم من بناء الغصب قطعاً ... ولأنه لعن متخذي المساجد عليها فيجب المبادرة و المسارعة إلى هدم ما لعن رسول الله ح فاعلَه، ونهى عنه. والله عز وجل يقيم لدينه وسنة رسوله من ينصرهما، ويذب عنهما، فهو أشد غيرة وأسرع تغييراً#[2].

ويقول : أيضاً: $**يهدم المسجد إذا بني على قبر، كما يُنبش الميت إذا دفن في المسجد**، نص على ذلك الإمام أحمد وغيره. فلا يجتمع في دين الإ سلام مسجد وقبر، بل أيهما طرأ على الآخر؛ منع منه، وكان الحكم للسابق، ولو وضعا معاً لم يجز#[3].

وإذا قام ولاة أمر المسلمين بهذا الواجب -فلهم بإذن الله تعالى- الوعد الإلهي: ﭼ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗﭼ النور: ٥٥.

تتمة مهمة: في بيان فساد ظن من زعم أن الفتنة قد أمنت من تعظيم أصحاب القبور[4]:

قد ظن بعض من لم يعرف ملة إبراهيم الحنيفية حقّ المعرفة -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم-: أن ما خشيه النبي ح على أمته من تعظيم القبور وآثار الصالحين المفضي إلى عبادتها وعبادتهم إنما كان ذلك في أول الأمر؛ لقرب العهد بعبادة الأوثان، أما اليوم: فلا، فقد أُمِنت هذه الفتنة!

وهذا باطل، بل إن كان النبي ح قد خشي تلك الفتنة على أمته وصحابته -وهو ح فيهم بين أظهرهم، وفيهم أصحابه، وهم حديثو عهد بـ الوحي، وقد ظهر التوحيد واستقر، وزهق الباطل والشرك واندحر-؛ فما يخشى على من بعدهم -بعد وفاته ح، وذهاب أصحابه، وتصرُّم القرون المفضّلة، وتخرُّم أئمة الإسلام فيها- لهو أكثر وأكبر.

ولهذا لما حذر النبي ح أمته من فتنة المسيح الدجال، وبالغ في التحذير حتى قال ح: $مَا بَعَثَ اللَّه ُمِنْ نبيٍّ إلا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ، أَنْذَرَهُ

---

(1) تفسير القرطبي (244/13)، وانظر: المفهم (626/2-627).
(2) إغاثة اللهفان (386/1).
(3) زاد المعاد (572/3).
(4) هذه التتمة منقولة من مجانبة أهل الثبور (ص 67-73) بتصرف يسير.

نوحٌ وَالنّبيُّوْنَ مِنْ بَعْدِهِ، وَإِنهُ يَخْرُجُ فِيْكمْ فمَا خَفِيَ عَليْكمْ مِنْ شَأْنِهِ، فليْسَ يَخْفى عَليْكمْ أنّ رَبّكمْ ليسَ عَلى مَا يَخْفى عَليْكمْ (ثلاثا ً). إنّ رَبّكمْ ليْسَ بِأعْوَرَ، وَإِنهُ أعْوَرُ عَيْن ِ اليمْنَى، كأنّ عَيْنَهُ عِنَبَة طافِيَة#[1].

فلما حذرهم ح منه، وخشي أصحابه على أنفسهم فتنته وشره، قال لهم ح مُطَمْئِناً: $غيْرُ الدّجّال ِ أخْوَفنِي عَليْكمْ، فإنْ يخرُجْ وَأنا فِيْكمْ فأنا حَجِيْجُهُ دُوْنكمْ. وَإِنْ يَخْرُجْ وَلسْتُ فِيْكمْ، فامْرُؤٌ حَجِيْجُ نفسِهِ، وَاللّه ُ خَلِيْفتِي عَلى كلّ مُسْلم. إنهُ شَابٌ جَعْدٌ قطط، عَيْنُهُ طافِيَة، وَإِنهُ يَخْرُجُ مِنْ خلةٍ بينَ الشّامِ وَالعِرَاق، فعاثٍ يَمِيْنًا وَشِمَالا، يَا عِبَادَ اللّه ِ اثبتوْا#[2].

فخشية النبي ح العظمى كانت على أمته بعد وفاته ح، لا في حياته. مع أن الدجال يدعي الإلهية! ودعواه ظاهرة البطلان عند المؤمنين، ولا ريب في فسادها عندهم ولا شك.

فإذا كانت فتنته عظيمة مع ظهور فسادها، فكيف بمثيلتها شراً وخبثاً، مع خفائها على كثير من المسلمين، ورواجها عند طوائف منهم؟!

وقد خشي فتنة الشرك أنبياء اللّه ورسله -صلوات اللّه وسلامه عليهم- على أنفسهم، فكيف بمن دونهم؟! قال خليل الرحمن إبراهيم ؛: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼإبراهيم: ٣٥.

ولهذا يقول إبراهيم التيمي :: $مَنْ يَأمَنُ مِنَ البَلاءِ بَعْدَ خَلِيْل ِاللّه ِ إِبْرَاهِيْمَ حِيْنَ يَقوْلُ: رَبِّ ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ#[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :: $ولعل بعض الناس يخيـ ّل إليه أن ذلك كان في أول الأمر لقرب العهد بعبادة الأوثان، وأن هذه المفسدة قد أ منت اليوم، وليس الأمر كما تخيله؛ فإن الشرك وتعلق القلوب بغير اللّه عبادة واستعانة غال ِب ٌ على قلوب الناس في كل وقت إلا من عصم اللّه، و الشيطان سريع إلى دعاء الناس إلى ذلك، وقد قال الحكيم الخبير: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ [يوسف: ١٠٦]، وَقالَ إمَامُ الحنفاءِ ؛: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [إبراهيم: 35-٣٦]، وقد قال الناس لرسول اللّه ح في غزوة حنين عقيب فتح مكة: اجعل لنا لنا ذات انواط فقال: "اللّه أكبر قلتم كما قال قوم موسى لموسى: اجعل لنا إلها ً كما لهم آلهة، إنها

---

(1) رواه البخاري في مواضع من صحيحه منها: كتاب المغازي، باب حجة الوداع (106/8 رقم 4402 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (2248/4 رقم 2933) من حديث ابن عمر م، و اللفظ للبخاري.

(2) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (2251/4 رقم 2937)، وأحمد في مسنده (172/29 رقم 17629) من حديث النواس بن سمعان ط، واللفظ لأحمد.

(3) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (687/13-688).

السنن، لتتبعن سنن من قبلكم"، وسيعود الدين غريبا ً كما بدأ، ويصير الصغير كبيرا ً، فكيف تؤمن المفسدة، بل هي واقعة كثيرة.

فهذه هي العلة المقصودة لصاحب الشرع في النهي عن الصلاة في المقبرة واتخاذ القبور مساجد، لمن تأمل الأحاديث، ونظر فيها، وقد نص الشارع على هذه العلة كما تقدم#[1].

وقال الحافظ ابن كثير :: $وأصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها، وقد أمر النبي ح بتسوية القبور وطمسها، والمغالاة في البشر حرام#[2].

وكما أبطلت الأدلة ظن أولئك الظانين -لجهلهم- أمن الفتنة: فقد أبطل ظنهم أيضاً حالُ المسلمين بعد وفاة نبيهم ح، وتأخر سنيهم.

فوقع كثير منهم فيما حذر منه النبي ح وخشيه، حتى عمّ ذلك كثيراً من بلاد المسلمين، فبُنيت المشاهد على القبور، وعُظِّم من فيها من مقبور، وصُرِفت له أنواع من العبادات؛ فهم يدعونه! ويستغيثون، ويستشفعون، ويتوسلون إلى الله به! ويطوفون حوله! ويذبحون وينذرون له! ويحلفون به! ويرجون رحمته ويخافون عقابه! حتى أصبح الرجل لا يكاد يجد في بلا د كثيرة من بلاد المسلمين، مسجداً خالياً من قبر.

بل بلغ الحال بكثير من أصحابها: أن حجوا إليها، وعظّموا تربتها، وتبركوا بجنباتها، وفضلوا الصلاة فيها على كثير من بيوت الله الخالية من ذلك.

بل إن حال جماعات منهم، يقتضي تفضيلها على المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها، فمنهم من يحج إليها كل عام، ولم يحج حجة الإسلا م! أو حج مرة وكفته، أما مشاهد المشركين ومعابدعهم حول القبور وفيها؛ ف لا تكفيه فيها مرة، عياذاً بالله من الخذلان.

ومما زاد من ضلال هؤلاء وإغوائهم، وتحكّم أدوائهم بأبدانهم: علماء السوء، الذين زينوا لهم سوء أعمالهم، وقبيح أفعالهم، إما تعبداً منهم لله تعالى بهذه الأعمال الشركية، من جنس تعبد مشركي الجاهلية، وإما تكسباً، وأكلا ً لأموال الناس بالباطل، حين يبذلونها لتلك الأجداث، فإذا انصرفوا -مفلسين من دينهم ومن كرائم أموالهم- خلص أولئك اللصوص المبطلون إليها، فأخذوها واستأثروا بها، والله المستعان...

وأختم هذه التتمة **بكلام جميل ملفت للانتباه وداع للتفكر**، للمؤرخ الشهير رفيق بك العظم[3] في خاتمة ترجمة أبي عبيدة رضي الله عنه تحت

(1) شرح العمدة (452/2).
(2) البداية والنهاية (172/14).
(3) هو: رفيق بن محمود بن خليل العظم (1284-1343 هـ)، عالم بحاث من رجال النهضة الفكرية في سورية، وصنف أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة، و

عنوان "كلمة في القبور": $لا نريد بهذا العنوان البحث عن تاريخ القبور ك النواويس والأهرام وما شاكلها من معالم الوثنية الأولى، وإنما نريد الوقوف بفكرة القارئ عند اختلاف المؤرخين في مكان قبر أبي عبيدة كاختلافهم في تعيين كثير من قبور جلة الصحابة الكرام الذين دوخوا هذا الملك العظيم وتحلوا بتلك الشيم الشماء وبلغوا من الفضل والتفضل والتقوى و الصلاح غاية لم يبلغها أحد من الأولين والآخرين.

وقد بسط المؤرخون أخبار أولئك الرجال العظام وعنوا بتدوين آثارهم العظيمة في فتوح الممالك والبلدان حتى لم يتركوا في النفوس حاجة للا ستزادة، ونعم ما خدموا به الأمة والدين.

إن القارئ إذا وقف بفكره عند هذا الأمر وفقة المتأمل لا يلبث أن يأخذه العجب لأول وهلة من ضياع قبور أولئك الرجال العظام واختفاء أمكنتها عن نظر نقلة الأخبار ومدوني الآثار، على جلالة قدر أصحابها وشهرتهم التي طبقت الآفاق وملأت النفوس إعظاماً لقدرهم، وإكباراً لجلائل أعمالهم، وثناء عليهم، وتكريماً لذكر أسمائهم، وشكراً لآلائهم، واعترافاً بجميلهم، وإقراراً بفضيلة سبقهم بالإيمان، ونشرهم دعوة القرآن.

ولا جرم أن القارئ أقل ما تحدثه به النفس عند التأمل في هذا الأمر أن أولئك الرجال ينبغي أن تعلم قبورهم بالتعيين، وتشاد عليها القباب القباب العاليات ذات الأساطين، إذا لم يكن لشهرتهم بالصلاح والتقوى وصدق الإيمان وصحبتهم للنبي عليه الصلاة والسلام لما أتوه من كبار الأ عمال التي تعجز عنها أعاظم الرجال، فكيف غابت قبورهم عن نظر المؤرخين ودرست أجداثهم التي تضم أكابر الصحابة والتابعين، حتى اختلف في تعيين أمكنتها أرباب السير، وعفا من أكثرها الأثر، إلا ما علموه بعد بالحدس والتخمين، وأظهروا أثره بالبناء عليه بعد ذلك الحين، مع أن المشاهد عند المسلمين صرف العناية إلى قبور الأموات بما بلغ الغاية بالتأنق في رفعها، وتشييدها ورفع القباب عليها واتخاذ المساجد عندها لا سيما قبور الأمراء الظالمين الذين لم يظهر لهم أثر يشكر في الإسلام، والمتمشيخة و الدجالين الذين كان أكثرهم يجهل أحكام الإيمان. ولا نسبة بينهم وبين أولئك الرجال العظام كأبي عبيدة ابن الجراح وإخوانه من كبار الصحابة الكرام الذين تلقوا الدين غضاً طرياً، وبلغوا بالقوى والفضيلة مكاناً قصياً.

والجواب عن هذا أن الصحابة والتابعين لم يكونوا في عصرهم بأقل تقديراً لقدر الرجال، وتعظيماً لشأن من نبغ فيهم من مشاهير الأبطال وأخيار

البيان في كيفية انتشار الإسلام، وغيرهما. انظر: الأعلام (30/3).

الأمة، إلا أنهم كانوا يأنفون من تشييد قبور الأموات، وتعظيم الرفات لتحققهم النهي الصريح عن ذلك من صاحب الشريعة الغراء الحنيفية السمحة التي جاءت لاستئصال شأفة الوثنية، وهو آثار تعظيم للرفات، أو العكوف على قبور الأموات، ويرون أن خير القبور الدوارس، وأن أشرف الذكر في أشرف الأعمال، لهذا اختفت عمن أتى بعد جيلهم ذلك قبور كبار الصحابة وجلة المجاهدين إلا ما ندر، ثم اختلفت نقلة الأخبار في تعيين أمكنتها باختلاف الرواة وتضارب ظنون الناقلين.

ولو كان في صدر الإسلام أثر لتعظيم القبور والاحتفاظ على أماكن الأ موات بتشييد القباب والمساجد عليها؛ لما كان شئ من هذا الاختلاف، ولما غابت عنها إلى الآن قبور أولئك الصحابة الكرام كما لم تغب قبور الدجاجلة والمتمشيخين التي ابتدعها بعد العصور الأولى مبتدعة المسلمين وخالفوا فعل الصحابة والتابعين، حتى باتت أكثر هذه القباب تمثل هياكل الأقدمين وتعيد سيرة الوثنية بأقبح أنواعها وأبعد منازعها عن الحق وأقربها إلى الشرك.

ولو اعتبر المسلمون بعد باختفاء قبور الصحابة الذين عنهم أخذوا هذا الدين وبهم نصر الله الإسلام؛ لما اجترأوا على إقامة القباب على القبور وتعظيم الأموات يأباه العقل والشرع وخالفوا في هذا كله الصحابة و التابعين الذين أدوا إلينا أمانة نبيهم فأضعناها، وأسرار الشريعة فعبثنا بها.

وإليك ما رواه في شأن القبور مسلم ؒ في "صحيحه" عن أبي الهياج الأسدي قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته"[1]. وفي "صحيحه" أيضا عن ثمامة بن شفي قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودوس فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوي، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسويتها.

هكذا بلغونا الدين، وأدوا إلينا أمانة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم تأكيدا ً لعهد الأمانة بدؤوا بكل ما أمرهم به الرسول صلى الله عليه وسلم بأنفسهم؛ لنستن بسنتهم ونهتدي بهدي نبيهم. ولكن قصرت عقولنا عن إدراك معنى تلك الجزئيات، وانحطت مداركنا عن مقام العلم بحكمة التشريع الإ لهي والأمر النبوي القاضي بعدم تشييد القبور، اتقاء التدرج في مدارج الوثنية، فلم نحفل بتلك الحكمة، وتحكمنا بعقولنا القاصرة بالشرع، فحكمنا

(1) سبق تخريجه (ص 998).

بجواز تشييد القبور استحبابا ً لمثل هذه الجزئيات، حتى أصبحت كليات وخرقا ً في الدين وإفسادا ً لعقيدة التوحيد، إذ ما زلنا نتدرج حتى جعلنا عليها المساجد وقصدنا رفاتها بالنذور والقربات ووقعنا من ثم فيما لأجله أمرنا الشارع بطمس القبور، كل هذا ونحن لا نزال في غفلة عن حكمة التشريع نصادم الحق ويصادمنا حتى نهلك مع الهالكين#[1].

(1) أشهر مشاهير الإسلام (ص 504-507).

• الفرع الثاني: الكلام عن زيارة الأماكن المزعوم أنها مقدسة:

تمهيد[1]:

إن الله لأ بعث في كل أمة رسولا ً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ؛ فاتفقت دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجميعن على دعوة الناس إلى توحيد الله بالعبادة، وعلى اجتناب الشرك.

هذا، وإن الشرك غالباً لا ينتشر دفعة واحدة، بل على مراحر وفترات، وأن غالب بدايته تكون بتعظيم شيء وتقديسه على غير هدى من الله تعالى ، ولا من رسله لإ، سواء في ابتداء التعظيم أو في كيفيته، ثم يزداد ذلك حتى يبلغ دركات الوثنية.

والنبي ح لرؤوف رحيم بأمته، ومن مظاهر رأفته بهم أن حجز أمته عن كل طريق أو درب يوصل إلى الشرك، وجعل كثيراً من تلك الحماية للتوحيد إنما هي في طلب الترك، فهو أقوى في الأثر والنتيجة، وأمته ح أقدر وأيسر على تنفيذه من طلب الفعل.

إذ إن الناس إذا طُلب منهم أن يعملوا عملا ً ما، فإنهم متفاوتون في الاستطاعة والقدرة على التنفيذ، أما إذا طُلب منهم ترك شيء؛ فإن تنفيذ هذا الطلب لا يكلفهم شيئاً إلا التوقف عن العمل.

وقد كان عامة ما ورد في الكتاب والسنة بخصوص حماية التوحيد إنما هو النهي عن أسباب الشرك[2]؛ مثل النهي عن اتخاذ قبره ح عيداً، و النهي عن البناء على القبور، والنهي عن التبرك الممنوع، والنهي عن تعظيم وتقديس ما لا يستحق التعظيم والتقديس، إلى غير ذلك مما قد يصعب حصره.

موقف الإسلام من مظاهر الانحراف بزيارة الأماكن المزعوم أنها مقدسة:

إن الإسلام قد أرشد أمته إلى أماكن ليعظمونها؛ وهي معروفة معلومة؛ كالمسجد الحرام وما يحويه -من الكعبة، ومقام إبراهيم والصفا والمروة-، ومشاعر الحج -كعرفات، والمزدلفة، ومنى-، والمسجد النبوي، والمسجد الأ قصى. وقد جعل الله تعالى تعظيم بعضها من تقوى القلوب؛ كما قال سبحانه: ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ الحج: ٣٢.

جاء في $تفسير السعدي#[3]: $المراد بالشعائر: أعلام الدين الظاهرة، ومنها المناسك كلها، كما قال تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ [البقرة: ١٥٨]، ومنها الهدايا والقربان للبيت#.

---

(1) هذا التمهيد منقول عن الآثار والمشاهد وأثر تعظيمهما على الأمة الإسلامية، للدكتور عبد العزيز الجفير (ص 5-6).

(2) راجع مبحث "حماية المصطفى ح جناب التوحيد" (ص 46 وما بعدها).

(3) تفسير السعدي (ص 487).

ولم يقتصر الشارع على إرشاد الناس لتعظيم تلك الأماكن، بل دلهم كذلك إلى كيفية تعظيمها؛ فالكعبة تعظيمها: الطواف حولها، والصفا والمروة تعظيمها: السعي بينهما، وعرفات تعظيمهها: الوقوف فيها يوم التاسع من ذي الحجة، وهكذا، فكل مكان له تعظيمه بالطريقة التي أرشد إليها الشرع.

وبهذا يظهر جلياً دقة الإسلام في التعامل مع الأماكن المقدسة، وهو من مظاهر كمال هذه الملة الحنيفية التي وصفها ربنا جل وعلا: ﭽﭼ ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄﮅ ﭼالمائدة: ٣.

ومع ذلك، فقد ضلت في هذا الباب طائفتان:

طائفة لم تقتصر على الأماكن التي حددها الشرع، حتى أحدث أماكن أخرى يزعمون أنها مقدسة ومعظمة.

وطائفة لم تقتصر على الكيفية المشروعة للتعامل مع الأماكن المقدسة التي حددها الشرع، حتى أحدثوا كيفيات مبتدعة لتقديسها وتبجيلها واحترامها بزعمهم.

وكلا الطائفتين لها وجودها ونشاطها في إندونيسيا، إلا أنني سأركز الحديث عن الطائفة الأولى؛ إذ هي صلب هذا المبحث.

لقد تنوعت الأماكن المزعوم أنها مقدسة التي أحدثها القوم -عدا الأ ضرحة- ما بين غار، أو غابة، أو عين، أو موضع جلس فيه ولي من الأولياء.

وأكثر هذه الأماكن، قد تلقاها من أحدثها عن طريق المنامات أو ما يسمونها الإلهامات والإيحاءات.

فما موقف الإسلام من هذه الأمور؟

إن الإسلام لا يقر بهذه المظاهر، وبيان ذلك في أوجه:

الوجه الأول: إنه لا يحق لأحد أن يصف مكاناً ما بقداسة، إلا عن طريق الوحي؛ إذ الأصل في الأماكن التساوي في المنـزلة والفضل، إلا ما استثناه الشارع لحكمة يعلمها.

يقول أبو عبد الله القرطبي : في تفسير قول الله عز وجل: ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ طه: ١٢: $قد جعل الله تعالى لبعض الأماكن زيادة فضل على بعض، كما قد جعل لبعض الأزمان زيادة فضل على بعض، ولبعض الحيوان كذلك؛ ولله أن يفضل ما شاء#[1].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية :: $وكذلك المكان والزمان الذي يحبه ويعظمه -كالكعبة وشهر رمضان- يخصه بصفات تميزه بها على ما سواه، بحيث يحصل في ذلك الزمان والمكان من رحمته وإحسانه ونعمته ما لا يحصل في غيره#[2].

فلله أن يخص ما شاء من الأماكن وغيرها من الذوات بالفضل؛ إذ الكل

(1) تفسير القرطبي (24/14).
(2) مجموع الفتاوى (17/201-202).

من مخلوقاته وتحت ملكه وتصرفه، وهو سبحانه أعلم بما فيها من ميزات ما ليست في غيرها، ﭽﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻﯼ ﭼ القصص: ٦٨.

يقول ابن القيم :: $فذوات ما اختاره الله من الأعيان والأماكن والأ شخاص وغيرها مشتملة على صفات وأمور ليست لغيرها، ولأجلها اصطفاها الله، وهو سبحانه الذي فضلها بتلك الصفات وخصها بالاختيار، فهذا خلقه، وهذا اختياره، ﭽﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻﯼ ﭼ [القصص: ٦٨]#[1].

ومن أدلّ الدليل على أن وصف الشيء بقداسة حقٌّ لله تعالى وحده لا يشاركه فيه أحد سواه؛ أن الأشياء الموصوفة بالقداسة معدودة محدودة، وكلها مذكورة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ح، فلو كان هذا الأمر موكو لا ً إلى من شاء من مخلوقاته تعالى -عدا الأنبياء والرسل لا المؤيدين ب الوحي من عنده سبحانه-؛ لادعى كل واحد أن المكان الفلاني مقدس، ولكثرت تلك الأماكن، فلا يبقى لها قداستها وفضلها ومكانتها؛ لعدم انحصارها.

وهذا هو الذي وقع فعلا ً في هذا الزمان، بل الأمر أشد من ذلك؛ إذ بعض الناس قد فضّلوا بعض الأماكن التي يزعمون أنها مقدسة على الأماكن المقدسة الحقيقية، كتفضيل الرافضة أرض كربلاء على مكة، وزعمهم أن زيارة قبر حسين ط بها تعادل عشرين حجة إلى بيت الله الحرام![2].

الوجه الثاني: إن إحداث مثل تلك الأماكن يجر إلى مفاسد أخرى، منها: شد الرحال إليها، وقد أفضْتُ في البيان: أن شد الرحال لقصد بقعة بعينها لتأدية العبادة فيها لا يكون إلا للمساجد الثلاثة؛ المسجد الحرام، و المسجد النبوي، والمسجد الأقصى[3].

يقول الإمام الشافعي : في أحكام الوفاء بالنذر: $إذا نذر أن يمشى إلى مسجد مصر لم يكن عليه أن يمشى إليه#[4]، هذا اختياره :، مع أن الوفاء بالنذر واجب، فيا ترى ما الذي حمل الإمام الشافعي على استثناء المسألة التي ذكرها عن أصل وجوب حكم الوفاء بالنذر؟

فالذي حمله على ذلك: $لأنه ليس لله طاعة في المشي إلى شيء من البلدان، وإنما يكون المشي إلى المواضع التي يُرتجَى فيها البِر ...؛ لأن رسول

---

(1) زاد المعاد (53/1).

(2) انظر: بحار الأنوار (34/98) نقلا ً عن موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من تقديس الأماكن والأزمان، لأبي بكر صار (ص 294).

(3) راجع (ص 962 وما بعدها).

(4) الأم (663/3 -تحقيق رفعت فوزي)، وذلك لأنه ليس في قصد مسجد سوى المساجد الثلاثة قربة أو فضل بالاتفاق، كما أوضحه في المجموع (8/496-497)، وفتح الباري (3/65-66). وانظر: الحاوي الكبير (476/15)، والتهذيب للبغوي (152-153/8)، والعزيز شرح الوجيز (391/12).

الله ح قال: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد؛ المسجد الحرام، ومسجدي هذا، ومسجد بيت المقدس"#[1].

فنصّ : على عدم انعقاد نذر إتيان ما سوى هذه المواضع الثلاثة –استدلالا ً بقول الرسول ح: $لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد؛ المسجد الحرام، ومسجدي هذا، ومسجد بيت المقدس#- حتى وإن كان بيتاً من بيوت الله، التي هي أحب البلاد إليه سبحانه! فما بالك بالأماكن المزعوم أنها مقدسة، وأغلب اختيارها إنما عن إيحاءات من الشياطين؟!

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :: $فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها ، ولم تستحب الشريعة ذلك؛ فهو من المنكرات، وبعضه أشد من بعض، سواء كانت البقعة شجرة، أو عين ماء، أو قناة جارية، أو جبلا ً، أو مغارة، وسواء قصدها ليصلي عندها، أو ليدعو عندها، أو ليقرأ عندها، أو ليذكر الله سبحانه عندها، أو ليتنسك عندها، بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيص تلك البقعة به لا عينا ً ولا نوعا ً#[2].

الوجه الثالث: إن أغلب هدف من قصد أمثال تلك الأماكن هو: التبرك بها؛ إما بالاعتكاف عندها، أو إقامة ذكر معين محدث -غالباً-، أو تأدية صلاة، أو قراءة قرآن. وقد تكلمت في مبحث التبرك: عن حكم التبرك بمثل تلك الأ ماكن؛ وأنه بدعة قبيحة، ووسيلة من وسائل الشرك[3]، وذكرت هنالك النصوص الشرعية الدالة على بدعيته، ثم حليتها بأقوال أئمة الإسلام، مما يغني عن إعادته هنا.

الوجه الرابع: لم يقف الشيطان بإغواء المفتونين بتلك الأماكن في تزيين تأدية الأمور البدعية عندها، بل جرّهم إلى ما هو أدهى من ذلك؛ من استغاثة بمن يزعمون أنه سلطان ذلك المكان -وهو الجن-، وتقديم القرابين والذبح له، وغير ذلك من صرف العبادات لغير الله تبارك وتعالى، فهي ظلمات بعضها فوق بعض! والكلام عن هذه المظاهر الشركية قد مضى في مواطنها[4].

الوجه الخامس: قولهم إننا تلقينا تحديد تلك الأماكن في المنام عن نبي من الأنبياء، أو ولي من الأولياء، قول باطل؛ لأن تلك المنامات لا تعدو أن تكون من وساوس الشيطان وإغوائهم.

ولو سلمنا جدلا ً، أن الذي يراه هؤلاء في منامهم هو رسول الله ح أو الولي الفلاني، فإن $الرؤية المنامية لا يثبت بها حكم شرعي، إنما هي:

---

(1) الأم (663/3 -تحقيق رفعت فوزي).

(2) اقتضاء الصراط المستقيم (158/2).

(3) راجع (ص 934 وما بعدها).

(4) انظر ما يتعلق بدعاء غير الله (ص 206 وما بعدها)، والذبح وتقديم القرابين لغيره سبحانه (ص 676 وما بعدها).

تبشير، أو تحذير، وتصلح للاستئناس بها، إذا وافقت حجة شرعية صحيحه؛ فهي -على هذا- كالتنبيه على موضع الدليل، وليست دليلا ً مستقلا ً، ف العصمة منتفية عنها؛ ما لم تكن من نبي أو رسول؛ فإنها وحي، ومن قبيل الحق#[1].

يقول النووي :: $حالة النوم ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي. وقد اتفقوا على أن مِن شرط مَن تُقبل روايته وشهادته: أن يكون متيقظاً لا مغفلا ً، ولا سيء الحفظ، ولا كثير الخطأ، ولا مختل الضبط، و النائم ليس بهذه الصفة؛ فلم تُقبل روايته؛ لاختلال ضبطه#[2].

ويقول ابن القيم :: $والرؤيا كالكشف؛ منها رحماني، ومنها نفساني، ومنها شيطاني، وقال النبي ح: $الرؤيا ثلاثة: رؤيا من اللّٰه، ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا مما يحدث به الرجل نفسه في اليقظة فيراه في المنام#[3]...

ورؤيا الأنبياء وحي، فإنها معصومة من الشيطان، وهذا باتفاق الأمة، ولهذا أقدم الخليل على ذبح ابنه إسماعيل إ بالرؤيا.

وأما رؤيا غيرهم: فتـ ُعرض على الوحي الصريح؛ فإن وافقته، وإلا لم يعمل بها.

فإن قيل فما تقولون إذا كانت رؤيا صادقة أو تواطأت؟

قلنا: متى كانت كذلك استحال مخالفتها للوحي، بل لا تكون إلا مطابقة له، منبهة عليه، أو منبهة على اندراج قضية خاصة في حكمه لم يعرف الرائي اندراجها فيه، فيتنبه بالرؤيا على ذلك#[4].

فالرؤى التي يراها هؤلاء لم تكن موافقة للشرع، بل معارضة لها؛ لأنها تأمر بتقديس أماكن لم يأمر بتقديسها الشرع، فيتيعن أن تلك الرؤى من الشيطان.

ولست أنكر -هنا- إمكانية رؤية رسول اللّٰه ح في المنام؛ إذ النصوص الشرعية قد دلت على ذلك، كما دلت على أن الشياطين لا تستطيع أن تتمثل به ح؛ فعن أبي هريرة ط قال: قال رسول اللّٰه ح: $مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ

---

(1) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضاً ونقداً، للدكتور صادق سليم صادق (ص 365).

(2) شرح النووي على صحيح مسلم (75/1).

(3) الحديث بهذا المعنى رواه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب القيد في المنام (404/12 رقم 7017 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الرؤيا (1773/4 رقم 2263) من حديث أبي هريرة.

(4) مدارج السالكين (51/1).

رَآنِي، فَإِنّ الشّيْطَانَ لَا يَتَمَثّلُ بِي#[1].

ولكن لابد من عرض وقفتين مع من يزعم أنه يرى النبي ح في المنام، حتى نقبل ادعاءه:

أولاهما: هل الذي رآه في المنام صفته الخَلقية هي صفة رسول الله ح الخَلقية الثابتة في الأحاديث الصحيحة؟ أم أنها مغايرة لها؟. نعم، إن الشيطان لا يقدر أن يتمثل بالنبي ح، ولكنه يستطيع أن يتمثل بغير صورته ح ثم يدعي أنه النبي ح، ففرق بين الحالتين.

والوقفة الأخرى: إن مِن علامة صدق رؤية النبي ح في المنام أن لا يأمر المرئي بما يخالف شرعه ح، يقول الشيخ زكريا الأنصاري :: $علامة صحة رؤيا ح، أن من رآه لا يسمع منه ما يخالف ما جاءت به الشريعة#[2].

وبهذه الأوجه الخمسة يظهر بإذن الله انحراف أولئك الذين يترددون إلى الأماكن المزعوم أنها مقدسة عن شرع الله، وبعدهم عنه، والله المستعان...

- **الفرع الثالث: الكلام عن زيارة معابد غير المسلمين:**

هذا لون آخر من ألوان الزيارة الممنوعة التي ابتلي بها كثير من مسلمي إندونيسيا، ويظهر تحريم زيارة مثل هذه الأماكن من وجوه:

الوجه الأول: إن الله تعالى لم يذكر آلهة الكفار في القرآن الكريم إلا على سبيل الذم، وتلك المعابد هي مواطن عبادة تلك الآلهة التي ذمها الله سبحانه.

ومما ورد من الآيات القرآنية في ذم آلهة المشركين ما يلي:

وصفه سبحانه إياها بالطاغوت، كما قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉﭼ النحل: ٣٦.

ذمه تعالى لها بأنها لا تسمع ولا تضر ولا تنفع؛ كما قال سبحانه حكايةً عن نبيه إبراهيم ؛ مع قومه: ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﭼ الشعراء: 69-٧٧.

وقوله سبحانه عن ضلال الكفار عن معبوداتهم وأصنامهم وإنكارهم لها يوم القيامة: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ غافر: 69-٧٤.

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الرؤيا، باب قول النبي ح $من رآني في المنام# (1775/4 رقم 2266).

(2) حاشية الشيخ زكريا الأنصاري على الرسالة القشيرية (ص 175)، نقلاً عن المصادر العامة للتلقي عند الصوفية (ص 367).

كما قد أمرنا سبحانه بالتبري من معبودات الكفار -من الأصنام والأ وثان والتماثيل والصور- وبحربها وتحطيمها، اقتداءً برسل الله لا واهتداءً بهداهم، قال تعالى عن إبراهيم ؛: ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ الأنبياء: 51-٥٨.

فإبراهيم ؛ يقول لقومه: $أي شيء هذه الصور التي أنتم عليها مقيمون#[1]؛ فقد استنكر ؛ على قومه عكوفهم على هذه التماثيل التي هي تحاكي خلقاً من خلق الله سواء عن علم ومشاهدة كتمثال الإنسان و الحيوان وصورته، أو عن تخيل وتوهم وتصور كالتي تجعل للكواكب[2].

كما ذم الله تعالى مساكن الظلمة والظالمين في قوله: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ إبراهيم: 44-٤٦.

ومعنى قوله تعالى: ﭽ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭼ أي نزلتم في أماكنهم وقراهم كا الحجر ومدين والقرى التي عذب أهلها.

ومعنى ﭽ ﭿ ﮀ ﭼ: ضروها بالكفر والمعصية[3].

وبالجملة فالآيات في ذم معبودات الكفار وأماكنها كثيرة، فكيف يتفرج المسلم في مثل تلك الأماكن التي ذمها الله تعالى وما فيها؟

الوجه الثاني[4]: إن هذه الظاهرة مما يزعزع عقيدة الولاء والبراء عند المسلمين.

المسلون في بلدانهم بجموعهم لابد أن يشاهدوا مخلفات الأمم الجاهلية في أماكن متفرقة من بلدانهم، لكنها لا تلفت أنظارهم بإجلال وتعظيم وليس لها في قلوبهم مكانة ولا محبة لها.

إلا أنه بقصد زيارتهم لمعابد المشركين -وهي من الآثار القديمة التي اهتمت الدولة بالحفاظ عليها وعدتها من الحضارات العالمية ومركز الفخر و العظمة- تتغير قلوب بعض المسلمين، فاهتمت بها، وراحت تعدّد أمجادها وتذكر سيرها، فيحبون تلك الآثار ومن يشتركون معه بكونها أصلا ً تاريخياً لهم جميعاً؛ فيوالي البوذي، والهندوسي، والملحد من بلاده الذي يمجد تلك الوثنيات باعتبار أنه يشترك معه فيها بأنها آثارهم جميعاً.

وقد صرح بهذا الهدف أحدهم إذ قال: $إننا في كل بلد إسلامي

(1) انظر: تفسير الطبري (291/16).
(2) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (156/2، 159).
(3) زاد المسير (372/4).
(4) هذا الوجه مستفاد من الآثار والمشاهد وأثر تعظيمهما على الأمة الإسلامية (ص 375 وما بعدها) بتصرف.

دخلناها نبشنا الأرض لنستخرج حضارات ما قبل الإسلام، ولسنا نطمع بطبيعة الحال أن يرتد المسلم إلى عقائد ما قبل الإسلام، ولكن يكفينا تذبذب ولائه بين الإسلام وبين تلك الحضارات#[1].

وإيثار الحضارات الوثنية من هندوكية وبوذية ووثنية وتقديمها على ا لإسلام والتفاخر بها وتعظيمها ومحبتها وبناء الروابط بموجبها، كل فيما يخصه منها، هذا هو صرف الولاء لها والبراء من أجلها، فلا تكون الهيمنة في قلوب المسلمين للإسلام بقدر ما هي لذلك التاريخ الوثني الجاهلي وأمجاده المزعومة.

مع أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﭽﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥﭼ البقرة: ١٦٥.

$يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا وما لهم في الدار الآخرة، حيث جعلوا له أنداداً أي أمثالاً ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه، وهو الله لا إله إلا هو#[2]، فذكر أن من الناس من يتخذ من دون الله أنداداً بمعنى نظراء ومثلاء يساويهم مع الله في المحبة والتعظيم، ومن كانت هذه حاله بعد إقامة الحجة وبيان التوحيد، عُلم أنه معاند لله، مشاق له، معرض عن تدبر آياته والتفكر في مخلوقاته.

لكن المؤمنين يحبون الله حباً أشد من حب أهل الأنداد لأندادهم، لأ نهم أخلصوا محبتهم لله، وأهل الأنداد أشركوا بها غيرها. ولأن المؤمنين أحبوا من يستحق المحبة على الحقيقة الذي محبته هي عين صلاح العبد وسعادته وفوزه، والمشركون أحبوا من لا يستحق من الحب شيئاً، ومحبته عين شقاء العبد وفساده وتشتت أمره[3].

وما حال معظمي الآثار الوثنية معها إلا كحال المشركين مع أوثانهم؛ فكل منها لها مكانة وتقديس وتعظيم في قلوب كل منهم، وهم جميعاً في صف أعداء الله.

قال تعالى: ﭽﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤﭼ الممتحنة: ٤.

فلما كانت البغضاء متعلقة بالقلب، فهي تحتاج إلى أن تظهر آثارها وتبين علامتها، فحينئذ تكون العداوة والبغضاء ظاهرتين.

وأما إذا وجدت الموالاة والمواصلة والبحث عن مواضع الاتفاق

---

(1) واقعنا المعاصر (ص 202)، نقلاً من Near Eastern Culture and Society لـ Prof. T. Guyler Young (كويلر يونغ - أستاذ العلاقات الأجنبية بجامعة برنستون، ورئيس قسم اللغات والآداب الشرقية بها، كان مساعد أستاذ اللغات السامية بجامعة تورنتو).

(2) تفسير ابن كثير (476/1).

(3) انظر: تفسير السعدي (ص 62).

واتخاذها نبراساً وقدوة ومرتكزاً للافتخار ونواة المجد؛ فإن ذلك يدل على المحبة لها، وذلك على حساب دين الإسلام(1).

الوجه الثالث: إن هذه الظاهرة من وسائل الشرك؛ فلابد من منعها سداً لذرائعه.

إن إحياء هذه الآثار التي هي من معابد الوثنين القديمة - وإن كان القائمون عليها لا يصرحون بأن غرضهم من ذلك هو دعوة الناس لعبادة تلك الأصنام، بل يعلنون أن قصدهم هو إظهار حضارة الأجداد وتأمل فنون الأ قدمين - لكنهم قد أوردوا لها قصصاً خرافية وأساطير من أجل تمجيد وإظهار قدرتها الخارقة وعظمتها، وهم في ذلك يكررونها عبر الوسائل الإعلا مية المختلفة، حتى يترسخ في أذهان كثير من الناس تصديق ذلك، خاصة من لا يملكون حصانة مسبقة، أو من نشأوا أصلا ً على نوع من تلك الترهات.

فهذا من أعظم الأسباب التي تجر الناس إلى اعتقاد ما لا يجوز اعتقاده في تلك الأماكن وما فيها من أصنام وتماثيل، بل لربما جر ذلك الا عتقاد إلى فعل أمور مخالفة للشريعة الإسلامية أو تناقضها.

وأضرب على ذلك مثالا ً واقعياً عاينته بنفسي يوم زيارتي لأحد تلك المعابد وهو Candi Borobudur (تشَانْدِيْ بُوْرُوْبُوْدُوْرْ). القائم في مدينة Magelang (مَاجِيْلَا نْجْ) بجَاوَا الوسطى.

توجد في هذا المعبد مئات القباب وهي ما تسمى بـ Stupa (سَتُوْفَا)، وفي داخل كل منها صنم من معبودات البوذيين. وقد أثار القائمون على هذا المعبد أن في إحدى تلك القباب بركة عظيمة؛ فمن استطاع أن يمس ذلك الصنم من إحدى الفُرَج الموجودة في جدار القبة؛ فإنه سيحصل على جميع رغباته ومتطلباته.

وقد رأيت بأم عيني إحدى الزائرات المسلمات تحاول جاهدة أن تمس ذلك الصنم، للغرض المذكور، وقد أخبرني أحد الإخوة الساكنين قرب ذلك المكان: أن هذا الفعل يفعله كثير من الزائرين لذلك المعبد! علماً بأن كثيراً من الزائرين مسلمون، إن لم يكن أغلبهم كذلك.

وهذا بلا شك انحراف عن الحنيفية السمحة؛ إذ كيف تطلب البركة من الأحجار، بل كيف تطلب من الأصنام من معبودات المشركين!!

قال تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ الإسراء: ٥٦، وقال سبحانه: ﭽ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﭼ سبأ: ٢٢.

ومما رأيت كذالك أثناء زيارتي لـ Candi Agung (تشَانْدِيْ أَغُوْنْجْ) بمدينة Amuntai (أَمُوْنْتَايْ) بكلِيْمَنْتَانْ الجنوبية، أن بعض الزائرين يتبركون

(1) انظر: مجموعة التوحيد (1/334-335).

بالمياه الموجودة في المستنقعات التي حول هذا المكان، لأنهم سمعوا من الخرافيين قصصاً متنوعة عن بركة هذه المياه.

فهذه بعض الصور من صور القصص الخرافية التي أثارها أرباب تلك المعبودات، وقد وقع المسلمون ضحية لها، فمنع تلك الزيارات هو المتعين حفاظاً على عقيدة الأمة المحمدية.

الوجه الرابع: إن زيارة مثل تلك الأماكن توقع زائريها في رؤية المنكرات دون إنكارها، وهذا مخالف لأمر الرسول ح: $من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف ا لإيمان#(1).

ومن أعظم تلك المنكرات: وجود تلك الأصنام والتماثيل والصور فيها، وكذلك الاختلاط الحاصل بين الزائرين والزائرات، وتبرج النساء، وغير ذلك من المنكرات.

نعم، لا شك أن هذه المنكرات موجودة في غير هذا المكان، لكن أن يقصد العبد إليه -بدون ضرورة شرعية- وهو في غنى عن ذلك، مع علمه أن فيه هذه المنكرات ثم لا ينكرها؛ فهذا مما لا يقره شرعنا الحكيم.

الوجه الخامس: إن في زيارة المسلمين لمثل هذه الأماكن تكثيراً لسواد المشركين -لا كثّرهم الله-، والمسلم مأمور بتكثير سواد المسلمين ومنهي عن تكثير سواد المشركين.

روى البخاري في $صحيحه# عن محمد بن عبد الرحمن أبي الأ سود(2) : قال: $قُطِعَ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ بَعْثٌ فَاكْتُتِبْتُ فِيهِ فَلَقِيتُ عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَأَخْبَرْتُهُ، فَنَهَانِي عَنْ ذَلِكَ أَشَدَّ النَّهْيِ ثُمَّ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ يُكَثِّرُونَ سَوَادَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ح يَأْتِي السَّهْمُ فَيُرْمَى بِهِ فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ فَيَقْتُلُهُ أَوْ يُضْرَبُ فَيُقْتَلُ فَأَنْزَلَ اللهُ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ النساء: ٩٧]#(3).

فتأمل كيف ترتب عليهم هذا الوعيد، وأوجب لهم النار، وقد ورد أنهم مكرهون على تكثير سواد المشركين فقط، فكيف بمن كثر سوادهم بغير إكراه؟(4).

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإ يمان (69/1 رقم 49).

(2) هو: محمد بن عبد الرحمن بن نوفل الأسدي أبو الأسود المدني، يتيم عروة، ثقة، مات سنة بضع وثلاثين ومائة. انظر: التقريب (رقم 6125).

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ [النساء: ٩٧] (262/8 رقم 4596 -الفتح).

(4) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (337/11).

بهذه الأوجه وغيرها تظهر حرمة ذهاب المسلم إلى معابد المشركين، إ
لا إذا اقتضته الضرورة الشرعية، كالدعوة إلى الله، أو إنكار منكر، ولكن بضوابطها الشرعية.

والله تعالى أعلى وأعلم.

المبحث العاشر: الاعتكاف

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى الاعتكاف وأنواعه

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في الاعتكاف

المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

المطلب الأول: معنى الاعتكاف وأنواعه

- **معنى الاعتكاف:**

أصل الكلمة: الاعتكاف مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ هو $عكف#[1].
تصريفها: الاعتكاف افتعال من $عكف على الشيء يَعكُفُ ويَعْكِفُ عكفاً وعكوفاً#، وهو متعدٍ فمصدره العكف، ولازم فمصدره العكوف[2].
معناها لغة: من معاني مادة $عكف# اللغوية:
1. المتعدي من مادة $عكف# بمعنى الحبس والمنع، ومنه قوله تعالى: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗﭼ الفتح: ٢٥ ، أي محبوساً، قاله قتادة :[3].
2. واللازم منها بمعنى: ملازمة الشيء، والمواظبة والإقبال والمقام عليه، خيراً كان أو شراً، ومنه قوله تعالى: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ البقرة: ١٨٧، أي مقيمون[4]، ومنه قوله تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ الأنبياء: ٥٢، أي ملازمون.

والذي يعنينا من المعاني السابقة لبيان المعنى الشرعي للاعتكاف هو: المعنى الثاني، أي ملازمة الشيء والمقام عليه، وإن كان المعنى الأول له صلة كذلك بالمعنى الشرعي؛ إذ أن الملازم للشيء فإنه يمتنع عن غيره غالباً.
معناها شرعاً[5]:
يتفق قول الفقهاء على أن الاعتكاف في الشرع هو: لزوم مسجد طاعة لله تعالى.
وإن كان بينهم ثمة تفاوت في التعريف؛ في إثبات أو حذف بعض الشروط والأركان؛ كالنية، والإسلام، والكف عن الجماع، وغيرها.
فمثلا ً من تعريف الحنفية: $هو اللبث في المسجد مع الصوم ونية الاعتكاف#[6].
ومن تعاريف المالكية: $هو لزوم مسلم مميز مسجداً مباحاً، بصوم، كافاً عن الجماع ومقدماته، يوماً وليلة فأكثر، لعبادة بنية#[7].
ومن تعريفات الشافعية: $اللبث في المسجد من شخص مخصوص بنية#[8].

---

(1) انظر: مقاييس اللغة (108/4).
(2) انظر: لسان العرب (341-340/9).
(3) انظر: تفسير الطبري (293/21).
(4) انظر: تفسير الجلالين (ص 29).
(5) مستفاد من فقه الاعتكاف للدكتور خالد بن علي المشيقيح (ص24-25).
(6) شرح فتح القدير (395/2).
(7) حاشية الدسوقي (541/1).
(8) مغني المحتاج (658/1).

ومن تعاريف الحنابلة: $لزوم المسجد لطاعة الله على صفة مخصوصة من عاقل، ولو مميز طاهر مما يوجب غسلا ً#[1].

وعرفه ابن حزم : بأنه: $الإقامة في المسجد بنية التقرب إلى الله لأ ساعة فما فوقه، ليلا ً أو نهارا1#[2].

ويستخلص مما سبق أن الاعتكاف في الشرع هو: **$لزوم مسجد لعبادة الله تعالى من شخص مخصوص على صفة مخصوصة#[3].**

- **أنواع الاعتكاف:**

الاعتكاف نوعان: مشروع وممنوع.

أما الاعتكاف المشروع: فهو الاعتكاف في المساجد التي تصح فيها الصلوات، بالشرط والأركان التي ذكرها العلماء.

قال الله تعالى: ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ البقرة: ١٢٥، وقال سبحانه: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ البقرة: ١٨٧.

بيّن سبحانه في الآيتين السابقتين أن الاعتكاف إنما يشرع في المساجد.

وأما الاعتكاف الممنوع: فهو الاعتكاف في المساجد التي لا تصح فيها الصلوات؛ وهي المساجد التي شيّدت في المزارات، ونصبت فيها المقامات، أو الاعتكاف في المقابر، وعند الأشجار، والأحجار، والغيران ونحو ذلك من ا لأماكن.

قال الإمام البغوي :: $والاعتكاف في الشرع هو: الإقامة في المسجد على عبادة الله وهو سنة، ولا يجوز في غير المسجد، ويجوز في جميع المساجد#[4].

وقال الشيخ علي محفوظ[5] : في تعداده لمفاسد القبور: $ومن هذه المفاسد: المبيت فيها#[6].

فالعكوف والمجاورة عند القبور، والأشجار، والغيران من دين المشركين الذي ما أنزل الله به من سلطان[7]، والله المستعان.

---

(1) المبدع (63/3).
(2) المحلى (179/5).
(3) فقه الاعتكاف (ص 25)._
(4) تفسير البغوي (209/1)._
(5) هو: علي محفوظ المصري الشافعي (ت 1361 هـ)، شيخ واعظ، تخرج بالأزهر، ثم كان من أعضاء كبار العلماء وأستاذا ً للوعظ والإرشاد بكلية أصول الدين، وصنف كتبا ً، منها: هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، والإبداع في مضار الا بتداع. انظر: الأعلام (323/4).
(6) الإبداع في مضار الابتداع (ص172).
(7) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (356/2-358)، والآيات البينات (ص 27-28).

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في الاعتكاف

تتمثل انحرافات المجتمع الإندونيسي في باب الاعتكاف: في اعتكاف بعضهم في أماكن لا يشرع فيها الاعتكاف؛ كالأضرحة، والغيران، والجبال، و الغابات وغيرها، كما تتمثل انحرافاتهم أيضاً باعتقادهم في تلك الأماكن ما لا يجوز اعتقاده؛ كطلب البركة منها مثلا ً.

ويسمي بعض الناس هذا الاعتكاف بـ Bertapa (بِيرْتَفَا)، وهذه الكلمة في اللغة الإندونيسية لها وجه الشبه بالاعتكاف؛ من حيث اشتراكهما في معنى الاعتزال عن الأمور الدنيوية، والمكث في مكان معيّن[1].

وفيما يلي بعض الأمثلة لانحرافاتهم:

المثال الأول: ما ذكره صاحب كتاب $البدع في إندونيسيا# من وجود بعض المسلمين الذين يعتكفون تحت الأشجار الكبيرة، وعلى الأ ضرحة، وفي الغابات والجبال[2].

المثال الثاني: اعتكاف بعض الناس في غابة Ubalan (أُوْبَلَنْ) بمدينة Kediri (كِيْدِيْرِيْ) بجاوا الشرقية. وأغلب المعتكفين من صاحبات صوالين التجميل اللاتي يُرِدْن ترويج صوالينهن ببركة تلك الغابة بزعمهن[3].

المثال الثالث: ما ادعاه أحد الكهنة أنه كان يعتكف في قمة جبل Rompang (رُوْمْفَنْجْ) بمدينة Sukabumi (سُوْكَبُوْمِي) بجاوا الغربية، لمدة ثمانية عشر عاماً، للحصول على علم الكهانة[4].

المثال الرابع: اعتكاف بعض الناس في الغيران الموجودة بجبل Nyapa (إِنْجَفَا) في قرية Karang Bale (كَرَنْجْ بَلِيْ) بمدينة Brebes (بِيْرِيْبِيْسْ) بجاوا الوسطى. وسئل أحد المعتكفين هناك -وهو قد جاء من جزيرة أخرى، وبالضبط من مدينة Bengkulu (بِيْنْكُوْلُوْ) بسُوْمَطْرَا الجنوبية- عن قصده من الاعتكاف في هذا الغار، فأجاب بأنه يريد به توسعة الرزق[5].

المثال الخامس: اعتكاف بعض الناس في غار Selomangleng

---

(1) انظر: Kamus Besar Bahasa Indonesia (المعجم الكبير للغة الإندونيسية) (ص 178). وانظر للتفريق بين المصطلحين: مجلة Ghoib (غيب)، العدد 72، السنة الرابعة، تاريخ 15 شوال 1427 هـ / 7 نوفمبر 2006 م (ص 21-23).

(2) انظر: Bid'ah-bid'ah di Indonesia (البدع في إندونيسيا) (ص 178).

(3) انظر: مجلة Misteri (مِيْسْتِيْرِيْ)، العدد 375، تاريخ 5-19 يونيو 2005 (ص 54-55).

(4) انظر: المرجع السابق، العدد 387، تاريخ 20 ديسمبر 2005 – 4 يناير 2006 (ص 27).

(5) انظر: جريدة Posmo (فُوْسْمُوْ)، العدد 335، السنة السادسة، تاريخ 21 سبتمبر 2005 (ص 6-7).

(سِيلُوْمَنْجلِيْنْجْ) بقرية Klotok (كلُوْتُوْكْ) بمدينة Kediri (كِيْدِيْرِي) بجاوا الشرقية؛ طلباً للإيحاءات والإلهامات[1].

المثال السادس: اعتكاف بعض الناس حول ضريح Sunan Kudus (سُوْنَنْ قُدُسْ) الواقع في مدينة Kudus (قُدُسْ) بجَاوَا الوسطى، وقد رأيت ذلك بنفسي أثناء زيارتي له.

المثال السابع: اعتكاف بعض المسلمين بمسجد Luar Batang (لُوْوَارْ بَاتَنْجْ) بـ بمدينة Jakarta (جَاكَرْتَا) الغربية، وفي وسط هذا المسجد ضريح لـ Syaikh Habib al-Idrus (الشيخ الحبيب العيدروس)، تبركاً[2].

وللمعتكفين في الجبال والغيران والأماكن المزعوم أنها مقدسة أهداف ، منها: الحصول على طمأنينة القلب، أو البحث عن التمائم الغيبية، أو الحصول على القوة الخارقة، أو التطلع إلى الإيحاءات والإلهامات، وغير ذلك[3].

(1) انظر: المرجع السابق، العدد 358، السنة السادسة، تاريخ 8 مارس 2006 (ص 23).
(2) انظر: القول المبين في كشف خطر شرك القبوريين، إعداد الأخ كرنايدي أوجانج تاردي (ص 38) مخطوط.
(3) انظر: مجلة Ghoib (غيب)، العدد 72، السنة الرابعة، تاريخ 15 شوال 1427 هـ / 7 نوفمبر 2006 م (ص 17، 22-23).

المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

تمهيد:
الاعتكاف مشروع بالكتاب والسنة والإجماع.
فالكتاب: قوله تعالى: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ البقرة: ١٢٥.
وقوله تعالى: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ البقرة: ١٨٧.
فإضافة الاعتكاف إلى المساجد المختصة بالقربات، وترك الوطء المباح لأجله دليل على أنه قربة[1].
وأما السنة: فكثيرة؛ منها: حدبث عائشة ك: **$**أن النبي ح كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه من بعده**#**[2].
وأما الإجماع: فنقله غير واحد من العلماء؛ قال ابن المنذر :: **$**وأجمعوا على أن الاعتكاف سنة لا يجب على الناس فرضاً، إلا أن يوجبه المرء على نفسه نذراً فيجب عليه**#**[3].
وقد نقله أيضاً ابن حزم[4]، والنووي[5]، وابن قدامة[6]، وأبو عبد الله القرطبي[7]، والزركشي[8]، وغيرهم[9].
والاعتكاف كغيره من العبادات التي شرعها الإسلام؛ له شروطه وأركانه التي لابد للمعتكف أن يستوفيها -وليس هنا محل بسطها[10]-، فمن لم يستوفها لا يصح اعتكافه.

موقف الإسلام من مظاهر الانحراف في الاعتكاف:

ذكرت في مطلع المطلب السابق أن أغلب انحرافات الإندونيسيين في باب الاعتكاف تكمن في اعتكافهم في أماكن لا يصلح فيها الاعتكاف، وفي

(1) فقه الاعتكاف (ص 31).
(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأواخر (271/4 رقم 2026 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الاعتكاف، باب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان (831/2 رقم 1172).
(3) الإجماع (ص 53).
(4) انظر: مراتب الإجماع (ص 41).
(5) انظر: المجموع (501/6).
(6) انظر: المغني (456/4).
(7) انظر: تفسير القرطبي (216/3).
(8) انظر: شرح الزركشي على مختصر الخرقي (4/4).
(9) كابن هبيرة في الإفصاح عن معاني الصحاح (255/1)، وابن رشد في بداية المجتهد (228/1).
(10) للتحرير في معرفة شروطها راجع: فقه الاعتكاف (ص 67 وما بعدها).

اعتقادهم في تلك الأماكن الاعتقادات الباطلة.
لقد ذكر علماء الإسلام أن من شروط صحة الاعتكاف: أن يكون الا عتكاف في المسجد، لقوله تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍﮎ ﭼ البقرة: ١٨٧.
فلم ينه الله تعالى عن المباشرة إلا مَن اعتكف في المسجد، وتخصيصه بالذكر يقتضي أن ما عداه بخلافه، وتبقى مباشرة العاكف في غير المسجد على الإباحة، ولما لم يكن العاكف في غير المسجد منهياً عن المباشرة، عُلِم أنه ليس باعتكاف شرعي؛ لأنا لا نعني بالاعتكاف الشرعي إلا ما تحرم معه المباشرة، كما أنا لا نعني بالصوم الشرعي إلا ما حرم فيه الأكل والشرب(1).
فإن قيل: قوله تعالى: ﭽ ﮌ ﮍﮎ ﭼ دليل على أنه قد يكون عاكفاً في غير المسجد؛ لأن التقييد بالصفة بما لولاه لدخل في المطلق.
أجيب: لا ريب أن كل مقيم في مكان ملازمٍ له فهو عاكف، لكن الكلام في النوع الذي شرعه الله تعالى، كما أن كل ممسك يسمى صائماً، وكل قاصد يسمى متيمماً، لكن لما أمر الله تعالى بتيمم الصعيد، وأمر بالإمساك عن المفطرات؛ صار ذلك من النوع المشروع. على أن الصفة قد تكون للتبيين وا لإيضاح كما في قوله تعالى: ﭽ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﭼ المؤمنون: ١١٧، وقوله تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖﯗ ﭼ البقرة: ٦١، ونحو ذلك(2).
ومن أدلة اشتراط المسجد لصحة الاعتكاف: ما روته عائشة ك، أنها ق الت: $إن كان رسول الله ح ليدخل رأسه وهو في المسجد فأُرَجِّله، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة إذا كان معتكفاً#(3)، وغيره من الأحاديث.
كما قد حكي إجماعاً على اعتبار هذا الشرط؛ قال أبو عبد الله القرطبي :: $أجمع العلماء على أن الاعتكاف لا يكون إلا في مسجد#(4).
وقال في $المغني#: $لا نعلم في هذا بين أهل العلم خلافاً#(5).
وبعد هذا الإجماع، اختلف العلماء: هل يصح الاعتكاف في جميع المساجد أو أنه لا يصح إلا في بعضها؟ ذهب سيعد بن المسيب(6) : إلى أنه

(1) انظر: المرجع السابق (ص 110).
(2) انظر: شرح العمدة (721/2) نقلا ً عن فقه الاعتكاف (ص 111)، وانظر أيضاً: أحكام القرآن للجصاص (301/1).
(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتكاف، باب لا يدخل البيت إلا لحاجة (273/4 رقم 2029 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها (244/1 رقم 297).
(4) تفسير القرطبي (216/3)، وانظر أيضاً: بداية المجتهد (229/1)، وشرح الزقاني للموطأ (206/2).
(5) المغني (461/4).
(6) هو: سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي (ت بعد 90 هـ)، من كبار التابعين، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، قال ابن المديني: $لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه#. انظر: التقريب (رقم 2409).

لا يصح إلا في مسجد الرسول ح[1]، وذكر عطاء : بأنه لا اعتكاف إلا في مسجد مكة والمدينة[2]، وذهب آخرون إلى أنه لا يصح إلا في مسجد جماعة $وهو قول عامة التابعين، ولم ينقل عن صحابي خلافه، إلا من قول من خص الاعتكاف بالمساجد الثلاثة، أو مسجد نبي#[3].

فإذا كان العلماء قد اختلفوا في الاعتكاف في المساجد، فما بالك فيمن نقله إلى غير المساجد؟ فلا شك أنه منهج أهل البدع وأهل الشرك و الجاهيلية الأولى.

إثبات أن الاعتكاف في غير المساجد منهج الجاهلية ودين الوثنية[4]:

لقد مضى معنا أن من أراد أن يعتكف قربة لله وطاعة له، فلا يجوز له أن يعتكف في غير المساجد التي تصح فيها الصلوات، وأما المساجد التي لا تصح فيها الصلوات، وهي المساجد التي شيدت في المزارات، ونصبت فيها المقامات، فلا تصح الصلاة فيها، ومن لوازمه: حرمة الاعتكاف بها، وتتأكد الحرمة إن قصد بالاعتكاف ساكنَ اللحد والضريح.

فالاعتكاف في المساجد سنة أهل الإسلام، أما الاعتكاف في المقابر وعند الأشجار والأحجار والجبال؛ فهو من سنن أهل الوثن ومن تلبيس الشيطان.

يقول أبو الفرج ابن الجوزي :: $وقد لبّس إبليس على جماعة من المتصوفة؛ فمنهم من اعتزل في جبل كالرهبان يبيت وحده، ويصبح وحده، ففاتته الجمعة، وصلاة الجماعة، ومخالطة أهل العلم وعمومهم، اعتزل في ا لأربطة، ففاتهم السعي إلى المساجد، وتوطنوا على فراش الراحة، وتركوا الكسب#[5].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية :: $فأما العكوف والمجاورة عند شجرة أو حجر، تمثال أو غير تمثال، أو العكوف والمجاورة عند قبر نبي أو غير نبي، أو مقام نبي أو غير نبي؛ فليس هذا من دين المسلمين، بل هو من جنس دين المشركين، الذين أخبر الله عنهم بما ذكره في كتابه، حيث قال:

چ ﮕ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ
ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ
ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ چ
[الأنبياء: 51-٥٨].

(1) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (309/6 رقم 9765 –تحقيق محمد عوامة).
(2) رواه عبد الرزاق في مصنفه (349/4 قم 8020)، وقال في فقه الاعتكاف (ص 114): $إسناده صحيح#.
(3) شرح العمدة (734/2) نقلا ً عن فقه الاعتكاف (ص 112).
(4) من هذا الموطن إلى نهاية المطلب مستفاد من بدع القبور (ص 445-449) بتصرف.
(5) تلبيس إبليس (ص 352 -ط. دار الكتاب العربي).

وقال تعالى: ﭽﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﭼ [الشعراء: 69-82] إلى آخر القصة.

وقال تعالى: ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [الأعراف: 138-١٤٠].

فهذا عكوف المشركين، وذاك عكوف المسلمين، فعكوف المؤمنين في المساجد لعبادة الله وحده لا شريك له، وعكوف المشركين على ما يرجونه، ويخافونه من دون الله، وما يتخذونهم شركاء وشفعاء#[1].

وقال صديق حسن خان : في تفسير آيات الشعراء: ﭽﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ : أي فنقيم ونداوم على عبادتها، مستمرين طوال النهار، لا في وقت معين. يقال: ظل يفعل كذا إذا فعله نهاراً، وبات يفعل كذا إذا فعله ليلاً، فظاهره أنهم يستمرون على عبادتهم نهاراً لا ليلاً، والمراد من العكوف لها: الإقامة على عبادتها، وإنما قال: ﭽﮟ ﭼ لإفادة أن ذلك العكوف لأجلها[2].

فالاعتكاف تحت الأشجار وعلى الأحجار هو منهج أهل الجاهلية، فأهل الجاهلية هم الذين يعتكفون لغير الله جل وعلا، إنما يعتقدون لأفراد.

ومما يذكر أن قبر حاتم الطائي[3] غدا مقر الضيفان وملاذ التائهين في الجاهلية، وكانت طيء تزعم أنه لم ين-زل بقبر حاتم أحد قط إلا قراه، فها هو أبو البختري[4]، كما ذكروا، مر في نفر من قومه بقبر حاتم الطائي، فن-زلوا قريباً منه، فبات أبو البختري يناديه، يا أبا الجعد أقرنا![5].

فالعكوف عند القبور هو منهج أهل الجاهلية أعداء الدين والملة، ومما يؤكد ذلك ما رواه أبو واقد الليثي ط قال: **$خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ح وَنَحْنُ حَدِيثُو عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَكَانُوا أَسْلَمُوا يَوْمَ الْفَتْحِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى شَجَرَةٍ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا فِي السَّنَةِ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقُلْنَا: اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ح: $اللهُ أَكْبَرُ، قُلْتُمْ كَمَا**

---

(1) اقتضاء الصراط المستقيم (2/356-358).
(2) انظر: فتح البيان (7/23-24).
(3) هو: حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي القحطاني (ت 46 قبل الهجرة)، كان فارساً جواداً يحب مكارم الأخلاق، ويضرب به المثل في الكرم، ولا أكرم من رسول الله ح وأنبيائه لا. انظر: تهذيب تاريخ دمشق (3/421-429)، والأعلام (2/151).
(4) هو: العاص بن هشام بن الحارث أبو البختري (ت 2 هـ)، من زعماء قريش في الجاهلية، وهو ممن نقضوا الصحيفة، لم يعرف بإيذائه للنبي ح. انظر: سيرة ابن هشام (1/264)، والأعلام (3/247).
(5) انظر: مروج الذهب ومعادن الجواهر للمسعودي (2/162-163).

قَالَ قَوْمُ مُوسَى: چث ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ چ [الأعراف : 138]#، ثمّ قَال: $إِنَّكُمْ سَتَرْكَبُونَ سَنَنَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ#[1].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ :: $كان عكوف المشركين عند تلك السدرة، تبركاً بها وتعظيماً لها#[2].

فالعكوف في غير المسجد هو منهج أهل الشرك واليهود والنصارى، ثم إن المعتكف عند القبر لا يخلو من حالتين:

أولا ً: أن يكون غرضه عبادة الله؛ فهذا لا شك في بدعيته وحرمته، بل هو وسيلة من وسائل الشرك، وصاحبها قد جمع بين الاعتكاف فيما لا يجوز الاعتكاف فيه، وبين التشريع من الدين ما لم يأذن به الله تعالى.

ثانياً: أن يكون اعتكافه لصاحب القبر ودعائه، فهذا ويل له ثم ويل له؛ فإنه قد وقع في الشرك الأكبر، لصرفه العبادة لغير الله سبحانه.

يقول العلامة الشوكاني :: $فيا عجباً لقوم يعكفون على قبور الأموات الذين قد صاروا تحت أطباق الثرى، ويطلبون منهم من الحوائج ما لا يقدر عليه إلا الله لأ، كيف لا يتيقظون لما وقعوا فيه من الشرك، ولا ينتبهون لما حل بهم من المخالفة لمعنى $لا إله إلا الله#، ومدلول چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ چ [الإخلاص: ١]؟!

وأعجب من هذا؛ اطلاع أهل العلم على ما يقع من هؤلاء، ولا ينكرون عليهم، ولا يحولون بينهم وبين الرجوع إلى الجاهلية الأولى، بل إلى ما هو أشدّ منها، فإن أولئك يعترفون بأن الله سبحانه هو الخالق الرازق، المحيي المميت، الضارّ النافع، وإنما يجعلون أصنامهم شفعاء لهم عند الله، ومقرّبين لهم إليه، وهؤلاء يجعلون لهم قدرة على الضرّ والنفع، وينادونهم تارة على الاستقلال، وتارة مع ذي الجلال، وكفاك من شرّ سماعه، والله ناصر دينه، ومطهر شريعته من أوضار الشرك، وأدناس الكفر.

ولقد توسل الشيطان -أخزاه الله- بهذه الذريعة إلى ما تقرّ به عينه، وينثلج به صدره، من كفر كثير من هذه الأمة المباركة چ ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ چ [الكهف: 104]، إنا لله وإنا إليه راجعون#[3].

أما العكوف في الغيران والجبال وتحت الأشجار والأماكن المزعوم أنها مقدسة، لأجل الحصول على القوى الخارقة، أو سماع الهتفات والإلهامات؛ فهذا أدهى وأمرّ، وأغلب فاعليه يقرنونه بتقديم القرابين للشياطين، وقراءة عزائم مشتملة على مناداتهم والاستغاثة بهم[4]، فلا حول ولا قوة إلا

---

(1) تقدم تخريجها (ص 52)، وخرج الحديثَ باللفظ المذكور الطبرانيُّ في المعجم الكبير (276/3 رقم 3294).
(2) فتح المجيد (ص 167).
(3) فتح القدير (970/1).
(4) انظر: مجلة Ghoib (غيب)، العدد 72، السنة الرابعة، تاريخ 15 شوال 1427 هـ/

بالله العلي العظيم...

وبالجملة قد اتفقت كلمة أهل العلم على تبديع وتحريم هذا الفعل، وبأنه يتأرجح بين كونه شركاً أكبر أو بدعة موصلة إلى الشرك الأكبر، وبأنه عمل غير المسلمين، ومنهج أهل الشرك والمغضوب عليهم والضالين، والله أعلم...

المبحث الحادي عشر: صناعة التماثيل واقتناؤها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم صناعة التماثيل واقتنائها وأنواعها

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في صناعة التماثيل واقتنائها

المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

---

7 نوفمبر 2006 م (ص 23).

المطلب الأول: مفهوم صناعة التماثيل واقتنائها وأنواها

- مفهوم صناعة التماثيل واقتنائها:

معنى التماثيل:

أصل الكلمة: التماثيل كلمة مشتقة من أصل لغويّ ثلاثيّ هو $مثل#[1].

تصريفها: التماثيل على وزن $تقاعِيل#، وهي جمع $تِمْثَال#، على وزن $تِفْعَال# بزيادة التاء في أوّلِه[2].

معناها لغة: معاني مادة $مثل# اللغوية:

1. مِثْلُ: كلمة تسوية، يقال: هذا مِثْلُهُ ومَثَلُه كما يقال: شِبهُهُ وشَبَهُهُ بمعنى.
2. والمِثَالُ: معروف، وهو القالب الذي يقدّر على مِثْلِه، والجمع أمْثِلَة ومُثُلٌ، والمِثَال أيضاً: الفراش.
3. والمُثُول: الانتصاب قائماً، يقال: مَثَلَ بين يديه مُثُولا ً: أي انتصب قائماً.
4. والمَثُلَةُ: العقوبة، والجمع: المَثُلا تُ.
5. والتِمْثَال: الصورة، والجمع التماثِيل، ومَثَلْت له كذا تمْثِيْلا ً إذا صوّرتَ له مِثَاله بالكتابة وغيرها[3].

هذه أغلب معاني مادة $مثل#، ومعظمها يرجع إلى معنى التناظر، كما قال ابن فارس :: $الميم والثاء واللام: أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء#[4].

والذي يعنينا من تلك المعاني هو الأخير منها، وهو الصورة، وهو متضمن لمعنى التناظر؛ إذ أن التمثال مماثلٌ ومناظرٌ للشيء الذي مُثِّل منه.

معناها شرعاً:

عَرّفها مجاهد : بقوله: $التماثيل ... الأصنام#[5].

وبنحوه عرفها ابن جرير الطبري[6]، وابن الجوزي[7]، والشوكاني[8]

(1) مقاييس اللغة (296/5).
(2) انظر تصريف الكلمة في: الصحاح (1816/5).
(3) انظر معنى مادة "مثل" في: الصحاح (1816/5)، ولسان العرب (21/13-25).
(4) مقاييس اللغة (296/5).
(5) تفسير الطبري (291/16).
(6) انظر: تفسير الطبري (291/16).
(7) انظر: زاد المسير (357/5).
(8) انظر: فتح القدير (144/2).

رحمهم الله تعالى.

وعرّفها الراغب الأصفهاني : بقوله: $والتمثال: الشيء المصور#[1].

وعرفها شيخ الإسلام : بقوله: $والتماثيل إما مجسدة، وإما تماثيل مصورة كما يصورها النصارى في كنائسهم#[2].

وعرفها الحافظ ابن حجر : بقوله: $تماثيل ... جمع تمثال: وهو الشيء المصور، أعم من أن يكون شاخصاً، أو يكون نقشاً، أو دهاناً، أو نسجاً في ثوب#[3].

وعرفها أبو الثناء الآلوسي : بأنها: $الصور المصنوعة مشبهة بمخلوق من مخلوقات الله تعالى#[4].

وعُرّفت بأنها: $اسم للشيء المصنوع، مشبهاً بخلق من خلق الله حيواناً كان أو جماداً#[5].

وهذا التعريف الأخير هو المختار؛ لأنه أعم وأشمل، والله أعلم.

- مفهوم صناعة التماثيل واقتناؤها:

صناعة التماثيل هي عملها، أما اقتناؤها فوضعها في البيوت أو الأماكن الأخرى.

- أنواع صناعة التماثيل واقتنائها:

يمكن تقسيم ذلك إلى ما هو مباح، وما هو ممنوع:

النوع المباح: ما كانت التماثيل فيه لغير ذوات الروح من المخلوقات الكونية، النامية منها؛ كالأشجار ونحوها، وغير النامية؛ كالجبال والأفلاك، ونحوها، ما لم تكن صناعتها واقتناؤها لهدف فاسد؛ كإرادة عبادتها مثلا ً.

النوع الثاني: ما كانت التماثيل فيه لذوات الأرواح، ولم تدع لصناعتها واقتنائها ضرورة شرعية معتبرة، ويزداد تحريماً إذا كانت صناعتها واقتناؤها منطلقاً من هدف فاسد.

وسيأتي ذكر بعض تفاصيل ذلك في المطلب الثالث إن شاء الله تعالى.

---

(1) مفردات ألفاظ القرآن (ص 758).
(2) مجموع الفتاوى (158/1).
(3) فتح الباري (387/10).
(4) روح المعاني (59/17 –ط. المنيرية).
(5) أحكام التصوير في الفقه الإسلامي لمحمد بن أحمد واصل (ص 50).

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في صناعة التماثيل واقتنائها

من أمثلة صناعة التماثيل(1):
المثال الأول: مجموعة من صناع التماثيل الساكنين في قرية Jatipasar (جَاتِيْ فَسَرْ) وقرية Jatisumber (جَاتِيْ سُوْمْبِيْرْ) بـ Trowulan (تَرَوُوْلَنْ) بمدينة Mojokerto (مُوْجُوْكِيْرْتُوْ) بجاوا الشرقية، وقد ضمت هذه المجموعة حوالي ألفي صانع للتماثيل! وكثير من هذه التماثيل التي صنعوها -وللأسف- إنما هي تماثيل لآلهة الهندوسيين -مع أن كثيرا من هؤلاء الصانعين مسلمون-.
والمشترون لهذه التماثيل ليسوا من الإندونيسيين فحسب، بل تعدى ا لأمر إلى الأجانب من أمريكا، واليابان، وتايوان(2).
المثال الثاني: يوجد مركز لصناعة التماثيل: بين محافظة Jogjakarta (جُوْكْجَاكَرْتَا) ومدينة Magelang (مَجِيْلَنْج) بجاوا الوسطى.
أما اقتناء التماثيل؛ فهو إما أن يكون في الميادين العامة، وتقاطعات الطرق الكبيرة، وأماكن تجمع الناس كساحات بعض الجامعات، أو أماكن سياحية، أو متاحف أثرية، وإما أن يكون اقتناءً شخصياً في البيوت سواء كان ناتجاً عن اعتقاد باطل فيها من مقتنيها أم لمجرد الزينة.
وأغلب التماثيل المنصوبة في الأماكن العامة، إنما هي تماثيل لأ شخاص لهم دور بارز في مجال الدفاع عن الوطن، أو في المجال العلمي أو السياسي أو الفني أو نحو ذلك، وفيما يلي أمثلة لذلك:
المثال الثالث: نصب تمثال Jendral Sudirman (الضابط سُوْدِيْرْمَنْ) -أحد أبطال الكفاح الإندونيسي ضد الاستعمار الهولندي- بمدينة Purbalingga (فُوْرْبَلِيْنْجَا) بجاوا الوسطى في مقابل محطة السيارات.
المثال الرابع: نصب تمثال Pangeran Diponegoro (الأمير دِيْفُوْنِيْكُوْرُوْ) -أحد أبطال الكفاح الإندونيسي ضد الاستعمار الهولندي- عند بوابة Universitas Diponegoro (جامعة دِيْفُوْنِيْكُوْرُوْ) بمدينة Semarang (سِيْمَرَنْج) بجاوا الوسطى.
المثال الخامس: نصب تماثيل لسبعة من الضباط الإندونيسين الكبار الذين كان لهم دور في محاربة الشيوعية، في متحف Lubang Buaya (لُوْبَنْج بُوَايَا) بمدينة Jakarta (جَاكَرْتَا).
وقد تكون التماثيل المنصوبة في الأماكن العامة ليست تماثيل لأناس مشهورين، وإنما هي مجرد تماثيل للبشر، ومثال ذلك:

---

(1) أقصد بالتماثيل هنا: ما كانت من ذوات الأرواح وما كانت لها ظل.
(2) انظر: مجلة Media Wisata (الإعلام السياحية)، العدد 3، السنة الأولى، تاريخ 25 يوليو – 24 أغسطس 2006 (ص 6-7).

المثال السادس: التماثيل المنصوبة في تقاطعات ودوارات الطرق بمدينة Ponorogo (فُوْنُوْرُوْكُوْ) بجاوا الشرقية.
المثال السابع: تمثال لإنسان عند بوابة مكان سياحي Pantai Teleng (بحر تِيْلِيْنْجْ) بمدينة Pacitan (فَتْشِيْتَنْ) بجاوا الشرقية.
المثال الثامن: تمثال الفلاح بمدينة Kolaka (كُوْلَكا) بسُوْلَوِيْسِي الجنوبية الشرقية.
بل قد تكون تماثيل للحيوانات، ومثال ذلك:
المثال التاسع: تمثال على صورة البطة في مدينة Amuntai (أمُوْنْتَاي) بكلِيْمَنْتَنْ الجنوبية، رأيته بنفسي أثناء زيارتي لهذه المدينة.
المثال العاشر: تمثال على هيئة أسماك في مدينة Samarinda (سَمَرِيْنْدَا) بكلِيْمَنْتَنْ الشرقية قرب إمارة المحافظة، وهذه الأسماك هي رمز للمدينة المذكورة[1].
المثال الحادي عشر: تمثال التمساح والسمك في مدينة Surabaya (سُوْرَبَيَا) بكجاوا الشرقية والتمساح مع السمك هي رمز للمدينة المذكورة.
المثال الثاني عشر: تمثال البقرة في مدينة Boyolali (بُوْيُوْلا َلِيْ) بجاوا الوسطى.
وبعض التماثيل جعلته إحدى الجامعات كرمز لها:
المثال الثالث عشر: تمثال Ganesha (جَنِيْسَا) -وهو إله العلم عند الهندوسيين[2]- قد جعلته Institut Teknologi Bandung (كلية تكنوليجيا بَنْدُوْنْج) رمزاً لها.
أما الاقتناء الشخصي؛ فلا يكاد أن يحصى، ما بين تماثيل لبشر أو لحيوان، وفي الغالب كان اقتناؤها في البيوت للزينة، وليست للعبادة.

(1) انظر: مجلة Ghoib (غيب)، العدد 23، السنة الثانية، تاريخ 7 رجب 1425 / 23 أغسطس 2004 (ص 21، 23).
(2) انظر: موقع http://id.wikipedia.org/wiki/ganesha.

المطلب الثالث: موقف الإسلام من هذه المظاهر

تمهيد:

مع أن النصوص الشرعية طافحة وكلام الأئمة واضح جلي في بيان تحريم ما ذكرت في المطلب السابق من نوع التماثيل، إلا أن صناعتها واقتناءها مما عمت به البلوى في حياة الناس وواقعهم بإندونيسيا، وكثير ممن ينتسبون إلى العلم يبدو تقصيرهم جلياً في بيان هذا الانحراف للناس، ولعل ما سأذكره فيما يلي يبصر الناس بحقيقة هذا الانحراف، ويبعث أهل العلم على إنكار هذه الظاهرة المنتشرة، والله ولي التوفيق.

حكم صناعة التماثيل[1]:

ذهب جماهير العلماء قاطبة[2] -بل نقل كثير من المالكية الإجماع[3]- إلى تحريم صناعة التماثيل المجسمة لذوات الأرواح مطلقاً -ما عدا لعب الأ طفال[4]- إذا صنعت من مادة تبقى وتدوم طويلا ً كالتي تصنع من مادة الحديد والخشب والحجر، ونحوها.

وقد دلت أدلة من الكتاب، والسنة، والواقع على ما ذهبوا إليه:

أما الأدلة من الكتاب:

فهي كما يلي:

1. قوله تعالى عن إبراهيم ؛: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ الأنبياء: 52-٥٤.

2. قوله تعالى: ﭽ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ الصافات: 95-٩٦.

3. قوله تعالى في قصة موسى ؛ وقومه: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ

(1) المباحث المذكورة في هذا المطلب مستفادة من أحكام التصوير في الفقه الإسلا مي بصفحاتها المختلفة.

(2) انظر: بدائع الصنائع (336/1-337)، وشرح فتح القدير (427/1-428)، والبناية شرح الهداية للعيني (546/2-550)، وانظر: عارضة الأحوذي (253/7)، والشرح الصغير للدردير (501/2)، والخرشي على مختصر الخليل (303/3)، وشرح منح الجليل (167/2)، وشرح صحيح مسلم (308/14، 320)، والمغني (202/10)، وانظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (101/12-107).

(3) انظر: شرح منح الجليل (167/2)، والخرشي على مختصر خليل (303/3)، و الشرح الصغير (501/2)، وعارضة الأحوذي (253/7).

(4) وأعني بها: لعب الأطفال التي كانت معروفة في العهد القديم، والتي تصنع من الخرق والرقاع، دون ما تصنعها المصانع المعاصرة من مادة البلاستيك ونحوه، بشكل يضاهي خلق الله تعالى؛ وذلك لما فيها من قوة الشابهة والمضاهاة لخلق الله تعالى، ولما في بعضها من إثارة الغرائز وكوامن الفطرة. انظر: أحكام التصوير في الفقه الإسلامي (ص 483).

ﭼ ﭽ ﭼالأعراف: 138-١٣٩.
والشاهد من الآيات الكريمات قوله: ﭽﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﭼ.
وقوله: ﭽﮮ ﮯ ﮰ ﯓ ﯔ ﭼ.
وقوله: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ.
ووجه ذلك: أن القرآن الكريم حقّر هذه التماثيل، وقلّل من شأنها، واستهان بها، وبصانعيها، وعابديها، وسفّه أحلامهم، وضلّل عقولهم وعقول آبائهم وأسلافهم الذين قلدوهم واقتدوا بصنيعهم[1]، كما أخبر سبحانه أن الذين يصنعون هذه التماثيل، ويعكفون عندها متبّرون، بمعنى هالكون، ومدمرون لا محالة[2]، وما ذلك إلا لشدة تحريم صناعتها واتخاذها.
ولا ريب أن التماثيل والصور تعد من أعظم طرق الشرك، ووسائله إلى عبادة غير الله سبحانه[3]، والإخلال بعقيدة التوحيد؛ ولذلك كان ضلال كثير من الأمم وشركهم بسبب التماثيل والصور[4]، بداية من ودّ، وسواع، ويغوث ، ويعوق، ونسر، والذين كانوا من صالحي قوم نوح ؛، فلما ماتوا صوروهم صوراً مجسمة، ليتذكروا عبادتهم، ويجتهدوا في العبادة، مثل اجتهاد أولئك[5]، فلما مضى عليهم الزمن وطال الأمد، زين لهم الشيطان عملهم، وأوحى إليهم: أن هؤلاء أرباب، فاعبدوهم، فعبدوهم[6].
ومروراً بقصة السامري مع قوم موسى ؛ حينما ﭽ ﮏ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ [طه: ٨٨]، حتى قالوا لما راجعهم هارون ؛: ﭽﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ[طه: ٩١].
وانتهاءً بالمشركين في عهد النبي ح حيث عبدوا التماثيل والأصنام، حتى وصل بهم الجهل والضلال -بسبب التماثيل- إلى أن أدخلوها داخل الكعبة المشرّفة وحولها، وعبدوها فيها[7].
وإذا كانت التماثيل تؤدي إلى الشرك فإنه لا يعقل أن دين الإسلام الحنيف يدعو إلى الشرك، أو أي وسيلة من وسائله، ولذلك كانت تلك التماثيل محرمة إجماعاً، كما نقل ذلك بعض العلماء[8] وأغفلوا ذكر ما يخالف

(1) انظر: تفسير البحر المحيط (299/6-ط. دار الكتب العلمية)، وتفسير ابن كثير (348/5، 26/7).
(2) انظر: تفسير البحر المحيط (377/4).
(3) انظر: فتح الباري (17/8)، وإغاثة اللّهفان (348/1).
(4) انظر: المصدرين السابقين، مع تفسير القرطبي (216/14، 261/21، 265).
(5) انظر: تفسير القرطبي (262/21)، وتفسير البحر المحيط (335/8-336-ط. دار الكتب العلمية).
(6) انظر: المصدرين السابقين، مع إغاثة اللّهفان (348/1-349).
(7) انظر: فتح الباري (17/8).
(8) انظر: شرح منح الجليل (167/2)، والخرشي على مختصر خليل (303/3)، و

ذلك جزماً ببطلانه.
ولا يقال: بأن هذا الإنكار الشديد والتشنيع والتوبيخ والتضليل إنما كان في أول الإسلام، فلما استقر الدين في نفوس الناس، وترسخت قواعده نسخ ذلك، إلا في حق من صنعها لنفس الغرض، أما من صنعها للتسلي أو التكسب أو نحو ذلك من الأغراض التي لا تمس جانب العقيدة الإسلامية الخالدة، فهذا لا بأس به.
ولا يقال ذلك لأن:
1. النصوص وردت مطلقة وعامة في تحريم تلك التماثيل، ولم تخص النهي عن ذلك بزمان دون زمان، ولا بمكان دون مكان، كما جاء تعليل النهي عن ذلك بأن فيها مضاهاة ومشابهة لخلق الله تعالى تارة، وبكونها تمنع من دخلو الملائكة تارة أخرى، وهذه العلل لا تخص بمكان ولا زمان[1].
كما أن من صنع تمثالا ً أو صورة لذوات الأرواح، فإنه بمجرد صنعه؛ فقد وقع في كبيرة من كبائر الذنوب[2]، وذلك فيما إذا لم يكن له نية أن يصنعها للعبادة من دون الله تعالى، حيث إن عمله هذا وسيلة من أعظم وسائل الشرك والضلال والمضاهاة والمشابهة لخلق الله جل وعلا، وقد ورد الوعيد على ذلك في أحاديث كثيرة كما سيأتي قريباً.
أما من كانت لديه نية مسبقة بأنه سيصنعها لأجل عبادتها من دون الله تعالى؛ فقد نص العلماء على كفره وخروجه من دين الإسلام، وأنه يكون مستحقاً لأشد العذاب والعقاب عند الله تعالى[3]، وفي هذا وأمثاله جاء قول رسولنا محمد ح: $إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون#[4].
2. إن النفس -بطبيعتها البشرية- تتأثر بالظروف والمؤثرات، وخصوصاً مع قلة العلم والعلماء، وغلبة الجهل، وتسلط الجهال بدينهم وعقيدتهم على مقاليد الأمور، فقد يلتبس الحق بالباطل، والمعروف بالمنكر.
فهؤلاء قوم نوح ؛ صوروا أولئك الصالحين ليتذكروا عبادتهم فيجتهدوا في العبادة مثلما اجتهد أولئك الصالحون، ثم آل بهم الأمر إلى

الشرح الصغير (501/2).
(1) وسأذكر هذه العلل بأدلتها قريباً إن شاء الله (ص 1043-1048).
(2) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (320/14)، وفتح الباري (384/10)، وانظر: فتاوى اللجنة الدائمة (454/1-463).
(3) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (319/14-320)، وفتح الباري (384/10)، ومرقاة المفاتيح (329/8).
(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة (382/10 رقم 5950 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان (1670/3 رقم 2109) من حديث ابن مسعود ط، واللفظ للبخاري.

عبادتهم من دون الله تعالى، والوقوع في أعظم معصية للخالق جل وعلا، وكذلك غيرهم من الأمم كما تقدم(1).

3. إن الواقع يشهد على أن الصور والتماثيل المنصوبة -في كثير من بلدان العالم- موضع تكريم وتعظيم، سيما إن كانت التماثيل والصور لمن لهم دور سياسي، أو ديني بارز، فمثل هذه الصور والتماثيل قد يحصل لها من الانحناء، والركوع، والسجود، والمخاطبة، ما لا يجوز فعله إلا لله رب العالمين(2).

4. ومما يؤيد ذلك: قصة الستر الذي كان في بيت عائشة ك وكان فيه صور من ذات الأرواح، فلما رآه النبي ح معلقاً غضب غضباً شديداً، وتناول الستر بيده الشريفة، فهتكه حتى قطعه، فأخذته عائشة وصنعت منه مخاداً(3)، فأقر النبي ح وجودها في البيت، وربما ارتفق على تلك المخاد، رغم بقاء الصور فيها.

فالظاهر من فعل النبي ح النهي عن الإبقاء على صور ذوات الروح متى كان وضعها مشعراً بتكريمها، المفضي إلى الغلو فيها، وتعظيمها من دون الله تعالى، كما كان الشأن في الستر المذكور، وإباحة ما كان منها بوضع مهان مبتذل، كما في حديث عائشة ك، والله أعلم.

وأما الأدلة من السنة المطهرة:

فهي كثيرة جداً، ومن ذلك:

أولاً: هدم الرسول ح التماثيل التي كانت في جوف الكعبة، وعلى ظهرها، ومن حولها، حيث تولى ح تكسير بعضها وهدمها بيده الشريفة(4).

وقد ورد ذلك في عدد من الأحاديث، أهمها ما يأتي:

أ. ما رواه ابن مسعود ط قال: $دخل النبي ح مكة، وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده، ويقول: "جاء الحق

---

(1) انظر: (ص 1039-1040)، وانظر أيضاً: إغاثة اللهفان (1/347-348)، وفتح المجيد (ص 269-271).

(2) انظر: المصدرين السابقين، وتعليق الشيخ أحمد شاكر على المسند (12/150-151)، والحلال والحرام في الإسلام للدكتور يوسف القرضاوي (ص 111-114)، وحكم التصوير في الإسلام للأمين الحاج محمد (ص 32-34) نقلاً عن أحكام التصوير (ص 156).

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب ما وطئ من التصاوير (10/386-387 رقم 5954 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه، وأن الملائكة لا يدخلون بيتا فيه صورة ولا كلب (3/1666 رقم 2107).

(4) انظر: فتح الباري (8/17)، وبذل المجهود للسهارنفوي (17/39)، ونيل الأوطار (5/175).

وزهق الباطل، جاء الحق وما يهدئ الباطل وما يعيد"#[1].

ب. عن أبي هياج الأسدي : قال: قال لي علي ط: $ألا أبعثك على ما بعثني عليه الرسول ح؛ أن لا تدع تمثالا ً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته#[2].

ج. عن جابر ط: $أن النبي ح أمر عمر بن الخطاب ط -زمن الفتح وهو بالبطحاء- أن يأتي الكعبة، فيمحو كل صورة فيها، ولم يدخلها النبي ح حتى محيت كل صورة فيها#[3].

ففي هذه الأحاديث الشريفة دليل على عِظَم جرم هذه التماثيل وشدة قبحها[4]، وأنها من أبطل الباطل، وأظلم الظلم[5]، حيث إنها من أعظم وأشد وسائل الشرك بالله رب العالمين[6]، فقد كانت هي السبب في كفر غالب الأ مم، وأكثرها[7].

ولذلك اشتد إنكار النبي ح فيها، حتى تولى هدمها وكسرها ونقضها بنفسه وبيده الشريفة، وأمر بلطخها، وحذر منها ومن صناعتها بالقول والفعل غاية التحذير[8].

ثانياً: وردت أحاديث كثيرة وصحيحة عن النبي ح تحذر من صناعة الصور واتخاذها وتبيّن عقوبة من يزاول ذلك العمل من صناعة التماثيل المجسدة وغيرها، إذا كانت من ذوات الأرواح، ومن هذه الأحاديث ما يلي:

1. قوله ح: $أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله #[9].
2. وفي رواية: $إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يشبهون

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ح الراية يوم الفتح (15-16/8 رقم 4287 -الفتح).

(2) مضى تخريجه (ص 1042).

(3) رواه أحمد في مسنده (449/22 رقم 14596)، وقال محققوا المسند: $إسناده صحيح على شرط مسلم#.

(4) انظر: إعلان النكير على المفتونين بالتصوير للشيخ حمود التويجري (ص 24).

(5) انظر: المرجع السابق (ص 26-27).

(6) انظر: فتح الباري (384/10-385)، وشرح الطيبي على مشكاة المصابيح (299/8)، والدر النضيد على أبواب التوحيد للشيخ سليمان الحمدان (ص 406).

(7) انظر: فتح الباري (17/8)، وإغاثة اللهفان (349/1).

(8) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (308/14)، وفتح الباري (16/8-17)، و المغني (200/10)، وإعلان النكير (ص 23).

(9) رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب ما وطئ من التصاوير (386/10-387 رقم 5954 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان ... (1668/3 رقم 2107) من حديث عائشة ك، واللفظ للبخاري.

بخلق الله#[1].

3. حديث أبي هريرة ط عن النبي ح عن ربه سبحانه وتعالى أنه قال: $ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا حبة، وليخلقوا ذرة#[2].

فهذه الأحاديث تدل على أن التصوير فيه مضاهاة لخلق الله، وتشبيه فعل المخلوق بفعل الخالق[3]، فمن صوّر شيئاً من ذوات الروح فقد وقع في المضاهاة المنهي عنها بمجرد انتهائه من صناعتها.

هذا إذا لم يقصد المصوّر بفعله مضاهاة خلق الله تعالى، ولم ينو ذلك من قبل، وإنما أراد بفعله ذلك: إما التكسب المادي، أو التسلي، أو غير ذلك من الأغراض التي لا يقصد من ورائها: الإبداع، وإظهار القدرة البشرية على أنها تشابه قدرة الخالق ا.

فهذا الصنيع المجرد عن قصد المضاهاة يعدّ محرماً، وكبيرة من كبائر الذنوب، ولكنه لا يبلغ بصاحبه إلى حد الكفر[4].

وفي هذا وأمثاله ورد قوله ح: $إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله#؛ فهو من أشد الناس عذاباً، نظراً لشدة الوعيد الوارد في المصورين، ولكن ليس أشد الناس عذاباً مطلقاً، بل هناك من هو أشد منه في العذاب[5].

وأما من صنع الصورة بقصد محاكاة فعل الخالق بفعله؛ فإنه يكون بهذا القصد كافراً، يستحق بسببه أن يكون أشد الناس عذاباً، كما يستحقه المشرك ونحوه[6].

وعلى هذا ونحوه يحمل قوله ح في الرواية الأخرى: $أشد الناس

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان (1667/3 رقم 2107) من حديث عائشة ك.

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب نقض الصور (385/10 رقم 5953 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان (1671/3 رقم 2111)، واللفظ للبخاري.

(3) انظر: حاشية ابن عابدين (650-647/1)، وشرح الطيبي على المشكاة (298/8)، ومغني المحتاج (327/3)، وفيض القدير (518/1)، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاريني (244/1). وانظر: فتح المجيد (ص 603-604)، و الموسوعة الفقهية الكويتية (105/12).

(4) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (320/14)، وفتح الباري (384/10)، ومرقاة المفاتيح (328/8)، وكشاف القناع (347/1)، والمجموع الثمين من فتاوى الشيخ ابن عثيمين (254/2).

(5) انظر: شرح الطيبي على المشكاة (299/8)، وشرح النووي على صحيح مسلم (319-320/14)، وفتح الباري (384/10).

(6) انظر: المصادر السابقة.

عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله#.
$ومما يؤيد هذا: أن الله تعالى قال شبيهاً بذلك في حق من ادعى أنه ين-زل مثل ما أنزل الله، وأنه لا أحد أظلم منه، فقال تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﭼالأنعام: ٩٣.
فهذا فيمن ادعى مساواة الخالق في أمره ووحيه، والأول: فيمن ادعى مساواته في خلقه، وكلاهما من أشد الناس عذاباً.
ومما يحقق هذا: ما تشير إليه رواية أبي هريرة ط أن الله تعالى يقول في الحديث القدسي: $ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي...#[1]، فإن $ذهب# بمعنى قصد، وبذلك فسرها الحافظ ابن حجر :[2]، فيكون معناها: أنه أظلم الناس بهذا القصد، وهو أن يقصد أن يخلق كخلق الله تعالى#[3].
وبعلة المضاهاة علّل كل من علماء الحنفية والشافعية[4] تحريمَهم للتصوير، وهو الظاهر من استدلالات قدماء بعض علماء الحنابلة[5]، وصريح كلام المعاصرين منهم[6].
3. قوله ح عن أصحاب الكنائس: $أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصورة#[7].
يقول الحافظ ابن رجب : في شرحه للحديث: $هذا الحديث يدل على تحريم بناء المساجد على قبور الصالحين ، وتصوير صورهم فيها كما يفعله النصارى ، ولا ريب أن كل واحد منهما محرم على انفراد ، فتصوير صور الآدميين محرم ، وبناء القبور على المساجد بانفراده محرم ... فإن اجتمع بناء المسجد على القبور ونحوها من آثار الصالحين مع تصوير صورهم فلا شك في تحريمه، سواء كانت صورا مجسدة كالأصنام أو على حائط ونحوه، كما يفعله النصارى في كنائسهم، والتصاوير التي في الكنيسة التي ذكرتها أم حبيبة وأم سلمة أنهما رأتاها بالحبشة كانت على الحيطان ونحوها، ولم يكن لها ظل، وكانت أم سلمة وأم حبيبة قد هاجرتا إلى

(1) سبق تخريجه قريباً في (ص 1043).
(2) في فتح الباري (386/10).
(3) الموسوعة الفقهية الكويتية (105/12)، وانظر: فتح المجيد (ص 603-604)، و القول المفيد على كتاب التوحيد (207/3-208).
(4) انظر: حاشية ابن عابدين (647/1-648، 650)، وشرح الطيبي على المشكاة (298/8)، وحاشية الباجوري (128/2)، ومغني المحتاج (327/3).
(5) انظر: غذاء الألباب (244/1).
(6) انظر: المجموع الثمين من فتاوى الشيخ ابن عثيمين (254/2)، وإعلان النكير (ص 27، 35).
(7) سبق تخريجه (ص 48).

الحبشة.

فتصوير الصور على مثل صور الأنبياء والصالحين؛ للتبرك بها والا ستشفاع بها محرم في دين الإسلام ، وهو من جنس عبادة الأوثان، وهو الذي أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن أهله شرار الخلق عند الله يوم القيامة. وتصوير الصور للتآنس برؤيتها أو للتنزه بذلك والتلهي محرم، وهو من الكبائر وفاعله من اشد الناس عذابا يوم القيامة، فإنه ظالم ممثل بأفعال الله التي لا يقدر على فعلها غيره ، والله تعالى ﭽ ﭡ ﭢ ﭣﭤﭼ [الشورى:11] لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله سبحانه وتعالى #[1].

فهذا الحديث يدل على أن صناعة صور ذوات الروح المحرمة واتخاذها فيه تشبّه بفعل من كانوا يصنعون الصور والتماثيل ويعبدونها من دون الله تعالى، سواء كان المصور قاصداً التشبه بأولئك أم لا، فمجرد صناعته للصورة، أو استعمالها على وجه محرم بنصب، أو تعليق، أو نحو ذلك؛ يكون حاله شبيهاً بحال المشركين ومقلديهم الذين كانوا يصنعون الصور، ويضعونها في معابدهم، أو بيوتهم تقديساً وتعظيماً لها[2].

والأصل في التشبه: أن أهل الشرك ومن نحا نحوهم من اليهود و النصارى الذين كانوا يصنعون الصور والتماثيل ليتخذوها واسطة بين الله وبين خلقه، أو لأجل أن تذكرهم بحال الأنبياء والصالحين -كما صنع قوم نوح ؛ وأهل الكتاب- ثم آل بهم الأمر إلى عبادتها من دون الله الواحد القهار[3].

فجاء النهي في ديننا الحنيف عن التشبه بالمشركين وبأفعالهم -ولو لم يقصد التشبه بهم-؛ سداً للذريعة التي قد توصل إلى ما وصل إليه حال أولئك[4]، فنهينا عن مشابهة أولئك في هذا الأمر. كما نهينا عن الصلاة عند طلوع الشمس، وعند غروبها؛ لئلا نكون بذلك الفعل متشبهين بمن كان يسجد لها من الكفار[5]، كما قال النبي ح:

---

(1) فتح الباري (202/3-204).
(2) انظر: بدائع الصنائع (336/1-337)، وشرح فتح القدير (427/1)، وحاشية ابن عابدين (648/1-649)، وأحكام القرآن لابن العربي (9/4)، وفتح الباري (391/10-392، 395)، وشرح النووي على صحيح مسلم (319/14-320)، ومغني المحتاج (327/3)، والمغني (200/10)، وإغاثة اللهفان (348/1).
(3) انظر: الآداب الشرعية (482/3 هامش رقم 1)، والموسوعة الفقهية الكويتية (106/12).
(4) انظر: الآداب الشرعية (482/3 هامش رقم 1).
(5) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (321/1)، والموسوعة الفقهية الكويتية (106/12).

$وحينئذ يسجد لها الكفار#[1].

وذلك لما في المشابهة من الموافقة بالأفعال الظاهرة، وما قد ينشأ عن ذلك من المحبة للمتشبه بهم في الباطن[2]، والله أعلم.

5. قوله ح: $إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة#[3].

دل هذا الحديث صراحة على كون صور ذوات الروح مانعة من دخول الملائكة إلى مكان وجودها، ولذلك ذهب إلى تعليل تحريم هذه الصور بهذه العلة جماهيرُ العلماء، بمن فيهم أصحاب المذاهب الأربعة[4].

ولكنه وقع خلاف: هل الملائكة تمتنع من الدخول جميعها إلى مكان الصور المذكورة؟ أو التي تمتنع هي ملائكة الرحمة دون باقي الملائكة من الحفظة وغيرهم؟[5]، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى: هل الصور المذكورة تكون مانعة من دخول الملائكة، أو أن امتناع دخول الملائكة يختص بالصور المحرمة، وهي ما سوى الممتهنة؟[6].

وأما أصل التعليل بكون الصور مانعة من دخول الملائكة فلم أقف -حسب اطلاعي- على خلاف في ذلك.

أما الملائكة التي تمتنع من الدخول؛ فالذي يظهر أن ذلك عام في جميع الملائكة؛ وذلك لعموم النصوص، وشمولها، ولا يقال: إنه يلزم على ذلك عدم مراقبة الشخص؛ لأنه يجوز أن يطلع الله تعالى على ما يفعله الإنسان ويخبر به ملائكته في حال عدم وجود الملائكة عنده.

وأما عن أنواع الصور المانعة من الدخول؛ فالظاهر أن التي تمنع من

---

(1) رواه مسلم مطولا ً في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب إسلام عمرو بن عبسة (571-596/1 رقم 294) من حديث عمرو بن عبسة السلمي ط.

(2) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (93/1).

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب التصاوير (380/10 رقم 5949 - الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان ... (1665/3 رقم 2106) من حديث أبي طلحة ط، واللفظ لمسلم.

(4) انظر: بدائع الصنائع (336/1)، وشرح فتح القدير (427/1-428)، والبناية (546-547/2)، وحاشية ابن عابدين (649/1)، وأحكام القرآن لابن العربي (10/4)، والتمهيد (301/1)، وانظر: شرح الطيبي على المشكاة (293/8، 296)، وفيض الإله المالك في حل ألفاظ عمدة السالك وعدة الناسك للسيد عمر بركات (201/2)، وفتح الباري (382/10)، والآداب الشرعية (481/3)، والفروع (353/1)، والقول المفيد على كتاب التوحيد (215/3).

(5) انظر: شرح الطيبي على المشكاة (294/8)، وشرح النووي على صحيح مسلم (310/14)، وفتح الباري (381/10)، وانظر: دليل الفالحين (523/4)، ونيل الأ وطار (625/1-626)، وغذاء الألباب (245/1).

(6) انظر: المصادر السابقة.

دخول الملائكة: إنما هي الصور المحرمة دون الممتهنة، أو الضرورية، وذلك لأن تلك الصور الممتهنة قد وجدت في بيت النبي ح في المخاد، والفرش ونحوهما من كل ممتهن، ولو كانت مانعة لدخول الملائكة لما أقرها صاحب الشريعة في بيته ح، وهو أعظم الناس تقىً وطهراً، وحينما كانت محرمة برفعها وتعليقها على ستر عائشة ك أنكر ذلك أشد الإنكار بقوله، وفعله، وأخبر أن أصحابها يعذبون، وأنها تمنع دخول الملائكة، والله أعلم.

6. عن سعيد بن أبي الحسن قال: $كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ م، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا ابن عَبّاسٍ إِنِّي إِنْسَانٌ إِنَّمَا مَعِيشَتِي مِنْ صَنْعَةِ يَدِي وَإِنِّي أَصْنَعُ هَذِهِ التَّصَاوِيرَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا أُحَدِّثُكَ إِلَّا مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ح يَقُولُ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: $مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فَإِنّ اللهَ مُعَذِّبُهُ حَتّى يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ فِيهَا أَبَدًا# فَرَبَا الرّجُلُ رَبْوَةً شَدِيدَةً وَاصْفَرّ وَجْهُهُ[1] فَقَالَ: وَيْحَكَ، إِنْ أَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تَصْنَعَ فَعَلَيْكَ بِهَذَا الشّجَرِ كُلّ شَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ رُوحٌ#[2].

فهذا الوعيد الشديد من المصطفى ح للمصورين يشمل حتى من ليس لهم غرض من تصويره إلا التكسب، وهذا ما فهمه حبر الأمة م، وهو من أعلم الناس بمعاني أحاديث الرسول ح ومقاصدها. اتخاذ وصناعة الصور مهنة للتكسب والمصلحة المادية كثير -وللأسف- في المدن والقرى في شتى بقاع العالم، وقد ضربت أمثلة لذلك في إندونيسيا في المطلب الثاني.

وكذلك الذي دفع هذا السائل لابن عباس م لصناعة الصور هو قصد التكسب المادي، كما هو مصرح في كلام السائل نفسه، إلا أنه كان يجهل الحكم الشرعي في ذلك، ولذلك لما أخبره ابن عباس م بالتحريم كاد أن يموت خوفاً، وربا ربوة شديدة، خشية من الله، بخلاف ما عليه أهل زماننا اليوم، إلا من شاء الله ورحم.

ثم إن ابن عباس م قد ذكر له بديلا ً ولمن لم يكن لديه مهارة إلا صناعة التماثيل، وذلك بصناعة ما لا محذور فيه من التماثيل، بقوله م: $إِنْ أَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تَصْنَعَ فَعَلَيْكَ بِهَذَا الشّجَرِ كُلّ شَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ رُوحٌ#.

لذا، فقد ذهب جماهير العلماء إلى جواز صناعة صور وتماثيل المصنوعات البشرية؛ كالطائرات، والسيارات، والسفن البحرية، وجميع الآلات

(1) أي: فزع الرجل من نقل ابن عباس الحديث وصار يتنفس الصعداء واصفر وجهه. انظر: مرقاة المفاتيح (337/8).

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب بيع التصاوير التي ليس فيها روح وما يكره من ذلك (416/4 رقم 2225 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان (1670/3-1671 رقم 2110)، واللفظ للبخاري.

الميكانيكية بشتى أنواعها، وكذلك بنيان الدور، والمصانع ونحوها[1]، كما ذهبوا -أيضاً- إلى جواز صناعة صور المخلوقات الكونية، وهي كل ما كان باقياً على هيئته وخلقته التي خلقه الله عليها من المخلوقات الجامدة، و التي لا يمكن أن يكون ليد المخلوق فيه أي تعديل، أو تغيير أو صناعة، وذلك مثل صورة الشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والبحار، والأنهار، والأ ودية ونحو ذلك[2]، كما أجازوا كذلك صناعة صور غير ذوات الأرواح من الأ جسام النامية؛ كالأشجار، والزروع، وسائر النباتات مثمرة أو غير مثمرة[3].

فالمجالات المباحة شرعاً للتصوير كثيرة ولله الحمد، فالعاقل لا يخاطر بنفسه ولا يعرّضها لعقوبة الله لأ بصناعة ما حرمه سبحانه.

وأما الدليل من الواقع على تحريم صناعة التماثيل والصور:

فإن غالب كفر الأمم وضلالهم كان بسبب التماثيل المصورة كما سبق[4]، قال الحافظ ابن حجر : تعقيباً على قوله ح: $أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصورة#[5] قال :: $إنما فعل ذلك أوائلهم، ليتأنسوا برؤية تلك الصور، ويتذكروا أحوالهم الصالحة، فيجتهدوا كاجتهادهم، ثم خلف من بعدهم خلوف جهلوا مرادهم، ووسوس لهم الشيطان: إن أسلافكم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها، فعبدوها. فحذر النبي ح عن مثل ذلك، سداً للذريعة المؤدية إلى ذلك#[6].

ولا يقال بأن الذين وقعوا في فتنة التماثيل إنما وقعوا فيها لأنهم

---

(1) انظر: شرح معاني الآثار (287/4)، وحاشية ابن عابدين (649/1)، والتمهيد (200/21)، والاستذكار (181-179/27)، وبهجة النفوس (223/2، 252/4)، وفتح الباري (394/10)، والآداب الشرعية (482/3)، والإنصاف (474/1).

(2) انظر: شرح معاني الآثار (287-286/4)، وحاشية ابن عابدين (649/1)، والشرح الصغير (501/2)، مرقاة المفاتيح (323/8، 329، 334)، وشرح النووي على صحيح مسلم (308/14)، والإنصاف (474/1)، والآداب الشرعية (482/3)، وكتاب الفقه على المذاهب الأربعة للجزري (40/2)، وفتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (189-188/1)، والمجموع الثمين من فتاوى الشيخ ابن عثيمين (253/2)، والفوائد المنتقاة من كتاب التوحيد للشيخ ابن عثيمين، لإسماعيل الرميح (ص 74-75)، والحلال والحرام في الإسلام (ص 113).

(3) انظر: بدائع الصنائع (337/1)، وحاشية ابن عابدين (649/1)، والتمهيد (201/21)، والأم (452/7 -تحقيق رفعت فوزي)، وشرح النووي على صحيح مسلم (308/14)، والإنصاف (474/1)، والمغني (199/10)، وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (370/029)، والحلال والحرام في الإسلام (ص 113).

(4) انظر (ص 1040-1039).

(5) سبق تخريجه (ص 48).

(6) فتح الباري (525/1)، وانظر: (17/8) من نفس المصدر، وتفسير القرطبي (216/14).

كانوا يصنعون التماثيل والصور لأجل عبادتها وتعظيمها من أول وهلة، أما إذا صنعت لغرض التسلي أو التكسب أو غير ذلك مما لا يمس جانب التوحيد فلا بأس - لا يقال هذا؛ لأن هؤلاء الذين كانوا يصنعون هذه التماثيل والصور لم يكن غرضُهم من صناعتها عبادتَها وتعظيمها، بل كان الهدف الأول من صناعتها: إما التذكر لعبادتهم واجتهادهم ليقتدوا بهم، أو الا ستئناس بهم، ولكن لما طال عليهم الأمد، وتعاقبت الأيام، عبدها من جاء بعدهم، فآل الأمر بهم إلى عبادتها.

ثم وإن سلمنا السلامة من هذا، فإن مفسدة المضاهاة والمشابهة لخلق اللّه تعالى ومنازعة خصائص الألوهية حاصلة[1] وكفى بها مفسدة لتحريم ذلك.

فيتأكد بما سبق أن ما من أمة من الأمم على اختلاف مللها، إلا كان ضلال كثير منهم بسبب الصور والتماثيل، وذلك لأن الجاهلية ومعتقداتها قديمة، وهي باقية إلى يوم القيامة؛ لأنها تمثل الباطل الذي يقابل الحق، وهما في صراع دائم إلى يوم القيامة، ولذلك نجد في عصرنا الراهن أن بعض الشعوب المتقدمة صناعياً وحضارياً لا زالت غارقة في عبادة الأصنام، أو عبادة البقر، أو عبادة الشمس من دون اللّه تعالى، رغم العلم والصناعة التي وصلوا إليها، ولا شك أن الفتنة بالتماثيل أشد وأعظم وأطم، واللّه أعلم.

يقول الإمام ابن دقيق العيد :: $وقد تظاهرت دلائل الشريعة على المنع من التصوير والصور. ولقد أبعد غاية البعد من قال: إن ذلك محمول على الكراهة، وإن هذا التشديد كان في ذلك الزمان لقرب عهد الناس بعبادة الأوثان وهذا الزمان - حيث انتشر الإسلام وتمهدت قواعده - لا يساويه في هذا المعنى فلا يساويه في هذا التشديد - هذا أو معناه -. وهذا القول عندنا باطل قطعا ً؛ لأنه قد ورد في الأحاديث: الإخبار عن أمر الآخرة بعذاب المصورين وأنهم يقال لهم: "أحيوا ما خلقتم"، وهذه علة مخالفة لما قاله هذا القائل، وقد صرح بذلك في قوله عليه السلام: "المشبهون بخلق اللّه"، وهذه علة عامة مستقلة مناسبة لا تخص زمانا ً دون زمان، وليس لنا أن نصرف في النصوص المتظاهرة المتضافرة بمعنى خيالي يمكن أن يكون هو المراد، مع اقتضاء اللفظ التعليل بغيره وهو التشبه بخلق اللّه#[2].

حكم اقتناء التماثيل واستخدامها:

استخدام صور ذوات الروح لتزيين الأماكن العامة إن كان بالصور المجسمة من ذوات الظل فقد اتفق العلماء على تحريمها وتحريم اتخاذها[3]

(1) انظر: إعلان النكير (ص 27)، والقول المفيد على كتاب التوحيد (203/3).
(2) إحكام الأحكام (ص 373-374 -ط. مكتبة السنة).
(3) انظر: حاشية ابن عابدين (647/1-648)، والاستذكار (175/27-177)، وشرح

، وفي مقدمة هؤلاء العلماء الأئمة الأربعة[1].
بل إن بعض المالكية قد نقل الإجماع على تحريم هذا النوع من الصور، وتحريم اتخاذه مطلقاً[2].
1. وذلك للآيات والأحاديث التي وردت بالوعيد الشديد والإنكار الأكيد على المصورين لهذا النوع من الصور، والمتخذين لها، والتي تقدمت في بيان حكم صناعة التماثيل[3].
2. ولما في ذلك الصنيع من قوة التشبه بعباد الصور والأصنام، والغلو فيها من دون الله تعالى والدعوة إلى الوثنية مرة أخرى بذلك الفعل[4].
3. ولما يقع بسبب ذلك الصنيع من حرمان دخول الملائكة البيوت واستغفارهم لأهل هذه الأماكن، ودعائهم لهم[5].
أما استخدام التماثيل المجسمة للزينة في البيوت؛ فهذا حرام كذلك، خصوصاً إذا كانت تلك التماثيل كاملة الأعضاء، ومعدة للزينة، فإنها محرمة إجماعاً، كما ذكر ذلك طائفة من علماء المالكية[6].
ويدل على تحريم استخدام هذه التماثيل لتزيين البيوت ونحوها ما يلي:
1. عموم الأدلة الدالة على تحريم اتخاذ الصور، ويدخل المجسم منها في التحريم دخولا ً أولياً. ومن تلك الأدلة: ما رواه أبو هريرة ط قال: قال رسول الله ح: $أَتانِي جِبْرِيلُ ؛ فَقالَ لِي: أَتيتُكَ البَارِحَةَ فَلَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَكُونَ دَخَلْتُ إِلَّا أَنَّهُ كانَ عَلَى البَابِ تمَاثِيلُ، وَكانَ فِي البَيْتِ قِرَامُ سِتْرٍ فِيهِ تمَاثِيلُ، وَكانَ فِي البَيْتِ كَلْبٌ، فَمُرْ بِرَأْسِ التِّمْثَالِ الذِي فِي البَيْتِ يُقطعُ فَيَصِيرُ كهَيْئَةِ الشَّجَرَةِ، وَمُرْ بِالسِّتْرِ فَلْيُقْطَعْ فَلْيُجْعَلْ مِنْهُ وِسَادَتَيْنِ مَنْبُوذَتَيْنِ تُوطَآنِ، وَمُرْ

النووي على صحيح مسلم (308/14).
(1) انظر: المصادر السابقة، مع الخرشي على مختصر خليل (303/3)، والشرح الصغير (501/2)، وشرح منح الجليل (167/2)، ومغني المحتاج (327/3)، و الفروع (353/1).
(2) انظر: شرح منح الجليل على مختصر خليل (167/2)، والخرشي على مختصر خليل (303/3)، والشرح الصغير (501/2).
(3) انظر: (ص 1038 وما بعدها).
(4) انظر: بدائع الصنائع (336/1)، وشرح فتح القدير (427/1)، وانظر: سد الذرائع في الشريعة الإسلامية لمحمد هشام البرهاني (ص 776) نقلا ً عن أحكام التصوير (ص 488).
(5) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (309/14-310)، والمجموع الثمين من فتاوى الشيخ ابن عثيمين (249/2).
(6) انظر: عارضة الأحوذي (253/7)، وشرح منح الجليل (167/2)، والخرشي على مختصر خليل (303/3)، وانظر: الشرح الصغير (501/2).

بِالْكَلْبِ فَلْيُخْرَجْ، فَفَعَلَ رَسُولُ اللهِ ح#[1].

وأمر النبي ح لعلي بن أبي طالب ط: ألا يدع تمثالاً إلا طمسه[2].

فإن الحديث الأول ينص على وجوب قطع رأس التمثال حتى يصبح شبيهاً بالجمادات، كما يدل أيضاً على تحريم اتخاذها، وإبقائها في البيت، ونحوه بدون قطع الرأس والإطاحة به[3]، لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده[4].

والحديث الثاني يدل على وجوب طمس كل صورة وإزالتها، سواء كانت من ذوات الظل، أو من غيرها[5].

ولذلك جاءت النصوص بالنهي عن ذلك تارة بلفظ $تمثال#، وتارة بلفظ $صورة# كما في حديث جابر ط: $نَهَى رَسُولُ اللهِ ح عَنْ الصُّورَةِ فِي الْبَيْتِ وَنَهَى أَنْ يُصْنَعَ ذَلِكَ#[6]، فإنه -وإن كان أحد اللفظين يطلق على الآخر- ولكن هذا التنويع في الألفاظ يدل -فيما يظهر- على تأكيد التعميم في النهي عن المجسم من الصور وغير المجسم.

2. إن تزيين الأماكن والمجالس بتماثيل ذوات الروح من أعمال الجاهلية ومظاهر الوثنية، ومن فعل ذلك فقد وقع في التشبه بأهل الجاهلية الأولى، وأضرابهم من اليهود، والنصارى، الذين يملؤون بيتوتهم بالصور تعظيماً وتقديساً لها[7].

3. إن وضع هذه التماثيل ونصبها في البيوت ونحوها من أعظم الوسائل والطرق المفضية إلى الشرك، كما حصل ذلك لقوم نوح ؛، وقد جاءت

---

(1) رواه أبو داود في سننه، كتاب اللباس، باب في الصور (249/4 رقم 4158)، وقال الترمذي في سننه (ص 628 رقم 2806): $حسن صحيح#، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على مسند الإمام أحمد (192-191/15 رقم 8032)، وصححه الشيخ الألباني في آداب الزفاف (ص 196 -الحاشية)، وأصل الحديث عند مسلم في صحيحه، كتاب اللباس، باب تحريم صورة الحيوان (1664/3 رقم 2104).

(2) تقدم تخريجه (ص 998).

(3) انظر: السلسلة الصحيحة (554/4 رقم 1921)، وإعلان النكير (ص 18).

(4) انظر: مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول للشريف التلمساني (ص 34-35)، والتمهيد في تخريج الفروع على الأصول للأسنوي (ص 94-98)، وشرح الكوكب المنير (51/3-52).

(5) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (308/14)، ونيل الأوطار (623/1)، و السلسلة الصحيحة (554/4 رقم 1921)، وإعلان النكير (ص 18).

(6) رواه الترمذي في سننه، كتاب اللباس عن رسول الله ح، باب ما جاء في الصورة (ص 406 رقم 1749)، وقال: $حسن صحيح#، ووافقه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (784/1 رقم 424).

(7) انظر: إغاثة اللهفان (943/2، 991، 1045).

الشريعة الإسلامية بسد كل أنواع الوسائل

والطرق المفضية إلى الشرك والمعاصي[1]،فيجب طمسها ومحاربتها بشتى أنواع الوسائل[2].

4. إن هذا العمل يعد من الترف والإسراف المحرم[3]، وقد نهى الله سبحانه عن الإسراف بقوله: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼالأعراف: ٣١.

كما أن في هذا العمل إضاعةً للمال، وقد نهى النبي ح عن إضاعة المال ؛ حيث قال: $إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال#[4]

والإنسان مسؤول عن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه.

فعن أبي برزة الأسلمي ط قال: قال رسول الله ح: $لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ#[5].

فإنفاق المال في التصوير والصور مما لا ضرورة إليه، ولا مصلحة تترتب عليه؛ بل فيه إسراف، وتبذير، وإن كان قليلا ً؛ لأنه إنفاق في غير محله، فأيما درهم أُنفِق في غير محله فهو إسراف ومجاوزة لحد الإنفاق المباح[6]، فكما أن التقتير تضييق ونقص في الإنفاق، فالإسراف زيادة ومجاوزة للحد في الإنفاق، وكلاهما منهي عنه بقوله تعالى: ﭽ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﭼ الفرقان: ٦٧، وقوله تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ

(1) انظر: إغاثة اللهفان (943/2، 1045)، وفتح الباري (525/1)، ومجموع فتاوى الشيخ ابن باز (224/4)، والمجموع الثمين من فتاوى الشيخ ابن عثيمين (249/2)، وانظر: سد الذرائع (ص 201، 411 فما بعدها) نقلا ً عن أحكام التصوير (ص 450).

(2) انظر: بدائع الصنائع (336/1-337)، وشرح فتح القدير (428/1)، ومغني المحتاج (327/3)، والمغني (200/10)، وانظر: سد الذرائع (ص 776) نقلا ً عن أحكام التصوير (ص 450)..

(3) انظر: الحلال والحرام في الإسلام (ص 113)، وفتاوى إسلامية (358/4).

(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﭽﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ [البقرة: ٢٧٣] (340/3 رقم 1477 -الفتح)، ومسلم في صحيحه بروايات متعددة، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة (1340/3-1341 رقم 1715)، واللفظ للبخاري.

(5) رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، باب في القيامة (ص 544 رقم 2417)، وقال الترمذي: $حسن صحيح#، ومن حديث أبي برزة ط، وقال عنه: حسن صحيح. وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (572/2 رقم 2417).

(6) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص 407)، وتفسير البحر المحيط (240/4، 27/6- ط. دار الكتب العلمية)، وتفسير القرطبي (71/9).

ﯷ ﭼ الأنعام: ١٤١، وقوله تعالى: ﭽ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﭼ الإسراء: 26-٢٧، وفي الحديث عن النبي ح: $إن الله كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال#[1]، إلى غير ذلك من النصوص التي لم تذكر هنا.

والإسراف قد يكون في كمية الإنفاق، وقد يكون في كيفيته[2] و التصرف فيه، وعلى ذلك: فإنفاق يسير المال في غير وجه مشروع يعد إسرافاً وتبذيراً منهياً عنه، ولو كان قليلا ً، كما أن إنفاق كثير المال في طاعة الله لا يعد إسرافاً في حق من يليق بحاله وماله، ولا يترتب عليه ضرر ، أو تفويت أمر أهم منه[3]، وصرف المال في صناعة الصور واستخدامها فيما ليس بضرورة، ولا تترتب عليه مصلحة يعد من صرف المال وإنفاقه في الوجوه غير المشروعة.

فدل كل واحد من هذه الأدلة بمفردها على تحريم اتخاذ التماثيل المذكورة للزينة في البيوت وغيرها، فكيف بها إذا اجتمعت على دلالة واحدة ؟

ومما يلحق بهذه التماثيل: الأجسام الحيوانية المحنطة، فإن تعليق هذه الأجسام في البيوت لغرض الزينة -وإن لم تكن في الحقيقة تصويراً، وليس فيه محاكاة ومضاهاة لخلق الله تعالى- محرم؛ لما يلي من الحجج:

1. إن هذا العمل يفضي إلى تعليق الصور والتماثيل المحرمة، تأسياً وتشبهاً بمن يعلق تلك المحنطات من الحيوانات والطيور والحشرات، وما أفضى إلى المحرم فهو محرم تحريم الوسائل[4].
2. إن هذا الصنيع ضرب من العبث وإضاعة المال والإسراف المحرم، وقد ورد النهي في الشريعة الغراء عن العبث والإسراف في المال[5].
3. إن تعليق بعض المحنطات يكون وسيلة إلى التعلق بها، ظناً من بعض الجهلة أن ذلك المحنط يدفع البلاء والضرر عن البيت وأهله، فيجب المنع من ذلك سداً للذريعة، وبعداً عن الوقوع في الأسباب المؤدية إلى المحرم[6]، والله أعلم.

---

(1) سبق تخريجه قريباً.
(2) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص 407، 113-114)، وانظر: تفسير البحر المحيط (240/4-ط. دار الكتب العلمية)، ومعجم لغة الفقهاء للدكتور محمد رواس قلعه جي والدكتور حامد صادق قنيبي (ص 67).
(3) انظر: المصادر السابقة مع فتح الباري (253/10).
(4) انظر: قواعد الأحكام (173/1)، وفتاوى إسلامية (358/4).
(5) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (493/1-494).
(6) انظر: المصدر السابق، وفتاوى إسلامية (358/4)، والشريعة الإسلامية والفنون لأحمد مصطفى علي القضاة (ص 115).

بهذه المسألة أكون قد انتهيت -ولله الحمد والمنة- من عرض جميع مباحث هذه الرسالة، ويجدر بنا في هذا المقام إيراد مسألتين مهمتين لهما صلة قوية بجميع مباحث الرسالة:

مسألتان مهمتان:

الأولى: التفريق بين التكفير المطلق وتكفير المعين وذكر ضوابط تكفير المعين بإيجاز.

الثانية: ذكر أمثلة عملية للحكمة في الدعوة إلى الله، تفيد -بإذن الله تعالى- الدعاة في دعوتهم إلى توحيد الله ومحاربة الشرك.

- **المسألة الأولى: التفريق بين التكفير المطلق وتكفير المعين وذكر ضوابط تكفير المعين.**

لقد مر معنا في ثنايا هذه الرسالة ذكر أقوال وأفعال تبيّن لنا -من خلا ل عرض النصوص الشرعية وكلام الأئمة- أنها أمور شركية وكفرية، وقد تكون تلك الأقوال والأفعال مما وقع فيها كثير من المسلمين، فهل وصفها بـ الشرك أو الكفر يقتضي تكفير هؤلاء الواقعين فيها والحكم عليهم بكونهم مشركين؟

الجواب: ليس الأمر كذلك؛ لأن الحكم على الفعل بكونه شركا أو كفراً شيء، والحكم على فاعله بالكفر شيء آخر. وهذا التفريق مبناه على ما تقرر عند أهل السنة في التفريق بين التكفير المطلق وتكفير المعين.

أقسام الكفر باعتبار الإطلاق والتعيين[1]:

ينقسم الكفر في اصطلاح العلماء من أهل السنة باعتبار إطلاقه وتنزيله على المعيّنين إلى قسمين: مطلق، ومعيّن.

القسم الأوّل: التكفير المطلق:

وهو: تعليق الكفر على وصف عام لا يختص بفرد معيّن.

وله مرتبتان[2]:

المرتبة الأولى: تعليقه على وصف أعمّ من قول، أو فعل، أو اعتقاد، كأن يقال: مَن قال كذا كفر، ومَن فعل كذا كفر، ومَن اعتقد كذا كفر، ودليل هذه المرتبة قول الله تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ المائدة: 17 و 72.

وقوله تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ المائدة: 73.

وقوله تعالى: ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉﭼ النساء: 150-١٥١.

المرتبة الثّانية: تعليقه على وصف أخصّ، كطائفة أو فرقة، أو جماعة

---

(1) هذا المبحث منقول من كتاب شيخنا أ. د. إبراهيم بن عامر الرحيلي $التكفير وضوابطه# (ص 115-117).

(2) انظر: الإحياء (108/3).

مخصوصة كأن يقال: اليهود كفار، النصارى كفار، الرافضة كفار، الجهمية كفار.

ودليلها قول الله تعالى: ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭼالبقرة: ١٠٢.

وقوله تعالى: ﭽﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄﰅ ﭼالصف: ١٤.

وقوله تعالى: ﭽﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼهود: ٦٨.

القسم الثّاني: تكفير المعيّن:

وهو تنْزيل الحكم على شخص معين، كأن يقال: كفر فلان ويسميه[1].

ودليله قول الله تعالى: ﭽﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼالبقرة: ٣٤.

وقوله عزّ وجل: ﭽﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒﮓ ﭼالتحريم: ١٠.

وقد دلت أقوال أهل العلم على هذا التقسيم والتفريق بين التكفير المطلق وتكفير المعيّن.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :: $إن التكفير المطلق مثل الوعيد المطلق، لا يستلزم تكفير الشخص المعيّن حتى تقوم الحجّة التي يكفّر تاركها#[2].

ويقول -أيضاً-: $والتحقيق في هذا أن القول قد يكون كفراً كمقالات الجهمية الذين قالوا: إن الله لا يتكلم، ولا يرى في الآخرة، ولكن قد يخفى على بعض الناس أنه كفر، فَيُطْلَق القول بتكفير القائل، كما قال السلف؛ مَن قال: القرآن مخلوق فهو كافر، ومَن قال: إن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر، ولا يُكفّر الشخص المعيّن حتى تقوم عليه الحجّة#[3].

ويقول الشيخ محمّد بن عبد الوهّاب :: $ومسألة تكفير المعيّن مسألة معروفة؛ إذا قال قولا ً يكون القول به كفراً، فيقال: مَن قال بهذا القول فهو كافر، ولكن الشخص المعيّن إذا قال ذلك، لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجّة التي يكفر تاركها#[4].

والمقصود هو تفريق العلماء بين التكفير المطلق وتكفير المعيّن، وأن هذا التقسيم صحيح معتبر عند المحققين من أهل السنة.

بيان أنّ التّكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعيّن[5]:

كل ما ذكرته في ثنايا البحث من وصف الأقوال والأعمال والاعتقادات بالشرك أو الكفر إنما هو كلّه من باب التّكفير المطلق الذي هو في حقيقته وصف لقولٍ أو فعلٍ أو اعتقادٍ بأنّه كفر.

وأما مَن قام به عمل مكفّر من الأفراد المعيّنين فهذا لا يستلزم تكفيره

(1) انظر: الإحياء (108/3).
(2) الاستقامة (164/1).
(3) مجموع الفتاوى (619/7).
(4) الدرر السنية (244/8 -ط. دار الإفتاء).
(5) نقلا ً عن $التكفير وضوابطه# (ص 253-261) باختصار.

عيناً، بل لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحُجَّة.

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسّنة على هذه المسألة، وأنّ الله تعالى لا يعذّب أحداً من خلقه ممن لقي الله بكفر أو ذنب حتى تقوم عليه الحجّة التي بها يستحق العذاب. فمن ذلك قول الله تعالى: ﭼ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﭼ الإسراء: ١٥.

قال قتادة : في تفسير هذه الآية: $إنّ الله تبارك وتعالى ليس يعذّب أحداً حتّى يسبق إليه من الله خبرٌ، أو يأتيه من الله بيّنة وليس معذّباً أحداً إ لا ّ بذنبه#[1].

وقال الطّبري :: $يقول تعالى ذكرُه: وما كنا مهلكي قوم إلا ّ بعد الإ عذار إليهم بالرّسل، وإقامة الحجّة عليهم بالآيات التي تقطع عذرهم#[2].

وقال ابن كثير :: $إخبار عن عدله تعالى، وأنّه لا يعذّب أحداً إلا ّ بعد قيام الحجّة عليه بإرسال الرّسول إليه#[3].

فهذه الآية تدل على: $أنّ الله لا يعذّب أحداً إلا ّ بعد إبلاغ الرّسالة، فمَن لم تبلغه جملةً لم يعذّبه رأساً، ومَن بلغته جملةً دون بعض التفصيل لم يعذّبه إلا ّ على إنكار ما قامت عليه الحجّة الرسالية#[4]. ذكره شيخ الإس لام ابن تيمية :، وبنحوه قال الشيخ محمّد الأمين الشنقيطي :[5].

وأما السّنة فقد دلّت كذلك على عدم استحقاق العذاب إلا ّ بعد قيام الحجّة:

لما أخرجه مسلم في $صحيحه# من حديث أبي هريرة ط عن النبي ح أنّه قال: $والذي نفس محمّد بيده لا يسمع بِي أحدٌ من هذه الأمّة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلتُ به إلا ّ كان من أصحاب النّار#[6].

قال النووي :: $ففيه نسخ الملل كلها برسالة نبيّنا ح، وفي مفهومه دلا لة على أنّ مَن لم تبلغه دعوة الإسلام فهو معذور، وهذا جارٍ على ما تقدم في الأصول أنّه لا حكم قبل ورود الشّرع على الصّحيح#[7].

فتقرّر بهذا أنّه ليس كلّ مَن قام به الكفر المطلق من بعض المعيّنين أنّه يستوجب الكفر ويستحق العقوبة حتّى تقوم عليه الحجّة بذلك.

(1) أخرجه الطّبري في تفسيره (526/14).
(2) نفس المصدر (526/14).
(3) تفسير ابن كثير (52/5).
(4) مجموع الفتاوى (493/12).
(5) انظر: أضواء البيان (560/3).
(6) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ح (134/1 رقم 152).
(7) شرح النووي على مسلم (365/2).

ومن الشّواهد العملية المقرّرة لهذا الأصل من السّنة: عذر النّبي ح لبعض المعيّنين فيما صدر منهم من أعمال مكفّرة بحضوره، فلم يكفّرهم وإنما عذرهم إما لتأولهم وإما لجهلهم.

من ذلك ما رواه عبد الله بن أبي أوفى ط، قال: $لما قدم معاذ من الشّام سجد للنبي ح، فقال: ما هذا يا معاذ؟! قال: أتيتُ الشّام فوافيتُهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم، فوددتُ في نفسي أن نفعل ذلك بك. فقال رسول الله ح: فلا تفعلوا، فإنّي لو كنتُ آمراً أحداً أن يسجدَ لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها...#[1].

ومن ذلك -أيضاً- ما رواه البخاري عن الرُّبيّع بنت مُعَوّذ[2]، قالت: $جاء النّبي ح يدخل حين بُنِيَ عَلَيّ فجلس على فراشي كمجلسك مني، فجعلت جويريات لنا يضربن بالدّفّ، ويندُبْن من قتل من آبائي يوم بدر، إذ قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال: دعي هذه، وقولي بالذي كنتُ تقولين#[3].

ففي هاذين الحديثين عَذَرَ النّبيّ ح معاذاً والجاريةَ على ما بدر منهما، فقد سجد معاذٌ ط لرسول الله ح، والسجود لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة[4]. لكن لما صدر هذا الفعل من معاذ عن تأويل تأوّله إذ ظنّ أنّ السجود من باب التّحيّة والتعظيم الذي يجوز صرفه للمخلوقين لم يكفّره النّبي ح، بل ولم يؤثّمه، وإنما اكتفى بنهيه عن ذلك، وبيّن له أنّ السجود لا يكون إلاّ لله.

وكذلك الجارية لما ادعت في النّبي ح أنّه يعلم الغيب لم يكفّرها بذلك، لجهلها واكتفى بنهيها مع أنّ دعوى علم الغيب لغير الله كفر[5].

فدلّ هذا على أنّ المعيّن لا يكفّر بمجرد فعله الكفر، إلاّ بعد أن تتحقق فيه شروط التّكفير وتنتفي موانعه، كما هو ظاهر من معاملة النّبي ح للمخطئين.

وقد جاءت أقوال العلماء كذلك مقرّرة أنّ المعيّن لا يكفّر إلاّ بعد قيام الحجّة، وأنّ التّكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعيّن حتّى تتحقق فيه

(1) سبق تخريجه (ص 711-712).
(2) هي: الرُّبَيّع بنت معوّذ بن عفراء الأنصارية النجارية، من صغار الصحابيات. انظر: التقريب (رقم 8583).
(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب ضرب الدف في النكاح والوليمة (200/9 رقم 5147).
(4) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (74/1)، وانظر مبحث السجود (ص 702 وما بعدها).
(5) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (259/2)، وانظر كذلك مبحث الكهانة (ص 811 وما بعدها).

شروط التّكفير وتنتفي فيه موانعه.

يقول الإمام الشافعي :: $لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيُّه أمتَه، ولا يسع أحداً من خلق اللّه قامت عليه الحجّة ردّها؛ لأنّ القرآن نزل بها، وصحّ عن رسول اللّه ح القول بها فيما روى عنه العدول؛ **فإن خالف بعد ذلك، بعد ثبوت الحجّة عليه؛ فهو كافر، فأما قبل ثبوت الحجّة عليه فمعذور بالجهل**؛ لأنّ علم ذلك لا يقدر بالعقل، ولا بالروية والقلب و الفكر، **ولا نكفّر بالجهل أحداً إلا ّ بعد انتهاء الخبر إليه**#[1].

وقال ابن العربي المالكي :: $فالجاهل والمخطئ من هذه الأمّة ولو عمل من الكفر والشرّك ما يكون صاحبه مشركاً أو كافراً؛ **فإنّه يعذر بالجهل و الخطأ**، حتى يتبيّن له الحجّة التي يكفر تاركها بياناً واضحاً ما يلتبس على مثله#[2].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية :: $فإنّ نصوص الوعيد التي في الكتاب والسّنة، ونصوص الأئمة بالتّكفير والتّفسيق ونحو ذلك، لا يستلزم ثبوت موجبها في حقّ المعيّن، **إلا ّ إذا وجدت الشّروط وانتفت الموانع**، لا فرق في ذلك بين الأصول والفروع#[3].

ويقول ابن أبي العزّ الحنفي :: $**إنّ الأقوال الباطلة** المبتدعة المحرمة المتضمنة نفي ما أثبته الرّسول أو إثبات ما نفاه، أو الأمر بما نهى عنه، أو النّهي عما أمر به، يقال فيها الحقّ، ويثبت لها الوعيد الذي دلّت عليه النّصوص، ويبيّن أنّها كفر، ويقال: مَن قالها فهو كافر، ونحو ذلك....

وأما الشّخص المعيّن إذا قيل: هل تشهدون أنّه من أهل الوعيد وأنّه كافر؟ فهذا لا نشهد عليه إلا ّ بأمر تجوز معه الشهادة، فإنّه من أعظم البغي أن يُشهد على معيّن: أنّ اللّه لا يغفر له ولا يرحمه، بل يخلّده في النّار، فإنّ هذا حكم الكافر بعد الموت#[4].

ويقول الشيخ ابن عثيمين :: $وبهذا يعلم أنّ المقالة أو الفعلة قد تكون كفراً أو فسقاً ولا يلزم من ذلك أن يكون القائم بها كافراً أو فاسقاً، إمّا لانتفاء شرط التّكفير أو التّفسيق، أو وجود مانع شرعي يمنع منه#[5].

فتبيّن بهذا أنّ التّكفير المطلق بوصف القول أو الفعل أو الاعتقاد بأنّه

---

(1) أورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص 165)، والذهبي في العلوّ مختصراً (1062/2 رقم 410)، وقال الشيخ الألباني في مختصر العلوّ (ص 177): $إسناده كلهم ثقات#.

(2) نقله عنه القاسمي في تفسيره (1307/5-1308)، ولم أجده في مظانه من كتب ابن العربي.

(3) مجموع الفتاوى (372/10).

(4) شرح العقيدة الطّحاوية (484/2-485).

(5) القواعد المثلى (ص 92).

كفر، لا يستلزم تكفير مَن قام به من المعيّنين حتى تستوفى شروط التّكفير في حقّه.

كما ينبغي التّنبيه هنا إلى أنّ ما قد يأتي في بعض كلام السّلف وكلام أهل العلم من بعدهم من تكفير بعض الفرق؛ كتكفيرهم للجهمية أو القدرية أو الرافضة، لا يستلزم تكفير أفراد هذه الطّوائف، لما تقدم من أنّ تكفير طائفة أو فرقة مخصوصة هو من مراتب التّكفير المطلق الذي لا يقتضي تكفير أفراد هذه الطّوائف[1].

بيان شروط تكفير المعيّن وموانعه[2]:

تقرّر فيما سبق أنّ مَن قام به الكفر المطلق من المعيّنين لا يحكم بكفره حتّى تتحقّق فيه شروط التّكفير وتنتفي موانعه على ما دلّت على ذلك النّصوص وقرّره العلماء المحققون على ما سبق بيانه.

وفي هذا المقام ستكون الدراسة للشّروط التي لا بُدّ من استيفائها قبل الحكم على معيّن بالكفر، وكذلك الموانع التي تمنع من تكفيره على وجه التعيّين، وهذه الشّروط والموانع هي التي اشتهر في كلام العلماء تسميتها بـ$شروط تكفير المعيّن وموانعه#.

وهذه الشّروط هي:

1- أن يكون المعيّن بالغاً عاقلاً.

2- أن يقع منه الكفر على وجه الاختيار.

3- أن تبلغه الحجّة التي يكفر بخلافها.

4- أن لا يكون متأوّلاً.

أما الشّرط الأوّل: وهو كون الشّخص المحكوم عليه بالغاً عاقلاً:

فلما دلت عليه الأدلة من عدم مؤاخذة الصّغير وفاقد العقل.

فعن عائشة ك أنّ رسول الله ح قال: $رفع القلم عن ثلاثة: عن النّائم حتى يستيقظ، وعن الصّغير حتى يكبر، وعن المجنون حتى يعقل#، وقد قال حماد: $وعن المعتوه حتى يعقل#[3]. فدلّ الحديث على سقوط التّكليف عن هؤلاء المذكورين، ومنه أخذ العلماء القاعدة الأصولية المشهورة: البلوغ والعقل شرط التّكليف[4].

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى (7/507، 508).

(2) نقلاً عن $التكفير وضوابطه# (ص 263-306) باختصار شديد.

(3) أخرجه أحمد في مسنده (41/224 رقم 24694)، والحاكم في المستدرك (2/371 رقم 2397 –ط. دار المعرفة)، وقال: $صحيح على شرط مسلم#، وأقرّه الذهبي، وقال الشيخ الألباني في الإرواء (2/5): $وهو كما قالا، فإنّ رجاله كلهم ثقات احتج بهم مسلم برواية بعضهم عن بعض#.

(4) انظر: القواعد والفوائد الأصولية لابن اللحام (ص 33)، والقواعد والأصول الجامعة (ص 47).

وبناء على هذا عدّ العلماء البلوغ والعقل شرطاً للحكم على شخصٍ معيّنٍ بالكفر، ولم يعتبروا بردّة صبيّ ولا مجنون.

قال ابن المنذر :: $أجمعوا على أنّ المجنون إذا ارتدّ في حال جنونه أنّه مسلم على ما كان قبل ذلك#[1].

أما الشّرط الثّاني، -وهو أن يقع القول أو الفعل المُكفِّر من المعيّن على وجه القصد والاختيار- فقد دلّت الأدلة على اعتبار هذا الشّرط وعدم مؤاخذة مَن صدر منه قول أو فعل بغير إرادة منه كالمكرَه، قال تعالى: ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼالنحل: ١٠٦.

قال ابن كثير :: $اتّفق العلماء على أنّه يجوز أن يوالي المكرَه على الكفر إبقاءً لمهجته، ويجوز أن يَسْتَقْتل كما كان بلال ط يأبى عليهم وهم يفعلون به الأفاعيل#[2].

كما دلّت النّصوص على عذر مَن أُغلق عليه فكره لشدة فرح أو حزن فتلفظ بالكفر، وذلك لعدم إرادته حقيقة ما قال، كما جاء في قصة الرّجل الذي فقد دابته بأرض فلاة وفيه: $فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال: من شدّة الفرح: اللّهم أنتَ عبدي، وأنا ربّك، أخطأ من شدّة الفرح#[3].

قال القاضي عياض :: $فيه: أنّ ما قاله الإنسان من مثل هذا من دهش وذهول غير مؤاخذ به إن شاء اللّه#[4].

أما الشّرط الثّالث: -وهو قيام الحجّة على الشّخص المعيّن قبل تكفيره-:

فقد سبق إيراد الأدلة من الكتاب والسّنة على اعتبار قيام الحجّة على الشّخص المعيّن قبل الحكم بكفره، وكذلك أقوال العلماء المقرّرة لهذه المسألة، مما أغنى عن إعادة ذلك هنا.

وإذا تقرّر اعتبار قيام الحجّة على المعيّن قبل التّكفير والتّأثيم، فلا بُدّ من توضيح ما تقوم به الحجّة على المعيّن والمقصود من قيامها أو عدمه.

والذي يظهر أنّ الحجّة لا يمكن أن تقوم على شخص إلا ّ بعد فهمه لها، وأمّا مَن لم يفهم الحجّة فإنّها لم تقم عليه، لكن لا بدّ من التّنبيه على أنّ عدم الفهم المعتبر هنا هو النّاشئ عن عجز وعدم القدرة على الفهم لعجمةٍ أو لشبهةٍ مع الحرص على الهدى. وأمّا إن كان عدم الفهم راجعاً إلى إعراضٍ

---

(1) الإجماع (ص 153).
(2) تفسير ابن كثير (606/4).
(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها (2104/4 رقم 2747) من حديث أنس بن مالك ط.
(4) إكمال المعلم (245/8).

عن النّصوص أو تفريط في طلب الهدى بوجهٍ من الوجوه فهذا لا يعذر به. ذكر نحو هذا التّفصيل ابن القيم :[1].

وقد دلت على هذا الأدلة من الكتاب والسّنة: ومن هذه الأدلة:

1- قول الله تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﭼ البقرة: ٢٨٦.

فأخبر الله تعالى أنّه لا يكلف أحداً من هذه الأمّة إلا ّ وُسعه، ثم حكى دعاءها إيّاه بألا ّ يؤاخذها بالنسيان والخطأ وما ذكر من الدعاء في الآية وثبت أنّه تعالى قال: $قد فعلتُ#[2].

فدلت الآية والحديث على عذر الله لهذه الأمّة بعدم التّمكّن من الفهم من عدّة أوجه:

الأوّل: أنّه تعالى أخبر أنّه لا يكلف نفساً إلا ّ وسعها، وعدم الفهم ليس من وسع الإنسان إن لم يصحبه إعراض، ولذا عدّ العلماء الفهم شرطاً للتّكليف، قال ابن اللحام[3] :: $شرط التّكليف: العقل، وفهم الخطاب#[4].

الثّاني: أنّ الله تعالى قد استجاب للمؤمنين في عدم المؤاخذة بـ النسيان، وهو ما نشأ عن تضييع من العبد وتفريط دون ما كان عن عجز وضعف وقلة احتمال عقله له؛ فإنّ هذا ليس بمعصية أصلا ً ولا يؤاخذ به العبد على ما ذكره الطبري :[5].

وعدم الفهم هو من جنس النسيان الناشئ عن عجز وضعف، الذي لا يؤاخذ العبد به أصلا ً، بل عدم الفهم أولى بالعذر منه، فمَن لم يعلم أصلا ً أعذر مِمَن علم ثم نسي.

وإذا كان الله قد استجاب للأمّة بالعفو عن النسيان مع التّفريط فكيف لا تعذر بعدم الفهم من غير تفريط؟!

الثّالث: أنّ الله تعالى قد استجاب للأمّة بعدم المؤاخذة بالخطأ، و المقصود بالخطأ هنا هو: ما كان يأتيه العبد بقصد منه وإرادة فذلك خطأ منه.

وأما ما كان من الخطأ الراجع إلى الجهل به، والظنّ منه بأنّه له فعله؛

---

(1) انظر:طريق الهجرتين (899/2-900)، وانظر: فتاوى العقيدة للشيخ ابن عثيمين (ص 261).

(2) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق (116/1 رقم 126).

(3) هو: علي بن محمد بن عباس أبو الحسن علاء الدين ابن اللحام (ت 803 هـ) فقيه حنبلي، صنف كتبا ً، منها: القواعد الأصولية، والأخبار العلمية في اختيارات الشيخ تقي الدين ابن تيمية. انظر: شذرات الذهب (31/7)، والأعلام (7/5).

(4) القواعد والفوائد الأصولية (ص 33).

(5) انظر: تفسير الطبري (156/5).

فهذا موضوع عن العبد المؤاخذة به[1]، وعدم الفهم نوع من الخطأ، كما يقال: $أخطأ فلان فهم المسألة#، وهو راجع إلى النّوع الثّاني من الخطأ الذي لا يؤاخذ الله به؛ لأنّ الفهم هو العلم[2]، وعدمه جهل، فدلّ على العذر به، ولو رجع عدم الفهم إلى النّوع الأوّل من الخطأ فهو مغفور أيضاً بدلالة الآ ية والحديث.

2- ما رواه الإمام أحمد من حديث الأسود بن سريع[3] ط أنّ النّبي ح قال: $أربعة يوم القيامة: رجل أصمّ لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هَرِم ، ورجل مات في فترة، فأمّا الأصمّ فيقول: ربّ لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: ربّ لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول: ربّ لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذي مات في الفترة فيقول: ربّ ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنّه فيرسل إليهم أن ادخلوا النّار، قال: فوالذي نفس محمّد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً#[4].

فقد عذر الله هؤلاء الأربعة، أما الذي لا يسمع، ومَن مات في الفترة فعذرهما لعدم وصول الحجّة إليهما، لفقد الأوّل الحاسة الموصلة لذلك، وأما الآخر فلعدم وجود الحجّة في زمنه أصلا ً.

أما الأحمق والهرم فواضح أنّهما بلغتهما الحجّة، وإنما عذرهما الله لعدم فهمهما، ولهذا احتجا بما يدلّ على عدم الفهم.

فتبيّن بكلّ هذا أنّ فهم النّصّ على الوجه الصّحيح أمر معتبر في قيام الحجّة به على المعيّنين، وعدم المؤاخذة بعدم الفهم، وهذا مقتضى أصل الشّريعة في رفع الحرج عن هذه الأمّة في أمر دينها. قال تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ الحج: ٧٨. وهو من آثار رحمة الله ولطفه وعفوه وإحسانه لعباده.

الشّرط الرّابع: ألا ّ يكون الشّخص المعيّن متأوّلا ً:

وقد دلّت النّصوص على العذر بالتّأويل وهي على قسمين:

القسم الأوّل: عموم النّصوص الدّالة على العذر بالخطأ إذ التّأويل نوع من الخطأ في الاجتهاد، ومن ذلك قوله تعالى مخبراً عن المؤمنين: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ

(1) انظر: نفس المصدر (157/5).
(2) انظر: مختار الصحاح (ص 239).
(3) هو: الأسود بن سَرِيع التميمي السعدي، صحابي نزل البصرة، ومات في أيام الجمل، وقيل سنة 42 هـ. انظر: التقريب (رقم 505).
(4) رواه أحمد في مسنده (228/26 رقم 16301)، وقال ابن القيم في طريق الهجرتين (865/2): $رواه أحمد في مسنده والبزار أيضاً بإسناد صحيح#، ونقل في (866/2) تصحيح الحافظ عبد الحقّ الأشبيلي للحديث. وقال محققو المسند: $حديث حسن#.

ﯫ ﯬ ﯭﯮ ﭼالبقرة: ٢٨٦.
وقوله ح: $إنّ الله وضع عن أمّتي: الخطأ، والنّسيان، وما استكرهوا عليه#[1]. [2].
القسم الثّاني: ما جاء في السّنة من الأدلة الدّالة على عذر النّبي ح لبعض المخطئين المتأوّلين، وعدم تأثيمهم أو مؤاخذتهم بأخطائهم.
من ذلك ما رواه البخاري عن عبد الله بن عمر م، قال: بعث النّبي ح خالد بن الوليد إلى بني جَذيمة فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا. فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كلّ رجل منا أسيره، حتى إذا كان يومٌ أمر خالد أن يقتل كلّ رجل منا أسيره، فقلتُ: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره، حتى قدمنا على النّبي ح، فرفع النّبي ح يديه فقال: $اللّهم إني أبرأ إليك مِمّا صنع خالد# مرّتين[3].
فقتْل خالد ط للأسرى عن تأويل حيث لم يفهم من قولهم: $صبأنا#، أنّهم أرادوا الدخول في الإسلام، بينما فهم ابن عمر م أنّهم أرادوا الإسلام، فتبرأ النّبي ح من فعل خالد ط؛ لأنّه خطأ ولم يتبرأ من خالد ؛ لأنّه مجتهد متأوّل، وفرق بين البراءة من الفعل والبراءة من صاحبه[4].
وعذر النّبي ح للمتأوّلين المخطئين معروف مشهور في السّنة؛ ولهذا صور متعددة في وقائع مشهورة عذر فيها النّبي ح المتأوّلين ولم يؤثّمهم على خطئهم[5].
ومن مواقف الصّحابة الدّالة على عذر المتأوّلين موقف عليّ ط من الخوارج الذين كفّروه وبعضَ الصّحابة، فلم يكفّرهم لتأوّلهم.
فعن طارق بن شهاب[6] ط قال: $كنت عند عليّ حين فرغ من قتال أهل النّهروان فقيل له: أمشركون هم؟ قال: من الشّرك فرّوا، قيل: فمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا ﮋ ﮌ ﮊ قليلا ﮉ ﮈ ﮇ قيل له: فما هم؟ قال: قوم بغوا علينا#[7].

---

(1) سبق تخريجه (ص 150).
(2) انظر: منهاج السنة (458/4).
(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث النبي ح خالد بن الوليد إلى بني جذيمة (56/8-57 رقم 4339 -الفتح).
(4) انظر: زاد المعاد (142/3).
(5) انظر الأمثلة الأخرى في: منهاج السنة (89/6، 486/4-487).
(6) هو: طارق بن شهاب بن عبد شمس البجلي الأحمسي أبو عبد الله الكوفي (ت 83 هـ)، قال أبو داود: $رأى النبي ح ولم يسمع منه#. انظر: التقريب (رقم 3017).
(7) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنّفه (460/21 رقم 39097 –تحقيق محمد عوامة).

كما صرّح العلماء المحققون بعذر المتأوّل فيما تأوّله إن كان الحامل له على هذا الاجتهادُ طلب الحقّ.

يقول الإمام الخطابي : في شرح حديث افتراق الأمّة: $فيه دلالة على أنّ هذه الفرق كلها غير خارجة من الدّين؛ إذ قد جعلهم النّبي ح كلهم من أمّته، وفيه أنّ المتأوّل لا يخرج من الملة، وإن أخطأ في تأوله#[1].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية :: $ولا يلزم إذا كان القول كفراً أن يكفر كلّ مَن قاله مع الجهل والتّأويل؛ فإنّ ثبوت الكفر في حقّ الشّخص المعيّن كثبوت الوعيد في حقّه وذلك له شروط وموانع#[2].

ويقول ابن حجر :: $قال العلماء: كلّ متأوّل معذور بتأويله ليس بآثم، إذا كان تأويله سائغاً في لسان العرب، وكان له وجه في العلم#[3].

ويقول الشّيخ السّعدي :: $إنّ المتأوّلين من أهل القبلة الذين ضلوا وأخطأوا في فهم ما جاء به الكتاب والسّنة، مع إيمانهم بالرسول، واعتقادهم صدقه في كلّ ما قال، وأنّ ما قاله كله حقّ، والتزموا ذلك، لكنهم أخطأوا في بعض المسائل الخبريّة أو العمليّة، فهؤلاء دلّ الكتاب والسّنة على عدم خروجهم من الدّين، وعدم الحكم لهم بأحكام الكافرين، وأجمع الصّحابة ن والتّابعون ومَن بعدهم من أئمة السّلف على ذلك#[4].

فتقرّر بهذا ثبوت العذر بالتّأويل على ما دلت على ذلك النّصوص، وما صرّح به الأئمة ونقلوا إجماع السّلف عليه من الصّحابة والتّابعين، لكن لا بدّ من التّنبيه هنا إلى أنّ التّأويل الذي يعذر به المتأوّل، فيمنع من الحكم بكفره أو تأثيمه هو: التّأويل الراجع إلى الاجتهاد في معرفة الحقّ وطلب الفهم الصّحيح للنّصّ الشّرعي.

ويمكن من خلال كلام أهل العلم استخلاص الضّوابط العامّة المميّزة لما يُعْذَر به من التّأويل، وإجمالها في الأوجه التّالية:

الوجه الأوّل: وهو متعلق بالمتأوّل نفسه، وهو أن يكون مسلماً مؤمناً، فأخرج هذا القيد سائر الكفرة والزنادقة المتسترين تحت ستار التّأويل، وغايتهم العظمى هدم دين النّبي ح من أصله، كالباطنية، والرافضة، وأشباههم.

الوجه الثّاني: وهو متعلق بالمقصد الباعث على التّأويل، وهو أن يكون القصد الحامل على التّأويل: الاجتهاد في تقرير الحقّ، وطلب الهدى الذي جاء به النّبي ح،فأخرج هذا القيد أصحاب المقاصد الباطلة كحال أهل الأ هواء الذين قد لا يخفى عليهم الحقّ، والدّلالة الصّحيحة للنّصّ، إلا ّ أنّهم

---

(1) معالم السنن (295/4).
(2) منهاج السّنة (240/5).
(3) فتح الباري (304/12).
(4) الإرشاد إلى معرفة الأحكام (ص 207).

يتأوّلونه على غير ذلك لشهوات نفسية ومقاصد رديئة خبيثة.

الوجه الثّالث: وهو متعلق بنوع التّأويل، وهو أن يكون التّأويل سائغاً في اللغة، له وجه عند أهل العلم والنّظر، ولهذا المعنى عذر الأئمة مَن تأوّل فأخطأ من أهل السّنة، لما كان خطؤهم يرجع إلى التّأويل السّائغ.

وبهذا العرض للشّروط المعتبرة في تكفير المعيّن، بناءً على مدلولات النّصوص الشّرعية، وما قرّره العلماء المحقّقون لمذهب أهل السّنة، يتبيّن أنّه لا يجوز نسبة أحد من المعيّنين للكفر، أو الحكم بخروجه من الدّين لمجرّد ما يقوم به من الأقوال أو الأفعال المكفّرة. بل لا بدّ من النّظر في حال المعيّن والتّحقق من توفر الشّروط السّابقة في حقّه، قبل الحكم بتكفيره عيناً، وإلا ّ فمتى ما انخرم شرط منها كان مانعاً من تكفيره.

هذا الذي دلت عليه النّصوص الشّرعية، والمقرّر من مذهب أهل السّنة. والله تعالى أعلم.

ذكر بعض النّماذج والأمثلة من سير أئمة السّنة في عدم تكفير بعض المعيّنين لتخلف شروط التّكفير في حقّهم:

تقدم تقرير معتقد أهل السّنة والجماعة المستمد من كتاب الله وسنة نبيه ح، في التّفريق بين التّكفير المطلق وتكفير المعيّن، وأنّه قد يتخلف الحكم عن بعض المعيّنين المتلبسين بشيء من المكفّرات الاعتقادية أو القولية أو العمليّة، لعدم استيفاء شروط التّكفير في حقهم. وفي هذا المقام سأذكر بعض النّماذج والأمثلة لامتثال أئمة أهل السّنة هذا المنهج وتحقيقهم له عملياً في معاملة المخالفين، بعد تقريرهم له تقريراً علمياً.

وفي الحقيقة إنّ صور امتثال أئمة أهل السّنة لهذا الأصل العظيم كثيرة جدّاً، وذلك من خلال فتاواهم، وأحكامهم في المعينّين من أهل الخلا ف، القائمة على التفريق بين ما يقوم في المعيّنين من موجبات الكفر و الوعيد المطلق وبين الحكم على المعيّن نفسه بمقتضى ذلك، حيث لا يرون تنزيل الحكم المطلق، ولا لحوقه بكلّ معيّن، حتى يستوفي الشّروط الموجبة لذلك في حقّه. وشواهد ذلك من أقوال الأئمة وفتاواهم المبثوثة في كتب أهل السّنة القديمة والحديثة يصعب حصرها، غير أني أمثّل بثلاثة مواقف بارزة لثلاثة من أئمة السّنة ومجددي الدّين في عصور متفاوتة، في امتثال هذا الأصل وتحقيقه عملياً في معاملة مخالِفيهم.

المثال الأوّل: موقف الإمام أحمد : من الخلفاء الذين كانوا يقولون بخلق القرآن.

وكان على هذا ثلاثة من الخلفاء العباسيّين هم: المأمون، ثم المعتصم[1]، ثم الواثق، وكانوا قد تأثروا بمذهب المعتزلة فأخذوا هذا

(1) هو: محمد بن هارون الرشيد بن محمد المهدي أبو إسحاق المعتصم بالله (180-227 هـ)، من أكابر خلفاء بني العباس قوة وشجاعة ونجدة، على جهل وقلة علم.

المذهب الباطل عنهم، ودعوا النّاس إلى ذلك وامتحنوهم به وعاقبوا مَن لم يجبهم إلى قولهم بالسّجن والجلد والتّهديد بالقتل، وكان الإمام أحمد : مِمَن ثبت على قول أهل السّنة في أنّ القرآن كلام اللّه ليس بمخلوق. فتعرض بسبب ذلك لابتلاء عظيم، وناله من العذاب بالجلد، والسجن الشيء العظيم، حتى كاد يموت بسبب ذلك. واشتهر هذا عند العلماء؛ بـ$المحنة#[1]، ومع هذا لم يكفر الإمام أحمد : هؤلاء الخلفاء على قولهم بخلق القرآن، وإكراه النّاس على ذلك مع أنّ القول بخلق القرآن كفر بإجماع أئمة السّنة[2]، وإنما لم يكفّرهم لتأوّلهم؛ ولأنّهم لبّس عليهم أهل البدع، فلم يتبيّن لهم الحقّ بل إنّ الإمام أحمد حلّلهم مما فعلوه به ودعا لهم.

وقال :: $كلّ مَن ذكرني ففي حلٍّ إلا ّ مبتدعاً، وقد جعلتُ أبا إسحاق -يعني: المعتصم- في حلّ، ورأيت اللّه يقول: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋﭼ[النور: ٢٢]، وأمر النّبي ح أبا بكر بالعفو في قصة مسطح، قال أبو عبد اللّه: وما ينفعك أن يعذّب اللّه أخاك المسلم في سبيلك#[3].

فقوله: $ما ينفعك أن يعذّب اللّه أخاك المسلم في سبيلك# دليل واضح على أنّه لم يكفّرهم، مع ما أظهروه من الكفر، وما فعلوه به من الظّلم.

المثال الثّاني: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية : من مخالفيه:

فقد كان : يمتثل هذا الأصل في الحكم على مخالفيه؛ فلم يكفّر كلّ مَن قام به الكفر من المعيّنين مِمَن ظهر له عدم قيام الحجّة عليه، يقول ::

$هذا مع أنّي دائماً ومَن جالسني يعلم ذلك مني، أنّي من أعظم النّاس نهياً عن أن ينسب معيّن إلى تكفير وتفسيق ومعصية، إلا ّ إذا علم أنّه قد قامت عليه الحجّة الرّسالية، التي مَن خالفها كان كافراً تارة، وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى، وإنّي أقرّر أنّ اللّه قد غفر لهذه الأمّة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية#[4].

ويقول :: $ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنّفاة الذين نفوا أنّ اللّه تعالى فوق العرش لما وقعت محنتهم: أنا لو وافقتكم كنت كافراً؛ لأ نّي أعلم أنّ قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون؛ لأنّكم جهال، وكان هذا

الشرع، ولذلك راجت عليه بدع المعتزلة وفتن الناس بها حمية وجهلا ً. انظر: السير (290/10).

(1) انظر تفاصيل المحنة في الحلية (9/193-206)، والبداية والنهاية (14/393-405)، والسير (11/238-265).

(2) انظر: الرّد على الجهمية للدّارمي (ص 198)، وشرح أصول اعتقاد أهل السّنة (2/253-344)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام (485/12)، وشرح القصيدة النونية للهراس (115/1).

(3) السير (261/11)، والبداية والنهاية (14/404-405).

(4) مجموع الفتاوى (229/3).

خطاباً لعلمائهم وقضاتهم وشيوخهم وأمرائهم. وأصل جهلهم شبهات عقلية حصلت لرؤوسهم في قصور من معرفة المنقول الصّحيح، والمعقول الصّريح الموافق له#[1].

فهذه بعض النّماذج لمواقف شيخ الإسلام ابن تيمية : من المخالفين الذين يتلبسون ببعض المكفّرات الظّاهرة مما لا شكّ عند المسلمين أنها كفر، ومع هذا لم يكفّر أعيانهم مع مناظرته لهم، لخفاء الحقّ عليهم وجهلهم به، بسبب بعدهم عن العلم الشّرعي، وشدّة التباس الأمر عليهم.

المثال الثّالث: موقف الشيخ محمّد بن عبد الوهّاب : من مخالفيه:

وقد كان الشّيخ محمّد : على طريقة سلفه من الأئمة في التّفريق بين الحكم المطلق والحكم على المعيّن، وامتثال هذا الأصل في أحكامه على المخالفين من معاصريه، وعدم تكفير مَن لم يستوف شروط التّكفير ولم تقم عليه الحجّة من المعيّنين.

يقول :: $وإذا كنا لا نكفّر مَن عَبَد الصّنم الذي على قبة عبد القادر، و الصنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالهما، لأجل جهلهم وعدم مَن ينبّههم، فكيف نكفّر مَن لم يشرك بـالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يكفّر، ويقاتل، سبحانك هذا بهتان عظيم#[2].

ويقول : في بعض رسائله: $ما ذكر لكم عني أنّي أكفّر بالعموم فهذا من بُهْتان الأعداء، وكذلك قولهم إنّي أقول مَن تبع دين الله ورسوله ح وهو ساكن في بلده أنّه ما يكفيه حتى يجئ عندي فهذا أيضاً من البهتان، إنما المراد اتباع دين الله ورسوله ح في أي أرض كانت، ولكن نكفّر مَن أقرّ بدين الله ورسوله ح، ثم عاداه وصدّ النّاس عنه، وكذلك مَن عَبَد الأوثان بعد ما عرف أنّه دين للمشركين وزيّنه للنّاس، فهذا الذي أكفّره، وكلّ عالم على وجه الأرض يكفّر هؤلاء إلا ّ رجلا ً معانداً أو جاهلا ً#[3].

وقال : ضمن إجابته على بعض ما نسب إليه من مسائل في التّكفير وغيره: $وقوله: إنّي أكفّر البوصيري بقوله: "يا أكرم الخلق" ... فجوابي فيها أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم#[4].

إلى غير ذلك من كلام الشّيخ : وهو مبثوث في كتبه خصوصاً ما جاء في الرّسائل الشّخصية له، التي بيّن فيها أنّه لا يكفّر مَن لم تقم عليه الحجّة من المعيّنين، وإن قام بهم الكفر المطلق.

---

(1) تلخيص كتاب الاستغاثة (494/2).
(2) فتاوى ومسائل الشيخ محمد عبد الوهاب (ص 6) ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، في نهاية المجلد الثاني.
(3) مجموع مؤلفات الشيخ محمّد بن عبد الوهّاب - الرسائل الشّخصية (33/3)، وانظر: (58/3).
(4) المرجع السابق (36/3).

وبهذه الأمثلة لما جاء عن هؤلاء الأئمة الثّلاثة: الإمام أحمد، وشيخ الإ سلام ابن تيميّة، والشيخ محمّد بن عبد الوهّاب، الدّالة على تحقيقهم لهذه المسألة وامتثالهم إيّاها في واقع فتاواهم، وعدم تكفيرهم مَن قام بهم الكفر المطلق من المعيّنين مِمَن لم تقم عليهم الحجّة، يظهر رسوخ هذه المسألة في عقيدة أهل السّنة وشهرتها بين الأئمة، وقيامهم بها علماً وعملا ً، على مرّ العصور والأزمان.

وإنما اكتفيت بهذه النّماذج الثّلاثة لهؤلاء الأئمة لشهرتهم عند الناس ومكانتهم من السّنة، ولتباين عصورهم وأمصارهم؛ ولأنّهم قد يخطئ عليهم البعض في تحرير مذهبهم في هذه المسألة، وإلا ّ فالشّواهد لهذه المسألة من كلام الأئمة الآخرين من أهل السّنة مِمَن هم لا يقلّون عنهم في العلم من أقرانهم ومعاصريهم، ومَن قبلهم وبعدهم من العلماء كثيرة جدّاً لا يسع المقام بسطها وفي الإشارة ما يغني عن الإطالة للحاذق المتبصر.

ومما يجدر التنبيه إليه في هذا المقام أن الذي يستحق النظر في مسألة التكفير هو $العلماء الراسخون القادرون على استنباط الحكم الشرعي في هذه المسألة من النصوص، وكيفية تنزيله على المعيّنين، وكذلك المعرفة بأصول أهل السنة في مسألة التكفير، والإلمام بمواقف الأئمة مع المخالفين، مع الاحتياط من تكفير من لم يتيقن كفره، ولم يعلم أنه قد قامت عليه الحجة#[1]، والله أعلم.

وبهذا التقرير يتبين جلياً، أن وصفي للاعتقادت والأقوال والأفعال -في ثنايا هذه الرسالة- بالشرك أو الكفر، إنما هو من باب الحكم المطلق لا المعين، ولا يلزم من ذلك تكفير الواقعين فيها إلا باستيفاء الشروط وانتفاء الموانع على ما سبق بيانه.

وفي هذا بيان لخطأ طائفتين:

أولاهما: الذين يرمون دعاة التوحيد بتهمة التكفير العام العشوائي، لأ جل بيانهم لأمور قد وضّح الكتاب والسنة وأقوال الأئمة أنها من قبيل الشرك والكفر.

والأخرى: الذين يتحمسون -مع قلة علمهم ونقصان فهمهم- لما يرون من انغماس الناس في الشركيات والكفريات، فحكموا على جميعهم بالكفر.

قال ابن حجر الهيتمي :: $ينبغي للمفتي أنه يحتاط في التكفير ما أمكنه لعظيم خطره، وغلبة عدم قصدة سيما من الوام، وما زال أئمتنا على ذلك قديماً وحديثاً#[2].

وأسأل الله أن يردهم والمسلمين إلى ربهم رداً جميلا ً، إنه ولي ذلك والقادر عليه...

(1) التكفير وضوابطه (ص 316).
(2) تحفة المحتاج (110/4).

• المسألة الثانية: ذكر أمثلة عملية للحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، مفيدة -بإذنه لأ- للدعاة في دعوتهم إلى توحيد الله وبقية شرعه، ومحاربة الشرك وسائر منهياته.

إن الحكمة من أعظم مقومات نجاح الداعية في دعوته، لذا جاء الإسلا
م بالأمر بها، قال الله تبارك وتعالى: ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ النحل: ١٢٥.

كما رغّب الشرع في ذلك، وأخبر أن ﭽ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮﯯ ﭼالبقرة: ٢٦٩. ومع عِظَم شأن الحكمة في الحياة الدعوية، وحث الإسلام عليها، إلا أننا نجد جمعاً من الدعاة إلي الله مقصرين في هذا الجانب، من حيث يدرون أو لا يدرون، وهو مما أمر مؤسف بلا شك، والأمرّ من ذلك أن يكون التقصير في هذا الجانب في صفوف دعاة أهل السنة والجماعة، الذين هم أحوج الناس إلى التحلي بهذا الخلق العظيم؛ $حتى لا يجمعوا بين ثقل دعوة الحق التي امتن الله لأ بها عليهم، وبين ثقل سوء أسلوب الدعوة إلى الله لأ#[1].

والحكمة هي: $الإصابة في القول والعمل والاعتقاد، ووضع كل شيء في موضعه بإحكام وإتقان#[2].

ولها أركان ودعائم تقوم عليها، فالإخلال بها إخلال بالحكمة، وهذه الأ
ركان هي: العلم، والحلم، والأناة.

وآفاتها وأضدادها ومعاول هدمها: الجهل، والطيش، والعجلة، فلا حكمة لجاهل، وطائش، ولا عجول[3].

وبما أن المقال قد لا يتضح إلا بالمثال، فإني في هذا المقام آثرت ذكر أمثلة عملية لتطبيق صفة الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، وهي أمثلة معدودة، وليس المقصود هنا حصر جميعها، وإنما هي أمثلة أراها قد فرّط فيها -وللأسف- عدد ليس بالقليل من دعاة أهل السنة في بلدي الغالي؛ إندونيسيا، مما أدّى إلى عرقلة سيير هذه الدعوة المباركة في تلكم البلاد الشاسعة.

وبعد تأمل ونظر في الساحة الدعوية الحالية، أرى -مع اعترافي بأني لست من فرسان هذا الميدان؛ لقلة علمي وتجربتي- أن من الأمثلة العملية للحكمة التي يحتاجها الداعية في دعوتهم -خصوصاً في إندونيسيا- ما

---

(1) من كلام الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني : ضمن أواخر وصاياه للأمة ودعاة أهل السنة. انظر: $محدث العصر محمد ناصر الدين الألباني# لسمير بن أمين الزهيري (ص 74-75).
(2) الحكمة في الدعوة إلى الله، لسعيد بن علي بن وهف القحطاني (ص 30).
(3) مدارج السالكين (480/2).

يلي[1]:

1- التحلي بالأخلاق الكريمة بجانب العقيدة السلفية الصافية:

كم من أناس وقعوا في حبائل الشرك والبدع جراء اغترارهم بحسن خلق دعاة الضلالة، وفي مقابل ذلك: كم من أناس ابتعدوا عن دعوة أهل السنة لتقصير دعاتها في التحلي بالأخلاق النبوية الكريمة.

مما $ينبغي أن يعلم: أن أهل السنة بحق، هم أهل الامتثال الكامل للإ سلام اعتقاداً وسلوكاً، ومن قصور الفهم أن يظن أن السني أو السلفي هو من حقق اعتقاد أهل السنة دون العناية بجانب السلوك، والآداب الإسلامية، وتأدية حقوق المسلمين فيما بينهم#[2].

يقول الله تبارك وتعالى واصفاً نبيه ح: ﭼﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭽ القلم: ٤.

ويقول رسولنا ح: $بِ ُع ِثْ ْت ُل ِأ ُ ّت َم ِّم َ صَالِحَ ال ْأ َخ ْلا َق ِ#[3].

فمن أعظم الأسباب في تأثير الداعي إلى الخير في الناس: ظهور آثار القدوة في شخصه، وعاداته، وأخلاقه، وجميع شأنه.

فإذا كان الداعية يتمثل في نفسه وخُلقه وعباداته أثر النبي ح، كان في ذلك مرضياً لله تعالى أولا ً، ثم موافقاً لهدي النبي ح ثانياً، وثالثاً: أدعى لتأثيره في نفوس السامعين، إلى غير ذلك من المصالح الشرعية[4].

2- طلاقة الوجه وإفشاء السلام -حتى على المخالفين- إذا لم يشرع هجرهم، وترتب على هذا مصالح شرعية[5]:

إن إفشاء السلام وطلاقة الوجه، بوابة عظيمة للدخول إلى قلوب المدعوين، كيف لا، وقد جعل النبي ح إفشاءَ السلام طريقاً للتحاب بين المؤمنين؟

عن أبي هريرة ط قال: قال رسول الله ح: $لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟

---

(1) مستفاد من كتاب 14 Contoh Praktek Hikmah dalam Berdakwah (14 مثالا ً تطبيقياً للحكمة في الدعوة) لكاتب هذه السطور، باختصار وإضافات.

(2) النصيحة فيما يجب مراعاته عند الاختلاف وضوابط هجر المخالف والرد عليه، لشيخنا أ. د. إبراهيم بن عامر الرحيلي (ص 13).

(3) رواه الحاكم في المستدرك (613/2) من حديث أبي هريرة ط، وقال: $حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه#، وواقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني : في السلسلة الصحيحة (67/1 رقم 45).

(4) معالم في طريق الإصلاح للشيخ عبد العزيز بن محمد السدحان (ص 48).

(5) آثرت إفراد هذا المثال عن سابقه، مع كونه داخلا ً فيه؛ أولا ً: لإبراز هذا الجانب الذي -مع أهميته- قد يغفل عنه كثير من الدعاة، وثانياً: للتنبيه على أمر قد حصل فيه الخلط لدى بعض الدعاة، وهو عدم التفريق بين المداراة والمداهنة.

أفْشُوا السّلَامَ بَيْنَكُمْ#[1].

فالداعية يبش بوجهه حتى مع المخالف -إذا لم يشرع هجره-؛ جلباً لقلبه، وتوطيناً لنفسه قبل دعوته، وليس هذا من المداهنة في شيء، بل هو من المدارة التي شرعها لنا رسولنا ح.

عن عروة بن الزبير[2] : أن عائشة ك أخبرته: $أنّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النّبِيّ ح رَجُلٌ فَقَالَ: ائذَنُوا لَهُ فَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ أَوْ بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ، فَلَمّا دَخَلَ أَلَانَ لَهُ الْكَلَامَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ قُلْتَ مَا قُلْتَ ثُمّ أَلَنْتَ لَهُ فِي الْقَوْلِ؟ فَقَالَ: أَيْ عَائِشَةُ، إِنّ شَرّ النّاس مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ تَرَكَهُ أَوْ وَدَعَهُ النّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ#[3].

وقد بوّب الإمام البخاري : لهذا الحديث بـ$باب المداراة مع الناس#[4].

ويقول في $الفتح#: $قال ابن بطال: المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، ولين الكلمة وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة.

وظن **بعضهم أن المداراة هي المداهنة، فغلط**؛ لأن المداراة مندوب إليها والمداهنة محرمة، والفرق: أن المداهنة من الدِّهان، وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه، وفسرها العلماء بأنه: معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه، والمداراة: هي الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه، ونحو ذلك#[5].

فالواجب على الدعاة مراعاة الفرق بين الأمرين، $فإن من الناس من قد يظن: أن مداراة الناس والرفق بهم ضعف في الدين وتمييع، بينما يظن فريق آخر: أن مِن الرفق بالناس إقرارهم على الباطل، والسكوت عن الأخطاء

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها (74/1 رقم 54).

(2) هو: عروة بن الزبير بن العوام الأسدي (ت 94 هـ)، ثقة فقيه مشهور. انظر: التقريب (رقم 4593).

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب المداراة مع الناس (528/10 رقم 6131 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب مداراة من يتقى فحشه (2002/4 رقم 2591)، واللفظ للبخاري.

(4) صحيح البخاري (527/10 -الفتح).

(5) فتح الباري (558/10) وانظر (648/10-649) من المصدر نفسه، وصحيح ابن حبان (218/3 -الإحسان)، وشرح حلية طالب العلم للشيخ ابن عثيمين (ص 199).

، وكلا الفريقين مخطئ تائه عن الحق#[1].

يقول الإمام أحمد :: $والناس يحتاجون إلى مداراة ورفق في الأمر بـ
المعروف بلا غلظة#[2]، وهذه الكلمة قالها الإمام : في زمانه الذي لم تزل السنة فيه شامخة ظاهرة، فكيف بهذا الزمان الذي قد غلبت فيه البدعة على السنة في كثير من بلاد المسلمين إلا ما رحم الله؟؟.

(1) النصيحة فيما يجب مراعاته عند الاختلاف (ص 17-18).
(2) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال (ص 46-47 رقم 33).

3- التعرف على المدعوين ومن ثمّ إنزالهم منازلهم واختيار الأساليب التي تناسبهم:

خلق اللّه الناس من أصل واحد، فأبوهم آدم وأمهم حواء إ، ثم جعلهم شعوبًا وقبائل ليتعارفوا[1]. قال تعالى: ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎﮏ ﮐﭼالحجرات: ١٣.

قوله: ﭽﮇﮈ ﭼ أي: لتعلموا كيف تتناسبون ولتتعرفوا[2]، يقول أبو عبد اللّه القرطبي :: $خلق اللّه الخلق بين الذكر والأنثى، أنسابا ً وأصهارا ً، وقبائل، وشعوبًا، وخلق لهم منها التعارف، وجعل لهم بها التواصل#[3].

فبالتعارف يحصل التواصل، فيرجع كل إلى قبيلته، ويعرف قرب القرابة منه وبعدها[4]، فدلت الآية على أن معرفة الأنساب مطلوبة مشروعة؛ لأن اللّه جعلهم شعوبا ً وقبائل لأجل ذلك[5].

ولقد حث ح على التعرف على المدعوين بفعله، فقد كان يبدأ مدعويه بالتعرف عليهم قبل دعوتهم، فلنتأمل ما ترويه لنا كتب السيرة حيال ذلك.

يذكر ابن إسحاق : أنه ح في رحلته إلى الطائف، وحينما ألجأته ثقيف إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة التقى غلاما ً لهما اسمه عدّاس فماذا دار بينهما من حوار؟

يقول ابن إسحاق :: $فقال له رسول اللّه ح: ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟ قال : نصراني، وأنا رجل من أهل ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ[6]#[7].

فبدأه ح بالتعرف على بلاده وديانته، فكان هذا التعرف نقطة البداية في تحول هذا الرجل من دينه إلى دين الإسلام[8].

كما أرشد ح دعاته للتعرف على مدعويهم، فقال لمعاذ بن جبل ط حينما بعثه إلى اليمن -داعياً ومعلماً وقاضياً-: $إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب...#[9].

فإخبار النبي ح لمعاذ بمن سيقدم إليهم؛ كان من أجل أن يكون ط

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير (385/7)، وأضواء البيان (672/7).
(2) الكشاف (585/5).
(3) تفسير القرطبي (413/19).
(4) المرجع السابق، وانظر: تفسير ابن كثير (385/7)، وأحكام القرآن للجصاص (292/5).
(5) تفسير السعدي (ص 745).
(6) نِينَوَى هي: قرية يونس بن متى ؛ بالموصل. انظر: معجم البلدان (339/5).
(7) سيرة ابن هشام (421/1).
(8) انظر: المرجع السابق.
(9) سبق تخريجه (ص 128).

بصيراً بأحوال من يدعوهم، ويكون مستعداً لهم؛ لأنهم أهل كتاب، وعندهم علم[1].

والسر في حرصه ح على التعرف على من يدعوهم قبل عرض الدعوة عليهم هو: كون كل إنسان له خصائصه، وطبيعته، وتقاليده، فالمدعوون ليسوا سواء في ملكاتهم العقلية، واستعدادتهم الفطرية، ولا في أخلاقهم، وطباعهم، وتصوراتهم، ولا في مكانتهم الاجتماعية، فإذا عرف الداعية هذه ا لأمور كلها من خلال تعرفه بهم، فإنه يستطيع أن ين-زل كل واحد حسب من-زلته التي تناسبه[2].

فمخاطبة العالم ليست كمخاطبة الجاهل، ومخاطبة الكبير ليست كمخاطبة الصغير، ومخاطبة صاحب جاه ليست كمخاطبة الإنسان العادي، ومخاطبة من قد شُوِّهت عليه صورة دعوة الحق ليست كمخاطبة من ليس عنده أي خلفية عنها، وهلما جرا...

ورد في الحديث عن عائشة ك قالت: $أمرنا رسول الله ح أن نن-زل الناس منازلهم#[3].

وقال علي ط: $حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟#[4].

ومن الشواهد العملية في السيرة النبوية التي تدل على أن معرفة حال المدعوين تعين على إيصال دعوة الخير، بل ذلك من السياسة الشرعية التي يستطيع بها الداعي توظيف الوسائل المرغبة للطرف الآخر، عند العلم بحالة وعاداته:

ما جاء في أخبار السيرة: أن النبي ح في عام الحديبية، وبينما كانت رسل المشركين تأتيه للتفاوض معه، كان من ضمن أولئك الرسل رجل من بني كنانة، فقال: دعوني آتيه، فلما أشرف على النبي ح وأصحابه ن، قال رسول الله ح: $هذا فلان، وهو من قوم يعظِّمون البُدْن فابعثوها له# فبُعِثت له، واستقبله القوم يلبُّون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله! ما ينبغي لهؤلاء أن يُصَدُّوا عن البيت. فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البُدْن قد قُلِّدت وأُشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت...[5].

فتأمل هذا الخبر، وانظر كيف أمر النبي ح بإخراج البُدْن دون غيرها؛

---

(1) القول المفيد على كتاب التوحيد (132/1).
(2) انظر: التدرج في دعوة النبي ح لإبراهيم بن عبد الله المطلق (ص 108-109)، و الحكمة في الدعوة إلى الله (ص 335-337).
(3) مضى تخريجه (ص 572).
(4) رواه البخاري في صحيحه بصيغة الجزم دون ذكر السند، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا (225/1 -الفتح).
(5) البداية والنهاية (233/6).

لمعرفته بحال المدعو! وفي المقابل تأمل كيف تأثر المدعو عندما عرف الداعي مكامن التأثير في نفسه![1]

فالداعية الحكيم كالطبيب الحكيم الذي يشخص المرض ويعرف الداء ويحدده، ثم يعطي الدواء المناسب على حسب حال المريض ومرضه، مراعياً في ذلك: قوة المرض وضعفه، وتحمله للعلاج، وقد يحتاج المريض إلى عملية جراحية فيشق بطنه، أو يقطع شيئاً من أعضائه، من أجل استئصال المرض طلباً لصحة المريض، وهكذا الداعية الحكيم يعرف أمراض المجتمع، ويحدّد الداء، ويعرف الدواء، وينظر ما هي الشبه والعوائق فيزيلها، ثم يقدم المادة المناسبة بدءاً بأمور العقيدة الإسلامية الصحيحة الصافية، مع تشويق المدعو إلى القبول والإجابة[2].

ومن سر التعرف على المدعوين تطييب نفوسهم، وإزالة الوحشة عنها، وذلك بالترحيب بهم، وملاطفتهم، والثناء عليهم في وجوههم، إذا أمنت الفتنة[3].

4- اختيار المداخل التي يدخل منها الداعية إلى صلب دعوته:

يقول الحليمي : في معرض تعداده لآداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: $ولا يدخل عليه مدخلا ً يصير سبباً لرد نصيحته#[4].

يأنف كثير من الناس لكل أمر غريب جديد عليه مخالف لما يعتاده ولما ورثه عن أجداده، حتى وإن كان الجديد حقاً والقديم باطلا ً.

ومن هنا جاءت أهمية اختيار الداعية موضوعات متفقة ومقبولة عند الجميع، يجعلها بوابة لإلقاء موضوع يرى أن الناس بحاجة إليه. وأضرب لذلك أمثلة توضحه:

أ. أن يجعل الداعية الكلام عن توحيد الربوبية سُلماً للكلام عن توحيد الألوهية، وهذا في الحقيقة أسلوب قرآني، وقد ذكرت الشواهد على ذلك عند كلامي عن أقسام التوحيد[5].

ب. أن يجعل الداعية قراءة الكتب المشهورة لدى الناس مدخلا ً لتبليغ ما يريده، كأن يجعل درساً في كتاب $الأربعين النووية# للإمام النووي : لحث الناس على إخلاص العبادة لله وحده، وذلك من خلال شرح أول حديث في الكتاب $إنما الأعمال بالنيات...#.

ج. أن يجعل الداعية موضوع محبة رسول الله ح باباً لبيان وجوب اتباع هدي النبي ح في جميع شؤون الحياة، ومن ذلك: العبادات.

---

(1) معالم في طريق الإصلاح (ص 64-65).
(2) الحكمة في الدعوة إلى الله (ص 337).
(3) انظر: فتح الباري (217/7).
(4) المنهاج في شعب الإيمان (218/3).
(5) راجع (ص 25-26).

د. أن يفتح الداعية للناس درساً في التفسير، وفي ثناياه يحث الناس على توحيد الله، من خلال تفسير الآيات التي تتحدث عنه.

و. أن يلقي الداعية خطبة عن فضائل الذكر، ويختمها ببيان أهمية فهم ما يتلوه الذاكرون من الأذكار، فيبين معنى $لا إله إلا الله# وأنه لا معبود بحق إلا الله، ومعنى $لا حول ولا قوة إلا بالله# فلا يتعلق الإنسان بالتمائم، ومعنى $الله أكبر# فلا يخاف المسلم إلا الله تعالى، ومعنى $الحمد لله# فلا يشكر المسلم إلا ربه، وهكذا[1]...

بهذا سيخفف الداعية الوطأة على المخاطبين، وسيجد إقبالا ً منهم بإذن الله جل وعلا.

ومن جميل ما يذكر في هذا المقام، من الشواهد العملية لتطبيق هذا النوع العملي من الحكمة: ما قام به الشيخ مقبل بن هادي الوادعي : باليمن؛ وذلك أن اليمن حين مجيئ الشيخ كانت من البلدان التي ينتشر فيها الشيعة ؛ بدأ الشيخ : دعوته بإلقاء دروس في فضائل أهل البيت، وأكثر منها فذكر الأحاديث الصحيحة فيها، فأقبل الشيعة لدروس الشيخ لما يرون من التوافق بينهم وبينه في تعظيم أهل البيت، حتى إذا ثاب الناس إلى دروسه، بدأ : يعلمهم أمور دينهم من التوحيد والعبادات والمعاملات، فكان ثمر تلك الدعوة المباركة -بتوفيق من الله جل في علاه- أن انتشرت دعوة التوحيد والسنة في أرجاء اليمن المعمورة، بل تعدت إلى أصقاع العالم بأسرها. فرحم الله الشيخ مقبلا ً رحمة واسعة، ووفق من بقي من تلاميذه لسلوك الدرب الذي يحبه الله ويرضاه...

5- الإكثار من نقل كلام أئمة أهل السنة الذين لهم منـزلة في قلوب الناس، دون العلماء الذين يبغضونهم[2].

فمن صور الحكمة: بعد أن يأتي الداعية بأدلة من الكتاب والسنة، عليه أن يستأنس بكلام العلماء الذين لهم منـزلة في نفوس الناس، ولهم مكانة، ويحترمونهم، ولا يستطيعون الطعن فيهم ولا في كلامهم، فالشافعية -مثلا ً- يعظمون كلام أئمة الشافعية؛ كالإمام الشافعي، والمزني، وعثمان الدارمي، والمروزي، وابن خزيمة، وأبي الحسن الأشعري، والأزهري، وابن حبان البستي، والآجري، والخطابي، واللالكائي، والصابوني، وأبي حامد الغزالي، والبغوي، وأبي القاسم التيمي، وابن الأثير، والنووي، والذهبي، وابن كثير، والمقريزي، وابن حجر العسقلاني، والسيوطي، وابن حجر الهيتمي، و

(1) من المراجع المفيدة للداعية في جمع المادة العلمية في الموضوع المذكور: $المباحث العقدية المتعلقة بالأذكار# لعلي الكيلاني.

(2) انظر: الحث على المودة والائتلاف والتحذير من الفرقة والاختلاف، للشيخ د. ربيع بن هادي المدخلي (ص 22-23).

السويدي، وابن حجر البنعلي، وغيرهم كثير، رحمهم الله[1].
فكون الداعية يأتي بكلام هؤلاء أمام جمهور الشافعية؛ يكون أدعى لقبول دعوته، وله أن يستعين في ذلك بالكتب والرسائل العلمية التي كُتِبَت في جمع كلام أولئك الأعلام في التوحيد والسنة، فينتقي منها ما يراه مناسباً لموضوع حديثه[2].

---

(1) مع التنبيه أن فيمن ذكرت من الأعلام -وهم قلة ولله الحمد- ملحوظات في بعض الجوانب من عقيدتهم، إلا أن ذلك لا يمنع من الاستشهاد بكلامهم الذي وافق فيه الحق. وإن قيل: إن الاستشهاد بكلام أولئك قد يوهم للناس أنهم محسوبون ضمن علماء أهل السنة، مع أن الواقع خلاف ذلك، قلنا: سوف نبين للناس حقيقة عقيدة أولئك إذا جاءنا الوقت المناسب، وبطريقة حكيمة.

(2) أذكر ما تيسر لي من تلك الكتب والرسائل: $منهج الإمام الشافعي : في إثبات العقيدة# لشيخنا د. محمد ابن عبد الوهاب العقيل، $الإمام عثمان بن سعيد الدارمي ودفاعه عن عقيدة السلف# لمحمد محمود أبو رحيم، و$منهج الإمام المروزي في أصول الإيمان ومسائله# لسليمان بن محمد العثيم، و$بين أبي الحسن الأشعري والمنتسبين إليه في العقيدة# لخليل إبراهيم أحمد الموصلي، و $جهود الإمام الأزهري اللغوي في تقرير العقيدة السلفية والرد على مخالفيها# لمحمد الشيخ عليو محمد، و$آراء ابن حبان في مسائل العقيدة ومنهجه في عرضها# لعبد العزيز عبد الله رشيد المبدل، و$الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة# للحسن بن عبد الرحمن العلوي، و$منهج الماوردي في أصول الدين عرض ورد# لعبد العزيز بن عمر الغامدي، و$البيهقي وموقفه من الإلهيات# للدكتور أحمد بن عطية الغامدي، و$الخطيب البغدادي وجهوده في تقرير عقيدة السلف والرد على المخالفين# لإيناس بنت زيد الزيد، و$منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة# لأحمد عبد اللطيف عبد الله العبد اللطيف، و$جهود أبي المظفر السمعاني في تقرير عقيدة السلف# لمحمد بن بو بكر بن عمر بن علي، و$آراء الغزالي في الإلهيات عرض ونقد# لسليمان طلحة حسن شيبي، و$منهج الإمام البغوي في تقرير عقيدة السلف# لمحمد بن عبد الله الخضيري، و$جهود الإمام الحافظ أبي القاسم الأصبهاني في تقرير العقيدة والرد على المخالفين# لخالد ابن محمد الأحمدي، و$آراء فخر الدين الرازي العقدية في النبوة والرسالة دراسة ونقد على ضوء مذهب السلف# لأحلام محمد سعد الوادي، و$آراء العز بن عبد السلام العقدية عرض ونقد#، لليلى محمد الثبيتي، و$منهج الإمام ابن الصلاح في تقرير العقيدة والرد على المخالفين عرضاً ودراسةً# لعبد الله بن أحمد آل غنيم الغامدي، و$منهج الإمام النووي في أصول الدين# لمنيرة بنت حمود البدراني، و$البيضاوي وآراؤه الاعتقادية عرض ونقد من خلال تفسيره# لشريفة أحمد المالكي، و$منهج الإمام الذهبي في العقيدة وموقفه من المبتدعة# لسعيد بن عيضة الزهراني، و $آراء أبي الحسن السبكي الاعتقادية، عرض ونقد في ضوء عقيدة السلف الصالح# لعجلان بن محمد العجلان، و$منهج الإمام ابن كثير في تقرير عقيدة السلف#، لعلي بن حسين بن يحيى موسى، و$المقريزي وآراؤه الاعتقادية دراسة ونقد في ضوء مذهب أهل السنة والجماعة وموقفه من الفرق# لإبراهيم مسعود

ويجتنب الداعية قدر المستطاع -لاسيما في بداية دعوته- ذكر أئمة أهل السنة الذين قد شُوّهت سمعتهم من قبل أعداء السنة؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام ابن القيم، والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله. وإن كان ولابد من ذكر أقوالهم؛ فيذكرها بدون نسبتها لأصحابها، أو يأتي باسم لهم غير مشتهر، كأحمد بن عبد الحليم الحراني، ومحمد بن أبي بكر الزرعي، ومحمد التميمي، أو يصرح بأسمائهم ولكن في معرض ذكر أقوال الأ ئمة على مر العصور، فيأتي بأقوال من تقدمهم من الأعلام، ثم يأتي بكلامهم على سبيل بيان أن تقريراتهم لا تخالف تقريرات من تقدمهم من أئمة الإسلا م(1).

6- ملازمة الرفق واللين في الدعوة إلى الله وفي الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر:

لا بد أن يكون الداعية رفيقاً في دعوته ما أمكنه ذلك؛ لأن هذه الصفة الطيبة -أعني الرفق- هي من الصفات المحببة إلى الخلق كما يحبها الخالق جل وعلا(2)، فقد ثبت عن النبي ح أنه قال: $إن الله رفيق يحب الرفق في

المالكي، و$منهج الحافظ ابن حجر في العقيدة من خلال كتابه "فتح الباري"# لمحمد إسحاق كندو، و$جلال الدين السيوطي وآراؤه الاعتقادية عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة# لسعيد إبراهيم مرعي خليفة، و$آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية عرض وتقويم في ضوء عقيدة السلف# لمحمد بن عبد العزيز الشايع، و$جهود العلامة أحمد بن حجر آل بوطامي في تقرير عقيدة السلف والرد على المخالفين# للأخ إسماعيل غصاب العدوي، و$جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة# للدكتور عبد الله بن عبد العزيز العنقري، و$جهود علماء الشافعية في إنكار البدع: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج جمعاً ودراسة# للأخ محمد نور ا لإحسان، و$جهود علماء الشافعية في تقرير عقيدة السلف في مباحث الإيمان و الرد على المخالفين# للأخ وضاح محمد أحمد علي. وقد استفدت في ذكر هذه الرسائل من مراجع أهمها: دليل المكتبة العقدية معجم موضوعي للكتب والرسائل والبحوث في العقيدة، لمحمد بن عبد العزيز بن محمد الشايع (ص 138، 149-158، 170-161). وقد من الله سبحانه علي بكتابة بحث متواضع مستفيداً من الجهود المبذولة وعنونته بـ Imam Syafi'i Menggugat Syirik, Pembelaan Imam Syafi'i dan Pengikutnya terhadap Tauhid (الإمام الشافعي ينكر الشركيات - دفاع الإمام الشافعي وأتباعه عن التوحيد)، وتم نشره قبل عامين ولله الحمد، وكتب الله له النفع، والحمد لله أولا ً وآخراً...

(1) من المراجع المفيدة للداعية في التنقيب عن أقوال من تقدم على شيخ الإسلام مما يوافق تقريراته: $المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع جمعاً ودراسة# لخالد بن مسعود الجعيد وآخرين.

(2) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصوله وضوابطه وآدابه، لخالد بن عثمان السبت (ص 193).

الأمر كله، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف#[1].
ثم إن هذه الصفة محببة إلى الخلق؛ لأن الإنسان بطبعه وفطرته يحب الإحسان ويكره الإساءة، وهو يقبل من طريق الرفق ما لا يقبل من طريق العنف والشدة، بل إن الإنسان -غالباً- إذا دعي بعنف فإنه تأخذه العزة بالإثم فيأنف ويصر على خطئه عناداً، وهو بطبعه ينفر من أهل الفظاظة والغلظة.
ومصداق ذلك قوله تعالى: ﭽﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼآل عمران: ١٥٩، ولذا أرشده لأ إلى المدخل إلى نفوسهم وقلوبهم فقال: ﭽ ﭰ ﭱ ﭼ وهذا ولا شك إذا كان المقام يحتمل ذلك، ثم أعقبه ذلك بقوله: ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭼ؛ فاتصاف الداعية بالشفقة والرحمة والحرص على هداية المدعو أمر ضروري لقبول دعوته.
وهكذا حال النبي ح، قال تعالى ممتناً ببعثته: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ التوبة: ١٢٨[2].
يقول سفيان الثوري :: $لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث؛ رفيق بما يأمر ورفيق بما ينهى، عدل بما يأمر عدل بما ينهى، عالم بما يأمر عالم بما ينهى#[3].
ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية :: $والرفق سبيل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، ولهذا قيل: ليكن أمرك بالمعروف بالمعروف، ونهيك عن المنكر غير منكر#[4].
ولا يعنى من كل ما سبق ذكره: أن الرفق هو الأسلوب الوحيد في الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنما أردت التأكيد عليه، ولفت ا لأنظار إلى أهميته، وأنه هو الأصل في الدعوة إلى الله تعالى، قال ابن الوزير[5] :: $ولا شك أن صفة اللطف والرفق والرحمة هي الغالبة القوية في الكتب السماوية والأحوال النبوية#[6]، وقال الشيخ ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله: $الأصل في الدعوة: اللين والرفق والحكمة#[7].

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق (2004/4 رقم 2593) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(2) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصوله وضوابطه وآدابه (ص 193-194).
(3) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال (ص 46 رقم 32).
(4) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص 39).
(5) هو: محمد بن إبراهيم بن علي الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (840-775 هـ)، الإمام الكبير، المجتهد، صاحب المؤلفات البديعة، مثل: العواصم والقواصم، وإيثار الحق على الخلق وغيرها. انظر: البدر الطالع (81/2 وما بعدها)، والأعلام (300/5).
(6) العواصم والقواصم (172/1).
(7) الحث على المودة والائتلاف (ص 38).

ومما يدل على أن الأصل في الدعوة هو الرفق: أن الإنسان مأمور بسلوك الرفق إذا استوى عنده استخدام الرفق والشدة، يقول العلامة ابن العثمين :: $فإذا كانت المصلحة في الغلظة والشدة فعليك بها، وإذا كان الأ مر بالعكس فعليك بالرفق واللين، وإذا دار الأمر بين اللين والرفق أو الشدة و العنف فعليك باللين والرفق؛ لأن النبي ح قال: "إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله"#[1].

هذا هو الأصل، وإلا فإن المرء قد يداوي أحب الناس إليه بالكي بالنار أو يبتر عضواً من أعضائه! فالداعية قد يسلك مسلك الشدة في دعوته، في موطنها وبضوابطها.

يقول الحليمي :: $ينبغي أن يكون الآمر بالمعروف مميزاً، يرفق في مواضع الرفق، ويعنف في مواضع العنف ... لا ينبغي لمن يقوم بهذا الأمر أن يعنف في موضع الرفق، فكذلك لا ينبغي له أن يرفق في موضع التعنيف، لئ لا يستخف قدره ويقضي أمره#[2].

يقول ابن الوزير : مبيناً شروط استعمال الشدة: $واعلم أن للزجر و التخويف بالألفاظ الغليظة شروطاً أربعة:

شرطين في الإباحة، وهما: أن لا يكون المزجور محقاً في قوله أو فعله. وأن لا يكون الزاجر كاذباً في قوله؛ فلا يقول لمن ارتكب مكروهاً: يا عاصي، ولا لمن ارتكب ذنباً لا يعلم كبره: يا فاسق، ولا لصاحب الفسق من المسلمين: يا كافر، ونحو ذلك.

وشرطين في الندب، وهما: أن يظن المتكلم أن الشدة أقرب إلى قبول الخصم للحق أو إلى وضوح الدليل عليه. وأن يفعل ذلك بنية صحيحة، ولا يفعله لمجرد داعية الطبيعة#[3].

تنبيهان:

أ. من أهم ما ينبغي معرفته، أنه لا منافاة بين الرفق والغضب، بمعنى أن الواجب على المسلم أن يغضب إذا انتُهكت حرمات الشرع كما كان النبي ح يفعل في تلك الحال. ولكن هذا لا يعنى لزوم التغليظ بالقول أو القيام ب الضرب إن كانت المصلحة لا تقتضي ذلك.

فالحاصل أن الإنسان قد يرفق أشد الرفق وهو يمتلئ بأشد الغضب، كما أنه قد يعنف من دون حصول الغضب في النفس.

وبهذا نعلم أن الغضب عند انتهاك المحارم الشرعية مطلب شرعي، وأمارة على الغيرة على الدين ورسوخ الإيمان في النفس.

أما الرفق والغلظة فأداتان للتغيير يختار الداعية أصلحهما لحال

---

(1) شرح الأربعين النووية (ص 199).
(2) المنهاج في شعب الإيمان (218/3).
(3) العواصم والقواصم (234/1).

المدعو[1].

ب. بعض المنتسبين للدعوة يعيب على استعمال الشدة في الدعوة أحياناً ويأمر باللين فقط حتى ولو كان المخالف مما عظمت بدعته وانتشرت ضلالته، متناسياً أن الشريعة جاءت بالشدة في موضعها.

ويقابل هؤلاء: فريق يريد استخدام الشدة غالباً مُغفلا ً ما جاءت به الشريعة من اللين في موضعه، وكلا الفريقين أخذ جانباً من الدين وأغفل آخر[2].

يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز :: $إن الشريعة الكاملة جاءت بـ اللين في محله، والشدة في محلها، فلا يجوز للمسلم أن يتجاهل ذلك، ولا يجوز أيضا ً أن يوضع اللين في محل الشدة، ولا الشدة في محل اللين.

ولا ينبغي أيضا ً أن ينسب إلى الشريعة أنها جاءت باللين فقط، ولا أنها جاءت بالشدة فقط، بل هي شريعة حكيمة كاملة صالحة لكل زمان ومكان ولإصلاح جميع الأمة؛ ولذلك جاءت بالأمرين معا ً، واتسمت بالعدل والحكمة والسماحة.

فهي شريعة سمحة في أحكامها وعدم تكليفها ما لا يطاق، ولأنها تبدأ في دعوتها باللين والحكمة والرفق، فإذا لم يؤثر ذلك وتجاوز الإنسان حده وطغى وبغى، أخذته بالقوة والشدة، وعاملته بما يردعه ويـ ُعـ َر ِّفه سوء عمله#[3].

7- العناية بذوي المكانة، ومن صور ذلك تأليفهم بالمال وغيره[4]:

ذوو المكانة هم الكبراء وهم السادة والأشراف من الناس[5]، وهم الملأ الذين أشار الله تعالى إليهم في غير ما موضع من كتابه الكريم.

وقد حث الله الأنبياء لإ في دعوتهم لهذا الصنف على الرفق واللين و التلطف والتدرج في بيان الحق لهم، قال تعالى مخبرا ً عن موسى وهارون إ: ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼطه: 43 -٤٤؛ فأمرهما الله بدعوة فرعون بكلام رقيق لين سهل، ليكون أوقع في النفوس، وأبلغ وأنجح[6] ولما في ذلك من التأثير في الإجابة[7]، ذلك أن الكلام الذي فيه شدة وخشونة بادئ ذي بدء من أعظم أسباب النفرة ، وعدم الا

(1) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصوله وضوابطه وآدابه (ص 216-217).
(2) أصول الشيخ عبد العزيز بن باز في الرد على المخالفين، لفيصل بن قزار الجاسم (ص 155).
(3) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (3/204-205).
(4) مختصر من التدرج في دعوة النبي ح (ص 110-115، 92).
(5) انظر: تفسير القرطبي (9/260).
(6) تفسير ابن كثير (5/295).
(7) فتح القدير (2/101).

استجابة ، والتصلب في الكفر[1] لا سيما إذا كان المدعو من الكبراء الذين تغلب عليهم صفة الكبر والتجبّر[2].

ورسولنا ح كان يِ ُو ْل ِي ذوي المكانة من المدعوين عناية خاصة، بل لقد كان يولي كبراء قومه عناية خاصة، لمكانتهم في قومهم، ومما يدل على ذلك ما رواه ابن كثير :: $اجتمع ع ِلِ ْيِ َة من أشراف قريش ... فبعثوا إليه: إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك، فجاءهم رسول الله ح سريعا ً، وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بِ ُدو، وكان حريصًا يحب رشدهم، ويعز عليه عنتهم، حتى جلس إليهم#[3].

وهكذا كان موقفه ح مع عتبة بن ربيعة، وهو أحد سادات قريش، فقد أظهر ح من العناية به والتلطف في دعوته ما جعله يعود بغير الوجه الذي جاء به[4].

بل كان ح يبدأ بعرض الدعوة على ذوي المكانة من الأشراف والسادة، يقول ابن إسحاق :: $لما انتهى رسول الله ح إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم ... فدعاهم إلى الله#[5].

والشواهد على ذلك من سيرة الرسول ح ودعاته كثيرة، فيا ترى ما السر في ذلك؟

لقد بيّن رسولنا ح الحكمة في العناية بذوي المكانة بقوله: $لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن اليهود#[6].

يقول الحافظ ابن حجر :: $والذي يظهر أنهم الذين كانوا حينئذ رؤساء في اليهود ومن عداهم كان تبعًا لهم#[7].

فهؤلاء العشرة الذين هم من علماء اليهود ورؤسائهم والذين يقتدي بهم اليهود، لو أسلموا لقادوا سائرهم إلى الإسلام[8]، وإذا تأملنا موقفه ح مع سيد أهل اليمامة ثمامة بن أثال ط[9] يتبين لنا مدى عنايته ح بذوي المكانة

---

(1) انظر: تفسير الرازي (58/22)، وفتح القدير (101/2).
(2) انظر: تفسير الرازي (58/22).
(3) السيرة النبوية لابن كثير (478/1-479).
(4) تفسير القرطبي (391/18).
(5) سيرة ابن هشام (419/1).
(6) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب إتيان اليهود النبي ح حين قدم المدينة (274/7 رقم 3941 -الفتح).
(7) فتح الباري (275/7).
(8) انظر: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني لأحمد البنا (102/1).
(9) روى القصة البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال (87/8 رقم 4372)، ونصها: عن أبي هُرَيْرَةَ ط قَالَ: $بَعَثَ النَّبِيُّ ح

من الأشراف والسادة الذين يرجى بإسلامهم إسلام أتباعهم.

يقول الحافظ ابن حجر : مبينًا فائدة جليلة في عناية الرسول ح بثمامة ط: $وفيه الملاطفة بمن يرجى إسلامه من الأسارى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام، ولا سيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه#[1].

وفي هذا الصدد يعلق الإمام النووي : قائلا ً: $هذا من تأليف القلوب، وملاطفة لمن يرجى إسلامه من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير#[2].

ومما يدل على عنايته ح بهذا الصنف من المدعوين: أنه كان يجزل العطاء لبعض ضعفاء الإيمان ممن لهم المكانة في أقوامهم، ويعلل ذلك بقوله : $إنه رأس قومه، فأنا أتألفهم به#[3].

خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ: ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ح فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ، فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ المَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ. فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الغَدُ ثُمَّ قَالَ: لَهُ مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الغَدِ فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ. فَقَالَ: أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ، فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلٍ قَرِيبٍ مِنَ المَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ المَسْجِدَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، يَا مُحَمَّدُ وَاللهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ البِلَادِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ العُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ح وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ، قَالَ: لَا وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ح وَلَا -وَاللهِ- لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ اليَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ح #.

(1) فتح الباري (8/88-89).
(2) شرح النووي على صحيح مسلم (11/309).
(3) انظر: فتح الباري (1/80).

بل كان ح يعطي أناسا ً ما زالوا على شركهم، مثل صفوان بن أمية[1]؛ إذ أعطاه ح عطاء عظيما ً، فقد روى مسلم عن ابن شهاب قال: $غزا رسول الله ح بحنين فنصر الله دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله ح يومئذ صفوان بن أمية مائة من النعم، ثم مائة، ثم مائة!#[2]، فكيف كان أثر هذا العطاء في هذا الرجل؟

يصف بنفسه ط هذا الأثر فيقول: $والله لقد أعطاني رسول الله ح ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي#[3].

فهذا هو هدي النبي ح مع ذوي المكانة سواء كانت مكانته دنيوية أو دينية، بينما نجد بعض الدعاة في هذا الزمان يبدأ دعوته بالتنفير من ذوي المكانة لما يراه من مخالفات عندهم! ألا يعلم أنه بكلمة واحدة يستطيع أولئك من تنفير الناس عنه وعن دعوته، فتفشل دعوته في أول طريقها؟، وهذا هو الواقع المشاهد في عدد من الأصقاع.

ولو أنه جعل رسوله ح قدوة لدعوته، لانتفع الناس بدعوته، ولأثمرت -بتوفيق من الله-، ولأينعت ثمارها، والله الموفق إلى سواء السبيل...

8- الحرص على الاهتمام بدعوة الشباب والصغار وتربيتهم تربية ص الحة:

$لقد عُني الإسلام عناية فائقة بالاهتمام بأمر الصغار وطرق إصلاحهم؛ ذلك لأن صلاح الصغار وتنشئتهم نشأة صالحة تزيد قوة البناء، وتجعل الأجيال القادمة محفوظة -بعون الله تعالى وفضله- من مضلات الفتن، وهذا مما يعود على الصغار بالنفع، وعلى الكبار بالأجر#[4].

ومن جانب آخر؛ إن الصغار والشباب هم من أسهل طبقات المجتمع تأثراً -بالخير أو الشر-، بخلاف الكبار الذين لربما أحسوا بامتلاك التجارب المتنوعة والعلم الكثير، فيأنفون من قبول ما لا يوافق ما يعتقدونه وإن كان حقاً، كما أن لمكانة الشخص الاجتماعية دورها في التأثير على الشخص من حيث قبول ما هو جديد عليه أو رده.

---

(1) هو: صفوان بن أمية بن خلف القرشي، صحابي من المؤلفة، مات أيام قتل عثمان ط وقيل غير ذلك. انظر: التقريب (رقم 2948).
(2) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل النبي ح قط فقال: لا، وكثرة عطائه (1806/4 رقم 2313).
(3) المرجع نفسه.
(4) معالم في طريق الإصلاح (ص 68).

وهذا بخلاف الشباب والصغار الذين يسهل تعليمهم وتربيتهم وتوجيههم، يقول الحسن :: $العلم في الصغر كالنقش على الحجر#[1].

لذا، لقد جاءت نصوص كثيرة في العناية بأمر الصغار وتعاهد شأنهم، فمن ذلك: قوله تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼالتحريم: ٦، وثبت في السنة أن النبي ح قال: $علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر# أخرجه البيهقي : وبوّب عليه: $باب ما على الآباء والأمهات من تعليم الصبيان أمر الطهارة والصلاة#[2].

فـ$الشاب إذا ثقف العلم من أول الأمر؛ صار العلم كالسجية له و الطبيعة له، وصار كأنه غريزة قد شب عليه فيشيب عليه#[3].

9- مراعاة الأولوية في إنكار المنكر؛ بدأ بالمنكر الأشد فالشديد:

قال بعضهم:

إنّ اللَّبِيبَ إِذَا بَدَا مِنْ جِسْمِهِ مَرَضَانِ مُخْتَلِفَانِ دَاوَى الأَخْطَرَا[4]

إن معرفة الأولويات ومنازل الأعمال وما يترتب عليها فعلا ً أو تركاً أمر ضروري للدعاة في أزمنة الفترات، وتفشي وظهور المنكرات، واضمحلال الديانة في قلوب كثير من الناس وواقعهم، مثل هذا الزمان الذي نعيشه اليوم.

ولقد دل على ثبوت هذا المبدأ وشرعيته الكتاب والسنة، وعليه جرى عمل سلف الأمة.

لقد قص الله تعالى علينا قصص الأنبياء وأخبارهم مع أقوامهم، فكان كل واحد منهم يخاطب قومه من حين بعثه إليهم بقوله: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼالأعراف: ٥٩[5].

ومن المعلوم أنهم لم يكونوا يبدأون دعوتهم لأقوامهم بالحديث عن تحريم الخمر أو الزنا أو نحو ذلك من الأمور، وإنما كانوا يقررون لهم التوحيد أولا ً ويجعلونه منطلقاً لدعوتهم، ثم ينتقلون معه إلى معالجة كبر المشكلات التي يعايشها ذلك المجتمع الذي يبعثون فيه، وبعد ذلك ينتقلون إلى ما دونها وهكذا[6].

فقد كان هذا المنهج هو المنهج الذي سار عليه رسولنا ح في دعوته؛ قد

---

(1) رواه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (ص 375 رقم 640).
(2) السنن الكبرى للبيهقي (3/83-84).
(3) شرح رياض الصالحين، للشيخ ابن عثيمين (1/214).
(4) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (20/54).
(5) ورد هذا في مواضع عدة من القرآن؛ كما في الأعراف: 59، 65، 73، 85، وهود: 50، 61، 84، والنحل: 36، والمؤمنون: 23، 33، والنمل: 45، والعنكبوت: 36.
(6) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصوله وضوابطه وآدابه (ص 226-228) باختصار.

روى البخاري بسنده عن عائشة ك قالت: $إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنْ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ $لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ# لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ $لَا تَزْنُوا# لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا. لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ ح وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ ﭽ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﭼ[القمر: ٤٦]، وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ#(1).

يقول الحافظ ابن حجر : في بيان فقه هذا الحديث: $أشارت ك إلى الحكمة الإلهية في ترتيب التن-زيل، وأن أول ما نزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد، والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة وللكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام، ولهذا قالت: $ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندعها#؛ وذلك لما طبعت عليه النفوس من النفرة عن ترك المألوف#(2).

فإذا كان الشخص أو المجتمع جامعين بين منكر كبير ومنكرات دونه ينكر الداعية المنكر الأكبر كأمور الاعتقاد؛ لأنها تقدم على ما دونها من الا نحرافات، فيقدم الإنكار على الشركيات قبل الإنكار على البدع، ويقدم الإنكار على الكفريات قبل الإنكار على المعاصي.

ولا يلزم على الداعية الإنكار على جميع المنكرات التي رآها دفعة واحدة، لاسيما إذا رأى من المخاطبين عدم استعدادهم لقبول ذلك كله، وتترتب على تصرفه هذا مفاسد عظيمة؛ فلا يقبل الناس منه لا في المنكر الأ شد ولا الشديد، لتعجّله في إنكارها في الحال.

وسكوت الداعية عن المنكرات الأخرى في مثل تلك الحالة لا يعد إقراراً منه عليها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : في كلام نفيس جداً مؤصِّلاً هذا المنهج: $العالم تارة يأمر، وتارة ينهى، وتارة يبيح، وتارة يسكت عن الأمر أو النهي أو الإباحة، كالأمر بالصلاح الخالص أو الراجح أو النهي عن الفساد الخالص أو الراجح، وعند التعارض يرجح الراجح -كما تقدم- بحسب الإ مكان.

فأما إذا كان المأمور والمنهي لا يتقيد بالممكن إما لجهله وإما لظلمه، و لا يمكن إزالة جهله وظلمه، فربما كان الأصلح الكف والإمساك عن أمره ونهيه كما قيل: إن من المسائل مسائل جوابها السكوت، كما سكت الشارع في أول الأمر عن الأمر بأشياء والنهي عن أشياء حتى علا الإسلام وظهر. ف العالم في البيان والبلاغ كذلك؛ قد يؤخر البيان والبلاغ لأشياء إلى وقت

---

(1) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن (38/9 رقم 4993 - الفتح).
(2) فتح الباري (38/9).

التمكن، كما أخر الله سبحانه إنزال آيات وبيان أحكام إلى وقت تمكن رسول الله ح إلى بيانها.

يبين حقيقة الحال في هذا أن الله يقول: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﭼ[الإسراء: ١٥].

والحجة على العباد إنما تقوم بشيئين: بشرط التمكن من العلم بما أنزل الله، والقدرة على العمل به. فأما العاجز عن العلم كالمجنون أو العاجز عن العمل؛ فلا أمر عليه ولا نهي، وإذا انقطع العلم ببعض الدين، أو حصل العجز عن بعضه؛ كان ذلك في حق العاجز عن العلم أو العمل بقوله كمن انقطع عن العلم بجميع الدين أو عجز عن جميعه كالمجنون مثلا ً.

وهذه أوقات الفترات، فإذا حصل من يقوم بالدين من العلماء والأمراء أو مجموعهما كان بيانه لما جاء به الرسول ح شيئاً فشيئاً بمنـزلة بيان الرسول ح لما بعث به شيئاً فشيئاً، ومعلوم أن الرسول ح لا يبلغ إلا ما أمكن علمه والعمل به، ولم تأت الشريعة جملة، كما يقال: إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع.

فكذلك المجدد لدينه والمحيي لسنته، لا يبلغ إلا ما أمكن علمه و العمل به، كما أن الداخل في الإسلام لا يمكن حين دخوله أن يلقّن جميع شرائعه، ويؤمر بها كلها؛ وكذلك التائب من الذنوب، والمتعلم، والمسترشد، لا يمكن أول الأمر أن يؤمر بجميع الدين ويذكر له جميع العلم، فإنه لا يطيق ذلك، وإذا لم يطقه لم يكن واجباً عليه في هذه الحال، وإذا لم يكن واجباً لم يكن للعالم والأمير أن يوجبه جميعه ابتداءً، بل يعفو عن الأمر و النهي بما لا يمكن علمه وعمله إلى وقت الإمكان، كما عفى الرسول ح عما عفى عنه إلى وقت بيانه.

ولا يكون ذلك من باب إقرار المحرمات وترك الأمر بالواجبات؛ لأن الوجوب والتحريم مشروط بإمكان العلم والعمل، وقدر فرضنا انتفاء هذا الشرط، فتدبر هذا الأصل، فإنه نافع!#[1]، قلت: وما أنفعه من أصل!

فالداعية و$منكر المنكر مثل الطبيب، لو أن الطبيب أتى على الجرح وشقه مباشرة ليستخرج ما فيه فربما يتولد ضرر أكبر، ولكن لو أنه شقه يسيراً يسيراً وصبر على ما يشم منه من رائحة منتنة لحصل المقصود#[2].

10- عدم التصريح بأسماء المردود عليهم سواءً كانوا أفرادًا أو جماعات، إذا لم تقتض الحاجة ذلك:

$الرد من أهل السنة والجماعة على المبتدعة أهل الأهواء المنتسبين إلى الملة، هو رأس في المراد، لكن المراد هنا: ما هو أوسع من ذلك مما يحوي بيان "مشروعية الرد على كل مخالف بمخالفته المذمومة"، التي

(1) مجموع الفتاوى (20/58-60).
(2) لقاءات الباب المفتوح (2/493).

يمليها الهوى الغالب، وتمتطيه إلى أنواع المهالك والمعاطب، بما تحمله من شرك، أو كفر، أو نفاق، أو بدعة مضلة، وقد تحمل فسقاً، أو رأياً مصادماً لنصوص الوحيين، ويجمع هذه فتنتتن: فتنة الشبهات، وفتنة الشهوات، وهما المعبر عنهما باسم "الانحراف الفكري"، و"الانحراف السلوكي"#[1].

$ولأمر خير يريده الله في هذه الطائفة، الذابة عن دين الله وشرعه ينالهم أنواع من الأذايا والبلايا، زيادة في مضاعفة الأجر وخلود الذكر. ومن أسوئها: نفثات المخذّلين المقصرين من أهل السنة، فترى المُثْخَن بجراح التقصير، الكاتم للحق، البخيل ببذل العلم، إذا قام إخوانه بنصرة السنة يضيف إلى تقصيره مرضَ التخذيل، ومن وراء هذا ليوجد لنفسه عند المناشدة والمطالبة العذر في التولي يوم الزحف على معتقده. وهكذا تُلاك هذه الظاهرة المؤذية بصفة تشبه الحق، وهي باطل محض#[2]، والله المستعان...

ويدل على مشروعية الرد على المخالفين أدلة من الكتاب والسنة؛ فمن الكتاب قوله تعالى: ﭽﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﭼآل عمران: ١٠٤.

يقول أبو المعالي الجويني :: $... فإذا رأى العالم مثله، يزل ويخطئ في شيء من الأصول والفروع؛ وجب عليه من حيث وجوب الأمر بـ المعروف والنهي عن المنكر: دعاؤه عن الباطل وطريقه، إلى الحق وطريق الرشد والصواب فيه، فإذا لـحّ في خطابه وقوّى على المحقّ شبهته، بما أمكنه من طريق البرهان، وحسن الجدال، فحصل إذ ذاك بينهما المجادلة، من حيث لم يجد بداً منها في تحقيق ما هو الحق وتمحيق ما هو الشبهة و الباطل.

وصار بذاك بهذا المعنى: الجدال من آكد الواجبات، والنظر من أولى المهمات، وذلك يهم أحكام التوحيد والشريعة#[3].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية :: $والداعي إلى البدعة مستحق العقوبة باتفاق المسلمين، وعقوبته تكون تارة بالقتل، وتارة بما دونه ... ولو قدر أنه لا يستحق العقوبة أو لا يمكن عقوبته فلابد من بيان بدعته و التحذير منها، فإن هذا من جملة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أمر الله به ورسوله ح#[4].

ويدل على مشروعية ذلك من السنة: قوله ح: $يحمل هذا العلم من

---

(1) الرد على المخالف من أصول الإسلام - ضمن $الردود# للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد (ص 9).
(2) نفس المرجع (ص 16-17).
(3) الكافية في الجدل (ص 24).
(4) مجموع الفتاوى (414/30).

كل خلف عدوله؛ ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين#[1].

فالداعية في دعوته سيواجه أمامه عقبات عديدة، ومن أشدها دعاة الضلالة أفراداً وجماعاتٍ، فهو في مثل هذه الحالة يحتاج إلى الرد على هؤلا ء وبيان عوارهم؛ نصحاً لهم وللأمة، ولكن هل يلزم على الداعية أثناء رده عليهم التصريح بذكر أسماء المردود عليهم، أم أنه يكتفي بالرد على المقولة دون القائلين؟

إن الأصل في الرد على المخالف هو: الاكتفاء بالرد على المقولة وترك التعيين بالقائل، كما كان هدي النبي ح في ردوده إذ كان يقول: $ما بال أقوام قالوا كذا وكذا#[2].

فالداعية يقيم حق الله وحق العباد، فينظر باعتبارين: باعتبار حق الله لأ من وجوب بيان الحق والرد على الباطل، وحق العباد من وجوب تحذيرهم من الخطأ وتنبيههم عليه لئلا يقعوا فيه، وباعتبار حق المردود عليه من حفظ عرضه، وحفظ المودة والأخوة، وهذا موطن دقيق لا يُوفّق إليه إلا من هداه الله، وتجرد عن الهوى، وحب الانتصار للنفس، والعلوّ في الأ رض[3].

يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز : في ذكره لبعض آداب الرد: $وأن يكون الهدف بيان الحق والباطل، مع عدم الحاجة إلى بيان ذلك الشخص المنقول عنه إلا عند الضرورة التي تقتضي بيانه#[4].

هذا هو الأصل، ولكن إذا دعت الحاجة إلى التسمية فلا بأس بذلك، كما طبق ذلك رسول الله ح إذ قال لفاطمة بنت قيس[5] ك لما شاورته فيمن تنكح، لما خطبها معاوية بن أبي سفيان وأبو جهم، قال ح: $أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له#[6].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : بعد أن ساق هذا الحديث: $وكان هذا نصحاً لها -وإن تضمن ذكر عيب الخاطب-، وفي معنى هذا نصح الرجل فيمن يعامله، ومن يوكله، ويوصي إليه، ومن يستشهده، بل ومن يتحاكم

---

(1) سبق تخريجه (ص 1002).

(2) رواه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه (1020/2 رقم 1401).

(3) أصول الشيخ عبد العزيز بن باز في الرد على المخالفين (ص 228).

(4) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (242/8).

(5) هي: فاطمة بنت قيس بن خالد الفهرية، صحابية مشهورة، وكانت من المهاجرات الأول. انظر: التقريب (رقم 8754).

(6) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها (1114/2 رقم 1480).

إليه، وأمثال ذلك، وإن كان هذا في مصلحة خاصة، فكيف بالنصح فيما يتعلق به حقوق عموم المسلمين؛ من الأمراء والحكام والشهود والعمال أهل الديون وغيرهم، فلا ريب أن النصح في ذلك أعظم#[1]. انتهى كلامه :.

$وأعظم من ذلك النصح المتعلق بمصالح المسلمين الدينية، فإن هذه التي ذكر متعلقة بمصالح المسلمين الدنيوية، وإنما كانت النصيحة فيها أعظم لكونها عامة، فكيف إذا كانت النصيحة دينيةً عامةً كالتحذير من أهل البدع؛ فلا شك أنها أعظم من الجميع#[2].

$فلا ريب أن تسمية الأشخاص والتحذير منهم مما يوجبه دين الله تبارك وتعالى، وهذا فيما إذا استعمل في موضعه من غير إفراط بتسمية كل أحد والتشهير به، ولا تفريط بترك التسمية في موضعها بما يؤول إلى انتشار الباطل وضعف الحق#[3].

قال الشاطبي : في بيان الأحوال التي يجوز فيها تعيين الفِرَق وتسمية المخالفين: $والثاني: حيث تكون الفرقة تدعو إلى ضلالتها وتزيينها في قلوب العوام ومن لا علم عنده، فإن ضرر هؤلاء على المسلمين كضرر إبليس، وهم من شياطين الإنس، فلابد من التصريح بأنهم من أهل البدع والضلالة، ونسبتهم إلى الفرق إذا قامت لها الشواهد على أنهم منهم، كما اشتهر عن عمرو بن عبيد وغيره ...#.

إلى أن قال: $فمثل هؤلاء لابد من ذكرهم والتشريد بهم؛ لأن ما يعود على المسلمين من ضررهم إذا تُركوا أعظم من الضرر الحاصل بذكرهم و التنفير عنهم، إذ كان سبب ترك التعيين الخوف من التفرق والعداوة، ولا شك أن التفرق بين المسلمين وبين الداعين للبدعة وحدهم إذا أقيم عليهم، أسهل من التفرق بين المسلمين وبين الداعين ومن شايعهم واتبعهم، وإذا تعارض الضرران، فالمُرْتكب أخفهما وأسهلهما، وبعض الشر أهون من جميعه...#[4].

فالخلاصة: أن الأصل هو الستر، والعمل على دفع دواعي الفرقة و الوحشة وعدم الموافقة. فيَنْصَبّ الرد على المقالة المخالفة المذمومة، لا على قائلها، وتعيين اسم قائلها حسب مقتضى الأحوال[5]، والله أعلى وأعلم...

11- تحلية الردود بالعلم والبراهين دون كيل السباب والشتائم:

يقول الله تبارك وتعالى آمراً نبيه ح: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ يوسف: ١٠٨.

(1) مجموع الفتاوى (230/28).
(2) موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع (488/2-489).
(3) أصول الشيخ عبد العزيز بن باز في الرد على المخالفين (ص 228-229).
(4) الاعتصام (229/3-231).
(5) انظر: الموافقات (151/5-159)، والرد على المخالف (ص 63).

ويقول جل في علاه: ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ العنكبوت: ٤٦.

إن من الآداب التي يجب أن يتحلى بها الداعية في ردوده على المخالفين هو: تحليتها بالعلم والبرهان، فلابد أن يكون $راسخ القدم في العلم، يعلم على وجه التفصيل جوانب المسألة المتعلقة بموضوع الرد من حيث الأدلة الشرعية عليها، وكلام العلماء فيها ومدى مخالفة الخصم للحق، ومنشأ الشبهة عنده، وأقوال العلماء في رد هذه الشبهة والاستفادة من كلامهم في ذلك، كما ينبغي أن يتسم الراد على المخالف بقوة الحجة في تقرير الحق وإزالة الشبهة، ودقة العبارة بحيث لا يظهر عليه في شيء من ذلك أو يفهم من كلامه غير ما أراد، وإلا حصل الضرر العظيم بتصدي من فقد هذه الشروط للرد#[1].

وهذا الأمر -وللأسف- مما يفقده عدد ليس بالقليل ممن يتصدون للرد على المخالفين في إندونيسيا، فليجؤون لإخفاء هذه المنقصة وسترها عن أنفسهم بكيل السباب والشتائم في ردودهم، فجنوا على الإسلام قبل جنايتهم على أنفسهم!

من المعلوم أن المقصد من بيان الأخطاء والرد على المخالفين هو: إرجاع من وقع فيه إلى طريق الحق والصواب، وبيان الخطأ للناس ليحذروا منه، فإذا كان هذا هو المقصد، فإن المُنكِر والرادّ على المخالِف المخطئ ينبغي أن يسلك السبل الموصلة لتحقيق هذه الغاية، وهذا إنما يكون بالأسلوب الحسن والكلام الطيب، من غير لمز وشتم وسباب.

وسلوك هذا الطريق يجعل الأمر المدعوّ له أقرب إلى القلوب، وأدعى إلى القبول وعدم الردّ[2].

يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز :: $إن الواجب على الدعاة إلى الله سبحانه والناصحين لعباده: أن يتخيروا الأساليب المفيدة والعبارات التي ليس فيها عنف ولا تنفير من الحق، والتي يرجى من ورائها انصياع من خالف الحق إلى قبوله والرضى به وإيثاره والرجوع عما هو عليه من الباطل، وأن لا يسلك في دعوته المسالك التي تنفر من الحق وتدعو إلى رده وعدم قبوله#[3].

فحلية الرد بجلب أطايب الكلام، مدعماً بالعلم والبرهان هو $شأن المستيقن بما لديه من الحق، المستقر عليه، ومحافظة المحق قدره، وقيمته، ومروءته. وهذا من كرم التعامل، وإكرام الحامل للسنة، فانظر كيف تحمل الشريعة على مكارم الأخلاق، فيكون حاملها ومتولي الذب عنها، بمن-زلةٍ

(1) النصيحة فيما يجب مراعاته عند الاختلاف (ص 30-31).
(2) أصول الشيخ عبد العزيز بن باز في الرد على المخالفين (ص 183-184).
(3) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (2/351).

كريمةٍ تعلو رتبة الخصم. أما الزائد عن ذلك من توزيع الألقاب الشنيعة، و الفظاظة والشتائم، بغير حق شرعي، فهذا من شيمة أهل الأهواء يُرَوّجون به باطلهم، وما حقيقته إلا بلادة وليست بجلادة.

وخُذْ معياراً دقيقاً: **إن الرد العاطل من هذه الحلية، لا يكون إلا حين يختل شرط من شروطه الأساسية: النية، المتابعة، الأهلية.**

والرد بمجرد الشتم، والتهويل، لا يعجز عنه أحد، لكنه لا يغير من القول المردود عليه شيئاً، بل يبقى مكانه، فالراد هنا: لا ينكأ صيداً، ولا يقتل عدواً، بل هو بمنـزلة الحوالة على العدم، والمجهول، كمعصوم الرافضة، وغوث الصوفية، وكل هذا لا يغني عن الحق شيئاً.

قال الله تعالى: ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﭼ النحل: ١٢٥.

وقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ العنكبوت: ٤٦.

فالأصل في صياغة الرد: أن يكون بالتي هي أحسن، واللجوء إلى أساليب تأنيب الخصم، وتقريعه، والقسوة عليه، ضرورة تقدر بقدرها؛ لأن منشأها هو الخصم ذاته، بما يأتي به من كذب، وإرجاف، وتهويل، وسباب، وتلبيس، وعناد#[1].

12- استجابة الداعية طلب المخالفين للدعوة في مقرهم؛ إذا كانت مما يحقق المصالح ولا تترتب عليها المفاسد.

إذا ما دعي داعية من أهل السنة لإلقاء كلمة أو درس في مقر المخالفين -وكان هذا مما ليس فيه للناس فتنة، ويحقق مصلحة شرعية-؛ فعليه أن لا يمتنع من الاستجابة لهذه الدعوة، وأن يستغل هذه الفرصة لبيان الحق، بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن؛ لأن هذا الأمر من التعاون الشرعي.

يقول الله تبارك وتعالى: ﭽ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﭼ المائدة: ٢.

والتعاون مع المخالفين يكون شرعيا بضوابط منها:

أ. أن يكون التعاون في دائرة الحق الذي أتى به الشرع.

ب. مراعاة المصلحة والمفسدة؛ فإذا كان التعاون مع المخالف يؤدي إلى حصول مصلحة أعظم من مفسدة مخالفته أو درء مفسدة أعظم من مضرة بدعته؛ تعـيّن التعاون معه، وإلا فلا.

ج. ألا يتخذ المخالفون هذه المعاونة ذريعة لنشر مخالفاتهم والتقوي بها على باطلهم.

د. مراعاة ضوابط الهجر الشرعية[2] بجانب ضوابط التعاون

---

(1) الرد على المخالف من أصول الإسلام (ص 68-69).

(2) انظر تلك الضوابط في: موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع (553-563/2)، والنصيحة فيما يجب مراعاته عند الاختلاف (ص 25-29).

المذكورة[1].

13- فعل عادات أهل البلد -تألفًا لهم- ما لم تخالف هذه العادات الشرع، بل قد يكون ترك بعض السنن أحيانًا -تألفًا لقلوب من لا يعلمها ودرءاً للفتن- أمراً مشروعاً.

والأصل في هذا: قول رسول الله ح لعائشة ك في شأن إحجامه ح عن إعادة بناء الكعبة على قواعد إبراهيم ؛: $لَوْلا حَدَاثَةُ عَهْدِ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ؛ لَنَقَضْتُ الْكَعْبَةَ وَلَجَعَلْتُهَا عَلَى أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ؛ فَإِنّ قُرَيْشًا حِينَ بَنَتْ الْبَيْتَ اسْتَقْصَرَتْ وَلَجَعَلْتُ لَهَا خَلْفًا#[2].

وقد بوّب له الإمام البخاري : بقوله: $باب من ترك بعض الاختيار[3] مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشدّ منه#[4].

ويقول الحافظ الزيلعي : مستنبطاً وممثلاً ً: $وكان بعض العلماء يقول بالجهر -أي بالبسملة- سداً للذريعة، قال: **ويسوغ للإنسان أن يترك الأ فضل لأجل تأليف القلوب واجتماع الكلمة، خوفا من التنفير**؛ كما ترك النبي ح بناء البيت على قواعد إبراهيم ؛، لكون قريش كانوا حديثي عهد بـ الجاهلية وخشي تنفيرهم بذلك، ورأى تقديم مصلحة الاجتماع على ذلك. ولما أنكر الربيع على ابن مسعود ط إكماله الصلاة خلف عثمان ط، قال: الخ لاف شر. وقد نص أحمد وغيره على ذلك في البسملة، وفي وصل الوتر، وغير ذلك، مما فيه **العدول عن الأفضل إلى الجائز المفضول**، مراعاة لائتلا ف المأمومين، أو لتعريفهم السنة، وأمثال ذلك، **وهذا أصل كبير في سد الذرائع**#[5].

فمن أمثلة تطبيق ما سبق تقريره، وهي ما بين فعل ما هو مباح يظنه البعض ممنوعاً، أو ترك ما هو فاضل وفعل المفضول[6]:

أ. لبس لباس أهل البلد ما لم يشتمل على مخالفات للشرع.

---

(1) انظر: حقيقة البدعة وأحكامها لسعيد بن ناصر الغامدي (372/2-374)، ودعوة أهل البدع لخالد بن عثمان الزهراني (ص 259-260).

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه (224/1 رقم 126 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها (968/2 رقم 1333)، واللفظ لمسلم :.

(3) يقول الحافظ ابن حجر في الفتح (224/1): $قوله: "باب من ترك بعض الا ختيار": أي فعل الشيء المختار والاعلام به#.

(4) صحيح البخاري (224/1 -الفتح).

(5) نصب الراية (328/1).

(6) وقد ذكرت الأدلة على مشروعية أو جواز فعل تلك الأمور، ثم حليتها بما يؤيدها من كلام أهل العلم، وذلك في كتابي: 14 Contoh Praktek Hikmah dalam Berdakwah (14 مثالاً تطبيقياً للحكمة في الدعوة# (ص 112-138) .

ب. رفع الإزار أو الثوب أو السروال إلى ما فوق الكعبين فحسب، ولا يلزم رفعها إلى نصف الساقين.
ج. لبس المرأة غير اللون الأسود.
د. جواز صلاة الإمام في المحراب المعروف الآن.
هـ. جواز الجهر بالبسملة قبل الفاتحة في الصلاة.
و. جواز صلاة التراويح أربعًا أربعًا والوتر بثلاث.
ز. جواز رفع الأيدي والتأمين خلف إمام يقنت في صلاة الفجر.
ش. جواز ترك سنة الصلاة في النعال.

14- الصبر وعدم استعجال النتائج.

إن الفساد الذي ينخر في المجتمعات الإسلامية اليوم إنما هو حصيلة قرون متطاولة، وقد عمل على تقريره وإذاعته وتعميق جذوره جبابرة ودهاقنة للفساد متتابعون. تباعدت أقطارها واتحدت أهدافهم، ومثل هذا لا يمكن أن يغير في يوم ولا سنة! وإنما يحتاج إلى مدة كافية تماماً، يروّض فيها الناس على التوحيد والإيمان والصدق، بعد أن سفت السوافي على هذه الأمور العظام، وكادت أن تأفل عن عالم الواقع [(1)].

يحرص كثير من أهل الخير على رؤية النتائج الإيجابية، ويهتمون بذلك كثيراً، ويعلقون على ذلك الآمال الطويلة، فإذا ما طال بهم الأمد ولم تتضح رؤية النتائج بعد؛ دبّ إلى نفوسهم شيء من الضعف، وما يزال ذلك الضعف يزيد بهم على تقادم الأيام حتى يصاب بعضبهم بالإحباط والتقاعس ، بل قد يصل بعضهم إلى أن تحدث له رَدّة فعل عكسية.

وهذا من الخلل في المنهج الدعوي، فليس الداعية مكلفاً برؤية النتائج، وليس من ضرورة -أو أسباب- نجاح دعوته أن يرى نتائجها.

بل عليه أن يبذل قصارى جهده في دعوة الناس إلى الخير، فإن قُرّت عينه برؤية ثمار دعوته، فبها ونعمت، وإن كانت الأخرى وتأخر قطف الثمر، فهو على خير.

على المرء أن يسعى إلى الخير جهده وليس عليه أن تتم المقاصد

وقبل هذا كله، ليجعل الداعية إلى الخير نصب عينيه تلك النصوص عن تبليغ أنبياء الله لإ الناس الخير، والحرص على ذلك، ولو تأخر موسم الثمر:

ﭽ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭼالنحل: ٣٥.

ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭼالأعراف: ٦٨.

بل ويتأمل في تلك النصوص المؤكدة أن وظيفة الداعية البلاغ -حتى ولو أعرض المدعُوُّون- وليس من وظيفته أن يرى ثمار دعوته باستجابة المدعُوّين.

---

(1) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصوله وضوابطه وآدابه (ص 230-231).

كما في قوله تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ آل عمران: ٢٠.
ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼالتغابن: ١٢.

ومن خلال هذه النصوص وما في معناها يتبيّن أنه على الداعية إلى الخير أن يشمّر عن ساعديه في سبيل نشر الخير، فإن تقبّل المدعوون دعوته فله ولهم، وإن أصروا على باطلهم وعاندوا، فله وعليهم، فهو مأجور في الحالين.

ويُساق في هذا المقام حديث نبوي فيه أمثلة حقة لأهل القدوة العُلى لإ، وكيف أن قلة المستجيبين لم تمنعهم من دوام البلاغ، ولم تقلل من من- زلتهم في تحقيق العبودية ونصرة الدين:

عن ابن عباس م قال: قال رسول الله ح: $عُرِضَتْ عَلَيّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النّبِيّ وَمَعَهُ الرّهَيْطُ[1] وَالنّبِيّ وَمَعَهُ الرّجُلُ وَالرّجُلَان، وَالنّبِيّ لَيْسَ مَعَهُ أحَدٌ...# الحديث بطوله[2].

والشاهد منه ما ذكر هنا، من كون بعض الأنبياء لإ لم يتّبعهم إلا رجل أو رجلان؛ بل وبعضهم لم يتبعه أحد، فإذا كان هذا النبي الكريم الذي أُيّد بـ الوحي لم يستجب أحد لدعوته، ومع ذلك لم يفتر عزمه؛ بل استمر في تبليغ رسالة الله؛ مرضاةً لله وبراءة لذمته، ونصحاً لأمته، فأين أولئك الذين يُخَذِّلون أنفسهم ويُخَذِّلون غيرهم عند قلة المستجيبين؟

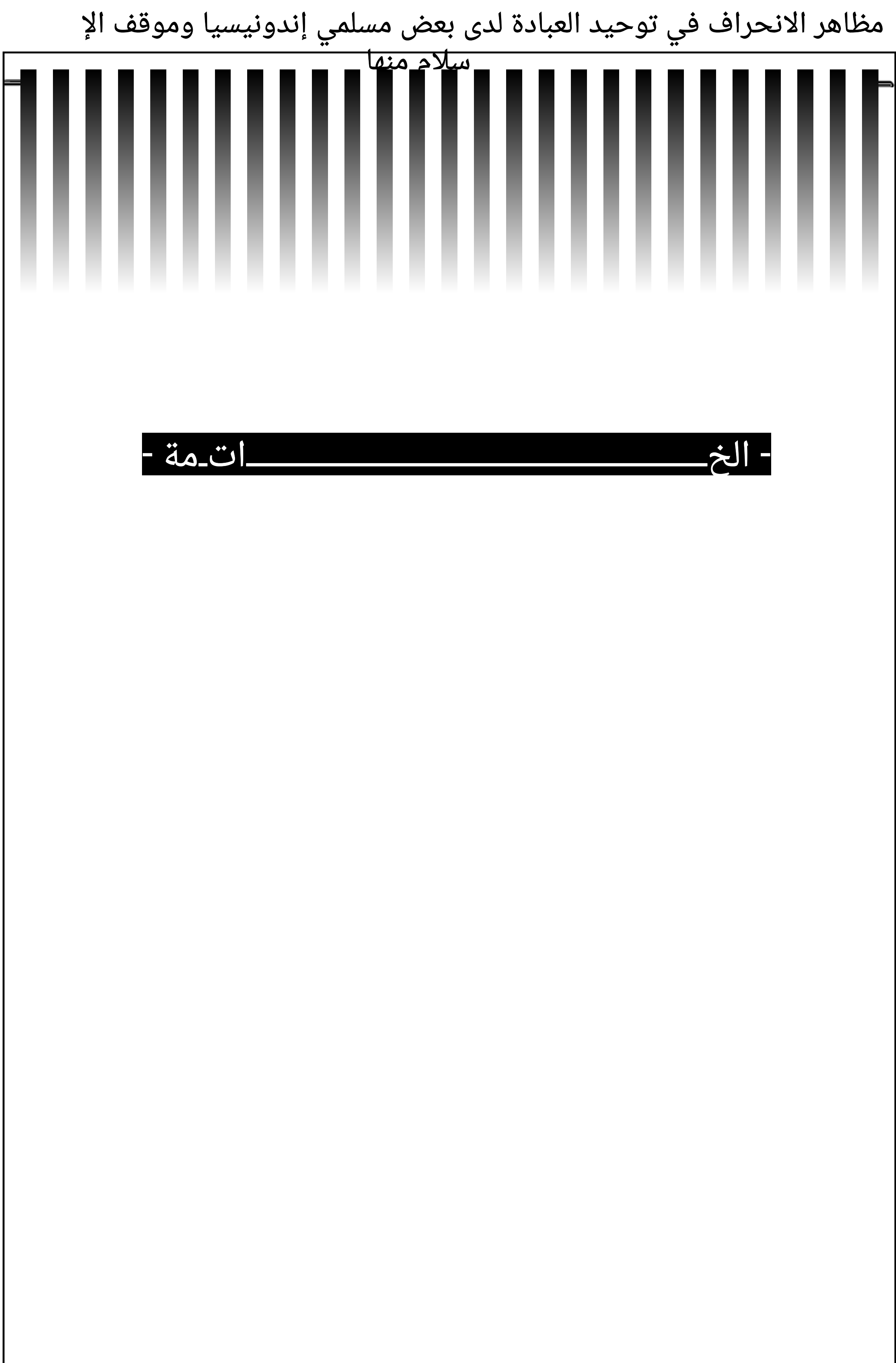
فعلى الداعية أن يستمر في تبليغ الخير والنصح؛ طلباً لمرضاة الله، ثم براءة لذمته، ونصحاً لإخوانه المسلمين. وليحذر من تلبيس إبليس عند قلة المستجيبين، فربما يداخله العجب إذا كثر المستمعون، وتضعف نيته عن تبليغ الخير عند قلة الحاضرين.

فالعبرة ليست بالكثرة، إنما العبرة بالإخلاص وبالنفع المقدّم لهذا الجمع، فلا نحقرنّ من المعروف شيئاً مطلقاً، ونبذل ما عندنا من العلم، فقد يحضر عندنا خمسة أو أربعة، فينتفع منهم واحد، ويحضر عند غيرنا أربعون أوخمسون، فينتفع منهم خمسة أو ستة، ويكون هذا الواحد الذي عندنا نفعه أعظم من ذلك النفع الذي عند الخمسة أو الستة، فينفع الله بذلك الواحد أضعاف ما ينفع بأترابه وأقرانه[3].

اللّهم وفق الدعاة المصلحين، وارزقهم العلم النافع والعمل الصالح، وبارك في جهودهم، وألِف بين قلوبهم، وأقرّ أعينهم بصلاح مجتمعاتهم وعزة

(1) الرهيط هم الجماعة دون عشرة. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (88/3).
(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب من أكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو (155/10 رقم 5705 -الفتح)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجن بغير حساب (199/1 رقم 220) و اللفظ له.
(3) معالم في طريق الإصلاح (ص 12-16) بتصرف واختصار.

أمتهم...



- الخـــــــــــــــــــــــــــــــــات ـمة -

الخاتمة

وتشمل أهم النتائج، والتوصيات، والمقترحات

أهم النتائج:

الحمد لله الذي أتم علي نعمه، ووالى علي مننه، وأعانني فأكملت هذه الرسالة بهذه الصورة التي أرجو أن أنال بها رضاه، وأن تكون الرسالة نافعة محققة للغرض منها.

وفي خاتمة هذه الرسالة التي تستحق من الوقت المزيد، ومن الجهد الشيء الكثير، أذكر خلاصة الرسالة وأهم نتائجها:

1. إن الانحراف في باب توحيد العبادة أمر خطير وشنيع؛ لأنه انحراف عن مقصود خلق الخلق وعدول عن الغاية العظمى من إرسال الرسل لإ.

2. كان لتوحيد العبادة الاهتمام الأول في العناية والحماية من قِبَل رسول الله ح؛ فقد جاهد ح في ذلك أعظم جهاد، وقام في حمايته وصيانة حماه حتى أتاه اليقين؛ فعلى دعاة الإسلام الاقتداء بنبيهم ح في ذلك وفي جميع شؤونهم.

3. إن لتاريخ دخول الإسلام في إندونيسيا عدة نظريات، ولعل أقواها حجة وبرهاناً: التي تقول بأن الإسلام إنما دخل إندونيسيا في وقت مبكر، أما الجزم بتاريخ معين فمن الصعب بمكان.

4. إن للانحراف عن توحيد العبادة في إندونيسيا عوامل عديدة، من أهمها: الجهل، وإهمال كثير من الدعاة الدعوة إلى التوحيد وتحقيقه.

5. يتنوع الانحراف في توحيد العبادة لدى بعض مسلمي إندونيسيا إلى ما يتعلق بالقلب، وباللسان، وبالجوارح.

6. تتفاوت تلك الانحرافات قلة وكثرة؛

فمن أكثرها وقوعاً: الانحرافات في باب الدعاء، والتوسل، والسحر، و الكهانة، والذبح وتقديم القرابين، والتبرك، والتطير، وتعليق التمائم.

ومن أقلها وقوعاً: الانحرافات في باب السجود، والطواف.

7. إن درجة تلك الانحرافات متفاوتة؛ ما بين شرك أكبر، أو شرك أصغر ، أو بدعة، والإسلام بريء من تلك الدركات كلها.

8. إن لأصحاب تلك الانحرافات ومروّجيها شبهات يظنون أنها تؤيد ما ذهبوا إليه، وتتفاوت تلك الشبهات في أنواع الانحرافات قلة وكثرة؛

فمن أكثر الانحرافات شبهاً: الانحرافات في باب الدعاء، والتوسل، و الشفاعة.

9. إن وصف ما مر في ثنايا هذه الرسالة من اعتقادات أو أقوال أو أفعال بالشرك أو الكفر، إنما هو من باب الحكم المطلق لا المعين.

10. على الدعاة إلى الله ملازمة غرز الحكمة في دعوتهم؛ استجابة لأ مر الله تعالى، واقتداءً بنبينا محمد ح.

التوصيات:

أوصي نفسي وإخواني في الله بوصية الله تعالى للأولين والآخرين، وهي تقوى الله تعالى، كما قال تعالى: ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ النساء: ١٣١، فمن تمسك بهذه الوصية رزقه الله العلم النافع والعمل الصالح اللذين بهما سعادة العبد في الدارين.

وأوصي القائمين بشؤون المسلمين في العالم عامة، وفي إندونيسيا خاصة، من حكام، ورؤساء المجالس والهيئات والجمعيات -وفقهم الله لما يرضيه-، أن يبذلوا جهودهم في سبيل تبصير المسلمين بحقائق معتقدهم، و القضاء على المظاهر الشركية والبدعية، وذلك بشتى الوسائل الممكنة، وبالطرق السليمة المدروسة، مستعينين في ذلك بما أولاه الله إياهم من سلطة تولي أمر المسلمين فـ$إن الله ليَزَع بالسلطان ما لا يَزَعُ بالقرآن#[1]، وعليهم التعاون مع دعاة أهل السنة والحذر من دعاة الضلالة.

فالمسؤولية في أعناقكم عظيمة، والله سائلكم عنها يوم القيامة، كما قال الرسول الكريم ح $كلكم راع وكلكم مسؤول#[2]، وإذا قمتم بواجبكم الذي أناطه الله في أعناقهم؛ فأبشروا -إن شاء الله- بالعز والتمكين؛ ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ النور: ٥٥.

كما أوصي جميع الدعاة أن يقوموا بإصلاح مجتمعهم بأساليب الدعوة المتنوعة المشروعة، مبتعدين في ذلك عن جميع الوسائل والطرق المنفرة، وعليهم أن يبينوا للناس الحق ويرشدوهم إلى ذلك، ويحذروهم من الباطل ودعاته، وأن لا يخافوا في سبيل ذلك كله لومة لائم، ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ آل عمران: ١٨٧.

ثم على كل من وقع في بعض المخالفات الشرعية كالشرك بأنواعه أو البدع، أن يسارعوا إلى التخلص منها، ويبادروا بالتوبة النصوح، ويفتحوا قلوبهم للحق والصواب، ويرجعوا إلى ربه تبارك وتعالى، ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ الشورى: ٢٥.

المقترحات:

من المقترحات التي أقترحها للباحثين: كتابة بحوث علمية عن الموضوعات التي لم تتم دراستها، كمظاهر الانحراف في توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وبقية أركان الإيمان الأربع، مع بيان موقف الإسلام منها.

---

(1) تفسير ابن كثير (111/5)، لم أجد هذه الجملة مسندة عن عثمان ط أو غيره من الصحابة أو مرفوعة.

(2) رواه ابن حبان في صحيحه (342/10 رقم 4489 -الإحسان)، وقال محققه: $إسناده صحيح على شرطهما#.

هذا، وإني لم آل جهداً في معالجة مباحث هذه الرسالة، فقد بذلت فيها قصارى جهدي، وقضيت فيها فترة من عمري، محاولاً في ذلك كله الوصولَ إلى الصواب ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، غير أن قلة بضاعتي، طول هذه الرسالة، وتشعب مباحثها ثنتني عن كثير مما أردت، ولكمْ عزيت نفسي بقول القائل:

أسير خلف ركاب النجب ذا عرج ... مؤمّلاً كشف ما لاقيت من عوج

فإن لحقت بهم من بعد ما سبقوا ... فكم لرب الورى في ذلك من فرج

وإن بقيت بظهر الأرض منقطعاً ... فما على عرج في ذاك من حرج(1)

وبهذا أختم هذه الرسالة، أسأل الله تعالى أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفع بها كاتبها ومن يقرأها ويطلع عليها، إنه جواد كريم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(1) مقتبس من مقدمة الشيخ عبد العزيز بن محمد السلمان لكتابه: موارد الظمآن لدروس الزمان (ص 6)_بتصرف يسير.